المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور

من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران

جمعا ودراسةً ونقدا

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

□أحمد بن محمد بن قاسم مذكور

□الرقم الجامعي (٤٢٦٨٠٣١٤)

إشراف فضيلة الدكتور:

□إسماعيل بن عبد الستار الميمني

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

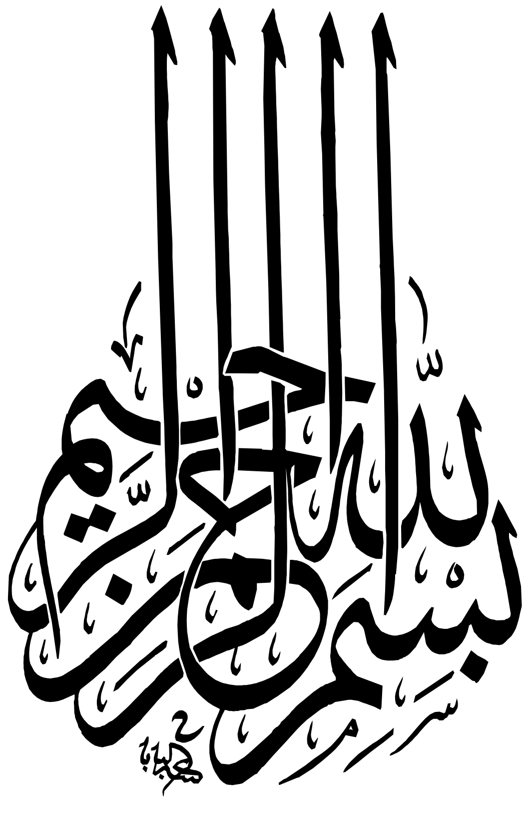
بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: (المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، جمعا ودراسةً ونقدا).

وتتكون من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس.

احتوت المقدمة على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، إضافةً إلى الدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

وأما التمهيد فاحتوى على تعريف علمِ المناسبات، وموضوعه وثمرته ونشأته، وموقف العلماء منه، إضافة إلى أهميته وفائدته، وأشهر المؤلفات فيه، كما احتوى على تعريف بالطاهر بن عاشور، وذلك من خلال ترجمته، وبيان أهم مراحل حياته، ومكانته العلمية، إلى جانب أهم مؤلفاته، وتاريخ وفاته، ثم تعريف بتفسيره التحرير والتنوير، وبيان موقفه من علم المناسبات، ومنهجه في إيرادها.

وأما الفصول الثلاثة فتضمنت دراسة المناسبات في سورة الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، وبيان أثرها، ويراد بها المناسبات بين آية وآية، وبين أجزاء الآية الواحدة، وبين مقطعٍ ومقطعٍ.

ثم الخاتمة واحتوت على أهم النتائج التي تم التوصل إليها، ومن أهمها أنّ علم المناسبات القرآنية علم ذو وجوه إعجازية وبيانِية وبلاغية متعددة، وأن بعض الصحابة ﷺ كانوا يشيرون إلى الربط بين بعض الآيات عند تفسيرها، وأن الطاهر بن عاشور كان ذا باعٍ طَويلٍ في هذا العلم، غير مقَلد ولا متكَلف، وأنّ لكُل مناسبة أثَرا.

ثم ختمت الرسالة بفهارس كاشفة عن محتوياتها.

والحمد لله أولا وآخرا،،،

الطالب

أحمد بن محمد بن قاسم مذكور

Abstract

This: (Connections and their effects in explaination of edition and illumination By Al Taher Bin Ashoor through surat Al Fateha; Al Baqarah; and Aal Emran) Collection; studying and criticism.

It Consists Of an introduction; preface; three chapters; conclusion and indexes.

The introduction included the subject importance; reasons of choice; in addition to previous studies; methodology and the plan.

The preface included a definition of the science of connections; its subject fruit and foundation; scientists situation; in addition to its importance and benefit. As it included sheikh Al Taher Bin Ashoor autobiography; the main stages in his life; his scientific position beside his most famous volumes; as it included a definition of editing and illumination explanation; illustration of Al Taher situation toward connections Science and his methodology in them.

The three chapters involved the study of connections in Surat Al Fateha; Al Baqarah; and Aal Emran and their effect; by which we mean the situations between two verses; the parts of only verse and between two syllables.

The Conclusion which involved the most important results that were achieved. The most important of them; the science of Quranic situations has rhetorical; eloquence; and miraculous faces. Some companions linked some verses when explanation; Al taher Bin Ashoor had a long span in this science; neither imitator nor affecter; and every situation has its effect.

Then; I ended the study with the indexes that recover it's contents.

"Thank Goodness firstly and finally"

Graduator: Ahmed Bin Mohammed Bin Kassem Mathkor

شكر وتقدير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فلا يسعني إلا أن أتوجه إلى المولى ﷻ بالحمد والشكر الخالص الجزيل، على ما أنعم وأجزل، وامتـَن بِه وتفَضلَ، فله الحمد في الأولى والآخرة، على ما أعانَ وسهلَ، وأسبل من النعمِ ويسر، وما لَطَف بِه وقَدر، له الحمد على أن أعانني على إتمام هذا البحث الذي أسأل الله تعالى أن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله قَبسا ينير دربا من دروب الباحثين والمطلعين.

ثم الشكر لوالدي الغاليين، فكم حرصا على تعليمي منذ نعومة أظفاري، وتشجيعي بشتى الوسائل، حتى غَرسا حب العلم في قلبي، ولم يبخلا علي بدعواتهما المستمرة لي، التي كانت تشد من عزمي وأزري، وأسأل الله تعالى أن يمن عليهما بالصحة والعافية، وأن يحفظهما ويبارك فيهما، وفي عمرهما.

والشكر موصولٌ لزوجتي اللتين ضحتا كثيرا، ولأبنائي الذين تجرعوا مرارة غيابي، ولأخوي اللذين وقفا جانبي طيلة فترة دراستي، ولأخواتي على ما بذلنه معي، ولجميع أهلي.

ثم الشكر والعرفان لفضيلة الشيخ الدكتور/ إسماعيل بن عبد الستار الميمني -رئيس قسم الكتاب والسنة سابقًا- الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، على ما أحاطني به من كريم اهتمامه، وخلاصة فكره وعلمه، وثمين وقته، ففرغ لي الساعات، موجها ومصوبا، ومشجعا، حرصا منه -رعاه الله- على أن يخرج البحث في أفضل صورة، فله الشكر الوفير، والاحترام والتقدير، وأسأل الله تعالى أن يمن عليه بالصحة والعافية، وأن يجزيه عني خير الجزاء.

كما أشكر جامعة أم القرى التي تكرمت بقبولي في مرحلة الماجستير.

والشكر موصولٌ لعمادة كلية الدعوة وأصول الدين ممثلةً بعميدها فضيلة الدكتور/ عبد الله بن محمد الرميان، ووكلائه الأفاضل.

ثم الشكر لقسم الكتاب والسنة ممثلا برئيسه فضيلة الدكتور/ غالب بن محمد الحامضي، وبأعضاء مجلس القسم الأكارم، الذين نهلت من علمهم الجم.

كما أشكر جامعةَ الـحديدة، ممثلةً برئيسها الأستاذ الدكتور/ قاسم بن محمد بريه، ونائبه الأستاذ الدكتور/ مهيوب بن عبد الرحمن سعيد، وقسم الدراسات الإسلامية والقرآن وعلومه بِكُلية التربية ممثلا برئيسه العلامة الأستاذ الدكتور/ إبراهيم بن إبراهيم القُريبـي، وجميع أعضاء هيئة التدريس بالقسم، على ما أحاطوني به جميعا من رعاية واهتمامٍ وتشجيعٍ، وما بذلوه معي فترة ابتعاثي، سائلا المولى ﷻ أن يحفظهم جميعا، وأن يوفقهم لما يحب ويرضى.

كما أخص بالشكر فضيلة الدكتور/ أديب محمد شكور، الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية والقرآن وعلومه بكلية التربية بالحديدة، الذي استفدت من ملاحظاته وتوجيهاته العلمية القيمة.

وقبل الختام يسرني أن أتوجه بالشكر العميم إلى القائمين على المكتبات والجهات التي استفدت منها كثيرا في جمع مادة هذا البحث، وهي مكتبة الملك عبد الله بجامعة أم القرى، ومعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ومكتبة الحرم المكي الشريف، ومكتبة جامع إمام الدعوة، والمكتبة المركزية بجامعة الـحديدة، ومكتبة كلية التربية بالحديدة.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يغفر لي تقصيري، ويتجاوز عني خطئي، فهذا الجهد المتواضع -لا شك- لم يخلُ من الخطأ والنقص والتقصير، فإن أصبت فمن الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، كما أسأله تعالى أن ينفعني بما علمني، وأن يوفقني لما يحب ويرضى، وأن يجعل أعمالي خالصةً لوجهه الكريم، وأن يتقبلها مني، إنه بي وبالمؤمنين رؤوف رحيم.

الطالب

أحمد بن محمد بن قاسم مذكور

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، والصلاة والسلام على من أرسله اللهُ شاهدا، ومبشرا، ونذيرا، صلاةً وسلاما متلازمين أبدا إلى يوم الدين. أما بعد:

فإنه لما كان القرآنُ الكريم أعظم الكتب المنـزلة وآخرها، وكان الحجةَ القاهرةَ التي قهر الله بها أعداءه بمختلف توجهاتهم وأفكارهم، حتى سلّم له عقَلاء الغرب بالصدق والواقعية؛ كان الغوص في أسراره، والبحث في سورِه وآياته، من أشرف العلوم الشرعية.

ولتلك المكانة العظيمة للقرآن الكريم انطلق العلماء بكل شغف ينقبون عن كنوزه، ويتسابقون إلى إبراز مكامن إعجازه، ومن أولئك العلماء، علامةٌ فَذ، بذل الوقت والجهد في التأليف والتحقيق، فكان مثار إعجابٍ من علماء عصره، والعلماء من بعده، ذلك هو الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، المفسر اللغوي الأصولي، وكان من أهم مؤلفاته: (تفسير التحرير والتنوير)، وهو تفسير بلاغي بياني لُغوي لا يغفل المأثور.

ولما لهذا التفسير من أهمية فقد تسابق الباحثون إلى البحث في جوانبه المتنوعة والمتعددة، خصوصا جوانب اللغة والبيان، ولما كان علم المناسبات يمثل أحد تلك الجوانب التي اهتم بها الطاهر بن عاشور في تفسيره، ولم يسبق لأحد من الباحثين -في حدود اطلاعي- أن تتبع المناسبات في ذلك التفسير، وأماط اللثام عما نتج عنها من آثار؛ رأيت أن يكون بحثي في هذا الموضوع من خلال ذلك التفسير، وأن أُبين أثر تلك المناسبات، فكان عنوان البحث: (المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، جمعا ودراسةً ونقدا).

هذا وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، أن يوفقني وجميع زملائي لما يحب ويرضى.

◙ أهمية الموضوع:

تبرز أهمية الموضوع من خلال النقاط الآتية:

◘ يعد تفسير التحرير والتنوير من أجل التفاسير وأنفعها، حيث استفاد منه عدد كبير من الباحثين المتخصصين في التفسير وعلوم القرآن واللغة وغيرها.

◘ شهرة الطاهر بن عاشور العلمية، وقيمة مؤلفاته وكتاباته، وطول باعه في علم التفسير واللغة خاصةً.

◘ يعتبر علم المناسبات علما جليلا ذا قيمة علمية عالية، اهتم به الطاهر في تفسيره، واعتنى به أيما اعتناء، وله فيه اجتهادات قيمةٌ.

◘ استخلاص ما ورد من تناسب بين الآيات من خلال تفسير التحرير والتنوير يعتبر عملا ذا أهمية بالغة؛ كونه يستخلص علما جليلا ويجمعه بعد أن كان منثورا بين ثنايا ذلك التفسير.

◘ جاء اهتمام الطاهر بن عاشور بهذا العلم في تفسيره بعد جهود عدد من العلماء المتقدمين في هذا المجال، مما منحه تميزا فيه، ومكنه من الاستفادة من جهودهم السابقة.

◘ كثرة الأقوال في بيان المناسبات بين الآيات، واختلافها من مفَسرٍ إلى آخر، وصلت إلى حد التكلف في بعض الأحيان، فأصبح هذا العلم بحاجة ماسة إلى دراسة تلك الأقوال وبيان أنسبها وألطفها بعيدا عن التكلف.

◘ يعتبر علم المناسبات من العلوم التي تعين المفسر على الوصول إلى المعنى الراجح للآية.

◘ يعين علم المناسبات على رد مزاعم المستشرقين الذين يشككون في ترابط أجزاء القرآن الكريم.

◘ أهمية الأثر الذي يترتب على استنباط المناسبة، وما ينبني عليه من توجيه للمعنى التفسيري، وأثر ذلك المعنى.

◙ أسباب اختيار الموضوع:

▪ جِدة هذا البحث، فلم أجد -في حدود اطلاعي- بحثًا تناول دراسةَ المناسبات من خلال تفسير التحرير والتنوير ونقْدها.

▪ أن تفسير التحرير والتنوير قد عنِي به كثير من الباحثين من خلال جوانب متعددة، وبقيت جوانب مهمةٌ بحاجة إلى الاعتناء، ومنها دراسة المناسبات فيه، وبيان أثرها.

▪ تعلق موضوع البحث بمجال تخصصي تعلقًا مباشرا.

◙ الدراسات السابقة:

لم أدخر جهدا في البحث والتنقيب عن دراسة لعلم المناسبات من خلال تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، فكان كل ما وقفت عليه هي دراسات تناولَته من جوانب مختلفة، وكان جلها دراسات لغوية وبلاغية، ومن تلك الدراسات:

١) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير، هيا بنت ثامر بن مفتاح العلي. نشر: دار الثقافة، الدوحة، ١٩٩٤م.

٢) مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، شعيب بن أحمد الغزالي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

٣) المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشـور، د. حواس بري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٤) خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، إبراهيم بن علي الجعيد، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى.

٥) أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير، مشرف بن أحمد بن جمعان الزهراني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى.

٦) الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير، محمد بن سعد بن عبد الله القرني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

◙ حدود البحث:

سيكون هذا البحث -بعون الله تعالى- مركزا على دراسة المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير من خلال ثلاث سور، هي: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران.

◙ خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس، وتفصيل ذلك كالآتي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وحدود البحث، وخطته.

التمهيد: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مدخل إلى علم المناسبات، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريفه، وموضوعه، وثمرته.

المطلب الثاني: نشـ ـأته.

المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبات.

المطلب الرابع: أهميته، وفائدته، وأشهر المؤلفات فيه.

المطلب الخامس: أنواع المناسبات.

المبحث الثاني: التحرير والتنوير، المؤلف والكتاب، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف.

المطلب الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير.

المبحث الثالث: منهج الطاهر بن عاشور في إيراد المناسبات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موقفه من علم المناسبات.

المطلب الثاني: منهجه في إيراد المناسبات.

الفصل الأول: سورة الفاتحة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجه تسميتها، وأغراضها.

المبحث الثاني: مناسبة افتتاح القرآن بها.

المبحث الثالث: المناسبات في آياتها، وأثرها.

الفصل الثاني: سورة البقرة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجه تسميتها.

المبحث الثاني: أغراضها.

المبحث الثالث: المناسبات في آياتها، وأثرها.

الفصل الثالث: سورة آل عمران، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجه تسميتها.

المبحث الثاني: أغراضها.

المبحث الثالث: المناسبات في آياتها، وأثرها.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج.

الفهارس: وتتضمن الآتي:

١) فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

٢) فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

٣) فهرس الآثار.

٤) فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥) فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة.

٦) فهرس القبائل.

٧) فهرس الأماكن والبلدان.

٨) فهرس الأبيات الشعرية.

٩) فهرس المصادر والمراجع.

١٠) فهرس الموضوعات.

◘ منهج البحث:

اتبعت المنهج الآتي في البحث:

◘ حصر المناسبات التي ذكرها الطاهر في سورة الفاتحة، والبقرة، وآل عمران.

◘ إيراد أقوال بعض المفسرين في تلك المناسبات، لموازنة أقوال الطاهر بها، وقد اعتمدت على خمسة تفاسير، هي:

١) مفاتيح الغيب لمحمد بن عمر فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ).

٢) البحر المحيط لمحمد بن يوسف بن حيان الأندلسي أبو حيان (ت٧٤٥هـ).

٣) اللباب في علوم الكتاب لعمر بن علي الشهير بابن عادل الحنبلي، توفي بعد (٨٨٠هـ).

٤) نظم الدرر لإبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ).

٥) روح المعاني لمحمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت١٢٧٠هـ).

- السبب في اختيار هذه التفاسير هو شهرة أصحابها في الاهتمام بالمناسبات في تفاسيرهم، وقد اعتمدت في ترتيبهم عند نقل أقوالهم بنفس الترتيب الذي ورد آنفًا، والمستند في ذلك هو أقدمهم وفاةً.

- إيراد الآية أو الآيات التي ذكر الطاهر مناسبةً فيها، ثم إتباعها بكلامه، ثم بأقوال المفسرين، سواء وافقهم أم خالفهم.

- في حال موافقة الطاهر للمفسرين في بيان المناسبة فإني أورد أقوالهم، ثم أتبعها بتلخيصٍ جامعٍ لتلك المناسبة.

- في حال مخالفة الطاهر للمفسرين في بيان المناسبة فإني أستعرض جميع الأقوال معلقًا على ما يحتاج إلى تعليق، ثم أُبين الأنسب منها ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

- أُبين أثر المناسبات، وأعني بالأثر دلالاتها وما يترتب على تلك الدلالات.

- بيان منهج الطاهر في إيراد المناسبات كان من خلال الجزء الذي حواه البحث، والمحصور في مناسبات سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران.

- الاعتماد على الرسم العثماني في كتابة الآيات القرآنية، بقراءة حفص عن عاصم.

- عند العزو إلى نص مكون من عدة صفحات فإن العزو يكون للصفحة التي فيها بداية ذلك النص.

- عزو الآيات القرآنية إلى رقمها ثم اسم السورة في الحاشية.

- إذا تكرر ذكر الآية في الصفحة نفسها أكتفي بعزوها في المرة الأولى.

- تخريج جميع الأحاديث الواردة في متن البحث، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بتخريجها منهما دون غيرهما، وإن كان من غيرهما فأخرجها من مظانها، ثم أذكر حكم العلماء عليها، وإن لم أجد فإني أدرس إسنادها في بطاقات خارجية ثم أُبين درجتها ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

- عند تخريج الحديث أُبين اسم الكتاب والباب، ثم الجزء والصفحة، ورقم الحديث.

- اكتفيت في الآثار المروية عن الصحابة ﷺ والسلف بعزوها إليهم، وتخريجها من مظانها قدر المستطاع.

- توثيق النصوص المنقولة من مصادرها الأصلية، وذلك بذكر اسم المصدر مع اسم مؤلفه والجزء والصفحة في المرة الأولى التي يرد فيها ذكر المصدر، وإذا ورد المصدر مرة أخرى فلا أذكر اسم مؤلفه.

- المصادر التي تتشابه أسماؤها، ويختلف مؤلفوها أذكر اسم المصدر واسم مؤلفه في كل مرة تمييزا لها.

- اختصرت بعض أسماء المصادر عند العزو إليها بعد المرة الأولى، وهي:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن: جامع البيان

تفسير اللباب في علوم الكتاب: اللباب

نظم الدرر في تناسب الآي والسور: نظم الدرر

البرهان في علوم القرآن: البرهان

الإتقان في علوم القرآن: الإتقان

لباب النقول في أسباب النزول: لباب النقول

الاستيعاب في معرفة الأصحاب: الاستيعاب

الإصابة في معرفة الصحابة: الإصابة

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: الدرر الكامنة

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: وفيات الأعيان

◘ الترجمة للأعلام الذين ذُكروا في متن البحث عند ذكرهم في المرة الأولى جميعا بلا استثناء، ترجمة موجزة، وعدم الترجمة للخلفاء الأربعة الراشدين ﭫ لشهرتهم، وعدم الإحالة إلى مكان الترجمة إذا ورد ذكر علَمٍ مرة أخرى، تخفيفًا على الحاشية.

◘ الإحالة إلى أهم مصادر الترجمة الأصلية.

◘ عزو الأبيات الشعرية إلى قائليها، ومصادرها المعتبرة.

◘ التعريف بالأماكن من مصادرها المعتبرة.

◘ استخدمت الأنواع الآتية من الأقواس في متن البحث:

﴿ ﴾ للآيات القرآنية الكريمة.

{ } للأحاديث النبوية الشريفة.

(( )) للآثار والنصوص المنقولة.

◘ المعتمد في معرفة بيانات المصدر كاملة هو فهرس المصادر.

◘ إذا نقلت من مصدر ذي طبعة أخرى غير الواردة في فهرس المصادر والمراجع فإني أُشير إلى بياناتها في مكان الإحالة منعا للالتباس.

◘ ضبط الألفاظ الـمشكلة بالشكل.

◘ تذييل البحث بعشرة فهارس، اعتمدت فيها الترتيب الألف بائي، ما عدا فهرس الآيات القرآنية اعتمدت فيه ذكر اسم السورة، ورقم الآية، حسب ترتيب السور في المصحف الشريف.

والله أسأل العون والتوفيق.

التمهيد

وفيه ثلاثة مباحث

- المبحث الأول: مدخل إلى علم المناسبات
- المبحث الثاني: التحرير والتنوير، المؤلف والكتاب
- المبحث الثالث: منهج الطاهر بن عاشور في إيراد المناسبات

المبحث الأول

مدخل إلى علم المناسبات

وفيه خمسة مطالب

- ■ المطلب الأول: تعريفه، وموضوعه، وثمرته
- ■ المطلب الثاني: نشـــأته
- ■ المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبات
- ■ المطلب الرابع: أهميته، وفائدته، وأشهر المؤلفات فيه
- ■ المطلب الخامس: أنواع المناسبات

المطلب الأول: تعريفه، وموضوعه، وثمرته

تعريف علم المناسبات:

المناسبات لغة: جمع مناسبة، والمناسبة الـمشاكَلةُ، وناسب فلانا شركَه في نسبِه وشاكَلَه، يقَالُ: بينهما مناسبةٌ، ويقالُ: نـاسب الأمــر أو الشيءُ فلانـًا، أي لاءَمه ووافق مزاجه، والتناسب التشابه، والمقاربةُ، وفلانٌ يناسب فُلانا، أي يقرب منه ويشاكلُه، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصلُ[(١)].

وعند الأصوليين: المناسبة في العلة في باب القياس، وهي تعيين العلة بمجرد إبداء المناسبة، مع السلامة عن القوادح[(٢)].

وعند البلاغيين: هو الترتيب للمعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر[(٣)].

وفي **اصطلاح المفسّرين:** هو علم تعرف منه علَلُ ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادةُ فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها[(٤)].

وعرفه ابن العربي[(٥)]بقوله: ((ارتباط آي القُرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل

---

(١) ينظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مادة (نسب)، باب الباء، فصل النون (١٧٥/١)؛ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، باب النون (٦٥٦)؛ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، باب النون (٩٥٦/٢).

(٢) ينظر: المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٢١٧/٢)؛ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني (٦٢٥/٢).

(٣) المعجم المفصل في علوم البلاغة، جمع وترتيب: د. إنعام عكّاوي (ص٤٣٠).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (٥/١).

(٥) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي الحافظ، أحد الأعلام، ولد سنة (٤٦٨هـ)، كان من أهل التفنن في العلوم، والجمع لهـا، (ت٥٤٣هـ). ينظر: طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ص٩٠)؛ طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي (ص١٨٠)؛ سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (١٩٧/٢٠).

فيه سورة البقرة[١]، ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حملة، ورأينا الخلق بأوصاف البطَلَة؛ ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه))[٢].

وعرفه الزركشي[٣]بقوله: ((المناسبة أمر معقُولٌ، إذا عرض على العقول؛ تلَقته بالقَبول))[٤].

ومن خلال هذه التعريفات يمكن القول بأن علم المناسبات علم يعنى بالبحث في أسرار ترابط الآيات وأجزائها، وترابط السور ببعضها، انطلاقًا من مقاصدها وأغراضها، للوصول إلى اتساق معانيها، وانتظام مبانيها.

موضوعه: أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيثُ الترتيب.

هذا بالنسبة لموضوع علم المناسبات عموما، أما علم مناسبات القرآن الكريم فموضوعه السور والآيات القرآنية.

ثمرته: الاطلاع على الرتبة التي يستحقّها الجزء بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلق، الذي هو كلُحمة النسبِ[٥]، وبـه يرسـخ الإيمان في القلب، ويتمكّن من اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظْم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثّاني: نظْمها مع أختها بالنظَر إلى الترتيب، والأول أقرب تناولا وأسهل ذوقًا[٦].

---

(١) لم أقف على اسم هذا العالم.

(٢) البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (٣٦/١)؛ الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (٩٧٦/٢)، نقلا عن ابن العربي من كتابه "سراج المريدين".

(٣) محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الموصلي الشافعي بدر الدين، ولد سنة (٧٤٥هـ)، ألّف تصانيف كثيرة في عدة فنون، (ت٧٩٤هـ). ينظر: طبقات المفسرين، محمد بن علي الداوودي (١٦٢/٢)؛ طبقات المفسرين، الأدنه وي (ص٣٠٢)؛ طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي الشافعي (١٦٧/٣).

(٤) البرهان (٣٦/١).

(٥) نظم الدرر (٥/١).

(٦) المصدر نفسه (١٠/١).

المطلب الثاني: نشأته

أدرك فصحاءُ العربِ وبلغاؤهم تناسب القرآن الكريم منذ فترة تنـزله، مع أنهم استهزؤوا به، ووسموه بالسحر وبأساطيرِ الأولين، وكان الدافع لأقوالهم تلك هو العناد والمكابرة.

ومما يدل على ذلك موقف الوليد بن المغيرة[١]بعد سماعه القرآن الكريم من الرسول ﷺ، حيث علم أبو جهل[٢]بذلك فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا، قال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش[٣]أني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له، أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزٍ[٤]ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إنّ لقَوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى ، وإنـه ليحطّم فاتحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكّر، فلما فكّـر قال: هذا سحر يؤثر، يأثُره عن غيره، فنزلت: ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴾[٥].

(١) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله من بني مخزوم، والد الوليد وخالد رضي الله عنهما، من ألد أعداء الرسولﷺ ، مات مشركًا في السنة الأولى من الهجرة بمكة. ينظر: سيرة ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المصري (٢/٢٥٦)؛ السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٢/٣٤١).

(٢) أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي،كان يكنى أبا الحكم فكناه رسولُ الله ﷺ أبا جهل فذهبت، كان شديد العداوة لرسول الله ﷺ، أجهز عليه عبد الله بن مسعود ﷺ يوم بدر. ينظر: سيرة ابن هشام (٥/٣٠٥)؛ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (٢/١٧٦).

(٣) قريش: من أشهر القبائل العربية، وأفصحها لسانا، اشتهرت بالتجارة. ينظر: كتاب المنمق، محمد بن حبيب البغدادي (ص٢)؛ قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، أحمد بن علي القلقشندي (ص١٣٧).

(٤) الرجز: إنشاد الشعر في مواطن الحرب والمفاخرة، وهو بحر من بحوره عند العروضيين. ينظر: القسطاس في علم العروض، محمود بن عمر جار الله الزمخشري (ص٩٨).

(٥) الآية (١١) من سورة المدثر، وأخرج هذه الرواية الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: ((هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه))، وقال الذّهبي: ((على شرط البخاري)). المستدرك، الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله، تعليق الإمام الذّهبي،كتاب التفسير، تفسير سورة المدثر (٢/٥٥٠)، رقم [٣٨٧٢].

إن اعتراف الوليد بن المغيرة لَيدل دلالةً واضحة على تأثير القرآن الكريم على النفس البشرية وإن كانت كافرة، وهذا التأثير إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على روعة القرآن وسلاسته وترابطه، وقُوة إعجازه البلاغي.

وأخرج ابن جرير[(١)] في تفسيره عن ابن عباس[(٢)] رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله ﷺ ابن مشكم[(٣)] في عامة من يهود سماهم، فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئت به، حق من عند الله عز وجل؟ فإنا لا نراه متناسقًا كما تناسق التوراةُ، فقال لهم رسول الله ﷺ: {أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه مكتوبًا عندكم، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاؤوا به}[(٤)].

---

(١) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، ولد بآمل سنة (٢٢٤هـ)، كان حافظًا لكتاب الله، بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، له جامع البيان في تفسير القرآن، وهو أجل التفاسير، وتاريخ الأمم، وتهذيب الآثار، وغير ذلك من المؤلفات، (ت٣١٠هـ). ينظر: طبقات المفسرين، السيوطي (ص٨٢)؛ طبقات المفسرين، الداوودي (١١٠/٢)؛ طبقات المفسرين، الأدنه وي (٤٨).

(٢) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، وهو أحد المكثرين من الصحابة ﷺ، دعا له الرسول ﷺ بالحكمة والفقه والتأويل، (ت٦٨هـ) بالطائف. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد البر (٦٧/٣)؛ أسد الغابة، أبو الحسن علي الجزري ابن الأثير (١٨٦/٣)؛ الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٣٣٠/٢).

(٣) هو سلام بن مشكم [بتشديد اللام] من رؤساء اليهود في المدينة، وسيد بني النضير في زمانه. ينظر: سيرة ابن هشام (٣١١/٣)؛ السيرة النبوية لابن كثير (٥٤٠/٢).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطّبري (٥٤٧/١٧)؛ وقد روى الطبري هذا الحديث قال: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا إسناد ضعيف فيه يونس وهو "صدوق يخطئ". تقريب التهذيب، أحمد بن حجر العسقلاني، (ص١٠٩٨) رقم [٧٩٥٧]، وفيه محمد بن أبي محمد وهو "مجهول". تقريب التهذيب، (ص٨٩٤) رقم [٦٣١٦]؛ وذكره جلال الدين عبد الرحمن السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول (ص١٤٠).

وقال ابن مسعود[(١)] رضي الله عنه: ((إذَا سأَلَ أَحدكُم صاحبه كَيف يقْرأُ آيةَ كَذَا وكَذَا؛ فَلْيسأَلْه عما قَبلَها))[(٢)].

يريد -والله أعلم- أن ما قبلها يدله على تحرير لفظها بما تدعو إليه المناسبة.

وعن جابر بن عبد الله[(٣)] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول بأُذُني هاتين -وأشار بيده إلى أُذُنيه-: {يخرج اللهُ قَوما من النارِ فَيدخلُهم الجنة}، فقال له رجل: إن الله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾[(٤)]، فقال جابر بن عبد الله: إنكم تجعلون الخاص عاما، هذه للكفار، اقرؤوا ما قبلها، ثم تلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(٥)]، هذه للكفار[(٦)].

---

(١) أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أول من جهر بالقرآن بمكة، شهد بدرا وأُحدا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، (ت٣٢هـ). ينظر: الاستيعاب (١١٠/٣)؛ أسد الغابة (٢٨٠/٣)؛ الإصابة (٣٦٨/٢).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف، باب تعاهد القرآن ونسيانه (٣٦٥/٣)، رقم [٥٩٨٨]؛ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب العين (١٤٠/٩)، رقم [٨٦٩٣] بلفظ: ((إذا شك أحدكم في الآية فلا يقول: ما تقول في كذا وكذا؟ فيلبس عليه، ولكن ليقرأ ما قبلها ثم ليخل بينه وبين حاجته)). قال الهيثمي: "رجاله ثقات إلا أنه منقطع". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، باب في حسن السؤال والتودد (١٦٠/١).

(٣) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ثم السلمي، صحابي ابن صحابي رضي الله عنهما، غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة بعد السبعين، وهو ابن أربع وتسعين سنة. ينظر: الاستيعاب (٢٩٣/١)؛ أسد الغابة (٣٠٧/١)؛ الإصابة (٢١٢/١).

(٤) الآية (٣٧) من سورة المائدة.

(٥) الآية (٣٦) من سورة المائدة.

(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب صفة النار وأهلها (٥٢٦/١٦)، رقم [٧٤٨٣]، قال شعيب الأرنؤوط: ((إسناده صحيح على شرط مسلم)).

وذكر الزركشي أن أول من أظهر علم المناسبات هو أبو بكر النيسابوري[١]، وكان يزري[٢] على علماء بغداد لجهلهم وجوه المناسبات بين الآيات، وكان يقول إذا قرئت عليه الآية أو السورة: ((لِمَ جعلَت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟))[٣]، أما أول من وضع مصطلح (المناسبة) لهذا الفن فليس معلوما، إلا أنه يمكن القول إن أول من استخدم هذا المصطلح هو الرازي[٤] عند تفسيره لآخر سورة المائدة، وكلامه عن مناسبة آخر السورة لافتتاحيتها[٥].

ومن خلال استعراض ما سبق يتبين أن نشأة علم المناسبات وتطبيقها على القرآن الكريم أثناء بيان مراده مرتبطة بالزمن الذي بدأ فيه تنزل القرآن الكريم، منذ كان الرسول ﷺ في مكة قبل الهجرة، وقصة الوليد بن المغيرة تدل على ذلك دلالةً واضحةً، كما نلاحظ أيضا تناول الصحابة ﭫ لهذا العلم الشريف، من خلال تفسيرهم لبعض الآيات، وربطها بما قبلها، وإن لم يشيروا إلى مصطلح (المناسبة)

---

(١) عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل، أبو بكر النيسابوري الحافظ الفقيه الشافعي مولى آل عثمان بن عفان، كان إمام عصره في الشافعية بالعراق، توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. ينظر: سير أعلام النبلاء (٦٥/١٥)؛ الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفَدي أبو الصفاء (٤٨٠/١٧).

وفي ترجمة أبي بكر النيسابوري خلاف ذكره الدكتور/ عبد الحكيم أنيس في بحثه: (أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية) الذي نشر في مجلة الأحمدية، العدد (١١).

(٢) زرى عليه فعله أي عابه، والإزراء التهاون بالشيء، و ازدراه أي حقره. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (زرى)، باب الواو والياء، فصل الزاي (٤٩٠/٤)؛ مختار الصحاح، باب الزاي (٢٧١)؛ المعجم الوسيط، باب الزاي (٤١٨/١).

(٣) البرهان (٣٦/١).

(٤) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام فخر الدين الرازي القرشي الشافعي المفسر المتكلم، ولد سنة (٥٤٤هـ)، قال ابن خلكان فيه: ((فريد عصره، شهرته تغني عن استقصاء فضائله))، له التفسير الكبير، وإعجاز القرآن، ومناقب الشافعي، وغير ذلك، (ت٦٠٦هـ). ينظر: طبقات المفسرين، السيوطي (ص١٠٠)؛ طبقات المفسرين، الداوودي (٢١٥/٢)؛ طبقات الشافعية (٦٥/٢).

(٥) قال الرازي عند تفسيره آخر سورة المائدة: ((فمفتتح السورة من الشريعة، ومختتمها بذكر كبرياء الله وجلاله وعزته، وقدرته، وعلُوه، وذلك هو الوصول إلى مقام الحقيقة، فما أحسن المناسبة بين ذلك المفتتح، وهذا المختتم)). مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي (١٣٩/١٢).

بالاسم، كما يؤيد ذلك استدلالُ أبي بكر الصديق ﵁ على قتال مانعي الزكـاة بسبب اقترانها بالصلاة في القرآن الكريم(١)، وكلام الصحابي الجليل ابن مسعود ﵁.

ولا يكاد يخلو كتاب من كتب التفسير المتقدمة والمتأخرة من الإشارة إلى ربط الآيات ببعضها وإن لم يصرح مؤلفوها بمصطلح المناسبة.

---

(١) أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة ﵁ قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب؛ قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: {أُمرت أنْ أُقَاتلَ الناس حتى يقُولُوا لا إِلَه إلا الله، فَمن قَالَ لا إِلَه إلا الله؛ عصم مني مالَه ونفْسه إلا بِحقه وحسابه علَى الله}؟ فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٢٢٧٤/٤)، رقم [٧٢٨٤]؛ صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (٥٧/١)، رقم [٢٠].

المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبات

انقسم العلماء حول علم المناسبات بين الآيات والسور إلى فريقين، وسوف أعرض آراءهم، مع ذكر أدلة كل فريق، ثم سأبين الراجح بإذن الله تعالى.

أ - القائلون بوجود التناسب بين الآيات والسور:

تعد مناسبة الآيات والسور، وارتباط مبانيها، من وجوه إعجاز القرآن الكريم، ويعد الإمام أبو بكر النيسابوري أول من دعا إلى هذا العلم، وكان متفقها في الشريعة والأدب، وقد تقدم أنه كان يقول: ((لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة ملاصقة للأخرى؟ وكان يلقي باللائمة على علماء بغداد لإهمالهم علم المناسبات))[١].

والمتدبر لكتاب الله تعالى يجد أنه على الرغم من نزوله مفَرقًا، إلا أنه اكتمل مترابطًا محكمًا.

كما قال به ابن العربي، حيث قال في كتابه: "سراج المريدين": ((ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم،لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله -عز وجل- لنا فيه، فلما لم نجد له حملةً، ورأينا الخلق بأوصاف البطَلة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه))[٢].

واهتم به الإمام فخر الدين الرازي، الذي ضمنه تفسيره مفاتيح الغيب.

وقال به الإمام برهان الدين البقاعي[٣]، حيث قال: ((علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما

---

(١) يراجع (ص٢٣) من البحث.

(٢) يراجع (ص١٨) من البحث.

(٣) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر برهان الدين،كنى نفسه بأبي الحسن الخرباوي البقاعي، نزيل القاهرة، ثم دمشق، صاحب المناسبات، ولد تقريبـًا سنة (٨٠٩هـ) بقرية خربـة روحـا، (ت٨٨٥هـ). ينظر: طبقات المفسرين، الأدنه وي (ص٣٤٧).

اقتضاه الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير، نسبة علم البيان من النحو[(١)]))[(٢)].

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور[(٣)]: ((وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منـزع جليلٌ، قد عنِي به فخر الدين الرازي، وألّف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى: "نظم الدرر في تناسب الآي والسور"، إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع))[(٤)].

ومن خلال ما سبق يتبين أن عددا من العلماء المتقدمين والمتأخرين يقولون بوجود التناسب بين الآيات والسور، مع العلم أن علماء آخرين -غير الذين ذُكروا- قالوا بهذا القول.

---

(١) علم البيان يهتم بدراسة حسن تركيب الجمل وقُبحها، أما علم النحو فيهتم بدراستها من حيث صحتها وفسادها.

(٢) يراجع (ص١٨) من البحث.

(٣) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، من علماء تونس، صاحب تفسير التحرير والتنـوير، وكتاب مقاصد الشريعة الإسلامية، ولد سنة (١٢٩٦هـ)، وكانت وفاته سنة (١٣٩٣هـ). وسـتأتي ترجمته كاملة في المبحث الثاني من هذا الفصل بإذن الله تعالى. ينظر: تراجم المؤلفين التونسـيين، محمـد محفوظ (٣٠٤/٣)؛ من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، د.بلقاسـم الغـالي (ص٦٨،٨٩).

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (٨/١).

ب - المعارضون لوجود التناسب بين الآيات والسور:

ورد عن بعض العلماء معارضةٌ لهذا الفن، بزعم أنه تكلّف محض، وكان من أبرزهم سلطان العلماء العز بن عبد السلام(١)، والإمام المفسر محمد بن علي الشوكاني(٢).

قال العز بن عبد السلام: ((واعلم أن من الفوائد أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، ويتشبث بعضه ببعض، لئلا يكون مقطّعا متبرا، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر متحد، فيرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة، لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكلف، لما لم يقدر عليه إلا بِربط ركيك، يصانُ عن مثله حسن الحديث، فضلا عن أحسنه، فإن القرآن نزل على الرسول ﷺ في نيف(٣)وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض، مع اختلاف العلل والأسباب))(٤).

ثم أخذ يضرب أمثلة لذلك.

فسلطان العلماء لم يعارض وجود المناسبة والترابط بين الكلام، لكنه اشترط أن يقع الكلام في أمر متحد، وما عدا ذلك فهو يراه أمرا متكلفًا.

---

(١) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، شيخ الإسلام وبقية الأعلام، الشيخ عز الدين أبو محمد السلمي الدمشقي الشافعي، ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمس مائة، كان ناسكًا ورعا أمارا بالمعروف، نهّاءً عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، توفي سنة (٦٦٠هـ). ينظر: الوافي بالوفيات، (٥٢٠/١٨)؛ طبقات الشافعية (١٠٩/٢).

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بـهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن سنة (١١٧٣هـ)، كان يرى تحريم التقليد، له نحو (١١٤) مؤلفًا، من أشهرها "فتح القدير" في التفسير، (ت١٢٥٠هـ). ينظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (١٠٨٢/٢)؛ الأعلام، خير الدين الزركلي (٢٩٨/٦).

(٣) النيف: الزائد على العقد من واحد إلى ثلاثة، القاموس المحيط، مادة: (نيف)، باب الفاء، فصل النون (٢٧٣/٣)؛ مختار الصحاح، باب النون (ص٦٨٧)؛ المعجم الوسيط، باب النون (١٠٠٥/٢).

(٤) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ص٢٢١).

أما الإمام الشوكاني فقد أنحى باللوم، بل بالتقريع على أئمة التفسير القائلين بالتناسب في القرآن الكريم، وأطال في الاستدلال لرأيه، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[(١)]، فقال: ((اعلم أن كثيرا من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية، المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاؤوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنـزه عنها كلام البلغاء، فضلا عن كلام الرب سبحانه))[(٢)].

إن رأي الإمام الشوكاني يستلزم مناقشته مناقشةً مستفيضة؛ كونه يمثل الاتجاه المقابل للقائلين بالتناسب بين الآيات.

ولكن لا بد من إدراك أن للمناسبة فوائد جمةً، إذ أنها تساعد في ترجيح رأي على آخر إذا تساويا في القوة، وكان أحدهما أليق بارتباط أجزاء الآية، أو الآيات، فإن العقل يتوجه بداهة لترجيح ما هو الأولى بنظم الكلام، وإن ما ذمه الشوكاني من التكلف في هذا العلم لا شك أنه ذم في محله، إذ التكلف غير مقبول عموما.

أما قوله بأن فن المناسبة كلام بمحض الرأي المنهي عنه ففيه مبالغة، لأن الرأي المنهي عنه هو الرأي الناشئ عن الهوى، أو غير الملتزم بضوابط التفسير.

قال الإمام الشاطبي[(٣)]: ((إعمال الرأي في القرآن جاء ذمه، وجاء أيضا ما يقتضي إعماله...فما كان موافقًا كلام العرب، والكتاب والسنة؛ فهذا لا يمكن إهمال مثله

---

(١) الآية (٤٧) من سورة البقرة.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (١٧١/١).

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي صاحب (الموافقات)، و(الاعتصام)، وغير ذلك، (ت٧٩٠هـ). ينظر: الأعلام (٧٥/١)؛ معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة (٧٧/١).

لعالم بهما، أما الرأي غير الجاري على موافقة العربية، أو غير الجاري على الأدلة الشرعية؛ فهذا هو الرأي المذموم المنهي عنه))[١].

كما أن ذكر المناسبة بين الآيات والسور ليس تكلّما بمحض الرأي، بل يبرز الوحدة المعنوية بين آيات وسور الكتاب العزيز، ويرسخ الاعتقاد بإعجاز القرآن الكريم، لما يبديه هذا العلم من لطائف القرآن وأسراره، كما أنه يعزز رأي العلماء الذين يرون أن ترتيب السور توقيفي، لا اجتهاد فيه.

أما قوله: ((فقد جاؤوا بتكلفات وتعسفات...))؛ ففيه حيف على المفسرين، فما أكثر المناسبات البديعة التي يقبلها العقل، ويطرب لها الذوق، وإذا قمنا برفض أي علم لأخطاء وقعت فيه، لما بقي لنا علم.

وقد خالف جمهور الأمة أصحاب هذا الرأي، ووهموا قائليه، وأكدوا وجود التناسب بين الآيات والسور.

ومن خلال استعراض رأي الفريقين يتبين أن القول الأول -وهو القول بالتناسب بين الآيات والسور- هو القول الراجح، كون التناسب بين الآيات قد أشار إليه بعض الصحابة عند تفسيرهم للقرآن الكريم، مثل الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله ﷺ، إلى جانب أن كثيرا من المفسرين اعتنوا بهذا العلم في تفاسيرهم، وأقره جمع كبير من العلماء؛ لأنه يبرز وجها مهما من وجوه إعجاز القرآن.

كما أن الإمام الشوكاني قد أشار في تفسيره إلى التناسب[٢]، مما يدلّ دلالة واضحة أن التناسب له ارتباط وثيق بالتفسير، ولا يمكن للمفسر إغفاله وإن ذمه، بل نجده يثني على الإمام البقاعي، وعلى كتابه نظم الدرر حيث قال: ((ومن أمعن النظر في كتابه

---

(١) الموافقات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى اللخمي (٢٧٦/٤).

(٢) قال -رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الآية. [البقرة: ٢٥]: ((لما ذكر تعالى جزاء الكافرين؛ عقّبه بجزاء المؤمنين ليجمع بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، كما هي عادته سبحانه في كتابه العزيز، لما في ذلك من تنشيط عباده المؤمنين، وتثبيط عباده الكافرين عن معاصيه)). فتح القدير (١٤٢/١).

المترجم له في التفسير، الذي جعله في المناسبات بين الآي والسور؛ علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء، الجامعين بين علم المعقول والمنقول، وكثير ما يشكل عليّ شيء في الكتاب فأرجع إلى مطولات التفسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي، وأرجع إلى هذا الكتاب -نظم الدرر- فأجد فيه ما يفيد في الغالب))[١].

إن إمعان النظر في كلام كل من الإمامين، العز بن عبد السلام، والشوكاني؛ يظهر فرقًا بينهما، فالعز بن عبد السلام يقر بالمناسبات إلا أنه يمنع التكلّف في طلبها، والإمام الشوكاني يردها جملةً وتفصيلا، ويعتبر طلبها تعديا على القرآن الكريم.

وبين القولين فرق شاسع.

لكن لماذا التباين في موقف الإمام الشوكاني من المناسبات؟ ألم يشن هجمةً قويةً على القائلين بالتناسب مرة، ويثني على كتاب نظم الدرر المهتم بالتناسب بين الآيات والسور تارة أخرى؟!

ألم يعتبر طلب المناسبة تكلّفًا ورأيا محضا، ثم يوردها بين الآيات في تفسيره؟!

إن هذا التباين في موقفه -رحمه الله- يستوجب وقفة تأمل، ولعل الجواب الذي يلتئم مع الواقع، هو أن الإمام الشوكاني لما رأى البعض يتكلف في طلب التناسب بين الآيات والسور؛ خشي من خروج المفسرين إلى أغراض ثانوية على حساب الغرض الأساسي للتفسير؛ فَشن تلك الهجمة عليهم، ولكنه لما شرع في تفسيره -فتح القدير- لم يغفل الربط بين بعض الآيات، وكأنه يقول بلسان الحال: إن الممنوع في طلب المناسبة هو التكلف في طلبها إذا لم تكن ظاهرة، وتحميل القرآن ما لا يحتمل، أما إذا كانت متبادرة إلى الذهن فلا مانع من بيانها. والله تعالى أعلم.

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني (١٩/١).

المطلب الرابع : أهمّيته وفائدته، وأشهر المؤلفات فيه

تبرز أهمّية علم المناسبات من خلال الآتي :

١- كونه يمثل نوعا فريدا من أنواع الإعجاز البلاغي والبياني للقرآن الكريم .

٢- يعد من أهم قواعد التفسير التي اعتمد عليها المفسرون في اختياراتهم[١].

٣- قال أبو بكر ابن العربي: ((ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم))[٢].

٤- قال الزركشي: ((واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول))[٣].

٥- قال الباقلاني[٤]: ((فأما نهج القرآن ونظمه وتأليفه ورصفه فإن العقول تتيه في جهته، وتحار في بحره، وتضل دون وصفه))[٥].

٦- قال مسلم بن يسار[٦]: ((إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده))[٧].

---

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي الحربي (١٢٥/١).

(٢) يراجع (ص١٨) من البحث.

(٣) البرهان (٣٥/١).

(٤) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري القاضي أبو بكر الباقلاني المتكلم الأشعري، سكن بغداد وتوفي بها سنة (٤٠٣هـ)، من تصانيفه: إعجاز القرآن، والانتصار. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (٢٦٩/٤)؛ سير أعلام النبلاء (١٩٠/١٧)؛ الوافي بالوفيات (١٧٧/٣).

(٥) إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني (ص١٩٧).

(٦) هو مسلم بن يسار البصري أبو عبد الله، تابعي ثقة، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مائة، وقيل إحدى ومائة. ينظر: تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٦٤/٨)؛ سير أعلام النبلاء (٥١٠/٤).

(٧) تفسير القرآن العظيم، الحافظ إسماعيل بن كثير (١٣/١).

٧- قال صالح بن كيسان[١] -مستدلا على صحة قوله في تفسير قولـه تعـالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[٢]- : ((إنما يراد بها الكافر، اقـرأ مـا بعدها يدلك على ذلك))[٣].

٨- قال الدكتور محمد دراز[٤]:((لعمري لئن كانت للقـرآن في بلاغـة تعـبيره معجزات، وفي أساليب تربيته معجزات، وفي نبوءاته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسـية والكونية معجزات ومعجزات، لعمري إنه في ترتيب آيه على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات))[٥].

وجميع ما سبق يؤكد أهمية هذا العلم الشريف ومكانته، ولذلك جعله كثير من السلف معينا لهم على فهم معاني الكثير من الآيات التي أشكل عليهم معناها.

فائدته:

١- دحض شبه المفترين على كتاب الله تعالى بالادعاءات الكاذبة المشككة في تمام القرآن، وإثبات أن القرآن الكريم لا نقص فيه ولا تحريف، وذلك من خلال ترابط آياته دون أي خلل.

٢- المساعدة على فهم كتاب الله تعالى، وبيان المراد من الآية، ورفع اللبس عن قصدها.

٣- إبراز وجه مهم من وجوه إعجاز القرآن الكريم وبلاغته.

٤- توجيه الإنسان إلى التدبر والتفكر في كتاب الله ﷻ.

---

(١) صالح بن كيسان، أبو محمد، ويقال أبو الحارث، الإمام الحافظ الثقة، رأى عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر ﭭ، كان يؤدب أولاد عمر بن عبد العزيز، مات بعد الأربعين ومائة. ينظر: تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (١٤٨/١)؛ سير أعلام النبلاء (٤٥٤/٥)؛ الوافي بالوفيات (٢٦٨/١٦).

(٢) الآية (٢١) من سورة ق.

(٣) جامع البيان (١٦٢/٢٦).

(٤) محمد بن عبد الله دراز، فقيه متأدب مصري أزهري، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، له عدد من المؤلفات (ت١٣٧٧هـ). ينظر: الأعلام (٢٤٦/٦)؛ معجم المؤلفين (٤٣٨/٣).

(٥) النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز (ص٢١١).

أشهر المؤلفات فيه:

ألف عدد من العلماء -المتقدمين والمتأخرين- مؤلفات عديدةً عنوا فيها بعلم المناسبات، فمنهم من تناوله في كتب علوم القرآن، ومنهم من أفرده بالتأليف، ومنهم من أشار إليه إشارات لطيفة في بعض المواضع.

ولما كانت النفس تتشوق لمعرفة أهم وأشهر المؤلفات في هذا الفن، طمعا في الاستزادة، وتحصيلا للفائدة، كان لا بد من عرض أهم تلك المؤلفات، وذلك على سبيل المثال لا الحصر:

أولا: المؤلفات والبحوث من غير كتب التفسير، ومن أهمها:

١- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي. نشر: دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢، (١٤١٤هـ-١٩٩٢م).

٢- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، للإمام بديع الزمان سعيد النورسي. نشر: دار المحراب، أنقرة، [د.ط]، [د.ت].

٣- أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية، لعبد الحكيم الأنيس. بحث منشور في مجلة الأحمدية، دبي، العدد (١١)، جمادى الأولى، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

٤- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، للدكتور محمد أحمد يوسف القاسم. نشر: دار المطبوعات الدولية، القاهرة، ط١، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).

٥- إمعان النظر في نظام الآي والسور، لمحمد عناية الله محمد هداية الله. نشر: دار عمار، عمان، ط١، (١٤٢٤هـ).

٦- البرهان في ترتيب سور القرآن، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي الغرناطي. نشر: وزارة الأوقاف، المغرب، [د.ط]، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

٧- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي. نشر: دار المعرفة، بيروت، ط٢، (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).

٨- التعبير القرآني، لفاضل صالح السامرائي. نشر: دار عمار، عمان، ط١، (١٤١٨هـ،١٩٩٨م).

٩- التناسب البياني في القرآن، لأحمد أبو زيد. رسالة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط، (١٩٩٢م).

١٠- تناسق الدرر في تناسب السور، لجلال الدين السيوطي. نشر: دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، (١٤٠٤هـ،١٩٨٣م).

١١- فواتح السور وخواتيمها، لعبد العزيز الخضيري. رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود، (١٩٩٧م).

١٢- فواتح السور ومناسبتها لمقاصد السور، لمنال بنت منصور محمد القرشي. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، (١٤٢٧هـ،٢٠٠٦م).

١٣- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، لجلال الدين السيوطي. نشر: المكتبة المكية، مكة المكرمة، تحقيق: د. محمد بن عمر بازمول، ط١، (١٤٢٣هـ،٢٠٠٢م).

١٤- معترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطي. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط١، (١٤٠٨هـ،١٩٨٨م).

١٥- مناسبات الآيات والسور، نشأة علم المناسبة، محلها ودلالتها، وأثرها في التفسير، لعلي عبد العزيز سيور. بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد (٢٥)، ربيع الثاني (١٤٢٤هـ)، يونيو (٢٠٠٣).

١٦- المناسبات في القرآن الكريم، ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، لعبد الله بن مقبل القرني. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، (١٤١٣).

١٧- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٩هـ،١٩٨٨م).

١٨- النبأ العظيم، لمحمد عبد الله دراز. نشر: دار القلم، الكويت، ط٣، (١٣٩٤هـ،١٩٧٤م).

ثانيا: المؤلفات من كتب التفسير، ومن أشهرها:

١٩- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد العمادي. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٩م).

٢٠- الأساس في التفسير، لسعيد حوى. نشر: دار السلام، القاهرة، ط5، (١٤١٩هـ،١٩٩٩م).

٢١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي. نشر: مكتبة دار عالم الفوائد، الرياض، ط١، (١٤٢٦هـ).

٢٢- أنوار التنـزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر البيضاوي. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢٤هـ).

٢٣- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي. نشر: دار الفكر، بيروت، [د.ط]، (١٤٢٥،١٤٢٦هـ).

٢٤- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور. نشر: دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، [د.ط]، (١٩٩٧م).

٢٥- تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا. نشر: مطبعة المنار، القاهرة، [د.ط]، (١٣٤٦هـ).

٢٦- التفسير القيم للإمام ابن القيم. نشر: دار العربي، بيروت، ط١، (١٤٠٨هـ،١٩٨٨م).

٢٧- التفسير المنير، لوهبة الزحيلي. نشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، (١٤١١هـ،١٩٩١م).

٢٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر بن جرير الطبري. نشر: عالم الكتب، القاهرة، ط١، (١٤٢٤هـ).

٢٩- جواهر البيان في تناسب سور القرآن، لعبد الله بن محمود الصديق الغماري . نشر: عالم الكتب، بيروت، [د.ط]، (١٤٠٦هـ،١٩٩٦م).

٣٠- حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي. {نشر: المكتبة الإسلامية، تركيا، [د.ط]، [د.ت]}.

٣١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الآلوسي. نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، (١٤٢٠هـ،١٩٩٩م).

٣٢- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني. نشر: المطبعة الخيرية، القاهرة، [د.ط]، (١٣١١هـ).

٣٣- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري. نشر: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط١، (١٣٨١هـ،١٩٦٢).

٣٤- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل. نشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، [د.ط]، (١٣٧٩هـ،١٩٥٩م).

٣٥- في ظلال القرآن، لسيد قطب. نشر: دار الشروق، القاهرة، ط٧، (١٣٩٨هـ،١٩٧٨م).

٣٦- لطائف الإشارات، للإمام عبد الكريم القشيري. نشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة، [د.ط]، [د.ت].

٣٧- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لفخر الدين الرازي. نشر: المطبعة الخيرية، القاهرة، [د.ط]، (١٣٠٨هـ).

٣٨- نظم الدرر في تناسب الآي والسور، لبرهان الدين البقاعي. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٥هـ،١٩٩٥م).

المطلب الخامس: أنواع المناسبات

وردت عدة تقسيمات لأنواع المناسبات في كتب المهتمين بهذا العلم، واختلفت تلك التقسيمات من حيث عددها ومسمياتها، ومن خلال التأمل والتتبع، اتضح أن المناسبات تنقسم إلى قسمين رئيسين، ولكل قسم صور تندرج تحته، وذلك على النحو الآتي:

القسم الأول: التناسب بين الآيات في السورة الواحدة، وله أربع صور:

١- تناسب كلمات الآية الواحدة.

٢- تناسب ترتيب الآيات.

٣- تناسب مطلع السورة مع مقاصدها.

٤- تناسب خاتمة السورة مع مقاصدها.

٥- تناسب مطلع السورة مع خاتمتها.

القسم الثاني: التناسب بين السور، وله ثلاث صور:

١- تناسب فاتحة السورة مع فاتحة ما قبلها.

٢- تناسب خاتمة السورة مع فاتحة ما بعدها.

٣- تناسب مقاصد السورة مع السورة التي قبلها.

وبناء على هذا التقسيم سوف يكون الحديث عنها، مع إيراد الأمثلة عليها.

■ القسم الأول: التناسب بين الآيات في السورة الواحدة.

تمهيد:

الآية لغة: العلامة، والأمارة، والعبرة، قال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾(١)، وتـأتي بمعنى المعجزة(٢)، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾(٣).

واصطلاحا: هي قرآن مركب من جملٍ ولو تقديرا، ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة، وقيل: هي طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شبه بما سواها، وقيل: هي الواحدة من المعدودات في السور، وسميت به لأنها علامة على صدق من أتى بها وعلى عجز المتحدى بها(٤).

قال القرطبي(٥): ((قال ابن عطية(٦): وجه التحدي في القرآن إنما هو بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه. ووجه إعجازه: أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كله علما، فعلم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر يعمهم الجهل والنسيان

---

(١) من الآية (٩٢) من سورة يونس.

(٢) ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (أيية)، باب الياء، فصل الهمزة (٤/٤٣٦)؛ مختار الصحاح، باب الهمزة (ص٣٧)؛ المعجم الوسيط، باب الهمزة (١/٥٥).

(٣) من الآية (٥٠) من سورة المؤمنون.

(٤) ينظر: البرهان (١/٢٦٤)؛ الإتقان (١/٢٠٨).

(٥) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرح الأنصاري الخزرجي المالكي، أبو عبد الله القرطبي، مصنف التفسير المشهور (الجامع لأحكام القرآن)، ولد بقرطبة في الأندلس، وتوفي في منية بني خصيب بمصر سنة (٦٧١هـ). ينظر: طبقات المفسرين، الداوودي (١/٢٦٥)؛ طبقات المفسرين، الأدنه وي (ص٢٤٦)؛ الوافي بالوفيات (٢/١٢٢)؛ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون (٢/٣٠٨).

(٦) هو القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الأندلسي، صاحب تفسير المحرر الوجيز، ولد سنة (٤٨١هـ)، وكانت وفاته سنة (٥٤٦هـ). ينظر: طبقات المفسرين، الأدنه وي (ص١٧٥)؛ الوافي بالوفيات (١٨/٦٦)؛ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢/٥٨).

والذهول، ومعلوم ضرورة النظر يبطل قول من قال: "إن العرب كان في قدرتها أن تأتي بمثل القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، فلما جاء محمد ﷺ صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه".

والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يضع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولا كاملا، ثم تعطى لآخر بعده، فيأخذها بقريحة جامة، فيبدل فيها وينقح، ثم لا تزال بعد ذلك فيها مواضع للنظر والبدل، وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة، ثم أُدير لسان العرب أن يوجِد أحسن منها لم يوجِد))[١].

ومما يدل على إعجاز القرآن الكريم هو وضع الألفاظ المناسبة في موضعها الملائم لها، حسب الغرض الذي سيقت له، والذي أراده الله عز وجل، ولو بدل ذلك اللفظ بلفظ آخر لتغير المعنى، ولما تحقق الغرض الذي أراده الله تعالى، ولظهر العوار والخلل في النظم القرآني، ولفقدت الآية بلاغتها ومدلولها، لأن الآية الواحدة تعتبر لبنة أساسية في الإعجاز القرآني.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي (١٢٠/١)، ونقل هذا القول عن ابن عطية السيوطي في الإتقان (١٠٠٧/٢). ولم أقف عليه في تفسير ابن عطية.

صور التناسب بين الآيات في السورة الواحدة:

◙ الصورة الأولى: تناسب كلمات الآية الواحدة.

ويقصد بهذه الصورة الترابط بين أجزاء الآية الواحدة مع بعضها، من حيث ترابط خاتمتها بمطلعها، وتناسب ألفاظها لمدلولها ومقصودها وغرضها.

ووجه التحدي في القرآن إنما هو بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه ووجه إعجازه.

والتناسب بين أجزاء الآية ، يكون من حيث اللفظ أو المعنى:

أما من حيث اللفظ -وهو مناسبة اللفظ لبقية ألفاظ الآية- فمثاله قول الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾[١].

فقد جاءت الألفاظ بحيث يلائم بعضها بعضا، وذلك بأنه أتى في الآية بألفاظ متناسبة في الغرابة.

فالتاء: أغرب ألفاظ القسم، وذلك لأنها أقل استعمالا من الواو، والباء.

وأتى بـ(تَفْتَؤُا۟). وفتئ: أغرب صيغ الأفعال التي تفيد الاستمرار من أخوات (كان).

وأتى بلفظ (حَرَضًا): وهو أغرب ألفاظ الهلاك، فاقتضى حسن الوضع في النظم، أن تُجاور كل لفظة بلفظة من جنسها توخيا في حسن الجوار، ورعاية في ائتلاف المعنى بالألفاظ، ولتتعادل الألفاظ في الوضع، وتتناسب في النظم، وجاءت هذه الألفاظ غريبة لتتوافق مع حال يعقوب -عليه السلام- التي وصل إليها، وإشفاق أبنائه على حاله، وخشيتهم عليه من الهلاك[٢].

---

(١) من الآية (٨٥) من سورة يوسف.

(٢) ينظر: الإتقان (٩١١/٢).

وأما تناسب اللفظ من حيث المعنى فمثالـه قـول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[١].

إذ الركون إلى الظّالم والميل إليه لَما كان دون مشاركته في ظلمه؛ كان العقاب عليه دون العقاب على الظلم، فأتى بلفظ المس الذي هو دون الإحراق والاصطلاء[٢].

ومن أمثلة ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٣].

شبه الله تبارك وتعالى قلوب الكفار بالحجارة التي هي أبعد الأشياء عن حالها، فإن القلب أحيى حي، والحجر أجمد جامد، ولم يشبهها بالحديد لما فيه من المنافع، ولأنه قد يلين[٤].

ومن المناسبات بين أجزاء الآية مراعاة ما يقتضيه التعبير والمعنى والسياق، مع مراعاة الانسجام في فواصل الآيات، لما لذلك من تأثير كبير على السمع، ووقع مؤثر في النفس.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[٥]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٦].

---

(١) الآية (١١٣) من سورة هود.

(٢) ينظر: البرهان: (٣/٣٧٩)؛ الإتقان (٢/٩١٢).

(٣) الآية (٧٤) من سورة البقرة.

(٤) نظم الدرر (١/١٧٣).

(٥) الآية (٣٤) من سورة إبراهيم.

(٦) الآية (١٨) من سورة النحل.

ولا شك أن خاتمة كل من الآيتين تنسجم مع الآيات فيهما، ولكن السياق أيضا يقتضي الفاصلة التي ختمت فيها كل آية من الآيتين، ذلك أن الآية في سورة إبراهيم، في سياق وصف الإنسان وذكر صفاته، فختم الآية بصفة الإنسان، وأن الآية الثانية في سورة النحل في سياق صفات الله تعالى، فذكر صفاته[1].

ويقول الطاهر بن عاشور عند تفسير الآية (٣٤) من سورة إبراهيم: ((وصيغتا المبالغة في ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ اقتضاهما كثرة النعم المفاد من قوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾، إذ بمقدار كثرة النعم يكثر كفر الكافرين بها إذ أعرضوا عن عبادة المنعم وعبدوا ما لا يغني عنهم شيئًا، فأما المؤمنون فلا يجحدون نعم الله ولا يعبدون غيره))[2].

ومن خلال ذلك يتضح أن التناسب والتلاؤم قائم بين أجزاء الآية الواحدة، وأن ألفاظها ناسبت الغرض الذي سيقت له، فأعطت للآية معنى رائعا، وبلاغةً لا توصف.

---

(١) ينظر: التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي (ص١٩٧).

(٢) التحرير والتنوير (٤٣٨/٧).

◙ الصورة الثانية: تناسب ترتيب الآيات.

وهذه الصورة كثيرة في القرآن الكريم، اهتم بها كثير من المفسرين في ثنايا تفاسيرهم، وتعني تلاؤم الآيات مع بعضها بحيث تظهر كلُحمة واحدة، غير منفصلة، لوجود رابط أو أكثر يربطها ببعضها، وقد يحصل التناسب بين عدد من الآيات المتتابعات وبين ما بعدها، ولا ينبغي التكلف والمبالغة في الوصول إلى المناسبة(١)؛ لأن ذلك يؤدي إلى تحميل القرآن ما لا يحتمل، فالمناسبة قد تظهر وقد لا تظهر.

ومثال ذلك المناسبة الظاهرة بين قـول الله تعـالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾(٢)، وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾(٣).

لَمَّا أردف البيان لأوصاف المؤمنين التعريف بأحوال الكافرين، وكانوا قد انقسموا على مصارحين ومنافقين، وكان المنافقون قسمين: جهالا من مشركي العرب، وعلماء من كفار بني إسرائيل؛ كان الأنسب -ليفرغ من قسم برأسـه على عجل- البـداءة أولا بالمصـارحين، فذكـر مـا أراد من أمرهم في آيتين؛ لأنّ أمرهم أهون، وشأنهم أيسر، لقصدهم بما يوهنهم بالكلام أو بالسيف، على أن ذكرهم على وجه يعم جميع الأقسام، فقال مخاطبا لأعظم المنعم عليهم على وجه التسلية والإعجاز في معرض الجواب لسؤال من كأنه قال: ((هذا حال الكتاب للمؤمنين فما حاله للكافرين؟))(٤).

---

(١) ومثال ذلك ما ذكره الطاهر في المناسبة رقم (٤٤)، (ص١٩٩) من هذا البحث.

(٢) الآيات (١-٥) من سورة البقرة.

(٣) الآية (٦) من سورة البقرة.

(٤) نظم الدرر (٣٧/١).

◙ الصورة الثالثة: تناسب مطلع السورة مع مقاصدها.

وفي هذه الصـــورة إشـــارات بلاغية عظيمة، ودلالات على تلاحم القرآن بعضـــه ببعض.

ويجب أن يكون الكلام بارع المطلع، له روعة تستهوي اللب، وتخف على السمع، ويكون عذب اللّفظ، حسن السبك، صحيح المعنى؛ لأنه أول ما يقرع السمع، فإذا كان بهذه المنـزلة؛ وقع من القلب موقعا حسنا، وأقبل عليه السامع.

ومثال هذه الصورة تناسب مطلـع سورة المائدة مع مقـاصدها، قـال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[١].

حيث افتتحت هذه السورة بأمر المؤمنين بالوفاء، ثم كان فيها أحكام تشريعية، وآداب، وأمر، ونهي، وهذا كله مما يجب الوفاء به. ولّما كان مدار هذه السورة على الزجر والإحجام عن أشياء اشتد إِلْفُهم لها، والتفاتهم إليها، وعظمت فيها رغباتهم، من الميتات وما معها، والأزلام، والذّبح على النصب، وأخذ الإنسان بجريمة الغير، والفساد في الأرض، والسرقة، والخمر، والسوائب، والبحائر، إلى غير ذلك؛ ذكّر في أولها بالعهود التي عقدوها على أنفسهم ليلة العقبة، حين تواثقوا على الإسلام من السمع والطاعة في المنشط والمكره، والعسر واليسـر، فيما أحبوا و كرهوا[٢].

وفي هذه القصة أوضح دليل على نقضهم للعهود التي بنيت السورة علـى طلـب الوفاء بها، وافتتحت بها، وصرح بأخذها عليهم في قولـه تعـالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ إلى أن قـــال عـــز وجـــلّ: ﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ﴾[٣].

(١) الآية (١) من سورة المائدة.

(٢) نظم الدرر (٣٨٧/٢).

(٣) الآية (١٢) من سورة المائدة؛ ينظر: نظم الدرر (٤٢٨/٢).

ومن الأمثلة على هذه الصورة أيضا تناسب مطلع سورة الإسراء مع مقاصدها فقد أجاب ابن الزملكاني[١] بأن سورة (سبحان) لما اشتملت على الإسراء الذي كذّب المشركون به النبي ﷺ، وتكذيبه تكذيب لله سبحانه وتعالى؛ أتى بـ (سبحان) لتنزيه الله تعالى عما نسب إلى نبيه من الكذب[٢].

◙ الصورة الرابعة: تناسب خاتمة السورة مع مقاصدها.

ويقصد به الترابط الحاصل بين خاتمة السورة وأهم مقاصدها، وقد ورد هذا النوع في بعض السور.

ومثال هذه الصورة تناسب خاتمة سورة يونس مع مقاصدها، وفي هذا الشأن يقول سيد قطب[٣]: ((هذه خاتمة السورة التي تضمنت تلك الجولات حول العقيدة في مسائلها الرئيسية الكبيرة: توحيد الربوبية...، ونفي الشركاء والشفعاء، ورجعة الأمر كله إلى الله، وسننه المقدرة التي لا يملك أحد تحويلها ولا تبديلها، والوحي وصدقه، والحق الخالص الذي جاء به، والبعث، واليوم الآخر، والقسط في الجزاء...

هذه القواعد الرئيسية للعقيدة التي دار حولها سياق السورة كله، وسيقت القصص لإيضاحها ، وضربت الأمثال لبيانها، ها هي ذي كلها تلخص في هذه الخاتمة))[٤].

---

(١) محمد بن على بن عبد الواحد الأنصاري الدمشقى ابن الزملكاني كمال الدين، ولد سنة (٦٦٧هـ)، أطلق عليه الذهبي عالم العصر وكبير الشافعية، (ت٧٢٧هـ). ينظر: الوافي بالوفيات (٢١٤/٤)؛ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مكتبة ابن تيمية، [د.ط]، [د.ت] (٢١٢/٢).

(٢) الإتقان (٩٩٣/٢).

(٣) سيد قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري، ولد في قرية (موشا) في أسيوط سنة (١٩٠٦م)، له عدد من المؤلفات، من أشهرها (في ظلال القرآن)، و(التصوير الفني في القرآن)، أُعدم سنة (١٩٦٧م). ينظر: الأعلام (١٤٧/٣).

(٤) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (١٨٧/٤).

◘ الصورة الخامسة: تناسب مطلع السورة مع خاتمتها.

سبق الإشارة إلى افتتاح الكلام، وأهمية سبكه، وبراعة مطلعه، أما ختامه فلا بد أن يكون بارع المقطع، تهتز له النفس وتستوعبه، لأن ختام الكلام آخر ما يقرع الأسماع، فيجب أن يكون هذا القرع مؤثرا، ولأجل أن يكون مؤثرا يجب أن يحوي معاني بلاغيةً تفهم السامع أن الكلام انتهى؛ حتى لا تتشوف النفس إلى سماع شيء بعده. ويسمى براعة المقطع(١).

ومثال هذه الصورة تناسب مطلع سورة النساء مع خاتمتها، فقد افتتحت السورة بالإشارة إلى أصل الناس جميعا، مـمـا يدل على تساويهم في الحقوق والواجبات، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢)، واختتمت بالإشارة إلى التسوية في أصل الميراث، وإن اختلفت الأنصبة في قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾(٣).

وهذه الصورة من التناسب لا يلزم وجودها بين جميع السور، بل قـد تظهـر في سورة، ولا تظهر في أخرى.

---

(١) براعة المقطع: هو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر مستعذبا حسنا، لتبقى لذته في الأسماع. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكري النويري (١٣٥/٧)؛ معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب (ص٢٣٣).

(٢) الآية (١) من سورة النساء.

(٣) الآية (١٧٦) من سورة النساء.

■ القسم الثاني: التّناسب بين السور.

تمهيد:

السورة لغة: مأخوذة من السور، وهو حائطُ المدينة، وتأتي بمعنى المنـزلة، وجمعها سور، وهي من البناء ما طال وحسن[١].

واصطلاحا: هي قرآنٌ يشتملُ على آيٍ ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاثُ آيات[٢].

إن التآلف والترابطَ والتناسب كما هو حاصلٌ بين آيات القرآن الكريم في السورة الواحدة، حاصلٌ بين سورِ القرآن، فمن قرأ سورةً من سورِ القُرآن بإمعان وتدبر؛ وجد بينها وبين سابقتها مناسبةً ورابطة، تظهر سر الإعجاز في ترتيب سورِه[٣].

---

(١) ينظر: القاموس المحيط، مادة (سور)، باب الراء، فصل السين (١١٨/٢)؛ مختار الصحاح، باب السين (ص٣٢٠)؛ المعجم الوسيط، باب السين (٤٨٧/١).

(٢) ينظر: البرهان (٢٦٤/١)؛ الإتقان (١٦٦/١).

(٣) أشير هنا إلى أن الطاهر بن عاشور لا يرى هذا القسم من المناسبات، ومستنده في ذلك أن ترتيب سور القرآن اجتهادي وليس توقيفيا، وسوف أُبين هذا الموضوع بالتفصيل في بيان منهج الطاهر في إيراد المناسبات في المبحث الثالث من هذا الفصل بإذن الله تعالى.

صور التناسب بين السور :

◙ الصّورة الأولى: تناسب فاتحة السورة مع فاتحة ما قبلها.

ويقصد به الترابط والتلاحم بين فاتحتي سورتين متتاليتين.

ومثال هذه الصورة افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح، وسورة الكهف بالتحميد.

والتناسب بين الفاتحتين أن التسبيح -حيث جاء- مقدم على التحميد، تقول: سبحان الله والحمد لله(١).

فعن أبي هريرة(٢) ﵁ قال: قال النبي ﷺ: {كَلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفَتان علَى اللسان، ثَقيلَتان في الميزان، سبحانَ اللهِ وبِحمده، سبحانَ اللهِ العظيمِ}(٣).

ومنها التناسب بين فاتحتي سورة الرحمن وسورة القمر، وفي بيان ذلك يقول فخر الدين الرازي: ((اعلم أولا أن مناسبة هذه السورة لما قبلها بوجهين، أحدهما: أن الله تعالى افتتح السورة المتقدمة بذكر معجزة تدل على العزة والجبروت والهيبة، وهو انشقاق القمر، فإن من يقدر على شق القمر يقدر على هد الجبال وقَد الرجال، وافتتح هذه السورة بذكر معجزة تدلّ على الرحمة والرحموت، وهو القرآن الكريم، فإن شفاء القلوب بالصفاء عن الذنوب))(٤).

---

(١) ينظر: البرهان (٣٩/١)؛ الإتقان (٩٩٣/٢).

(٢) اسمه عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ، ثم لزمه وواظب عليه رغبةً في العلم، من أحفظ الصحابة للحديث، كان من أهل الصفّة، استعمله عمر بن الخطاب ﵁ على البحرين، ثم سكن المدينة، وبها كانت وفاته سنة سبع وخمسين. ينظر: الاستيعاب (٣٣٢/٤)؛ أسد الغابة (٣١٨/٥)؛ الإصابة (٢٠٢/٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] (٢٣٦٤/٤)، رقم [٧٥٦٣].

(٤) مفاتيح الغيب (٨٢/٢٩).

◙ الصورة الثانية: تناسب فاتحة السورة مع خاتمة ما قبلها.

ويقصد به التلاحم والتلاؤم بين مطلع السورة وخاتمة السورة التي قبلها.

يقول الزركشي: ((إذا اعتبرت افتتاح كل سورة؛ وجدته في غاية المناسبة لما ختمت به السورة قبله، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى))[(١)].

ومثال هذه الصورة ما ذكره البقاعي في حديثه عن تناسب فاتحة سورة الكهف لخاتمة سورة الإسراء، حيث قال: ((لما ختمت تلك بأمر الرسول ﷺ بالحمد عن التنـزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك؛ بدئت هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص))[(٢)].

وكذلك تناسب فاتحة سورة الطور مع خاتمة سورة الذاريات، فلما ختمت الذاريـات بتحقيق الوعيد في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾[(٣)]؛ افتتحت سـورة الطور بإثبـات العـذاب الـذي هو روح الوعيد فقـال تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾[(٤)].

وقد لا تظهر هذه الصورة بين سورتين، ومثال ذلك عدم ظهورها بين فاتحة سورة التين وخاتمة سورة الشرح، فسورة التين افتتحت بالقسم بالتين، والزيتون... إلخ، وسورة الشرح ختمت بأمر النبي ﷺ بالاجتهاد في العبادة.

وهذا يدل على أنه لا يلزم وجود هذه الصورة بين جميع سور القرآن الكريم.

---

(١) البرهان (٣٨/١).

(٢) نظم الدرر (٤٤١/٤).

(٣) الآيتان (٥٩، ٦٠) من سورة الذاريات.

(٤) الآيات (١-٨) من سورة الطور، والمناسبة ذكرها البقاعي في تفسيره نظم الدرر (٢٩١/٧).

◙ الصورة الثالثة: تناسب مقاصد السورة مع مقاصد السورة التي قبلها.

وهذا النوع يشبه الحلقة التي تربط بين أجزاء الشيء حتى تجعله عقدا واحدا، وقد أشار كثير من المفسرين إلى مناسبة مقاصد السورة مع مقاصد السورة التي قبلها، خصوصا عند القائلين بأن ترتيب سور القرآن الكريم توقيفي وليس اجتهاديا.

ومثال ذلك ما ذكره البقاعي –رحمه الله– في مناسبة مقاصد سورة البقرة لمقاصد سورة الفاتحة، حيث قال: ((وأما مناسبة ما بعد ذلك للفاتحة، فهو أنه لّما أخبر سبحانه وتعالى أن عباده المخلصين سألوا في الفاتحة هداية الصراط المستقيم -الذي هو غير طريق الهالكين-؛ أرشدهم في أول التي تليها إلى أن الهدى المسؤول إنما هو في هذا الكتاب، وبين لهم صفات الفريقين الممنوحين بالهداية حثّا على التخلق بها، والممنوعين منها زجرا عن قربها، فكان ذلك من أعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة))(١).

ومثال ذلك أيضا التناسب الحاصل بين مقاصد سورِ آل حم(٢)، فجميعها تدور مقاصدها حول قضية الوحي، وقضية الحق والباطل، وقضية العقيدة، وعرض آيات الله في الأنفس والآفاق، وعرض لمشاهد المكذبين يوم القيامة.

ولا يلزم وجود هذه الصورة بين جميع سورِ القرآن الكريم.

---

(١) نظم الدرر (٣٢/١).

(٢) يراد بها سورة (غافر، وفصلت والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف).

المبحث الثاني

تفسير التحرير والتنوير، المؤلّف والكتاب

وفيه مطلبان

■ المطلب الأول: التعريف بالمؤلف

■ المطلب الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف

اسمه ونسبه:

هو العلامة الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور[(١)].

مولده:

ولد -رحمه الله- في ضاحية المرسى[(٢)]في تونس، في جمادى الأولى سنة (١٢٩٦هـ)، الموافق سبتمبر (١٨٧٩م)[(٣)].

نشأته، وطلبه للعلم:

نشأ -رحمه الله- في أحضان أبيه، وفي رعاية جده الذي كان يحرص على أن يكون خليفتهم في العلم والسلطان والجاه، حفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة الفرنسية وأتقنها، والتحق بجامع الزيتونة[(٤)]سنة (١٣١٠هـ)، وهو في الرابعة عشرة من عمره، فدرس علوم الزيتونة ونبغ فيها، وأظهر همةً عاليةً في التحصيل، وساعده على ذلك ذكاؤه النادر، والبيئة العلمية الدينية التي نشأ فيها، وشيوخه العظام في الزيتونة الذين كان لهم باع كبير في النهضة العلمية والفكرية في تونس، وقد برع في علوم الشريعة، واللّغة، والآداب، والطّب[(٥)].

---

(١) تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ (٣/٣٠٤)؛ الأعلام (٦/١٧٤).

(٢) المرسى: ضاحية من ضواحي العاصمة تونس، لها تاريخ قديم. ينظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي (٥/١٠٧).

(٣) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين (٣/٣٠٤)؛ مقاصد الشريعة الإسلامية لشيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة (١/١٥٣).

(٤) أسسه الأمير عبيد الله بن الحبحاب سنة (١١٤هـ) على عهد خلفاء بني أمية، وتم بناؤه سنة (١٤١هـ)، وهو أول جامع أُسس في تونس، ويمثل منارة علمية عظيمة، تخرج منه عدد من العلماء. ينظر: تاريخ جامع الزيتونة، محمد بن عثمان الحشائشي (ص٢١)؛ جامع الزيتونة، الطاهر المعموري (ص٤٥).

(٥) مقاصد الشريعة الإسلامية لشيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور (١/١٥٤).

شيوخه:

اكتسب الطاهر ثقافة واسعة شملت التفسير والحديث والقراءات والمصطلح والبيان واللغة والتاريخ والمنطق وعلم العروض، وأعملَ فكره فيما حصلّه، وتوسع في ذلك وحللّه، فقد تخرج على أيدي ثُلّة من علماء عصره، امتازوا بثقافة موسوعية في علوم الدين، وقواعد اللغة العربية وبلاغتها وبيانها وبديعها، إلى جانب قدرة على التبليغ، ومعرفة بطرق التدريس، والتركيز على تربية المـَلَكات في العلوم، ومن أشهرهم الشيخ محمد النجار(١)، والشيخ سالم بوحاجب(٢)، والشيخ محمد النخلي(٣)، والشيخ محمد بن يوسف(٤)، والشيخ عمر بن عاشور(٥)، وغيرهم، رحمهم الله تعالى جميعا.

إن حياة هؤلاء الأعلام كانت حياةً علميةً زاخرةً حافلةً بجلائل الأعمال، فقد أعطَوا المجتمع التونسي -خصوصا- عطاءً جزيلا في الدين والاجتماع والأدب والسياسة.

---

(١) هو محمد بن عثمان النجار، مفتي تونس في زمانه، درس الطاهر على يده النحو والبلاغة وعلم الكلام والمصطلح (ت١٣٣١هـ). ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لشيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور (١٥٥/١)؛ معجم المؤلفين المعاصرين، محمد خير رمضان يوسف (٦٥٧/٢).

(٢) سالم بن عمر بوحاجب البنبلي، فاضل مالكي، من أهل تونس، ولد سنة (١٢٤٤هـ)، تولّى التدريس بجامع الزيتونة، له (شرح على ألفية ابن عاصم) في الأصول، و(ديوان خطب)، و(تقريرات على البخاري)، ناقد بارع، تدرج حتى بلغ مقام مشيخة الإسلام، (ت١٣٤٣هـ). ينظر: تراجم الأعلام، محمد الفاضل بن عاشور (ص٢٢١)؛ الأعلام (٧١/٣)؛ تراجم المؤلفين التونسيين (٧٧/٢).

(٣) محمد بن محمد النخلي الصراوي القيرواني، ولد سنة (١٢٨٦هـ) بالقيروان، درس بجامع الزيتونة، له عدد من المؤلفات ما زالت مخطوطة، توفي بتونس سنة (١٣٤٢هـ). ينظر: آثار الشيخ محمد النخلي، عبد المنعم النخلي (ص١٨، ٢٠، ٣٧، ٤٠).

(٤) عمل مدرسا بجامع الزيتونة، فدرس تفسير البيضاوي، وشرح القسطلاني على البخاري، وتولّى مشيخة الإسلام، كان مولَعا بالشعر، ولي خطّةَ الفتوى. ينظر: تراجم الأعلام (ص٢٦١).

(٥) عمر بن محمد بن العربي، أبو حفص، الملقب بعاشور، فقيه مالكي متصوف، درس الطاهر على يده النحو والصرف والبلاغة والفقه والفرائض (ت١٣١٤هـ). ينظر: الأعلام (٦٥/٥)؛ شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور (١٥٥/١)؛ معجم المؤلفين المعاصرين (٤٧٦/١).

وهؤلاء النبغاء وإن لم يتركوا مؤلفات ضخمةً إلا أنهم تركوا تلاميذ شهدوا لهم بِطُول الباع في نقد الآثار، والمناهج، وتتبع الهنات اللغوية، فقد كان الشيخ محمد النجار جامعا لشتى العلوم التي تدرس بجامع الزيتونة، والشيخ بوحاجب أخصائيا في علوم اللّغة والنحو والبلاغة والأدب، والأستاذ عمر بن عاشور ماهرا في الفقه والمنطق والكلام والفلسفة[١].

شخصيته:

كان الطاهر بن عاشور عالـما مصلحا مجددا، لا يستطيع الباحثُ في شخصيته وعلمه أن يقف على جانبٍ واحد فقط، إلا أن القضية الجامعة في حياته وعلمه ومؤلفاته هي التجديد والإصلاح من خلال الإسلام وليس بعيدا عنه، ومن ثَم جاءت آراؤه وكتاباته ثورةً على التقليد والجمود، وثورةً على التسيب والضياع الفكري والحضاري.

يقول محمد الطاهر الميساوي[٢]في مقدمته على كتاب مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور: ((إن ابن عاشور ليس اسما عاديا في محيط الثقافة الإسلامية، بل إن اسمه وجهاده قد ارتبطا ارتباطًا وثيقًا بواحدة من أهم مؤسسات هذه الثقافة، ويرمزٍ من أبرز رموزها في النصف الأول من القرن العشرين، ألا وهي جامعة الزيتونة، وهـو -بدون شك- آخر العمالقة الذين عرفهم التاريخ المديد لهذه المؤسسة العريقة))[٣].

كان جم النشاط، غزير الانتاج، تزينه أخلاق رضيةٌ، وتواضع، فلم يكن -على سعة اطلاعه، وغزارة معارفه- مغرورا كشأن بعض الأدعياء، ممن لم يبلغ مستواه[٤].

ويعد الطاهر من كبار مفسري القرآن الكريم في العصر الحديث، وقد احتوى تفسيره "التحرير والتنوير" على خلاصة آرائه الاجتهادية والتجديدية.

---

(١) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لشيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور (١٥٣/١).

(٢) محقق ومؤلف معاصر، وأستاذ في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

(٣) مقدمة مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي (ص١٨).

(٤) تراجم المؤلفين التونسيين (٣٠٦/٣).

مسيرته العلمية والوظيفية:

❁ التحق الشيخ ابن عاشور بجامع الزيتونة، وثابر على تعلّمه به حتى حصل على شهادة التطويع سنة (١٣١٧هـ/١٨٩٦م).

❁ شارك في مناظرة التدريس من الرتبة الثانية واجتازها بنجاح سنة (١٣٢٠هـ/١٨٩٩م).

❁ عمل مدرسا بالمدرسة الصادقية[١] سنة (١٣٢١هـ/١٩٠٠م).

❁ شارك في مناظرة التدريس من الرتبة الأولى فنجح فيها سنة (١٣٢٤هـ/١٩٠٣م).

❁ عمل مدرسا من الدرجة الأولى.

❁ في سنة (١٣٢٥هـ/١٩٠٤م) سمي نائبا عن الدولة لدى نظارة جامع الزيتونة.

❁ سمي عضوا مؤسسا للجنة تنقيح برامج التعليم بجامع الزيتونة سنة (١٣٢٩هـ/١٩٠٨م)، ثم التحق بعد ذلك بالقضاء.

❁ في سنة (١٣٣١هـ/١٩١٣م) صار عضوا بالمحكمة العقارية، وقاضيا مالكيا.

❁ عين مفتيا مالكيا سنة (١٣٤١هـ/١٩٢٣م).

❁ عين كبير المفتين سنة (١٣٤٢هـ/١٩٢٤م).

❁ عين شيخ الإسلام للمذهب المالكي سنة (١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، وهو أول من تولى هاته الخطة، وفي نفس السنة سمي شيخ جامع الزيتونة وفروعه لأول مرة،ولكنه استقال من مشيخة جامع الزيتونة بعد سنة واحدة.

❁ في سنة (١٣٦٤هـ/١٩٤٤م) سمي شيخا لجامع الزيتونة وفروعه للمرة الثانية.

---

(١) أنشئت عام (١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م) بإشراف لجنة كُونت من علماء الزيتونة. ينظر: الحركة الأدبية والفكرية في تونس، محمد الفاضل بن عاشور (ص٤٠).

❁ في سنة (١٩٥٦م) عين شيخا عميدا للكلّية الزيتونية للشريعة وأصول الدين حتى سنة (١٩٦٠م).

❁ شغل مهمة عضو مراسل لمجمعي اللغة العربية بالقاهرة ودمشق منذ سنة (١٩٥٥م)[١].

وقد باشر –رحمه الله- كل هذه المهام بمهارة ودقّة علمية نادرة، وبنـزاهة وحسن نظر، فكان حجةً ومرجعا فيما يقضي به.

وكان مقْبِلا على الكتابة والتحقيق والتأليف، فقد شارك في إنشاء مجلة السعادة العظمى، وهي أول مجلة تونسية، ونشر بحوثًا عديدةً خصوصا في المجلة الزيتونية، ومجلات مشرقية، مثل مجلة هدى الإسلام)، والمنار، والهداية الإسلامية، ونور الإسلام، ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، كما نشرت له مجلة المجمع العلمي بدمشق[٢].

ومما لا يخفى على كل مطلعٍ على مؤلفاته أنه كان ذا عقل جبار، وذا تدفق وتدفعٍ في العلم، وكان إذا كتب في أي فن أو موضوع كأنه يغرف من بحر، وينحت من صخر، كما كان ذا أسلوب محكم النسج، شديد الأسر، يذكّر بأرباب البيان الأوائل، وإذا كتب استجمع مواهبه العلمية، واللغوية، والأدبية، والاجتماعية، والتاريخية، والتربوية، وغيرها لخدمة غرضه الذي يرمي إليه.

---

(١) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين (٣/ ٣٠٤)؛ مجلة جوهر الإسلام، محمد الحبيب بن الخوجة، العدد (٣-٤) (ص١٢).

(٢) سيأتي التعريف بهذه المجلات عند الحديث عن إسهاماته -رحمه الله- في المجلات العلمية والشرقية: (ص٦٣).

مؤلفاته:

وصلت كتبه ومؤلفاته إلى قرابة الأربعين، هي غاية في الدقة العلمية، وتدل على تبحر الشيخ في شتى العلوم الشرعية والأدبية، ومن أجلها كتابه في التفسير "التحرير والتنوير"، وكتابه الثمين والفريد من نوعه "مقاصد الشريعة الإسلامية"، وغيرهما كثير.

ولا يزال عدد من مؤلفاته مخطوطة، وتنقسم مؤلفاته إلى قسمين منها مؤلفات في العلوم الشرعية، وأخرى في اللغة العربية وآدابها:

◙ العلوم الشرعية:

١- آراء اجتهادية ومسائل علمية. (مخطوط).

٢- أصول التقدم في الإسلام. طبعته الشركة التونسية للتوزيع، (د.ت).

٣- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. طبعته دار النفائس بِعمان سنة (١٤٢١هـ).

وهذا الكتاب أصله جملة مقالات نشرها الطاهر بن عاشور في مجلة هدى الإسلام[1] خلال العامين (١٣٥٤،١٣٥٥هـ) عالج فيها الأوضاع الاجتماعية في العالم الإسلامي.

٤- أليس الصبح بقريب، التعليم العربي الإسلامي: دراسة تاريخية وآراء إصلاحية. طبعته الشركة التونسية للتوزيع سنة (١٩٦٧م).

وهذا الكتاب يتناول مشكلات التعليم وكيفية معالجتها في الوطن العربي.

٥- الأمالي على مختصر خليل[2].(مخطوط) وهو موجود في المكتبة العاشورية بالمرسى في تونس.

٦- تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة. طبعته الشركة التونسية للتوزيع سنة (١٩٨٥م).

---

(١) مجلة اجتماعية كانت تصدر بالقاهرة.

(٢) مختصر خليل: كتاب في فروع الفقه المالكي، ومؤلفه هو الإمام خليل بن إسحاق بن موسى المالكي المعروف بالجندي، من كبار فقهاء المالكية (ت٧٦٧هـ). ينظر: الديباج الذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٣٥٧/١)؛ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٧٥/٢).

٧- تعليقات على شرح حديث أم زرع[١]. (مخطوط).

٨- تفسير التحرير والتنوير. طبعته دار سحنون للنشر والتوزيع بتونس سنة (١٩٩٧م).

٩- التوضيح والتصحيح في أصول الفقه للقرافي[٢]. طبعته مطبعة النهضة بتونس سنة (١٣٤١هـ).

والعنوان الكامل للكتاب هو: حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات التنقيح على شرح تنقيح الفصول في الأصول.

١٠- فتاوى ورسائل فقهية. (مخطوط).

١١- قصة المولد. طبعته الدار التونسية للنشر سنة (١٣٩٢هـ،١٩٧٢م).

ويتناول هذا الكتاب السيرة النبوية المباركة.

١٢- كشف المغطّى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطّأ. طبعته الشركة التونسية للتوزيع سنة (١٩٧٥).

وقد حوى هذا الكتاب تعليقات وإفادات قيمة.

١٣- مقاصد الشريعة الإسلامية. طَبعته الشركة التونسية للنشر والتوزيع سنة (١٩٨٥).

وهذا الكتاب يعتبر من أهم المؤلفات في أصول الفقه.

---

(١) حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها في كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل (١٦٦٨/٣)، رقم [٥١٨٩].

(٢) هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن أبو العباس القرافي، إمام بارع، من علماء المالكية، وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة، (ت٦٨٤هـ)، له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، منها: (أنوار البروق في أنواء الفروق)، و(الذخيرة) في فقه المالكية، و(شرح تنقيح الفصول) في الأصول. ينظر: الوافي بالوفيات (٢٣٣/٦)؛ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢٣٦/١).

١٤- النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح[١]. طبعته الدار العربية للكتاب بتونس وليبيا سنة (١٩٧٩م).

وهذا الكتاب سار فيه على نمط كتابه (كشف المغطّى).

١٥- نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم[٢]. طبعته المطبعة السلفية ومكتبتها بمصر سنة (١٣٤٤هـ).

١٦- الوقف وأثره في الإسلام. مطبوع[٣].

اللغة العربية وآدابها:

١٧- أصول الإنشاء والخطابة. طبعته الدار التونسية للنشر والتوزيع سنة (١٩٨٨م).

وهو كتاب في فن الأدب، اهتم فيه بالأسلوب في التعبير الذي يهدف إلى الإفهام بأسهل الطرق والأساليب.

١٨- الأمالي على دلائل الإعجاز. (مخطوط) وهو موجود في المكتبة العاشورية بالمرسى في تونس.

١٩- تحقيق كتاب (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب) لعبد الله بن محمد البطليوسي. (مخطوط) وهو موجود في المكتبة العاشورية بالمرسى في تونس.

٢٠- تحقيق كتاب (قلائد العقيان)[٤]و(شرح ابن زاكور)[٥]له. طبعته الدار التونسية للنشر سنة (١٩٨٩م).

---

(١) الجامع الصحيح: أصح كتب الحديث بعد كتاب الله تعالى للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري.

(٢) ألفه علي عبد الرزاق، وقد حرص العلماء والمفكرون على الرد عليه، وذلك لأنه زعم فيه أن الخلافة ليست في أصول الشريعة، حتى أنه هاجم الخلفاء بما فيهم الخلفاء الأربعة الراشدين ﵃، إلى غير ذلك من المزاعم الباطلة.

(٣) الكتاب مطبوع كما أشارت إلى ذلك د. هيا ثامر في كتابها: "الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير" (ص٧٦)، إلا أني لم أقف على بيانات طبعه.

(٤) قلائد العقيان ومحاسن الأعيان: من تأليف أبي نصر الفتح ابن خاقان، وضم تراجم أدبية لمشاهير علماء الأندلس.

(٥) محمد بن قاسم بن محمد، ابن زاكور الفاسي، أديب فاس في عصره، مولده ووفاته فيها، (ت١١٢٠هـ)، شرح قلائد العقيان في كتابٍ أسماه: (تزيين قلائد العقيان بفرائد التبيان). ينظر: الأعلام (٧/٧).

٢١- تحقيق (مقدمة في النحو)(١). (مخطوط).

٢٢- تحقيق (شرح القرشي على ديوان المتنبي(٢)). (مخطوط).

٢٣- تراجم لبعض الأعلام. (مخطوط).

٢٤- تصحيح وتعليق على كتاب (الانتصار لجالينوس(٣)) للحكيم ابن زهر(٤). (مخطوط).

٢٥- تعليق على المطول(٥) بحاشية السيالكوتي(٦). (مخطوط).

٢٦- ديوان بشار بن برد(٧)(جمع وتحقيق وشرح). طبعته الدار التونسية للتوزيع سنة (١٩٧٦م).

٢٧- ديوان الحماسة لأبي تمام(٨)(شرح وتحقيق). (مخطوط).

---

(١) مقدمة في النحو: من تأليف خلف بن حيان أبو محرز المعروف بالأحمر.

(٢) أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي، الشاعر الحكيم، ولد بالكوفة سنة (٣٠٣هـ)، وقتل سنة (٣٥٤هـ). ينظر: تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (١٠٢/٤)؛ الأعلام (١١٥/١).

(٣) جالينوس: يعتبر آخر الأطباء الكبار المعلمين، وهو الثامن منهم، لا يدانيه أحد في صناعة الطب فضلا عن أن يساويه، عاش سبعا وثمانين سنة تقريبا. ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة (ص٩٠).

(٤) زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر أبو العلاء، فيلسوف طبيب، أندلسي من أهل إشبيلية، (ت٥٢٥هـ). ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص٥١٧)؛ الأعلام (٥٠/٣).

(٥) كتاب في البلاغة من تأليف مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني سعد الدين.

(٦) عبد الحكيم بن شمس الدين الهندي السيالكوتي البنجابي، فاضل، له: (عقائد السيالكوتي)، و(حاشية على المطول للتفتازاني)، (ت١٠٦٧هـ). ينظر: الأعلام (٢٨٣/٣)؛ معجم المؤلفين (٦٠/٢).

(٧) بشار بن برد العقيلي أبو معاذ، أشعر المولدين على الإطلاق، اتهم بالزندقة فمات ضربا بالسياط، وقيل إغراقاً في الماء سنة (١٦٧هـ)، ودفن بالبصرة. ينظر: طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد المعتز بالله (ص٢١)؛ الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ص٥١٣).

(٨) أبو تمام: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام، الشاعر الأديب، أحد أمراء البيان. (ت٢٣١هـ). ينظر: طبقات الشعراء (ص٢٨٢)؛ تاريخ بغداد (٢٤٨/٨).

٢٨- ديوان سحيم[(١)](جمع وشرح). (مخطوط).

٢٩- ديوان النابغة الذبياني[(٢)](شرح وتحقيق). طبعته الدار التونسية للتوزيع سنة (١٩٧٦م).

٣٠- سرقات المتنبي[(٣)](شرح وتحقيق). طبعته الدار التونسية للنشر والتوزيع سنة (١٩٧٠م).

٣١- غرائب الاستعمال. (مخطوط).

٣٢- قصيدة الأعشى[(٤)]في مدح المحلّق[(٥)](شرح وتحقيق). طبعته مطبعة العرب بتونس سنة (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م).

٣٣- مراجعات تتعلق بكتابي (معجز أحمد) ، و(اللامع العزيزي)[(٦)]. (مخطوط).

---

(١) سحيم عبد بني الحسحاس، شاعر، رقيق الشعر، أعجمي الأصل، قتله بنو الحسحاس وأحرقوه في زمن عمر ابن الخطاب ﷺ سنة (٤٠هـ) لتشبيبه بنسائهم، له (ديوان شعر) صغير. ينظر: طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (١٨٧/١)؛ الشعر والشعراء (ص٢٦٣).

(٢) النابغة: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة، شاعر جاهلي. ينظر: طبقات فحول الشعراء (٥١/١)؛ الشعر والشعراء (ص٨٧)؛ تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن عساكر (٢٢١/١٩).

(٣) هذا الكتاب مؤلفه ابن بسام النحوي.

(٤) الأعشى: ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له: الأعشى الكبير، من شعراء الجاهلية، وأحد أصحاب المعلّقات، مات قبل أن يسلم سنة (٧هـ). ينظر: طبقات فحول الشعراء (٥٢/١)؛ الشعر والشعراء (ص١٥٩).

(٥) المـُحلق بن حنتم بن شداد الكلابي العامري، كريم جاهلي، اشتهر بأبيات قالها فيه الأعشى، أولها:

لَعمري لَقَد لاحت عيونٌ كَثيرةٌ إِلى ضَـوءِ نارٍ في يفاعٍ تحرق

تشـب لمقرورينِ يصطَليانِها وبات على النارِ الندى والمُحلق [البحر الطويل]

ينظر: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، أبو نصر علي بن هبة الله ابن ماكولا (١٢٧/٣)؛ معجم الشعراء الجاهليين، د. عزيزة فوال بابتي (ص٣٢٦).

(٦) الكتابان للمعري شرح فيهما ديوان أبي الطيب المتنبي، وسمى الأول (معجز أحمد) إشارة إلى المتنبي، وسمى الثاني: (اللامع العزيزي) إشارة إلى عزيز الدولة ثابت بن ثمار بن صالح بن مرداس.

٣٤- معلقة امرئ القيس[١](شرح وتحقيق). (مخطوط).

٣٥- المقدمة الأدبية للمرزوقي[٢](شرح وتحقيق). طبعته الدار العربية للكتاب بليبيا سنة (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

٣٦- موجز البلاغة. مطبوع[٣].

٣٧- الواضح في مشكلات شعر المتنبي[٤](تحقيق). طبعته الدار التونسية للنشر والتوزيع سنة (١٩٦٨م).

---

(١) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، اشتهر بمعلقته، (ت٨٠ق.هـ). ينظر: طبقات فحول الشعراء (٥١/١)؛ الشعر والشعراء (ص٥٢).

(٢) أحمد بن محمد بن الحسن أبو علي المرزوقي، عالم بالأدب، من أهل أصبهان، له (الأزمنة والأمكنة)، و(شرح ديوان الحماسة لأبي تمام) وغيرهما، (ت٤٢١هـ). ينظر: الوافي بالوفيات (٣٧٢/٧)؛ معجم الأدباء، ياقوت الحموي (١٩/٢).

(٣) الكتاب مطبوع كما أشارت إلى ذلك د. هيا ثامر في كتابها: "الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير" (ص٧٦)، إلا أني لم أقف على بيانات طبعه.

(٤) الواضح في مشكلات شعر المتنبي: مؤلفه أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني.

المجلات العلمية والشرقية التي أسهم فيها:

١- السعادة العظمى.

أسسها محمد الخضر حسين[١] سنة (١٣٢١هـ)، وهي أول مجلة ظهرت في المغرب، واستمر صدورها لمدة عامين ثم أوقفتها سلطات الاستعمار الفرنسي.

٢- المجلة الزيتونية.

مجلة شهرية علمية أدبية أخلاقية، أصدرتها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة سنة (١٩٣٦م)، وتوقفت سنة (١٩٤٥م).

٣- مجلة المجمع العلمي بدمشق.

مجلة لغوية علمية صدر العدد الأول منها في (١٣٣٩/٤/٢١هـ -يناير/١٩٢١م) في سوريا، وظلت تصدر شهرية لعدة سنوات، ثم تحولت إلى فصلية، وما تزال تصدر حتى الآن.

٤- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

مجلة لغوية صدر جزؤها الأول سنة (١٩٣٤م)، ثم توالى صدورها سنويا إلى أن صارت تصدر مرتين كل عام، وما زالت تصدر حتى الآن.

٥- مجلة المنار.

أسسها محمد رشيد رضا[٢] بالقاهرة، وصدر عددها الأول في (١٣١٥/١٠/٢٢هـ -١٥/آذار/١٨٩٨م)، كان الغرض من إنشائها الإصلاح الديني والاجتماعي للأمة الإسلامية، وغرضها الأول الحثّ على تربية البنين والبنات،

---

(١) محمد الخضر الحسين: ولد بتونس سنة (١٢٩٣هـ/١٨٧٣م) من أسرة علم وصلاح، كان من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، وممن تولّوا مشيخة الأزهر، (ت١٣٧٧هـ/١٩٥٨م). ينظر: الأعلام (١١٣/٦)؛ معجم المؤلفين المعاصرين (٥٨٤/٢).

(٢) محمد رشيد بن علي رضا ولد سنة (١٢٨٢هـ/١٨٦٥م) وتوفي سنة (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) أحد رجال الإصلاح الإسلامي، عالم وكاتب وأديب، ينظر: الأعلام (١٢٦/٦)؛ معجم المطبوعات، يوسف اليان سركيس (ص٩٣٤)؛ معجم المؤلفين المعاصرين (٥٩٢/٢).

والترغيب في تحصيل العلوم والفنون، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم، والتنشيط على مجاراة الأمم المتمدنـة في العلـوم النافعـة، توقفـت عـن الصـدور سـنة (١٣٥٤هـ-/١٩٣٥م)، واستغرقت (٣٣) مجلّدا ضمت (١٦٠) ألف صفحة.

٦- مجلة الهداية الإسلامية.

أسسها الشيخ مصطفى كمال التارزي[١]، وصدر العدد الأول منها في أكتوبر (١٩٧٣م)، وما زالت تصدر حتى الآن عن المجلس الإسلامي الأعلى، إلا أنها غير منتظمة في الصدور.

٧- مصباح الشرق.

أسسها إبراهيم المويلحي[٢]، وصدرت سنة (١٨٩٨م) في القاهرة، اهتمت بالنقد الاجتماعي والأدبي، وتوقفت عن الصدور سنة (١٩٠٣م).

٨- نور الإسلام.

أصدرها الأزهر في شهر أكتوبر سنة (١٩٣٠م)، ورأس تحريرها الشيخ محمد الخضر حسين، وفي عام (١٩٣٥م) تغير اسمها إلى الأزهر، وما زالت تصدر حتى الآن.

٩- هدى الإسلام[٣].

---

(١) لم أقف على ترجمته.

(٢) إبراهيم بن عبد الخالق بن إبراهيم المويلحي، كاتب مصري، رشيق الأسلوب، نقاد. ولد سنة (١٢٦٢هـ) في القاهرة، وتوفي بها سنة (١٣٢٣هـ). ينظر: الأعلام (٤٥/١).

(٣) لم أقف على معلومات عن هذه المجلة، ولصعوبة الحصول على مصادر تعرف بهذه المجلات فقد اعتمدت على بعض مواقع الانترنت التي تحدثت عنها.

حياته السياسية:

لم يكن الطاهر بن عاشور بعيدا عن سهام الاستعمار، والحاقدين عليه، والمخالفين لمنهجه الإصلاحي التجديدي، فتعرض الشيخ لمحنة قاسية استمرت ثلاثة عقود، عرفت بمحنة التجنيس، وملخصها أن الاستعمار الفرنسي أصدر قانونا في (شوال ١٣٢٨هـ) عرف بقانون التجنيس، يتيح لمن يرغب من التونسيين التجنس بالجنسية الفرنسية، فتصدى الوطنيون التونسيون لهذا القانون ومنعوا المتجنسين من الدفن في المقابر الإسلامية، مما أربك الفرنسيين، فلجأت السلطات الفرنسية إلى الحيلة لاستصدار فتوى تسوغ مبدأ التجنس من خلال صيغة سؤال عن حالة عامة لا تتعلق بالحالة التونسية توجه إلى المجلس الشرعي، وكان ابن عاشور يتولّى -سنة (١٣٥١هـ)- رئاسة المجلس الشرعي لعلماء المالكية، فأفتى المجلس صراحة بأنه يتعين على المتجنس عند حضوره لدى القاضي أن ينطق بالشهادتين، ويتخلى في نفس الوقت عن جنسيته التي اعتنقها، لكن الاستعمار حجب هذه الفتوى، وبدأت حملة لتلويث سمعة هذا العالم الجليل، وتكررت هذه الحملة الآثمة عدة مرات على الشيخ، وهو صابر محتسب[(١)].

وفاته:

توفي الطاهر بن عاشور -رحمه الله- في الثالث عشر من شهر رجب سنة (١٣٩٣هـ)، الموافق الثاني عشر من شهر أغسطس سنة (١٩٧٣م)، وعمره (٩٧) سنة، بعد حياة حافلة بالعلم والإصلاح والتجديد على مستوى تونس والعالم الإسلامي، ودفن بمقبرة الزلاج بمدينة تونس.

رحمه الله تعالى، وجعلنا خير خلف لخير سلف[(٢)].

---

(١) مجلة جوهر الإسلام العدد (٣-٤) (ص١٤١).

(٢) ينظر: الأعلام (١٦٤/٦)؛ تراجم المؤلفين التونسيين (٣٠٧/٣).

المطلب الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير

• اسم الكتاب:

يقول مؤلفه ابن عاشور في مقدمة تفسيره: ((وسميته: "تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد"، واختصرت هذا الاسم باسم "التحرير والتنوير من التفسير"))[١].

فهذه تسمية مؤلفه له، ثم اشتهر هذا التفسير باسم "التحرير والتنوير"، و"تفسير التحرير والتنوير".

ويقع في ثلاثين جزءًا، في خمسة عشر مجلدا، طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع بتونس.

• قصة تأليف الكتاب ووصف منهجه:

بدأ في تأليفه للتفسير سنة (١٣٤١هـ)، وفرغ منه سنة (١٣٨٠هـ).

وأشار في بدايته إلى أن منهجه هو أن يقف موقف الحَكَم بين طوائف المفسرين، تارة لها وأخرى عليها، معللا ذلك بأن الاقتصار على الحديث المعاد في التفسير هو تعطيل لفيض القرآن الكريم الذي ما له من نفاد، ووصف تفسيره بأنه احتوى أحسن ما في التفاسير، وأن فيه أحسن مما في التفاسير.

وتفسير التحرير والتنوير في حقيقته تفسير بلاغي، اهتم فيه الطاهر بدقائق البلاغة في كل آية من آياته، وأورد فيه بعض الحقائق العلمية ولكن باعتدال ودون توسع أو إغراق في تفريعاتها ومسائلها.

وقد نقد الطاهر كثيرا من التفاسير والمفسرين، ونقد فَهم الناس للتفسير، ورأى أن أحد أسباب تأخر علم التفسير هو الولع بالتوقف عند النقل، حتى وإن كان ضعيفًا أو فيه كذب، وكذلك اتقاء الرأي ولو كان صوابا حقيقيا، فأصبحت كتب التفسير عالة

---

(١) التحرير والتنوير (٨/١).

على كلام الأقدمين، ولا هم للمفسر إلا جمع الأقوال، وبهذه النظرة أصبح التفسير تسجيلا يقيد به فهم القرآن ويضيق به معناه.

وبعد فراغه منه ختمه بكلمة عظيمة مؤثرة، قال فيها: ((وإن كلام رب الناس حقيق بأن يخدم سعيا على الرأس، وما أدى هذا الحق إلا قلم مفسرٍ يسعى على القرطاس، وإن قلمي استن بشوط فسيح، وكم زجر عند الكلال والإعياء زجر المنيح، وإذ قد أتى على التمام فقد حق له أن يستريح.

وكان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب عام ثمانين وثلاث مائة وألف، وكانت مدة تأليفه تسعا وثلاثين سنة، وستة أشهر، وهي حقبة لم تخلُ من أشغال صارفة، ومؤلفات أخرى أفنانها وارفة، ومنازع بقريحة شاربة طورا، وطورا غارفة، وما خلا ذلك من تشتت بال، وتطور أحوال، مما لم تخلُ عن الشكاية منه الأجيال، ولا كفران لله، فإن نِعمه أوفى، ومكاييل فضله عليّ لا تطفّف ولا تكفى.

وأرجو منه -تعالى- لهذا التفسير أن ينجِد ويغور، وأن ينفع به الخاصة والجمهور، ويجعلني به من الذين يرجون تجارة لن تبور.

وكان تمامه بمنزلي ببلد المرسى شرقي مدينة تونس، وكتب محمد الطاهر بن عاشور))[1].

وقد بيّن في مقدمة تفسيره منهجه[2]، والذي يتضح من خلال النقاط الآتية:

- بدأ تفسيره بمقدمات عشر؛ لتكون -كما قال- عونا للباحث في التفسير.
- حرص على بيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال.
- اعتنى ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض.
- بين أغراض جميع السور قبل أن يشرع في تفسيرها.

(١) التحرير والتنوير (٦٣٦/٣٠).

(٢) ينظر: مدخل لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، محمد بن إبراهيم الحمد (٣٧).

- اعتنى بتحليل الألفاظ، وتبيين معاني المفردات بضبطها وتحقيقها.

- حرص على استنباط الفوائد، وربطها بحياة المسلمين.

- حرص على استلهام العبر من القرآن.

وسوف أورد أهم ما ذكره في المقدمة الثامنة؛ كونها إحدى الركائز التي يعتمد عليها هذا البحث، وينطلق منها.

قال رحمه الله: المقدمة الثامنة: في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها.

((هذا غرض له مزيد اتصال بالقرآن، وله اتصال متين بالتفسير؛ لأن ما يتحقق فيه ينتفع به في مواضع كثيرة من فواتح السور، ومناسبة بعضها لبعض فيغني المفسر عن إعادته...))[1].

((وأما ترتيب الآي بعضها عقب بعض فهو بتوقيف من النبي ﷺ حسب نزول الوحي، ومن المعلوم أن القرآن نزل منجما آيات، فربما نزلت عدة آيات متتابعة، أو سورة كاملة، كما سيأتي قريبا، وذلك الترتيب مما يدخل في وجوه إعجازه من بداعة أسلوبه...، فلذلك كان ترتيب آيات السورة الواحدة على ما بلغتنا عليه متعينا بحيث لو غُيِّـر عنه إلى ترتيب آخر لنـزل على حد الإعجاز الذي امتاز به، فلم تختلف قراءة النبي ﷺ في ترتيب آي السور على نحو ما هو في المصحف الذي بأيدي المسلمين اليوم، وهو ما استقرت عليه رواية الحفاظ من الصحابة عن العرضات الأخيرة التي كان يقرأ بها النبي ﷺ في أواخر سنِي حياته الشريفة، وحسبك أن زيد بن ثابت[2]حين كتب المصحف لأبي بكر لم يخالف في ترتيب آي القرآن، ولما جمع القرآن في عهد

(١) التحرير والتنوير (٧٠/١).

(٢) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الأنصاري الخزرجي أبو سعيد، وقيل: أبو ثابت، وقيل غير ذلك في كنيته، استصغر يوم بدر ويقال: إنه شهد أُحدا ويقال: أول مشاهده الخندق، كتب الوحي للنبي ﷺ، وهو الذي جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، مات سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وأربعين، وقيل سنة إحدى أو اثنتين أو خمس وخمسين، وفي خمس وأربعين قول الأكثر. ينظر: الاستيعاب (١١١/٢)؛ أسد الغابة (١٢٦/٢)؛ الإصابة (٥٦١/١).

أبي بكر؛ لم يؤثَر عنهم أنهم ترددوا في ترتيب آيات من إحدى السور، ولا أُثر عنهم إنكار أو اختلاف فيما جمع من القرآن، فكان موافقًا لما حفظته حوافظُهم...))[١].

((واتساق الحروف، واتساق الآيات، واتساق السور، كله عن رسول الله ﷺ؛ فلهذا كان الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسب في الغرض، أو في الانتقال منه، أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتصل، ومما يدل عليه وجود حروف العطف المفيدة الاتصال، مثل: الفاء، ولكن، وبل، ومثل: أدوات الاستثناء، على أن وجـود ذلك لا يعيـّن اتصال ما بعـده بما قبله في النـزول، فإنه قد اتفق على أن قوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[٢]نزل بعد نزول ما قبله وما بعـده من قوله: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ﴾، إلى قوله: ﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾))[٣].

((...ولما كان تعيين الآيات التي أمر النبي ﷺ بوضعها في موضع معين غير مروي إلا في عدد قليل؛ كان حقا على المفسر أن يتطلب مناسبات لمواقع الآيات ما وجد إلى ذلك سبيلا موصلا، وإلا فليعرض عنه ولا يكن من المتكلفين[٤].

إن الغرض الأكبر للقرآن هو إصلاح الأمة بأسرها، فإصلاح كفارها بدعوتهم إلى الإيمان ونبذ العبادة الضالة، واتباع الإيمان والإسلام، وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على هداهم وإرشادهم إلى طريق النجاح وتزكية نفوسهم، ولذلك كانت أغراضه مرتبطة بأحوال المجتمع في مدة الدعوة، فكانت آيات القرآن مستقلا بعضها عن بعض، لأن كل آية منه ترجع إلى غرض الإصلاح والاستدلال عليه، وتكميله وتخليصه من تسرب الضلالات إليه، فلم يلزم أن تكون آياته متسلسلة، ولكن حال القرآن كحال الخطيب يتطرق إلى معالجة الأحوال الحاضرة على اختلافها، وينتقل من

---

(١) التحرير والتنوير (٧٩/١).

(٢) من الآية (٩٥) من سورة النساء.

(٣) التحرير والتنوير (٧٩/١).

(٤) يبرز هنا جانب مهم من منهج الطاهر -رحمه الله- في طلب المناسبة، فهو يحذر من التكلف في طلبها، وكأنه يشير إلى أن ذلك لا يكون إلا لأولي البصيرة في هذا العلم الشريف، فليس كل مفسر قادرا على إظهار المناسبة بين الآيات.

حال إلى حال بالمناسبة، ولذلك تكثر في القرآن الجمل المعترضة لأسباب اقتضت نزولها أو بدون ذلك))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر قد رسم خطوطًا عريضة فيما يتعلق بالتناسب بين الآيات والسور، من أهمها:

- ارتباط المناسبات بالآيات القرآنية ارتباطًا وثيقًا.
- يعتبر طلب المناسبات بين الآيات غرض مهم من الأغراض الشريفة للقرآن.
- على المفسر أن يطلب المناسبة بين الآيات ويبينها ما استطاع إلى ذلك سبيلا.
- إذا لم يهتد المفسر إلى المناسبة فليتوقف عن طلبها ولا يتكلف.

(١) التحرير والتنوير (٨١/١).

المبحث الثالث:

منهج الطاهر بن عاشور في إيراد المناسبات

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: موقفه من علم المناسبات
- المطلب الثاني: منهجه في إيراد المناسبات

المطلب الأول: موقفه من علم المناسبات

نص الطاهر -رحمه الله- في المقدمة الثامنة من تفسيره على موقفه من المناسبات بنوعيها، وهما المناسبات بين الآيات، والمناسبات بين السور.

فأما موقفه من المناسبات بين الآيات فهو موقف المؤيد لهذا النوع، ويتضح موقفه هذا من خلال كلامه عن هذا النوع، حيث قال: ((وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال، **واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض**، وهو منـزع جليل، قد عنى به فخر الدين الرازي، وألّف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى "نظم الدرر في تناسب الآي والسور"، إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع))(١).

ويقول في موضع آخر: ((وأما ترتيب الآي بعضها عقب بعض فهو بتوقيف من النبي ﷺ حسب نزول الوحي...فلهذا كان الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسب في الغرض، أو في الانتقال منه، أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتصل))(٢).

وبهذا يتضح موقفه من التناسب بين الآيات، وقد أثنى على المفسرين الذين اعتنوا بهذا النوع من المناسبات، إلا أنه أشار إلى أن كثيرا من الآيات ما زالت تحتاج إلى بيان تناسبها وترابطها، تحقيقًا لبغية المتأملين في نظم القرآن الكريم.

وأما موقفه من المناسبات بين السور فهو يرى أن طلب هذا النوع من المناسبات لا حاجة إليه، بل لا يراه حقا على المفسر، وقال في هذا الشأن: ((أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقا على المفسر))(٣).

---

(١) يراجع (ص٢٦) من البحث.

(٢) يراجع (ص٦٨) من البحث.

(٣) التحرير والتنوير (٨/١).

وقد بنى رأيه هذا على القول بأن ترتيب سور القرآن الكريم اجتهادي وليس توقيفيا.

وقد لمح إلى هذا الرأي عند حديثه عن ترتيب سور القرآن بقوله: ((أقول: لا شك أن طوائف من سور القرآن كانت مرتبة في زمن النبي ﷺ على ترتيبها في المصحف الذي بأيدينا اليوم، الذي هو نسخة من المصحف الإمام الذي جمع وكُتب في خلافة أبي بكر الصديق، ووزعت على الأمصار نسخ منه في خلافة عثمان ذي النورين، **فلا شك** في **أن سور المفصل**[1]**كانت هي آخر القرآن**، ولذلك كانت سنة قراءة السورة في الصلوات المفروضة أن يكون في بعض الصلوات من طوال المفصل، وفي بعضها من وسط المفصل، وفي بعضها من قصار المفصل، وأن طائفة السور الطولى الأوائل في المصحف كانت مرتبة في زمن النبي ﷺ أول القرآن، والاحتمال فيما عدا ذلك))[2].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر لا يمانع من طلب التناسب بين الآيات، بل يحث عليه ويعتبره أمرا مطلوبا على المفسر أن يبحث فيه، ولا يرى طلب التناسب بين السور؛ لميله إلى رأي الجمهور القاضي بأن ترتيب سور القرآن كان باجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم[3]. ولذلك لم يربط بين السور في تفسيره.

---

(١) المفصل: هو المحكم وآخره سورة الناس بلا نزاع، واختلف في أوله على اثني عشر قولا، أشهرها أن أوله سورة (ق). ينظر: البرهان (٢٤٥/١)؛ الإتقان (٢١٣/١).

(٢) التحرير والتنوير (٨٦/١).

(٣) يرى الجمهور أن ترتيب سور القرآن الكريم كان باجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم، واستدلوا على ذلك باختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور، فمنهم من رتبها على النزول، وهو مصحف علي بن أبي طالب ﷺ، كان أوله اقرأ ثم المدثر ثم نون ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير، وهكذا إلى آخر المكي والمدني، وكان أول مصحف ابن مسعود ﷺ البقرة ثم النساء ثم آل عمران على اختلاف شديد، وكذا مصحف أبي ﷺ وغيره. ويرى فريق آخر أن الترتيب كان بتوقيف من الرسول ﷺ ، ومنهم الكرماني حيث قال: ((ترتيب السور هكذا هو عند الله في الكتاب في الكتاب المحفوظ على هذا الترتيب))، وقال الطيبي: ((أنزل القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً على حسب المصالح، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ))، وقال البيهقي: ((كان القرآن على عهد النبي ﷺ مرتباً سوره وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة))، وقال السيوطي: ((وما يدل على أنه توفيقي كون الحواميم رتبت ولاء، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاء بل فصل بين سورها، وفصل بين طسم الشعراء، وطسم القصص بطس مع أنها أقصر منهما، ولوكان الترتيب اجتهادياً لذكرت المسبحات ولاء، وأخرت طس عن القصص، والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي، وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال)). ومن هذا النقل يترجح أن ترتيب السور توقيفي وليس اجتهاديا. ينظر: البرهان (٢٦٠/١)؛ والإتقان (١٩٤/١).

المطلب الثاني: منهجه في إيراد المناسبات من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران

يتبين منهج الطاهر في إيراد المناسبات من خلال النقاط الآتية:

- يذكر الطاهر المناسبة في الآية -إن وجدت- قبل أن يشرع في تفسيرها غالبا[١].
- يذكر المناسبة بين الآية والآية[٢].
- يذكر المناسبة بين ألفاظ الآية الواحدة[٣].
- يذكر المناسبة بين الآية وبين غرض من أغراض السورة[٤].
- يذكر مناسبة التذييل[5] للآية[٦].
- عند ذكره للمناسبة يستخدم العبارات الآتية: [ووجه المناسبة[٧]، عقب بكذا[٨]، ناسب كذا[٩]، موقع هذه الجملة[١٠]]، وأحيانا لا يصرح بذلك، ويفهم من كلامه أنه يريد به الإشارة إلى مناسبة ما[١١].

---

(١) التحرير والتنوير (٤٧٤/١).

(٢) تراجع المناسبة رقم (٧٨)، (ص٢٨٠).

(٣) تراجع المناسبة رقم (٩)، (ص١١٣).

(٤) تراجع المناسبة رقم (١٠٠)، (ص٣٢٨).

(5) التذييل: إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه، حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكد عند من فهمه. كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ص٤١٣)؛ نهاية الأرب في فنون الأدب (١٤٠/٧).

(٦) تراجع المناسبة رقم (٤٣)، (ص١٩٧).

(٧) تراجع المناسبة رقم (٢٣)، (ص١٤٩).

(٨) تراجع المناسبة رقم (٢٢)، (ص١٤٦).

(٩) تراجع المناسبة رقم (٣)، (ص٩١).

(١٠) تراجع المناسبة رقم (١١)، (ص١٢٠).

(١١) تراجع المناسبة رقم (١٨)، (ص١٣٨).

◘ يحذر من التكلّف في طلب المناسبة، وذلك في قوله: ((ولما كان تعيين الآيات التي أمر النبي ﷺ بوضعها في موضع معين غير مرويٍّ إلا في عدد قليل؛ كان حقا على المفسر أن يتطلب مناسبات لمواقع الآيات ما وجد إلى ذلك سبيلا موصلا، وإلا فليعرض عنه ولا يكن من المتكلفين))[١].

◘ يورد آراء بعض المفسرين في بعض المناسبات ثم يعقب ذلك بموافقتهم، أو بمخالفتهم، وترجيح ما يراه مناسبا [٢].

◘ قد يتكلف أحيانا في بيان بعض المناسبات، وهذا نادر جدا[٣].

◘ يشير إلى المناسبات التي لم يسبقه أحد إلى بيانها[٤].

◘ لا يتطرق إلى الربط بين خاتمة السورة وأولها.

◘ لا يرى وجود المناسبة في المحادثات والاقتضابات[٥].

---

(١) تراجع (ص٦٩) من البحث.
(٢) تراجع المناسبة رقم (١)، (ص٨٥).
(٣) تراجع المناسبة رقم (٤٤)، (ص١٩٩).
(٤) تراجع المناسبة رقم (١٦)، (ص١٣٢،١٣٣).
(٥) التحرير والتنوير (١٨٨/٣).

الفصل الأول

سورة الفاتحة

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: وجه تسميتها، وأغراضها.
- المبحث الثاني: مناسبة افتتاح القرآن بها.
- المبحث الثالث: تناسب آياتها، وأثره.

المبحث الأول: وجه تسميتها، وأغراضها

اهتم كثير من علماء التفسير، والمتخصصون في علوم القرآن –قديـما وحديثًا- ببيان وجه تسمية سور القرآن الكريم.

قال الزركشي: ((ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء، من خُلُقٍ أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز...))[١].

وقد ذكـر المفسـرون في تفاسيرهم أسماء عديدة لسـورة الفاتحة، لكن الطاهر اقتصر في بيان وجه تسميتها على ثلاثة أسماء، هي:

١- فاتحة الكتاب.

٢- السبع المثاني.

٣- أم القرآن أو أم الكتاب.

ولبيان أوجه تسميتها بهذه الأسماء سيكون الاعتماد على ما ذكره الطاهر في هذا الشأن، كونه جاء بما يفي بالغرض، وبما يغني ويفيد، حيث قال:

((سـورة الفاتحـة من السـور ذات الأسمـاء الكثيرة، أنهاهـا صاحب الإتقان[٢]إلى نيف وعشرين، بين ألقاب وصفات جرت على ألسنة القُراء من عهد

---

(١) البرهان (٢٧٠/١).

(٢) إشارة إلى جلال الدين السيوطي، صاحب كتاب الإتقان في علوم القرآن. (١٤٨/١).

السلف، ولم يثبت في السنة الصحيحة والمأثور من أسمائها إلا فاتحة الكتاب، والسبع المثاني، وأم القرآن أو أم الكتاب[١]، فلنقتصر على بيان هذه الأسماء الثلاثة))[٢].

((**فأما تسميتها فاتحة الكتاب** فقد ثبتت في السنة في أحاديث كثيرة منها قول النبي ﷺ: {لا صلاةَ لمن لم يقْرأ بِفَاتحة الكتابِ}[٣]، وفاتحة: مشتقةٌ من الفتح وهو إزالة حاجز عن مكان مقصود ولُوجه، فصيغتها تقتضي أن موصوفها شيء يزيل حاجزا وليس مستعملا في حقيقته بل مستعملا في معنى أول الشيء تشبيها للأول بالفاتح؛ لأن الفاتح للْبابِ هو أولُ من يدخل، فقيل: الفاتحة في الأصل مصدر بمعنى الفتح كالكاذبة بمعنى الكذب، والباقية بمعنى البقاء في قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾[٤]، وكذلك الطاغية في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾[٥]في قول ابن عباس رضي الله عنهما: ((أي: بِطُغيانِهم))[٦]، والخاطئة بمعنى الخطأ، والحاقّة بمعنى الحق.

ومعنى فَتحها الكتاب أنها جعلت أول القرآن لمن يريد أن يقرأ القرآن من أوله، فتكون فاتحة بالجعل النبوي في ترتيب السور، وقيل لأنها أول ما نزل، وهو ضعيف، لما

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال: {هذَا باب من السماءِ فُتح اليوم لَم يفْتح قَط إلا اليوم} فنـزل منه ملك فقال: {هذَا ملَك نزلَ إلى الأرضِ لَم ينزلْ قَط إلا اليوم} فسلّم وقال: ((أبشر بِنورين أُوتيتهما لَم يؤتهما نبِي قَبلَك، فَاتحة الكتابِ، وخواتيم سورة البقَرة، لَن تقْرأَ بِحرف منهما إلا أُعطيته)). أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة: (٤٦٤/١)، رقم: [٨٠٦]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {الحَمد لله أُم القُرآن، وأُم الكتابِ، والسبع المثَاني}. أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الحجر (ص٨٣٠)، رقم [٣١٢٤]. وقال: ((هذا حديث حسن صحيح)).

(٢) التحرير والتنوير (١٣١/١).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب صفة الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم (٢٣٤/١)، رقم [٧٥٦]؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٢٤٧/١)، رقم [٣٩٤].

(٤) الآية (٨) من سورة الحاقة.

(٥) الآية (٥) من سورة الحاقة.

(٦) ذَكره أبو حيان في تفسير سورة الحاقة عن ابن عباس رضي الله عنهما. ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان (٢٥٥/١٠).

ثبت في الصحيح واستفاض أن أول ما أنزل سورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾[(١)]، وهذا مما لا ينبغي أن يتردد فيه، فالذي نجزم به أن سورة الفاتحة بعد أن نزلت أمر الله -ﷻ- رسولَه ﷺ أن يجعلها أولَ ما يقْرأ في تلاوته))[(٢)].

((**وأما تسميتها أم القرآن وأم الكتاب** فقد ثبتت في السنة، من ذلك ما في صحيح البخاري في كتاب الطّب أن أبا سعيد الخدري[(٣)] ﷺ رقَى ملْدوغًا فَجعلَ يقْرأُ علَيه بِأم القُرآن. وفي الحديث قصة[(٤)].

ووجه تسميتها أم القرآن أن الأم يطلق على أصل الشيء ومنشئه، وفي الحديث الصحيح قال النبي ﷺ: {كُل صلاة لم يقْرأْ فيها بِأم القُرآن فَهي خداج}[(٥)]أي: منقوصة مخدوجة، وقد ذكروا لتسمية الفاتحة بِأم القرآن وجوها ثلاثةً:

أحدها: أنها مبدؤه ومفْتتحه، فكأنها أصلُه ومنشؤه، يعني أن افتتاحه الذي هو وجود أول أجزاء القرآن قد ظهر فيها، فجعلت كالأم للولد في أنها الأصل والمنشأ،

---

(١) من الآية (١) من سورة العلق. ثبت ذلك في صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (٢٢/١)، رقم [٣]؛ وعند مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١٢٦/١)، رقم [١٦٠].

(٢) التحرير والتنوير (١٣١/١).

(٣) هو سعد بن مالك بن سنان، أبو سعيد الـخدري، مشهـور بكنيته، أولُ مشاهده الخندق، وغزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وكان ممن حفظ عن رسول الله ﷺ سننا كثيرة، وروى عنه علما جما وكان من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم، توفي سنة أربع وسبعين، روى عنه جماعة من الصحابة وجماعة من التابعين. ينظر: الاستيعاب (١٦٧/٢)؛ أسد الغابة (١٤٢/٥)؛ الإصابة (٣٥/١).

(٤) وتمام القصة: عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن ناسا من أصحابِ النبي ﷺ أتوا علَى حي من أحياءِ العربِ فَلَم يقْروهم، فَبينما هم كَذَلك إذْ لُدغَ سيد أُولَئك فَقَالُوا: هلْ معكُم من دواءٍ أو راقٍ؟ فَقَالُوا: إنكُم لَم تقْرونا ولا نفْعلُ حتى تجعلُوا لَنا جعلا، فَجعلُوا لَهم قَطيعا من الشاءِ، فَجعلَ يقْرأُ بِأم القُرآن، ويجمع بزاقَه ويتفل فَبـَرأ، فَأتوا بِالشاءِ فَقَالُوا: لا نأْخذُه حتى نسأَلَ النبي ﷺ، فَسأَلُوه فَضحك وقَالَ: {وما أدراك أنها رقْيةٌ؟ خذُوها واضربوا لي بِسهمٍ}. صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الرقَى بفاتحة الكتاب (١٨٣٢/٤)، رقم [٥٧٣٦].

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة بلفظ: {من صلى صلاةً لَم يقْرأْ فيها بِأم الكتابِ فَهي خداج} (٢٤٨/١)، رقم [٣٩٥].

فيكون أم القرآن تشبيها بالأم التي هي منشأ الولد لمشابهتها بالمنشأ من حيث ابتداء الظهور والوجود.

الثاني: أنها تشتمل محتوياتها على أنواع مقاصد القرآن، وهي ثلاثة أنواع: الثناء على الله ﷻ ثناءً جامعا لوصفه بجميع المحامد وتنـزيهه من جميع النقائص، ولإثبات تفرده بالإلهية، وإثبات البعث والجزاء...فهذه هي أنواع مقاصد القرآن كله، وغيرها تكْملات لها؛ لأن القصد من القرآن إبلاغ مقاصده الأصلية، وهي صلاح الدارين، وذلك يحصل بالأوامر والنواهي، ولّما توقّفت الأوامر والنواهي على معرفة الآمر، وأنه الله الواجب وجوده، خالق الخلق؛ لزم تحقيق معنى الصفات، ولّما توقّف تمام الامتثال على الرجاء في الثواب، والخوف من العقاب؛ لزم تحقّق الوعد والوعيد.

الثالث: أنها تشتمل معانيها على جملة معاني القرآن من الحكَم النظرية والأحكام العملية، فإن معاني القرآن إما علوم تقصد معرفتها، وإما أحكام يقصد منها العمل بها، فالعلوم كالتوحيد والصفات والنبوءات والمواعظ والأمثال والحكَم والقَصص، وإما عمل الجوارح وهو العبادات والمعاملات، وإما عمل القلوب أي العقول وهو تهذيب الأخلاق وآداب الشريعة، وكلها تشتمل عليها معاني الفاتحة بدلالة المطابقة[1] أو التضمن[2] أو الالتزام[3].

---

(١) دلالة المطابقة: هي دلالة اللفظ على تمام المعنى الموضوع له اللفظ، ومثاله: دلالة الرجل على الإنسان الذكر، ودلالة المرأة على الإنسان الأنثى. ينظر: معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ص٤٢)؛ معجم المصطلحات البلاغية (ص٤٩٠).

(٢) دلالة التضمن: هي دلالة اللفظ على جزء من أجزاء المعنى المتضمن له، ولا تكون إلا في المعاني المركّبة، ومثاله: دلالة لفظ إنسان على الناطق، ودلالة البيت على الجدران أو على السقف. ينظر: معيار العلم في فن المنطق (ص٤٣)؛ معجم المصطلحات البلاغية (ص٤٨٩).

(٣) دلالة الالتزام: هي دلالة اللفظ على أمر خارج عن المعنى لازم له لزوما ذهنيا بحيث يلزم من فهم المعنى المطابقي فهم ذلك الخارج اللازم، مثاله: دلالة الأربعة على الزوجية، والزوجية في الاصطلاح: هي الانقسام إلى متساويين، ودلالة لفظ السقف على الجدار، ويلاحظ أن هذا النوع من الدلالة يشترط فيه وضوح اللزوم الذهني بين اللفظ وما يلازمه. ينظر: معيار العلم في فن المنطق (ص٤٣)؛ معجم المصطلحات البلاغية (ص٤٨٩).

فـ ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ يشمل سائر صفات الكمال التي استحق الله لأجلها حصر الحمد له تعالى بناء على ما تدل عليه جملة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ من اختصاص جنس الحمد به تعالى واستحقاقه لذلك الاختصاص كما سيأتي.

و﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ يشمل سائر صفات الأفعال والتكوين عند من أثبتها.

و﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ يشمل أصول التشريع الراجعة للرحمة بالمكلفين.

و﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ يشمل أحوال القيامة.

و﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ يجمع معنى الديانة والشريعة.

و﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ يجمع معنى الإخلاص لله في الأعمال...

و﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ يشمل الأحوال الإنسانية وأحكامها من عبادات ومعاملات وآداب.

و﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ يشير إلى أحوال الأمم والأفراد الماضية الفاضلة.

وقوله: ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ يشمل سائر قصص الأمم الضالة، ويشير إلى تفاصيل ضلالاتهم المحكية عنهم في القرآن.

فلا جرم يحصل من معاني الفاتحة -تصريحا وتضمنا- علم إجمالي بما حواه القرآن من الأغراض، وذلك يدعو نفس قارئها إلى تطلّب التفصيل على حسب التمكّن والقابلية، ولأجل هذا فرضت قراءة الفاتحة في كل ركعة من الصلاة حرصا على التذكير لما في مطاويها))[1].

((**وأما تسميتها السّبع المثاني** فهي تسمية ثبتت بالسنة، ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد ابن المعلّى[2]أن رسول الله ﷺ قال: {الحمد لله رب العالمين هي السبع

---

(١) التحرير والتنوير (١٣٣/١).

(٢) أصح ما قيل في اسمه الحارث بن نفَيع بن الـمعلّى بن لُوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة من بني زريق الأنصاري الزرقي، (ت٧٤هـ) وهو ابن أربع وستين سنة، روى عن رسول الله ﷺ حديثين فقط. ينظر: الاستيعاب (٢٣٣/٤)؛ أسد الغابة (١٤٢/٥)؛ الإصابة (٨٨/٤).

المثاني والقُرآنُ العظيم الذي أُوتيته}[(١)]، **ووجه تسميتها** بذلك أنها سبع آيات باتفاق القُراء والمفسرين، ولم يشذ عن ذلك إلا الحسن البصري[(٢)]فقال: ((هي ثَمانُ آيات))[(٣)]، وإلا الحسين الـجعفي[(٤)]فقال: ((هي ست آيات))[(٥)]، وقال بعض الناس: تسع آيات، ويتعين حينئذ كون البسملة ليست من الفاتحة لتكون سبع آيات، ومن عد البسملة أدمج آيتين...

ووجه الوصف به أن تلك الآيات تثنى في كل ركعة...، وقيل لأنها تثنى في الصلاة أي تكرر، فتكون التثنية بمعنى التكرير بناء على ما شاع عند العرب من استعمال المثنى في مطلق المكرر نحو: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾[(٦)]، وقولهم: لبيك وسعديك، وعليه فيكون المراد بالمثاني هنا مثل المراد بالمثاني في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾[(٧)] أي مكرر القصص والأغراض.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب (١٣٥٠/٣)، رقم [٤٤٧٤]، عن أبي سعيد ابن المعلى رضي الله عنه قال: كُنت أُصلّي في المسجِد فَدعاني رسولُ اللهِ ﷺ فلَم أُجبه، فَقُلْت يا رسولَ اللهِ إني كُنت أُصلي فَقال: {ألم يقُل اللهُ: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٤]}، ثُم قَالَ لي: {لأعلمنك سورةً هي أعظَم السور في القُرآن قَبلَ أَنْ تخرج من المسجِد}. ثُم أخذَ بِيدي فَلما أراد أن يخـرج قُلْت له ألم تقُلْ: لأعلمنك سـورةً هي أعظـم سورة في القُرآن؟ قـال: {﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ هي السبع المثَاني، والقُرآنُ العظيم الذي أُوتيته}.

(٢) الحسن بن أبي الحسن واسم أبي الحسن يسار البصري، ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان عمره أربع عشرة سنة يوم قُتل عثمان رضي الله عنه، وقد رآه وسمع منه، (ت١١٠هـ) وله ثمان وثمانون سنة، ينظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي: (١١٤/٧)؛ تذكرة الحفاظ (٧١/١)؛ تهذيب التهذيب (٢٤٦/٢).

(٣) ذكر هذا القول الرازي، حيث قال: ((رأيت في بعض الروايات الشاذة أن الحسن البصري كان يقول: هذه السورة ثمان آيات)). مفاتيح الغيب (٢٠٢/١). والصحيح أنها سبع آيات.

(٤) الحسين بن علي بن الوليد شيخ الإسلام أبو علي الـجعفي مولاهم الكوفي الحافظ المقرىء الزاهد القدوة، كان عابدا ناسكًا قارئًا للقرآن يقرئ الناس، (ت٢٠٣هـ) وعمره أربع وثمانون سنة. ينظر: الطبقات الكبرى (٣٩٦/٦)؛ تذكرة الحفاظ (٣٤٩/١)؛ غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد بن الجزري (٢٤٧/١).

(٥) ذكر هذا القول ابن كثير في تفسيره (١٠١/١).

(٦) من الآية (٤) من سورة الملك.

(٧) من الآية (٢٣) من سورة الزمر.

وقيل سميت المثاني لأنها ثُنِيت في النـزول فنـزلت بمكة، ثم نزلت في المدينة، وهذا قول بعيد جدا، وتكرر النّـزول لا يعتبر قائله، وقد اتفق على أنها مكّية، فأي معنى لإعادة نزولها بالمدينة[١].

ثم ختم كلامه بقوله: ((وأغراضها قد علمت من بيان وجه تسميتها أم القرآن))[٢].

ويمكن تلخيص أغراضها في النقاط الآتية:

- الثناء على الله تعالى بأوصاف كماله وجلاله.
- إثبات تفرده ﷻ بالإلهية.
- إثبات البعث والجزاء.
- الأمر بالعبادات والإخلاص فيها.

---

(١) نقل هذا القولَ الزركشي في البرهان (٢٩/١)، والسيوطي في الإتقان (١١٤/١). وذَكَرا أن الغرض من نزولها ثانية هو التذكير بها، والمبالغة في تشريفها.

(٢) التحرير والتنوير (١٣٦/١).

المبحث الثاني: مناسبة افتتاح القرآن بها.

افتتح سبحانه وتعالى كتابه الكريم بهذه السورة لأنها جمعت مقاصد القرآن، وتصدرت السور لأنها تنـزل منها منـزل ديباجة الخطبة[١]أو الكتاب فصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال[٢].

قال الطاهر: ((تهيأ لأصحاب هذه المناجاة أن يسعوا إلى طلب حظوظهم الشريفة من الهداية بعد أن حمدوا الله تعالى ووصفـوه بصفات الجلالة، ثم أتبعوا ذلك بقـولهم: (إياك نعبد وإياك نستعين)، الذي هو واسطةٌ جامع بين تمجيد الله تعالى وبين إظهار العبودية، وهي حظّ العبد بأنه عابد ومستعين، وأنه قاصر ذلك على الله تعالى، فكان ذلك واسطة بين الثّناء وبين الطلب، حتى إذا ظّنوا يِربهم الإقبال عليهم، ورجوا من فضله؛ أفْضوا إلى سؤل حظهم فقالوا: (اهدنا الصراط المستقيم) ، فهو حظ الطالبين، خاصة ِلما ينفعهم في عاجلهم وآجلهم.

فهذا هو التوجيه المناسب لكون الفاتحة بمنـزلة الديباجة للكتاب الذي أنزل هدى للناس ورحمة، فتتنـزل هاته الجملة مما قبلها منـزلة المقصد من الديباجة، أو الموضوع من الخطبة))[٣].

---

(١) ديباجة الكتاب: فاتحته. ينظر: المعجم الوسيط، (مادة دبج)، باب الدال (٢٩٢/١).

(٢) براعة الاستهلال: هو أحسن الابتداءات، وهو ما ناسب المقصود. الإيضاح في علوم البلاغة (٥٩٤/٢)؛ معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة (ص٧٠).

(٣) التحرير والتنوير (١٨٧/١).

المبحث الثالث: المناسبات في آياتها، وأثرها.

١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في البسملة فقال: ((وعندي أن البسملة كان ما يرادفها قد جرى على ألسنة الأنبياء من عهد إبراهيم عليه السلام، فهي من كلام الحنيفية، فقد حكى الله عن إبراهيم عليه السلام أنه قال لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾[(٢)]، وقال: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾[(٣)]، ومعنى الـحفي قريب من معنى الرحيم، وحكي عنه قوله: ﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(٤)]، وورد ذكر مرادفها في كتاب سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾[(٥)]. والمظنون أن سليمان عليه السلام اقتدى في افتتاح كتابه بالبسملة بسنة موروثة من عهد إبراهيم عليه السلام، جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في وارثي نبوته، وأن الله أحيا هذه السنة في الإسلام في جملة ما أوحى له من الحنيفية كما قال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾[(٦)]))[(٧)].

---

(١) الآية (١) من سورة الفاتحة.

(٢) من الآية (٤٥) من سورة مريم.

(٣) من الآية (٤٧) من سورة مريم.

(٤) من الآية (١٢٨) من سورة البقرة.

(٥) الآيتان (٣١،٣٠) من سورة النمل.

(٦) من الآية (٧٨) من سورة الحج.

(٧) التحرير والتنوير (١٥١/١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قبل أن يذكر الطاهر مناسبة افتتاح القرآن بالبسملة أورد كلام الإمام البيضاوي[١] والأستاذ محمد عبده[٢] في ذلك، وسوف أورد ما نقله عنهما إلى جانب ما ذكره الرازي؛ لإبراز رأي الطاهر في هذه المناسبة.

- قال البيضاوي: ((إن المسمي إذا قصد الاستعانة بالمعبود الحق الموصوف بأنه مولي النعم كلها جليلها ودقيقها؛ يذْكُر علَم الذات، إشارة إلى استحقاقه أن يستعان به بالذات، ثم يذكر وصف الرحمن إشارة إلى الاستعانة على الأعمال الصالحة، وهي نِعم))[٣].

- وقال الأستاذ محمد عبده: ((إن النصارى كانوا يبتدئون أدعيتهم ونحوها باسم الأب والابن والروح القدس إشارة إلى الأقانيم[٤] الثلاثة عندهم، فجاءت فاتحة كتابِ الإسلام بالرد عليهم موقظة لهم بأن الإله الواحد وإن تعددت أسماؤه فإنما هو تعدد الأوصاف دون تعدد المسميات، يعني فهو رد عليهم بتغليظ وتبليد))[٥].

---

(١) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي، له مختصر الكشاف في التفسير المسمى بأنوار التنـزيل وأسرار التأويل، وله شرح المصابيح في الحديث، كان إماما مبرزا نظارا صالحًا متعبدا زاهدا، (ت٦٨٥هـ). ينظر: طبقات المفسرين، الداوودي (١/٢٤٨)؛ طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/٢٥٤)؛ طبقات الشافعية (٢/١٧٢).

(٢) محمد عبده بن حسن خير الله، مفتي الديار المصرية في عصره، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد، ولد سنة (١٢٦٦هـ/١٨٤٩م)، ألف "تفسير القرآن الكريم" ولم يتمه، و"رسالة التوحيد" وغير ذلك من المؤلفات وتوفي بالإسكندرية سنة (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)، ودفن في القاهرة. ينظر: الأعلام (٦/٢٥٢)؛ معجم المؤلفين (٣/٤٧٤).

(٣) لم أقف على كلام البيضاوي هذا في تفسيره، ولم أقف على المصدر الذي نقل منه الطاهر.

(٤) الأقانيم: مفردها أُقنوم، وهو الجوهر والأصل، ويستعمل عند المسيحيين العرب للدلالة على الأب والابن وروح القدس. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (قنم)، باب الميم، فصل القاف (٤/٢٣٧)، مختار الصحاح، باب القاف، (ص٥٥٣)؛ المعجم الوسيط، باب القاف (٢/٧٩٨).

(٥) نقل هذا القولَ الطاهر في تفسيره ولم يعزه، ولم أقف على المصدر الذي نقل منه.

- وقال الرازي: ((﴿ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى القهر والقدرة والعلُو، ثم ذكر عقيبه ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وذلك يدلّ على أن رحمته أكثر وأكمل من قهره))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر قد أشار إلى ما أشار إليه محمد عبده من مناسبة افتتاح القرآن بالبسملة، ولم يتطرق إلى تناسب ألفاظها، فهو يرى أنها سنةٌ موروثة من عهد إبراهيم عليه السلام.

كما يتبين أنه وإن خالف الأستاذ محمد عبده إلا أنه استحسن رأيه بقوله: ((وإذا صح أنّ فواتح النصارى وأدعيتهم كانت تشتمل على ذلك -إذ الناقل أمين- فهي نكتةٌ لطيفةٌ))[٢].

فالأستاذ محمد عبده يرى أن المناسبة هي الرد على النصارى من خلال إثبات وحدانية الله تبارك وتعالى، ونفي عقيدة التثليث.

وما استدلّ به الطاهر مما ورد على لسان بعض الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يؤيد رأيه ويقويه.

أما ما ذكره البيضاوي والرازي فهو يتناول المناسبة بين ألفاظ الآية نفسها، فالبيضاوي يرى أن التناسب هنا مرتبط بالتدرج في الأسلوب ليصل المُسمي إلى المقصود من خلال أيسر الطرق، أما الرازي فهو يرى أن المناسبة هي المقابلة بين مدلول لفظ الجلالة (الله) وبين مدلول (الرحمن الرحيم).

والذي يظهر أن المناسبة هنا هي أن الله تعالى افتتح القرآن بها جريا على سنة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام والأنبياء من بعده، كما أن هناك إشارةً إلى أن البسملة هي أفضل أمرٍ يفتتح بها الإنسانُ جميع أعماله، والله تعالى أعلم.

---

(١) مفاتيح الغيب (١٦٨/١).

(٢) التحرير والتنوير (١٥١/١).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن افتتاح القرآن بالبسملة فيه دلالة على أنها أفضل مفتتح يفتتح به المسلم جميع أموره، فهي مفتاح كل أبواب الخير، وسبب في حلول البركة.

٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(١)]

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية فقال: ((فلما أراد الله أن تكون هذه السورة أُولى سور الكتاب المجيد بتوقيف النبيء ﷺ ...؛ نبه الله تعالى قُراء كتابه وفاتحي مصحفه إلى أصول هذه التزكية النفسية بما لَقّنهم أن يبتدئوا بالمناجـاة التي تضمنتها سورة الفاتحة من قولـه تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[(٢)] إلى آخر السورة.

ولما لُقّن المؤمنون هاته المناجاة البديعة التي لا يهتدي إلى الإحاطة بها في كلامه غير علام الغيوب سبحانه؛ قَدم الحمد عليها ليضعه المناجون كذلك في مناجاتهم جريا على طريقة بلغاء العرب عند مخاطبة العظماء أن يفتتحوا خطابهم إياهم وطلبهم بالثناء والذكر الجميل...

فكان افتتاح الكلام بالتحميد سنة الكتاب المجيد لكل بليغ مجيد...ولذلك شأنٌ مهم في صناعة الإنشاء، فإن تقديم المقدمة بين يدي المقصود أعون للأفهام وأدعى لوعيها))[(٣)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال البقاعي: ((بانَ سر الافتتاح من حيثُ تصديرها بالحمد جزئيا فَكُليا، كل أمر ذي بال لا يبدأُ فيه فهو أجذم))[(٤)].

---

(١) الآية (٢) من سورة الفاتحة.

(٢) الآية (٥) من سورة الفاتحة.

(٣) التحرير والتنوير (١٥٢/١).

(٤) نظم الدرر (٢٠/١). وقوله: ((كل أمر ذي بال...)) إلخ، أصله حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كُل أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأ فيه بِحمد الله فهو أَقْطَع» أخرجه النسائي في كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يستحب من الكلام عند الحاجة (١٢٧/٦)، رقم [١٠٣٢٨]؛ وابن ماجة في كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (٦١٠/١)، رقم [١٨٩٤]، والبيهقي في كتاب الجمعة، باب ما يستدل به على وجوب التحميد في خطبة الجمعة (٢٩٥/٣)، رقم [٥٧٦٨]، وابن حبان (١٧٣/١)، رقم [٢٠١]، والدارقطني في كتاب الصلاة (٥٠٢/١)، رقم [٨٧١]. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

- وقال الآلوسي[١]: ((ولما افتتح سبحانه وتعالى كتابه بالبسملة وهي نوع من الحمد؛ ناسب أن يردفها بالحمد الكُلّي الجامع لجميع أفراده، البالغ أقصى درجات الكمال، فقال جـل شأنه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢]وهو أول الفاتحة وآخر الدعوات الخاتمـة كما قال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣]))[٤].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة في هذه الآية هي التمهيد والمقدمة للطلب الذي سيأتي بعدها، جريا على طريقة بلغاء العرب عند مخاطبة العظماء، وبهذا المعنى قال البقاعي.

أما الآلوسي فيرى أن مناسبتها مرتبطة بما قبلها وهي البسملة.

والذي يظهر أن جميع ما ذُكر يصلح أن يكون مناسبة لهذه الآية الكريمة، إلاّ أن ما ذكره الطاهر والبقاعي أسرع تبادرا إلى الأذهان، وأكثر تأثرا بأسلوب البلاغة العربية التي تحدى القرآنُ الكريم أربابها، والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن افتتاح هذه السورة الكريمة بالحمد فيه دلالة على أنه لا بد لكل موضوع من مقَدمة تسبقه، وتمهد له، ولو افتتحت السورة بغير ذلك لغاب ذلك المعنى.

---

(١) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، من كتبه (روح المعاني) في التفسير، (ت ١٢٧٠هـ). ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار (١٤٥٠/٣)؛ الأعلام (١٧٦/٧).

(٢) الآية (٢) من سورة الفاتحة.

(٣) من الآية (١٠) من سورة يونس.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي (٩١/١).

٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[(١)]

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية فقال: ((وإجراء هذين الوصفين العليين على اسم الجلالة بعد وصفه بأنه رب العالمين لمناسبة ظاهرة للبليغ؛ لأنه بعد أن وصف بما هو مقتضى استحقاقه الحمد من كونه رب العالمين، أي مدبر شؤونهم، ومبلّغهم إلى كمالهم في الوجودين الجثماني والروحاني، ناسب أن يتبع ذلك بوصفه بالرحمن، أي الذي الرحمة له وصف ذاتي تصدر عنه آثاره بعموم واطراد على ما تقدم، فلما كان ربا للعالمين، وكان المربوبون ضعفاء؛ كان احتياجهم للرحمة واضحا، وكان ترقبهم إياها من الموصوف بها بالذات ناجِحا.

فإن قلت: إن الربوبية تقتضي الرحمة لأنها إبلاغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا، وذلك يجمع النعم كلها؛ فلماذا احتيج إلى ذكر كونه رحمانا؟ قلت: لأن الرحمة تتضمن أن ذلك الإبلاغ إلى الكمال لم يكن على وجه الإعنات، بل كان برعاية ما يناسب كل نوع وفرد، ويلائم طوقه واستعداده، فكانت الربوبية نعمة، والنعمة قد تحصل بضرب من الشدة والأذى، فأتبع ذلك بوصفه بالرحمن تنبيها على أن تلك النعم الجليلة وصلت إلينا بطريق الرفق واليسر ونفي الحرج، حتى في أحكام التكاليف والمناهي والزواجر فإنها مرفوقة باليسر بقدر ما لا يبطل المقصود منها، فمعظم تدبيره تعالى بنا هو رحمات ظاهرة))[(٢)].

وقد وافق الطاهر أبا حيان[(٣)]، والبقاعي في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((وبدأ أولا بالوصف بالربوبية، فإن كان الرب بمعنى السيد، أو بمعنى المالك، أو بمعنى المعبود، كان صفة فعل للموصوف بها التصريف في الـمسود

(١) الآية (٣) من سورة الفاتحة.

(٢) التحرير والتنوير (١٧٢/١).

(٣) محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي أبو حيان، ولد سنة (٦٥٤هـ)، كان إماما منتفَعا به، صنف تصانيف كثيرة من أشهرها "البحر المحيط" في التفسير توفي سنة (٧٤٥هـ). ينظر: طبقات المفسرين، الداوودي (٢٨٧/٢)؛ طبقات المفسرين، الأدنه وي (ص٢٧٨)؛ طبقات الشافعية (٦٧/٣).

والمملوك والعابد بما أراد من الخير والشر، فناسب ذلك الوصف بالرحمانية والرحيمية، لينبسط أمل العبد في العفو إن زلّ، ويقْوى رجاؤه إن هفَا...، وإن كان بمعنى المصلح، كان الوصف بالرحمة مشعرا بقلة الإصلاح، لأنّ الحامل للشخص على إصلاح حال الشخص رحمته له، ومضمون الجملة والوصف أنّ من كان موصوفًا بالربوبية والرحمة للمربوبين كان مستحقا للحمد))[(١)].

- وقال البقاعي: ((لما كانت مرتبة الربوبية لا تستجمع الصلاح إلا بالرحمة؛ أتبع ذلك بصفتي ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ترغيبا في لزوم حمده))[(٢)].

ومن هذا النقل يتبين أن جميع المفسرين متفقين في بيان هذه المناسبة.

والذي يظهر أن المناسبة في هذه الآية الكريمة هي أن الله تعالى لما ذكر الربوبية التي تقتضي التصرف والسيادة في العالم؛ عقّبها بذكر هاتين الصفتين اللتين تستلزم الرحمة الكاملة للخلق أجمعين، والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن مجيء هذين الوصفين العليين بعد صفة الرب يعطي إشارة إلى المعنى المراد بهما، فموقعهما في هذا الموضع بالذات أظهر حاجة العباد الماسة إلى رحمة الرب ﷻ.

---

(١) البحر المحيط (٣٥/١).

(٢) نظم الدرر (١٤/١).

٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية فقال: ((إتباع الأوصاف الثّلاثة المتقدمة بهذا ليس لمجرد سرد صفات من صفاته تعالى، بل هو مما أثارته الأوصاف المتقدمة، فإنه لّما وصف تعالى بأنه رب العالمين، الرحمن الرحيم، وكان ذلك مفيدا لما قدمناه من التنبيه على كمال رفقه تعالى بالمربوبين في سائر أكوانهم، ثم التنبيه بأن تصرفه تعالى في الأكوان والأطوار تصرف رحمة عند المعتبِر، وكان من جملة تلك التصرفات تصرفات الأمر والنهي المعبـر عنها بالتشريع الراجع إلى حفظ مصالح الناس عامة وخاصة، وكان معظم تلك التشريعات مشتملا على إخراج المكلّف عن داعية الهوى الذي يلائمه اتباعه، وفي نزعه عنه إرغام له ومشقةٌ؛ خيف أن تكون تلك الأوصاف المتقدمة في فاتحة الكتاب مخففًا عن المكلفين عبءَ العصيان لما أُمروا به، ومثيرا لأطماعهم في العفو عن استخفافهم بذلك، وأن يمتلكهم الطمع فيعتمدوا على ما علموا من الربوبية والرحمة المؤكدة فلا يخشوا غائلةَ الإعراض عن التكاليف؛ لذلك كان من مقتضى المقام تعقيبه بذكر أنه صاحب الحُكم في يوم الجزاء -يوم تجزى كل نفسٍ بما كسبت- لأن الجزاء على الفعل سبب في الامتثال والاجتناب لحفظ مصالح العالم، وأحيط ذلك بالوعد والوعيد، وجعلَ مصداق ذلك الجزاء يوم القيامة، ولذلك اختير هنا وصف ملك أو مالك مضافًا إلى يوم الدين))[(٢)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((ثم لما بين الرحمة المضاعفة فكأنه قال: لا تغتروا بذلك فإني مالك يوم الدين))[(٣)].

---

(١) الآية (٤) من سورة الفاتحة.

(٢) التحرير والتنوير (١٧٣/١).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٤٢/١).

- وقال أبو حيان: ((ولما اتصف تعالى بالرحمة، انبسط العبد وغلب عليه الرجاء، فنبه بصفة الـملك أو الـمالك ليكون من عمله على وجل، وأن لعمله يوما تظهر له فيه ثمرته من خير وشر))[١].

- وقال البقاعي: ((ولّما كان الرب المنعوت بالرحمة قد لا يكون مالكًا، وكانت الربوبية لا تتم إلا بالملك المفيد للعزة، المقرون بالهيبة المثمرة للبطش والقهر، المنتج لنفوذ الأمر؛ أتبع ذلك بقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[٢]ترهيبا من سطوات مجده))[٣].

ومن هذا النقل يتبين أنه لما جيء بصفتين تدلان على كمال الرحمة الإلهية؛ خيف أن يركن العباد إلى تلك الرحمة فيغلب عليهم جانب الرجاء على جانب الخوف ويحصل التقصير في حقوق الله تعالى، فأتبعت تلك الصفتان بما فيه تخويف للعباد، وتذكير لهم بيوم المعاد، ليكون رادعا لهم، وهو من باب قول الله تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾[٤]، والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن مجيء هذه الآية الكريمة في هذا الموضع يعطي لنا معنى يفيد إعادة التوازن إلى السلوك الإنساني إذا انحرف عن جادة الطريق، وكبح جماح النفس، وتحذيرها من الركون المطلق إلى الرحمة الإلهية؛ إصلاحا لها، وحفاظًا عليها.

---

(١) البحر المحيط (٤٠/١).
(٢) الآية (٤) من سورة الفاتحة.
(٣) نظم الدرر (١٤/١).
(٤) الآيتان (٤٩، ٥٠) من سورة الحجر.

٥- المناسبات في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- ثلاث مناسبات في هذه الآية الكريمة.

المناسبة الأولى: مناسبة الآية لما قبلها، حيث قال: ((فإنّ الحامد لّما حمد الله تعالى، ووصفه بعظيم الصفات؛ بلغت به الفكرة منتهاها، فتخيل نفسه في حضرة الربوبية، فخاطب ربه بالإقبال))[٢].

المناسبة الثانية: مناسبة الإتيان بضمير المتكلم، حيث قال: ((وفي العدول عن ضمير الواحد إلى الإتيان بضمير المتكلم المشارك الدلالة على أن هذه المحامد صادرة من جماعات ففيه إغاظة للمشركين، إذ يعلمون أن المسلمين صاروا في عزة ومنعة؛ ولأنه أبلغ في الثّناء من (أعبد) و(أستعين)؛ لئلا تخلو المناجاة عن ثناء، أيضا بأن المحمود المعبود المستعان قد شهد له الجماعات وعرفوا فضله...فكأن الحامد لما انتقل من الحمد إلى المناجاة لم يغادر فرصة يقتنص منها الثناء إلا انتهزها))[٣].

المناسبة الثالثة: مناسبة تقديم قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ حيث قال: ((ووجه تقديم قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على قـوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أن العبادة تقرب للخالق تعالى، فهي أجدر بالتقديم في المناجاة، وأما الاستعانة فهي لنفع المخلوق للتيسير عليه، فناسب أن يقدم المناجي ما هو من عزمه وصنعه على ما يسأله مما يعين على ذلك، ولأن الاستعانة بالله تتركب على كونه معبودا للمستعين به، ولأن من جملة ما تطلب الإعانة عليه العبادة فكانت متقدمة على الاستعانة في التعقل، وقد حصل من ذلك التقديم أيضا إيفاء حق فواصل السورة المبنية على الحرف الساكن المتماثل أو القريب في مخرج اللسان))[٤].

---

(١) الآية (٥) من سورة الفاتحة.

(٢) التحرير والتنوير (١٧٩/١).

(٣) المصدر نفسه (١٨٦/١).

(٤) المصدر نفسه (١٨٦/١).

أقوال المفسرين في مناسبات هذه الآية:

- قال الرازي في حديثه عن المناسبة الأولى: ((فائدة الانتقال من لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب فيه وجوه:

الأول: أن المصلي كان أجنبيا عند الشروع في الصلاة، فلا جرم أثنى على الله بألفاظ المغايبة إلى قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾، ثم إنه تعالى كأنه يقول له حمدتني وأقررت بكوني إلـهـا ربا رحمانا رحيما مالكًا ليوم الدين، فنِعم العبد أنت، قد رفعنا الحجاب، وأبدلنا البعد بالقرب، فتكلم بالمخاطبة وقل: ﴿إياك نعبد﴾.

الوجه الثاني: أن أحسن السؤال ما وقع على سبيل المشافهة، ألا ترى أن الأنبياء عليهم السلام لما سألوا ربهم شافهوه بالسؤال؟

الوجه الثالث: أن من أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾ ثناء، والثناء في الغيبة أولى، ومن قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ إلى آخر السورة دعاء، والدعاء في الحضور أولى))[1].

أما حديثه عن المناسبة الثانية فقال: ((لو قال إياك أعبد لكان ذلك تكبرا، ومعناه أني أنا العابد، أما لما قال إياك نعبد كان معناه أني واحد من عبيدك، فالأول تكبر، والثاني تواضع، ومن تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله))[2].

وأما حديثه عن المناسبة الثالثة فقال: ((وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يقتضي حصول رتبة عظيمة للنفس بعبادة الله تعالى، وذلك يورث العجب فأردف بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ليدل ذلك على أن تلك الرتبة الحاصلة بسبب العبادة ما حصلت من قـوة العبد، بل إنما حصلت بإعانـة الله، فالمقصود من ذكر قولـه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إزالة العجب وإفناء تلك النخوة والكبر))[3].

(١) مفاتيح الغيب (٢٥٢/١).
(٢) المصدر نفسه (٢٤٧/١).
(٣) المصدر نفسه (٢٥٤/١).

- وقال أبو حيان في المناسبة الأولى: ((وفائدة الالتفات في (إياك نعبد) أنه لما ذكر أن الحمد لله المتصف بالربوبية والرحمة والملك لليوم المذكور؛ أقبل الحامد مخبِرا بأثر ذكره الحمد المستقر له منه ومن غيره، أنه وغيره يعبده ويخضع له))[١].

أما في المناسبة الثانية فقال: ((وكذلك أتى بالنون التي تكون له ولغيره، فكما أن الحمد يستغرق الحامدين، كذلك العبادة تستغرق المتكلم وغيره...ولأنه ذكر ذلك توطئة للدعاء في قوله: ﴿اهدنا﴾))[٢].

وأما في المناسبة الثالثة فقال: ((وقُدمت العبادة على الاستعانة لتقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة لتحصل الإجابة إليها))[٣].

- وقال ابن عادل الحنبلي[٤]: ((وقَدم العبادةَ على الاستعانة؛ لأنها وصلةٌ لطلب الحاجة))[٥].

ومن هذا النقل يتبين من كلام أهل التفسير أن في هذه الآية أكثر من مناسبة.

فالمناسبة الأولى: الالتفات في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[٦]، فهو التفات من الغيبة إلى الحضور، فالعبد لما أثنى على الله تعالى في غيبته، تخيل كأنه في حضرة المولى ﷻ فخاطبه مباشرة بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

وهذا المناسبة وافق الطاهر فيها الرازي وأبا حيان.

---

(١) البحر المحيط (٤٢/١).

(٢) المصدر نفسه (٤٢/١).

(٣) المصدر نفسه (٤٢/١).

(٤) عمر بن علي، الشهير بابن عادل، الحنبلي الدمشقي، إمام علامة مفسر فاضل، صنف تفسير (اللباب في علوم الكتاب)، كانت وفاته بعد (٨٨٠هـ). ينظر: طبقات المفسرين، الأدنه وي (ص٤١٨)؛ الأعلام (٥٨/٥).

(٥) تفسير اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل (٢٠١/١).

(٦) الآية (٥) من سورة الفاتحة.

والمناسبة الثانية: مناسبة مجي النون في (نعبد) بدلا من (أعبد).

فالطاهر يرى أن المناسبة هي الدلالة على الجماعة لإغاظة المشركين، والإشارة إلى أن الجماعات تشهد لله تعالى بالفضل وتثني عليه، إلى جانب مراعاة الفواصل، وبنحوه قال أبو حيان، وزاد أن هناك توطئةً للدعاء الذي يأتي بعد هذه الآية الكريمة.

والرازي يرى أن التعبير بـ (أعبد) فيه تكبر، أما التعبير بـ (نعبد) ففيه تواضع.

والذي يظهر أن رأي الطاهر في هذه المناسبة أولى، لأن المشركين كانوا يصابون بالغيظ الشديد كلما رأوا الناس يدخلون في الإسلام، وكلما رأوا أن عدد المسلمين في ازدياد. والله تعالى أعلم.

والمناسبة الثالثة: تقديم (إياك نعبد) على (إياك نستعين).

فالطاهر -رحمه الله- يرى أن المناسبة في ذلك هي أن العبادة تقرب للخالق سبحانه وتعالى، أما الاستعانة فهي نفع للمخلوق، إلى جانب مراعاة الفواصل، لذلك قُدمت العبادة على الاستعانة، وبهذا المعنى قال أبو حيان وابن عادل.

أما الرازي فيرى أن المناسبة هي إزالة العجب من نفس العبد، لأن قول: (إياك نعبد) يورث العجب ولإزالته أردف بالقول: (وإياك نستعين).

والذي يظهر من هذا النقل أن جميع ما ذكره المفسرون يصلح أن يكون مناسبة لتقديم العبادة على الاستعانة، لأن كل مناسبة تؤدي إلى معنى مقبول، والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هذه الآية يراد بها حصر العبادة والاستعانة على الله ﷻ مع تقرب العبد إليه بالثناء المصحوب بالتذلل والتواضع والخضوع، بحيث يستشعر قربه من ربه ﷻ استشعارا يقوي إيمانه به، ويشد من عزمه على أداء ما فرضه الله تبارك وتعالى عليه، كما أن هناك إشارةً إلى أهمّية الجماعة، وأنها علامة من علامات العزة والقوة، وبالمقابل خطورة التشرذم والتفرق.

٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية فقال: ((تهيأ لأصحاب هذه المناجاة أن يسعوا إلى طلب حظوظهم الشريفة من الهداية بعد أن حمدوا الله تعالى ووصفوه بصفات الجلالة، ثم أتبعوا ذلك بقولهم: (إياك نعبد وإياك نستعين)، الذي هو واسطةٌ جامع بين تمجيد الله تعالى وبين إظهار العبودية، وهي حظّ العبد بأنه عابد ومستعين، وأنه قاصر ذلك على الله تعالى، فكان ذلك واسطة بين الثّناء وبين الطلب، حتى إذا ظنّوا بِربهم الإقبال عليهم، ورجوا من فضله؛ أفْضوا إلى سؤل حظهم فقالوا: (اهدنا الصراط المستقيم) ، فهو حظ الطالبين، خاصة ِلما ينفعهم في عاجلهم وآجلهم.

فهذا هو التوجيه المناسب لكون الفاتحة بمنـزلة الديباجة للكتاب الذي أنزل هدى للناس ورحمة، فتتنـزل هاته الجملة مما قبلها منـزلة المقصد من الديباجة، أو الموضوع من الخطبة، أو التخلص[(٢)]من القصيدة، ولاختلاف الجمل المتقدمة معها بالخبرية والإنشائية فصلت هذه عنهن، وهذا أولى في التوجيه من جعلها جوابا لسؤال مقَدر على ما ذهب إليه صاحب الكشاف[(٣)]))[(٤)].

وقد وافق الطاهر الرازي في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أنهما متفقان في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((ولـما تم الوفاء بعهد الربوبية، وبعهد العبودية؛ ترتب عليه طلب الفائدة والثمرة، وهو قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[(٥)]، وهذا ترتيب شريف رفيع عالٍ يمتنع في العقول حصول ترتيبٍ آخر أشرف منه))[(٦)].

---

(١) الآية (٦) من سورة الفاتحة.

(٢) التخلص: هو حسن الانتقال من المقدمة إلى الموضوع الرئيس في الكلام. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٥٩٦/٢).

(٣) قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: ((كأنه قيل: كيف أعينكم؟ فقالوا: اهدنا الصراط المستقيم)). الكشاف: (١٢٠/١).

(٤) التحرير والتنوير (١٨٧/١).

(٥) الآية (٦) من سورة الفاتحة.

(٦) مفاتيح الغيب (٢٥٢/١).

وخالف هذا الرأي البقاعي فقال: ((فلما أشرق واستنار، وعرف مواقع الأسرار بالأقدار، كأنه قيل له: ماذا تطلب؟ وفي أي مذهبٍ تذهب؟ فقال: اهدنا الصراط المستقيم))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة في هذه الآية هي أن طلب الهداية هو النتيجة والثمرة للإقرار بالربوبية والألوهية، فإن العبد لما أقر بربوبية الله تعالى، وأفرده بالعبادة، حق له أن يسأله وأن يدعوه، والله تعالى أعلم.

كما أن ما أورده البقاعي ووافق فيه صاحب الكشاف يصلح أن يكون مناسبة أيضاً من وجه. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن مجيء هذه الآية في هذا الموضع يدل على أن الطلب لا بد أن تسبقه مقدمة وتمهيد، وفي هذا تعليم وتأديب للمؤمنين.

وينطبق ذلك أيضا على افتتاح الدعاء بالحمد والثناء على الله تعالى، والصلاة والسلام على الرسول ﷺ قبل الطلب والسؤال.

---

(١) نظم الدرر (١٩/١).

الفصل الثاني

سورة البقرة

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول: وجه تسميتها.
- المبحث الثاني: أغراضها.
- المبحث الثالث: تناسب آياتها، وأثره.

المبحث الأول: وجه تسميتها

ذكر الطاهر -رحمه الله- وجه تسمية سورة البقرة بهذا الاسم قبل أن يشرع في تفسير آياتها، حيث قال: ((ووجه تسميتها أنها ذُكرت فيها قصةُ البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها لتكون آية، ووصف سوءَ فهمهم لذلك، وهي مما انفردت به هذه السورة بذكره.

وعندي أنها أضيفت إلى قصة البقرة تمييزا لها عن السور آل (الٓمٓ)[1] من الحروف المقطعة؛ لأنهم كانوا ربما جعلوا تلك الحروف المقطعة أسماءً للسور الواقعة هي فيها، وعرفوها بها نحو: طه، ويس، وص))[2].

من خلال ما سبق يتبين أن الطاهر يرجح أن وجـه تسميتها بسورة البقرة هو تمييزها عن السـور آل (الٓمٓ) على قول من يرى أن تلك الحروف أسماءٌ للسورِ الواقعة فيها.

والذي يظهر أن وجه تسميتها بهذا الاسم هو ذكر قصة البقرة فيها، وعجيب الحكمة منها، وغرابةُ أحداثها، وأضيفت إلى هذه القصة دون القَصصِ الأخرى التي وردت في السورة لما حوته من أحداث مثيرة، وجدال بني إسرائيل المتواصل مع موسى ﵇، ثم ارتباطها بقصة القتيل، وما فيها من إظهارٍ للحق، وإثبات لقدرة الخالق ﷻ. والله تعالى أعلم.

---

(١) سور آل (الٓمٓ) هي السور التي افتتحت بهذه الحروف المقطعة وهي سورة البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة.

(٢) التحرير والتنوير (٢٠١/١).

المبحث الثاني: أغراضها

تنقسم أغراض سورة البقرة إلى قسمين:

■ **القسم الأول:** قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه، وعلو هديه.

وتندرج تحت هذا القسم الأغراض الآتية:

▫ الابتداء بالرمز إلى تحدي العرب المعاندين تحديا إجماليا بحروف التهجي المفتتح بها، رمزا يقتضي استشرافهم لما يرد بعده، وانتظارهم لبيان مقصده.

▫ التنويه بشأن القرآن، فتحول الرمز إيماءً له أشد وقْعٍ على نفوس المشركين.

▫ تصنيف الناس تجاه تلقيهم هذا الكتاب وانتفاعهم بهديه إلى أربعة أصناف:

الصنف الأول: المؤمنون، وابتدئ بهم لأنهم أخص الأصناف انتفاعا بهديه.

الصنف الثاني: المشركون، وثُنِي بهم لأنهم أشد الأصناف عنادا وحقدا.

الصنف الثالث: المنافقون، وخصوا بالإطناب تشويها لنفاقهم، وإعلانا لدخائلهم.

الصنف الرابع: أهل الكتاب، وهم أشد الناس مقاومةً لهدي القرآن، وأنفذ الفرق قولا في عامة العرب، لأنهم كانوا أهل علمٍ في زمانهم، فكانوا مظنة اقتداء العامة لهم، ولذلك أطنب القرآن في تذكيرهم بنعم الله، وأيامه لهم.

▫ قَرنُ اليهود والنصارى والمشركين في حسدهم المسلمين، والسخط على الشريعة الجديدة ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[2].

▫ ذكر الخلاف بين اليهود والنصارى، وادعاء كل فريقٍ أنه هو المحق[3].

---

(١) من الآية (١٠٥) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (١١٢) من سورة البقرة.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢٠٣/١).

▫ التنويه بأن المشركين هم أظلم هؤلاء الأصناف الثلاثة؛ لأنهم منعوا المسلمين من ذكر الله في المسجد الحرام، وسعوا بذلك في خرابه، وأنهم تشابهوا في ذلك هم واليهود والنصارى، واتحدوا في كراهية الإسلام.

▫ ذكر فضائل المسجد الحرام، وبانيه، ودعوته لذريته بالهدى، والاحتراز عن إجابتها في الذين كفروا منهم، وأن الإسلام على أساس ملة إبراهيم عليه السلام وهو التوحيد.

▫ التنويه بأن اليهودية والنصرانية ليستا ملة إبراهيم عليه السلام، وذُكروا بأن نسخ الشرائع هو لصلاح الأمم، وأنه لا يِدع في نسخ شريعة التوراة أو الإنجيل بما هو خير منهما.

▫ محاجة المشركين بالاستدلال بآثار صنعة الله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ﴾[1]الآية، ومحاجة المشركين في يوم يتبرؤون فيه من قادتهم.

▫ إبطال مزاعم دين الفريقين فيما حرموه من المأكولات[2].

■ **القسم الثاني:** قسم تشريعات الإسلام، ويندرج تحت هذا القسم غرضان:

▫ التشريعات الإسلامية إجمالا، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾[3].

▫ التشريعات الإسلامية تفصيلا، وتمثلت في القصاص، والوصية، والصيام، والاعتكاف، والحج، والجهاد، ونظام المعاشرة والعائلة، والمعاملات المالية، والإنفاق في سبيل الله، والصدقات، والمسكرات، واليتامى، والمواريث، والبيوع، والربا،

---

(١) من الآية (١٦٤) من سورة البقرة.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٠٤/١).

(٣) من الآية (١٧٧) من سورة البقرة.

والديون، والإشهاد، والرهن، والنكاح، وأحكام النساء، والعدة، والطلاق، والرضاع، والنفقات، والأيمان[٤].

وختمت السورة بالدعاء المتضمن لخصائص الشريعة الإسلامية، وذلك من جوامع الكلم، فكان هذا الختام تذييلا وفذلكةً[٥] ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾[٦] الآيات.

وختم الطاهر حديثه عن أغراض السورة بقوله: ((وكانت في خلال ذلك كله أغراض شتى، سبقت في معرض الاستطراد[٧]في متفَرق المناسبات، تجديدا لنشاط القارئ والسامع، كما يسفر وجه الشمس إثر نزول الغيوث الهوامع[٨]، وتخرج بوادر الزهرِ عقب الرعود القوارع، من تمجيد الله وصفاته ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٩]، ورحمته وسماحة الإسلام، وضربِ أمثالٍ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾[١٠]، واستحضارِ نظائر ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾[١١]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾[١٢]، وعلمٍ وحكمة، ومعاني الإيمان والإسلام، وتثبيت المسلمين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟

---

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٢٠٥/١).

(٥) الفَذلَكَة: كلمة محدَثة تعني مجمل ما فُصل وخلاصته، وهي منحوتة من (فلذلك). ينظر: المعجم الوسيط، باب الفاء (٧١١/٢).

(٦) من الآية (٢٨٤) من سورة البقرة.

(٧) الاستطراد: هو أن يكون المتكلم في معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط أو الإخبار أو غير ذلك إلى معنى آخر متصل به. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين القزويني (٤٩٥/١)، نهاية الأرب في فنون الأدب (١١٩/٧).

(٨) هوامع: جمع همع، والهمع الماطر. ينظر: القاموس المحيط، مادة (همع)، باب العين، فصل الهاء (١٣٢/٣)؛ المعجم الوسيط، باب الهاء (١٠٣٦/٢).

(٩) من الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.

(١٠) من الآية (١٩) من سورة البقرة.

(١١) من الآية (٧٤) من سورة البقرة.

(١٢) من الآية (٢٤٣) من سورة البقرة.

بِٱلصَّبۡرِ﴾[١]، والكمالات الأصلية، والمزايا التحسينية، وأخذ الأعمال والمعاني من حقائقها وفوائدها لا من هيئاتها، وعدمِ الاعتداد بالمصطلحات إذا لم ترمِ إلى غايات ﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾[٢]، ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ﴾[٣]، ﴿وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[٤]، والنظرِ والاستدلال، ونظامِ الحاجة، وأخبارِ الأمم الماضية، والرسل وتفاضلهم، واختلاف الشرائع))[٥].

---

(١) من الآية (١٥٣) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (١٨٩) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (١٧٧) من سورة البقرة.

(٤) من الآية (٢١٧) من سورة البقرة.

(٥) التحرير والتنوير (٢٠٥/١).

المبحث الثالث: المناسبات في آياتها، وأثرها.

٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((وتظهر المناسبة لوقوعهـا في فواتح السور أن كل سورة مقصودة بالإعجاز؛ لأن الله تعالى يقـول: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[٢]، فناسب افتتاح ما به الإعجاز بالتمهيد لمحاولته، ويؤيد هذا القول أن التهجي ظاهر في هذا المقصد، فلذلك لم يسألوا عنه لظهور أمره، وأن التهجي معروف عندهم للتعليم، فإذا ذُكرت حروف الهجاء على تلك الكيفية المعهودة في التعليم في مقامٍ غير صالح للتعليم؛ عرف السامعون أنهم عوملوا معاملة المتعلم؛ لأن حالهم كحاله في العجزِ عن الإتيان بكلام بليغ))[٣].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((قال الـمبرد[٤]: إن الله تعالى إنما ذكرها احتجاجا على الكفار، وذلك أن الرسول ﷺ لما تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن، أو بعشر سور، أو بسورة واحدة، فعجزوا عنه؛ أنزلت هذه الحروف تنبيها على أن القرآن ليس إلا من هذه الحروف، وأنتم قادرون عليها، وعارفون بقوانين الفصاحة، فكان يجب أن تأتوا بمثل هذا القرآن، فلما عجزتم عنه دل ذلك على أنه من عند الله لا من البشر.

إن التكلم بهذه الحروف، وإن كان معتادا لكل أحد، إلا أن كونها مسماةً بهذه الأسماء لا يعرفه إلا من اشتغل بالتعلم والاستفادة، فلما أخبر الرسول عليه السلام عنها

---

(١) الآية (١) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢٣) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٢١٢/١).

(٤) المبرد: هو محمد بن يزيد الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبـرد، إمام العربية في زمانه (ت٢٨٦هـ)، وقيل (٢٨٥هـ)، ينظر: طبقات النحاة واللغويين، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ص٢٨٠)؛ إنباه الرواة على أنباه النحاة، أبو الحسن علي القفطي (٢٤١/٣)؛ وفيات الأعيان (٣١٣/٤).

من غير سبقِ تعلمٍ واستفادة؛ كان ذلك إخبارا عن الغيب؛ فلهذا السبب قدم الله تعالى ذكرها ليكون أولُ ما يسمع من هذه السورة معجزةً دالةً على صدقه))[(١)].

- وقال أبو حيان: ((إن المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن بمكة؛ نزلت ليستغربوها فيفتحون لها أسماعهم، فيستمعون القرآن بعدها، فتجب عليهم الـحجة))[(٢)].

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي حيث قال: ((إن الله تعالى إنما ذكرها احتجاجا على الكُفار، وذلك أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- لما تحداهم أن يأتوا بِمِثْلِ القرآن، أو بِعشرِ سورٍ، أو بسورة، فعجزوا عنه؛ أُنزِلَت هذه الأحرف تنبيها على أن القرآن ليس إلاّ من هذه الأحرف، وأنتم قادرون عليها، وعارفون بقوانين الفَصاحة، فكان يجب أن تأتوا بِمثل هذا القرآن، فلما عجزتم عنه دلّ ذلك على أنه من عند الله لا من البشر)) [(٣)].

- وقال البقاعي: ((ولما كان معنى (الٓمٓ) هذا كتاب من جنس حروفكم التي قد فُقتم في التكلم بها سائر الخلق، فما عجزتم عن الإتيان بسورة من مثله إلا لأنه كلام الله؛ أنتج ذلك كماله))[(٤)].

- وقال الآلوسي: ((وأيضا افتتاح هذه السورة بالمبهم ثم تعقيبه بالواضح فيه أتم مناسبة لقصة البقرة التي سميت السورة بها))[(٥)].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة في افتتاح السورة بهذه الحروف المقطعة هو تعجيز الكفار عن الإتيان بمثل هذا القرآن الكريم الذي هو من جِنس تلك الحروف.

وبهذا المعنى قال الرازي، وابن عادل الحنبلي، والبقاعي.

---

(١) مفاتيح الغيب (٦/٢).

(٢) البحر المحيط (٥٩/١).

(٣) اللباب (٢٥٨/١).

(٤) نظم الدرر (٣٣/١).

(٥) روح المعاني (١٤٠/١).

أما أبو حيان فيرى أن المناسبة هي لفت انتباه المشركين وجعلهم في حالة من الذهول والاستغراب، ليلتفتوا إلى ما يتلى عليهم فتقوم عليهم الحجة.

وأما الآلوسي فيرى أن المناسبة في افتتاح السورة بالمبهم ثم تعقيبه بالواضح هي مناسبة لقصة البقرة التي وردت في السورة، حيث اكتنفها الإبهام والغموض في بدايتها، ثم أُعقبت بالإيضاح والبيان، ومستنده في ذلك أنه يرى أن الحروف المقطعة من المتشابه.

ومن خلال استعراض الأقوال السابقة يظهر أن المناسبة في افتتاح هذه السورة الكريمة بالحروف المقطعة هو لفت انتباه المشركين، وشد أذهانهم إلى القرآن الكريم المؤلف من هذه الحروف التي يستعملونها في كلامهم؛ لكي يثْبت عجزهم التام عن الإتيان بمثله. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن المعنى المراد من هذه الأحرف المقطعة هو التحدي الذي واجه القرآنُ الكريم به المشركين وعجزوا عن الإتيان بمثله، وهناك إشارة إلى أن تحديهم جاء وما يتناسب مع المجال الذي برعوا فيه، وهو البلاغة والفصاحة.

٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((فلا جرم أن كانت الإشارة في الآية باستعمال اسم الإشارة للبعيد لإظهار رفعة شأن هذا القرآن لجعله بعيد المنـزلة، وقد شاع في الكلام البليغ تمثيل الأمر الشريف بالشيء المرفوع في عزة المنال؛ لأن الشيء النفيس عزيز على أهله، فمن العادة أن يجعلوه في المرتفعات صونا له عن الدروس[٢]، وتناول كثرة الأيدي والابتذال، فالكتاب هنا لما ذُكر في مقام التحدي بمعارضته بما دلّت عليه حروف التهجي في (الٓمٓ)؛ كان كالشيء العزيز المنال بالنسبة إلى تناولهم إياه بالمعارضة، أو لأنه لصدق معانيه، ونفع إرشاده، بعيد عمن يتناوله بِهجر القول[٣]، كقولهم: (افتراه) وقولهم: (أساطير الأولين)))[٤].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: **((**إن القرآن لما اشتمل على حكمٍ عظيمة، وعلومٍ كثيرة، يتعسر اطّلاع القُوة البشرية عليها بأسرها، والقرآن وإن كان حاضرا نظرا إلى صورته، لكنه غائب نظرا إلى أسراره وحقائقه؛ فجاز أن يشار إليه كما يشار إلى البعيد الغائب))[٥].

الغائب))[٥].

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((وإنما جيء هنا بإشارة البعيد تعظيما للمشار إليه، أو لأنه لما نزل من السماء إلى الأرض أشير بإشارة البعيد، أو لأنه كان موجودا بنبيه عليه الصلاة والسلام، أو أنه أشير به إلى ما قضاه وقدره في اللوح المحفوظ))[٦].

---

(١) الآية (٢) من سورة البقرة.

(٢) الدروس: مصدر الفعل درس، أي: انطمس، وذهب أثره، وتقادم عهده. ينظر: القاموس المحيط، مادة (درس)، باب السين، فصل الدال (٣٣٩/٢)؛ المعجم الوسيط، باب الدال (٣٠٣/١).

(٣) الـهجر: الاستهزاء، والقبيح من القول. ينظر: القاموس المحيط، مادة (هجر)، باب الراء، فصل الهاء (٢٥٦/٢)؛ المعجم الوسيط، باب الهاء (١٠١٤/٢).

(٤) التحرير والتنوير (٢٢٠/١).

(٥) مفاتيح الغيب (١٣/٢).

(٦) اللباب (٢٦١/١).

- وقال البقاعي: ((فأشير إليه بأداة البعد، ولام الكمال في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ لعلو مقداره بجلالة آثاره، وبعد رتبته عن نيل المطرودين))[١].

- وقال الآلوسي: ((الإشارة بذلك للتعظيم...، أو لأنه لما نزل عن حضرة الربوبية وصار بحضرتنا بعد، ومن أعطى غيره شيئًا، أو أوصله إليه، أو لاحظ وصوله؛ عبر عنه بذلك؛ لأنه بانفصاله عنه بعيد أو في حكمه، وقد قيل: كل ما ليس في يديك بعيد))[٢].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة في استخدام اسم الإشارة الذي للبعيد في (ذلك) هي إظهار رفعة شأن القرآن الكريم؛ لجَـعله بعيد المنـزلة، وجعله كالشيء البعيد المنال في معارضة المشركين له.

أما الرازي فيرى أن المناسبة هي الإشارة إلى غياب أسراره وحقائقه، وحكمه وعلومه.

وأما ابن عادل الحنبلي فيرى أنه يصلح أن تكون هناك أكثر من مناسبة في استخدام لام البعد.

فيرى أن المناسبة قد تكون التعظيم، وقد تكون الإشارة إلى نزول القرآن الكريم من السماء إلى الأرض، وقد تكون الإشارة إلى وجود القرآن بوجود الرسول ﷺ.

وهذا بعيد، فالقرآن موجود منذ الأزل، ومحفوظٌ بوجوده عليه الصلاة والسلام، وبعد وفاته، وقد تكون الإشارة إلى ما قضاه الله تعالى وقدره في اللوح المحفوظ.

وأما البقاعي فيرى أن المناسبة هي الإشارة إلى تعظيم القرآن الكريم.

وأما الآلوسي فيرى أنه يمكن أن تكون هناك مناسبتين، فالأولى التعظيم، والثانية الإشارة إلى انتقال الكتاب من حضرة الربوبية إلى حضرة البشرية.

---

(١) نظم الدرر (٣٣/١).

(٢) روح المعاني (١٤٣/١).

ومن خلال استعراض الأقوال السابقة يتبين أن بعضها لم يخلُ من تكلّف بين وواضح في بيان هذه المناسبة، والذي يظهر أن ما ذكره الطاهر هو الأنسب والأوفق، كونه يرتبط ارتباطًا مباشرا بالمناسبة التي ذكرها في الآية الأولى، حيثُ اكتملت الصورة، وصارت أقرب إلى الأفهام، وأنسب في ربط مقصود الكلام، فإن الله تعالى بعد أن تحداهم بأن يأتوا بمثل القرآن وعجزوا، رفع من شأن القرآن وعظمه، وبين أنه بعيد عن محاولاتهم اليائسة، والرامية إلى الإساءة إليه، والإنقاص من قدره. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن المعنى المراد من لام البعد في قوله: (ذلك) هو تعظيم شأن القرآن الكريم، والكناية عن بعده عن كيد الكائدين، وهناك إشارة إلى أن القرآن لن يستطيع أحد من المغرضين تحريفه، أو التشكيك فيه، والإشارة بذلك في أول القرآن يتمكن من النفس أي تمكن.

٩- المناسبات في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- في هذه الآية الكريمة مناسبتين:

المناسبة الأولى: مناسبة عطف الاسم الموصول على الموصول قبله، حيث قال: ((ولما كان قصد تخصيصهم بالذكر يستلزم عطفهم، وكان العطف بدون تنبيه على أنهم فريق آخر يوهم أن القرآن لا يهدي إلا الذين آمنوا بما أنزل من قبل، لأن هذه خاتمة الصفات فهي مرادة، فَيظَن أن الذين آمنوا عن شرك لا حظ لهم من هذا الثناء، وكيف وفيهم من خيرة المؤمنين من الصحابة؟ وهم أشد اتقاءً واهتداءً، إذ لم يكونوا أهلَ ترقبٍ لبعثة رسول من قبل، فاهتداؤهم نشأ عن توفيق رباني؛ دفع هذا الإيهام بإعادة الموصول ليؤذنَ بأن هؤلاء فريق آخر غير الفريق الذي أجريت عليهم الصفات الثلاث الأُول))[٢].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((فلما كانت هذه السورة مدنية، وقد شرف الله تعالى المسلمين بقوله: ﴿هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[٣]، فذكر بعد ذلك أهلَ الكتاب الذين آمنوا بالرسول ﷺ...بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾؛ لأن في هذا التخصيص بالذكر مزيد تشريف لهم، كما في قوله تعالى:﴿مَن

---

(١) الآية (٤) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٢٣٧/١).

(٣) الآيتان (٣،٢) من سورة البقرة.

كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾[(١)]...، فهذا هو السبب في ذكر هذا الخاص بعد ذلك العام))[(٢)].

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي، حيث قال: ((واعلم أن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[(٣)]عام يتناول كل من آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام، سواء كان قبل ذلك مؤمنا بموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، أو لم يكن مؤمنا بهما، ثم ذكر بعد ذلك هذه الآية وهي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾[(٤)]يعني: التوراة والإنجيل؛ لأن في هذا التخصيص مزيد تشريف لهم كما في قوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾...، فهذا هو السبب في ذكر هذا الخاص بعد ذكر العام))[(٥)].

- وقال البقاعي: ((ولما وصفهم بالإيمان جملةً أشار إلى تفصيله على وجه يدخل فيه أهل الكتاب دخولا أوليا فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾))[(٦)].

- وقال الآلوسي: ((عطف على الموصول الأول مفصولا[(٧)] وموصولا[(٨)]...وحيث وموصولا[(٨)]...وحيث إن المتبادر من العطف أن الإيمان بكل من المـنـزلَين على طريق الاستقلال؛ اختص ذلك بمؤمني أهل الكتاب؛ لأن إيمان غيرهم بما أنزل من قبل إنما هو على طريق الإجمال والتبع للإيمان بالقرآن، لا سيما في مقام المدح))[(٩)].

---

(١) من الآية (٩٨) من سورة البقرة.

(٢) مفاتيح الغيب (٣١/٢).

(٣) الآية (٣) من سورة البقرة.

(٤) الآية (٤) من سورة البقرة.

(٥) تفسير اللباب (٢٩٩/١).

(٦) نظم الدرر (٣٥/١).

(٧) أي مفصولٌ عن لفظ (للمتقين).

(٨) أي موصولٌ بلفظ (للمتقين) على أنه صفة للمتقين منصوب على المدح، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: (هم الذين).

(٩) روح المعاني (١٦٢/١).

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة هنا هي تخصيص مؤمني أهل الكتاب بالذكر، تشريفًا وتكريما لهم، وسعيا إلى ترسيخ محبة الإسلام في نفوسهم، بعد أن شرف المسلمين بِذكرِهم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن المراد بالذين وصفوا بالصفات الثلاث الأُول هم الذين آمنوا بعد أن كانوا مشركين، ويفهم ذلك من المقابلة، وعطف عليهم بمؤمني أهل الكتاب تخصيصا لهم من جانب، وتطمينا لمن آمن بعد شرك أن لهم حظا من الثناء من جانبٍ آخر.

المناسبة الثانية: مناسبة استخدام لفظ ﴿يوقنون﴾ عند ذكر الآخرة، حيث قال الطاهر: ((فالتعبير عن إيمانهم بالآخرة بمادة الإيقان؛ لأن هاته المادة تشعر بأنه علم حاصل عن تأملٍ، وغَوصِ الفكر في طريق الاستدلال، لأن الآخرة لما كانت حياةً غائبةً عن المشاهدة، غريبةً بحسب المتعارف، وقد كثرت الشبه التي جرت المشركين والدهريين على نفيها وإحالتها؛ كان الإيمان بها جديرا بمادة الإيقان، بناء على أنه أخص من الإيمان، فَلإيثارِ ﴿يوقنون﴾ هنا خصوصيةٌ مناسبةٌ لبلاغة القرآن، والذين جعلوا الإيقان والإيمان مترادفَين جعلوا ذكر الإيقان هنا لمجرد التفننِ تجنبا لإعادة لفظ: ﴿يؤمنون﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾[1]))[2].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((وغَاير بين الإيمان بالـمنـزلِ، والإيمان بالآخرة في اللفظ لزوال كلفة التكرار، وكان الإيقان هو الذي خص بالآخرة لكثرة غرائب متعلقات الآخرة، وما أُعد فيها من الثواب والعقاب السرمديين، وتفصيل أنواع التنعيم

(١) من الآية (٤) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (١/٢٤٠).

والتعذيب، ونشأة أصحابها، على خلاف النشأة الدنيوية، ورؤية الله تعالى، فالآخرة أغرب في الإيمان بالغيب من الكتاب المنزل، فلذلك خص بلفظ الإيقان، ولأن المنزلَ إلى الرسول ﷺ مشاهد أو كالمشاهد، والآخرة غَيب صرف، فَناسب تعليق اليقين بما كان غيبا صرفًا))[١].

- وقال البقاعي: ((ولما كان الإيمان بالبعث من الدين بمكان عظيمٍ جِدا؛ بينه بالتقديم إظهارا لمزيد الاهتمام فقال: (وبالآخرة) أي التي هي دار الجزاء، ومحل التجلي، وكشف الغطاء، ونتيجة الأمر...ولما تقَدم من الاهتمام عبر بالإيقان، وأتى بضمير الفصل فقال: ﴿ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾[٢]، لأن ذلك قائد إلى كل خير، وذائد عن كل ضير))[٣].

- وقال الآلوسي: ((وغاير سبحانه بين الإيمان بالمنزل، والإيمان بالآخرة، فلم يقل (وبالآخرة هم يؤمنون)، دفعا لكلفة التكرار، أو لكثرة غرائب متعلقات الآخرة، وما أُعد فيها من الثواب والعقاب، وتفصيل أنواع التنعيم والتعذيب، ونشأة أصحابهما، على خلاف النشأة الدنيوية، مع إثبات المعاد الجسماني كيفما كان، إلى غير ذلك مما هو أغرب من الإيمان بالكتاب المنزل، حتى أنكره كثير من الناس، وخلا عن تفاصيله على ما عندنا التوراة والإنجيل...فناسب أن يقرن هذا الأمر المهم الغريب -الذي حارت عقول الكثيرين في إثباته، وتهافتوا على إنكاره تهافت الفراش على النار- بالإيقان، إظهارا لكمال المدح، وإبداءً لغاية الثناء))[٤].

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة هي أنه لما كانت الآخرة عالَما غائبا عن تصور الذهن، وما فيها من غرائب الأحوال، ووقتها مما استأثر الله تعالى بعلمه؛ ناسب أن يعبر عنها بالإيقان.

---

(١) البحر المحيط (٧١/١).
(٢) الآية (٤) من سورة البقرة.
(٣) نظم الدرر (٣٦/١).
(٤) روح المعاني (١٦٦/١).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن التعبير بالإيقان عن الإيمان بالآخرة فيه دلالة على ضرورة تقوية الإيمان بذلك اليوم، كونه المآل الذي يؤول إليه الخلق، والزمان الذي يجازى فيه كل فرد بما عمل، كما أن لفظ (يوقنون) أعطى للآية نوعا بديعا من التجديد في استعمال الألفاظ، وإظهارا وإبرازا لسلاسة القرآن وبلاغته.

١٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية فقال: ((هذا انتقال من الثناء على الكتاب ومتقلديه، ووصف هديه، وأثر ذلك الهدى في الذين اهتدوا به، والثناء عليهم، الراجع إلى الثناء على الكتاب، لَـما كان الثناء إنما يظهر إذا تحققت آثار الصفة التي استحق بها الثناء، ولَـما كان الشيء قد يقَدر بضده؛ انتقل إلى الكلام على الذين لا يحصل لهم الاهتداء بهذا الكتاب))[(٢)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال أبو حيان: ((مناسبة اتصال هذه الآية بما قبلها ظاهر، وهو أنه لما ذَكَر صفةَ من الكتاب له هدى، وهم المتقون الجامعون للأوصاف المؤدية إلى الفوز؛ ذكر صفةَ ضدهم، وهم الكفار المحتوم لهم بالوفاة على الكفر))[(٣)].

- وقال البقاعي: ((ولما أردف البيان لأوصاف المؤمنين التعريف بأحوال الكافرين، وكانوا قد انقسموا على مصارحين ومنافقين، وكان المنافقون قسمين -جهالا من مشركي العرب، وعلماء من كفار بني إسرائيل- ؛كان الأنسب -ليفْرَغَ من قسمٍ بِرأسه على عجلٍ- البداءةَ أولا بالمصارحين، فذكر ما أراد من أمرهم في آيتين، لأن أمرهم أهون، وشأنهم أيسر، لقَصدهم بما يوهنهم بالكلام أو بالسيف، على أن ذكرهم على وجه يعم جميع الأقسام، فقال مخاطبا لأعظم المنعم عليهم على وجه التسلية والإعجاز، في معرض الجواب لسؤالٍ من كأنه قال: هذا حال الكتاب للمؤمنين فما حاله للكافرين؟))[(٤)].

---

(١) الآية (٦) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٢٤٧/١).
(٣) البحر المحيط (٧٧/١).
(٤) نظم الدرر (٣٧/١).

ومن هذا النقل يتبين أن ما ذكره الطاهر في بيان هذه المناسبة لا يختلف كثيرا عن كلام أبي حيان، فهو يرى أن المناسبة هي التضاد الذي يبرز مقام المؤمنين، وثناء الله تعالى عليهم.

أما البقاعي فيرى أن هناك تسليةً، وتقدير سؤال.

ومع جلالة قدره، وطول باعه في علم المناسبات، إلا أنه لا يوجد في الآيات التي سبقتها ما يتطلّب التعقيب بالتسلية، وأما تقدير السؤال ففيه تكلّف من هذا الوجه. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه نجد أن مناسبة التضاد أبرزت لنا المعنى المراد، وجعلته أكثر وضوحا، فالآيات السابقة جاء فيها ذكر الهدى والمهتدين، وهذه الآية جاء فيها ذكر الضالين، وفيه إشارة إلى ارتباط الهدى بالكتاب المبين، وأن الكافرين ما ضلوا إلا لبعدهم عنه، وتكذيبهم به.

١١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية لما قبلها، حيث قال: ((هذه الجملة جارية مجرى التعليل للحكم السابق في قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٢]، وبيانٌ لسببه في الواقع، ليدفع بذلك تعجب المتعجبين من استواء الإنذار وعدمه عندهم، ومن عدم نفوذ الإيمان إلى نفوسهم مع وضوح دلائله، فإذا علم أن على قلوبهم ختما وعلى أسماعهم، وأن على أبصارهم غشاوة؛ علم سبب ذلك كله، وبطُل العجب، فالجملة استئناف بياني يفيد جواب سائل يسأل عن سبب كونهم لا يؤمنون، وموقع هذه الجملة في نظم الكلام مقابل موقع جملة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[٣]، فلهذه الجملة مكانةٌ بين ذَم أصحابها، بمقدار ما لتلك من المكانة في الثناء على أربابها))[٤].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أنهم لا يؤمنون؛ أخبر في هذه الآية بالسبب الذي لأجله لم يؤمنوا، وهو الختم))[٥].

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي حيث قال: ((اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أنهم لا يؤمنون؛ أخبر في هذه الآية السبب الذي لأجله لم يؤمنوا، وهو الختم))[٦].

---

(١) الآية (٧) من سورة البقرة.
(٢) الآية (٦) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (٥) من سورة البقرة.
(٤) التحرير والتنوير (٢٥٤/١).
(٥) مفاتيح الغيب (٤٨/٢).
(٦) اللباب (٣٢٠/١).

- وقال البقاعي: ((ولما كان من أعجب العجب كون شيءٍ واحد يكون هدى لناسٍ دون ناسٍ؛ عللَ ذلك بقوله :﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ ﴾))[١].

ومن هذا النقل يتبين من كلام أهل التفسير أن هذه الآية جاءت لتزيل اللبس المتعلق بسبب عدم إيمان الكفار، والغرابة الحاصلة في عدم انتفاعهم بالإنذار، ولتبين السبب في ذلك، وبهذا يظهر التئام الكلام وتمامه.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هذه الآية جاءت معللّةً للآية التي قبلها، ودلّت على أن العبد إذا ضل الصراط المستقيم، وحاد عن الحق المبين؛ استحق غضب الله تعالى، وحرمانه من الهداية، فلم يعد قلبه يحق حقا، ولا يبطل باطلا، ولم يعد سمعه يسمع الصواب، ولا بصره يبصر الآيات والمعجزات، وهناك إشارة إلى أن إزالةَ اللبس الذي قد يطرأ على الأذهان أمر مهم في الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) نظم الدرر (٣٨/١).

١٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها، حيث قال: ((واعلم أن الآيات السابقة لما انتقلَ فيها من الثناء على القرآن بذكر المهتدين به بنوعيهم -الذين يؤمنون بالغيب، والذين يؤمنون بما أنزل إليك إلى آخر ما تقدم- وانتقلَ من الثناء عليهم إلى ذكر أضدادهم، وهم الكافرون الذين أريد بهم الكافرون صراحة وهم المشركون؛ كان السامع قد ظن أن الذين أظهروا الإيمان داخلون في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[(٢)]، فلم يكن السامع سائلا عن قسم آخر، وهم الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الشرك أو غيره، وهم المنافقون الذين هم المراد هنا، بدليل قوله: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾[(٣)]إلخ؛ لأنه لغرابته وندرة وصفه بحيث لا يخطر بالبال وجوده؛ ناسب أن يذكر أمره للسامعين))[(٤)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((لما ذَكَر أن الكتاب هدى لهم، وهم المتقون الذين جمعوا أوصاف الإيمان، من خلوص الاعتقاد، وأوصاف الإسلام من الأفعال البدنية والمالية، ولما ذَكَر ما آل أمرهم إليه في الدنيا من الهدى، وفي الآخرة من الفلاح، ثم أعقب ذلك بمقابلهم من الكفار الذين ختم عليهم بعدم الإيمان، وختم لهم بما يؤولون إليه من

(١) الآية (٨) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٣) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (١٤) من سورة البقرة.
(٤) التحرير والتنوير (٢٥٩/١).

العذاب في النيران، وبقي قسم ثالث أظهروا الإسلام مقَالا، وأبطنوا الكفر اعتقادا، وهم المنافقون، أخذ يذكر شيئًا من أحوالهم))(١).

- وقال البقاعي: ((ولما افتتح سبحانه بالذين واطأت قلوبهم ألسنتهم في الإيمان، وثَنى بالمجاهرين من الكافرين الذين طابق إعلانهم إسرارهم في الكفران؛ أتبعه ذكر المساترين الذين خالفت ألسنتهم قلوبهم في الإذعان، وهم المنافقون))(٢).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين حال المؤمنين، وحال الكافرين؛ خيف أن يغفَلَ المؤمنون عن حال فريق ثالث، جمع بين نقيضين، فأظهر الإسلام، وأبطن الكفر، فبين حالَ هذا الفريق، وفضح أقوالهم وأفعالهم، كونهم أشد خطرا على المؤمنين من الكفار.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن بيان حال المنافقين، والتحذير منهم، بعد بيان حال المؤمنين، ثم الكافرين، فيه مزيد تحذير وتنبيه من شرهم، نظرا لخطورتهم على المجتمع، ولو سماهم الله تعالى بالمنافقين من أول وهلة لما كان في السياق ما يدعو إلى التنبه، لكن أشار إليهم بأنهم يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر، كما يقول المؤمنون، وبالتالي يصعب على المؤمن تمييزهم، فكان من الضروري أن يبين الله حقيقتهم في هذا الموضع.

---

(١) البحر المحيط (٨٧/١).

(٢) نظم الدرر (٣٩/١).

١٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها، حيث قال: ((استئناف ابتدائي ثُنِي به العنان إلى موعظة كل فريق من الفرق الأربع المتقدم ذكرها موعظة تليق بحاله، بعد أن قضى حق وصف كل فريق منهم بخلاله، ومثلت حالُ كل فريق، وضربت له أمثالُه، فإنه لما استوفى أحوالا للمؤمنين، وأضدادهم من المشركين والمنافقين؛ -لا جرم- تهيأ المقام لخطاب عمومهم بما ينفعهم إرشادا لهم، ورحمةً بهم، لأنه لا يرضى لهم الضلال، ولم يكن ما ذُكر آنفًا من سوء صنعهم حائلا دون إعادة إرشادهم، والإقبال عليهم بالخطاب))[٢].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((لما قدم أحكام الفرق الثلاث -أعني المؤمنين والكفار والمنافقين-؛ أقبل عليهم بالخطاب، وهو من بـاب الالتفات المذكور في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[٣]))[٤].

- وقال أبو حيان: ((ووجه مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر الـمكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين، وصفاتهم، وأحوالهم، وما يؤول إليه حال كل منهم؛ انتقل من الإخبار عنهم إلى خطاب النداء، وهو التفات شبيه بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، بعد قـوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٥]، وهو من أنواع البلاغة

---

(١) الآية (٢١) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٣٢٣/١).

(٣) الآية (٥) من سورة الفاتحة.

(٤) مفاتيح الغيب (٨٢/٢).

(٥) الآية (٢) من سورة الفاتحة.

كما تقدم، إذ فيه هز للسامع، وتحريك له، إذ هو خروج من صنف إلى صنف، وليس هذا انتقَالا من الخطاب الخاص إلى الخطاب العام، كما زعم بعض المفسرين))(١).

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي، حيث قال: ((اعلم أنه تعالى لما بين أحكام الفرقِ الثلاث -أعني المؤمنين والكفار والمنافقين-؛ أقبل عليهم بالخطاب وهو من باب الالتفات))(٢).

- وقال الآلوسي: ((لما بين سبحانه فرق المكلفين، وقسمهم إلى مؤمنين وكفار ومذبذبين...وشرح ما ترجع إليه أحوالهم دنيا وأخرى...؛ أقبل عز شأنه عليهم بالخطاب على نهج الالتفات؛ هزا لهم إلى الإصغاء، وتوجيها لقلوبهم نحو التلقي، وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذيذ المخاطبة))(٣).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما استوفى ذكر أحوال المؤمنين، والمشركين، والمنافقين، استأنف الخطاب لهم جميعا؛ إرشادا لهم، ورحمةً بهم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك إشارةً إلى رحمة الله ﷻ لعموم الناس، كما أن هناك تأنيسا لهم بعد أن هددهم، ولامهم، وذم صنيعهم، ليعلموا أن تهديدهم، والقسوة عليهم، ما كانت إلا حرصا على صلاحهم.

---

(١) البحر المحيط (١٥٢/١).

(٢) اللباب (٤٠٥/١).

(٣) روح المعاني (٢٤٥/١).

١٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة، حيث قال: ((انتقال لإثبات الجُزء الثاني من جزئي الإيمان، بعد أن تم إثبات الجزء الأول من ذلك بما قدمه من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[2]إلخ، فتلك هي المناسبة التي اقتضت عطف هذه الجملة على جملة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، ولأن النهي عن أن يجعلوا لله أندادا جاء من عند الله فهم بمظنة أن ينكروا أن الله نهى عن عبادة شفعائه ومقربيه، لأنهم من ضلالهم كانوا يدعون أن الله أمرهم بذلك...فقد اعتلوا لعبادة الأصنام بأن الله أقامها وسائط بينه وبينهم، فزادت بهذا مناسبة عطف قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ عقب قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3]))[4].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أقام الدلائل القاهرة على إثبات الصانع، وأبطل القول بالشريك؛ عقبه بما يدل على النبوة))[5].

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما احتج تعالى عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الإشراك، وعرفهم أن من جعل لله شريكًا فهو بمعزل من العلم والتمييز؛ أخذ يحتج على من شك في النبوة بما يزيل شبهته، وهو كون القرآن معجزة،

---

(١) الآية (٢٣) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٢١) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (٢٢) من سورة البقرة.
(٤) التحرير والتنوير (٣٣٥/١).
(٥) مفاتيح الغيب (١١٥/٢).

وبين لهم كيف يعلمون أنه من عند الله أم من عنده، بأن يأتوا هم ومن يستعينون به بسورة من هذا))[١].

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي، حيث قال: ((اعلم أنه سبحانه لما أقام الدلائل القاطعة على إثبات الصانع، وأبطل القول بالشريك؛ عقبه بما يدلّ على النبوة))[٢].

- وقال البقاعي: ((ولما ثبتت هذه الأدلة، فوجب امتثال ما دعت إليه، ولم يبق لمتعنت شبهةٌ إلا أن يقول: لا أفعل حتى أعلم أن هذا الكتاب الذي تقَدم أنه الهدى كلام الله؛ قال مبينا إنه من عنده نظْما، كما كان من عنده معنى محققًا، ما ختم به التي قبلها من أن من توقف عما دعا إليه من التوحيد وغيره لا علم له بوجه))[٣].

- وقال الآلوسي: ((لما قرر سبحانه أمر توحيده بأحسن أسلوب؛ عقبه بما يدلّ على تصديق رسوله ﷺ))[٤].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما أشار إلى ما يثبت ربوبيته في الآيتين السابقتين؛ عقّب بالإشارة إلى ما يثبت نبوة محمد ﷺ، وبهذا يلتئم النظم، وتتجلى المناسبة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الإقرار بوحدانية الله تعالى، والإيمان بما جاء به محمد ﷺ، أمران متلازمان لا ينفكان، وتلازمهما فيه مزيد تشريف لنبينا ﷺ، وأن إقرار اليهود والنصارى بربوبية الله تعالى دون الإقرار بنبوة محمد ﷺ لا ينفعهم شيئًا.

---

(١) البحر المحيط (١٦٦/١).
(٢) اللباب (٤٢٩/١).
(٣) نظم الدرر (٦١/١).
(٤) روح المعاني (٢٥٩/١).

١٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((وجعلُ جملة ﴿وَبَشِّرِ﴾ معطوفة على مجموع الجمل المسوقة؛ لبيان وصف عقاب الكافرين -يعني جميع الذي فُصلَ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾(٢) إلى قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾(٣)- فَعطَف مجموع أخبارٍ عن ثواب المؤمنين، على مجموعِ أخبارٍ عن عقاب الكافرين، والمناسبة واضحة مسوغَةٌ لعطف المجموع على المجموع))(٤).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما تكلم في التوحيد والنبوة؛ تكلم بعدهما في المعاد، وبين عقاب الكافر، وثواب المطيع، ومن عادة الله تعالى أنه إذا ذكر آيةً في الوعيد أن يعقبها بآية في الوعد))(٥).

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ﴾ لما قبله ظاهرة، وذلك أنه لما ذَكَر ما تضمن ذكر الكفار، وما تؤول إليه حالهم في الآخرة، وكان ذلك من أبلغ التخويف والإنذار؛ أعقب ما تضمن ذكر مقابليهم، وأحوالهم، وما أعد الله لهم في الآخرة من النعيم السرمدي))(٦).

---

(١) الآية (٢٥) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٢٣) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (٢٤) من سورة البقرة.
(٤) التحرير والتنوير (٣٥٠/١).
(٥) مفاتيح الغيب (١٢٢/٢).
(٦) البحر المحيط (١٧٨/١).

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي، حيث قال: ((اعلَم أنه سبحانه وتعالى لما تكلم في التوحيد والنبوة؛ تكلم بعدهما في ذكر المَعاد، وبين عقاب الكافر، وثواب المُطيع، ومن عادة الله تعالى أنه إذا ذَكَر الوعيد، أَنْ يعقبه بذكرِ الوعد))[١].

- وقال البقاعي: ((ولما ذكر ما لهم ترهيبا؛ أتبعه ما للمؤمنين ترغيبا))[٢].

- وقال الآلوسي: ((لما ذكر سبحانه وتعالى فيما تقدم الكفار، وما يؤول إليه حالهم في الآخرة، وكان في ذلك أبلغ التخويف والإنذار؛ عقب بالمؤمنين وما لهم، جريا على السنة الإلهية، من شفع الترغيب بالترهيب، والوعد بالوعيد، لأن من الناس من لا يجديه التخويف، ولا يجديه وينفعه اللطف، ومنهم عكس ذلك، فكأن هذا وما بعده معطوف على سابقه عطف القصة على القصة، والتناسب بينهما باعتبار أنه بيانٌ لحال الفريقين المتباينين، وكشف عن الوصفين المتقابلين))[٣].

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة هنا هي المقابلة بين حال الفريقين، فإن الله تعالى لما بين حال الكفار، وما توعدهم به من العقوبة، عقّب بذكر حال المؤمنين، وما وعدهم به من الثواب الجزيل.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن وجود المقابلة بين جزاء الفريقين تجعل الموعظة جامعة بين الوعد والوعيد، فإذا لم تلن النفس بالترغيب جاء الترهيب ليوقظها، كما أن هناك إشارةً إلى أن بعض الأمور قد لا يدركها العقل إلا إذا جيء بما يقابلها ويضادها، ولما كان من أغراض القرآن هداية البشرية؛ جاء بمثل هذا الأسلوب ليوقظ به الأفهام.

---

(١) اللباب (٤٤٥/١).

(٢) نظم الدرر (٧١/١).

(٣) روح المعاني (٢٧٠/١).

١٦- المناسبات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبتين في هذه الآية الكريمة.

المناسبة الأولى: مناسبتها لما قبلها، حيث قال: ((قد يبدو في بادئ النظر عدم التناسب بين مساق الآيات السالفة، ومساق هاته الآية، فبينما كانت الآية السابقة ثناء على هذا الكتاب المبين، ووصف حالَي المهتدين بهديه، والناكبين عن صراطه، وبيان إعجازه، والتحدي به، مع ما تخلل وأعقب ذلك من المواعظ والزواجر النافعة، والبيانات البالغة، والتمثيلات الرائعة؛ إذا بالكلام قد جاء بخبر بأن الله تعالى لا يعبأ أن يضرب مثلا بشيء حقير أو غير حقير.

فحقيق بالناظرِ عند التأملِ أن تظهر له المناسبة لهذا الانتقال، ذلك أن الآيات السابقة اشتملت على تحدي البلغاء بأن يأتوا بسورة مثل القرآن، فلما عجزوا عن معارضة النظْم؛ سلكوا في المعارضة طريقة الطعن في المعاني، فلبسوا على الناس بأن في القرآن من سخيف المعنى ما ينـزه عنه كلام الله، ليصلُوا بذلك إلى إبطال أن يكون القرآن من عند الله بإلقاء الشك في نفوس المؤمنين، وبذر الخصيب في تنفير المشركين والمنافقين))(٢).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه بين بالدليل كون القرآن معجِزا، أورد هنا شبهة أوردها الكفار قدحا في ذلك، وأجاب عنها، وتقرير الشبهة أنه جاء في القرآن ذكْر النحل،

---

(١) الآية (٢٦) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٣٥٧/١).

والذباب، والعنكبوت، والنمل، وهذه الأشياء لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء، فاشتمال القرآن عليها يقدح في فصاحته فَضلا عن كونه معجِزا، فأجاب الله تعالى عنه بأن صغر هذه الأشياء لا يقدح في الفصاحة إذا كان ذكرها مشتملا على حكمٍ بالغة، فهذا هو الإشارة إلى كيفية تعلق هذه الآية بما قبلها))[١].

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية ظاهرة، إذ قد جرى قبل ذكر المثل بالمستوقد والصيب، ونزل التمثيل بالعنكبوت والذباب، فأنكر ذلك الجهلة وأهل العناد، واستغربوا ما ليس بِمستغربٍ ولا منكرٍ، إذ التمثيل يكشف المعنى ويوضح المطلوب...والعاقل إذا سمع التمثيل استبان له به الحق))[٢].

- وقال ابن عادل الحنبلي بنحو ما قاله الرازي، حيث قال: ((اعلم أنه تعالى لَما بين كون القرآن معجِزا، أورد الكُفار هنا شبهةً قدحا في ذلك، وهي أنه جاء في القرآن ذكْر النحل، والعنكبوت، والنمل، وهذه الأشياء لا يليق ذكرها بكلام الفُصحاء، فاشتمالُ القرآن عليها يقدح في فصاحته، فَضلا عن كونه معجزا، وأجاب الله تعالى عنه بأن صغر هذه الأشياء لا يقدح في فصاحة، إذا كان ذكرها مشتملا على حكمٍ بالغة، فهذا هو الإشارة إلى كيفية تعلق هذه الآية بما قبلها))[٣].

- وقال البقاعي: ((ولما ثبت بعجزهم عن المعارضة أن هذا الكلام كلامه سبحانه؛ ثبت أن ما فيه من الأمثال أقواله، فهددهم في هذه السورة المدنية على العناد))[٤].

- وقال الآلوسي: ((ووجه ربطها بما تقدم على هذا، وكان المناسب عليه أن توضع في سورة العنكبوت مثَلا، أنها جواب عن شبهة تورد على إقامة الحجة على حقية القرآن بأنه معجِز، فهي من الريب الذي هو في غاية الاضمحلال، فكان ذكرها هنا أنسب))[٥].

---

(١) مفاتيح الغيب (١٣١/٢).

(٢) البحر المحيط (١٩٤/١).

(٣) اللباب (٤٥٩/١).

(٤) نظم الدرر (٧٥/١).

(٥) روح المعاني (٢٧٨/١).

ومن هذا النقل يتبين أن مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها هو الرد القاطع على الكفار، وذلك بإثبات فصاحة القرآن وبلاغته في ضرب الأمثلة، فإن الله تعالى لما ضرب الأمثلة في القرآن الكريم بالعنكبوت وبالنحل؛ قَدح الكفار في فصاحته وبلاغته؛ فجاءت هذه الآية لترد هذه الفرية الباطلة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح المنهج الإلهي في الرد على المشككين في صدق القرآن وفصاحته وبلاغته، وأنه من عند الله، وذلك من خلال الرد عليهم بالقدرة على التمثيل بما هو أحقر وأضعف مما ذكروه في مطاعنهم، ليزهق الله تبارك وتعالى أدنى مطعن قد يطعنون القرآن الكريم من خلاله.

المناسبة الثانية: مناسبة تأخير نزول الآية عن الآيات التي وقع فيها التمثيل الذي أنكره الكفار، حيث قال الطاهر: ((فإن قيل: لم يكن الرد عقب نزول الآيات الواقع فيها التمثيل الذي أنكروه، فإن البدار بالرد على من في مقاله شبهة رائجة يكون أقطع لشبهته من تأخيره زمانا؛ قلنا: الوجه في تأخير نزولها أن يقع الرد بعد الإتيان بأمثال معجِبة اقتضاها مقام تشبيه الهيآت، فذلك كما يمنع الكريم عدوه من عطاءٍ فيلمزه الممنوع بلمزِ البخل، أو يتأخر الكمي[1]عن ساحة القتال مكيدةً فَيظُنه ناس جبنا، فَييسِرها الأولُ في نفسه، حتى يأتيه القاصد فيعطيه عطاءً جزلا، والثاني حتى يكر كرةً تكون القاضية على قرنِه[2]، فكذلك لما أتى القرآنُ بأعظم الأمثال وأروعها، وهي قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾[3]، ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾[4]الآيات، وقوله تعالى:

---

(١) الكمي: الشجاع أو لابس السلاح. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (كمي)، باب: الياء، فصل الكاف (٥٥٦/٤)؛ مختار الصحاح، باب الكاف (٥٧٩)؛ المعجم الوسيط، باب الكاف (٨٣٥/٢).

(٢) القرن: بكسر الراء كفؤ الإنسان ومثيله في الشدة والشجاعة. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م مادة (قرن)، باب النون، فصل القاف (٣٦٦/٤)؛ مختار الصحاح، باب القاف (٥٧٩)؛ المعجم الوسيط، باب القاف (٧٦٥/٢).

(٣) من الآية (١٧) من سورة البقرة.

(٤) من الآية (١٩) من سورة البقرة.

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾(١)؛ أتى إثْر ذلك بالرد عليهم. فهذا يبين لك مناسبة نزول هذه الآية عقب التي قبلها، وقد غفل عن بيانه المفسرون))(٢).

وصدق الطاهر حين قال: ((وقد غفل عن بيانه المفسرون)) بعد أن بين مناسبة تأخير نزول هذه الآية إلى هذا الموضع، فلم يقل بهذه المناسبة أحد قبله -في حدود اطلاعي- وهذا مما تفرد به من المناسبات.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن في هذه المناسبة إشارة إلى عنصر المباغتة في الرد على المنكر، خصوصا بعد أن يتمكن الاعتقاد الباطل من نفسه أي تمكن، وإذ بالرد المباغت يأتيه فيترك في نفسه أثرا قويا يساوي قوة إنكاره، وقد يفوقها.

---

(١) من الآية (١٨) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٣٥٩/١).

١٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((ثُنِي عنان الخطاب إلى الناس الذين خوطبوا بقوله آنفا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾[(٢)] بعد أن عقب بأفانين من الجمل المعترضة من قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي﴾[(٣)] إلى قوله: ﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[(٤)]، وليس في قوله: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ تناسب مع قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا﴾[(٥)] وما بعده، مما حكى عن الذين كفروا في قولهم: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ﴾[(٦)]، حتى يكون الانتقـال إلى الخطاب في قوله: ﴿تَكۡفُرُونَ﴾ التفاتا، فالمناسبة بين موقع هاته الآية بعد ما قبلها هي مناسبة اتحاد الغرض بعد استيفاء ما تخلل واعترض.

ومن بديع المناسبة، وفائق التفنن في ضروب الانتقالات في المخاطبات أن كانت العلل التي قُرن بها الأمر بعبادة الله تعالى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ إلخ، هي العلل التي قُرن بها إنكار ضد العبادة، وهو الكفر به تعالى في قوله هنا: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾، فقال فيما تقدم: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾[(٧)] الآية، وقال هنا: ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ

---

(١) الآية (٢٨) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٢١) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (٢٥) من سورة البقرة.
(٤) من الآية (٢٧) من سورة البقرة.
(٥) من الآية (٢٦) من سورة البقرة.
(٦) من الآية (٢٦) من سورة البقرة.
(٧) الآيتان (٢١،٢٢) من سورة البقرة.

لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[١]، وكان ذلك مبدأ التخلص إلى ما سيرد من بيان ابتداء إنشاء نوع الإنسان وتكوينه وأطواره))[٢].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما تكلم في دلائل التوحيد، والنبوة، والمعاد إلى هذا الموضع، فمن هذا الموضع إلى قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾[٣]في شرح النعم التي عمت جميع المكلفين))[٤].

- وقال أبو حيان: ((وهذا الخطاب فيه التفات، لأن الكلام قبلُ كان بصورة الغيبة، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[٥]إلى آخره؟ وفائدة هذا الالتفات أن الإنكار إذا توجه إلى المخاطَب كان أبلغ من توجهه إلى الغائب، لجواز أن لا يصله الإنكار، بخلاف من كان مخاطَبا، فإن الإنكار عليه أردع له عن أن يقع فيما أُنكر عليه))[٦].

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي، حيث قال: ((اعلم أنه تعالى لما تكلّم في دلائل التوحيد، والنبوة، والمعاد؛ شرع في شرح النعم التي عمت جميع المكلفين، فالمراد بهذا الاستخبار التبكيت والتعنيف))[٧].

- وقال البقاعي: ((ولما دعا سبحانه إلى التوحيد، ودل عليه، وأنذر من أعرض، وبشر من أقبل، وذَكَر حال الفريقين في قبول الأدلة التي زبدتها الأمثال؛ التفت إلى تبكيت المدبِر لعلّه يستبصر، واستمر سبحانه في دلائل التوحيد حتى قامت قيام

---

(١) الآيتان (٢٨،٢٩) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٣٧٣/١).
(٣) من الآية (٤٠) من سورة البقرة.
(٤) مفاتيح الغيب (١٤٩/٢).
(٥) من الآية (٢٦) من سورة البقرة.
(٦) البحر المحيط (٢٠٩/١).
(٧) اللباب (٤٨٠/١).

الأعلام، ونفَذَت نفوذَ السهام، حتى تخللت صميم العظام، لقد ظهرت فلا تخفى على أحد، إلا على أكْمه لا يبصر القَمر، في أسلوبٍ مشيرا إلى البعث، منبها على التخلص من الخسارة، وما أبدع افتتاح ذلك عقب ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[(١)] بقوله -على طريق التفات المغضب المستعطف المعجب- : ﴿كَيْفَ﴾))[(٢)].

- وقال الآلوسي: ((التفات إلى خطاب أولئك، بعد أن عدد قبائحهم المستدعيةَ لمزيد سخطه تعالى عليهم، والإنكار إذا وجه إلى المخاطَب؛ كان أبلغ من توجيهه إلى الغائب، وأردع له، لجواز أن لا يصله))[(٣)].

ومن خلال هذا النقل يظهر تباين أقوال المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة.

فالطاهر لا يرى أن هناك تناسبا بين هذه الآية الكريمة وبين الآيتين اللتين سبقتها، ولذلك لا يرى أن فيها التفاتا.

والذي اختاره الطاهر هو أن التناسب حاصل بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[(٤)]، وهو ما سماه مناسبة اتحاد الغرض، بعد استيفاء ما تخلل واعترض.

أما الرازي وابن عادل الحنبلي فيريان أن المناسبة هي النتيجة للمقدمة والتوطئة التي وردت في الآيات التي قبلها، ودلّت على التوحيد والنبوة.

وأما أبو حيان والبقاعي والآلوسي فيرون أن المناسبة هي الالتفات من الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[(٥)]، إلى الحضور في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾[(٦)].

---

(١) من الآية (٢٧) من سورة البقرة.
(٢) نظم الدرر (٧٩/١).
(٣) روح المعاني (٢٨٧/١).
(٤) الآية (٢١) من سورة البقرة.
(٥) من الآية (٢٦) من سورة البقرة.
(٦) الآية (٢٨) من سورة البقرة.

ومن خلال استعراض الأقوال السابقة يظهر أن جميع ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة لهذه الآية الكريمة، والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الجمل المعترضة بين أمرين متحدين في الغرض تعمد إلى تنشيط السامع، وتجدد نشاطه، ولذلك ينبغي أن تكون تلك الجمل مقتضبةً، حتى لا تخرج السامع عن الغرض الأساسي الذي خوطب من أجله، وبذلك يتحقق الغرض، وتتم الفائدة.

١٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عطَفَت الواو قصةَ خلْقِ أول البشر على قصة خلق السموات والأرض، انتقَالا بهم في الاستدلال على أن الله واحد، وعلى بطلان شركهم، وتخلصا من ذكر خلق السموات والأرض إلى خلق النوع الذي هو سلطان الأرض، والمتصرف في أحوالها))(٢).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((ومناسبتها لما قبلها أنه لما امتن عليهم بخلق ما في الأرض لهم، وكان قبله إخراجهم من العدم إلى الوجود؛ أتبع ذلك ببدء خلقهم، وامتن عليهم بتشريف أبيهم، وتكريمه، وجعله خليفةً، وإسكانِه دار كرامته، وإسجاد الملائكة تعظيما لشأنه، وتنبيها على مكانه، واختصاصه بالعلم الذي به كمالُ الذات، وتمام الصفَات))(٣).

- وقال البقاعي: ((ولما ذكر الحياة والموت المشاهدين تنبيها على القدرة على ما اتبعهما به من البعث، ثم دلّ على ذلك أيضا بخلق هذا الكون كله على هذا النظام البديع، وختم ذلك بصفة العلم؛ ذَكَر ابتداء خلق هذا النوع البشري))(٤).

- وقال الآلوسي: ((لما امتن سبحانه على من تقَدم بما تقَدم؛ أتبع ذلك بنعمة عامة، وكرامة تامة، والإحسانُ إلى الأصل إحسانٌ إلى الفرع))(٥).

---

(١) الآية (٣٠) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٣٩٥/١).
(٣) البحر المحيط (٢٢٤/١).
(٤) نظم الدرر (٨٣/١).
(٥) روح المعاني (٢٩٥/١).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين قصة خلق أعظم مخلوقاته، المتمثلة في خلق السموات والأرض، عقبها بذكر قصة أشرف مخلوقاته الذي هو الإنسان، تكريما وتشريفًا له.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الغرض من خلق ما في الأرض هو من أجل خدمة الإنسان، وقضاء حوائجه، وفي هذا مزيد تشريف وتكريم لأصل الإنسان، ولا شك أن الفرع يلحق به.

١٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((وغُير أسلوب إسناد القول إلى الله فَأُتيَ به مسندا إلى ضمير العظمة ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾، وأُتي به في الآية السابقة مسندا إلى رب النبيء ﷺ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾[(٢)] للتفنن، ولأنّ القول هنا تضمن أمرا بفعلٍ فيه غَضاضةٌ على المأمورين، فناسبه إظهار عظمة الآمر، وأما القول السابق فَمجرد إعلامٍ من الله بمراده، ليظهر رأيهم، ولقصد اقتران الاستشارة بمبدأ تكوين الذات الأولى من نوع الإنسان، المحتاج إلى التشاور، فناسبه الإسناد إلى الموصوف بالربوبية المؤذنة بتدبير شأن المربوبين، وأُضيف إلى ضمير أشرف المربوبين -وهو النبيء ﷺ- كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[(٣)].

وقد وافق الطاهر الآلوسي في بيان هذه المناسبة، حيث قال: ((وغَير سبحانه الأسلوب حيث قال أولا: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾، وهنا ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ بضمير العظَمة لأنّ في الأول خلْق آدم واستخلافَه، فناسب ذكر الربوبية مضافًا إلى أحب خلفائه إليه، وهنا المقام مقام إيراد أمر يناسب العظمة، وأيضا في السجود تعظيم، فلما أمر بفعله لغيره أشار إلى كبريائه الغنية عن التعظيم))[(٤)].

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق ذكره يتضح أن استخدام الضمائر في سياق الكلام له أثر في الدلالة على المعنى المراد، ويهيئُ النفس لتقَبل ما يوجه إليها.

---

(١) الآية (٣٤) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٣٠) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٤٢١/١).

(٤) روح المعاني (٣١٠/١).

٢٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((انتقال من موعظة المشركين إلى موعظة الكافرين من أهل الكتاب، وبذلك تتم موعظة الفرق المتقدم ذكرها، لأن فريق المنافقين لا يعدوا أن يكونوا من المشركين، أو من أهل الكتاب اليهود، ووجه الخطاب هنا إلى بني إسرائيل -وهم أشهر الأمم المتدينة، ذات الكتاب الشهير، والشريعة الواسعة- وذلك لأن هذا القرآن جاء يهدي للتي هي أقوم، فكانت هاته السورة -التي هي فسطاطه- مشتملة على الغرض الذي جاء لأجله، وقد جاء الوفاء بهذا الغرض على أبدع الأساليب، وأكمل وجوه البلاغة، فكانت فاتحتها في التنويه بشأن هذا الكتاب، وآثار هديه، وما يكتسب متبعوه من الفلاح، دنيا وأخرى، وبالتحذير من سوء مغبة من يعرض عن هديه، ويتنكب طريقه، ووصف في خلال ذلك أحوال الناس تجاه تلقي هذا الكتاب من مؤمن، وكافر، ومنافق، بعد ذلك أقبل على أصناف أولئك بالدعوة إلى المقصود، وقد انحصرت الأصناف الثلاثة من الناس المتلقين لهذا الكتاب -بالنسبة لحالهم تجاه الدعوة الإسلامية- في صنفين، لأنهم إما مشرك، أو متدين -أي كتابي- إذ قد اندرج صنف المنافقين في الصنف المتدين، لأنهم من اليهود كما قدمناه، فدعا المشركين إلى عبادته تعالى...ولما قضى ذلك كله حقه؛ أقبل بالخطاب هنا على الصنف الثاني، وهم أهل الشرائع والكتاب، وخص من بينهم بني إسرائيل، لأنهم أمثل أمة ذات كتاب مشهور في العالم كله، وهم الأوحداء بهذا الوصف من المتكلمين باللغة العربية، الساكنين المدينة وما حولها، وهم أيضا الذين ظهر منهم العناد والنواء لهذا الدين، ومن أجل ذلك لم يدع اليهود إلى توحيد، ولا اعتراف بالخالق، لأنهم موحدون، ولكنه دعاهم إلى تذكر نعم الله عليهم، وإلى ما كانت تلاقيه أنبياؤهم من مكذبيهم، ليذكروا أن تلك سنة الله، وليرجعوا على أنفسهم

---

(١) الآية (٤٠) من سورة البقرة.

بمثل ما كانوا يؤنبون به من كذب أنبياءهم، وذكرهم ببشارات رسلهم وأنبيائهم بنبيٍ يأتي بعدهم))[١].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أولا، ثم عقبها بذكر الإنعامات العامة لكل البشر؛ عقبها بذكر الإنعامات الخاصة على أسلاف اليهود، كسرا لعنادهم ولَجاجهم بتذكير النعم السالفة، واستمالةً لقلوبهم بسببها، وتنبيها على ما يدل على نبوة محمد ﷺ من حيث كونها إخبارا عن الغيب))[٢].

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة الكلام معهم هنا ظاهرة، وذلك أن هذه السورة افتتحت بذكر الكتاب، وأن فيه هدى للمؤمنين، ثم أَعقَب ذلك بذكْرِ الكفار المختوم عليهم بالشقاوة، ثم بذكْرِ المنافقين، وذكْرِ جملٍ من أحوالهم، ثم أَمرِ الناس قاطبةً بعبادة الله تعالى، ثم ذكرِ إعجاز القرآن، إلى غير ذلك مما ذَكَره ،ثم نبههم بذكر أصلهم آدم، وما جرى له من أكله من الشجرة بعد النهي عنه، وأن الحامل له على ذلك إبليس، وكانت هاتان الطائفتان -أعني اليهود والنصارى- أهل كتاب، مظهرين اتباع الرسل، والاقتداء بما جاء عن الله تعالى، وقد اندرج ذكْرُهم عموما في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾[٣]، فَجرد ذكرهم هنا خصوصا، إذ قد سبق الكلام مع المشركين والمنافقين، وبقي الكلام مع اليهود والنصارى، فتكلم معهم هنا، وذُكروا ما يقتضي لهم الإيمان بهذا الكتاب، كما آمنوا بكتبهم السابقة، إلى آخر الكلام معهم...وناسب الكلام معهم قصة آدم، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، لأنهم بعد ما أوتوا من البيان الواضح والدليل اللائح، المذكور ذلك في التوراة والإنجيل، من

---

(١) التحرير والتنوير (٤٤٧/١).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٩/٣).

(٣) الآية (٢١) من سورة البقرة.

الإيفاء بالعهد والإيمان بالقرآن، ظهر منهم ضد ذلك بكفرهم بالقرآن ومن جاء به، وأقبل عليهم بالنداء ليحركهم لسماع ما يرد عليهم من الأوامر والنواهي))[١].

- وقال ابن عادل الحنبلي بنحو ما قاله الرازي، حيث قال: ((اعلم أنه لما أقام دلائل التوحيد، والنبوة، والمعاد أولا، ثم عقبها بذكر الإنعامات العامة لكل البشر؛ عقبها بذكر الإنعامات الخاصة على أسلاف اليهود، استمالةً لقلوبهم، وتنبيها على ما يدلّ على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، من حيث كونها إخبارا عن الغيب، موافقًا لما كان موجودا في التوراة والإنجيل من غير تعلّم، ولا تتلمذ))[٢].

ومن خلال هذا النقل يتبين أن المناسبة هي استمالة بني إسرائيل، وتذكيرهم بنعم الله عليهم، والتي عرفوها من خلال كتبهم، وما أخبر به نبيه ﷺ، ليكون رادعا لهم عن الاستمرار في طريق الكفر بنبوته ﷺ، وإشارة إلى صدق الرسول عليه الصلاة والسلام فيما جاء به من عند ربه، كونه أخبر عن مننٍ الله على بني إسرائيل، وهذا لا يتأتى إلا لشخص درس التوراة والإنجيل، وعلم ما فيهما من تلك المنن، ومعلوم لديهم أن الرسول ﷺ لم يدرس شيئا منها، فدلّ ذلك وأكّد أنه صلوات الله وسلامه عليه تلَقّى ذلك عن ربه ﷻ.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن العبد إذا ابتعد عن الحق، فإن من أفضل الوسائل لإعادته إلى رشده وصوابه تذكيره بنعم الله عليه، لما في ذلك من استمالة له، وتذكير بحاجته المستمرة لربه ﷻ.

---

(١) البحر المحيط (١/٢٨٠).

(٢) اللباب (٢/٣).

٢١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة التعبير بـ (اتقون) في هذه الآية الكريمة حيث قال: ((القول فيه كالقول في ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[٢]، إلا أن التعبير في الأول بـ (ارهبون)، وفي الثاني بـ (اتقون)؛ لأن الرهبة مقدمةُ التقوى، إذ التقوى رهبةٌ معتبر فيها العمل بالمأمورات، واجتناب المنهيات، بخلاف مطلَق الرهبة، فإنها اعتقاد وانفعال دون عمل، ولأن الآية المتقدمة تأمرهم بالوفاء بالعهد، فناسبها أن يخوفُوا من نكْثه، وهذه الآية تأمرهم بالإيمان بالقرآن الذي منعهم منه بقية دهمائهم، فناسبها الأمر بأن لا يتقوا إلا الله))[٣].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال ابن عادل الحنبلي: ((وقال هنا: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾، وهناك: ﴿فَٱرْهَبُونِ﴾ لأن ترك المأمور به هناك معصية، وهي ترك ذكر النعمة والإيفاء بالعهد، وهنا ترك الإيمان بالـمنـزل والاشتراء به ثمنا قليلا كُفْر، فناسب ذكر الرهب هناك؛ لأنه أخف يجوز العفو عنه لكونه معصية، وذكر التقوى هنا؛ لأنه كفر لا يجوز العفو عنه؛ لأن التقوى اتخاذ الوقاية لما هو كائن لا بد منه))[٤].

- وقال الآلوسي ((وإنما ذكر في الآية الأولى ﴿فَٱرْهَبُونِ﴾ وهنا ﴿فَٱتَّقُونِ﴾، لأن الرهبة دون التقوى، فحيثما خاطب الكافة -عالـمهم ومقلدهم- وحثهم على ذكر النعمة التي يشتركون فيها؛ أمرهم بالرهبة التي تورث التقوى، ويقع فيها الاشتراك، ولذا قيل: الخشية ملاك الأمر كله، وحيثما أراد بالخطاب -فيما بعد-

---

(١) الآية (٤١) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٤٠) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٤٦٩/١).

(٤) اللباب (١٨/٢).

العلماءَ منهم، وحثّهم على الإيمان، ومراعاة الآيات؛ أمرهم بالتقوى التي أولها ترك المحظورات، وآخرها التبري مما سوى غاية الغايات))[1].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن التقوى نتيجة للرهبة، وأن الآية الأولى لما جاء الأمر فيها بالوفاء بالعهد؛ ناسبه التخويف من نكثه، وأن الآية الثانية لما جاء الأمر فيها بالإيمان بالقرآن، وكان أهل السوء يحذرون من الإيمان به؛ ناسبه الأمر بأن لا يتقوا غير الله سبحانه.

وبهذا المعنى قال ابن عادل الحنبلي.

أما الآلوسي فيرى أن المناسبة مرتبطة بِمن وجه له الخطاب، فإن كان الخطاب عاما ناسبه الأمر بالرهبة المُورثة للتقوى، وإن كان الخطاب خاصا ناسبه الأمر بالتقوى.

والذي يظهر أن ما ذهب إليه الطاهر في بيان هذه المناسبة أَولى، كونه أنسب للسياق في كلا الآيتين، فكل آية ذُيلت بأمر يناسب السياق فيها. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن التقوى لا تتطابق في معناها مع الرهبة، فالتقوى هي امتثال الأوامر، واجتناب النواهي من الكبائر، وعدم الاسترسال في الصغائر، ظاهرا وباطنا، وهي نتيجة حتمية للرهبة، أما الرهبة فهي الخوف، وهي مقدمة التقوى.

---

(١) روح المعاني (٣٣٢/١).

٢٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية فقال: ((ولأن الزكاة إنفاق المال، وهو عزيز على النفس، فلا يبذله المرء في غير ما ينفعه إلا عن اعتقاد نفعٍ أخروي، لا سيما إذا كان ذلك المال ينفَق على العدو في الدين؛ فلذلك عقب الأمر بالإيمان بالأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، لأنهما لا يتجشمهما إلا مؤمن صادق))[(٢)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((اعلم أن الله سبحانه وتعالى لما أمرهم بالإيمان أولا، ثم نهاهم عن لبس الحق بالباطل، وكتمان دلائل النبوة ثانيا؛ ذكر بعد ذلك بيان ما لزمهم من الشرائع، وذكر من جملة الشرائع ما كان كالمقدم والأصل فيها، وهو الصلاة التي هي أعظم العبادات البدنية، والزكاة التي هي أعظم العبادات المالية))[(٣)].

- وقال أبو حيان: ((أمرهم بعد تحصيل الإيمان، وإظهار الحق، بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، إذ الصلاة آكد العبادات البدنية، والزكاة آكد العبادات المالية))[(٤)].

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((أمرهم بالإيمان، ثم نهاهم عن لَبس الحق بالباطل، وكتمان دلائل النبوة، ثم ذكر بعد ذلك بيان ما لزمهم من الشرائع، وذكر من جملته ما هو كالأصل فيها، وهو الصلاة التي هي أعظم العبادات البدنية، والزكاة التي هي أعظم العبادات المالية))[(٥)].

- وقال البقاعي: ((ولما فرغ سبحانه من أمر أهل الكتاب بالإيمان بالله، والنبي، والكتاب الذي هو من الهدى الآتي إليهم، المشـار إلى ذلك كله بالإيفـاء بالعهـد؛

---

(١) الآية (٤٣) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٤٧٢/١).
(٣) مفاتيح الغيب (٤٣/٣).
(٤) البحر المحيط (٢٩٣/١).
(٥) اللباب (٢٤/٢).

عطف بقوله: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي حافظوا على العبادة المعهود بها في كل يوم، بجميع شرائطها وأركانها، ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أي المفروضة في كل حول، لتجمعوا أوصاف المتقين المهديين بهذا الكتاب...وهاتان العبادتان، إما العبادات البدنية والمالية فخصا بالذكر، لأن من شأنهما استجرار سائر العبادات واستتباعها))[١].

- وقال الآلوسي: ((وقدم الأمر بالصلاة لشمول وجوبها، ولما فيها من الإخلاص والتضرع للحضرة، وهي أفضل العبادات البدنية، وقرنها بالزكاة لأنها أفضل العبادات المالية))[٢].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هنا هي ارتباط إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة بإيمان العبد واعتقاده بنفعهما الأخروي، ولذلك عقب الله تعالى الأمر بالإيمان بالأمر بهما.

أما الرازي، وأبو حيان، وابن عادل الحنبلي، والآلوسي فيرون أن المناسبة هي تقديم أصل العبادات وأعظمها بعد الإيمان، فنظروا إلى رتبة الصلاة والزكاة في الإسلام.

وأما البقاعي فيرى أن المناسبة هي عطف الأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، على الأمر بالوفاء بالعهد، واعتبارهما من العهد الذي يجب الوفاء به، ويرى تخصيص هاتين العبادتين بالذكر لأنهما سبب في استتباع العبادات الأخرى.

والذي يظهر أن ما ذهب إليه جميع المفسرين يصلح أن يكون مناسبة للآية، إلا أن ماذهب إليه الطاهر أنسب وألطف. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن التكاليف الشرعية جاءت بتقديم المهم فالأهم ، لما في ذلك من التدرج في الدعوة إلى الله تعالى، ولما في ذلك من الحكمة في التعامل مع النفس البشرية.

---

(١) نظم الدرر (١٢٣/١).

(٢) روح المعاني (٣٣٤/١).

والمتتبع لتاريخ التشريع الإلهي يجد أن الشريعة الإسلامية عالَجت كثيرا من القضايا بالتدريج، ولعلّ التدرج التشريعي في تحريم الخمر هو أقرب مثال على ذلك.

٢٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[١].

ذكر الطاهر مناسبة هـذه الآية الكريمـة لما قبلهـا فقال: ((اعتراض بين قوله: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[٣]، ووجه المناسبة في وقوعه هنا أنه لما أمرهم بفعل شعائر الإسلام من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وذيل ذلك بقوله: ﴿ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[٤]، ليشير إلى صلاتهم التي يفعلونها، أصبحت لا تغني عنهم؛ ناسب أن يزاد لذلك أن ما يأمر به دينهم من البر ليسوا قائمين به على ما ينبغي فجيء بهذا الاعتراض))[٥].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((واعلم أنه سبحانه وتعالى لما أمر بالإيمان والشرائع، بناء على ما خصهم به من النعم، ورغبهم في ذلك بناء على مأخذ آخر، وهو أن التغافل عن أعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول، إذ المقصود من أمر الناس بذلك إما النصيحة أو الشفقة، وليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره، أو أن ينصح غيره ويهملَ نفسه؛ فحذرهم الله تعالى من ذلك بأن قرعهم بهذا الكلام))[٦].

- وقال البقاعي: ((ولما أمر علماءهم بما تركوا من معالي الأخلاق من الإيمان والشرائع بعد أمرهم بذكر ما خصهم به من النعم، ونهاهم عما ارتكبوا من سفسافها من كفر النعم، ونقض العهود، وما تبع ذلك، وكانوا يأمرون غيرهم بما يزعمون أنه

(١) الآية (٤٤) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٤٣) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (٤٥) من سورة البقرة.
(٤) من الآية (٤٣) من سورة البقرة.
(٥) التحرير والتنوير (٤٧٤/١).
(٦) مفاتيح الغيب (٤٥/٣).

تزكية، وينهونهم عما يدعون أنه تردية؛ أنكر عليهم، ترغيبا فيما ندبهم إليه، وحثهم عليه، وتوبيخا على تركه بقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ﴾)[١].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن هذه الآية جاءت معترضة بين الآية التي قبلها، والآية التي بعدها، ويرى أن مناسبة هذا الاعتراض هو الإشارة إلى عدم انتفاع بني إسرائيل بصلاتهم، وأنهم ليسوا قائمين بالبر كما ينبغي.

أما الرازي والبقاعي فيريان أن المناسبة هي تقريع بني إسرائيل، وتوبيخهم، لتغافلهم عن أعمال البر مع حث الناس عليها.

والذي يظهر أن الله تعالى لما وجه النداء إلى بني إسرائيل في قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[٢]، أتبعه بعدد من الأوامر والنواهي، فكانت الأوامر ثمانية: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ﴾[٣]، ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾[٤]، ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[٥]، ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ﴾[٦]، ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾[٧]، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٨]، ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٩]، ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٩]، ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[١٠].

---

(١) نظم الدرر (١/١٢٤).
(٢) من الآية (٤٠) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (٤٠) من سورة البقرة.
(٤) من الآية (٤٠) من سورة البقرة.
(٥) من الآية (٤٠) من سورة البقرة.
(٦) من الآية (٤١) من سورة البقرة.
(٧) من الآية (٤١) من سورة البقرة.
(٨) من الآية (٤٣) من سورة البقرة.
(٩) من الآية (٤٣) من سورة البقرة.
(١٠) من الآية (٤٣) من سورة البقرة.

وكانت النـواهي أربعة: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ﴾[1]، ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾[2]، ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾[3]، ﴿وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[4].

ثم إنهم بعد كل تلك الأوامر والنواهي لم يأتمروا ولم ينتهوا، بل جاؤوا بنقيضها، فكان من الضروري تقريعهم على فعلهم هذا، وبذلك يظهر أن الاعتراض في هذه الآية جاء للتقريع والإنكار. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن من أعظم الأمور المستقبحة في الداعية هي عدم التزامه بما يدعو إليه، كون ذلك مدعاةً لعدم استجابة المجتمع له، مما يجعل جهده كشمعة تضيء لغيرها، وتحرق نفسها، ولذلك قرع الله بني إسرائيل على فعلهم هذا، واللبيب من اتعظ بغيره.

---

(١) من الآية (٤١) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٤١) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (٤٢) من سورة البقرة.
(٤) من الآية (٤٢) من سورة البقرة.

٢٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((فإنهم لما خوطبوا بالترغيب، والترهيب، والتنـزيه، والتشويه؛ ظُن بهم أنهم لم يبق في نفوسهم مسلك للشيطان، ولا مجالٌ للخذلان، وأنهم أنشأوا يتحفزون للامتثال، والائتساء، إلا أن ذلك الإلف القديم يثقلُ أرجلَهم في الخطو إلى هذا الطريق القويم، فوصف لهم الدواء الذي به الصلاح))(٢).

وقد وافق الطاهر الرازي، والبقاعي في هذه المناسبة.

- قال الرازي: ((إنه تعالى لما أمرهم بالإيمان، وبترك الإضلال، وبالتزام الشرائع، وهي الصلاة والزكاة، وكان ذلك شاقا عليهم، لما فيه من ترك الرياسات، والإعراض عن المال والجاه؛ لا جرم عالج الله تعالى هذا المرض فقال: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾))(٣).

- وقال البقاعي: ((ولما أنكر عليهم اتباع الهوى؛ أرشدهم إلى دوائه بأعظم أخلاق النفس، وأجل أعمال البدن، فقال عاطفًا على ما مضى من الأوامر: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾))(٤).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما رأى المشقة التي أصابت بني إسرائيل بسبب ما كلفهم به من تكاليف في الآيات السابقة؛ وجههم إلى العلاج الذي يصلح حالهم، والمتمثل في الصبر والصلاة.

---

(١) الآية (٤٥) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٤٧٧/١).

(٣) مفاتيح الغيب (٤٨/٣).

(٤) نظم الدرر (١٢٥/١).

فتكون المناسبة بيانُ علاجِ الحال، بعد الشعور بالمشقة جراء ما كُلفوا به من تكاليف.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن إلف النفس على حال قديم، وضعفها عن تحمل مفارقة ذلك الإلف، لا علاج ناجع له إلا الصبر، الذي يعينها على مفارقة ذلك الإلف، واتباع الحق، وأما الإشارة إلى الصلاة ففيه ترغيب لبني إسرائيل في العمل الصالح.

٢٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عطَف التحذير على التذكير، فإنه لما ذكرهم بالنعمة، وخاصة تفضيلهم على العالمين في زمانهم، وكان ذلك منشأ غرورهم بأنه تفضيل ذاتي، فتوهموا أن التقصير في العمل الصالح لا يضرهم؛ فعقب بالتحذير من ذلك))[٢].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال أبو حيان: ((وكأنهم لما أُمروا بذكر النعم وتفضيلهم؛ ناسب أن من أنعم عليه وفُضل يكون محصلا للتقوى، فأمروا بالإدامة على التقوى، أو بتحصيل التقوى، إن عرض لهم خلل))[٣].

- وقال البقاعي: ((ولما ذكرهم بتخصيصهم بالكرامة، ونهاهم عن المخالفة، وكانت المخالفة مع عظيم النعمة أقبح، وأشد، وأفحش؛ حذّرهم يوما لا ينجي أحدا فيه إلا تقواه))[٤].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر قد وافق البقاعي في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها، فهو يرى أن المناسبة هي تحذير بني إسرائيل من الغرور الذي قد يصيبهم بسبب تفضيل الله تعالى لهم على أُمم زمانهم، وهذا القول أنسب وألطف.

أما أبو حيان فيرى أن المناسبة هي أن التقوى من الأمور التي يتحصل عليها من أنعم الله عليه وفضله، فهي نتيجة حتمية لذلك.

ولا يخفى ما في هذا القول من البعد عن الغرض الذي سيقت لأجله الآيات، وهو محاجة بني إسرائيل، بتذكيرهم بما أنعم الله عليهم، وتقريعهم لعدم إيمانهم بنبوة

---

(١) الآية (٤٨) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٤٨٤/١).
(٣) البحر المحيط (٣٠٦/١).
(٤) نظم الدرر (١٢٧/١).

محمد ﷺ، فكيف يمتدحهم الله تعالى باستحقاقهم هذه الصفة العظيمة، وهم قد بعدوا عن اتباع الحق؟

والذي يظهر أن ما ذهب إليه الطاهر والبقاعي هو الأنسب والأوفق؛ لأن سياق الآيات يدل على أن بني إسرائيل سيغترونَ بأنفسهم -لا محالة- بعد ذكرِ نِعمِ الله تعالى عليهم، فلزم تحذيرهم من ذلك. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن ركون الأمم إلى نعم الله تعالى عليها، لا يعني بالضرورة أنهم غير محاسبين على تقصيرهم في طاعة ربهم ﷻ، بل إن تقصيرهم وإعراضهم لا يمنع من تحذيرهم من عاقبة أمرهم، وتخويفهم من يوم المعاد، فالإعراض -لا شك- منشأُ غضب الله تعالى عليهم، وإهلاكهم.

٢٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((توسطت هاته الآية بين آيات ذكر بني إسرائيل بما أنعم الله عليهم، وما قابلوا به تلك النعم من الكفران، وقلة الاكتراث، فجاءت معترضة بينها لمناسبة يدركها كل بليغ، وهي أن ما تقدم من حكاية سوء مقابلتهم لنعم الله تعالى قد جرت عليهم ضرب الذلة والمسكنة، ورجوعهم بغضب من الله تعالى عليهم، ولما كان الإنحاء عليهم بذلك من شأنه أن يفزعهم إلى طلب الخلاص من غضب الله تعالى، لم يترك الله تعالى عادته مع خلقه من الرحمة بهم، وإرادته صلاح حالهم، فبين لهم في هاته الآية أن باب الله مفتوح لهم، وأن اللجأ إليه أمر هين عليهم، وذلك بأن يؤمنوا، ويعملوا الصالحات))(٢).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((واعلم أن عادة الله إذا ذكر وعدا أو وعيدا؛ عقبه بما يضاده، ليكون الكلام تاما، فهنا لما ذكر حكم الكَفَرة من أهل الكتاب، وما حل بهم من العقوبة؛ أخبر بما للمؤمنين من الأجر العظيم، والثواب الكريم، دالا على أنه سبحانه وتعالى يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته))(٣).

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر الكفرة من أهل الكتاب، وما حل بهم من العقوبة؛ أخبر بما للمؤمنين من الأجر العظيم، دالا على أنه يجزي كُلا بِفعله))(٤).

---

(١) الآية (٦٢) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٥٣١/١).

(٣) مفاتيح الغيب (١٠٤/٣).

(٤) البحر المحيط (٣٨٩/١).

- وقال البقاعي: ((إنه لما أخبر تعالى بأنهم أُلزموا الخزي طوق الحمامة، وكان ذلك ربما أوهم أنه لا خلاص لهم منه وإن تابوا، وكانت عادته سبحانه جارية بأنه إذا ذكر وعدا أو وعيدا عقّبه حكم ضده، ليكون الكلام تاما، أُعلموا أن باب التوبة مفتوح، والرب كريم على وجه عام))[١].

- وقال الآلوسي: ((لما انجر الكلام إلى ذكر وعيد أهل الكتاب؛ قرن به ما يتضمن الوعد، جريا على عادته سبحانه من ذكر الترغيب والترهيب، وبهذا يتضح وجه توسيط هذه الآية وما قبلها بين تعداد النعم))[٢].

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة في هذه الآية هي اقتران الترغيب بالترهيب، وذكر الضد بعد الكلام على ضده، فإن الله تعالى لما ذكر الوعيد والترهيب؛ عقبه بذكر الوعد والترغيب.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى مع شديد عقابه، وعدم رد بأسه عن القوم المجرمين، إلا أنه رحيم بعباده المؤمنين، سواء آمنوا بعد شرك بالله تعالى، أو بعد يهودية أو نصرانية أو غيرها، وأن باب رحمته مفتوح، وهذا فيه ما فيه من التطمين والترغيب، بحيث تأنس النفس إلى الإيمان وتلتزم به.

---

(١) نظم الدرر (١٦٤/١).

(٢) روح المعاني (٣٧٧/١).

٢٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هاتين الآيتين الكريمتين فقال: ((إبطال لدعوى قارة في نفوسهم اقتضاها قولهم: نؤمن بما أنزل علينا، الذي أرادوا به الاعتذار عن إعراضهم عن دعوة محمد ﷺ بعذرٍ أنهم متصلبون في التمسك بالتوراة لا يعدونها، وأنهم بذلك استحقوا محبة الله إياهم، وتكون الآخرة لهم، فلما أُبطلَت دعوى إيمانهم بما أُنزل عليهم بإلزامهم الكذب في دعواهم بسند ما أتاه سلفهم -وهم جدودهم- من الفظائع مع أنبيائهم، والخروج عن أوامر التوراة بالإشراك بالله تعالى بعبادة العجل؛ عقب ذلك بإبطال ما في عقائدهم من أنهم أهل الانفراد برحمة الله ما داموا متمسكين بالتوراة، وأن من خالفها لا يكون له حظ في الآخرة))[٢].

وقد بين البقاعي مناسبة الآيتين لما قبلهما فقال: ((ولما نهضت الأدلة على أنه لا حظ لهم في الآخرة غير النار، وذلك نقيض دعواهم أنها لهم فقط في قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[٣]، تفسيرهم ذلك بأنها سبعة أيام، وأنا نخلفهم فيها؛ ختم سبحانه ذلك بدليل قطعي بديهي فقال: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ﴾))[٤].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر لم يخالف ما جاء به البقاعي، فهو يرى أن المناسبة هي إبطال دعوى التصلب بالإيمان بالتوراة كعذر لعدم الإيمان بالقرآن، وأنهم بذلك استحقوا محبة الله لهم، ولما أبطل الله دعوى إيمانهم بالتوراة، عقب إبطال استحقاقهم الآخرة دون غيرهم.

---

(١) الآيتان (٩٤،٩٥) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٦١٣/١).

(٣) من الآية (٨٠) من سورة البقرة.

(٤) نظم الدرر (٢٠٠/١).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الأجر الأخروي هو أهم ما يتعلق به المؤمن الصادق، كون تلك الحياة هي الحياة السرمدية، كما أن هناك إشارة إلى أن الموت هو أول منازل الآخرة، وأن الإنسان يجازى على عمله بعد موته، إن خيرا فَخيرا، وإن شرا فَشرا.

٢٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ عطف على جملة الشرط وجوابه في قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[2] الآية، بذكر خصلة لهم عجيبة، وهي أخذهم بالأباطيل، بعد ذكر خصلة أخرى، وهي نبذهم للكتاب الحق، فذلك هو مناسبة عطف هذا الخبر على الذي قبله))[3].

وقد بين البقاعي مناسبة هذه الآية لما قبلها فقال: ((ولما كانت سنة الله جارية بأنه ما أمات أحد سنةً إلا زاد في خذلانه بأن أحيى على يده بدعة؛ أعقبهم نبذَهم لكلام الله أولى الأولياء إقبالَهم على كلام الشياطين الذين هم أعدى الأعداء، فقال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ﴾))[4].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة في عطف هذه الجملة على جملة الشرط وجوابه في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ هي لبيان خصلة عجيبة لبني إسرائيل، وهي اتباعهم للأباطيل بعد ذكر خصلة سيئة لهم وهي نبذ كلام الله تعالى.

---

(١) الآية (١٠٢) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١٠١) من سورة البقرة.
(٣) التحرير والتنوير (٦٢٦/١).
(٤) نظم الدرر (٢٠٥/١).

أما البقاعي فيرى أن المناسبة هي العقوبة بالمقابلة، فإن نبذ بني إسرائيل كلام الله جعلهم يقبلون على كلام الشياطين.

وكلا القولين يصلح أن يكون مناسبة للآية، كونهما يحتملان معنى الآية، ولا يخرجان عن مقصودها.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الإعراض عن الهدى له نتيجة حتمية، تتمثل في اتباع الأباطيل، فالبعد عن الهدى قرب من الضلال، والبعد عن الله ﷻ قرب من الشيطان.

٢٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((ومناسبة نزول هاته الآية عقب الآيات المتقدمة في السحر، وما نشأ عن ذمه، أن السحر راجع إلى التمويه، وأن من ضروب السحر ما هو تمويه ألفاظ، وما مبناه على اعتقاد تأثير الألفاظ في المسحور بحسب نِية الساحر، وتوجيهه النفسي إلى المسحور، وقد تأصل هذا عند اليهود واقتنعوا به في مقاومة أعدائهم، ولما كان أذى الشخص بقول، أو فعل لا يعلم مغزاهما -كخطابه بلفظ يفيد معنى، ومقصود المتكلم منه أذى، أو كإهانة صورته، أو الوطء على ظله، كل ذلك- راجعا إلى الاكتفاء بالنية، والتوجه في حصول الأذى؛ كان هذا شبيها ببعض ضروب السحر، ولذلك كان من شعار من استهواهم السحر واشتروه؛ ناسب ذكر هاته الحالة من أحوالهم عقب الكلام على افتتانهم بالسحر وحبه دون بقية ما تقدم من أحوالهم، وهاته المناسبة هي موجب التعقيب في الذكر))[٢].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((اعلم أن الله تعالى لما شرح قبائح أفعالهم قبل مبعث محمد عليه الصلاة والسلام؛ أراد من ههنا أن يشرح قبائح أفعالهم عند مبعث محمد ﷺ، وجِدهم واجتهادهم في القدح فيه، والطعن في دينه))[٣].

- وقال ابن عادل الحنبلي بنص ما قال الرازي: ((اعلم أن الله تعالى لما شرح قبائح أفعالهم قبل مبعث محمد عليه الصلاة والسلام؛ أراد أن يشرح قبائح أفعالهم عند مبعث محمد ﷺ ، وجِدهم واجتهادهم في القَدحِ فيه، والطعن في دينه))[٤].

---

(١) الآية (١٠٤) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٦٥١/١).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٢٣/٣).

(٤) اللباب (٣٥٨/٢).

ومن خلال هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هي التمويه المشترك بين السحر الذي ذُكر في الآيات السابقة، وبين لفظ (راعنا) الذي يراد به الشتم للرسول ﷺ بأسلوب التمويه أيضا، وهو ما سماه الطاهر موجب التعقيب في الذكر.

أما الرازي وابن عادل الحنبلي فالمناسبة عندهما شرح قبائح اليهود، فالآيات السابقة شرحت قبائحهم قبل بعثة الرسول ﷺ، وهذه الآية شرحت قبائحهم بعد البعثة.

والذي يظهر أن ما ذهب إليه الطاهر أنسب، كونه يشير فيها إلى غرض مستقل عن الغرض الذي سيقت له الآيات التي قبلها، أما ما ذهب إليه الرازي وابن عادل الحنبلي فإن فيه إشارة إلى سرد وشرح قبائح اليهود، وهذا يستلزم عطف هذه الآية على ما قبلها، ولا عطف في الآية، بل إن الآية افتتحت بنداء، مما يدل على اختصاصها بغرض آخر، والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

مما سبق بيانه يتضح أن الآية جاءت لبيان أدب للمؤمنين، يصاحبه تعريض باليهود في أذيتهم للرسول ﷺ عن طريق التمويه، وأن هذا التمويه لا يخفى على الله تبارك وتعالى، فقد اطلع الله على نواياهم، وحذّر من فعلهم هذا.

٣٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((فَصلُه عما قبله لاختلاف الغرضين، لأن الآية قبله في تأديب المؤمنين مع التعريض باليهود، وهذه الآية لبيان حسد اليهود وغيرهم للمسلمين، ووجه المناسبة بين الآيتين ظاهر لاتحاد المآل، ولأن الداعي للسب والأذى هو الحسد))[٢].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((واعلم أنه تعالى لما بين حال اليهود والكفار في العداوة والمعاندة؛ حذر المؤمنين منهم فقال: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾))[٣].

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي: ((لما بين حال اليهود والكفار في العداوة والمعاندة؛ وصفهم بما يوجب الحذَر منهم فقال : ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾))[٤].

- وقال البقاعي: ((ولما أرشد ختم الآية إلى العلة الحاملة على الامتثال؛ عللَ بعلة أخرى فقال: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾))[٥].

- وقال الآلوسي: ((وفصلت عما قبل، وإن اشتركا في بيان قبائح اليهود مع الرسول ﷺ والمؤمنين لاختلاف الغرضين، فإن الأول لتأديب المؤمنين، وهذا لتكذيب

---

(١) الآية (١٠٥) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٦٥٢/١).
(٣) مفاتيح الغيب (٢٢٥/٣).
(٤) اللباب (٣٦٢/٢).
(٥) نظم الدرر (٢١١/١).

أولئك الكافرين، ولأجل هذا الاختلاف فُصل السابق عن سابقه، وبما ذَكَرنا يعلَم وجه تعلق الآية بما قبلها))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة في هذه الآية مع الآية التي قبلها هي اتحاد المآل، فالآية الثانية بينت السبب الذي جعل اليهود يسبون الرسول ﷺ، ويؤذونه، وتمثل ذلك السبب في الحسد.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الدوافع النفسية السيئة لليهود جعلتهم لا يقرون بالحق، بل دفَعتهم إلى إيذاء المسلمين، ويظهر ذلك من أمرين:

الأول: عدم إيمانهم بنبوة محمد ﷺ، بحجة تمسكهم بالتوراة، وقد فضحهم الله بأنهم فرطوا في التوراة وحرفوها.

الثاني: سبهم للرسول ﷺ، وشتمه.

وكلا الأمرين منشأهما الحسد الذي اتصفوا به.

(١) روح المعاني (٤٧٦/١).

٣١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((مناسبة هذه الآية للآيات قبلها أن اليهود اعتذروا عن إعراضهم عن الإيمان بالنبيء ﷺ بقولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾[٢]، وأرادوا به أنهم يكفرون بغيره، وهم في عذرهم ذلك يدعون أن شريعتهم لا تنسخ، ويقولون إن محمدا وصف التوراة بأنها حق، وأنه جاء مصدقًا لها، فكيف يكون شرعه مبطلا للتوراة؟ ويموهون على الناس بما سموه البداء، وهو لزوم أن يكون الله تعالى غير عالم بما يحسن تشريعه، وأنه يبدو له الأمر ثم يعرض عنه، ويبدل شريعة بشريعة، وقد رد الله عليهم عذرهم وفضحهم بأنهم ليسوا متمسكين بشرعهم حتى يتصلبوا فيه، وذلك من قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾[٣]، وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾[٤]إلخ، وبأنهم لا داعي لهم غير الحسد بقوله: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله: ﴿ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٥]المنبئ أن العلة هي الحسد، فلما بين الرد عليهم في ذلك كله؛ أراد نقض تلك السفسطة[٦]أو الشبهة التي راموا ترويجها على الناس بمنع النسخ))[٧].

---

(١) الآية (١٠٦) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٩١) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (٩١) من سورة البقرة.

(٤) من الآية (٩٤) من سورة البقرة.

(٥) الآية (١٠٥) من سورة البقرة.

(٦) السفسطة: المغالطة، والإتيان بحكمة مضللة. ينظر: المعجم الوسيط، مادة (سفسط)، باب السين (٤٥٩/١)؛ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، باب الطاء، فصل السين (٢٨٣/١٠).

(٧) التحرير والتنوير (٦٥٤/١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال البقاعي: ((ولما حرم سبحانه قوله: ﴿رَٰعِنَا﴾[1] بعد حله وكان ذلك من باب النسخ، وأنهى ما يتعلق به بالوصف بالفضل العظيم بعد التخصيص الذي من مقتضاه نقل ما يكون من المنافع من ملك، أو دين، أو قوة، أو علم، من ناس إلى ناس، وكان اليهود يرون أن دينهم لا ينسخ، فكان النسخ -لذلك- من مطاعنهم في هذا الدين، وفي كون هذا الكتاب هدى للمتقين، لأنه على زعمهم لا يجوز على الله، قالوا: لأنه يلزم منه البدا...، وهو أن يبدو الشيء، أي يظهر بعد أن لم يكن، وذلك لا يجوز على الله تعالى، هذا مع أن النسخ في كتابهم الذي بين أظهرهم، فإن فيه أنه تعالى أمرهم بالدخول إلى بيت المقدس بعد مقاتلة الجبارين، فلما أبوا حرم عليهم دخولها، ومنعهم منه، ومن القتال بالقدرة والأمر،...وأعظم من ذلك تعاطيهم من النسخ ما لم يأذن به الله في تحريفهم الكلم عن مواضعه، وتحريم الأحبار والرهبان، وتحليلهم لهم ما شاؤوا من الأحكام...، وكما فعلوا في إبدال الرجم في الزنا بالتحميم والجلد؛ وفي اتباع ما تتلو الشياطين مع أن فيه إبطال كثير من شرعهم، إلى غير ذلك، لما كان ذلك؛ قال تعالى -جوابا عن طعنهم، سابقاً له في مظهر العظمة، معلما أنه قد ألبس العرب المحسودين ما كان قد زين به أهل الكتاب دهورا، فابتذلوه، ودنسوا محياه، ورذلوه، وغَيروه، وبدلوه، إشارة إلى أن الحسد لكونه اعتراضا على المنعم يكون سببا لإلباس المحسود ثوب الحاسد- : ﴿مَا نَنسَخْ﴾))[2].

- وقال الآلوسي: ((ومناسبة الآية لما قبلها أن فيه ما هو من قبيل النسخ، حيث أقر الصحابة ﷺ مدةً على قول (راعنا)، وإقراره ﷺ على الشيء منـزلٌ منـزلة الأمر به، والإذن فيه، ثم إنهم نهوا عن ذلك.

---

(١) من الآية (١٠٤) من سورة البقرة.

(٢) نظم الدرر (٢١٣/١).

أو لأنه تعالى لما ذكر أنه ذو الفضل العظيم كادت ترفع الطغام[(١)] رؤوسها وتقول: إن من الفضل عدم النسخ، لأن النفوس إذا داومت على شيء سهلَ عليها، فأتى سبحانه بما ينكس رءوسهم، ويكسر ناموسهم، ويشير إلى أن النسخ من جملة فضله العظيم، وجوده العميم.

أو لأنه تعالى لما أشار إلى حقية الوحي، ورد كلام الكارهين له رأسا؛ عقبه بما يبين سر النسخ الذي هو فرد من أفراد تنـزيل الوحي، وإبطال مقالة الطاعنين فيه، فليتدبر))[(٢)].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر قد وافق البقاعي في بيان مناسبة هذه الآية لما قبلها، فهو يرى أن المناسبة هي نقض شبهة منع النسخ التي روج لها اليهود.

أما الآلوسي فقد ذكر ثلاثة أوجه تحتمل جميعها مناسبة هذه الآية لما قبلها.

الوجه الأول: مناسبة الآية لسبب النـزول.

الوجه الثاني: تنكيس رؤوس اليهود الذين قد يدعون أنه من الفضل عدم النسخ، كون الآية مرتبطة بقوله تعالى في الآية التي سبقتها: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[(٣)].

الوجه الثالث: بيان سر النسخ، وإبطال مقالة الطاعنين في حقية الوحي.

ومن خلال هذا العرض يظهر أن جميع ما ذُكر يصلح أن يكون مناسبة لربط هذه الآية بما قبلها، كون جميع الأقوال تدور حول شبهة إنكار النسخ، التي روج لها اليهود، وهذا يلتئم مع السابق واللاحق من الآيات، والله تعالى أعلم.

---

(١) الطغام: أوغاد الناس وأرذالهم. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (طغم)، باب الميم، فصل الطاء (٢٠٤/٤)؛ مختار الصحاح، باب الطاء (ص٣٩٣)؛ المعجم الوسيط، باب الطاء (٥٨٥/٢).

(٢) روح المعاني (٤٧٩/١).

(٣) من الآية (١٠٥) من سورة البقرة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى عندما أراد نقض شبهة اليهود المتمثلة في منع النسخ؛ بين الحكمة منه، ليستبين الأمر، وتنتفي الجهالة به، وليعلمهم أن النسخ من أجل مصلحة الأمة كافة، وأنه ليس عبثًا، ولا مانع من حدوثه، لأن الله تعالى يعلم أن إنكار اليهود للنسخ ما هو إلا قاعدة يريدون الانطلاق منها لإنكار نسخ ديانتهم بالإسلام، فَبكَّتهم وألغى ادعاءهم.

٣٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((مناسبته لما قبله أن ما تقدم إخبار عن حسد أهل الكتاب، وخاصة اليهود منهم، وآخرتها شبهة النسخ، فجيء في هذه الآية بتصريح بمفهوم قوله: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾(٢)الآية، لأنهم إذا لم يودوا مجيء هذا الدين الذي اتبعه المسلمون، فهم يودون بقاء من أسلم على كفره، ويودون أن يرجع بعد إسلامه إلى الكفر))(٣).

وذكر البقاعي مناسبة هذه الآية لما قبلها فقال: ((ولما كان أكثر المثيرين لهذه الشكوك في صور أهل الإسلام؛ قال تعالى -مخاطبا للمؤمنين وهم في غمارهم، تنفيرا لهم عن الضلال الذي هو في نفسه أهلٌ لأن ينفر عنه، فكيف وهو شماتة العدو، وبتخييله ووداته، تحذيرا لهم من مخالطتهم-: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ﴾))(٤).

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر قد وافق ما ذكره البقاعي في المعنى، وإن لم يوافقه نصا.

فالمناسبة هي بيان لمنطوق ومفهوم الآية التي قبلها، وزيادة في إيضاح موقف اليهود المعادي للمؤمنين، والمتمثل في حسدهم على ما أنعم الله تعالى به عليهم من الإسلام، ورغبتهم أن يرتد المسلمون عن دينهم.

---

(١) الآية (١٠٩) من سورة البقرة.
(٢) الآية (١٠٥) من سورة البقرة.
(٣) التحرير والتنوير (٦٦٩/١).
(٤) نظم الدرر (٢١٩/١).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الحاسد قد يتحول تمنيه زوال النعمة عن الغير إلى ود متمكنٍ في النفس لزوال تلك النعمة، فاليهود ودوا أن تزول نعمة الإيمان عن الذين آمنوا ليرتدوا إلى الشرك الذي لا يقره اليهود أنفسهم، وبذلك يظهر مدى حسدهم للمؤمنين.

٣٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((فالمناسبة أنه بعد أن وفى أهل الكتاب حقهم من فضح نواياهم في دين الإسلام وأهله، وبيان أن تلك شنشنة[2]متأصلة فيهم مع كل من جاءهم بما يخالف هواهم، وكان قد أشار إلى أن المشركين شابهوهم في ذلك عند قوله: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[3]، عطف الكلام إلى بيان ما تفرع عن عدم ودادة المشركين نزول القرآن، فبين أن ظلمهم في ذلك لم يبلغه أحد ممن قبلهم، إذ منعوا مساجد الله، وسدوا طريق الهدى، وحالوا بين الناس وبين زيارة المسجد الحرام، الذي هو فخرهم، وسبب مكانتهم، وليس هذا شأن طالب صلاح الخلق بل هذا شأن الحاسد المغتاظ))[4].

<u>أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:</u>

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآيـة لما قبلها: أنه جرى ذكر النصـارى في قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[5]، وجـرى ذكر المشركين في قوله:﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾[6]، وفي أي نزلت منهم كان ذلك مناسبا لذكرها تلي ما قبلها))[7].

---

(١) الآية (١١٤) من سورة البقرة.

(٢) الشنشنة: العادة الغالبة، والـخلُق والطبيعة. ينظر: مختار الصحاح، (مادة شنن)، باب الشين (ص٣٤٩)؛ المعجم الوسيط، باب الشين (٥٢١/١).

(٣) من الآية (١٠٥) من سورة البقرة.

(٤) التحرير والتنوير (٦٧٩/١).

(٥) من الآية (١١٣) من سورة البقرة.

(٦) من الآية (١١٣) من سورة البقرة.

(٧) البحر المحيط (٥٧١/١).

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه:

فأما من حملها على النصارى، وخراب بيت المقدس قال: تتصل بما قبلها من حيث النصارى، ادعوا أنهم من أهل الجنة فقط، فقيل لهم: كيف تكونون كذلك مع أن معاملتكم في تخريب المساجد، والسعي في خرابها هكذا؟

وأما من حمله على المسجد الحرام، وسائر المساجد، قال: جرى ذكر مشركي العرب في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾[(١)].

وقيل: ذَم جميع الكفار، فَمرةً وجه الذنب إلى اليهود والنصارى، ومرة إلى المشركين))[(٢)].

- وقال البقاعي: ((ولما اشتركت جميـع هذه الفرق في الظلم، وزاد الجهلةُ منع حزب الله من عمارة المسجد الحرام بما يرضيه من القـول والفعل، فازدادوا بذلك ظُلما آخر، وكان من منع مسجـدا واحدا لكونه مسجدا مانعا لجميع المساجد؛ قال: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾))[(٣)].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هي أن عدم ودادة المشركين نزول القرآن على محمد ﷺ تفرع عنه عتوهم في الظلم بمنع المسلمين من زيارة المسجد الحرام.

أما أبو حيان فيرى أن المناسبة الإشارة بالظلم يتساوى فيها النصارى والمشركون.

وأما ابن عادل الحنبلي فيرى أن في اتصال الآية بما قبلها ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: الإشارة إلى النصارى، وهذا عند من فسر المساجد ببيت المقدس.

الوجه الثاني: الإشارة إلى المشركين، وهذا عند من فسر المساجد بالمسجد الحرام.

---

(١) من الآية (١١٣) من سورة البقرة.

(٢) اللباب (٤٠٧/٢).

(٣) نظم الدرر (٢٢٤/١).

الوجه الثالث: الإشارة إلى جميع الكفار، سواء كانوا من أهل الكتاب أم من المشركين.

أما البقاعي فيرى أن المناسبة هي زيادة ظلم جميع الفرق، وتماديهم في ذلك.

والذي يظهر أن جميع ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية، إلا أ قول الطاهر أدق في التعبير، وأنسب، وهو أن الله تعالى لما فضح نوايا أهل الكتاب الشريرة، وكان قد أشار إلى مشابهة المشركين لهم، بحسد المسلمين على نعمة الإسلام؛ عطَف الكلام ليبين مدى ظلم المشركين.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن المشركين قد امتلأت صدورهم حقدا وحسدا على المؤمنين، ولم يعد بينهم وبين اليهود فرق في موقفهم من المؤمنين، ولكن المشركين أرادوا استعمال أعظم أنواع الظلم بمنعهم المسلمين من زيارة أعظم وأقدس مكان، وهو المسجد الحرام، الذي لهم حق فيه، وهنا إشارة إلى أن المؤمنين لا يواجهون عدوا واحدا، إنما يواجهون أكثر من عدو، من أكثر من جهة.

٣٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((لما جاء بوعيدهم ووعد المؤمنين؛ عطف على ذلك تسلية المؤمنين على خروجهم من مكة، ونكاية المشركين بفسخ ابتهاجهم بخروج المؤمنين منها، وانفرادهم هم بمزية جوار الكعبة))[(٢)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((والذي يظهر أن انتظام هذه الآية بما قبلها هو: أنه لما ذكر منع المساجد من ذكر الله والسعي في تخريبها، نبه على أن ذلك لا يمنع من أداء الصلوات، ولا من ذكر الله، إذ المشرق والمغرب لله تعالى، فأي جهة أديتم فيها العبادة، فهي لله يثيب على ذلك، ولا يختص مكان التأدية بالمسجد))[(٣)].

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ جملة مرتبطة بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾[(٤)]، و﴿وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾[(٥)]، يعنى: أنه إن سعى في المنع من ذكره تعالى وفي خراب بيوته، فليس في ذلك مانعا من أداء العبادة في غيرها؛ لأن المشرق والمغرب وما بينهما له تعالى))[(٦)].

- وقال البقاعي: ((ولما أفهمت الآية أنه حصل لأولياء الله منع من عمارة بيت الله بذكره، وكان الله تعالى قد من على هذه الأمة بأن جعل الأرض كلها لها مسجدا؛

---

(١) الآية (١١٥) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٦٨٢/١).

(٣) البحر المحيط (٥٧٦/١).

(٤) من الآية (١١٤) من سورة البقرة.

(٥) من الآية (١١٤) من سورة البقرة.

(٦) اللباب (٤١٣/٢).

سلّى المؤمنين بأنهم أينما صلوا بقصد عبادته لَقيهم ثوابه، لأنه لا يختص به جهة دون جهة، لأن ملكه للكل على حد سواء، فكان كأنه قيل: فأقيموا الصلاة التي هي أعظم ذكر الله حيثما كنتم فإنه لله، كما أن المسجد الذي منعتموه لله))[١].

- وقال الآلوسي: ((ووجه الارتباط حينئذ أنه لما جرى ذكر المساجد سابقًا؛ أورد بعدها تقريبا حكم القبلة على سبيل الاعتراض))[٢].

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة هي تسلية المؤمنين لفراقهم مجاورة البيت الحرام، وإعلاما لهم أن الأرض كلها مكانٌ للعبادة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على أن الأرض كلها لله تعالى، وأن الإنسان إذا كانت وجهته نحو مرضاة الله، فأينما تولى سيجد رضى ربه تبارك وتعالى، فمن كانت وجهته الكفر والغرور والظلم فما يغني عنه الالتجاء بالمواضع المقدسة، بل هو فيها دخيل لا يلبث أن يغادرها عاجِلا أم آجِلا دون أن يجني ثمرة طيبةً من ثمار جوارها.

---

(١) نظم الدرر (٢٢٦/١).

(٢) روح المعاني (٤٩٨/١).

٣٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عطف على قـوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ﴾[(٢)]، المعطوف على قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾[(٣)]، لمناسبة اشتراك المشركين واليهود والنصارى في الأقوال والعقائد الضالة))[(٤)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((لما حكى عن اليهود والنصارى والمشركين ما يقدح في التوحيد، وهو أنه تعالى اتخذ الولد؛ حكى الآن عنهم ما يقدح في النبوة))[(٥)].

- وقال أبو حيان: ((ولما حكى عنهم نسبة الولد إلى الله تعالى؛ أعقب ذلك بمقالة أخرى لهم تدل على تعنتهم وجهلهم بما يجب لله تعالى من التعظيم، وعدم الاقتراح على أنبيائه))[(٦)].

- وقال البقاعي: ((ولما تقرر بما أنبأ من بديع آياته في منبث مصنوعاته أن عظمته تقصر عنها الأوهام، وتنكص خاسئةً دونها نوافذ الأفهام؛ عجب من الجرأة عليه بما استوى فيه حال الجهلة من العرب بالعلماء من أهل الكتاب، تبكيتا لهم، وتنفيرا منهم،

---

(١) الآية (١١٨) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١١٦) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (١١٣) من سورة البقرة.
(٤) التحرير والتنوير (٦٨٨/١).
(٥) مفاتيح الغيب (٢٨/٤).
(٦) البحر المحيط (٥٨٧/١).

بأنه لا حامل لهم على الرضى لأنفسهم بالنـزول من أوج العلم إلى حضيض أهل الجهل إلا اتباع الهوى فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾))[١].

- وقال الآلوسي: ((ووجه الارتباط أن الأول كان قَدحا في التوحيد، وهذا قَدح في النبوة))[٢].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ذكر من شأن اليهود والنصارى ما يقدح في عقائدهم؛ عطف عليه بما يقدح في عقيدة المشركين، لمناسبة اشتراكهم في الأقوال الباطلة، والعقائد الضالة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الإسلام قد واجه حملة شرسة من قبل عدة أطراف اشتركت في تلك المواجهة، تمثّلت في اليهود والنصارى والمشركين، وفي ذلك إشارة إلى أن أهل الباطل -وإن اختلفوا مع بعضهم- يد واحدةٌ ضد أهل الحق.

---

(١) نظم الدرر (٢٣٢/١).

(٢) روح المعاني (٥٠٣/١).

٣٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((لما كملت الحجج نهوضا على أهل الكتابين ومشركي العرب في عميق ضلالهم بإعراضهم عن الإسلام، وتبين سوء نواياهم التي حالت دون الاهتداء بهديه، والانتفاع بفضله، وسجل ذلك على زعماء المعاندين -أعني اليهود- ابتداء بقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[2]مرتين، وأُدمج معهم النصارى استطرادا مقصودا، ثم أُنصف المنصفون منهم الذين يتلون الكتاب حق تلاوته؛ أُنتقل إلى توجيه التوبيخ والتذكير إلى العرب، الذين يزعمون أنهم أفضل ذرية إبراهيم، وأنهم يتعلقون بملته، وأنهم زرع إسماعيل، وسدنة البيت[3]الذي بناه))[4].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما استقصى في شرح وجوه نعمه على بني إسرائيل، ثم في شرح قبائحهم في أديانهم، وأعمالهم، وختم هذا الفصل بما بدأ به وهو قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ﴾[5]إلى قوله: ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾[6]؛ شرع سبحانه ههنا في نوع آخر من البيان، وهو أن ذكر قصة إبراهيم عليه السلام، وكيفية أحواله، والحكمة فيه أن إبراهيم عليه السلام شخص يعترف بفضله جميع الطوائف والملل، فالمشركون كانوا معترفين بفضله، متشرفين بأنهم من أولاده، ومن ساكني حرمه،

(١) الآية (١٢٤) من سورة البقرة.

(٢) في الآيتين (٤٧، ١٢٢) من سورة البقرة.

(٣) سدنة: جمع سادن، والسادن خادم الكعبة. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (سدن)، باب النون، فصل السين (٣٣٣/٤)؛ مختار الصحاح، باب السين (ص٢٩٢)؛ المعجم الوسيط، باب السين (٤٤٩/١).

(٤) التحرير والتنوير (٦٩٩/١).

(٥) من الآية (١٢٢) من سورة البقرة.

(٦) من الآية (١٢٣) من سورة البقرة.

وخادمي بيته، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضا مقرين بفضله، متشرفين بأنهم من أولاده، فحكى الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام أمورا توجب على المشركين، وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد ﷺ، والاعتراف بدينه، والانقياد لشرعه))(١).

- وقال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما جرى ذكر الكعبة والقبلة، وأن اليهود عيروا المؤمنين بتوجههم إلى الكعبة، وترك بيت المقدس...؛ ذكر حديث إبراهيم وما ابتلاه به الله))(٢).

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما شرح و جوه نعمه على بني إسرائيل؛ وشرح قبائحهم في أديانهم وأعمالهم، وختم هذا الفصل بشرح النعم بقوله: ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾(٣)؛ بين نوعا آخر من البيان، وهو أن ذكر قصة إبراهيم عليه السلام، والحكمة فيه أن إبراهيم عليه السلام معترف بفضله جميع الطوائف، والمشركون أيضا معترفون بفضله، متشرفون بأنهم من أولاده، ومن ساكني حرمه، وخادمي بيته، فذكر فضيلته لهم؛ لأنها تدلّ على قبول محمد ﷺ))(٤).

- وقال البقاعي: ((ولما عاب سبحانه أهل الضلال، وكان جلهم من ذرية إبراهيم عليه السلام، وجميع طوائف الملل تعظمه، ومنهم العرب، وبيته الذي بناه أكبر مفاخرهم، وأعظم مآثرهم؛ ذَكر الجميع ما أنعم به عليه تذكيرا يؤدي إلى ثبوت هذا الدين، باطلاع هذا النبي الأمي، الذي لم يخالط عالـما قط على ما لا يعلمه إلا خواص العلماء))(٥).

- وقال الآلوسي: ((والمشهور: تعلقها بمضمر مقدم تقديره: (اذكر) أو: (اذكروا وقت كذا)، والجملة حينئذ معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة، والجامع

(١) مفاتيح الغيب (٣٣/٤).
(٢) البحر المحيط (٥٩٩/١).
(٣) من الآية (١٢٢) من سورة البقرة.
(٤) اللباب (٤٤٦/٢).
(٥) نظم الدرر (٢٣٧/١).

الاتحاد في المقصد؛ فإن المقصد من تذكيرهم وتخويفهم تحريضهم على قبول دينه ﷺ، واتباع الحق، وترك التعصب، وحب الرياسة، كذلك المقصد من قصة إبراهيم عليه السلام، وشرح أحواله، الدعوة على ملة الإسلام، وترك التعصب في الدين، وذلك لأنه إذا علم أنه نال الإمامة بالانقياد لحكمه تعالى، وأنه لم يستجب دعاءه في الظالمين، وأن الكعبة كانت مطافًا ومعبدا في وقته مأمورا هو بتطهيره، وأنه كان يحج البيت داعيا مبتهلا كما هو في دين النبي ﷺ، وأن نبينا عليه الصلاة والسلام من دعوته، وأنه دعا في حق نفسه وذريته بملة الإسلام؛ كان الواجب على من يعترف بفضله وأنه من أولاده، ويزعم اتباع ملته، ويباهي بأنه من ساكني حرمه، وحامي بيته، أن يكون حاله مثل ذلك))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر والآلوسي يريان أن المناسبة هنا هي الاتحاد في المقصد، مع اختلاف في تعبير كل منهما.

أما الرازي وابن عادل الحنبلي فإنهما يريان أن المناسبة هنا هي إيراد نوع آخر من البيان.

وأما أبو حيان فيرى أن المناسبة هنا هي الاشتراك في الحال.

والبقاعي يرى أن المناسبة هنا هي تذكير جميع الطوائف والملل بما أنعم الله تعالى به على إبراهيم عليه السلام.

والذي يظهر أن جميع ما ذُكر يصلح أن يكون مناسبة هذه الآية لما قبلها، إلا أن ما ذكره الطاهر أولى من غيره، كونه متفق مع حال مشركي العرب، الذين هم أفضل ذرية إبراهيم عليه السلام، وزرع إسماعيل عليه السلام، كما أنهم سدنة البيت الحرام، فهو يرى أنه لما كملت الحُجج نهوضا على اليهود والنصارى والمشركين، وتبين سوء نواياهم؛ انتقل الحديث إلى توجيه التوبيخ والتذكير إلى العرب.

---

(١) روح المعاني (٥٠٨/١).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن مشركي العرب لما عارضوا دعوة الرسول ﷺ، وحاربوها، بل وكادوا لها، وخططوا للنيل منها، والقضاء عليها؛ ذَكَّرهم الله بمن يعظمونه، ويعظمون البيت الذي بناه بالطواف حوله، وفي ذلك إشعار لهم بصدق القرآن، واستمالة لهم إلى دين الحق، كما أن فيه إشارة إلى أن الدعوة عن طريق تذكير المدعو بما يرغبه في قبول الدعوة من أهم وسائل نجاحها، وقبولها لدى الآخرين.

٣٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هاتين الآيتين الكريمتين لما قبلهما فقال: ((موقع هاته الآيات من سوابقها موقع النتيجة بعد الدليل، فإنه لما بين فضائل إبراهيم من قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾[2]إلى هنا؛ علم أن صاحب هاته الفضائل لا يعدلُ عن دينه والاقتداء به إلا سفيه العقل، أفن الرأي[3]))[4].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية لما قبلها، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أن الله تعالى بعد أن ذكر أمر إبراهيم عليه السلام، وما أجراه على يده من شرائف شرائعه التي ابتلاه بها، ومن بناء بيته، وأمره بحج عباد الله إليه، وما جبله الله تعالى عليه من الحرص على مصالح عباده، ودعائه بالخير لهم، وغير ذلك من الأمور التي سلف في هذه الآية السالفة؛ عجب الناس فقال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾، والإيمان بما أتى من شرائعه، فكان في ذلك توبيخ اليهود والنصارى ومشركي العرب))[5].

---

(١) الآيتان (١٣٠،١٣١) من سورة البقرة.

(٢) الآية (١٢٤) من سورة البقرة.

(٣) أفن: ناقص الرأي والعقل. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (أفن)، باب النون، فصل الهمزة (٤/ ٢٨٠)؛ مختار الصحاح، باب الهمزة (ص١٩).

(٤) التحرير والتنوير (٧٢٤/١).

(٥) مفاتيح الغيب (٦٨/٤).

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((لما ذكر أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وشرائعه التي ابتلاه الله بها، وبناء بيته، والحرص على مصالح عباده، ودعائه بالخير لهم، وغير ذلك؛ عجب الناس فقال: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾))[(١)].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين فضائل إبراهيم عليه السلام، ومكانته الشريفة؛ ورأى الذين ينتسبون إليه، ويفخرون به معرضين عن الإيمان بمحمد ﷺ الذي هو على ملة إبراهيم عليه السلام؛ تعجب من إعراضهم، وحذر من مخالفة دينه، ووبخ كل من يحيد عن شريعته، ووصفه بالسفيه الذي يورد نفسه مواطن الهلكة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى قد أعطى ملة إبراهيم عليه السلام ميزةً عامةً، وشأنا عظيما، وفي ذلك إشارة إلى مكانة أبي الأنبياء عليه السلام.

ونبينا محمد ﷺ وهبه الله تعالى تلك الصفات الربانية، والمكانة الرفيعة، التي شهد له بها، فاستحق أن يكون رسولا نبيا متبعا كما أراده ربه عز وجل، وعندما يخالفه شخص، ويسلك غير منهجه، فإنه لا يمكن أن يكون راشدا، بل أقل ما يقال فيه: إنه سفيه خفيف العقل.

---

(١) اللباب (٢/٤٩٧).

٣٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عقبت الآيات المتقدمة من قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾(٢)بهذه الآية لأن تلك الآيات تضمنت الثناء على إبراهيم وبنيه، والتنويه بشأنهم، والتعريض بمن لم يقْتف آثارهم من ذريتهم، وكأن ذلك قد ينتحل منه المغرورون عذرا لأنفسهم فيقولون نحن وإن قصرنا فإن لنا من فضل آبائنا مسلكًا لنجاتنا، فَذُكرت هذه الآية لإفادة أن الجزاء بالأعمال، لا بالاتكال))(٣).

وبهذا المعنى ذكر البقاعي مناسبة هذه الآية لما قبلها فقال: ((ولما كان في ذلك أعظم تسجيل عليهم، بأنهم نابذوا وصية الأصفياء من أسلافهم، ومرقوا من دينهم، وتعبدوا بخلافهم، وكان من المعلوم قطعا أن الجواب أنهم ما شهدوا ذلك، ولا هم مسلمون؛ عبر عنه بقوله: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾))(٤).

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة هنا هي أن الله تعالى لما أثنى على إبراهيم عليه السلام وبنيه في الآيات السابقة، وعرض بمن لم يؤمن برسالته من ذريته، وخيف أن يتعذّر أولئك بآبائهم فينحرفون عن الحق، أو يقصرون في الأخذ به؛ عقّب بذكر هذه الآية ليبطل اعتقادهم ذلك.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن كل شخصٍ مختص ومحاسب بعمله، وثوابه لا ينصرف إلى غيره، وبالتالي فلا يمكن أن ينتفع الابن الضال بحسنات أبيه المهتدي،

---

(١) الآية (١٣٤) من سورة البقرة.

(٢) الآية (١٢٤) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٧٣٥/١).

(٤) نظم الدرر (٢٥٢/١).

والعكس كذلك، وهنا قَطَع الله أمانيّ المتواكلين، الذين علقوا آمالهم بصلاح أبيهم إبراهيم عليه السلام وأبنائه، وظنوا أنهم نافعوهم يوم القيامة.

والقرآن الكريم والسنة النبوية قد وردت فيهما قَصص من هذا القبيل عديدة، كقصة نوح عليه السلام وابنه، وقصة إبراهيم عليه السلام وأبيه، وقصة نبينا محمد ﷺ وعمه أبي طالب.

فكانت عظةً وعبرةً لأولي الألباب.

٣٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((الظاهر أنه عطف على قوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[(٢)]، فإنه بعد أن ذمهم بالعدول عن تلقي الإسلام الذي شمل خصال الحنيفية، بين كيفية إعراضهم، ومقدار غرورهم، بأنهم حصروا الـهدى في اليهودية والنصرانية، أي كل فريق منهم حصر الهدى في دينه))[(٣)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بين الدلائل التي تقدمت صحة دين الإسلام؛ حكى بعدها أنواعا من شبه المخالفين الطاعنين في الإسلام))[(٤)].

- وقال البقاعي: ((ولما أخبر تعالى أنهم تركوا السنةَ في تهذيب أنفسهم، بالاقتداء في الاهتداء بالأصفياء من أسلافهم، وبين بطلان ما هم عليه الآن من كل وجه، وأوضح أنه محض الضلال؛ بين أنه عاقبهم على ذلك بأن صيرهم دعاةً إلى الكفر، لأن سنته الماضيةَ سبقت، ولن تجد لسنته تحويلا أن من أمات سنة أحيى على يديه بدعة عقوبة له))[(٥)].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هنا هي توضيح وبيانٌ لكيفية إعراض اليهود والنصارى، ومقدار غرورهم.

أما ما أورده الرازي فلا يختلف كثيرا مع ما ذكره الطاهر.

---

(١) الآية (١٣٥) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (١٣٠) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٧٣٦/١).

(٤) مفاتيح الغيب (٨٠/٤).

(٥) نظم الدرر (٢٥٣/١).

وأما البقاعي فيرى أن المناسبة هي بيانٌ للعقوبة التي عاقب الله تعالى بها اليهود والنصارى، فإنهم لما تركوا السنة في تهذيب أنفسهم وهدايتها إلى الإسلام؛ عاقبهم بأن صيرهم دعاة إلى الكفر.

والذي يظهر أن جميع ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية، فالآيات السابقة تحدثت عن إعراض اليهود والنصارى عن الحق، ومعاندتهم، وتكبرهم، فكان الأنسب أن يوضح بعد ذلك كيفية ذلك الإعراض، وسببه، المتمثل في اعتقادهم الباطل، فاليهود يعتقدون بأن الحق في اليهودية، والنصارى يعتقدون أن الحق في النصرانية. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن اليهود والنصارى قد بلغ بهم الغرور مبلغه، حين دعوا الناس إلى اعتناق اليهودية والنصرانية، معتقدين صحةَ ذلك، وفي ذلك إشارة مهمة إلى اعتقاد آخر موجود لديهم -يفهم من اعتقادهم الـمعلن- وهو نفي الهدى عن متبعي ملة إبراهيم عليه السلام، وهذا منتهى الغرور.

٤٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها ولما بعدها فقال: ((قد خفي موقع هذه الآية من الآي التي بعدها، لأن الظاهر منها أنها إخبار عن أمرٍ يقع في المستقبل، وأن القبلة المذكورة فيها هي القبلة التي كانت في أول الهجرة بالمدينة، وهي استقبال بيت المقدس، وأن التولي عنها هو نسخها باستقبال الكعبة، فكان الشأن أن يترقب طعن الطاعنين في هذا التحويل بعد وقوع النسخ، أي بعد الآيات الناسخة لاستقبال بيت المقدس، لما هو معلوم من دأبهم من الترصد للطعن في تصرفات المسلمين، فإن السورة نزلت متتابعة، والأصل موافقة التلاوة للنـزول في السورة الواحدة، إلا ما ثبت أنه نزل متأخرا ويتلى متقدما.

والظاهر أن المراد بالقبلة الـمحولة القبلةُ المنسوخةُ، وهي استقبال بيت المقدس، أعني الشرق، وهي قبلة اليهود، ولم يشف أحد من المفسرين، وأصحاب أسباب النـزول الغليلَ في هذا على أن المناسبة بينها وبين الآي الذي قبلها غير واضحة، فاحتاج بعض المفسرين إلى تكلف إبدائها.

والذي استقر عليه فهمي أن مناسبة وقوع هذه الآية هنا مناسبة بديعة، وهي أن الآيات التي قبلها تكرر فيها التنويه بإبراهيم وملته، والكعبة، وأن من يرغب عنها قد سفه نفسه، فكانت مثارا لأن يقول المشركون ما ولى محمدا وأتباعه عن قبلتهم التي كانوا عليها بمكة، أي استقبال الكعبة، مع أنه يقول أنه على ملة إبراهيم، ويأبى عن اتباع اليهودية والنصرانية، فكيف ترك قبلة إبراهيم، واستقبل بيت المقدس؟ ولأنه قد تكررت الإشارة في الآيات السابقة إلى هذا الغرض بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾[(٣)]...وقد علم الله ذلك

(١) الآية (١٤٢) من سورة البقرة.

(٢) الآية (١١٥) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (١٢٠) من سورة البقرة.

منهم فأنبأ رسوله بقولهم، وأتى فيه بهذا الموقع العجيب، وهو أن جعله بعد الآيات المشيرة له، وقبل الآيات التي أنزلت إليه في نسخ استقبال بيت المقدس، والأمر بالتوجه في الصلاة إلى جهة الكعبة، لئلا يكون القرآن الذي فيه الأمر باستقبال الكعبة نازلا بعد مقالة المشركين، ويشمخ بأنوفهم، يقولون غَير محمد قبلَته من أجل اعتراضنا عليه، فكان لموضع هذه الآية هنا أفضلُ تمكنٍ، وأوثَق ربط))(١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها أن اليهود والنصارى قالوا: إن إبراهيم، ومن ذكر معه، كانوا يهودا ونصارى. ذكروا ذلك طعنا في الإسلام، لأن النسخ عند اليهود باطل، فقالوا: الانتقال عن قبلتنا باطل وسفه، فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢)الآية، فبين ما كان هداية، وما كان سفها. و (سيقول) ظاهر في الاستقبال، وأنه إخبار من الله تعالى لنبيه ﷺ، أنه يصدر منهم هذا القول في المستقبل، وذلك قبل أن يؤمروا باستقبال الكعبة، وتكون هذه الآية متقدمةً في النـزول على الآية المتضمنة الأمر باستقبال الكعبة، فتكون من باب الإخبار بالشيء قبل وقوعه، ليكون ذلك معجِزا، إذ هو إخبار بالغيب، ولتتوطن النفس على ما يرِد من الأعداء، وتستعد له، فيكون أقل تأثيرا منه إذا فاجأ، ولم يتقدم به علم، وليكون الجواب مستعدا لمنكر ذلك))(٣).

- وقال البقاعي: ((ولما كان ادعاؤهم أن أسلافهم على دينهم، لئلا تنتقض دعواهم أن الجنة خاصةٌ بهم، مع كونه فضولا لا سند له يثْبت به شيءٌ محاولةً لعدم جواز النسخ، وكان إبطالُ الله تعالى لقولهم، وعيبهم بما أحدثوا في دينهم، وتقريعهم به، ملزوما لأن يكونوا أباحوا أنفسهم منه ما منعوا منه خالقهم، وهو لا يسألُ عما يفعل؛ كانوا أسفَه الناس، فَعقبه بالتصريح بعيبهم، والتعجيب منهم في إنكارهم لنسخ

---

(١) التحرير والتنوير (٥/٢).
(٢) الآية (١٤٢) من سورة البقرة.
(٣) البحر المحيط (٩/٢).

القبلة، وخفّتهم بالاعتراض على ربهم، فقال واصلا له بما قبله على وجه أعم: ﴿سَيَقُولُ﴾ إلى آخره))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن مناسبة هذه الآية لما قبلها هي أنه لما تكرر في الآيات السابقة ذكر إبراهيم ﷺ، وملته والكعبة، وتسفيه من رغب عنها؛ كان ذلك مثارا لأن يقول المشركون: ما ولى محمدا وأتباعه عن استقبال الكعبة، مع أنه يدعي أنه على ملة إبراهيم، ويأبى اتباع اليهودية والنصرانية، فكيف ترك قبلة إبراهيم، واستقبل بيت المقدس؟ فأخبر الله الرسول ﷺ بذلك؛ لكي لا يكون الأمر باستقبال الكعبة نازلا بعد مقالة المشركين فتزهو نفوسهم.

أما أبو حيان فيرى أن المناسبة هي من باب الإخبار بالشيء قبل وقوعه، ولتوطين النفس على ما سوف يرد من الأعداء فتستعد له، فيكون أقل تأثيرا عليها.

أما البقاعي فيرى أن المناسبة هي التصريح بعيب أهل الكتاب، والتعجب منهم في إنكارهم نسخ القبلة.

ومن خلال ما سبق ذكره يظهر أن ما ذهب إليه الطاهر هو أولى الأقوال، وأنسبها، كونه يستقيم مع مجمل الأحداث التي حدثت عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الآية قد تم التمهيد للمراد منها من الآيات التي سبقتها، وذلك من خلال الإشارة إلى إبراهيم ﷺ، ومناقبه، وملته، والكعبة، فدلّ ذلك على أن المراد بالسفهاء هم المشركون، وليس أهل الكتاب، وما يقوي هذا المعنى هو تبيين السفهاء بقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٢]، فقد عرف في اصطلاح القرآن النازل بمكة أن لفظ الناس يراد به المشركون.

---

(١) نظم الدرر (٢٥٩/١).

(٢) من الآية (١٤٢) من سورة البقرة.

وبذلك يظهر بوضوحٍ كيف ألقت هذه المناسبة بظلالها على معنى الآية، حيث بينت لنا أن المراد بالسفهاء المشركون، والمراد بالقبلة التي كانوا عليها الكعبة.

٤١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((فالآية السابقة لما أشارت إلى أن الذين هدوا إلى صراط مستقيمٍ هم المسلمون، وأن ذلك فضل لهم؛ ناسب أن يستطرد لذكر فضيلة أخرى لهم هي خير مما تقدم، وهي فضيلة كَون المسلمين عدولا خيارا، ليشهدوا على الأمم))[٢].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال البقاعي: ((ولما بين استقامة القبلة التي وجههم إليها، عرف أنها وسطٌ لا جور فيها، فأتبع ذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، أي ومثل ما جعلنا قبلتكم وسطًا لأنها إلى البيت العتيق، الذي هو وسط الأرض، وهو بناء إبراهيم عليه السلام هو أوسط الأنبياء، وهو مع ذلك خيار البيوت، فهو وسط بكل معنى))[٣].

- وقال الآلوسي: ((اعتراض بين كلامين متصلين وقعا خطًابا له ﷺ استطرادا لمدح المؤمنين بوجه آخر، أو تأكيدا لرد الإنكار بأن هذه الأمة، وأهل هذه الملة شهداء عليكم يوم الجزاء، وشهاداتهم مقبولة عندكم، فأنتم إذًا أحق باتباعهم، والاقتداء بهم، فلا وجه لإنكاركم عليهم))[٤].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هنا هي ذكر فضيلة من فضائل هذه الأمة المباركة، ووافقه الآلوسي في ذلك.

---

(١) الآية (١٤٣) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (١٤/٢).
(٣) نظم الدرر (٢٦١/١).
(٤) روح المعاني (٥٥٠/٢).

أما البقاعي فيرى أن المناسبة هي ما سبق ذكره من الأمور الوسط كالقبلة، والكعبة التي هي وسط الأرض، وإبراهيم عليه السلام الذي هو وسط الأنبياء.

وهو قولٌ لطيف جِدا.

والذي يظهر من خلال ما سبق أن جميع ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى اختار هذا الوصف للأمة المحمدية تشريفًا وتكريما لها، وفي ذلك إشارة إلى عظمة هذه الأمة المباركة، وعظَمة نبيها ﷺ، فكأنّ هذه الأمةَ تعدلُ جميع الأممِ السابقة، وكأن الرسول ﷺ يعدلُ أُمةً بمفرده، ولا أدلّ على ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1]. فيفهم أنّ كُل أُمةٌ تشهد على أُمة.

---

(١) الآية (١٤٣) من سورة البقرة.

٤٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((عطْف على قوله ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ﴾[2]، والمناسبة أنهم يعلمون ولا يعلمون، فلما أفيد أنهم يعلمون أنه الحق على الوجه المتقدم في إفادته التعريض بأنهم مكابرون؛ ناسبت أن يحقق نفْي الطمع في اتباعهم القبلة، لدفْع توهمِ أن يطمع السامع باتباعهم، لأنهم يعلمون أحقيتها))[3].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن الذين أوتوا الكتاب يعلمون أن هذه القبلة حق؛ بين بعد ذلك أن صفتهم لا تتغير في الاستمرار على المعاندة))[4].

- وقال البقاعي: ((ولما أطمع أولَ الآية في أهل الكتاب، وقَطَع عنهم آخرها، صرح بما لَوح إليه هذا الأخير، وأعلمه ﷺ بعاقبة أمرهم، وأنه لا اتفاق بينه وبينهم أصلا، ولا اتفاق بين فريقيهم، مع كون الكُل من بني إسرائيل، ليريحه ﷺ من التطلع إلى هدى بعضهم فقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ﴾))[5].

---

(١) الآية (١٤٥) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (١٤٤) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٣٥/٢).

(٤) مفاتيح الغيب (١٢٤/٤).

(٥) نظم الدرر (٢٦٨/١).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين في الآية التي قبلها أن أهل الكتاب يعلمون الحق؛ خيف أن يتوهم السامع فيطمع باتباعهم القبلة؛ فعطف بهذه الآية لدفع ذلك التوهم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن العناد والمكابرة قد تمكّنا من نفوس أهل الكتاب أي تمكن، ولم يعد هناك بصيص أمل في رضوخهم للحق، بدليل أنه لو جيء لهم بكل آية ما آمنوا، وما تبعوا القبلة التي ارتضاها الله لنبيه ﷺ، ولأمته.

وبذلك تنقطع الآمال والأطماع في إيمان أمثال هؤلاء.

٤٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((بعد أن لَقن الله تبارك وتعالى الرسولَ ﷺ ما يجيب به عن قولهم: ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ﴾، وبعد أن بين للمسلمين فضيلة قبلتهم، وأنهم على الحق، وأيأسهم من ترقبِ اعتراف اليهود بِصحة استقبال الكعبة؛ ذَيلَ ذلك بهذا التذييل الجامع لمعان سامية، طيًا لبساط المجادلة مع اليهود في أمر القبلة))[(٢)].

وقد وافق الطاهر أبا حيان والبقاعي في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((لما ذَكَر القبلة التي أُمر المسلمون بالتوجه إليها، وهي الكعبة، وذَكَر من تصميم أهل الكتاب على عدم اتباعها، وأن كُلا من طائفتي اليهود والنصارى مصممةٌ على عدم اتباع صاحبها؛ أعلم أن ذلك هو بفعله، وأنه هو الـمقَدر ذلك، وأنه هو موجه كل منهم إلى قبلته))[(٣)].

- وقال البقاعي: ((ولما بين أن أحدا من هؤلاء الفرق لا يتبع قبلة الآخر، وتضمن ذلك أن لكل منهم قبلةً، وقرر أن ذلك من أهل الكتاب على وجه العناد؛ أثبت ما تضمنه الكلام السابق على وجه أعم منه، وسبب عنه النتيجة فقال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ﴾))[(٤)].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ذَكَر القبلة التي أَمر المسلمين باستقبالها، وبين لهم فضيلتها، وأيأسهم من الطمع في اعتراف اليهود بها؛ أثبت هنا أن ذلك بفعله تعالى، وذيل بهذا التذييل لكي يطوي قضية المجادلة مع اليهود في أمر القبلة.

(١) الآية (١٤٨) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٤١/٢).
(٣) البحر المحيط (٣٥/٢).
(٤) نظم الدرر (٢٧١/١).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى قطع هنا قول كل المعاندين، وفي ذلك إشارة بصرف المسلمين إلى الاهتمام بالمقاصد، والاعتناء بإصلاح مجتمعهم، كما لا تخفى الإشارة إلى شكر الله تعالى إذ وفق المسلمين إلى طاعته باستقبال الكعبة.

٤٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((والمناسبة بينها وبين ما قبلها هو أن العدول عن السعي بين الصفا و المروة يشبه فعل من عبر عنهم بالسفهاء من القبلة، وإنكار العدول عن استقبال بيت المقدس، فموقع هذه الآية بعد إلحاقها بهذا المكان موقع الاعتراض في أثناء الاعتراض))[(٢)].

- قال الرازي: ((اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها من وجوه.

أحدها: أن الله تعالى بين أنه إنما حولَ القبلَةَ إلى الكعبة ليتم إنعامه على محمد ﷺ وأمته، بإحياء شرائع إبراهيم ودينه على ما قال: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾[(٣)]،وكان السعي بين الصفا والمروة من شعائر إبراهيم على ما ذُكر في قصة بناء الكعبة، وسعي هاجر بين الجبلين، فلما كان الأمر كذلك؛ ذَكَر الله تعالى هذا الحكم عقيب تلك الآية.

وثانيها: أنه تعالى لما قال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[(٤)]؛ قال: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾، وإنما جعلهما كذلك لأنهما من آثار هاجر وإسماعيل مما جرى عليهما من البلوى، واستدلوا بذلك على أن من صبر على البلوى لا بد وأن يصل إلى أعظم الدرجات، وأعلى المقامات.

وثالثها: أن أقسام تكليف الله تعالى ثلاثة: أحدها: ما يحكم العقل بحسنه في أول الأمر، فذكر هذا القسم أولا وهو قوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا

---

(١) الآية (١٥٨) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٥٨/٢).

(٣) من الآية (١٥٠) من سورة البقرة.

(٤) من الآية (١٥٥) من سورة البقرة.

تَكۡفُرُونِ ﴾[١]، فإن كُل عاقلٍ يعلَم أن ذكر المنعم بالمدح، والثناء، والمواظبة على شكره، أمر مستحسن في العقول.

وثانيها: ما يحكم العقل بقبحه في أول الأمر، إلا أنه بسبب ورود الشرع به يسلم حسنه، وذلك مثل إنزال الآلام والفقر والمحن، فإن ذلك كالمستقبح في العقول، لأن الله تعالى لا ينتفع به، ويتألم العبد منه، فكان ذلك كالمستقبح، إلا أن الشرع لما ورد به، وبين الحكمة فيه، وهي الابتلاء والامتحان على ما قال: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ ﴾[٢]، فحينئذ يعتقد المسلم حسنه، وكونه حكمةً وصوابا.

وثالثها: الأمر الذي لا يهتدي لا إلى حسنه ولا إلى قبحه، بل يراه كالعبث الخالي عن المنفعة والمضرة، وهو مثل أفعال الحج من السعي بين الصفا والمروة، فذكر الله تعالى هذا القسم عقيب القسمين الأولين، ليكون قد نبه على جميع أقسام تكاليفه، وذاكرا لكلها على سبيل الاستيفاء والاستقصاء والله أعلم))[٣].

- وقال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله تعالى لما أثنى على الصابرين، وكان الحج من الأعمال الشاقة المفنية للمال والبدن، وكان أحد أركان الإسلام؛ ناسب ذكره بعد ذلك))[٤].

- وقال ابن عادل الحنبلي بنحو ما قاله الرازي، حيث قال: ((في تعلق هذه الآية بما قبلها وجوه:

أحدها: أنه سبحانه وتعالى بين أنه إنما حول القبلة إلى الكعبة؛ ليتم إنعامه على محمد -صلوات البر الرحيم وسلامه عليه- وأمته بإحياء شريعة إبراهيم عليه السلام

---

(١) من الآية (١٥٢) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١٥٥) من سورة البقرة.
(٣) مفاتيح الغيب (٤/١٥٦).
(٤) البحر المحيط (٢/٦٥).

لقوله تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي﴾[(١)]، وكان السعي بين الصفا والمروة من شريعة إبراهيم عليه السلام، فذكر هذا الحُكم عقب تلك الآية.

وقيل: إنه تبارك وتعالى لما أمر بالذكر مطْلَقًا في قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾[(٢)]؛ بين الأحوال التي يذكر فيها، وإحداها الذكر مطْلَقًا، والثانية: الذكر في حال النعمة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾[(٣)]، الثالثة: الذكر في حال الضراء، فقال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[(٤)]، ثم بين في هذه الآية المواضع التي يذكر فيها، ومن جملتها عند الصفا والمروة، وبقية المشاعر.

وثانيها: أنه لما قال سبحانه: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[(٥)]، وإنما جعلها كذلك، لأنها من آثار هاجر، وإسماعيل، وما جرى عليهما من البلْوى، ويستدل بذلك على أن من صبر على البلوى، لا بد وأن يصل إلى أعظم الدرجات.

وثالثها: أن أقسام التكليف ثلاثة:

أحدها: ما يحكم العاقل بحسنه في أول الأمر، فذكره أولا، وهو قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾، فإن كل عاقلٍ يعلم أن ذكر المنعم بالمدح، والشكر، أمر مستحسن في العقل.

وثانيها: ما يحكم العقل بقبحه في أول الأمر، إلا أنه لـما ورد الشرع به، وبين الحكمة فيه، وهي الابتلاء، والامتحان على ما قال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ

---

(١) من الآية (١٥٠) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١٥٢) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (١٥٢) من سورة البقرة.
(٤) من الآية (١٥٥) من سورة البقرة.
(٥) من الآية (١٥٨) من سورة البقرة.

ﵟٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗﵞ، فحينئذ يعتقد المسلم حسنه، وكونه حكمةً وصوابا.

وثالثها: ما لا يهتدي العقل إلى حسنه، ولا إلى قبحه، بل يراها كالعبث الخالي عن المنفعة والمضرة، وهو مثل أفعال الحج من السعي بين الصفا والمروة، فذكر الله تعالى هذا القسم عقيب القسمين الأولين؛ ليكون قد نبه على جميع أقسام التكاليف))[1].

- وقال البقاعي: ((ولما فرغ مما أراد من أحوال الطاعنين في القبلة، التي هي قيام للناس، وما استتبع ذلك مما يضطره إليه في إقامة الدين من جدالهم وجلادهم، وختم ذلك بالهدى؛ شرع في ذكر ما كان البيت به قياما للناس من المشاعر القائدة إلى كل خير، الحامية عن كل ضير، التي جعلت مواقفها أعلاما على الساعة، لا سيما والحج أخو الجهاد في المشقة، والنـزوح عن الوطن، وقد سماه النبي ﷺ أحد الجهادين، مع أنه من أعظم مقاصد البيت المذكورة في هذه الآيات مناقبه، المتلُوة مآثره، المنصوبة شعائره، التي هي في الحقيقة دعائمه، من الاعتكاف، والصلاة، والطواف، المشار إلى حجه واعتماره...فأفصح به بعد تلك الإشارة بعض الإفصاح، إذ كان لم يبق من مفاخره العظمى غيره، وضم إليه العمرة الحج الأصغر لمشاركتها له في إظهار فخاره، وإعلاء مناره، فقال: ﵟإِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَﵞ[2]، فهو كالتعليل لاستحقاق البيت لأن يكون قبلة))[3].

- وقال الآلوسي: ((لما أشار سبحانه فيما تقدم إلى الجهاد؛ عقب ذلك ببيان معالم الحج، فكأنه جمع بين الحج والغزو، وفيهما شق الأنفس، وتلف الأموال، وقيل: لما ذكر الصبر؛ عقبه ببحث الحج، لما فيه من الأمور المحتاجة إليه))[4].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هنا هي اتحاد المشهد في موقف الذين عدلوا عن السعي، والذين أنكروا العدول عن استقبال بيت المقدس.

---

(١) اللباب (٩٠/٣).

(٢) من الآية (١٥٨) من سورة البقرة.

(٣) نظم الدرر (٢٨٢/١).

(٤) روح المعاني (٥٧٨/٢).

وهذا القول لا يخفى ما فيه من تكلّف ظاهر، فإن المسلمين حين عدلوا عن السعي بين الصفا والمروة، لم يكن الدافع المكابرة والعناد، كما كان حال الذين عدلوا عن استقبال القبلة، بل كان الدافع التحرج، ويؤيد هذا ما ثبت عن عاصم بن سليمان[(١)] قال: سألت أنس بن مالك[(٢)] رضي الله عنه عن الصفا والمروة، قال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[(٣)])[(٤)].

أما الرازي وابن عادل الحنبلي فيريان أن هذه الآية قد تتعلق بما قبلها من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: الاشتراك في إحياء شرائع إبراهيم عليه السلام في كل من تحويل القبلة إلى الكعبة، والسعي بين الصفا والمروة.

الوجه الثاني: الاشتراك في الابتلاء في كل من الخوف والجوع...الخ، والابتلاء الذي حصل لهاجر وإسماعيل عليهما السلام في الصفا والمروة.

الوجه الثالث: إتمام أقسام التكاليف الإلهية الثلاثة بأمرٍ لا يهتدي العقل لا إلى حسنه، ولا إلى قبحه، والسعي بين الصفا والمروة من هذا القسم.

والذي يظهر أن الوجه الأول يصلح أن يكون مناسبة لهذه الآية، أما الوجه الثاني والثالث ففيهما بعض التكلف.

---

(١) هو أبو عبد الرحمن البصري الأحول، كان إماما حافظًا مكثرا، حدث بالبصرة، (ت١٤٢). ينظر: الطبقات الكبرى (٢٣١/٧)؛ تذكرة الحفاظ (١٤٩/١)؛ سير أعلام النبلاء (١٣/٦).

(٢) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، دعا له ﷺ بالمال والولد والبركة، من المكثرين في الرواية عن الرسول ﷺ، (ت٩٣هـ)، وهو آخر من مات من الصحابة في البصرة. ينظر: الاستيعاب (١٩٨/١)؛ أسد الغابة (١٥١/١)؛ الإصابة (٧١/١).

(٣) من الآية (١٥٨) من سورة البقرة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾، (١٣٦٠/٣)، رقم [٤٤٩٦]؛ أسباب النـزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ص٣١)؛ لباب النقول (ص٣٠).

أما أبو حيان فيرى أن ثناء الله تعالى على الصابرين ناسبه ذكر ما يحتاج إلى الصبر، وهو الحج، ومنه السعي بين الصفا والمروة.

وهذا القول فيه تكلّف أيضا.

أما البقاعي فيرى أن المناسبة هي إظهار مفاخر البيت الحرام، والتعليل لاستحقاقه لأن يكون قبلة المسلمين. وهو قول مقبول.

وعليه فإن الوجه الأول من الأوجه التي ذكرها الرازي، وابن عادل الحنبلي، وما ذكره البقاعي، كلاهما يصلح أن يكون مناسبة لهذه الآية، إلا أن ماذكره الرازي وابن عادل الحنبلي أنسب وألطف، لكونهما ربطا بين السعي بين الصفا والمرة وتحويل القبلة إلى الكعبة، وكلاهما مرتبطان بشعائر إبراهيم عليه السلام. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى عندما أراد من المؤمنين رفع التحرج من السعي بين الصفا والمروة، بسبب اعتقادهم أنه من عادات الجاهلية، رغبهم في ذلك بتعظيمهما، وإخبارهم أنهما من شعائره سبحانه وتعالى، وفي ذلك إظهار واعتزاز بالبيت الحرام. حفظه الله من كل مكروه.

٤٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((فمناسبة وقع هاته الآية بعد التي قبلها، أن ما قبلها كان من الأفانين القرآنية المتفننة على ذكر ما قابل به اليهود دعوةَ النبيء ﷺ، وتشبيههم فيها بحال سلفهم في مقابلة دعوة أنبيائهم من قبل، إلى مبلغ قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[٢] إلى قوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[٣]الآية، وما قابل به اشتباههم من النصارى، ومن المشركين الدعوة الإسلامية، ثم أفضى ذلك إلى الإنحاء على المشركين قلة وفائهم بوصايا إبراهيم الذي يفتخرون بأنهم من ذريته، وأنهم سدنةُ بيته، فقال: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾[٤]الآيات، فنوه بإبراهيم، وبالكعبة واستقبالها، وشعائرها، وتخللَ ذلك رد ما صدر عن اليهود من إنكار استقبال الكعبة إلى قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٥]يريد علماءَهم، ثم عقب ذلك بتكملة فضائل الكعبة وشعائرها، فلما تم جميع ذلك عطف الكلام إلى تفصيل ما رماهم به إجمالا في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ ﴾ فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا ﴾ إلخ، وهذه طريقة في الخطابة، هي إيفاء الغرض المقصود حقه، وتقصير الاستطراد والاعتراض الواقعين في أثنائه، ثم الرجوع إلى ما يهم الرجوع إليه من تفصيل استطراد أو اعتراضٍ تخللَ الغرض المقصود))[٦].

---

(١) الآية (١٥٩) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٧٥) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (١٠١) من سورة البقرة.

(٤) من الآية (١١٤) من سورة البقرة.

(٥) من الآية (١٤٦) من سورة البقرة.

(٦) التحرير والتنوير (٦٥/٢).

وقال البقاعي: ((ولما تقدم أن بعض أهل الكتاب يكتمون ما يعلمون من هذا الحق، وختم ما أتبعه له بصفتي الشكر والعلم، ترغيبا وترهيبا، بأنه يشكر من فعل ما شرعه له، ويعلم من أخفاه، وإن دق فعله، وبالغ في كتمانه، انعطف الكلام إلى تبكيت المنافقين منهم والمصارحين، في لعنهم على كتمانهم ما يعلمون من الحق، إذ كانت هذه كلها في الحقيقة قَصصهم، والخروج إلى غيرها إنما هو استطراد على الأسلوب الحكيم المبين، لأن هذا الكتـاب هدى، وكان السياق مرشدا إلى أن التقدير بعـد ﴿شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[1]، ومن أحدث شرا فإن الله عليم قدير، فَوصلَ به استئنافًا قوله على وجه يعمهم وغيرهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾[2]بيانا لجزائهم))[3].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما أشار إلى كتمان أهل الكتاب للحق، واستطرد في قضايا تهم المؤمنين؛ عاد هنا ليبين عقوبة أولئك الذين كتموا الحق.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه تتضح لنا خطورة كتمان العلم، وأن هذا السلوك عقوبته الطرد والإبعاد من رحمة الله، لما في ذلك من ضررٍ بالمجتمعات، وتجهيل لها، ولما فيه من إخفاء حقائق قد تكون سببا في إنقاذ الكثيرين من الوقوع فيما يغضب الجبار ﷻ.

---

(١) الآية (١٥٨) من سورة البقرة.

(٢) الآية (١٥٩) من سورة البقرة.

(٣) نظم الدرر (٢٨٨/١).

٤٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((استئناف كلام لإفادة حال فريق آخر مشارك للذي قبله في استحقاق لعنة الله واللاعنين، وهي لعنة أخرى، وهذا الفريق هم المشركون، فإن الكفر يطلق كثيرا في القرآن مرادا به الشرك...وذلك أن المشركين قد قُرنوا سابقًا مع أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[٢]الآية، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾[٣]، فلما استؤنف الكلام ببيان لعنة أهل الكتاب الذين يكتمون؛ عقب ذلك ببيان عقوبة المشركين أيضا))[٤].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال أبو حيان: ((لما ذكر حال من كتم العلم وحال من تاب، ذكر حال من مات مصرا على الكفر، وبالغ في اللعنة، بأن جعلها مستعلية عليه، وقد تجللته وغشيته، فهو تحتها))[٥].

- وقال البقاعي: ((ولما لعن الكاتمين، واستثنى منهم التائبين؛ ذكَر الـمصرين، معبرا عن كتمانهم بالكفر، لتعم العبارة كل كفر))[٦].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هي بيان عقوبة فريق آخر غير أهل الكتاب، وهم المشركون.

---

(١) الآية (١٦١) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١٠٥) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (١١٨) من سورة البقرة.
(٤) التحرير والتنوير (٧٢/٢).
(٥) البحر المحيط (٧١/٢).
(٦) نظم الدرر (٢٩٠/١).

أما أبو حيان والبقاعي فيريان أن المناسبة ذكر حال من مات مصرا على الكفر على وجه العموم.

والذي يظهر أن جميع ما ذُكر يصلح أن يكون مناسبة لهذه الآية، فإن الله تعالى لما ذكر حال الذين يكتمون الحق من أهل الكتاب، عقّب بذكر عقوبة الذين ماتوا مصرين على كتمان ذلك الحق.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن باب التوبة مفتوح، فإذا جاء الموت أُغلق هذا الباب، وعوقب المُجرم على إجرامه، واستحق عقاب الله تعالى، خصوصا من مات مصرا على كفره وعناده، فالعبرة بالخاتمة.

٤٧- المناســبة في قولــه تعــالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((معطوف على جملة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾(٢)، والمناسبة أنه لما ذكر ما ينالهم على الشرك من اللعنة والخلود في النار؛ بين أن الذي كفروا به وأشركوا هو إله واحد))(٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال البقاعي: ((ولما أفاض عليهم سبحانه وتعالى ما أفاض، من بحار الحجاج المفرقة بالأمواج، وقرر ما أراد من شرائع الإسلام، على وجه الإتقان والإحكام، وأرشد هذا السياق، المذكور فيه ثواب المطيع، وعقاب العاصي، إلى أن التقدير: فإلهكم إله واحد لا شريك له يدافع عما يريد، لا إله إلا هو المنتقم من أعدائه، العظيم في كبريائه؛ عطَف عليه مكررا الزجر لكل منافق وكافر، ومذَكرا بالعاطف لكل موافق مؤالف قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾))(٤).

- وقال الآلوسي: ((والجملة معطوفة على: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾(٥)، عطف القصة على القصة، والجامع أن الأولى مسوقة لإثبات نبوته ﷺ، وهذه لإثبات وحدانيته تعالى))(٦).

ومن هذا النقل يتبين أن جميع ما ذُكر يصلح أن يكون مناسبة للآية الكريمة، إلا أن ما ذكره الطاهر أنسب؛ كون سياق الآيات يؤيده ويقَويه، فالآيتان اللتان سبقتا هذه الآية تحدثتا عن عقوبة من كفَر بالله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ

---

(١) الآية (١٦٣) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١٦١) من سورة البقرة.
(٣) التحرير والتنوير (٧٤/٢).
(٤) نظم الدرر (٢٩١/١).
(٥) من الآية (١٥٩) من سورة البقرة.
(٦) روح المعاني (٥٨٤/٢).

عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾[1]، وهذه الآية جاءت لإثبات التوحيد الذي كفروا به: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2]. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن ما ذكره الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها، يرجح أن المراد من الذين كفروا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هم المشركون، لأنّ أهل الكتاب يؤمنون بإله واحد، بخلاف المشركين.

---

(١) الآيتان (١٦١،١٦٢) من سورة البقرة.

(٢) الآية (١٦٣) من سورة البقرة.

٤٨- **المناسبة في قوله تعالى:** ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((موقع هاته الآية عقب سابقتها موقع الحُجة من الدعوى، ذلك أن الله تعالى أعلن أن الإله إله واحد لا إله غيره، وهي قضية من شأنها أن تتلقى بالإنكار من كثير من الناس، فناسب إقامة الحجة لمن لا يقتنع، فجاء بهذه الدلائل الواضحة التي لا يسع الناظر إلا التسليم إليها))[(٢)].

وقد وافق الطاهر عددا المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما حكم بالفردانية والوحدانية؛ ذكَر ثمانيةَ أنواع من الدلائل التي يمكن أن يستدل بها على وجوده سبحانه أولا، وعلى توحيده وبراءته على الأضداد والأنداد ثانيا))[(٣)].

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها، هو أنه لما ذكر تعالى أنه واحد، وأنه منفرد بالإلهية، لم يكتف بالإخبار حتى أورد دلائل الاعتبار))[(٤)].

- وقال البقاعي: ((ولما كان هذا المقام لا يصح إلا بتمام العلم، وكمال القدرة؛ نصب الأدلة على ذلك في هذه الآية الثالثة، بأبسط مما في الآية الثانية، كما كانت الثانية أبسط من الأولى وأجلى، تبصيرا للجهال، وتذكيرا للعلماء، فكانت هذه الآية تفْصيلا لتينك الآيتين السابقتين، ولم تدع حاجة إلى مثل هذه التفصيل في آية آل عمران، لأن معظم المراد بها الدلالة على شمول القدرة، وأما هذه فدليل على التفرد،

---

(١) الآية (١٦٤) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٧٦/٢).
(٣) مفاتيح الغيب (١٧٨/٤).
(٤) البحر المحيط (٨٣/٢).

فكان لا بد من ذكر ما ربما أضيف إلى أسبابه القريبة، تنبيها على أنه لا شريك له في شيء من ذلك، وأن الكل بخلقه وإن أقام لذلك أسبابا ظاهرية، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]))[2].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما أعلن للناس جميعا أنه إلههم، لا شريك له، وكان هناك من ينكر وحدانيته؛ عقب بالحجج الدامغة، والدلائل الواضحة، على حقيقة وحدانيته تعالى.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن إثبات الحقيقة بالـحجج الدامغة، والبراهين القاطعة، هي أقصر الطرق إلى إقامة الحجة على المنكر، كما أن هناك إشارة إلى رحمة الله تعالى بعباده، حيث إنه لم يكتف -سبحانه- بدعوتهم إلى توحيده، بل بين لهم الـحجج الواضحات، الدالة على وحدانيته، ليكون بذلك قد استوفى كل ما يمكن أن يقنعهم بالإيمان به، ليفوزوا بجنته.

كما لا يخفى ما في تلك الدلائل من النعم، فكانت أوضح لمن يتأمل، إذ التنبيه على ما فيه نفع باعثٌ على التفَكر.

---

(١) من الآية (١٦٤) من سورة البقرة.

(٢) نظم الدرر (٢٩٤/١).

٤٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عطف على: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٢)إلخ، لأن تلك الجملة تضمنت أن قوما يعقلون استدلوا بخلق السموات والأرض، وما عطف عليه على أن الله واحد فوحدوه، فناسب أن يعطف عليه شأن الذين لم يهتدوا لذلك فاتخذوا لأنفسهم شركاء مع قيام تلك الدلائل الواضحة))(٣).

وقد وافق الطاهر عددا المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما قرر التوحيد بالدلائل القاهرة القاطعة؛ أردف ذلك بتقبيح ما يضاد التوحيد، لأن تقبيح ضد الشيء مما يؤكد حسن الشيء...فلهذا السبب أردف الله تعالى الآية الدالة على التوحيد بهذه الآية))(٤).

- وقال أبو حيان: ((لما قرر تعالى التوحيد بالدلائل الباهرة؛ أعقب ذلك بذكر من لم يوفق، واتخاذه الأنداد من دون الله، ليظهر تفاوت ما بين المنهجين، والضد يظهر حسنه الضد))(٥).

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما قرر التوحيد بالدلائل العقلية القاطعة؛ أردفه بتقبيح ما يضاده، لأن تقبيح ضد الشيء مما يؤكد حسن الشيء))(٦).

---

(١) الآية (١٦٥) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١٦٤) من سورة البقرة.
(٣) التحرير والتنوير (٨٩/٢).
(٤) مفاتيح الغيب (٢٠٤/٤).
(٥) البحر المحيط (٨٤/٢).
(٦) اللباب (١٣٤/٣).

- وقال البقاعي: ((ولما نهضت الأدلة، وسطعت البراهين، وزاحت العلل والشكوك؛ عاب من عبد سواه، وفزع إلى غيره))[(١)].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما أقام الدلائل على وحدانيته؛ عقب بتقبيح ما يضاده، ليزيد من حسن التوحيد.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن المشركين قد تمكن العناد من أنفسهم، بدليل أن الله تعالى لفت أبصارهم وبصائرهم إلى عجائب قدرته، الدالة على وحدانيته، فأعرضوا عنها، وأصروا على الإشراك به سبحانه، فأراد الله تعالى أن يبرز روعة التوحيد وجماله فجاء بضده المتمثل في حال المشركين، وفي هذا دلالةٌ على أنّ المقابلة تزيد من وضوح الشيء وبيانه.

(١) نظم الدرر (٢٩٩/١).

٥٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((استئناف ابتدائي هو كالخاتمة، لتشويه أحوال أهل الشرك، من أصول دينهم وفروعه...فوصف هنا بعض مساوئ دين أهل الشرك فيما حرموا على أنفسهم مما أخرج الله لهم من الأرض، وناسب ذكره هنا أنه وقع بعد ما تضمنه الاستدلال على وحدانية الله، والامتنان عليهم بنعمته بقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ﴾[2]الآية، وهو تمهيد وتلخيص لما يعقبه من ذكر شرائع الإسلام في الأطعمة وغيرها))[3].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بين التوحيد ودلائله، وما للموحدين من الثواب، وأتبعه بذكر الشرك، ومن يتخذ من دون الله أندادا، ويتبع رؤساء الكفر؛ أتبع ذلك بذكر إنعامه على الفريقين، وإحسانه إليهم، وأن معصية من عصاه، وكُفر من كفر به، لم تؤثر في قطع إحسانه ونعمه عنهم))[4].

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذا لما قبله، أنه لما بين التوحيد ودلائله، وما للتائبين والعاصين؛ أتبع ذلك بذكر إنعامه على الكافر والمؤمن، ليدل أن الكفر لا يؤثر في قطع الإنعام))[5].

---

(١) الآية (١٦٨) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (١٦٤) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠١/٢).

(٤) مفاتيح الغيب (٢/٥).

(٥) البحر المحيط (٩٩/٢).

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((لما بين التوحيد ودلائله، وما للموحدين من الثواب، وأتبعه بذكر الشرك؛ أتبع ذلك بذكر إنعامه على الفريقين، وأن معصية من عصاه، وكُفر من كفر به، لم تؤثر في قطع نعمه وإحسانه إليهم))[١].

وقال البقاعي: ((لما أقام سبحانه وتعالى الدليل على الوحدانية بما خلق من المنافع، وصنف الناس صنفين، ضال معطوف دال بعطفه على غير مذكور، على مهتد معطوف عليه، وختم بتأبيد عذاب الضال؛ أقبل على الصنفَين إقبالَ متلَطف مترفقٍ مستعطف مناديا لهم إلى تأبيد نفعهم قائلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾))[٢].

- وقال الآلوسي: ((ومناسبة الآية لما قبلها، أنه سبحانه لما بين التوحيد ودلائله، وما للتائبين والعاصين؛ أتبع ذلك بذكر إنعامه، وشمول رحمته، ليدل على أن الكفر لا يؤثر في قطع الإنعام))[٣].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هنا هي تشويه أحوال أهل الشرك حينما حرموا على أنفسهم بعض ما أباحه الله، وتمهيد لما سيأتي من أحكام الطعام في وغيره في الإسلام.

أما بقية المفسرين فقد اتفقوا جميعا على أن المناسبة هي ذكْر إنعام الله تعالى على الكافر والمؤمن، للدلالة على أن الكفر لا يؤثر في قطع الإنعام والإحسان.

ومن خلال هذا العرض يظهر أن جميع ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية. والله تعالى أعلم.

إلا أن الطاهر أشار إلى أن الآية تعتبر تمهيدا لما سيأتي من أحكام الأطعمة وغيرها، وهذا مالم يشر إليه أحد من المفسرين الذين وردت أقوالهم.

---

(١) اللباب (١٥٠/٣).

(٢) نظم الدرر (٣٠٥/١).

(٣) روح المعاني (٥٩٦/٢).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله رحيم بعباده، رؤوف بهم، لا يعاملهم بكفرهم وعصيانهم، ولكنه من كمال رحمته أمرهم بأن يأكلوا مما أحله لهم في الأرض، بل وحذرهم من الوقوع في الضلال باتباع الشيطان، فأي رحمة أعظم من رحمته تعالى!

٥١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((الأحسن عندي أن يكون عطفًا على قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(٢)، فإن المقصود بالخطاب في ذلك هم المشركون...وفي هذه الآية المعطوفة زيادة تفظيع لحال أهل الشرك، فبعد أن أثبت لهم اتباعهم خطوات الشيطان فيما حرموا على أنفسهم من الطيبات؛ أعقب ذلك بذكر إعراضهم عمن يدعوهم إلى اتباع ما أنزل الله، وتشبثوا بعدم مخالفتهم ما ألفُوا عليه آباءهم، وأعرضوا عن الدعوة، إلى غير ذلك دون تأمل ولا تدبر))(٣).

وقد وافق الطاهر كُلا من الرازي والبقاعي في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((إنما ذكر تعالى هذه الآية عقيب الزجر عن اتباع خطوات الشيطان، تنبيها على أنه لا فرق بين متابعة وساوس الشيطان، وبين متابعة التقليد))(٤).

- وقال البقاعي: ((ولما نهاهم سبحانه وتعالى عن متابعة العدو؛ ذمهم بمتابعته، مع أنه عدو من غير حجة، بل بمجرد التقليد للجهلة))(٥).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما حذّر من اتباع العدو الأول وهو الشيطان، وأن المشركين كانوا قد وقعوا في ذلك؛ عقّب بذكر إعراضهم عن اتباع ما أنزل الله تعالى، تقليدا لعدو آخر هو آباؤهم.

---

(١) الآية (١٧٠) من سورة البقرة.
(٢) الآية (١٦٨) من سورة البقرة.
(٣) التحرير والتنوير (١٠٦/٢).
(٤) مفاتيح الغيب (٧/٥).
(٥) نظم الدرر (٣١٣/١).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح خطر التقليد الأعمى، وأنه لا يقل خطورة عن اتباع وسوسة الشيطان، فمن أراد الوصول إلى الحق؛ عليه أن يطلب الدليل والبرهان، ويترك التعصب والتقليد، فما أهلك تلك الأمم الضالة إلا تقليدهم لآبائهم وأجدادهم.

٥٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((لما ذَكَر تلَقيهم الدعوة إلى اتباع الدين بالإعراض إلى أن بلَغ قَوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾[(٢)]، وذَكَر فساد عقيدتهم إلى أن بلَغ قَولَه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾[(٣)]الآية...؛ عقب ذلك كله بتمثيل فظيع حالهم، إبلاغًا في البيان، واستحضارا لهم بالمثال))[(٤)].

وقد وافق الطاهر عددا المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار أنهم عند الدعاء إلى اتباع ما أنزل الله تركوا النظر والتدبر، وأخلدوا إلى التقليد، وقالوا: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾؛ ضرب لهم هذا المثل تنبيها للسامعين لهم، إنهم إنما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ترك الإصغاء، وقلة الاهتمام بالدين، فصيرهم من هذا الوجه بمنـزلة الأنعام))[(٥)].

- وقال أبو حيان: ((لما ذَكَر تعالى أن هؤلاء الكفار، إذا أُمروا باتباع ما أنزل الله؛ أعرضوا عن ذلك، ورجعوا إلى ما أَلفُوه من اتباع الباطل الذي نشؤوا عليه، ووجدوا عليه آباءهم، ولم يتدبروا ما يقَال لهم، وصموا عن سماع الحق، وخرسوا عن النطق به، وعموا عن إبصار النور الساطع النبوي؛ ذَكَر هذا التشبيه العجيب في هذه الآية منبها

---

(١) الآية (١٧١) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (١٧٠) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (١٦٥) من سورة البقرة.

(٤) التحرير والتنوير (١١٠/٢).

(٥) مفاتيح الغيب (٧/٥).

على حالة الكافر في تقليده أباه، ومحقرا نفْسه، إذ صار هو في رتبة البهيمة، أو في رتبة داعيها))[١].

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي، حيث قال: ((لما حكى عن الكُفار أنهم عند الدعاء إلى اتباع ما أنزل الله تعالى تركوا النظر، وأخلدوا إلى التقليد، وقالـوا: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾[٢]؛ ضرب لهم هذا المثل، تنبيها للسامعين لهم، أنهم إنما وقعوا فيه بسبب ترك الإصغاء، وقلة الاهتمام بالدين، فَصيرهم من هذا الوجه بمنـزلة الأنعام))[٣].

- وقال البقاعي: ((ولما كان التقدير: فَمثَلُهم حينئذ كَمن تبِع أعمى في طريق وعرٍ خفي، في فلوات شاسعة كثيرة الخَطَر؛ عطَف عليه ما يرشد إلى تقديره، منبها على أنهم صاروا بهذا كالبهائم، بل أضل، لأنها وإن كانت لا تعقل فهي تسمع وتبصر فتهتدي إلى منافعها))[٤].

- وقال الآلوسي: ((جملةٌ ابتدائيةٌ واردةٌ لتقريرِ ما قبلها، أو معطوفةٌ عليه، والجامع أن الأولى لبيان حال الكفار، وهذه تمثيل لها))[٥].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين حال الكفار، وعدم رؤيتهم الحق، وتقليد آبائهم؛ عقب بهذا المثل الذي يشنع فيه حالهم، بتشبيههم بالأنعام، لَفْتا للأنظار والأذهان، وإيضاحا في البيان.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هذا المثل يزيد السامع معرفةً بأحوال الكفار، ويحقر إلى الكافر نفسه إذا سمع ذلك، فيكون كسرا لقلبه، وتضييقًا لصدره، حيث

---

(١) البحر المحيط (١٠٤/٢).

(٢) من الآية (١٧٠) من سورة البقرة.

(٣) اللباب (١٦٢/٣).

(٤) نظم الدرر (٣١٣/١).

(٥) روح المعاني (٥٩٩/٢).

صيره هذا المثل كالبهيمة، فيكون في منتهى الزجر والردع عن سلوك طريق التقليد الأعمى، الذي لم يجنِ سالكوه إلا الويلات المتتابعات.

والمتتبع لأحوال الأمم السالفة يجد أنّ ضلالهم كانوا يتذرعون بأفعال آبائهم، ويعتقدون أنهم أهدى سبيلا من الأنبياء والرسل، فكانت عاقبةُ أمرهم الهلاك والخسران المبين.

٥٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((اعتراض بخطاب المسلمين بالامتنان عليهم بإباحة ما في الأرض من الطيبات، جرت إليه مناسبةُ الانتقال، فقد انتقل من توبيخ أهل الشرك، على أن حرموا ما خلقه الله من الطيبات، إلى تحذير المسلمين من مثل ذلك، مع بيان ما حرم عليهم من المطعومات))(٢).

وذكر البقاعي مناسبة هذه الآية لما قبلها، حيث قال: ((لما أخبر سبحانه وتعالى أن الدعاء لا يزيدهم إلا نفورا؛ رقى الخطاب من الناس إلى أعلى منهم رتبةً فقال آمرا لهم أمر إباحة أيضا، وهو إيجاب في تناول ما يقيم البنية ويحفظها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ ﴾))(٣).

ومن خلال هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هنا هي مناسبة الانتقال من توبيخ أهل الشرك على تحريم الطيبات، إلى تحذير المسلمين من الوقوع في مثل ذلك.

أما البقاعي فيرى أن المناسبة هي ترقية الخطاب من الناس إلى المؤمنين الذين هم أعلى رتبة.

والذي يظهر أن جميع ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى رحيم بعباده، وأنه سبحانه لا يرضى لعباده أن يسلكوا طريق أهل الشرك والضلال، بارتكاب جريمة كبرى، متمثلة في تحريم

---

(١) الآية (١٧٢) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (١١٤/٢).
(٣) نظم الدرر (٣١٤/١).

ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله تعالى، ليكون ارتباطهم به ﷻ ارتباطًا قويا، خاليا من الخَلَلِ والتخبط، مبنِيا على شريعة ربانية سماوية، لا مجال للهوى فيها.

٥٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((عود إلى محاجة أهل الكتاب، لاحق بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾(٢)، بمناسبة قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ﴾(٣)تحذيرا للمسلمين مما أحدثه اليهود في دينهم من تحريم بعض ما أحل الله لهم، وتحليل بعض ما حرم الله عليهم، لأنهم كانوا إذا أرادوا التوسيع والتضييق؛ تركوا أن يقرؤوا من كتابهم ما غيروا العمل بأحكامه))(٤).

وقد وافق الطاهر كُلا من أبي حيان والبقاعي في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أنهم متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((وناسب ذكر هذه الآية ما قبلها، لأنه تعالى ذكر في الآية قبلها إباحة الطيبات، ثم فصل أشياء من المحرمات، فناسب أن يذكر جزاء من كتم شيئًا من دين الله، ومما أنزله على أنبيائه، فكان ذلك تحذيرا أن يقع المؤمنون فيما وقع فيه أهل الكتاب، من كتم ما أنزل الله عليهم، واشترائهم به ثمنا قليلا))(٥).

- وقال البقاعي: ((ولما كان في بيان هذه المحرمات الإشارة إلى عيبِ من استحلها من العرب، وترك ما أُمر به من الطيبات جهلا وتقليدا، تلاها بتكرير عيب الكاتمين لما عندهم من الحق مما أنزل في كتابهم))(٦).

---

(١) الآية (١٧٤) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١٥٩) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (١٧٣) من سورة البقرة.
(٤) التحرير والتنوير (١٢٢/٢).
(٥) البحر المحيط (١٢٣/٢).
(٦) نظم الدرر (٣١٩/١).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى أراد هنا تحذير المسلمين من مشابهة اليهود في تجاوزهم، وتعديهم على حدود الله تعالى، فبين عقوبة ذلك الجرم، تحذيرا وتنبيها.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هذا الكلام فيه تهيئة للتخلص إلى ابتداء شرائع الإسلام، وإبطال لما شرعه أهل الكتاب في دينهم، فيكون التخلص ملّونا بِلَوني الغرض السابق، والغرض اللاحق.

٥٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة ذكر حكم المال في هذه الآية الكريمة بعد موت صاحبه، حيث قال: ((ومناسبة ذكره أنه تغيير لما كانوا عليه في أول الإسلام من بقايا عوائد الجاهلية في أموال الأموات، فإنهم كانوا كثيرا ما يمنعون القريب من الإرث يتوهم أنه يتمنى موت قريبه ليرثه، وربما قَضَلُوا بعض الأقارب على بعض، ولما كان هذا مما يفضي بهم إلى الإِحن[٢]، وبها تختل الحالة الاجتماعية بإلقاء العداوة بين الأقارب...؛ كان تغييرها إلى حال العدل فيها من أهم مقاصد الإسلام))[٣].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، وذلك أنه لما ذكر تعالى القتل في القصاص والدية؛ أتبع ذلك بالتنبيه على الوصية، وبيان أنه مما كتبه الله على عباده حتى يتنبه كل أحد فيوصي مفاجأة الموت، فيموت على غير وصية))[٤].

- وقال البقاعي: ((ولما حث سبحانه وتعالى على بذل المال ندبا وإيجابا في حال الصحة والشح، وتأميل الغنى، وخشية الفقر، تصديقًا للإيمان، وأتبعه بذْلَ الروح التي هو عديلها، بالقتل الذي هو أحد أسباب الموت؛ أتبع ذلك بذْلَه في حال الإشراف على النقلة، والأمن من فقر الدنيا، والرجاء لغنى الآخرة، استدراكًا لما فات من بذله على حبه))[٥].

---

(١) الآية (١٨٠) من سورة البقرة.

(٢) الإِحن: جمع إحنة، والإِحنة الحقد والغضب. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (أحن)، باب النون، فصل الهمزة (٢٧٨/٤)؛ مختار الصحاح، باب الهمزة (ص٨)؛ المعجم الوسيط، باب الهمزة (٢٨/١).

(٣) التحرير والتنوير (١٤٦/٢).

(٤) البحر المحيط (١٥٦/٢).

(٥) نظم الدرر (٣٣٤/١).

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هنا هي تغيير ما كان عليه الناس في أول الإسلام، من منع الأقارب من الإرث.

أما أبو حيان فيرى أن المناسبة هي تنبيه الناس على أهمية الوصية، بعد ذكر القتل.

وأما البقاعي فيرى أن المناسبة هي الترغيب في بذل المال عند الموت، استدراكًا لما فات من بذله على حبه له.

ومن خلال هذا العرض يظهر أن جميع ما ذُكر يصلح أن يكون مناسبة لهذه الآية الكريمة، ورابطًا لها بما قبلها، إلا أن الطاهر قد ربط الآية بما كان عليه الناس في أول الإسلام، وجعل الآية علاجا لذلك الداءِ الذي يسلب الأقارب حقهم في تركَة مورثهم، ويورث الشحناء في نفوسهم.

والذي يظهر أن هذا القول أنسب من القولين الآخرين، كونه يتوافق مع غرض مهم من أغراض سورة البقرة، وهو تأسيس مجتمعٍ صافي السرائر، حسنِ السيرة، ذي سلوك سوي وقويم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن تكوين مجتمعٍ مؤمنٍ متماسك قوي، لا يكون إلا بالقضاء على كل ما من شأنه أن يقود إلى الشحناء، والبغضاء، ولا يكون إلا بإرساء قواعد العدل بين أفراد المجتمع.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذا الحُكم كان في أول الإسلام، ثُم نسِخ بآية المواريث في سورة النساء[1]، وحدد نصيب كل وارث، ولم يعد للورثة حق في الوصية، وبذلك يكون هذا الحُكم قد تقرر في أول الأمر استئناسا لمشروعية فرائض الميراث.

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس، وجعل للمرأة الثمن والربع، وللزوج الشطر والربع)). أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث (٨٤٤/٢)، رقم [٢٧٤٧].

٥٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عطف على جملة، والمناسبة أن قوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾[٢]، تحذير من الـجرأة على مخالفة الصيام بالإفطار غير المأذون فيه، وهو ضرب الأكل الحرام، فَعطف عليه أكلٌ آخر محرم، وهو أكل المال بالباطل، والمشاكلة زادت المناسبة قوة))[٣].

وقد وافق الطاهر كُلا من أبي حيان والبقاعي في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أنهم متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، وذلك أن من يعبد الله تعالى بالصيام فَحبس نفسه عما تعوده من الأكل والشرب، والمباشرة بالنهار، ثم حبس نفسه بالتقييد في مكان تعبد الله تعالى، صائما له ممنوعا من اللذة الكبرى بالليل والنهار، جدير أن لا يكون مطعمه ومشربه إلاّ من الحلال الخالص، الذي ينور القلب، ويزيده بصيرة، ويفضي به إلى الاجتهاد في العبادة، فلذلك نهى عن أكل الحرام المفضي به إلى عدم قبول عبادته من صيامه واعتكافه، وتخللَ أيضا بين آيات الصيام آية إجابة سؤال الداعي وسؤال العباد اللهَ تعالى، وقد جاء في الحديث أن من كان مطعمه حراما، وملبسه حراما، ومشربه حراما، ثم سأل الله أنى يستجاب له[٤]، فناسب أيضا النهي عن أكل المال الحرام.

---

(١) الآية (١٨٨) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (١٨٧) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (١٨٧/٢).

(٤) وتمام هذا الحديث: عن أَبِى هريرةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: {أيها الناس إن الله طَيب لاَ يقْبلُ إلا طَيبا، وإن الله أمر الْمؤمنين بِما أمر به الْمرسلين فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]}. ثُم ذَكَر الرجلَ يطيلُ السفَر، أشعثَ أَغْبر، يمد يديه إِلَى السماءِ يا رب يا رب، ومطْعمه حرام، ومشربه حرام، وملْبسه حرام، وغُذى بِالْحرامِ، فَأَنى يستجاب لذَلك}. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (٥٨٢/٢)، رقم [١٠١٥].

ويجوز أن تكون المناسبة أنه لما أوجب عليهم الصوم كما أوجبه على من كان من قبلهم، ثم خالف بين أهل الكتاب وبينهم، فَأَحل لهم الأكل والشرب، والجماع في ليالي الصوم؛ أمرهم أن لا يوافقوهم في أكل الرشاء من ملوكهم وسفلتهم، وما يتعاطونه من الربا، وما يستبيحونه من الأموال بالباطل...، وأن يكونوا مخالفيهم قَولا وفعلا، وصوما وفطرا، وكسبا واعتقادا))(١).

- وقال البقاعي: ((ولما أذن سبحانه وتعالى فيما كان قد منع منه من المطعم والمنكح للصائم، وقَدم المنكح لأنه أشهى، إذ الطبع إليه أدعى، ولأن المنع منه كان في جميع الشهر، فالضرر فيه أقوى، وأتبعه الإذنَ في الأكل لأنه قوام الجسم، وأولاه المنع من النكاح في بعض الأحوال، فعل كذلك في المال الذي منه الأكل، لأنه قد كان مما خان فيه أهلُ الكتاب عهد كتابهم، واشتروا به ثمنا قليلا، كثيرا من أمره، لا سيما تحريم الرشوة، فإنهم أخفوه واستباحوها، حتى صارت بينهم شرعا متعارفًا، وكان طيب المطعم محثوثًا عليه، لا سيما في الصوم، فنهى عن بعض أسباب تحصيل المال، أعم من أن تكون رشوة أو غيرها فقال: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ﴾(٢)))(٣).

ومن خلال هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما حذر في الآية المتقدمة من الـجرأة على الإفطار غير المأذون فيه، وهو ضرب من الأكل الحرام؛ عطَف عليه أكلا آخر محرم، وهو أكل المال بالباطل.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح خطورة أكل الحرام، وهذا من جملة الأحكام المشروعة لإصلاح ما اختل من أحوال الناس في الجاهلية، وهو مع ذلك أصل تشريع عظيم للأموال في الإسلام، فقد كان أكل المال بالباطل عادةً معروفةً لأهل الجاهلية، وكل ذلك من الباطل الذي ليس عن طيب نفس.

---

(١) البحر المحيط (٢/٢٢٣).

(٢) من الآية (١٨٨) من سورة البقرة.

(٣) نظم الدرر (١/٣٥٧).

٥٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((فمناسبة وضعها في هذا الموضع هي توقيت الصيام بحلول شهر رمضان، فكان من المناسبة ذكر المواقيت لإقامة نظام الجامعة الإسلامية على أكمل وجه، ومن كمال النظام ضبط الأوقات))[٢].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أنهم متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، وهو أن ما قبلها من الآيات نزلت في الصيام، وأن صيام رمضان مقرون برؤية الهلال، وكذلك الإفطار في شهر شوال))[٣].

- وقال البقاعي: ((ولما أتم سبحانه وتعالى البيان لما أراده مما شرعه في شهر الصوم ليلا ونهارا، وبعض ما تبع ذلك، وكان كثير من الأحكام يدور على الهلال، لا سيما أحد قواعد الإسلام الحج، الذي هو أخو الصوم، وكانت الأهلة كالحُكامِ توجب أشياءً وتنفي غيرها، كالصيام، والديون، والزكوات، وتؤكل بها الأموال حقا أو باطلا، وكان ذكر الشهر، وإكمالُ العدة قد حرك العزم للسؤال عنه؛ بين ذلك بقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾))[٤].

---

(١) الآية (١٨٩) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (١٩٣/٢).
(٣) البحر المحيط (٢٣٤/٢).
(٤) نظم الدرر (٣٥٩/١).

- وقال الآلوسي: ((ومناسبة الآية لما قبلها ظاهرة، لأنه في بيان حكمِ الصيام، وذكرِ شهر رمضان، وبحث الأهلة، يلائم ذلك، لأن الصوم مقرون برؤية الهلال، وكذا الإفطار))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ذكر الصوم في الآيات السابقة، والصوم متوقف على الهلال؛ عقب بذكره هنا، ضبطًا للأوقات، وتنظيما للعبادات.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن العبادة لا يقبلها الله تعالى إلا إذا أداها العبد كما أراد، ووقت ما أراد سبحانه، كما أن هناك إشارة إلى أننا متعبدون بشرعٍ إلهي، لا يدرك كثيرا من حكَمه العقلُ البشري القاصر، ولا تخفى رحمة الله تعالى بعباده في هذا الموضع، حيث جعل لهم نظاما زمنيا يسيرون به شؤونهم.

---

(١) روح المعاني (٢/٦٤٠).

٥٨- المناسـبة في قولـه تعـالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((هذه الجملة معطوفة على جملة: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٢)إلخ، فإنهم لما أُمروا بقتال عدوهم، وكان العدو أوفر منهم عدة حرب؛ أيقظهم إلى الاستعداد بإنفاق الأموال في سبيل الله))(٣).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أنهم متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها...أنه تعالى لما أمر بالقتال، والاشتغال بالقتال لا يتيسر إلا بالآلات، وأدوات يحتاج فيها إلى المال، وربما كان ذو المال عاجزا عن القتال، وكان الشجاع القادر على القتال فقيرا عديم المال، فلهذا أمر الله تعالى الأغنياء بأن ينفقوا على الفقراء الذين يقدرون على القتال))(٤).

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي، حيث قال: ((اعلم أن تعلق هذه الآية الكريمة بما قبلها...أنه تعالى لما أمر بالقتال، وهو لا يتيسر إلا بآلات، وأدوات يحتاج فيها إلى المال، وربما كان ذو المال عاجزا عن القتال، وكان الشجاع القادر على القتال عديم المال فقيرا، فلهذا أمر الله تعالى الأغنياء بأن ينفقوا على الفُقراء الذين يقدرون على القتال))(٥).

- وقال البقاعي: ((ولما كانت النفقة من أعظم دعائم الجهاد، وكان العيش في أول الإسلام ضيقًا، والمال قليلا، فكان ذلك موجبا لكل أحد أن يتمسك بما في يده، ظنا

(١) الآية (١٩٥) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١٩٠) من سورة البقرة.
(٣) التحرير والتنوير (٢/٢١٢).
(٤) مفاتيح الغيب (٥/١٣٥).
(٥) اللباب (٣/٣٥١).

أن في التمسك به النجاة، وفي إنفاقه الهلاك؛ أخبرهم أن الأمر على غير ما يسولُ به الشيطان من ذلك))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما أمر بالقتال، وكان القتال يحتاج إلى العتاد؛ أتبعه بالأمر بإنفاق الأموال في سبيله تعالى لتوفير ذلك العتاد.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن أبواب الخير كثيرةٌ ومتعددةٌ، ومن رحمة الله تعالى بعباده أن عدد مجالاتها، فكان من المسلمين من يملك المال ولكنه عاجز عن الجهاد، فلم يشأ الله تعالى أن يحرم ذلك الغني من الأجر والثواب، فَوجهه إلى بابٍ عظيم من أبواب الخير وهو الإنفاق في سبيله ﷻ، وفي هذا بيانٌ لأهمية المال في بناء قُوة المسلمين.

قال أبو العيناء[٢]: [من الكامل] [٣]

إن الدراهم في المواطن كُلهـا ... تكسو الرجالَ مهابةً وجلالا

فَهي اللسانُ لمن أراد فَصاحةً ... وهي السلاح لمن أراد قتالا[٤]

---

(١) نظم الدرر (٣٦٧/١).

(٢) محمد بن القاسم بن خلاد الهاشمي، أبو العيناء، ولد بالأهواز سنة إحدى وتسعين ومائة، كـان ذا مُلَـحٍ ونوادر، وقُوة ذكاء، (ت ٢٨٣هـ) ببغداد. ينظر: معجم الأدبـاء (٣٩٧/٥)؛ سـير أعـلام النـبلاء (٣٠٨/١٣)؛ الوافي بالوفيات (٣٤١/٤).

(٣) الكامل: بحر من بحور الشعر، وتفعيلته: متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن.

(٤) المستطرف في كل فن مستظرف، محمد بن أحمد الأبشيهي (٢٧١/٢)؛ مجمع الحكم والأمثال، أحمد قَبش (ص٤٩٦). وأنبه هنا أن المال ليس أساس المهابة والجلالة كما ورد في البيتين، فهذا -لا شك- غلـو في أمر المال، فالمال وسيلة يستعان به على قضاء حوائج الحياة، أما مصدر المهابة والجـلال فهـو الإيمـان والتقوى، وإنما الشاهد في هذين البيتين هو ما أشار إليه الشاعر في البيت الثاني من أن المال يعتبر سـلاحا لمن أراد القتال.

٥٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((جملة معترضة بين المتعاطفين بمناسبة النهي عن أعمالٍ في الحج تنافي المقصد منه، فنقل الكلام إلى إباحة ما كانوا يتحرجون منه في الحج وهو التجارة، ببيان أنها لا تنافي المقصد الشرعي))[2].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أنهم متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما نهى عن الجدال، والتجارة قد تفضي إلى المنازعة؛ ناسب أن يتوقف فيها لأن ما أفضى إلى المنهي عنه منهي عنه، أو لأن التجارة كانت محرمة عند أهل الجاهلية وقت الحج، إذ من يشتغل بالعبادة يناسبه أن لا يشغل نفسه بالأكساب الدنيوية، أو لأن المسلمين لما صار كثير من المباحات محرما عليهم في الحج؛ كانوا بصدد أن تكون التجارة من هذا القبيل عندهم، فأباح الله ذلك، وأخبرهم أنه لا درك عليهم فيه في أيام الحج))[3].

- وقال البقاعي: ((ولما فُهم من هذا الحث على الإكثار من الزاد؛ تحركت نفوس أولي الهممِ الزاكية القابلة للتجرد عن الأعراض الفانية إلى السؤال عن المتجر لإنفاقه في وجوه الخير، هل يكره في زمان أو مكان؟ لا سيما عند تذكرِ أن أُناسا كانوا في الجاهلية يكرهون التجارة للحاج، فأجيب بقوله -معلما أن قَطْع العلائق لمن صدق عزمه، وشرفت همته أولى-: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾))[4].

---

(١) الآية (١٩٨) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٢/٢٣٧).

(٣) البحر المحيط (٢/٢٩٣).

(٤) نظم الدرر (١/٣٧٦).

ومن خلال هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما حذر من الوقوع في بعض المخالفات التي تتنافى مع مقاصد الحج؛ انتقل إلى بيان حكم التجارة أثناء أداء مناسكه، كي لا يتبادر إلى الأذهان أنها تدخل ضمن تلك المخالفات، خصوصا أن المشركين كانوا يحرمونها في الحج.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن القرآن الكريم قد أبطل كل عادات الجاهلية، وأرسى المبادئ الإسلامية الحقة، التي تتناسب وحياة المسلمين، حتى أثناء ممارستهم لعباداتهم، وفي ذلك إبطالٌ لما كان عليه المشركون، إذ كانوا يرون التجارة للمحرم بالحج حراما.

٦٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة التذييل في هذه الآية الكريمة فقال: ((ومناسبة هذا التذييل للجملة أن الـمخبر عنهم قد بذلوا أنفسهم لله، وجعلوا أنفسهم عبيده، فالله رؤوف بهم كرأفة الإنسان بعبده))[(٢)].

ولم أقف -في حدود اطلاعي- على كلام أحد من المفسرين عن مناسبة هذا التذييل للجملة.

فبيان هذه المناسبة مما تفرد به الطاهر.

والمناسبة هنا أن الموصوفين في الآية لما جعلوا أنفسهم عبيدا لله تعالى؛ بين سبحانه أنه رؤوف بهم كرأفة الإنسان بعبده.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أنه بِقَدرِ إخلاص العبد لله تعالى يكون ثوابه، ويترتب عليه قبول عمله، وكلما تقرب العبد إلى ربه؛ كلما كان ربه أقرب إليه، فالجزاء من جنس العمل.

كما أن هناك إشارة إلى رأفة الله تعالى بعباده، وحبه ﷻ لهم.

---

(١) الآية (٢٠٧) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٢/٢٧٤).

٦١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((استئناف على طريقة الاعتراض، انتهازا للفرصة بالدعوة إلى الدخول في السلم، ومناسبة ذكره عقب ما قبله أن الآيات السابقة اشتملت على تقسيم الناس تجاه الدين مراتب، أعلاها ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾[(٢)]، لأن النفس أغلى ما يبذل، وأقلها ﴿مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾[(٣)]، أي يضمر الكيد ويفسد على الناس ما فيه نفع الجميع وهو خيرات الأرض، وذلك يشتمل على أنه اعتدى على قوم مسالمين، فناسب بعد ذلك أن يدعى الناس إلى الدخول فيما يطلق عليه اسم السلم، وهذه المناسبة تقوى وتضعف بحسب تعدد الاحتمالات في معنى طلب الدخول في السلم))[(٤)].

ثم قال: ((فالذي يبدو لي أن تكون مناسبة ذكر هذه الآية عقب ما تقدم هي أن قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾[(٥)] الآيات، تهيئة لقتال المشركين لصدهم المسلمين عن البيت، وإرجافهم بأنهم أجمعوا أمرهم على قتالهم، والإرجاف بقتل عثمان بن عفان ﷺ بمكة حين أرسله رسول الله ﷺ إلى قريش فذكر ذلك، واستطرد بعده ببيان أحكام الحج والعمرة، فلما قضى حق ذلك كله، وألحق به ما أمر الله بوضعه في موضعه بين تلك الآيات؛ استؤنف هنا أمرهم بالرضا بالسلم والصلح

(١) الآية (٢٠٨) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٢٠٧) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (٢٠٤) من سورة البقرة.
(٤) التحرير والتنوير (٢٧٥/٢).
(٥) من الآية (١٩٠) من سورة البقرة.

الذي عقده رسول الله ﷺ مع أهل مكة عام الحديبية، لأن كثيرا من المسلمين كانوا آسفين من وقوعه))[١].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما حكى عن المنافق أنه يسعى في الأرض ليفسد فيها، ويهلك الحرث والنسل؛ أمر المسلمين بما يضاد ذلك، وهو الموافقة في الإسلام وفي شرائعه))[٢].

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((لما بين الله تعالى أقسام الناس، وأنهم ينقَسِمون إلى مؤمنٍ، وكافرٍ، ومنافق؛ قال هاهنا: كُونوا على ملة واحدة، على الإسلام، واثْبتوا عليه))[٣].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هي استئناف أُريد به أمر المسلمين بالرضا بالسلم، والصلح مع المشركين.

أما الرازي فيرى أن الله تعالى لما ذكر أفعال المنافقين أمر المؤمنين بما يضاد تلك الأفعال، وهو الموافقة في الإسلام.

وأما ابن عادل الحنبلي فيرى أنه بعد أن جيء بأقسام الناس في الآيات السابقة، جاء بعدها الأمر بأن يكونوا جميعا على ملة الإسلام.

والذي يظهر أن ما ذهب إليه الطاهر ليس موافقًا لمعنى الآية من جهة، وليس ملتئما مع سبب نزولها من جهة أخرى.

وعليه فإن ما ذهب إليه الرازي وابن عادل الحنبلي يصلح كلاهما أن يكون مناسبة للآية.

---

(١) التحرير والتنوير (٢/٢٧٦).

(٢) مفاتيح الغيب (٥/٢٠٦).

(٣) اللباب (٣/٤٧٦).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن المناسبة التي ذكرها الطاهر جعلت السلم بمعنى الصلح، بينما ما ذكره الرازي وابن عادل الحنبلي يجعله بمعنى الإسلام، وهذا هو الأرجح، وبهذا فسره ابن عباس رضي الله عنه[1].

وعليه فالخطاب لمؤمني أهل الكتاب، والسلم بمعنى الإسلام، وليس بمعنى الصلح.

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٥٧/٤).

٦٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((تتنـزلُ هذه الآية من التي قبلها منـزلةَ البرهان على معنى الجملة السابقة، فإن قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾[(٢)]سواء كان خبرا، أو وعيدا، أو وعدا، أم تهكما، وأيا ما كان معاد الضمير فيه على الأوجه السابقة، وقد دل بكل احتمالٍ على تعريضٍ بِفرقٍ ذوي غُرورٍ، وتماد في الكفر، وقلة انتفاعٍ بالآيات البينات، فناسب أن يعقب ذلك بإلفاتهم إلى ما بلَغهم من قلة انتفاع بني إسرائيل بما أُوتوه من آيات الاهتداء، مع قلة غَنَاءِ الآيات لديهم على كثرتها، فإنهم عاندوا رسولهم، ثم آمنوا به إيمانا ضعيفًا، ثم بدلُوا الدين بعد ذلك تبديلا))[(٣)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال أبو حيان: ((لما تقدم: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ﴾، وكان المعنى في ذلك استبطاء حق لهم في الإسلام، وأنهم لا ينتظرون إلا آية عظيمة تلجئهم إلى الدخول في الإسلام؛ جاء هذا الأمر بسؤالهم عما جاءتهم من الآيات العظيمة، ولم تنفعهم تلك الآيات، فَعدم إسلامهم مرتب على عنادهم، واستصحاب لُجاجِهم))[(٤)].

- وقال البقاعي: ((ولما كان بنو إسرائيل أعلم الناس بظهور مجد الله في الغمام، لما رأى أسلافهم منه عند خروجهم من مصر، وفي جبل الطور[(٥)]، و قُبة الزمان[(٦)]، وما

(١) الآية (٢١١) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٢١٠) من سورة البقرة.
(٣) التحرير والتنوير (٢/٢٨٨).
(٤) البحر المحيط (٢/٣٤٧).
(٥) جبل الطور: هو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه أو عنده موسى ﷺ، وموقعه بسيناء. ينظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد المقريزي (٣/٢٩٦)؛ الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري (ص٣٩٧).
(٦) قبة الزمان: هي القبة التي أمر الله تعالى موسى ﷺ ببنائها في بيت المقدس، وكانت قبلة بني إسرائيل وكعبتهم. ينظر: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (١/٣٥٢).

في ذلك على ما نقل إليهم من وفور الهيبة، وتعاظم الجلال؛ قال تعالى -جوابا لمن كأنه قال: كيف يكون هذا؟-: ﴿سَلْ﴾))[١].

- وقال الآلوسي: ((وربط الآية بما قبلها على ما قيل: إن الضمير في ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾[٢]، إن كان لأهل الكتاب؛ فهي كالدليل عليه، وإن كان لـ ﴿مَن يُعْجِبُكَ﴾[٣]؛ فهي بيان لحال المعاندين من أهل الكتاب، بعد بيان حال المنافقين من أهل الشرك))[٤].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر قد وافق أبا حيان والآلوسي في بيان مناسبة هذه الآية، فجميعهم يرون أن المناسبة هي إقامة الحُجة والدليل على بني إسرائيل.

وهذا القول أنسب من قول البقاعي، كون هذه الآية موضحة للآية التي سبقتها: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

أما ما يراه البقاعي من تقدير سؤال؛ فالذي يظهر -والله تعالى أعلم- أن سياق الآيات لا يحتاج إلى ذلك التقدير. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الأمر بسؤال بني إسرائيل في هذه الآية لم يأت على حقيقته، فالرسول ﷺ قد أطلعه الله تعالى على الآيات التي آتاها بني إسرائيل، وإنما جاء الأمر بالسؤال هنا تقريعا وتوبيخا لهم على طغيانهم وجحودهم الحق بعد أن رأوا الآيات الواضحات.

---

(١) نظم الدرر (٣٨٩/١).

(٢) من الآية (٢١٠) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (٢٠٤) من سورة البقرة.

(٤) روح المعاني (٦٧٤/٢).

٦٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((والظاهر عندي أن موقع هذه الآية هنا جامع لموقع تذييلٍ لما قبلها، ومقدمة لما بعدها.

فأما الأول فلأنها أفادت بيان حالة الأمم الماضية كيف نشأ الخلاف بينهم في الحق، مما لأجله تداركهم الله ببعثات الرسل في العصور والأجيال التي اقتضتها حكمة الله ولطفه، مما يماثل الحالة التي نشأت فيها البعثة المحمدية، وما لقيه الرسول ﷺ والمسلمون من المشركين.

وأما الثاني فلأنها مقدمةٌ لما يرد بعدها من ذكر اختصاص الإسلام بالهداية إلى الحق الذي اختلف فيه الأمم))(٢).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أنهم متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بين في هذه الآية المتقدمة أن سبب إصرار هؤلاء الكفار على كفرهم هو حب الدنيا؛ بين في هذه الآية أن هذا المعنى غير مختص بهذا الزمان، بل كان حاصلا في الأزمنة المتقادمة، لأن الناس كانوا أمة واحدة قائمة على الحق، ثم اختلفوا، وما كان اختلافهم إلا بسبب البغي، والتحاسد، والتنازع في طلب الدنيا. فهذا هو الكلام في ترتيب النظم))(٣).

- وقال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أن إصرار هؤلاء على كفرهم هو حب الدنيا، وأن ذلك ليس مختصا بهذا الزمان الذي بعثت فيه، بل هذا أمر كان في

(١) الآية (٢١٣) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٢٩٩/٢).

(٣) مفاتيح الغيب (١١/٦).

الأزمنة المتقادمة، إذ كانوا على حق ثم اختلفوا بغيا وحسدا وتنازعا في طلب الدنيا))(١).

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((وجه النظْم أنه لما بين أن سبب إصرار الكُفار على كُفرهم هو حب الدنيا؛ بين في هذه الآية أن هذا المعنى غير مختص بهذا الزمان، بل كان حاصلا في الأزمنة المُتقادمة، فإنهم كانوا أُمةً واحدة على الحق، ثم اختلفُوا، وما كان اختلافُهم إلا بسبب البغي، والتحاسد، والتنازع في طلب الدنيا))(٢).

- وقال البقاعي: ((ولما كان كأنه قيل: هل كان هذا الكفر والتزيين من بدء الأمر، أم هو شيء حدث فيكون حدوثه أعجب؟ فقيل: لا فرق عند الحكيم بين هذا وذاك، فإن قدرته على الكبير والصغير، والجاهل والعليم، والطائش والحليم، على حد سواء، على أن الواقع أن ذلك شيء حدث بعد البيان والواضح))(٣).

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر قد وافق المفسرين من جانبٍ، وتفرد عنهم من جانب آخر.

أما موافقته لهم، فقد وافقهم في أن هذه الآية تذييلٌ لما قبلها، حيث أفادت بيان حال الأمم الماضية مع رسلهم، مما يماثل حال أمة محمد ﷺ مع البعثة المحمدية.

وأما تفرده عنهم، فقد تفرد ببيان أن هذه الآية مقدمة لما يرد بعدها، من ذكر اختصاص الإسلام بالهداية إلى الحق الذي اختلف فيه الأمم، وهو مضمون قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٤).

---

(١) البحر المحيط (٣٦٢/٢).

(٢) اللباب (٥٠٠/٣).

(٣) نظم الدرر (٣٩٣/١).

(٤) من الآية (٢١٣) من سورة البقرة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن من خصائص الإسلام أنه مهيمن على ما سبقه من الشرائع الإلهية، ومفضلٌ على جميع الأديان، وأن هذه المزية العظمى يجب أن يعترف بها المشركون وأهل الكتاب، لا أن تكون مثار حسد للنبي ﷺ وأُمته.

كما أن هناك إشارة إلى خطورة الحسد والبغي، لأن من سبيل ذلك أن يؤدي إلى الاختلاف، وإذا حصل الاختلاف دب الضعف إلى الأُمة من حيث لا تشعر.

٦٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((إضراب انتقالي عن الكلام السابق، فاحتاج إلى وجه مناسبة به...وبيانه أن القصد من ذكر الأمم السالفة حيثما وقع في القرآن هو العبرة والموعظة، والتحذير من الوقوع فيما وقعوا فيه بسوء عملهم، والاقتداء في المحامد، فكان قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾(٢)الآية، إجمالٌ لذلك، وقد ختم بقوله: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾(٣)، ولما كان هذا الختام منقبة للمسلمين؛ أُوقظوا أن لا يزهوا بهذا الثّناء، فيحسبوا أنهم قضوا حق شكرِ النعمة، فَعقب بأن عليهم أن يصبروا لما عسى أن يعترضهم في طريق إيمانهم من البأساء والضراء، اقتداءً بصالحي الأمم السالفة، فكما حذرهم الله من الوقوع فيما وقع فيه الضالون من أولئك الأمم، حرضهم هنا على الاقتداء بهدى المهتدين منهم، على عادة القرآن في تعقيب البشارة بالنذارة، وعكس ذلك))(٤).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((في النظم وجهان:

الأول: أنه تعالى قال في الآية السالفة: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٥)، والمراد أنه يهدي من يشاء إلى الحق وطلب الجنة، فبين في هذه الآية أن

---

(١) الآية (٢١٤) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢١٣) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (٢١٣) من سورة البقرة.

(٤) التحرير والتنوير (٣١٣/٢).

(٥) من الآية (٢١٣) من سورة البقرة.

ذلك الطلب لا يتم ولا يكمل إلا باحتمال الشدائد في التكليف فقال: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ﴾[١] الآية.

الثاني: أنه في الآية السالفة لما بين أنه هداهم لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه؛ بين في هذه الآية أنهم بعد تلك الهداية احتملوا الشدائد في إقامة الحق، وصبروا على البلوى، فكذا أنتم يا أصحاب محمد لا تستحقون الفضيلة في الدين إلا بتحمل هذه المحن))[٢].

- وقال أبو حيان بنحو ما قاله الرازي، حيث قال: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه قال: ﴿ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[٣]، والمراد إلى الحق الذي يفضي اتباعه إلى الجنة، فَبين أن ذلك لا يتم إلا باحتمال الشدائد والتكليف، أو لما بين أنه هداهم؛ بين أنه بعد تلك الهداية احتملوا الشدائد في إقامة الحق، فكذا أنتم، أصحاب محمد، لا تستحقون الفضيلة في الدين إلا بتحمل هذه المحن))[٤].

- وقال البقاعي: ((ولما أُفهم ما صرح به الكلام السابق من الاختلاف، ووقوع العداوات، وكان في العداوات خطر الأموال والأنفس، وكان ذلك أشق ما يكون، وكانت العادة قاضية بأن المدعوين إلى ذلك إن لم يصمموا على الآيات؛ كانوا بين مستثقلين لأمر الرسل، يرون أنهم يفَرقون ما اتفق من الكلمة، ورضي به الناس لأنفسهم، ويشتتون أمرهم مستثقلين لطول انتظار الانتصار، كان حالهم حال من يطلب الراحات في ذُرى[٥] الجنات بلا مشقات، وذلك محالٌ ومحض ضلالٍ، فإن الثبات على الصراط المستقيم لا يكون إلا باحتمال شدائد التكاليف، فكان كأنه قيل

---

(١) من الآية (٢١٤) من سورة البقرة.

(٢) مفاتيح الغيب (١٨/٦).

(٣) من الآية (٢١٣) من سورة البقرة.

(٤) البحر المحيط (٣٧١/٢).

(٥) ذُرى: مفرده ذروة، بضم الذال وكسرها، وذروة الشيء أعلاه. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (ذري)، باب الياء، فصل الذال (٤٧٧/٤)؛ مختار الصحاح، باب الذال (ص٢٢٢)؛ المعجم الوسيط، باب الذال (٣٣٥/١).

في جواب ذلك عدولا عن خطاب النبي ﷺ المقول له: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[١]، إلى خطاب الأتباع تشريفًا له عن ذلك، ورفْعا لهممهم بالمواجهة بالخطاب، والتأسية بمن مضى من أولي الألباب، تنشيطًا لهم، وتقوية لعزائمهم))[٢].

- وقال الآلوسي بنحو ما قاله الرازي، حيث قال: ((لما قال: ﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٣]، وكان المراد بالصراط الحق الذي يفضي اتباعه إلى دخول الجنة؛ بين أن ذلك لا يتم إلا باحتمال الشدائد والتكليف))[٤].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ختم الآية التي سبقتها بمنقبة عظيمة للمؤمنين، تمثلت في هدايتهم إلى الحق؛ خيف أن يزهوا بتلك المنقبة، فنبههم أنهم سيواجهون في طريق الإيمان أنواعا عديدةً من البأساء والضراء، وأن عليهم الصبر والتحمل، اقتداءً بهدى المهتدين من الأمم السالفة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك إشارة إلى أهمية استخدام أسلوب البشارة والنذارة في الدعوة إلى الله تعالى، وفي تربية النفوس وتهذيبها، فالنفس إذا بشرت قد تغتر، وتركن ركونا قد يضعف من همتها، فلا عودة لها حينئذ إلا بالإنذار.

---

(١) من الآية (٢١١) من سورة البقرة.

(٢) نظم الدرر (٣٩٥/١).

(٣) من الآية (٢١٣) من سورة البقرة.

(٤) روح المعاني (٦٨٠/٢).

٦٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((المناسبة أن القتال من البأساء التي في قوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾[(٢)]، فقد كُلفَت به الأمم قبلنا))[(٣)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه لما ذُكر ما مس من تقدمنا من أتباع الرسل من البلايا، وأن دخول الجنة معروف بالصبر على ما يبتلى به المكلف، ثم ذُكر الإنفاق على من ذُكر، فهو جهاد النفس بالمال؛ انتقل إلى أعلى منه وهو الجهاد الذي يستقيم به الدين، وفيه الصبر على بذل المال والنفس))[(٤)].

- وقال البقاعي: ((فلما اتسع أمر الدين، ودخلت الأعراب والأتباع الذين لا يحملهم صدق المحبة للقاء الله على البدار للجهاد؛ نزلَ كَتبه كما نزلَ فرض الصلاة استدراكًا فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾، أي أيتها الأمة، وكان في المعنى راجعا لهذا الصنف الذين يسألون عن النفقة، وبمعنى ذلك انتظمت الآية بما قبلها، فكأنهم يتبلدون في الإنفاق تبلدا إسرائيليا، ويتقاعدون عن الجهاد تقاعد أهل التيه))[(٥)].

- وقال الآلوسي بنحو ما قاله أبو حيان، حيث قال: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة لأن فيها الجهاد، وهو بذل النفس الذي هو فوق بذل المال))[(٦)].

---

(١) الآية (٢١٦) من سورة البقرة.

(٢) الآية (٢١٤) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٣١٩/٢).

(٤) البحر المحيط (٣٧٩/٢).

(٥) نظم الدرر (٤٠١/١).

(٦) روح المعاني (٦٨٤/٢).

ومن خلال هذا النقل يتبين أن الطاهر ربط الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾[(١)]، وبرر ورود ذكر القتال بأنه من البأساء المذكورة هنا، وبقوله هذا توصل إلى أن القتال كان مفروضا على الأمم السابقة.

أما أبو حيان والآلوسي فيريان أن المناسبة هي الانتقال إلى من رتبة عليا وهي الصبر على الأذى، وإنفاق المال، إلى رتبة أعلى وهي الجهاد في سبيل الله.

وأما البقاعي فقد ربط الآية بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[(٢)]، فهو يرى أن المناسبة هي إيقاظ أولئك المتبلدين عن الإنفاق والجهاد.

والذي يظهر أن جميع ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح مدى الشدة والصعوبة التي تواجه النفس حين تريد القتال، فقد شق ذلك على كثيرٍ من الصحابة ﵃، ولم ينتصروا على أنفسهم إلا بقوة إيمانهم، ويقينهم بما أعده لهم ربهم ﷻ، ولذلك جاء فرض القتال بعد تهيئة ومقدمة ابتدئت بِذكرِ أحوال الأمم السابقة، وما لاقوه من البأساء والضراء، ثم ذكرِ الإنفاق الذي قد يصعب على كثير من الناس، وعندما ذُكر القتال كانت النفوس قد تهيأت لتقبل الأمر، ومع ذلك أشارت الآية إلى أن الله تعالى يعلم كرههم للقتال، إلا أنه طمأنهم بأنه خير لهم، وأنه تعالى يعلم ما لا يعلمونه.

(١) من الآية (٢١٤) من سورة البقرة.
(٢) الآية (٢١٥) من سورة البقرة.

٦٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عطف تبيين معاملة اليتامى على تبيين الإنفاق، لتعلق الأمرين بحكم تحريم الميسر، أو التنويه عنه، فإن الميسر كان بابا واسعا للإنفاق على المحاويج، وعلى اليتامى...فكان تحريم الميسر مما يثير سؤالا عن سد هذا الباب على اليتامى، وفيه صلاح عظيم لهم، وكان ذلك السؤال مناسبةً حسنةً للتخلص إلى الوصاية باليتامى، وذكر مجمل أحوالهم في جملة إصلاح الأحوال التي كانوا عليها قبل الإسلام))[٢].

<u>أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:</u>

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما ذُكر السؤال عن الخمر والميسر، وكان تركهما مدعاة إلى تنمية المال، وذُكر السؤال عن النفقة، وأجيبوا بأنهم ينفقون ما سهلَ عليهم؛ ناسب ذلك النظر في حال اليتيم، وحفظ ماله، وتنميته، وإصلاح اليتيم بالنظر في تربيته، فالجامع بين الآيتين أن في ترك الخمر والميسر إصلاح أحوالهم أنفسهم، وفي النظر في حال اليتامى إصلاحا لغيرهم ممن هو عاجز أن يصلح نفسه، فيكون قد جمعوا بين النفع لأنفسهم ولغيرهم))[٣].

- وقال الآلوسي بنحو ما قاله أبو حيان، حيث قال: ((ووجه مناسبتها لما قبلها، أنه سبحانه لما ذكر السؤال عن الخمر والميسر، وكان في تركها مراعاة لتنمية المال؛ ناسب ذلك النظر في حال اليتيم، فالجامع بين الآيتين أن في ترك الخمر والميسر إصلاح

---

(١) من الآية (٢٢٠) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٣٥٤/٢).

(٣) البحر المحيط (٤١٠/٣).

أحوالهم أنفسهم، وفي النظر في أحوال اليتامى إصلاحا لغيرهم ممن هو عاجز أن يصلح نفسه، فمن ترك ذلك وفعل هذا فقد جمع بين النفع لنفسه ولغيره))[(١)].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هي تبيين معاملة اليتامى بعد تبيين الإنفاق، وأن هذه الآية جاءت جوابا عن سؤالٍ أثاره تحريم الميسر، لأن الميسر كان مصدرا من مصادر الإنفاق على اليتامى، حيث كان المشركون يجمعون ما يحصلون عليه ممن الميسر لغرض الإنفاق على اليتامى. وهذا مما تفرد به الطاهر عن غيره.

أما أبو حيان والآلوسي فيريان أن المناسبة هي الاشتراك في الإصلاح، فمن ترك الخمر والميسر أصلح حال نفسه، ومن نظر إلى أحوال اليتامى أصلح حال غيره.

والذي يظهر أن جميع ما ذُكر يصلح أن يكون مناسبة للآية.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن حقوق اليتامى عظيمة، كونهم فقدوا عنصرا مهما وأساسا في حياتهم، فكانوا بحاجة إلى أحكام تحفظ أموالهم ومصالحهم، وفي ذلك إشارة إلى رحمة الله تعالى بعباده.

---

(١) روح المعاني (٦٩٨/٢).

٦٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((كان المسلمون أيام نزول هذه السورة مازالوا مختلطين مع المشركين بالمدينة، وما هم ببعيد عن أقربائهم من أهل مكة، فربما رغب بعضهم في تزوج المشركات، أو رغب بعض المشركين في تزوج نساءٍ مسلمات، فبين الله الحُكْم في هذه الأحوال، وقد أُوقع هذا البيانُ بحكمته في أرشقِ موقعه وأسعده به، وهو موقع تعقيبِ حكمِ مخالطة اليتامى، فإن للمسلمين يومئذ أقارب وواليَ لم يزالوا مشركين، ومنهم يتامى فقدوا آباءهم في يوم بدر[2]وما بعده، فلما ذَكَر الله بيان مخالطة اليتامى، وكانت المصاهرة من أعظم أحوال المخالطة؛ تطلعت النفوس إلى حكم هاته المصاهرة بالنسبة للمشركات والمشركين، فعطَف حكم ذلك على حكم اليتامى، لهاته المناسبة))[3].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما ذَكَر تعالى حكم اليتامى في المخالطة، وكانت تقتضي المناكحة وغيرها مما يسمى مخالطة، حتى إن بعضهم فسرها

---

(١) الآية (٢٢١) من سورة البقرة.

(٢) يوم بدر: معركة شهيرة وقعت بين المسلمين والمشركين في شهر رمضان، من السنة الثانية للهجرة المباركة، انتصر فيها المسلمون انتصارا عظيما. وبدر ماء مشهور بين مكة والمدينة، أسفل وادي الصفراء، بينه وبين ساحل البحر ليلة. ينظر: سيرة ابن هشام (١٨٧/٢)؛ السيرة النبوية لابن كثير (٣٨٠/٢)؛ معجم البلدان (٣٥٧/١).

(٣) التحرير والتنوير (٣٥٩/٢).

بالمصاهرة فقط...وكان من اليتامى من يكون من أولاد الكفار؛ نهى الله تعالى عن مناكحة المشركات والمشركين))(١).

- وقال البقاعي: ((ولما كان النكاح من معظم المخالطة في النفقة وغيرها، وكان الإنسان جهولا؛ تولى سبحانه وتعالى بحكمته تعريفه ما يصلح له، وما لا يصلح من ذلك))(٢).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين مخالطة اليتامى، وكانت المصاهرة من أعظم أحوال المخالطة؛ تطلّعت النفوس إلى حكم هاته المصاهرة بالنسبة للمشركات والمشركين، فعطّف حكم ذلك، على حكم اليتامى.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن العلة المسوغة للنكاح، هي الأخوة الدينية، فجاء النهي عن نكاح من لم تكن فيه هذه الأخوة، واندرج يتامى الكفار في عموم من أشرك.

---

(١) البحر المحيط (٤١٥/٢).

(٢) نظم الدرر (٤١٩/١).

٦٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عطْف على جملة ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾[٢]بمناسبة أن تحريم نكاح المشركات يؤذن بالتنـزه عن أحوال المشركين، وكان المشركون لا يقربون نساءهم إذا كُن حيضا، وكانوا يفرطون في الابتعاد منهن مدة الحيض، فناسب تحديد ما يكثر وقوعه، وهو من الأحوال التي يخالف فيها المشركون غيرهم، ويتساءل المسلمون عن أحق المناهج في شأنها))[٣].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه لما نهى عن مناكحة الكفار، وتضمن مناكحة أهل الإيمان وإيثار ذلك؛ بين حكما عظيما من أحكام النكاح، وهو حكم النكاح في زمان الـحيض))[٤].

- وقال الآلوسي بنحو ما قاله أبو حيان: ((والجملة معطوفة على ما تقدم من مثلها، ووجه مناسبتها له أنه لما نهى عن مناكحة الكفار، ورغب في مناكحة أهل الإيمان، بين حكما عظيما من أحكام النكاح، وهو حكم النكاح في الـحيض))[٥].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين حكم نكاح المشركات؛ بين حكما عظيما من أحكام النكاح، وهو الجماع في وقت الـحيض، وهو ما كان يبالغ فيه أهل الكتاب والمشركون بين إفراط وتفريط، فبينت الآية الحكم الشرعي فيه.

---

(١) الآية (٢٢٢) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٢٢١) من سورة البقرة.
(٣) التحرير والتنوير (٣٦٤/٢).
(٤) البحر المحيط (٤٢٢/٢).
(٥) روح المعاني (٧٠٢/٢).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الإسلام كرم المرأة وشرفها، وحررها من الذل الذي عاشته فترةً من الزمن، فاليهود والمشركون كانوا يبالغون في عزلها عند حيضها، فجاء الإسلام وبين الصواب في هذه القضية.

٦٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((جملةٌ معطوفةٌ على جملة: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[٢]، عطف تشريعٍ على تشريعٍ، فالمناسبة بين الجملتين تعلق مضمونيهما بأحكام معاشرة الأزواج، مع كون مضمون الجملة الأولى منعا من قربان الأزواج في حالة الحيض، وكون مضمون هذه الجملة تمهيدا لجملة ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾[٣]، فوقع هذا التمهيد موقع الاعتراض بين جملة: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾، وجملة: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾، وسلك فيه طريق العطف لأنه نهي عطف على نهيٍ في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾))[٤].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه تعالى لما أمر بتقوى الله تعالى، وحذرهم يوم الميعاد؛ نهاهم عن ابتذال اسمه، وجعله معرضا لما يحلفون عليه دائما، لأن من يتقَى ويحذَر تجب صيانة اسمه، وتنـزيهه عما لا يليق به، من كونه يذكَر في كل ما يحلف عليه، من قليلٍ أو كثيرٍ، عظيمٍ أو حقيرٍ، لأن كثرة ذلك توجب عدم الاكتراث بالمحلوف به))[٥].

- وقال البقاعي: ((ولما أذن في إتيان النساء في محل الحرث كيف ما اتفق، ومنع مما سوى ذلك، ومنع من محل الحرث في حال الحيض؛ بين حكم ما إذا منع الإنسان

---

(١) الآية (٢٢٤) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٢٢٣) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (٢٢٦) من سورة البقرة.
(٤) التحرير والتنوير (٣٧٥/٢).
(٥) البحر المحيط (٤٣٨/٢).

نفسه من ذلك بالإيلاء[١]، أو بِمطلق اليمين، ولو على غير سبيل الإيلاء، لأنه نقلَ عن كثيرٍ منهم شدة الميل إلى النكاح، فكان يخشى المواقعة في حال المنع، فتحمله شدةُ الورع على أن يمنع نفسه بمانع مظاهرة، كما بين في سـورة المجادلة أو غيرهـا من الأيمان، فمنعهم من ذلك بقوله تعالى -عادلا عن خطاب نبيه ﷺ، تعظيما لمقامه-: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا﴾[٢])[٣].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة في هذه الآية هي التمهيد لبيان حكم الإيلاء الذي ورد في الآية التالية لها، وبنحو هذا قال البقاعي.

أما أبو حيان فيرى أن المناسبة هي النهي عن ابتذال اسم الله تعالى، وأن كثرة الحَلف تتعارض مع تعظيم الله وتقديسه.

والذي يظهر أن جميع ما ذُكر يصلح أن يكون مناسبة للآية، إلا أن قول الطاهر هو الأنسب، كونه ربط الآية بالإيلاء المرتبط أصلا باليمين.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الحَلف بالله تعالى أمر عظيم، ولا ينبغي للمؤمن الإكثار منه في كل حين، كما أن هناك إشارة إلى تحذير المؤمنين من كثرة الحَلف كي لا يقعون في مشقة الإيلاء، الذي سببه الحَلف.

---

(١) الإيلاء: هو الامتناع باليمين عن وطء الزوجة. ينظر: سبل السلام في شرح بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، كتاب الرجعة، باب الإيلاء والظهار والكفارة (٢٣٩/٦)؛ المحلى، علي بن أحمد بن حزم، كتاب النكاح، باب أحكام الإيلاء (٤٢/١٠).

(٢) من الآية (٢٢٤) من سورة البقرة.

(٣) نظم الدرر (٤٢٤/١).

٧٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((استئناف بياني لأن الآية السابقة لما أفادت النهي عن التسرع بالحَلف إفادةً صريحةً أو التزاميةً؛ كانت نفوس السامعين بحيث يهجس بها التفكر والتطلع إلى حكم اليمين التي تجري على الألسن، ومناسبته لما قبله ظاهرة لا سيما إن جعلت قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾[٢]نهيا عن الحلف))[٣].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، لأنه تعالى لما نهى عن جعل الله معرضا للأيمان، كان ذلك حتما لترك الأيمان وهم يشق عليهم ذلك، لأن العادة جرت لهم بالأيمان، فذكر أن ما كان منها لغوا فهو لا يؤاخذ به، لأنه مما لا يقصد به حقيقة اليمين))[٤].

- وقال البقاعي: ((ولما تقدم إليهم سبحانه وتعالى في هذا، وكانت ألسنتهم قد مرنت على الأيمان من غير قصد، بحيث صاروا لا يقدرون على ترك ذلك إلا برياضة كبيرة، ومعالجة طويلة، وكان مما رحم الله به هذه الأمة العفو عما أخطأت به ولم تتعمده؛ قال في جواب من كأنه سأل عن ذلك: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ﴾))[٥].

---

(١) الآية (٢٢٥) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢٢٤) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٣٨٠/٢).

(٤) البحر المحيط (٤٤٣/٢).

(٥) نظم الدرر (٤٢٥/١).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما نهى عن الإكثار من الحَلف به ﷻ؛ كان ذلك شاقا على الذين اعتادوا على الحَلف؛ فرخص لهم في هذه الآية ما لم يقصدوا به حقيقة اليمين.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن لغو اليمين وإنما هو شيء يجري على اللسان عند المحاورة من غير قصد، وهذا أحسن ما يفسر به اللغو، وهناك إشارة إلى أن المراد من الآية السابقة النهي عن الحَلف.

٧١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عطْف على الجملة قبلها لشدة المناسبة، وللاتحاد في الحكم، وهو التربص، إذ كلاهما انتظار لأجل المراجعة، ولذلك لم يقدم قوله: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ﴾(٢)على قوله: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾، لأن هذه الآي جاءت متناسقةً منتظمةً على حسب مناسبات الانتقال، على عادة القرآن في إبداع الأحكام، وإلقائها بأسلوب سهل، لا تسأم له النفس، ولا يجيء على صورة التعليم والدرس))(٣).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة جدا، لأنه حكم غالب من أحكام النساء، لأن الطلاق(٤)يحصل به المنع من الوطء والاستمتاع دائما، وبالإيلاء منع نفسه من الوطء مدة محصورة، فناسب ذكر غير المحصور بعد ذكر المحصور، ومشروع تربص المولي أربعة أشهر، ومشروع تربص هؤلاء ثلاثة قروء ، فناسب ذكرها بعقبها))(٥).

---

(١) الآية (٢٢٨) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢٢٩) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٣٨٨/٢).

(٤) الطلاق في الشرع حل عقدة التزويج، وإنهاء العلاقة الزوجية. ينظر: سبل السلام، كتاب الطلاق (١٩٩/٦)؛ فقه السنة، السيد سابق (١٦٢/٢).

(٥) البحر المحيط (٤٥٢/٢).

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((لما ذكر ﷻ الإيلاء، وأن الطّلاق قد يقع؛ بين تعالى حكم المرأة بعد التطْليق))(١).

- وقال البقاعي: ((ولما ختم آيتي الإيلاء بالطلاق؛ بين عدته))(٢).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين ما يترتب على الإيلاء؛ بين ما يترتب على الطلاق، كونهما مشتركان في التربص.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى قد نظم الحياة الزوجية تنظيما يحفظ لها التوازن، ويؤمن فيها حقوق الزوجين، ولم يدع قضية متعلقة بها إلا وبين حكمها، حفظًا للحقوق الأسرية حتى في حال الطلاق.

---

(١) اللباب (١٠٨/٤).

(٢) نظم الدرر (٤٢٧/١).

٧٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((ولما كان أمر العرب في الجاهلية جاريا على عدم تحديد نهاية الطلاق...؛ ناسب أن يذكر عقب ذلك كله حكم تحديد الطلاق، إفادةً للتشريع في هذا الباب، ودفعا لما قد يعلَق أو علق بالأوهام في شأنه))(٢).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((ومناسبتها لما قبلها ظاهرة، وهو أنه لما تضمنت الآية قبلها الطلاق الرجعي، وكانوا يطَلِّقون ويراجعون من غير حد ولا عد؛ بين في هذه الآية أنه مرتان، فحصر الطلاق الرجعي في أنه مرتان))(٣).

- وقال البقاعي: ((ولما ذكر الرجعة ولم يبين لها غاية تنتهي بها، فكانت الآية كالمجمل؛ عرض سؤالٌ: هل هي ممتدة كما كانوا يفعلون في الجاهلية متى راجعها في العدة له أن يطلقها ما دام يفعل ذلك، ولو ألف مرة أو منقطعة؟ فقال: ﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾، أي الـمحدث عنه، وهو الذي تملك فيه الرجعة))(٤).

---

(١) الآية (٢٢٩) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٤٠٣/٢).
(٣) البحر المحيط (٤٦٣/٢).
(٤) نظم الدرر (٤٣٠/١).

ومن هذا النقل يتبين أنه لما ذُكر الطلاق الرجعي في الآية التي قبلها، وكان أهل الجاهلية لا يضعون حدا لعدد تلك الطلقات؛ جاء تحديدها في قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾[١].

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الإسلام حارب كل عادة جاهلية فيها إضرار بالمرأة، سواءٌ كانت زوجةً أم بنتا أم غير ذلك، وهنا دلالة على أن الرجعة يمكن أن تكون بعد تطليقتين، أما بعد الطلقة الثالثة فلا رجعة البتة، ولا عودة إلا أن تنكح المرأةُ زوجا آخر ثم تفارقه.

(١) من الآية (٢٢٩) من سورة البقرة.

٧٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((انتقال من أحكام الطلاق والبينونة، فإنه لما نهي عن العضل، وكانت بعض المطلقات لهن أولاد في الرضاعة، ويتعذر عليهن التزوج وهن مرضعات، لأن ذلك قد يضر بالأولاد، ويقلل رغبة الأزواج فيهن؛ كانت تلك الحالة مثار خلاف بين الآباء والأمهات، فلذلك ناسب التعرض لوجه الفصل بينهم في ذلك))[2].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر جملة في النكاح، والطلاق، والعدة، والرجعة، والعضل؛ أخذ يذكر حكم ما كان من نتيجة النكاح، وهو ما شرع من حكم الإرضاع ومدته، وحكم الكسوة، والنفقة))[3].

- وقال البقاعي: ((ولما كان النكاح قد يكون عنه ولادة، فيكون عنها رضاع، وقد تكون المرضعة زوجة، وقد تكون أجنبية، والزوجة قد تكون متصلة، وقد تكون منفصلة، وكان الفراق بالطلاق أكثر منه بالموت؛ وسطه بين عدتي الطلاق والوفاة، لإدلائه إلى كل بسبب، واهتماما بشأنه، وحثا على الشفقة على الصغير، وشدة العناية

(١) الآية (٢٣٣) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٢/٤٢٩).

(٣) البحر المحيط (٢/٤٩٦).

بأمره، لأن الأم ربما كانت مطَلَّقَةً فاستهانت بالولد إيذاءً للزوج، إن كان الطلاق عن شقاق، أو رغبة في زوج آخر))(١).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ذكر أحكام الطلاق؛ عقب بأحكام الرضاع التي تحسم الخلاف بين الآباء والأمهات، رحمةً وشفقةً بالأطفال.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على أن المقصود بالوالدات في الآية هن الوالدات المطلقات، كون هذا الحكم ذكر بعد ذكر أحكام الطلاق، فإن أمر الإرضاع مهم، لأن به حياة النسل، ولأن تنظيم أمره من أهم شؤون أحكام العائلة، وفيه حفظٌ لحقوق الطفل حتى إذا انفصلت أُمه عن أبيه.

---

(١) نظم الدرر (٤٣٨/١).

٧٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هاتين الآيتين الكريمتين لما قبلهما فقال: ((ومناسبة موقعها لا تخفى، فإنه لما جرى الكلام في الآيات السابقة على الطلاق الذي تجب فيه العدة، وهو طلاق المدخول بهن؛ عرج هنا على الطلاق الواقع قبل الدخول))[2].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما ذَكَر حكْم المطلقة غير الممسوسة إذا لم يفْرض لها مهر؛ تكلم في المطلقة غير الممسوسة إذا كان قد فُرض لها مهر))[3].

- وقال أبو حيان: ((ومناسبتها لما قبلها، أنه لما بين تعالى حكم المطلقات المدخول بهن، والمتوفى عنهن أزواجهن؛ بين حكم المطلقة غير المدخول بها))[4].

- وقال البقاعي: ((ولما نفي الجناح بانتفاء المسيس و الفرض، فأفهم أنهما إذا وجِدا وجِد الجناح بوجوب المفروض كله؛ أتبعه ما إذا انتفى أحدهما فقط، فذكر الحكم عند انتفاء المسيس وحده صريحا في ضد المفوضة السابقة، وأفهم بذلك ما إذا انتفى الفرض وحده تلويحا فقال: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾))[5].

---

(١) الآيتان (٢٣٦،٢٣٧) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٤٥٧/٢).
(٣) مفاتيح الغيب (١٤٠/٦).
(٤) البحر المحيط (٥٢٧/٢).
(٥) نظم الدرر (٤٤٧/١).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ذكر حكم المطلقة المدخول بها؛ عقبه بذكر أحكام المطلقة غير المدخول بها، تتميما لأحكام الطلاق، وتناولا لبقية أحواله.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على تكريم المرأة وتشريفها، وحفظ حقوقها، حتى ولو طُلقت قبل الدخول بها، وفي هذا أكبر دليلٍ على عدالة الإسلام، وعدم هضمه حقوق المرأة.

٧٥- المناسبة في قولـه تعـالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((فالظاهر أنه لما طال تبيان أحكامٍ كثيرة متوالية...جاءت هذه الآية مرتبطة بالتذييل الذي ذُيلَت به الآية السابقة، وهو قوله: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[٢]، فإن الله دعانا إلى خلُقٍ حميد، وهو العفو عن الحقوق، ولما كان ذلك الخُلُق قد يعسر على النفس لما فيه من ترك ما تحبه من الـملائم من مال وغيره، كالانتقام من الظالم، وكان في طباع الأنفس الشح؛ علمنا الله تعالى دواء هذا الداء بدواءين، أحدهما دنيوي عقلي، وهو قوله: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، الـمذكر بأن العفو يقَرب إليك البعيد، ويصير العدو صديقًا، وإنك إن عفَوت فيوشك أن تقترف ذنبا فيعفَى عنك إذا تعارف الناس الفضلَ بينهم، بخلاف ما إذا أصبحوا لا يتنازعون عن الحق.

الدواء الثاني أخروي روحاني، وهو الصلاة التي وصفها الله تعالى في آية أخرى بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، فلما كانت معينةً على التقوى، ومكارمِ الأخلاق؛ حث الله على المحافظة عليها.

ولك أن تقول: لما طال تعاقب الآيات المبينة تشريعات تغلب فيها الحظوظُ الدنيويةُ للمكلفين؛ عقبت تلك التشريعات بتشريعٍ تغلب فيه الحظوظُ الأُخرويةُ، لكي لا يشتغل الناس بدراسة أحد الصنفين من التشريع عن دراسة الصنف الآخر))[٣].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

---

(١) الآية (٢٣٨) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢٣٧) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٤٦٥/٢).

- قال الرازي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما بين للمكلفين ما بين من معالم دينه، وأوضح لهم من شرائع شرعه؛ أمرهم بعد ذلك بالمحافظة على الصلوات، وذلك لوجوه:

أحدها: أن الصلاة لما فيها من القراءة والقيام والركوع والسجود والخضوع والخشوع تفيد انكسار القلب من هيبة الله تعالى، وزوال التمرد عن الطبع، وحصول الانقياد لأوامر الله تعالى، والانتهاء عن مناهيه...

والثاني: أن الصلاة تذَكر العبد جلالة الربوبية، وذلة العبودية، وأمر الثواب والعقاب، فعند ذلك يسهل عليه الانقياد للطاعة...

والثالث: أن كل ما تقدم من بيان النكاح والطلاق والعدة اشتغال بمصالح الدنيا، فأتبع ذلك بذكر الصلاة التي هي مصالح الآخرة))(١).

- وقال أبو حيان: ((والذي يظهر في المناسبة، أنه تعالى لما ذكر تعالى جملة كثيرة من أحوال الأزواج والزوجات، وأحكامهم في النكاح والوطء، والإيلاء والطلاق، والرجعة، والإرضاع والنفقة والكسوة، والعدد والخطبة، والمتعة والصداق والتشطر(٢)، وغير ذلك، كانت تكاليف عظيمة تشغل من كلفها أعظم شغل، بحيث لا يكاد يسع معها شيء من الأعمال، وكان كل من الزوجين قد أوجب عليه للآخر ما يستفرغ فيه الوقت، ويبلغ منه الجهد، وأمر كلا منهما بالإحسان إلى الآخر حتى في حالة الفراق، وكانت مدعاة إلى التكاسل عن الاشتغال بالعبادة إلا لمن وفقه الله تعالى؛ أمر تعالى بالمحافظة على الصلوات التي هي الوسيلة بين الله وبين عبده، وإذا كان قد أمر بالمحافظة على أداء حقوق الآدميين، فلأن يؤمر بأداء حقوق الله أولى وأحق...فكأنه قيل: لا يشغلنكم التعلق بالنساء وأحوالهن عن أداء ما فرض الله عليكم.

---

(١) مفاتيح الغيب (١٤٥/٦).

(٢) التشطر: مأخوذ من الشطْر، وهو النصف، والمراد به هنا نصف المهر. ينظر: القاموس المحيط، مادة (شطر)، باب الراء، فصل الشين (١٢٥/٢)؛ مختار الصحاح، باب الشين (ص٣٣٧)؛ المعجم الوسيط، باب الشين (٥٠٨/١).

وقيل: مناسبة الأمر بالمحافظة على الصلوات عقيب الأوامر السابقة أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فيكون ذلك عونا لهم على امتثالها، وصونا لهم عن مخالفتها.

وقيل: وجه ارتباطها بما قبلها وبما بعدها، أنه لما أمر تعالى بالمحافظة على حقوق الحق، ثم لما كانت حقوق الآدميين منها ما يتعلق بالحياة، وقد ذكره، ومنها ما يتعلق بالممات؛ ذكره بعده في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً﴾[١] الآية))[٢].

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((لمّا ذكر الأحكام المتعلّقة بمصالح الدنيا من بيان النكاح، والطلاق، والعقُود؛ أتبعه بذكر الأحكامِ المتعلقة بمصالح الآخرة))[٣].

- وقال البقاعي: ((ولما ذُكرت أحكام النساء، وشعبت حتى ضاق فسيح العقل بانتشارها، وكاد أن يضيع في متسع مضمارها، مع ما هناك من مظنّة الميل بالعشق، والنفرة بالبغض، الحامل على الإحن، والشغل بالأولاد، وغير ذلك من فتن وبلايا ومحن، يضيق عنها نطاق الحصر، ويكون بعضها مظنةً للتهاون بالصلاة، بل وبكل عبادة؛ اقتضى الحال أن يقال: يا رب، إن الإنسان ضعيف، وفي بعض ذلك له شاغل عن كل مهم، فهل بقي له سعة لعبادتك؟ فقيل: ﴿حَٰفِظُواْ﴾[٤]))[٥].

- وقال الآلوسي: ((ولعل الأمر بها عقيب الحض على العفو، والنهي عن ترك الفضل، لأنها تهيىءُ النفس لفواضل الملَكات، لكونها الناهية عن الفحشاء والمنكر، أو ليجمع بين التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة عل خلقه، وقيل: أمر بها في خلال بيان ما تعلق بالأزواج والأولاد من الأحكام الشرعية المتشابكة إيذانا بأنها حقيقةٌ بكمال الاعتناء بشأنها، والمثابرة عليها، من غير اشتغال عنها بشأن أولئك))[٦].

---

(١) من الآية (٢٤٠) من سورة البقرة.

(٢) البحر المحيط (٤٥٦/٢).

(٣) اللباب (٢٢٦/٤).

(٤) من الآية (٢٣٨) من سورة البقرة.

(٥) نظم الدرر (٤٤٩/١).

(٦) روح المعاني (٧٤٧/٢).

ومن هذا النقل يتبين أن ارتباط الآية بما قبلها من وجهين:

الوجه الأول: ارتباطها بالتذييل في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[١]، وهو تذييلٌ يرغب في العفو، ولما كان هذا الخلق قد يعسر على النفس؛ أرشدنا الله تعالى إلى معالجة ذلك بدواءين:

الدواء الأول: دنيوي عقلي، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾.

الدواء الثاني: أخروي روحي، وذلك في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾[٢]، كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتعين على مكارم الأخلاق.

الوجه الثاني: بعد أن تقدم بيان أحكام النكاح، والطلاق، والعدة...إلخ، وكلها اشتغال بمصالح دنيوية، أُتبع بذكر الصلاة التي هي من أعظم المصالح الأخروية.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على أهمية الصلاة في إصلاح أحوال الناس، على مستوى الفرد، والأسرة، والمجتمع.

كما أن هناك دلالة على ارتباط صلاح النفس بأداء هذه الفريضة العظيمة، كونها تروضها على مكارم الأخلاق، وتشعرها بالتذلل والخضوع.

---

(١) من الآية (٢٣٧) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢٣٨) من سورة البقرة.

٧٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((موقع هذه الآية موقع الفذلكة لما قبلها، والمقدمة لما بعدها.

فأما الأول فإنّ الله تعالى لما أنبأ باختبار الرسل إبراهيم وموسى وعيسى -عليهم السلام- وما عرض لهم مع أقوامهم، وختم ذلك بقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾[(٢)]؛ جمع ذلك كلّه في قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ لفْتا إلى العبر التي في خلال ذلك كلّه، ولما أنهى ذلك كلّه عقبه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[(٣)]تذكيرا بأنّ إعلامه بأخبار الأمم والرسل آية على صدق رسالته، إذ ما كان لمثله قبلٌ بعلم ذلك لولا وحي الله إليه.

وفي هذا كلّه حجة على المشركين، وعلى أهل الكتاب الذين جحدوا رسالة محمد ﷺ.

وأما الثاني فلأنه لما أُفيض القول في القتال، وفي الحث على الجهاد، والاعتبار بقتال الأمم الماضية؛ عقب ذلك بأنه لو شاء الله ما اختلف الناس في أمر الدين من بعد ما جاءتهم البينات، ولكنهم أساؤوا الفهم فجحدوا البينات، فأفضى بهم سوءُ فهمهم إلى اشتطاط[(٤)] الخلاف بينهم، حتى أفضى إلى الاقتتال))[(٥)].

---

(١) الآية (٢٥٣) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢٥٢) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (٢٥٢) من سورة البقرة.

(٤) اشتطاط: مصدر الفعل اشتط، أي بعد وجار، والشطَط مجاوزة القدر. ينظر: القاموس المحيط، مادة (شطط)، باب الطاء، فصل الشين (٥٦٠/٢)؛ مختار الصحاح، باب الشين (ص٣٣٧)؛ المعجم الوسيط، باب الشين (٥٠٨/١)

(٥) التحرير والتنوير (٥/٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((وجه تعلق هذه الآية بما قبلها ما ذكره أبو مسلم[١]وهو أنه تعالى أنبأ محمدا ﷺ من أخبار المتقدمين مع قومهم، كسؤال قوم موسى ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾[٢]، وقولهم: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾[٣]، وكقوم عيسى بعد أن شاهدوا منه إحياء الموتى، وإبراء الأكمه[٤]والأبرص[٥]بإذن الله فكذبوه، وراموا قتله، ثم ثم أقام فريق على الكفر به وهم اليهود، وفريق زعموا أنهم أولياؤه، وادعت على اليهود قتله وصلبه، الذي كذبهم الله تعالى فيه، وكالملأ من بني إسرائيل حسدوا طالوت، ودفعوا ملكه بعد المسألة، وكذلك ما جرى من أمر النهر، فعزى اللهُ رسولَه عما رأى من قومه من التكذيب والحسد))[٦].

- وقال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما ذكر اصطفاء طالوت على بني اسرائيل، وتفضل داود عليهم بإيتائه الملك والحكمة وتعليمه، ثم خاطب نبيه محمدا ﷺ بأنه من المرسلين، وكان ظاهر اللفظ يقتضي التسوية بين المرسلين؛ بين بأن المرسلين متفاضلون أيضا، كما كان التفاضل بين غير المرسلين، كطالوت وبني اسرائيل))[٧].

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي، حيث قال: ((قال أبو مسلم: وجه تعلق هذه الآية بما قبلها، ما ذكر في الآية التي قبلها من تسلية الرسول ﷺ، وهو أنه أخبر

---

(١) محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم، والٍ من أهل أصفهان، معتزلي، ولد سنة (٢٥٤هـ)، كان عالـما بالتفسير وبغيره من صنوف العلم، من كتبه تفسير جامع التأويل، (ت٣٢٢هـ). ينظر: الوافي بالوفيات (٢/٢٤٤)؛ الأعلام (٦/٥٠).

(٢) من الآية (١٥٣) من سورة النساء.

(٣) من الآية (١٣٨) من سورة الأعراف.

(٤) الأكمه: الذي يولد أعمى. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (كمه)، باب الهاء، فصل الكاف (٤/٤١٨)؛ مختار الصحاح، باب الكاف (٥٧٩)؛ المعجم الوسيط، باب الكاف (٢/٨٣٥).

(٥) الأبرص: المصاب بداء وهو بياض يظهر في البدن. ينظر: القاموس المحيط، مادة (برص)، باب الصاد، فصل فصل الباء (٢/٤٥٤)؛ مختار الصحاح، باب الباء (ص٤٨).

(٦) مفاتيح الغيب (٦/١٩٤).

(٧) البحر المحيط (٢/٥٩٩).

النبي ﷺ بأخبار المتقدمين مع قومهم، كسؤال قوم موسى ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾(١)، وقولهم: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾(٢)، وكقوم عيسى بعد أن شاهدوا منه إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله فكذبوه، وراموا قتله، ثم أقام فريق على الكفر به، وهم اليهود، وزعم فريق منهم أنهم أولياؤه، وكالملأ من بني إسرائيل، حسدوا طالوت، ودفعوا ملكه بعد المسألة، وكذلك ما جرى من أمر النهر، فذكر ذلك كله تسلية للرسول ﷺ عما رأى من قومه من التكذيب والحسد))(٣).

- وقال البقاعي: ((ولما تقدم في هذه السورة ذكر رسل كثيرة، وختم هذه الآيات بأنه ﷺ منهم؛ تشوفت النفس إلى معرفة أحوالهم في الفضل، هل هم فيه سواء أو هم متفاضلون؟ فأشار إلى علُو مقادير الكل))(٤).

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن هذه الآية الكريمة فذلكةٌ لما قبلها، حيث لفتت الأذهان إلى العبر التي وردت في الآيات التي تقدمتها، وذكرت بنبوته ﷺ، وأنها مقدمةٌ وتمهيد بين فيه سبب الاقتتال، وهو الاختلاف.

أما الرازي وابن عادل الحنبلي فيريان أن في الآية تسليةً للرسول ﷺ لما لاقاه من قومه.

وأما أبو حيان والبقاعي فيريان أن المناسبة إثبات التفاضل بين الرسل، دفعا لما قد يفهم أنهم متساوون.

والذي يظهر أن ما ذهب إليه الطاهر هو الأنسب، كونه جعل الآية إجمالا لما فُصل في الآيات السابقة، ومقدمةً لما ورد من أسباب الاقتتال، وبهذا يتحقق الربط بين السابق واللاحق، ويلتئم النظم على أكمل وجه.

---

(١) من الآية (١٥٣) من سورة النساء.

(٢) من الآية (١٣٨) من سورة الأعراف.

(٣) اللباب (٢٩٧/٤).

(٤) نظم الدرر (٤٨٥/١).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى مجد الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعا، إلا أنه قد فضل بعضهم على بعض لأسبابٍ لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، غير أن تلك الأسباب ترجع إلى ما جرى على أيديهم من الآيات، ولما كان الرسول ﷺ قد هدى الله على يده خلائق لا تعد ولا تحصى؛ كان أفضل الرسل(١).

---

(١) ذكر القرطبـي كلاما شافيا في مسألة تفاضل الأنبياء عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. ينظر: تفسيره الجامع لأحكام القرآن (٢٥٣/٤)، وينظر أيضا ما ذكره عبد الله بن صديق الغماري في كتابه: "دلالة القرآن المبين على أن النبي ﷺ أفضل العالمين" (ص١٨١).

٧٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((لما ذُكر هولُ يوم القيامة، وذُكر حالُ الكافرين؛ استؤنف بذكر تمجيد الله تعالى، وذكرِ صفاته، إبطالا لكفر الكافرين، وقطعا لرجائهم، لأنّ فيها ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾، وجعلت هذه الآية ابتداءً لآيات تقرير الوحدانية والبعث، وأودعت هذه الآية العظيمة هنا لأنها كالبرزخ بين الأغراض السابقة واللاّحقة))(٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((ولما ذَكَر فيما تقدم من علم الأحكام، ومن علم القَصص ما رآه مصلحة؛ ذَكَر الآن ما يتعلق بعلم التوحيد))(٣).

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه تعالى لما ذَكَر أنه فَضلَ بعض الأنبياء على بعض، وأنّ منهم من كلّمه، وفُسر بموسى عليه السلام، وأنه رفَع بعضهم درجات، وفُسر بمحمد ﷺ، ونص على عيسى عليه السلام، وتفضيل المتبوع يفهم منه تفضيل التابع، وكانت اليهود والنصارى قد أحدثوا بعد نبيهم بِدعا في أديانهم وعقائدهم، ونسبوا الله تعالى إلى ما لا يجوز عليه، وكان رسول الله ﷺ بعثَ إلى الناس كافة، فكان منهم العرب، وكانوا قد اتخذوا من دون الله آلهة وأشركوا، فصار جميع الناس المبعوث إليهم ﷺ على غير استقامة في شرائعهم وعقائدهم، وذكر تعالى أن

(١) الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (١٧/٣).
(٣) مفاتيح الغيب (٢/٧).

الكافرين هم الظالمون، وهم الواضعون الشيء غير مواضعه؛ أتى بهذه الآية العظيمة الدالة على إفراد الله بالوحدانية، والمتضمنة صفاته العلا))[١].

- وقال البقاعي: ((ولما ابتدأ سبحانه وتعالى الفاتحة كما مضى بذكر الذات، ثم تعرف بالأفعال لأنها مشاهدات، ثم رقي الخطاب إلى التعريف بالصفات، ثم أعلاه رجوعا إلى الذات للتأهل للمعرفة؛ ابتدأ هذه السورة بصفة الكلام، لأنها أعظم المعجزات، وأبينها وأدلها على غيب الذات، وأوقعها في النفوس، لا سيما عند العرب، ثم تعرف بالأفعال فأكثر منها، فلما لم يبق لَبس أثبت الوحدانية بآيتها السابقة، مخللا ذلك بأفانين الحكم، ومحاسن الأحكام، وأنواع الترغيب والترهيب، في محكم الوصف والترتيب، فلما تمت الأوامر، وهالت تلك الزواجر، وتشوقت الأنفس، وتشوفت الخواطر إلى معرفة سبب انقطاع الوصل بانبتار الأسباب، وانتفاء الشفاعة في ذلك اليوم، إذ كان المألوف من ملوك الدنيا أنهم لا يكادون يتمكنون من أمر من الأمور حق التمكن من كثرة الشفعاء والراغبين من الأصدقاء، إذ كان الملك منهم لا يخلو مجلسه قط عن جمع كل منهم صالح للقيام مقامه، ولو خذله أو وجه إليه مكره ضعضع أمره، وفت في عضده، فهو محتاج إلى مراعاتهم واسترضائهم ومداراتهم؛ بين سبحانه وتعالى صفة الآمر بما هو عليه من الجلال والعظمة، ونفوذ الأمر، والعلو عن الصد، والتنـزه عن الكفر والند، والتفرد بجميع الكمالات، والهيبة المانعة بعد انكشافها هناك أتم انكشاف، لأن تتوجه الهمم لغيره، وأن تنطق بغير إذنه، وأن يكون غير ما يريد، ليكون ذلك أدعى إلى قبول أمره، والوقوف عند نهيه وزجره، ولأجل هذه الأغراض ساق الكلام مساق جواب السؤال فكأنه قيل: هذا ما لا يعرف من أحوال الملوك، فمن الملك في ذلك اليوم؟ فذكر آية الكرسي سيدة آي القرآن التي ما اشتمل كتاب على مثلها))[٢].

- وقال الآلوسي: ((ومناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها أنه سبحانه لما ذكر أن الكافرين هم الظالمون؛ ناسب أن ينبههم جل شأنه على العقيدة الصحيحة، التي هي

---

(١) البحر المحيط (٦٠٧/٢).

(٢) نظم الدرر (٤٩٤/١).

محض التوحيد الذي درج عليه المرسلون على اختلاف درجاتهم، وتفاوت مراتبهم، بما أينعت من ذلك رياضه، وتدفقت حياضه، وصدح عندليبه، وصدع على منابر البيان خطيبه، فلله الحمد على ما أوضح الحجة، وأزال الغبار عن وجه المحجة))[(١)].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هنا استئناف لغرض إبطال كفر الكافرين، وقطع رجائهم، وتقرير وحدانية الله تعالى، وهو لا يختلف عما ذكره الآلوسي.

أما الرازي فيرى أنها تتمة لبيان أنواع العلوم، فبعد أن ذُكر علم الأحكام، وعلم القصص، ذُكر هنا علم التوحيد.

وأما أبو حيان فيرى أن المناسبة هي الدلالة على إفراد الله بالوحدانية، وهو قريب من قول الطاهر.

وأما البقاعي فقد تكلف كثيرا في إبداء هذه المناسبة، حيث ربط الآية بسورة الفاتحة وأغراضها، ثم ما سبق من أغراض سورة البقرة، واستطرد استطرادا طويلا، لينتهي بأن الآية جواب عن سؤال مقدر يسأل عن المَلك يوم القيامة.

والذي يظهر أن ما ذهب إليه الطاهر والرازي والآلوسي هو أنسب ما قيل، كونه بعيد عن التكلف، ويتوافق مع غرض مهم من أغراض سورة البقرة، وهو تمجيد الله تعالى وصفاته، ولأنه جعل الآية رابطةً الأغراض السابقة بالأغراض اللاحقة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه تتجلى عظمة المولى ﷻ، وعظيم صفاته، وإثبات وحدانيته، وإبطال كفر الكافرين، وقطع رجائهم بما سواه سبحانه.

---

(١) روح المعاني (١٧/٣).

٧٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((وتعقيب آية الكرسي بهاته الآية بمناسبة أنّ ما اشتملت عليه الآية السابقة من دلائل الوحدانية، وعظمة الخالق، وتنـزيهه عن شوائب ما كَفَرت به الأمم، من شأنه أن يسوق ذوي العقول إلى قبول هذا الدين، الواضح العقيدة، المستقيم الشريعة، باختيارهم دون جبرٍ ولا إكراه، ومن شأنه أن يجعل دوامهم على الشرك بمحل السؤال: أيتركون عليه أم يكْرهون على الإسلام؟ فكانت الجملة استئنافًا بيانيا))(٢).

وقد وافق الطاهر البقاعي في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أنهما متفقان في المعنى، حيث قال: ((ولما اتضحت الدلائل لكل عالم وجاهل؛ صار الدين إلى حد لا يحتاج فيه منصف لنفسه إلى إكراه فيه فقال: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾))(٣).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما دللَ على وحدانيته بما يثبتها بلا منازع؛ صار التوحيد أمرا مسلما به، لا يحتاج إلى إجبارٍ ولا إكراه.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على رحمة المولى ﷻ بالبشرية، يتجلى ذلك في إقناع العقل البشري بوحدانية الله تعالى، من خلال عرض آياته تعالى، وعظيم قدرته، ثم تركه يختار الطريق الذي يرى فيه الحق، دون إكراه ولا إجبارٍ.

---

(١) الآية (٢٥٦) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٢٥/٣).

(٣) نظم الدرر (٥٠٠/١).

٧٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((جرى هذا الكلام مجرى الحجة على مضمون الجملة الماضية، أو المثال لها، فإنه لما ذكر أنّ الله يخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور، وأنّ الطاغوت يخرجون الذين كفروا من النور إلى الظلمات؛ ساق ثلاثة شواهد على ذلك، هذا أولُها وأجمعها، لأنه اشتمل على ضلال الكافر، وهدى المؤمن، فكان هذا في قوة المثال))[2].

وقد وافق الطاهر أبا حيان في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أنهما متفقان في المعنى.

- قال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما أخبر أنه ولي الذين آمنوا، وأخبر أن الكفار أولياؤهم الطاغوت؛ ذكر هذه القصة التي جرت بين إبراهيم والذي حاجه، وأنه ناظر ذلك الكافر فغلبه وقطعه، إذ كان الله وليه، وانقطع ذلك الكافر وبهت، إذ كان وليه هو الطاغوت...فصارت هذه القصة مثَلا للمؤمن والكافر اللذين تقدم ذكرهما))[3].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ذكر أنه يخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور، وأن الطاغوت يخرجون الذين كفروا من النور إلى الظلمات؛ مثل بهذه القصة لاشتمالها على ولي من أولياء الله، وولي من أولياء الطاغوت.

---

(١) الآية (٢٥٨) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٣١/٣).

(٣) البحر المحيط (٦٢٤/٢).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على أهمية التمثيل بالقَصص، لما فيها من تقريب المعنى، وتوضيح الصورة، وهذا منهج قرآني تكرر في مواضع متعددة من القرآن الكريم.

٨٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((فلما وصف الإنفاق في سبيل الله بصفة الإخلاص لله فيه بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ ﴾(٢)الآية؛ انتقل بمناسبة ذلك إلى طرد ذلك الوصف في الإنفاق على المحتاجين، فإنّ المن والأذى في الصدقة أكثر حصولا، لكون الصدقة متعلّقة بأشخاص معينين، بخلاف الإنفاق في سبيل الله، فإن أكثر من تنالهم النفقة لا يعلمهم المنفق))(٣).

وقد وافق الطاهر أبا حيان، والبقاعي في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أنهما متفقان في المعنى.

- قال أبو حيان: ((لما شرط في الإنفاق أن لا يتبع منا ولا أذًى؛ لم يكتف بذلك حتى جعل المن والأذى مبطلا للصدقة، ونهى عن الإبطال بهما ليقوي اجتناب المؤمن لهما))(٤).

- وقال البقاعي: ((ولما شرط لقبولها شرطًا، ووهى ما عري منها عنه؛ أتبعه التصريح بالنهي عن إهماله، والنص على محقه لها وإبطاله، وضرب لذلك مثَلا، وضرب للمثل مثَلا، مبالغة في الزجر عن ذلك))(٥).

---

(١) الآية (٢٦٤) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢٦٢) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٤٣/٣).

(٤) البحر المحيط (٦٦٢/٢).

(٥) نظم الدرر (٥١٧/١).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما شرط عدم المن والأذى في الإنفاق في سبيل الله تعالى؛ أتبعه بالتحذير منه في الصدقات.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن المن والأذى في الصدقات سبب في إبطال ثوابها، وأن الإخلاص في العمل الصالح شرطٌ أساس في قبول العمل عند الله تبارك وتعالى.

٨١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((استئناف بياني أثاره ضرب المثل العجيب للمنفق في سبيل الله، بمثل حبة أنبتت سبع سنابل، ومثل جنة بربوة إلى آخر ما وصف من المثَلين، ولـما أتبع بما يفيد أنّ ذلك إنما هو للمنفقين في سبيل الله، الذين لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذًى، ثم أتبع بالنهي عن أن يتبعوا صدقاتهم بالمن والأذى؛ استشرفت نفس السامع لتلقي مثلٍ لهم يوضح حالهم الذميمة، كما ضرب المثل لمن كانوا بضد حالهم في حالة محمودة))(٢).

وقد وافق الطاهر أبا حيان، والبقاعي في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أنهما متفقان في المعنى.

- قال أبو حيان: ((لما تقدم النهي عن إبطال الصدقة بالمن والأذى، وشبه فاعل ذلك بالمنفق رئاءً، ومثل حاله بالصفوان المذكور(٣)، ثم مثل حال من أنفق ابتغاء وجه الله(٤)، أعقب ذلك كله بهذه الآية))(٥).

- وقال البقاعي: ((ولما قدم سبحانه وتعالى أن المن مبطل للصدقة، ومثّله بالرياء، وضرب لهما مثَلا، ورغب في الخالص، وختم ذلك بما يصلح للترهيب من المن والرياء؛

---

(١) الآية (٢٦٦) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٥٣/٣).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

(٥) البحر المحيط (٦٧١/٢).

رجع إليهما، دلالةً على الاهتمام بهما، فضرب لهما مثَلا أوضح من السالف، وأشد في التنفير عنهما، والبعد منهما))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ضرب المثل للمنفقين أموالهم في سبيل الله، وبين حالهم المحمود في مثال رائع، ثم أتبع ذلك بذكر من أبطل صدقته بالمن والأذى؛ استشرفت النفس لمثل يوضح الحال الذميمة للفريق الأخير، فجيء بهذا المثل.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن ضرب الأمثلة أسلوب رائع من أساليب الترغيب والترهيب، فقد لا يدرك السامع نفع الأمر أو ضرره إلا بعد أن تقَرب له الصورة بِمثَلٍ بديعٍ ينساب إلى قلبه قبل عقله، فيتمكن منه أي تمكن.

ولذلك نهج القرآن الكريم هذا الأسلوب الدعوي، سعيا في تقريب المقصود، وتوضيحه للأذهان.

---

(١) نظم الدرر (١/٥١٩).

٨٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((استئناف معترض به بين قوله: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾[(٢)]، وبين قوله : ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾، ومناسبته هنا أنّ الآيات المتقدمة يلُوح من خلالها أصناف من الناس، منهم الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ومنهم الذين يبطلون صدقاتهم بالمن والأذى، ومنهم الذين يتيممون الخبيث منه ينفقون، ومنهم من يعدهم الشيطان الفقر، ويأمرهم بالفحشاء، وكان وجود هذه الفرق مما يثقُل على النبيء ﷺ، فعقّب الله ذلك بتسكين نفس رسوله، والتهوين عليه، بأن ليس عليه هداهم، ولكن عليه البلاغ))[(٣)].

وقد وافق الطاهر البقاعي في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أنهما متفقان في المعنى.

- قال البقاعي: ((ولما حث سبحانه وتعالى على وجوه الخير، ورغب في لزوم الهدى، وكان أكثرهم معرضين، لأن ما دعا إليه هادم لما جبلُوا عليه من الحب لتوفير المال، والحفيظة على النفس، وكان ﷺ شديد الأسف عليهم، دائم القلق من أجلهم، لعظيم رحمته لهم، وشفقته عليهم، فكان يجد من تقاعدهم عما يدعوهم إليه من هذه الحالة العلية، التي هي حكمة الله التي رأسها الإيمان بالله، واشتراء الآخرة بكلية الدنيا وجدا شديدا؛ خفض سبحانه وتعالى عليه الأمر، وخفف عليه الحال فقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ﴾))[(٤)].

---

(١) الآية (٢٧٢) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢٧١) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٦٩/٣).

(٤) نظم الدرر (٥٢٦/١).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين إعراض المعرضين، ورأى أنه قد يجلب الهم لنبيه ﷺ؛ سكن نفسه، وخفف عنه بنفي المسؤولية عنه تجاههم بعد أن دعاهم إلى الحق.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على أن الدعوة إلى الله تعالى لا تستلزم هداية الناس، ومن ألزم نفسه بذلك فقد حمل نفسه ما لا يطيق، فالهداية أمرها عائد إلى الله سبحانه وتعالى.

٨٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((نظّم القرآنُ أهم أصول حفظ مال الأمة في سلك هاته الآيات، فبعد أن ابتدأ بأعظم تلك الأصول وهو تأسيس مالٍ للأمة به قوام أمرها، يؤخذ من أهل الأموال أخذًا عدلا مما كان فَضلا عن الغنى فَفَرضه على الناس، يؤخذ من أغنيائهم فيرد على فقرائهم، سواء في ذلك ما كان مفروضا وهو الزكاة، أو تطوعا وهو الصدقة، فأطنب في الحثّ عليه، والترغيب في ثوابه، والتحذير من إمساكه، ما كان فيه موعظة لمن اتعظ، عطف الكلام إلى إبطال وسيلة كانت من أسباب ابتزاز الأغنياء أموال المحتاجين إليهم، وهي المعاملة بالربا))(٢).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أنهما متفقان في المعنى.

- قال الرازي: ((اعلم أن بين الربا وبين الصدقة مناسبة من جهة التضاد، وذلك لأن الصدقة عبارة عن تنقيص المال بسبب أمر الله بذلك، والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع نهي الله عنه، فكانا متضادين...فلما حصل بين هذين الحكمين هذا النوع من المناسبة، لا جرم ذكر عقيب حكم الصدقات حكم الربا))(٣).

- قال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها أن ما قبلها وارد في تفضيل الإنفاق والصدقة في سبيل الله، وأنه يكون ذلك من طيب ما كسب، ولا يكون من الخبيث، فذُكر نوع غالب عليهم في الجاهلية، وهو خبيث، وهو الربا، حتى يمتنع من الصدقة بما

(١) الآية (٢٧٥) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٧٨/٣).
(٣) مفاتيح الغيب (٨٥/٧).

كان من ربا، وأيضا فتظهر مناسبة أخرى، وذلك أن الصدقات فيها نقصان مال، والربا فيه زيادة مال، فاستطرد من المأمور به إلى ذكر المنهي عنه، لما بينهما من مناسبة ذكر التضاد))[١].

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي، حيث قال: ((اعلم أن بين الصدقة والربا مناسبةٌ من جهة التضاد؛ لأن الصدقة عبارةٌ عن تنقيص المال بسبب أمر الله تبارك وتعالى بذلك؛ والربا عبارةٌ عن طلب الزيادة على المال مع نهي الله سبحانه وتعالى عنه، فكانا كالمتضادين...فلما حصلت المناسبة بينهما من هذا النوع، ذكر حكم الربا عقيب حكم الصدقات))[٢].

- وقال البقاعي: ((ولما كان سبحانه وتعالى قد ذكر النفقة مما أفاض عليهم من الرزق من أول السورة إلى هنا في غير آية، ورغب فيها بأنواع من الترغيب في فنون من الأساليب، وكان الرزق يشمل الحلال والحرام، وكان مما يسترزقون به قبل الإسلام الربا، وهو أخذٌ مجانا، وهو في الصورة زيادة، وفي الحقيقة نقص وعيب، ضد ما تقدم الحث عليه من الإعطاء مجانا، وهو في الظاهر نقص، وفي الباطن زيادة وخير؛ نهاهم عن تعاطيه، ونفرهم منه، وبين لهم حكْمه، وأنه خبيثٌ لا يصلح لأكلٍ ولا صدقة))[٣].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ذكر أحكام الإنفاق بجميع أنواعه، وأنه يكون من المال الطيب؛ استأنف هنا بذكر الضد والنقيض، وهو المال الحرام، متمثلا في الربا الذي كان يأخذه أصحابه بلا وجه حق، فتكون مناسبة التضاد هنا واضحة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على خطورة الربا، وأضراره الدنيوية والأخروية، وشناعته ظاهرةٌ بضرب المثل، وفي هذا عود إلى استخدام الأمثلة في القرآن الكريم لبيان ضرر من الأضرار التي قد تصيب المجتمعات.

---

(١) البحر المحيط (٧٠٣/٢).

(٢) اللباب (٤٤٧/٤).

(٣) نظم الدرر (٥٣٠/١).

٨٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((لما اهتم القرآن بنظام أحوال المسلمين في أموالهم، فابتدأ بما به قوام عامتهم من مواساة الفقير وإغاثة الملهوف، ووضح ذلك بما فيه عبرة للمعتبر، ثم عطف عليه التحذير من مضايقة المحتاجين إلى المواساة مضايقة الربا مع ما في تلك المعاملات من المفاسد، ثلّث ببيان التوثّقات المالية من الإشهاد، وما يقوم مقامه وهو الرهن والائتمان))[2].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أنهم متفقون في المعنى.

- قال الرازي: ((اعلم أن في الآية مسائل: المسألة الأولى: أن في كيفية النظم وجهين.

---

(١) الآية (٢٨٢) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٩٧/٣).

الأول: أن الله سبحانه لما ذكر قبل هذا الحكم نوعين من الحكم أحدهما: الإنفاق في سبيل الله وهو يوجب تنقيص المال، والثاني: ترك الربا، وهو أيضا سبب لتنقيص المال، ثم إنه تعالى ختم ذينك الحكمين بالتهديد العظيم فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1]، والتقوى تسد على الإنسان أكثر أبواب المكاسب والمنافع؛ أتبع ذلك بأن ندبه إلى كيفية حفظ المال الحلال، وصونه عن الفساد والبوار...

والوجه الثاني: أن قوما من المفسرين قالوا: المراد بالمداينة السلَم[2]، فالله سبحانه وتعالى لما منع الربا في الآية المتقدمة؛ أذنَ في السلَم في جميع هذه الآية، مع أن جميع المنافع المطلوبة من الربا حاصلة في السلَم، ولهذا قال بعض العلماء: لا لذة ولا منفعة يوصل إليها بالطريق الحرام إلا وضعه الله سبحانه وتعالى لتحصيل مثل ذلك اللذة طريقًا حلالا، وسبيلا مشروعا، فهذا ما يتعلق بوجه النظم))[3].

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما أمر بالنفقة في سبيل الله، وبترك الربا، وكلاهما يحصل به تنقيص المال؛ نبه على طريق حلال في تنمية المال وزيادته، وأكد في كيفية حفظه))[4].

- وقال ابن عادل الحنبلي بنحو ما قاله الرازي، حيث قال: ((في كيفية النظم وجهان:

الأول: أنه تعالى لما ذكر الإنفاق في سبيل الله، وهو يوجب تنقيص المال، وذكر الربا، وهو أيضا سبب تنقيص المال، وختم هذين الحكمين بالتهديد بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ

---

(١) من الآية (٢٨١) من سورة البقرة.

(٢) السلَم بفتحتين على وزن السلَف: وهو أن يسلم عوضا حاضرا في عضو موصوف في الذمة إلى أجل. ينظر: المغني، عبد الله بن أحمد بن قدامة (٣٣٨/٤). وقال جمع من المفسرين بأن المداينة هنا يراد بها السلَم، منهم: ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣/٦)؛ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٢٣/٤)؛ وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٧٢٢/١)؛ والشوكاني في فتح القدير (٥١٢/١).

(٣) مفاتيح الغيب (١٠٧/٧).

(٤) البحر المحيط (٧٢٢/٢).

﴿يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، والتقوى تسد على الإنسان أكثر أبواب المكاسب والمنافع؛ أتبع ذلك بأن ندبه إلى كيفية حفظ المال الحلال، وصونه عن الفساد)).

الوجه الثاني: قال بعض المفسرين: إن المراد بهذه المداينة: السلَم، فإن الله تبارك وتعالى لما منع من الربا في الآية المتقدمة؛ أذن في السلم في هذه الآية، مع أن جميع المنافع المطلوبة من الربا حاصلة في السلَم))[(١)].

- وقال البقاعي: ((ولما نهى سبحانه وتعالى عن الربا، وكان أحد مداينـاتهم، وكان غيره من الدين مأذونا، فيه وهو من أنواع الإنفاق، مع دخوله في المطالبة برؤوس الأموال؛ عقب ذلك بآية الدين.

وأيضا فإنه سبحانه وتعالى لما ذكر في المال أمرين ينقصانه ظاهرا، ويزكيانه باطنا، الصدقة وترك الربا، وأذن في رؤوس الأموال، وأمر بالإنظار في الإعسار، وختم بالتهديد، فكان ذلك ربما أطمع المدين في شيء من الدين ولو بدعوى الإعسار؛ اقتضى حال الإنسان لما له من النقصان الإرشاد إلى حفظ المال الحلال، وصونه عن الفساد، والتنبيه على كيفية التوثق فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[(٢)]))[(٣)].

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة هي الانتقال من أحوال المعاملات الربوية التي ظاهرها زيادة المال إلى بيان كيفية حفظ المال الحلال من خلال التوثقات المالية المتمثلة في الإشهاد، وما يقوم مقامه من الرهن والائتمان.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على مشروعية الدين لقضاء حوائج المسلمين، وكذلك مشروعية توثيق ذلك بالكتابة والإشهاد، أو بالرهن والائتمان، حفاظًا على الحقوق لدى الغير.

---

(١) اللباب (٤/٤٧٥).

(٢) من الآية (٢٨٢) من سورة البقرة.

(٣) نظم الدرر (١/٥٤٥).

الفصل الثالث

سورة آل عمران

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: وجه تسميتها.
- المبحث الثاني: أغراضها.
- المبحث الثالث: تناسب آياتها، وأثره.

المبحث الأول: وجه تسميتها

ذكر الطاهر -رحمه الله- وجه تسمية سورة آل عمران بهذا الاسم، حيث قال: ((ووجه تسميتها بسورة آل عمران أنها ذُكرت فيها فضائل آل عمران، وهو عمران بن ماتان أبو مريم، وآله هم زوجه حنة، وأختها زوجة زكرياء النبيء، وزكرياء كافل مريم، إذ كان أبوها عمران، توفي وتركها حملا، فكفلها زوج خالتها))[١].

ويؤيد هذا القول أن أغلب السور قد سميت بأهم وأغرب ما ورد فيها، وأغرب ما ورد في سورة آل عمران، وما عنت بتفصيله هو قصة عيسى عليه السلام وأمه، وهما من آل عمران.

---

(١) التحرير والتنوير (١٤٣/٤).

المبحث الثاني: أغراضها

اشتملت هذه السورة الكريمة على أغراض متعددة ومتنوعة، انطوت عليها آياتها من مبتداها إلى منتهاها، وكل غرض منها يعالج قضية مهمة من قضايا الأمة، وتمثلت تلك الأغراض في الآتي:

- التنويه بالقرآن ومحمد ﷺ، وتقسيم آيات القرآن، ومراتب الأفهام في تلقيها.
- التنويه بفضيلة الإسلام، وأنه لا يعدله دين، وأنه لا يقبلُ دين عند الله بعد ظهور الإسلام غير الإسلام.
- التنويه بالتوراة والإنجيل، والإيماء إلى أنهما أُنزلا قبل القرآن تمهيدا لهذا الدين، فلا يحق للناس أن يكفروا به.
- التعريف بدلائل إلهية الله تعالى وانفراده، وإبطال ضلالة الذين اتخذوا آلهة من دون الله، وتهديد المشركين بأن أمرهم إلى زوال، وألا يغرهم ما هم فيه من البذخ، وأن ما أُعد للمؤمنين خير من ذلك، وتهديدهم بزوال سلطانهم.
- الثناء على عيسى عليه السلام، وآل بيته، وذكْر معجزة ظهوره، وأنه مخلوق لله، وذكْر الذين آمنوا به حقا، وإبطال إلهيته عليه السلام.
- الإفضاء إلى قضية وفد نجران ولَجاجتهم.
- محاجة أهل الكتابين في حقيقة الحَنفية، وأنهم بعداء عنها.
- أخذ الله تعالى العهد على الرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم أن يؤمنوا بالرسول الخاتم ﷺ.
- جعل الكعبة أولَ بيت وضع للناس، وقد أعاد إليه الدين الحنيف كما ابتدأه فيه، وأوجب حجه على المؤمنين.
- إظهار ضلالات اليهود، وسوء مقالتهم، وافترائهم في دينهم، وكتمانهم ما أُنزل إليهم.

▫ تذكير المسلمين بنعمة الله تعالى عليهم بدين الإسلام، وأمرهم بالاتحاد والوفاق، وتذكيرهم بسابق سوء حالهم في الجاهلية.

▫ تهوين تظاهر معانديهم من أهل الكتاب والمشركين، وتذكيرهم بالحذر من كيدهم، وكيد الذين أظهروا الإسلام ثم عادوا إلى الكفر.

▫ أمرهم بالاعتزاز بأنفسهم، والصبر على تلَقي الشدائد والبلاء وأذى العدو، ووعدهم على ذلك بالنصر والتأييد، وإلقاء الرعبِ منهم في نفوسِ عدوهم.

▫ تذكيرهم بيوم أُحد[١]، ويومِ بدرٍ، وضربِ الأمثال لهم بما حصل فيهما، والتنويه بشأن الشهداء من المسلمين.

▫ أمر المسلمين بفضائل الأعمال، من بذل المال في مواساة الأمة، والإحسان، وفضائل الأعمال، وترك البخل، ومذَمة الربا.

▫ وأخيرا ختمت السورة بآيات التفكير في ملكوت الله[٢].

(١) يوم أُحد: معركة شهيرة، وقعت في شوال من السنة الثالثة للهجرة بين المسلمين والمشركين، ابتلي فيها المسلمون بلاءً شديدا. وأُحد هو الجبل الذي وقعت عنده غزوة أُحد، يقع شمال المدينة النبوية، ويبعد عنها نحو ميل. ينظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن سيد الناس (٥/٢)؛ السيرة النبوية لابن كثير (١٨/٣)؛ معجم البلدان (١١٠/١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٤٤/٣).

المبحث الثالث: المناسبات في آياتها، وأثَرها.

٨٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((لما كان أول أغراض هذه السورة، الذي نزلت فيه هو قضية مجادلة نصارى نجران حين وفدوا إلى المدينة، وبيان فضل الإسلام على النصرانية؛ لا جرم افتتحت بحروف التهجي، المرموز بها إلى تحدي المكذّبين بهذا الكتاب))[٢].

وهذا ربطٌ لافتتاحية السورة بغرضٍ من أغراضها، وهذا ما فات على كثير من المفسرين بيانه -في حدود اطلاعي- وهو ربطٌ مهم تظهر به السورة متماسكة ومترابطة من أولها إلى آخرها.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن افتتاح السور بالحروف المقطعة لا يخرج عن غرض التحدي للمكذبين بالقرآن الكريم، ولكنه يختلف في مناسبة التحدي لموقف ما.

فافتتاح سورة البقرة بالحروف المقطعة كان تحديا عاما لكل مكذبٍ للقرآن، بينما هنا جاء التحدي موجها بالدرجة الأولى إلى وفد نجران الذين نزلت الآيات في شأنهم، ثم إلى بقية المكذبين من مشركي العرب، ثم اليهود.

---

(١) الآية (١) من سورة آل عمران.

(٢) التحرير والتنوير (١٤٦/٣).

٨٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((تفصيل لإجمال اقتضاه الكلام السابق؛ لأنه لما قسم الكتاب إلى محكم ومتشابه، وكان ذلك التقسيم باعتبار دلالة الألفاظ على المعاني؛ تشوفت النفس إلى معرفة تلقّي الناس للمتشابه، أما المحكم فتلقّي الناس له على طريقة واحدة، فلا حاجة إلى تفصيل فيه))[(٢)].

وقد وافق الطاهر الرازي في بيان مناسبة هذه الآية لما قبلها، حيث قال: ((اعلم أنه تعالى لما بين أن الكتاب ينقسم إلى قسمين، منه محكم، ومنه متشابه؛ بين أن أهل الزيغ لا يتمسكون إلا بالمتشابه))[(٣)].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما أجمل أقسام الكتاب في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾[(٤)]، بين بعده موقف الناس من المتشابه، فهو تفصيلٌ لما أُجمل.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح موقف أهل الزيغ والضلال من الآيات المتشابهات، وغرضهم المتمثل في إرادة الفتنة بتأويل تلك الآيات بغير ما أراده الله تعالى.

---

(١) من الآية (٧) من سورة آل عمران.

(٢) التحرير والتنوير (١٦١/٣).

(٣) مفاتيح الغيب (١٧٣/٧).

(٤) من الآية (٧) من سورة آل عمران.

٨٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((استئناف وتمهيد لقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(٢)، ذلك أنّ أساس الإسلام هو توحيد الله، وإعلان هذا التوحيد، وتخليصه من شوائب الإشراك، وفيه تعريض بالمشركين وبالنصارى واليهود، وإن تفاوتوا في مراتب الإشراك، وفيه ضرب من رد العجز على الصدر، لأنه يؤكد ما افتتحت به السورة من قوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾(٣)))(٤).

<u>أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:</u>

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما مدح المؤمنين وأثنى عليهم بقوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا ﴾(٥)؛ أردفه بأن بين أن دلائل الإيمان ظاهرة جلية، فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾))(٦).

- وقال البقاعي: ((ولما أخبر سبحانه وتعالى بوحدانيته في أول السورة واستدل عليها، وأخبر عما أُعد للكافرين، واستدل عليه بما دل على الوحدانية، وختم بالإخبار بما أعد للمتقين، مما جر إلى ذكره تعالى، بما يقتضي الوحدانية أيضا من الأوصاف المبنية على الإيمان؛ أنتج ذلك ثبوتها ثبوتا لا مرية فيه، فكرر تعالى هذه النتيجة على وجه أضخم من الماضي كما اقتضته الأدلة))(٧).

---

(١) الآية (١٨) من سورة آل عمران.
(٢) من الآية (١٩) من سورة آل عمران.
(٣) الآيتان (٣،٢) من سورة آل عمران.
(٤) التحرير والتنوير (١٨٦/٣).
(٥) من الآية (١٦) من سورة آل عمران.
(٦) مفاتيح الغيب (٢٠٣/٧).
(٧) نظم الدرر (٤١/٢).

ومن هذا النقل يتبين أن جميع ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية، إلا أن ما ذكره الطاهر ووافقه فيه البقاعي هو الأنسب، وذلك لربط الآية بما قبلها، وبما بعدها، فربطها بما قبلها تمثل في الرجوع إلى ما افتتحت به السورة من إثبات وحدانية الله تعالى، وربطها بما بعدها تمثل في كونها تمهيدا لإعلان تمثل في أن الإسلام هو الدين المعتبر عند الله تعالى. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على أهمية التوحيد، ولأهميته جاءت الإشارة إليه، والتنويه به في مواضع مختلفة من هذه السورة الكريمة، سواء من خلال الدعوة إليه، أو بيان ما يدل عليه، ذلك أنه أساس قبول الأعمال، وبدونه تصبح الأعمال هباءً منثورا.

٨٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((استئناف ابتدائي لبيان فضيلة هذا الدين بأجمع عبارة وأوجزها، وهذا شروع في أول غرض أنزلت فيه هذه السورة، غرض محاجة نصارى نجران، فهذا الاستئناف من مناسبات افتتاح السورة بذكر تنـزيل القرآن والتوراة والإنجيل، ثم بتخصيص القرآن بالذكر، وتفضيله بأنّ هديه يفوق هدي ما قبله من الكتب، إذ هو الفرقان، فإنّ ذلك أُس الدين القويم، ولما كان الكلام المتقدم مشتملا على تعريض باليهود والنصارى الذين كذبوا بالقرآن، وإبطالٍ لقول وفد نجران لما طلب منهم الرسول ﷺ الإسلام: ((أسلَمنا قبلَك))، فقال لهم: {كَذَبتم}[(٢)]...؛ ناسب أن ينوه بعد ذلك بالإسلام الذي جاء به القرآن، ولذلك عطف على هذه الجملة قوله: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾[(٣)]))[(٤)].

وقال أبو حيان: ((ولما شهد تعالى لنفسه بالوحدانية، وشهد له بذلك الملائكة وأولو العلم؛ حكم أن الدين المقبول عند الله هو الإسلام، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عنه))[(٥)].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن الآية استئناف ابتدائي لبيان فضيلة الإسلام، وشروع في غرض مهم من أغراض السورة، والمتمثل في محاجة نصارى نجران.

---

(١) من الآية (١٩) من سورة آل عمران.

(٢) أخرج هذه الرواية ابن هشام في السيرة النبوية (١٦٤/٢)، ولم يسنِدها.

(٣) من الآية (١٩) من سورة آل عمران.

(٤) التحرير والتنوير (١٨٨/٣).

(٥) البحر المحيط (٦٩/٣).

أما أبو حيان فيرى أن الآية مرتبطة بقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]، وأنها جاءت بمثابة الحكم بأن الإسلام هو الدين المقبول عند الله بعد أن مهد له بهذه الآية.

وهذا أنسب الأقوال في بيان هذه المناسبة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن ربط الآيات بأغراض السورة أمر مطلوب، كونه يبرز تماسك الآيات والتئامها مع بعضها، ثم ارتباطها بالأغراض العامة للسورة، وهذا ما يجعلها متماسكة الأطراف، متعاضدة المعاني.

(١) الآية (١٨) من سورة آل عمران.

٨٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((استئناف عقب به الآي المتقدمة، المتضمنة عداء المشركين للإسلام وأهله، وحسد اليهود لهم، وتولّيهم عنه، من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ﴾[٢]إلى هنا، فالمناسبة أنّ هذه كالنتيجة لما تقدمها))[٣].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((في كيفية النظم وجهان: **الأول:** أنه تعالى لما ذكر ما يجب أن يكون المؤمن عليه في تعظيم الله تعالى، ثم ذكر بعده ما يجب أن يكون المؤمن عليه في المعاملة مع الناس، لأن كمال الأمر ليس إلا في شيئين: التعظيم لأمر الله تعالى، والشفقة على خلق الله؛ قال: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، **الثاني:** لما بين أنه تعالى مالك الدنيا والآخرة؛ بين أنه ينبغي أن تكون الرغبة فيما عنده، وعند أوليائه دون أعدائه))[٤].

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه تعالى لما ذكر ما يجب أن يكون المؤمن عليه من تعظيم الله تعالى، والثناء عليه بالأفعال التي يختص بها؛ ذكر ما يجب على المؤمن من معاملة الخلق، وكانت الآيات السابقة في الكفار فنهوا عن موالاتهم، وأمروا بالرغبة فيما عنده وعند أوليائه دون أعدائه، إذ هو تعالى مالك الملك))[٥].

---

(١) الآية (٢٨) من سورة آل عمران.
(٢) من الآية (١٠) من سورة آل عمران.
(٣) التحرير والتنوير (٢١٥/٣).
(٤) مفاتيح الغيب (١٠/٨).
(٥) البحر المحيط (٩٢/٣).

- وقال ابن عادل الحنبلي بنحو ما قاله الرازي، حيث قال: ((في كيفية النظم وجهان: **أحدهما:** أنه تعالى لما ذكر ما يجب أن يكون المؤمن عليه في تعظيم اللهِ تعالى؛ ذكر بعده ما يجب أن يكون المؤمن عليه في المعاملة مع الناس، فقال : ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(١)].

والثاني: أنه لما بين أنه تعالى مالك الدنيا والآخرة، بين أنه ينبغي أن تكون الرغبة فيما عنده وعند أوليائه دون أعدائه))[(٢)].

- وقال البقاعي: ((ولما بان بهذه الآية أن لا شيء في يد غيره، واقتضى ذلك قصر الهمم عليه، وكان نصارى نجران إنما داموا على موالاة ملوك الروم لمحض الدنيا، مع العلم ببطلان ما هم عليه؛ حذر المؤمنين من مداناة مثل ذلك، مع كونهم مؤمنين...إشارة إلى أنه لا تجتمع موالاة المؤمنين، وموالاة الكافرين في قلب إلا أوشكت إحداهما أن تغلب على الأخرى فتنـزعها، فقال تعالى منبها على ذلك كله، سائقًا مساق النتيجة لما قبله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾))[(٣)].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هي التحذير من موالاة الكافرين بعد أن مهد لذلك في الآيات السالفة، وهذا القول لا يختلف عن قول البقاعي.

أما الرازي وأبو حيان وابن عادل الحنبلي فاتفقوا أن تعلق الآية بما قبلها من وجهين: **الأول:** توضيح كيفية المعاملة مع الخلق بعد أن بينت كيفية المعاملة مع الخالق، **والثاني:** التحذير من موالاة أعداء الله تعالى.

ويتبين أن ما ذهب إليه الطاهر والبقاعي موافق لما ذكره الباقون في الوجه الثاني، وهذا القول أولى من الوجه الأول، ويؤيد هذا القول سياق الآيات، فقد تحدثت الآيات السابقة عن ملكوت الله تعالى، ومظاهر قدرته في هذا الكون، فاستحق سبحانه

---

(١) من الآية (٢٨) من سورة آل عمران.

(٢) اللباب (١٤٢/٥).

(٣) نظم الدرر (٥٧/٢).

بذلك موالاة المؤمنين له دون غيره، لا أن يوالوا أعداءه، فجاء التحذير من الوقوع في موالاة الكافرين.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن من متطلبات الإيمان بالله تعالى، عدم موالاة الكافرين، لأن ذلك يتناقض مع الإيمان، إلا أن يكون المؤمنون في ضعف فلهم أن يداروا الكفار خشيةً من مكرهم وضررهم، على أن لا تستمر تلك المداراة فترة طويلة.

كما أن هناك دلالة على أن الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار بعد ما بين لهم بغي المخالفين وإعراضهم، لأنّ اتخاذهم أولياء بعد أنْ سفهوا الإسلام، وسفهوا أحلام المسلمين في اتباع هذا الدين العظيم يعد ضعفًا في الدين، وتصويبا للمعتدين.

٩٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((انتقال إلى الترغيب بعد الترهيب على عادة القرآن، والمناسبةُ أنّ الترهيب المتقدم ختم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾(٢)، والرأفة تستلزم محبة المرؤوف به الرؤوف))(٣).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما دعا القوم إلى الإيمان به، والإيمان برسله على سبيل التهديد والوعيد؛ دعاهم إلى ذلك من طريق آخر))(٤).

- وقال ابن عادل الحنبلي بنحو ما قاله الرازي، حيث قال: ((اعلم أنه تعالى لما دعاهم إلى الإيمان به وبرسوله على سبيل التهديد والوعيد؛ دعاهم إلى ذلك بطريق آخر))(٥).

- وقال البقاعي: ((ولما قَطَمهم سبحانه وتعالى عن موالاة الكفار ظاهرا وباطنا، بما اقتضى القصر على موالاة أهل الله، لنفيه من تولى الكفر عن أن يكون في شيء من الله، وكان الإنسان ربما والى الكافر وهو يدعي محبة الله سبحانه وتعالى، وختم برأفته سبحانه وتعالى بعباده، وكانت الرأفة قد تكون عن المحبة الموجبة للقرب، فكان الإخبار بها ربما دعا إلى الاتكال، ووقع لأجله الاشتباه في الحزبين؛ جعل لذلك سبحانه وتعالى علامة فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾))(٦).

---

(١) الآية (٣١) من سورة آل عمران.

(٢) من الآية (٣٠) من سورة آل عمران.

(٣) التحرير والتنوير (٢٢٤/٣).

(٤) مفاتيح الغيب (١٧/٨).

(٥) اللباب (١٥٧/٥).

(٦) نظم الدرر (٦١/٢).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما هدد وتوعد في الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ وَاللَّهُ رَءُوفٌۢ بِالْعِبَادِ﴾[1]، ناسب أن يعقب هذا الترهيب بالترغيب، تنويعا في الأسلوب، ولأن الرأفة تستلزم المحبة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن من علامات ودلالات محبة الله تعالى اتباع رسوله ﷺ، لأن من آثار المحبة التقرب إلى المحبوب، والاتصال به، وعدم مفارقته، ومحبة ما يسره ويرضيه، واجتناب ما يغضبه، وبذلك تتضح مدى رحمة الله تعالى بأمته، حين دلهم على ما يوصل إلى محبته، لتكون سببا في حبه إياهم، وغفران ذنوبهم.

(١) من الآية (٣٠) من سورة آل عمران.

٩١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عطف على قوله: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾(٢)، أو على قوله: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾(٣)، عطف القصة على القصة، والمناسبة بيان دخائل أحوال اليهود في معاملة المسلمين، الناشئة عن حسدهم، وفي انحرافهم عن ملة إبراهيم، مع ادعائهم أنهم أولى الناس به، فقد حكى في هذه الآية خيانة فريق منهم))(٤).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها من وجهين: **الأول:** أنه تعالى حكى عنهم في الآية المتقدمة أنهم ادعوا أنهم أوتوا من المناصب الدينية، ما لم يؤت أحد غيرهم مثله، ثم إنه تعالى بين أن الخيانة مستقبحة عند جميع أرباب الأديان، وهم مصرون عليها؛ فدل هذا على كذبهم.

والثاني: أنه تعالى لما حكى عنهم في الآية المتقدمة قبائح أحوالهم فيما يتعلق بالأديان، وهو أنهم قالوا: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾(٥)؛ حكى في هذه الآية بعض قبائح أحوالهم فيما يتعلق بمعاملة الناس، وهو إصرارهم على الخيانة والظلم، وأخذ أموال الناس في القليل والكثير)) (٦).

---

(١) الآية (٧٥) من سورة آل عمران.

(٢) من الآية (٧٢) من سورة آل عمران.

(٣) من الآية (٦٩) من سورة آل عمران.

(٤) التحرير والتنوير (٢٨٥/٣).

(٥) من الآية (٧٣) من سورة آل عمران.

(٦) مفاتيح الغيب (١٠٠/٨).

- وقال ابن عادل الحنبلي بنحو ما قاله الرازي في الوجه الثاني، حيث قال: ((لما حكى خيانتهم في باب الدين؛ ذكرها أيضا في الأموال))[(١)].

- وقال البقاعي: ((فلما تقرر أن الأمر كله له؛ ذكر دليل ذلك فيهم، بأنه فضل فريقًا منهم فأعلاه، ورذل فريقًا منهم فأرداه، فلم يردهم الكتاب وهم يتلونه إلى الصواب، فقال عاطفًا على ما مضى من مخازيهم، مقررا لكتمانهم للحق -مع علمهم بأنه الحق- بأن الخيانة ديدنهم، في الأعيان الدنيوية، والمعاني الدينية، منبها على أنهم وإن شاركوا الناس في انقسامهم إلى أمين وخائن، فهم يفارقونهم من حيث إن خائنهم يتدين بخيانته ويسندها -مروقًا من ربقة الحياء- إلى الله، مادحا للأمين منهم: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[(٢)]))[(٣)].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين إصرارهم على ارتكاب القبائح في قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[(٤)]، وفي قوله تعالى: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ﴾[(٥)]، بين مدى إصرار فريق منهم على الكذب والخيانة، وعدم تورعهم من ذلك.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على التحذير من التعاملات المالية مع اليهود، كونهم غير مأموني الجانب، وإن كان صدر الآية قد أثنى على فريق منهم بأمانتهم إلا أن الآية بينت بعد ذلك خيانة فريق آخر منهم، والذي يدل على أن الآية يراد بها التحذير وليس الثناء هي الآيات التي سبقت هذه الآية، والتي ورد فيها ذكر قبائح وفظائع اليهود، بل وتمنيهم أن يرتد المسلمون عن دينهم.

---

(١) اللباب (٣٢٩/٥).
(٢) من الآية (٧٥) من سورة آل عمران.
(٣) نظم الدرر (١١٤/٢).
(٤) من الآية (٧٢) من سورة آل عمران.
(٥) من الآية (٦٩) من سورة آل عمران.

٩٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((اعتراض واستطراد، فإنه لما ذكر لَي اليهود ألسنتهم بالتوراة، وهو ضرب من التحريف؛ استطرد بذكر التحريف الذي عند النصارى لمناسبة التشابه في التحريف))[(٢)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بين أن عادة علماء أهل الكتاب التحريف والتبديل؛ أتبعه بما يدل على أن من جملة ما حرفوه ما زعموا أن عيسى عليه السلام كان يدعي الإلهية، وأنه كان يأمر قومه بعبادته))[(٣)].

وقال البقاعي: ((ولما فرغ من بيان ما أراد من كتمانهم للحق، مع الإشارة إلى بعض توابعه، إلى أن ختم بأنهم لا يتحاشون من الكذب على الله، المقتضي للكذب على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، لأنهم لا علم لهم بقول الله سبحانه وتعالى إلا بواسطة الأنبياء عليهم السلام، ومهما كان القول كذبا على الله سبحانه وتعالى اقتضى أن يكون تعبدا للمنسوب إليه من دون الله سبحانه وتعالى لأنه هو الذي شرعه، وذلك موجب لأن يدعي أن النبي دعا إليه عبادته من دون الله سبحانه وتعالى، وذلك بعد أن أوضح سبحانه وتعالى من صفات عيسى عليه الصلاة والسلام المقتضية لنفي الإلهية عنه ما لا يخفى على ذي لب؛ شرع يبين أنهم كاذبون فيما يدعونه في عيسى عليه الصلاة والسلام، فنفى أن يكون قال لهم ذلك أو شيئًا منه على وجه شامل له

(١) الآيتان (٧٩، ٨٠) من سورة آل عمران.

(٢) التحرير والتنوير (٢٩٣/٣).

(٣) مفاتيح الغيب (١٠٩/٨).

ولكل من اتصف بصفته، وبسياق هو بمجرده كاف في إبطال قولهم فقال: ﴿مَا كَانَ﴾[(١)])[(٢)].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين ما ارتكبه اليهود من تحريف للتوراة، ونفى أن يكون ذلك التحريف من عنده تعالى كما زعم اليهود؛ أتبعه بنفيٍ آخر لتحريف آخر من نوعٍ آخر، وهو ما قام به النصارى من تأليه لنبي الله عيسى عليه السلام، إلا أن هذا التحريف كان تحريفًا عقديا بحتا.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن كثيرا من شرائع اليهودية، والنصرانية قد حرفت، وبدلت، وأن الإسلام هو الدين الصحيح الذي لم يدخله التحريف ولا التبديل، وأنه الدين الذي نسخ ما قبله من الأديان، ويقوي هذا الأثر المعنوي ما جاء بعد هذه الآيات في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٨٢) أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[(٣)].

---

(١) من الآية (٧٩) من سورة آل عمران.

(٢) نظم الدرر (١١٧/٢).

(٣) الآيات (٨١-٨٣) من سورة آل عمران.

٩٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((ومناسبة موقع هذه الآية تلْو سابقتها أنّ الآية السابقة لمّا بينت أنّ الّذين كفروا لن يقبل من أحدهم أعظم ما ينفقه؛ بينت هذه الآية ما ينفع أهل الإيمان من بذل المال، وأنه يبلغ بصاحبه إلى مرتبة البر، فبين الطرفين مراتب كثيرة قد علمها الفطناء من هذه المقابلة))[(٢)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بين أن الإنفاق لا ينفع الكافر البتة؛ علم المؤمنين كيفية الإنفاق الذي ينتفعون به في الآخرة))[(٣)].

- وقال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه لما أخبر عمن مات كافرا أنه لا يقبل ما أنفق في الدنيا، أو ما أحضره لتخليص نفسه في الآخرة على الاختلاف الذي سبق؛ حض المؤمن على الصدقة، وبين أنه لن يدرك البر حتى ينفق مما يحب))[(٤)].

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((لما بين أن نفقتهم لا تنفع؛ ذكَر هنا ما ينفع))[(٥)].

- وقال البقاعي: ((ولما كان آخر هذه القصص في الحقيقة إبطال كل ما خالف الإسلام...وختم ذلك بأن من مات على الكفر لا يقبل إنفاقه للإنقاذ مما يلحقه من الشدائد، لا بدفع لقاهر ولا بتقوية لناصر، فتشوفت النفس إلى الوقت الذي يفيد فيه الإنفاق، وأي وجوهه أنفع، فأرشد إلى ذلك، وإلى أن الأحب منه أجدر بالقبول،

---

(١) الآية (٩٢) من سورة آل عمران.

(٢) التحرير والتنوير (٥/٤).

(٣) مفاتيح الغيب (١٣٣/٨).

(٤) البحر المحيط (٢٦٠/٣).

(٥) اللباب (٣٨٦/٥).

رجوعا إلى ما قرره سبحانه وتعالى قبل آية الشهادة بالوحدانية من صفة عباده المنفقين، والمستغفرين بالأسحار، على وجه أبلغ بقوله: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾[1])[2].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين عدم قبول ما ينفقه الكافر إذا مات على كفره، ولو كان من أعظم الأموال وأنفسها، وأن ذلك الإنفاق لا ينفع الكافر أصلا؛ عقب بذكر من ينفعه الإنفاق، وهم المؤمنون.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الأساس في قبول الأعمال عند الله هو الإسلام، وأن العمل مهما كان كثيرا، ومهما كان عظيما فإن الله لا يقبله من غير المسلم، وبالمقابل فإن المؤمن إذا عمل عملا صالـحا، وأخلص فيه النية لله تعالى، فإن الله يجازيه خيرا على ذلك العمل مهما كان يسيرا، وما يقـوي هـذا الاستنتاج هو قوله تعالى مخاطبا المؤمنين: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[3]، بينما تحدث تعالى عن إنفاق الكفار بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾[4].

---

(١) من الآية (٩٢) من سورة آل عمران.
(٢) نظم الدرر (١٢٥/٢).
(٣) من الآية (٩٢) من سورة آل عمران.
(٤) الآية (٩١) من سورة آل عمران.

٩٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((ومناسبة ذكر هذه الوقعة عقب ما تقدم أنها من أوضح مظاهر كيد المخالفين في الدين، المنافقين، ولما كان شأن المنافقين من اليهود وأهل يثرب واحدا، ودخيلتهما سواء، وكانوا يعملون على ما تدبره اليهود؛ جمع الله مكائد الفريقين بذكر غزوة أحد))[(٢)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما قال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾[(٣)]؛ أتبعه بما يدلهم على سنة الله تعالى فيهم في باب النصرة والمعونة، ودفع مضار العدو إذا هم صبروا واتقوا، وخلاف ذلك فيهم إذا لم يصبروا فقال: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾))[(٤)].

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما نهاهم عن اتخاذ بطانة من الكفار، ووعدهم أنهم إنْ صبروا واتقوا فلا يضركم كيدهم؛ ذكرهم بحالة اتفق فيها بعض طواعية، واتباع لبعض المنافقين، وهو ما جرى يوم أُحد لعبد الله بن أبي بن سلول[(٥)]حين

(١) الآيتان (١٢١،١٢٢) من سورة آل عمران.

(٢) التحرير والتنوير (٦٩/٤).

(٣) من الآية (١٢٠) من سورة آل عمران.

(٤) مفاتيح الغيب (٢٠٤/٨).

(٥) عبد الله بن أُبي بن سلول، رأس المنافقين، وفيه نزلت سورة المنافقين بأسرها، وكان قد تمرد في غزوة أحد، فانسحب بنحو ثلث العسكر -ثلاثمائة مقاتل- قائلا: ما ندري علام نقتل أنفسنا؟ ومتظاهرا بالاحتجاج بأن الرسول ﷺ ترك رأيه وأطاع غيره. ينظر: السيرة النبوية لابن كثير (٢٥/٣)؛ عيون الأثر (٥/٢).

انخذل عن رسول الله ﷺ، واتبعه في الانخذال ثلاثمائة رجل من المنافقين، وغيرهم من المؤمنين))(١).

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة في ذكر غزوة أحد في هذا الموضع أنها من أوضح مظاهر اشتراك المنافقين واليهود في الكيد للمسلمين.

أما الرازي فيرى أن المناسبة هي بيان سبب الهزيمة، وأنها نتيجة حتمية للتخلي عن الصبر والتقوى الذي أمر الله تعالى بالتمسك بهما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾(٢).

وأما أبو حيان فيرى أن المناسبة هي التذكير بما قام به بعض المؤمنين من اتباع المنافقين يوم أُحد، وفي ذلك وقوع فيما حذرهم الله تعالى منه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ﴾(٣).

والذي يظهر أن جميع ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية من وجوه متعددة، إلا أن قول الطاهر هو الأنسب، كون الآيات السابقة جاء فيها تحذير شديد من اليهود، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ﴾ الآيات، ثم جاء ذكر غزوة أُحد التي حدثت فيها مؤامرة كبرى ضد المسلمين بقيادة رأس النفاق، عبد الله بن أبي بن سلول، وبذكر هذه الغزوة تكتمل صورة الحلْف القائم بين اليهود، وبين المنافقين المشار إلى كيدهم في هذه الغزوة.

---

(١) البحر المحيط (٣/٣٢٥).

(٢) من الآية (١٢٠) من سورة آل عمران.

(٣) من الآية (١١٨) من سورة آل عمران.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن المسلمين عانوا من معضلة كبيرة، تمثلت في تكامل استراتيجي بين المنافقين واليهود، فاليهود يخططون، والمنافقون ينفذون، ولذلك كان القرآن أحيانا يلف المنافقين واليهود لفا في موضع واحد للتحذير منهم.

٩٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآيات الكريمة لما قبلها فقال: ((إذ قد كانت وقعة أُحد لم تنكشف عن نصر المسلمين، عقب الله ذكرها بأن ذكرهم الله تعالى نصره إياهم النصر الذي قدره لهم يوم بدر...فإنه لمّا ذكّرهم بتلك المنة العظيمة؛ ذكّرهم بأنها سبب للشكر فأمرهم بالشكر بملازمة التقوى تأدبا))[٢].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآيات:

- قال الرازي: ((في كيفية النظم وجهان: **الأول:** أنه تعالى لما ذكر قصة أُحد أتبعها بذكر قصة بدر، وذلك لأن المسلمين يوم بدر كانوا في غاية الفقر والعجز، والكفار كانوا في غاية الشدة والقوة، ثم إنه تعالى سلّط المسلمين على المشركين فصار ذلك من أقوى الدلائل على أن العاقل يجب أن لا يتوسل إلى تحصيل غرضه ومطلوبه إلا بالتوكل على الله، والاستعانة به.

الثاني: أنه تعالى حكى عن الطائفتين أنهما همتا بالفشل، ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٣]، يعني من كان الله ناصرا له ومعينا له فكيف يليق به هذا الفشل والجبن والضعف؟ ثم أكد ذلك بقصة بدر، فإن المسلمين كانوا في غاية الضعف، ولكن لما كان الله ناصرا لهم؛ فازوا بمطلوبهم، وقهروا خصومهم، فكذا ههنا، فهذا تقرير وجه النظم))[٤].

---

(١) الآيات (١٢٣-١٢٥) من سورة آل عمران.
(٢) التحرير والتنوير (٧٢/٤).
(٣) من الآية (١٢٢) من سورة آل عمران.
(٤) مفاتيح الغيب (٢٠٨/٨).

- وقال أبو حيان: ((لمّا أمرهم بالتوكل عليه؛ ذكّرهم بما يوجب التوكل عليه، وهو ما سنى لهم ويسر من الفتح والنصر يوم بدر، وهم في حال قلة وذلة، إذ كان ذلك النصر ثمرة التوكل عليه والثقة به))[1].

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((في كيفية النظم وجهان:

أحدهما: أنه تعالى لما ذكر قصةَ أُحد؛ أتبعها بقصة بدر؛ لأن المشركين كانوا في غاية القوة، ثم سلط المسلمين عليهم، فصار ذلك دليلا على أن العاقل يجب أن لا يتوسل إلى غرضه إلا بالتوكل على الله.

الثاني: أنه تعالى حكى عن الطائفتين أنهما همتا بالفشل، ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[2].

يعني: من كان الله ناصرا له ومعينا له فكيف يليق به الفشل؟ ثم أكد ذلك بقصة بدر، فإن المسلمين كانوا في غاية الضعف، ولكن لـما كان الله تعالى ناصرا لهم؛ فازوا بمطلوبهم، وقهروا خصومهم، فهذا وجه النظم))[3].

- وقال البقاعي: ((ولما كان ظاهر الحال فيما أصاب الكفار من المسلمين في هذه الغزوة ربما كان سببا في شك من لم يحقق بواطن الأمور، ولا له أهلية النفوذ في الدقائق من عجائب المقدور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾[4]، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ﴾[5]؛ ذَكرهم الله تعالى نصره لهم في غزوة بدر، وهم في القلة دون ما هم الآن بكثير، مشيرا لهم إلى ما أثمره توكلهم من النصر، وحالهم إذ ذاك حال الآيس منه))[6].

---

(١) البحر المحيط (٣/٣٣٠).

(٢) من الآية (١٢٢) من سورة آل عمران.

(٣) اللباب (٥/٥١٤).

(٤) من الآية (١٠) من سورة آل عمران.

(٥) من الآية (١٢) من سورة آل عمران.

(٦) نظم الدرر (٢/١٤٦).

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هي أنه لما لم يتحقق النصر للمؤمنين في يوم أُحد؛ ذَكرهم الله تعالى بانتصارهم يوم بدر، ولما كان هذا الانتصار سببا للشكر؛ أمرهم بتأدية شكره تعالى على تلك المنة العظيمة.

أما بقية المفسرين فاتفقوا في المعنى الذي ذكروه، حيث إنهم يرون أن المناسبة هي بيان أهمية التوكل على الله تعالى، وأن التوكل سبب في النصر، حتى وإن كان المسلمون في غاية الفقر والعجز.

والذي يظهر أن كلا القولين يصلح أن يكون مناسبة للآيات.

ويمكن كذلك القول بأن الله تعالى لما رأى انكسار قلوب المؤمنين بعد الهزيمة التي تعرضوا لها يوم أُحد أراد مواساتهم، وذلك بتذكيرهم بأنه نصرهم يوم بدر وهم في غاية العجز والذل، وأن الله تعالى لا يتخلى عن نصرة عباده المؤمنين.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الإمكانات والقدرات العسكرية للمؤمنين لا تجدي نفعا إن لم يكن هناك توكلٌ حقيقي على الله تبارك وتعالى، وصبر وجلادةٌ في ميدان القتال، وأن الجانب المعنوي فعالٌ في ثبات المقاتل وعدم هزيمته.

٩٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((أعقب وصف الجنة بذكر أهلها))[(٢)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بين أن الجنة معدة للمتقين؛ ذكر صفات المتقين، حتى يتمكن الإنسان من اكتساب الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات))[(٣)].

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((ولما أخبر بأن الجنة معدة للمتقين؛ وصفهم بصفات ثلاث، حتى يقْتدى بهم في تلك الصفات)) [(٤)].

- وقال البقاعي: ((ولما وصف الجنة؛ بين أهلها بقوله: ﴿أُعِدَّتْ﴾[(٥)]))[(٦)].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ذكر الجنة في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ بين صفات أهلها، وفي ذلك رسم لطريق الجنة، متمثلٌ في بيان صفات من يستحقها، وذلك بمثابة الدعوة إليها.

---

(١) الآية (١٣٤) من سورة آل عمران.

(٢) التحرير والتنوير (٩٠/٤).

(٣) مفاتيح الغيب (٧/٩).

(٤) اللباب (٥٣٩/٥).

(٥) من الآية (١٣٣) من سورة آل عمران.

(٦) نظم الدرر (١٥٧/٢).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك إشارة إلى زيادة التنويه بالجنة، وبيان المواصفات المطلوبة في أهلها، ليكون ذلك بمثابة الدليل إليها، وفي ذلك توضيح للمستحق بعد ذكر الاستحقاق.

٩٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((استئناف لبيان سبب الهزيمة الخفي، وهي استزلال الشيطان إياهم...ومناسبةُ ذكر هذه الآية عقب التي قبلها، أنه تعالى بعد أن بين لهم مرتبة حق اليقين بقوله: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾(٢)، انتقل بهم إلى مرتبة الأسباب الظاهرة))(٣).

وقد وافق الطاهر البقاعي في بيان مناسبة هذه الآية، حيث قال البقاعي: ((ولما كان فيه(٤)مع ذلك معنى التعليل والتنبيه على أنه غني عن الاختبار، خبير بدقائق الأسرار؛ أتبعه قوله -مستأنفًا لبيان ما هو من ثمرات العلم-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ﴾))(٥).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى بعد أن بين للمؤمنين السبب الحقيقي واليقيني للهزيمة والقتل في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾؛ انتقل إلى بيان السبب الخفي، وإن كان ظاهرا، إلا أن كثيرا من المؤمنين لم يدركوه، وهو اتباع بعضهم لإملاءات الشيطان.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على إلقاء تبعة الهزيمة في يوم أُحد على عاتق المؤمنين، تبرئةً للرسول ﷺ مما عرض به المنافقون من رميٍ له ﷺ بأنه السبب في الهزيمة، عندما أمر بالخروج لمواجهة المشركين، ولا يخفى ما في ذلك من أثر في تزكية النفوس، وتحبيب الله ورسوله للمؤمنين، وتعظيمه عندهم، وتنفيرهم من الشيطان، والأفعال الذميمة، وتسفيه أحلام المشركين والمنافقين.

---

(١) الآية (١٥٥) من سورة آل عمران.

(٢) من الآية (١٥٤) من سورة آل عمران.

(٣) التحرير والتنوير (٤/١٤٠).

(٤) أي في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

(٥) نظم الدرر (٢/١٧٠).

٩٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((الأظهر أنه عطف على مجموع الكلام عطف الغرض على الغرض، وموقعه عقب جملة: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾[٢]الآية، لأنها أفادت أن النصر بيد الله، والخذْل بيده، وذلك يستلزم التحريض على طلب مرضاته ليكون لطيفًا بمن يرضونه، وإذ قد كانت هذه النصائح والمواعظ موجهة إليهم ليعملوا بها فيما يستقبل من غزواتهم؛ نبهوا إلى شيء يستخف به الجيش في الغزوات، وهو الغلول[٣]، ليعلموا أنّ ذلك لا يرضي الله تعالى فيحذَروه، ويكونوا مما هو أدعى لغضب الله أشد حذرا، فهذه مناسبة التحذير من الغلول، ويعضد ذلك أنّ سبب هزيمتهم يوم أُحد هو تعجلهم إلى أخذ الغنائم[٤]))[٥].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بالغ في الحث على الجهاد؛ أتبعه بذكر أحكام الجهاد، ومن جملتها المنع من الغلول))[٦].

---

(١) الآية (١٦١) من سورة آل عمران.

(٢) من الآية (١٦٠) من سورة آل عمران.

(٣) الغلول: الخيانة بأخذ شيء من الغنيمة قبل قسمتها. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ص٦١٠)؛ القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (غَلَلَ)، باب اللام، فصل الغين (٣٦/٤)؛ مختار الصحاح، باب الغين (ص٤٧٩).

(٤) الغنائم في الشرع: هي المال المأخوذ من أعداء الإسلام عن طريق الحرب والقتال. فقه السنة (٦١/٣).

(٥) التحرير والتنوير (١٥٤/٤).

(٦) مفاتيح الغيب (٦٩/٩).

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها من حيث أنها تضمنت حكما من أحكام الغنائم في الجهاد، وهي من المعاصي المتوعد عليها بالنار كما جاء في قصة مدعم(١)؛ فحذرهم من ذلك))(٢).

- وقال البقاعي: ((ولما كان الغلول من أعظم موجبات الخذلان أو أعظمها، والنزاهة عنه من أعظم موجبات النصر؛ كان أنسب الأشياء تعقيب هذه الآية بآية الغلول بيانا))(٣).

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة هنا هي التنبيه على أمر خطير قد يحصل في الغزوات، فيكون سببا في الهزيمة، وقد يستخف به البعض وهو الغلول، لذلك حذرت هذه الآية من ذلك بعد الحث على الجهاد في الآيات التي سبقتها.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن المجاهد لا بد أن يكون أمينا، وأن جهاده لا ينفعه إذا أخذ شيئًا من الغنيمة قبل القسمة، وفي ذلك دلالة على شناعة هذا الفعل وقبحه.

كما أن هناك دلالة على أن سبب هزيمة المؤمنين يوم أُحد هو استعجال بعضهم في أخذ الغنائم قبل قسمتها، مما أدى إلى هزيمتهم.

---

(١) روى هذه القصة أبو هريرة ﷺ فقال: افتتحنا خيبر فَلَم نغنم ذَهبا ولا فضةً، إنما غَنِمنا الإبِلِ والبقَر والمتاع والحَوائطَ، ثُم انصرفْنا مع رسولِ الله ﷺ إلى وادي القُرى، ومعه عبد لَه يقَالُ لَه مدعم، أهداه لَه بعض بني الضبيبِ، فَبينما هو يحط رحلَ رسولِ اللهِ ﷺ إذْ جاءَه سهم عائر حتى أصاب ذَلك العبد، فَقَالَ الناس: هنِيئًا لَه الشهادةُ، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: {كَلا والذي نفْسِي بِيده إنّ الشملَةَ التي أصابها يوم خيبر لَم تصبها المقَاسم لَتشتعلُ علَيه نارا}. فَجاءَ رجلٌ حين سمع ذَلك من رسولِ اللهِ ﷺ بِشراك أو شراكَين فَقَالَ: هذَا شيءٌ كُنت أصبته، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: {شراك أو شراكَان من نار}. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (١٢٨٥/٣)، رقم [٤٢٣٤].

(٢) البحر المحيط (٤١٢/٣).

(٣) نظم الدرر (١٧٤/٢).

٩٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ عطْف على ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾[(٢)]، فلما أمر الله نبيئه أن يجيبهم بما فيه تبكيتهم، على طريقة إرخاء العنان لهم في ظنهم أنّ الذين قتلوا من إخوانهم قد ذهبوا سدى، فقيل لهم: إنّ الموت لا مفر منه على كل حال؛ أعرض بعد ذلك عن خطابهم لقلّة أهليتهم، وأقبل على خطاب من يستأهل المعرفة، فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾))[(٣)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أن القوم لما ثبطوا الراغبين في الجهاد بأن قالوا: الجهاد يفضي إلى القتل، كما قالوا في حق من خرج إلى الجهاد يوم أحد، والقتل شيء مكروه، فوجب الحذر عن الجهاد، ثم إن الله تعالى بين أن قولهم: الجهاد يفضي إلى القتل باطل، بأن القتل إنما يحصل بقضاء الله وقدره، كما أن الموت يحصل بقضاء الله وقدره، فمن قدر الله له القتل لا يمكنه الاحتراز عنه، ومن لم يقَدر له القتل لا خوف عليه من القتل، ثم أجاب عن تلك الشبهة في هذه الآية بجواب آخر، وهو أنا لا نسلم أن القتل في سبيل الله شيء مكروه، وكيف يقال ذلك والمقتول في سبيل الله أحياه الله بعد القتل، وخصه بدرجات القربة والكرامة، وأعطاه أفضل أنواع الرزق، وأوصله إلى أجل مراتب الفرح والسرور؟ فأي عاقل يقول إن مثل هذا القتل يكون مكروها! فهذا وجه النظم))[(٤)].

---

(١) الآية (١٦٩) من سورة آل عمران.

(٢) من الآية (١٦٨) من سورة آل عمران.

(٣) التحرير والتنوير (١٦٥/٤).

(٤) مفاتيح الغيب (٨٨/٩).

- وقال البقاعي: ((ولما أزاح سبحانه وتعالى العلل، وشفى الغلل، وختم بأنه لا مفر من القدر، فلم يبق عند أهل الإيمان إلا ما طبع عليه الإنسان من الأسف على فقد الإخوان، وكان سرور المفقود يبرد غلة الموجود؛ بشرهم بحياتهم وما نالوه من لذاتهم، ولما كان العرب بعيدين قبل الإسلام من اعتقاد الحياة بعد الموت؛ خاطب الذي لا ريب في علمه بذلك، إشارة إلى أنه لا يفهمه حق فهمه سواه...فقال تعالى -عاطفًا على (قُلْ)، محببا في الجهاد، إزالة لما بغضه به المنافقون من أنه سبب الموت- : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾(١)))(٢).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين أن الموت أمر واقع لا مفر منه، ولم يملك أقارب الميت إلا الحزن عليه، وكان من دواعي إذابة حزنهم هو علمهم بسرور مفقودهم، وكان العرب بعيدين عن اعتقاد الحياة بعد الموت؛ أعرض عنهم، وخاطب من هو أكثر وعيا وفهما فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح إبطال ما اعتقده المنافقون من ضياع القتلى بعد الموت، فالشهداء وإن ماتت أجسادهم إلا أن أرواحهم تبقى حية حياة خاصة بهم، ليست كالحياة المتعارف عليها، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

---

(١) من الآية (١٦٩) من سورة آل عمران.

(٢) نظم الدرر (١٨٠/٢).

١٠٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((هذه الآية مرتبطة بأصل الغرض المسوق له الكلام، وهو تسلية المؤمنين على ما أصابهم يوم أُحد، وتفنيد المنافقين في مزاعمهم أنّ الناس لو استشاروهم في القتال لأشاروا بما فيه سلامتهم فلا يهلكوا))[(٢)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((لمّا تقدم ذكْر المكذبين الكاذبين على الله من اليهود والمنافقين، وذكرهم المؤمنين، نبهوا كُلهم على أنهم ميتون ومآلهم إلى الآخرة، ففيها يظهر الناجي والهالك، وأن ما تعلقوا به في الدنيا من مال وأهل وعشيرة إنما هو على سبيل التمتع المغرور به، كلها تضمحل وتزول ولا يبقى إلا ما عمله الإنسان، وهو يوفاه في الآخرة، يوفى على طاعته ومعصيته))[(٣)].

- وقال البقاعي: ((ولما تقدم في قصة أُحد رجوع المنافقين وهزيمة بعض المؤمنين، مما كان سبب ظفر الكافرين، وعاب سبحانه ذلك عليهم بأنهم هربوا من موجبات السعادة، والحياة الأبدية إلى ما لا بد منه، وإلى ذلك أشار بقوله : ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[(٤)]...، وختم بالإخبار بأنه وقع قتلٌ كثير من الرسل، فكان ذلك محققًا لأنه لا يصان من الموت خاص ولا عام، مضموما إلى ما نشاهد من ذلك في كل لحظة؛ صور ذلك الموت بعد أن صار مستحضرا للعيان تصويرا أوجب التصريح به،

(١) الآية (١٨٥) من سورة آل عمران.

(٢) التحرير والتنوير (١٨٧/٤).

(٣) البحر المحيط (٤٦٠/٣).

(٤) من الآية (١٥٤) من سورة آل عمران.

إشارة إلى أن حالهم في هربهم ورجـوعهم، وما تبـع ذلك من قولهم حـالُ من هو في شك منه فقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ﴾[(١)])[(٢)].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى بعد أنّ بين لهم ما يدفع توهمهم أنّ الانهزام كان خذلانا من الله، وتعجبهم منه كيف يلحق قوما خرجوا لنصر الدين، ثم أمرهم بالتسليم لله في كلّ حال، وبين لهم أنّ قتلى المؤمنين أحياء، وأنّ المؤمنين الذين لم يلحقوا بهم لا يضيع الله أجرهم ولا فَضلَ ثباتهم؛ ختم ذلك كلّه بما هو جامع للغرضين في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾، لأنّ الحزن إنما نشأ على موت من استشهد، وكأن لسان الحال يقول لهم: لا تأسفوا على موت قتلاكم في سبيل الله، ولا يفْتننكُم المنافقون بذلك.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى أراد تسلية الرسول ﷺ والمؤمنين على ما أصابهم يوم أُحد، بتذكيرهم أن الموت حق لا مفر منه، وأن قتلى أُحد إن لم يقتلوا في الغزوة لماتوا آجِلا، وهناك إشارة إلى أن الموت لا يفرق بين شخصٍ وآخر مهما كانت الفوارق بينهما.

---

(١) من الآية (١٨٥) من سورة آل عمران.

(٢) نظم الدرر (١٩١/٢).

١٠١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآيات الكريمة لما قبلها فقال: ((هذا غَرض أُنف بالنسبة لما تتابع من أغراض السورة، انتقل به من المقدمات والمقصد والمتخللات بالمناسبات، إلى غرض جديد هو الاعتبار بخلق العوالم وأعراضها، والتنويه بالذين يعتبرون بما فيها من آيات))(٢).

وقد وافق الطاهر عددا المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((فلما طال الكلام في تقرير الأحكام، والجواب عن شبهات المبطلين؛ عاد إلى إنارة القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والإلهية، والكبرياء والجلال))(٣).

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها واضحة، لأنه تعالى لمّا ذكر أنه مالك السموات والأرض، وذكر قدرته؛ ذكر أنّ في خلقهما دلالات واضحة لذوي العقول)) (٤).

---

(١) الآيات (١٩٠-١٩٤) من سورة آل عمران.

(٢) التحرير والتنوير (١٩٦/٤).

(٣) مفاتيح الغيب (١٣٣/٩).

(٤) البحر المحيط (٤٦٨/٣).

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((اعلم أنه -تعالى- لما قرر الأحكام، وأجاب عن شبه المُبطلين، عاد إلى ذكْر ما يدل على التوحيد فذكر هذه الآية))[١].

- وقال البقاعي: ((ولما ذكر هذا الملك العظيم، وختم بشمول القدرة؛ دل على ذلك بالتنبيه على التفكر فيه، الموجب للتوحيد الذي هو المقصد الأعظم من هذه السورة))[٢].

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة هي الانتقال إلى غرض جديد تمهيدا للختام بما افتتحت به السورة من الأمر بالتوحيد.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن السورة بدأت بتمهيد يراد به رد العجز على الصدر، وربط الخاتمة بالمقدمة، وذلك من خلال الانتقال إلى غرض عام، تمثل في الاعتبار بخلق السماوات والأرض، وحال المؤمنين في الاتعاظ بذلك، وبعد إيفاء السورة أغراضها كاملة يأتي الإيذان بالإشراف على الانتهاء، فهذا شأن القرآن الكريم أن يختم بالموعظة، لأنها أهم أغراض الرسالة.

---

(١) اللباب (١١٠/٦).

(٢) نظم الدرر (١٩٦/٢).

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه يصل المرءُ إلى أسمى الغايات، والشكر له ليلَ نهار على ما أنعم به وتفضلَ وأعانَ، حمدا يليق بجلاله تعالى. أما بعد:

فلقد قضيت شهورا مطلعا ومتأملا ودارسا للمناسبات القرآنية، مستهدفًا المناسبات في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، وقد ظهرت لي من خلال هذا البحث نتائج مهمة، فكانت كالنتيجة للمقدمة، ومن أهم تلك النتائج:

١- أن علم المناسبات القرآنية علم ذو وجوه إعجازية وبيانية وبلاغية متعددة.

٢- أن نشأة علم المناسبات القرآنية وربط الآيات ببعضها كان مطّبقًا منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم.

٣- أن استنباط المناسبات القرآنية يعتمد على التأمل والفكر مع ربط ذلك بمحور السورة الرئيس، وأغراضها المختلفة، مع عدمِ إغفال النظر إلى سبب النزول.

٤- أن المناسبات بين الآيات موجودة لا محالة، وإنما قد تظهر تارةً، وقد تخفى تارةً أخرى، فإذا لم تظهر للمفسر؛ لا ينبغي له التكلف في طلبها، فالتكلف في ذلك أمر غير محمود.

٥- أن العمل على إظهار المناسبات القرآنية وإبرازها فيه رد قاطع على كل من يشكك في ترابط القرآن الكريم من المستشرقين وغيرهم.

٦- أن الآية قد يكون لها أكثر من مناسبة من أوجه مختلفة.

٧- أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين اسم السورة وبين أهم أغراضها.

٨- أن الطاهر بن عاشور كان علما مبرزا وذا باع في علم المناسبات القرآنية.

٩- أن الطاهر كان معتدلا في طلب المناسبات بين الآيات، ولم يتكلف إلا في مواضع نادرة جِدا.

١٠- أن الطاهر يشير إلى المناسبات بين الآيات والمقاطع وفي أجزاء الآية الواحدة، ولا يشير إلى المناسبات بين السور، كونه يرى أن ذلك مما لا حاجة إليه.

١١- أن هناك أثرا يظهر في كل مناسبة، وهذا يزيد من وضوح غرض الآية ومقصودها.

هذا وأسأل الله الكريم، رب العرش العظيم أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل مطلعٍ وباحث.

■ التوصيات:

أوصي بما يأتي:

١- أن تكون هناك دراسة مستقلة تقتصر على ما تفرد به الطاهر بن عاشور من مناسبات في تفسيره.

٢- قيام الجامعات ومراكز البحوث العلمية بتشجيع المتخصصين على القيام بإعداد بحوث جزئية في علم المناسبات، تتحدث عن كل نوع على حدة، وتستوعب جميع أمثلتها في القرآن الكريم.

٣- ترجمة بعض تلك البحوث إلى لغات أجنبية - خصوصا التي يسهل على غير العرب إدراكها وفهمها -.

٤- الاهتمام بهذا العلم في أقسام التفسير في الكليات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

وتتضمن الآتي:

١) فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

٢) فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

٣) فهرس الآثار.

٤) فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥) فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة.

٦) فهرس القبائل.

٧) فهرس الأماكن والبلدان.

٨) فهرس الأبيات الشعرية.

٩) فهرس المصادر والمراجع.

١٠) فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾	الفاتحة: ١	١	٨٥
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	الفاتحة: ٢	١	٨٩، ٩٠، ١٢٤
﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾	الفاتحة: ٣	١	٩١
﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	الفاتحة: ٤	١	٩٣، ٩٤
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	الفاتحة: ٥	١	٨٩، ٩٥، ٩٧، ١٢٤
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	الفاتحة: ٦	١	٩٩
﴿الم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	البقرة: ١-٥	٢	٤٣، ١٠٧، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١٢٠، ١٢٢
﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾	البقرة: ٦	٢	٤٣، ١١٨، ١٢٠
﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	البقرة: ٧	٢	١٢٠
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾	البقرة: ٨	٢	١٢٢
﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾	البقرة: ١٤	٢	١٢٢

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾	البقرة: ١٧	٢	١٣٢
﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾	البقرة: ١٨	٢	١٣٣
﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾	البقرة: ١٩	٢	١٠٥، ١٣٢
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	البقرة: ٢١	٢	١٢٤، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٢
﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	البقرة: ٢٢	٢	١٢٦
﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾	البقرة: ٢٣	٢	١٠٧، ١٢٦، ١٢٨
﴿أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾	البقرة: ٢٤	٢	١٢٨
﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ الآية.	البقرة: ٢٥	٢	١٢٨، ١٣٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ الآية.	البقرة: ٢٦	٢	١٣٠، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦
﴿ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾	البقرة: ٢٧	٢	١٣٤، ١٣٦
﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ﴾	البقرة: ٢٨	٢	١٣٤، ١٣٥، ١٣٦

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾	البقرة: ٢٩	٢	١٣٥
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ الآية.	البقرة: ٣٠	٢	١٣٨، ١٤٠
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	البقرة: ٣٤	٢	١٤٠
﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾	البقرة: ٤٠	٢	١٣٥، ١٤١، ١٤٤، ١٥٠
﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾	البقرة: ٤١	٢	١٤٤، ١٥٠، ١٥١
﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾	البقرة: ٤٣	٢	١٤٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١
﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	البقرة: ٤٤	٢	١٤٩
﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾	البقرة: ٤٥	٢	١٤٩، ١٥٢
﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	البقرة: ٤٧	٢	٢٨
﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾	البقرة: ٤٨	٢	١٥٤

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾	البقرة: ٦٢	٢	١٥٦
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ الآية.	البقرة: ٧٤	٢	٤١، ١٠٥
﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾	البقرة: ٧٥	٢	٢٠٥
﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾	البقرة: ٩١	٢	١٦٦
﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾	البقرة: ٩٤، ٩٥	٢	١٥٨، ١٦٦
﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾	البقرة: ٩٨	٢	١١٤
﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾	البقرة: ١٠١	٢	١٠٦، ٢٠٥
﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ الآية.	البقرة: ١٠٢	٢	١٦٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	البقرة: ١٠٤	٢	١٦٢، ١٦٧
﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية.	البقرة: ١٠٥	٢	١٠٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٢، ٢٠٧

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	البقرة: ١٠٦	٢	١٦٦
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ الآية.	البقرة: ١٠٩	٢	١٧٠
﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	البقرة: ١١٢	٢	١٠٣
﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾	البقرة: ١١٣	٢	١٧٢، ١٧٣، ١٧٧
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ الآية.	البقرة: ١١٤	٢	١٧٢، ١٧٥، ٢٠٥
﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾	البقرة: ١١٥	٢	١٧٥، ١٨٩
﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ﴾	البقرة: ١١٦	٢	١٧٧
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	البقرة: ١١٨	٢	١٧٧، ٢٠٧
﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾	البقرة: ١٢٠	٢	١٨٩
﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾	البقرة: ١٢٢	٢	١٧٩، ١٨٠
﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾	البقرة: ١٢٣	٢	١٧٩
﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾	البقرة: ١٢٤	٢	١٧٩، ١٨٣، ١٨٥

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾	البقرة: ١٢٨	٢	٨٥
﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	البقرة: ١٣٠، ١٣١	٢	١٨٣، ١٨٧
﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	البقرة: ١٣٤	٢	١٨٥
﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	البقرة: ١٣٥	٢	١٨٧
﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	البقرة: ١٤٢	٢	١٨٩، ١٩٠، ١٩١
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ الآية.	البقرة: ١٤٣	٢	١٩٣، ١٩٤
﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ﴾	البقرة: ١٤٤	٢	١٩٥
﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ﴾	البقرة: ١٤٥	٢	١٩٥
﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	البقرة: ١٤٦	٢	٢٠٥
﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	البقرة: ١٤٨	٢	١٩٧
﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾	البقرة: ١٥٠	٢	١٩٩، ٢٠١

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾	البقرة: ١٥٢	٢	٢٠٠، ٢٠١
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ ﴾	البقرة: ١٥٣	٢	١٠٥
﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾	البقرة: ١٥٥	٢	١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١
﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾	البقرة: ١٥٨	٢	١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٦
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾	البقرة: ١٥٩	٢	٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٢٥
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾	البقرة: ١٦١	٢	٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٠
﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾	البقرة: ١٦٢	٢	٢١٠
﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾	البقرة: ١٦٣	٢	٢٠٩
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾	البقرة: ١٦٤	٢	١٠٤، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾	البقرة: ١٦٥	٢	٢١٣، ٢٢٠
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾	البقرة: ١٦٨	٢	٢١٥، ٢١٨

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾	البقرة: ١٧٠	٢	٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	البقرة: ١٧١	٢	٢٢٠
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	البقرة: ١٧٢	٢	٢٢٣
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ﴾	البقرة: ١٧٣	٢	٢٢٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾	البقرة: ١٧٤	٢	٢٢٥
﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾	البقرة: ١٧٧	٢	١٠٤، ١٠٦
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾	البقرة: ١٨٠	٢	٢٢٧
﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾	البقرة: ١٨٧	٢	٢٢٩
﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	البقرة: ١٨٨	٢	٢٢٩، ٢٣٠

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾	البقرة: ١٨٩	٢	١٠٦، ٢٣١
﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	البقرة: ١٩٠	٢	٢٣٣، ٢٣٨
﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	البقرة: ١٩٥	٢	٢٣٣
﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ﴾	البقرة: ١٩٨	٢	٢٣٥
﴿مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾	البقرة: ٢٠٤	٢	٢٣٨، ٢٤٢
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾	البقرة: ٢٠٧	٢	٢٣٧، ٢٣٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾	البقرة: ٢٠٨	٢	٢٣٨
﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾	البقرة: ٢١٠	٢	٢٤١، ٢٤٢
﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾	البقرة: ٢١١	٢	٢٤١، ٢٤٨
﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	البقرة: ٢١٣	٢	٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن ﴾	البقرة: ٢١٤	٢	٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾	البقرة: ٢١٥	٢	٢٥٠
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	البقرة: ٢١٦	٢	٢٤٩
﴿ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾	البقرة: ٢١٧	٢	١٠٦
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾	البقرة: ٢٢٠	٢	٢٥١
﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ ﴾	البقرة: ٢٢١	٢	٢٥٣، ٢٥٥
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ ﴾	البقرة: ٢٢٢	٢	٢٥٥
﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾	البقرة: ٢٢٣	٢	٢٧٥
﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	البقرة: ٢٢٤	٢	٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾	البقرة: ٢٢٥	٢	٢٥٩
﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾	البقرة: ٢٢٦	٢	٢٥٧
﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾	البقرة: ٢٢٨	٢	٢٦١
﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾	البقرة: ٢٢٩	٢	٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤
﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾	البقرة: ٢٣٣	٢	٢٦٥
﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةًۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾	البقرة: ٢٣٦، ٢٣٧	٢	٢٦٧
﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾	البقرة: ٢٣٧	٢	٢٦٩، ٢٧٢
﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾	البقرة: ٢٣٨	٢	٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢
﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً﴾	البقرة: ٢٤٠	٢	٢٧١

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ ﴾	البقرة: ٢٤٣	٢	١٠٥
﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ﴾	البقرة: ٢٥٢	٢	٢٧٣
﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ الآية.	البقرة: ٢٥٣	٢	٢٧٣
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	البقرة: ٢٥٥	٢	١٠٥، ٢٧٧
﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	البقرة: ٢٥٦	٢	٢٨٠
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾	البقرة: ٢٥٨	٢	٢٨١
﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ ﴾	البقرة: ٢٦٢	٢	٢٨٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾	البقرة: ٢٦٤	٢	٢٨٣، ٢٨٤
﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾	البقرة: ٢٦٦	٢	٢٨٥

الآيــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾	البقرة: ٢٧١	٢	٢٧١
﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾	البقرة: ٢٧٢	٢	٢٨٧
﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾	البقرة: ٢٧٥	٢	٢٨٩
﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾	البقرة: ٢٨١	٢	٢٩٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ﴾ الآية.	البقرة: ٢٨٢	٢	٢٩١، ٢٩٣
﴿الٓمٓ﴾	آل عمران: ١	٣	٢٩٨
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾	آل عمران: ٢، ٣	٣	٣٠٠
﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾	آل عمران: ٧	٣	٢٩٩
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾	آل عمران: ١٠	٣	٣٠٤، ٣١٩
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ﴾	آل عمران: ١٢	٣	٣١٩
﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾	آل عمران: ١٦	٣	٣٠٠
﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾	آل عمران: ١٨	٣	٣٠٠، ٣٠٣

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾	آل عمران: ١٩	٣	٣٠٠، ٣٠٢،
﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾	آل عمران: ٢٨	٣	٣٠٤، ٣٠٥
﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾	آل عمران: ٣٠	٣	٣٠٧، ٣٠٨
﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	آل عمران: ٣١	٣	٣٠٧
﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ ﴾	آل عمران: ٦٩	٣	٣٠٩، ٣١٠
﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾	آل عمران: ٧٢	٣	٣٠٩، ٣١٠
﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ ﴾	آل عمران: ٧٣	٣	٣٠٩
﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ﴾	آل عمران: ٧٥	٣	٣٠٩، ٣١٠
﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ ﴾	آل عمران: ٧٩، ٨٠	٣	٣١١، ٣١٢

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ الآيات.	آل عمران: ٨١، ٨٢، ٨٣	٣	٣١٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾	آل عمران: ٩١	٣	٣١٤
﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾	آل عمران: ٩٢	٣	٣١٣، ٣١٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾	آل عمران: ١١٨	٣	٣١٦
﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾	آل عمران: ١٢٠	٣	٣١٥، ٣١٦
﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	آل عمران: ١٢١، ١٢٢	٣	٣١٥
﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	آل عمران: ١٢٢	٣	٣١٨، ٣١٩
﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الآيات.	آل عمران: ١٢٣-١٢٥	٣	٣١٨
﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾	آل عمران: ١٣٣	٣	٣٢١

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	آل عمران: ١٣٤	٣	٣٢١
﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾	آل عمران: ١٥٤	٣	٣٢٣، ٣٢٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾	آل عمران: ١٥٥	٣	٣٢٣
﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾	آل عمران: ١٦٠	٣	٣٢٤
﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	آل عمران: ١٦١	٣	٣٢٤
﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾	آل عمران: ١٦٨	٣	٣٢٦
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾	آل عمران: ١٦٩	٣	٣٢٦، ٣٢٧
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾	آل عمران: ١٨٥	٣	٣٢٨، ٣٢٩
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي﴾	آل عمران: ١٩٠-١٩٤	٣	٣٣٠

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآيـــــــــة
٦٩	٤	النساء: ٩٥	﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾
٢٧٤	٤	النساء: ١٥٣	﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾
٤٤	5	المائدة: ١	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾
٤٤	5	المائدة: ١٢	﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾
٢٢	5	المائدة: ٣٦	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾
٢٢	5	المائدة: ٣٧	﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾
٢٧٤	٧	الأعراف: ١٣٨	﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾
٣٨	١٠	يونس: ٩٢	﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ﴾
٤١	١١	هود: ١١٣	﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾
٤٠	١٢	يوسف: ٨٥	﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾
٤١	١٤	إبراهيم: ٣٤	﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾	الحجر: ٤٩، ٥٠	١٥	٩٤
﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	النحل: ١٨	١٦	٤١
﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾	مريم: ٤٥	١٩	٨٥
﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾	مريم: ٤٧	١٩	٨٥
﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾	الحج: ٧٨	٢٢	٨٥
﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾	المؤمنون: ٥٠	٢٣	٣٨
﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾	النمل: ٣٠، ٣١	٢٧	٨٥
﴿ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾	الزمر: ٢٣	٣٩	٨٢
﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴾	الذاريات: ٥٩، ٦٠	٥١	٤٩
﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾	الطور: ١-٨	٥٢	٤٩
﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾	الملك: ٤	٦٧	٨٢

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾	الحاقة: ٥	٦٩	٧٨
﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾	الحاقة: ٨	٦٩	٧٨
﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾	المدثر: ١١	٧٤	٢٠

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الـحمد للهِ رب العالَمين هي السبع الـمثَاني..٨١
أما واللهِ إنكُم لَتعرِفُونَ أنه من عند اللهِ..٢١
رقَى ملْدوغاً فَجعلَ يقْرأُ علَيه بِأُم القُرآن..٧٩
كَذَبتم..٣٠٢
كُل صلاة لَم يقْرأْ فيها بِأُم القُرآن فَهي خداج...٧٩
كَلمتان حبِيبتان إِلَى الرحمنِ ٤٨
لاَ صلاةَ لمن لَم يقْرأْ بِفَاتحة الكتابِ...٧٨
يخرِج اللهُ قَوماً من النارِ فَيدخلُهم الـجنةَ..٢٢

فهرس الآثار

إذا سألَ أحدكُم صاحبه كيف يقْرأُ آيةَ كَذَا وكَذَا [ابن مسعودﷺ] ٢٢
أي بِطُغيانِهِم [ابن عباس رضي الله عنهما] ٧٨
هي ثَمان آيات [الحسن البصري]..٨٢
هي ست آيات [الحسين الجُعفي] ٨٢

فهرس الأعلام المترجم لهم

إبراهيم بن عبد الخالق بن إبراهيم المويلحي ٦٤
إبراهيم بن عمر الرباط (البقاعي) ٢٥
إبراهيم بن موسى اللخمي (الشاطبي) ٢٨
أحمد بن إدريس أبو العباس القرافي..٥٨
أحمد بن الحسين بن الحسن الـجعفي (أبو الطيب المتنبي)..٦٠
أحمد بن محمد بن الحسن أبو علي المرزوقي ٦٢
امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ٦٢
أنس بن مالك..٢٠٣
بشار بن برد العقيلي..٦١
جابر بن عبد الله ٢٢
الحارث بن نفيع (أبو سعيد ابن المعلّى) ٨١
حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (أبو تمام)..٦١
الحسن البصري..٨٢
الحسين الـجعفي..٨٢
خليل بن إسحاق بن موسى المالكي..٥٧
زهر بن عبد الملك بن محمد ٦٠
زياد بن معاوية بن ضباب (النابغة الذبياني) ٦١
زيد بن ثابت..٦٨
سالم بوحاجب..٥٣
سحيم عبد بني الحسحاس..٦١

سعد بن مالك بن سنان (أبو سعيد الخدري) ٧٩
صالح بن كيسان.. ٣٢
عاصم بن سليمان ٢٠٣
عبد الحق بن غالب الأندلسي (ابن عطية) ٣٨
عبد الحكيم بن شمس الدين الهندي السيالكوتي ٦٠
عبد الرحمن بن صخر الدوسي (أبو هريرة) ٤٨
عبد الله بن سلام ٢٤٠
عبد الله بن عباس.. ٢١
عبد الله بن عمر الشيرازي (البيضاوي)................................. ٨٦
عبد الله بن محمد بن زياد (أبو بكر النيسابوري) ٢٣
عبد الله بن مسعود ٢٢
العز بن عبد السلام.. ٢٧
عمر بن عادل الحنبلي (ابن عادل) ٩٧
عمر بن عاشور ٥٣
المـُحلق بن حنتم بن شداد الكلابي ٦٢
محمد بن أحمد بن فرح (القرطبي) ٣٨
محمد بن بحر الأصفهاني (أبو مسلم).................................. ٢٧٤
محمد بن جرير الطبري.. ٢١
محمد الخضر حسين.. ٦٣
محمد دراز ٣٢
محمد رشيد رضا ٦٣

محمد الطاهر بن محمد (ابن عاشور)..٢٦
محمد بن الطيب البصري (الباقلاني)..٣١
محمد بن عبد الله بن بهادر (الزركشي)..١٩
محمد بن عبد الله المعافري (ابن العربي)..١٨
محمد عبده..٨٦
محمد بن علي الشوكاني..٢٧
محمد بن علي النصاري الدمشقي (ابن الزملكاني)..٤٥
محمد بن عمر بن الحسين (الرازي)..٢٣
محمد بن القاسم بن خلاد (أبو العيناء)..٢٣٤
محمد بن قاسم بن محمد، ابن زاكور الفاسي..٦٠
محمد النجار..٥٣
محمد النخلي..٥٣
محمد بن يوسف..٥٣
محمد بن يوسف بن حيان (أبو حيان)..٩١
محمود بن عبد الله الحسيني (الآلوسي)..٩٠
مدعم..٣٢٥
مصطفى كمال التارزي..٦٤
ميمون بن قيس بن جندل (الأعشى)..٦٢

فهرس المصطلحات والألفاظ المشروحة

الإِحن ٢٢٧
الاستطْراد ١٠٥
اشتطَاط ٢٧٣
أفن الرأْي ١٨٣
الأَقَانِيم ٨٦
الأَكْمه ٢٧٤
الالتزام ٨٠
الإِيلاء ٢٥٨
براعةُ الاستهلال ٨٤
براعةُ المقْطَع ٤٦
التخلص ٩٩
تذْيِيل ٧٤
التشطر ٢٧٠
التضمن ٨٠
الدروس ١١٠
ديباجةُ الخطْبة ٨٤
رجزٍ ٢٠
سدنة ١٧٩
السلَم ٢٩٢
شنشنة ١٧٢

الطلاق ٢٦١

الغلُول.. ٣٢٤

الغنائم.. ٣٢٤

قَذْلَكَة.. ١٠٥

قرن.. ١٣٢

الكمي ١٣٢

المطَابقَة.. ٨٠

المناسبات.. ١٨

نيف ٢٧

هجر القَول ١١٠

الهوامع ١٠٥

يزرِي ٢٢

فهرس القبائل

قُريش ٢٠

فهرس الأماكن والبلدان

أُحد... ٢٩٧
بدر ٢٥٣
جامع الزيتونة... ٥٢
جبلُ الطور ٢٤١
قُبةُ الزمان ٢٤١
المرسى ٥٢

فهرس الأبيات الشعرية

الأبيـــــــات	البحر	الصفحة
إن الدراهم في المواطن كُلها تكسو الرجالَ مهابةً وجلالا	الكامل	٢٣٤

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

٢. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، تقديم وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق وبيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٣. آثار الشيخ محمد النخلي سيرة ذاتية وأفكار إصلاحية، جمع وتقديم: عبد المنعم النخلي، تحقيق ومراجعة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي: بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٤. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق وتعليق: د. شعبان محمد إسماعيل، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٥. أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، عالم الكتب، بيروت، [د.ط]، [د.ت].

٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: الشيخ علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٧. أسد الغابة، أبو الحسن علي الجزري ابن الأثير، دار الفكر، بيروت، [د.ط]، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.

٨. أسماء سور القرآن وفضائلها، د. منيرة محمد ناصر الدوسري، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٩. الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

١٠. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ.

١١. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٢. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م.

١٣. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب، أبو نصر علي هبة الله الشهير بابن ماكولا، تصحيح وتعليق: الشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.

١٤. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة + مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٥. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين القزويني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٦. البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر، بيروت، طبعة جديدة منقحة مصححة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٧. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الكتب العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

١٨. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني دار المعرفة، بيروت، [د.ط]، [د.ت].

١٩. البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ، ١٩٧٢م.

٢٠. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، [د.ط]، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٢١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٢٢. تاريخ بغداد، الحافظ أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، [د.ط]، [د.ت].

٢٣. تاريخ جامع الزيتونة، محمد بن عثمان الحشائشي، تقديم وتحقيق: الجيلاني بن الحاج يحي، المعهد القومي للآثار، [د.ط]، ١٩٧٤م.

٢٤. تاريخ مدينة دمشق، الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، [د.ط]، [د.ت]، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٢٥. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع: تونس، [د.ط]، ١٩٩٧م.

٢٦. تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، دار إحياء التراث، بيروت، [د.ط]، [د.ت].

٢٧. تراجم الأعلام، محمد الفاضل بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، [د.ط]، ١٩٧٠م.

٢٨. تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

٢٩. التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، جامعة بغداد، [د.ط]، ١٩٨٩م.

٣٠. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣١. التفسير والمفسرون، د.محمد حسين الذهبي، آوند دانش للطباعة والنشر، [د.م]، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

٣٢. تقريب التهذيب، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حققَه وعلق عليه: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٣٣. تهذيب التهذيب، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ضبط ومراجعة: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٣٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطّبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٣٥. جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي، الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، [د.ط]، ١٩٨٠م.

٣٦. الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، مراجعة: الشيخ محمد علي القطب، والشيخ هشام البخاري، المكتبة العصرية، بيروت، طبعة جديدة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٣٧. الجامع الصحيح سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٣٨. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٣٩. الحركة الأدبية والفكرية في تونس، محمد الفاضل بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

٤٠. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، حققه: محمد بهجة الطيار، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٤١. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٦م.

٤٢. دلالة القرآن المبين على أن النبي ﷺ أفضل العالمين، عبد الله بن صديق الغماري، طبع على نفقة الشيخ إسماعيل جمال الحريري، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٤٣. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، [د.ط]، [د.ت].

٤٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي، دار إحياء التراث العربي و مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٤٥. الروض الأنف في شرح السيرة، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، مصر، [د.ط]، [د.ت].

٤٦. الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، دار القلم، بيروت، [د.ط]، ١٩٧٥م.

٤٧. سبل السلام في شرح بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٤٨. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، [د.ط]، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

٤٩. سنن الدار قطني، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٥٠. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٥١. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٥٢. سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٥٣. السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، [د.ط]، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م.

٥٤. السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المصري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، [د.ط]، [د.ت].

٥٥. الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٩٦م.

٥٦. شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، د.بلقاسم الغالي، بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٥٧. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسـي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسـة الرسـالة، بـيروت، الطبعـة الثالثـة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٥٨. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٥٩. طبقات الشافعية، تقي الدين ابن قاضي شهبة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٦٠. طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد المعتز بالله، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.

٦١. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٦٢. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٦٣. طبقات المفسرين، الحافظ شمس الدين محمد بن علي الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت، [د.ط]، [د.ت].

٦٤. طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٦٥. طبقات النحاة واللغويين، تقي الدين ابن قاضي شهبة، تحقيق: د. محسن غياض، مطبعة النعمان، النجف، [د.ط]، [د.ت].

٦٦. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة [د.ط]، [د.ت].

٦٧. علم المناسبات في السور والآيات، د. محمد بن عمر بازمول، المكتبة المكية: مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٦٨. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس الشافعي، تحقيق: الشيخ إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٦٩. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، دار مكتبة الحياة، بيروت، [د.ط]، ١٩٦٥م.

٧٠. غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد بن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ، ١٩٣٢م.

٧١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، حققه وخرج أحاديثه: د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٧٢. فقه السنة، السيد سابق، المكتبة العصرية، بيروت، [د.ط]، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٧٣. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٧٤. في ظلال القرآن، سيد قطب، [د.م]، [د.ط]، [د.ت].

٧٥. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٧٦. القسطاس في علم العروض، محمود بن عمر جار الله الزمخشري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٧٧. قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.

٧٨. قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي بن حسين الحربي، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٧٩. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٨٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٨١. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٨٢. لباب النقول في أسباب النـزول، جـلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.

٨٣. مجلة جوهر الإسلام، محمد الحبيب بن الخوجة، عدد ٣-٤، سنة ١٩٦٧م.

٨٤. مجمع الحكم والأمثال، أحمد قبش، مطبعة دار العروبة، دمشق، [د.ط]، ١٩٧٩م.

٨٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٨٦. المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دراسة وتحقيق: د. طه جابر فياض العلواني، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٨٧. المحلى، علي بن أحمد بن حزم، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الجيل + دار الآفاق، بيروت، [د.ط]، [د.ت].

٨٨. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.

٨٩. مدخل لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع: الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٩٠. مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: د. محمد بن عمر بازمول، المكتبة المكية: مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٩١. المستدرك، الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، تعليق الإمام الذّهبي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٩٢. المستطرف في كل فن مستظرف، بهاء الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، حققَه وعلق عليه: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٩٣. المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ، ١٩٧١م.

٩٤. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٩٥. معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة، دار المنار، جدة + دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٩٦. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، [د.ط]، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٩٧. معجم الشعراء الجاهليين، د. عزيزة فوال بابتي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٩٨. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٩٩. معجم المؤلفين المعاصرين، محمد خير رمضان يوسف، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، [د.ط]، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٠٠. معجم المؤلفين، عمر كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

١٠١. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

١٠٢. معجم المطبوعات، اليان سركيس، مطبعة سركيس، مصر، [د.ط]، ١٣٤٦هـ، ١٩٢٨م.

١٠٣. المعجم المفصل في علوم البلاغة، جمع وترتيب: د.إنعام عكاوي، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

١٠٤. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، [د.م]، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

١٠٥. معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣م.

١٠٦. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، [د.ت].

١٠٧. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيـق: صـفوان عـدنان داوودي، دار القلم، دمشق + الدار الشـامية، بـيروت، الطبعـة الثالثـة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٠٨. مقاصد الشريعة الإسلامية لشيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: قطر، [د.ط]، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٠٩. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس: الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

١١٠. المنمق في أخبار قريش، محمد بن حبيب البغدادي، صححه وعلق عليه: خورشيد أحمد فاروق، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

١١١. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، دار صادر، بيروت، [د.ط]، [د.ت].

١١٢. الموافقات في أصول الفقه، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، دار ابن عفان ، الخُبر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١١٣. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، د. محمد عبد الله دراز، دار الثقافة، الدوحة، [د.ط]، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١١٤. نظم الدرر في تناسب الآي والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، خرج آياته وأحاديثه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١١٥. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكري النويري، صححه: أحمد الزين، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، [د.ط]، [د.ت].

١١٦. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفَدي، فرانز شتايز، ألمانيا، [د.ط]، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

١١٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الفكر، بيروت، [د.ط]، [د.ت].

۞ المجلات والدوريات:

- مجلة الأحمدية، دبي، العدد (١١)، جمادى الأولى، (١٤٢٣هـ،٢٠٠٢م).
- مجلة جوهر الإسلام، محمد الحبيب بن الخوجة، العدد (٣-٤)، سنة (١٩٦٧م).

فهرس الموضوعات

ملخص الرسالة ٣
Theses Abstract ٤
شكر وتقدير.. ٥
مقدمة.. ٧
أهمية الموضوع ٨
أسباب اختيار الموضوع.. ٩
الدراسات السابقة.. ٩
حدود البحث.. ١٠
خطة البحث.. ١٠
منهج البحث ١٢
التمهيد.. ١٦
المبحث الأول: مدخل إلى علم المناسبات.. ١٧
المطلب الأول: تعريفه وموضوعه وثمرته ١٨
المطلب الثاني: نشأته.. ٢٠
المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبات.. ٢٥
المطلب الرابع: أهميته وفائدته وأشهر المؤلفات فيه ٣١
المطلب الخامس: أنواع المناسبات ٣٧
المبحث الثاني: تفسير التحرير والتنوير، المؤلف والكتاب ٥١
المطلب الأول: التعريف بالمؤلف ٥٢
اسمه ونسبه.. ٥٢
مولده ٥٢
نشأته وطلبه للعلم.. ٥٢
شيوخه.. ٥٣

شخصيته ٥٤
مسيرته العلمية والوظيفية ٥٥
مؤلفاته ٥٧
المجلات العلمية التي أسهم فيها ٦٣
حياته السياسية ٦٥
وفاته ٦٥
المطلب الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير ٦٦
اسم الكتاب ٦٦
قصة تأليف الكتاب ووصف منهجه ٦٦
المبحث الثالث: منهج الطاهر في إيراد المناسبات ٧١
المطلب الأول: موقفه من علم المناسبات ٧٢
المطلب الثاني: منهجه في إيراد المناسبات ٧٤
الفصل الأول: سورة الفاتحة ٧٦
المبحث الأول: وجه تسميتها وأغراضها ٧٧
المبحث الثاني: مناسبة افتتاح القرآن بها ٨٤
المبحث الثالث: المناسبات في آياتها وأثرها ٨٥
المناسبة في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ٨٥
المناسبة في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٨٩
المناسبة في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ٩١
المناسبة في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ٩٣
المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٩٥
المناسبة في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ٩٩
الفصل الثاني: سورة البقرة ١٠١
المبحث الأول: وجه تسميتها ١٠٢

المبحث الثاني: أغراضها ١٠٣
المبحث الثالث: المناسبات في آياتها وأثرها ١٠٧
المناسبة في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ ١٠٧
المناسبة في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ ١١٠
المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ ١١٣
المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ ١١٨
المناسبة في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ ١٢٠
المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ ١٢٢
المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ ١٢٤
المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ ١٢٦
المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ ١٢٨
المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ . ١٣٠
المناسبة في قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ ١٣٤

المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ . ١٣٨
المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ١٤٠
المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾........................ ١٤١
المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ ١٤٤
المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.......... ١٤٦
المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ١٤٩
المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾... ١٥٢
المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ١٥٤
المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ١٥٦
المناسبة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ١٥٨
المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾........................ ١٦٠

المناسبة في قوله تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ ١٦٢

المناسبة في قوله تعـالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ ١٦٤

المناسبة في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ ١٦٦

المناسبة في قوله تعـالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ ١٧٠

المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ ١٧٢

المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ ١٧٥

المناسبة في قولـه تعـالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ ١٧٧

المناسبة في قوله تعـالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ١٧٩

المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ١٨٣
المناسبة في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ١٨٥
المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ١٨٧
المناسبة في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ١٨٩
المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ ١٩٣
المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ ١٩٥
المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٩٧
المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ ١٩٩
المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ ٢٠٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ٢٠٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ٢٠٩

المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢١١

المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ ٢١٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ٢١٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ ٢١٨

المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٢٢٠

المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ٢٢٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٢٢٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ٢٢٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٢٢٩

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ٢٣١

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ٢٣٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ٢٣٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ ٢٣٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ٢٣٨

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ ٢٤١

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ ٢٤٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ ٢٤٦

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.... ٢٤٩

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾. ٢٥١

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ ﴾ ٢٥٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ ٢٥٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.. ٢٥٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾.. ٢٥٩

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ﴾ ٢٦١

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ ٢٦٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ ٢٦٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ٢٦٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ ٢٦٩

المناسبة في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ٢٧٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ ٢٧٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . ٢٨٠

المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ﴾ ٢٨١

المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ﴾ ٢٨٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ﴾ ٢٨٥

المناسبة في قوله تعـالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ٢٨٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ﴾ ٢٨٩

المناسـبة في قولـه تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ ٢٩١

الفصل الثالث: سورة آل عمران ٢٩٤

المبحث الأول: وجه تسميتها ٢٩٥

المبحث الثاني: أغراضها ٢٩٦

المبحث الثالث: المناسبات في آياتها وأثرها ٢٩٨

المناسبة في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ ٢٩٨

المناسبة في قولـه تعـالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ ٢٩٩

المناسبة في قولـه تعـالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ٣٠٠

المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ ٣٠٢

المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ ٣٠٤

المناسبة في قوله تعـالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ٣٠٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ٣٠٩

المناسبة في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ٣١١

المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ ٣١٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ ٣١٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٣١٨

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ٣٢١

المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ٣٢٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ٣٢٤

المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ٣٢٦

المناسبة في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ﴾ ٣٢٨

المناسبة في قولــه تعــالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ٣٣٠
الخاتمة ٣٣٢
الفهارس ٣٣٤
فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٣٣٥
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٣٥٤
فهرس الآثار ٣٥٥
فهرس الأعلام المترجم لهم ٣٥٦
فهرس المصطلحات والألفاظ المشروحة ٣٥٩
فهرس القبائل ٣٦١
فهرس الأماكن والبلدان ٣٦٢
فهرس الأبيات الشعرية ٣٦٣
فهرس المصادر والمراجع ٣٦٤
فهرس الموضوعات ٣٧٩

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من سورة طه إلى سورة القصص جمعاً ودراسة ونقداً

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب

عمر بن محمد بن عبدالله المديفر

الرقم الجامعي

٤٢٦٨٠٢٢٠

إشراف الدكتور

عبدالرحمن بن جميل قصاص

١٤٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مستخلص الرسالة

هذا البحث يتحدث عن المناسبات القرآنية وأثرها في تفسير التحرير والتنوير ، لمحمد الطاهر بن عاشور ، من سورة طه إلى سورة القصص ، وهو يتكون من قسمين .

القسم الأول : يتحدث عن علم المناسبات من الناحية النظرية ومراحله وتطوراته ، كما تضمن هذا القسم تعريفاً بابن عاشور ، وبكتابه التحرير والتنوير ، وكل ذلك باختصار .

القسم الثاني : وهو صلب البحث ، ويتحدث عن المناسبات الواردة في تفسير التحرير والتنوير ، وذلك بجمعها ومن ثم دراستها ونقدها ، وقد اعتمدت في دراسة النصوص على الموازنة بما ورد في التفسير الكبير للرازي ، ونظم الدرر للبقاعي .

وخُتِمَ هذا البحث بذكر أهم النتائج والتوصيات .

الباحث

عمر بن محمد المديفر

Abstract

al-Munasabat and their impact in "*Tafsir al-Tahrir wa al-Tanwir*" from Surat Ta-Ha to Surat Al-Qasas

This research talks about Al-Munasabat Al-Qur'anya - Quranic Congeniality- the relationship between different verses and chapters and their impact in "Tafsir al-Tahrir wa al-Tanwir" of *Muhammad Al-Tahir Ibn Ashour* from Surat Ta-Ha to Surat Al-Qasas, which consists of two parts

Part one: talks about al-Munasabat science from theorization aspect and its' stages and developments. Also it includes a brief definition about Ibn Ashour and his book al-Tahrir wa al-Tanwir.

Part two: is the core of the research and talks about al-Munasabat mentioned in "Tafsir al-Tahrir wa al-Tanwir", by collecting them then studying and critiquing them. I have adopted in the studying of texts the balancing between what have been mentioned in *"AL-Tafsir al-Kabir"* of *Al-Razi* and *"Nadhim al-Durar"* of *al-Baqai*.

The research was concluded by mentioning the most important findings and recommendations.

Prepared by
Omar al-Medaifer

الشكر والتقدير

أحمد الله وأشكره فهو أهل الفضل والإحسان ، أحمده حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، أحمده وأشكره على أن وفقني لإتمام هذا البحث فهو المتفضل سبحانه وصاحب الجود والإنعام.

ثم إني أشكر كل من ساهم معي بقليل أو كثير ، فلا يشكر الله من لا يشكر الناس .

وأخص بالشكر منهم ، المشرف على هذا البحث أستاذي الفاضل الدكتور عبدالرحمن بن جميل قصاص ، فقد كان تشجيعه المحفز الأكبر في إتمام هذا البحث ، كما أشكر أخي عبدالله الذي قدم لي الكثير من النصح والإرشاد ، فله جزيل الشكر .

ثم إنه لا يفوتني أن أشكر زوجتي العزيزة التي سهرت الليالي في العون والمساعدة ، ويسرت كل صعب في طريق إتمام هذا البحث ، وأشكر أيضاً ابنة أخي -رحمه الله- على جهودها المباركة .

وأسأل الله العظيم أن يغفر لي ولهم وأن يوفقنا لكل خير ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٢.

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ النساء: ١ .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾ الأحزاب: ٧٠ .

أما بعد..

فقد أنزل الله كتابه الكريم منجما على رسوله ﷺ منذ مبعثه وحتى توفاه الله ﷻ حسب الحاجة والأحداث ، فكان النبي ﷺ إذا نزلت عليه الآية أو الآيات يقول : «ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا »[1] حتى اكتمل نزول القرآن .

فالناظر إليه يعجب من شدة ترابط أجزائه ، وتماسك كلماته وآياته ، مما جعل العلماء يعملون فيه أذهانهم ، ويسعون في استخراج درره ، وبيان بديع تعبيره ، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ ص: ٢٩.

فكان هناك ثلة من العلماء شرعوا في بيان هذا الترابط والتماسك بين آياته بعضها ببعض ، وبين السورة والأخرى ، وسمي ذلك بعلم المناسبات .

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسند عثمان بن عفان ﷺ ، حديث رقم [٣٩٩] ، ٥٧/١ ؛ ورواه الترمذي في أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ومن سورة التوبة ، حديث رقم [٣٠٨٦] ، ٢٧٢/٥ ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس ، وأورده الألباني في ضعيف سنن الترمذي ٣٠٨/١ .

ومن هؤلاء العلماء الإمام محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره القيم (التحرير والتنوير) ، والذي قال في التمهيد له :"وقد اهتممت في تفسيري هذا ، ببيان وجوه الإعجاز ، ونكت البلاغة العربية ، وأساليب الاستعمال ، واهتممت أيضاً ببيان اتصال تناسب الآي بعضها ببعض ، وهو منـزع جليل قد عنِي به فخر الدين الرازي ، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى (نظم الدرر في تناسب الآي والسور) ، إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع ، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع .

أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض ، فلا أراه حقاً على المفسر."(٢) أ.هـ .

وبما أن هذا العلم لم يتطرق إليه كثير من العلماء والباحثين ، سواءً السابقين ، أم اللاحقين ، آثرت أن يكون بحثي ضمن هذا النطاق ، والذي هو سلسلة ممتدة سبقني إليه بعض الزملاء في القسم ، وذلك في تتبع أقوال ابن عاشور في المناسبات ، وجمعها من خلال كتابه ، ودراستها ونقدها .

وكان بحثي فيها من أول سورة طه وحتى آخر سورة القصص ، والتي بلغ عدد المناسبات فيها [١٤٢] موزعة على السور كالتالي :

١. سورة طـه : (٨) مناسبات .
٢. سورة الأنبياء : (١٨) مناسبة .
٣. سورة الحـج : (١٨) مناسبة .
٤. سورة المؤمنون : (١٢) مناسبة .
٥. سورة النـور : (٢٤) مناسبة .
٦. سورة الفرقان : (١٤) مناسبة .
٧. سورة الشعراء : (١٠) مناسبات .
٨. سورة النـمل : (١٧) مناسبة .
٩. سورة القصص : (٢١) مناسبة .

---

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٨/١ .

ثم إني قد قصرت الموازنة والمقارنة بما ذكره ابن عاشور من المناسبات مع ما أورده الرازي في تفسيره وبما ذكره البقاعي في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ؛ حتى يتبين للقارئ مدى إجادة ابن عاشور لهذا العلم من عدمه .

كما إني ركزت الدراسة على ما أورده ابن عاشور في ذكر المناسبات القرآنية مهملاً ما تم بحثه من قبل الباحثين مما له علاقة بالمناسبات من الأمور البلاغية والنحوية وغير ذلك ، وهذا ما جعل البحث بهذا الاختصار .

وختاماً أحمد الله تعالى على إعانته وتوفيقه في ذلك ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

خطـــة البـــحـــث

وتشتمل على مقدمة وقسمين وخاتمة وفهارس .

المقدمة . وفيها :

١. أهمية الموضوع وأسباب اختياره .
٢. الدراسات السابقة .
٣. حدود البحث .
٤. منهج البحث .
٥. منهج الباحث في ذكر المناسبات .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

يمكن أن تلخص الأهمية والأسباب بما يلي :

١. شرفه لشرف متعلقه :

أ- علم المناسبات أحد علوم القرآن الكريم التي هي روافد علم التفسير .

ب- علم المناسبات موضوعه آيات القرآن الكريم وسوره من حيث اتصال بعضها ببعض .

٢. علم المناسبات وسيلة لفهم معاني الآيات ، وترابط معانيها ، وإدراك وحدتا .

٣. إبراز مكانة هذا العلم من حيث كونه معيناً على الترجيح عند الاختلاف في المعاني .

٤. علم المناسبات علم عني به مؤخراً بالنسبة لعلوم القرآن ، وقل من عني به .

٥. الإسهام في خدمة هذا العلم ، ونشره بين طلبة العلم وأهل الشأن .

٦. مكانة ابن عاشور العلمية .

٧. تميز ابن عاشور في عنايته بهذا العلم ، وذلك لاطلاعه على زبدة أقوال العلماء السابقين في هذا المجال .

٨. جمع المعلومات المتناثرة في بطون الكتب والمتعلقة بمسألة واحدة في كتاب واحد وموضع واحد ليسهل الرجوع إلى المعلومات .

٩. معايشة أنفع العلوم وأجلها .

الــدراســات الســابــقــة

هذه جملة من الدراسات السابقة مكتفياً بذكر الدراسات التي تصب في صلب الموضوع :

١. البرهان في ترتيب سور القرآن ، لابن الزبير الغرناطي .

٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لإبراهيم بن عمر البقاعي .

٣. تناسق الدرر في تناسب السور ، للسيوطي .

٤. جواهر البيان في تناسب سور القرآن ، لعبدالله الغماري .

٥. المناسبات في القرآن الكريم ، لعبد الله مقبل ظافر القرني ، ماجستير ، جامعة أم القرى ، وغير ذلك .

حــــدود الـــبـــحــــث

يكمن الحد في جمع المناسبات التي ذكرها الطاهر ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير ، ويكون الحديث فيه عن المناسبات التي بين الآيات ، والمناسبات المذكورة عند تذييل الآيات بصفات الله وأسمائه -سبحانه وتعالى- ، ومن ثم دراستها ومقارنتها بأقوال سابقيه ، ونقدها .

منهج البحث

١. استخراج ، وجمع المناسبات ، وحصرها .
٢. ترتيب المناسبات حسب ذكر الطاهر ابن عاشور .
٣. دراسة المناسبات ، ونقدها ، ومقارنتها بأقوال سابقيه .
٤. عزو الآيات إلى سورها في القرآن الكريم .
٥. إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بتخريجه منهما .
٦. أتبع تخريج الحديث الذي في غير الصحيحين بجملة من أحكام أهل العلم عليه .
٧. عزو الأقوال إلى قائليها ما أمكن .
٨. ترجمة للأعلام الذين ورد ذكرهم في المتن مستثنياً من ذلك المشاهير من الصحابة رضي الله عنهم وعلماء الأمة .
٩. عملت فهارس كاشفةً لتيسير الوصول إلى المعلومة .

منهج الباحث في ذكر المناسبات

أولاً : جعلت الموازنة لقول ابن عاشور بقولي الرازي والبقاعي في ذكر المناسبة ، وذلك لأن الرازي يعتبر من السابقين المتوسعين في هذا المجال ، وكذلك البقاعي من السابقين الذين أفردوا هذا العلم بالتأليف ، كما أن ابن عاشور خصهما بالذكر ، وذلك عند ذكر المناسبات كنوع مما اهتم به في تفسيره .[٣]

ثانياً : اقتصرت على ذكر المناسبة بين الآية وسابقتها ، إضافة إلى ما ذُيل بأسماء الله وصفاته من الآيات .

---

(٣) التحرير والتنوير ١/٨ .

ثالثاً : أفردت المناسبات الواردة في كل سورة بترقيم خاص بها ، وإن كانت المناسبة في أكثر من آية أكتفي بذكر الآية الأولى .

رابعاً : أعقب الآية بذكر المناسبة مبتدئاً بقول ابن عاشور ، ثم بقول الرازي والبقاعي ، وذلك حسب الأسبق تاريخياً ما لم يقتض موجب تقديم قول البقاعي في بعض المناسبات ، وإذا لم أذكر قول أحدهما فإنه لم يذكر مناسبة ، وربما أصرح بأن فلاناً لم يذكر المناسبة .

خامساً : بعد ذكر المناسبات يأتي تعقيب الباحث ، وربما كان التعقيب بين المناسبات وقد يكون قبلها .

سادساً : قد أُعرض عن ذكر بعض المناسبات خشية التكرار ، وأخرى لوضوح المعنى ، وقد أذكر مناسبة يتفق فيها الجميع ، ويكون ذكرها هنا لبيان زيادة عند أحد عن غيره مما اتفقوا عليه ، أو لبيان أن ابن عاشور لم يأت بجديد ، أو ما فيه مقنع ، وهو الأمر الذي عابه على بعض سابقيه .

القســـــم الأول

التمهيد .

الفصل الأول : علم المناسبات . وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : تعريف علم المناسبات .

المبحث الثاني : أهميته .

المبحث الثالث : نشأته ومراحله بإيجاز .

الفصل الثاني : التعريف بالمؤلف وبكتابه بإيجاز ، وفيه مبحثان .

المبحث الأول : التعريف بالمؤلف .

المبحث الثاني : التعريف بالكتاب .

الفصل الثالث : منهج ابن عاشور في إيراد المناسبات (في القسم المقرر)

القسم الثاني

الجمع والدراسة .

الفصل الأول : سورة طه ، والأنبياء ، والحج ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سورة طه . وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثاني : سورة الأنبياء . وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثالث : سورة الحج . وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

الفصل الثاني : سورة المؤمنون ،والنور ، والفرقان ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سورة المؤمنون . وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثاني : سورة النور . وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثالث : سورة الفرقان . وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

الفصل الثالث : سورة الشعراء ، والنمل ، والقصص ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سورة الشعراء . وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثاني : سورة النمل . وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثالث : سورة القصص . وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

الخـــــاتـــــمـــــة

وتتضمن أهم النتائج والتوصيات .

الفـــــهـــــارس

وهـــي :

١. فهرس الآيات القرآنية .
٢. فهرس الأحاديث النبوية .
٣. فهرس الآثار .
٤. فهرس الشعر .
٥. فهرس الأعلام .
٦. فهرس المصادر والمراجع .
٧. فهرس الموضوعات .

القسم الأول

الفصل الأول

علم المناسبات وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: تعريف علم المناسبات .

المبحث الثاني: أهميته .

المبحث الثالث: نشأته ومراحله بإيجاز .

الفصل الثاني

التعريف بالمؤلف وبكتابه بإيجاز ، وفيه مبحثان

المبحث الأول : التعريف بالمؤلف .

المبحث الثاني: التعريف بالكتاب .

الفصل الثالث

منهج ابن عاشور في إيراد المناسبات (في القسم المقرر)

الفـــــصـــــل الأول

المبحث الأول : تعريف علم المناسبات

المبحث الثاني : أهـمـيـتـه

المبحث الثالث : نشأته ومراحله بإيجاز

تـعـريـف عـلـم المـنـاسـبـات

أ- المناسبات في اللغة :

المناسبات : جمع مناسبة ، والمناسبة هي المشاكلة ، والمشاركة ، والمشابهة ، والمقاربة.[٤]

وفي تاج العروس :"المناسبة المشاكلة ، يقال بين الشيئين مناسبة وتناسب ، أي مشاكلة وتشاكل ، وكذا قولهم لا نسبة بينهما ، وبينهما نسبة قريبة."[٥]

ب- المناسبة اصطلاحاً :

عرف العلماء المناسبة في الاصطلاح بعدة تعريفات منها :

١- تعريف ابن العربي[٦] حيث قال : هو "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني."[٧]

٢- وقد عرف الزركشي[٨] المناسبة بقوله :"ولهذا قيل : المناسبة أمر معقول إذا

---

(٤) ينظر لسان العرب لابن منظور ٧٥٦/١ ؛ ومختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي ٢٧٣/١ ؛ والمصباح المنير لأحمد الفيومي ٦٠٢/٢ .

(٥) تاج العروس للزبيدي ٢٦٥/٤ .

(٦) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد ، الإمام أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي الحافظ أحد الأعلام . ولد في شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة للهجرة ، صنف في أحكام القرآن ؛ وشرح الموطأ ؛ وشرح الترمذي ، وغير ذلك ، وولي القضاء في بلده ، مات في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة [ينظر تاريخ الإسلام للذهبي ١٥٩/٣٧ ؛ وطبقات المفسرين للسيوطي ص١٠٥] .

(٧) نقلاً عن الزركشي في البرهان في علوم القرآن ٣٦/١ ، ذُكر هذا التعريف في كتاب سراج المريدين لابن العربي ، ولم أستطع الوقوف على كتاب سراج المريدين .

(٨) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي بدر الدين المنهاجي ، أبو عبد الله بدر الدين ، ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة للهجرة ، عالم بفقه الشافعية والأصول ، تركي الأصل مصري المولد والوفاة ، له تصانيف كثيرة في عدة فنون منها : لقطة العجلان ، والبحر في أصول الفقه ، والبرهان في علوم القرآن ، توفي سنة أربع = = وتسعين وسبعمائة .[ينظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٦٧/٣ ؛ وإنباء الغمر بأبناء العمر لابن

عرض على العقول تلقته بالقبول...

(ثم قال)...كذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها - والله أعلم - إلى معنى ما رابط بينهما عام ، أو خاص ، عقلي ، أو حسي ، أو خيالي ، وغير ذلك من أنواع العلاقات ، أو التلازم الذهني."(٩)

٣- كما عرفه البقاعي(١٠) بقوله : "علم تعرف منه علل الترتيب."(١١)

فبعد ذكر هذه التعريفات ، يتبين أن تعريف ابن العربي هو الأحسن ، فهو أخص من تعريف الزركشي من حيث متعلقه ، وأشمل من تعريف البقاعي ، ولكن مع هذا يظل التعريف غير جامع ، فلو أضيف إليه بعض العبارات لأصبح في نظر الباحث تعريفاً جامعاً مانعاً .

فلو قيل : (هو علم يبحث فيه عن ارتباط آي القرآن وسوره بعضها ببعض ، حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعاني ، منتظمة المباني) ، لكان هذا التعريف شاملاً لجميع أنواع المناسبات ، وعلم أن هذا علم مستقل من أنواع علوم القرآن .

حجر ص٤٤٦] .

(٩) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٥/١ .

(١٠) برهان الدين أبو الحسن ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، الشافعي العلامة المحدث الحافظ ، ولد سنة تسع وثمانمائة تقريباً ، وله تصانيف كثيرة حسنة منها : كتاب نظم الدرر في مناسبة الآي والسور ؛ والنكت على شرح ألفية العراقي ؛ والأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل ، مات سنة خمس وثمانين وثمانمائة .[ينظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ١٠١/١ ؛ وطبقات المفسرين للأدنه وي ص٣٤٧] .

(١١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٦/١ .

أهـمـيـة عـلـم المـنـاسـبـات

إن علم المناسبات علم جليل القدر ، كثير النفع ، يساعد على فهم المعاني ، وإدراك الترابط بين الآيات والسور ، يزيل اللبس ، ويرفع الاضطراب والتنافر بين آي الكتاب ؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كما يوقّف من خلاله على وجه من وجوه الإعجاز .

وتكمن أهمية هذا العلم في كونه يغوص في أعماق المعاني والآيات ، وترتيبها ، وعلل مواقعها ، وفي الكشف عن الدرر والكنوز المتعلقة في الربط والترابط بين الآيات والسور .

وقد دعا الله ﷻ إلى تدبر القرآن الكريم وفهمه ، وجمع ذلك كله في كلمتين قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ النساء: ٨٢ .

كما أن معرفة المناسبة بين السور والآيات ، يساعد على إدراك مقاصد القرآن العظيم ، وتذوق نظمه ، وفهمه ، والترجيح بين الآراء .

يقول الزركشي :"وفائدته : جعل أجزاء الكلام ، بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء ، وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته."(١٢) أ.هـ

ثم إن عدم الاهتمام بالمناسبات قد يوقع في فهم خاطئ ، أو فهم بعيد للمعنى .

ومن هنا تتجلى أهمية المناسبات ، ويعرف أن هذا العلم عزيز قل خوض العلماء في بحوره لصعوبة الغوص في معانيه ، أو لدقة الرابط بين جمله وأجزائه .

---

(١٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٦/١ .

نـشـأتـه ومـراحـلـه بـإيجـاز

لم يكن أمر المناسبة في جيل الصحابة ﷺ والتابعين الأوائل ذا شأن كبير ، وإنما تطرقوا له في بعض المناسبات ، ولعل ذلك راجع إلى فهمهم لكتاب الله ﷻ ، فقد كانوا هم أهل العربية وأهل الصنعة .

ورغم هذا فقد يأتي من يغيب عنه الفهم الصحيح للآيات القرآنية ، فيأتي السؤال، أو الاستفسار عن معنى ، أو تفسير ، أو حكم يكون جوابه من خلال ذكر المناسبات .

وهذه بعض الشواهد التي تدل على أن الصحابة ﷺ تطرقوا لمثل هذا النوع من المسائل .

فعن ابن مسعود ﷺ قال :"إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا فليسأله عما قبلها."[١٣]

وفي مثال آخر : عن يزيد بن صهيب[١٤] قال :"حج ناس من الخوارج ، فلما قضوا حجهم ، قالوا : نأتي هذا الشيخ - يعنون أبا سعيد الخدري ﷺ - فنسأله عن حديث يحدثه عن رسول الله ﷺ فأتوه ، فقالوا : أرأيت حديثًا تذكره عن رسول الله ﷺ في قوم يدخلون النار ثم يخرجون منها ؛ أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار)) ، ثم حدثهم أن قوما يدخلون النار ثم يخرجون منها ، فقال له القوم : أو ليس الله تعالى يقول : ﴿

---

(١٣) رواه عبدالرزاق في المصنف ، في كتاب فضائل القرآن ، باب تعاهد القرآن ونسيانه ، حديث رقم [٥٩٨٨] ٣٦٥/٣ ؛ والطبراني في الكبير ، حديث رقم [٨٦٩٣] ١٤٠/٩ .

(١٤) يزيد بن صهيب الفقير ، أبو عثمان الكوفي ، ثقة مقل ، حدث عن ابن عمر وجابر وأبي سعيد الخدري ﷺ ، وثقه ابن معين وأبو زرعة ، وقال : أبو حاتم صدوق ، لقب بالفقير لأنه اشتكى فقار ظهره وهو من كبار شيوخ أبي حنيفة .[ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٢٧/٥ ؛ وتذيب التهذيب لابن حجر ٢٥٩/١١] .

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٧ ، فقال لهم أبو سعيد : اقرءوا ما فوقها : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٦ – ٣٧."[١٥]

وهذا مثال واضح وبين عن مدى أهمية المناسبات .

وفي المثالين بيان من الصحابيين { بضرورة معرفة السابق واللاحق ؛ حتى يعرف معنى الآية على الوجه الصحيح ، وهو لب علم المناسبات ، وهذا إعجاز من إعجاز القرآن .

وهكذا عند وجود ما يشكلُ يرد العالم ويجيب عن هذا الإشكال .

لكن علم المناسبات لم يظهر كفن مستقل حتى أواخر القرن الخامس الهجري ، ولا يعرف من صاحب الأولية في التأليف فيه بالتحديد .

وقد أخطأ من ظن أن أول من أفرد هذا العلم بالتأليف : هو أبو بكر النيسابوري المتوفى سنة ٣٤٢هـ ، وهذا راجع إلى النقل والفهم الخاطئ للنصوص .[١٦]

وفي منتصف القرن السادس الهجري تقريباً ؛ أخذ العلماء بالتوسع في الحديث عن المناسبات ، فمنهم من أفرد كتاباً للمناسبات ، ومنهم من جعل ذلك في ثنايا حديثه ، وقسموا هذا العلم إلى ثلاثة أقسام رئيسة .

---

(١٥) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري ، كتاب صفة النار وأهلها ، باب فيمن يدخل النار ثم يخرج منها وما جاء في الجرجير ، حديث رقم [١٠١٩٦] ٤٥٢/١٠ ، رواه الحارث بن أسامة في مسنده ولم أقف عليه في المسند ؛ ووجدت لفظاً شبيهاً لهذا الأثر في تفسير ابن كثير ٥٥/٢ .

(١٦) هناك بحث للدكتور عبدالحكيم الأنيس ، سلط فيه الضوء على ظهور علم المناسبة ، وجاء بحقائق وأشياء مغلوطة في بدايات هذا العلم ، ولا يتسع المجال لذكرها هنا .[ينظر مجلة الأحمدية ، العدد الحادي عشر ؛ جماد الأولى ١٤٢٣هـ] .

وقبل التطرق إلى تقسيم العلماء للمناسبات ، ينبغي أن يذكر من عارض هذا العلم ومن أنكره ، حتى يكمل الحديث عن المناسبات ، ويكون الحديث شاملاً لأبعاد الموضوع .

وأول من اعترض على التكلف في هذا العلم هو سلطان العلماء العز بن عبدالسلام(١٧)، وإن كان رأي العز إنما هو لمنع القول على الله بغير علم ، أو أن يتكّلف إيجاد الرابط والمناسبة، وهو مع هذا يرى أن نزول القرآن منجماً هو السبب الحقيقي للاعتراض على هذا العلم .

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام :"المناسبة علم حسن ، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام : أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر...

...ومن ربط ذلك ، فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه ، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة، ولأسباب مختلفة ، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض ، إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض ؛ مع اختلاف العلل والأسباب ، كتصرف الملوك والحكام والمفتين ، وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة ، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض ؛ مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتا."(١٨)

هذا هو رأي العز بن عبدالسلام ، وقد رد بعض العلماء قوله ، فلعله يكتفى بذكر

---

(١٧) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمي ، شيخ الإسلام والمسلمين وأحد الأئمة الأعلام ، سلطان العلماء وإمام عصره بلا مدافع ، ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة ، ومن تصانيفه تفسير حسن في مجلدين ؛ والقواعد الكبرى ، مات رحمه الله في عاشر جمادى الأولى سنة ستين وستمائة ، وشهد جنازته الظاهر والخلائق .[ينظر تاريخ الإسلام للذهبي ٤١٦/٤٨ ؛ وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٠٩/٢] .

(١٨) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز لعز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام ص٢٢١ .

الرد الذي نقله الزركشي في البرهان حيث قال :"قال بعض مشايخنا المحققين[١٩]: قد وهم من قال لا يطلب للآية الكريمة مناسبة لأنها حسب الوقائع المتفرقة .

وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنـزيلا ، وعلى حسب الحكمة ترتيبا ، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون ، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف ، وحافظ القرآن العظيم لو استفتي في أحكام متعددة ، أو ناظر فيها ، أو أملاها، لذكر آية كل حكم على ما سئل ، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى ولا كما نزل مفرقا ؛ بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة ، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر ، فإنه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

قال : والذي ينبغي في كل آية : أن يبحث أولُ كلِ شيء ؛ عن كونها مكملة لما قبلها ، أو مستقلة ، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ، ففي ذلك علم جم ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها ، وما سيقت له."[٢٠]

ومن العلماء الذين تابعوا العز بن عبدالسلام في الرأي الإمام الشوكاني[٢١]- رحمهما الله- إلا أنه شدد على القائلين له والمعتنين به ، وأنكر عليهم اشتغالهم بهذا فقال :"اعلم أن كثيرا من المفسرين جاءوا بعلم متكلف ، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته ، واستغرقوا أوقاتم في فن لا يعود عليهم بفائدة ، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله -سبحانه-، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف ، فجاءوا

---

(١٩) صرح باسمه البقاعي والسيوطي وهو : ولي الله محمد بن أحمد الملوي المنفلوطي الشافعي : ينظر نظم الدرر ٨/١ ؛ والإتقان للسيوطي ٣٥٦/١ .

(٢٠) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٣٧ .

(٢١) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن ، ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف ، ونشأ بصنعاء ، وولي قضاءها ، ومات حاكماً بها ، وكان يرى تحريم التقليد، له نحو ١١٤ مؤلفاً منها : فتح القدير في التفسير ؛ ونيل الاوطار من أسرار منتقى الأخبار ؛ والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ؛ وإرشاد الفحول ، في أصول الفقه ، توفي سنة خمسين ومائتين وألف .[ينظر البدر الطالع للشوكاني ٢١٤/٢ ؛ والأعلام للزركلي ٢٩٨/٦] .

بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ، ويتنـزه عنها كلام البلغاء فضلا عن كلام الرب سبحانه ، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف ، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف...

...وما أقل نفع مثل هذا وأنزر ثمرته وأحقر فائدته ، بل هو عند من يفهم ما يقول وما يقال له ؛ من تضييع الأوقات وإنفاق الساعات في أمر لا يعود بنفع على فاعله ولا على من يقف عليه من الناس."[٢٢]

هذا هو رأي سلطان العلماء ، ورأي الشيخ الشوكاني في المسألة ، إلا أني أجد لهما العذر وأقدم حسن الظن ، فهما لم يفعلا ذلك إلا صوناً لهذا الكتاب العزيز عن التكلف ، والقول فيه بغير علم ، حتى لا يصبح من الرأي المذموم ، فالعالم يجتهد وليس كل مجتهد يصيب ، ومع هذا فالذي يظهر أن العز بن عبدالسلام لا ينكر المناسبة على الإطلاق بل يستحسنها إذا وقعت بين كلام متحد مرتبط أوله بآخره ، وإنما الذي ينكره هو التكلف في علم المناسبات ، كما أن الشوكاني مع ما ذكر من الشدة في ذلك نجده أحياناً يثبت ذلك في تفسيره ، ثم إنه أثنى في البدر الطالع على البقاعي بسبب كتابه نظم الدرر حيث قال فيه :"ومن أمعن النظر في كتاب المترجم له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآى والسور علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء ، الجامعين بين علمي المعقول والمنقول ، وكثيراً ما يشكل على شئ في الكتاب العزيز ؛ فأرجع الى مطولات التفاسير ومختصراتا فلا أجد ما يشفى ، وأرجع الى هذا الكتاب فأجد ما يفيد في الغالب."[٢٣]

وبعد ، فالقول في المناسبات : هو أنه علم شائك قد يزلّ فيه من ليس لديه التبحر في علوم اللغة والتفسير ، ومن خلاله قد يدخل من يحاول التشكيك في القرآن ؛ وهو من التشكيك فيه أبعد ، إلا أنه قد يصادف قولَ المشكك صاحب هوى ، أو ضعيف بصيرة وهدى ، فيقع ما منه يخشى .

لذا لزم على الباحث فيه أن يكون ملماً بالعلوم الأساسية المعينة على استنباط

---

(٢٢) فتح القدير للشوكاني ١١٦/١ .

(٢٣) البدر الطالع للشوكاني ٢٠/١ .

المناسبة وأن يتجنب القول فيه بغير علم وبصيرة ، إلا فتح من الله يمن به على من يشاء من عباده .

• أنواع المناسبات .

وبعد عرض الآراء أذكر تقسيم العلماء للمناسبات .

لقد قسم العلماء المناسبات إلى ثلاثة أقسام رئيسة ، وقد يزيد بعضهم قسماً أو ينقص آخر ، وفي الجملة هي متداخلة تحويها الأقسام الثلاثة الرئيسة :

القسم الأول :- المناسبة بين الآية وأختها ، أو بين أجزاء الآية الواحدة .

وهذا النوع هو الأهم ، وأكثر كلام العلماء فيه كما هو الحال في تصنيفهم .

القسم الثاني :- المناسبة في السورة .

المناسبة في السورة بالجملة ، كمناسبة اسم السورة ، وكرد عجز السورة على صدرها ، كما هو الحال في تفسير الطاهر بن عاشور ، وغير ذلك من أوجه المناسبات .

القسم الثالث :- المناسبة بين السور .

هذا النوع بعض العلماء لم يوله اهتماماً ، ومنهم الطاهر بن عاشور حيث قال:"أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض ، فلا أراه حقاً على المفسر."[٢٤]

فأما الذين اعتنوا بهذا النوع فيمكن أن نحصر تقسيماتم إلى قسمين رئيسين.

الأول :- المناسبة بين خاتمة السورة والتي بعدها ، أو فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها، فالأولى مثل المناسبة بين الحواميم ، والأخرى مثل فاتحة سورة النجم لخاتمة سورة الطور .

الثاني :- المناسبة الموضوعية بين السورتين .

وبعد النظر إلى تقسيمات العلماء للمناسبات وأنواعها ، علم أن التقسيمات وإن

---

(٢٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٨/١ .

تعددت واختلفت ستندرج تحت أحد الأقسام الثلاثة الرئيسة .(٢٥)

وفي الختام يأتي ذكر أشهر الذين اعتنوا بالتأليف في علم المناسبات ، سواءً أكان ذلك بإفراده بالكتابة ، أم كان ضمن كتب التفسير ، أم علوم القرآن ، ويكون البدء بمن أفرده بالتأليف إما من ناحية التأصيل والتقعيد ، وإما من ناحية التطبيق .

١. البرهان في ترتيب سور القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت ٧٠٨ هـ) ، مطبوع .

٢. نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، للشيخ برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٨ هـ) ، مطبوع .

٣. تناسق الدرر في تناسب السور ، لجلال الدين السيوطي. (ت ٩١١ هـ) مطبوع .

٤. مراصد المطالع في تناسب المقاطع و المطالع ، لجـلال الـدين السـيوطي ، مطبوع .

٥. ربط السور والآيات ، لمحمد بن المبارك ، المعروف بحكيم شاه القزويني ، (ت ٩٢٠هـ) ، مخطوط .

٦. جواهر البيان في تناسب سور القرآن ، لعبد الله محمد بن صديق الغماري ، (ت ١٤١٣ هـ) ، مطبوع .

وأما العلماء الذين جعلوا الحديث عن المناسبات ضمن تفسيرهم لكتاب الله ، أو ضمن مصنفاتم ، فمنهم :

١. الإمام فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦هـ) ، في تفسيره مفاتيح الغيب ، مطبوع .

---

(٢٥) ينظر مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن والسور ، لعادل أبي العلا ص١٠١ .

٢. بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، في البرهان في علوم القرآن ، مطبوع.

٣. جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، في الإتقان في علوم القرآن ، مطبوع .

٤. سيد قطب (ت ١٣٨٦هـ) ، في تفسيره ، في ظلال القرآن ، مطبوع .

٥. محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) ، في تفسيره التحرير والتنوير .

الفــــصــــل الثـــــــاني

المبحث الأول : الـتـعـريـف بالمؤلف

المبحث الثاني : الـتـعـريـف بالكتاب

التعريف بالمؤلف

لا يزال علماء الأمة الإسلامية يتأملون هذا الكتاب العظيم وصراطها المستقيم ، جاهدين في كشف المزيد من المعاني والأهداف والمقاصد للمعجزة الخالدة للنبي الكريم ﷺ فهو ما زال ولا يزال القول الفصل الذي يصلح لكل زمان ومكان ، وبه وبقول نبينا ﷺ يصلح الزمان والمكان .

وكان من هؤلاء العلماء الذين ساهموا وبشكل متميز في تدبر هذا الكتاب العظيم، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – رحمه الله – ، حيث أخرج لنا كتاباً عظيم القدر سعى فيه إلى الأحسن ، وقد أحسن فيه الصنع - فرحمه الله - ، وجعل ذلك في ميزان حسناته .

وهنا يأتي الحديث إلى بيان شيء مما تميز به كتاب - التحرير والتنوير - ، ويوقف على شيء من حسن قول مؤلفه – رحمه الله – ، فالبدء بالتعريف بالمؤلف ، ثم بالحديث عن كتابه التحرير والتنوير .

اسمه ونسبه : هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبدالقادر محمد بن عاشور الشريف الأندلسي ثم التونسي .[٢٦]

مولده : ولد الطاهر بن عاشور في تونس سنة ١٢٩٦هـ .[٢٧]

---

(٢٦) ينظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره لهياء العلي ص١٩ ؛ ومحمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة لمحمد الحبيب ١/١٥٣ .

(٢٧) ينظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره لهياء العلي ص٢٥ ؛ ومحمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة لمحمد الحبيب ١/١٥٣ .

حياته العلمية : ينتمي الطاهر بن عاشور إلى سلالة علمية عريقة ترجع أصولها إلى بلاد الأندلس .

وكعادة العلماء الأوائل بدأ بحفظ القرآن عندما بلغ سن السادسة ، فحفظ القرآن وبعض المتون العلمية ، ثم أخذ بتعلم الفنون الأخرى ، فتعلّم النحو ، ودرس البلاغة ، والمنطق ، والعقائد ، ودرس الفقه ، والفرائض ، وأصول الفقه ، ودرس الحديث ، كل هذا عن طريق العلماء في الكتاتيب والجوامع ، حتى انخرط ضمن جامع الزيتونة في عام ١٣١٠هـ وتخرج منه ، فدرس علوم الزيتونة ونبغ فيها ، وأظهر همةً عالية في التحصيل ، ساعده في ذلك - بعد توفيق الله - ذكاؤه ، والبيئة العلمية التي نشأ فيها ، وشيوخ الجامع المتميزين علمياً وفكرياً ، ولم يقتصر الشيخ – رحمه الله – على علوم العربية والشريعة ، فتعلم الفرنسية الذي كان للوضع السياسي في زمانه الدور الأكبر في تعلمها.(٢٨)

حياته المهنية : بعد أن تخرج الشيخ – رحمه الله – من جامع الزيتونة في عام ١٣١٧هـ ، أصبح متطوعاً في جامع الزيتونة ، إلى أن التحق بسلك التدريس في الجامع ، بعد ذلك نجح في مناظرة التدريس من الرتبة الثانية في الجامع ، وكان قد اختير للتدريس في مدرسة الصادقية سنة ١٣٢١هـ ، فبذلك جمع الشيخ – رحمه الله – بين المنهج التقليدي لجامع الزيتونة ، والمنهج العصري المتطور للمدرسة الصادقية ، ثم نجح في مناظرة التدريس من الطبقة الأولى .

بعد ذلك عين نائباً أول للدولة لدى النظارة العلمية لجامع الزيتونة سنة ١٣٢٥هـ ، ثم سلمت إليه مقاليد إدارة هذه المؤسسة العلمية العريقة جامع الزيتونة ، وكان ذلك في عام ١٣٥١هـ ، ثم استقال ثم أعيد إليه مرة أخرى .

---

(٢٨) ينظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره لهياء العلي ص٢٥-٢٦ ؛ ومحمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة لمحمد الحبيب ١٥٣/١ ؛ وشيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره لبالقاسم الغالي ص٣٧ .

وعندما تكونت الجامعة الزيتونية بعد الاستقلال ، أسندت إليه رئاسة الجامعة عام ١٣٧٤هـ .

هذا ما كان يشغله الشيخ – رحمه الله – من النواحي العلمية ، أما من الجوانب الأخرى ، فقد عين الشيخ عضواً لمجلس الأوقاف ، كما عين قاضياً مالكياً ، ثم عين مفتياً، كما عين شيخ إسلام للمذهب المالكي ، وهو أول من تولى هذا المنصب .

كما عني ابن عاشور – رحمه الله – بإصلاح الكتب الدراسية ، وأساليب التدريس ، ومعاهد التعليم ، وشؤون الطلبة ، وكان هذا ضمن رؤيته الإصلاحية العلمية والتربوية ، فرحمه الله وجزاه خيراً .[٢٩]

النتاج العلمي : بلغت مؤلفات الشيخ – رحمه الله – وتحقيقاته أكثر من ثلاثين عنواناً في فنون شتى ، منها المطبوع ، ومنها ما هو مخطوط .[٣٠]

فمن المطبوع التالي :

1. التحرير والتنوير .
2. كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطا .
3. مقاصد الشريعة .
4. الوقف وأثره في الإسلام .
5. أصول الإنشاء والخطابة .
6. موجز البلاغة .
7. قصة المولد .

---

(٢٩) ينظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره لهياء العلي ص٥٣-٦٣ ؛ ومحمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة لمحمد الحبيب ١/١٦٤-١٦٨ .

(٣٠) ينظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره لهياء العلي ص٧٥-٧٨ .

٨. أليس الصبح بقريب .

٩. أصول التقدم في الإسلام .

ومن المخطوط :

١. آراء اجتهادية .

٢. أمالي على دلائل الإعجاز .

٣. غرائب الاستعمال .

٤. تعاليق على المطول وحاشية السيالكوتي .

٥. تراجم بعض الأعلام .

٦. كتاب تاريخ العرب .

وفاته : بعد حياة علمية زاخرة بالعلم والتعليم جاوزت التسعين عاماً توفي الشيخ ابن عاشور -رحمه الله- وأسكنه فسيح الجنان في تونس سنة ١٣٩٣هـ .

التعريف بالكتاب

يقع كتاب التحرير والتنوير في ثلاثين جزءً موزعاً على اثني عشر مجلداً طبع في دار سحنون في تونس ، وله عدة طبعات من دور مختلفة .

بدأ المؤلف كتابه بتمهيد ذكر فيه أن تفسير كتاب الله كان من أكبر أمنياته حيث قال :"فقد كان أكبر أمنيتي منذ أمد بعيد تفسير الكتاب المجيد ، الجامع لمصالح الدنيا والدين ، وموثق شديد العرى من الحق المتين ، والحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها، والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها ، طمعا في بيان نكت من العلم ، وكليات من التشريع ، وتفاصيل من مكارم الأخلاق."[٣١]

ثم ذكر أنه وبعد تردد وإحجام عن الخوض في هذا المجال أقدم على هذه المهمة إقدام الشجاع ، وأخذ على نفسه أن يبدي في تفسير القرآن نكتاً لم يسبق إليها ، وأن يقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها ، وآونة عليها ، وفي كل هذا كلام جميل أحببت أن انقل قوله بالكامل ، يقول - رحمه الله - :"ولكني كنت على كلفي بذلك أتجهم التقحم على هذا المجال ، وأحجم عن الزج بسية قوسي[٣٢]في هذا النضال ، اتقاء ما عسى أن يعرض له المرء نفسه من متاعب تنوء بالقوة ، أو فلتات سهام الفهم وإن بلغ ساعد الذهن كمال الفتوة ، فبقيت أسوف النفس مرة ومرة أسومها زجراً ، فإن رأيت منها تصميما أحلتها على فرصة أخرى ، وأنا آمل أن يمنح من التيسير ما يشجع على قصد هذا الغرض العسير ، وفيما أنا بين إقدام وإحجام ، أتخيل هذا الحقل مرة القتاد[٣٣]وأخرى الثمام[٣٤]، إذا أنا بأملي قد خيل إلي أنه تباعد أو انقضى ، إذ قدر أن

---

(٣١) التحرير والتنوير ٥/١ .

(٣٢) سية القوس : ما عطف من طرفيها ، وفي لسان العرب : سية القوس طرف قابها ؛ وقيل رأسها ؛ وقيل ما اعوج من رأسها ، وهو بعد الطائف ، والنسب إليه سيوي .[ينظر تذيب اللغة لمحمد الأزهري ١٥٥/٦ ؛ ولسان العرب لابن منظور ٤١٧/١٤].

(٣٣) القتاد : شجر له شوك صلب له سنفة وجناة كجناة السمر ، ينبت بنجد وتامة ، واحدته قتادة ، قال أبو حنيفة : القتادة ذات شوك ، قال : ولا يعد من العضاه ، وقال : مرة القتاد شجر له شوك أمثال الإبر ،

تسند إلي خطة القضاء ، فبقيت متلهفا ولات حين مناص ، وأضمرت تحقيق هاته الأمنية متى أجمل الله الخلاص ، وكنت أحادث بذلك الأصحاب والإخوان ، وأضرب المثل بأبي الوليد ابن رشد[(٣٥)] في كتاب البيان ، ولم أزل كلما مضت مدة يزداد التمني وأرجو إنجازه، إلى أن أوشك أن تمضي عليه مدة الحيازة ، فإذا الله قد من بالنقلة إلى خطة الفتيا ، وأصبحت الهمة مصروفة إلى ما تنصرف إليه الهمم العليا ، فتحول إلى الرجاء ذلك اليأس، وطمعت أن أكون ممن أوتي الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ، هنالك عقدت العزم على تحقيق ما كنت أضمرته ، واستعنت بالله تعالى واستخرته ، وعلمت أن ما يهول من توقع كلل أو غلط لا ينبغي أن يحول بيني وبين نسج هذا النمط ، إذا بذلت الوسع من الاجتهاد ، وتوخيت طرق الصواب والسداد .

أقدمت على هذا المهم إقدام الشجاع على وادي السباع[(٣٦)]، متوسطا في معترك أنظار الناظرين ، وزائر بين ضباح الزائرين ، فجعلت حقا علي أن أبدي في تفسير القرآن نكتا لم أر من سبقني إليها ، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها ، فإن الاقتصار على الحديث المعاد ، تعطيل لفيض القرآن الذي ما له من نفاد ، ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين : رجل معتكف فيما شاده الأقدمون، وآخر آخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون ، وفي كلتا الحالتين ضر كثير ، وهنالك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير ، وهي أن نعمد إلى ما أشاده الأقدمون فنهذبه

وله وريقة غبراء وثمرة تنبت معها غبراء كأنها عجمة النوى ، والقتاد شجر له شوك وهو الأعظم . [ينظر المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٢٩٨/٦ ؛ ولسان العرب لابن منظور ٣٤٢/٣] .

(٣٤) الثمام : شجر ضعيف وهو معروف في البادية ولا تجهده النعم إلا في الجدوبة . [ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣٦٩/١ ؛ ولسان العرب لابن منظور٧٩/١٢] .

(٣٥) الإمام العلامة شيخ المالكية ، قاضي الجماعة بقرطبة ، زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب ، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي المالكي ، ولد في شوال سنة خمس وأربعمائة ، ألف كتاب البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل ؛ وكتاب المقدمات لأوائل كتب المدونة ، توفي سنة٥٢٠هـ . [ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٠١/١٩ ؛ والديباج المذهب لابن فرحون ص٢٧٨] .

(٣٦) جمع سبع ، اسم موقع اشتهر بخطورته ، وهو معروف بالبصرة ، وهو الذي قتل فيه الزبير بن العوام ﷺ [ينظر معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري ٧١٥/٣ ؛ معجم البلدان لياقوت الحموي ٣٤٣/٥] .

ونزيده ، وحاشا أن ننقضه أو نبيده ، عالماً بأن غمض فضلهم كفران للنعمة ، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة ، فالحمد لله الذي صدق الأمل ، ويسر إلى هذا الخير ودل."(٣٧)

ثم أخذ ببيان ما اهتم به في تفسيره ، فقال :"وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال ، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض ، وهو منـزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي(٣٨)، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع ، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع ، أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض ، فلا أراه حقا على المفسر.

ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها ؛ لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ، ومعاني جمله كأنها فقَر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه ، وتحجب عنه روائع جماله .

واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق ؛ مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة ، وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده ، ويتناول منه فوائد ونكتاً على قدر استعداده ، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير ، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير ، بحيث ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القماطير ، ففيه أحسن ما

---

(٣٧) التحرير والتنوير ٥/١ .

(٣٨) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري -من ذرية أبي بكر الصديق ﷺ - الشافعي المفسر المتكلم ، الإمام فخر الدين الرازي ابن خطيب الري ، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، له تصانيف عديدة منها : التفسير الكبير ؛ والمحصول في أصول الفقه ؛ وإعجاز القرآن ، مات بهراة يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة [ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٠١/٢١ ؛ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨١/٨ ؛ وطبقات المفسرين للسيوطي ص١١٥] .

في التفاسير ، وفيه أحسن مما في التفاسير."[39]

وختم هذا التمهيد بذكر مسمى الكتاب الذي جعله بعنوان (تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد ، من تفسير الكتاب المجيد) واختصر هذا الاسم إلى (التحرير والتنوير من التفسير) .

بعد هذا أخذ بذكر مقدمات تكون عوناً للباحث في التفسير ، وتغنيه عن معاد كثير وهي عشر مقدمات .

المقدمة الأولى : في التفسير والتأويل وكون التفسير علما .

بدأ المقدمة الأولى في بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي للتفسير ، ثم ذكر موضوع التفسير .

وفي ثنايا هذه المقدمة يرى ابن عاشور أن إطلاق لفظ علم على التفسير إنما هو تسامح لمخالفته معنى العلم .

وعزى رأي العلماء الذين قالوا : أن تفسير ألفاظ القرآن علماً مستقلاً ، لواحد من وجوه ستة .

ثم بين أن التفسير يعد من أصول الشريعة إذا كان بياناً وتفسيراً لمراد الله من كلامه سبحانه وتعالى ، أما إن أُخذ من حيث ما فيه من بيان مكي ومدني ، وناسخ ومنسوخ ، ومن قواعد الاستنباط التي تذكر أيضا في علم أصول الفقه من عموم وخصوص وغيرهما كان معدودا في متممات العلوم الشرعية .

كما عد التفسير أول العلوم الإسلامية ظهوراً ، إذ ظهر الخوض فيه في عصر النبي

---

(39) التحرير والتنوير 8/1 .

ﷺ ، وذكر أن أول من صنف فيه عبدالملك بن جريج المكي(٤٠).

وختم هذه المقدمة في بيان معنى التأويل ، وهل هو مساو للتفسير أو أخص منه ، أو هما متباينان ، ورجح الشيخ ابن عاشور أنهما متساويان في المعنى .

المقدمة الثانية : في استمداد علم التفسير .

عرف فيها معنى استمداد العلم ، ثم بين مم يستمد العلم بقوله :"فاستمداد علم التفسير للمفسر العربي والمولد ، من المجموع الملتئم من علم العربية وعلم الآثار ، ومن أخبار العرب وأصول الفقه ، قيل وعلم الكلام وعلم القراءات."(٤١)

وختم هذه المقدمة بذكر تنبيه فقال :"اعلم أنه لا يعد من استمداد علم التفسير الآثار المروية عن النبي ﷺ في تفسير آيات ، ولا ما يروى عن الصحابة في ذلك ، لأن ذلك من التفسير لا من مدده ، ولا يعد أيضا من استمداد التفسير ما في بعض آي القرآن من معنى يفسر بعضا آخر منها ، لأن ذلك من قبيل حمل بعض الكلام على بعض ، كتخصيص العموم وتقييد المطلق وبيان المجمل وتأويل الظاهر ودلالة الاقتضاء وفحوى الخطاب ولحن الخطاب ، ومفهوم المخالفة."(٤٢)

وقال :"واعلم أن استمداد علم التفسير من هذه المواد لا ينافي كونه رأس العلوم الإسلامية ، لأن كونه رأس العلوم الإسلامية معناه أنه أصل لعلوم الإسلام على وجه الإجمال ، فأما استمداده من بعض العلوم الإسلامية فذلك استمداد لقصد تفصيل التفسير

---

(٤٠) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أبو الوليد ، وقيل أبو خالد القرشي مولاهم المكي ، أحد الأعلام ، ولد سنة ثمانين ، قال أحمد : أول من صنف الكتب ابن جريج وابن أبي عروبة ، وإذا قال ابن جريج : قال ، فاحذره ، وإذا قال : سمعت ، أو سألت جاء بشيء ليس في النفس منه شيء ، مات سنة خمسين ومائة.
[ينظر غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٤٦٩/١ ؛ وطبقات الحفاظ للسيوطي ص٨١] .

(٤١) التحرير والتنوير ١٨/١ .

(٤٢) التحرير والتنوير ٢٧/١ .

على وجه أتم من الإجمال ، وهو أصل لما استمد منه باختلاف الاعتبار."[٤٣]

المقدمة الثالثة : في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه .

بدأ هذه المقدمة بسؤال ثم أجاب عنه وفيما يلي نص قوله ، قال رحمه الله :"إن قلت : أتراك بما عددت من علوم التفسير تثبت أن تفسيراً كثيراً للقرآن لم يستند إلى مأثور عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ، وتبيح لمن استجمع من تلك العلوم حظاً كافياً ، وذوقاً ينفتح له بهما من معاني القرآن ما ينفتح عليه ، أن يفسر من آي القرآن بما لم يؤثر عن هؤلاء ، فيفسر بمعان تقتضيها العلوم التي يستمد منها علم التفسير ، وكيف حال التحذير الواقع في الحديث الذي رواه الترمذي[٤٤] عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : ((من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)) ، وفي رواية : ((من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)) . والحديث الذي رواه أبو داود والترمذي والنسائي[٤٥] أن النبي ﷺ قال : ((من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)) ، وكيف يحمل ما روي من تحاشي بعض السلف عن التفسير بغير توقيف؟ فقد روي عن أبي بكر الصديق أنه سئل عن تفسير الأب في قوله : ((وفاكهة وأبا)) فقال : أي أرض تقلني ، وأي سماء

---

(٤٣) التحرير والتنوير ٢٧/١ .

(٤٤) رواه الترمذي في أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ، حديث رقم [٢٩٥١] ، ١٩٩/٥ . قال أبو عيسى هذا حديث حسن ؛ وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة حديث رقم [١٧٨٣] ، ٢٨٢/٤ .

(٤٥) رواه أبو داود في كتاب العلم ، باب الكلام في كتاب الله بغير علم ، حديث رقم [٣٦٥٢] ، ٣٢٠/٣ = =والترمذي في أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ، حديث رقم [٢٩٥٢] ، ٢٠٠/٥ ؛ والنسائي في كتاب فضائل القرآن ، باب من قال في القرآن بغير علم ، حديث رقم [٨٠٨٦] ، ٣١/٥ . قال الترمذي : وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم ٢٠٠/٥ ، وأورده الألباني في صحيح الترمذي ١٧٩/٣ ، وقال : قال أبو عيسى : حديث غريب .

تظلني إذا قلت في القرآن برأيي ، ويروى عن سعيد بن المسيب[(٤٦)] والشعبي [(٤٧)]إحجامهما عن ذلك .

قلت : أراني كما حسبت أثبت ذلك وأبيحه ، وهل اتسعت التفاسير وتفننت مستنبطات معاني القرآن إلا بما رزقه الذين أوتوا العلم من فهم في كتاب الله ، وهل يتحقق قول علمائنا إن القرآن لا تنقضي عجائبه إلا بازدياد المعاني باتساع التفسير؟ ولولا ذلك لكان تفسير القرآن مختصرا في ورقات قليلة."[(٤٨)]

بعد هذا بين أن التفسير غير مقصور على بيان مفردات القرآن من جهة العربية ، وذكر أن استنباط الأحكام التشريعية من القرآن من قبيل التفسير لآيات القرآن ، وأجاب عن الشبهة التي نشأت من الآثار المروية في التحذير من تفسير القرآن بالرأي ، وأرجعه إلى واحد من خمسة وجوه .

ثم نبه على أن هناك طوائف التزمت تفسير القرآن بما يوافق هواها ، وذكر تلك الطوائف .

وختم هذه المقدمة بنصيحة فقال :"هذا وإن واجب النصح في الدين والتنبيه إلى ما يغفل عنه المسلمون مما يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ، قضي علي أن أنبه إلى خطر أمر تفسير الكتاب ؛ والقول فيه دون مستند من نقل صحيح عن أساطين المفسرين أو إبداء

---

(٤٦) أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي رضي الله عنه ، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنه ، قال محمد بن يحيى بن حبان : كان رأس من بالمدينة في دهره ، المقدم عليهم في الفتوى سعيد ، ويقال : فقيه الفقهاء توفي بالمدينة ، قال يحي بن سعيد : سنة إحدى ، أو اثنتين وتسعين ، وقال الواقدي : سنة أربع وتسعين ، وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء لكثرة من مات فيها ، وقال المدايني ويحي بن معين سنة خمس ومائة .[ينظر طبقات الفقهاء لابن منظور ص٣٩ ؛ وطبقات الحفاظ للسيوطي ص٢٥] .

(٤٧) أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي ، من همدان ، ولد لست سنين خلت من خلافة عثمان رضي الله عنه ، قال أشعث بن سوار : عن ابن سيرين قال : قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة والصحابة يومئذ كثير ، وروى سليمان التيمي عن أبي مجلز قال : ما رأيت فقيهاً أفقه من الشعبي ، مات سنة أربع ومائة ، وقيل سنة سبع ومائة وهو ابن الاثنتين وثمانين سنة . [ينظر طبقات الفقهاء لابن منظور ص٨٢ ؛ وتاريخ الإسلام للذهبي ١٢٦/٧] .

(٤٨) التحرير والتنوير ٢٨/١ .

تفسير ، أو تأويل من قائله ؛ إذا كان القائل توفرت فيه شروط الضلاعة في العلوم التي سبق ذكرها في المقدمة الثانية، فقد رأينا تهافت كثير من الناس على الخوض في تفسير آيات من القرآن ، فمنهم من يتصدى لبيان معنى الآيات على طريقة كتب التفسير ، ومنهم من يضع الآية ثم يركض في أساليب المقالات تاركاً معنى الآية جانباً ؛ جالباً من معاني الدعوة والموعظة ما كان جالباً ، وقد دلت شواهد الحال على ضعف كفاية البعض لهذا العمل العلمي الجليل ، فيجب على العاقل أن يعرف قدره ، وأن لا يتعدى طوره ، وأن يرد الأشياء إلى أربابها ، كي لا يختلط الخاثر بالزباد ، ولا يكون في حالك سواد ، وإن سكوت العلماء على ذلك زيادة في الورطة ، وإفحاش لأهل هذه الغلطة ، فمن يركب متن عمياء ويخبط خبط عشواء فحق على أساطين العلم تقويم اعوجاجه ، وتمييز حلوه من أجاجه ، تحذيرا للمطالع وتنـزيلا في البرج والطالع."[٤٩]

المقدمة الرابعة : فيما يحق أن يكون غرض المفسر .

ذكر الشيخ ابن عاشور – رحمه الله – هنا أن القرآن أنزله الله تعالى كتاباً لصلاح أمر الناس كافة الفردية والجماعية والعمرانية .

بعد هذا أخذ ببيان المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها ، وأنه يجب على الآخذ في هذا الفن بأن يعلمها ، وهي مقاصد ثمانية :

١. إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح .
٢. تذيب الأخلاق .
٣. التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة .
٤. سياسة الأمة .
٥. القصص وأخبار الأمم السالفة .

---

(٤٩) التحرير والتنوير ٣٨/١ .

٦. التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين ، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها ، وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار .

٧. المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير .

٨. الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول ﷺ .

بعد ذلك بين الطرق التي يفَسر القرآن من خلالها . وختم هذا الباب ببيان علاقة العلوم بالقرآن .

المقدمة الخامسة : في أسباب النزول .

بدأ هذه المقدمة بذكر أحوال المفسرين في طلب المناسبة ، ثم ذكر أن من أسباب النـزول ما ليس للمفسر غنى عن علمه ، ثم ذكر أن أسباب النـزول التي صحت أسانيدها هي خمسة أقسام ، وختم هذه المقدمة بذكر فوائد أسباب النـزول .

المقدمة السادسة : في القراءات .

يرى الشيخ ابن عاشور – رحمه الله – أنه لولا عناية المفسرين بذكر اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن ، لكان في معزل عن التكلم في ذلك فيقول :"لولا عناية كثير من المفسرين بذكر اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن حتى في كيفيات الأداء ، لكنت بمعزل عن التكلم في ذلك ، لأن علم القراءات علم جليل مستقل قد خص بالتدوين والتأليف ، وقد أشبع فيه أصحابه وأسهبوا بما ليس عليه مزيد ، ولكني رأيتني بمحل الاضطرار إلى أن ألقي عليكم جملا في هذا الغرض ، تعرفون بها مقدار تعلق اختلاف القراءات بالتفسير ، ومراتب القراءات قوة وضعفا ، كي لا تعجبوا من إعراضي عن ذكر

كثير من القراءات في أثناء التفسير."[50]

ثم ذكر أن للقراءات حالتين : إحداهما لا تعلق لها بالتفسير بحال ، والثانية لها تعلق به من جهات متفاوتة ، وذكر شروط قبول القراءة ، كما ذكر اختلاف العلماء في حديث عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم[51] ، وأرجع الأقوال إلى اعتبارين : أحدهما باعتبار الحديث منسوخاً ، والآخر باعتباره محكماً .

ثم ذكر مراتب القراءات الصحيحة والترجيح بينها .

كما نبه أنه اقتصر في تفسيره على التعرض لاختلاف القراءات العشرة المشهورة ، ويقدم قراءة نافع[52]

برواية قالون[53].

وختم هذه المقدمة بذكر القراءات التي يقرأ بها اليوم في بلاد الإسلام ، مع تحديد القراءة والقارئ لكل قطر .

---

(٥٠) التحرير والتنوير ٥١/١ .

(٥١) هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي ، وخديجة زوج النبي ﷺ عمة أبيه ، أسلم يوم الفتح ومات قبل أبيه ، وقيل : استشهد بأجنادين .[ينظر أسد الغابة لابن الأثير ٨٩/٣ ؛ و الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٥٨٣/٦] .

(٥٢) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم ، ويقال أبو نعيم ، ويقال أبو الحسن ، وقيل أبو عبد الله ، وقيل أبو عبد الرحمن الليثي مولاهم ، المدني ، وهو مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب، أحد القراء السبعة والأعلام ثقة صالح ، أصله من أصبهان ، مات سنة تسع وستين ومائة ، وقيل سبعين ، = = وقيل سبع وستين ، وقيل خمسين وقيل سبع وخمسين .[ينظر معرفة القراء الكبار للذهبي ١٠٧/١ ؛ وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٣٣٠/٢] .

(٥٣) عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمر بن عبد الله الزرقي ويقال المري ، مولى بني زهرة أبو موسى الملقب قالون ، قارئ المدينة ونحويها ، يقال إنه ربيب نافع ، وقد اختص به كثيراً ، وهو الذي سماه قالون لجودة قراءته ، فإن قالون بلغة الرومية معناها جيد ، توفي قبل سنة عشرين ومائتين ، وقال الاهوازي وغيره سنة خمس ومائتين ، وقال الذهبي هذا غلط وأثبت وفاته سنة عشرين ، وهو الأصح والله أعلم .[ينظر معرفة القراء الكبار للذهبي ١٥٥/١ ؛ وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٦١٥/١] .

المقدمة السابعة : قصص القرآن .

قال – رحمه الله - :"امتن الله على رسوله ﷺ بقوله : ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ يوسف: ٣ ، فعلمنا من قوله : ﴿ أَحۡسَنَ ﴾ أن القصص القرآنية لم تسق مساق الإحماض[٥٤] وتجديد النشاط ، وما يحصل من استغراب مبلغ تلك الحوادث من خير أو شر ، لأن غرض القرآن أسمى وأعلى من هذا ، ولو كان من هذا لساوى كثيرا من قصص الأخبار الحسنة الصادقة ؛ فما كان جديرا بالتفضيل على كل جنس القصص."[٥٥]

ثم ذكر تعريف القصة .

بعد هذا أخذ ببيان العبرة والعظة من سوق القصة ، وذكر فيها عشر فوائد ، وصدر هذه الفوائد بكلام جميل أحببت أن أطلع القارئ عليه ، يقول – رحمه الله -: "وأبصر أهل العلم أن ليس الغرض من سوقها قاصرا على حصول العبرة والموعظة مما تضمنته القصة من عواقب الخير أو الشر ، ولا على حصول التنويه بأصحاب تلك القصص في عناية الله بهم ، أو التشويه بأصحابها فيما لقوه من غضب الله عليهم ، كما تقف عنده أفهام القانعين بظواهر الأشياء وأوائلها ، بل الغرض من ذلك أسمى وأجل ، إن في تلك القصص لعبراً جمة وفوائد للأمة ، ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ، ويعرض عما عداه ليكون تعرضه للقصص منـزها عن قصد التفكه بها ، من أجل ذلك كله لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور ؛ كما يكون كتاب تاريخ ، بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها ، لأن معظم الفوائد

---

(٥٤) يقال قد أحمض القوم إحماضاً إذا أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث ، وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول لأصحابه أحمضوا فيأخذون في الأشعار وأيام العرب .[ينظر تذيب اللغة لمحمد الأزهري ١٣٢/٤ ؛ وأساس البلاغة للزمخشري ص١٤٢] .

(٥٥) التحرير والتنوير ٦٤/١ .

الحاصلة منها لها علاقة بذلك التوزيع ، هو ذكر وموعظة لأهل الدين ، فهو بالخطابة أشبه .

وللقرآن أسلوب خاص هو الأسلوب المعبر عنه بالتذكير وبالذكر في آيات يأتي تفسيرها ، فكان أسلوبه قاضيا للوطرين ، وكان أجل من أسلوب القصاصين في سوق القصص لمجرد معرفتها ، لأن سوقها في مناسباتا يكسبها صفتين : صفة البرهان ، وصفة التبيان."[٥٦]

وختم هذه المقدمة بدفع الهاجس الذي رآه خطَر لكثير من أهل اليقين والمتشككين ، وهو أن يقال : لماذا لم يقع الاستغناء بالقصة الواحدة في حصول المقصود منها ؛ وما فائدة تكرار القصة في سور كثيرة؟ وربما تطرق هذا الهاجس ببعضهم إلى مناهج الإلحاد في القرآن ، وذكر في هذا خمسة مقاصد لتكرير القصة .

ثم قال :"فهذه تحقيقات سمحت بها القريحة ، وربما كانت بعض معانيها في كلام السابقين غير صريحة."[٥٧]

المقدمة الثامنة : في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها .

في المقدمة الثامنة تحدث ابن عاشور - رحمه الله – عن أسماء القرآن ، وبيان معاني تلك الأسماء ، ثم ذكر سبب تسميته مصحفاً .

بعد ذلك أخذ بالحديث عن آيات القرآن ، فبدأ بتعريف الآية ، وذكر أن التسمية بالآيات إنما هي من مبتكرات القرآن .

---

(٥٦) التحرير والتنوير ٦٤/١ .

(٥٧) التحرير والتنوير ٦٩/١ .

ثم تحدث عن مقادير الآيات فيقول - رحمه الله - :"وتحديد مقادير الآيات مروي عن النبي ﷺ ، وقد تختلف الرواية في بعض الآيات ، وهو محمول على التخيير في حد تلك الآيات التي تختلف فيها الرواية في تعيين منتهاها ومبتدأ ما بعدها ، فكان أصحاب النبي ﷺ على علم من تحديد الآيات."(٥٨)

ثم ذكر أقول العلماء في المسألة ، وأعقبها برأيه .

ويرى – رحمه الله - أن الأفضلية هي في الوقوف على رؤوس الآيات وإن تعلقت بما بعدها اتباعاً لهدي رسول الله ﷺ وسنته .

ذكر بعد ذلك اختلاف العلماء في عدد الآيات فقال :"فقد يكون بعض ذلك عن اختلاف في الرواية ، وقد يكون بعضه عن اختلاف الاجتهاد."(٥٩)

ثم تحدث عن ترتيب الآيات فقال – رحمه الله - :"لذلك كان ترتيب آيات السورة الواحدة على ما بلغتنا عليه متعينا ؛ بحيث لو غير عنه إلى ترتيب آخر لنـزل عن حد الإعجاز الذي امتاز به ، فلم تختلف قراءة النبي ﷺ في ترتيب آي السور على نحو ما هو في المصحف الذي بأيدي المسلمين اليوم ، وهو ما استقرت عليه رواية الحفاظ من الصحابة عن العرضات الأخيرة التي كان يقرأ بها النبي ﷺ في أواخر سني حياته الشريفة ، وحسبك أن زيد بن ثابت حين كتب المصحف لأبي بكر لم يخالف في ترتيب آي القرآن."(٦٠)

ثم قال :"واتساق الحروف واتساق الآيات واتساق السور كله عن رسول الله ﷺ، فلهذا كان الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسب في الغرض ، أو في الانتقال منه ، أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتصل ، ومما يدل عليه وجود حروف العطف المفيدة الاتصال مثل الفاء ولكن وبل ومثل أدوات الاستثناء ، على أن وجود ذلك لا يعين اتصال ما بعده بما قبله في النـزول ، فإنه قد اتفق على أن قوله

---

(٥٨) التحرير والتنوير ٧٤/١ .

(٥٩) التحرير والتنوير ٧٧/١ .

(٦٠) التحرير والتنوير ٧٩/١ .

تعالى: ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾ النساء: ٩٥ ، نزل بعد نزول ما قبله وما بعده من قوله : ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَنفُسِهِمْ ﴾."(٦١)

ثم أخذ بالحديث عن وقوف القرآن ، فبدأ بتعريف الوقف ، ثم قال :"وعلى جميع التقادير لا تجد في القرآن مكاناً يجب الوقف فيه ، ولا يحرم الوقف فيه ؛ كما قال ابن الجزري(٦٢) في أرجوزته ، ولكن الوقف ينقسم إلى أكيد حسن ودونه ، وكل ذلك تقسيم بحسب المعنى ، وبعضهم استحسن أن يكون الوقف عند نهاية الكلام ، وأن يكون ما يتطلب المعنى الوقف عليه قبل تمام المعنى سكتا : وهو قطع الصوت حصة أقل من حصة قطعه عند الوقف."(٦٣)

ثم ذكر أن السلف لم يشتد اعتناؤهم بتحديد أوقافه لظهور أمره ، ثم قال :"كان الاعتبار بفواصله ؛ التي هي مقاطع آياته عندهم أهم ، لأن عجز قادتم وأولي البلاغة والرأي منهم ؛ تقوم به الحجة عليهم وعلى دهمائهم ، فلما كثر الداخلون في الإسلام من دهماء العرب ، ومن عموم بقية الأمم ، توجه اعتناء أهل القرآن إلى ضبط وقوفه ، تيسيراً لفهمه على قارئيه ، فظهر الاعتناء بالوقوف ، وروعي فيها ما يراعى في تفسير الآيات ، فكان ضبط الوقوف مقدمة لما يفاد من المعاني عند واضع الوقف."(٦٤)

بعد ذلك أخذ بالحديث عن سور القرآن ، فبدأ بتعريف السورة .

ثم ذكر أنه "لم يحفظ عن جمهور الصحابة حين جمعوا القرآن أنهم ترددوا ؛ ولا

---

(٦١) التحرير والتنوير ٧٩/١-٨٠ .

(٦٢) الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الجزري الشافعي ، مقرىء الممالك الإسلامية ، ولد بدمشق سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، كان حافظا قارئا محدثا ، وماهرا في المعاني ، والبيان ، والتفسير ، ألف شرح المصابيح ، وكتاب النشر في القراءات العشر ، وطبقات القراء وتاريخهم الكبرى والصغرى ، وكانت وفاته في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة . [ينظر شذرات الذهب لمحمد العكري ٢٠٤/٧ ؛ وطبقات المفسرين للأدنه وي ص٣٢٠] .

(٦٣) التحرير والتنوير ٨٣/١ .

(٦٤) التحرير والتنوير ٨٤/١ .

اختلفوا في عدد سوره ، وأنها مائة وأربع عشرة سورة."[٦٥]

ذكر عقب هذا أقوال العلماء في ترتيب السور بعضها إثر بعض ، ثم قال :"أقول : لا شك أن طوائف من سور القرآن كانت مرتبة في زمن النبي ﷺ على ترتيبها في المصحف الذي بأيدينا اليوم الذي هو نسخة من المصحف الإمام ، الذي جمع وكتب في خلافة أبي بكر الصديق ، ووزعت على الأمصار نسخ منه في خلافة عثمان ذي النورين ، فلا شك في أن سور المفصل كانت هي آخر القرآن ولذلك كانت سنة قراءة السورة في الصلوات المفروضة ؛ أن يكون في بعض الصلوات من طوال المفصل ، وفي بعضها من وسط المفصل ، وفي بعضها من قصار المفصل ، وأن طائفة السور الطولى الأوائل في المصحف كانت مرتبة في زمن النبي ﷺ أول القرآن ، والاحتمال فيما عدا ذلك .

وأقول : لا شك في أن زيد بن ثابت ، وعثمان بن عفان < ، وهما من أكبر حفاظ القرآن من الصحابة ، توخيا ما استطاعا ترتيب قراءة النبي ﷺ للسور ، وترتيب قراءة الحفاظ التي لا تخفى على رسول الله ﷺ ، وكان زيد بن ثابت من أكبر حفاظ القرآن ، وقد لازم النبي ﷺ مدة حياته بالمدينة ، ولم يتردد في ترتيب سور القرآن على نحو ما كان يقرؤها النبي ﷺ حين نسخ المصاحف في زمن عثمان."[٦٦]

ثم تحدث بعد ذلك عن أسماء السور ، فقال :"وأما أسماء السور فقد جعلت لها من عهد نزول الوحي ، والمقصود من تسميتها تيسير المراجعة والمذاكرة."[٦٧]

وفي آخر هذه المقدمة قال :"اعلم أن الصحابة لم يثبتوا في المصحف أسماء السور ؛ بل اكتفوا بإثبات البسملة في مبدأ كل سورة علامة على الفصل بين السورتين ، وإنما فعلوا ذلك كراهة أن يكتبوا في أثناء القرآن ما ليس بآية قرآنية ، فاختاروا البسملة لأنها مناسبة للافتتاح مع كونها آية من القرآن."[٦٨]

---

(٦٥) التحرير والتنوير ٨٥/١ .

(٦٦) التحرير والتنوير ٨٦/١ .

(٦٧) التحرير والتنوير ٩٠/١ .

(٦٨) التحرير والتنوير ٩١/١ .

المقدمة التاسعة : في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن ، تعتبر مرادة بها .

قال – رحمه الله - :"إن العرب أمة جبلت على ذكاء القرائح وفطنة الأفهام ، فعلى دعامة فطنتهم وذكائهم أقيمت أساليب كلامهم ، وبخاصة كلام بلغائهم ، ولذلك كان الإيجاز عمود بلاغتهم ؛ لاعتماد المتكلمين على أفهام السامعين ، كما يقال لمحة دالة."(٦٩)

وقال :"فجاء القرآن على أسلوب أبدع مما كانوا يعهدون وأعجب ، فأعجز بلغاء المعاندين عن معارضته ، ولم يسعهم إلا الإذعان ، سواءً في ذلك من آمن منهم مثـل : لبيد بن ربيعة(٧٠) وكعب بن زهير(٧١) والنابغة الجعدي(٧٢)، ومن استمر على كفره عنـاداً مثل الوليد بن المغيرة ، فالقرآن من جانب إعجازه يكون أكثر معاني من المعاني المعتادة ؛

---

(٦٩) التحرير والتنوير ٩٣/١ .

(٧٠) لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة الكلابي الجعفري أبو عقيل ، الشاعر المشهور ، قال المرزباني في معجمه : كان فارساً شجاعاً شاعراً سخياً ، قال الشعر في الجاهلية دهراً ثم أسلم ، ولما أسلم رجع إلى بلاد قومه ، ثم نزل الكوفة حتى مات في سنة إحدى وأربعين .[ينظر أسد الغابة لابن الأثير ٢١٤/٤ ؛ والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٦٧٥/٥] .

(٧١) كعب بن زهير بن أبي سلْمى - بضم أوله - واسمه ربيعة بن رياح - بكسرة ثم تحتانية - ابن قرط بن الحارث بن مازن بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور بن لاطم بن عثمان بن مزينة المزني ، الشاعر المشهور ، صحابي معروف ، قال أبياتاً من الشعر قبل إسلامه ، فبلغت أبياته رسول الله ﷺ فقال : ((من لقي كعباً فليقتله)) وأهدر دمه ، وهو صاحب القصيدة التي أولها بانت سعاد وقال ابن إسحاق : كان قدوم كعب بن زهير بعد الطائف .[ينظر أسد الغابة لابن الأثير ١٧٥/٤ ؛ و الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٥٩٢/٥] .

(٧٢) اختلف في اسمه ، فقيل : قيس بن عبد الله ، وقيل : عبد الله بن قيس ، وقيل : حيان بن قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الجعدي ، وإنما قيل له النابغة لأنه قال الشعر في الجاهلية ، ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ، ثم نبغ فيه فقاله فسمي النابغة، مات بأصبهان وله مائتان وعشرون سنة . [ينظر أسد الغابة لابن الأثير ٥١٥/٤ ؛ و الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣٩١/٦] .

التي يودعها البلغاء في كلامهم ، وهو لكونه كتاب تشريع وتأديب وتعليم ، كان حقيقا بأن يودع فيه من المعاني والمقاصد أكثر ما تحتمله الألفاظ في أقل ما يمكن من المقـدار ، بحسب ما تسمح به اللغة الوارد هو بها ؛ التي هي أسمح اللغات بهذه الاعتبارات ، ليحصل تمام المقصود من الإرشاد الذي جاء لأجله في جميع نواحي الهدى ، فمعتاد البلغاء إيـداع المتكلم معنى يدعوه إليه غرض كلامه وترك غيره ، والقرآن ينبغي أن يودع من المعاني كل ما يحتاج السامعون إلى علمه ، وكل ما له حظ في البلاغة ، سواء كانت متسـاوية ، أم متفاوتة في البلاغة إذا كان المعنى الأعلى مقصوداً ، وكان ما هو أدنى منه مراداً معـه لا مراداً دونه ، سواء كانت دلالة التركيب عليها متساوية في الاحتمال والظهور ، أم كانت متفاوتة بعضها أظهر من بعض ، ولو أن تبلغ حد التأويل : وهو حمل اللفظ على المعـنى المحتمل المرجوح ، أما إذا تساوى المعنيان فالأمر أظهر."(٧٣)

ثم قال :"وإنك لتمر بالآية الواحدة فتتأملها وتتدبرها فتنهال عليك معان كثيرة يسمح بها التركيب على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي . وقد تتكاثر عليك فلا تك من كثرتا في حصر ، ولا تجعل الحمل على بعضها منافياً للحمل على البعض الآخر إن كان التركيب سمحاً بذلك."(٧٤)

وختم هذه المقدمة بالحديث عن الألفاظ المشتركة ، وعن استعمال اللفظ في معناه الحقيقي ومعناه المجازي ، وذكر أقوال العلماء واختلافهم في المسألة ، ثم قال :"والذي يجب اعتماده أن يحمل المشترك في القرآن على ما يحتمله من المعاني ، سواء في ذلك اللفظ المفرد المشترك والتركيب المشترك بين مختلف الاستعمالات ، سواء كانت المعاني حقيقية أو مجازية ، محضة أو مختلفة."(٧٥)

ثم قال :"وعلى هذا القانون ، يكون طريق الجمع بين المعاني التي يذكرها المفسرون ، أو ترجيح بعضها على بعض ، وقد كان المفسرون غافلين عن تأصيل هذا

---

(٧٣) التحرير والتنوير ٩٣/١ .

(٧٤) التحرير والتنوير ٩٧/١ .

(٧٥) التحرير والتنوير ٩٩/١ .

الأصل ، فلذلك كان الذي يرجح معنى من المعاني التي يحتملها لفظ آية من القرآن ، يجعل غير ذلك المعنى ملغى ، ونحن لا نتابعهم على ذلك ، بل نرى المعاني المتعددة التي يحتملها اللفظ بدون خروج عن مهيع الكلام العربي البليغ معاني في تفسير الآية ، فنحن في تفسيرنا هذا إذا ذكرنا معنيين فصاعداً فذلك على هذا القانون ، وإذا تركنا معنى مما حمل بعض المفسرين عليه في آيات من القرآن ؛ فليس تركنا إياه دالا على إبطاله ، ولكن قد يكون ذلك لترجح غيره ، وقد يكون اكتفاء بذكره في تفاسير أخرى تجنبا للإطالة ، فإن التفاسير اليوم موجودة بين يدي أهل العلم ، لا يعوزهم استقراؤها ، ولا تمييز محاملها متى جروا على هذا القانون."[٧٦]

المقدمة العاشرة : في إعجاز القرآن .

ذكر في مطلع هذه المقدمة أن إعجاز القرآن لا يزال شغل أهل البلاغة الشاغل ، ثم قال :"فأما أنا فأردت في هذه المقدمة أن أُلم بك أيها المتأمل إلمامة ليست كخطرة طيف ، ولا هي كإقامة المنتجع في المربع حتى يظله الصيف ، وإنما هي لمحة ترى منها كيف كان القرآن معجزاً ، وتتبصر منها نواحي إعجازه ، وما أنا بمستقص دلائل الإعجاز في آحاد الآيات والسور ، فذلك له مصنفاته ، وكل صغير وكبير مستطر ، ثم ترى منها بلاغة القرآن ، ولطائف أدبه التي هي فتح لفنون رائعة من أدب لغة العرب ، حتى ترى كيف كان هذا القرآن فتح بصائر ، وفتح عقول ، وفتح ممالك ، وفتح أدب غض ارتقى به الأدب العربي مرتقى لم يبلغه أدب أمة من قبل ، وكنت أرى الباحثين ممن تقدمني يخلطون هذين الغرضين خلطا ، وربما أهملوا معظم الفن الثاني ، وربما ألموا به إلماما وخلطوه بقسم الإعجاز ، وهو الذي يحق أن يكون البحث فيه من مقدمات علم التفسير، ولعلك تجد في هذه المقدمة أصولاً ونكتاً أغفلها من تقدموا ممن تكلموا في إعجاز

---

(٧٦) التحرير والتنوير ١/١٠٠ .

القرآن."[77]

ثم ذكر التحدي بالإتيان بمثله ومراحل التحدي ، وعجز المتحدين الثابت بالتواتر.

ثم ذكر اختلاف العلماء في تعليل عجزهم عن ذلك .

تحدث بعد ذلك عن وجوه الإعجاز ، وأنها من جهات ثلاث ، وذكر أن كثيراً من العلماء قد عدوا وجهاً رابعاً ، وأخذ بشرح تلك الوجوه .

وفي ثنايا ذلك تحدث عن مبتكرات القرآن فقال :"هذا وللقرآن مبتكرات تميز بها نظمه عن بقية كلام العرب .

فمنها أنه جاء على أسلوب يخالف الشعر لا محالة وقد نبه عليه العلماء المتقدمون ، وأنا أضم إلى ذلك أن أسلوبه يخالف الخطابة بعض المخالفة ، بل جاء بطريقة كتاب يقصد حفظه وتلاوته ، وذلك من وجوه إعجازه ، إذ كان نظمه على طريقة مبتكرة ليس فيها اتباع لطرائقها القديمة في الكلام."[78]

كما أخذ بالحديث عن عادات القرآن فقال :"يحق على المفسر أن يتعرف عادات القرآن من نظمه وكلمه ، وقد تعرض بعض السلف لشيء منها ، فعن ابن عباس ﭬ : كل كأس في القرآن فالمراد بها الخمر.[79]

وفي صحيح البخاري[80]في تفسير سورة الأنفال قال ابن عيينة[81]: ما سمى الله مطراً في القرآن إلا عذاباً ، وتسميه العرب الغيث كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ

---

(77) التحرير والتنوير ١٠١/١ .

(78) التحرير والتنوير ١٢٠/١ .

(79) الكشاف للزمخشري ٤٥/٤ . البحر المحيط لأبي حيان ٣٤٤/٧ .

(80) صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، ١٧٠٤/٤ .

(81) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ، ولد في السنة السابعة بعد المائة ، أحد الأعلام ، ثقة ثبت حافظ إمام ، روى له الستة ، سكن مكة وتوفي بها سنة ثمان وتسعين ومائة .[ينظر تذيب التهذيب لابن حجر ١٠٥/٤] .

﴿ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ ﴾ الشورى: ٢٨."[٨٢]

وبعد تلك المقدمات شرع في تفسير كلام الله سبحانه وتعالى ، فبدأ بسورة الفاتحة ، وكان نهجه عند تفسير السورة أن يبدأ بذكر اسم السورة مع ذكر وجه التسمية، وإن كان للسورة أكثر من اسم ذكره ، ثم يذكر هل السورة مكية ، أو مدنية ، وبعد هذا يذكر ترتيبها في النـزول ، ثم يذكر عدد آيات السورة ، وقبل البدء في تفسير الآيات يتحدث عن أغراض السورة .

---

(٨٢) التحرير والتنوير ١٢٤/١ .

الفصل الثالث

منهج ابن عاشور في إيراد المناسبات

مـنـهـج ابن عـاشـور في إيـراد المـنـاسـبـات

بعد ما عشت مع تفسير ابن عاشور وأقواله في ذكر المناسبات ، والبحث فيها ، ومن ثم التعليق عليها ، تبين لي من خلال ذلك المنهج الذي سار عليه ابن عاشور في إيراده للمناسبات وحديثه عنها ، ويمكن أن نلخص ذلك فيما يلي :-

١. عند البدء في التفسير يذكر الآية أو الآيات ، ثم يتبعها ذكر المناسبة أو الرابط ، ثم يشرع في التفسير ، وهكذا دائماً .

٢. يكون ذكره للمناسبة إما بالتصريح بلفظ المناسبة ، أو بغير تصريح كقوله: وعلاقة هذه الآية بما قبلها ، أو وهي مرتبطة بكذا ، وغير ذلك .

٣. نجده أحياناً يطنب في ذكر المناسبة ، ويختصر في أخرى ، والغالب عليه التوسط .

٤. ويكون ربطه وذكره للمناسبة من وجوه :-

- ربط المناسبة بالآية التي قبلها .
- ربط المناسبة بآية سابقة .
- ربط المناسبة بآية لاحقة .
- ربط المناسبة بأكثر من آية .
- ربط المناسبة بجملة من آية .
- ربط المناسبة بغرض من أغراض السورة .
- تعدد ربط المناسبة الواحدة بأكثر من وجه مما سبق ذكره .

٥. في الغالب ينص بالجزم على ذكر مناسبة ، وقد يوردها بالاحتمال ، كقوله : (لعل) .

٦. إن كان للآية معنيان ؛ فإنه يذكر مناسبةً لكل معنى في الغالب ، كما فعل ذلك في سورة الأنبياء عند ذكر المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ الأنبياء: ١٠٥، وقد يذكر

مناسبتين للآية الواحدة كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٥١ .

٧. المناسبة التي فيها خلاف يذكر الأقوال ثم يرجح ، وقد يستنتج قولاً جديداً ، كما في حديثه عند ذكر المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ الفرقان: ٥١ ، وربما أعرض عن ذكر الخلاف .

٨. يعقد المقارنات بين المناسبتين المتشابهتين في أغلب الأحوال .

٩. في الغالب يذكر مناسبة افتتاح السورة ، وكذلك مناسبة الختم .

١٠. عند ذكر بعض المناسبات يستشهد على حسن المناسبة بفنون البلاغة ، أو بالشعر ونحو ذلك ، كما فعل عند ذكر مناسبة الافتتاح في سورة الفرقان .

القسم الثاني

الفصل الأول

سورة طه ، والأنبياء ، والحج ، وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : سورة طه . وفيه تمهيد ، ومطلبان .

التمهيد : وفيه اسم السورة ، ونوعها ، وترتيبها في المصحف ، وعدد آياتا
ونظيرها في العدد ، وما جاء في سبب نزولها .

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثاني : سورة الأنبياء . وفيه تمهيد ، ومطلبان .

التمهيد : وفيه اسم السورة ، ونوعها ، وترتيبها في المصحف ، وعدد آياتا
ونظيرها في العدد .

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثالث : سورة الحج . وفيه تمهيد ، ومطلبان .

التمهيد : وفيه اسم السورة ، ونوعها ، وترتيبها في المصحف ، وعدد آياتا
ونظيرها في العدد .

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلـب الثـاني : مناسبات الآيات .

المبحث الأول : سورة طه .

وفيه تمهيد ، ومطلبان

المطلب الأول : أغراض السورة

المطلب الثاني : مناسبات الآيات

تمهيد

- **اسـم الـسـورة :** طـه ، وتسمى أيضا سورة الكليم ، ذكره السخاوي.(٨٣)
- **نـــوعـــهـــا :** مكية .
- **ترتيبها في المصحف :** العشرون .
- **عـدد آيـاتـهـا :** مئة وثلاثون وآيتان ، وقيل أربع ، وقيل خمس ، وقيل أربعون.(٨٤)
- **نظيرها في الـعدد :** لا نظير لها في عدد آياتا(٨٥).

---

(٨٣) جمال القراء وكمال الإقراء ١٩٩/١ ، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصـمد الهمـداني السـخاوي الشافعي، ولد سنة ثمان أو تسع وخمسين ، وبلغ في التفسير إلى الكهف وذلك في أربع مجلدات ، وشـرح المفصل في أربع مجلدات ، وله تاج الإقراء ، توفي سنة ثلاث وأربعين وست مئة .[ينظر طبقات الشـافعية لابن قاضي شهبة ١١٧/٢ ؛ سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢٢/٢٣] .

(٨٤) البيان في عد آي القرآن للداني ١٨٣/١.

(٨٥) اعتمدت في مقارنة النظير في العدد على طريقة الكوفيين .

أغـراض سـورة طـه[86]

"احتوت من الأغراض على : التحدي بـالقرآن بـذكر الحـروف المقطعـة في مفتتحها[87].

والتنويه بأنه تنـزيل من الله لهدي القابلين للهداية ، فأكثرها في هذا الشأن .

والتنويه بعظمة الله تعالى ، وإثبات رسالة محمد ﷺ بأنها تماثل رسالة أعظم رسول قبله شاع ذكره في الناس ، فضرب المثل لنـزول القران على محمد ﷺ بكلام الله موسى عليه السلام .

وبسط نشأة موسى عليه السلام ، وتأييد الله إياه ، ونصره على فرعون بالحجة ، والمعجزات ، وبصرف كيد فرعون عنه وعن أتباعه .

وإنجاء الله موسى عليه السلام وقومه ، وغرق فرعون ، وما أكرم الله به بني إسرائيل في خروجهم من بلد القبط .

وقصة السامري ، وصنعه العجل الذي عبده بنو إسرائيل في مغيب موسى عليه السلام ، وكل ذلك تعريض بأن مآل بعثة محمد ﷺ صائر إلى ما صارت إليه بعثة موسى عليه السلام من النصر على معانديه ، فلذلك انتقل من ذلك إلى وعيد من أعرضوا عن القرآن ، ولم تنفعهم أمثاله ومواعظه .

تذكير الناس بعداوة الشيطان للإنسان بما تضمنته قصة خلق آدم .

ورتب على ذلك سوء الجزاء في الآخرة لمن جعلوا مقادتم بيد الشيطان ،

---

(٨٦) بعد الإطلاع على كلام العلماء ، وتصانيفهم في أغراض السور ومقاصدها ، لم أجد زيادةً جوهريةً على قول ابن عاشور -رحمه الله- ، أو غرضاً ومقصداً تفرد أحدهم بذكره ؛ لذا يكْتفَى بذكر قول ابن عاشور في أغراض السور دون زيادة ، ففيه الغنية عن المُعاد .

(٨٧) الراجح أنها ليست للتحدي وإنما هي من المتاشبه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، ينظر فتح القدير للشـوكاني ٣٠/١ .

وإنذارهم بسوء العقاب في الدنيا .

وتسلية النبي ﷺ على ما يقولونه ، وتثبيته على الدين .

وتخلل ذلك إثبات البعث ، وتوبيل يوم القيامة ، وما يتقدمه من الحوادث والأهوال ."[٨٨]

(٨٨) التحرير والتنوير ١٨١/١٦ .

مـنـاسـبـات الآيـات في سـورة طـه

١. مناسبة الافتتاح بقوله تعالى : ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴾ طه: ١ - ٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- عند افتتاح السورة :"افتتحت السورة بملاطفة النبي ﷺ ؛ بأنّ الله لم يرد من إرساله وإنزال القرآن عليه أن يشقى بذلك ، أي : تصيبه المشقّة ويشده التعب ، ولكن أراد أن يذكّر بالقرآن من يخاف وعيده ، وفي هذا تنويـه أيضـاً بشأن المؤمنين الذين آمنوا بأنهم كانوا من أهل الخشية ، ولولا ذلك لما ادكروا بالقرآن .

وفي هذه الفاتحة تمهيد لما يرد من أمر الرسول ﷺ بالاضطلاع بـأمر التبليـغ ، وبكونه من أولي العزم مثل موسى عليه السلام ، وأن لا يكون مفرطاً في العزم كما كـان آدم عليه السلام قبل نزوله إلى الأرض ، وأدمج في ذلك التنويه بالقرآن ، لأن في ضمن ذلك تنويهاً بمن أنزل عليه وجاء به."[٨٩]

قول ابن عاشور هنا قريب مما ذكره البقاعي في كتابه نقلاً عن ابن الزبير في برهانه[٩٠]، وذكر البقاعي ذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ طه: ٩ ، قال -رحمه الله- :"لما ذكر سبحانه قصة إبراهيم عليه السلام وما منحه وأعطاه ، وقصص الأنبياء بعده بما خصهم به ، وأعقب ذلك بقوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ ﴾ مريم: ٥٨ ، وكان ظاهر الكلام تخصيص هؤلاء بهذه المناصب العلية ، والدرجات المنيفة الجليلة ، لا سيما وقد اتبع ذلك بقوله : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ

---

(٨٩) التحرير والتنوير ١٦/١٨٤ .

(٩٠) البرهان في ترتيب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي ص٢٥٢ .

بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ مريم: ٥٩ ، كان هذا مظنة إشفاق وخوف ، فاتبعه تعالى بملاطفة نبيه محمد ﷺ ملاطفة المحبوب المقرب المجتبى فقال : ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ طه: ٢."[91]

٢. قال تعالى : ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ طه: ٩ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"أعقب تثبيت الرسول على التبليغ والتنويه بشأن القرآن بالنسبة إلى من أنزله ومن أُنزل عليه ، بذكر قصة موسى عليه السلام ، ليتأسى به في الصبر على تحمل أعباء الرسالة ، ومقاساة المصاعب ، وتسليةً له بأن الذين كذبوه سيكون جزاؤهم جزاء من سلَفَهم من المكذبين ، ولذلك جاء في عقب قصة موسى قوله تعالى : ﴿ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ٩٩ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِ ﴾ طه: ٩٩ – ١٠١ ، وجاء بعد ذكر قصة آدم ، وأنه لم يكن له عزم ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ طه: ١٣٠ الآيات .

فجملة ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ طه: ٩ ، عطف على جملة ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ طه: ٢ ، الغرض هو مناسبة العطف كما تقدم قريباً."[92]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما عظم حال القرآن وحال الرسول فيما كلفه ، اتبع ذلك بما يقوي قلب رسول الله ﷺ من ذكر أحوال الأنبياء -عليهم السلام- تقوية لقلبه في الإبلاغ كقوله : ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ هود: ١٢٠ ، وبدأ بموسى عليه السلام لأن المحنة والفتنة الحاصلة له كانت أعظم ؛

([91]) نظم الدرر ١٢/٥ .

([92]) التحرير والتنوير ١٩٣/١٦ .

ليسلي قلب الرسول ﷺ بذلك ، ويصبره على تحمل المكاره."[٩٣]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أتبع ذلك قصة موسى عليه السلام مصدرة باستفهام مقترن بواو عطف ، وأرشد ذلك إلى أن المعنى : هل تعلم له سميا ، أي : متصفاً بأوصافه، أو بشيء منها له بذلك الوصف مثل فعله ، ولما كان الجواب قطعاً : لا ، ثبت أن لا متصف بشيء من أوصافه ، فعطف على هذا المقدر قصة موسى عليه السلام ، ويكون التقدير : هل علمت بما ذكرناك به في هذه الآيات ؛ أنا نريد ما هو علينا يسير بما لنا من القدرة التامة والعلم الشامل من إسعادك في الدارين تكثير أجرك ، وتفخيم أمرك ، بتكثير أتباعك ، وعطف عليه القصة شاهداً محسوساً على ما له من الاتصاف بما انتفى عن غيره من الأسماء الحسنى ، ولاسيما ما ذكر هنا من الاتصاف بتمام القدرة والتفرد بالعظمة ، وأنه يعلي هذا المصطفى بإنزال هذا الذكر عليه ، وإيصاله منه إليه النصرة على الملوك وسائر الأضداد ، والتمكين في أقطار البلاد ، وكثرة الأتباع ، وإعزاز الأنصار والوزراء والأشياع ، وغير ذلك بمقدار ما بين ابتداء أمرهما من التفاوت ، فإن ابتداء أمر موسى عليه السلام أنه أتى النار ليقبس أهله منها ناراً ، أو يجد عندها هدى ، فمنح بذلك من هدى الدارين والنصرة على الأعداء كما سيقص هنا ما منح ، وهذا النبي الكريم كان ابتداء أمره أنه يذهب إلى غار حراء ، فيتعبد الليالي ذوات العدد ، ويتزود لذلك اجتذاباً من الحق له قبل النبوة بمدد ، تدريباً له وتقوية لقلبه ، فأتته النبوة وهو في مضمارها سائر ، وإلى أوجها بعزمه صائر بل طائر."[٩٤]

استفاد ابن عاشور –رحمه الله- هنا ممن سبقوه ، فتبع الرازي في ذكر هذه المناسبة ، إلا أن الرازي زاد عليه ذكر مناسبة البدء بقصة موسى عليه السلام وهي مناسبة جميلة، وقول البقاعي هنا فيه شيء من التوسع والزيادة على القولين السابقين وقد ذكرته مختصراً .

---

(٩٣) التفسير الكبير ١٥/٨ .

(٩٤) نظم الدرر ١١/٥ .

٣. قال تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ طه: ٥٥ .

قال ابن عاشور –رحمه الله- :"مستأنفة استئنافاً ابتدائياً ، وهذا إدماج للتـذكير بالخلق الأول ليكون دليلاً على إمكان الخلق الثاني بعد الموت ، والمناسبة متمكنة ؛ فـإن ذكر خلق الأرض ومنافعها ، يستدعي إكمال ذكر المهم للناس من أحوالها ، فكان خلق أصل الإنسان من الأرض شبيهاً بخروج النبات منها ، وإخراج الناس إلى الحشـر شـبيه بإخراج النبات من الأرض ، قال تعـالى :﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ نوح: ١٧ - ١٨."[٩٥]

وقريب من هذا ما قال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أخبر سبحانه وتعالى عما خلق في الأرض من المنافع الدالة على تمام علمه ، وباهر قدرته ، على وجه دالّ على خصوص القدرة على البعث."[٩٦]

ثم أخذ بالحديث عن الروح وماهيته ، وكان كلامه حول الخلق وأصله ، ثم البعث والنشور .[٩٧]

وقال الرازي -رحمه الله- :"فاعلم أنه سبحانه لما ذكر منافع الأرض والسماء ، بين أنها غير مطلوبة لذاتا ، بل هي مطلوبة لكونها وسائل إلى منافع الآخرة ، فقال : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ طه: ٥٥."[٩٨]

وقال في آخر تفسيره للآية :"واعلم أن الله تعالى عدد في هذه الآيات منافع الأرض ، وهي : أنه تعالى جعلها لهم فراشاً ومهاداً يتقلبون عليها ، وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف أرادوا ، وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتم وعلف

([٩٥]) التحرير والتنوير ٢٤٠/١٦ .

([٩٦]) نظم الدرر ٢٥/٥ .

([٩٧]) ينظر نظم الدرر ٢٥/٥ .

([٩٨]) التفسير الكبير ٨/ ٦٢ .

دوابهم ، وهي أصلهم الذي منه يتفرعون ، ثم هي كفاتم إذا ماتوا."[٩٩]

يرى ابن عاشور أن المناسبة هي : تشبيه خلق أصل الإنسان من الأرض ، و تشبيه إخراج الناس إلى الحشر ، هو كإخراج النبات من الأرض ، وذكر المهم للناس من أحوال الأرض ، وهذا كقول الرازي .

أما قول البقاعي فهو استدلال على القدرة على البعث .

وهذا مثال واضح على مدى تأثير فهم المناسبة على التفسير ، وإن كان اختلاف الفهم إنما هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، فالذي ذكره ابن عاشور هو في حقيقته ومضمونه أنه دليل على القدرة على البعث ، وليس فيما ذكر البقاعي -رحمه الله- دليل على التشبيه ، أو على ذكر المهم من أحوال الناس فيها .

٤. قال تعالى :﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴾ طه: ٩٢

وفي ذكر المناسبة لحكاية خطاب موسى لهارون عليهما السلام في قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴾ طه: ٩٢ ، بعد أن وقع الفصل بين أجزاء الحكاية بالجمل المعترضة ، قال ابن عاشور -رحمه الله- : "انتقل موسى من محاورة قومه إلى محاورة أخيه ، فجملة ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ ﴾ ، تابعة لجملة ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًا ﴾ طه: ٨٦ ، ولجملة ﴿ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا ﴾ طه: ٨٧ ، وقد وجدت مناسبة لحكاية خطابه هارون عليه السلام ، بعد أن وقع الفصل بين أجزاء الحكاية بالجمل المعترضة التي منها جملة ﴿ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ ﴾ طه: ٩٠ ؛ الآية ، فهو استطراد في خلال الحكاية للإشعار بعذر هارون كما تقدم ، ويحتمل أن تكون عطفاً على جملة ﴿ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ ﴾ طه: ٩٠ ؛ الآية ، على احتمال كون تلك من حكاية

---

(٩٩) التفسير الكبير ٦٢/٨ .

كلام قوم موسى ."[100]

وهذه المناسبة مما تفرد به ابن عاشور -رحمه الله- عن ما ذكره الرازي والبقاعي ، وهو مما يدل على تمكن هذا العالم العظيم من هذا العلم الكبير وسعة اطلاعه .

5. قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ طه: 113 .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف على جملة ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾طه: 99 ، والغرض واحد ، وهو التنويه بالقرآن ، فابتدئ بالتنويه به جزئياً بالتنويه بقصصه ، ثمّ عطف عليه التنويه به كلياً على طريقة تشبه التذييل لما في قوله : ﴿أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ من معنى عموم ما فيه .

والإشارة بـ ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ ، نحو الإشارة في قوله : ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ ، أي : كما سمعته ، لا يبين بأوضح من ذلك."[101]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أن قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ عطف على قوله : ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ ﴾ ، أي : ومثل ذلك لا نزال ، وعلى نهجه أنزلنا القرآن كله."[102]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما اشتملت هذه الآية على الذروة من حسن المعاني، فبشرت ويسرت ، وأنذرت وحذرت ، وبينت الخفايا ، وأظهرت الخبايا ، مع ما لها من جلالة السبك وبراعة النظم ، كان كأنه قيل تنبيهاً على جلالتها : أنزلناها على هذا المنوال العزيز المثال ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي : ومثل هذا الإنزال ، ﴿أَنزَلْنَٰهُ ﴾ أي :

---

(100) التحرير والتنوير 291/16 .

(101) التحرير والتنوير 313/16 .

(102) التفسير الكبير 103/8 .

هذا الذكر كله بعظمتنا ، ﴿ قُرْءَانًا ﴾ جامعاً لجميع المعاني المقصودة ، ﴿ عَرَبِيًّا ﴾ مبيناً لما أودع فيه لكل من له ذوق في أساليب العرب."(١٠٣)

قول ابن عاشور في ذكر المناسبة هنا قريب من قول سابقيه ، إلا أنه زاد عليهما زيادة حسنة في قوله : أنه بدأ بالتنويه به جزئياً ، ثمّ عطف عليه التنويه به كلياً على طريقة تشبه التذييل .

٦. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ طه: ١١٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما كانت قصة موسى ﷺ مع فرعون ، ومع قومه ذات عبرة للمكذبين ، والمعاندين الذين كذبوا النبي ﷺ وعاندوه ، وذلك المقصود من قصصها كما أشرنا إليه آنفاً عند قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴾ طه: ٩٩ - ١٠٠ ، فكأن النبي ﷺ استحب الزيادة من هذه القصص ذات العبرة ؛ رجاء أن قومه يفيقون من ضلالتهم ، كما أشرنا إليه قريباً عند قوله : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ طه: ١١٤، أعقبت تلك القصة بقصة آدم ﷺ ، وما عرض له به الشيطان ، تحقيقاً لفائدة قوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ طه: ١١٤ ، فالجملة عطف قصة على قصة ، والمناسبة ما سمعت."(١٠٤)

في هذه المناسبة نجد أن ابن عاشور لخص قولي الرازي والبقاعي ولم يشمل جميع ما ذكرا ، وقد أجاد الرازي في ذكر تعلق الآية .

فالرازي -رحمه الله- توسع في ذكر تعلق هذه الآية بما قبلها ، وذكر أن هذا

---

(١٠٣) نظم الدرر ٤٨/٥ .

(١٠٤) التحرير والتنوير ٣١٨/١٦ .

التعلق من خمسة وجوه فقال :"واعلم أن في تعلق هذه الآية بما قبلها وجوهاً .

أحدها : أنه تعالى لما قال : ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾طه: ٩٩ ، ثم إنه عظم أمر القرآن وبالغ فيه ، ذكر هذه القصة انجازاً للوعد في قوله : ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾طه: ٩٩ .

وثانيها : أنه لما قال : ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ طه: ١١٣، أردفه بقصة آدم عليه السلام كأنه قال : إن طاعة بني آدم للشيطان ، وتركهم التحفظ من وساوسه أمر قديم ، فإنا قد عهدنا إلى آدم من قبل ، أي : من قبل هؤلاء الذين صرفنا لهم الوعيد ، وبالغنا في تنبيهه حيث قلنا : ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ طه: ١١٧، ثم إنه مع ذلك نسي وترك ذلك العهد ، فأمر البشر في ترك التحفظ من الشيطان أمر قديم .

وثالثها : أنه لما قال لمحمد ﷺ : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه: ١١٤ ، ذكر بعده قصة آدم عليه السلام ، فإنه بعدما عهد الله إليه ، وبالغ في تجديد العهد وتحذيره من العدو نسي، فقد دل ذلك على ضعف القوة البشرية عن التحفظ ، فيحتاج حينئذ إلى الاستعانة بربه في أن يوفقه لتحصيل العلم ، ويجنبه عن السهو والنسيان .

ورابعها : أن محمداً ﷺ لما قيل له : ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾طه: ١١٤، دل على أنه كان في الجد في أمر الدين ، بحيث زاد على قدر الواجب ، فلما وصفه بالإفراط ، وصف آدم بالتفريط في ذلك ، فإنه تساهل في ذلك ، ولم يتحفظ حتى نسي ، فوصف الأول بالتفريط ، والآخر بالإفراط ؛ ليعلم أن البشر لا ينفك عن نوع زلة .

وخامسها : أن محمداً ﷺ لما قيل له : ﴿وَلَا تَعْجَلْ﴾ ضاق قلبه ، وقال في نفسه : لولا أني أقدمت على ما لا ينبغي ، وإلا لما نهيت عنه فقيل له: إن كنت فعلت ما نهيت عنه ، فإنما فعلته حرصاً منك على العبادة ، وحفظاً لأداء الوحي ، وإن أباك أقدم

على ما لا ينبغي للتساهل وترك التحفظ ، فكان أمرك أحسن من أمره."[105]

وقال البقاعي -رحمه الله- في ذكر قصة آدم عليه السلام :"أتبع ذلك سبحانه قصة آدم عليه السلام ، تحذيراً من الركون إلى ما يسبب النسيان ، وحثاً على رجوع من نسي إلى طاعة الرحمن ، وبياناً لأن ذلك الذي قرره من حلمه وإمهاله ، عادته سبحانه من القدم ، وصفته التي كانت ونحن في حيز العدم ، وأنه جبل الإنسان على النقص ، فلو أخذهم بذنوبهم ما ترك عليها من دابة ، فقال عاطفاً على قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ طه: ١١٣ ، أو ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَ ﴾طه: ٩٩ ، مؤكداً لما تقدم فيه وعهد به من أمر القرآن ، ومحذراً من الإخلال بذلك ، ولو على وجه النسيان، ومنجزاً لما وعد به من قص أنباء المتقدمين مما يوافق هذا السياق."[106]

٧. قال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ طه: ١٣٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله - :"رجوع إلى التنويه بشأن القرآن ، وبأنه أعظم المعجزات ، وهو الغرض الذي انتقل منه إلى أغراض مناسبة من قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴾ طه: ١١٣، والمناسبة في الانتقال هو ما تضمنه قوله : ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ طه: ١٣٠، فجيء هنا بشنع من أقوالهم التي أمر الله رسوله بأن يصبر عليها في قوله : ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ ، فمن أقوالهم التي يقصدون منها التعنت والمكابرة أن قالوا : لولا يأتينا بآية من عند ربه فنؤمن برسالته ، كما قال تعالى : ﴿ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾ الأنبياء:

---

(١٠٥) التفسير الكبير ١٠٥/٨ .

(١٠٦) نظم الدرر ٥٠/٥ .

ه."[107]

وقال الرازي -رحمه الله- :"ثم إنه سبحانه بعد هذه الوصية حكى عنهم شبهتهم فكأنه من تمام قوله : ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ طه: ١٣٠، وهي قولهم : ﴿ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ ﴾ طه: ١٣٣، أوهموا بهذا الكلام أنه يكلفهم الإيمان من غير آية ، وقالوا في موضع آخر : ﴿ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾ الأنبياء: ٥ ، وأجاب الله تعالى عنه بقوله : ﴿ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ طه: ١٣٣."[108]

أما البقاعي -رحمه الله- ، فيرى أن موقع الآية هنا للتعجب منهم في كونهم ، لا يذعنون للحق أنفة من المجاهرة بالباطل ، أو خوفاً من سوء العواقب.[109]

ويرى أن العطف في الآية :"لعله عطف على ما يقدر في حيز قوله : ﴿ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ ﴾ طه: ١٢٨ ، من أن يقال ، وقد أبوا ذلك ولم يعدوا شيئاً منه آية."[110]

وهنا أيضاً يتبين مدى التأثير في فهم المناسبة ، ففهم ابن عاشور هنا للمناسبة غير ما ذكره الرازي والبقاعي ، فهو يرى أن الآية ذكرت هنا للتنويه بشأن القرآن وبأنه أعظم المعجزات وأن الانتقال في الآية جاء لبيان شنع من أقوال أعداء الرسول ﷺ وهذا مستفاد من قول الرازي .

فقول الرازي : إن هذه الآية ، هي حكاية لشبهتهم ورد لها ، وهي متممة لقوله تعالى :﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ طه: ١٣٠ .

أما البقاعي فذكر أن المناسبة هي ، للتعجب من كونهم لا يذعنون للحق .

---

(١٠٧) التحرير والتنوير ٣٤٤/١٦ .

(١٠٨) التفسير الكبير ١١٦/٨ .

(١٠٩) ينظر نظم الدرر ٦٠/٥ .

(١١٠) نظم الدرر ٦٠/٥ .

٨. قال تعالى : ﴿ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ طه: ١٣٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- في ختام هذه السورة ، وما فيها من شبيه رد العجز على الصدر :"وقد جاءت خاتمة هذه السورة كأبلغ خواتم الكلام ، لإيذانها بانتهاء المحاجة وانطواء بساط المقارعة ، ومن محاسنها أن فيها شبيه رد العجز على الصدر ، لأنها تنظر إلى فاتحة السورة ، وهي قوله : ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ طه: ٢ ، لأن الخاتمة تدل على أنه قد بلّغ كل ما بعث به من الإرشاد والاستدلال ، فإذا لم يهتدوا به فكفاه انثلاج صدره ، أنه أدى الرسالة والتذكرة ، فلم يكونوا من أهل الخشية ، فتركهم وضلالهم حتى يتبين لهم أنه الحق."(١١١)

وقال البقاعي -رحمه الله- : أن موقع هذه الآية هو جواب عن سؤال مقدر تقديره ما الذي أفعل معهم؟ فقال :"لما علم بهذا أن إيمانهم كالممتنع ، وجدالهم لا ينقطع، بل إن جاءهم الهدى طعنوا فيه ، وإن عذبوا قبله تظلموا ، كان كأنه قيل : فما الذي أفعل معهم؟ فقال : ﴿ قُلۡ كُلّٞ ﴾ طه: ١٣٥."(١١٢)

وفي رد العجز على الصدر قال :"ولما كان صاحب الشيء قد لا يكون عالماً بالشيء ، ولا عاملاً بما يعلم منه ، قال : ﴿ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ أي : من الضلالة فحصل على جميع ما ينفعه ، واجتنب جميع ما يضره ، نحن أم أنتم؟ ولقد علموا يقيناً ذلك يوم فتح مكة المشرفة ، واشتد اغتباطهم بالإسلام ، ودخلوا رغبة في الحلم والكرم ، ورهبة من السيف والنقم(١١٣)، وكانوا بعد ذلك يعجبون من توقفهم عنه ، ونفرتم منه ، وهذا معناه أنه ﷺ ومن اتبعه هم السعداء الأغنياء الراضون في الدنيا والآخرة ، وهو عين قوله

---

(١١١) التحرير والتنوير ٣٤٩/١٦ .

(١١٢) نظم الدرر ٦١/٥ .

(١١٣) ليس كل من دخل في الإسلام يوم فتح مكة كذلك بل القلة القليلة .

تعالى : ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ طه: ٢ ، فقد انطبق الآخر على الأول ، ودل على أن العظيم يعامل بالحلم فلا يعجل."[١١٤]

القول الذي ذكره البقاعي في موقع الآية قول جميل لم يتطرق إلى ذكره ابن عاشور .

أما في مناسبة رد العجز على الصدر فقد أحسن ابن عاشور وأجاد وكان قوله أقوى من قول البقاعي من حيث ربط العجز بالصدر، والله أعلم .

---

(١١٤) نظم الدرر ٦١/٥ .

تمهيد

- **اسـم الـسـورة :** الأنبياء ، ولا يعرف لها اسم آخر .
- **نـوعـهـا :** مكية .
- **ترتيبها في المصحف :** الحادية والعشرون .
- **نظيرها في العدد :** لا نظير لها في العدد .
- **عـدد آيـاتـهـا :** مئة واثنتا عشرة آية ، وقيل إحدى عشرة .[١١٥]

---

(١١٥) ينظر البيان في عد آي القرآن للداني ١٨٧/١ .

أغـراض سـورة الأنـبـيـاء

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"والأغراض التي ذكرت في هذه السور هي :

الإنذار بالبعث ، وتحقيق وقوعه ، وإنه لتحقق وقوعه كان قريباً .

وإقامة الحجة عليه بخلق السماوات والأرض عن عدم ، وخلق الموجودات من الماء.

والتحذير من التكذيب بكتاب الله تعالى ورسوله .

والتذكير بأن هذا الرسول ﷺ ما هو إلا كأمثاله من الرسل ، وما جاء إلا بمثل ما جاء به الرسل من قبله .

وذكْر كثيرٍ من أخبار الرسل -عليهم السلام- .

والتنويه بشأن القرآن ، وأنه نعمة من الله على المخاطبين ، وشأن رسول الإسلام ﷺ ، وأنه رحمة للعالمين .

والتذكير بما أصاب الأمم السالفة من جراء تكذيبهم رسلهم ، وأن وعد الله للذين كذبوا واقع ، ولا يغرهم تأخيره ، فهو جاءٍ لا محالة .

وحذرهم من أن يغتروا بتأخيره ؛ كما اغتر الذين من قبلهم حتى أصابهم بغتة ، وذكر من أشراط الساعة فتح يأجوج ومأجوج .

وذكرهم بما في خلق السماوات والأرض من الدلالة على الخالق .

ومن الإيماء إلى أن وراء هذه الحياة حياة أخرى أتقن وأحكم ، لتجزى كل نفس بما كسبت ، وينتصر الحق على الباطل .

ثم ما في ذلك الخلق من الدلائل على وحدانية الخالق ، إذ لا يستقيم هذا النظام بتعدد الآلهة .

وتنـزيه الله تعالى عن الشركاء وعن الأولاد،والاستدلال على وحدانية الله تعالى.

وما يكرهه أحد على فعل ما لا يريد .

وأن جميع المخلوقات صائرون إلى الفناء ، وأعقب ذلك تذكيرهم بالنعمة الكبرى عليهم ، وهي نعمة الحفظ .

ثم عطف الكلام إلى ذكر الرسل والأنبياء ، وتنظير أحوالهم وأحوال أممهم ؛ بأحوال محمد ﷺ وأحوال قومه ، وكيف نصر الله الرسل على أقوامهم واستجاب دعواتم ، وأن الرسل كلهم جاءوا بدين الله ، وهو دين واحد في أصوله قطّعه الضالون قطّعاً .

وأثنى على الرسل ، وعلى من آمنوا بهم ، وأن العاقبة للمؤمنين في خير الدنيا وخير الآخرة ، وأن الله سيحكم بين الفريقين بالحق ، ويعين رسلـه على تبليغ شرعه."[١١٦]

([١١٦]) التحرير والتنوير ٦/١٧ .

١. مناسبة الافتتاح بقوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ الأنبياء: ١

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"افتتاح الكلام بهذه الجملة أسلوب بديع في الافتتاح؛ لما فيه من غرابة الأسلوب ، وإدخال الروع على المنذَرين ، فإن المراد بالناس مشركو مكة ، والاقتراب مبالغة في القرب ، فصيغة الافتعال الموضوعة للمطاوعة ؛ مستعملة في تحقق الفعل ، أي : اشتد قرب وقوعه بهم."(١١٧)

وخالف ابن عاشور هنا البقاعي ، وابن الزبير(١١٨)، حيث يرى ابن عاشور أن الافتتاح بهذه الجملة من باب غرابة الأسلوب ، وكذلك لإدخال الروع على المنذَرين ، أما البقاعي فيرى أن الافتتاح بهذا ؛ جاء لبيان انتقال الخبر من علم اليقين في سورة طه ؛ إلى عين اليقين وحق اليقين ، وهو يوم الحساب ، وذلك في سورة الأنبياء .

قال البقاعي -رحمه الله- :"لما ختمت طه بإنذارهم بأنهم سيعلمون الشقي والسعيد ، وكان هذا العلم تارة يكون في الدنيا بكشف الحجاب بالإيمان ، وتارة بمعاينة ظهور الدين ، وتارة بإحلال العذاب ؛ بإزهاق الروح بقتل أو غيره ، وتارة ببعثها يوم الدين ، افتتحت هذه بأجل ذلك ، وهو اليوم الذي يتم فيه كشف الغطاء ، فينتقل فيه الخبر من علم اليقين إلى عين اليقين وحق اليقين ، وهو يوم الحساب ، فقال تعالى :

---

(١١٧) التحرير والتنوير ٨/١٧ .

(١١٨) أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين بن الزبير ، الإمام الاستاذ الحافظ أبو جعفر الثقفي العاصمي الغرناطي ، أحد نحاة الأندلس ومحدثيها ، ولد أواخر سنة سبع وعشرين وستمائة ، صنف البرهان في ترتيب سور القرآن ، وملاك التأويل في المتشابه من الآيات ، توفي ابن الزبير سنة ثمان وسبعمائة بغرناطة .[ينظر غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٣٢/١ ؛ وطبقات المفسرين للأدنه وي ص٣٩٧] .

﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ ﴾ الأنبياء: ١."[١١٩]

فيما كان رأي ابن الزبير ؛ الذي نقله عنه البقاعي[١٢٠]-رحمهما الله- هو غير ما ذهب إليه ابن عاشور -رحمه الله- ، فيرى ابن الزبير أن الافتتاح بهذا ؛ جيء به لتأنيس النبي ﷺ ، ففي يوم الحساب يحصل النبي ﷺ وصحبه على ثمرة ما كابدوا في ذات الله -سبحانه وتعالى- ، قال -رحمه الله- بعد أن ذكر التأنيس الحاصل للنبي ﷺ في سورة طه : "ثم ابتدئت سورة الأنبياء ببقية هذا التأنيس ، فبين اقتراب الحساب ، ووقوع يوم الفصل المحمود ، فيه ثمرة ما كوبد في ذات الله ، والمتمنى فيه أن لو كان ذلك أكثر ، والمشقة أصعب ، لجليل الثمرة وجميل الجزاء."[١٢١]

وقول ابن الزبير أبعد من قول البقاعي وابن عاشور في فهم المناسبة ، ويمكن الجمع هنا بين قولي البقاعي وابن عاشور بعبارة أخرى فيقال : الافتتاح بهذه الجملة فيه من غرابة الأسلوب ؛ ما يقرع به آذان السامعين ، وعند الاستماع للآية يقع الروع على المنذَرين ، فينتقل به الحال مما سمع من الخبر إلى حق اليقين ، فكأنه يشاهده .

٢. قال تعالى : ﴿ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴾ الأنبياء: ١١ .

في مناسبة هذه الآية لما قبلها قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف على قوله : ﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ ﴾ الأنبياء: ٦ ، أو على قوله تعالى : ﴿ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ الأنبياء: ٩ ، وهو تعريض بالتهديد .

ومناسبة موقعها أنه بعد أن أخبر أنه صدق رسله وعده ، وهو خبر يفيد ابتداءً

([١١٩]) نظم الدرر ٦٣/٥ .

([١٢٠]) نظم الدرر ٦٤/٥ .

([١٢١]) البرهان في ترتيب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي ص٢٥٥ .

التنويه بشأن الرسل ونصرهم وبشأن الذين آمنوا بهم ، وفيه تعريض بنصر محمد ﷺ وذكر إهلاك المكذبين له تبعاً لذلك ، فأعقب ذلك بذكر إهلاك أمم كثيرة من الظالمين ، ووصف ما حل بهم ليكون ذلك مقصوداً بذاته ابتداءً ؛ اهتماماً به ليقرع أسماعهم ، فهو تعريض بإنذار المشركين بالانقراض بقاعدة قياس المساواة ، وأن الله ينشىء بعدهم أمة مؤمنة كقوله تعالى : ﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾ إبراهيم: ١٩ ."[١٢٢]

مفاد المناسبة عند ابن عاشور هو مفادها عند الرازي ؛ إلا أن ابن عاشور جعل مفَاد السياق تعريضاً بالتهديد إن لم يؤمنوا ، وأما قول الرازي جعله زجراً لهم عما وقعوا فيه .

قال الرازي –رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم تلك الاعتراضات ، وكانت تلك الاعتراضات ظاهرة السقوط ؛ لأن شرائط الإعجاز لما تمت في القرآن ؛ ظهر حينئذ لكل عاقل كونه معجزاً ، وعند ذلك ظهر أن اشتغالهم بإيراد تلك الاعتراضات ، كان لأجل حب الدنيا وحب الرياسة فيها ، فبالغ سبحانه في زجرهم عن ذلك فقال : ﴿ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ ﴾ الأنبياء: ١١."[١٢٣]

ويرى البقاعي -رحمه الله- أن الآية معطوفة على قوله تعالى : ﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ الأنبياء: ١٠[١٢٤]، والذي يظهر من قول البقاعي في العطف هنا ، أن العطف ؛ هو منشأ الاختلاف في العبارات بين الرازي ، وابن عاشور .

٣. قال تعالى : ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٢ .

---

(١٢٢) التحرير والتنوير ٢٣/١٧ .

(١٢٣) التفسير الكبير ١٢٣/٨ .

(١٢٤) ينظر نظم الدرر ٧١/٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما ذكر الاعتبار بخلق الأرض وما فيها ، ناسب بحكم الطباق ذكر خلق السماء عقبه ، إلا أن حالة خلق الأرض فيها منافع للناس ، فعقب ذكرها بالامتنان بقوله تعالى : ﴿ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ الأنبياء: ٣١ ، وبقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ الأنبياء: ٣١."[١٢٥]

وهذا شبيه بقول البقاعي حيث قال -رحمه الله- :"ولما دلهم بالسماوات والأرض على عظمته ، ثم فصل بعض ما في الأرض لملابستهم له ، وخص الجبال لكثرتا في بلادهم ، أتبعه السماء فقال : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ ﴾ الأنبياء: ٣٢."[١٢٦]

٤. قال تعالى : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ الأنبياء:٣٧.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"جملة ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ معترضة بين جملة ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ الأنبياء: ٣٦، وبين جملة ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ ، جعلت مقدمة لجملة ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ .

أما جملة ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ ، فهي معترضة بين جملة ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ الأنبياء: ٣٦ ، وبين جملة ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ الأنبياء: ٣٨ ، لأن قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ الأنبياء: ٣٦ ؛ يثير في نفوس المسلمين تساؤلاً عن مدى إمهال المشركين ، فكان قوله تعالى : ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ استئنافاً بيانياً جاء معترضاً بين

([١٢٥]) التحرير والتنوير ٥٨/١٧ .

([١٢٦]) نظم الدرر ٨١/٥ .

الجُمل التي تحكي أقوال المشركين ، وما تفرع عليها ، فالخطاب إلى المسلمين الذين كانوا يستبطئون حلول الوعيد الذي توعد الله تعالى به المكذبين .

ومناسبة موقع الجملتين ، أن ذكر استهزاء المشركين بالنبي ﷺ ، يهيج حنق المسلمين عليهم ، فيودوا أن ينـزل بالمكذبين الوعيد عاجلاً ، فخوطبوا بالتريث ، وأن لا يستعجلوا ربهم ، لأنه أعلم بمقتضى الحكمة في توقيت حلول الوعيد ، وما في تأخير نزوله من المصالح للدين ، وأهمها مصلحة إمهال القوم حتى يدخل منهم كثير في الإسلام ، والوجه أن تكون الجملة الأولى تمهيداً للثانية."[١٢٧]

أدى الفهم الذي فهمه ابن عاشور للمناسبة هنا ؛ إلى اختلاف في المعنى ، فأثر ذلك على بيان من هم المخاطبون في الآية ، فذهب ابن عاشور إلى أن الخطاب للمسلمين، فيما ذهب الرازي ، والبقاعي إلى أن الخطاب هنا للمشركين .

وقال الرازي -رحمه الله- بعد أن ذكر أن المراد بالإنسان قولان :"أما القول الأول : فتقريره أنهم كانوا يستعجلون عذاب الله تعالى ؛ وآياته الملجئة إلى العلم ؛ والإقرار ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ الأنبياء: ٣٨ ، فأراد زجرهم عن ذلك ، فقدم أولاً ذم الإنسان على إفراط العجلة ، ثم نهاهم وزجرهم ، كأنه قال : لا يبعد منكم أن تستعجلوا ، فإنكم مجبولون على ذلك ، وهو طبعكم ، وسجيتكم ، فإن قيل : مقدمة الكلام لا بد وأن تكون مناسبة للكلام ، وكون الإنسان مخلوقاً من العجل يناسب كونه معذوراً فيه ، فلم رتب على هذه المقدمة قوله : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ، قلنا : لأن العائق كلما كان أشد ، كانت القدرة على مخالفته أكمل ، فكأنه -سبحانه- نبه بهذا على أن ترك الاستعجال حالة شريفة عالية مرغوب فيها."[١٢٨]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان من آيات الأولين التي طلبوها العذاب

([١٢٧]) التحرير والتنوير ٦٧/١٧ .

([١٢٨]) التفسير الكبير ١٤٤/٨ .

بأنواع الهول ، وكانوا هم أيضاً قد طلبوا ذلك واستعجلوا به ﴿ عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا ﴾ ص: ١٦، ونحو ذلك ، وكان الذي جرأهم على هذا حلم الله عنهم بإمهاله لهم ، قال معللاً لذلك : ﴿ خُلِقَ ﴾ وبناه للمفعول ، لأن المقصود بيان ما جبل عليه."(١٢٩)

والذي يتبن هنا أن قول الرازي والبقاعي أولى من قول ابن عاشور ، لأن سياق الآيات في المشركين ، وهو أيضاً رأي أشهر المفسرين(١٣٠)، ولا ينبغي صرفه للمسلمين إلا بدليل ، وابن عاشور هنا لم يذكر دليل صرفه .

وقول ابن عاشور أن الخطاب للمسلمين ، هو مضمون قول ابن كثير(١٣١)، ويدل عليه حديثه عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾(١٣٢)، وهو خلاف قول أشهر المفسرين .

٥. قال تعالى :﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾الأنبياء: ٣٨.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"نشأ عن ذكر استبطاء المسلمين وعد الله بنصرهم على الكافرين ، ذكر نظيره في جانب المشركين ، أنهم تساءلوا عن وقت هذا الوعد تكماً ، فنشأ به القولان ، واختلف الحالان فيكون قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ ، عطفاً على جملة ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي ﴾ الأنبياء: ٣٧ ، وهذا معبر عن مقالة

---

(١٢٩) نظم الدرر ٨٣/٥ .

(١٣٠) ينظر جامع البيان للطبري ٢٨/١٧ ؛ والمحرر الوجيز لابن عطية ٨٢/٤ ؛ وتفسير القرآن للسمعاني ٣٨١/٣.

(١٣١) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، الفقيه الشافعي الحافظ عماد الدين ابن الخطيب شهاب الدين ، وكنيته أبو الفداء ، قال الذهبي إمام محدث ومفت بارع ، ولد في سنة سبعمائة ، ومن مؤلفاته تفسير القرآن العظيم ؛ وفضائل القرآن ؛ والبداية والنهاية ، وغير ذلك ، مات في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة .[ينظر طبقات الحفاظ للسيوطي ص٥٣٤ ؛ وطبقات المفسرين للأدنه وي ص٢٦٠] .

(١٣٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٩٩/٣ .

أخرى من مقالاتم التي يتلقون بها دعوة النبي ﷺ استهزاءً وعناداً .

وذكر مقالتهم هذه هنا ، مناسب لاستبطاء المسلمين النصر ، وبهذا الاعتبار تكون متصلة بجملة ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ الأنبياء: ٣٦ ، فيجوز أن تكون معطوفة عليها."(١٣٣)

فهم ابن عاشور للآية السابقة أثر أيضاً هنا على هذه الآية ، ولكن التأثير حاصل هنا على فهم المناسبة ، والترابط بين الآيتين ، وليس على المعاني والتفسير ، فالجميع يرى أن القائلين هنا ؛ هم المشركون .

٦. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الأنبياء: ٤١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف على جملة ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ الأنبياء:٣٧ تطمين للنبي ﷺ ، وتسلية له."(١٣٤)

قول ابن عاشور هنا اختصار لقول الرازي ، والبقاعي ، فالغرض واحد ، وهو التسلية للنبي ﷺ .

قال الرازي -رحمه الله- :"ثم إنه سبحانه ذكر الوجه الثاني في دفع الحزن عن قلب رسوله فقال : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الأنبياء: ٤١ ، والمعنى ولقد استهزئ برسل من قبلك يا محمد ، كما استهزأ بك قومك ، ﴿ فَحَاقَ ﴾ أي : نزل وأحاط ﴿ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي : عقوبة استهزائهم ، وحاق وحق بمعنى ، كزال وزل ، وفي

---

(١٣٣) التحرير والتنوير ٦٩/١٧ .

(١٣٤) التحرير والتنوير ٧٣/١٧ .

هذا تسلية للنبي ﷺ ، والمعنى : فكذلك يحيق بهؤلاء وبال استهزائهم."[135]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان التقدير حاق بهم هذا باستهزائهم بك ، تبعه ما يدل على أن الرسل في ذلك شرع واحد ، تسلية له ﷺ وتأسية ، فقال عاطفاً على ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ﴾ الأنبياء: ٣٦ ، ﴿ وَلَقَدِ ﴾ مؤكداً له لمزيد التسلية ، بمساواة إخوانه من الرسل ، وبتعذيب أعدائه."[136]

٧. قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ الأنبياء: ٤٧ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"يجوز أن تكون الواو عاطفة هذه الجملة على جملة ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾ الأنبياء: ٤٦ ؛ الآية ، لمناسبة قولهم : ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٤٦ ، ولبيان أنهم مجازون على جميع ما أسلفوه من الكفر وتكذيب الرسول ، بياناً بطريق ذكر العموم بعد الخصوص في المُجازين ، فشابه التذييل من أجل عموم قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ الأنبياء: ٤٧ ، وفي المجازى عليه من أجل قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ الأنبياء: ٤٧.

ويجوز أن تكون الواو للحال من قوله : ﴿ رَبِّكَ ﴾ الأنبياء: ٤٦ ، وتكون نون المتكلم المعظّم ، التفاتاً لمناسبة الجزاء للأعمال ، كما يقال : أدى إليه الكيل صاعاً بصاع، ولذلك فرع عليه قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ .

ويجوز أن تكون الجملة معترضة ، وتكون الواو اعتراضية."[137]

([135]) التفسير الكبير ١٤٦/٨ .

([136]) نظم الدرر ٨٥/٥ .

([137]) التحرير والتنوير ٨٠/١٧ .

هنا نجد أن ابن عاشور استفاد من فهم المناسبة في هذه الآية ؛ من مضمون تفسير الرازي للآية ، فوظفه بعباراته .

قال الرازي -رحمه الله- :"ثم بين سبحانه وتعالى أن جميع ما ينـزل بهم في الآخرة لا يكون إلا عدلاً ، فهم وإن ظلموا أنفسهم في الدنيا ، فلن يظلموا في الآخرة ، وهذا معنى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ ﴾ ، وصفها الله تعالى بذلك ؛ لأن الميزان قد يكون مستقيماً ، وقد يكون بخلافه ، فبين أن تلك الموازين تجري على حد العدل والقسط ، وأكد ذلك بقوله : ﴿ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا ﴾."[138]

فيما كان قول البقاعي هنا ألطف وأجمل في العبارة ، قال البقاعي -رحمه الله- : "ولما بين ما افتتحت السورة ؛ من اقتراب الساعة بالقدرة عليه ، واقتضاء الحكمة له ، وأن كل أحد ميت لا يستطيع شيئاً من الدفع عن نفسه فضلاً عن غيره ، وختمت الآيات بإقرار الظالم بظلمه ، وكانت عادة كثير من الناس الجور عند القدرة ، بين أنه سبحانه بخلاف ذلك ، فذكر بعض ما يفعل في حساب الساعة من العدل ، فقال عاطفاً على قوله: ﴿ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ ﴾ الأنبياء: ٤٠."[139]

٨. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ الأنبياء: ٤٨ .

ذكر ابن عاشور في هذا الموضع مناسبتين ، الأولى عن مناسبة الآية لما قبلها ، والثانية عن سبب البدء بذكر قصة موسى وأخيه -عليهما السلام- ، وهو في هذا لم يخرج عن قول سابقيه في ذكر المناسبة ، فتوسع بالحديث وشمل قول سابقيه .

قال -رحمه الله- :"عطف على جملة ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ ﴾ إلى قوله

([138]) التفسير الكبير ١٤٨/٨ .

([139]) نظم الدرر ٨٧/٥ .

تعالى : ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ الأنبياء: ٥ ، لإقامة الحجة على المشركين بالدلائل العقلية ، والإقناعية ، والزجرية ، ثم بدلائل شواهد التاريخ ، وأحوال الأمم السابقة الشاهدة بتنظير ما أوتيه النبي ﷺ ؛ بما أوتيه سلفه من الرسل والأنبياء ، وأنه ما كان بِدعاً من الرسل في دعوته إلى التوحيد ، تلك الدعوة التي كذبه المشركون لأجلها، مع ما تخلل ذلك من ذكر عناد الأقوام ، وثبات الأقدام ، والتأييد من الملك العلاّم ، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ على ما يلاقيه من قومه ، بأن تلك سنة الرسل السابقين كما قال تعالى : ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾ الإسراء: ٧٧ ، فجاء في هذه الآيات بأخبار من أحوال الرسل المتقدمين .

وفي سوق أخبار هؤلاء الرسل والأنبياء ، تفصيل أيضاً لما بنيت عليه السورة من قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ الأنبياء: ٧ ، الآيات ، ثم قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥ ، ثم قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ﴾ الأنبياء: ٤٥، واتصالها بجميع ذلك اتصال محكم ، ولذلك أعقبت بقوله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ الأنبياء: ٥٠ .

وابتدئ بذكر موسى وأخيه مع قومهما ، لأن أخبار ذلك مسطورة ، في كتاب موجود عند أهله يعرفهم العرب ، ولأن أثر إتيان موسى عليه السلام بالشريعة هو أوسع أثر ، لإقامة نظام أمة يلي عظمة شريعة الإسلام .

وافتتاح القصة بلام القسم المفيدة للتأكيد ؛ لتنـزيل المشركين في جهل بعضهم بذلك ، وذهول بعضهم عنه ، وتناسي بعضهم إياه منـزلة من ينكر تلك القصة .

ومحل التنظير في هذه القصة هو تأييد الرسول ﷺ بكتاب مبين ، وتلقي القوم ذلك

الكتاب بالإعراض والتكذيب .[١٤٠]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما تكلم في دلائل التوحيد ، والنبوة، والمعاد ، شرع في قصص الأنبياء -عليهم السلام-، تسلية للرسول عليه السلام فيما يناله من قومه ، وتقوية لقلبه على أداء الرسالة ، والصبر على كل عارض دونها ، وذكر ههنا منها قصصاً .

القصة الأولى ، قصة موسى عليه السلام ، ووجه الاتصال أنه تعالى لما أمر رسوله ﷺ أن يقول : ﴿ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِ ﴾ الأنبياء: ٤٥ ، أتبعه بأن هذه عادة الله تعالى في الأنبياء قبله فقال : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءً وَذِكۡرًا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ الأنبياء: ٤٨."[١٤١]

قال البقاعي -رحمه الله- :"ولما قدم في قوله ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ مِّن رَّبِّهِم ﴾ الأنبياء: ٢ ؛ الآية ، وغيره أنهم أعرضوا عن هذا الذكر تعللاً بأشياء منها : طلب آيات الأولين ، ونبه على إفراطهم في الجهل بما ردوا من الشرف بقوله : ﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ ﴾ الأنبياء: ١٠ ، ومر إلى أن ختم بالتهديد بعذابه ، وأنه يحكم بالقسط ، وكان كتاب موسى عليه السلام بعد القرآن أعظم الكتب السماوية ، وكان أهل الكتاب قد أعرضوا عنه غير مرة على زمن موسى عليه السلام بعبادة العجل وغيره وبعد موته ، مع كون المرسل به اثنين تعاضدا على إبلاغه وتقرير أحكامه ، بعد أن بهرا العقول بما أتيا به من الآيات ، التي منها -كما بين في سورة البقرة والأعراف- التصرف في العناصر الأربعة ، التي هي أصل الحيوان الذي بدأ الله منها خلقه ، ومقصود السورة الدلالة على إعادته ، ومنها ما عذب به من أعرض عن ذكر موسى وهارون -عليهما السلام- ،الذي هو ميزان العدل لما نشر من الضياء المورث للتبصرة الماحقة للظلام ؛ فلا يقع متبعه في

([١٤٠]) التحرير والتنوير ٨٧/١٧ .

([١٤١]) التفسير الكبير ١٥٠/٨ .

ظلم ، وكان الحساب تفصيل الأمور ، ومقابلة كل منها بما يليق به ، وذلك بعينه هو الفرقان ، قال سبحانه بعد آية الحساب عاطفاً على : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ ﴾ ، ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا ﴾."[142]

٩. قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٥١.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"أعقبت قصة موسى وهارون -عليهما السلام- ، بقصة إبراهيم عليه السلام فيما أوحي إليه من مقاومة الشرك ، ووضوح الحجة على بطلانه ، لأن إبراهيم كان هو المثَل الأول قبل مجيء الإسلام في مقاومة الشرك ، إذ قاومه بالحجة ، وبالقوة ، وبإعلان التوحيد ، إذْ أقام للتوحيد هيكلاً[143] بمكة هو الكعبة ، وبجبل (نابو) من بلاد الكنعانيين حيث كانت مدينةٌ تسمى يومئذ (لوزا) ، ثم بنى بيت ايل ؛ بالقرب من موضع مدينة (أورشليم) ، في المكان الذي أقيم به هيكل سليمان عليه السلام من بعد ، فكانت قصة إبراهيم مع قومه شاهداً على بطلان الشرك ، الذي كان ماثلاً لحال المشركين بمكة ، الذي جاء محمد ﷺ لقطع دابره ، وفي ذكر قصة إبراهيم تورك على المشركين من أهل مكة ، إذ كانوا على الحالة التي نعاها جدهم إبراهيم على قومه ، وكفى بذلك حجة عليهم ، وأيضاً فإن شريعة إبراهيم أشهر شريعة بعد شريعة موسى .

وتأكيد الخبر عنه بلام القَسم ؛ للوجه الذي بيناه آنفاً في تأكيد الخبر عن موسى وهارون ، وهو تنـزيل العرب في مخالفتهم لشريعة أبيهم إبراهيم ، منـزلة المنكر ، لكون إبراهيم أوتي رشداً ، وهدياً .

وكذلك الإخبار عن إيتاء الرشد إبراهيم ، بإسناد الإيتاء إلى ضمير الجلالة ، لمثل

---

(١٤٢) نظم الدرر ٨٨/٥ .

(١٤٣) لا ينبغي أن يطلق على قبلة المسلمين ومهوى أفئدتم هذه العبارة ، وكيف يقارن بها المسميات اليهودية ، فقد نسخت شريعة محمد كل الأديان بعدها ، فليس إلا الإسلام الدين الصحيح .

ما قرر في قصة موسى وهارون ، للتنبيه على تفخيم ذلك الرشد الذي أوتيه."(١٤٤)

قول ابن عاشور هنا مكمل لقول البقاعي ، فالاختلاف يسير ، والمضمون واحد.

قال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان مقصود السورة الدلالة على القدرة على ما استبعده العرب من إعادة الحيوان بعد كونه تراباً ، وبدأ ذكر الأنبياء بمن صرفه في العناصر الأربعة كما تقدم ؛ قص ذلك من التوراة في سورتي البقرة والأعراف ، إشارة إلى من استبعد عليه ما جعله إلى بعض عبيده أعمى الناس ، تلاه من الأنبياء بمن سخر له واحداً من تلك العناصر ، مرتباً لهم على الأخف في ذلك ؛ فالأخف ، على سبيل الترقي، فبدأهم بذكر من سخر له عنصر النار ، مع التنبيه للعرب على عماهم عن الرشد ، بإنكاره للشرك بعبادة الأوثان على أبيه وغيره ، ودعائهم إلى التوحيد ، والمجاهدة في الله على ذلك حق الجهاد ، وهو أعظم آباء الرادين لهذا الذكر ، والمستمسكين بالشرك تقليداً للآباء ، إثباتاً للقدرة الباهرة الدالة على التوحيد ، الداعي إليه جميع هؤلاء الأصفياء ، هذا مع مشاركته بإنزال الصحف عليه لموسى ومحمد -عليهما الصلاة والسلام- ، ومشاركته لهما في الهجرة ، وإذا تأملت ما في سورتي الفرقان ، والشعراء ازداد ما قلته وضوحاً ، فإنه لما أخبر تعالى أنهم قالوا :﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾الفرقان:٣٢ بدأ بقصة موسى الذي كتب له ربه في الألواح من كل شيء ، وقومه مقرون بعظمة كتابه ، وأنه أوتي من الآيات ما بهر العقول ، وكفر به مع ذلك كثير منهم ، ولما قال في الشعراء : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ ﴾ الشعراء: ٥ ؛ كما هنا ، صنع كما صنع هنا من البداءة بقصة موسى عليه السلام ، وإيلائها ذكر إبراهيم عليه السلام."(١٤٥)

١٠. قال تعالى : ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى

---

(١٤٤) التحرير والتنوير ٩٢/١٧ .

(١٤٥) نظم الدرر ٨٩/٥ .

كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴾ الأنبياء: ٧٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف على جملة ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ ﴾ الأنبياء: ٥١ ، وقدم مفعول ﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ ﴾ اهتماماً به ، لينبه على أنه محل العناية ، إذ كان قد تأخر ذكر قصته ، بعد أن جرى ذكره تبعاً لذكر إبراهيم عليه السلام ، تنبيهاً على أنه بعث بشريعة خاصة ، وإلى قوم غير القوم الذين بعث إليهم إبراهيم ، وإلى أنه كان في مواطن غير المواطن التي حلّ فيها إبراهيم ، بخلاف إسحاق ويعقوب -عليهما السلام- في ذلك كله .

ولأجل البعد أُعيد فعل الإيتاء ، ليظهر عطفه على ﴿ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ ﴾ الأنبياء: ٥١ ، ولم يعد في قصة نوح عليه السلام عقب هذه .

وأعقبت قصة إبراهيم ؛ بقصة لوط عليه السلام للمناسبة ، وخص لوط بالذكر من بين الرسل ، لأن أحواله تابعة لأحوال إبراهيم ؛ في مقاومة أهل الشرك ، والفساد ، وإنما لم يذكر ما هم عليه قوم لوط من الشرك ، استغناء بذكر الفواحش الفظيعة التي كانت لهم سنة ، فإنها أثر من الشرك."[١٤٦]

ذكر ابن عاشور في المناسبة هنا لطائف جميلة ، مع توسعٍ أكبر في ذكر المناسبة ، فكلام الرازي ، والبقاعي مختصر جداً ، وقولهما لابن عاشور كاللبنة الأولى لاكتمال البناء .

قال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه بعد بيان ما أنعم به على إبراهيم عليه السلام ، أتبعه بذكر نعمه على لوط عليه السلام ، لما جمع بينهما من قبل."[١٤٧]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان سبحانه قد سخر لصديقه لوط عليه السلام ؛ إهلاك من عصاه في أول الأمر بحجارة الكبريت التي هي من النار ، وفي آخره بالماء الذي

([١٤٦]) التحرير والتنوير ١١١/١٧ .

([١٤٧]) التفسير الكبير ١٦٢/٨ .

هو أقوى من النار ، تلاه به فقال : ﴿ وَلُوطًا ﴾."[148]

١١. قال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨١ .

قول ابن عاشور هنا لم يختلف عن قول سابقيه ، قال -رحمه الله- :"عطف على جملة ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴾ الأنبياء: ٧٩ ، بمناسبة تسخير خارق للعادة في كلتا القصتين معجزة للنبيين -عليهما السلام-."[149]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما ذكر النعم التي خص داود عليه السلام بها ، ذكر بعده النعم التي خص بها سليمان عليه السلام ، وقال قتادة[150]: ورث الله تعالى سليمان من داود ملكه ونبوته ، وزاده عليه أمرين ، سخر له الريح والشياطين."[151]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان قد سخر لابنه سليمان عليه السلام الريح التي هي أقوى من بقية العناصر قال : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ﴾ معبراً باللام لأنها كانت تحت أمره لنفعه ولا إبهام في العبارة."[152]

١٢. قال تعالى : ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

([148]) نظم الدرر ٩٨/٥ .

([149]) التحرير والتنوير ١٢٢/١٧ .

([150]) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز ، وقيل قتادة بن دعامة بن عكابة ، أبو الخطاب الضرير الأكمه ، ولد في سنة ستين ، حافظ العصر وقدوة المفسرين والمحدثين ، أخذ القرآن ومعانيه ، وروى عن أنس بن مالك وعن غيره ، توفي سنة سبع عشرة ومائة.[ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٦٩/٥ ؛ وطبقات المفسرين للأدنه وي ص١٤] .

([151]) التفسير الكبير ١٦٩/٨ .

(١٥٢) نظم الدرر ١٠٢/٥ .

الأنبياء: ٨٥ .

في ذكر المناسبة هنا قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف على ﴿ وَأَيُّوبَ ﴾ الأنبياء: ٨٣ ، أي : وآتينا إسماعيل وإدريس وذا الكفل حكماً وعلماً .

وجمع هؤلاء الثلاثة في سلك واحد ، لاشتراكهم في خصيصة الصبر ، كما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ ، جرى ذلك لمناسبة ذكر المثل الأشهر في الصبر وهو أيوب."(١٥٣)

لم يزد ابن عاشور في هذه المناسبة على ما قاله الرازي شيئاً ، في حين أن البقاعي قد خص الحديث في المناسبة بإسماعيل منفرداً دون من تلاه ، وذكر أن العطف للتشريف.

قال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما ذكر صبر أيوب عليه السلام ، وانقطاعه إليه ، أتبعه بذكر هؤلاء ، فإنهم كانوا أيضاً من الصابرين على الشدائد ، والمحن ، والعبادة."(١٥٤)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"وأتبعه سبحانه بمن أنبع له من زمزم ماءً باقياً شريفاً ، إشارة إلى شرفه ، وشرف ولده خاتم الرسل ، ببقاء رسالته ، ومعجزته."(١٥٥)

١٣. قال تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٧ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف على ﴿ وَذَا ٱلْكِفْلِ ﴾ الأنبياء: ٨٥ ، وذكر ذي النون في جملة من خصوا بالذكر من الأنبياء لأجل ما في قصته من الآيات في الالتجاء

---

(١٥٣) التحرير والتنوير ١٢٨/١٧ .

(١٥٤) التفسير الكبير ١٧٦/٨ .

(١٥٥) نظم الدرر ١٠٤/٥ .

إلى الله ، والندم على ما صدر منه من الجزع ، واستجابة الله تعالى له."[156]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ثم أتبعهم من هو أغرب حالاً منهم في الحفظ فقال ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾."[157]

قول البقاعي في فهم المناسبة أدق من قول ابن عاشور ، فالآية السابقة دل مضمونها على حفظ الله للأنبياء المذكورين وذلك بقوله : ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ﴾الأنبياء: ٨٦ ، فلذلك أتبعهم بذكر من هو أشد غرابة منهم في الحفظ ، وهو ذي النون عليه السلام ، فإن الله حفظه في بطن الحوت كما حفظه من لجج البحر .

١٤. قال تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٩ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"كان أمر زكرياء الذي أشار إليه قوله : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ ﴾ ، آية من آيات الله في عنايته بأوليائه المنقطعين لعبادته فخص بالذكر لذلك."[158]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان حاصل أمر يونس عليه السلام ، أنه خرج من بطن لم يعهد الخروج من مثله ، عطف عليه قصة زكريا عليه السلام في هبته له ولداً من بطن لم يعهد الحمل من مثله في العقم واليأس ، ناظراً إلى أبيه إبراهيم عليه السلام ، أول من ذكر تصريفه في أحاد العناصر ؛ فيما اتفق له من مثل ذلك في ابنه إسحاق عليه السلام ، تكريراً

([156]) التحرير والتنوير ١٣٠/١٧ .

([157]) نظم الدرر ١٠٥/٥ .

([158]) التحرير والتنوير ١٣٥/١٧ .

لأعلام القيامة ، وتقريراً للقدرة التامة."[159]

ما أورده البقاعي في ذكر المناسبة هنا ، رابط جميل واستنتاج رائع أقوى وأدق من قول ابن عاشور ، فالمناسبة التي ذكرها ابن عاشور عامة ، ويمكن ذكرها بين الآيات السابقات في قصص الأنبياء مع تغيير في الجمل .

١٥. قال تعالى : ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء: ٩١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما انتهى التنويه بفضل رجال من الأنبياء ، أعقب بالثناء على امرأة نبية ، إشارة إلى أن أسباب الفضل غير محجورة ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ ﴾ الأحزاب: ٣٥ الآية ، هذه هي مريم ابنة عمران."[160]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما استدل على الساعة ؛ بما وهب لهؤلاء القوم ؛ من أهل الطاعة من التصرف في العناصر وغيرها ، إلى أن ذكر أنه خرق العادة في إبداع يحيى عليه السلام بين والدين لا يولد لمثلهما ، لأن أباه زكريا عليه السلام ، كان قد صار إلى حالة الكبر ويبس من الأعضاء عظيمة ، وأمه كانت - مع وصولها إلى مثل تلك الحال - عاقراً في حال شبابها ، تلاه بإبداع ابن خالته عيسى عليه السلام ، الذي هو علم للساعة على حال أغرب من حاله ، فأخرجه من أنثى بلا ذكر ، إشارة إلى قرب الوقت لضعف الأمر ، كضعف الأنثى بالنسبة إلى الذكر ، فقال : ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا ﴾."[161]

الاختلاف في مريم -عليها السلام- هل هي نبية أم لا ؟ ، أدى إلى ذكر المناسبة

([159]) نظم الدرر ١٠٧/٥ .

([160]) التحرير والتنوير ١٣٧/١٧ .

([161]) نظم الدرر ١٠٨/٥ .

على هذا الوجه عند ابن عاشور ، وهو في هذا يخالف جمهور الناس في أنه لم تنبأ امرأة(١٦٢).

وقد أحسن البقاعي في ذكر المناسبة ، والرابط في هذه الآية .

١٦. قال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ الأنبياء: ١٠٤.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"جملة مستأنفة قصد منها إعادة ذكر البعث ، والاستدلال على وقوعه وإمكانِه إبطالاً لإحالة المشركين وقوعه ، بعلة أن الأجساد التي يدعي بعثها قد انتابها الفناء العظيم ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ الرعد: ٥ ، والمناسبة في هذا الانتقال هو ما جرى من ذكر الحشر ، والعقاب ، والثواب ، من قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ الآية."(١٦٣)

وقال البقاعي -رحمه الله- بعد ما ذكر حال الفريقين :"ولما كانت هذه الأفعال على غاية من الأهوال ، تتشوف بها النفس إلى معرفة اليوم الذي تكون فيه ، قال تعالى شافياً لعي هذا السؤال ، زيادة في تهويل ذلك اليوم لمن له وعي."(١٦٤)

في فهم المناسبة هنا اختلاف بين ابن عاشور والبقاعي ، فالفهم الذي فهمه ابن عاشور هنا راجع إلى ربط الآية بغرض من الأغراض الأساسية للسورة ، دفعه إلى ذلك ما ذُكر من الحشر والعقاب في الآيات السابقات ، أما البقاعي فيرى أن الآية : جواب عن سؤال مقدر تقديره متى هذا اليوم ، فكان الجواب ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ ﴾ ، وهذا هو

---

(١٦٢) ينظر المحرر الوجيز لابن عطية ٤٣٤/١ ؛ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٣٤٩/٢ .

(١٦٣) التحرير والتنوير ١٥٧/١٧ .

(١٦٤) نظم الدرر ١١٥/٥ .

وجه الربط .

وكلا المناسبتين جميل من حيث ما ذكرا من موقع الآية .

١٧. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ الأنبياء: ١٠٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"إن كان المراد بالأرض أرض الجنة كما في قوله تعالى في سورة الزمر : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾ الزمر: ٧٣ - ٧٤ ، فمناسبة ذكر هذه الآية عقب التي تقدمتها ظاهرة ، ولها ارتباط بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ﴾ الأنبياء: ٤٤.

وإن كان المراد أرضاً من الدنيا ، أي : مصيرها بيد عباد الله الصالحين ، كانت هذه الآية مسوقة لوعد المؤمنين بميراث الأرض التي لقوا فيها الأذى ، وهي أرض مكة وما حولها ، فتكون بشارة بصلاح حالهم في الدنيا ، بعد بشارتم بحسن مآلهم في الآخرة ، على حد قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ النحل: ٩٧."(١٦٥)

ومما تقدم تبين أنه نشأ باختلاف المراد بالأرض الاختلاف في المناسبتين ، فلكل معنى مناسبة ، والأشياء بضدها تتبين ، ففي اختلاف المعاني ظهرت مناسبتان ، والعكس صحيح كما مر معنا في قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ الأنبياء: ٣٧ ، فقد ذُكرت مناسبتان اختلف باختلافهما المعنى .

---

(١٦٥) التحرير والتنوير ١٦١/١٧ .

وقال البقاعي -رحمه الله- في المناسبة للآية :"ولما ذكر صدقه في الوعد ، وسهولة الأفعال عليه ، وكان من محط كثير مما مضى ، أن من فعل ما لا يرضي الله غير عليه ، كائناً من كان ، ومن فعل ما أمره به نصره وأيده ولو بعد حين ، كما أشير إليه بقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾الأنبياء: ٤ ، وما بعده من أشكاله ، حتى ختم بقوله : ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا ﴾ الأنبياء: ٤٤ الآية ، قال تعالى عاطفاً على ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾الأنبياء: ١٠ ، وما عطف عليه من أشباهه مذكراً بما وعد على لسان داود عليه السلام."[١٦٦]

الاختلاف في فهم المناسبة بين ابن عاشور ، والبقاعي يسير في الجملة ، فقول ابن عاشور في المناسبة هو أنه : وعد من الله بتوريث الأرض لعباده الصالحين ، وبشارة بصلاح حالهم في الدنيا ، بعد البشارة بحسن مآلهم في الآخرة في الآيات السابقات .

في حين يرى البقاعي أن المناسبة ، تذكير بالوعد على لسان داوود عليه السلام ، وموقع الآية العطف على الشبيه .

ولم يذكر البقاعي إلا مناسبة واحدة ، لأنه يرى أن المراد بالأرض اسم جنس لكل أرض في الدنيا ، والمحشر ، والآخرة ، وغير ذلك[١٦٧].

وقول ابن عاشور في ذكر المناسبتين أدق ، فليس كل أرض تورث كما ذكر البقاعي ، فإن أرض المحشر ليس لأحد فيها نصيب ، فالملك يومئذ لله سبحانه، ولا إرث فيها ، فالناس فيها سواسية حفاة عراة ، حتى يحصل الفصل ، ويتميز الفريقان.

١٨. قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء: ١٠٧ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"أقيمت هذه السورة على عماد إثبات الرسالة

---

(١٦٦) نظم الدرر ١١٧/٥ .

(١٦٧) ينظر نظم الدرر ١١٧/٥ .

لمحمد ﷺ ، وتصديق دعوته ، فافتتحت بإنذار المعاندين باقتراب حسابهم ، ووشك حلول وعد الله فيهم ، وإثبات رسالة محمد ﷺ ، وأنه لم يكن بدعاً من الرسل ، وذُكروا إجمالاً، ثم ذُكرت طائفة منهم على التفصيل ، وتخلل ذلك بمواعظ ودلائل .

وعطفت هذه الجملة على جميع ما تقدم من ذكر الأنبياء ؛ الذين أوتوا حكماً وعلماً ، وذكر ما أوتوه من الكرامات ، فجاءت هذه الآية مشتملة على وصف جامع لبعثة محمد ﷺ ، ومزيتها على سائر الشرائع ؛ مزية تناسب عمومها ودوامها ، وذلك كونها رحمة للعالمين ، فهذه الجملة عطف على جملة ﴿ وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء: ٩١ ، ختاماً لمناقب الأنبياء ، وما بينهما اعتراض واستطراد .

ولهذه الجملة اتصال بآية ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ الأنبياء: ٣."(١٦٨)

وقال البقاعي -رحمه الله- بعد أن تحدث عن قوله تعالى :﴿ إِنَّ فِى هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴾ قال :"ولما كان هذا مشيراً إلى رشادهم ؛ فكان التقدير ، فما أرسلناك إلا لإسعادهم ، والكفاية لهم في البلاغ إلى جنات النعيم ، عطف عليه ما يفهم سبب التأخير ، لإنجاز ما يستعجله غير العابدين من العذاب ، فقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ ﴾."(١٦٩)

في فهم المناسبة هنا رجع ابن عاشور إلى أغراض السورة وبنى عليها المناسبة ، أما البقاعي فقد نظر للآية التي قبلها ، وكلٌ حسن من جهته ، والله أعلم .

---

(١٦٨) التحرير والتنوير ١٦٤/١٧ .

(١٦٩) نظم الدرر ١٢٥/٥ .

المبحث الثالث : سورة الحج .
وفيه تمهيد ، ومطلبان

المطلب الأول : أغراض السورة

المطلب الثاني : مناسبات الآيات

تمهيد

- **اسـم الـسـورة :** الحج ولم يرد لها اسم آخر .
- **نـوعـهـا :** اختلف في سورة الحج ، هل هي مكية ، أم مدنية؟
فقال بعضهم مكية إلا ثلاث آيات ، وقال بعضهم هي مدنية إلا آيات ، وقيل إنها مدنية ، وقال الجمهور هذه السورة بعضها مكي ، وبعضها مدني ، وهي مختلطة أي : لا يعرف المكي بعينه ، ولا المدني بعينه .(١٧٠)
- **ترتيبها في المصحف :** الثانية والعشرون .
- **عـدد آيـاتـهـا :** وهي سبعون وأربع آيات ، وقيل خمس ، وقيل ست ، وقيل سبع ، وقيل ثمان .(١٧١)
- **نظيرها في الـعدد :** سورة الرحمن .

---

(١٧٠) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ١٠٥/٤ .

(١٧١) ينظر البيان في عد آي القرآن للداني ١٨٩/١ .

أغـراض سـورة الحـج

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"ومن أغراض هذه السورة :

خطاب الناس بأمرهم أن يتقوا الله ، ويخشوا يوم الجزاء وأهواله .

والاستدلال على نفي الشرك .

وخطاب المشركين بأن يقلعوا عن المكابرة في الاعتراف بانفراد الله تعالى بالإلهية ، وعن المجادلة في ذلك ؛ اتباعاً لوساوس الشياطين ، وأن الشياطين لا تغني عنهم شيئا ، ولا ينصرونهم في الدنيا ولا في الآخرة .

وتفظيع جدال المشركين في الوحدانية ؛ بأنهم لا يستندون إلى علم ، وأنهم يعرضون عن الحجة ليضلوا الناس .

وأنهم يرتابون في البعث ، وهو ثابت لا ريبة فيه ، وكيف يرتابون فيه بعلة استحالة الإحياء بعد الإماتة ، ولا ينظرون أن الله أوجد الإنسان من تراب ثم من نطفة ثم طوره أطوارا .

وأن الله ينـزل الماء على الأرض الهامدة فتحيى ، وتخرج من أصناف النبات ، فالله هو القادر على كل ذلك ، فهو يحيي الموتى ، وهو على كل شيء قدير .

وأن مجادلتهم بإنكار البعث صادرة عن جهالة ، وتكبر عن الامتثال لقول الرسول ﷺ .

ووصف المشركين بأنهم في تردد من أمرهم في اتباع دين الإسلام .

والتعريض بالمشركين بتكبرهم عن سنة إبراهيم عليه السلام ، الذي ينتمون إليه ، ويحسبون أنهم حماة دينه ، وأمناء بيته ، وهم يخالفونه في أصل الدين .

وتذكير لهم بما من الله عليهم في مشروعية الحج من المنافع ، فكفروا نعمته .

وتنظيرهم في تلقي دعوة الإسلام بالأمم البائدة ، الذين تلقوا دعوة الرسل

بالإعراض والكفر ، فحل بهم العذاب .

وأنه يوشك أن يحل بهؤلاء مثله ، فلا يغرهم تأخير العذاب ، فإنه إملاء من الله لهم ، كما أملى للأمم من قبلهم ، وفي ذلك تأنيس للرسول ﷺ والذين آمنوا ، وبشارة لهم بعاقبة النصر على الذين فتنوهم وأخرجوهم من ديارهم بغير حق .

وأن اختلاف الأمم بين أهل هدى وأهل ضلال ، أمر به افترق الناس إلى ملل كثيرة .

وأن يوم القيامة هو يوم الفصل بينهم ، لمشاهدة جزاء أهل الهدى وجزاء أهل الضلال .

وأن المهتدين والضالين ؛ خصمان اختصموا في أمر الله ، فكان لكل فريق جزاؤه.

وسلى الله رسوله ﷺ والمؤمنين ، بأن الشيطان يفسد في قلوب أهل الضلالة آثار دعوة الرسل ، ولكن الله يحكم دينه ، ويبطل ما يلقي الشيطان ، فلذلك ترى الكافرين يعرضون وينكرون آيات القرآن .

وفيها التنويه بالقرآن ، والمتلقين له بخشية وصبر ، ووصف الكفار بكراهيتهم القرآن ، وبغض المرسل به ، والثناء على المؤمنين ، وأن الله يسر لهم اتباع الحنيفية وسماهم المسلمين .

والإذن للمسلمين بالقتال ، وضمان النصر ، والتمكين في الأرض لهم .

وختمت السورة بتذكير الناس بنعم الله عليهم ، وأن الله اصطفى خلقاً من الملائكة ومن الناس ، فأقبل على المؤمنين بالإرشاد إلى ما يقربهم إلى الله زلفى ، وأن الله هو مولاهم وناصرهم."[١٧٢]

---

(١٧٢) التحرير والتنوير ١٨٣/١٧ .

مـنـاسـبـات الآيـات في سـورة الحـج

١. قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ الحج: ١٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"موقع هذه الآية غامض ، ومفادها كذلك ، ولنبدأ ببيان موقعها ، ثم نتبعه ببيان معناها ، فإن بين موقعها ومعناها اتصالاً .

فيحتمل أن يكون موقعها استئنافاً ابتدائياً ؛ أُريد به ذكر فريق ثالث غير الفريقين المتقدمين في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ الحج: ٨ ؛ الآية ، وقوله : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ الحج: ١١ ، وهذا الفريق الثالث : جماعة أسلموا واستبطئوا نصر المسلمين ، فأيسوا منه ، وغاظهم تعجلهم للدخول في الإسلام ، وأن لم يتريثوا في ذلك ، وهؤلاء هم المنافقون .

ويحتمل أن يكون موقعها تذييلاً لقوله : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ الحج: ١١ ؛ الآية ، بعد أن اعترض بين تلك الجملة ، وبين هاته بجمل أخرى ، فيكون المراد : أن الفريق الذين يعبدون الله على حرف ، والمخبر عنهم بقوله : ﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَ﴾ الحج: ١١ ، هم قوم يظنون أن الله لا ينصرهم في الدنيا ، ولا في الآخرة إنْ بقُوا على الإسلام."[١٧٣]

وقال البقاعي -رحمه الله- :" ولما أفهم ما تقدم أن هذا الإله المدعو إليه قادر على كل من النفع والضر بالاختبار ، وأن تجويز الوقوع لكل منهما منه على حد سواء ، نبه

---

(١٧٣) التحرير والتنوير ٢١٧/١٧ .

على ذلك بقوله مستأنفاً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾."[١٧٤]

قول البقاعي الذي ربط به الآيات سبقت جميل جداً وذلك بأن الله يدلل على هذه القدرة سبحانه .

وقول ابن عاشور الثاني ، في أن الآية تذييل لما قبلها ؛ قول حسن .

أما القول الأول ، فعلى حسب الخلاف في السورة ، هل هي مكية أم مدنية؟ فإن كانت الآية من المدني ؛ فالمناسبة حسنة ، وإن كانت من المكي ، فكيف يكون الحديث عن فريق لم يتكون بعد ، إن كان المراد المنافقين ، وإن كان غيرهم ممن أسلم ثم ارتد ، فهو أقرب ، والله أعلم .

٢. قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴾ الحج: ١٦ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما تضمنت هذه الآيات تبيين أحوال الناس تجاه دعوة الإسلام بما لا يبقى بعده التباس ، عقبت بالتنويه بتبيينها بأن شبه ذلك التبيين بنفسه، كناية عن بلوغه الغاية في جنسه ، بحيث لا يلحق بأوضح منه ، أي : مثل هذا الإنزال أنزلنا القرآن آيات بينات.

فالجملة معطوفة على الجُمل التي قبلها ، عطف غرض على غرض ، والمناسبة ظاهرة ، فهي استئناف ابتدائي ، وعطف على التنويه تعليل إنزاله كذلك ، بأن الله يهدي من يريد هديه ؛ أي : بالقرآن ، فلام التعليل محذوفة ، وحذف حرف الجر مع (أن) مطّرد."[١٧٥]

قول ابن عاشور هنا كقول البقاعي في المعنى ، وهو التنويه بالقرآن وبعظمته

([١٧٤]) نظم الدرر ١٣٩/٥ .

([١٧٥]) التحرير والتنوير ٢٢١/١٧ .

وإعجازه ، وأن لا مثيل له ، وأنه آيات بينات ، يهدي به الله من يريد هدايته .

وهذا قول البقاعي -رحمه الله- قال :"ولما بين سبحانه هذه الآيات المرئية ، في هذه الأساليب العلية ، هذا البيان الشافي الهادي بإعجاز حكمه ، بين أنه معجز أيضاً بنظمه."(١٧٦)

٣. قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ الحج: ١٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"جملة مستأنفة ؛ لابتداء استدلال على انفراد الله تعالى بالإلهية ، وهي مرتبطة بمعنى قوله : ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ﴾، إلى قوله : ﴿ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ الحج: ١٢ - ١٣ ، ارتباط الدليل بالمطلوب ، فإنّ دلائل أحوال المخلوقات كلها ؛ عاقلها وجمادها ، شاهدة بتفرد الله بالإلهية ، وفي تلك الدلالة شهادة على بطلان دعوة من يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه .

وما وقع بين هاتين الجملتين استطراد ، واعتراض."(١٧٧)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان جميع ما تقدم في هذه السورة دالاً على أنه على كل شيء قدير ، وأنه يفعل ما يريد ، وختم ذلك بأنه بكل شيء عليم ، لم يغب ولا يغيب شيء عنه ، فاقتضى ذلك قيوميته ، وكان بحيث يستعظم لكثرة الخلائق ، فكيف بأحوالهم ، قرر ذلك في جواب من كأنه سأل ، فهي في معنى العلة ، فقال :

---

(١٧٦) نظم الدرر ١٣٩/٥ .

(١٧٧) التحرير والتنوير ٢٢٥/١٧ .

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾."[178]

منشأ الاختلاف بين ابن عاشور والبقاعي ، هو الوجه الذي ربطت به الآية ، فابن عاشور ربطها بقوله تعالى : ﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ﴾، إلى قوله : ﴿ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴾ الحج: ١٢ - ١٣ ، فناسب أن تكون الآية برهاناً على الألوهية .

وربطها البقاعي بالآيات الدالة على قدرته -سبحانه-، وأنه يفعل ما يريد ، وأنه بكل شيء عليم ، فجاءت الآية جواباً عن سؤال مقدر ، من هو هذا العظيم؟ فكان الجواب ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ الحج: ١٨.

٤. قال تعالى : ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴾ الحج: ١٩ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"مقتضى سياق السورة ، واتصال آي السورة ، وتتابعها في النـزول ، أن تكون هذه الآيات ؛ متصلة النـزول بالآيات التي قبلها ، فيكون موقع جملة ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ﴾ موقع الاستئناف البياني ، لأن قوله : ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُ ﴾ الحج: ١٨ ، يثير سؤال من يسأل عن بعض تفصيل صفة العذاب الذي حق على كثير من الناس ؛ الذين لم يسجدوا لله تعالى ، فجاءت هذه الجملة لتفصيل ذلك ، فهي استئناف بياني ، فاسم الإشارة المثنى مشير إلى ما يفيده قوله تعالى :

([178]) نظم الدرر ١٤١/٥ .

﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ من انقسام المذكورين إلى فريقين ، أهل توحيد وأهل شرك كما يقتضيه قوله : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ من كون أولئك فريقين ، فريق يسجد لله تعالى وفريق يسجد لغيره ، فالإشارة إلى ما يستفاد من الكلام بتنـزيله منـزلة ما يشاهد بالعين ، ومثلها كثير في الكلام."[179]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما قسم الناس إلى مخالف ومؤالف ، أتبعه جزاءهم بما يرغب المؤالف ، ويرهب المخالف ، على وجه موجب للأمر بالمعروف ، الذي من جملته الجهاد لوجهه خالصاً فقال : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ﴾."[180]

لا خلاف بين ابن عاشور والبقاعي ، في ذكر المناسبة ، ووجه الربط بين الآيتين ، والمعنى واحد ، إلا أن البقاعي زاد وربط الآية بسبب النـزول المذكور في الآية أيضاً ، مما جعله يذكر الجهاد هنا .

٥. قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الحج: ٢٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"هذا مقابل قوله ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ الحج: ٢٤ ، بالنسبة إلى أحوال المشركين ؛ إذ لم يسبق لقوله ذلك مقابل في الأحوال المذكورة في آية ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ الحج: ٢٤، كما تقدم ، فموقع هذه الجملة الاستئناف البياني ، والمعنى : كما كان سبب استحقاق المؤمنين ذلك النعيم ؛ اتباعهم صراط الله ، كذلك كان سبب استحقاق المشركين ذلك العذاب ؛ كفرهم وصدهم عن

([179]) التحرير والتنوير ٢٢٧/١٧ .

([180]) نظم الدرر ١٤٢/٥ .

سبيل الله .

وفيه مع هذه المناسبة لما قبله ، تخلّص بديع إلى ما بعده ؛ من بيان حق المسلمين في المسجد الحرام ، وتويل أمر الإلحاد فيه ، والتنويه به ، وتنـزيهه عن أن يكون مأوى للشرك ورجس الظلم والعدوان."[181]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى بعد أن فصل بين الكفار والمؤمنين ، ذكر عظم حرمة البيت ، وعظم كفر هؤلاء."[182]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما بين ما للفريقين ، وتضمن ما للفريق الثاني بيان أعمالهم ؛ الدالة على صدق إيمانهم ، كرر ذكر الفريق الأول ، لبيان ما يدل على استمرار كفرهم ، ويؤكد بيان جزائهم."[183]

المعنى الذي ذكره الرازي ، هو ما ذهب إليه ابن عاشور في ذكر التخلص .

أما البقاعي فقد ذكر أن المناسبة ، تكرار للتأكيد على الاستمرار في الكفر ، وبيان جزائهم .

وفهم ابن عاشور أدق من قول البقاعي ، وأشمل من قول الرازي .

٦. قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾ الحج: ٣٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"استئناف بياني جواباً لسؤال يخطر في نفوس المؤمنين ، ينشأ من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الحج: ٢٥؛ الآية ، فإنه توعد المشركين على صدهم عن سبيل الله والمسجد الحرام ؛ بالعذاب

([181]) التحرير والتنوير ٢٣٥/١٧ .

([182]) التفسير الكبير ٢١٦/٨ .

([183]) نظم الدرر ١٤٥/٥ .

الأليم ، وبشر المؤمنين المخبتين والمحسنين بما يتبادر منه ضد وعيد المشركين ، وذلك ثواب الآخرة ، وطال الكلام في ذلك بما تبعه ، لا جرم تشوفت نفوس المؤمنين إلى معرفة عاقبة أمرهم في الدنيا ، وهل ينتصر لهم من أعدائهم ، أو يدخر لهم الخير كله إلى الدار الآخرة ، فكان المقام خليقاً بأن يطَمئن الله نفوسهم ، بأنه كما أعد لهم نعيم الآخرة ، هو أيضاً مدافع عنهم في الدنيا وناصرهم."(١٨٤)

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما بين ما يلزم الحج ومناسكه ، وما فيه من منافع الدنيا والآخرة ، وقد ذكرنا من قبل أن الكفار صدوهم ، أتبع ذلك ببيان ما يزيل الصد ، ويؤمن معه التمكن من الحج ، فقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾."(١٨٥)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ذكر -سبحانه- الحج المذكر للمهاجرين بأوطانهم ، بعد المخاصمة التي أنزلت في غزوة بدر ، وذكر ما يفعل فيه من القربات ، عظُم اشتياق النفوس إلى ذلك ، وتذكرت علو المشركين ؛ الذي يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام ، وظهورهم ومنعهم لمن أراد هذه الأفعال ، على هذه الأوصاف الخالصة والأحوال الصالحة ، وفتنتهم له ، فأجابها سبحانه عن هذا السؤال بقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾."(١٨٦)

الفهم الذي فهمه ابن عاشور في ذكره للمناسبة ، قريب من قول البقاعي ، إلا أن في عباراتم اختلافاً كبيرا .

أما الرازي فقد حصر الأمر في إزالة الصد ، وعلى التمكن من الحج ، وهو حسن، ولكن الأمر أوسع من ذلك ، ولا يجب حصره ، والتعميم أولى ، فالله يدافع عن الذين آمنوا في كل زمان ومكان .

---

(١٨٤) التحرير والتنوير ٢٧١/١٧ .

(١٨٥) التفسير الكبير ٢٢٨/٨ .

(١٨٦) نظم الدرر ١٥٦/٥ .

٧. قال تعالى :﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ الحج: ٤٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"تفرع ذكر جملة ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ ﴾ ، على جملة ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ الحج: ٤٤ ، فعطفت عليها بفاء التفريع والتعقيب في الذكر لا في الوجود ، لأن الإملاء لكثير من القرى ثم أخذها بعد الإملاء لها ، يبين كيفية نكير الله وغضبه على القرى الظالمة ويفسره ، فناسب أن يذكر التفسير عقب المفسر بحرف التفريع ، ثم هو يفيد بما ذكر فيه من اسم كثرة العدد شمولاً للأقوام الذين ذُكروا من قبل في قوله : ﴿ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ الحج: ٤٢ ؛ إلى آخره ، فيكون لتلك الجملة بمنـزلة التذييل."[١٨٧]

وقال الرازي -رحمه الله- :"فكأنه تعالى لما بين حال قوم من المكذبين ، وأنه عجل إهلاكهم ، أتبعه بما دل على أن لذلك أمثالاً ، وإن لم يذكر مفصلاً."[١٨٨]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كانت هذه الأمم السبعة أكثر أهل الأرض ، بل كانت أمة منهم أهل الأرض كما مضى بيانه في الأعراف[١٨٩]، فكيف بمن عداهم ممن كان في أزمانهم وبعدهم ، وأخبر سبحانه وتعالى أن عادته فيهم الإملاء ثم الإهلاك ، تسبب عن ذلك تويل الإخبار عنهم وتكثيرهم ، فقال تعالى شارحاً للأخذ والإمهال على طريق النشر المشوش : ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا ﴾ ، كهؤلاء المذكورين وغيرهم."[١٩٠]

---

(١٨٧) التحرير والتنوير ٢٨٥/١٧ .

(١٨٨) التفسير الكبير ٢٣٢/٨ .

(١٨٩) ينظر نظم الدرر ٤٧/٣ .

(١٩٠) نظم الدرر ١٥٩/٥ .

حاصل الأقوال في المناسبة أنها تتكون من جزئين ، الأول : أن المذكورين في الآيات الماضية مثَل ، وليسوا هم كل المكذبين ، الثاني : بيان كيفية الإهلاك .

فابن عاشور هنا ينقل عن سابقيه في فهم المناسبة ، فقوله كقول البقاعي ، أما الرازي فقد تحدث عن أحد جزئي المناسبة ، وهو أن هذا مثَل من أمثال الأمم الظالمة .

٨. قال تعالى : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ الحج: ٤٧ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف على جملة ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ ﴾ الحج: ٤٢، عطف القصة على القصة ، فإن من تكذيبهم أنهم كذبوا بالوعيد ، وقالوا : لو كان محمد صادقاً في وعيده لعجل لنا وعيده ، فكانوا يسألونه التعجيل بنـزول العذاب استهزاءً ، كما حكى الله عنهم في قوله : ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الأنفال:٣٢. وقال : ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ السجدة: ٢٨ ، فذكر ذلك في هذه الآية بمناسبة قوله : ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ الحج: ٤٤."[١٩١]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما قدم سبحانه أن الضال المضل له خزي في الدنيا، وقدم أنه يدفع عن الذين آمنوا وينصرهم ، وساق الدليل الشهودي على ذلك لمن كان جامد الفهم مقيداً بالوهم ، بالقرى الظالمة التي أنجز هلاكها ، وختم بإنكار عماهم عن ظاهر الآيات البينات ، قال عاطفاً على ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ ﴾ ، معجباً منهم وموضحاً لعماهم : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ ﴾."[١٩٢]

([١٩١]) التحرير والتنوير ٢٩٠/١٧ .

([١٩٢]) نظم الدرر ١٦١/٥ .

قول ابن عاشور في ذكر المناسبة هنا ، أنها من باب العطف ، فعطف تكذيبهم للرسول ﷺ باستعجالهم العذاب ، على تكذيب الأمم السابقة لرسلهم -عليهم السلام-، وذكْر الاستعجال هنا مقابل إملاء الله لهم قال تعالى : ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

وقول البقاعي في ذكر المناسبة ، أنها للتعجب من حالهم ، ولإيضاح عماهم .

وكلا المناسبتين حسنة من حيث ما ذكرا ، فالعطف هو سبب الاختلاف في ذكر المناسبة .

٩. قال تعالى : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ الحج: ٥٦ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"آذنت الغاية التي في قوله : ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ الحج: ٥٥ ، أن ذلك وقت زوال مرية الذين كفروا ، فكان ذلك منشأ سؤال سائل عن صورة زوال المرية ، وعن ماذا يلقونه عند زوالها ، فكان المقام أن يجاب السؤال بجملة ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ ، إلى آخر ما فيها من التفصيل ، فهي استئناف بياني."(١٩٣)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كانوا من الكثرة والقوة بمكان ، كان كأنه قيل: كيف يغلبون؟ فقال جواباً عن ذلك : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾."(١٩٤)

الفهم الذي فهمه ابن عاشور أدق من فهم البقاعي ، فقد ربط ابن عاشور الآية بالآية السابقة ، وعند النظر للسؤال الناشئ ، نجد أن الجواب المذكور ؛ إجابة حقيقيةً ومفصلةً وشارحةً للسؤال .

---

(١٩٣) التحرير والتنوير ٣٠٩/١٧ .

(١٩٤) نظم الدرر ١٦٦/٥ .

أما البقاعي فكان ربطُه للآية غير دقيق ، وليس في قوله تعالى : ﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ إجابة لكيف يغلبون ؛ إن كان المراد في الدنيا ، وهو غالب على أمره سبحانه في الدنيا والآخرة .

١٠. قال تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ الحج: ٦٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"انتقال إلى التذكير بنعم الله تعالى على الناس ؛ بمناسبة ما جرى من قوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ ﴾ الحج: ٦١، والمقصود : التعريض بشكر الله على نعمه ، وأن لا يعبدوا غيره ، كما دلّ عليه التذييل عقب تعداد هذه النعم بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴾ الحج: ٦٦ ، أي : الإنسان المشرك ، وفي ذلك كله إدماج الاستدلال على انفراده بالخلق والتدبير ، فهو الرب الحق المستحق للعبادة ، والمناسبة هي ما جرى من أن الله هو الحق ، وأن ما يدعونه الباطل ، فالجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً."[١٩٥]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما دل على قدرته من قبل بما ذكره من ولوج الليل في النهار ونبه به على نعمه ، أتبعه بأنواع أخر من الدلائل على قدرته ونعمته."[١٩٦]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما دل ما تضمنه رزقه سبحانه للميت في سبيله بقتل أو غيره ؛ على إحيائه له ، ودل سبحانه على ذلك ، وعلى أنه خير الرازقين بما له من العظمة ، وختم بهذين الوصفين ، أتبعه دليلاً آخر على ذلك كله بآية مشاهدة جامعة

([١٩٥]) التحرير والتنوير ٣١٧/١٧ .

([١٩٦]) التفسير الكبير ٢٤٦/٨ .

بين العالم العلوي والسفلي ، قاضية بعلوه وكبره ، فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾."[١٩٧]

اتفقت الأقوال على معنى واحد في ذكر المناسبة ، وهي الدلالة على قدرة الله وعظمته ، وزاد ابن عاشور معنى أخر ، وقد جاءت تلك الزيادة لتعدد الروابط التي ربطها بالآية ، وكذلك للنظر للآيات التالية لهذه الآية ، والمعنى الذي ذكره ، هو التذكير بنعم الله تعالى ، والمقصود منه التعريض بشكره وعدم عبادة غيره .

١١. قال تعالى : ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ الحج: ٦٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"الجملة خبر ثان عن اسم الجلالة في قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ الحج: ٦٣ ، للتنبيه على اختصاصه بالخالقية والملك الحق ، ليعلَم من ذلك أنه المختص بالمعبودية ، فيرد زعم المشركين ؛ أن الأصنام له شركاء في الإلهية ، وصرف عبادتم إلى أصنامهم ، والمناسبة هي ذكر إنزال المطر وإنبات العشب ، فما ذلك إلا بعض ما في السماوات وما في الأرض .

وإنما لم تعطف الجملة على التي قبلها مع اتحادهما في الغرض ، لأن هذه تتنـزل من الأولى منـزلة التذييل بالعموم الشامل لما تضمنته الجملة التي قبلها ، ولأن هذه لا تتضمن تذكيراً بنعمه."[١٩٨]

وقال الرازي -رحمه الله- :"والمعنى أن كل ذلك منقاد له ، غير ممتنع من التصرف فيه ، وهو غني عن الأشياء كلها ، وعن حمد الحامدين أيضاً ، لأنه كامل لذاته ، والكامل لذاته ؛ غني عن كل ما عداه في كل الأمور."[١٩٩]

([١٩٧]) نظم الدرر ١٦٩/٥ .

([١٩٨]) التحرير والتنوير ٣١٩/١٧ .

([١٩٩]) التفسير الكبير ٢٤٧/٨ .

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما اقتضى ذلك أنهى التصرف ؛ لأنه لا بد بعد اختلاط الماء بالتراب من أمور ينشأ عنها النبات على تلك الهيئات الغريبة المختلفة ، فأوجب ذلك أن يكون هو المالك المطلق."[٢٠٠]

المعنى هنا واحد ، والجميع متفقون في ذكر المناسبة ، فالملك المطلق لله الحق ، فهو غني سبحانه عما أنشأه لخلقه غير مفتقرٍ له ، ولا شريك معه .

١٢. قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ ﴾ الحج: ٦٦ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"بعد أن أُدمج الاستدلال على البعث بالمواعظ والمنن والتذكير بالنعم ، أُعيد الكلام على البعث هنا بمنـزلة نتيجة القياس ، فذُكّر الملحدون بالحياة الأولى التي لا ريب فيها ، وبالإماتة التي لا يرتابون فيها ، وبأن بعد الإماتة إحياء آخر ، كما أخذ من الدلائل السابقة ، وهذا محل الاستدلال ، فجملة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ﴾ ، عطف على جملة ﴿ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ ﴾ ، لأن صدر هذه من جملة النعم ، فناسب أن تعطف على سابقتها المتضمنة امتناناً واستدلالاً كذلك."[٢٠١]

وقال الرازي -رحمه الله- :"المعنى أن من سخر له هذه الأمور ، وأنعم عليه بها ، فهو الذي أحياه ، فنبه بالإحياء الأول على إنعام الدنيا علينا بكل ما تقدم ، ونبه بالإماتة والإحياء الثاني على نعم الدين علينا ، فإنه سبحانه وتعالى خلق الدنيا بسائر أحوالها للآخرة ، وإلا لم يكن للنعم على هذا الوجه معنى."[٢٠٢]

([٢٠٠]) نظم الدرر ١٧٠/٥ .

([٢٠١]) التحرير والتنوير ٣٢٦/١٧ .

([٢٠٢]) التفسير الكبير ٢٤٨/٨ .

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما بين سبحانه جملاً من أمهات الدين ، وأتبعها الإعانة لأهله على المعتدين ، وختم بما بعد الموت للمهاجرين ، ترغيباً في منابذة الكافرين، وعرف بما له من تمام العلم وشمول القدرة ، ومثّل ذلك بأنواع من التصرف في خلق السماوات والأراضين ، وأنهاه بالدلالة على أنه كله لنفع الآدميين نعمة منه ، تلا ذلك بما هو أكبر منه نعمة عليهم فقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ﴾."[٢٠٣]

القول هنا كالقول في الآية السابقة فالجميع متفقون على المعنى ، ولا تخلوا الأقوال من زيادة أو نقص ، وابن عاشور هنا أشرك الاستدلال على البعث مع تعدد النعم .

١٣. **قال تعالى :** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـًٔا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾ الحج: ٧٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"أعقبت تضاعيف الحجج والمواعظ والإنذارات التي اشتملت عليها السورة مما فيه مقنع للعلم بأن إله الناس واحد ، وأن ما يعبد من دونه باطل ، أعقبت تلك كلها بمثل جامع لوصف حال تلك المعبودات وعابديها."[٢٠٤]

وقال :"وفي افتتاح السورة بـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ ، وتنهيتها بمثل ذلك ، شبه برد العجز على الصدر ، ومما يزيده حسناً أن يكون العجز جامعاً لما في الصدر وما بعده، حتى يكون كالنتيجة للاستدلال ، والخلاصة للخطبة ، والحوصلة للدرس."[٢٠٥]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما بين من قبل أنهم يعبدون من دون

([٢٠٣]) نظم الدرر ١٧٢/٥ .

([٢٠٤]) التحرير والتنوير ٣٣٧/١٧ .

([٢٠٥]) التحرير والتنوير ٣٣٨/١٧ .

الله مالا حجة لهم فيه ولا علم ، ذكر في هذه الآية ما يدل على إبطال قولهم."(٢٠٦)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أخبر تعالى عن أنه لا حجة لعابد غيره ، وهدد من عاند ، أتبعه بأن الحجة قائمة على أن ذلك الغير في غاية الحقارة ، ولا قدرة له على دفع ما هدد به عابدوه ولا على غيره ، فكيف بالصلاحية لتلك الرتبة الشريفة ، والخطة العالية المنيفة ، فقال منادياً أهل العقل منبهاً تنبيهاً عاماً : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾."(٢٠٧)

المعاني المذكورة في ذكر المناسبة ثلاثة : قول ابن عاشور أن الآية : وصف لحال تلك المعبودات وعابديها ، وقول الرازي أن الآية : للدلالة على إبطال قولهم ، وقول البقاعي أن الآية : لإقامة الحجة على أن المعبودين من دون الله لا قدرة لهم .

ولا خلاف بين المعاني المذكورة ، ويمكن جمعها في قول واحد وهو : أن الآية وصف لحال تلك المعبودات وعابديها ، جيء بها لإبطال قولهم بدعوة غير لله ، ولإقامة الحجة على عدم قدرتم حتى على خلق ذباب .

١٤. قال تعالى : ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾الحج: ٧٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"تذييل للمثل بأن عبادتم الأصنام مع الله استخفاف بحق إلهيته تعالى ، إذ أشركوا معه في أعظم الأوصاف أحقر الموصوفين ، وإذ استكبروا عند تلاوة آياته -تعالى- عليهم ، وإذ هموا بالبطش برسوله."(٢٠٨)

وقال البقاعي -رحمه الله- بعد حديثه عن الآية السابقة :"ولما أنتج هذا جهلهم بالله ، عبر عنه بقوله : ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾."(٢٠٩)

---

(٢٠٦) التفسير الكبير ٢٥١/٨ .

(٢٠٧) نظم الدرر ١٧٦/٥ .

(٢٠٨) التحرير والتنوير ٣٤٢/١٧ .

(٢٠٩) نظم الدرر ١٧٧/٥ .

المناسبتان مكملتان لبعضهما ، فَعبدة الأصنام استخفوا بحق الله ، وذلك لجهلهم به سبحانه .

١٥. قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحج: ٧٤ .[٢١٠]

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ، تعليل لمضمون الجملة قبلها ، فإن ما أشركوهم مع الله في العبادة كلٌ ضعيف ذليل ، فما قدروه حق قدره ، لأنه قوي عزيز ، فكيف يشاركه الضعيف الذليل ، والعدول عن أن يقال : ما قدرتم الله حق قدره إلى أسلوب الغيبة التفات ؛ تعريضاً بهم بأنهم ليسوا أهلاً للمخاطبة توبيخاً لهم ، وبذلك يندمج في قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ تديد لهم بأنه ينتقم منهم على وقاحتهم .

وتوكيد الجملة بحرف التوكيد ولام الابتداء ؛ مع أن مضمونها مما لا يختلف فيه ، لتنـزيل علمهم بذلك منـزلة الإنكار ، لأنهم لم يجروا على موجب العلم حين أشركوا مع القوي العزيز ضعفاء أذلة."[٢١١]

وقال البقاعي -رحمه الله- بعد الحديث عن قوله : ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ :"ولما كان كأنه قيل : ما قدره؟ قال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾."[٢١٢]

ذكر ابن عاشور أن التذييل بهذه الجملة تعليل لما قبلها ، والتعليل هنا عبارة عن جواب لمضمون الآية السابقة وهو في هذا موافق لقول البقاعي .

---

(٢١٠) جعلْت تذييل الآية المختومة بصفات الله وأسمائه سبحانه وتعالى ، مناسبةً مستقلةً ؛ لقلة الحديث عنها ، في الكتب التي عنِيت بذكر المناسبات .

(٢١١) التحرير والتنوير ٣٤٣/١٧ .

(٢١٢) نظم الدرر ١٧٧/٥ .

١٦. قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ الحج: ٧٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما نفت الآيات السابقة أن يكون للأصنام التي يعبدها المشركون مزية في نصرهم بقوله : ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ الحج: ٧١ ، وقوله: ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾ الحج: ٧٣ ، ونعى على المشركين تكذيبهم الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : ﴿ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ ﴾ الحج: ٧٢ ، وقد كان من دواعي التكذيب أنهم أحالوا أن يأتيهم رسول من البشر : ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ ﴾ الأنعام: ٨ ؛ أي : يصاحبه ، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ ﴾ الفرقان: ٢١ ، أعقب إبطال أقوالهم بأن الله يصطفي من شاء اصطفاءه من الملائكة ومن الناس دون الحجارة ، وأنه يصطفيهم ليرسلهم إلى الناس ، أي : لا ليكونوا شركاء .

فلا جرم أبطل قوله : ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ جميع مزاعمهم في أصنامهم .

فالجملة استئناف ابتدائي ، والمناسبة ما علمت."[٢١٣]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما قدم ما يتعلق بالإلهيات ، ذكر ههنا ما يتعلق بالنبوات."[٢١٤]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما نصب الدليل على أن ما دعوه لا يصلح أن يكون شيء منه إلهاً ، بعد أن أخبر أنه لم ينـزل إليهم حجة بعبادتم لهم ، وختم بما له سبحانه من وصفي القوة والعزة ، بعد أن أثبت أن له الملك كله ، تلا ذلك بدليله الذي

---

(٢١٣) التحرير والتنوير ٣٤٣/١٧ .

(٢١٤) التفسير الكبير ٢٥٣/٨ .

تقتضيه سعة الملك وقوة السلطان ؛ من إنزال الحجج على ألسنة الرسل بأوامره ونواهيه ، الموجب لإخلاص العبادة له ، المقتضي لتعذيب تاركها ، فقال : ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي ﴾."[215]

قول الرازي من باب المقابلة ، وهو المنطلق لقول ابن عاشور ، الذي توسع فيه ، وأجاد في ربط الآيات حتى استنتج هذه المناسبة .

أما البقاعي فقد ربط الآية بقوله : ﴿ لَقَوِيٌّ ﴾ ، وقوله ﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ فجاءت المناسبة على ما ذكر .

وقول ابن عاشور أدق ، وذلك بالنظر لعموم الآيات القريبة الماضية ، وسياقها .

١٧. قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ الحج: ٧٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ تعليل لمضمون جملة ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي ﴾ ، لأن المحيط علمه بالأشياء هو الذي يختص بالاصطفاء، وليس لأهل العقول ما بلغت بهم عقولهم من الفطنة والاختيار ؛ أن يطلعوا على خفايا الأمور ، فيصطفوا للمقامات العليا من قد تخفى عنهم نقائصهم بله اصطفاء الحجارة الصماء."[216]

وقال البقاعي -رحمه الله- بعد حديثه عن الاصطفاء :"ولما كان ذلك لا يكون إلا بالعلم ، قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾."[217]

---

(٢١٥) نظم الدرر ١٧٧/٥ .

(٢١٦) التحرير والتنوير ٣٤٤/١٧ .

(٢١٧) نظم الدرر ١٧٧/٥ .

الذي يسمع ويبصر يكون عالماً بكل ما يرى ويسمع ، فكيف بالسميع البصير الذي يعلم كل شيء سبحانه ، فالعلم هو لب القول في المناسبتين .

١٨. قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ الحج: ٧٧ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما كان خطاب المشركين فاتحاً لهذه السورة وشاغلاً لمعظمها ، عدا ما وقع اعتراضاً في خلال ذلك ، فقد خوطب المشركون بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ أربع مرات ، فعند استيفاء ما سيق إلى المشركين من الحجج والقوارع ، والنداء على مساوي أعمالهم ، ختمت السورة بالإقبال على خطاب المؤمنين بما يصلح أعمالهم ، وينوه بشأنهم .

وفي هذا الترتيب إيماء إلى أن الاشتغال بإصلاح الاعتقاد ، مقدم على الاشتغال بإصلاح الأعمال."[٢١٨]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما تكلم في الإلهيات ، ثم في النبوات، أتبعه بالكلام في الشرائع."[٢١٩]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أثبت سبحانه أن الملك والأمر له وحده ، وأنه قد أحكم شرعه وحفظ رسله ، وأنه يمكن لمن يشاء أي دين شاء ، وختم ذلك بما يصلح للترغيب والترهيب ، وكانت العادة جارية بأن الملك إذا برزت أوامره وانبثت دعاته ؛ أقبل إليه مقبلون ، خاطب المقبلين إلى دينه وهم الخلص من الناس ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾."[٢٢٠]

([٢١٨]) التحرير والتنوير ٣٤٥/١٧ .

([٢١٩]) التفسير الكبير ٢٥٣/٨ .

([٢٢٠]) نظم الدرر ١٧٩/٥ .

جميع المناسبات المذكورة هنا بمعنى واحد ، فالآية خوطب بها المؤمنون المقبلون إلى دينه ، وبالآية هذه بدئ الحديث عن التشريع .

وقول ابن عاشور :"وفي هذا الترتيب إيماء إلى أن الاشتغال بإصلاح الاعتقاد ، مقدم على الاشتغال بإصلاح الأعمال" كلام رائع بين فيه أهمية التوحيد الذي هو أساس كل عمل ، والله أعلم .

الفصل الثاني

سورة المؤمنون ، والنور ، والفرقان ، وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : سورة المؤمنون . وفيه تمهيد ، ومطلبان .

التمهيد : وفيه اسم السورة ، ونوعها ، وترتيبها في المصحف ، وعدد آياتا

ونظيرها في العدد .

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثاني : سورة النور . وفيه تمهيد ، ومطلبان .

التمهيد : وفيه اسم السورة ، ونوعها ، وترتيبها في المصحف ، وعدد آياتا

ونظيرها في العدد .

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثالث : سورة الفرقان . وفيه تمهيد ، ومطلبان .

التمهيد : وفيه اسم السورة ، ونوعها ، وترتيبها في المصحف ، وعدد آياتا

ونظيرها في العدد .

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلـب الثـاني : مناسبات الآيات .

المبحث الأول : سورة المؤمنون.

وفيه تمهيد ، ومطلبان

المطلب الأول : أغراض السورة

المطلب الثاني : مناسبات الآيات

تمهيد

- **اسـم الـسـورة :** المؤمنون ، ولم يذكر لها غير هذا الاسم .
- **نـوعـهـا :** مكية .
- **ترتيبها في المصحف :** الثالثة والعشرون .
- **عـدد آيـاتـهـا :** مئة وثماني عشرة آية وقيل تسع عشرة آية .[٢٢١]
- **نظيرها في الـعدد :** لا نظير لها في عدد آياتا .

---

(٢٢١) ينظر البيان في عد آي القرآن للداني ص ١١٩ .

أغـراض سـورة المـؤمـنـون

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"هذه السورة تدور آيها حول محور تحقيق الوحدانية وإبطال الشرك ونقض قواعده ، والتنويه بالإيمان وشرائعه .

فكان افتتاحها بالبشارة للمؤمنين بالفلاح العظيم ، على ما تحلوا به من أصـول الفضائل الروحية والعملية ، التي بها تزكية النفس واستقامة السلوك .

وأعقب ذلك بوصف خلق الإنسان أصله ونسله ؛ الدال على تفـرد الله تعـالى بالإلهية لتفرده بخلق الإنسان ونشأته ، ليبتدئ الناظر بالاعتبار في تكوين ذاته ، ثم بعدمـه بعد الحياة ، ودلالة ذلك الخلق على إثبات البعث بعد الممات ، وأن الله لم يخلق الخلـق سدى ولعبا .

وانتقل إلى الاعتبار بخلق السماوات ، ودلالته على حكمة الله تعالى .

وإلى الاعتبار والامتنان بمصنوعات الله تعالى التي أصلها الماء ، الذي به حياة ما في هذا العالم من الحيوان والنبات ، وما في ذلك من دقائق الصنع ، وما في الأنعام من المنافع، ومنها الحمل .

ومن تسخير المنافع للناس وما أوتيه الإنسان من آلات الفكر والنظر .

وورد ذكر الحمل على الفلك ، فكان منه تخلص إلى بعثـه نـوح ، وحـدث الطوفان.

وانتقل إلى التذكير ببعثة الرسل للهدى والإرشاد إلى التوحيد ، والعمل الصالح ، وما تلقاها به أقوامهم من الإعراض والطعن والتفرق ، وما كان من عقاب المكـذبين ، وتلك أمثال لموعظة المعرضين عن دعوة محمد ﷺ ، فأعقب ذلك بالثناء على الذين آمنوا واتقوا .

وبتنبيه المشركين على أن حالهم مماثل لأحوال الأمم الغابرة ، وكلمتهم واحدة ،

فهم عرضة لأن يحل بهم ما حل بالأمم الماضية المكذبة .

وقد أراهم الله مخائل العذاب ، لعلهم يقلعون عن العناد ، فأصروا على إشراكهم؛ بما ألقى الشيطان في عقولهم .

وذكروا بأنهم يقرون إذا سئلوا بأن الله مفرد بالربوبية ، ولا يجرون على مقتضى إقرارهم أنهم سيندمون على الكفر عندما يحضرهم الموت ، وفي يوم القيامة .

وبأنهم عرفوا الرسول وخبروا صدقه وأمانته ، ونصحه المجرد عن طلب المنفعة لنفسه إلا ثواب الله ، فلا عذر لهم بحال في إشراكهم وتكذيبهم الرسالة ، ولكنهم متبعون أهواءهم معرضون عن الحق .

وما تخلل ذلك من جوامع الكلم .

وختمت بأمر النبي ﷺ أن يغض عن سوء معاملتهم ، ويدفعها بالتي هي أحسن ، ويسأل المغفرة للمؤمنين ، وذلك هو الفلاح الذي ابتدئت به السورة."[٢٢٢]

([٢٢٢]) التحرير والتنوير ١٨/٦ .

مـنـاسـبـات الآيـات في سـورة المـؤمـنـون

١. قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ المؤمنون: ١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- في مناسبة الافتتاح بهذه الآية :"افتتاح بديع ، لأنه من جوامع الكلم ، فإن الفلاح غاية كل ساع إلى عمله ، فالإخبار بفلاح المؤمنين دون ذكر متعلق بفعل الفلاح ؛ يقتضي في المقام الخطابي تعميم ما به الفلاح المطلوب ، فكأنه قيل : قد أفلح المؤمنون في كل ما رغبوا فيه .

ولما كانت همة المؤمنين منصرفة إلى تمكن الإيمان ، والعمل الصالح من نفوسهم ، كان ذلك إعلاماً بأنهم نجحوا فيما تعلقت به هممهم من خير الآخرة ، وللحق من خير الدنيا ، ويتضمن بشارة برضى الله عنهم ، ووعداً بأن الله مكمل لهم ما يتطلبونه من خير."[٢٢٣]

لم يتحدث هنا أي من الرازي ، والبقاعي -رحمهما الله- عن مناسبة الافتتاح بهذه الآية ، وذكر البقاعي عند هذه الآية المناسبة بينها وبين خاتمة سورة الحج ، وهذا النوع من المناسبات لا يراه ابن عاشور فاكتفيت بذكر قول ابن عاشور في مناسبة الافتتاح .

٢. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ المؤمنون: ١٢ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"الواو عاطفة غرضاً على غرض ، ويسمى عطف القصة على القصة ، فللجملة حكم الاستئناف ، لأنها عطف على جملة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ المؤمنون: ١ ؛ التي هي ابتدائية ، وهذا شروع في الاستدلال على انفراد الله

([٢٢٣]) التحرير والتنوير ٨/١٨ .

تعالى بالخلق ، وبعظيم القدرة التي لا يشاركه فيها غيره ، وعلى أن الإنسان مربوب لله تعالى وحده ، والاعتبار بما في خلق الإنسان ، وغيره من دلائل القدرة ، ومن عظيم النعمة ، فالمقصود منه إبطال الشرك ؛ لأن ذلك الأصل الأصيل في ضلال المعرضين عن الدعوة المحمدية .

ويتضمن ذلك امتناناً على الناس بأنه أخرجهم من مهانة العدم ، إلى شرف الوجود ، وذلك كله ليظهر الفرق بين فريق المؤمنين ؛ الذين جروا في إيمانهم على ما يليق بالاعتراف بذلك ، وبين فريق المشركين ؛ الذين سلكوا طريقاً غير بينة ، فحادوا عن مقتضى الشكر بالشرك .

وتأكيد الخبر بلام القسم ، وحرف التحقيق ، مراعى فيه التعريض بالمشركين المنزّلين منـزلة من ينكر هذا الخبر ؛ لعدم جريهم على موجب العلم."[٢٢٤]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما أمر بالعبادات في الآية المتقدمة ، والاشتغال بعبادة الله ؛ لا يصح إلا بعد معرفة الإله الخالق ، لا جرم عقبها بذكر ما يدل على وجوده ، واتصافه بصفات الجلال ، والوحدانية ، فذكر من الدلائل أنواعاً."[٢٢٥]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان التقدير : فلقد حكمنا ببعث جميع العباد بعد الممات ، فريقاً منهم إلى النعيم ، وفريقاً إلى الجحيم ، فإنا قادرون على الإعادة ، وإن تمزقتم وصرتم تراباً ، فإنه تراب له أصل في الحياة ، كما قدرنا على البداءة ، فلقد خلقنا أباكم آدم من تراب الأرض قبل أن يكون للتراب أصل في الحياة ، عطف عليه قوله ، دلالة على هذا المقدر ، واستدلالاً على البعث ، مظهراً له في مقام العظمة ، مؤكداً إقامة لهم بإنكارهم للبعث مقام المنكرين ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ ﴾."[٢٢٦]

([٢٢٤]) التحرير والتنوير ٢١/١٨ .

([٢٢٥]) التفسير الكبير ٢٦٤/٨ .

([٢٢٦]) نظم الدرر ١٨٦/٥ .

حاصل المناسبات واحد ، والمعاني متقاربة ، وهي معرفة الله الإله الحـق ، وأنـه المتفرد بالخلق ، الذي أحسن كل شيء خلقه ، فهو القادر على البعث بعد البلى ، لا يعجزه شيءٌ في الأرض ، ولا في السماء .

والعبارات التي ذكرها ابن عاشور في حديثه أبلغ وأجمل ، وأوسع في ذكره للمناسبة .

٣. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ **المؤمنون: ١٧ .**

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"انتقال من الاستدلال بخلق الإنسان إلى الاستدلال بخلق العوالم العلوية ، لأن أمرها أعجب ، وإن كان خلق الإنسان إلى نظره أقرب ، فالجملة عطف على جملة ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ المؤمنون: ١٢ ، وإنما ذكر هذا عقب قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ المؤمنون: ١٦ ، للتنبيه على أن الذي خلق هذا العالم العلوي ؛ ما خلقه إلاّ لحكمة ، وأن الحكيم لا يهمل ثواب الصالحين على حسناتم ، ولا جزاء المسيئين على سيئاتم ، وأن جعله تلك الطرائق فوقنا بحيث نراها ؛ ليدلنا على أن لها صلة بنا ، لأن عالم الجزاء كائن فيها ، ومخلوقاته مستقرة فيها ، فالإشارة بهذا الترتيب ، مثل الإشارة بعكسه في قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الدخان: ٣٨ - ٤٠."[٢٢٧]

---

(٢٢٧) التحرير والتنوير ٢٦/١٨ .

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما بين لهم أن فكْرهم فيهم يكفيهم ، ولاعتقاد البعث يعنيهم ، أتبعه دليلاً آخر بالتذكير بخلق ما هو أكبر منهم ، وبتدبيرهم بخلقه ، وخلق ما فيه من المنافع لاستبقائهم ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ ﴾."[228]

لا فرق هنا بين المناسبتين ، والمعنى واحد .

٤. قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ المؤمنون: ١٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"مناسبة عطف إنزال ماء المطر على جملة ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ المؤمنون: ١٧ ، أن ماء المطر ينـزل من صوب السماء ، أي : من جهة السماء .

وفي إنزال ماء المطر دلالة على سعة العلم ، ودقيق القدرة ، وفي ذلك أيضاً منةٌ على الخلق ، فالكلام اعتبار وامتنان من قوله : ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ ﴾ إلى آخره."[229]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ساق سبحانه هذين الدليلين على القدرة على البعث ، أتبعهما بما هو من جنسهما ، ومشاكل للأول منهما ، وهو مع ذلك دليل على ختام الثاني ؛ من أنه من أجلّ النعم التي يجب شكرها ، فقال : ﴿وَأَنزَلْنَا ﴾."[230]

القول في المناسبتين واحد ، والمعنى متحد ، وقول البقاعي أجمل في ذكر المناسبة ، وكان ربطه للمناسبة أوسع من ابن عاشور ولا يلغي هذا قوله ؛ فقوله قوي وجميل .

---

(٢٢٨) نظم الدرر ١٨٩/٥ .

(٢٢٩) التحرير والتنوير ٢٨/١٨ .

(٢٣٠) نظم الدرر ١٩٠/٥ .

٥. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ المؤمنون: ٢٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما كان الاستدلال والامتنان اللذان تقدما ؛ موجهين إلى المشركين الذين كفروا بالنبي ﷺ ، واعتلوا لذلك بأنهم لا يؤمنون برسالة بشر مثْلهم ، وسألوا إنزال ملائكة ، ووسموا الرسول عليه الصلاة والسلام بالجنون ، فلما شابهوا بذلك قوم نوح ، ومن جاء بعدهم ، ناسب أن يضرب لهم بقوم نوح مثلٌ ؛ تحذيراً مما أصاب قوم نوح من العذاب ، وقد جرى في أثناء الاستدلال والامتنان ؛ ذكر الحمل في الفلك ، فكان ذلك مناسبة للانتقال ، فحصل بذلك حسن التخلص ، فيعتبر ذكر قصص الرسل ؛ إما استطراداً في خلال الاستدلال على الوحدانية ، وإما انتقالاً كما سيأتي عند قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾.

وتصدير الجملة بلام القسم ؛ تأكيد للمضمون التهديدي من القصة ، فالمعنى تأكيد الإرسال إلى نوح وما عقب به ذلك .

وعطف مقالة نوح على جملة إرساله بفاء التعقيب ، لإفادة أدائه رسالة ربه بالفور من أمره ، وهو شأن الامتثال."[٢٣١]

وقال الرازي -رحمه الله- :"واعلم أنه سبحانه وتعالى لما بين دلائل التوحيد ، أردفها بالقصص ، كما هو العادة في سائر السور ، وهي ههنا."[٢٣٢]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان التقدير : فلقد حملنا نوحاً ومن أردنا ممن آمن به من أولاده ، وأهله ، وغيرهم على الفلك ، وأغرقنا من عانده من أهل الأرض قاطبة بقدرتنا ، ونصرناه عليهم بعد ضعفه عنهم بأيدينا ، وقوتنا ، وجعلناه وذريته هم

([٢٣١]) التحرير والتنوير ٤٠/١٨ .

([٢٣٢]) التفسير الكبير ٢٧٠/٨ .

الوارثين ، وكنتم ذرية في أصلابهم ، وكثرناهم حتى ملأنا منهم الأرض ، دلالة على ما قدمنا من تفردنا كما أجرينا عادة هذا الكتاب الكريم ، بذكر عظيم البطش بعد أدلة التوحيد ، وأتبعناه بعده الرسل الذين سمعتم بهم ، وعرفتم بعض أخبارهم ، يا من أنكر الآن رسالة البشر ، لإنكار رسالة هذا النبي الكريم ، عطف عليه يهدد بإهلاك الماضين ، للرجوع عن الكفر ، ويذكر بنعمة النجاة للإقبال على الشكر ، ويسلي هذا النبي الكريم ومن معه من المؤمنين ؛ لمن كُذب قبله من النبيين ، وأوذي من أتباعهم ، ويدل على أنه يفضل من عباده من يشاء بالرسالة ، كما فضل طينة الإنسان على سائر الطين ، وعلى أن الفلاح بالإرث والحياة الطيبة في الدارين ؛ مخصوص بالمؤمنين كما ذكر أول السورة ، فذكر نوحاً لأن قصته أشهر القصص ، ولأن قومه كانوا ملء الأرض ، ولم تغن عنهم كثرتم ، ولا نفعتهم قوتم ، ولأنه الأب الثاني بعد الأب الأول المشار إليه بالطين ، ولأن نجاته ونجاة المؤمنين معه كانت بالفلك المختوم به الآية قبله."(٢٣٣)

المناسبة التي ذكرها البقاعي أفضل ، وذلك لحسن الرابط الذي اختاره بين الآيتين، ولا يلغي ذلك قول ابن عاشور ، فهو قد ذكر مناسبة حسنة ، غير أن الرابط الذي ذكره لم يأخذه عن الآيات السابقات ، وإنما من الفهم العام لإيراد الآيات ، والذي يعد غرضاً من الأغراض المسوقة في هذه السورة.

٦. قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ المؤمنون: ٢٦ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"استئناف بياني ، لأن ما حكي عن صدهم الناس عن تصديق دعوة نوح ، وما لفقوه من البهتان في نسبته إلى الجنون ، مما يثير سؤال من يسأل عن ماذا صنع نوح حين كذّبه قومه ، فيجاب بأنه قال : ﴿ رَبِّ ٱنصُرۡنِى بِمَا

---

(٢٣٣) نظم الدرر ١٩٤/٥ .

﴿ كَذَّبُونِ ﴾."[234]

ابن عاشور هنا لم يأت بجديد ، فهو ينقل عن البقاعي .

قال البقاعي -رحمه الله- :"فكأنه قيل : فما قال؟ فقيل : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾."[235]

٧. قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴾ المؤمنون: ٣١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"تعقيب قصة نوح وقومه ؛ بقصة رسول آخر ، أي: أخرى ، وما بعدها من القصص يراد منه ؛ أن ما أصاب قوم نوح على تكذيبهم له لم يكن صدفة ، ولكنه سنة الله في المكذبين لرسله ، ولذلك لم يعين القرن ، ولا القرون بأسمائهم .

والقرن : الأمة ، والأظهر أن المراد به هنا ثمود ، لأنه الذي يناسبه قوله في آخر القصة ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ ﴾ المؤمنون: ٤١ ، لأن ثمود أهلكوا بالصاعقة ، ولقوله : ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾ المؤمنون: ٤٠، مع قوله في سورة الحجر : ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴾ الحجر: ٨٣ ، فكان هلاكهم في الصباح ، ولعل تخصيصهم بالذكر هنا دون عاد ، خلافاً لما تكرر في غير هذه الآية ، لأن العبرة بحالهم أظهر لبقاء آثار ديارهم بالحجر كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧

([234]) التحرير والتنوير ٤٥/١٨ .

([235]) نظم الدرر ١٩٦/٥ .

﴿ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ الصافات: ١٣٧ - ١٣٨."[٢٣٦]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أن هذه القصة هي قصة هود عليه السلام في قول ابن عباس ، وأكثر المفسرين ، واحتجوا عليه بحكاية الله تعالى قول هود : ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ ﴾ الأعراف: ٦٩ ، ومجيء قصة هود ، عقيب قصة نوح في سورة الأعراف ، وسورة هود ، والشعراء ، وقال بعضهم المراد بهم صالح وثمود ، لأن قومه الذين كذبوه ؛ هم الذين هلكوا بالصيحة."[٢٣٧]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما بين سبحانه وتعالى تكذيبهم ، وما عذبهم به ، وكان القياس موجباً ، لأن من يأتي بعدهم يخشى مثل مصرعهم ، فيسلك غير سبيلهم ، ويقول غير قيلهم ، بين أنه لم تنفعهم العبرة ، فارتكبوا مثل أحوالهم ، وزادوا على أقوالهم، وأفعالهم ، لإرادة ذلك من الفاعل المختار ، الواحد القهار ، وأيضاً فإنه لما كان المقصود - مع التهديد والدلالة على القدرة ، والاختيار - الدلالة على تخصيص المؤمنين بالفلاح ، والبقاء بعد الأعداء ، وكان إهلاك المترفين أدل على ذلك ، اقتصر على ذكرهم وأبهمهم ؛ ليصح تنـزيل قصتهم على كل من ادعى فيهم الإتراف من الكفرة ، ويترجح إرادة عاد لما أعطوا مع ذلك من قوة الأبدان ، وعظم الأجسام ، وبذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما ، وإرادة ثمود لما في الشعراء والقمر ، مما يشابه بعض قولهم هنا ، وللتعبير عن عذابهم بالصيحة ، ولموافقتهم لقوم نوح في تعليل ردهم بكونه بشراً ، وطوى الإخبار عمن بعدهم بغير التكذيب ، والإهلاك لعدم الحاجة إلى ذكر شيء غيره ، فقال : ﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا ﴾."[٢٣٨]

قول ابن عاشور في المناسبة قريب من قول البقاعي ، وزاد البقاعي على أن إهلاك المكذبين سنة وعبرة ، أن فيه الدلالة على تخصيص المؤمنين بالفلاح ، والبقاء بعد الأعداء.

([٢٣٦]) التحرير والتنوير ٤٩/١٨ .

([٢٣٧]) التفسير الكبير ٢٧٥/٨ .

([٢٣٨]) نظم الدرر ١٩٨/٥ .

ثم إن المفسرين اختلفوا في تعيين المراد بالأمة ، وهذه الأقوال هي من ذكر المناسبة، فالنظر للقصص في السور المختلفة ، وربطها بهذه القصة ، ومواقعها ، وسياق الآيات ، وغير ذلك ، كل هذا يعد ذكراً لنوع من أنواع المناسبة .

والذي يتبين والله أعلم ، أن هذه القصة ؛ هي قصة هود عليه السلام ، لأن جمهور المفسرين على ذلك ، وابن عباس رضي الله عنه الذي علم التأويل هو من قال ذلك ، مع ما ذكره البقاعي من المطابقة في ما ذكر من قصة عاد قوم هود في سورتي الشعراء والقمر .

٨. قال تعالى : ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ المؤمنون: ٤٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ معترضة بين المتعاطفة ، وهي استئناف بياني لما يؤذن به قوله : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾ من كثرتا ، ولا يؤذن به وصفهم بـ ﴿ءَاخَرِينَ﴾ من جهل الناس بهم ، ولما يؤذن به عطف جملة ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ المؤمنون: ٤٤ ؛ من انقراض هذه القرون بعد الأمة التي ذكرت قصتها آنفاً في قوله : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ ؛ دون أن تجيئهم رسل ، فكان ذلك كله مما يثير سؤال سائل عن مدة تعميرهم ، ووقت انقراضهم ، فيجاب بالإجمال ، لأن لكل قرن منهم أجلاً ، عينه الله يبقى إلى مثله ثم ينقرض ويخلفه قرن آخر يأتي بعده ، أو يعمر بعده قرن كان معاصراً له ، وأن ما عين لكل قرن لا يتقدمه ، ولا يتأخر عنه كقوله تعالى : ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ يونس: ٤٩ ."[٢٣٩]

وقال الرازي -رحمه الله- :"أما قوله : ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ ، فيحتمل في هذا الأجل ، أن يكون المراد آجال حياتنا وتكليفها ، ويحتمل آجال موتنا

---

(٢٣٩) التحرير والتنوير ٦٠/١٨ .

وهلاكها ، وإن كان الأظهر في الأجل إذا أطلق أن يراد به وقت الموت ، فبين أن كل أمة لها آجال مكتوبة في الحياة والموت لا يتقدم ولا يتأخر ، منبهاً بذلك على أنه عالم بالأشياء قبل كونها ، فلا توجد إلا على وفق العلم ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ نوح: ٤."[240]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ثم أخبر بأنه لم يعجل على أحد منهم قبل الأجل الذي حده له بقوله : ﴿ مَا تَسْبِقُ ﴾ ، ولعله عبر بالمضارع إشارة إلى أنه ما كان شيء من ذلك ولا يكون ، وأشار إلى الاستغراق بقوله : ﴿ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ أي : الذي قدرناه لهلاكها ﴿ وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ عنه."[241]

الذي ذهب إليه ابن عاشور في الجواب عن السؤال المثار ، هو عين قول الرازي في تفسيره للآية ، وهو ما ذهب إليه البقاعي أيضاً .

ولم ينص على ذكر المناسبة غير ابن عاشور ، الذي قال أن الآية عبارة عن جواب لسؤال يثار عن مدة تعميرهم ، ووقت انقراضهم ، وكان قول الرازي والبقاعي تفسيراً للآية .

٩. قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ المؤمنون: ٥١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"يتعين تقدير قول محذوف اكتفاء بالمقول ، وهو استئناف ابتدائي ، أي قلنا : يا أيها الرسل كلوا ، والمحكي هنا حكي بالمعنى ، لأن الخطاب المذكور هنا لم يكن موجهاً للرسل في وقت واحد ؛ بضرورة اختلاف

([240]) التفسير الكبير ٢٧٧/٨ .

([241]) نظم الدرر ٢٠١/٥ .

عصورهم، فالتقدير : قلنا لكل رسول ممن مضى ذكرهم ؛ كُلْ من الطيبات ، واعمل صالحاً ، إني بما تعمل عليم .

وذلك على طريقة التوزيع لمدلول الكلام ، وهي شائعة في خطاب الجماعات ، ومنه : ركب القوم دوابهم .

والغرض من هذا بيان كرامة الرسل عند الله ، ونزاهتهم في أمورهم الجسمانية والروحانية ، فالأكل من الطيبات نزاهة جسمية ، والعمل الصالح نزاهة نفسانية .

والمناسبة لهذا الاستئناف هي قوله : ﴿ وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ المؤمنون: ٥٠ ، وليحصل من ذلك الرد على اعتقاد الأقوام المعلّلين تكذيبهم رسلهم ؛ بعلة أنهم يأكلون الطعام كما قال تعالى في الآية السابقة : ﴿ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ المؤمنون: ٣٣ ، وقال : ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ الفرقان: ٧ ، وليبطل بذلك ما ابتدعه النصارى من الرهبانية ، وهذه فوائد من الاستدلال والتعليم ، كان لها في هذا المكان الوقع العظيم ".(٢٤٢)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما بين أن عيسى عليه السلام على منهاج إخوانه من الرسل في الأكل والعبادة وجميع الأحوال ، زاد في تحقيق ذلك بياناً لمن ضل بأن اعتقد فيه ما لا يليق به ، فقال مخاطباً لجميعهم بعد إهلاك من عاندهم من قومهم ؛ على وجه يشمل ما قبل ذلك ، رداً لمن جعله موجباً لإنكار الرسالة ، وتبكيتاً لمن ابتدع الرهبانية من أمة عيسى عليه السلام ؛ إعلاماً بأن كل رسول قيل له معنى هذا الكلام فعمل به ، فكانوا كأنهم نودوا به في وقت واحد ، فعبر بالجمع ليكون أفخم له ، فيكون أدعى لقبوله :

---

(٢٤٢) التحرير والتنوير ٦٨/١٨ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ ﴾ من عيسى وغيره ﴿ كُلُواْ ﴾ أنتم ومن نجيناه معكم بعد إهلاك المكذبين."[243]

القول الذي ذكر ابن عاشور في ذكر المناسبة هنا ، استفاده من قول الرازي في تفسيره للآية[244].

ولا اختلاف بين ما ذكره ابن عاشور ، وما ذكره البقاعي ، فالمعنى واحد ، إلا أن ابن عاشور زاد في حديثه ذكر الغرض من هذه الآية ، وذَكَر أن الآية استئناف ابتدائي، في حين أن البقاعي ذَكَر أن الآية من باب التأكيد ؛ زيادةً في التحقيق .

١٠. قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ المؤمنون: ٥٧ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"هذا الكلام مقابل ما تضمنته الغمرة من قوله : ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ ﴾ المؤمنون: ٥٤ ؛ من الإعراض عن عبادة الله ، وعن التصديق بآياته ، ومن إشراكهم آلهة مع الله ، ومن شحهم عن الضعفاء ، وإنفاق مالهم في اللذات، ومن تكذيبهم بالبعث ، كل ذلك مما شملته الغمرة ، فجيء في مقابلها بذكر أحوال المؤمنين ، ثناءً عليهم ، ألا ترى إلى قوله بعد هذا : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾ المؤمنون: ٦٣.

فكانت هذه الجملة كالتفصيل لإجمال الغمرة ؛ مع إفادة المقابلة بأحوال المؤمنين ، واختير أن يكون التفصيل بذكر المقابل ؛ لحسن تلك الصفات ، وقبح أضدادها ، تنـزيهاً للذكر عن تعداد رذائلهم ، فحصل بهذا إيجاز بديع ، وطباق من ألطف البديع ، وصون للفصاحة من كراهة الوصف الشنيع."[245]

---

(٢٤٣) نظم الدرر ٢٠٦/٥ .

(٢٤٤) ينظر التفسير الكبير ٢٨٠/٨ .

(٢٤٥) التحرير والتنوير ٧٦/١٨ .

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما ذم من تقدم ذكره بقوله : ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾ ثم قال : ﴿ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾ بين بعده صفات من يسارع في الخيرات ، ويشعر بذلك."[٢٤٦]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ذكر أهل الافتراق ، أتبعهم أهل النفاق ، فكان كأنه قيل : فمن الذي يكون له الخيرات؟ فأجيب بأنه الخائف من الله ، فقيل معبراً بما يناسب أول السورة من الأوصاف ، بادئاً بالخشية لأنها الحاملة على تجديد الإيمان."[٢٤٧]

الاختلاف في هذه المناسبة اختلاف في الأسلوب والعبارات ، فالقول واحد ، والمعنى متفق .

١١. قال تعالى : ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ المؤمنون: ٦٢ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"تذييل لما تقدم من أحوال الذين من خشية ربهم مشفقون ، لأنه لما ذكر ما اقتضى مخالفة المشركين لما أمروا به من توحيد الدين ، وذكر بعده ما دل على تقوى المؤمنين بالخشية ، وصحة الإيمان ، والبذل ، ومسارعتهم في الخيرات ، ذيل ذلك بأن الله ما طلب من الذين تقطعوا أمرهم ؛ إلا تكليفاً لا يشق عليهم، وبأن الله عذر من المؤمنين من لم يبلغوا مبلغ من يفوتم في الأعمال ؛ عذراً يقتضي اعتبار أجرهم على ما فاتم ، إذا بذلوا غاية وسعهم . قال تعالى : ﴿ لَّيۡسَ عَلَى

([٢٤٦]) التفسير الكبير ٢٨٢/٨ .

([٢٤٧]) نظم الدرر ٢٠٩/٥ .

ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾التوبة: ٩١."[٢٤٨]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما ذكر كيفية أعمال المؤمنين المخلصين ، ذكر حكمين من أحكام أعمال العباد."[٢٤٩]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"﴿ وَلَا ﴾ أي : والحال أنا لا نكلفهم ، ولكنه عم فقال : ﴿ نُكَلِّفُ نَفۡسًا ﴾ أي : كافرة ومؤمنة ﴿ إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ فلا يقدر عاص على أن يقول : كنت غير قادر على الطاعة ، ولا يظن بنا مؤمن أنا نؤاخذه بالزلة ، والهفوة ، فإن أحداً لا يستطيع أن يقدرنا حق قدرنا ، لأن مبنى المخلوق على العجز."[٢٥٠]

ذكر ابن عاشور أن الآية تذييل لما قبلها حتى لا يكونوا كالذين تقطعوا أمرهم ، فقد أمروا بما يطيقون فعصوا ، وهو عذر من الله للمؤمنين ، فالله يعطي الأجر كاملاً لمن بذل غاية جهده دون تقصير .

وقول الرازي أن الآية لبيان حكمين من أعمال العباد .

والتفسير الذي ذكره البقاعي أوسع ، وأعم ، وكلٌ حسن .

فابن عاشور نظر للآيات القريبة التي قبل هذه الآية ، في حين أن الرازي نظر للآية من منظور فقهي ، أما البقاعي وإن كان قوله أقرب إلى التفسير فقد نظر لعموم الآيات السابقات ، فشملت الآية الكافر المكذب ، بقوله :"فلا يقدر عاصٍ" ، وشملت المؤمنين المذكورين في الآيات التي سبقت هذه الآية في قوله :"ولا يظن بنا مؤمن".

---

(٢٤٨) التحرير والتنوير ٧٨/١٨ .

(٢٤٩) التفسير الكبير ٢٨٤/٨ .

(٢٥٠) نظم الدرر ٢١٠/٥ .

١٢. قال تعالى : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ المؤمنون: ٩٦ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما أنبأ الله رسوله ﷺ بما يلمح له بأنه منجز وعيده من الذين كذبوه ، فعلم الرسول والمسلمون أن الله ضمن لهم النصر ؛ أعقب ذلك بأن أمره بأن يدفع مكذبيه بالتي هي أحسن ، وأن لا يضيق بتكذيبهم صدره ، فذلك دفع السيئة بالحسنة ، كما هو أدب الإسلام."[٢٥١]

وقال الرازي -رحمه الله- :"أما قوله : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ المؤمنون: ٩٦ ، فالمراد منه أن الأولى به عليه السلام أن يعامل به الكفار ، فأمر باحتمال ما يكون منهم من التكذيب وضروب الأذى ، وأن يدفعه بالكلام الجميل كالسلام ، وبيان الأدلة على أحسن الوجوه ، وبين له أنه أعلم بحالهم منه عليه السلام ، وأنه سبحانه لما لم يقطع نعمه عنهم ، فينبغي أن يكون هو عليه السلام مواظباً على هذه الطريقة ، قال صاحب «الكشاف»[٢٥٢] قوله : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ المؤمنون: ٩٦ ؛ أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل ، والمعنى الصفح عن إساءتم ، ومقابلتها بما أمكن من الإحسان ، حتى إذا اجتمع الصفح ، والإحسان ، وبذل الطاقة فيه، كانت حسنة مضاعفة بإزاء السيئة .

وقيل هذه الآية منسوخة بآية السيف ، وقيل محكمة ، لأن المداراة محثوث عليها ما لم تؤد إلى نقصان دين ، أو مروءة."[٢٥٣]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما لاح من هذا أن أخذهم وتأخيرهم في الإمكان على حد سواء ، وكانوا يقولون ويفعلون ما لا صبر عليه ؛ إلا بمعونة من الله ، كان كأنه

---

(٢٥١) التحرير والتنوير ١١٩/١٨ .

(٢٥٢) للزمخشري ٢٠٣/٣ .

(٢٥٣) التفسير الكبير ٢٩١/٨ .

قال : فماذا أفعل فيما تعلم من أمرهم؟ فقال آمراً له بمداواته : ﴿ ٱدۡفَعۡ ﴾ ، وفخم الأمر بالموصول ؛ لما فيه من الإيهام المشوق للبيان ، ثم بأفعل التفضيل فقال : ﴿ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ أي : من الأقوال والأفعال بالصفح ، والمداراة ﴿ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ ثم خفف عنه ما يجد من ثقلها بقوله : ﴿ نَحۡنُ أَعۡلَمُ ﴾ أي : من كل عالم ﴿ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ في حقك ، وحقنا ، فلو شئنا منعناهم منه ، أو عاجلناهم بالعذاب ، وليس أحد بأغير منا ، فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ."[٢٥٤]

قول ابن عاشور هنا استفاده من قول الرازي ، والبقاعي ، فهو عبارة عن تلخيص لقول سابقيه ، والله أعلم .

---

(٢٥٤) نظم الدرر ٢٢١/٥ .

المبحث الثاني : سورة النور .

وفيه تمهيد ، ومطلبان

المطلب الأول : أغراض السورة

المطلب الثاني : مناسبات الآيات

تمهيد

- **اسـم الـسـورة :** سورة النور ، ولم يرد لها اسم آخر .
- **نـوعـهـا :** مدنية .
- **ترتيبها في المصحف :** الرابعة والعشرون .
- **عـدد آيـاتـهـا :** ستون وآيتان ، وقيل ثلاث ، وقيل أربع .[٢٥٥]
- **نظيرها في الـعدد :** لا نظير لها في عدد آياتها .

---

(٢٥٥) ينظر البيان في عد آي القرآن للداني ص١٩٣ ؛ ومرشد الخلان إلى معرفة عد آي القرآن لعبدالرزاق موسى ص١٢٢ .

أغـراض سـورة الـنـور

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"شملت من الأغراض كثيراً من أحكام معاشرة الرجال للنساء ، ومن آداب الخُلْطَة ، والزيارة .

وأول ما نزلت بسببه ؛ قضية التزوج بامرأة اشتهرت بالزنى ، وصدر ذلك ببيان حد الزنى ، وعقاب اللذين يقذفون المحصنات ، وحكم اللعان .

والتعرض إلى براءة عائشة < ، مما أرجفه عليها أهل النفاق ، وعقابهم ، والذين شاركوهم في التحدث به .

والزجر عن حب إشاعة الفواحش بين المؤمنين والمؤمنات ، والأمر بالصفح عن الأذى ، مع الإشارة إلى قضية مسطَح بن أُثاثة[(٢٥٦)] .

وأحكام الاستئذان في الدخول إلى بيوت الناس المسكونة ، ودخول البيوت غير المسكونة .

وآداب المسلمين والمسلمات في المخالطة ؛ وإفشاء السلام .

والتحريض على تزويج العبيد ، والإماء ، والتحريض على مكاتبتهم ؛ أي : إعتاقهم على عوض يدفعونه لمالكيهم .

وتحريم البغاء الذي كان شائعا في الجاهلية ، والأمر بالعفاف .

---

(٢٥٦) مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي المطلبي ﷺ ، كان اسمه عوفا ، وأما مسطح فهو لقبه ، وأمه بنت خالة أبي بكر ﷺ ، أسلمت وأسلم أبوها قديما ، شهد مسطح بدراً ، وكان ممن خاض في الإفك على عائشة ﷺ ، وكان أبو بكر ﷺ ينفق عليه ، فأقسم أن لا ينفق عليه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾ النور: ٢٢، فعاد أبو بكر ﷺ ينفق عليه ، ومات مسطح سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان ، ويقال عاش إلى خلافة علي ، وشهد معه صفين ، ومات في تلك السنة سنة سبع وثلاثين .[ينظر أسد الغابة لابن الأثير ٣٨٠/٤ ؛ والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٩٣/٦] .

وذم أحوال أهل النفاق ، والإشارة إلى سوء طويتهم مع النبي ﷺ .

والتحذير من الوقوع في حبائل الشيطان .

وضرب المثل لهدي الإيمان ، وضلال الكفر .

والتنويه ببيوت العبادة ، والقائمين فيها .

وتخلل ذلك وصف عظمة الله تعالى ، وبدائع مصنوعاته ، وما فيها من منن على الناس .

وقد أردف ذلك بوصف ما أعده الله للمؤمنين ، وأن الله علم بما يضمره كـل أحد ، وأن المرجع إليه والجزاء بيده ."[٢٥٧]

---

(٢٥٧) التحرير والتنوير ١٨/ ١٤٠ .

١٣. قال تعـالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ **النور: ١٠.**

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وفي ذكر وصف «الحكيم» هنا ؛ مع وصف ﴿تَوَّابٌ﴾ ، إشارة إلى أن في هذه التوبة حكمة ، وهي استصلاح الناس ."(٢٥٨)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"﴿تَوَّابٌ﴾ أي : رجاع بالعصاة إليه ، ﴿حَكِيمٌ﴾ يحكم الأمور ، فيمنعها من الفساد ؛ بما يعلم من عواقب الأمور لفضح كل عاص ، ولم يوجب أربعة شهداء ستراً لكم ، ولأمر بعقوبته بما توجبه معصيته ، ففسد نظامكم ، واختل نقضكم وإبرامكم ، ونحو ذلك مما لا يبلغ وصفه ، فتذهب النفس فيه كل مذهب ، فهو كما قالوا : رب مسكوت عنه ؛ أبلغ من منطوق به ، ثم علل ما اقتضته ﴿وَلَوْلَا﴾ من نحو : ولكنه لم يفعل ذلك إفضالا عليكم ورحمة لكم ، بقوله على وجه التأكيد ، لما عرف من حال كثير ممن غضب لله ولرسوله ؛ من إرادة العقوبة للآفكين بضرب الأعناق ، منبهاً لهم على أن ذلك يجر إلى مفسدة كبيرة."(٢٥٩)

المناسبة التي ذكرها البقاعي هنا في تذييل الآية ، أبلغ إلى القلوب من حديث ابن عاشور ، وكان ربط البقاعي للآية شاملاً للآيات السابقات ، مبيناً مدى روعة الختم بهذين الوصفين ، في أن الله هو التواب الحكيم .

ولم يتطرق الرازي -رحمه الله- في حديثه عند تفسير هذه الآية من ذلك بشيء .

---

(٢٥٨) التحرير والتنوير ١٦٩/١٨ .

(٢٥٩) نظم الدرر ٢٣٩/٥ .

١٤. قال تعالى :﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ النور: ١٨.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"ومناسبة التذكير بصفتي العلم ، والحكمة ظاهرة."[٢٦٠]

وقال الرازي -رحمه الله- :"ثم بين أنه لكونه عليماً حكيماً ، يؤثر بما يجب أن يبينه ، ويجب أن يطاع لأجل ذلك ؛ لأن من لا يكون عالماً لا يجب قبول تكليفه ؛ لأنه قد يأمر بما لا ينبغي ، ولأن المكلف إذا أطاعه فقد لا يعلم أنه أطاعه ، وحينئذ لا يبقى للطاعة فائدة ، وأما من كان عالماً ، لكنه لا يكون حكيماً ، فقد يأمره بما لا ينبغي ، فإذا أطاعه المكلف ، فقد يعذب المطيع ، وقد يثيب العاصي ، وحينئذ لا يبقى للطاعة فائدة ، وأما إذا كان عليماً حكيماً ، فإنه لا يأمر إلا بما ينبغي ، ولا يهمل جزاء المستحقين ، فلهذا ذكر هاتين الصفتين ، وخصهما بالذكر."[٢٦١]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"﴿ عَلِيمٌ ﴾ فثقوا ببيانه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ لا يضع شيئاً إلا في أحكم مواضعه ؛ وإن دق عليكم فهم ذلك ، فلا تتوقفوا في أمر من أوامره ، واعلموا أنه لم يختر لنبيه ﷺ ؛ إلا الخلص من عباده على حسب منازلهم عنده وقربهم من قلبه."[٢٦٢]

قول البقاعي تلخيص لقول الرازي ، والربط الذي ذكره البقـاعي في اختيـار الخلص من عباده لنبيه ﷺ ، قول حسن .

١٥. قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النور: ١٩ .

([٢٦٠]) التحرير والتنوير ١٨٣/١٨ .

([٢٦١]) التفسير الكبير ٣٤٤/٨ .

([٢٦٢]) نظم الدرر ٢٤٥/٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما حذر الله المؤمنين من العود إلى مثل ما خاضوا به من الإفك ؛ على جميع أزمنة المستقبل ، أعقب تحذيرهم بالوعيد على ما عسى أن يصدر منهم في المستقبل ، بالوعيد على محبة شيوع الفاحشة في المؤمنين ، فالجملة استئناف ابتدائي ، واسم الموصول يعم كل من يتصف بمضمون الصلة ، فيعم المؤمنين ، والمنافقين ، والمشركين ، فهو تحذير للمؤمنين ، وإخبار عن المنافقين ، والمشركين."[263]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما بين ما على أهل الإفك ، وما على من سمع منهم ، وما ينبغي أن يتمسكوا به من آداب الدين ؛ أتبعه بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ ﴾ ، ليعلم أن من أحب ذلك ؛ فقد شارك في هذا الذم ، كما شارك فيه من فعله ومن لم ينكره ، وليعلم أن أهل الإفك كما عليهم العقوبة فيما أظهروه ، فكذلك يستحقون العقاب ؛ بما أسروه من محبة إشاعة الفاحشة في المؤمنين ، وذلك يدل على وجوب سلامة القلب للمؤمنين ، كوجوب كف الجوارح والقول عما يضر بهم."[264]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان من أعظم الوعظ ؛ بيان ما يستحق على الذنب من العقاب ، أدبهم تأديباً ثالثاً أشد من الأولين ، فقال واعظاً ، ومقبحاً لحال الخائضين في الإفك ، ومحذراً ، ومهدداً : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ ﴾."[265]

قول ابن عاشور هنا كقول سابقيه ، وعبارات الرازي أفضل ، وزاد الرازي في حديثه ؛ أن أهل الإفك يستحقون العقاب ؛ بما أسروه من محبة إشاعة الفاحشة في المؤمنين .

---

(263) التحرير والتنوير ١٨٤/١٨ .

(264) التفسير الكبير ٣٤٥/٨ .

(265) نظم الدرر ٢٤٥/٥ .

١٦. قال تعالى : ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ النور: ٢٠ .

الحديث هنا عن تذييل الآية بقولة تعالى :﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"هذه ثالث مرة كرر فيها ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ ﴾ ، وحذف في الأول ، والثالث ، جواب ﴿ وَلَوۡلَا ﴾ ؛ لتذهب النفس كل مذهب ممكن في تقديره بحسب المقام .

وقد ذكر في المرة الأولى وصف الله بأنه تواب حكيم للمناسبة المتقدمة ، وذكر هنا بأنه رؤوف رحيم ؛ لأن هذا التنبيه الذي تضمنه التذييل فيه انتشال للأمة من اضطراب عظيم في أخلاقها وآدابها وانفصام عرى وحدتا ، فأنقذها من ذلك رأفة ورحمة لآحادها وجماعتها ، وحفظاً لأواصرها .

وذكر وصف الرأفة والرحمة هنا ؛ لأنه قد تقدمه إنقاذه إياهم من سوء محبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، تلك المحبة التي انطوت عليها ضمائر المنافقين ، كان إنقاذ المؤمنين من التخلق بها رأفة بهم من العذاب ، ورحمة لهم بثواب المتاب."(٢٦٦)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"﴿ رَءُوفٞ ﴾ بكم في نصب ما يزيل جهلكم ، بما يحفظ من سرائركم ، بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، ونصب الحدود الزاجرة عن الجهل الحاملة على التقوى التي هي ثمرة العلم ، فإن الرأفة كما تقدم في الحج وغيرها تقيم المرؤوف به ؛ لأنها ألطف الرحمة وأبلغها ، على أقوم سنن ، حتى تحفظ بمسراها في سره ظهور ما يستدعي العفو ، وتارة يكون هذا الحفظ بالقوة بنصب الأدلة ، وتارة يضم إلى ذلك الفعل بخلق الهداية في القلب ؛ بما للمرؤوف به من الوصلة ؛ بسهولة الانقياد ، وقوة الاستعداد ، ﴿ رَّحِيمٞ ﴾ بما يثبت لكم من الدرجات ، على ما منحكم به من ثمرات ذلك

---

(٢٦٦) التحرير والتنوير ١٨/١٨٥ .

الحفظ من الأعمال المرضية ، والجواب محذوف تقديره : لتركلكم في ظلمات الجهل تعمهون ، فثارت بينكم الفتن حتى تفانيتم ، ووصلتم إلى العذاب الدائم بعد الهم اللازم."(٢٦٧)

ذكر ابن عاشور كلاماً رائعاً أجاد فيه ، وأحسن في ذكر المناسبة ، والرابط .

أما البقاعي فكان ربطه للآية جيداً ، إلا أن عباراته أقرب إلى بيان المعنى من ذكر المناسبة .

١٧. قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ النور: ٢١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"هذه الآية نزلت بعد العشر الآيات المتقدمة ، فالجملة استئناف ابتدائي ، ووقوعه عقب الآيات العشر التي في قضية الإفك مشير إلى أن ما تضمنته تلك الآيات من المناهي ، وظنون السوء ، ومحبة شيوع الفاحشة ، كله من وساوس الشيطان ، فشبه حال فاعلها في كونه متلبساً بوسوسة الشيطان ؛ بهيئة الشيطان يمشي ، والعامل بأمره يتبع خطى ذلك الشيطان."(٢٦٨)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أخبرهم بأنه ما أنـزل لهم هذا الشرع على لسان هذا الرسول الرؤوف الرحيم إلا رحمة لهم . بعد أن حذرهم موارد الجهل نهاهم عن التمادي فيه ؛ في سياق معلم أن الداعي إليه الشيطان العدو ، فقال ساراً لهم ؛ بالإقبال عليهم بالنداء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾."(٢٦٩)

---

(٢٦٧) نظم الدرر ٢٤٦/٥ .

(٢٦٨) التحرير والتنوير ١٨٦/١٨ .

(٢٦٩) نظم الدرر ٢٤٦/٥ .

ذكر ابن عاشور أن الآية : تشبيه بهيئة الشيطان لمن وقع في وساوس الشيطان في الآيات السابقات .

وقال البقاعي : الآية جيء بها للنهي عن التمادي في المحذورات المذكورة ، فإن الداعي لها هو الشيطان .

والمعنى في المناسبتين واحد ، وهو التحذير من الشيطان ووساوسه ، وسبل غوايته، فهو الدال على كل ضلال .

١٨. قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ النور: ٢١ **.**

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"تذييل بين الوعد والوعيد ، أي : سميع لمن يشيع الفاحشة ، عليم بما في نفسه من محبة إشاعتها ، وسميع لمن ينكر على ذلك ، عليم لما في نفسه من كراهة ذلك ، فيجازي كلاً على عمله .

وإظهار اسم الجلالة فيه ، ليكون التذييل مستقلاً بنفسه ، لأنه مما يجري مجرى المثل."[٢٧٠]

وقال الرازي -رحمه الله- :"فالمراد أنه يسمع أقوالكم في القذف ، وأقوالكم في إثبات البراءة ، عليم بما في قلوبكم من محبة إشاعة الفاحشة ، أو من كراهيتها ، وإذا كان كذلك ، وجب الاحتراز عن معصيته."[٢٧١]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ختم الآية بما لا تصح التزكية بدونه فقال : ﴿وَٱللَّهُ﴾ أي : الذي له جميع صفات الكمال ﴿سَمِيعٌ﴾ أي : لجميع أقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بكل ما يخطر في بالهم ، وينشأ عن أحوالهم ، وأفعالهم ، فهو خبير بمن هو أهل للتزكية ، ومن ليس بأهل لها ، فاشكروا الله على تزكيته لكم من الخوض في مثل ما

([٢٧٠]) التحرير والتنوير ١٨٨/١٨ .

([٢٧١]) التفسير الكبير ٣٤٨/٨ .

خاض فيه غيركم ؛ ممن خذله نوعاً من الخذلان ، واصبروا على ذلك منهم ، ولا تقطعوا إحسانكم عنهم ، فإن ذلك يكون زيادة في زكاتكم ، وسبباً لإقبال من علم فيه الخير منهم ، فقبلت توبته ، وغسلت حوبته ، وهذا المراد من قوله : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾."[٢٧٢]

قول ابن عاشور في المناسبة عبارة عن نقلٍ لقول الرازي ، ولم يأت البقاعي بجديد، إلا أن عباراته أفضل ، كما أنه جمع في الربط ، فنظر للآية المختومة بهذه الصفات، والآية اللاحقة .

١٩. قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ النور: ٢٢ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف على جملة : ﴿ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ النور: ٢١ ، عطف خاص على عام للاهتمام به ، لأنه قد يخفى أنه من خطوات الشيطان ، فإن من كيد الشيطان ، أن يأتي بوسوسة في صورة خواطر الخير ؛ إذا علم أن الموسوس إليه من الذين يتوخون البر والطاعة ، وأنه ممن يتعذر عليه ترويج وسوسته ؛ إذا كانت مكشوفة."[٢٧٣]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى كما أدب أهل الإفك ومن سمع كلامهم ، كما قدمنا ذكره ، فكذلك أدب أبا بكر ، لما حلف أن لا ينفق على مسطح أبداً."[٢٧٤]

([٢٧٢]) نظم الدرر ٢٤٧/٥ .

([٢٧٣]) التحرير والتنوير ١٨٨/١٨ .

([٢٧٤]) التفسير الكبير ٣٤٨/٨ .

في هذه المناسبة نظر ابن عاشور إلى العموم المذكور في الآيتين ، وهو خطوات الشيطان ووساوسه ، بينما كانت نظرة الرازي إلى الخاص ، وهو سبب النـزول ، وكان البقاعي قد ذكر الحديث عن هذه الآية ، في ختام الآية السابقة ، وذكر أن الختام بتلك الصفتين تمهيداً لهذه الآية .

ويمكن الجمع هنا فيقال : أنه لما حذر من مكائد الشيطان ، ووساوسه ، وطرقه ، نبه إلى أنه لا يسلم منها أحد ؛ غير من عصمه الله ، ولو سلم منها أحد لسلم منها صديق الأمة وأفضلها رضي الله عنه .

٢٠. قال تعالى : ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ النور: ٢٢ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وعطف ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ على جملة ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ زيادة في الترغيب في العفو والصفح ، وتطميناً لنفس أبي بكر في حنثه ، وتنبيهاً على الأمر بالتخلق بصفات الله تعالى."(٢٧٥)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان الجواب قطعاً كما أجاب الصديق رضي الله عنه : بلى والله ، إنا لنحب أن يغفر الله لنا ، وكان كأنه قيل : فاغفروا لمن أساء إليكم ، فالله حكم عدل ، يجازيهم على إساءتم إليكم إن شاء ، والله عليم شكور ، يشكر لكم ما صنعتم إليهم ، عطف عليه قوله : ﴿ وَٱللَّهُ ﴾ أي : مع قدرته الكاملة ، وعلمه الشامل ﴿ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ من صفته ذلك ، إن شاء يغفر لكم ذنوبكم ؛ بأن يمحوها ؛ فلا يدع لها أثراً ، ويرحمكم بعد محوها ؛ بالفضل عليكم كما فعلتم معهم ، فإن الجزاء من جنس العمل."(٢٧٦)

---

(٢٧٥) التحرير والتنوير ١٩٠/١٨ .

(٢٧٦) نظم الدرر ٢٤٨/٥ .

لا خلاف في ذكر المناسبة ، والمعنى واحد .

٢١. قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النور: ٢٧ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"ذكرنا أن من أكبر الأغراض في هذه السورة ، تشريع نظام المعاشرة والمخالطة العائلية في التجاور ، فهذه الآيات استئناف لبيان أحكام التزاور ، وتعليم آداب الاستئذان ، وتحديد ما يحصل المقصود منه ، كيلا يكون الناس مختلفين في كيفيته ؛ على تفاوت اختلاف مداركهم في المقصود منه ، والمفيد."[٢٧٧]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى عدل عما يتصل بالرمي والقذف ، وما يتعلق بهما من الحكم إلى ما يليق به ؛ لأن أهل الإفك إنما وجدوا السبيل إلى بهتانهم من حيث اتفقت الخلوة ، فصارت كأنها طريق التهمة ، فأوجب الله تعالى أن لا يدخل المرء بيت غيره ؛ إلا بعد الاستئذان ، والسلام ؛ لأن في الدخول لا على هذا الوجه وقوع التهمة ، وفي ذلك من المضرة ما لا خفاء به ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾."[٢٧٨]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أنهى سبحانه الأمر في براءة عائشة < ، على هذا الوجه الذي كساها به من الشرف ما كساها ، وحلاها برونقه من مزايا الفضل ما حلاها ، وكأن أهل الإفك قد فتحوا بإفكهم هذا الباب ؛ الظنون السيئة ، عدواة من إبليس لأهل هذا الدين ، بعد أن كانوا في ذلك وفي كثير من سجاياهم - إذ قانعاً منهم بداء الشرك - على الفطرة الأولى ، أمر تعالى رداً لما أثار بوسواسه من الداء ، بالتنـزه عن مواقع التهم ، والتلبس بما يحسم الفساد فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾."[٢٧٩]

---

(٢٧٧) التحرير والتنوير ١٩٦/١٨ .

(٢٧٨) التفسير الكبير ٣٥٦/٨ .

(٢٧٩) نظم الدرر ٢٥٢/٥ .

المناسبات متقاربة في المعنى والمقصود واحد وهو التذكير بجملة من الآداب ، وحديث البقاعي أخذه من فهم الرازي للمناسبة ، وصاغه بعباراته مع بعض الزيادة .

والمناسبة التي ذكرها الرازي ، وتبعه في المعنى البقاعي كانت بسبب النظر للآيات السابقات ، وكيفية ربطها بهذه الآية ، في حين أن ابن عاشور جعلها جملة مستأنفة ، فكانت نظرته للآية من جهة الأغراض المذكورة في السورة ، وهو تشريع نظام المعاشرة ، والمخالطة العائلية في التجاور .

وكل حسن فيما ذهب إليه من ذكر المناسبة ، إلا أن قول الرازي ، والبقاعي أولى ، فمتى استطاع المفسر ربط الآية بالآية التي قبلها مباشرة دون تعسف ، أو تكلف ، وكان ذكر المناسبة صحيحاً ، قدمت على غيرها ، مع الملاحظة أن الجمع بين وجوه ذكر المناسبة أولى ، والله أعلم .

٢٢. قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ النور: ٢٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وقوله : ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ تذييل لهذه الوصايا ، بتذكيرهم بأن الله عليم بأعمالهم ، ليزدجر أهل الإلحاح عن إلحاحهم ؛ بالتثقيل، وليزدجر أهل الحيل ، أو التطلع من الشقوق ونحوها. وهذا تعريض بالوعيد ، لأن في ذلك عصياناً لما أمر الله به ، فعلمه به كناية عن مجازاته فاعليه بما يستحقون."[٢٨٠]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان التقدير : فالله يجازيكم على امتثال أمره ، وكان الإنسان قد يفعل في البيوت الخالية وغيرها من الأمور الخفية ما يخالف ما أدب به

---

(٢٨٠) التحرير والتنوير ٢٠١/١٨ .

سبحانه مما صورته مصلحة ، وهو مفسدة ، عطف على ذلك المقدر قوله : ﴿ وَٱللَّهُ ﴾ أي : الملك الأعلى .

ولما كان المراد المبالغة في العلم ، قدم الجار ليصير كما إذا سألت شخصاً عن علم شيء ، فقال لك : ما أعلم غيره ، فقال : ﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي : وإن التبس أمره على أحذق الخلق ، ﴿ عَلِيمٌ ﴾ لا يخفى عليه شيء منه وإن دق ، فإياكم ومشتبهات الأمور ، فإذا وقفتم للاستئذان فلا تقفوا تجاه الباب ، ولكن على يمينه أو يساره ، لأن الاستئذان إنما جعل من أجل البصر ، وتحاموا النظر إلى الكوى التي قد ينظر منها أحد من أهل البيت ؛ ليعرف من على الباب ، هل هو ممن يؤنس به فيؤذن له ، أو لا ؛ فَيرد ، ونحو هذا من أشكاله مما لا يخفى على متشرع فطن ، يطير طائر فكره في فسيح ما أشار إليه مثل قوله ﷺ : « إذا حدث الرجل حديثاً فالتفت فهي أمانة »[٢٨١] رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي عن جابر رضي الله عنه ."[٢٨٢]

قول ابن عاشور في المناسبة هو عبارة عن اختصار بليغ شامل لقول البقاعي ، وزاد ابن عاشور ، أن فيه كناية عن مجازات الفاعلين بما يستحقون.

٢٣. قال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ النور: ٣٠ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"أعقب حكم الاستئذان ، ببيان آداب ما تقتضيه المجالسة بعد الدخول ، وهو أن لا يكون الداخل إلى البيت محدقاً بصره إلى امرأة فيه ، بل

---

(٢٨١) رواه الإمام أحمد واللفظ له في مسند جابر بن عبدالله ، حديث رقم [١٥١٠٤] ، ٣٧٩/٣ ؛ وأبو داود في كتاب الآداب ، باب في نقل الحديث ، حديث رقم [٤٨٦٨] ، ٢٦٧/٤ ؛ ورواه الترمذي في أبواب البر والصلة ، باب ما جاء أن المجالس أمانة ، حديث [١٩٥٩] ، ٣٤١/٤ ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن وإنما نعرفه من حديث ابن أبي ذئب .

(٢٨٢) نظم الدرر ٢٥٣/٥ .

إذا جالسته المرأة غض بصره ، واقتصر على الكلام ، ولا ينظر إليها ؛ إلا النظر الذي يعسر صرفه."[283]

وقال البقاعي -رحمه الله- في ذكر المناسبة ، وذلك عند الحديث عن خاتمة الآية السابقة من قوله : ﴿ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ قال :"تحذيراً من أن تزاحموا أحداً في مباح بما يؤذيه ، ويضيق عليه ، معتلين بأصل الإباحة ، أو يؤذن لكم في منـزل ؛ فتبطنوا فيه الخيانة ، فإنه وإن وقع الاحتراز من الخونة بالحجاب ، فلا بد من الخلطة لما بني عليه الإنسان من الحاجة إلى العشرة ، ولذلك اتصل به على طريق الاستئناف قوله تعالى ؛ مقبلاً على أعلى خلقه فهماً وأشدهم لنفسه ضبطاً دون بقيتهم ، إشارة إلى صعوبة الأمر، وخطر المقام ، مخوفاً لهم بالإعراض عنهم ، بالتردي برداء الكبر ، والاحتجاب في مقام القهر : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فعبر بالوصف إشارة إلى عدم القدرة على الاحتراز من المخالط بعد الخلطة ، وأنه لا يعف فيها إلا من رسخ الإيمان في قلبه ؛ لخفاء الخيانة حينئذ، بخلاف ما سبق في المنع من الدخول حيث كان التعبير بـ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾."[284]

ذكر ابن عاشور أن المناسبة هي : ذكر أدب آخر ترتب على الأدب المذكور سابقاً ، فبعد الاستئذان نبه إلى ما يجب فعله بعد الدخول .

وجاء ذكر المناسبة عند البقاعي وذلك عند قوله : ورتب على ذلك أنه لا يعف عن الخيانة إلا من رسخ الإيمان في قلبه .

ويمكن الجمع فيقال : المناسبة ، ذكر أدب آخر ترتب على الاستئذان ، وكان الخطاب فيه للمؤمنين ، لأنهم هم الذين يتحقق فيهم غض البصر وحفظ الفرج .

([283]) التحرير والتنوير ٢٠٣/١٨ .

([284]) نظم الدرر ٢٥٥/٥ .

٢٤. قال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ النور: ٣٠ .

الحديث هنا عن مناسبة التذييل بقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وذيل بجملة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ، لأنه كناية عن جزاء ما يتضمنه الأمر من الغض ، والحفظ ، لأن المقصد من الأمر الامتثال."(٢٨٥)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان المقام صعباً لميل النفوس إلى الدنايا ، واتباعها للشهوات ، علل هذا الأمر مرغباً ، ومرهباً بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي : الذي لا يخفى عليه شيء ؛ لما له من الإحاطة الكاملة ﴿ خَبِيرٌۢ ﴾ ، ولما كان وازع الحياء مع ذلك مانعاً عظيماً ، فلا يخالف إلا بمعالجة وتدرب ، عبر بالصنعة فقال : ﴿ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ أي : وإن تناهوا في إخفائه ، ودققوا في تدبير المكر فيه."(٢٨٦)

ذكر ابن عاشور أن المناسبة كناية عن جزاء غض البصر ، وحفظ الفرج ، والمقصد الامتثال ، وهو قريب من قول البقاعي ، فالترغيب والترهيب ؛ حاصله الجزاء ، فمن رغب ، وغض ، وحفظ ، كان جزاءه الحسنى ، ومن لم يفعل ، كان جزاءه العقاب.

٢٥. قال تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ النور: ٣٢ .

---

(٢٨٥) التحرير والتنوير ٢٠٤/١٨ .

(٢٨٦) نظم الدرر ٢٥٧/٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"الذي يؤخذ من استقراء القرآن وصف الواسع المطلق ، إنما يراد به سعة الفضل ، والنعمة ، ولذلك يقرن بوصف العلم ونحوه ، قال تعالى : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ النساء: ١٣٠ ، أما إذا ذكرت السعة بصيغة الفعل ، فيراد بها الإحاطة فيما تميز به كقوله تعالى : ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾الأعراف: ٨٩ .

وذكر ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بعد ﴿ وَٰسِعٌ ﴾ إشارة إلى أنه يعطي فضله على مقتضى ما علمه من الحكمة في مقدار الإعطاء."[٢٨٧]

وقال الرازي -رحمه الله- :"أما قوله : ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ فالمعنى أنه سبحانه في الإفضال لا ينتهي إلى حد تنقطع قدرته على الإفضال دونه ، لأنه قادر على المقدورات التي لا نهاية لها ، وهو مع ذلك عليم بمقادير ما يصلحهم من الإفضال ، والرزق."[٢٨٨]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان التقدير : فالله ذو فضل عظيم ، عطف عليه قوله : ﴿ وَٱللَّهُ ﴾ أي : ذو الجلال والإكرام ﴿ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي : فهو بسعة قدرته يسوق ما كتبه للمرأة على يد الزوج ، وبشمول علمه يسبب أسبابه."[٢٨٩]

قول البقاعي هنا هو ذكر للمناسبة ، وربط التذييل بما ذكر قبله في الآية ، بينما كان قول ابن عاشور والرازي أقرب إلى ذكر المعنى ، وكان ذكرهما للمعنى على وجه العموم ، أما البقاعي فكان ذكره للمناسبة على وجه خاص .

---

[٢٨٧] التحرير والتنوير ٢١٧/١٨ .

[٢٨٨] التفسير الكبير ٣٧١/٨ .

[٢٨٩] نظم الدرر ٣٦١/٥ .

٢٦. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ النور: ٣٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"ذُيلت الأحكام والمواعظ التي سبقت بإثبات نفعها وجدواها ؛ لما اشتملت عليه مما ينفع الناس ، ويقيم عمود جماعتهم ، ويميز الحق من الباطل ، ويزيل من الأذهان اشتباه الصواب بالخطأ ، فيعلم الناس طرق النظر الصائب ، والتفكير الصحيح ، وذلك تنبيه لما تستحقه من التدبر فيها ، ولنعمة الله على الأمة بإنزالها، ليشكروا الله حق شكره .

ووصف هذه الآيات المنـزلة بثلاث صفات ، كما وصف السورة في طالعتها بثلاث صفات ، والمقصد من الأوصاف في الموضعين هو الإمتنان ، فكان هذا يشبه رد العجز على الصدر."[٢٩٠]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما ذكر في هذه السورة هذه الأحكام ، وصف القرآن بصفات ثلاث."[٢٩١]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أتم سبحانه هذه الآيات في براءة عائشة < ، ومقدماتا وخواتيمها ، قال عاطفاً على قوله أولها : ﴿ وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾."[٢٩٢]

الاختلاف في ذكر المناسبة هنا كبير ، فذكر ابن عاشور أن المناسبة هي تذييلٌ للأحكام ، والمواعظ السابقة .

وذكر الرازي أن الآية وصف للقرآن .

([٢٩٠]) التحرير والتنوير ٢٢٨/١٨ .

([٢٩١]) التفسير الكبير ٣٧٧/٨ .

([٢٩٢]) نظم الدرر ٢٦٣/٥ .

وذكر البقاعي أن الآية معطوفة على ما ذكر في أول السورة ، من قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

أما في ذكر المعنى فلا خلاف بينهم .

ولعل قول ابن عاشور في ذكر المناسبة أحق من سابقيه ، ففي الآيات التي يكون فيه تشريع ، أو تذكير بنعم الله ، أو بيان حال من سبق ، ونحو ذلك ، يكون ختامها بقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وبقوله : ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ وبقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ونحو ذلك ، كما هو الحال في الآية المذكورة ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٣ ، وقوله تعالى : ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا وَفَرَضْنَـٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النور: ١ ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٣ .

٢٧. قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ النور: ٣٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"أتبع منةَ الهداية الخاصة في أحكام خاصة ؛ المفادة من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ ﴾ الآية ، بالامتنان بأن الله هو

مكون أصول الهداية العامة ، والمعارف الحق للناس كلهم ، بإرسال رسوله بالهدى ، ودين الحق ، مع ما في هذا الامتنان ؛ من الإعلام بعظمة الله تعالى ومجده ، وعموم علمه وقدرته .

والذي يظهر لي أن جملة ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ معترضة بين الجملة التي قبلها ، وبين جملة ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ ﴾ ، وأن جملة ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ ﴾ ، بيان لجملة ﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ ﴾ النور: ٣٤ ، كما سيأتي في تفسيرها ، فتكون جملة ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾، تمهيداً لجملة ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ ﴾.

ومناسبة موقع جملة ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ ﴾ بعد جملة ﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ ﴾ ، أن آيات القرآن نور ، قال تعالى : ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ النساء: ١٧٤ ، وقال : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ المائدة: ١٥ ، فكان قوله : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ كلمة جامعة لمعان جمة ، تتبع معاني النور في إطلاقه في الكلام .

وموقع الجملة عجيب من عدة جهات ، وانتقال من بيان الأحكام ، إلى غرض آخر من أغراض الإرشاد ، وأفانين من الموعظة ، والبرهان."[٢٩٣]

وقال البقاعي -رحمه الله- بعد الحديث عن الآية السابقة :"ثم علل إنزاله لذلك على هذا السنن الأقوم ، والنظم المحكم ، بقوله : ﴿ ٱللَّهُ ﴾ أي : الذي أحاطت قدرته وعلمه ، ﴿ نُورُ ﴾ أي : ذو نور ، ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ لأنه مظهرهما بإيجادهما ، وإيجاد أهلهما ، وهاديهم بالتنوير بالعلم ؛ الجاعل صاحبه بهدايته إلى الصراط المستقيم ؛ كالماشي في نور الشمس ، لا يضع شيئاً في غير موضعه ، كما أن الماشي في النور ، لا يضع رجلاً في غير موضعها اللائق بها ، ولا شك أن النور هو : ما به تظهر الأشياء

([٢٩٣]) التحرير والتنوير ٢٣٠/١٨ .

وتنكشف ، فهو سبحانه مظهرهما ، وهما وما فيهما دال على ظهوره ، وأنه تام القدرة ، شامل العلم ، حاوٍ لصفات الكمال ، منـزه عن شوائب النقص."[(٢٩٤)]

ذكر ابن عاشور أن المناسبة امتنان من الله على عباده ، فلما ذكر في الآية السابقة منة الهداية في بعض الأحكام ، أعقبها في هذه الآية بمنة أخرى ، وهي منة الهداية إلى نوره الحق ، وصراطه المستقيم .

وذكر البقاعي أن المناسبة تعليل للآية السابقة ، فشدت بيان الآيات والأمثلة ، والمواعظ ، ووضوحها ، كما هو الحال في أن الله نور السموات والأرض ، فوضوح نور الله تعليلٌ لوضوح الآيات ، والأمثلة ، والمواعظ لمن له أدنى تعقل .

الاختلاف واضح في ذكر المناسبتين ، وكلٌ حسن فيما ذهب إليه من ذكر المناسبة حسب فهمه .

٢٨. قال تعالى : ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ النور: ٣٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ تذييل لمضمون الجملتين قبلها ، أي : لا يعزب عن علمه شيء ، ومن ذلك علم من هو قابل للهدى ، ومن هو مصر على غيه ، وهذا تعريض بالوعد للأولين ، والوعيد للآخرين."[(٢٩٥)]

وقال الرازي -رحمه الله- :"ثم بين أنه سبحانه ﴿ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، وذلك كالوعيد لمن لا يعتبر ، ولا يتفكر في أمثاله ، ولا ينظر في أدلته ، فيعرف وضوحها ، وبعدها عن الشبهات."[(٢٩٦)]

---

(٢٩٤) نظم الدرر ٢٦٣/٥ .

(٢٩٥) التحرير والتنوير ٢٤٤/١٨ .

(٢٩٦) التفسير الكبير ٣٩١/٨ .

وقال البقاعي -رحمه الله- :"﴿ وَٱللَّهُ ﴾ أي : الذي له جميع صفات الكمال ، ﴿ بِكُلِّ شَيۡءٍ ﴾ أي : منها ، ومن غيرها ، ﴿ عَلِيمٌ ﴾ يبين كل شيء بما يسهل سبيله، فثقوا بما يقول ، وإن لم تفهموه أنفسكم ، وأمعنوا النظر فيه يفتح لكم سبحانه ما انغلق منه."(٢٩٧)

ذكر ابن عاشور أن الجملة تذييل لمضمون الجملتين قبلها ، ثم ذهب في قوله إلى ما ذهب إليه الرازي في حديثه ، وكان حديث البقاعي مختلف عنهما .

وكلٌ حسن ، ويمكن الجمع فيقال : ذكر الصفة بهذا الموضع تذييل لما قبلها ، فلا يعزب عن علمه شيء ، فثقوا بالعليم الذي يبين كل شيء بما يسهل سبيله ، وأمعنوا النظر في كل شيء يفتح لكم سبحانه ما انغلق منه .

وفي التذييل بهذا تعريض بالوعد والوعيد ، لمن لا يتفكر ، ولا يعتبر .

٢٩. قال تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴾ النور: ٤١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"أعقب تمثيل ضلال أهل الضلالة ، وكيف حرمهم الله الهدى في قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ النور:٣٩- ٤٠ ، بطلب النظر والاعتبار ، كيف هدى الله تعالى كثيراً من أهل السماوات والأرض ؛ إلى تنـزيه الله المقتضي الإيمان به وحده ، وبما ألهم الطير إلى أصواتا المعربة عن بهجتها بنعمة وجودها ، ورزقها ، الناشئين عن إمداد الله إياها بهما، فكانت أصواتا دلائل حال على تسبيح الله ، وتنـزيهه عن الشريك ، فأصواتا تسبيح بلسان الحال .

---

(٢٩٧) نظم الدرر ٢٦٥/٥ .

والجملة استئناف ابتدائي ، ومناسبته ما علمت."[298]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما وصف أنوار قلوب المؤمنين ، وظلمات قلوب الجاهلين ، أتبع ذلك بدلائل التوحيد."[299]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان قيام الأمور ، وظهورها كل ظهور ، إنما هو بالنور ، حساً : بالإيجاد ، ومعنى : بجعل الموجودات آيات مرئيات تدل على موجدها، قال تعالى دالاً على ما أخبر به من أنه وحده نور السماوات والأرض ، أي : موجدهما بعلمه وقدرته ، ومن أن من كساه من نوره ؛ فإن في يوم البعث الذي يجازي فيه الخلق على ما يقتضيه العلم الذي هو النور في الحقيقة من مقادير أعمالهم ، ومن أعراه من النور هلك : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ ﴾."[300]

ذكر ابن عاشور أن المناسبة هي طلب النظر والاعتبار في ضلال أهل الضلالة ، وحرمانهم الهدى في الآيات السابقات ، وفي هداية الله في هذه الآية لكثير من أهل الأرض والسماء ، وما بينهما من الطيور ؛ لتنـزيهه المقتضي الإيمان به وحده .

وذكر الرازي أن المناسبة هي لبيان دلائل التوحيد .

فالذي يسبح له أهل السموات والأرض ، والطيور بينهما ، حقيق بأن يكون الإله المعبود ، مع ما في خلق تلك الطيور من الدلائل على قدرة الصانع المدبر سبحانه.[301]

وذكر البقاعي أن المناسبة للدلالة على ما أخبر به ؛ من أنه وحده نور السماوات والأرض ، الذي أوجدهما بعلمه ، وقدرته .

اختلف ابن عاشور في ذكره للمناسبة عن الرازي ، والبقاعي ، ولكن المعنى المذكور في الآية واحد ، وهو أنه الإله الحق ، المبدع الصنع ، العليم بكل حال .

([298]) التحرير والتنوير ٢٥٧/١٨ .

([299]) التفسير الكبير ٤٠١/٨ .

([300]) نظم الدرر ٢٧١/٥ .

([301]) ينظر التفسير الكبير ٤٠١/٨-٤٠٢ .

٣٠. **قال تعالى :** ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ **النور:٤١.**

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ تذييل ؛ وهو إعلام بسعة علم الله تعالى الشامل للتسبيح ، وغيره من الأحوال."[٣٠٢]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان التقدير : فالله قدير على جميع تلك الشؤون، عطف عليه قوله : ﴿ وَٱللَّهُ ﴾ أي : المحيط علماً وقدرة ﴿عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ بما ثبت مما أخبركم به في هذه السورة عن دقائق أقوالكم وأحوالكم ، وضمائركم وأفعالكم."[٣٠٣]

المناسبتان متشابهان ، والمعنى واحد .

٣١. **قال تعالى :** ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ **النور: ٤٥ .**

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ تعليلٌ وتذييل ، ووقع فيه إظهار اسم الجلالة في مقام الإضمار ؛ ليكون كلاماً مستقلاً بذاته ، لأن شأن التذييل أن يكون كالمثل."[٣٠٤]

([٣٠٢]) التحرير والتنوير ٢٥٩/١٨ .

([٣٠٣]) نظم الدرر ٢٧٢/٥ .

([٣٠٤]) التحرير والتنوير ٢٦٦/١٨ .

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كانت هـذه الأدلـة نـاظرة إلى البعـث أتم نظر ، وكانوا منكرين لـه ، أكـد قولـه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي : الـذي لـه الكمـال المطلق ﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ من ذلك وغيره ﴿ قَدِيرٌ ﴾."[305]

قول البقاعي هنا فيه ذكر لمناسبة الختم بهذا التذييل ، فالقادر على فعل ذلك ابتداءً جدير بإعادته ، وهو أسهل عليه .

وكان قول ابن عاشور في ذكر المناسبة قول عام .

٣٢. قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ النور: ٥١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"استئناف بياني ، لأن الإخبار عن الذين يعرضون ، عندما يدعون إلى الحكومة ، بأنهم ليسوا بالمؤمنين ، في حين أنهم يظهرون الإيمان ، يثير سؤال سائل عن الفاصل الذي يميز بين المؤمن الحق ، وبين الذي يرائي بإيمانه ، في حين يدعى إلى الحكومة عند رسول الله ﷺ ، فيقتضي أن يبين للسائل الفرق بين الحالين ؛ لئلا يلتبس عنده الإيمان المزور ، بالإيمان الصادق ، فقد كان المنافقون يموهون ؛ بأن إعراض من أعرض منهم عن التحاكم عند رسول الله ، ليس لتزلزل في إيمانه بصدق الرسول ، ولكنه إعراض لمراعاة أعراض من العلائق الدنيوية ، كقول بشر : إن الرسول يبغضني ، فبين الله بطلان ذلك ، بأن المؤمن لا يرتاب في عدل الرسول ، وعدم مصانعته .

وقد أفاد هذا الاستئناف أيضاً الثناء على المؤمنين الأحقاء ، بضد ما كان ذماً للمنافقين ، وذلك من مناسبات هذا الاستئناف على عادة القرآن في إرداف التوبيخ بالترغيب ، والوعيد بالوعد ، والنذارة بالبشارة ، والذم بالثناء ."[306]

([305]) نظم الدرر ٢٧٤/٥ .

([306]) التحرير والتنوير ٢٧٣/١٨ .

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما حكى قول المنافقين وما قالوه وما فعلوه ، أتبعه بذكر ما كان يجب أن يفعلوه ، وما يجب أن يسلكه المؤمنون ، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾."[٣٠٧]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما نفى عنهم الإيمان الكامل بما وصفهم به ، كان كأنه سئل عن حال المؤمنين فقال : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾."[٣٠٨]

قول ابن عاشور هنا كقول سابقيه ، إلا أن في ذكره للمناسبة تفصيلاً أكثر ، وقد زاد على قولهما : أن الاستئناف فيه ثناء على المؤمنين .

٣٣. قال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ النور: ٥٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ صالحة لتذييل الاحتمالات المتقدمة ، وهي تعليل لما قبلها."[٣٠٩]

وقال الرازي -رحمه الله- :"﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي : بصير لا يخفى عليه شيء من سرائركم ، وإنه فاضحكم لا محالة ، ومجازيكم على نفاقكم."[٣١٠]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي : الذي له الإحاطة بكل شيء ﴿ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ وإن اجتهدتم في إخفائه ، فهو ينصب عليه دلائل يعرفه بها عباده، فالحلف غير مغنٍ عن الحالف ، والتسليم غير ضار للمسلم."[٣١١]

([٣٠٧]) التفسير الكبير ٤١١/٨ .

([٣٠٨]) نظم الدرر ٢٧٦/٥ .

([٣٠٩]) التحرير والتنوير ٢٧٩/١٨ .

([٣١٠]) التفسير الكبير ٤١٢/٨ .

قول ابن عاشور هنا أيضاً قول عام ، وهو شامل لقول سابقيه ، وجاء قول الرازي والبقاعي ؛ في أن الله مظهر ما يخفيه المنافقون في سرائرهم وإن اجتهدوا في إخفائه، وهو بيان حقيقي لما في أول هذه الآية من مناسبة التذييل بذلك ، وقولهما خاص بهذه الآية دون الآيات السابقات خلافاً لما ذكره ابن عاشور من التعميم .

٣٤. قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ النور: ٥٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"والأشبه أن هذا الكلام استئناف ابتدائي ، انتقل إليه بمناسبة التعرض إلى أحوال المنافقين ؛ الذين أبقاهم على النفاق ترددهم في عاقبة أمر المسلمين ، وخشيتهم أن لا يستقر بالمسلمين المُقام بالمدينة ، حتى يغزوهم المشركون ، أو يخرجهم المنافقون حين يجدون الفرصة لذلك ، كما حكى الله تعالى من قول عبد الله بن أبي : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّ ﴾ المنافقون: ٨ ، فكانوا يظهرون الإسلام اتقاء من تمام أمر الإسلام ، ويبطنون الكفر ممالاة لأهل الشرك ، حتى إذا ظهروا على المسلمين لم يلمزوا المنافقين بأنهم قد بدلوا دينهم ، مع ما لهذا الكلام من المناسبة مع قوله : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ ﴾ النور: ٥٤ ، فيكون المعنى : وإن تطيعوه تتدوا ، وتنصروا ، وتأمنوا .

([٣١١]) نظم الدرر ٢٧٧/٥ .

ومع ما روي من حوادث تخوف المسلمين ضعفهم أمام أعدائهم ، فكانوا مشفقين من غزو أهل الشرك ، ومن كيد المنافقين ، ودلالتهم المشركين على عورات المسلمين ، فقيل كانت تلك الحوادث سبباً لنـزول هذه الآية."[٣١٢]

وقال البقاعي -رحمه الله- بعد الحديث عن قوله : ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ :"ولما لاح بهذا الإذن في الكف عن قتل النبي ﷺ للمنافقين ؛ لئلا يقول الناس : إن محمداً استنصر بقوم ، فلما نصره الله بهم أقبل يقتلهم ، فيمتنع من يسمع ذلك من الدخول في الإسلام ، فتكون مفسدة قتلهم أعظم من مفسدة إبقائهم ، لأن الدين لم يكن حينئذ تمكن تمكناً لا يؤثر فيه مثل ذلك ، تشوفت النفوس إلى أن هذا الحال هل يستمر؟ فجلى الله عنهما هذا الكرب بقوله ؛ بياناً لأن تمكن الدين غير مفتقر إليهم سواء أقبلوا ، أو أدبروا : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾."[٣١٣]

استفاد ابن عاشور في ذكره للمناسبة من تفسير الرازي للآية ، وذلك بقوله: "اعلم أن تقدير النظم ، بلغ أيها الرسول ، وأطيعوه أيها المؤمنون ، فقد وعد الله الذين آمنوا منكم ، وعملوا الصالحات أي : الذين جمعوا بين الإيمان ، والعمل الصالح ، أن يستخلفهم في الأرض ، فيجعلهم الخلفاء ، والغالبين ، والمالكين."[٣١٤]

وما ذكر ابن عاشور من المناسبة قريب في المعنى من قول البقاعي بالجملة ، فكلاهما ذكر تخوف المسلمين ، والآية جواب عن هذا التخوف .

٣٥. قال تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ النور: ٥٧ .

---

(٣١٢) التحرير والتنوير ٢٨١/١٨ .

(٣١٣) نظم الدرر ٢٧٨/٥ .

(٣١٤) التفسير الكبير ٤١٢/٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"استئناف ابتدائي لتحقيق ما اقتضاه قوله : ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا ﴾ ، فقد كان المشركون يومئذ لم يزالوا في قوة وكثرة، وكان المسلمون لم يزالوا يخافون بأسهم ، فربما كان الوعد بالأمن من بأسهم متلقى بالتعجب ، والاستبطاء الشبيه بالتردد ، فجاء قوله : ﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ تطميناً ، وتسلية.

والخطاب لمن قد يخامره التعجب ، والاستبطاء دون تعيين .

والمقصود من النهي عن هذا الحسبان التنبيه على تحقيق الخبر."[٣١٥]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان الكفار من الكثرة والقوة بمكان ، كان الحال جديراً بتأكيد معنى التمكين ، جواباً لسؤال من كأنه قال : وهل ذلك ممكن فقال : ﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾."[٣١٦]

المناسبتان مكملتان لبعضهما ، فالمناسبة التي ذكرها ابن عاشور قريبة من قول البقاعي ، غير أن ابن عاشور أجاد في ذكرها ، حاوياً لجميع أبعادها.

وكان قول البقاعي أن الآية جواب لسؤال مقدر ، فيما يرى ابن عاشور أن الآية جيء بها للتسلية ، والتطمين .

٣٦. قال تعالى : ﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۢ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ النور: ٦٠ .

---

(٣١٥) التحرير والتنوير ٢٩٠/١٨ .

(٣١٦) نظم الدرر ٢٨١/٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"هذه الآية مخصصة لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾النور: ٣١ .

ومناسبة هذا التخصيص هنا ؛ أنه وقع بعد فرض الاستئذان في الأوقات التي يضع الرجال والنساء فيها ثيابهم عن أجسادهم ، فعطف الكلام إلى نوع من وضع الثياب عن لابسها ، وهو وضع النساء القواعد بعض ثيابهن عنهن ، فاستثني من عموم النساء النساءُ المتقدمات في السن ، بحيث بلغن إبان الإياس من المحيض ، فرخص لهن أن لا يضربن بخمرهن على جيوبهن ، وأن لا يدنين عليهن من جلابيبهن."[٣١٧]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ذكر سبحانه اقتبال الشباب ، في تغيير حكم الحجاب ، أتبعه الحكم عند إدبار الشباب ، في إلقاء الظاهر من الثياب ، فقال : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ ﴾."[٣١٨]

المناسبتان مختلفتان ، والمراد منهما واحد ؛ القواعد من النساء ، وكلا القولين حسن .

فذكر ابن عاشور أن المناسبة تخصيص القواعد من النساء ؛ بإلقاء بعض الثياب .

وذكر البقاعي أن المناسبة هي لمقابلة حالة الشباب وذكر الحجاب ، بإدبار الشباب وإلقاء الثياب ، والله أعلم .

---

(٣١٧) التحرير والتنوير ٢٩٦/١٨ .

(٣١٨) نظم الدرر ٢٨٣/٥ .

المبحث الثاني : سورة الفرقان.

وفيه تمهيد ، ومطلبان

المطلب الأول : أغراض السورة

المطلب الثاني : مناسبات الآيات

تمهيد

- **اسـم الـسـورة :** الفرقان ، ولم يرد لها اسم آخر .
- **نـوعـهـا :** وقد وردت أقوال في كونها مكية ، أم مدنية ؟ فعن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقتادة : هي مكية إلا ثلاث آيات نـزلت بـالمـدينة ، وهي : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ الفرقان: ٦٨ ، إلى قوله سبحانه : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ الفرقان: ٧٠ ، وقـال الضحاك[٣١٩]: هي مدنية إلا أولهـا، إلى قولـه تـعـالى : ﴿ وَلَا نُشُورًا ﴾ الفرقان:٣ ، فـهو مـكي ، وقد اتفق الجمهور على أنها مكية.[٣٢٠]
- **ترتيبها في المصحف :** الخامسة والعشرون .
- **عـدد آيـاتـهـا :** سبع وسبعون آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف.[٣٢١]
- **نظيرها في الـعدد :** لا نظير لها في عدد آياتا .

---

(٣١٩) الضحاك بن مزاحم الهلالي من بني عبد مناف ، ويكنى أبا القاسم ، صاحب التفسير ، أتى خراسان وأقام بها مات سنة اثنتين ومائة ، وقيل خمس ، وقيل ست .[ينظر طبقات المفسرين للأدنه وي ص١٠ ؛ سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٩٨/٤] .

(٣٢٠) ينظر تفسير القرطبي١٣/١ .

(٣٢١) ينظر البيان في عد آي القرآن للداني ص١٩٤ .

أغـراض سـورة الـفـرقـان

قال ابن عاشور -رحمه الله- : "واشتملت هذه السورة على الابتداء بتحميد الله تعالى ، وإنشاء الثناء عليه ، ووصفه بصفات الإلهية والوحدانية فيها .

وأُدمج في ذلك التنويه بالقرآن ، وجلال منزله ، وما فيه من الهدى ، وتعريض بالامتنان على الناس بهديه ، وإرشاده إلى اتقاء المهالك ، والتنويه بشأن النبي ﷺ .

وأقيمت هذه السورة على ثلاث دعائم .

الأولى : إثبات القرآن منزلٌ من عند الله ، والتنويه بالرسول المنـزل عليه ﷺ ، ودلائل صدقه ، ورفعة شأنه عن أن تكون له حظوظ الدنيا ، وأنه على طريقة غيره من الرسل ، ومن ذلك تلقى قومه دعوته بالتكذيب .

الدعامة الثانية : إثبات البعث والجزاء ، والإنذار بالجزاء في الآخرة ، والتبشير بالثواب فيها للصالحين ، وإنذار المشركين بسوء حظهم يومئذ ، وتكون لهم الندامة على تكذيبهم الرسول ﷺ ، وعلى إشراكهم ، واتباع أئمة كفرهم .

الدعامة الثالثة : الاستدلال على وحدانية الله ، وتفرده بالخلق ، وتنـزيهه عن أن يكون له ولد ، أو شريك ، وإبطال إلهية الأصنام ، وإبطال ما زعموه من بنوة الملائكة لله تعالى .

وافتتحت في آيات كل دعامة من هذه الثلاث بجملة ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى ﴾ الخ .

قال الطيبي(٣٢٢) :"مدار هذه السورة على كونه ﷺ مبعوثا إلى الناس كافة ،

---

(٣٢٢) حسن بن محمد بن عبد الله ، شرف الدين الطيبي الأصل ، وهو من علماء الحديث ، والتفسير والبيان ، كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن ، له مؤلفات كثيرة ، منها التفسير للقرآن العظيم ، والحاشية على تفسير الكشاف ؛ المسمى فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ؛ وكتاب التبيان في المعاني، توفي

ينذرهم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولهذا جعل براعة استهلالها ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ١. "

وذكر بدائع من صنعه تعالى جمعاً بين الاستدلال ، والتذكير .

وأعقب ذلك بتثبيت الرسول ﷺ على دعوته ، ومقاومته الكافرين .

وضرب الأمثال للحالين ببعثة الرسل السابقين ، وما لقوا من أقوامهم ، مثل قوم موسى ، وقوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وأصحاب الرس ، وقوم لوط .

والتوكل على الله ، والثناء على المؤمنين به ، ومدح خصالهم ، ومزايا أخلاقهم ، والإشارة إلى عذاب قريب يحل بالمكذبين."(٣٢٣)

وهو= =ينتظر الصلاة ، في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .[ينظر طبقات المفسرين للأدنه وي ٢٧٧/١ ؛ والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ١٨٥/٢] .

(٣٢٣) التحرير والتنوير ١٨/ ٣١٤ .

٣٧. قال تعالى : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"افتتاح بديع لندرة أمثاله في كلام بلغاء العرب ، لأن غالب فواتحهم أن تكون بالأسماء مجردة ، أو مقترنة بحرف غير منفصل ، مثل قول طرفة :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد ...[٣٢٤]

أو بأفعال المضارعة ونحوها ، كقول امرىء القيس :

قفَا نبك...[٣٢٥]

أو بحروف التأكيد ، أو الاستفهام ، أو التنبيه مثل : (إن) ، و (قد) ، والهمزة ، و (هل) ، ومن قبيل هذا الافتتاح قول الحارث بن حلزة :

آذَنتنا ببينِها أسماءُ ...[٣٢٦]

وقول النابغة :

كتمتك ليلا بالجمومين ساهراً وهمين هماً مستكناً وظاهرا [٣٢٧]

---

(٣٢٤) صدر البيت الأول لمعلقة طرفة بن العبد .[ينظر جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص١٢٥ ؛ وديوان طرفة ، تقديم عبدالقادر محمد مايو ص٥١] .

(٣٢٥) جزء من صدر البيت الأول لمعلقة امرئ القيس .[ينظر جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص٧٩ ؛ وديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص٨] .

(٣٢٦) صدر البيت الأول لمعلقة الحارث بن حلزة .[ينظر طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ١٥١/١ ؛ شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الاسترباذي ٢٤٤/٤] .

(٣٢٧) مطلع قصيدة النابغة الذبياني التي يمدح بها النعمان ويعتذر إليه .[ينظر أساس البلاغة للزمخشري ص٣١٦ ؛

وبهذه الندرة يكون في طالع هذه السورة براعة المطلع ، لأن الندرة من العزة ، والعزةُ من محاسن الألفاظ ، وضدها الابتذال."[328]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أن الله سبحانه وتعالى تكلم في هذه السورة في التوحيد ، والنبوة ، وأحوال القيامة ، ثم ختمها بذكر صفات العباد المخلصين الموقنين ، ولما كان إثبات الصانع ، وإثبات صفات جلاله يجب أن يكون مقدماً على الكل ، لا جرم افتتح الله هذه السورة بذلك ، فقال : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾."[329]

كلا القولين في مناسبة الافتتاح بهذه الآية جميل ، فهو افتتاح بديع لندرة أمثاله في كلام بلغاء العرب ، فصدرت السورة بالثناء على نفسه سبحانه بإنزاله الكتاب على عبده ليكون للعالمين نذيرا .

وكان حديث البقاعي عن المناسبة بين خاتمة سورة النور وهذه الآية ، وهذا لا يراه ابن عاشور ، فلم تذكر تلك المناسبة هنا .

٣٨. قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ الفرقان: ٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"انتقال من ذكر كفرهم في أفعالهم ؛ إلى ذكر كفرهم بأقوالهم الباطلة .

والإظهار هنا لإفادة أن مضمون الصلة ؛ هو علة قولهم هذا ، أي : ما جرأهم على هذا البهتان ؛ إلا إشراكهم وتصلبهم فيه ، وليس ذلك لشبهة تبعثهم على هذه المقالة

وديوان النابغة ، تحقيق فوزي عطوي ص٦٩] .

([328]) التحرير والتنوير ٣١٥/١٨ .

([329]) التفسير الكبير ٤٢٨/٨ .

لانتفاء شبهة ذلك ، بخلاف ما حكي آنفاً من كفرهم بالله ، فإنهم تلقوه من آبائهم ، فالوصف الذي أجري عليهم هنا مناسب لمقالتهم ، لأنها أصل كفرهم .

وهذه الجملة مقابلة جملة ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ الفرقان: ١ ، فهي المقصود من افتتاح الكلام كما آذنت بذلك فاتحة السورة ، وإنما أخرت هذه الجملة التي تقابل الجملة الأولى ؛ مع أن مقتضى ظاهر المقابلة ؛ أن تذكر هذه الجملة قبل جملة ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ الفرقان: ٣ ؛ اهتماماً بإبطال الكفر المتعلق بصفات الله."[٣٣٠]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه تكلم أولاً في التوحيد ، وثانياً في الرد على عبدة الأوثان ، وثالثاً في هذه الآية تكلم في مسألة النبوة ، وحكى سبحانه شبههم في إنكار نبوة محمد ﷺ."[٣٣١]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما وصف منـزل الفرقان بما لا يحيط به علم أحد غيره من الشؤون ، فاتضح بذلك إعجاز المنـزل الذي أبان ذلك ، وهو هذا القرآن ، وأنه وحده الفرقان ، عجب من حال المكذبين به فقال موضع «وقالوا» : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾."[٣٣٢]

فصل ابن عاشور في ذكر المناسبة ، وأجاد في ذكر متعلقات الآية ، وذكر أن المناسبة انتقال إلى ذكر كفرهم بأقوالهم الباطلة ، بعد ذكر كفرهم في أفعالهم ، وهو في المعنى قريب من قول الرازي .

وذكر البقاعي أن المناسبة تعجب من حال المكذبين بالقرآن .

الاختلاف في هذه المناسبة يسير ، ويمكن الجمع فيقال المناسبة هي : انتقال لبيان

([٣٣٠]) التحرير والتنوير ٣٢٢/١٨ .

([٣٣١]) التفسير الكبير ٤٣٢/٨ .

([٣٣٢]) نظم الدرر ٢٩٥/٥ .

كفرهم بالأقوال بعد بيان كفرهم بالأفعال ، ففي هذه الآية تعجب من حال المكذبين بالقرآن ، الذي هو في حقيقته إنكار لنبوة محمد ﷺ .

٣٩. قال تعالى : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ الفرقان: ٦ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"والتعريف في ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ تعريف الجنس يستغرق كل سر ، ومنه إسرار الطاعنين في القرآن عن مكابرة وبهتان ، أي : يعلم أنهم يقولون في القرآن ما لا يعتقدونه ظلماً ، وزوراً منهم ، وبهذا يعلم موقع جملة ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ؛ ترغيباً لهم في الإقلاع عن هذه المكابرة ، وفي اتباع دين الحق ، ليغفر الله لهم ، ويرحمهم ، وذلك تعريض بأنهم إن لم يقلعوا ، ويتوبوا ، حق عليهم الغضب والنقمة."[٣٣٣]

وقال الرازي -رحمه الله- :"إنما ذكر الغفور الرحيم في هذا الموضع لوجهين .

الأول : قال أبو مسلم[٣٣٤]: المعنى أنه إنما أنزله لأجل الإنذار ، فوجب أن يكون غفوراً رحيماً غير مستعجل في العقوبة .

الثاني : أنه تنبيه على أنهم استوجبوا بمكايدتم هذه ؛ أن يصب عليهم العذاب صباً ، ولكن صرف ذلك عنهم كونه غفوراً رحيماً ؛ يمهل ، ولا يعجل."[٣٣٥]

---

(٣٣٣) التحرير والتنوير ٣٢٦/١٨ .

(٣٣٤) أبو مسلم ، هو محمد بن بحر الأصبهاني (الأصفهاني) ، الكاتب المترسل البليغ المتكلم الجدلي المعتزلي العالم بالتفسير وبغيره من صنوف العلم ، صار عامل أصبهان ، وعامل فارس للمقتدر ، وكان مولده سنة أربع وخمسين ومائتين ، له من الكتب جامع التأويل لمحكم التنزيل على مذهب الاعتزال ؛ والناسخ والمنسوخ ؛ وكتاب جامع رسائله ، توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .[ينظر معجم الأدباء ٢٣٩/٥ ؛ والوافي بالوفيات ١٧٥/٢] .

(٣٣٥) التفسير الكبير ٤٣٤/٨ .

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان من المعلوم أن العالم بكل شيء قادر على كل شيء ، كما مضى تقريره في سورة طه ، وكانت العادة جارية بأن من علم استخفاف غيره به ، وكان قادراً عليه ، عاجله بالأخذ ، أجيب من كأنه قال : فما له لا يهلك المكذبين له؟ بقوله مرغباً لهم في التوبة ، مشيراً إلى قدرته بالستر والإنعام ، ومبيناً لفائدة إنزاله إليهم هذا الذكر ؛ من الرجوع عما تمادت عليه أزمانهم من الكفر ، وأنواع المعاصي : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ﴾ أزلاً وأبداً ، ﴿ غَفُورًا ﴾ أي : بليغ الستر لما يريد من ذنوب عباده ، بأن لا يعاتبهم عليها ، ولا يؤاخذهم بها ، ﴿ رَّحِيمًا ﴾ بهم في الإنعام عليهم بعد خلقهم برزقهم ، وتركيب العقول فيهم ، ونصب الأدلة لهم ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب فيهم ، وإمهالهم في تكذيبهم ، أي : فليس لإمهالهم ، ووعظهم ، بما نزله إليهم سبب إلا رحمته ، وغفرانه ، وعلمه ؛ بأن كتابه صلاح لأحوالهم في الدارين."[٣٣٦]

ذكر ابن عاشور أن مناسبة التذييل بهذه الجملة هو : الترغيب لهم في الإقلاع عن هذه المكابرة ، وأن يتبعوا دين الحق ليغفر الله لهم ، ويرحمهم ، وفيه تعريض بأنهم إن لم يقلعوا ، ويتوبوا حق عليهم الغضب والنقمة ، وقد استفاد هذا القول ؛ من قول الرازي في حديثه عن هذا التذييل .

ولم يذهب البقاعي بعيداً عنهما في الجملة ، غير أن عباراته فيها وضوح للمناسبة، وبيان أكثر من قولهما ، وربط ذلك بشيء من الواقع .

٤٠. قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴾ الفرقان: ٢٠ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وموقع ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴾ ؛ موقع الحث

---

(٣٣٦) نظم الدرر ٢٩٧/٥ .

على الصبر المأمور به ، أي : هو عليم بالصابرين ، وإيذان بأن الله لا يضيع جزاء الرسول على ما يلاقيه من قومه ، وأنه ناصره عليهم .

وفي الإسناد إلى وصف الرب مضافاً إلى ضمير النبي ﷺ ؛ إيماء إلى هذا الوعد ، فإن الرب لا يضيع أولياءه كقوله : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ الحجر: ٩٧ - ٩٩ ، أي : النصر المحقق."[٣٣٧]

وقال الرازي -رحمه الله- :"أي : هو العالم بمن يصبر ، ومن لا يصبر ، فيجازي كلاً منهم بما يستحقه من ثواب وعقاب."[٣٣٨]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان الاختبار ربما أوهم نقصاً في العلم ، وكان إحسانه سبحانه إلى جميع الخلق دون إحسانه إلى سيدهم وعينهم وخلاصتهم وزينهم محمد ﷺ ، وكان أعلمهم بتنـزيهه وتعظيمه ، وكان امتحانهم بجعله نبياً عبداً مع كونه في غاية الإكرام له ، ربما ظنوه إهانة ؛ نفى ما لعله يوهمه كل من الاستفهام ، والامتحان، في حق الله سبحانه ، وحق نبيه ﷺ ، فقال صارفاً وجه الخطاب إليه : ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ ﴾ أي : المحسن إليك إحساناً لم يحسنه إلى أحد سواك ، لا سيما بجعلك نبياً عبداً .

﴿ بَصِيرًا ﴾ بكل شيء ، فهو عالم بالإنسان قبل الامتحان ، لم يفده ذلك علماً لم يكن ، وهو سبحانه يضع الأمور في حاق[٣٣٩] مواضعها ، وإن رئي غير ذلك ، فينبغي على كل أحد التسليم له في جميع الأمور ، فإنه يجر إلى خير كبير ، والتدبر لأقواله وأفعاله، بحسن الانقياد والتلقي ، فإنه يوصل إلى علم غزير ، وما أراد بابتلائك بهم ،

([٣٣٧]) التحرير والتنوير ٣٤٥/١٨ .

([٣٣٨]) التفسير الكبير ٤٤٧/٨ .

([٣٣٩]) بمعنى نزل ، أي : ينزلُ الأمور في مواضعها ، وتأتي بمعنى أحاط .[ينظر مادة (حيق) : معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ١٢٥/٢ ؛ ولسان العرب لابن منظور ٧١/١٠] .

وابتلائهم بك في هذا الأذى الكبير ؛ إلا إعلاء شأنك ، وإسفال أمرهم ﴿ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴾ص: ٨٨."[340]

هنا أحسن البقاعي في ذكر المناسبة ، ففصل ، وأطنب في شرح هذا التذييل ، دافعاً بذلك الشبهة التي قد تنتج عن الفهم الخاطئ لصدر الآية ، فجاء هذا التذييل صارفاً لتلك الشبه .

وتبعه ابن عاشور في ذلك باختصار ، فلم يأت بجديد ، وكان قول الرازي عبارةً عن تفسير للآية .

٤١. قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾الفرقان: ٣٠ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف على أقوال المشركين ، ومناسبته لقوله : ﴿ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ ﴾ الفرقان: ٢٩ ، أن الذكر هو القرآن ، فحكيت شكاية الرسول إلى ربه ؛ قومه من نبذهم القرآن ، بتسويل زعمائهم وسادتم ، الذين أضلوهم عن القرآن ، أي : عن التأمل فيه بعد أن جاءهم ، وتمكنوا من النظر."[341]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أن الكفار لما أكثروا من الاعتراضات الفاسدة ، ووجوه التعنت ، ضاق صدر الرسول ﷺ ، وشكاهم إلى الله تعالى ، وقال : ﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ ﴾."[342]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ذكر سبحانه أقوال الكفار إلى أن ختم بالإضلال

([340]) نظم الدرر ٣٠٩/٥ .

([341]) التحرير والتنوير ١٧/١٩ .

([342]) التفسير الكبير ٤٥٥/٨ .

عن الذكر ، وكانوا مع إظهارهم التكذيب به وأنه مفتعل في غاية الطرب له ، والاهتزاز به ، والتعجب منه ، والمعرفة بأنه يكون له نبأ ، أشار إلى ذلك بقوله : عاطفاً على ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ ﴾ معظماً لهذه الشكاية منه ﷺ ، مخوفاً لقومه ، لأن الرسل قبله عليهم الصلاة والسلام كانوا إذا شكوا ؛ أُنزل بقومهم عذاب الاستئصال ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ ﴾."[343]

قول ابن عاشور في ذكر المناسبة أفضل الأقوال ، وكانت عبارات الرازي أقرب إلى بيان التفسير منها إلى ذكر المناسبة .

وذكر البقاعي مناسبة جيدة ، فذكر أن في الآية تعظيماً لشكاية النبي ﷺ ، وجيء بها للتخويف .

ويمكن الجمع بين قولي الرازي والبقاعي ، فيقال : الآية جاءت لبيان حال النبي ﷺ ، بعد أن أكثر الكفار الاعتراض الفاسد ، ووجوه التعنت ، وفيها تخويف بالإهلاك ، لأن الرسل قبله عليهم الصلاة والسلام ، كانوا إذا شكوا ؛ أنزل بقومهم عذاب الاستئصال .

٤٢. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ الفرقان: ٣٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما جرى الوعيد ، والتسلية ، بذكر حال المكذبين للرسول ﷺ ، عطف على ذلك تمثيلهم بالأمم المكذبين رسلهم ؛ ليحصل من ذلك موعظة هؤلاء ، وزيادة تسلية الرسول ﷺ ، والتعريض بوعده بالانتصار له .

وابتدئ بذكر موسى وقومه ، لأنه أقرب زمناً من الذين ذكروا بعده ، ولأن بقايا

---

[343] نظم الدرر ٣١٣/٥ .

شرعه وأمته لم تزل معروفة عند العرب ، فإن صح ما روي أن الذين قالوا : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾اليهود ، فوجه الابتداء بذكر ما أوتي موسى أظهر."[٣٤٤]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما قال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾ الفرقان: ٣١ ؛ أتبعه بذكر جماعة من الأنبياء ، وعرفه بما نزل بمن كذب من أممهم، فقال : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ ، والمعنى : لست يا محمد بأول من أرسلناه فكذب ، وآتيناه الآيات فرد ، فقد آتينا موسى التوراة ، وقوينا عضده بأخيه هارون ، ومع ذلك فقد رد."[٣٤٥]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما بين أنهم كذبوه وعادوه ، وأشار بآية الحشر إلى جهنم ؛ إلى أنه لا يهلكهم بعامة ، عطف على عامل «لنثبت» تسلية له ، وتخويفاً لهم ، قوله : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا ﴾."[٣٤٦]

القول في المناسبة متقارب جداً ، والمراد واحد ؛ التسلية والتخويف ، وزاد ابن عاشور مناسبة البدء بذكر قصة موسى وقومه ، وهي من تفرداته في هذا الموضع .

٤٣. قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ الفرقان: ٤٧ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"مناسبة الانتقال من الاستدلال باعتبار أحوال الظلّ والضحاء ، إلى الاعتبار بأحوال اللّيل والنهار ، ظاهرة ، فالليل يشبه الظلّ في أنه ظلمة تعقب نور الشمس...

([٣٤٤]) التحرير والتنوير ٢٥/١٩ .

([٣٤٥]) التفسير الكبير ٤٥٨/٨ .

([٣٤٦]) نظم الدرر ٣١٧/٥ .

وذكر ابن عاشور فائدة جميلة لتعريف جزأي الجملة ، أذكرها لتمام الفائدة .

...ومورد الاستدلال المقصد المستفاد من تعريف جزأي الجملة ، وهو قصر إفراد، أي : لا يشركه غيره في جعل الليل والنهار ، أما كون الجعل المذكور بخلق الله ، فهم يقرون به ، ولكنهم لما جعلوا له شركاء على الإجمال ؛ أُبطلت شركتهم بقصر التصرف في الأزمان على الله تعالى ، لأنه إذا بطل تصرفهم في بعض الموجودات ؛ اختلت حقيقة الإلهية عنهم ، إذ الإلهية لا تقبل التجزئة."(٣٤٧)

وقال البقاعي -رحمه الله- بعد الحديث عن الآية السابقة :"ولما تضمنت هذه الآية الليل والنهار ، قال مصرحاً بهما دليلاً على الحق ، وإظهاراً للنعمة على الخلق : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ﴾."(٣٤٨)

المناسبة التي ذكرها ابن عاشور هي كقول البقاعي ، والمعنى واحد ، فلا خلاف بينهما ، ولم يذكر الرازي شيئاً من ذلك .

٤٤. قال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ الفرقان: ٤٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"استدلال على الانفراد بالخلق ، وامتنان بتكوين الرياح ، والأسحبة ، والمطر ، ومناسبة الانتقال من حيث ما في الاستدلال الذي قبله ؛ من ذكر حال النشور والامتنان به ، فانتقل إلى ما في الرياح من النشور ؛ بذكر وصفها ، بأنها نشر على قراءة الجمهور(٣٤٩)، أو لكونها كذلك في الواقع على قراءة عاصم(٣٥٠)،

---

(٣٤٧) التحرير والتنوير ٤٤/١٩ .

(٣٤٨) نظم الدرر ٣٢٤/٥ .

(٣٤٩) قرأ الجمهور {نشراً} بالنون ، وقرأ عاصم {بشراً} بالباء .[ينظر التذكرة في القراءات الثمان لابن غلبون ٣٤٢/٢] .

ومردود الاستدلال ؛ قصر إرسال الرياح ، وما عطف عليه على الله تعالى ، إبطالاً لادعاء الشركاء له في الإلهية ؛ بنفي الشركة في التصرف في هذه الكائنات ، وذلك ما لا ينكره المشركون كما تقدم مثله في قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ الفرقان: ٤٧."[351]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما دل على عظمته بتصرفه في المعاني بالإيجاد والإعدام ، وختمه بالإماتة والإحياء بأسباب قريبة ، أتبعه التصرف في الأعيان بمثل ذلك، دالا على الإماتة والإحياء بأسباب بعيدة ، وبدأه بما هو قريب للطافته من المعاني ، وفيه النشر الذي ختم به ما قبله ، فقال : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ ﴾."[352]

لم يختلف ذكر ابن عاشور للمناسبة عن قول البقاعي ، فذهب إلى ما ذهب إليه ، ولكن ابن عاشور زاد كما زاد في سابقتها ، مورد الاستدلال على إبطال ادعاء الشركاء له في الإلهية ؛ بنفي الشركة في التصرف في هذه الكائنات .

٤٥. قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ الفرقان: ٥١ - ٥٢ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"جملة اعتراض ؛ بين ذكر دلائل تفرد الله بالخلق ، وذكر منته على الخلق ، ومناسبة موقع هذه الجملة ، وتفريعها بموقع الآية التي قبلها خفية،

---

(350) عاصم بن أبي بهدلة أبي النجود الأسدي مولاهم الكوفي ، القارئ الإمام أبو بكر ، أحد السبعة ، انتهت إليه الإمامة في القراءة بالكوفة بعد شيخه أبي عبدالرحمن السلمي ، جمع بين الفصاحة ، والإتقان ، والتحرير ، والتجويد ، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، توفي آخر سنة سبع وعشرين ومائة ، وقيل : سنة ثمان وعشرين ، وقيل : سنة تسع وعشرين .[ينظر معرفة القراء الكبار للذهبي ٨٨/١ ؛ وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٣٤٦/١] .

(351) التحرير والتنوير ٤٦/١٩ .

(352) نظم الدرر ٣٢٥/٥ .

وقال ابن عطية[٣٥٣]في قوله : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ : اقتضاب يدل عليه ما ذكر ، تقديره : ولكنا أفردناك بالنذارة ، وحملْناك ، ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.اهـ [٣٥٤].

فإن كان عنى بقوله : اقتضاب ، معنى الاقتضاب الاصطلاحي بين علماء الأدب ، والبيان ، وهو عدم مراعاة المناسبة بين الكلام المنتقَل منه ، والكلام المنتقَل إليه ، كان عدولاً عن التزام تطلب المناسبة بين هذه الآية ، والآية التي قبلها ، وليس الخلو عن المناسبة بيدع ، فقد قال صاحب «تلخيص المفتاح»[٣٥٥]:"وقد ينقل منه (أي : مما شبب به الكلام) إلى ما لا يلائمه (أي : لا يناسب المنتقل منه) ، ويسمى الاقتضاب ، وهو مذهب العرب ، ومن يليهم من المُخضرمين."الخ ، وإذا كان ابن عطية عنى بالاقتضاب معنى القطع (أي : الحذف من الكلام) أي إيجاز الحذف كما يشعر به قوله :"يدل عليه ما ذُكر تقديره"إلخ ، كأن لم يعرج على اتصال هذه الآية بالتي قبلها .

وفي الكشاف :"ولو شئنا لخففنا عنك أعباء نِذارة جميع القرى ، ولبعثنا في كل قرية نبياً ينذرها ، وإنما قصرنا الأمر عليك ، وعظمناك على سائر الرسل (أي : بعموم الدعوة) ، فقابِل ذلك بالتصبر" اه .[٣٥٦]

وقد قال الطيبي :"ومدار السورة على كونه ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة ، ولذلك افتتحت بما يثبت عموم رسالة محمد ﷺ إلى جميع الناس بقوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ

([٣٥٣]) الإمام العلامة شيخ المفسرين أبو محمد عبدالحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي ، ولد سنة ثمانين وأربع مئة ، كان فقيها عارفا بالأحكام ، والحديث ، والتفسير ، بارع الأدب بصيرا بلسان العرب ، واسع المعرفة ، له يد في الإنشاء ، والنظم ، والنثر ، له التفسير المشهور المحرر الوجيز في شـرح الكتـاب العزيز ، مات في الخامس والعشرين من رمضان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة .[ينظر سير أعـلام النـبلاء للذهبي ٥٨٧/١٩ ؛ وطبقات المفسرين للسيوطي ص٦٠] .

([٣٥٤]) ينظر المحرر الوجيز لابن عطية ٢١٤/٤ .

([٣٥٥]) ينظر ص٣٨٩ .

([٣٥٦]) ينظر الكشاف للزمخشري ٢٩٢/٣ .

لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١."

وليس في كلام «الكشاف» والطيبي ؛ إلاّ بيان مناسبة الآية لمهم أغراض السورة ؛ دون بيان مناسبتها للتي قبلها .

والذي أختاره أن هذه الآية متصلة بقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ الفرقان: ٣٢ ، الآية ، فبعد أن بين إبطال طعنهم فقال : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ الفرقان: ٣٢ ، انتقل إلى تنظير القرآن بالكتاب الذي أوتيه موسى عليه السلام ، وكيف استأصل الله من كذبوه ، ثم استطرد بذكر أمم كذبوا رسلهم ، ثم انتقل إلى استهزاء المشركين بالنبي ﷺ ، وأشار إلى تحرج النبي ﷺ من إعراض قومه عن دعوته بقوله : ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ الفرقان: ٤٣ .

وتسلسل الكلام بضرب المثل بمد الظل وقبضه ، وبحال الليل والنهار ، وبإرسال الرياح ، أمارة على رحمة غيثه الذي تحيا به الموت ؛ حتى انتهى إلى قوله : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ ، ويؤيد ما ذكرنا اشتمال التفريع على ضمير القرآن في قوله : ﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ ﴾ .

ومما يزيد هذه الآية اتصالاً بقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ الفرقان: ٣٢ ، أن في بعث نذير إلى كل قرية ما هو أشد من تنـزيل القرآن مجزأً ؛ فلو بعث الله في كل قرية نذيراً لقال الذين كفروا : لولا أرسل رسول واحد إلى الناس جميعاً ، فإن مطاعنهم لا تقف عند حد كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ فصلت: ٤٤."[٣٥٧]

([٣٥٧]) التحرير والتنوير ١٩/٥١ .

وقال الرازي -رحمه الله- :"أما قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ فالأقوى أن المراد من ذلك تعظيم النبي ﷺ ، وذلك لوجوه .

أحدها : كأنه تعالى بين له أنه مع القدرة على بعثة رسول ونذير في كل قرية ، خصه بالرسالة ، وفضله بها على الكل ، ولذلك أتبعه بقوله : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي : لا توافقهم .

وثانيها : المراد ولو شئنا لخففنا عنك أعباء الرسالة إلى كل العالمين ، ولبعثنا في كل قرية نذيراً ، ولكنا قصرنا الأمر عليك ، وأجللناك ، وفضلناك على سائر الرسل ، فقابل هذا الإجلال بالتشدد في الدين.[٣٥٨]

وثالثها : أن الآية تقتضي مزج اللطف بالعنف ، لأنها تدل على القدرة على أن يبعث في كل قرية نذيراً مثل محمد ، وأنه لا حاجة بالحضرة الإلهية إلى محمد البتة ، وقوله: ﴿ وَلَوْ ﴾ يدل على أنه سبحانه لا يفعل ذلك ، فبالنظر إلى الأول يحصل التأديب، وبالنظر إلى الثاني يحصل الإعزاز."[٣٥٩]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان تعنتهم بأن ينـزل عليه ملك فيكون معه نذيراً ، ربما أثار في النفس طلب إجابتهم إلى مقترحهم حرصاً على هدايتهم ، فأومأ أولاً: إلى أنه لا فائدة في ذلك ؛ بأن مؤازرة هارون لموسى -عليهما السلام- لم تغن عن القبط شيئاً .

وثانياً : بأن المدار في وجوب التصديق للنذير الإتيان بما يعجز ، وكان ذلك موجوداً في آيات القرآن ، المصرفة في كل زمان ومكان بكل بيان ، فكانت كل آية منه قائمة مقام نذير ، قال مشيراً إلى أنه إنما ترك ذلك لحكم يعلمها : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا

---

(٣٥٨) الرسول ﷺ لم يبعث بالتشدد بالدين وإنما بعث بالتيسير والتسهيل .

(٣٥٩) التفسير الكبير ٤٧٤/٨ .

لَبَعَثْنَا ﴾."[٣٦٠]

المناسبة التي ذكرها الرازي أقوى ، ولو زيد عليها ، إعادة التسلية للنبي ﷺ ، لكان حسناً من وجهة نظر الباحث ، فلو قيل -ولله المثل الأعلى- لرجل عظيم الشأن في قومه بعد ما تنكر له قومه ، وأعرضوا عنه ، إليك هذه الولاية التي تتكون من عدة مدن تول أمرها ، ولو شئنا لبعثنا في كل مدينة والياً عليها ، ولكنك أنت لها كفء ، لكان في هذا تسلية وتعظيم له ، بعد إعراض قومه عنه .

وقد جاءت الآية بعد الاستهزاء بالنبي ﷺ ، والسخرية منه ، وإعراض قومه عنه ، وذلك بعبادة غير الله .

وأورد البقاعي مناسبة حسنة ذكر فيها ، أن الله أرسل موسى عليه السلام ، وعضده بأخيه هارون عليه السلام ، فلم يجد ذلك نفعاً ، فما الفائدة من البعث لكل قرية ، فلا ينتظر المشركون الإجابة إلى مقترحاتم ، وأنزل الله معجزةً تغني عن إرسال نذير لكل قرية ، فكل آية منه قائمة مقام نذير .

وأطنب ابن عاشور في ذكر متعلقات الآية ، فذكر أقوال عدد من العلماء ، ورصدها مبيناً ما تحتويه من ذكر المناسبة ، ثم أتبع ذلك برأيه ، فذكر صلة الآية وتعلقها بقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ ، ومع هذا كله فهو لم يتطرق إلى ذكر وجه المناسبة ، فاكتفى بذكر تعلق الآية وصلتها ، دون ذكر وجه هذا التعلق .

٤٦. قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ الفرقان: ٥٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عود إلى الاستدلال على تفرده تعالى بالخلق[٣٦١]،

([٣٦٠]) نظم الدرر ٣٢٧/٥ .

جمعت هذه الآية استدلالاً ، وتمثيلاً ، وتثبيتاً ، ووعداً ؛ فصريحها استدلال على شيء عظيم من آثار القدرة الإلهية ، وهو التقاء الأنهار والأبحر كما سيأتي ، وفي ضمنها تمثيل لحال دعوة الإسلام في مكة يومئذ ، واختلاط المؤمنين مع المشركين بحال تجاوز البحرين، أحدهما عذب فرات ، والآخر ملح أُجاج ، وتمثيل الإيمان بالعذب الفرات ، والشرك بالملح الأجاج ، وأن الله تعالى كما جعل بين البحرين برزخاً ؛ يحفظ العذب من أن يكدره الأجاج ، كذلك حجز بين المسلمين والمشركين ، فلا يستطيع المشركون أن يدسوا كفرهم بين المسلمين ، وفي هذا تثبيت للمسلمين ؛ بأن الله يحجز عنهم ضر المشركين لقوله : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾آل عمران: ١١١، وفي ذلك تعريض كنائي ؛ بأن الله ناصر لهذا الدين من أن يكدره الشرك .

ولأجل ما فيها من التمثيل ، والتثبيت ، والوعد ، كان لموقعها عقب جملة ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ الفرقان: ٥٢ ؛ أكملُ حسن ، وهي معطوفة على جملة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾الفرقان: ٤٨ ، ومناسبة وقوعها عقب التي قبلها أن كلتيهما استدلال بآثار القدرة في تكوين المياه المختلفة."(٣٦٢)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ذكر تصريف الفرقان ، ونشره في جميع البلدان، بعد إثارة الرياح ونشر السحاب ، وخلط الماء بالتراب لجمع النبات وتفريقه ، أتبعه - تذكيراً بالنعمة ، وتحذيراً من إحلال النقمة - الحجز بين أنواع الماء الذي لا أعظم امتزاجاً منه ، وجمع كل نوع منها على حدته ، ومنعه من أن يختلط بالآخر ؛ مع اختلاط الكل بالتراب المتصل بعضه ببعض ، فقال عائداً إلى أسلوب الغيبة ؛ تذكيراً بالإحسان بالعطف على ضمير « الرب » في آية الظل : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾."(٣٦٣)

---

(٣٦١) هذا من التفسيري الإشاري .

(٣٦٢) التحرير والتنوير ٥٤/١٩ .

(٣٦٣) نظم الدرر ٣٢٧/٥ .

أجاد ابن عاشور في ذكر المعنى والمناسبة ، وكان لفهمه الصحيح لمعنى الآية الأثر الأكبر في سوق المناسبة على هذا الوجه ، فعدم معرفة العلماء السابقين للمراد من قوله : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ ، جعلهم أبعد بكثير من قول ابن عاشور .

ونذكر هنا الأقوال التي أدت إلى الفهم غير الصحيح ، ثم نتبعها بالفهم الصحيح الذي ذكره ابن عاشور حتى يتضح المراد .

قال الرازي في ختام حديثه عن الآية :"لا وجود للبحر العذب ، فكيف ذكره الله تعالى ههنا؟ لا يقال : هذا مدفوع من وجهين .

الأول : أن المراد منه الأودية العظام كالنيل وجيحون .

الثاني : لعله جعل في البحار موضعاً يكون أحد جانبيه عذباً والآخر ملحاً .

لأنا نقول : أما الأول فضعيف ، لأن هذه الأودية ليس فيها ملح ، والبحار ليس فيها ماء عذب ، فلم يحصل البتة موضع التعجب ، وأما الثاني فضعيف ، لأن موضع الاستدلال لا بد وأن يكون معلوماً ، فأما بمحض التجويز فلا يحسن الاستدلال .

لأنا نقول المراد من البحر العذب هذه الأودية ، ومن الأجاج البحار الكبار ، وجعل بينهما برزخاً ، أي : حائلاً من الأرض ، ووجه الاستدلال ههنا بين ، لأن العذوبة والملوحة إن كانت بسبب طبيعة الأرض ، أو الماء ، فلا بد من الاستواء ، وإن لم يكن كذلك ، فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد من الأجسام بصفة خاصة معينة."(٣٦٤)

وقال البقاعي في ثنايا حديثه عن الآية :"ولعله أشار بأداة القرب في الموضعين تنبيهاً على وجود الموضعين مع شدة المقاربة لا يلتبس أحدهما بالآخر ، حتى أنه إذا حفر على شاطئ البحر الملح بالقرب منه جداً ؛ خرج الماء عذباً جداً."(٣٦٥)

---

(٣٦٤) التفسير الكبير ٤٧٥/٨ .

(٣٦٥) نظم الدرر ٣٢٨/٥ .

وقال ابن عاشور :"وأريد هنا ملتقى ماء نهري الفرات والدجلة مع ماء بحر خليج العجم."(366)

٤٧. قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ الفرقان: ٥٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"مناسبة موقع هذا الاستدلال بعد ما قبله ؛ أنه استدلال بدقيق آثار القدرة في تكوين المياه ، وجعلها سبب حياة مختلفة الأشكال والأوضاع ، ومن أعظمها دقائق الماء الذي خلق منه أشرف الأنواع التي على الأرض ، وهو نطفة الإنسان ؛ بأنها سبب تكوين النسل للبشر ، فإنه يكون أول أمره ماء ، ثم يتخلّق منه البشر العظيم ، فالتنوين في قوله : ﴿ بَشَرًا ﴾ للتعظيم."(367)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ذكر تعالى قدرته في منع الماء من الاختلاط ، أتبعه القدرة على خلطه ، لئلا يظن أنه ممتنع ، تقريراً للفعل بالاختيار ، وإبطالاً للقول بالطبائع ، فقال معبراً بالضمير كما تقدمه ؛ حثاً على استحضار الأفعال والصفات التي تقدمت ؛ لتعرف الحيثية التي كرر الضمير لأجلها : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾."(368)

المناسبتان مختلفتان ، والمراد واحد ، وهو القدرة ، وقد أجاد ابن عاشور في ذكر المناسبة هنا .

أما البقاعي فذهب بعيداً في ذكر المناسبة ، فليس فيما ذكره دليل على الاختلاط، ولم يذكر وجه هذا الاختلاط ، وليس في الآية ولا الآيات السابقات ، ولا اللاحقات ما يدل على ما ذكر .

---

(366) التحرير والتنوير ٥٤/١٩ .

(367) التحرير والتنوير ٥٥/١٩ .

(368) نظم الدرر ٣٢٨/٥ .

٤٨. قال تعالى : ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ الفرقان: ٥٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وقد أشار إلى ما في هذا الخلق العجيب ؛ من دقائق نظام إيجاد طبيعي واجتماعي بقوله : ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ أي : عظيم القدرة ؛ إذْ أوجد من هذا الماء خلْقاً عظيماً صاحب عقل ، وتفكير ، فاختص باتصال أواصر النسب وأواصر الصهر ، وكان ذلك أصل نظام الاجتماع البشري لتكوين القبائل والشعوب ، وتعاونهم ، مما جاء بهذه الحضارة المرتقية مع العصور والأقطار ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ الحجرات: ١٣ .

وفي تركيب ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ من دقيق الإيذان بأن قدرته راسخة واجبة له ؛ متصف بها في الأزل بما اقتضاه فعل ﴿ وَكَانَ ﴾ ، وما في صيغة «قدير» من الدلالة على قوة القدرة المقتضية تمام الإرادة والعلم."[٣٦٩]

وقال الرازي -رحمه الله- :"﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر ؛ الذكر والأنثى."[٣٧٠]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"﴿ وَكَانَ رَبُّكَ ﴾ أي : المحسن إليك بإرسالك ، وإنزال هذا الذكر إليك ، ﴿ قَدِيرًا ﴾ على كل شيء ؛ قدرته على ما ذكر من إبداع هذه الأمور المتباعدة من مادة واحدة ، فهو يوفق من يشاء ، فيجعله عذب المذاق ، سهل الأخلاق ، ويخذل من يشاء ، فيجعله مرير الأخلاق ، كثير الشقاق ، أو ملتبس الأخلاق، عريقاً في النفاق ، فارغب إلى هذا الرب الشامل القدرة التام العلم."[٣٧١]

---

(٣٦٩) التحرير والتنوير ٥٦/١٩ .

(٣٧٠) التفسير الكبير ٤٧٥/٨ .

(٣٧١) نظم الدرر ٣٢٩/٥ .

ما ذكره ابن عاشور في مناسبة التذييل بهذه الصفة أفضل ما قيل ، وما ذكره الرازي حسن ، أما ما ذهب إليه البقاعي فليس للأخلاق علاقة هنا في هذا الموضع ، والأخلاق أي : أخلاق المشركين التي من الممكن أن يكون البقاعي قد بنا عليها المناسبة، بعيدة في الذكر ، وفصل بينهما بعدة فواصل .

٤٩. قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ الفرقان: ٦١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"استئناف ابتدائي ؛ جعل تمهيداً لقوله : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ الفرقان: ٦٣ ، الآيات ، التي هي محصول الدعامة الثالثة من الدعائم الثلاث ، التي أقيم عليها بناء هذه السورة ، وافتتحت كل دعامة منها بـ ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى ﴾ إلخ ، كما تقدم في صدر السورة ، وافتتح ذلك بإنشاء الثناء على الله بالبركة والخير ؛ لما جعله للخلق من المنافع."[٣٧٢]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما حكى عن الكفار مزيد النفرة عن السجود ؛ ذكر ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود والعبادة للرحمن ، فقال : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾."[٣٧٣]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ذكر حال النذير الذي ابتدأ به السورة في دعائه إلى الرحمن ؛ الذي لو لم يدع إلى عبادته إلا رحمانيته لكفى ، فكيف بكل جمال وجلال ، فأنكروه ؛ اقتضى الحال أن يوصل به إثباته ؛ بإثبات ما هم عالمون به من آثار رحمانيته ، ففصل ما أجمل بعد ذكر حال النذير ، ثم من الملك ، مصدراً له بوصف الحق الذي جعله مطلع السورة ، راداً لما تضمن إنكارهم من نفيه ، فقال : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى

([٣٧٢]) التحرير والتنوير ٦٣/١٩ .

([٣٧٣]) التفسير الكبير ٤٧٩/٨ .

﴿ ٱلسَّمَآءِ ﴾."[٣٧٤]

المناسبة التي ذكرها الرازي ، والبقاعي ، أفضل في ربط الآية بما قبلها ، وهما متقاربتان في الجملة ، وما ذهب إليه ابن عاشور حسن أيضاً .

ويمكن الجمع فيقال : أنه لما حكى إنكار الكفار للرحمن وإعراضهم عن السجود له ، جيء بما يرونه ويعرفونه من آثار رحمة الله ؛ التي لو تفكروا فيها لعلموا أنه الرحمن الإله الحق ؛ الذي وحده يستحق العبادة والسجود .

والآية تمهيد لقوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾.

٥٠. قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ الفرقان: ٦٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف جملة على جملة ، فالجملة المعطوفة هي : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ فهو مبتدأ ، وخبره ﴿ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ ، وقيل : الخبر ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ الفرقان: ٧٥ ، والجملةُ المعطوف عليها جملة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ الفرقان: ٦٢ ، فبمناسبة ذكر من أراد أن يذكر ، تخلّص إلى خصال المؤمنين أتباع النبي ﷺ ؛ حتى تستكمل السورة أغراض التنويه بالقرآن ومن جاء به ، ومن اتبعوه ، كما أشرنا إليه في الإلمام بأهم أغراضها في طالعة تفسيرها ، وهذا من أبدع التخلص ؛ إذْ كان مفاجئاً للسامع ، مطمعاً أنه استطراد عارض كسوابقه ؛ حتى يفاجئه ما يؤذن بالختام ، وهو ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى ﴾ الفرقان: ٧٧ ، الآية."[٣٧٥]

([٣٧٤]) نظم الدرر ٣٣٢/٥ .

([٣٧٥]) التحرير والتنوير ٦٦/١٩ .

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ذكر عباده الذين خذلهم بتسليط الشيطان عليهم؛ فصاروا حزب الشيطان ، ولم يصفهم إلى اسم من أسمائه ، إيذاناً بإهانتهم لهوانهم عنده ، وهم الذين صرح بهم قوله أول السورة ﴿ نَذِيرًا ﴾ ، وختم بالتذكر والشكر ، إشارة إلى عباده الذين أخلصهم لنفسه ، وأشار إليهم سابقاً بتخصيص الوصف بالفرقان، فأتبع ذلك ذكرهم ، فقال عاطفاً على جملة الكلام في قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ﴾ ، لكنه رفعهم بالابتداء تشريفاً لهم ﴿ وَعِبَادُ ﴾ .

ويجوز أن يقال ولعله أحسن : أنه سبحانه لما وصف الكفار في هذه السورة ؛ بما وصفهم به من الفظاظة والغلظة على النبي ﷺ ، وعداوتم له ، ومظاهرتم على خالقهم ، ونحو ذلك من جلافتهم ، وختم بالتذكر والشكر ، وكان التقدير : فعباد الشيطان لا يتذكرون ولا يشكرون ؛ لما لهم من القسوة ، عطف على هذا المقدر أضدادهم ، واصفاً لهم بأضداد أوصافهم ، مبشراً لهم بضد جزائهم ، فقال : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾."[376]

المناسبة التي ذكرها ابن عاشور كقول البقاعي ، ولكن باختصار ، وما ذهب إليه البقاعي في الوجه الثاني من المناسبة أحسن ، والله أعلم .

([376]) نظم الدرر ٣٣٤/٥ .

الفصل الثالث

سورة الشعراء ، والنمل ، والقصص ، وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : سورة الشعراء . وفيه تمهيد ، ومطلبان .

التمهيد : وفيه اسم السورة ، ونوعها ، وترتيبها في المصحف ، وعدد آياتا

ونظيرها في العدد .

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثاني : سورة النمل . وفيه تمهيد ، ومطلبان .

التمهيد : وفيه اسم السورة ، ونوعها ، وترتيبها في المصحف ، وعدد آياتا

ونظيرها في العدد .

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثالث : سورة القصص . وفيه تمهيد ، ومطلبان .

التمهيد : وفيه اسم السورة ، ونوعها ، وترتيبها في المصحف ، وعدد آياتا

ونظيرها في العدد .

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلـب الثـاني : مناسبات الآيات .

المبحث الأول : سورة الشعراء.

وفيه تمهيد ، ومطلبان

المطلب الأول : أغراض السورة

المطلب الثاني : مناسبات الآيات

تمهيد

اسـم الـسـورة : الشعراء ، ووقع في تفسير الإمام مالك تسميتها بسورة الجامعة(٣٧٧)

نـوعـهـا : مكية في قول الجمهور ، وقال مقاتل(٣٧٨): منها مدني ؛ الآية التي يذكر فيها الشعراء وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ الشعراء: ١٩٧ ، وقال ابن عباس ﷺ وقتادة : مكية إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة ، من قوله تعالى : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ الشعراء: ٢٢٤ إلى آخرها.(٣٧٩)

ترتيبها في المصحف : السادسة والعشرون .

عـدد آيـاتـها : مائتان وست وعشرون آية ، وقيل سبع وعشرون.(٣٨٠)

نظيرها في الـعـدد : لا نظير لها في عدد آياتا .

---

(٣٧٧) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣٣٢/٣ ، ولم أقف على قول الإمام مالك .

(٣٧٨) أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ، بالولاء الخراساني المروزي ، أصله من بلخ ، وانتقـل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها ، وكان مشهورا بتفسير كتاب الله العزيز ، وله التفسير المشـهور ، قـال البخاري : مقاتل لا شيء البتة ، وقد أجمعوا على تركه ، مات مقاتل سنة نيف وخمسين ومئة .[ينظر سـير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠٢/٧ ؛ ووفيات الأعيان وأنباء الزمان لابن خلكان ٢٥٥/٥].

(٣٧٩) ينظر تفسير القرطبي ٨٧/١٣ .

(٣٨٠) البيان في عد آي القرآن للداني ص ١٩٦ .

أغـراض سـورة الـشـعـراء

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"الأغراض التي اشتملت عليها :

أولها : التنويه بالقرآن ، والتعريض بعجزهم عن معارضته ، وتسلية النبي ﷺ على ما يلاقيه من إعراض قومه عن التوحيد ؛ الذي دعاهم إليه القرآن .

وفي ضمنه تديدهم على تعرضهم لغضب الله تعالى ، وضرب المثل لهم بما حل بالأمم المكذبة رسلها ، والمعرضة عن آيات الله .

وأحسب أنها نزلت إثر طلب المشركين أن يأتيهم الرسول بخوارق ، فافتتحت بتسلية النبي ﷺ ، وتثبيت له ، ورباطة لجأشه ، بأن ما يلاقيه من قومه ؛ هو سنة الرسل من قبله مع أقوامهم ، مثل موسى ، وإبراهيم ، ونوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب، ولذلك ختم كل استدلال جيء به على المشركين المكذبين بتذييل واحد هو قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ الشعراء: ٨ - ٩ ، تسجيلا عليهم بأن آيات الوحدانية وصدق الرسل عديدة كافية لمن يتطلب الحق .

ولكن أكثر المشركين لا يؤمنون ، وأن الله عزيز قادر على أن ينـزل بهم العذاب، وأنه رحيم برسله ، فناصرهم على أعدائهم .

قال في الكشاف :"كل قصة من القصص المذكورة في هذه السورة كتنـزيل برأسه ، وفيها من الاعتبار ما في غيرها ، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق ؛ في أن تختم بما اختتمت به صاحبتها ، ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس ، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب ، وأرسخ في الفهم ، وأبعد من النسيان ، ولأن هذه القصص طُرِقَت بها آذانٌ وقِرت عن الإنصات للحق ، فكُوثرت بالوعظ والتذكير ، وروجعت

بالترديد والتكرير ؛ لعل ذلك يفتح أذناً ، أو يفتق ذهناً."[381]

ثم التنويه بالقرآن ، وشهادة أهل الكتاب له ، والرد على مطاعنـهم في القـرآن وجعله عضين ، وأنه منـزه عن أن يكون شعراً ومن أقوال الشياطين ، وأمر الرسول ﷺ بإنذار عشيرته ، وأن الرسول ما عليه إلا البلاغ ، وما تخلل ذلك من دلائل ."[382]

([381]) ينظر الكشاف للزمخشري ٣٣٩/٣ .

([382]) التحرير والتنوير ٩٠/١٩ .

مناسبات الآيات في سورة الشعراء

١. **قال تعالى : ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾** الشعراء: ٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"استئناف بياني ناشئ عن قوله : ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء: ٣ ، لأن التسلية على عدم إيمانهم ، تثير في النفس سؤالاً عن إمهالهم دون عقوبة ليؤمنوا كما قال موسى : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ يونس: ٨٨ ، فأجيب بأن الله قادر على ذلك ، فهذا الاستئناف اعتراض بين الجملتين المعطوفة إحداهما على الأخرى."[٣٨٣]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان المحب ميالاً إلى ما يريد حبيبه ؛ أعلمهم أن كل ما هم فيه بإرادته فقال : ﴿ إِن نَّشَأْ ﴾."[٣٨٤]

قول ابن عاشور في المناسبة فيه شيء مما قاله البقاعي ، وذلك في قول البقاعي : (أعلمهم أن كل ما هم فيه بإرادته) ، وقول ابن عاشور : (فأجيب بأن الله قادر على ذلك) .

٢. **قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾** الشعراء: ٩ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ تذييل لهذا

---

(٣٨٣) التحرير والتنوير ٩٤/١٩ .

(٣٨٤) نظم الدرر ٣٤٧/٥ .

الخبر ، بوصف الله بالعزة ، أي : تمام القدرة ، فتعلمون أنه لو شاء لعجل لهم العقاب ، وبوصف الرحمة إيماء إلى أن في إمهالهم رحمة بهم لعلهم يشكرون ، وربك رحيم بك قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾ الكهف: ٥٨ ، وفي وصف الرحمة إيماء إلى أنه يرحم رسله بتأييده ونصره."(٣٨٥)

وقال الرازي -رحمه الله- :"فأما قوله : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، فإنما قدم ذكر العزيز على ذكر الرحيم ، لأنه لو لم يقدمه لكان ربما قيل إنه رحمهم لعجزه عن عقوبتهم ، فأزال هذا الوهم بذكر العزيز ، وهو الغالب القاهر ، ومع ذلك فإنه رحيم بعباده ، فإن الرحمة إذا كانت عن القدرة الكاملة كانت أعظم وقعاً ، والمراد أنهم مع كفرهم وقدرة الله على أن يعجل عقابهم ؛ لا يترك رحمتهم ، بما تقدم ذكره من خلق كل زوج كريم من النبات ، ثم من إعطاء الصحة والعقل والهداية."(٣٨٦)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان المقام لإنزال الآية القاهرة ، قدم قوله : ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ أي : القادر على كلٍ من قسرهم على الإيمان والانتقام منهم ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ في أنه لم يعاجلهم بالنقمة ، بل أنزل عليهم الكتاب ترفقاً بهم ، وبياناً لما يرضاه ، ليقيم به الحجة على من أريد للهوان ، ويقبل بقلوب من يختصه منهم للإيمان."(٣٨٧)

الأقوال في ذكر مناسبة التذييل متقاربة ، والمعنى المراد واحد ، فابن عاشور استفاد من قول سابقية فيما ذَكر ، ولم يأت بجديد .

٣. قال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الشعراء: ١٠.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"شروع في عد آيات على صدق الرسول ﷺ ، بذكر عواقب المكذبين برسلهم ، ليحذر المخاطبون بالدعوة إلى الإسلام من أن يصيبهم

---

(٣٨٥) التحرير والتنوير ١٠٢/١٩ .

(٣٨٦) التفسير الكبير ٤٩٢/٨ .

(٣٨٧) نظم الدرر ٣٤٩/٥ .

ما أصاب المكذبين ، وفي ضمن ذلك تبيين لبعض ما نادى به الرسل من البراهين .

وإذ قد كانت هذه الأدلة من المثلات ، قصد ذكر كثير اشتهر منها ، ولم يقتصر على حادثة واحدة ، لأن الدلالة غير العقلية يتطرقها احتمال عدم الملازمة ؛ بأن يكون ما أصاب قوماً من أولئك على وجه الصدفة والاتفاق ، فإذا تبين تكرر أمثالها ؛ ضعف احتمال الاتفاقية ، لأن قياس التمثيل لا يفيد القطع ؛ إلا بانضمام مقومات له من تواتر وتكرر .

وإنما ابتدىء بذكر قصة موسى ، ثم قصة إبراهيم على خلاف ترتيب حكاية القصص الغالب في القرآن ؛ من جعلها على ترتيب سبقها في الزمان ، لعله لأن السورة نزلت للرد على المشركين في إلحاحهم على إظهار آيات من خوارق العادات في الكائنات، زاعمين أنهم لا يؤمنون إلا إذا جاءتم آية ، فضرب لهم المثل بمكابرة فرعون وقومه في آيات موسى إذ قالوا : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يونس: ٢ .

وعطف ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ عطف جملة على جملة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ الشعراء: ٧ ، بتمامها."(٣٨٨)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما اقتضى وصف العزة الإهلاك ، ووصف الرحمة الإمهال ، وكان الأول مقدماً ، وكانت عادتم تقديم ما هم به أهم ، وهو لهم أعنى ، خيفت غائلته ، فأتبع ذلك أخبار هذه الأمم ، دلالة على الوصفين معاً ترغيباً وترهيباً ، ودلالة على أن الرحمة سبقت الغضب ، وإن قدم الوصف اللائق به ، فلا يعذب إلا بعد البيان مع طول الإمهال ، وأخلى قصة أبيهم إبراهيم عليه السلام من ذكر الإهلاك ، إشارة إلى البشارة بالرفق ببنيه العرب في الإمهال ، كما رفق بهم في الإنزال والإرسال ، ولما كان مع ذلك في هذه القصة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يقاسيه من الأذى والتكذيب ، وكانت التسلية بموسى وإبراهيم -عليهما السلام- أتم ، لما لهما من القرب ، والمشاركة في الهجرة، والقصد إلى الأرض المقدسة ، وكان قد اختص موسى عليه السلام بالكتاب ، الذي ما

---

(٣٨٨) التحرير والتنوير ١٠٣/١٩ .

بعد القرآن مثله ، والآيات التي ما أتى بمثلها أحد قبله ، وإقرار عينه بهداية قومه ، وحفظهم بعده بالكتاب ، وسياسة الأنبياء المجددين لشريعته ، وعدم استئصالهم بالعذاب، والانتقام بأيديهم من جميع أعدائهم ، وفتح بلاد الكفرة على أيديهم بعده عليه السلام ، إلى غير ذلك مما شابهوا به هذه الأمة ؛ مع مجاورتم للعرب حتى في دار الهجرة ، وموطن النصرة، ليكون في إقرارهم على ما يسمعون من أخبارهم أعظم معجزة ، وأتم دلالة ، قدمهما ، مقدماً لموسى - عليهما السلام ، والتحية والإكرام - فإن كان القصد تسكين ما أورثه آخر تلك من خوف الملازمة بالعذاب نظراً إلى وصف العزة ، فالتقدير : اذكر أثر رحمتنا بطول إمهالنا لقومك - وهم على أشد ما يكون من الكفر والضلال في أيام الجاهلية - برحمتنا الشاملة بإرسالك إليهم ، وأنت أشرف الرسل ، وإنزال هذا الكتاب الذي هو أعظم الكتب."[٣٨٩]

المناسبتان المذكورتان حسنة ، وما ذكر ابن عاشور في مناسبة البدء بقصة موسى عليه السلام ، أفضل مما ذكر البقاعي ، وأدق في ذكر تقديم القصة .

٤. **قال تعالى :** ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ الشعراء: ٦٩ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عقبت قصة موسى مع فرعون وقومه بقصة رسالة إبراهيم ، وقدمت هنا على قصة نوح على خلاف المعتاد في ترتيب قصصهم في القرآن ، لشدة الشبه بين قوم إبراهيم وبين مشركي العرب في عبادة الأصنام ؛ التي لا تسمع ولا تبصر ، وفي تمسكهم بضلال آبائهم ، وأن إبراهيم دعاهم إلى الاستدلال على انحطاط الأصنام عن مرتبة استحقاق العبادة ، ليكون إيمان الناس مستنداً لدليل الفطرة ، وفي أن قوم إبراهيم لم يسلط عليهم من عذاب الدنيا ، مثل ما سلط على قوم نوح ، وعلى عاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وأهل مدين ، فأشبهوا قريشاً في إمهالهم .

فرسالة محمد وإبراهيم -صلى الله عليهما- قائمتان على دعامة الفطرة في العقل

---

(٣٨٩) نظم الدرر ٣٤٩/٥ .

والعمل ، أي : في الاعتقاد والتشريع ، فإن الله ما جعل في خلق الإنسان هذه الفطرة ليضيعها ويهملها ، بل ليقيمها ويعملها ، فلما ضرب الله المثل للمشركين لإبطال زعمهم؛ أنهم لا يؤمنون حتى تأتيهم الآيات كما أوتي موسى ، فإن آيات موسى وهي أكثر آيات الرسل السابقين ، لم تقض شيئاً في إيمان فرعون وقومه ، لما كان خلقهم المكابرة والعناد ، أعقب ذلك بضرب المثل بدعوة إبراهيم ، المماثلة لدعوة محمد ﷺ في النداء على إعمال دليل النظر."(٣٩٠)

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى ذكر في أول السورة ، شدة حزن محمد ﷺ بسبب كفر قومه ، ثم إنه ذكر قصة موسى عليه السلام ؛ ليعرف محمد أن مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى ، ثم ذكر عقبها قصة إبراهيم عليه السلام ؛ ليعرف محمد أيضاً أن حزن إبراهيم عليه السلام بهذا السبب كان أشد من حزنه ، لأن من عظيم المحنة على إبراهيم عليه السلام أن يرى أباه وقومه في النار ، وهو لا يتمكن من إنقاذهم إلا بقدر الدعاء والتنبيه ، فقال لهم : ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾."(٣٩١)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أتم سبحانه ما أراد من قصة موسى عليه السلام ، أتبعه دلالة على رحيميته قصة إبراهيم عليه السلام ، لما تقدم أنه شاركه فيه مما يسلي عما وقع ذكره عنهم من التعنتات في الفرقان ، ولما اختص به من مقارعة أبيه وقومه في الأوثان ، وهو أعظم آباء العرب ، ليكون ذلك حاملاً لهم على تقليده في التوحيد ؛ إن كانوا لا ينفكون عن التقليد ، وزاجراً عن استعظام تسفيه آبائهم في عبادتنا."(٣٩٢)

ذكر ابن عاشور أن مناسبة ذكر قصة إبراهيم عليه السلام ، بعد قصة موسى عليه السلام ، لشدة الشبه بين قوم إبراهيم عليه السلام ؛ وبين مشركي العرب في عبادة الأصنام ، وبتمسكهم بضلال آبائهم ، وفي أنّ المنهج المتبع في دعوة إبراهيم ومحمد -عليهما السلام- لقومهما متشابهان في الاستدلال على انحطاط الأصنام عن مرتبة استحقاق العبادة ، ليكون إيمان

---

(٣٩٠) التحرير والتنوير ١٣٧/١٩ .

(٣٩١) التفسير الكبير ٥٠٩/٨ .

(٣٩٢) نظم الدرر ٣٦٦/٥ .

الناس مستنداً لدليل الفطرة ، وكذلك أن الله لم يسلط عليهم من عذاب الدنيا مثل قوم نوح وغيره ، فأشبهوا قريشاً في إمهالهم .

وذكر الرازي أنه لما ذكر حزن النبي ﷺ بسبب كفر قومه في أول السورة ، أتبعه بقصة موسى عليه السلام ، ليعرف أن مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى ، ثم أتبعه بذكر قصة إبراهيم عليه السلام ، ليعرف أن حزن إبراهيم أشد من حزنه ﷺ .

وذكر البقاعي أنه للشبه بين قوم إبراهيم عليه السلام ؛ وبين المشركين في تعنتهم ، وعبادة الأوثان ، وكون المشركين لا ينفكون عن التقليد ، ذكرت قصة إبراهيم عليه السلام هنا، لأنه أعظم آباء العرب ، ليكون ذلك حاملاً لهم على تقليده في التوحيد ؛ إن كانوا لا ينفكون عن التقليد ، وزاجراً عن استعظام تسفيه آبائهم في عبادتها .

ما ذكره ابن عاشور فيه شبه في بعض أجزائه مما قاله البقاعي ، واختلف عنهم الرازي ، وكلٌ حسن فيما ذكر .

٥. قال تعالى : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الشعراء: ١٠٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"استئناف لتسلية الرسول ﷺ ، ناشئٌ عن قوله : ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الشعراء: ١٠٣ ، أي : لا تأس عليهم ، ولا يعظم عليك أنهم كذّبوك ، فقد كذبت قوم نوح المرسلين ، وقد علم العرب رسالة نوح ، وكذلك شأن أهل العقول الضالّة ؛ أنهم يعرفون الأحوال ، وينسون أسبابها."[٣٩٣]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما قص على محمد ﷺ خبر موسى وإبراهيم -عليهما السلام- ، تسلية له فيما يلقاه من قومه ، قص عليه أيضاً نبأ نوح عليه السلام ، فقد كان نبؤه أعظم من نبأ غيره ، لأنه كان يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ومع

([٣٩٣]) التحرير والتنوير ١٥٦/١٩ .

ذلك كذبه قومه ، فقال : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾."[٣٩٤]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أتم سبحانه قصة الأب الأعظم الأقرب ، أتبعها - دلالة على وصفي العزة والرحمة - قصة الأب الثاني ، مقدماً لها على غيرها ، لما له من القدم في الزمان ، إعلاماً بأن البلاء قديم ، ولأنها أدل على صفتي الرحمة والنقمة ؛ التي هي أثر العزة بطول الإملاء لهم على طول مدتم ، ثم تعميم النقمة مع كونهم جميع أهل الأرض فقال : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾."[٣٩٥]

المناسبة التي ذكرها الرازي والبقاعي ، أفضل من حيث ذكر وجه الشبه بين القصتين ، وما ذكره ابن عاشور حسن .

ويمكن الجمع فيقال : لما ذكر قصة أبا العرب إبراهيم ، أتبعها قصة الأب الآخر ، لأن نبأه أعظم من نبأ غيره من المرسلين ؛ في طول مدة الدعوة ، ومع ذلك كذبه قومه ، وفي هذا تسلية للنبي ﷺ .

٦. قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الشعراء: ١٩٢ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عود إلى ما افتتحت به السورة من التنويه بالقرآن، وكونه الآية العظمى بما اقتضاه قوله : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ الشعراء: ٢ ؛ كما تقدم ، لتختتم السورة بإطناب التنويه بالقرآن ؛ كما ابتدئت بإجمال التنويه به ، والتنبيه على أنه أعظم آية اختارها الله ؛ أن تكون معجزة أفضل المرسلين ، فضمير ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ عائد إلى معلوم من المقام ، بعد ذكر آيات الرسل الأولين ، فبواو العطف اتصلت الجملة بالجمل التي قبلها ، وبضمير القرآن اتصل غرضها بغرض صدر السورة .

---

(٣٩٤) التفسير الكبير ٥٢٠/٨ .

(٣٩٥) نظم الدرر ٣٧٣/٥ .

فجملة ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ معطوفة على الجمل التي قبلها ؛ المحكية فيها أخبار الرسل المماثلة أحوال أقوامهم ؛ لحال قوم محمد ﷺ ، وما أيدهم الله به من الآيات، ليعلم أن القرآن هو آية الله لهذه الأمة ، فعطفها على الجمل التي مثلها ؛ عطف القصة على القصة لتلك المناسبة ، ولكن هذه الجملة متصلة في المعنى بجملة ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ الشعراء: ٢ ، بحيث لولا ما فصل بينها وبين الأخرى من طول الكلام ، لكانت معطوفة عليها ، ووجه الخطاب إلى النبي ﷺ ، لأن في التنويه بالقرآن تسلية له على ما يلاقيه من إعراض الكافرين عن قبوله وطاعتهم فيه."[٣٩٦]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أن الله تعالى لما ختم ما اقتصه من خبر الأنبياء ، ذكر بعد ذلك ما يدل على نبوته ﷺ."[٣٩٧]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كانت آثار هذه القصص آيات مرئيات ، والإخبار بها آيات مسموعات ، وكان في اطراد إهلاك العاصي وإنجاء الطائع في كل منهما ، على تباعد الأعصار ، وتناهي الأقطار ، واختلاف الديار ، أعظم دليل على صدق الرسل ، وتقرير الرسالات لتوافقهم في الدعوة إلى الله ، وتواردهم على التوحيد ، والعدل مع العزوف عن الدنيا ؛ التي هي شر محض ، والإقبال على الآخرة ؛ التي هي خير صرف ، والتحلي بما أطبق العباد على أنه معالي الأخلاق ومحاسن الأعمال ، والتخلي عن جميع الدنايا ، والتنـزه عن كل نقص ، عطف على قوله أول السورة : ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ ﴾ الآية ، الإخبار برسالة محمد ﷺ ، إشارة إلى ما في الإخبار عن آثار هذه القصص بالآيات المسموعات ؛ من عظيم الدلالات على رسالته ﷺ ، بما فيها من الإعجاز من جهة التركيب والترتيب ، وغير ذلك من عجيب الأساليب ، الذي لم تؤته أمة من الأمم السالفات ، ومن جهة أن الآتي بتلك القصص الغريبة ، والأنباء البديعة العجيبة ، أمي لم يخالط عالماً ، مع شدة ملائمة القرآن لخصوص ما في قصة شعيب عليه السلام ؛ من العدل في

([٣٩٦]) التحرير والتنوير ١٨٨/١٩ .

([٣٩٧]) التفسير الكبير ٥٣٠/٨ .

الكيل والوزن ؛ الذي هو مدار القرآن ، ومن أنه الظلة الجامعة للخير ، والفسطاط الدافع لكل ضير ، فقال رداً للمقطع على المطلع : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾."[398]

قول ابن عاشور أفضل الأقوال ، وأكملها من حيث التفصيل ، وهو قريب من قول البقاعي ، إلا أنهما اختلفا في ذكر العطف وعود الآية ، وقولهما في الجملة يعود إلى ما ذكره الرازي من أنه إثبات لنبوة محمد ﷺ .

٧. **قال تعالى :** ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ الشعراء: ٢٠٠ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"تقدم نظير أول هذه الآية في سورة الحجر[399]، إلاّ أن آية الحجر قيل فيها : ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ ﴾ الحجر: ١٢، وفي هذه الآية قيل ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ ، والمعنى في الآيتين واحد ، والمقصود منهما واحد ، فوجه اختيار المضارع في آية الحجر ، أنه دال على التجدد ، لئلا يتوهم أن المقصود إبلاغٌ مضى ، وهو الذي أبلغ لشيع الأولين لتقدم ذكرهم ، فيتوهم أنهم المراد بالمجرمين ، مع أن المراد كفار قريش ، وأما هذه الآية فلم يتقدم فيها ذكر لغير كفار قريش ، فناسبها حكاية وقوع هذا الإبلاغ منذ زمن مضى ، وهم مستمرون على عدم الإيمان .

وجملة ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ ﴾ مستأنفة بيانية ، أي : إن سألت عن استمرار تكذيبهم بالقرآن ؛ في حين أنه نزل بلسان عربي مبين ، فلا تعجب ، فكذلك السلوك سلكناه في قلوب المشركين ، فهو تشبيه للسلوك المأخوذ من ﴿ سَلَكْنَٰهُ ﴾ بنفسه لغرابته ، وهذا نظير ما تقدم في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ البقرة : ١٤٣، أي : هو سلوك لا يشبهه سلوك ، وهو أنه دخل قلوبهم بإبانته ، وعرفوا دلائل

([398]) نظم الدرر ٥/٣٩٠ .

([399]) هكذا في تفسير التحرير والتنوير ، ولعل الصواب : نظير هذه الآية في أول سورة الحجر .

صدقه من أخبار علماء بني إسرائيل ، ومع ذلك لم يؤمنوا به."[٤٠٠]

وقال الرازي -رحمه الله- :"ثم قال : ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ أي : مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم ، وهكذا مكناه وقررناه فيها ، وكيفما فعل بهم، فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من الجحود والإنكار ، وهذا أيضاً مما يفيد تسلية الرسول ﷺ ، لأنه إذا عرف رسول الله إصرارهم على الكفر ، وأنه قد جرى القضاء الأزلي بذلك حصل اليأس ، وفي المثل : اليأس إحدى الراحتين."[٤٠١]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان ذلك محل عجب ، وكان ربما ظن له أن الأمر على غير حقيقته ، قرر مضمونه وحققه بقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي : مثل هذا السلك العجيب - الذي هو سماع وفهم ظاهري - في صعوبة مدخله ، وضيق مدرجه."[٤٠٢]

الأقوال المذكورة في ذكر المناسبة متقاربة ، وهي بمعنى واحد ؛ عدم الإيمان بالقرآن ، والزيادة التي ذكرها الرازي تصريحاً في أنها تسلية للنبي ﷺ ، أضافت حسناً إلى ما ذُكر .

٨. **قال تعالى : ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٣ .**

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما وجه الخطاب إلى النبي ﷺ من قوله : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ ﴾ الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤ ؛ إلى هنا ، في آيات أشادت بنـزول القرآن من عند الله تعالى ، وحققت صدقه بأنه مذكور في كتب الأنبياء السالفين ، وشهد به علماء بني إسرائيل ، وأنحى على المشركين بإبطال ما ألصقوه بالقرآن من

---

(٤٠٠) التحرير والتنوير ١٩٤/١٩ .

(٤٠١) التفسير الكبير ٥٣٣/٨ .

(٤٠٢) نظم الدرر ٣٩٣/٥ .

بهتانهم، لا جرم اقتضى ذلك ثبوت ما جاء به القرآن ، وأصل ذلك هو إبطال دين الشرك الذي تقلدته قريش وغيرها ، وناضلت عليه بالأكاذيب ، فناسب أن يتفرع عليه النهي عن الإشراك بالله والتحذير منه."[٤٠٣]

وقال الرازي -رحمه الله- بعد الحديث عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ :"ثم إنه تعالى لما ذكر هذا الجواب ، ابتدأ بخطاب الرسول ﷺ فقال : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ ، وذلك في الحقيقة خطاب لغيره ، لأن من شأن الحكيم إذا أراد أن يؤكد خطاب الغير ؛ أن يوجهه إلى الرؤساء في الظاهر ، وإن كان المقصود بذلك هم الأتباع ، ولأنه تعالى أراد أن يتبعه ما يليق بذلك ، فلهذه العلة أفرده بالمخاطبة."[٤٠٤]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان تقديره ، أنهم إلى الطواغيت الباطلة يدعون، والقرآن داع إلى الله الحق المبين ، سبب عنه قوله : ﴿ فَلَا تَدْعُ ﴾ ، وخاطب نبيه عليه الصلاة والسلام وهو أكرم الخلق لديه ، وأعزهم عليه ، ليكون لطفاً لغيره فيما يأتيه من الإنذار ، فيكون الوعيد أزجر له ، ويكون هو له أقبل."[٤٠٥]

الاختلاف يسير في الجملة ، فما ذكره الرازي عند هذه الآية ، استفاد منه البقاعي في ذكره للمناسبة ، وكذلك استفاد ابن عاشور مما ذكره البقاعي ، غير أن ما ذكره ابن عاشور في بيان المناسبة عند هذه الآية أوضح ، ولم يذكر ابن عاشور المناسبة من توجيه الخطاب للنبي ﷺ .

٩. قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الشعراء: ٢٢٠ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وموقع ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ موقع التعليل

---

(٤٠٣) التحرير والتنوير ٢٠٠/١٩ .

(٤٠٤) التفسير الكبير ٥٣٥/٨ .

(٤٠٥) نظم الدرر ٣٩٦/٥ .

للأمر بـ ﴿ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ الشعراء: ٢١٦ ، وللأمر بـ ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، فصفة ﴿ ٱلسَّمِيعُ ﴾ مناسبة للقول ، وصفة ﴿ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ مناسبة للتوكل ، أي : أنه يسمع قولك ويعلم عزمك."[٤٠٦]

وقال الرازي -رحمه الله- :"ثم قال : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ أي : لما تقوله ، ﴿ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ أي : بما تنويه وتعمله ، وهذا يدل على أن كونه سميعاً أمر مغاير لعلمه بالمسموعات ، وإلا لكان لفظ العليم مفيداً فائدته."[٤٠٧]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كانت هذه الأحوال مشتملة على الأقوال ، وكان قد قدم الرؤية المتضمنة للعلم ، علل ذلك بالتصريح به مقروناً بالسمع فقال : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ﴾ أي : وحده ، ﴿ ٱلسَّمِيعُ ﴾ أي : لجميع أقوالكم ، ﴿ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ أي : بجميع ما تسرونه وتعلنونه من أعمالكم ، وقد تقدم غير مرة أن شمول العلم يستلزم تمام القدرة ، فصار كأنه قال : إنه السميع العليم البصير القدير ، تثبيتاً للمتوكل عليه."[٤٠٨]

قول ابن عاشور في ذكر موقع الآية فيه تميز عن قول سابقيه ، وهو قريب من قول البقاعي في ذكر مناسبة التذييل ، وقول الرازي أقرب إلى بيان المعنى من ذكر المناسبة.

١٠. قال تعالى : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴾ الشعراء: ٢٢٤.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"كان مما حوته كنانةُ بهتان المشركين أن قالوا في النبي ﷺ هو شاعر ، فلما نثلت الآيات السابقة سهام كنانتهم وكسرتا ، وكان منها قولهم : هو كاهن ، لم يبق إلا إبطال قولهم : هو شاعر ، وكان بين الكهانة والشعر جامع في خيال المشركين ؛ إذ كانوا يزعمون أن للشاعر شيطاناً يملي عليه الشعر ، وربما

([٤٠٦]) التحرير والتنوير ٢٠٤/١٩ .

([٤٠٧]) التفسير الكبير ٥٣٧/٨ .

([٤٠٨]) نظم الدرر ٣٩٩/٥ .

سموه الرئي ، فناسب أن يقارن بين تزييف قولهم في القرآن : هو شعر ، وقولهم في النبي ﷺ : هو شاعر ، وبين قولهم : هو قول كاهن ، كما قرن بينهما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ الحاقة: ٤١ - ٤٢ ؛ فعطف هنا قوله : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ على جملة ﴿ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ الشعراء: ٢٢٢ .

ولمّا كان حال الشعراء في نفس الأمر مخالفاً لحال الكهان ؛ إذ لم يكن لملكة الشعر اتصال ما بالنفوس الشيطانية ، وإنما كان ادعاء ذلك من اختلاق بعض الشعراء ؛ أشاعوه بين عامة العرب ، اقتصرت الآية على نفي أن يكون الرسول شاعراً ، وأن يكون القرآن شعراً ، دون تعرض إلى أنه تنـزيل الشياطين كما جاء في ذكر الكهانة."[٤٠٩]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أن الكفار لما قالوا : لم لا يجوز أن يقال إن الشياطين تنـزل بالقرآن على محمد ؛ كما أنهم ينـزلون بالكهانة على الكهنة ، وبالشعر على الشعراء؟ ثم إنه سبحانه فرق بين محمد ﷺ ، وبين الكهنة ، فذكر ههنا ما يدل على الفرق بينه ﷺ ، وبين الشعراء ، وذلك هو أن الشعراء يتبعهم الغاوون ، أي : الضالون."[٤١٠]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما بطل - بإبعاده عن دركات الشياطين ، وإصعاده إلى درجات الروحانيين من الملائكة المقربين ، الآتين عن رب العالمين - كونه سحراً ، وكونه أضغاثاً ومفترى ، نفى سبحانه كونه شعراً بقوله : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ﴾."[٤١١]

في ذكر المناسبة هنا لم يأت ابن عاشور بجديد ، غير أن ما تميز به من البلاغة

([٤٠٩]) التحرير والتنوير ٢٠٧/١٩ .

([٤١٠]) التفسير الكبير ٥٣٨/٨ .

([٤١١]) نظم الدرر ٤٠٠/٥ .

جعلته يأتي بذكر المناسبة في أسلوب جميل ، وبعبارات سهلة سلسة مفهمة للمعنى المراد بأوضح الطرق .

وما ذكره الرازي في كيفية معرفة الفرق بين النبي ﷺ وبين الشعراء جميل جداً ، والله أعلم .

المبحث الثاني : سورة النمل .

وفيه تمهيد ، ومطلبان

المطلب الأول : أغراض السورة

المطلب الثاني : مناسبات الآيات

تمهيد

- **اسـم الـسـورة :** النمل ، "وتسمى أيضاً سورة سليمان".[٤١٢]
- **نـوعـهـا :** مكية بالاتفاق ، كما حكاه عدد من العلماء ومنهم ابن عطية[٤١٣]، والقرطبي[٤١٤].
- **ترتيبها في المصحف :** السابعة والعشرون .
- **عـدد آيـاتـهـا :** تسعون وثلاث آيات ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس .[٤١٥]
- **نظيرها في الـعدد :** لا نظير لها في عدد آياتها .

---

(٤١٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٥٣/١ .

(٤١٣) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٢٤٨/٤ .

(٤١٤) ينظر تفسير القرطبي ١٥٤/١٣ ، وهو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الإمام العلامة أبو عبد الله الأنصاري ، الخزرجي القرطبي إمام متفنن متبحر في العلم ، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله منها : الجامع لأحكام القرآن ؛ والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، مات سنة إحدى وسبعين وستمائة .[ينظر طبقات المفسرين للسيوطي ص٩٢ ؛ و تاريخ الإسلام للذهبي ٧٥/٥٠] .

(٤١٥) ينظر البيان في عد آي القرآن للداني ص١٩٩ .

أغـراض سـورة الـنـمـل

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"أول أغراض هذه السورة ؛ افتتاحها بما يشير إلى إعجاز القرآن ببلاغة نظمه وعلو معانيه ؛ بما يشير إليه الحرفان المقطعان في أولها .

والتنويه بشأن القرآن ، وأنه هدى لمن ييسر الله الاهتداء به ، دون من جحدوا أنه من عند الله .

والتحدي بعلم ما فيه من أخبار الأنبياء .

والاعتبار بملك أعظم ملك أوتيه نبي ، وهو ملك داود ، وملك سليمان -عليهما السلام- ، وما بلغه من العلم بأحوال الطير ، وما بلغ إليه ملكه من عظمة الحضارة .

وأشهر أمة في العرب أوتيت قوة ؛ وهي أمة ثمود ، والإشارة إلى مُلْك عظيم من العرب ؛ وهو ملك سبأ ، وفي ذلك إيماء إلى أن نبوة محمد ﷺ رسالة تقارنها سياسة الأمة، ثم يعقبها ملك ؛ وهو خلافة النبي ﷺ .

وأن الشريعة المحمدية سيقام بها ملك للأمة عتيد ، كما أقيم لبني إسرائيل ملك سليمان .

ومحاجة المشركين في بطلان دينهم ، وتزييف آلهتهم ، وإبطال أخبار كهانهم ؛ وعرافيهم ؛ وسدنة آلهتهم ، وإثبات البعث وما يتقدمه من أهوال القيامة وأشراطها .

وأن القرآن مهيمن على الكتب السابقة ، ثم موادعة المشركين ، وإنباؤهم بأن شأن الرسول الاستمرار على إبلاغ القرآن ، وإنذارهم بأن آيات الصدق سيشاهدونها ، والله مطلع على أعمالهم."[٤١٦]

([٤١٦]) التحرير والتنوير ٢١٥/١٩ .

١١. **قال تعالى :** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ النمل: ٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لا محالة يثير كون الكتاب المبين هدى وبشرى للذين يوقنون بالآخرة ، سؤالاً في نفس السامع عن حال أضدادهم ؛ الذين لا يوقنون بالآخرة ، لماذا لا يهتدون بهدي هذا الكتاب ؛ البالغ حداً عظيماً في التبين والوضوح ، فلا جرم أن يصلح المقام للإخبار عما صرف هؤلاء الأضداد عن الإيمان بالحياة الآخرة ، فوقع هذا الاستئناف البياني ؛ لبيان سبب استمرارهم على ضلالهم ، ذلك بأن الله يعلم خبث طواياهم ، فحرمهم التوفيق ، ولم يصرف إليهم عناية تنشلهم من كيد الشيطان لحكمة علمها الله من حال ما جبلت عليه نفوسهم ، فوقع هذا الاستئناف بتوابعه موقع الاعتراض بين أخبار التنويه بالقرآن بما سبق ، والتنويه به بمن أنزل عليه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ ﴾ النمل: ٦."(٤١٧)

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما بين ما للمؤمنين من البشرى ، أتبعه بما على الكفار من سوء العذاب فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾."(٤١٨)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أفهم التخصيص أن ثم من يكذب بها ، وكان أمرها مركوزاً في الطباع ؛ لما عليها من الأدلة الباهرة في العقل والسماع ، تشوفت نفس السامع على سبيل التعجب إلى حالهم ، فقال مجيباً له ؛ مؤكداً تعجيباً ممن ينكر ذلك :

---

(٤١٧) التحرير والتنوير ٢٢٠/١٩ .

(٤١٨) التفسير الكبير ٥٤١/٨ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾."[419]

حوى ابن عاشور في ذكره للمناسبة هنا قول سابقيه ، وذكره في أسلوب جميل مع بعض الزيادة .

فذكر أن الآية استئناف بياني ؛ وهي عبارة عن جواب لسؤال يثار عن أضداد الذين يوقنون بالآخرة ، لماذا لا يهتدون بهدي هذا الكتاب البالغ حداً عظيماً في التبيين والوضوح .

وقول الرازي أن المناسبة هي : بيان للمقابل لما ذُكر ، فقد ذُكر ما للمؤمنين من البشرى ، فأتبعه ما على الكافرين من سوء العذاب .

أما البقاعي فيرى أن الآية للتعجب من حال الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وذلك لما أُفْهم من تذييل الآية السابقة أن هناك من يكذب بالآخرة مع وضوح الأدلة على ذلك، تشوفت نفس السامع على سبيل التعجب إلى حالهم .

١٢. **قال تعالى :** ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ النمل: ٦ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وفي الوصفين الشريفين مناسبة للمعطوف عليه ، وللممهد إليه ، فإن ما في القرآن دليل على حكمة وعلم من أوحى به ، وأن ما يذكر هنا من القصص ، وما يستخلص منها من المغازي ، والأمثال ، والموعظة ، من آثار حكمة وعلم حكيمٍ عليم ، وكذلك ما في ذلك من تثبيت فؤاد الرسول ﷺ."[420]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما مضى في آخر الشعراء ما تقدم من الحكم الجمة في تنـزيله بهذا اللسان ، وعلى قلب سيد ولد عدنان ، بواسطة الروح الأمين ، مبايناً

([419]) نظم الدرر ٤٠٨/٥ .

([420]) التحرير والتنوير ٢٢٤/١٩ .

لأحوال الشياطين ، إلى غير ذلك مما مضى ، إلى أن ختمت بتهديد الظالمين ، وكان الظالم إلى الحكمة أحوج منه إلى مطلق العلم ، وقدم في هذه أنه هدى ، وكان الهادي لا يقتدى به ، ولا يوثق بهدايته ؛ إلا إن كان في علمه حكيما ، اقتضى السياق تقديم وصف الحكمة ، واقتضى الحال التنكير لمزيد التعظيم فقال : ﴿ حَكِيمٍ ﴾ أي : بالغ الحكمة ، فلا شيء من أفعاله إلا وهو في غاية الإتقان ، ﴿ عَلِيمٍ ﴾ أي : عظيم العلم واسعه تامه شامله ، فهو بعيد جداً عما ادعوه فيه من أنه كلام الخلق ، الذي لا علم لهم ولا حكمة إلا ما آتاهم الله ، ومصداق ذلك ؛ عجز جميع الخلق عن الإتيان بشيء من مثله ، وإدراك شيء من مغازيه حق إدراكه."[٤٢١]

القولان بينهما اختلاف من حيث جهة الربط والنظر ، أدى ذلك إلى التباين في ذكر المناسبة ، فابن عاشور ربط التذييل بين صدر الآية وما جاء بعدها ، وكان البقاعي قد ربط الآية بما جاء في آخر الشعراء ، وأول النمل .

وما ذهب إليه ابن عاشور أولى مما ذكره البقاعي ، فالحديث هنا عن التذييل الوارد في هذه الآية ، فيكون ذكر المناسبة لما جاء في صدر هذه الآية ، وهذا ما ذكره ابن عاشور ولم يتطرق إليه البقاعي ، ثم ينظر بعد هذا إلى الوجوه الأخرى ؛ التي من الممكن ذكرها في المناسبة والترابط .

وما ذكره ابن عاشور في المناسبة فيه شيءٌ من قول الرازي ؛ الذي كان حديثه عن الآية بيان للمعنى ، قال الرازي -رحمه الله- :"وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص."[٤٢٢]

١٣. **قال تعالى :** ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ

---

(٤٢١) نظم الدرر ٤٠٩/٥ .

(٤٢٢) التفسير الكبير ٥٤٣/٨ .

﴿ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ النمل: ٧ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"فالجملة استئناف ابتدائي ، ومناسبة موقعها : إفادة تنظير تلقي النبي ﷺ القرآن ، بتلقّي موسى عليه السلام كلام الله إذ نودي ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ النمل: ٩ .

وذلك من بديع التخلص إلى ذكر قصص هؤلاء الأنبياء ، عقب التنويه بالقرآن ، وأنه من لدن حكيم عليم."[٤٢٣]

وقال الرازي -رحمه الله- :"﴿ إِذْ ﴾ منصوب بمضمر ، وهو اذكر ، كأنه قال على أثر ذلك : خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى."[٤٢٤]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان تعلق إذ باذكر من الوضوح في حد لا يخفى على أحد ، قال دالاً على حكمته وعلمه : ﴿ إِذْ ﴾ طاوياً لمتعلقه لوضوح أمره ، فصار كأنه قال : اذكر حكمته وعلمه حين قال : ﴿ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾."[٤٢٥]

ما ذكر البقاعي في المناسبة هو ما ذكره الرازي ، وما ذكره ابن عاشور هنا قول جميل ، ومناسبة حسنة .

ويمكن الجمع فيقال المناسبة هي : تنظير تلقي النبي ﷺ القرآن ؛ بتلقّي موسى عليه السلام كلام الله إذ نودي .

وفيها بيان شيءٍ من آثار حكمته وعلمه سبحانه .

١٤. **قال تعالى :** ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ النمل: ٩ .

([٤٢٣]) التحرير والتنوير ٢٢٤/١٩ .

([٤٢٤]) التفسير الكبير ٥٤٣/٨ .

([٤٢٥]) نظم الدرر ٤٠٩/٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ خبر عن ضمير الشأن ، والمعنى : إعلامه بأن أمراً مهماً يجب علمه ، وهو أن الله عزيز حكيم ، أي : لا يغلبه شيء ، ولا يستصعب عليه تكوين .

وتقديم هذا بين يدي ما سيلقى إليه من الأمر ، لإحداث رباطَة جأش لموسى عليه السلام ، ليعلم أنه خلعت عليه النبوءة إذ ألقي إليه الوحي ، ويعلم أنه سيتعرض إلى أذى وتألب عليه ، وذلك كناية عن كونه سيصير رسولاً ، وأن الله يؤيده وينصره على كل قوي ، وليعلم أن ما شاهد من النار ، وما تلقّاه من الوحي ، وما سيشاهده من قلب العصا حية ، ليس بعجيب في جانب حكمة الله تعالى ، فتلك ثلاث كنايات ، فلذلك أتبع هذا بقوله : ﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَ ﴾."[٤٢٦]

وقال الرازي -رحمه الله- :"وهذا تمهيد لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة ، يريد أنا القوي القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا حية ، الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير."[٤٢٧]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما تشوفت النفس إلى تحقق الأمر تصريحاً ، قال معظماً له ، تمهيداً لما أراد سبحانه إظهاره على يده من المعجزات الباهرات : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾."[٤٢٨]

لم يأت ابن عاشور هنا بجديد ، فذكر قول سابقيه مع تغيير في العبارات والأسلوب .

١٥. قال تعالى : ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن

---

(٤٢٦) التحرير والتنوير ٢٢٧/١٩ .

(٤٢٧) التفسير الكبير ٥٤٥/٨ .

(٤٢٨) نظم الدرر ٤١١/٥ .

﴿ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ النمل: ٤٠ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"والعدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله : ﴿ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ دون أن يقول : فإنه غني كريم ، تأكيد للاعتراف بتمحض الفضل المستفاد من قوله : ﴿ فَضْلِ رَبِّى ﴾."[٤٢٩]

وقال الرازي -رحمه الله- :"غني عن شكره لا يضره كفرانه ، كريم لا يقطع عنه نعمه بسبب إعراضه عن الشكر."[٤٣٠]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"﴿ غَنِىٌّ ﴾ أي : عن شكر ، لا يضره تركه شيئاً ، ﴿ كَرِيمٌ ﴾ يفعل معه بإدرار النعم عليه فعل من أظهر محاسنه وستر مساوئه ، ثم هو جدير بأن يقطع إحسانه ؛ إن استمر على إجرامه ، كما يفعل الغني بمن أصر على كفر إحسانه؛ فإذا هو قد هلك."[٤٣١]

أجاد ابن عاشور هنا ، فذكر أن مناسبة التذييل بهذين الوصفين بعد قوله ﴿ رَبِّى ﴾ ، مأخوذ من قوله : ﴿ فَضْلِ رَبِّى ﴾ وذلك تأكيد للاعتراف بتمحض الفضل .

في حين أن قول الرازي والبقاعي أقرب إلى بيان المعنى .

١٦. **قال تعالى :** ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ النمل: ٤٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"هذا مثل ثالث ضربه الله لحال المشركين مع المؤمنين ، وجعله تسلية لرسوله ﷺ ؛ بأن له أسوة بالرسل والأنبياء من قبله .

---

(٤٢٩) التحرير والتنوير ٢٧٢/١٩ .

(٤٣٠) التفسير الكبير ٥٥٧/٨ .

(٤٣١) نظم الدرر ٤٢٧/٥ .

والانتقال من ذكر ملك سليمان وقصة ملكة سبأ ، إلى ذكر ثمود ورسولهم ، دون ذكر عاد لمناسبة جِوار البلاد ، لأن ديار ثمود كانت على تخوم مملكة سليمان ، وكانت في طريق السائر من سبأ إلى فلسطين .

ألا ترى أنه أعقب ذكر ثمود بذكر قوم لوط ، وهم أدنى إلى بلاد فلسطين ، فكان سياق هذه القصص مناسباً لسياق السائر من بلاد اليمن إلى فلسطين ، ولما كان ما حلّ بالقوم أهم ذكراً في هذا المقام ، قدم المجرور على المفعول ، لأن المجرور هو محل العبرة ، وأما المفعول فهو محلّ التسلية ، والتسلية غرض تبعي."[٤٣٢]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أتم سبحانه هذه القصة المؤسسة على العلم المشيد بالحكمة ، المنبئة عن أن المدعوين فيها أطبقوا على الاستسلام للدخول في الإسلام، مع أبالة[٤٣٣] الملك ورئاسة العز والقهر على يد غريب عنهم ، بعيد منهم ، أتبعها قصة انقسم أهلها مع الذل والفقر فريقين ، مع أن الداعي منهم ؛ لا يزول باتباعه شيء من العز عنهم ، مع ما فيها من الحكمة ، وإظهار دقيق العلم بإبطال المكر بعد طول الأناة والحلم ، فقال تعالى مفتتحاً بحرف التوقع والتحقيق لمن ظن أن هذا شأن كل رسول مع من يدعوهم ، عاطفاً على ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ ﴾ النمل: ١٥، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾."[٤٣٤]

المناسبتان مختلفتان ، فذكر ابن عاشور أنّ المناسبة هي : الترتيب على المكان الأقرب فالأقرب ، وذكر البقاعي أن المناسبة هي : ذكر الأحوال ، فلما ذكر أحوال الملك والعزة والقهر على يد غريب عنهم ، بعيد منهم ، فأطبقوا على الاستسلام ، ذكر حالاً يقابل حالهم من الذل والفقر ، والداعي لهم منهم ، ومع هذا انقسموا إلى فريقين .

([٤٣٢]) التحرير والتنوير ٢٧٧/١٩ .

([٤٣٣]) بمعنى الحسن والحذاقة ، أي : حسن الملك والحذاقة فيه .[ينظر تذيب اللغة لمحمد بن أحمد الأزهري ٢٧٨/١٥ ؛ ولسان العرب لابن منظور ٤/١١] .

([٤٣٤]) نظم الدرر ٤٣١/٥ .

ويمكن الجمع فيقال المناسبة هي : ذكر قصة أخرى قريبة منهم في المكان ، بعيدة منهم في الأحوال .

١٧. **قال تعالى :** ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ النمل: ٥٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وتعقيب قصة ثمود بقصة قوم لوط ، جار على معتاد القرآن في ترتيب قصص هذه الأمم ، فإن قوم لوط كانوا متأخرين في الزمن عن ثمود .

وإنما الذي يستثير سؤالاً هنا ، هو الاقتصار على قصة قوم لوط ، دون قصة عاد وقصة مدين ، وقد بينته آنفاً ؛ أنه لمناسبة مجاورة ديار قوم لوط لمملكة سليمان ، ووقوعها بين ديار ثمود وبين فلسطين ، وكانت ديارهم ممر قريش إلى بلاد الشام ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ الحجر: ٧٦ ، وقال : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الصافات: ١٣٧ - ١٣٨."[٤٣٥]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما فرغ من قصة القريب الذي دعا قومه فإذا هم قسمان ، بعد الغريب الذي لم يختلف عليه ممن دعاهم اثنان ، اتبعها بغريب لم يتبعه ممن دعاهم إنسان ، فقال دالاً على أنه له سبحانه الاختيار ، فتارة يجري الأمور على القياس ، وأخرى على خلاف الأساس الذي تقتضيه عقول الناس ، فقال : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ ﴾."[٤٣٦]

المناسبة التي ذكرها ابن عاشور هنا أوضح مما ذكره البقاعي ، وقول البقاعي هنا ليس فيه ما يدل على قوة ما ذكر ، وكان ذلك بسبب حديثه عن مناسبات القصص

---

(٤٣٥) التحرير والتنوير ٢٨٧/١٩ .

(٤٣٦) نظم الدرر ٤٣٤/٥ .

السابقة ، فأثر هنا على ذكر المناسبة .

١٨. **قال تعالى :** ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ النمل: ٦٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما أبطلت الآيات السابقة إلهية أصنام المشركين بالأدلة المتظاهرة ، فانقطع دابر عقيدة الإشراك ، ثُني عنان الإبطال إلى أثر من آثار الشرك، وهو ادعاء علم الغيب بالكهانة وإخبار الجن ، كما كان يزعمه الكهان والعرافون وسدنة الأصنام ، ويؤمن بذلك المشركون."(٤٣٧)

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما بين أنه المختص بالقدرة ، فكذلك بين أنه هو المختص بعلم الغيب ، وإذا ثبت ذلك ؛ ثبت أنه هو الإله المعبود ، لأن الإله هو الذي يصح منه مجازاة من يستحق الثواب على وجه لا يلتبس بأهل العقاب."(٤٣٨)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كانت مضمونات هذه البراهين متوقفة على علم الغيب ، لأنه لا يخرج الخبء باختراع الخلق ، وكشف الضر ، وإحكام التدبير إلا به ، لأنه لا قدرة أصلاً لمن لا علم له ، ولا تمام لقدرة من لا تمام لعلمه -كما مضى بيانه في طه-(٤٣٩)، وطالبهم سبحانه آخر هذه البراهين ؛ بالبرهان على الشرك ، وكانوا ربما قالوا : سنأتي به ، أمر أن يعلموا أنه لا برهان لهم عليه ، بل البرهان قائم على خلافه ، فقال : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ ﴾."(٤٤٠)

مؤدى المناسبات هو أنه لا يعلم الغيب أحد إلا الله ، لكن كل واحد نظر إلى

---

(٤٣٧) التحرير والتنوير ١٩/٢٠ .

(٤٣٨) التفسير الكبير ٥٦٧/٨ .

(٤٣٩) ينظر نظم الدرر ١٠/٥ .

(٤٤٠) نظم الدرر ٤٤٤/٥ .

المعنى بغير نظر الآخر ، فابن عاشور يرى أن المناسبة هي : إبطال لأثر آخر من آثار الشرك ، وهو ادعاء علم الغيب بالكهانة وإخبار الجن .

ويرى الرازي أن المناسبة هي : بيان شيء آخر مما اختص الله سبحانه به ، وهو علم الغيب .

ويرى البقاعي أن المناسبة هي : بيانٌ بأن مضمون البراهين المذكورة متوقفة على علم الغيب ، فلا يعلم الغيب إلا الله ، ولن يستطيعوا أن يبرهنوا على شركهم ، فلا برهان لهم به .

ويمكن الجمع فيقال : جاءت الآية لإبطال أثر من آثار الشرك ، ببيان أنّ علم الغيب مما اختصه الله به ، وهو متضمن في البراهين المذكورة .

١٩. **قال تعالى :** ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ النمل: ٦٩ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- : والمناسبة هي الموعظة بحال المكذبين ، لأن إنكارهم البعث تكذيب للرسول وإجرام ، والوعيد بأن يصيبهم مثل ما أصابهم .[٤٤١]

وقال الرازي -رحمه الله- بعد الحديث عن كمال القدرة وكمال العلم :"ثم إنه سبحانه لما كان قد بين الدلالة على هذين الأصلين ، ومن الظاهر أن كل من أحاط بهما، فقد عرف صحة الحشر والنشر ، ثبت أنهم أعرضوا عنها ولم يتأملوها ، وكان سبب ذلك الإعراض ؛ حب الدنيا وحب الرياسة والجاه ، وعدم الانقياد للغير ، لا جرم اقتصر على بيان أن الدنيا فانية زائلة فقال :﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾."[٤٤٢]

([٤٤١]) ينظر التحرير والتنوير ٢٦/٢٠ .

([٤٤٢]) التفسير الكبير ٥٦٩/٨ .

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما لم يبق هذا الذي أقامه من دلائل القدرة على كل شيء عموماً ، وعلى البعث خصوصاً ، مقالاً يرد عن الغي إلا التهديد بالنكال ، وكان كلامهم هذا موجباً للنبي ﷺ من الغم والكرب ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، قال سبحانه ملقناً له ، ومرشداً لهم ، في صورة التهديد : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي : أيها المعاندون ، أو العمي الجاهلون."[٤٤٣]

ما قاله ابن عاشور في ذكر المناسبة قريب مما قاله البقاعي ، وما ذكره البقاعي فيه شيء مما ذكره الرازي .

ويمكن الجمع فيقال المناسبة هي : بيان أن الدنيا فانية زائلة ، وفي ضمنها التهديد والوعيد .

٢٠. قـــــال تعـــــالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ النمل: ٧٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"موقع هذا موقع الاستئناف البياني ، لأن قوله : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ النمل: ٧٣ ، يثير سؤالاً في نفوس المؤمنين أن يقولوا : إن هؤلاء المكذبين قد أضمروا المكر ، وأعلنوا الاستهزاء ، فحالهم لا يقتضي إمهالهم؟ فيجاب بأن الذي أمهلهم مطلع على ما في صدورهم وما أعلنوه ، وأنه أمهلهم مع علمه بهم لحكمة يعلمها .

وفيه إشارة إلى أنهم يكنون أشياء للنبي ﷺ وللمؤمنين ، منها : أنهم يتربصون بهم الدوائر ، وأنهم تخامر نفوسهم خواطر إخراجه وإخراج المؤمنين ، وهذا الاستئناف لمّا كان ذا جهة من معنى وصف الله بإحاطة العلم ، عطفت جملته على جملة وصف الله بالفضل ، فحصل بالعطف غرض ثان مهم ، وحصل معنى الاستئناف البياني من مضمون

([٤٤٣]) نظم الدرر ٤٤٧/٥ .

الجملة."[٤٤٤]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان الإمهال قد يكون من الجهل بذنوب الأعداء ، قال نافياً لذلك : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ ﴾."[٤٤٥]

ما ورد في ذكر المناسبة حسن ، وكلا القولين جميل ، وما ذكره ابن عاشور في المناسبة فيه من قول البقاعي .

٢١. قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ النمل: ٧٦ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"إبطال لقول الذين كفروا : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ النمل: ٦٨ ، وله مناسبة بقوله : ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ النمل: ٧٥ ، فإن القرآن وحي من عند الله إلى رسوله محمد ﷺ ، فكل ما فيه فهو من آثار علم الله تعالى ، فإذا أراد الله تعليم المسلمين شيئاً مما يشتمل عليه القرآن ، فهو العلم الحق إذا بلغت الأفهام إلى إدراك المراد منه ، على حسب مراتب الدلالة التي أصولها في علم العربية ، وفي علم أصول الفقه...

...فموقع هذه الآية ؛ استكمال نواحي هدي القرآن للأمم ، فإن السورة افتتحت بأنه هدى وبشرى للمؤمنين ، وأن المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة يعمهون في ضلالهم ، فلم ينتفعوا بهديه ، فاستكملت هذه الآية ما جاء به من هدي بني إسرائيل ؛ لما يهم مما اختلفوا فيه."[٤٤٦]

---

(٤٤٤) التحرير والتنوير ٢٨/٢٠ .

(٤٤٥) نظم الدرر ٤٤٨/٥ .

(٤٤٦) التحرير والتنوير ٣٠/٢٠ .

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما تم الكلام في إثبات المبدأ والمعاد، ذكر بعد ذلك ما يتعلق بالنبوة ، ولما كانت العمدة الكبرى في إثبات نبوة محمد ﷺ هو القرآن ، لا جرم بين الله تعالى أولاً كونه معجزة."[٤٤٧]

وقال البقاعي -رحمه الله- بعد الحديث عن الآية السابقة :"ثم دل على ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أي : الآتي به هذا النبي الأمي ؛ الذي لم يعرف قبله علماً ولا خالط عالماً ، ﴿يَقُصُّ﴾ أي : يتابع الإخبار ، ويتلو شيئاً فشيئاً ، على سبيل القطع الذي لا تردد فيه ، من غير زيادة ولا نقص ، ﴿عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أي : الذي أخبارهم مضبوطة في كتبهم ، لا يعرف بعضها إلا قليل من حذاق أخبارهم ، ﴿أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ﴾ أي : خاصة لكونه من خاص أخبارهم ، التي لا علم لغيرهم بها ، ﴿فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ أي : من أمر الدين وإن بالغوا في كتمه ، كقصة الزاني المحصن في إخفائهم أن حده الرجم ، وقصة عزير والمسيح ، وإخراج النبي ﷺ ذلك من توراتهم ، فصح بتحقيقه على لسان من لم يلم بعلم قط ؛ أنه من عند الله ، وصح أن الله تعالى يعلم كل شيء ، إذ لا خصوصية لهذا دون غيره بالنسبة إلى علمه سبحانه." [٤٤٨]

ذكر ابن عاشور في حديثه عن المناسبة قول سابقيه ، ولكن بأسلوبه ، وزاد عليهم أن الآية فيها استكمال هدي القرآن للأمم ، فكما هو هدى وبشرى للمؤمنين ، فهو كذلك يهدي بني إسرائيل لما يهم مما اختلفوا فيه .

٢٢. قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ النمل: ٧٧ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"هذا راجع إلى قوله في طالع السورة : ﴿ هُدًى

([٤٤٧]) التفسير الكبير ٥٧٠/٨ .

([٤٤٨]) نظم الدرر ٤٤٩/٥ .

﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ النمل: ٢ ، ذُكر هنا لاستيعاب جهات هدي القرآن."[٤٤٩]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما بان بهذا دليل علمه ، أتبعه دليل فضله وحلمه فقال : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى ﴾."[٤٥٠]

الاختلاف في المناسبتين يسير ، والمعنى واحد ، فمن فضل الله أن جعل هذا القرآن هدى ورحمةً ، وهذا من هدي القرآن .

٢٣. قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ النمل: ٧٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما سبق ذكر المشركين بطعنهم في القرآن وتكذيبهم بوعيده ، وذكر بني إسرائيل بما يقتضي طعنهم فيه ؛ بأنه لمخالفة ما في كتبهم، وذكر المؤمنين بأنهم اهتدوا به ، وكان لهم رحمة فهم موقنون بما فيه ، تمخض الكلام عن خلاصة ؛ هي افتراق الناس في القرآن فريقين : فريق طاعن ، وفريق موقن ، فلا جرم اقتضى ذلك حدوث تدافع بين الفريقين ، وهو مما يثير في نفوس المؤمنين سؤالاً عن مدى هذا التدافع والتخالف بين الفريقين ، ومتى ينكشف الحق ، فجاء قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ﴾ استئنافاً بيانياً ، فيعلم أن القضاء يقتضي مختلفين ، وأن كلمة (بين) تقتضي متعدداً ، فأفاد أن الله يقضي بين المؤمنين بالقرآن والطاعنين فيه قضاء يبين الحق من المبطل ، وهذا تسلية للنبي ﷺ وللمؤمنين عن استبطائهم النصر ، فإن النبي أول المؤمنين ، وإنما تقلد المؤمنون ما أنبأهم به ، فالقضاء للمؤمنين ؛ قضاء له بادئ ذي بدء."[٤٥١]

([٤٤٩]) التحرير والتنوير ٣١/٢٠ .

([٤٥٠]) نظم الدرر ٤٤٩/٥ .

([٤٥١]) التحرير والتنوير ٣٢/٢٠ .

وقال الرازي -رحمه الله- :"والمراد أن القرآن وإن كان يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ، لكن لا تكن أنت في قيدهم ، فإن ربك هو الذي يقضي بينهم ، أي : بين المصيب والمخطئ منهم ، وذلك كالزجر للكفار."[٤٥٢]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ذكر دليل فضله ، أتبعه دليل عدله ، فقال مستأنفاً لجواب من ظن أن فضله دائم العموم على الفريقين : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ ﴾."[٤٥٣]

استفاد ابن عاشور في ذكر المناسبة هنا من البقاعي ، فذهب إلى ما ذهب إليه ، ولكن بشيءٍ من التوسع .

أما الرازي فذكر أن المناسبة زجر للكفار .

ويمكن الجمع فيقال : أن الآية استئناف بياني ؛ لبيان أن الله سيقضي بين الفريقين، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ والمؤمنين ، وزجر للكافرين .

وعند النظر إلى قول الرازي : (بين المصيب والمخطئ منهم) نجد أن ضمير (منهم) يوجب قولين ، يكون في أحدهما مخالفة لقولي البقاعي وابن عاشور .

الأول : إن كان الضمير يعود على المسلمين وعلى بني إسرائيل ، فهذا موافق لهما.

الثانية : وإن كان الضمير يعود على المختلفين من بني إسرائيل ، فعلى هذا القول يكون مخالفاً لهما ، وهو بعيد عن الصواب ، فقد فُصل بين المختلفين من بني إسرائيل ، وبين هذه الآية فريق آخر ، فيقتضي أن يكون هذا القضاء بين هذا الفريق المذكور قريباً في الآية السابقة وهم المؤمنون ، وبين الفريق الآخر وهم بنو إسرائيل .

٢٤. قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ

---

(٤٥٢) التفسير الكبير ٥٧١/٨ .

(٤٥٣) نظم الدرر ٤٤٩/٥ .

﴿ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ النمل: ٧٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- بعد الحديث عن صدر الآية :"وبه يظهر حسن موقع الاسمين الجليلين في تذييله بقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ فإن العزيز لا يصانع ، والعليم لا يفوته الحق ، ويظهر حسن موقع التفريع بقوله : ﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴾ النمل: ٧٩."(٤٥٤)

وقال الرازي -رحمه الله- :"﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ أي : القادر الذي لا يمنع ، ﴿ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ بما يحكم فلا يكون إلا الحق."(٤٥٥)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"﴿ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ فلا يرد له أمر ، ﴿ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ فلا يخفى عليه سر ولا جهر ، فلما ثبت له العلم والحكمة ، والعظمة والقدرة ، تسبب عن ذلك قوله : ﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾."(٤٥٦)

الأقوال المذكورة متقاربة في المعنى ، وما ذكره ابن عاشور أقرب إلى بيان مناسبة التذييل مما ذكره غيره ، وفي حديثه شيء مما ذكره البقاعي .

٢٥. قال تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ النمل: ٨٢ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"هذا انتقال إلى التذكير بالقيامة وما ادخر لهم من الوعيد ، فهذه الجملة معطوفة على الجمل قبلها ، عطف قصة على قصة ، ومناسبة

---

(٤٥٤) التحرير والتنوير ٣٣/٢٠ .

(٤٥٥) التفسير الكبير ٥٧١/٨ .

(٤٥٦) نظم الدرر ٤٤٩/٥ .

ذكرها ما تقدم من قوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ النمل: ٨٠ - ٨١ ، والضمير عائد إلى الموتى والصم والعمي ، وهم المشركون."[٤٥٧]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أن الله تعالى بين بالدلائل القاهرة كمال القدرة وكمال العلم ، ثم فرع عليهما القول بإمكان الحشر ، ثم بين الوجه في كون القرآن معجزاً ، ثم فرع عليه نبوة محمد ﷺ ، ثم تكلم الآن في مقدمات قيام القيامة ، وإنما أخر تعالى الكلام في هذا الباب عن إثبات النبوة ، لما أن هذه الأشياء لا يمكن معرفتها إلا بقول النبي الصادق ، وهذا هو النهاية في جودة الترتيب."[٤٥٨]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما فرغ من عظيم زجرهم بتسليته ﷺ في أمرهم ، وختم بالإسلام ، عطف عليه ذكر ما يوعدون مما تقدم استعجالهم له ، استهزاء به ، وبدأ منه بالدابة التي تميز المسلم من غيره ، فقال محققاً بأداة التحقيق : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾."[٤٥٩]

المناسبات المذكورة متقاربة في المعنى ، وهي تتحدث عن ذكر القيامة ومقدماتا ، وكلٌ لديه زيادة عن غيره .

فذكر ابن عاشور أن المناسبة : انتقالٌ إلى التذكير بالقيامة ، وزاد عن الباقين ذكر مناسبة العطف ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ .

وذكر الرازي : أنه بعد الحديث عن الدلائل السابقة ، وذكر الحشر ، بدأ هنا بذكر مقدمات قيام القيامة ، وزاد عن الباقين سبب تأخر الكلام في هذا الباب .

وذكر البقاعي أن المناسبة : ذكر ما يوعدون مما تقدم ، وزاد عن الباقين أن

([٤٥٧]) التحرير والتنوير ٣٨/٢٠ .

([٤٥٨]) التفسير الكبير ٥٧٢/٨ .

([٤٥٩]) نظم الدرر ٤٥١/٥ .

الحديث عن هذا بسبب استعجالهم ما يوعدون استهزاء به ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ النمل: ٧١ .

٢٦. قال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ النمل: ٨٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- بعد أن ذكر آراء المفسرين في الآية :"وليس في كلام المفسرين شفاء لبيان اختصاص هذه الآية ؛ بأن الرائي يحسب الجبال جامدة ، ولا بيان وجه تشبيه سيرها بسير السحاب ، ولا توجيه التذييل بقوله تعالى : ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ ، فلذلك كان لهذه الآية وضع دقيق ، ومعنى بالتأمل خليق .

فوضعها : أنها وقعت موقع الجملة المعترضة بين المجمل وبيانه من قوله : ﴿ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ النمل: ٨٧-٨٩ ، بأن يكون من تخلل دليل على دقيق صنع الله تعالى في أثناء الإنذار والوعيد ، إدماجاً وجمعاً بين استدعاء للنظر ، وبين الزواجر والنذر ، كما صنع في جملة ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾ النمل: ٨٦ .

أو هي معطوفة على جملة ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾ الآية ، وجملة ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ معترضة بينهما ، لمناسبة ما في الجملة المعطوف عليها من الإيماء إلى تمثيل الحياة بعد الموت ، ولكن هذا استدعاء لأهل العلم والحكمة ؛ لتتوجه أنظارهم إلى ما في هذا الكون من دقائق الحكمة وبديع الصنعة .

وهذا من العلم الذي أودع في القرآن ليكون معجزة من الجانب العلمي يدركها أهل العلم ، كما كان معجزة للبلغاء من جانبه النظمي ، كما قدمناه في الجهة الثانية من

المقدمة العاشرة."[٤٦٠]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أن هذا هو العلامة الثالثة لقيام القيامة ، وهي تسيير الجبال."[٤٦١]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ذكر دخورهم[٤٦٢]، تلاه بدخور ما هو أعظم منهم خلقاً ، وأهول أمراً ، فقال : عاطفاً على ناصب الظرف مما تقديره : كانت أمور محلولة ، معبراً بالمضارع لأن ذلك وإن شارك الفزع في التحقق ؛ قد فارقه في الحدوث والتجدد شيئاً فشيئاً : ﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ ﴾."[٤٦٣]

ما ذكره ابن عاشور من الحديث عن آراء العلماء في الآية ، وتلاه ببيان قوله شيء جميل ، وهو مع ذلك لم يتحدث عن كل جوانب الآية ، ولعل ذلك راجع إلى الاختلاف في مرجع العطف .

والأولى هنا أن تذكر كل الأقوال في المناسبات ولا يهمل منها شيء فيقال : إن كانت الآية معطوفة ففيها من المناسبات ما يلي :

أولاً : أن الآية معطوفة على قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ ٨٢ ، فهي علامة من علامات يوم القيامة كما ذكر الرازي .

ثانياً : أو هي معطوفة على قوله تعالى : ﴿ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴾ ٨٧ ، فهي بيان على قدرة الله حتى أنّ الجبال العظيمة تأتيه ذليلة يوم القيامة ، وهذا كما ذكر البقاعي .

ثالثاً : أو هي معطوفة على قوله تعالى : ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ

---

(٤٦٠) التحرير والتنوير ٤٨/٢٠ .

(٤٦١) التفسير الكبير ٥٧٤/٨ .

(٤٦٢) داخرين : صاغرين أذلاء ، يقال أدخرته فدخر ، أي : أذللته فذل .[ينظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص١٦٦ ؛ والتبيان في تفسير غريب القرآن لأحمد بن محمد الهائم المصري ص٣٢٥] .

(٤٦٣) نظم الدرر ٤٥٥/٥ .

فِيهِ ﴾ ٨٦ ، فهي علامة من علامات صنع الله وإتقانه في صناعة الأشياء ، وهو استدعاء للحث والتأمل ، وهذا كما ذكر ابن عاشور .

وإن كانت الآية جملة معترضة بين الجمل ، فالمناسبة كما ذكر ابن عاشور ، تخلل دليل على دقيق صنع الله تعالى في أثناء الإنذار والوعيد ، إدماجاً وجمعاً بين استدعاء للنظر، وبين الزواجر والنذر .

وهنا ، فالاختلاف المذكور ليس اختلاف تضاد بل فيه تنوع ، فما ذكره ابن عاشور حمله على ما هو واقع في الدنيا ، وما ذكره الرازي والبقاعي فهو واقع في الآخرة.

وجميع ما ذكر من المناسبات في هذه الآية صحيح من حيث ما ذهب إليه قائلها .

ويلاحظ على قول البقاعي :"تلاه بدخور ما هو أعظم منهم خلقاً" ، أنه ليس العجيب أن تأتي يوم القيامة ذليلة ، وإنما العجب في عظيم خلق الله لها في الدنيا ، وفي جعلها يوم القيامة كالعهن المنفوش على عظم خلقها .

٢٧. **قال تعالى :** ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ النمل: ٨٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ تذييل ، أو اعتراض في آخر الكلام ، للتذكير والوعظ والتحذير عقب قوله : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ ، لأن إتقان الصنع أثر من آثار سعة العلم ، فالذي بعلمه أتقن كل شيء ؛ هو خبير بما يفعل الخلق ، فليحذروا أن يخالفوا عن أمره."[٤٦٤]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ثبت هذا على هذا الوجه المتقن ، والنظام الأمكن ، أنتج قطعاً قوله : ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي : الذي أحكم هذه الأمور كلها ﴿ خَبِيرٌۢ بِمَا

([٤٦٤]) التحرير والتنوير ٢٠/٥١ .

تَفۡعَلُونَ ﴾ أي : لأن الإتقان نتيجة القدرة ، وهي نتيجة العلم ، فمن لم يكن شامل العلم ،لم يكن تام القدرة."[٤٦٥]

حديث ابن عاشور عن التذييل بلفظ الخبير ؛ أبين وأدق من قول البقاعي ، والله أعلم .

---

(٤٦٥) نظم الدرر ٤٥٥/٥ .

المبحث الثاني : سورة القصص.

وفيه تمهيد ، ومطلبان

المطلب الأول : أغراض السورة

المطلب الثاني : مناسبات الآيات

تمهيد

- **اســم الـــســـورة :** القصص، وقيل تسمى أيضاً سورة موسى عليه السلام لاشتمالها على قصته فقط ؛ من حين ولد إلى أن أهـلك الله تعـالى فرعون ، وخسف بقارون[٤٦٦].
- **نـــوعـــهـــا :** مكية ، وقال ابن عباس و قتادة : إلا آية نزلت بين مكة والمدينة ، وقيل بالجحفة[٤٦٧] في وقت هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وهـي قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ القصص: ٨٥ ، وقال مقاتل : فيها من المدني ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ القصص: ٥٢ إلى قـوله : ﴿ لَا نَبۡتَغِى ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ القصص: ٥٥ .[٤٦٨]
- **ترتيبها في المصحف :** الثامنة والعشرون .
- **عـدد آيـاتـهـا :** ثمان وثمانون آية لا اختلاف فيها[٤٦٩].
- **نظيرها في الـعدد :** سورة ص .

---

(٤٦٦) ينظر تفسير السراج المنير للخطيب الشربيني ٧٤/٣ .

(٤٦٧) الجحفة بالضم ثم السكون ، كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة ، تبعد عن مكة بمائـة وستين كيلاً تقريباً ، وهي ميقات أهل مصر والشام ، إن لم يمروا على المدينة ، سميت بالجحفة : لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام ، وهي الآن خراب .[ينظر معجم ما اسـتعجم لعبـدالله البكـري ٣٦٧/١ ؛ معجم البلدان لياقوت الحموي ١١١/٢] .

(٤٦٨) ينظر تفسير القرطبي ٢٤٧/١٣ .

(٤٦٩) ينظر البيان في عد آي القرآن للداني ص٢٠١ .

أغـراض سـورة الـقـصـص

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"اشتملت هذه السورة على التنويه بشأن القرآن ، والتعريض بأن بلغاء المشركين عاجزون عن الإتيان بسورة مثله ، وعلى تفصيل ما أُجمل في سورة الشعراء ؛ من قول فرعون لموسى : ﴿ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا ﴾ الشعراء: ١٨ ، إلى قوله : ﴿ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ الشعراء: ١٩ ، ففصلت سورة القصص كيف كانت تربية موسى في آل فرعون .

وبين فيها سبب زوال مُلْك فرعون .

وفيها تفصيل ما أُجمل في سورة النمل من قوله : ﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا ﴾ النمل: ٧ ، ففصلت سورة القصص كيف سار موسى وأهله ، وأين آنس النار ، ووصف المكان الذي نودي فيه بالوحي ، إلى أن ذكرت دعوة موسى فرعون ، فكانت هذه السورة أوعب لأحوال نشأة موسى إلى وقت إبلاغه الدعوة ، ثم أجملت ما بعد ذلك، لأن تفصيله في سورة الأعراف وفي سورة الشعراء ، والمقصود من التفصيل ما يتضمنه من زيادة المواعظ والعبر .

وإذ قد كان سوق تلك القصة إنما هو للعبرة والموعظة ؛ ليعلم المشركون سنة الله في بعثة الرسل ، ومعاملته الأمم المكذبة لرسلها .

وتحدى المشركين بعلم النبي ﷺ بذلك ، وهو أمي لم يقرأ ولم يكتب ، ولا خالط أهل الكتاب ، ذيل الله ذلك بتنبيه المشركين إليه ، وتحذيرهم من سوء عاقبة الشرك ، وأنذرهم إنذاراً بليغا .

وفند قولهم : ﴿ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ ﴾ القصص: ٤٨ ؛ من الخوارق ؛ كقلب العصا حية ، ثم انتقاضهم في قولهم إذ كذبوا موسى أيضاً .

وتحداهم بإعجاز القرآن ، وهديه مع هدي التوراة .

وأبطل معاذيرهم ثم أنذرهم بما حل بالأمم المكذبة رسل الله .

وساق لهم أدلة على وحدانية الله تعالى ، وفيها كلها نعم عليهم ، وذكرهم بما سيحل بهم يوم الجزاء .

وأنحى عليهم في اعتزازهم على المسلمين بقوتم ، ونعمتهم ، ومالهم ، بأن ذلك متاع الدنيا ، وأن ما ادخر للمسلمين عند الله خير وأبقى .

وأعقبه بضرب المثل لهم ؛ بحال قارون في قوم موسى ، وتخلص من ذلك إلى التذكير ؛ بأن أمثال أولئك لا يحظون بنعيم الآخرة ، وأن العاقبة للمتقين .

وتخلل ذلك إيماء إلى اقتراب مهاجرة المسلمين إلى المدينة ، وإيماء إلى أن الله مظهرهم على المشركين بقوله :﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ القصص: ٥ ، الآية .

وختم الكلام بتسلية الرسول ﷺ وتثبيته ، ووعده بأنه يجعل بلده في قبضته ، ويمكنه من نواصي الضالين ، ويقْرب عندي أن يكون المسلمون ودوا أن تفصل لهم قصة رسالة موسى عليه السلام ، فكان المقصود انتفاعهم بما في تفاصيله من معرفة نافعة لهم ؛ تنظيراً لحالهم وحال أعدائهم ، فالمقصود ابتداءً هم المسلمون ، ولذلك قال تعالى في أولها : ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ القصص: ٣ ، أي : للمؤمنين."[٤٧٠]

([٤٧٠]) التحرير والتنوير ٢٠/٦٢ .

٢٨. قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص: ٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وهذه الجملة وما عطف عليها بيان لجملة ﴿ نَتْلُوا ﴾ ، أو بيان لـ ﴿ نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ ﴾ ، فقدم له الإجمال للدلالة على أنه نبأ له شأن عظيم ، وخطر بما فيه من شتى العبر ، وافتتاحها بحرف التوكيد للاهتمام بالخبر .

وابتدئت القصة بذكر أسبابها لتكون عبرة للمؤمنين ، يتخذون منها سنناً يعلمون بها علل الأشياء ومعلولاتا ، ويسيرون في شؤونهم على طرائقها ، فلولا تجبر فرعون -وهو من قبيح الخلال- ما حلّ به وبقومه الاستئصال ، ولما خرج بنو إسرائيل من ذل العبودية ، وهذا مصداق المثل : مصائب قوم عند قوم فوائد ، وقوله تعالى : ﴿ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ البقرة: ٢١٦."[٤٧١]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولَما كان كأنه قيل : ما هذا المقصوص من هذا النبأ؟ قال : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾."[٤٧٢]

قول ابن عاشور هنا قول حسن ، والمناسبة التي ذكرها في جعل هذه الآية بدء القصة مناسبة جميلة ، وكان قول البقاعي هو الدافع لذكرها على هذا النحو .

([٤٧١]) التحرير والتنوير ٦٦/٢٠ .

([٤٧٢]) نظم الدرر ٤٦٣/٥ .

٢٩. قال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ القصص: ٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطفت جملة ﴿ وَنُرِيدُ ﴾ على جملة ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ؛ لمناسبة ما في تلك الجملة من نبأ تذبيح الأبناء واستحياء النساء ، فذلك من علو فرعون في الأرض ، وهو بيان لنبإ موسى وفرعون ، فإن إرادة الله الخير بالذين استضعفهم فرعون ؛ من تمام نبإ موسى وفرعون ، وهو موقع عبرة عظيمة من عبر هذه القصة."(٤٧٣)

وقال الرازي -رحمه الله- :"جملة معطوفة على قوله : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ، لأنها نظيرة تلك في وقوعها تفسيراً لنبأ موسى عليه السلام وفرعون ، واقتصاصاً له."(٤٧٤)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان التقدير كما أرشد إليه السياق لمن يسأل عن سبب فعله هذا العجيب ؛ يريد بذلك زعم دوام ملكه ، بأن لا يسلبه إياه واحد منهم، أخبره بعض علمائه أنه يغلبه عليه ، ويستنقذ شعبه من العبودية ، عطف عليه قوله يحكي تلك الحال الماضية : ﴿ وَنُرِيدُ ﴾ ، أو هي حالية ، أي : يستضعفهم ، والحال أنا نريد في المستقبل أن نقويهم."(٤٧٥)

الأقوال في ذكر المناسبة متفقة على معنى واحد وهي : أن الآية تحكي وتفسر شيئاً مما في الآية الماضية ، وما ذكره الرازي من قوله "واقتصاصاً له" قول جيد وزيادة حسنة .

---

(٤٧٣) التحرير والتنوير ٧٠/٢٠ .

(٤٧٤) التفسير الكبير ٥٧٨/٨ .

(٤٧٥) نظم الدرر ٤٦٤/٢٠ .

٣٠. قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ القصص: ١٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"هذا اعتراض بين أجزاء القصة المرتبة على حسب ظهورها في الخارج ، وهذا الاعتراض نشأ عن جملة ﴿ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾ القصص: ١٣، فإن وعد الله لها قد حكي في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ القصص: ٧ ، فلما انتهى إلى حكاية رده إلى أمه بقوله : ﴿ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا ﴾ القصص: ١٣ ؛ إلى آخره ، كمل ما فيه وفاء وعد الله إياها بهذا الاستطراد في قوله : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا ﴾."(٤٧٦)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما استقر الحال على هذا المنوال ، علم أنه ليس بعده إلا الخير والإقبال ، والعز بتبني فرعون له ، والجلال ، فترك ما بينه وبين السن الصالح للإرسال ، وقال مخبراً عما بعد ذلك من الأحوال : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ﴾."(٤٧٧)

ما قاله ابن عاشور في المناسبة أفضل مما ذكره البقاعي ، وإن كان حاصل قولهما هو : الحديث عن النبوة ، ويأتي حسن المناسبة فيما ذكره ابن عاشور من حسن ربطه للآية .

٣١. قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ القصص: ١٦ .

---

(٤٧٦) التحرير والتنوير ٨٧/٢٠ .

(٤٧٧) نظم الدرر ٤٧٠/٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ تعليل لجملة ﴿ فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ ، علل المغفرة له بأنه شديد الغفران ورحيم بعباده ، مع تأكيد ذلك بصيغة القصر ، إيماء إلى أن ما جاء به هو من ظلم نفسه ، وما حفه من الأمور التي ذكرناها."[٤٧٨]

وقال البقاعي -رحمه الله- بعد الحديث عن قوله : ﴿ فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ :"ثم علل ذلك بقوله مشيراً إلى أن صفة غيره عدم بالنسبة إلى صفته مؤكداً لذلك : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ﴾ أي : وحده ، ﴿ ٱلۡغَفُورُ ﴾ أي : البالغ في صفة الستر لكل من يريد ، ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴾ أي : العظيم الرحمة بالإحسان بالتوفيق إلى الأفعال المرضية لمقام الإلهية ، ولأجل أن هذه صفته ، رده إلى فرعون وقومه حين أرسله إليهم ، فلم يقدروا على مؤاخذته بذلك بقصاص ولا غيره ، بعد أن نجاه منهم قبل الرسالة على غير قياس." [٤٧٩]

في ذكر المناسبة هنا لم يأت ابن عاشور بجديد ، فهو قد تبع البقاعي في هذا ، وما ذكره البقاعي أوسع وأحسن ، وذلك بما ذكره بعد قوله : "ولأجل أن هذه صفته".

٣٢. قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ القصص: ١٧ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"إعادة ﴿ قَالَ ﴾ أفاد تأكيداً لفعل ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي ﴾ القصص: ١٦ ، أعيد القول للتنبيه على اتصال كلام موسى عليه السلام ، حيث وقع الفصل بينه بجملتي ﴿ فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ القصص: ١٦ ، ونظم الكلام : قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ، رب بما أنعمت فلن أكون ظهيراً

([٤٧٨]) التحرير والتنوير ٩٢/٢٠ .

([٤٧٩]) نظم الدرر ٤٧٢/٥ .

للمجرمين ، وليس قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ مستأنفاً عن قوله : ﴿ فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ ، لأن موسى لم يعلم أن الله غفر له ، إذ لم يكن يوحى إليه يومئذ."[٤٨٠]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أنعم عليه -سبحانه- بالإجابة إلى سؤله ، تشوف السامع إلى شكره عليها فأجيب بقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾."[٤٨١]

الذي يفهم من قول البقاعي أن الآية مستأنفة عن قوله : ﴿ فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ ، وهذا عكس ما ذهب إليه ابن عاشور .

والذي يفهم من موقع الآية في ذكر القصة حسب ترتيبها في السورة أن قول موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ كان قبل مبعثه ، وعلى هذا يكون قول ابن عاشور أصح من قول البقاعي .

ويجوز أن يكون ما ذهب إليه البقاعي صحيحاً ، وذلك أنه بعد أن نبئ موسى عليه السلام ، أخبره الله بالمغفرة ، فقال موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ ، وعلى هذا يكون قوله تعالى : ﴿ فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ جملة معترضة بين أجزاء القصة قبل مبعثه .

٣٣. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ القصص: ٤٣.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"المقصود من الآيات السابقة ابتداءً من قوله :

---

(٤٨٠) التحرير والتنوير ٩٢/٢٠ .

(٤٨١) نظم الدرر ٤٧٢/٥ .

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ ﴾ القصص: ٣٠ ؛ إلى هنا : الاعتبار بعاقبة المكذبين القائلين : ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ القصص: ٣٦ ، ليقاس النظير على النظير ، فقد كان المشركون يقولون مثل ذلك ، يريدون إفحام الرسول ﷺ ، بأنه لو كان الله أرسله حقاً ؛ لكان أرسل إلى الأجيال من قبله ، ولما كان الله يترك الأجيال التي قبلهم بدون رسالة رسول ، ثم يرسل إلى الجيل الأخير ، فكان قوله : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ إتماماً لتنظير رسالة محمد ﷺ برسالة موسى عليه السلام ، في أنها جاءت بعد فترة طويلة لا رسالة فيها ، مع الإشارة إلى أن سبق إرسال الرسل إلى الأمم شيء واقع بشهادة التواتر ، وأنه قد ترتب على تكذيب الأمم رسلهم إهلاك القرون الأولى ، فلم يكن ذلك موجباً لاستمرار إرسال الرسل متعاقبين ، بل كانوا يجيئون في أزمنة متفرقة ، فإذا كان المشركون يحاولون بقولهم : ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ القصص: ٣٦ ؛ إبطال رسالة محمد ﷺ ، بعلة تأخر زمانها سفسطةً[٤٨٢] ووهماً ، فإن دليلهم مقدوح فيه بقادح القلب ؛ بأن الرسل قد جاءوا إلى الأمم من قبل ، ثم جاء موسى بعد فترة من الرسل ، وقد كان المشركون لما بهرهم أمر الإسلام؛ لاذوا باليهود يسترشدونهم في طرق المجادلة الدينية ، فكان المشركون يخلطون ما يلقنهم اليهود من المغالطات ؛ بما استقر في نفوسهم من تضليل أئمة الشرك ، فيأتون بكلام يلعن بعضه بعضاً ، فمرة يقولون : ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ القصص: ٣٦ ، وهو من مجادلات الأميين ، ومرة يقولون : ﴿لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ﴾القصص: ٤٨ ، وهو من تلقين اليهود ، ومرة يقولون : ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾الأنعام: ٩١ ، فكان القرآن يدمغ باطلهم بحجة الحق بإلزامهم تناقض مقالاتم ، وهذه الآية من ذلك ، فهي حجة بتنظير رسالة محمد برسالة موسى -عليهما الصلاة

([٤٨٢]) كلمة أصلها يوناني ، والمراد منها الوهميات والمغالطات الكاذبة ، التي قد تكون شبيهة بالحق وليست بحق .
[ينظر المعجم الوسيط لمجموعة من المحققين ٤٣٣/١ ؛ والتعريفات لعلي بن محمد الجرجاني ص٢٨٦] .

والسلام-، والمقصود منها ذكر القرون الأولى."[483]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما وعد سبحانه بإمامة بني إسرائيل ، وقص القصص حتى ختم بإمامة آل فرعون في الدعاء إلى النار ؛ إعلاماً بأن ما كانوا عليه تجب مجانبته ، ومنابذته ، ومباعدته ، وكان من المعلوم أنه لا بد لكل إمامة من دعامة ، تشوفت النفس إلى أساس إمامة بني إسرائيل ؛ التي يجب العكوف في ذلك الزمان عليها ، والتمسك بها ، والمبادرة إليها ، فأخبر -سبحانه- عن ذلك مقسماً عليه مع الافتتاح بحرف التوقع ، لأن العرب وإن كانوا مصدقين لما وقع من المنة على بني إسرائيل ؛ بإنقاذهم من يد فرعون ، وتمكينهم بعده ، وإنزال الكتاب عليهم ، فحالهم بإنكار التمكين لأهل الإسلام والتكذيب بكتابهم ؛ حال المكذب بأمر بني إسرائيل ، لأنه لا فرق بين نبي ونبي ، وكتاب وكتاب ، وناس وناس ، لأن رب الكل واحد فقال : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾."[484]

استفاد ابن عاشور في ذكره للمناسبة مما قاله البقاعي ، ولكن بشيءٍ من التوسع ، وبالجملة فالقولان بينهما تشابه وتداخل ، وما ذكره البقاعي في ربط الآية أفضل مما ذكره ابن عاشور .

وذكرت هنا قول ابن عاشور بطوله لما له تعلق فيما سيأتي .

٣٤. قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ القصص: ٤٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما بطلت شبهتهم التي حاولوا بها إحالة رسالة محمد ﷺ ، نقل الكلام إلى إثبات رسالته بالحجة الدامغة ، وذلك بما أعلمه الله به من

([483]) التحرير والتنوير ١٢٧/٢٠ .

([484]) نظم الدرر ٤٩٣/٥ .

أخبار رسالة موسى عليه السلام مما لا قبل له بعلمه ، لولا أن ذلك وحي إليه من الله تعالى ، فهذا تخلص من الاعتبار بدلالة الالتزام في قصة موسى ، إلى الصريح من إثبات نبوءة محمد ﷺ .

وجيء في الاستدلال بطريقة المذهب الكلامي ، حيث بني الاستدلال على انتفاء كون النبي ﷺ موجوداً في المكان الذي قضى الله فيه أمر الوحي إلى موسى ، لينتقل منه إلى أن مثله ما كان يعمل ذلك إلا عن مشاهدة ، لأن طريق العلم بغير المشاهدة له مفقود منه ومن قومه ؛ إذ لم يكونوا أهل معرفة بأخبار الرسل كما كان أهل الكتاب ، فلما انتفى طريق العلم المتعارف لأمثاله ، تعين أن طريق علمه هو إخبار الله تعالى إياه بخبر موسى."[485]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أن هذا تنبيه على المعجز ، كأنه قال إن في إخبارك عن هذه الأشياء من غير حضور ، ولا مشاهدة ، ولا تعلم من أهله ، دلالة ظاهرة على نبوتك كما قال : ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ طه: ١٣٣."[486]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"لما بين سبحانه في هذه السورة من غرائب أمر موسى عليه السلام وخفي أحواله ما بين ، وكانت هذه الأخبار لا يقدر أهل الكتاب على إنكارها نوعاً من الإنكار ، وكان من المشهور أي اشتهار ؛ أن النبي ﷺ لم يعرفها ولا سواها من غير الواحد القهار ، أشار إلى ذلك سبحانه بقوله حالاً من ضمير ﴿ ءَاتَيْنَا ﴾: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾."[487]

الأقوال في المناسبات متفقة ، وقد استفاد ابن عاشور في ذكر المناسبة من سابقيه ، غير أنه ذكر زيادة جميلة في كيفية الاستدلال بنبوة محمد ﷺ .

([485]) التحرير والتنوير ١٢٩/٢٠ .

([486]) التفسير الكبير ٦٠٣/٨ .

([487]) نظم الدرر ٤٩٤/٥ .

٣٥. قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ القصص:٥٢ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما أفهم قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ، أنهم لم يفعلوا ولم يكونوا عند رجاء الراجي ، عقب ذلك بهذه الجملة المستأنفة استئنافاً بيانياً ، لأنها جواب لسؤال من يسأل هل تذكر غيرهم بالقرآن ، أو استوى الناس في عدم التذكر به ، فأجيب بأن الذين أوتوا الكتاب من قبل نزول القرآن يؤمنون به إيماناً ثابتاً."[٤٨٨]

وقال الرازي -رحمه الله- :"ثم إنه تعالى لما أقام الدلالة على النبوة أكد ذلك بأن قال : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ أي : من قبل القرآن أسلموا بمحمد ، فمن لا يعرف الكتب أولى بذلك."[٤٨٩]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان من التذكر ما دل عليه مجرد العقل ، ومنه ما انضم إليه مع ذلك النقل ، وكان صاحب هذا القسم أجدر بأن يتبصر ، وكان كأنه قيل : هل تذكروا؟ قيل : نعم ، أهل الكتاب الذين هم أهله حقاً ؛ تذكروا حقاً ، وذلك معنى قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾...

... ﴿ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ أي : القرآن ، ﴿ هُم ﴾ أي : خاصة ، ﴿ بِهِۦ ﴾ أي : القرآن"[٤٩٠]

ذهب ابن عاشور في ذكر المناسبة إلى ما ذهب إليه البقاعي ، ولم يأت بجديد ، وهما بذلك قد خالفا قول الرازي في تعيين مراد عود ضمير (به).

فذكر البقاعي وابن عاشور : أنه الإيمان بالقرآن ، وهذا أقوى مما ذكره الرازي :

---

(٤٨٨) التحرير والتنوير ١٤٣/٢٠ .

(٤٨٩) التفسير الكبير ٦٠٧/٨ .

(٤٩٠) نظم الدرر ٤٩٩/٥ .

بأنه الإيمان بالنبي ﷺ ، وذلك لأن الآية السابقة والآية اللاحقة كانتا في الحديث عن القرآن ، وقد ذكر الرازي نفسه عند الآية السابقة على أحد الوجهين : أن المراد به القرآن[٤٩١]، فناسب أن يكون الضمير عائداً إلى القرآن لا على النبي ﷺ وتوحيد مرجع الضمير في السياق أولى من تفريقه .

وعلى كلٍ فالذي آمن بالقرآن حتماً سيؤمن بمن جاء به ، والعكس صحيح ، وإلا كيف يؤمن عاقل بالمسبب دون مسببه .

ثم إنه قد دل كلام الرازي على أن الذين أوتوا الكتاب من قبل القرآن (أسلموا بمحمد ، فمن لا يعرف الكتب أولى بذلك) ، وهذا في الحقيقة مخالف للواقع ، فالذي يعرف الشيء أولى بالإيمان به من الذي لا يعرفه ، وقد ألمح البقاعي إلى هذا .

٣٦. قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ القصص: ٥٦ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما ذكر معاذير المشركين وكفرهم بالقرآن ، وأعلم رسوله أنهم يتبعون أهواءهم ، وأنهم مجردون عن هدى الله ، ثم أثنى على فريق من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن ، وكان ذلك يحزن النبي ﷺ ؛ أن يعرض قريش وهم أخص الناس به عن دعوته ، أقبل الله على خطاب نبيه ﷺ ؛ بما يسلي نفسه ويزيل كمده، بأن ذكّره بأن الهدى بيد الله ، وهو كناية عن الأمر بالتفويض في ذلك إلى الله تعالى .

والجملة استئناف ابتدائي."[٤٩٢]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان من المعلوم أن نفس النبي ﷺ لما جبلت

([٤٩١]) ذكر أن المراد أحد وجهين ، الوجه المذكور سابقاً ، والثاني أخبار الأنبياء ، وأخبار الكفرة في كيفية = =إهلاكهم .[ينظر التفسير الكبير ٦٠٧/٨] .

([٤٩٢]) التحرير والتنوير ١٤٧/٢٠ .

عليه من الخير والمحبة لنفع جميع العباد ، لا سيما العرب ، لقربهم منه ﷺ ، لاسيما أقربهم منه صلة للرحم ، تتأثر بسبق أهل الكتاب لقومه ، وكان ربما ظن ظان أن عدم هدايتهم لتقصير في دعائه ، أو إرادته لذلك ، وأنه لو أراد هدايتهم وأحبها ، وعلق همته العلية بها لاهتدوا ، أجيب عن هذا بقوله تعالى في سياق التأكيد ؛ إظهاراً لصفة القدرة والكبرياء والعظمة : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾."[493]

اختلف ابن عاشور في ذكره للمناسبة عن البقاعي ، فذكر أن المناسبة هي : تسلية النبي ﷺ .

وذكر البقاعي أن المناسبة هي : الرد على من ظن أن عدم هداية قومه كان لتقصير حاصل من النبي ﷺ .

ويمكن الجمع فيقال المناسبة هي : رد الظنون الآثمة في حق النبي ﷺ ، وتسلية له .

٣٧. قال تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ القصص:٥٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف على جملة ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ القصص: ٥٧ ، باعتبار ما تضمنته من الإنكار والتوبيخ ، فإن ذلك يقتضي التعرض للانتقام ؛ شأن الأمم التي كفرت بنعم الله ، فهو تخويف لقريش من سوء عاقبة أقوام كانوا في مثل حالهم من الأمن والرزق ، فغمطوا النعمة وقابلوها بالبطر."[494]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أن هذا هو الجواب الثاني عن تلك الشبهة[495]،

([493]) نظم الدرر ٥٠١/٥ .

([494]) التحرير والتنوير ١٥٠/٢٠ .

([495]) أي : قولهم :﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ القصص: ٥٧ .

وذلك لأنه تعالى لما بين لأهل مكة ما خصوا به من النعم ، أتبعه بما أنزله الله تعالى بالأمم الماضية الذين كانوا في نعم الدنيا ، فلما كذبوا الرسل أزال الله عنهم تلك النعم ، والمقصود أن الكفار لما قالوا إنا لا نؤمن خوفاً من زوال نعمة الدنيا ، فالله تعالى بين لهم أن الإصرار على عدم قبول الإيمان ؛ هو الذي يزيل هذه النعم ، لا الإقدام على الإيمان."(٤٩٦)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أخبر تعالى أنه قادر على التأمين والإنجاء والتمكين مع الضعفة ، أتبعه الإعلام بقدرته على الإخافة والإهلاك مع القوة ، ترغيباً لهم - إن آمنوا - بإهلاك أضدادهم ، وترهيباً - إن أصروا - من المعاملة بعكس مرادهم ، فقال في مظهر العظمة عاطفاً على معنى الكلام : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾."(٤٩٧)

ما ذكره ابن عاشور من المناسبة قريب من قول الرازي ، فقول ابن عاشور أن المناسبة : لتخويف قريش من سوء العاقبة ، وقول الرازي أن المناسبة : رداً لشبهة من شبه الكفار .

واختلف عنهما البقاعي فذكر أن المناسبة هي : الإعلام بقدرته على الإخافة والإهلاك مع القوة ، بعد ما ذكر أنه تعالى قادر على التأمين والإنجاء والتمكين مع الضعفة .

وتجتمع المناسبات كلها في أن الآية تخويف وترهيب لقريش .

ويمكن الجمع فيقال المناسبة هي : رد لشبهة الكفار ، وبيان لقدرة الله على إرهاب العصاة وإهلاكهم ، وفي هذا إرهاب وتخويف لقريش .

٣٨. قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا

---

(٤٩٦) التفسير الكبير ٩/٧ .

(٤٩٧) نظم الدرر ٥/٥٠٥ .

رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ﴾ القصص: ٥٩ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"أعقب الاعتبار بالقرى المهلكة ببيان أشراط هلاكها وسببه ؛ استقصاء للإعذار لمشركي العرب ، فبين لهم أن ليس من عادة الله تعالى أن يهلك القرى المستأهلة الإهلاك ؛ حتى يبعث رسولا في القرية الكبرى منها ، لأن القرية الكبرى هي مهبط أهل القرى والبوادي المجاورة لها ، فلا تخفى دعوة الرسول فيها ، ولأن أهلها قدوة لغيرهم في الخير والشر ، فهم أكثر استعداداً لإدراك الأمور على وجهها، فهذا بيان أشراط الإهلاك."[498]

وقال الرازي -رحمه الله- : ثم إنه سبحانه لما ذكر أنه أهلك تلك القرى بسبب بطر أهلها ، فكأن سائلاً أورد سؤالاً : لماذا ما أهلك الله الكفار قبل محمد ﷺ مع أنهم كانوا مستغرقين في الكفر والعناد؟ فأجاب بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ﴾ .[499]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أظهر سبحانه سوط العذاب بيد القدرة ، دل على وطأ العدل بثمرة الغنى ، ولكونه في سياق الرحمة بالإرسال عبر بالربوبية فقال : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ ﴾."[500]

المناسبات المذكورة كلها متفقة في المعنى مختلفة في النظم والأسلوب ، أجاد كلٌ حسب تعبيره .

والمعنى المتفق عليه : أن من عدل الله -سبحانه- على المخلوقين ؛ أنه لا يقضي بهلاكهم إلا بعد إنذارهم .

([498]) التحرير والتنوير ١٥٢/٢٠ .

([499]) ينظر التفسير الكبير ٧/٩ .

([500]) نظم الدرر ٥٠٧/٥ .

٣٩. قال تعالى : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ القصص: ٦٠ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما ذكرهم الله بنعمه عليهم تذكيراً أدمج في خلال الرد على قولهم : ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ القصص: ٥٧ ؛ بقوله ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ القصص: ٥٧ ، أعقبه بأن كل ما أوتوه من نعمة هو من متاع الحياة الدنيا ، كالأمن والرزق ، ومن زينتها كاللباس والأنعام والمال ، وأما ما عند الله من نعيم الآخرة من ذلك وأبقى ، لئلا يحسبوا أن ما هم فيه من الأمن والرزق هو الغاية المطلوبة ، فلا يتطلبوا ما به تحصيل النعيم العظيم الأبدي ، وتحصيله بالإيمان ، ولا يجعلوا ذلك موازناً لاتباع الهدى ، وإن كان في اتباع الهدى تفويت ما هم فيه من أرضهم وخيراتا لو سلم ذلك .

هذا وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها."[٥٠١]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أن هذا هو الجواب الثالث عن تلك الشبهة ، لأن حاصل شبهتهم أن قالوا : تركنا الدين لئلا تفوتنا الدنيا ، فبين تعالى أن ذلك خطأ عظيم ، لأن ما عند الله خير وأبقى."[٥٠٢]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما اعتلوا في الوقوف عن الإيمان بخوف التخطف ، فذكرهم نعمته عليهم بإقامة أسباب الأمن وإدرار الرزق ، وعرفهم أنه هو وحده الذي تخشى سطواته ، ويتقى أخذه لمن خالفه وبطشاته ، وكان خوفهم من عواقب المتابعة إما على أنفسهم ، وإما على ما بأيديهم من المتاع ، علم من ذلك كله قطعاً ؛ أن التقدير بما سبب التخويف من عواقب الظلم بمثل مصارع الأولين ، فأنفسكم في خطر من خوف

([٥٠١]) التحرير والتنوير ١٥٣/٢٠ .

([٥٠٢]) التفسير الكبير ٨/٩ .

الهلاك من القادر عليكم ؛ كقدرته على من قبلكم بسبب التوقف عن المتابعة أشد من خطر الخوف من التخطف بسبب المتابعة ، أو يكون التقدير : فما خفتم منه التخطف غير ضائركم ، وكفكم عن المتابعة لأجله غير مخلدكم ، فما إهلاككم على الله بأي وجه كان بعزيز ، فعطف على هذا الذي أرشد السياق إلى تقديره قوله : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾."[٥٠٣]

ذهب ابن عاشور في هذه المناسبة إلى ما ذهب إليه سابقاه ، وحاصل الأقوال : أن المناسبة جواب عن شبهتهم ، بتعريفهم أن ما هم فيه من النعم لاشيء في موازنة النعيم الأبدي ، الذي إنما يحصل بالإيمان ، فاحذروا سطوة الجبار .

٤٠. قال تعالى : ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ القصص: ٦١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"أحسب أن موقع فاء التفريع هنا أن مما أومأ إليه قوله : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ القصص: ٦٠، ما كان المشركون يتبجحون به على المسلمين من وفرة الأموال ونعيم الترف ، في حين كان معظم المسلمين فقراء ضعفاء ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴾ المطففين: ٣١ ، أي : منعمين ، وقال : ﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾ المزمل: ١١ ، فيظهر من آيات القرآن أن المشركين كان من دأبهم التفاخر بما هم فيه من النعمة ، قال تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ هود: ١١٦ ، وقال : ﴿ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴾ الأنبياء: ١٣ ، فلما أنبأهم الله بأن ما هم فيه من الترف إن هو إلا متاع قليل ، قابل ذلك بالنعيم الفائق الخالد الذي أعد للمؤمنين ، وهي تفيد

---

[٥٠٣] نظم الدرر ٥٠٧/٥ .

مع ذلك تحقيق معنى الجملة التي قبلها ، لأن الثانية زادت الأولى بياناً ؛ بأن ما أوتوه زائل زوالاً معوضاً بضد المتاع والزينة وذلك قوله : ﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾."(٥٠٤)

وقال الرازي -رحمه الله- بعد الحديث عن ترجيح منافع الآخرة على منافع الدنيا: "ثم إنه تعالى أكد هذا الترجيح من وجه آخر ، وهو أنا لو قدرنا أن نعم الله كانت تنتهي إلى الانقطاع والفناء ؛ وما كانت تتصل بالعذاب الدائم ، لكان صريح العقل يقتضي ترجيح نعم الآخرة على نعم الدنيا ، فكيف إذا اتصلت نعم الدنيا بعقاب الآخرة ، فأي عقل يرتاب في أن نعم الآخرة راجحة عليها ، وهذا هو المراد بقوله : ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ ﴾."(٥٠٥)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان هذا سبباً لأن ظهر كالشمس بون عظيم بين حال المخالف والمؤالف ، سبب عنه وأنتج قوله مقرراً لما ذكر من الأمرين ، موضحاً لما لهما من المباينة ، منكراً على من سوى بينهما ، فكيف بمن ظن أن حال المخالف أولى: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ ﴾."(٥٠٦)

جميع الأقوال المذكورة حسنة ، وهي متقاربة في المعنى ، وقد تميز ابن عاشور في ذكر المناسبة على هذا الوجه ، وفي قوله شيء مما ذكره الرازي ، وزاد عليه أن الآية مقابلة لحال المذكورين في الآية السابقة ، وأنها أيضاً تحقيق لما قبلها ؛ بتأكيد زوال ما هم فيه ؛ بذكر ضده من إحضارهم للعذاب .

٤١. **قال تعالى :** ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ

---

(٥٠٤) التحرير والتنوير ١٥٤/٢٠ .

(٥٠٥) التفسير الكبير ٨/٩ .

(٥٠٦) نظم الدرر ٥٠٨/٥ .

﴿ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ القصص: ٦٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"هذا من تمام الاعتراض ؛ وهي جملة ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ القصص: ٦٧ ، وظاهر عطفه على ما قبله ؛ أن معناه آيل إلى التفويض إلى حكمة الله تعالى في خلق قلوب منفتحة للاهتداء ولو بمراحل ، وقلوب غير منفتحة له ؛ فهي قاسية صماء ، وأنه الذي اختار فريقاً على فريق .

وفي «أسباب النـزول»[٥٠٧] للواحدي[٥٠٨]: قال أهل التفسير : نزلت جواباً للوليد بن المغيرة حين قال فيما أخبر الله عنه : ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ الزخرف: ٣١ ، اه." ، يعنون بذلك الوليد بن المغيرة من أهل مكة ، وعروة بن مسعود الثقفي من أهل الطائف ، وهما المراد بالقريتين ، وتبعه الزمخشري[٥٠٩] وابن عطية ، فإذا كان كذلك ؛ كان اتصال معناها بقوله : ﴿ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ القصص: ٦٥، فإن قولهم :﴿ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ هو من جملة ما أجابوا به دعوة الرسول ﷺ ، والمعنى : أن الله يخلق ما يشاء من خلقه من البشر وغيرهم ، ويختار من بين مخلوقاته لما يشاء مما يصلح له جنس ما منه

---

(٥٠٧) ينظر ص٢٥٦ .

(٥٠٨) علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري ، كان واحد عصره في التفسير ، صنف التفاسير الثلاثة البسيط ؛ والوسيط ؛ والوجيز ؛ وأسباب النـزول ؛ والمغازي وغيرها ، وتصدر للإفادة والتدريس مدة ، مات في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة .[ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٤٢/١٨ ؛ وطبقات المفسرين للسيوطي ص٧٩] .

(٥٠٩) محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي ، كبير المعتزلة ، يلقب جار الله لأنه جاور بمكة زمانا ، ولد في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر ؛ قرية من قرى خوارزم ، وكان رأساً في البلاغة والعربية والمعاني والبيان ، له التصانيف البديعة منها : الكشاف في التفسير ؛ والفائق في غريب الحديث ؛ وأساس البلاغة وغيرها ، مات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. [ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥١/٢ ؛ وطبقات المفسرين للسيوطي ص١٢٠] .

الاختيار ، ومن ذلك اختياره للرسالة من يشاء إرساله ، وهذا في معنى قوله : ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾الأنعام: ١٢٤ ، وأن ليس ذلك لاختيار الناس ورغباتم ، والوجهان لا يتزاحمان."(٥١٠)

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أن القوم كانوا يذكرون شبهة أخرى ويقولون: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ يعنون الوليد بن المغيرة ، أو أبا مسعود الثقفي ، فأجاب الله تعالى عنه بقوله : ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ ﴾ ، والمراد أنه المالك المطلق ، وهو منـزه عن النفع والضر ، فله أن يخص من شاء بما شاء ؛ لا اعتراض عليه البتة."(٥١١)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان كأنه قيل : ما لأهل القسم الأول لا يتوخون النجا من ضيق ذلك البلا ، إلى رحب هذا الرجا ، وكان الجواب : ربك منعهم من ذلك ، أو ما لم يقطع لأهل هذا القسم بالفلاح كما قطع لأهل القسم الأول بالشقاء؟ وكان الجواب : إن ربك لا يجب عليه شيء عطف عليه ؛ إشارة إليه قوله : ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ ﴾."(٥١٢)

حوى ابن عاشور بقوله قول سابقيه ، فذكر المناسبة بأسلوب جميل ، وذهب الرازي في ذكر المناسبة إلى المعنى الخاص للآية ، وهو ما ذُكر من سبب نزول امآية ، في حين أن البقاعي ذهب إلى المعنى العام للآية .

٤٢. قال %عالى : ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۖ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴾ القصص: ٧١ .

---

(٥١٠) التحرير والتنوير ١٦٤/٢٠ .

(٥١١) التفسير الكبير ١١/٩ .

(٥١٢) نظم الدرر ٥١٢/٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"انتقال من الاستدلال على انفراده تعالى بالإل٧ية بصف٧ت ذاته ؛ إلى الاستدلال على ذلك ببديع مصنوعاته ، وفي ضمن هذا الاستدلال ، إدماج الامتنان على الناس ، وللتعريض بكفر المشركين جلائل نعمه."(٥١٣)

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما بين من قبل استحقاقه للحمد على وجه الإجمال بقوله : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ القصص: ٧٠ ، فصل عقيب ذلك ببعض ما يجب أن يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه ، فقال لرسوله : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾."(٥١٤)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما قامت على القدرة الشاملة والعلم التام ، وأنه الإله وحده إن وحدوا ، أو الحدوا هذه الأعلام على هذا النظام ، أقام دليلاً دالا على ذلك كله بما اجتمع فيه من العلم والحكمة وتمام القدرة ، منبهاً على وجوب حمده ، مفصلاً لبعض ما يحمد عليه ، فقال مقدماً الليل لأن آيته عدمية وهي أسبق : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾."(٥١٥)

ذكر ابن عاشور أن المناسبة هي : انتقال من الاستدلال على انفراده تعالى بالإلهية بصفات ذاته ، إلى الاستدلال على ذلك ببديع مصنوعاته ، وفي ضمن ذلك امتنان وتعريض .

وذكر الرازي أن المناسبة هي : تفصيل لما أجمل سابقاً ؛ لبعض ما يجب أن يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه .

وذكر البقاعي أن المناسبة هي : إقامة دليلٍ دالٍ على القدرة الشاملة والعلم التام ،

---

(٥١٣) التحرير والتنوير ١٦٨/٢٠ .

(٥١٤) التفسير الكبير ١٢/٩ .

(٥١٥) نظم الدرر ٥١٤/٥ .

وأنه الإله وحده ، منبهاً على وجوب حمده ، مفصلاً لبعض ما يحمد عليه .

الأقوال متشابهة في بعض الجزئيات ، وهي مكملة بعضها لبعض ، فما ذكره البقاعي فيه شيءٌ مما ذكره الرازي ، وما ذكره ابن عاشور فيه شيءٌ مما ذكره البقاعي .

٤٣. **قال تعالى :** ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ **القصص: ٧٤ .**

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"كررت جملة ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ مرة ثانية ، لأن التكرير من مقتضيات مقام التوبيخ ، فلذلك لم يقل : ويوم ننـزع من كل أمة شهيداً ، فأعيد ذكر أن الله يناديهم بهذا الاستفهام التقريعي ؛ وينـزع من كل أمة شهيداً ، فظاهر الآية : أن ذلك النداء يكرر يوم القيامة .

ويحتمل أنه إنما كررت حكايته ، وأنه نداء واحد يقع عقبه جواب الذين حق عليهم القول من مشركي العرب ، ويقع نزع شهيد من كل أمة عليهم ، فهو شامل لمشركي العرب وغيرهم من الأمم."[٥١٦]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما هجن طريقة المشركين ، أولاً ثم ذكر التوحيد ودلائله ثانياً ، عاد إلى تهجين طريقتهم مرة أخرى وشرح حالهم في الآخرة فقال : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾."[٥١٧]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ذكر ما للمفلح من الرجاء في يوم الجزاء ، وأتبعه الإعلام بأن الهداية إلى الفلاح إنما هي به ، ودل على ذلك إلى أن ذكر أيام الدنيا المشتملة على الليل والنهار على وجه دال على وحدانيته ، معلم بالقدرة على البعث بعد الموت ، بتكرير إيجاد كل من الملوين بعد إعدامه ، وتكرير إماتة الناس بالنوم ثم نشرهم

([٥١٦]) التحرير والتنوير ١٧٢/٢٠ .

([٥١٧]) التفسير الكبير ١٣/٩ .

باليقظة ، وختم ذلك بالشكر إشارة إلى أنه سبب الفلاح ، عاد إلى يوم الجزاء الذي تظهر فيه ثمرة ذلك كله ، مقرعاً على الإشراك مع ظهور هذه الدلائل على التوحيد ، وعدم شبهة قائمة على الشرك غير محض التقليد ، فقال منبهاً على عجزهم عن البرهان عند استحقاق البرهان في يوم التناد لمحضر من الأشهاد ، مع ما فيه من التأكيد للتهويل بالتكرير ، والتأطيد للتهليل والتقرير : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾."[518]

في ذكر المناسبة هنا استفاد ابن عاشور من قول الرازي ، ولم يذهب البقاعي عن الرازي ببعيد ، غير أنه في ذكر وجه الربط كان أقوى منهما وذلك عند قوله : (عاد إلى يوم الجزاء الذي تظهر فيه ثمرة ذلك كله)

فالمناسبة : تكرار للتهجين والتوبيخ على الإشراك بالله ؛ مع ظهور الدلائل على التوحيد .

٤٤. **قال تعالى :** ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ القصص: ٧٦ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"استئناف ابتدائي ؛ لذكر قصة ضربت مثلاً لحال بعض كفار مكة ؛ وهم سادتهم مثل : الوليد بن المغيرة ، وأبي جهل بن هشام ، ولها مزيد تعلق بجملة ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ﴾ ، إلى قوله : ﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ القصص:٦٠- ٦١ .

ولهذه القصة اتصال بانتهاء قصة جند فرعون ؛ المنتهية عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا

---

(518) نظم الدرر ٥١٥/٥ .

كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا ﴾ القصص: ٤٦ ، الآية."[519]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما دل على عجزهم في تلك الدار ، وعلمهم أن المتصرف في جميع الأقدار ؛ إنما هو الواحد القهار ، دل على أن ذلك له أيضاً في هذه الدار ؛ وقوع العلم به بإهلاك أولي البطر والمرح والأثر ، من غير أن يغنوا عمن أضلوا ، أو يغني عنهم من أضلهم من ناطق ، وما أضلهم من صامت ، تطبيقاً لعموم ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَا ﴾ القصص: ٥٨ ؛ على بعض الجزئيات ، تخويفاً لمن كذب النبي ﷺ ، لا سيما من نسبه إلى السحر ، وإعلاماً بأن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يقاطعون الأشقياء وإن كانوا أقرب الأقرباء ، لأنه سبحانه عذب قارون ومن كان معه بعذاب لم يسبقهم فيه أحد ، وهم من بني إسرائيل ، ومن أقرب بني إسرائيل إلى موسى عليه السلام ، فعلم من كان اغتر بما أوتيه ؛ أن الحق لله في كل ما دعت إليه رسله ، ونطقت به كتبه ، وضل عنهم ما كانوا يفترون ، ولم يغن عنهم شيئاً ما اعتمدوا عليه ، فكان معبودهم في الحقيقة مما جمعوه من حطام الدنيا ، فاعتقدوا أنهم نالوا به السعادة الدائمة والعز الباقي ، فكان مثله - كما يأتي في التي بعده - كمثل العنكبوت اتخذت بيتا، وكل ذلك بمرأى من موسى عليه السلام حين كذبه ونسبه إلى السحر وتكبر عليه ، فلم يسأل الله تعالى فيه ؛ لخروجه باستكباره من الوعد بالمنة على الذين استضعفوا في الأرض، وكان ذلك العذاب الذي عذبوا به من جنس ما عذب به فرعون في الصورة من حيث إنه تغييب ، وإن كان ذلك في مائع وهذا صلب جامد ، ليعلم أنه قادر على ما يريد ، ليدوم منه الحذر فيما سبق منه القضاء والقدر ، ونزع موسى عليه السلام من كل سبط من أسباط بني إسرائيل شهيداً من عصيهم وقال لهم : هاتوا برهانكم فيها ، فعلموا بإبراق عصا هارون عليه عليه السلام دون عصيهم ؛ أن الحق لله في أمر الحبورة وفي جميع أمره فقال : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ ﴾."[520]

([519]) التحرير والتنوير ١٧٤/٢٠ .

([520]) نظم الدرر ٥١٦/٥ .

المناسبتان متقاربتان في الذكر ، وما ذكره ابن عاشور في ربط الآية جيد ، وما ذكره البقاعي من أن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يقاطعون الأشقياء وإن كانوا أقرب الأقرباء جميل جداً ، وأجاد في ذكر المقابلة بين ما غيب به فرعون ، وما غيب به قارون ، هذا في مائع سائل ، وهذا في صلب جامد ، لبيان قدرة الله على كل شيء .

٤٥. قال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ القصص: ٨٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"انتهت قصة قارون بما فيها من العبر من خير وشر، فأعقبت باستئناف كلام عن الجزاء على الخير وضده في الحياة الأبدية ، وأنها معدة للذين حالهم بضد حال قارون ، مع مناسبة ذكر الجنة بعنوان الدار ؛ لذكر الخسف بدار قارون، للمقابلة بين دار زائلة ودار خالدة."[٥٢١]

وقال الرازي -رحمه الله- :"أما قوله : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ ﴾ فتعظيم لها وتفخيم لشأنها."[٥٢٢]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما قدم سبحانه أن المفلح من تاب وآمن وعمل صالحاً ، وهو الذي أشار أهل العلم إلى أن له ثواب الله ، وكان ذلك للآخرة سبباً ومسبباً ، ومر فيما لا بد منه حتى ذكر قصة قارون المعرفة -ولا بد- بأن هذه الدار للزوال ، لا يغنى فيها رجال ولا مال ، وأن الآخرة للدوام ، وأمر فيها بأن يحسن الابتغاء في أمر الدنيا ، وختم بأن هذا الفلاح مسلوب عن الكافرين ، فكان موضع استحضار الآخرة ، مع أنه قدم قريباً من ذكرها وذكر موافقتها ما ملأ به الأسماع ، فصيرها حاضرة لكل ذي فهم ، معظمة عند كل ذي علم ، أشار إليها سبحانه لكلا الأمرين : الحضور

([٥٢١]) التحرير والتنوير ١٨٩/٢٠ .

([٥٢٢]) التفسير الكبير ١٨/٩ .

والعظم فقال : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ ﴾."[٥٢٣]

أجاد ابن عاشور في ذكر المناسبة هنا ، فذكر أنه لما أورد الله سبحانه الخسف بقارون وبداره ، ناسب أن يذكر الدار الأخرى التي لا يستحقها من عملَ عملَ قارون .

وعموماً فالمناسبات المذكورة كلها جيدة متقاربة في المعنى ، تفوق في ذكرها ابن عاشور في أسلوب جميل ، ومقابلة للأحوال لطيفة .

٤٦. قال تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ القصص: ٨٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"تتنـزل جملة ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ ؛ منـزلة بدل الاشتمال لجملة ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ القصص: ٨٣ ، لأن العاقبة ذات أحوال من الخير ودرجات من النعيم ، وهي على حسب ما يجيء به المتقون من الحسنات فتفاوت درجاتم بتفاوتا."[٥٢٤]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما بين أن الدار الآخرة ليست لمن يريد علواً في الأرض ولا فساداً ؛ بل هي للمتقين ، بين بعد ذلك ما يحصل لهم فقال : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾."[٥٢٥]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما تحرر الفرق بين أهل الدارين ، وكان لا بد من إتيان الآخرة ، وعلم أن الآخرة إنما هي جزاء الأعمال ، وتقرر من كونها للخائفين أنها على الآمنين ، فاستؤنف تفصيل ذلك جواباً لمن كأنه قال : ما لمن أحسن ومن أساء عند

([٥٢٣]) نظم الدرر ٥٢٧/٥ .

([٥٢٤]) التحرير والتنوير ١٩٠/٢٠ .

([٥٢٥]) التفسير الكبير ١٩/٩ .

القدوم؟ بقوله : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾."[526]

في ذكر المناسبة هنا تحدث ابن عاشور عمن جاء بالحسنة دون ذكر الفريق الآخر، وذهب الرازي والبقاعي في ذكر المناسبة إلى الفريقين .

والمعنى المراد واحد وهو بيان حال العامل وجزائه يوم القيامة .

٤٧. **قال تعالى :** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ القصص: ٨٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"ابتداء كلام للتنويه بشأن محمد ﷺ وتثبيت فؤاده، ووعده بحسن العاقبة في الدنيا والآخرة ، وأن إنكار أهل الضلال رسالته لا يضيره ، لأن الله أعلم بأنه على هدى وأنهم على ضلال ، بعد أن قدم لذلك من أحوال رسالة موسى عليه السلام ما فيه عبرة ؛ بالمقارنة بين حالي الرسولين ، وما لقياه من المعرضين."[527]

وقال الرازي -رحمه الله- :"ثم إنه سبحانه لما شرح لرسوله أمر القيامة واستقصى في ذلك ، شرح له ما يتصل بأحواله فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾."[528]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما قرر ذكر الآخرة التي هي المرجع وكرره ، وأثبت الجزاء فيها ، وأن العاقبة للمتقين ، أتبعه ما هو في بيان ذلك كالعلة ، فقال مستأنفاً مقرراً مؤكداً لما تقرر في أذهانهم من إنكار الآخرة ، وما يقتضيه حال خروجه ﷺ من مكة المشرفة من استبعاد رده إليها : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ

---

(٥٢٦) نظم الدرر ٥٢٨/٥ .

(٥٢٧) التحرير والتنوير ١٩١/٢٠ .

(٥٢٨) التفسير الكبير ١٩/٩ .

﴾."(529)

جاء حديث البقاعي وابن عاشور عن المناسبة كأنه شرح لقول الرازي ، فقول الرازي : (شرح له ما يتصل بأحواله) ، هو مدار حديث البقاعي وابن عاشور في شرح هذه الأحوال .

فتكون المناسبة هي : شرح لبعض أحوال النبي ﷺ ، ومقارنة لحاله بحال موسى عليه السلام .

٤٨. **قال تعالى :** ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ القصص: ٨٦ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف على جملة ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ باعتبار ما تضمنته من الوعد بالثواب الجزيل ، أو بالنصر المبين ، أي: كما حملك تبليغ القرآن ؛ فكان ذلك علامة على أنه أعد لك الجزاء بالنصر في الدنيا والآخرة، كذلك إعطاؤه إياك الكتاب عن غير ترقب منك ، بل بمحض رحمة ربك ، أي : هو كذلك في أنه علامة لك على أن الله لا يترك نصرك على أعدائك ، فإنه ما اختارك لذلك ؛ إلا لأنه أعد لك نصراً مبيناً وثواباً جزيلاً."(530)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان الجواب لكل من أنصف : هم في ضلال مبين ، لأنهم ينحتون من عند أنفسهم ما لا دليل عليه ، وأنت جئت بالهدى لأنك أتيت به عن الله ، بني عليه قوله : ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟﴾."(531)

---

(529) نظم الدرر ٥٢٩/٥ .

(530) التحرير والتنوير ١٩٤/٢٠ .

(531) نظم الدرر ٥٣٠/٥ .

الاختلاف في ذكر المناسبة هنا يسير ، فالذي يظهر في ثنايا حديث ابن عاشور عن المناسبة : أن الآية رحمة للنبي ﷺ وتسلية له ، فلن يترك نصره ، وسيجزل له الثواب .

وذكر البقاعي أن الآية مقابلة للحال ، فإن الذين في ضلال مبين ينحتون من عند أنفسهم ما لا دليل عليه ، أما أنت فلا ، لأنك جئت بالهدى عن الله .

وتتفق المناسبتان على أن في الآية إظهار للرحمة بالنبي ﷺ ، والله أعلم .

الخاتمة

إن علم المناسبات علم جدير بالاهتمام فهو يعين على تدبر كتاب الله ومعرفة مراد الله من آياته ، وهذا البحث في علم المناسبات وآثرها في تفسير التحرير والتنوير من سورة طه إلى آخر سورة القصص ، حاولت فيه خدمة هذا العلم وإيصاله للقراء والباحثين وخصوصاً طلبة العلم المتخصصين .

فبدأت البحث بالتعريف بعلم المناسبات لغة واصطلاحاً ، ثم تطرقت إلى ذكر أبرز العلماء الذين تحدثوا عن هذا العلم ، وعن أول من تحدث في هذا العلم ، ومن هو صاحب السبق في التأليف فيه ، ثم ذكرت بعض أقوال الذين شددوا على هذا العلم وأبرز المعترضين عليه مع بيان وجهة نظرهم في المسألة مكتفياً بذكر قول أحد العلماء في الرد عليهم .

تناولت بعد ذلك التعريف بالمؤلف وبكتابه ، ذاكراً المقدمات العشر التي ذكرها في أول كتابه ؛ لأهميتها لطالب العلم .

عقب هذا ذكرت المنهج الذي تبعه ابن عاشور -رحمه الله- في ذكره للمناسبات في القسم المقرر .

شرعت بعد ذلك في القسم الرئيسي للبحث ، فذكرت المناسبات التي أوردها ابن عاشور -رحمه الله- في القسم المقرر جمعاً ودراسة ؛ مع موازنتها بما ورد في تفسير الرازي -رحمه الله- [التفسير الكبير] ، وما جاء في كتاب البقاعي -رحمه الله- [نظم الدرر في تناسب الآيات والسور] .

وفي نهاية البحث وبعد ما عشت مع تفسير ابن عاشور -رحمه الله- فترة من الزمن تبين لي بعضاً من النتائج والتوصيات ، وهذه جملة من أهم تلك النتائج والتوصيات.

النـــــتـــــائـــــج

هذه أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال ما وقف عليه أثناء بحثه ، وهي كالتالي :-

١. أهمية علم المناسبات في فهم وتدبر كتاب الله ، فمن خلالها يستطيع الباحث ، أو القارئ ، أو السامع لكتاب الله ، ربط الآيات بعضها ببعض مما يعينه على تدبر القرآن وفهمه .

٢. أن المناسبات نوع من أنواع إعجاز القرآن ، فهو معجز في ترتيب آياته ونظمه ، ومعجز في تعلق آياته بعضها ببعض ، كأنه أنزل على النبي ﷺ جملة واحدة .

٣. دقة علم المناسبات ، فقد يؤثر الحرف على فهم المناسبة ، وعلى وجه الربط والترابط بين الآيات ، وربما على المعاني والتفسير .

٤. تميز تفسير التحرير والتنوير بالجدة ، وبخاصة في علم المناسبات .

٥. جدارة الطاهر ابن عاشور -رحمه الله- وتمكنه في البحث والكتابة عن المناسبات ، وقد خدم هذا النوع من العلم .

٦. أن الطاهر ابن عاشور -رحمه الله- من المتوسطين في ذكر المناسبات ، فهو لا يتعسف في ذكر المناسبة ولا يتكلفها ، وهذا هو الطابع الغالب على تفسيره .

٧. لم يأت الطاهر ابن عاشور-رحمه الله- في بعض المواضع بجديد ، أو بما فيه مقنع ، وهو ما قد عابه على بعض سابقيه .

٨. هذا العلم لم يحظ ببحث ودراسة كافية وذلك من الجانب التطبيقي .

٩. عدم معرفة كثير من الناس على وجه العموم المراد من المناسبات ، مما يدل على عدم اهتمام كثير من طلبة العلم بهذا النوع من العلوم ، وكذلك في بيانه للناس .

١٠. ظهر للباحث قلة التعاون بين المغرب العربي الإسلامي ، والمشرق العربي الإسلامي في التبادل العلمي ، وذلك من خلال انتشار كتب ابن عاشور وغيره من علماء المغرب العربي بشكل كبير ملحوظ في تلك الديار ، دون المشرق العربي ، والعكس صحيح .

التــــوصـــيـــات

من خلال ما مر به الباحث في مراحل بحثه ، واستناداً إلى أهم النتائج التي توصل إليها الباحث يوصي بما يلي :

١. دعوة الباحثين والعلماء إلى دراسة المناسبات والاهتمام بها ، مع عدم التكلف والخوض فيها بغير علم ، وأقصد من ذلك الجانب التطبيقي .

٢. تقرير علم المناسبات كمادة على جميع الكليات والمعاهد الشرعية ، ولو في فصل دراسي واحد ، الهدف منه تبيين هذا العلم وأخذ نماذج تمثيلية له.

٣. تقرير علم المناسبات على طلبة الدراسات العليا في قسم التفسير وعلوم القرآن كمادة أساسية .

٤. دعوة عمداء المكتبات العامة إلى الإسهام في نشر موروث العلماء في بلاد المغرب الإسلامي ، وذلك بجلب أكبر قدر من أمهات الكتب المنتشرة في تلك البلاد .

هذا ، فما أصبت فمن الله وحده ، وما أخطأت فمن الشيطان والنفس الأمارة بالسوء ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفهارس

فهـــرس الآيـــات

الآيــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
ســـورة البـــقرة		
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾	١٤٣	٢١٦
﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾	٢١٦	٢٥٠
ســـورة آل عـمـران		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾	١٠٢	٧
﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾	١٠٣	١٦٥
﴿ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗى ﴾	١١١	١٩٥
ســـورة الـنـسـاء		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾	١	٧
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ ﴾	٨٢	٢١
﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ ﴾	١٣٠	١٦٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾	١٧٤	١٦٦
ســـورة المـــائـدة		
﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾	١٥	١٦٦

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ ﴾	٣٦	٢٣
﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ﴾	٣٧	٢٢،٢٣
ســـورة الأنـــعام		
﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾	٨	١٢٢
﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾	٩١	٢٥٥
﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾	١٢٤	٢٦٦
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾	١٥٣	١٦٥
ســـورة الأعـــراف		
﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾	٦٩	١٣٧
﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾	٨٩	١٦٣
ســـورة الأنـــفـــال		
﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾	٣٢	٥٣،١١٥
ســـورة التـــوبة		
﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ﴾	٩١	١٤٣
ســـورة يـــونـــس		
﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾	٢	٢١٠
﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ﴾	٤٩	١٣٩

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا ﴾	٨٨	٢٠٨
ســـــورة هـــــــود		
﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ ﴾	١١٦	٢٦٤
﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ﴾	١٢٠	٦٦
ســـــورة يــــوســــف		
﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾	٣	٤٥
ســـــورة الـــرعـــــد		
﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾	٥	٩٨
ســـــورة إبــــراهــــيــــم		
﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾	١٩	٨٣
ســـــورة الـــحـــجـــر		
﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾	١٢	٢١٦
﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾	٧٦	٢٣٢
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾	٨٣	١٣٧
﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾	٩٧	١٨٦
﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾	٩٨	١٨٦
﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾	٩٩	١٨٦
ســـــورة الـــنـــحـــل		
﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾	٩٧	٩٩
ســـــورة الإســـــراء		

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾	٧٧	٩٠
ســـورة الـــكـــهـــف		
﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾	٥٨	٢٠٩
ســـورة مـــريـــم		
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾	٥٨	٦٥
﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٥٩	٦٥
ســـورة طـــه		
﴿ طه ﴾	١	٦٢،٦٥
﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾	٢	٦٢،٦٥،٦٦،٧٥
﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾	٣	٦٥
﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾	٩	٦٥،٦٦
﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾	٥٥	٦٧،٦٨
﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ﴾	٨٦	٦٩
﴿ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ﴾	٨٧	٦٩
﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ ﴾	٩٠	٦٩
﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴾	٩٢	٦٩
﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾	٩٩	٦٦،٧٠،٧١،٧٢،٧٣
﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴾	١٠٠	٦٦،٧١
﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴾	١٠١	٦٦

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرًا ﴾	١١٣	٧٠،٧٢،٧٣
﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمًا ﴾	١١٤	٧١،٧٢
﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمًا ﴾	١١٥	٧١
﴿ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ ﴾	١١٧	٧٢
﴿ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾	١٢٨	٧٤
﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾	١٣٠	٦٦،٧٣،٧٤
﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾	١٣٣	٧٣،٧٤،٢٥٧
﴿ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ ﴾	١٣٥	٧٥
ســـورة الأنـــبـيـاء		
﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ ﴾	١	٨١،٨٢
﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم ﴾	٢	٩١
﴿ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾	٣	١٠١
﴿ قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾	٤	١٠٠
﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾	٥	٧٣،٧٤،٨٩

﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ ﴾	٦	٨٢
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾	٧	٩٠
﴿ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾	٩	٨٢
﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ ﴾	١٠	٨٣،٩١،١٠٠
﴿ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ ﴾	١١	٨٢،٨٣
﴿ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ ﴾	١٣	٢٦٤
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ ﴾	٢٥	٩٠
﴿ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾	٣١	٨٤
﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ ﴾	٣٢	٨٣،٨٤
﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾	٣٦	٨٤،٨٦،٨٨
﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴾	٣٧	٨٤،٨٦،١٠٠
﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾	٣٨	٨٤،٨٥،٨٦
﴿ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ ﴾	٤٠	٨٩
﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾	٤١	٨٧
﴿ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ	٤٤	٩٩،١٠٠

أَطْرَافِهَآ ﴾		
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ﴾	٤٥	٩٠،٩١
﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾	٤٦	٨٨
﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾	٤٧	٨٨
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً	٤٨	٨٩،٩١
﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾	٥٠	٩٠
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾	٥١	٩١،٩٣،٥٨
﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾	٧٤	٩٣
﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ ﴾	٧٩	٩٤
﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ ﴾	٨١	٩٤
﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾	٨٣	٩٥
﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	٨٥	٩٥،٩٦
﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ﴾	٨٦	٩٦
﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾	٨٧	٩٦
﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ ﴾	٨٩	٩٦
﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن	٩١	٩٧،١٠١

زَوۡجِنَا وَجَعَلۡنَـٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ ﴾	١٠١	٩٨
﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ	١٠٤	٩٨
﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ	١٠٥	٥٧،٩٩
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	١٠١
ســـورة الحـــج		
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾	٨	١٠٧
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَ ﴾	١١	١٠٧
﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ﴾	١٢	١٠٩،١١٠
﴿ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴾	١٣	١٠٩،١١٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ﴾	١٤	١٠٧
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ ﴾	١٦	١٠٨
﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ ﴾	١٨	١٠٩،١١٠

﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾	١٩	١١٠
﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾	٢٤	١١١
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٢٥	١١١،١١٢
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ ﴾	٣٨	١١٢
﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ ﴾	٤٢	١١٤،١١٥
﴿ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾	٤٤	١١٤،١١٥
﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ﴾	٤٥	١١٣
﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ ﴾	٤٧	١١٥
﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً ﴾	٥٥	١١٦
﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾	٥٦	١١٦
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ ﴾	٦١	١١٧
﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾	٦٣	١١٧،١١٨
﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾	٦٤	١١٨
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴾	٦٦	١١٧،١١٩

١٢٢	٧١	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾
١٢٢	٧٢	﴿ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾
١٢٠،١٢٢	٧٣	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾
١٢١،١٢٢	٧٤	﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾
١٢٢،١٢٣،١٢٤	٧٥	﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾
١٢٤	٧٧	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾
سـورة المـؤمـنـون		
١٣١	١	﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾
١٣١،١٣٢،١٣٣	١٢	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾
١٣٣	١٦	﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾
١٣٣،١٣٤	١٧	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾
١٣٤	١٨	﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِۖ ﴾

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾	٢٣	١٣٤
﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾	٢٦	١٣٦
﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴾	٣١	١٣٧،١٣٨
﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴾	٣٣	١٤١
﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾	٤٠	١٣٧
﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ ﴾	٤١	١٣٧
﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴾	٤٢	١٣٩
﴿ مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴾	٤٣	١٣٨،١٣٩
﴿ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَا ﴾	٤٤	١٣٩
﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴾	٥٠	١٤١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ ﴾	٥١	١٤٠
﴿ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾	٥٤	١٤٢
﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴾	٥٥	١٤٢
﴿ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾	٥٦	١٤٢
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴾	٥٧	١٤٢
﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ ﴾	٦٢	١٤٣
﴿ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا ﴾	٦٣	١٤٢

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾	٧٨	١٣٥
﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ ﴾	٩٦	١٤٤،١٤٥
ســــورة الــنــور		
﴿ سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾	١	١٦٤،١٦٥
﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾	١٠	١٥٠
﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	١٨	١٥١
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾	١٩	١٥١،١٥٢
﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾	٢٠	١٥٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾	٢١	١٥٤،١٥٥،١٥٦
﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾	٢٢	١٤٨،١٥٦،١٥٧

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ﴾	٢٧	١٥٨
﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾	٢٨	١٥٩
﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾	٣٠	١٦٠،١٦١،١٦٢
﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ ﴾	٣١	١٧٥
﴿ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾	٣١	١٧٥
﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ ﴾	٣٢	١٦٢،١٦٣
﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	٣٤	١٦٣،١٦٥
﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾	٣٥	١٦٥،١٦٦،١٦٧
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ ﴾	٣٩	١٦٨

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾	٤٠	١٦٨
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾	٤١	١٦٨،١٦٩،١٧٠
﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٤٥	١٧٠
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾	٥١	١٧١،١٧٢
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	٥٣	١٧٢
﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾	٥٤	١٧٣،١٧٤
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾	٥٥	١٧٣،١٧٤

﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾	٥٧	١٧٥
﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ ﴾	٦٠	١٧٥
ســـــورة الــفــرقــان		
﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾	١	١٨٠،١٨١،١٨٢، ١٨٣،١٩٢
﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴾	٣	١٧٨،١٨٣
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾	٤	١٨٢
﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾	٦	١٨٤
﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾	٧	١٤١،١٨٧
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴾	٢٠	١٨٥
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾	٢١	١٢٢
﴿ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِي ﴾	٢٩	١٨٧

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾	٣٠	١٨٧،١٨٨
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ ﴾	٣١	١٨٨
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ ﴾	٣٢	٩٣،١٨٨،١٩٢،١ ٩٣،١٩٥
﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ﴾	٣٥	١٨٨،١٨٩
﴿ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾	٤٣	١٩٣
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴾	٤٧	١٨٩،١٩١
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ ﴾	٤٨	١٩٠،١٩١،١٩٦
﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ﴾	٥١	٥٨،١٩١،١٩٣،١ ٩٤
﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾	٥٢	١٩١،١٩٣،١٩٦
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴾	٥٣	١٩٥،١٩٦
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ﴾	٥٤	١٩٧،١٩٨،١٩٩

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾	٦١	١٩٩،٢٠٠
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾	٦٢	٢٠١
﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾	٦٣	١٩٩،٢٠٠،٢٠١، ٢٠٢
﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾	٦٨	١٧٨
﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	٧٠	١٧٨
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾	٧٥	٢٠١
﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى ﴾	٧٧	٢٠١
سـورة الشعراء		
﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾	٢	٢١٤،١١٥
﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾	٣	٢٠٨
﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً ﴾	٤	٢٠٨
﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ ﴾	٥	٩٣،٢١٥
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾	٧	٢١٠
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	٨	٢٠٦
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٩	٢٠٦،٢٠٨،٢٠٩
﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	١٠	٢٠٩،٢١٠

﴿ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا ﴾	١٨	٢٤٨
﴿ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	١٩	٢٤٨
﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾	٦٩	٢١١
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾	١٠٣	٢١٣
﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾	١٠٥	٢١٣،٢١٤
﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٩٢	٢١٤،٢١٦
﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾	١٩٣	٢١٧
﴿ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾	١٩٤	٢١٧
﴿ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾	١٩٧	٢٠٥
﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾	٢٠٠	٢١٦،٢١٧
﴿ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴾	٢١٢	٢١٨
﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴾	٢١٣	٢١٧،٢١٨
﴿ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾	٢١٦	٢١٨
﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	٢١٧	٢١٨
﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾	٢٢٠	٢١٨،٢١٩
﴿ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴾	٢٢٢	٢٢٠
﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴾	٢٢٤	٢٠٥،٢١٩،٢٢٠
ســـورة الــنــمــل		
﴿ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	٢	٢٣٧

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾	٤	٢٢٥،٢٢٦
﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾	٦	٢٢٥،٢٢٦
﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ ﴾	٧	٢٢٧،٢٢٨،٢٤٨
﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	٩	٢٢٨،٢٢٩
﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا ﴾	١٠	٢٢٩
﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ ﴾	١٥	٢٣١
﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴾	٤٠	٢٢٩،٢٣٠
﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا ﴾	٤٥	٢٣٠،٢٣١
﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ ﴾	٥٤	٢٣٢
﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾	٦٥	٢٣٣
﴿ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾	٦٨	٢٣٦
﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾	٦٩	٢٣٤،٢٣٥
﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾	٧١	٢٤١
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾	٧٣	٢٣٥
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾	٧٤	٢٣٥،٢٣٦
﴿ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾	٧٥	٢٣٦
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾	٧٦	٢٣٦،٢٣٧

﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٧٧	٢٣٧،٢٣٨
﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	٧٨	٢٣٨،٢٣٩،٢٤٠، ٢٤٢
﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾	٧٩	٢٤٠
﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾	٨٠	٢٤٠،٢٤١
﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾	٨١	٢٤٠،٢٤١
﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾	٨٢	٢٤٠،٢٤١،٢٤٣
﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾	٨٦	٢٤٢،٢٤٣
﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾	٨٧	٢٤٢،٢٤٣
﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾	٨٨	٢٤٢،٢٤٣،٢٤٤
﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾	٨٩	٢٤٢
سورة القصص		
﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ ﴾	٣	٢٤٩
﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾	٤	٢٥٠،٢٥١
﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾	٥	٢٤٩،٢٥١
﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	٧	٢٥٢

﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾	١٣	٢٥٢
﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾	١٤	٢٥١،٢٥٢
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	١٦	٢٥٢،٢٥٣،٢٥٤
﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾	١٧	٢٥٣،٢٥٤
﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾	٣٠	٢٥٤
﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾	٣٦	٢٥٤،٢٥٥
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾	٤٣	٢٥٤،٢٥٥،٢٥٦
﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ ﴾	٤٤	٢٥٦،٢٥٧
﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾	٤٦	٢٧٠
﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ﴾	٤٨	٢٤٨،٢٥٥
﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	٥١	٢٥٨
﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾	٥٢	٢٤٧،٢٥٧،٢٥٨

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾	٥٥	٢٤٧
﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾	٥٦	٢٥٩،٢٦٠
﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾	٥٧	٢٦٠،٢٦٣
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾	٥٨	٢٦٠،٢٦١،٢٧٠
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾	٥٩	٢٦١،٢٦٢
﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ﴾	٦٠	٢٦٢،٢٦٣،٢٦٤، ٢٧٠
﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾	٦١	٢٦٤،٢٦٥،٢٧٠
﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾	٦٥	٢٦٦
﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾	٦٧	٢٦٥
﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾.	٦٨	٢٦٥،٢٦٦،٢٦٧
﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ﴾	٧٠	٢٦٧
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ	٧١	٢٦٧،٢٦٨

ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾		
﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾	٧٤	٢٦٨،٢٦٩
﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾	٧٦	٢٧٠،٢٧١
﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾	٨٣	٢٧١،٢٧٢،٢٧٣
﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾	٨٤	٢٧٢،٢٧٣
﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ﴾	٨٥	٢٤٧،٢٧٣،٢٧٤
﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ﴾	٨٦	٢٧٤،٢٧٥
سـورة السـجـدة		
﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾	٢٨	١١٥
سـورة الأحـزاب		
﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾	٣٥	٩٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾	٧٠	٧
سـورة الصـافـات		

﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴾	١٣٧	١٣٧،٢٣٢
﴿ وَبِالَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	١٣٨	١٣٧،٢٣٢
سـورة ص		
﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾	١٦	٨٥
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا ءَايَٰتِهِۦ ﴾	٢٩	٧
﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾	٨٨	١٨٦
سـورة الزمـر		
﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾	٧٣	٩٩
﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾	٧٤	٩٩
سـورة فصـلـت		
﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ﴾	٤٤	١٩٣
سـورة الشـورى		
﴿ وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾	٢٨	٥٤
سـورة الزخـرف		
﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾	٣١	٢٦٦
سـورة الـدخـان		
﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾	٣٨	١٣٣
﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا	٣٩	١٣٣

يَعۡلَمُونَ ﴾		
إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾	٤٠	١٣٣
ســـــورة الحــجــرات		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾	١٣	١٩٨
ســـــورة المــنــافــقــون		
﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّ ﴾	٨	١٧٣
ســـــورة الحــاقــة		
﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴾	٤١	٢٢٠
﴿ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾	٤٢	٢٢٠
ســـــورة نـــــوح		
﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾	٤	١٣٩
﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾	١٧	٦٨
﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴾	١٨	٦٨
ســـــورة المــزمــل		
﴿ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴾	١١	٢٦٤
ســـــورة المــطــفــفين		
﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴾	٣١	٢٦٤

فهرس الأحاديث الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
[إذا حـدث الرجـل حـديثاً فالتفت فهـي أمانة]	١٦٠
[ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا]	٧
[من تكـلم في القـرآن برأيـه فأصـاب فقد أخطأ]	٤١
[من قال في القـرآن برأيه فليـتبوأ مقعده من النـار]	٤٠
[من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النـار]	٤٠
[من يقـل علي ما لم أقل فليـتبوأ مقعده من النـار]	٢٢

فهرس الأبيات الشعرية

البيت			رقم الصفحة
آذَنــتــْنا بــِبــَيــْنــِهــا أسماءُ	**	رب ثَاوٍ يمــَل منه الثـــواءُ	١٨١
قفَا نبك من ذكْرى حبِيبٍ ومنزِلِ	**	بِسقْط اللوى بين الدخول فَحوملِ	١٨١
كتمتك ليلا بالجمومين ســاهراً	**	وهمين هماً مستكناً وظــاهرا	١٨١
لخولــة أطــلال بــبرقــة ثهمد	**	تلُوح كباقي الوشمِ في ظاهرِ اليد	١٨١

فهـــــهــــــرس الأعـــــــلام

الاســـــــــم	رقـــــم الـــصـــفـــحـــة
إبراهيم عليه السلام	٦٥،٩٢،٩٣،٩٤،٩٧،١٠٥،١٥٦،١٥٧،٢٠٦،٢١٠،٢١١ ٢١٢،٢١٣،٢١٤
أبو بكر الصديق رضي الله عنه	٤١،٤٨،٤٩
أبو بكر النيسابوري	٢٣
أبو جهل	٢٧٠
أبو داود	٤٠،١٦٠
أحمد بن حنبل	١٦٠
إدريس عليه السلام	٩٥
آدم عليه السلام	٦٣،٦٥،٦٦،٧١،٧٢،٧٣
إسحاق عليه السلام	٩٣،٩٧
إسماعيل عليه السلام	٩٥
أبو سعيد الخدري رضي الله عنه	٢٢،٢٣
أبو مسلم	١٨٤
امرئ القيس	١٨١
أيوب عليه السلام	٩٥
البخاري	٥٤
البقاعي	٤،٨،١٢،١٣،٢٠،٢٦،٢٨،٣٧،٦٥،٦٧،٦٨،٦٩،٧٠، ٧١،٧٣،٧٤،٧٥،٧٦،٨١،٨٢،٨٣،٨٤،٨٥،٨٦،٨٧، ٨٩،٩١،٩٢،٩٤،٩٥،٩٦،٩٧،٩٨،٩٩،١٠٠،١٠١،

	١٠٢،١٠٧،١٠٨،١٠٩،١١٠،١١١،١١٢،١١٣،١١٤ ،١١٥،١١٦،١١٧،١١٨،١١٩،١٢٠،١٢١،١٢٢،١٢٣ ،١٢٤،١٢٥،١٣١،١٣٢،١٣٣،١٣٤،١٣٥،١٣٦،١٣٧ ،١٣٨،١٣٩،١٤٠،١٤١،١٤٢،١٤٣،١٤٤،١٤٥،١٥٠ ،١٥١،١٥٢،١٥٣،١٥٤،١٥٥،١٥٦،١٥٧،١٥٨،١٥٩ ،١٦٠،١٦١،١٦٢،١٦٣،١٦٤،١٦٦،١٦٧،١٦٨،١٦٩ ،١٧٠،١٧٠،١٧٢،١٧٣،١٧٤،١٧٥،١٧٦،١٨٢،١٨٣ ،١٨٤،١٨٥،١٨٦،١٨٨،١٨٩،١٩٠،١٩١،١٩٤،١٩٥ ،١٩٦،١٩٧،١٩٨،١٩٩،٢٠٠،٢٠١،٢٠٢،٢٠٨،٢٠٩ ،٢١٣،٢١٤،٢١٥،٢١٦،٢١٧،٢١٨،٢١٠،٢١١،٢١٢ ،٢١٩،٢٢٠،٢٢٥،٢٢٦،٢٢٧،٢٢٨،٢٢٩،٢٣٠،٢٣١ ،٢٣٢،٢٣٣،٢٣٤،٢٣٥،٢٣٦،٢٣٧،٢٣٩،٢٤٠،٢٤١ ،٢٤٣،٢٤٤،٢٤٥،٢٥٠،٢٥١،٢٥٢،٢٥٣،٢٥٤،٢٥٥ ،٢٥٦،٢٥٧،٢٥٨،٢٥٩،٢٦٠،٢٦١،٢٦٢،٢٦٣،٢٦٥ ٢٦٧،٢٦٨،٢٦٩،٢٧٠،٢٧١،٢٧٢،٢٧٣،٢٧٤،٢٧٥
الترمذي	٤٠،١٦٠
جابر رضي الله عنه	١٦٠
ابن الجزري	٤٨
الحارث بن حلزة	١٨١
حكيم شاه القزويني	٢٨
داود عليه السلام	٩٤،٩٥،١٠٠،٢٢٤
ذا الكفل عليه السلام	٩٥
الرازي	،٤،٨،١١،١٢،١٣،٢٨،٣٧،٦٦،٦٧،٦٨،٦٩،٧٠،٧١ ،٧٤،٨٣،٨٥،٨٦،٨٧،٨٨،٩٤،٩٥،١١٢،١١٣،١١٤ ،١١٧،١١٨،١١٩،١٢٠،١٢٣،١٢٥،١٣١،١٣٢،١٣٥

	١٣٦،١٣٧،١٣٩،١٤٠،١٤١،١٤٢،١٤٣،١٤٤،١٤٥، ١٥٧،١٥٨،١٥٩،١٦٣،١٥٠،١٥١،١٥٢،١٥٥،١٥٦، ١٦٤،١٦٧،١٦٨،١٦٩،١٧٢،١٧٣،١٧٤،١٨٢،١٨٣، ١٨٤،١٨٥،١٨٦،١٨٧،١٨٨،١٩٠،١٩٣،١٩٤،١٩٦، ١٩٩،٢٠٠،٢٠٩،٢١٢،٢١٣،٢١٤،٢١٥،٢١٦،٢١٧، ٢١٨،٢١٩،٢٢٠،٢٢١،٢٢٥،٢٢٦،٢٢٧،٢٢٨،٢٢٩، ٢٣٠،٢٣٣،٢٣٤،٢٣٥،٢٣٦،٢٣٨،٢٣٩،٢٤٠،٢٤١، ٢٤٢،٢٤٣،٢٤٤،٢٥١،٢٥٧،٢٥٨،٢٥٩،٢٦٠،٢٦١، ٢٦٢،٢٦٣،٢٦٤،٢٦٥،٢٦٦،٢٦٧،٢٦٨،٢٦٩،٢٧٢، ٢٧٣،٢٧٤
ابن رشد	٣٦
ابن الزبير الغرناطي	٢٨،٦٥،٨١،٨٢
الزركشي	١٩،٢٠،٢١،٢٥،٢٩
زكريا عليه السلام	٩٧،٩٨
الزمخشري	٢٦٦
زيد بن ثابت رضي الله عنه	٤٨،٥٠
السخاوي	٦٢
سعيد بن المسيب	٤١
سليمان عليه السلام	٩٢،٩٥،٢٢٣،٢٢٤،٢٣٠،٢٣٢
سيد قطب	٢٩
السيوطي	١١،٢٨،٢٩
الشعبي	٤١
شعيب عليه السلام	٢٠٦،٢١٥
الشوكاني	٢٥،٢٦
صالح عليه السلام	١٣٧،٢٠٦

الضحاك	١٧٨
١٨١	□ الطيبي□ ١٧٩،١٩٢ □ □ عائشة < الطيبي
عائشة <	١٤٨،١٥٨،١٦٤
ابن عاشور	٤،٨،١١،١٢،١٣،١٧،٢٧،٢٩،٣١،٣٣،٣٤،٣٨،٣٩، ٤٢،٤٤،٤٧،٥٧،٦٥،٦٦،٦٧،٦٨،٦٩،٧٠،٧١،٧٣، ٧٥،٧٦،٧٩،٨١،٨٢،٨٣،٨٤،٨٥،٨٦،٨٧،٨٨،٨٩، ٩٢،٩٤،٩٥،٩٦،٩٧،٩٨،٩٩،١٠٠،١٠١،١٠٢،١٠٥ ١٠٧،١٠٨،١٠٩،١١٠،١١١،١١٢،١١٣،١١٤،١١٥، ١١٦،١١٧،١١٨،١١٩،١٢٠،١٢١،١٢٢،١٢٣،١٢٤، ١٢٩،١٣١،١٣٣،١٣٤،١٣٦،١٣٧،١٣٨،١٣٩،١٤٠، ١٤١،١٤٢،١٤٣،١٤٤،١٤٥،١٤٨،١٥٠،١٥١،١٥٢، ١٥٣،١٥٤،١٥٥،١٥٦،١٥٧،١٥٨،١٥٩،١٦٠،١٦١، ١٦٢،١٦٣،١٦٤،١٦٥،١٦٧،١٦٨،١٦٩،١٧٠،١٧١، ١٧٢،١٧٣،١٧٤،١٧٥،١٧٦،١٧٩،١٨١،١٨٢،١٨٣، ١٨٤،١٨٥،١٨٧،١٨٨،١٨٩،١٩٠،١٩١،١٩٥،١٩٦، ١٩٧،١٩٨،١٩٩،٢٠٠،٢٠١،٢٠٢،٢٠٦،٢٠٨،٢٠٩، ٢١١،٢١٢،٢١٣،٢١٤،٢١٦،٢١٧،٢١٨،٢١٩،٢٢٠، ٢٢٤،٢٢٥،٢٢٦،٢٢٧،٢٢٨،٢٢٩،٢٣٠،٢٣١،٢٣٢، ٢٣٣،٢٣٤،٢٣٥،٢٣٦،٢٣٧،٢٣٨،٢٣٩،٢٤٠،٢٤١، ٢٤٢،٢٤٣،٢٤٤،٢٤٥،٢٤٨،٢٥٠،٢٥١،٢٥٢،٢٥٣، ٢٥٤،٢٥٦،٢٥٧،٢٥٨،٢٥٩،٢٦٠،٢٦١،٢٦٢،٢٦٤، ٢٦٥،٢٦٧،٢٦٨،٢٦٩،٢٧٠،٢٧١،٢٧٢،٢٧٣،٢٧٤، ٢٧٥،٢٧٧

عاصم بن أبي النجود	١٩٠
ابن عباس رضي الله عنه	٤٠،٥٤،١٣٧،١٣٨،١٧٨،٢٠٥،٢٤٧
عبدالله بن أبي	١٧٣
عبدالله الغماري	١١،٢٨
عبدالله القرني	١١
عبدالملك بن جريج	٣٩
عثمان بن عفان رضي الله عنه	٤٩،٥٠
ابن العربي	١٩،٢٠
عروة بن مسعود الثقفي	٢٦٦
العز بن عبدالسلام	٢٤،٢٥،٢٦
عزير	٢٣٧
ابن عطية	١٩١،٢٢٣،٢٦٦
عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٤٤
عيسى عليه السلام	٩٨،١٤١
ابن عيينة	٥٤
فرعون	٦٣،٧١،٢١٠،٢١١،٢١٢،٢٤٧،٢٤٨،٢٥٠،٢٥١،٢٥٢، ٢٥٣،٢٥٦،٢٧٠،٢٧١
قارون	٢٤٧،٢٤٩،٢٧٠،٢٧١،٢٧٢
قالون	٤٤
قتادة	٩٥،١٧٨،٢٠٥،٢٤٧
القرطبي	٢٢٣
ابن كثير	٨٦
كعب بن زهير رضي الله عنه	٥١
لبيد بن ربيعة رضي الله عنه	٥١
لوط عليه السلام	٩٣،٩٤،١٨٠،٢٠٦،٢١١،٢٣١،٢٣٢

مالك بن أنس	٢٠٥
مريم بنت عمران	٩٧،٩٨
مسطح بن أثاثة رضي الله عنه	١٤٨،١٥٦
ابن مسعود رضي الله عنه	،٢٢
مقاتل	٢٠٥،٢٤٧
موسى عليه السلام	٦٣،٦٥،٦٦،٦٧،٦٩،٧١،٨٩،٩٠،٩١،٩٢،٩٣،١٨٠، ١٨٨،١٨٩،١٩٣،١٩٤،١٩٥،٢٠٦،٢٠٨،٢١٠،٢١١، ٢١٢،٢١٣،٢٢٨،٢٢٩،٢٤٧،٢٤٨،٢٤٩،٢٥١،٢٥٣، ٢٥٤،٢٥٥،٢٥٦،٢٥٧،٢٧١،٢٧٤
النابغة الجعدي رضي الله عنه	٥١،١٨١
نافع	٤٤
النسائي	٤٠
نوح عليه السلام	٩٣،١٣٥،١٣٦،١٣٧،١٣٨،١٨٠،٢٠٦،٢١١،٢١٣
هارون عليه السلام	٦٩،٩١،٩٢،١٨٩،١٩٤،١٩٥،٢٧١
هشام بن حكيم رضي الله عنه	٤٤
هود عليه السلام	٢٠٦،١٣٧،١٣٨
الواحدي	٢٦٦
الوليد بن المغيرة	٥١،٢٦٦،٢٧٠
يحيى عليه السلام	٩٨
يزيد بن صهيب	٢٢
يعقوب عليه السلام	٩٣
يونس عليه السلام	٩٧

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .

٢. الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق : سعيد المندوب، الناشر : دار الفكر ، لبنان ، الطبعة الأولى١٤١٦هـ .

٣. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة : أحمد بن أبي بكر البوصيري ، تحقيق : أبي عبدالرحمن عادل بن سعد ؛ وأبي إسحاق السيد بن محمد بن إسماعيل ، الناشر : مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .

٤. أساس البلاغة : جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، الناشر: دار صادر ؛ ودار بيروت ، بيروت ، (ط.د.) ١٣٨٥هـ .

٥. أسباب نزول القرآن : أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ، تحقيق : السيد أحمد صقر، الناشر : دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .

٦. أسد الغابة في معرفة الصحابة : عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، الناشر : دار الفكر ، (م.د.) ، (ط.د.) ١٣٩٠هـ .

٧. الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز في القرآن الكريم : الحافظ عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي ، اعتنى بطبعه : رمزي سعد الدين دمشقية ، الناشر: دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

٨. الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني الشافعي ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، الناشر: دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

٩. أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية : د. عبدالحكيم الأنيس ، الأحمدية : مجلة علمية دورية محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، تصدر عن : دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي ، العدد الحادي عشر جماد الأولى ١٤٢٣هـ .

١٠. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين

والمستشرقين: خير الدين الزركلي ، الناشر : دار العلم للملايين ، (م.د.) ، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م .

١١. إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ : ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : د. حسن حبشي، الناشر : (بدون) القاهرة ، (ط.د.) ١٣٨٩هـ .

١٢. البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ؛ والشيخ علي محمد معوض ، شارك في التحقيق د.زكريا عبد المجيد النوقي ؛ و د. أحمد النجولي الجمل ، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

١٣. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : محمد بن علي الشوكاني ، الناشر : دار المعرفة ، بيروت ، (ط.د.) ، (ت.د.).

١٤. البرهان في ترتيب سور القرآن : أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ، دراسة وتحقيق : أ. محمد شعباني ، الناشر : من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، (ط.د.)١٤١٠هـ .

١٥. البرهان في علوم القرآن : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار المعرفة ، بيروت ، (ط.د.) ١٣٩١هـ .

١٦. البيان في عد آي القرآن : أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني ، تحقيق : غانم قدوري الحمد ، الناشر : مركز المخطوطات والتراث ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

١٧. تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، الناشر : دار الهداية ، (م.د.) ، (ط.د.) (ت.د.) .

١٨. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمرى ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

١٩. التبيان في تفسير غريب القرآن : شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي ، الناشر : دار الصحابة للتراث - طنطا- مصر ، الطبعة

الأولى ١٤١٢هـ .
٢٠. التذكرة في القراءات الثمان : أبي الحسن طاهر بن عبدالمنعم بن غلبون المقرئ الحلبي، دراسة وتحقيق : أيمن رشدي سويد ، الناشر : (م.د.) سلسلة أصول النشر (١) ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .
٢١. التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، الناشر: دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ .
٢٢. تفسير التحرير والتنوير : محمد الطاهر ابن عاشور ، الناشر : دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، (ط.د.) (ت.د.) .
٢٣. تفسير القرآن : أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم ؛ وغنيم بن عباس بن غنيم ، الناشر : دار الوطن ، الرياض ، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ .
٢٤. تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، (ط.د.) ١٤٠١هـ .
٢٥. التفسير الكبير : للإمام الفخر الرازي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ .
٢٦. تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع : جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني، الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٣٥٧هـ .
٢٧. تذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .
٢٨. تذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق : محمد عوض مرعب، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
٢٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، الناشر : دار الفكر ، بيروت (ط.د) ١٤٠٥هـ .
٣٠. الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الناشر :

دار الشعب ، القاهرة ، (ط.د.) (ت.د.) .
٣١. الجامع الصحيح سنن الترمذي : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (ط.د.) (ت.د.) .
٣٢. الجامع الصحيح المختصر : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، الناشر : دار ابن كثير ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ .
٣٣. جمال القراء وكمال الإقراء : أبي الحسن علي بن محمد بن عبدالصمد المعروف بعلم الدين السخاوي ، دراسة وتحقيق : عبدالحق عبدالدايم سيف القاضي -رسالة دكتوراة في الجامعة الإسلامية- الناشر : مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .
٣٤. جمهرة أشعار العرب : أبو زيد القرشي ، تحقيق : عمر فاروق الطباع ، الناشر : دار الأرقم ، بيروت ، (ط.د.) (ت.د.) .
٣٥. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : أحمد عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق : علي سيد صبح المدني ، الناشر : مطبعة المدني ، مصر ، (ط.د) (ت.د) .
٣٦. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد عبد المعيد ضان ، الناشر : مجلس دائرة المعارف العثمانية -حيدر اباد- الهند ، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ .
٣٧. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب : إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ط.د.) (ت.د.) .
٣٨. ديوان امرئ القيس : تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر : دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثالثة (ت.د.) .
٣٩. ديوان طرفة بن العبد : تقديم وشرح : عبدالقادر محمد مايو ، الناشر : دار القلم، حلب ، (ط.د.) (ت.د.) .
٤٠. ديوان النابغة الذبياني : تحقيق : فوزي عطوي ، الناشر : الشركة اللبنانية للكتاب

للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، (ط.د.) ١٩٦٩م .
٤١. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وآثارها السيئ في الأمة : محمد بن ناصر الدين الألباني ، الناشر : مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٢٤٠هـ .
٤٢. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير : الخطيب الشربيني . (توجد نسخة منه في مكتبة الملك عبدالله في جامعة أم القرى ، بمكة) ، (م.د.) ، (ط.د.) (ت.د.) .
٤٣. سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر : دار الفكر ، (ط.د.) (ت.د.) .
٤٤. السنن الكبرى : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ؛ وسيد كسروي حسن ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .
٤٥. سير أعلام النبلاء : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط؛ ومحمد نعيم العرقسوسي ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ .
٤٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب : عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ؛ ومحمود الأرناؤوط ، الناشر : دار بن كثير، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
٤٧. شرح شافية ابن الحاجب : رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ؛ مع شرح شواهده : عبدالقادر البغدادي ، تحقيق : محمد نور الحسين ؛ ومحمد الزفزاق ؛ ومحمد محي الدين عبدالحميد ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ط.د.) ١٣٩٥هـ .
٤٨. شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره : د. بالقاسم الغالي ، الناشر : دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .
٤٩. الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير : د. هياء ثامر مفتاح العلي ، الناشر : دار الثقافة ، الدوحة ، (ط.د.) ١٩٩٤م .
٥٠. صحيح سنن الترمذي : محمد بن ناصر الدين الألباني ، الناشر : مكتبة المعارف

للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ .
٥١. طبقات الحفاظ : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .
٥٢. طبقات الشافعية : أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة ، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان ، الناشر : عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .
٥٣. طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي ؛ و د. عبد الفتاح محمد الحلو ، الناشر : هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، (م.د.) ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ .
٥٤. طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، الناشر : دار المدني ، جدة ، (ط.د.) (ت.د.) .
٥٥. طبقات الفقهاء : إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، تحقيق : خليل الميس ، الناشر : دار القلم ، بيروت ، (ط.د.) (ت.د.) .
٥٦. طبقات المفسرين : أحمد بن محمد الأدنه وي ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، الناشر : مكتبة العلوم والحكم ، السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .
٥٧. طبقات المفسرين : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : علي محمد عمر، الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ .
٥٨. غاية النهاية في طبقات القراء : شمس الدين ابن محمد بن محمد ابن الجزري ، عنى بنشره : ج . برجسترأسر ، الناشر : دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثالثة (ت.د.).
٥٩. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الناشر : منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (ط.د.) (ت.د.) .
٦٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، (ط.د.) (ت.د.) .
٦١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود

بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (ط.د.) (ت.د.) .

٦٢. لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، الناشر : دار صادر، بيروت ، الطبعة الأولى (ت.د.) .

٦٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، الناشر : دار الكتب العلمية ، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

٦٤. المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ٢٠٠٠م .

٦٥. محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية : الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجه ، الناشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ،(ط.د.) ١٤٢٥هـ .

٦٦. مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، تحقيق : محمود خاطر ، الناشر : مكتبة لبنان ، بيروت ،(ط.د.) ١٤١٥هـ .

٦٧. مرشد الخلان إلى معرفة عد أي القرآن : عبدالرزاق علي إبراهيم موسى ، الناشر: المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت - ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

٦٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل : أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني ، الناشر : مؤسسة قرطبة ، مصر ، (ط.د.) (ت.د،).

٦٩. مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور : د. عادل محمد صالح أبو العلا -رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب- جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة ، (ط.د.) ١٤٢٢هـ .

٧٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، الناشر : المكتبة العلمية ، بيروت ، (ط.د.) (ت.د.) .

٧١. المصنف : أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن

الأعظمي ، الناشر : المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .
٧٢. معجم الأدباء : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .
٧٣. معجم البلدان : ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، (ط.د.) (ت.د) .
٧٤. المعجم الكبير : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، الناشر : مكتبة الزهراء ، الموصل ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .
٧٥. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد ، تحقيق : مصطفى السقا ، الناشر : عالم الكتب بيروت ، الطبعة: الثالثة ١٤٠٣هـ .
٧٦. معجم مقاييس اللغة : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الناشر : دار الجيل ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ .
٧٧. المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى ؛ وأحمد الزيات ؛ وحامد عبد القادر ؛ ومحمد النجار ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، الناشر : دار الدعوة ، (م.د.) ، (ط.د.) (ت.د.).
٧٨. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله ، تحقيق : بشار عواد معروف ؛ وشعيب الأرناءوط ؛ وصالح مهدي عباس ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .
٧٩. المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، الناشر : دار المعرفة ، لبنان ، (ط.د.) (ت.د.).
٨٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، تحقيق عبدالرزاق غالب المهدي ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٢٧ هـ .
٨١. وفيات الأعيان و إنباء أبناء الزمان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي

بكر بن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ، الناشر: دار الثقافة ، لبنان ، (ط.د.) (ت.د،).

٨٢. الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط؛ وتركي مصطفى ، الناشر : دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٢٠هـ ، (ط.د) .

فهرس الموضوعات

مستخلص الرسالة ٣

الشكر والتقدير ٥

المقدمة ٦

خطة البحث ١٠

القسم الأول ١٦

الفصل الأول ١٧

تعريف علم المناسبات ١٩

المناسبات في اللغة ١٩

المناسبة اصطلاحاً ١٩

أنواع المناسبات ٢٧

أشهر الذين اعتنوا بالتأليف في علم المناسبات ٢٨

الفصل الثاني ٣٠

التعريف بالمؤلف ٣١

اسمه ونسبه ٣١

مولده ٣١

حياته العلمية ٣٢

حياته المهنية ٣٢
النتاج العلمي ٣٣
وفاته ٣٤
التعريف بالكتاب ٣٥
المقدمة الأولى في التفسير والتأويل وكون التفسير علما ٣٨
المقدمة الثانية في استمداد علم التفسير ٣٩
المقدمة الثالثة في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه .. ٤٠
المقدمة الرابعة فيما يحق أن يكون غرض المفسر ٤٢
المقدمة الخامسة في أسباب النزول ٤٣
المقدمة السادسة في القراءات ٤٣
المقدمة السابعة قصص القرآن ٤٥
المقدمة الثامنة في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها ٤٦
المقدمة التاسعة في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن، تعتبر مرادة بها ٥٠
المقدمة العاشرة في إعجاز القرآن ٥٢
الفصل الثالث ٥٦
منهج ابن عاشور في إيراد المناسبات ٥٧
القسم الثاني ٥٩
الفصل الأول ٦٠
المبحث الأول سورة طه ٦١

تمهيد سورة طه ٦٢
المطلب الأول أغراض سورة طه ٦٣
المطلب الثاني مناسبات الآيات في سورة طه ٦٥
مناسبة الافتتاح بقوله تعالى: ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ ٦٥
مناسبة قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ ٦٦
مناسبة قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ ٦٧
مناسبة قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴾ ٦٩
مناسبة قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ ﴾ ٧٠
مناسبة قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ ﴾ ٧١
مناسبة قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ ٧٣
مناسبة قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ ٧٥
المبحث الثاني سورة الأنبياء ٧٧
تمهيد سورة الأنبياء ٧٨
المطلب الأول أغراض سورة الأنبياء ٧٩
المطلب الثاني مناسبات الآيات في سورة الأنبياء ٨١
مناسبة الافتتاح بقوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ ٨١
مناسبة قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ ٨٢
مناسبة قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ ٨٣
مناسبة قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ٨٤

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ٨٦
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ ٨٧
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ٨٨
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا ﴾ . . . ٨٩
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ ٩١
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ ٩٣
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ ٩٤
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ﴾ ٩٥
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ ٩٦
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا ﴾ ٩٦
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ . . ٩٧
مناسبة قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ ٩٨
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾ ٩٩
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ ١٠١
المبحث الثالث سورة الحج ١٠٣
تمهيد سورة الحج ١٠٤
المطلب الأول أغراض سورة الحج ١٠٥
المطلب الثاني مناسبات الآيات في سورة الحج ١٠٧
مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ١٠٧

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ ﴾ ١٠٨

مناسبة قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ .. ١٠٩

مناسبة قوله تعالى : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ ١١٠

مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ١١١

مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ ١١٢

مناسبة قوله تعالى : ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ﴾ ١١٣

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾ ١١٥

مناسبة قوله تعالى : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ ١١٦

مناسبة قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ١١٧

مناسبة قوله تعالى : ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ١١٨

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ .. ١١٩

مناسبة قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾ ١٢٠

مناسبة قوله تعالى : ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ ١٢١

مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ ١٢١

مناسبة قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ .. ١٢٢

مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ ١٢٣

مناسبة قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ ﴾ ١٢٤

الفصل الثاني ١٢٦

المبحث الأول سورة المؤمنون ١٢٧

تمهيد سورة المؤمنون ١٢٨
المطلب الأول أغراض سورة المؤمنون ١٢٩
المطلب الثاني مناسبات الآيات في سورة المؤمنون ١٣١
مناسبة قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ ١٣١
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ ١٣١
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ ١٣٣
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ١٣٤
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ ١٣٤
مناسبة قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ ١٣٦
مناسبة قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ ١٣٧
مناسبة قوله تعالى : ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ ١٣٨
مناسبة قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ﴾ ١٤٠
مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ ١٤٢
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ١٤٣
مناسبة قوله تعالى : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ ١٤٤
المبحث الثاني سورة النور ١٤٦
تمهيد سورة النور ١٤٧
المطلب الأول أغراض سورة النور ١٤٨
المطلب الثاني مناسبات الآيات في سورة النور ١٥٠

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ . . ١٥٠

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ١٥١

مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ . ١٥١

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ . ١٥٣

مناسبة قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ ﴾ ١٥٤

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ١٥٥

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾ ١٥٦

مناسبة قوله تعالى : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ١٥٧

مناسبة قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾ . . ١٥٨

مناسبة قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ . ١٥٩

مناسبة قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ﴾ ١٦٠

مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ١٦٢

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ﴾ . ١٦٢

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا ﴾ ١٦٣

مناسبة قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ١٦٥

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ١٦٧

مناسبة قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ١٦٨

مناسبة قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ ١٧٠

مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ١٧٠

مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ١٧١

مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ١٧٢

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ١٧٣

مناسبة قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ١٧٤

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾ ١٧٥

المبحث الثالث سورة الفرقان ١٧٧

تمهيد سورة الفرقان ١٧٨

المطلب الأول أغراض سورة الفرقان ١٧٩

المطلب الثاني مناسبات الآيات في سورة الفرقان ١٨١

مناسبة قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ ١٨١

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ ١٨٢

مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ١٨٤

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ ١٨٥

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ ﴾ ١٨٧

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ١٨٨

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ ١٨٩

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا ﴾ ١٩٠

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ ١٩١

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ ١٩٥

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا ﴾ ١٩٧
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ ١٩٨
مناسبة قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ ١٩٩
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ ﴾ ٢٠٠
الفصل الثالث ٢٠٣
المبحث الأول سورة الشعراء ٢٠٤
تمهيد سورة الشعراء ٢٠٥
المطلب الأول أغراض سورة الشعراء ٢٠٦
المطلب الثاني مناسبات الآيات في سورة الشعراء ٢٠٨
مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً ﴾ ٢٠٨
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ٢٠٨
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ٢٠٩
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ٢١١
مناسبة قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ٢١٣
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ٢١٤
مناسبة قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ ٢١٦
مناسبة قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ ٢١٧
مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ٢١٨
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ ٢١٩

المبحث الثاني سورة النمل ٢٢٢
تمهيد سورة النمل ٢٢٣
المطلب الأول أغراض سورة النمل ٢٢٤
المطلب الثاني مناسبات الآيات في سورة النمل ٢٢٥
مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ٢٢٥
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ ٢٢٦
مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾ ٢٢٧
مناسبة قوله تعالى : ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ٢٢٨
مناسبة قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ ٢٢٩
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ ٢٣٠
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ﴾ ٢٣٢
مناسبة قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ٢٣٣
مناسبة قوله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا ﴾ ٢٣٤
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ٢٣٥
مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ٢٣٦
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٢٣٧
مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ ﴾ ٢٣٨
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ ٢٣٩
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ ﴾ ٢٤٠

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ ٢٤٢
مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴾ ٢٤٤
المبحث الثالث سورة القصص ٢٤٦
تمهيد سورة القصص ٢٤٧
المطلب الأول أغراض سورة القصص ٢٤٨
المطلب الثاني مناسبات الآيات في سورة القصص ٢٥٠
مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ٢٥٠
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ٢٥١
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ﴾ ٢٥١
مناسبة قوله تعالى : ﴿ فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ٢٥٢
مناسبة قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ ﴾ ٢٥٣
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ٢٥٤
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ ﴾ ٢٥٦
مناسبة قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴾ ٢٥٧
مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ .. ٢٥٩
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۢ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ ﴾ ٢٦٠
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ ﴾ ٢٦١
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَا ﴾ ٢٦٢
مناسبة قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ ﴾ ٢٦٤

مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ ٢٦٥
مناسبة قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا ﴾ ٢٦٧
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ ﴾ ٢٦٨
مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ ٢٧٠
مناسبة قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا ﴾ ٢٧١
مناسبة قوله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ ٢٧٢
مناسبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ ... ٢٧٣
مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً ﴾ .. ٢٧٤

الخاتمة ٢٧٦
النتائج ٢٧٧
التوصيات ٢٧٨
الفهارس ٢٧٩
فهرس الآيات ٢٨٠
فهرس الحديث ٣٠٦
فهرس الآثار ٣٠٧
فهرس الشعر ٣٠٨
فهرس الأعلام ٣٠٩
فهرس المصادر والمراجع ٣١٥

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

المناسبات وأثرها في تفسير "التحرير والتنوير" للطاهر ابن عاشور

من أول سورة ق إلى آخر سورة الناس جمعاً ودراسةً وموازنة

(بحث مقدم لنيل درجة الماجستير)

إعداد

الطالب: ممدوح بن تركي بن محمد القحطاني
الرقم الجامعي: **42688104**

إشراف

فضيلة الدكتور: غالب بن محمد الحامضي

العام الجامعي
1430 - 1429

بسم الله الرحمن الرحيم

مستخلص الرسالة

يتحدث هذا البحث عن المناسبات بين الآيات القرآنية وأثرها في "التحرير والتنوير"، وهو التفسير الذي ألفه محمد الطاهر ابن عاشور.

ويتكون البحث من قسمين:

القسم الأول: فيه الحديث عن علم المناسبات من الناحية النظرية ، و فيه التعريف بابن عاشور وبكتابه ، كل ذلك باختصار.

القسم الثاني: وهو المقصود من هذه الرسالة ، فيه جمع المناسبات التي أشار إليها ابن عاشور في تفسيره ، وذلك من سورة ق إلى آخر القرآن ، ثم دراسة هذه المناسبات مع الموازنة بين ما أورده ابن عاشور وبين ما ورد في أربعة تفاسير وهي:

١. "مفاتيح الغيب" للفخر الرازي.
٢. "البحر المحيط" لأبي حيان.
٣. "نظم الدرر" للبقاعي.
٤. "إرشاد العقل السليم" لأبي السعود الحنفي.

ثم خُتم هذا البحث بذكر أهم النتائج التي توصلت إليها ومنها أن هذا العلم علم عظيم له أهمية كبرى وجدير بالعناية والاهتمام ،وأن "التحرير والتنوير" من أهم الكتب التي اعتنت بهذا العلم ، وأن ابن عاشور قد انفرد ببعض المناسبات التي ذكرها ، ووافق غيره في بعض ، وفي نهاية البحث جاء ذكر بعض التوصيات .

الباحث

ممدوح بن تركي بن محمد القحطاني

The letter conclusion

This research is talking about Relation between Ayat of Qur'an and its effect in "al-Tahrir wa al-Tanwir".And this Interpretation written by Mohammed Al Taher Bin Ashour .

This research is two sections :

The first section : in this section he talk about the relation science from the theoretical way and its consisting of the definition of Ebn Ashour and his book, in shortage .

The second section : this section is the mean in this letter, its join between the relation which Ebn Ashour talking about in his interpretation, from one Surah (Qaf) to the other in the Holy Qur'an, then studying this relation and critic it, with comparison between the Bin Ashour talking and four interpretations and they are :

1- " Mafateh al-kib " for Al Fakher Al Razi .
2- " Al-bahr al-muhet " for Ebn Heian .
3- " Nadhim al-Durar " for Al Bakaei .
4- "Ersad al-akal al-salem " for Ebn Al Saud Al Hanafi.

After that I conclude this research in writing the important Results and advising .

The searcher
Mamdouh Bin Torki Bin Mohammed Al Kahtani

شكر وتقدير

أشكر اللّه أولاً و آخراً على ما من علي به من نِعَمٍ ظاهرة و باطنة ، ومن هذه النعم ما تفضل به عليَّ من إعانة لإتمام هذا البحث ، فلولا مِنَّةُ اللّه علي ما تجرأت على ذلك ، فلله الحمد والمنة.

ثم أثني بالشكر الجزيل لشيخي وأستاذي فضيلة الشيخ الدكتور / غالب بن محمد الحامضي الذي لم يألُ جاهداً في نصحي وإرشادي وتيسير أموري.

وأشكر الدكتور/ أمين باشا ، و كل من أعانني بتوجيه أو كلمة أو فائدة أو نصيحة.

ولا يفوتني أن أشكر والديَّ الكريمين اللذَينِ أحاطاني بالتشجيع والدعاء.

وأختم المقام بشكر زوجتي الفاضلة التي ما فتئت تساعدني وتعينني.

وأسأل اللّه العظيم رب العرش الكريم أن يجزي كل هؤلاء خيراً.

وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

(ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ)[١]

(ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ)[٢]

(ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ)[٣]

أما بعد..

فإن الله أنزل كتابه الكريم منجماً على رسوله ﷺ منذ مبعثه وحتى توفاه الله عز وجل حسب الحاجة والأحداث حتى اكتمل نزول القرآن.

فالناظر إليه يعجب من شدة ترابط أجزائه، وتماسك كلماته وآياته، مما جعل العلماء يعملون فيه أذهانهم، ويسعون في استخراج درره، وبيان بديع صنعه.

وكان هناك ثلة من العلماء شرعوا في بيان هذا الترابط والتماسك بين آياته بعضها ببعض وبين السورة والأخرى، سمي ذلك بعلم المناسبات.

ومن هؤلاء الإمام محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره القيم الجليل "التحرير والتنوير" الذي قال في التمهيد له: " وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ، ونكت البلاغة العربية ، وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضاً ببيان اتصال تناسب الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عنى به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار

---

(١) آل عمران:102.

(٢) النساء:1.

(٣) الأحزاب:70.

المتأملين لفصل القول تتطلع.

أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقاً على المفسر ".[١]

وآثرت أن يكون بحثي ضمن هذا النطاق لأن تتبع الكتب التي اعتنت بعلم المناسبات واستخراج المناسبات منها ودراسة مناهج مؤلفيها لم يتطرق إليه كثير من الباحثين.

وهذا البحث هو سلسلة ممتدة، سبقني إليه بعض الزملاء، وذلك في تتبع أقوال ابن عاشور في المناسبات، وجمعها من خلال كتابه، ودراستها، وموازنتها بأقوال العلماء.

وسوف يكون بحثي فيها من سورة ق إلى آخر سورة الناس، والتي بلغ عدد المناسبات فيها (138) مناسبة موزعة على السور كالتالي:

١. سورة ق: (5) مناسبات.
٢. سورة الذاريات: (9) مناسبات.
٣. سورة الطور: (4) مناسبات.
٤. سورة النجم: (5) مناسبات.
٥. سورة القمر: (3) مناسبات.
٦. سورة الرحمن: (3) مناسبات.
٧. سورة الواقعة: (7) مناسبات.
٨. سورة الحديد: (4) مناسبات.
٩. سورة المجادلة: (3) مناسبات.
١٠. سورة الحشر: (4) مناسبات.
١١. سورة الممتحنة: مناسبتان.
١٢. سورة الصف: (4) مناسبات.
١٣. الجمعة: مناسبتان.
١٤. سورة المنافقون: (3) مناسبات.
١٥. سورة التغابن: (3) مناسبات.
١٦. سورة الطلاق: مناسبتان.

---

(١) "التحرير والتنوير" 8/1

١٧. سورة التحريم: (4) مناسبات.

١٨. سورة الملك: (4) مناسبات.

١٩. سورة القلم: مناسبتان.

٢٠. سورة نوح: مناسبتان.

٢١. سورة الجن: مناسبتان.

٢٢. سورة المزمل: (3) مناسبات.

٢٣. سورة المدثر: (3) مناسبات.

٢٤. سورة القيامة: مناسبة.

٢٥. سورة الإنسان: (3) مناسبات.

٢٦. سورة المرسلات: مناسبة.

٢٧. سورة النبأ: (11) مناسبات.

٢٨. سورة النازعات (5) مناسبات.

٢٩. سورة عبس: (3) مناسبات.

٣٠. سورة التكوير: مناسبتان

٣١. سورة الانفطار: مناسبة.

٣٢. سورة المطففين: مناسبتان.

٣٣. سورة الانشقاق: مناسبة.

٣٤. سورة البروج: (3) مناسبات.

٣٥. سورة الطارق: مناسبة.

٣٦. سورة الأعلى: مناسبتان.

٣٧. سورة الغاشية: مناسبة.

٣٨. سورة الفجر: (5) مناسبات.

٣٩. سورة الشمس: مناسبتان.

٤٠. سورة الليل: مناسبة.

٤١. سورة الضحى: مناسبة.

٤٢. سورة القدر: مناسبة.

٤٣. سورة البينة: مناسبتان.
٤٤. سورة العاديات: مناسبة.
٤٥. سورة التكاثر: مناسبة.
٤٦. سورة العصر: مناسبة.
٤٧. سورة الماعون: مناسبة.
٤٨. سورة المسد: مناسبة.
٤٩. سورة الفلق: مناسبة.

وقد وازنت بين ما ذكره ابن عاشور من مناسبات وبين ما أورده كلٌّ من الرازي وأبي حيان والبقاعي وأبي السعود في تفاسيرهم ، ليتبين من ذلك مدى معرفة ابن عاشور لهذا العلم ومدى استفادته من غيره ، وهل أضاف جديداً في هذا العلم ؟ .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقني وأن يعينني في بحثي هذا، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

١. علم المناسبات علم يعين على تدبر القرآن وفهمه.
٢. تعلق علم المناسبات بالقرآن الكريم.
٣. الحاجة الماسة إلى فهم هذا العلم، ونشره بين الناس.
٤. مكانة ابن عاشور العلمية.
٥. تميز الطاهر ابن عاشور في هذا الفن، وذلك لاطلاعه على زبد أقوال العلماء السابقين في هذا المجال.
٦. جمع الأقوال المتناثرة في بطون الكتب وجعلها في مكان واحد يثري المكتبات العلمية بالجديد المفيد.
٧. الاشتغال بأنفع العلوم، وأجلها.
٨. المساهمة في نشر العلم، وتيسيره.

الدراسات السابقة

هذه جملة من الدراسات السابقة التي تصب في صلب الموضوع أكتفي بذكرها:

١. "التناسب القرآني عند الإمام البقاعي —دراسة بلاغية" لمشهور موسى مشاهرة ، رسالة ماجستير.

٢. "التناسب القرآني عند برهان الدين البقاعي" لمحمود توفيق محمد ، رسالة دكتوراة.

٣. "التناسب القرآني وآليات اشتغاله من خلال الخطاب التفسيري _ تفسير البحر المحيط نموذجاً" لفارس عبد العزيز ، رسالة دكتوراة.

٤. "المناسبات في القرآن الكريم"، لعبد الله بن مقبل القرني، ماجستير.

٥. "المناسبات في ترتيب آيات القرآن وسوره" لمحمد أحمد يوسف القاسم ، رسالة دكتوراة(١) .

٦. "وجوه التناسب بين سور القرآن" لأنس عبد العليم السعدي ، رسالة دكتوراة.

وفي آخر الفصل الأول من القسم الأول ذكر لأهم الكتب في هذا العلم.

حدود البحث

حدود هذا البحث يكمن في جمع المناسبات التي ذكرها الطاهر ابن عاشور في كتابه "التحرير والتنوير" من أول سورة ق إلى آخر سورة الناس ، ومقارنتها بأقوال الرازي وأبي حيان والبقاعي وأبي السعود.

---

(١) وهو مطبوع باسم : الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة و قسمين وخاتمة وفهارس ، وتفصيل ذلك كما يلي :

المقدمة: و فيها:

١. أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
٢. الدراسات السابقة.
٣. حدود البحث.
٤. خطة البحث.
٥. منهج البحث.
٦. منهج الباحث في ذكر المناسبات.

القسم الأول : وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول: علم المناسبات.

الفصل الثاني: التعريف بابن عاشور ، وبكتابه بإيجاز.

الفصل الثالث: منهج ابن عاشور في إيراد المناسبات .

القسم الثاني :

جمع ودراسة المناسبات التي أوردها الطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" من سورة ق إلى آخر سورة الناس .

الخاتمة :

وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس :

و تشتمل على :

١. فهرس الآيات القرآنية.
٢. فهرس الأحاديث النبوية.
٣. فهرس الآثار.

٤. فهرس الأشعار.

٥. فهرس الأعلام.

٦. فهرس المصادر والمراجع.

٧. فهرس الموضوعات.

منهج البحث

١.استخراج، وجمع المناسبات، وحصرها.

٢.ترتيب المناسبات حسب ذكر الطاهر ابن عاشور.

٣.دراسة المناسبات، ومقارنتها بأقوال سابقيه.

٤.عزو الآيات إلى سورها في القرآن الكريم.

٥.إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بتخريجه منهما.

٦.الحديث الذي لا يكون في الصحيحين أو أحدهما أذكر كلام العلماء في الحكم عليه بعد تخريجه.

٧.في ترجمة الرواة أنص على من كانت له رواية في الصحيحين أو أحدهما فقط.

٨.عزو الأقوال إلى قائليها ما أمكن.

٩.ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في المتن ترجمةً موجزة، من غير مشاهير الصحابة ﷺ، ومن غير المعاصرين الأحياء.

١٠. لم أترجم لمشايخ ابن عاشور ولا لتلامذته لئلا يطول البحث، وإنما أشرت لمواطن ترجمة من وجدتٌّ له ترجمة.

١١. عمل فهارس كاشفة لتيسير الوصول إلى المعلومة.

منهج الباحث في ذكر المناسبات

١. أبدأ أولاً بذكر الآية التي تحدث ابن عاشور عن مناسبتها، ثم أوضح مراده، وقد أذكر رأيي في المناسبة التي أوردها ، فإن كان ثَمَّ نقد نقدتها ، ثم أعقد المقارنة بينها وبين كلام من اخترتهم من العلماء، وأرتبهم حسب الأسبق وفاةً ، فإن كان هناك موافق لابن عاشور ابتدأت بذكره ثم أثني بذكر من أتى بمناسبة أخرى، وأرتبهم حسب الأسبق، وأبين الفروق بين تلكم الأقوال ما أمكن.

٢. جعلت الموازنة بين ما أورده ابن عاشور وبين ما أورده كل من:

أ -الرازي في "مفاتيح الغيب".

اخترته لأنه من المتقدمين الذي اعتنوا بهذا العلم ، ولكثرة الاعتماد عليه في علم المناسبات، ولأن ابن عاشور قد خصه بالذكر في مقدمته.

ب -أبي حيان في "البحر المحيط".

اخترته لشهرة مؤلفه ، ولأنه أتى بعد الرازي ، و لم يكن معتمداً عليه في كثير من المناسبات.

ج -البقاعي في "نظم الدرر".

اخترته لأنه أفرد هذا العلم بكتاب خاص هو من أعظم ما أُلِّف في هذا الفن ، ولأن ابن عاشور قد خصه بالذكر في مقدمته.

د -أبي السعود في "إرشاد العقل السليم".

اخترته لأن أسلوبه في ذكر المناسبة مختلف حيث يأتي به مختصراً دون تصريح ، ولأنه أتى بعد البقاعي.

٣. أنص على المناسبة التي انفرد بذكرها ابن عاشور ، وإذا قلت: " لم أجد من أشار إلى المناسبة بين هذه الآية وما قبلها غير ابن عاشور" أو نحوها من العبارات فالمراد أني لم أجدها عند من اخترتهم للمقارنة بين كلامهم وكلام ابن عاشور.

٤. اقتصرت على ذكر المناسبة بين الآية وسابقتها ، إضافة إلى ما يذكره ابن عاشور من مناسبة السورة لما قبلها ـــ وإن كان لا يقول بها ـــ .

٥. أذكر أثر المناسبة التي ذكرها ابن عاشور ، وأعني بذلك مدى إضافة ابن عاشور لهذا العلم ، فإن كان قد سبقه غيره إلى هذه المناسبة ذكرته ، وإن كان انفرد بها بينت ذلك .

٦. جعلت رقماً تسلسلياً لكل مناسبة يذكرها ابن عاشور ، وبجانبه رقماً تسلسلياً لكل سورة من السور حتى يتبين ما في كل سورة من مناسبة ذكرها ابن عاشور.

٧. لم أتطرق إلى ما يذكره ابن عاشور من أسباب تقديم بعض الجمل أو الكلمات على بعض ، وكذلك وجوه تكرار الكلمات لأنها ليست من صميم علم المناسبات.

٨. لم أتطرق إلى ما يذكره ابن عاشور من أن الله لما ذكر كذا أعقبه بكذا بدون ذكر العلة لهذا التعقيب ، لأن هذا ليس بصريح في ذكر المناسبة ، وإنما هو بيان بأن هذه الآية وقعت بعد تلك الآية فقط.

القسم الأول

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: علم المناسبات

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف علم المناسبات.

المبحث الثاني: نشأة علم المناسبات.

المبحث الثالث: مراحل علم المناسبات.

المبحث الرابع: أقسام علم المناسبات.

المبحث الخامس: أهمية علم المناسبات.

المبحث السادس: فوائد علم المناسبات.

المبحث السابع: الكتب المعتنية بعلم المناسبات.

الفصل الثاني: التعريف بابن عاشور وبـ"التحرير والتنوير" بإيجاز.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بابن عاشور.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب "التحرير والتنوير".

الفصل الثالث: منهج ابن عاشور في إيراد المناسبات من سورة ق إلى آخر القرآن.

الفصل الأول
علم المناسبات

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف علم المناسبات.

المبحث الثاني: نشأة علم المناسبات.

المبحث الثالث: مراحل علم المناسبات.

المبحث الرابع: أقسام علم المناسبات.

المبحث الخامس: أهمية علم المناسبات.

المبحث السادس: فوائد علم المناسبات.

المبحث السابع: الكتب المعتنية بعلم المناسبات

المبحث الأول
تعريف علم المناسبات

المناسبة لغة:

قال ابن فارس(١): النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء منه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به(٢).

والمناسبة: المشاكلة والمقاربة مأخوذة من النسبة ، والنسب بمعنى القرابة ، والنسيب المناسب وذو النسب(٣).

فمتى اتصل شيء بشيء لسبب فإن بينهما مناسبة سواء كانت ظاهرة أو خفية.

والمناسبة اصطلاحاً :"هي وجه الارتباط بين الآية والآية التي تليها ، والسورة والسورة التي تليها ، وفاتحة السورة وخاتمتها ونحو ذلك.

أو هي وجه ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض"(٤).

والمعنى اللغوي للمناسبة متوافق مع المعنى الاصطلاحي.

وأما علم المناسبات اصطلاحاً فقد عرف بعدة تعريفات متقاربة ، وهذا ذكر لبعضها :

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب القزويني الرازي، أبو الحسين ، ولد سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وكان من أئمة اللغة والادب ، وكان شافعياً فتحول مالكياً ، وله شعر حسن ، من مصنفاته : "الاتباع والمزاوجة"،"اختلاف النحويين "، "حلية الفقهاء "، "الصاحبي في فقه اللغة "،"مقاييس اللغة"، توفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة .

(انظر :"سير أعلام النبلاء " للذهبي 103/17، "بغية الوعاة " للسيوطي 352/1 و "الأعلام" للزركلي 193/1)

(٢) انظر "مقاييس اللغة"لابن فارس ص988 مادة (نسب).

(٣) انظر "لسان العرب"لابن منظور 755/1 مادة (نسب) ، "القاموس"للفيروز أبادي ص 137 مادة (نسب).

(٤) "دراسات في علوم القرآن" للدكتور فهد الرومي ص447.

قال ابن العربي[١] : هو "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني."[٢]

وقال البقاعي[٣]: "علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه "[٤].

وقال الدكتور محمد بازمول :"هو معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المندرجة تحت جهة واحدة"[٥].

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي المالكي ، أبو بكر ابن العربي ، أحد الأعلام الحفاظ، ولد سنة ثمان وستين وأربعمائة ، ورحل مع أبيه إلى المشرق ثم رجع إلى الأندلس ، وكان فصيحاً بليغاً خطيباً ، صنف مصنفات كثيرة نافعة منها : "أحكام القرآن " ، "عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي"، "العواصم من القواصم " ، "القبس في شرح موطأ مالك بن أنس " ، توفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة.

(انظر : "سير أعلام النبلاء" للذهبي 197/20 ، "طبقات المفسرين" للسيوطي ص 90 ، "الأعلام" للزركلي 230/6)

(٢) نقلاً عن "البرهان في علوم القرآن" الزركشي 36/1 ، حيث ذكر أن هذا التعريف منقول من كتاب "سراج المريدين" لابن العربي ، و لم أقف على هذا الكتاب ، قال حاجي خليفة في "كشف الظنون" 984/2 : "سراج المريدين" للقاضي أبي بكر ابن العربي ذكره القرطبي في تذكرته" ، وقال محب الدين الخطيب في مقدمة "العواصم من القواصم"ص 28: "منه مخطوطة بمكتبة عبد الحي الكتاني، وبأولها خط المؤلف"

وهذا الكتاب يشير ابن العربي إليه كثيراً في مؤلفاته كـ"أحكام القرآن" و "عارضة الأحوذي" و"العواصم من القواصم" ، ويتضح من النقل عنه أنه في علم التذكير ، وقد أفرد لعلوم القرآن قسماً كما أشار إليه في "العواصم من القواصم" ص191

(٣) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرُبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي أبو الحسن ، ولد سنة تسع وثمانمائة تقريباً ، كان علامة محدثاً حافظاً مفسراً ، له تصانيف كثيرة منها : "أسواق الأشواق مختصر مصارع العشاق"، "سر الروح"، "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور"، "نظم الدرر في مناسبة الآي والسور" ، توفي سنة خمس وثمانين وثمانمائة .

(انظر : "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" للسخاوي 101/1 ، "الأعلام" للزركلي 56/1) .

(٤) انظر "نظم الدرر" في تناسب الآيات والسور" للبقاعي 6/1 .

(٥) "علم المناسبات في السور والآيات" للدكتور محمد بن عمر بازمول ص27.

ويمكن أن نقول هو :

علم يعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن ووجه اتصال بعضها ببعض.

وجملة (أجزاء القرآن) شاملة للآية مع الآية،والسورة مع السورة، والقصة مع القصة، وكل جزء من القرآن مع ما قارنه.

المبحث الثاني
نشأة علم المناسبات

إذا رجعنا إلى كتب الآثار والروايات المسندة فإننا سنجد ثمة إشارات وتنبيهات تشير إلى أن السابقين من أهل القرون الأولى في الإسلام قد عرفوا هذا العلم،وأشاروا إليه، ومارسوه، وبينوا فضله وصلته بتفسير كتاب الله ، وأنه من العلوم التي ينبغي للمفسر أن يلم بها.

فقد قال ابن مسعود ﵁:(إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا فليسأله عما قبلها) [1].

وقال أيضاً: (إذا سأل أحدكم أخاه عن الآية فلا يقول: كذا وكذا فليس عليه ، ولكن ليقرأ ما قبلها ثم ليحل بينه وبين حاجته)[2].

وفي هذين الأثرين عن ابن مسعود ﵁ إشارة واضحة إلى أن معرفة معنى الآية وطريقة قراءتها له ارتباط بالآيات التي قبلها.

وعن يزيد بن صهيب الفقير[3] عن جابر بن عبد الله ﵁ أن رسول الله > قال: ((**يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة**)) قال: فقلت لجابر بن عبد الله ﵁: يقول الله: **(ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ)**[4] قال: (اتل أول الآية: **(ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو)**[5]،

---

(١) رواه عبد الرزاق الصنعاني في "مصنفه" رقم (5988) ، 365/3 .

ومن طريق عبد الرزاق رواه الطبراني في "المعجم الكبير" رقم (8693) 140/9 .

(٢) رواه الطبراني في "المعجم الكبير" رقم (8694) 140/9.

(٣) الكوفي ، أبو عثمان ، وقيل له الفقير لأنه كان يشكو فقار ظهره ، وهو من رجال الصحيحين ، وقد وثقه ابن معين و أبو زرعة و ا لنسائي ، وقا ل أبو حاتم و أبو خراش : صدوق .

وقال ابن حجر في "تقريب التهذيب" : "ثقة" .

(انظر : "تهذيب التهذيب" لابن حجر 295/11 ، "تقريب التهذيب" لابن حجر رقم : (7733) ص531).

(٤) المائدة:37.

ﯩﯪﯫ)[١]، ألا إنهم الذين كفروا)[٢].

في هذا الأثر تنبيه إلى ضرورة مراعاة سياق الآية ، والنظر لسابقتها ولاحقتها حتى لا تفهم على غير وجهها، وفيه أيضاً خطورة تفسير الآية والعمل بها دون معرفة السياق.

وعن عكرمة[٣] قال: جاء نفر من أهل اليمن إلى ابن عباس رضي الله عنه فسأله رجل: أرأيت قوله تعالى: (ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ)[٤]، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : (لم تصب المسألة ، اقرأ ما قبلها ، (ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ)[٥] حتى بلغ (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ)[٦] ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : (فمن كان أعمى عن هذا النعيم الذي قد رأى رأى وعاين فهو في أمر الآخرة التي لم تر ولم تعاين أعمى وأضل سبيلاً)[٧].

و عن حكيم بن جبير[٨] قال: سألت سعيد بن جبير[١] عن هذه الآيات في المائدة: (ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ

---

(١) المائدة:36.

(٢) رواه ابن مردويه في "االتفسير"، وروى ابن أبي حاتم في "تفسيره" نحوه عن جابر رضي الله عنه ذكرهما ابن كثير في "تفسيره" 106/3 .

(٣) هو عكرمة أبو عبد الله ، مولى ابن عباس وتلميذه ، أصله بربري ، من رجال البخاري ، وروى له مسلم مقروناً، أحد العلماء الربانيين ، عالم بالتفسير ، قال أحمد : يحتج به ، ووثقه ابن معين و والعجلي وأبو حاتم والنسائي توفي سنة أربع ومائة ، وقيل بعد ذلك .

قال ابن حجر في "التقريب" : "ثقة ثبت".

(انظر : "تهذيب التهذيب " لابن حجر 234/7 ، "تقريب التهذيب" لابن حجر رقم (4673) ص336)

(٤) الإسراء:72.

(٥) الإسراء:66.

(٦) الإسراء:70.

(٧) أخرجه الفريابي وابن أبي حاتم في"تفسيره" ، انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور 317/5 .

(٨) الأسدي الكوفي ، وقيل : مولى ثقيف ، قال أحمد : ضعيف الحديث مضطرب ، وقال ابن معين : ليس بشيء .

قال ابن حجر في "تقريب التهذيب" : " ضعيف رمي بالتشيع ".

(انظر : "تهذيب التهذيب" لابن حجر 383/2 ، "تقريب التهذيب" لابن حجر رقم (1468) ص116)

ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ)[٢] ، (ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ)[٣]، (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ)[٤] فقلت: "زعم قوم أنها نزلت على بني إسرائيل و لم تنزل علينا ، قال: اقرأ ما قبلها وما بعدها، فقرأت عليه فقال: لا، بل نزلت علينا.."[٥].

وعن يعلى بن مسلم[٦] قال: سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية (ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ)[٧] قال: "اقرأ ما قبلها" فقرأت: (ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ)[٨] إلى قوله: (ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ)[٩] قال: "اللغو أن تحرم هذا الذي أحل الله لك وأشباهه تكفر عن يمينك ، ولا تحرمه فهذا اللغو الذي لا يؤاخذكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فإن مت عليه أخذت به"[١٠].

وعن مسلم بن يسار[١١] قال: "إذا حدثت عن الله فقف، حتى تنظر ما قبله وما بعده"[١].

---

(١) الأسدي مولاهم ، الكوفي ، من رجال الصحيحين ، فقيه عابد فاضل ورع ، كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول : أليس فيكم ابن أم الدهماء يعني سعيد بن جبير ، قتله الحجاج بن يوسف سنة خمس وتسعين وهو ابن تسع وأربعين سنة .

قال ابن حجر في "التقريب" : "ثقة ثبت فقيه" .

(انظر : "تهذيب التهذيب" لابن حجر 11/4 ، "تقريب التهذيب"لابن حجر رقم (2278) ص174)

(٢) المائدة:44.

(٣) المائدة:45.

(٤) المائدة:47.

(٥) أخرجه عبد بن حميد في "تفسيره" ، انظر "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" 88/3.

(٦) ابن هرمز المكي ، أصله من البصرة ، من رجال الصحيحين ، وثقه ابن معين وأبو زرعة.

قال ابن حجر في "التقريب" : "ثقة".

(انظر :"تهذيب التهذيب"لابن حجر 535/11 ، "تقريب التهذيب"لابن حجر رقم (7849) ص539)

(٧) المائدة:89.

(٨) المائدة:87.

(٩) المائدة:89.

(١٠) أخرجه أبو الشيخ ، انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور 150/3.

(١١) البصري نزيل مكة ، أبو عبد الله الفقيه ، ويقال له : مسلم سُكَّرة ، ومسلم الـمُصْبِح ، وثقه أحمد

وفي لفظ: " إذا حدثت عن الله حديثاً فأمسك فاعلم ما قبله وما بعده"(٢).

هذه الآثار والروايات عن الصحابة وتلاميذهم تبين لنا مدى عنايتهم بالسياق القرآني ومدى أهميته لديهم في تفسير الآيات وبيان معانيها ، وهذا واضح في محاورتهم لمن سألهم عن آية مشكلة.

وعلم المناسبات مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسياق القرآني فهو يبحث في علل ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره مع ملاحظة السياق ، ولا يمكن معرفة المناسبة إلا بمعرفة السياق، وما سبق ذكره من الآثار والمرويات عن السلف تفيد أنه كان معروفاً عندهم ومعلوماً ، ولو لم يكن ذلك صريحاً كما حصل عند المتأخرين .

وأما ما ورد عن بعض أهل العلم من أن علم المناسبات لم يظهر إلا بعد انقضاء القرون المفضلة ، فالمراد ظهور من تحدث عن هذا العلم خاصة ، وأولاه عناية ، وكذلك يريدون بهذه الأولية من تكلم على جميع الآيات والسور إما تصنيفاً أو إملاء وتدريساً ، أو يكون المراد ظهور من اعتنى به بعد أن قل المعتنون به من أهل العلم.

وقد يراد أيضاً بهذه الأولية من أطلق على هذا العلم اسماً خاصاً وهو علم المناسبة أو علم ترتيب آي القرآن.

يقول الزركشي(٣): قال الشيخ أبو الحسن الشهراباني(١): "أول من أظهر ببغداد علم المناسبة

والعجلي ، مات سنة مائة أو إحدى ومائة .

قال ابن حجر في "التقريب" : "ثقة عابد".

(انظر : "تهذيب التهذيب" لابن حجر 127/10 ، "تقريب التهذيب"لابن حجر رقم (6652) ص463).

(١)رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في "فضائل القرآن"ص229 .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في "مصنفه" رقم (35588) ، 231/7 .

(٣) محمد بن عبد الله بن بهادر (وقيل : محمد بن بهادر) الزركشي الشافعي ، ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، فقيه أصولي أديب ، كان منقطعاً إلى الاشتغال بالعلم لا ينشغل عنه بشيء ، له مؤلفات كثيرة منها :"الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة" ، "إعلام الساجد بأحكام المساجد" ، "البحر المحيط" في أصول الفقه " ،"البرهان في علوم القرآن" ، "المنثور في القواعد الفقهية" ، توفي سنة أربع وتسعين وسبعمائة.

و لم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري[٢] ــ وكان غزير العلم في الشريعة والأدب ــ وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة من جعل هذه السور إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة"[٣].

فإذا أردنا الجمع بين ظاهر كلام الشيخ أبي الحسن الشهراباني وبين ما سبق أن ذكرناه من آثار عن الصحابة والتابعين فالأولى أن نحمل كلام الشهراباني على أن مراده ظهور هذا العلم بعد أن قلَّ المعتنون به،أو أن مراده ظهور هذا العلم في مدينة بغداد.

وعليه أيضاً يحمل قول أبي بكر بن العربي: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله ــ عز وجل ــ لنا فيه ، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"[٤].

والظاهر من مراد ابن العربي أن هذا العالم إنما تعرض لعلم المناسبات تأليفاً تناول فيه سورة البقرة فقط،ووقف عندها و لم يكمل بقية سور القرآن الكريم ،ولعل هذا الرجل المبهم الذي ذكره ابن العربي هو أقدم من ألف في هذا العلم وأفرده بالتأليف بحسب ما وقفت عليه.

(انظر : "الدرر الكامنة " لابن حجر 133/5، "طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة 183/1 ،"الأعلام" للزركلي 60/6)

(١) لم أقف على تعيينه ، وهو من علماء القرن السابع ، كما في "أضوء على ظهور علم المناسبة القرآنية" للدكتور عبد الحكيم الأنيس، ونشر هذا البحث في مجلة الأحمدية العدد الحادي والعشرين 1423.
وشهرابان:قرية شرقي بغداد ينسب إليها كثير من العلماء (انظر:"معجم البلدان"للحموي375/3).

(٢) وهو من علماء القرن السابع كما هو ظاهر من نقل الشهراباني عنه فإنه يوحي بأنه معاصر له ، وأما ما شاع عند كثير من المتأخرين من أن هذا النيسابوري هو المتوفى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة فليس بدقيق .
وقد ذكر الدكتور عبد الحكيم الأنيس في بحثه "أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية" أن هذا خطأ شائع وبين أسباب وقوع هذا الخطأ .

(٣) "البرهان في علوم القرآن" 36/1 ، "الإتقان في علوم القرآن" 322/3.

(٤) "البرهان في علوم القرآن" 36/1 ، وانظر "الإتقان في علوم القرآن" 322/3.

وقد أشار البقاعي إلى أن علم المناسبات علم قديم منتشر بين الصحابة والتابعين وقد اعتمدوا عليه في فهم آيات القرآن الكريم يقول البقاعي: " وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا بما في سليقتهم من أفانين العربية، ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية، ثم تناقص هذا العلم حتى انعجم على الناس، وصار إلى حد الغرابة كغيره من الفنون... " [1].

(١) "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور" 1/153- 154.

المبحث الثالث
مراحل علم المناسبات

ذكرنا في المبحث السابق نبذة عن نشأة علم المناسبات ، و تبين لنا أنه علم قديم قد علمه الصحابة فمن بَعدهم إلا أنه لم يظهر بشكل متكامل ، و لم يأخذ صورة واضحة المعالم ككثير من العلوم التي نشأت متفرقة فما لبثت أن قامت على سوقها واستقلت وظهر لها علماؤها المختصُّون بها.

فعلم المناسبة ظل هكذا إلى أن ظهر علماً مستقلاً اعتنى به الرجل المبهم الذي ذكره ابن العربي ، وجاء بعده ابن العربي، ثم ما ورد عن أبي بكر النيسابوري مما ذكره الشهراباني [١]،فقد كان يعتني بهذا العلم في درسه ، ولكن لم يصل إلينا كتاب مستقل في هذا الموضوع.

و ظل هذا العلم مدة طويلة يشير إليه بعض المفسرين في ثنايا كتبهم كالزمخشري [٢]في "الكشاف" فإنه قد أشار إلى بعض المناسبات،وكذلك الفخر الرازي [٣] في كتابه "مفاتيح

---

(١) انظر : ص27

(٢) هو محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي أبو القاسم ، ولد سنة سبع وستين وأربعمائة ، لغوي مفسر متكلم ، من كبار المعتزلة ، جاور بمكة زماناً فقيل له : جار الله ، صنف كتباً كثيرة منها : "أساس البلاغة" ، "الأنموذج في النحو"، "الفائق في غريب الحديث "، "الكشاف عن حقائق التنزيل " ، "المفصل في النحو" توفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة .
(انظر : "البداية والنهاية" لابن كثير 724/6 ، "طبقات المفسرين "للسيوطي ص 104 ،"الأعلام" للزركلي 178/7)

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن فخر الدين الرازي الشافعي ، يعرف بابن الخطيب ، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، مفسر متكلم لغوي فقيه ، له مصنفات منها : "أساس التقديس" ، "الأربعون في أصول الدين " ، "التفسير الكبير" ، "المحصول في أصول الفقه" ،"نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" ، توفي سنة ست وستمائة .
(انظر : "البداية والنهاية" لابن كثير 65/7 ، "طبقات المفسرين" للسيوطي ص100 ، "الأعلام" للزركلي 313/6)

الغيب"، والمرسي[١] في تفسيره "ري الظمآن في تفسير القرآن" ،و أبو حيَّان [٢] في كتابه "البحر المحيط"، ،وأبو السعود[٣] في تفسيره " إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" و الآلوسي[٤] في تفسيره " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني".

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد المرسي،أبو عبد الله ،ولد سنة سبعين وخمسمائة، أديب مفسر محدث ، أصله من مرسية بالأندلس وتنقل في البلاد ثم استقر في المدينة ، من كتبه :"التفسير الكبير،واسمه ري الظمآن في تفسير القرآن" ،"التفسير الأوسط"،"التفسير الصغير" ،"الكافي في النحو" ، توفي سنة خمس وخمسين وستمائة.

(انظر:"نفح الطيب" للتلمساني 242/2، "طبقات المفسرين" للسيوطي ص 91،"الأعلام" للزركلي 233/6)

(٢) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي، أبو حيان ، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة، كان ثبتاً قيماً عارفاً باللغة والتفسير و إماماً في النحو والتصريف ، له مصنفات كثيرة منها : "إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب" ، "البحر المحيط"، "التذييل والتكميل شرح التسهيل" ، "منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك" ، ، توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة .

(انظر : "الدرر الكامنة" لابن حجر 58/6 ، "بغية الوعاة" للسيوطي 280/1 ، "شذرات الذهب" لابن العماد 145/6 ، "الأعلام" للزركلي 152/7)

(٣) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود ، ولد سنة ثمان وتسعين ثمانمائة ، مفسر شاعر ، من علماء الترك المستعربين ، يعرف اللغة العربية والفارسية والتركية ، ولي القضاء والإفتاء ، له مؤلفات منها :" "إرشاد العقل السليم " إلى مزايا الكتاب الكريم" ، "رسالة في المسح على الخفين" ،"قصة هاروت وماروت"توفي سنة اثنين وثمانين وتسعمائة.

(انظر : "شذرات الذهب" لابن عماد 398/8 ، "الأعلام" للزركلي 7 /59)

(٤) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي البغدادي شهاب الدين أبو الثناء ، ولد سنة سبع عشرة ومائتين وألف ، أديب مفسر ، تقلد الإفتاء ثم انقطع للعلم ، له مؤلفات كثيرة منها : "الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية" ، "دقائق التفسير" ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" ، "نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول" ، توفي سنة سبعين ومائتين وألف.

(انظر : "حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر" لعبد الرزاق البيطار 1450/3 ، "الأعلام" للزركلي 176/7)

ثم تبعهم كثير من المعاصرين كمحمد رشيد رضا[١] في تفسيره " المنار" ، وسيد قطب [٢] في تفسيره " ظلال القرآن" ، والطاهر ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" وغيرهم.

ومن أقدم المصنفات التي وصلت إلينا في علم المناسبات خاصةً ــ دون خلطها بعلم التفسير ــ ما صنفه أحمد ابن الزبير الأندلسي الغرناطي[٣] في كتابه " البرهان في تناسب سور القرآن" ولكنه قد خصَّه بذكر المناسبات بين سور القرآن و لم يتعرض للمناسبات بين الآيات إلا بإشارات يسيرة.

ثم جاء بعده برهان الدين البقاعي فأفرد له كتاباً مفيداً سماه " نظم الدرر في تناسب الآيات

---

(١) هو محمد بن رشيد بن علي رضا بن محمد الحسيني القلموني البغدادي الأصل ، ولد سنة اثنين وثمانين ومائتين وألف بقلمون من أعمال طرابلس الشام ، أديب مؤرخ مفسر ، من رجال الإصلاح الإسلامي ، كتب في بعض الصحف ، أصدر مجلة "المنار" ، له مؤلفات كثيرة منها : "أصول التشريع العام" ، "تفسير المنار" ، "الخلافة" ، "نداء للجنس اللطيف" ، "الوحي المحمدي"، توفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف.
(انظر : "الأعلام" للزركلي 126/6)

(٢) هو سيد بن قطب بن إبراهيم بن حسين، ولد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف بمصر ، كان أديباً كاتباً ناقداً مفسراً ، عين مدرساً للغة العربية ثم موظفاً في وزارة المعارف ثم أوفد إلى أمريكا لدراسة برامج التعليم ، بعدها رجع إلى مصر وانضم إلى جماعة الإخوان ، له مؤلفات كثيرة منها : "التصوير الفني في القرآن" ،"في ظلال القرآن" ، "المستقبل لهذا الدين" ، "مشاهد القيامة في القرآن" ، "معالم على الطريق"اعتقل أكثر من مرة ، ثم قتل سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وألف.
(انظر : "الأعلام" للزركلي 147/3 ، "سيد قطب ، الأديب الناقد" لصلاح الخالدي ص49و274)

(٣) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم العاصمي الثقفي الغرناطي المالكي ، أبو جعفر ،ولد سنة سبع وعشرين وستمائة بمدينة جيان بالأندلس ، عالم بالعربية وتجويد القرآن والحديث ، كان فصيحاً مفوهاً حسن الخط ، عني بالرواية والإكثار من الشيوخ ، صنف مصنفات كثيرة منها : "الإعلام بمن ختم به القطر الأندلس من الأعلام" ، "إيضاح السبيل في حديث جبريل" ، "البرهان في تناسب سور القرآن" ، "سبيل الرشاد في فضل الجهاد" ، "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل"، توفي سنة ثمان وسبعمائة .
(انظر : "الدرر الكامنة" لابن حجر 96/1 ، "بغية الوعاة" للسيوطي 291/1 ، ""الأعلام"للزركلي 86/1)

والسور " وقد استفاد البقاعي استفادة عظمى من "البرهان" لأحمد ابن الزبير وأورد جل كتابه في مطلع تفسيره لكل سورة من سور القرآن ونص على أنه سيذكر ما في "البرهان" بلفظه في مطلع كل سورة(١).

وأشار البقاعي(٢) إلى أنه وقف على تفسير الحرالي (٣)واستفاد منه في المناسبات ونقل عنه، وكذلك استفاد من كتابه الآخر المسمى "مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل"، واستفاد أيضاً من تفسير لابن النقيب الحنفي(٤) المسمى "التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير"(٥).

ويعد كتاب البقاعي عمدة كل من كتب في هذا العلم إلى يومنا هذا ، حيث لم يترك سورة ولا آية إلا وبين مناسبتها لما قبلها.

ثم جاء بعد البقاعي الحافظُ السيوطي (٦) فصنف كتابه "قطف الأزهار في كشف الأسرار" ،

---

(١) انظر "نظم الدرر" 6/1.

(٢) انظر "نظم الدرر" 10/1

(٣) هو علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيي الحرالّي الأندلس ، أبو الحسن ، ولد بمراكش ، جال في البلاد وشارك في عدة فنون ، ومال إلى علم الكلام ، من مصنفاته : "الإيمان التام بمحمد عليه السلام " ، "تفهيم معاني الحروف" ، "التوشية والتوفية" ، "عروة المفتاح" ، "مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل" توفي سنة سبع وثلاثين وستمائة .

(انظر :"سير أعلام النبلاء" للذهبي 23/ 47، "طبقات المفسرين" للسيوطي ص65 ، "الأعلام" للزركلي 257/4)

(٤) هو محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين البلخي المقدسي الحنفي ، جمال الدين أبو عبد الله ، ولد سنة إحدى عشرة وستمائة ، كان عالماً زاهداً عابداً متواضعاً ، صرف همته أكثر دهره إلى التفسير توفي سنة ثمان وتسعين وستمائة .

(انظر :"طبقات المفسرين" للسيوطي ص 87 ، "شذرات الذهب" لابن العماد 442/5 ، "الأعلام" للزركلي150/6)

(٥) انظر "نظم الدرر" 10/1.

(٦) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر الخضيري السيوطي ، جلال الدين ، ولد سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، إمام حافظ مفسر مؤرخ أديب لغوي نحوي ، اعتزل الناس لما بلغ الأربعين ، وتفرغ للعبادة والتصنيف ، ومؤلفاته كثيرة جداً متعددة الفنون ، منها المطول ومنها الرسالة الصغيرة ، فمن مصنفاته :"الإتقان في علوم القرآن" ، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة" ، "تاريخ

ووصفه بأنه كافل بهذا العلم وجامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة ثم لخص منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سماه " تناسق الدرر في تناسب السور"[١] ، وألف أيضاً كتابه "مراصد المطالع في تناسق المقاطع والمطالع" [٢] وهو في مناسبة مطالع السور لخواتمها.

وهذا الكلام الذي سبق كله يتعلق بتاريخ التطبيق العملي لهذا الفن سواء أكان ضمن كتب التفسير أو كان في مصنفات مستقلة.

أما ما يتعلق بالتنظير والتقعيد لمعالمه الفنية وقواعده المنهجية التي يمكن أن يسير عليها من يريد سلوك طريق هذا العلم فهناك كلام متناثر في كتب علوم القرآن كما في "البرهان في علوم القرآن " [٣] للزركشي و"الإتقان في علوم القرآن "[٤] للسيوطي، فقد خصص له الزركشي النوع الثاني من أنواع علوم القرآن، وخصص له السيوطي النوع الثاني والستين، وخصص له ابن عقيلة [٥] النوع الثاني والعشرين بعد المائة

الخلفاء" ، "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" ، "طبقات المفسرين" توفي سنة إحدى عشرة وتسعمائة.

(انظر :"الضوء اللامع" للسخاوي 65/4 ، "شذرات الذهب" لابن العماد 51/8 ، "الأعلام" للزركلي 301/3)

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن 322/3

(٢) انظر الإتقان في علوم القرآن 330/3

(٣) انظر "البرهان في علوم القرآن" 35/1 ــ 52.

(٤) انظر "الإتقان في علوم القرآن" 322/3-338

(٥) هو محمد بن أحمد بن سعيد بن مسعود الحنفي المكي ،أبو عبد الله ، المعروف بابن عقيلة،ولد بمكة ، مؤرخ مشتغل بالحديث والتفسير ، عمل مدرساً بالحرم المكي ، من مؤلفاته : "الجوهر المنظوم في التفسير بالمرفوع من كلام سيد المرسلين والمحكوم" ، "رسالة في إهداء ثواب القرآن للأنبياء وغيرهم"،"الزيادة والإحسان في علوم القرآن"،"القول النفيس في الرد على أسئلة إبليس"،"المواهب الجزيلة في مرويات ابن عقيلة"،توفي سنة خمسين ومائة وألف .

(انظر : "سلك الدرر" للمرادي 30/4 ، "الرسالة المستطرفة" للكتاني" ص 84 ، "الأعلام" للزركلي 13/6)

في كتابه "الزيادة والإحسان في علوم القرآن" [١]، ثم تتابعت الكتابة في هذا العلم مع اعتماد كبير على ما ذكره الزركشي والسيوطي.

إلا أن أعظم من تحدث عن هذا الموضوع من جهة التنظير والتقعيد هو عبد الحميد الفراهي [٢] في كتابه "دلائل النظام" [٣].

ثم تتابع المعاصرون في الكتابة في هذا العلم تنظيراً وتقعيداً، فممن ألف في ذلك عبدالله الغماري [٤] ،فقد صنف كتابه " جواهر البيان في تناسب سور القرآن" ولكنه اقتصر على المناسبة بين سور القرآن و لم يتعرض للمناسبة بين الآيات ، وتكلم على ترتيب السور ومذاهب العلماء في ذلك وانتصر للرأي القائل بالتوقيف وتحدث عن المناسبة وشرفها.

وكذلك الدكتور محمد أحمد القاسم في كتابه "الإعجاز البياني في ترتيب سور القرآن" و هو

---

(١) انظر " الزيادة والإحسان في علوم القرآن" 296/6

(٢) هو عبد الحميد الأنصاري الفراهي ، حميد الدين أبو أحمد ، ولد سنة ثمانين ومائتين وألف في الهند ، أديب شاعر مفسر ، كان حاد الذهن ، متوقد الذكاء ، تعلم اللغة العربية والإنجليزية والعبرية ، مع علمه بالفارسية و الأوردية ، عمل مدرساً للعلوم العربية ، ثم انقطع إلى تدبر القرآن والنظر فيه وصرف همته إليه ، له مصنفات كثيرة منها: "أساليب القرآن" ، "أسباق النحو ـــ باللغة الأوردية" ، "إمعان في أقسام القرآن" ، "دلائل النظام"، "ديوان شعر ـــ باللغة العربية وآخر باللغة الفارسية" ، "الدر النضيد في النحو الجديد" ، "الرأي الصحيح في من هو الذبيح" ، "مفردات القرآن" ، "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" ، توفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وألف.

(انظر : "ترجمة الفراهي" للسيد سليمان الندوي في مقدمة "إمعان في أقسام القرآن"للفراهي ص15)

(٣) انظر "مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور" لعادل أبو العلا ص 17 و ص61 وص83-91.

(٤) هو عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني الطنجي ، أبو الفضل ، ولد بطنجة سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف ، عالم بالحديث والتفسير واللغة ، لزم علماء طنجة، ثم قصد مصر فحصل على شهادة عالمية الأزهر ، ثم اشتغل بالتدريس وتفوق فيه ، أجاز له علماء عصره ، صنف مصنفات كثيرة منها :"الابتهاج في تخريج أحاديث المنهاج" ، "إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان" ، "جواهر البيان في تناسب سور القرآن" ، "حسن البيان في ليلة النصف من شعبان" ، "كمال الإيمان في التداوي بالقرآن" ، توفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وألف.

(انظر :"إتمام الأعلام"لنزار أباظة ومحمد المالح ص172" ، "ذيل الأعلام" لأحمد العلاونة 133/1)

من أنفس الكتب التي تحدثت عن هذا الموضوع[١].

وألف أيضاً الدكتور عادل محمد صالح أبو العلا كتابه " مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور" فتناول تعريف علم المناسبة ، ونسبته إلى علوم القرآن ، وتحدث عن تاريخ هذا العلم وأبرز أعلامه ، ثم أورد نماذج تطبيقية على هذا العلم الشريف.

وسيأتي في البحث السابع من هذا القسم سردٌ لأهم الكتب في علم المناسبات.

---

(١) انظر "المحرر في علوم القرآن" للدكتور مساعد الطيار ص180

المبحث الرابع
أقسام علم المناسبات

تحدث ثلة من العلماء عن أقسام علم المناسبات ، ولا شك أن التقسيم للعلوم إنما هو أمر اصطلاحي،ولذلك تنوعت التقسيمات عندهم لهذا العلم، وتداخل بعضها في بعض .

ويمكن أن نجمل المناسبات في قسمين رئيسين ،وكل قسم من هذين القسمين يندرج تحته عدة أنواع:

القسم الأول: المناسبات في السورة الواحدة.

١. المناسبة بين اسم السورة وموضوعها أو مضمونها.
٢. المناسبة بين مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له ، وهذه تدخل في براعة الاستهلال.
٣. المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها.
٤. المناسبة بين فاتحة السورة وما بعدها من الآيات[1].
٥. المناسبة بين الآية والآية التي قبلها.
٦. المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة.
٧. المناسبة بين فواصل الآي.

القسم الثاني: المناسبات بين السور.

١. المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة السورة التي قبلها.
٢. المناسبة بين فاتحة السورة وفاتحة السورة التي قبلها.
٣. المناسبة بين الألفاظ الورادة في سورتين.

---

(١) وهذه قد ذكرها ابن عاشور في أول تفسير سورة الصف، ولم أجدها عند غيره، انظر "التحرير والتنوير" 174/28

٤. المناسبة بين موضوع السورة وموضوع السورة التي قبلها[١].

(١) انظر هذه الأقسام مع أمثلتها في " مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور" لعادل أبو العلا ص103–120 ، " دراسات في علوم القرآن " للدكتور فهد الرومي ص 450 ، "علم المناسبات في القرآن" للدكتور محمد بن عبد العزيز الخضيري في مجلة البيان العدد (146) ص20 ، "علم المناسبات في القرآن الكريم" بحث للدكتور صدقي عبد الحميد محمد نُشِرَ في "حولية كلية المعلمين في أبها" العدد (5) ص125 ، "المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم"لعبد الله الخطيب ومصطفى مسلم وهو بحث نشر في مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية العدد 2 "علم المناسبات في السور والآيات" للدكتور محمد بن عمر بازمول ص28.

المبحث الخامس
أهمية علم المناسبات

علم المناسبات علم جليل القدر كبير المنفعة ، وهو من أجَلِّ علوم القرآن باعتباره علماً دقيقاً يتطلب فهماً واسعاً لمقاصد القرآن الكريم ومعرفة لنظمه وتذوقاً لبيانه وإعجازه.

وقد أطنب العلماء في ذكر فضل هذا العلم وعلو شأنه ورفعة منزلته وحضُّوا على تعلمه والعناية به.

قال ابن العربي "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم"(١).

وقال فخر الدين الرازي: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"(٢).

وقال عز الدين ابن عبد السلام(٣): "المناسبة علم حسن " ، ثم ذكر قيوداً لمن أراد الخوض في هذا العلم(٤)، وسيأتي اعتراضه على من تكلف في تطبيق هذا العلم.

وقال ابن القيم(٥):"وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت أو الرسالة أو الخطبة بعضها

---

(١) البرهان في علوم القرآن 36/1

(٢) مفاتح الغيب 145/10

(٣) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي الشافعي ، ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، فقيه أصولي محدث مفسر ، قيل : إنه بلغ رتبة الاجتهاد ، ولي الخطابة بالجامع الأموي ، وولي القضاء والخطابة بمصر ، من مؤلفاته :"الإلمام في أدلة الأحكام" ، "الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز" ، "بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ" ، " التفسير الكبير" ، "الفرق بين الإيمان والإسلام" ، "قواعد الأحكام في إصلاح الأنام" ، توفي سنة ستين وستمائة.

(انظر :"تاريخ الإسلام" للذهبي 416/48 ، "طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة 109/2 ، "الأعلام" للزركلي 21/4)

(٤) انظر البرهان في علوم القرآن 37/1 والإتقان في علوم القرآن 322/1

(٥) هو محمد بن أبي بكر بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف بابن قيم الجوزية

ببعض من أوله إلى آخره ، ولهذا قيل : خير الكلام المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض ، والقرآن العظيم آياته كلها كذلك فاعرفه"[١].

وقال الزركشي: "اعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول".

وقال: "قال بعض الأئمة: من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ، لئلا يكون منقطعاً"[٢].

وقال أيضاً: "هذا النوع يهمله بعض المفسرين ، أو كثير منهم ، وفوائده غزيرة" [٣].

وقال البقاعي: "بهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب" [٤].

وقال أيضاً ــ وهو يتحدث عن إعجاز القرآن وحجيته ــ " أما من جهة التركيب فلكون كل كلمة منها أحق في مواضعها بحيث إنه لو قدم شيء منها أو أخر لاختل المعنى المراد في ذلك السياق بحسب ذلك المقام، وأما من جهة الترتيب في الجمل والآيات والقصص في المبادئ والغايات فلكونه مثل تركيب الكلمات، كل جملة منتظمة بما قبلها انتظام الدر اليتيم في العقد

، ولد سنة إحدى وتسعين ستمائة ، فقيه أصولي محدث مفسر نحوي ، كان بحراً زاخراً بألوان العلوم والمعارف ، مبرزاً في فقه الكتاب والسنة وأصول الدين واللغة العربية وأصول الكلام وعلم السلوك وغيرها ، لازم شيخه ابن تيمية ملازمة وأخذ عنه الكثير من العلوم واستفاد من طريقته ، رد على كثير من الطوائف ، له مؤلفات كثيرة منها : "أحكام أهل الذمة" ، "إعلام الموقعين عن رب العالمين" ، "التبيان في أقسام القرآن" ، "تحفة المودود في أحكام المولود" ،"عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين" ،"مدارج السالكين" ، "المنار المنيف في الصحيح والضعيف" ، "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى" ، توفي سنة إحدى وخمسين وسبعمائة.

(انظر :"البداية والنهاية" لابن كثير 659/7 ، "الدرر الكامنة" لابن حجر 137/5 ، "الأعلام" للزركلي 65/6)

(١) "الفوائد المشوق إلى علوم القرآن والبيان" ص224 ، وهذا الكتاب قد شكك في نسبته إلى ابن القيم الدكتور بكر أبو زيد ــ رحمه الله ــ في كتابه "ابن قيم الجوزية ؛ حياته وآثاره" ص 184 ، وانظر :"كتب حذر منها العلماء" لمشهور بن حسن آل سلمان 324/2.

(٢) البرهان في علوم القرآن 36/1

(٣) البرهان في علوم القرآن 36/1

(٤) "نظم الدرر" 10/1

المحكم النظيم، لأنها إما أن تكون علة لما تلته أو دليلاً أو متممة بوجه من الوجوه الفائقة على وجه ممتع الجناب جليل الحجاب لتكون أحلى في فمه، وأجلى بعد ذوقه في نظمه وسائر علمه"(١).

وقال السيوطي: "علم المناسبة علم شريف ، قلَّ اعتناء المفسرين به لدقته"(٢).

وقال محمد الطاهر ابن عاشور: "اهتممت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض ، وهو منزع جليل"(٣).

هذه أقوال علماء محققين مارسوا علم التفسير وألفوا فيه وفي علومه ، وتبين لهم أهمية هذا العلم،وكل منهم قد مارس تطبيق هذا العلم في أحد مصنفاته ، سواء أكانت مؤلفات خاصة بالتفسير أو مؤلفات جامعة لعلوم القرآن.

وبهذه الأقوال نعرف قيمة هذه العلم وعلو منزلته وكثرة فوائده ، و هذه الأقوال كما نرى مؤيدة لهذا العلم ومبينة أهميته ، ولكن قد وجد من العلماء من لهم موقف آخر من هذا العلم،حيث قللوا من شأنه وانتقدوا المعتنين به ، ورأوا أن هذا العلم علم متكلف.

وأشهر من اعترض على هذا العلم سلطان العلماء عز الدين ابن عبد السلام ثم تبعه على ذلك أفراد من العلماء منهم عالم اليمن محمد علي الشوكاني(٤).

ومع اعتراض ابن عبد السلام على هذا العلم إلا أنه قد نص على حسنه حيث قال:" المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ،

(١) "نظم الدرر" 233/19

(٢) الإتقان في علوم القرآن 322/3

(٣) "التحرير والتنوير" 8/1

(٤) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، ولد سنة ثلاث وسبعين وإحدى عشرة ، عالم يمني مفسر فقيه ،كان يرى يدعو إلى الاجتهاد ويرى تحريم التقليد ، له مؤلفات كثيرة منها :"إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول" ، "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع" ، "التحف في مذهب السلف " ، "الدرر البهية في المسائل الفقهية" ، "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير" ، "الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة" ، توفي سنة خمسين ومائتين وألف. (انظر:"البدر الطالع" للشوكاني نفسه 214/2 ، "الأعلام" للزركلي 298/6)

فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر...

...واعلم من الفوائد أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ، ويتشبث بعضه ببعض لئلا يكون مقطعاً متبراً ، وهذا بشرط أن يكون الكلام في أمر متحد ، فيرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر ، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل على الرسول ــ ﷺ ــ في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض ، إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض؛ مع اختلاف العلل والأسباب"[١]

ثم ذكر أمثلة على ذلك فذكر:

تصرف الملوك في مدة حكمهم وكذلك الحكام والمفتين حيث ترد عليهم أحكام متضادة ووقائع مختلفة ، وليس لأحد أن يلتمس ربط هذه الأحكام ببعض.

وذكر تصرف الإنسان في نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة ، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعضها.

ويتضح من هذا النقل أن حجة ابن عبد السلام هي أن القرآن نزل منجماً حسب الوقائع والمناسبات في أكثر من عشرين سنة فكيف يمكن أن تطلب المناسبة بين هذه الوقائع التي وقعت خلال هذه المدة الطويلة؟.

وقد احتج الشوكاني بنحو ما احتج به ابن عبد السلام حيث قال في تفسيره عند قوله تعالى: (ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ)[٢] :

"اعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فنّ لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلف بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات، وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء، فضلاً عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك

---

(١) انظر "الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز" لعز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام ص278

(٢) البقرة:40.

بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهمّ من التأليف،كما فعله البقاعي في تفسيره، ومن تقدّمه، حسبما ذكر في خطبته، وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال ينزل مفرّقاً على حسب الحوادث المقتضية لنزوله، منذ نزول الوحي على رسول الله > إلى أن قبضه الله – عزّ وجل – إليه، وكل عاقل فضلاً عن عالم لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها، بل قد تكون متناقضة، كتحريم أمرٍ كان حلالاً، وتحليل أمر كان حراماً، وإثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ما كان قد ثبت لهم قبله، وتارة يكون الكلام مع المسلمين، وتارة مع الكافرين، وتارة مع من مضى، وتارة مع من حضر، وحيناً في عبادة، وحيناً في معاملة، ووقتاً في ترغيب، ووقتاً في ترهيب، وآونة في بشارة، وآونة في نذارة، وطوراً في أمر دنيا، وطوراً في أمر آخرة، ومرة في تكاليف آتية، ومرة في أقاصيص ماضية، وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف، ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الائتلاف ، فالقرآن النازل فيها هو باعتباره نفسه مختلف كاختلافها ، فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضبِّ والنُّون[1] ، والماء والنار ، والملاح والحادي[2]؟ "

ثم بين أن هذا يفتح أبواب الشك والريب على من كان في قلبه مرض فإن وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن ظن أن هذا أمر لابد منه ولا يتبين إعجاز القرآن إلا به فإن رجع إلى ما كتبه بعضهم وجده متكلفاً متعسفاً.

ثم بين أن هذا العلم مبني على فرض أن نزول القرآن كان مرتباً وبين أنه لم يكن كذلك.

ثم قال: "وإذا كان الأمر هكذا، فأيّ معنى لطلب المناسبة بين آيات نعلم قطعاً أنه قد تقدّم في ترتيب المصحف ما أنزله الله متأخراً، وتأخر ما أنزله الله متقدماً، فإن هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه، ممن تصدّى لذلك من الصحابة".

---

(١) الضب : دويبة على حدِّ فرخ التمساح الصغير وذنبه كذنبه ، انظر "حياة الحيوان" للدميري 704/2.

والنون : هو الحوت ، انظر "حياة الحيوان" للدميري 122/4.

(٢) الملاح : هو قائد السفينة وصاحبها ، وسمي بالملاح لملازمته الماء الملح ، انظر :"لسان العرب" لابن منظور 599/2 مادة (ملح) .

والحادي : هو الذي يسوق الإبل ويغني لها ، انظر "لسان العرب" لابن منظور 168/14 مادة (حدا).

ومحتوى كلام الشوكاني لا يخرج عما قاله العز ابن عبد السلام ،والحجة هي الحجة إلا أن الشوكاني أضاف وجهاً آخر يرى أنه يعضد رأيه وهو المقارنة بين من يطلب المناسبة بين آيات القرآن وسوره وبين من يطلب المناسبة بين كلام الخطيب البليغ أو ما قاله شاعر من الشعراء في أغراض وأوقات مختلفة؛ فعمد إلى ذلك الكلام طالباً المناسبة بين مقاطعه وفقره ، ثم طلب المناسبة بين خطبه التي ألقاها بأغراض وأوقات مختلفة ويقال ذلك في كلام الشاعر.

ثم وصف من يعمد إلى طلب تلك المناسبات بأنه يعد " مصاباً في عقله، متلاعباً بأوقاته، عابثاً بعمره الذي هو رأس ماله"(١).

فهاهنا اعتراضان:

الأول: أن القرآن نزل منجماً في أكثر من عشرين سنة فكيف تطلب المناسبة بين السور والآيات في هذا المدة الطويلة والأغراض المختلفة؟.

الثاني: أن من يطلب المناسبة بين آيات القرآن وسوره كمن يطلب المناسبة بين كلام الخطيب وكذلك من يطلب المناسبة بين كلام الشاعر.

أما عن الاعتراض الأول ، فالجواب عنه قد ذكره الزركشي في "البرهان في علوم القرآن" حيث قال:

"قال بعض مشايخنا المحققين(٢):

قد وهم من قال: لا يُطلب للآية الكريمة مناسبة لأنها حسب الوقائع المتفرقة.

وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً ، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، وحافظ القرآن العظيم لو استفتي في أحكام متعددة، أو ناظر فيها، أو أملاها، لذكر آية كل حكم على

---

(١) انظر " فتح القدير"للشوكاني 1/171-174

(٢)صرح باسمه البقاعي في "نظم الدرر" 1/8 والسيوطي في الإتقان في علوم القرآن "3/323 فقد ذكرا أنه : ولي الله (وفي نسخة : ولي الدين وهي كذلك عند السيوطي ، وفي "طبقات الشافعية") محمد بن أحمد الملوي المنفلوطي الشافعي .

ولد سنة ثلاث عشرة وسبعمائة بمصر ، فقيه أصولي مفسر ، توفي سنة أربع وأربعين وسبعمائة (انظر : "طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة 3/112.

ما سئل، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتي ولا كما نزل مفرقاً؛ بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه فإنما هو كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير"[١]

وقريب من هذا ما قاله الدكتور محمد عبد الله دراز[٢] حيث قال " وأنا زعيم بأنك لن تجد ألبتة في نظام معانيها أو مبانيها ما تعرف به أكانت هذه السورة قد نزلت في نجم واحد أم في نجوم شتى.."

و " لتقولن إنها إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع ، كمثل بنيان كان قائماً على قواعده فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه قُدِّرت أبعاده ورُقِّمت لبناته ، ثم فُرِّق أنقاضاً فلم تلبث كل لبنة منه أن عرفت مكانها المرقوم ، وإذا البنيان قد عاد مرصوصاً يشد بعضه بعضاً كهيئته أول مرة "[٣].

وهناك جواب آخر ذكره ابن عقلية المكي ـــ معلقاً على كلام ابن عبد السلام ـــ حيث قال:" ليس الأمر كذلك ، بل مناسبة الآيات بعضها لبعض من أول المصحف إلى آخره حاصلة تامة على أحسن وجه وأكمل منوال ، ولكن الناس تختلف أفهامهم في وجه المناسبة ، فبعضهم يظهر له معنى بعيد ضعيف ، وبعضهم يظهر له معنى حسن قوي ، فالمناسبة بين الآيات حاصلة، وحسن ذلك وضعفه راجع إلى حسن الأفهام"[٤].

---

(١) انظر "البرهان في علوم القرآن" للزركشي 37/1

(٢) محمد بن عبد الله دراز ، ولد سنة اثني عشرة وثلاثمائة وألف بمصر ، فقيه مفسر ، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر ، حصل على شهادة العالمية ، تعلم اللغة الفرنسية بمجهوده الخاص ، كان من المدافعين عن الإسلام ضد مهاجميه في الصحف ، درس في القسم العالي بالأزهر ثم بقسم التخصص ثم بكلية أصول الدين ثم كلية دار العلوم ثم كلية اللغة العربية ، اختير عضواً في عدة لجان كاللجنة العليا لسياسة التعليم واللجنة الاستشارية للثقافة بالأزهر ، من مؤلفاته وبحوثه :"الأزهر ، الجامعة القديمة والحديثة" ، "أصل الإسلام" ،"الدين" ، "دستور الأخلاق في القرآن" ، "الربا في نظر القانون الإسلامي "، "مدخل إلى القرآن الكريم" ، "النبأ العظيم " ، توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف.
(انظر :مقدمة"النبأ العظيم" للناشر ص 6 ، "الأعلام" للزركلي 6/ 246 ، "نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر" للدكتور يوسف لمرعشلي 1282/2)

(٣) انظر " النبأ العظيم" لمحمد عبد الله دراز ص154-155.

(٤) انظر " الإحسان في علوم القرآن" لابن عقيلة 299/6.

بقي أن يقال: ليست جميع السور القرآنية نزلت منجمة ، فقد نزل بعضها جملة واحدة كسورة الأنعام[١] وكثيرٍ من قصار السور ، وكثيرٌ من المقاطع الطويلة من بعض السور نزلت جملة واحدة ، فكيف لا تطلب المناسبة بين الآيات في هذه السور والمقاطع؟

أما الاعتراض الثاني فالجواب عنه أن يقال: إنه قياس مع الفارق ، فكلام الله ليس ككلام غيره من البشر؛ بل بينهما من الفرق ما الله به عليم، فلا يقاس كلام الله تعالى المعجز الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه بكلام غيره الذي يعتريه النقص والعجز ، والله قد وصف كتابه بالحكمة في قوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ)[٢] فهو ذو حكمة لاشتماله على الحكمة والحق والحقائق العالية[٣]، ووصفه الله بالإحكام في قوله تعالى: (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ں ں)[٤]

والكلام لا يوصف بالحكمة أو الإحكام إلا إذا كان حسن التآلف تام التناسق ، وآيات القرآن يشبه بعضها بعضاً في الإحكام والتناسق قال الله تعالى: (ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ)[٥]

ثم إننا لا نسلم لما قاله الشوكاني بأن طلب المناسبة في كلام الشاعر والخطيب ضرب من العبث ، وذلك أن القصيدة والخطبة تستحسن إذا كانت متناسبة الأجزاء مترابطة الموضوعات ، وهناك دراسات في علم النقد الأدبي تعنى بالتماس هذه المناسبة واصطلحوا على تسميتها بالوحدة العضوية ، وبينوا أن هناك روحاً خاصة تسري في كلام كل واحد من فحول الشعراء

---

(١) كما في "المعجم الصغير" للطبراني رقم (220) 145/1 ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((نزلت عليَّ سورة الأنعام جملة واحدة ، وشيَّعها سبعون ألفاً من الملائكة ، لهم زجل بالتسبيح والتحميد)).

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" 86/7 : "فيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف" .

وفي "المعجم الكبير" للطبراني رقم (12930) 215/12 ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة ، حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح) .

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" 75/7 :"فيه علي بن زيد وهو ضعيف" ، وفي الباب أحاديث وآثار كثيرة.

(٢) يونس:1.

(٣) انظر "التحرير والتنوير" 82/11

(٤) هود:1.

(٥) الزُّمَر:23.

والبلغاء ولكن لا يدركها إلا غواص خبير[١].

وإن من الإنصاف لهذين العالمين الجليلين أن نلتمس لهما العذر في ذلك، فهما ـــ يقيناً ـــ لم يقدحا في هذا العلم إلا رغبة في صيانة كتاب الله من التكلف ، وحرصاً على سد جميع الطرق المؤدية إلى القدح فيه، وتحذيراً من القول على الله بلا علم.

ومن الأسباب الداعية إلى نقد هذا العلم ما يُرى في بعض كتب علم المناسبات حيث قنع بعضهم بما هو أوهن من نسج العنكبوت وأتى بكل رابط ضعيف.

وكذلك من الأسباب ما نراه من إكثار الوجوه في التأويل ، وإكثار الجدل ، وذلك أن النظم يجري على وحدة واحدة فإذا أكثرت الوجوه وكانت متناقضة فحينئذ يتحير الناظر إليها ولا يدري أي وجه هو الأقرب إلى الصواب[٢].

وبالجملة فعلم المناسبات علم دقيق لا يخوض غماره إلا الخاصة من العلماء الذين لديهم تبحر في علوم الشريعة وعلوم اللغة العربية وغيرها من العلوم المعينة على استنباط المناسبة.

وإذا تدبرنا كلام العز ابن عبد السلام يتبين لنا أنه لا يعترض على هذا العلم كله ، كيف وقد قال: إنه "علم حسن"[٣] ، فهو لا يمنع تلمس ارتباط الكلام إذا كان في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ، وإنما منع من ربط الكلام إذا وقع على أسباب مختلفة و يعد ذلك نوعاً من التكلف.

أما الشوكاني فقد تبع ابن عبد السلام في انتقاد المتكلفين في هذا العلم ولكننا نراه مع ذلك يمتدح كتاب " نظم الدرر " للبقاعي ، ويثني عليه ، وعلى مؤلفه خيراً حيث قال:" ومن أمعن النظر في كتاب المترجم له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علم المعقول والمنقول، وكثيراً ما يشكل على شيء في الكتاب العزيز فأرجع إلى مطولات التفسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي وأرجع إلى هذا

---

(١)انظر "مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور" لعادل أبو العلا ص35

(٢) انظر كلام الفراهي في كتابه "نظام القرآن" نقله عنه في "مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور" ص41

(٣) انظر "الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز" لعز الدين بن عبد السلام ص278.

الكتاب فأجد ما يفيد في الغالب"(١)

ونرى أن الشوكاني نفسه قد ذكر بعض المناسبات في ثنايا تفسيره مما يدلنا دلالة واضحة أنه إنما ينكر التكلف فيه ، والاعتماد على الوجوه الضعيفة.

و هذا يدل أيضاً على إدراك الشوكاني لأهمية هذا العلم ، وأن لديه معرفة به واستنباطات تدل على فهمه وفطنته.

والمواضع التي ذكرها الشوكاني في تفسيره كثيرة منها:

ما قاله في تفسير قوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ)(٢)

قال الشوكاني: " لما ذكر تعالى جزاء الكافرين عقبه بجزاء المؤمنين ليجمع بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد كما هي عادته سبحانه في كتابه العزيز لما في ذلك من تنشيط عباده المؤمنين وتثبيط عباده الكافرين عن معاصيه ".(٣)

وقال عند قوله تعالى: (گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ)(٤) " لما بين الله سبحانه أن ما جرى على المؤمنين يوم أحد كان امتحاناً ليتميز المؤمن من المنافق والكاذب من الصادق بين ههنا أن من لم ينهزم وقتل فله هذه الكرامة والنعمة وأن مثل هذا مما يتنافس فيه المتنافسون لا مما يخاف ويحذر "(٥)

وقال عند تفسير قوله تعالى: (ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ)(٦) إلى قوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ)(٧):" لما أجمل سبحانه أعمال البر في قوله: (ٿ ٿ

---

(١) انظر " البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع" للشوكاني 20/1

(٢) البقرة:25.

(٣)انظر" فتح القدير" للشوكاني 142/1

(٤) آل عمران:169.

(٥) انظر" فتح القدير" للشوكاني 647/1

(٦) الإسراء:22.

(٧) الإسراء:39.

ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ)[1] أخذ فى تفصيل ذلك مبتدئاً بأشرفها الذى هو التوحيد فقال: (ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ)[2] والخطاب للنبى >"[3].

إلى غير ذلك من المواضع الكثيرة التي نجدها في تفسيره وقد استخدم كثيراً من أنواع الروابط بين الآيات ، وكذلك يذكر الشوكاني المناسبات بين السور إلا أنه لم يكن مكثراً من ذلك[4].

---

(١) الإسراء:19.

(٢) الإسراء:22.

(٣) انظر" فتح القدير" للشوكاني 302/3

(٤) انظر على سبيل المثال ماذكره من مناسبة بين خاتمة سورة الأنبياء وفاتحة سورة الحج "فتح القدير" 593/3.

وللاستزادة من موقف الشوكاني من علم المناسبات فهناك بحث للدكتور : أحمد بن محمد الشرقاوي عنوانه "موقف الإمام الشوكاني ــ في تفسيره ــ من المناسبات" وهو غير مطبوع ، نشره في شبكة التفسير والدراسات القرآنية: http://www.tafsir.org

المبحث السادس
فوائد علم المناسبات

لا شك أن اعتناء العلماء بعلم المناسبات ناشئ عن علمهم بأهمية هذا الفن ، وعظم شأنه وكثرة فوائده ، فهو من العلوم الجليلة المهمة ، ولكنه ليس من صلب التفسير بمعنى أنه ليس من الأشياء التي لا يفهم معنى الآية إلا بها ، وإنما هو معين على الفهم ومريح للخاطر ، ومطمئن للقلب ، فإذا عرفه الإنسان ازداد طمأنينة ، وازداد إيماناً ، وهو علم توفيقي اجتهادي ربما يصيب المفسر فيه وربما يخطي.

وهذا ذكر لبعض فوائد ولطائف هذ العلم من حيث الإجمال :

١. أنه وجه من وجوه إعجاز القرآن ، وقد ذكر ذلك كثير ممن ألف في إعجاز القرآن[١].

٢. بهذا العلم يزداد الإيمان في القلب ، ويتمكن من اللب ، وذلك أنه يكشف إعجاز القرآن الكريم.

٣. أنه يبطل الشبهات التي يزعمها بعض المستشرقين الطاعنين في صحة القرآن الذين اعتبروا ترتيب القرآن ثلمة يمكن أن ينفذ من خلالها ، ويزيل الشك الحاصل في القلب بسبب خفاء وجه اتصال الآيات ببعضها.

٤. يُدرك به أسرار التشريع وحكمته وارتباط أحكامه ببعضها دون تناقض أو تنافر.

٥. أنه من أعظم ما يعين على معرفة معنى الآية والترجيح بين الأقوال في ضوء السياق القرآني.

٦. أنه يربي العقل ويعطيه ملكة قوية في حسن التدبر والاستنباط.

٧. أن من يعتني به فقد استجاب لأمر الله تعالى بالتدبر لأن هذا العلم قائم على تدبر القرآن الكريم.

٨. أنه يزيل الإشكال عن علة تكرار بعض قصص القرآن، حيث إنها قد تتكرر في أكثر من موضع من القرآن.

٩. يعلم به ارتباط أجزاء الكلام بعضه ببعض بحيث يصير كحال البناء المحكم المتلائمة أجزاؤه.

---

(١) انظر "إعجاز القرآن " للباقلاني 35/1 و 37.

١٠. فيه إظهار لوجه من وجوه البلاغة وهو ارتباط الكلام واتصاله ببعض.

١١. يحصل به إثبات كون هذا القرآن من عند الله تعالى ، لأن الله جعل هذا الاتساق والتلاؤم بين آياته من دلائل كونه حقاً من لدنه سبحانه وتعالى.

١٢. فيه إعانة على حفظ القرآن الكريم ، فمن علم وجه اتصال الآيات ببعضها سهل عليه حفظها ومعرفة ما قبلها وما بعدها [١].

---

(١) انظر بعض هذه الفوائد في : "نظم الدرر" للبقاعي 8/1 ، "دراسات في علوم القرآن" للدكتور فهد الرومي ص448 ، "علم المناسبات في القرآن" بحث للدكتور محمد بن عبد العزيز الخضيري في "مجلة البيان" عدد 146 ص20 ، "علم المناسبات بين المانعين والمجيزين" للدكتور إبراهيم الهويمل في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود العدد 25 ص99 و 118، "علم المناسبات في السور والآيات" للدكتور محمد بن عمر بازمول ص38.

المبحث السابع
الكتب المعتنية بعلم المناسبات

المؤلفات التي اعتنت بهذا العلم كثيرة يصعب حصرها ، فمنها المطول ومنها المختصر ومنها الرسالة ومنها ما هو أكثر من مجلد.

وهذا ذكر لبعض هذه الكتب مقسمة على عدة أقسام بحسب نوعية الكتب:

القسم الأول: كتب اعتنت بعلم المناسبات خاصة ،وهي خمسة أنواع:

النوع الأول: كتب في المناسبة بين الآيات وبين السور:

١. "**نظم الدرر في تناسب الآيات و السور**": لبرهان الدين البقاعي ، وهو مطبوع.

كتاب ضخم لم يصنف مثله في فنه ، فهو لم يجاوز آية ولا سورة ولا قصة إلا وذكر مناسبتها لما قبلها ، ويعد هذا الكتاب عمدة هذا الفن.

٢. "**أسرار التنزيل**" أو " **قطف الأزهار في كشف الأسرار**" للسيوطي ، وهو مطبوع.

جمع فيه ما توصل إلى علمه من كلام العلماء في النظم القرآني كأسرار التقديم والتأخير والتأكيد والحذف والإيجاز والإطناب والنكت البيانية والأنواع البديعية والتنبيه على القراءات، ثم بين مناسبة ترتيب السور وبين الخفي من مناسبات الآيات ، ولم يكمله؛ بل وصل إلى قوله تعالى: (ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ)[1] [2].

٣. "**سمط الدرر في ربط الآيات والسور**" لمحمد ظاهر بن غلام ، وهو مطبوع.

---

(١) التوبة:92.

(٢) انظر مقدمة الكتاب بتحقيق : محمد أحمد الحمادي 1/95-98.

النوع الثاني: كتب خاصة بالمناسبات بين السور:

١. **"البرهان في تناسب سور القرآن"** لأحمد ابن الزبير ، وهو مطبوع.

٢. **"تناسق الدرر في تناسب السور"** للسيوطي ، وهو مطبوع.

لخصه من كتابه " أسرار التنزيل"[١].

٣. **"جواهر البيان في تناسب سور القرآن"** لعبد الله الغماري ، وهو مطبوع.

النوع الثالث: كتب خاصة بالمناسبات بين الآيات:

1. **"ترتيب آي القرآن"** لأبي بكر ابن العربي المالكي ، وهو غير مطبوع ، ولم أطلع على من ذَكَرَ مكان وجوده مخطوطاً.

قال ابن العربي ــ متحدثاً عن علم المناسبات: "فتح الله ــ عز وجل ــ لنا فيه ، فلما لم نجد له حملة ، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه ، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه" [٢].

وقد وجدته سمى هذا الكتاب "ترتيب آي القرآن" كما في كتابه "الناسخ والمنسوخ حيث قال: " ترتيب آي القرآن ، وهو كتاب أخفيناه بعد أن جمعناه لما رأينا فيه من علوه على أقدار أهل الزمان ، وأنه ليس له في هذه الأقطار حفي فوضعناه في سرب[٣] خفي" [٤].

النوع الرابع: كتب خاصة بالمناسبة بين خواتم السور وخواتم ما قبلها:

١. **"مراصد المطالع في تناسب المقاطع و المطالع"** للسيوطي ، وهو مطبوع.

النوع الخامس: كتب تنظيرية و تقعيدية:

١. **"دلائل النظام"** لعبد الحميد الفراهي وهو مطبوع ، ولم يكمل.

---

(١) انظر "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي 322/3

(٢) انظر " البرهان في علوم القرآن" للزركشي 36/1

(٣) السرب : الحفير تحت الأرض ، انظر "القاموس" ص96 مادة (سرب).

(٤) "الناسخ والمنسوخ" لابن العربي 20/2

٢. "**الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره** " للدكتور محمد أحمد القاسم، وهو مطبوع[١].

٣. "**مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور**" لعادل محمد أبو العلا ، وهو مطبوع.

٤. "**علم المناسبات بين السور والآيات**" لمحمد بن عمر بازمول ، وهو مطبوع.

القسم الثاني: كتب تفسير اعتنت بعلم المناسبات تطبيقاً:

١. "**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل**" ، للزمخشري ، وهو مطبوع.

فقد تكلم عن بعض المناسبات في تفسيره غير أنه لم يكن من المكثرين.

٢. " **مفاتيح الغيب** " ويسمى أيضاً " **التفسير الكبير** " للفخر الرازي[٢] ، وهو مطبوع.

تكلم كثيراً عن المناسبات بين الآيات وبين السور ، وهو عمدة كثير ممن جاء بعده.

٣. "**تفسير الحرالي** "[٣] لعلي الحرالي الأندلسي ، وهو مفقود.

---

(١) طبع بهذا الاسم ، وهو مسجل في قاعدة بيانات مركز الملك فيصل للبحوث باسم :المناسبات في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره.

(٢) ذكر في "كشف الظنون" لحاجي خليفة 1756/2 أن تفسير الرازي لم يكمل وأن أحمد القمولي قد أكمله ، وللشيخ عبد الرحمن المعلمي بحث في هذا الموضوع طبع في كتاب "سلسلة رسائل المعلمي" ص101 حيث قسم الكتاب إلى عدة أقسام منها ما صنفه الرازي ومنها أقسام أكملها أحمد بن خليل الخولي.

ولم أفرق في نقلي عن هذا الكتاب بين ما هو من صنيع الرازي وبين التكملة جرياً على عادة الناقلين عن هذا الكتاب.

(٣) لم أقف على اسم الكتاب ، وهو غير " مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل " فإن هذا الكتاب ذكر فيه قوانين لفهم القرآن ، وقد اطلعت عليه ، قال ابن حجر في "لسان الميزان" 204/2 :"جعله قوانين كقوانين أصول الفقه".

ثم أردف هذا الكتاب بكتاب آخر اسمه "عروة المفتاح" جعله في المحاور الأساسية التي اشتمل عليها القرآن ، ثم أردفه بكتاب اسمه "التوشية والتوفية للمفتاح" ذكر فيه موضوعات تتعلق بالقرآن كاستبعاد أن يكون العتاب في القرآن للنبي ﷺ عتاباً حقيقياً ، والتنبيه إلى ما ورد في القرآن من ذكر الأديان السابقة ، وهذه الكتب الثلاثة كلها مطبوعة في غلاف واحد بتحقيق : محمادي الخياطي.

هذا هو تفسيره الكبير الذي تناول فيه القرآن آية آية ، ولا يوجد منه شيء إلا نصوصاً نقلها البقاعي في "نظم الدرر" في تفسيره ،و استفاد منه البقاعي استفادة كبيرة ، ونقل عنه مناسبات في سورة البقرة وبعض المناسبات من سورة آل عمران ، و لم يقف البقاعي على باقي التفسير[١].

قال في "نفح الطيب": "وهو تفسير حسن ، وعليه نسج البقاعي مناسباته "[٢].

وقال في "الكواكب الدرية في طبقات الصوفية":" صنف (أي الحرالِّي) تفسيراً ملأه بحقائقه، ودقائق فكره، ونتائج قريحته، وأبدى فيه من مناسبات الآيات والسور ما يبهر العقول، وتحار فيه الفحول، وهو رأس مال البقاعي، ولولاه ما راح ولا جاء ، ولكنه لم يتم"[٣].

٤. **"ري الظمآن في تفسير القرآن"** لأبي عبد الله المرسي ، وهو غير مطبوع.

وهو تفسير قصد فيه تبيين ارتباط الآيات بعضها ببعض وبيان وجه ذلك[٤].

٥. **"التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير"** لابن النقيب الحنفي ، غير مطبوع.

ذكره البقاعي في "نظم الدرر" وأشار إلى أنه اطلع عليه وأنه في نحو ستين مجلداً وأنه اقتصر على التناسب بين الآيات لا جملها[٥].

٦. **"غرائب القرآن ورغائب الفرقان"** لنظام الدين النيسابوري[٦] ، وهو مطبوع.

لا يذكر المناسبة في الغالب إلا إذا كانت ظاهرة وقد استفاد من "الكشاف" و"مفاتيح الغيب" ملخصاً ما فيهما[٧]

---

(١)انظر " "نظم الدرر" في تناسب الآيات والسور" للبقاعي 10/1

(٢) انظر "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" للتلمساني 189/2.

(٣) انظر "الكواكب الدرية" للمناوي 123/3

(٤) انظر"كشف الظنون"لحاجي خليفة 209/1

(٥)انظر " "نظم الدرر" في تناسب الآيات والسور" للبقاعي 10/1

(٦) هو الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، أبو القاسم ، المشهور بالنظام الأعرج ، مفسر أديب نحوي ، له اشتغال بالحكمة والرياضيات ، من مؤلفاته :"أوقاف القرآن" ، "تعبير التحرير " ، "توضيح التذكرة النصيرية"، "شرح الشافية في التصريف" ، "لب التأويل" ، في سنة وفاته خلاف ، فقيل : توفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، وقيل : توفي بعد سنة خمسين وثمانمائة.
(انظر : "بغية الوعاة"للسيوطي 525/1 ، "الأعلام" للزركلي 216/2)

فيهما[1].

٧. **"أنوار الحقائق الربانية في تفسير اللطائف القرآنية"** لأبي محمود الأصفهاني[2] غير مطبوع[3].

اعتمد في علم المناسبات على الزمخشري والرازي.

٨. **"البحر المحيط"** لأبي حيان ، وهو مطبوع.

نص في مقدمته أنه سيذكر مناسبة الآية لما قبلها[4] ، ولكنه ليس مكثراً من ذلك ، و نراه أيضاً أيضاً يعتني بذكر مناسبة السورة لما قبلها.

٩. **"إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الحكيم"** لأبي السعود ، وهو مطبوع.

يشير بعض الإشارات الوجيزة إلى المناسبة بين الآيات دون تصريح.

١٠. **"روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني "** لشهاب الدين الآلوسي،وهو مطبوع.

استفاد كثيراً من التفاسير التي قبله ، وينقل عن الزمخشري والرازي وأبي السعود والبيضاوي بكثرة.

١١. **"نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"** للفراهي ، طبع بعضه[5]

---

(١) انظر "غرائب القرآن و رغائب الفرقان" للنيسابوري 5/1.

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الأصبهاني ، أبو الثناء ، ولد سنة أربع وتسعين وستمائة ، مفسر بارع في العقليات ، صحيح الاعتقاد ، كان ابن تيمية يعظمه، من مصنفاته : "أنوار الحقائق الربانية" ، "بيان معاني البديع" ، "تشييد القواعد في شرح تجريد العقائد" ، "شرح الساوية في العروض" ، "شرح كافية ابن الحاجب" ، "شرح مختصر ابن الحاجب" ، "شرح منهاج البيضاوي" ، توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

(انظر : "الدرر الكامنة" لابن حجر 85/6 ، "بغية الوعاة" للسيوطي 278/2 ، "الأعلام" للزركلي 176/7)

(٣)وهو محقق في رسائل علمية ، اطلعت على الجزء الذي حققه / عبد المنعم بن حواس الحواس ، حقق فيها هذا التفسير من سورة القمر إلى سورة الناس ، وهي محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية برقم 1423/4454.

(٤) انظر "البحر المحيط" لأبي حيان 103/1

(٥) انظر"الفراهي ومنهجه في التفسير" للدكتور محمد الشربجي، وهو بحث نشر في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية 2/ 468 العدد الثاني.

ركز في تفسيره على التماس العلائق والروابط بين آيات القرآن الكريم، وربط بعضه ببعض.

١٢. "المنار" لمحمد رشيد رضا ، وهو مطبوع.

يستعين بالمناسبات في توضيح الأغراض الدعوية التي يرمي النص إليها.

١٣. "في ظلال القرآن" لسيد قطب ، وهو مطبوع.

وهو قريب من منهج محمد رشيد رضا في ذكر المناسبات.

١٤. "الأساس" لسعيد حوى[1] ، وهو مطبوع.

القسم الثالث: كتبٌ في علوم القرآن اعتنت بعلم المناسبات تنظيراً وتطبيقاً:

١. "البرهان في علوم القرآن" للزركشي ، وهو مطبوع.

جعل لعلم المناسبات النوع الثاني.

٢. "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي ، وهو مطبوع.

لخص ما في البرهان وزاد عليه ، وجعل لعلم المناسبات النوع الثاني والستين.

٣. "الإحسان في علوم القرآن" لابن عقيلة ، وهو مطبوع.

اعتمد على الإتقان وزاد زيادات قليلة ، وجعل لعلم المناسبات النوع الثاني والعشرين بعد المائة.

ومعظم كتب علوم القرآن المعاصرة تحدثت عن علم المناسبات.

وأحب أن أنبه إلى أن هذه الكتب التي ذكرتها لم تكن على سبيل الحصر والاستيعاب ، ولا على سبيل التفضيل والاختيار، وإنما هي ضرب من التمثيل ، وهناك كتب كثيرة للمعاصرين

---

(١) هو سعيد بن محمد ديب حوَّى ، أبو محمد ، ولد سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف ، عالم مجاهد ، درَّسَ في كلية الشريعة بدمشق ، ودرَّس في السعودية ، اعتقل مدة في سوريا ، ثم ذهب إلى الأردن ، أصيب في آخر سنواته بأمراض اضطرته إلى العزلة حتى مات ، له مؤلفات كثيرة منها :"الأساس في التفسير" ، "الأساس في السنة وفقهها" ، "جولات في الفقهين الكبير والأكبر" ، "من أجل خطوة إلى الأمام" ، "هذه تجربتي وهذه شهادتي" ، توفي سنة تسع وأربعمائة وألف .

(انظر : "ذيل الأعلام" لأحمد العلاونة" 93/1 ، "إتمام الأعلام" لنزار أباظة ومحمد المالح ص109)

مفيدة في هذا العلم تستحق الإشادة والتنويه ولكن الحديث عنها يطول.

الفصل الثاني

التعريف بابن عاشور ، و بكتابه بإيجاز:

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بابن عاشور .

المبحث الثاني: التعريف بكتاب "التحرير والتنوير".

المبحث الأول

التعريف بابن عاشور

اسمه ونسبه:

هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن مَحمد[1] بن عاشور[2].

كان جده عاشور من أشراف الأندلس ، خرج منها فاراً بدينه من القهر والتنصير وحملات التفتيش التي قام بها نصارى الأندلس إبان سقوطها ، وأما ولده مَحمد بن عاشور فقد ولد بمدينة[3] سلا في المغرب الأقصى ، وقدم إلى تونس واستقر بها بعد عودته من الحج سنة ستين وألف ، وتوفي سنة عشر ومائة وألف ، وكان عالماً عاملاً صالحاً ناسكاً ذا تعفف.

وقد برز في هذه العائلة جد المترجم والمطابق لاسمه وهو محمد الطاهر المولود سنة عشر ومائتين وألف ، حيث تقلد منصب القضاء والإفتاء والتدريس ، وأشرف على الأوقاف الخيرية والنظارة على بيت المال وكان عضواً في مجلس الشورى ، وله مؤلفات.

وبرز في هذه العائلة أيضاً محمد بن محمد الطاهر ، وهو والد المترجَم الذي تولى رئاسة مجلس دائرة جمعية الأوقاف فأحسن إدارتها.

وقد تزوج والد المترجم الشيخ محمد بن محمد الطاهر بابنة الشيخ[4] بوعتور الذي كان تلميذاً لمحمد

---

(١) مَحمد بفتح الميم الأولى .

(٢) انظر " محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه" لإياد الضباع ص 22 ؛ و"الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره" لهيا العلي ص19

(٣) انظر "معجم البلدان" 231/2 .

(٤) هو محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب الصفاقسي التونسي ، ولد سنة أربعين ومائتين وألف ، وزير عالم ،ولي الكتابة في حكومة تونس ، تناول قانون "عهد الأمانة" بالشرح والتفريع وعلق عليه تحريرات ، توفي سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف .
(انظر :"الأعلام" للزركلي 268/6).

الطاهر ابن عاشور الجد ـــ و اسمها فاطمة فولد لهما المترجَم صاحب "التحرير والتنوير"[1].

مولده ونشأته:

ولد محمد الطاهر بن عاشور في جمادى الأولى سنة ست وتسعين ومائتين وألف في ضاحية المرسى على البحر الأبيض المتوسط قرب العاصمة التونسية.

وقد نشأ الشيخ في رحاب العلم والجاه فابتدأ بتعلم القرآن الكريم في سن السادسة وحفظه على المقرئ محمد الخياري ثم حفظ مجموع من المتون العلمية كمتن الآجرومية في النحو مع مطالعة شروحها ، وقراءة مبادئ في الفقه المالكي.

ثم التحق بجامع الزيتونة سنة عشر وثلاثمائة وألف ، ونهل من العلوم والمعارف ما استطاع.

وكانت المواد التي تدرس بهذا المعهد الديني متنوعة بين علوم المقاصد والوسائل [2] ، فقرأ علوم القرآن والقراءات والحديث والفقه المالكي وأصوله والفرائض والسيرة والتاريخ واللغة والنحو والأدب والبلاغة وعلم الكلام والمنطق.

إضافة إلى ذلك فقد تعلم اللغة الفرنسية وأتقنها وحصل على شهادة التطويع من الجامع الأعظم سنة سبع عشرة وثلاثمائة وألف ، وشهادة التطويع تعني انتهاء التعليم الثانوي ، وتعطى بعد اجتياز اختبار لمن درس في الجامع المدة المحددة وشهد له الشيوخ بذلك ، وهي شهادة للخريج بأنه ذو ذهن قوي وعقل مدرك للحقائق قادر على إيصالها لغيره وتخوله التصدي للتدريس والإقراء.

ثم بعد حصوله على شهادة التطويع عاد إلى حضور الدروس على شيوخه ، ولم يزل ينهل من العلوم والمعارف حتى حصَّل وبرع في كثير من العلوم[3].

---

(١) انظر "محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه" لإياد الضباع ص24.

(٢)انظر "شيخ الإسلام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية" لمحمد الحبيب ابن الخوجة 154/1.

(٣)انظر "محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه" لإياد الضباع ص25-30.

همته وذكاؤه:

منذ أن بلغ الشيخ سن التمييز ظهرت عليه علامات الذكاء الوقاد وسرعة الحفظ والتصور وكانت همته العلمية تزداد يوماً بعد يوم.

ثم بعد أن انخرط الشيخ ضمن طلبة جامع الزيتونة وواصل تعليمه فيه أثار إعجاب شيوخه وأقرانه حيث كان يقضي كل أوقاته في مطالعة الكتب والتنقيب فيها[١].

شيوخه:

تتلمذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور لجملة كبيرة من أهل العلم ونهل منهم علمه ، وهذا ذكر لبعضهم مرتبين حسب حروف المعجم:

١. أحمد بن بدر الكافي ، تعلم منه مبادئ النحو.
٢. أحمد جمال الدين[٢] ، أخذ عنه النحو والفقه المالكي.
٣. سالم بو حاجب[٣] ، قرأ عليه صحيح البخاري والموطأ.
٤. عبد القادر التميمي، أخذ عنه التجويد والقراءات.
٥. عمر ابن عاشور ، أخذ عنه النحو والصرف والبلاغة والفقه والفرائض.
٦. عمر بن الشيخ[٤]، أخذ عنه التفسير والمنطق.
٧. محمد الخياري ، أخذ عنه القرآن.
٨. محمد العزيز ابن محمد الحبيب بوعتُّور ،حفظ القرآن على يديه.
٩. محمد النخلي[٥] ، أخذ عنه العقيدة وأصول الفقه والبلاغة والنحو.

---

(١) "رسالة الشيخ عبد الملك ابن عاشور التي عرف فيها بوالده " التي كتبها استجابة لطلب للدكتورة هيا ثامر مفتاح العلي ص3 نقلاً عن "الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في التفسير" للدكتورة هيا ثامر مفتاح العلي ص26.

(٢) انظر ترجمته في "تراجم المؤلفين التونسيين" 50/2.

(٣) انظر ترجمته في "تراجم المؤلفين التونسيين" 77/2.

(٤) انظر ترجمته في "تراجم المؤلفين التونسيين" 213/2.

(٥) انظر ترجمته في "تراجم المؤلفين التونسيين" 26/5.

١٠. محمد بن عثمان النجار[١] ، أخذ عنه في النحو والبلاغة وعلم الكلام ومصطلح الحديث.

١١. محمود ابن الخوجة[٢] ، أجازه بالرواية[٣].

---

(١) انظر ترجمته في "تراجم المؤلفين التونسيين" 16/5.

(٢) انظر ترجمته في "تراجم المؤلفين التونسيين" 262/2.

(٣) انظر سرد مشايخه في "محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصول التفسير وعلومه" لإياد الطباع 30 – 39 و "شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور" لمحمد الحبيب الخوجة 155/1-156.

تلاميذه:

أخذ عن الشيخ جم غفير من التلاميذ والطلبة، فكان منهم الأديب والفقيه والمؤرخ والصحفي والاقتصادي ، وتخرج على يديه كبار الوزراء والكتاب في تونس ، والسبب في كثرة هؤلاء الطلاب أن الشيخ قد أمضى مدة طويلة في الزيتونة إضافة إلى كونه قاضياً ومفتياً وشيخاً للإسلام ، ومن أشهر هؤلاء التلاميذ [١]:

١. أبو الحسن بن شعبان[٢].
٢. محمد الشاذلي بن محمد الصادق النيفر[٣].
٣. محمد الصادق ابن الحاج محمود المعروف بـــ(بسّيس) [٤].
٤. محمد الصادق بن محمد الشطي[٥].
٥. محمد العيد آل خليفة[٦].
٦. محمد الفاضل ابن الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور[٧].

---

(١) انظر "محمد الطاهر ابن عاشور ، علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه" ص48.

(٢) انظر ترجمته في "تراجم المؤلفين التونسيين" 3/198-199.

(٣) "ذيل الأعلام" لأحمد العلاونة 2/161 ، "إتمام الأعلام" لنزار أباظة ومحمد المالح ص241

(٤) انظر ترجمته في "تراجم المؤلفين التونسيين" 1/98 – 103 ، "إتمام الأعلام" لنزار أباظة ومحمد المالح ص243.

(٥) انظر ترجمته في "تراجم المؤلفين التونسيين" 3/198.

(٦) "إتمام الأعلام" لنزار أباظة ومحمد المالح ص259.

(٧) انظر ترجمته في "تراجم المؤلفين التونسيين" 3/310-314.

مؤلفاته:

كان الشيخ ــ رحمه الله ــ مكثراً من التأليف ، وقد تنوعت مؤلفاته من حيث الموضوعات حيث طرق كثيراً من أبواب العلوم ، فصنف في التفسير والحديث والأصول والأدب واللغة والتاريخ والتراجم والدراسات الإسلامية.

وكتب مقالات في عدد من الصحف والمجلات التي تصدر من تونس والقاهرة ودمشق.

وتتميز مؤلفات الشيخ وكتاباته بالدقة والعمق والتحرير والإتقان وقوة الأسلوب وبلاغته، وذلك لما يتمتع به الشيخ من رصيد معرفي وثقافة واسعة في العلوم الإسلامية وفي اللغة العربية بفروعها.

فمن مصنفاته المطبوعة:

١. "أصول الإنشاء والخطابة".

٢. "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"[(١)].

٣. "أليس الصبح بقريب".

٤. "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ، وهو التفسير المشهور بـــ"التحرير والتنوير".

٥. "حاشية على شرح تنقيح الفصول في الأصول".

٦. "ديوان بشار بن برد" ، شرح وتحقيق.

٧. "شرح المقدمة الأدبية لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام"[(٢)].

٨. "كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ".

٩. "مقاصد الشريعة الإسلامية" ، ـــ وهو من أجلِّ كتبه وأهمها ـــ.

١٠. "موجز البلاغة".

---

(١) أصله مقالات كتبها الشيخ في مجلة هدى الإسلام التي كانت تصدر من القاهرة.

(٢) أصله مقالات كتبها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

١١."النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح" ، وهو تعليقات على الجامع الصحيح للإمام البخاري ـــ رحمه الله ـــ.

١٢."الواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم الأصبهاني" ، تحقيق وتعليق.

١٣."الوقف وآثاره في الإسلام".

ومن مصنفاته المخطوطة:

١. "آراء اجتهادية".
٢. "أصول التقدم في الإسلام".
٣. "الأمالي على دلائل الإعجاز للجرجاني".
٤. "الأمالي على مختصر خليل".
٥. "تاريخ العرب".
٦. "تراجم بعض الأعلام".
٧. "تعليقات على حديث أم زرع".
٨. "شرح معلقة امرئ القيس".
٩. "غرائب الاستعمال".
١٠. "الفتاوى"(١).

(١)انظر سرد مصنفاته في "محمد الطاهر بن عاشور ،علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه" لإياد الطباع 91 - 153 ، وانظر "الأعلام" للزركلي 6 / 174

وظائفه وأعماله:

تولى الشيخ مناصب علمية وإدارية كثيرة ظهرت فيها شخصيته الفذة في حسن التعليم والتربية والإدارة ، وقد تركت هذه المناصب على شخصية الشيخ بصمة قوية.

فمن وظائفه:

- التدريس بالجامع الأعظم (جامع الزيتونة).
- التدريس بالمدرسة الصادقية ، والمشاركة بوضع فهرس للمكتبة.
- العضوية بمجلس إدارة الجمعية الخلدونية.
- عين النائب الأول للحكومة لدى النظارة العلمية بجامع الزيتونة.
- عين عضواً في لجنة تنقيح برامج التعليم.
- عين شيخاً للجامع الأعظم وفروعه.
- عين عميداً للجامعة الزيتونية إثر استقلال البلاد.
- عين عضواً مراسلاً في المجمع العربي (مجمع اللغة العربية بدمشق).
- عين عضواً بمجلس الأوقاف الأعلى.
- عين عضواً في مجلس الإصلاح.
- عين حاكماً بالمجلس المختلط العقاري.
- عين قاضياً مالكياً بالمجلس الشرعي.
- عين مفتياً.
- ارتقى بعدها إلى خطة كبير أهل الشورى.
- ثم تسلم منصب شيخ الإسلام المالكي.

إلى غير ذلك من الوظائف والأعمال[١].

---

(١)انظر "شيخ الإسلام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية" لمحمد الحبيب ابن الخوجة 1/ 154-168 ، و"محمد الطاهر بن عاشور ، علامة الفقه والأصول والتفسير وعلومه" لإياد الضباع ص50 – 64.

وفاته:

بعد أن أمضى الشيخ ابن عاشور حياة علمية وعملية طويلة زاخرة بالعلم والتعليم توفاه الله في ضاحية المرسى قرب تونس العاصمة ، يوم الأحد الموافق للثالث عشر من شهر رجب سنة أربع وتسعين وثلاثمائة وألف ، ووُري الثرى بمقبرة الزلاج في مدينة تونس العاصمة(١).

وبموته فقدت الأمة الإسلامية علماً من أعلامها وكوكباً من كواكب الهداية في سمائها، فقدت رجلاً عاش عمره في خدمة العلم وخدمة القرآن وخدمة الإسلام.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

---

(١) انظر "محمد الطاهر ابن عاشور ، علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه" لإياد الضباع ص 87 ، وانظر ترجمته في "الأعلام" للزركلي 174/6 ، وفي"تراجم المؤلفيين التونسيين"لمحمد محفوظ 304/3 " نثر الجوهر في علماء القرن الرابع عشر" ليوسف المرعشلي 1262/2

المبحث الثاني
التعريف بكتاب "التحرير والتنوير"

اسم الكتاب:

نص المؤلف في المقدمة على اسم كتابه حيث قال:

"وسميته "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" واختصرت هذا الاسم باسم ""التحرير والتنوير" من التفسير"[١].

واشتهر هذا التفسير باسم "التحرير والتنوير" أو "تفسير "التحرير والتنوير" كما في غلاف المطبوع.

افتتاحية الكتاب:

ابتدأ ابن عاشور كتابه بالبسملة ثم الصلاة والسلام على نبي الله محمد > ثم شرع في خطبة بليغة حمد الله فيها وأثنى عليه وأشاد بالقرآن الكريم ، وبين عظم منزلته و مكانته وأن الله قد أعجز بعجائبه وجعله مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليها ، و لم يفرط فيه من شيء حتى أقرَّ بعظمته المنصفون ، ثم بين مكانة الصحابة ﷺ وأنهم قد تحملوه ونقلوا علومه إلى من بعدهم من العلماء[٢].

سبب تأليف الكتاب:

كانت فكرة تفسير القرآن الكريم تلوح في خاطر الشيخ ، حيث كانت أمنية له أن يفسر القرآن الكريم ولكنه كان يتجهم التقحُّم على هذا المجال ، وكان يتردد كثيراً فتارة يقدم وتارة يحجم ، وكانت تأتيه الصوارف فتشغله عن البداءة به خصوصاً بعدما أسند إليه القضاء، فلم يزل على هذه الحال حتى نقل إلى خطة الفتيا بعد ذلك عقد العزم على تحقيق ما كان يضمره

---

(١) "التحرير والتنوير"9/1

(٢) "التحرير والتنوير" 5/1

ويصبو إليه بعد استخارة واستعانة بالله، فشرع في تصنيف التفسير.

وكانت بداية تصنيفه سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وألف ، وفرغ منه سنة ثمانين وثلاثمائة وألف.

قال في خاتمة التفسير: "وكان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب عام ثمانين وثلاثمائة وألف ، فكانت مدة تأليفه تسعاً وثلاثين سنة وستة أشهر ، وهي حقبة لم تخل من أشغال صارفة ومؤلفات أخرى أفنانها وارفة ومنازع بقريحة شاربة طوراً ، وطوراً غارفة، وما خلا ذلك من تشتت بال ، وتطور أحوال ، مما لم تخل عن الشكاية منه الأجيال ، ولا كفران لله فإن نعمه أوفى ومكاييل فضله علي لا تطفف ولا تُكفا "[1].

الكتب التي استفاد منها ابن عاشور:

أشاد ابن عاشور بجملة من التفاسير التي تعد من أهم المصادر التي رجع إليها وبين أنه قد أعرض عن العزو إليها اختصاراً ، وهذا ذكر لها مع تعريف وبيان لمناهجها:

١. **"الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل"** للزمخشري ، وهو مطبوع.

وهو تفسير نفيس لم يسبق مؤلفه إليه لما فيه من بيان وجوه الإعجاز ، ولما فيه من إظهار جمال النظم القرآني ، وقد استفاد من كتابه كثير ممن تكلم في هذا الموضوع ، إلا أن مؤلفه قد سلك فيه مسلك المعتزلة ــ وهو من كبارهم ومنظريهم ــ وقد تتبع هذا الكتاب جملة من العلماء ناقشوا فيه الزمخشري وآراءه الاعتزالية منهم: قاضي الاسكندرية ابن المنيِّر [2] فقد كتب عليه

---

(١) "التحرير والتنوير" 30/636-637.

(٢) هو أحمد بن محمد بن منصور ابن المنيِّر الجذامي السكندري المالكي ، أبو العباس ، ولد سنة عشرين وستمائة ، إمام في النحو والأدب والأصول والتفسير ، اشتغل بالتدريس والقضاء حيث ولي قضاء الإسكندرية وخطابتها ، من مصنفاته : "الانتصاف من الكشاف" ، "تفسير حديث الإسراء" ، "التيسير العجيب في تفسير الغريب" ، "ديوان خطب" ، "مناسبات تراجم البخاري" ، توفي سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

(انظر :"بغية الوعاة" للسيوطي 1/384، "شذارت الذهب" لابن العماد 5/381 ، "الأعلام" للزركلي 1/220)

حاشية سماها " الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال" وهي مطبوعة على هامش الكشاف [١] ، وعليه حواش كثيرة أشار ابن عاشور إلى أنه استفاد من أربعة منها فقال ـــ ذاكراً أهم التفاسير ـــ:"وما كتبه الطيبي والقزويني والقطب والتفتزاني على الكشاف"[٢].

وهذا تفصيل لها:

أ - **"فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب"** لشرف الدين الطيبي[٣] ، وهي مخطوطة[٤].

وهي حاشية نفيسة من أجلِّ الحواشي[٥] ، شرح فيها الكشاف ورد على اعتزالياته ، وتكلم فيها على فنون البلاغة والنحو والصرف والفقه والأصول ، ينقل منها المفسرون كثيراً ومنهم الآلوسي.

ب -**"الكشف على الكشاف"** لعمر القزويني[٦] ، وهي مخطوطة [٧].

---

(١) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي 429/1-482

(٢) "التحرير والتنوير" 7/1

(٣) هو الحسين ـــ (في "بغية الوعاة" الحسن) ـــ بن محمد بن عبد الله الطيبي ، محدث مفسر ، كان ذا ثروة طائلة أنفقها في وجوه الخير ، وكان شديد الرد على المبتدعة ، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة ، من مصفناته :"التبيان في المعاني والبيان" ، الخلاصة في معرفة الحديث " ، "فتوح الغيب" ، توفي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

(انظر : "الدرر الكامنة" لابن حجر 185/2 ، "بغية الوعاة" للسيوطي 522/1، "، "الأعلام" للزركلي 256/2)

(٤) حققت في عدة رسائل علمية في جامعة الإمام محمد بن سعود والجامعة الإسلامية والرئاسة العامة لتعليم البنات ، وقد اطلعت على الجزء الأول منها بتحقيق / عبد العزيز بن صالح با طيور ، من جامعة الإمام محمد بن سعود ، وهي محفوظة في مكتبة الملك فهد برقم (1423/4350).

(٥) انظر "كشف الظنون" 1478/2

(٦) هو عمر بن عبد الرحمن بن عمر البهبهائي الكناني القزويني ، كان مجموع الفضائل ، ولم يتكهل حيث لم يتجاوز عمره ثمانياً وثلاثين سنة ، توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة .

(انظر : "شذرات الذهب" لابن العماد 144/6 ، "الأعلام" للزركلي 49/5)

(٧)انظر "كشف الظنون" لحاجي خليفة 1480/2 ، "جامع الشروح والحواشي"لعبد الله الحبشي 1456/3

ج -"**تحفة الأشراف في شرح الكشاف**" للقطب الرازي [١] .

وهي مخطوطة [٢] ، وهي خلاصة وتنقيح لحاشية الطيبي.

د -"**حاشية التفتازاني**" لم أقف على اسمها ، لمسعود التفتازاني[٣]، وهي مخطوطة[٤].

وهي ملخصة من حاشية الطيبي مع زيادات عليه وتتبع لعباراته و لم يكملها.

٢. "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية[٥] ، وهو مطبوع[١].

---

(١) هو محمد ــ وقيل : محمود ــ بن محمد الرازي القطب التحتاني الشيرازي ، أبو عبد الله ، ولد سنة أربع وتسعين وستمائة ، عالم بالتفسير والمعاني ، مشارك في النحو ، أحد أئمة المعقول ، من مصنفاته : "الأسرار في شرح مطالع الأنوار" ، "تحرير القواعد المنطقية" ، "تحفة الأشراف في شرح الكشاف" ، "تحقيق معنى التصور والتصديق" ، "الكليات وتحقيقها" ، "النفس الناطقة" ، توفي سنة ست وستين وسبعمائة

(انظر :"الدرر الكامنة" لابن حجر 99/6 ، "طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة 136/3،"الأعلام" للزركلي 38/7)

(٢)انظر "كشف الظنون" لحاجي خليفة 1478/2 ، "جامع الشروح والحواشي"لعبد الله الحبشي 1457/3

(٣) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني ، ولد سنة اثني عشرة وسبعمائة ، من علماء العربية والمنطق ، انتهت إليه معرفة علوم البلاغة ، اشتهر ذكره وطار صيته ، من مصنفاته : "إرشاد الهادي" ، "تهذيب المنطق" ، "التلويح إلى كشف غوامض التنقيح" ، "شرح الأربعين النووية" ، "النعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ" ، توفي سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وقيل : سنة اثنين وتسعين ، وقيل : سنة ثلاث وتسعين.

(انظر : "الدرر الكامنة" لابن حجر 112/6 ، "بغية الوعاة" للسيوطي 285/2 ، "الأعلام" للزركلي 219/7)

(٤) انظر "كشف الظنون" لحاجي خليفة 1478/2 ، و "جامع الشروح والحواشي"لعبد الله الحبشي 1456/3

(٥) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (وقيل: ابن عبد الملك) بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي الغرناطي الأندلسي ، أبو محمد ، ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ، فقيه عالم بالأحكام والحديث والتفسير ، بارع بالأدب ولسان العرب ، له اليد الطولى في الإنشاء والنظم والنثر ، ولي القضاء وحسنت سيرته ، له "برنامج مروياته" ، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" ، توفي سنة إحدى

وهو تفسير قيم قد لخصه مؤلفه من كتب كثيرة ، وينقل عن ابن جرير بكثرة ، ويناقش المنقول أحياناً ، ويتحرى ما هو أقرب إلى الصحة ، ويعتني بالمباحث اللغوية كثيراً.

٣. "التفسير الكبير" ويسمى أيضاً **"مفاتيح الغيب"** للرازي ، وهو مطبوع[٢].

يعتني بإبراز المناسبات بين السور والآيات ، ويذكر من علوم اللغة ما يعين على فهم المعنى ويستطرد كثيراً في عرض المسائل الفقهية ، ويكثر من الكلام في العلوم الرياضية والفلكية.

٤. "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للبيضاوي[٣] ، وهو مطبوع [٤].

وهو تفسير متوسط الحجم ملخص من "الكشاف" ومن "مفاتيح الغيب" بتحقيق بديع كما يقوله ابن عاشور[٥]، وقد ضمنه نكتاً بارعة ولطائف رائعة واستنباطات دقيقة ، وعباراته دقيقة محكمة ، وعليه حواش كثيرة جداً ، منها حاشية الشهاب الخفاجي [٦] التي أشار إليها ابن

وأربعين وخمسمائة ، وقيل : اثنتين وأربعين ، وقيل : ست وأربعين .

(انظر :"تاريخ الإسلام"للذهبي 73/37 ، "سير أعلام النبلاء" 133/20 ، "طبقات المفسرين" للسيوطي ص50 ،"الأعلام" للزركلي 282/3)

(١) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي 238/1-242.

(٢) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي 290/1-296

(٣) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي ، أبو الخير ، مفسر أصولي ، ولي قضاء شيراز ، من مصنفاته :"أنوار التنزيل وأسرار التأويل" ، "طوالع الأنوار" ،"الغاية القصوى في دراية الفتوى " ، "منهاج الوصول إلى علم الأصول" ، " نظام التواريخ " ، توفي سنة خمس وثمانين وستمائة .

(انظر : "البداية والنهاية" لابن كثير 356/7 ، "طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبة 172/2، "الأعلام" للزركلي 110/4)

(٤) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي 296/1-304 .

(٥) "التحرير والتنوير" 7/1

(٦) هو أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي ، شهاب الدين ، ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة ، أديب لغوي ، ولي قضاء مصر ، من مصنفاته :"خبايا الزوايا بما في الرجال من البقايا" ، "ديوان الأدب في ذكر شعراء العرب" ، "ريحانة الألبّا " ، "شرح درة الغواص في أوهام الخواص" ، "شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل" ، "عناية القاضي وكفاية الراضي" ، توفي سنة تسع

عاشور[١]، واسم هذه الحاشية " المسماة "عناية القاضي وكفاية الراضي" ، وهي مطبوعة.

٥. "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" للآلوسي ، وهو مطبوع[٢].

بذل مؤلفه وسعه وجهده فأخرج كتاباً جامعاً لآراء السلف رواية ودراية مع ذكر أقوال المتأخرين بكل عناية مع النقد والتدقيق لما ينقل ، ويتعقب الرازي كثيراً ، وفيه لطائف لغوية .

٦. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود ، وهو مطبوع[٣].

وهو تفسير حسن الصياغة ، فيه جمال التعبير ، كشف فيه أسرار البلاغة القرآنية ، وفيه لطائف ونكات وفوائد وإشارات ، وتعرض لعلم المناسبات ، ولم يكثر من المسائل الفقهية.

٧. "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان" للقرطبي[٤] ، وهو مطبوع [٥].

اعتنى ببيان أحكام القرآن الكريم وما يستنبط من فوائده مع بيان القراءات والإعراب والناسخ و المنسوخ ، واعتنى بالتحليل اللغوي للألفاظ مع الاستطراد في بيان المسائل النحوية والصرفية والبلاغية.

وستين وألف .

(انظر : "خلاصة الأثر" للمحبي 331/1 ، "الأعلام" للزركلي 238/1)

(١) "التحرير والتنوير" 7/1

(٢) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي" 352/1-362.

(٣) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي 345/1-352.

(٤) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي المالكي ، أبو عبد الله ، من كبار المفسرين ، متفنن ومتبحر في العلم ، من كتبه :"الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" ، "التذكار في أفضل الأذكار" ، "التذكرة بأحوال الموتى والآخرة" ، "التقريب لكتاب التمهيد" ، "الجامع لأحكام القرآن" ، "قمع الحرص بالزهد والقناعة"، توفي سنة إحدى وسبعين وستمائة .

(انظر : "تاريخ الإسلام " للذهبي 74/50 ، "طبقات المفسرين" للسيوطي ص 79 ، "الأعلام" للزركلي 322/5).

(٥) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي 457/2-464.

٨. "تفسير ابن عرفة " لمحمد بن عرفة[١]، طبع منه سورتا الفاتحة والبقرة[٢].
وهو عبارة عن مجالس أملاها في التفسير فقيدها عنه بعض تلاميذه ، وله أكثر من رواية ، وقد اعتنى فيه بالمباحث اللغوية مع تطرقه لعلم المناسبات والنكات والبلاغية والمباحث اللغوية ، وفيه نقل عن كثير من الكتب المفقودة.

٩. "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" لابن جرير[٣] ، وهو مطبوع.
وهو من أقوم التفاسير وأشهرها ، جامع بين الرواية والدراية مع النقد والتمحيص والاختيار، ويتعرض لتوجيه الأقوال والإعراب والاستنباط ، مع سيره على طريقة السلف في المباحث العقدية[٤].

١٠. "درة التنزيل وغرة التأويل" للخطيب الأصبهاني[٥] ، وهو مطبوع.

---

(١) هو محمد بن محمد بن عرفة الورغمي ، أبو عبد الله ، ولد سنة ست عشرة وسبعمائة ، إمام تونس وعالمها وخطيبها ، مفسر فقيه لغوي ، رأس في العبادة والزهد والورع ، من مصنفاته :"الحدود" ، "الطرق الواضحة في عمل المناصحة" ، "المبسوط في الفقه" ، "مختصر الفرائض" ، توفي سنة ثلاث وثمانمئة .
(انظر :"الضوء اللامع" للسخاوي 240/9 ، "شذرات الذهب" لابن العماد 38/7 ، "الأعلام" للزركلي 43/7)

(٢) انظر "مقدمة" الدكتور/ حسن المناعي لتفسير ابن عرفة برواية الأبِّي ، "التفسير ورجاله" لمحمد الفاضل بن عاشور ص117.

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ، أبوجعفر ، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين ، إمام كبير ، رأس المفسرين والمحدثين ، علم الأعلام ، واسع الرواية ، عالم بالسنن والأخبار ، له مصنفات كثيرة منها : "أخبار الرسل والملوك" ، "اختلاف الفقهاء" ، "تهذيب الآثار" ، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" ، "جزء في الاعتقاد" ، "القراءات" ، توفي سنة عشر وثلاثمائة .
(انظر :"تاريخ الإسلام" للذهبي 279/23 ، "طبقات المفسرين" للسيوطي ص 82 ، "الأعلام" للزركلي 69/6)

(٤)انظر التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي 205/1-224

(٥) هو محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي الأصبهاني الرازي ، أبو عبد الله ، أديب لغوي مفسر ، من مصنفاته :"درة التنزيل وغرة التأويل" ، "شواهد سيبويه" ، "غلط كتاب العين" ، "لطف التدبير في سياسة الملوك " ، " مبادئ اللغة" ، "نقد الشعر" ، توفي سنة عشرين وأربعمائة .

وهو في توجيه الآيات المتشابهة لفظاً التي تتفق في بعض الألفاظ وتختلف في بعض آخر ، وتوجيه الآيات المتكررة وما يرد حولها من إشكالات وأسئلة ٠ ، وكثيراً ما يعتني بتفسير الآيات التي تناولها مع ذكر القراءات الواردة فيها.

والكتاب قال عنه ابن عاشور: "المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما ينسب للراغب الأصفهاني[(١)]"[(٢)] ، فلم يجزم بنسبة الكتاب إلى مؤلفه ، إلا أنه صرح في موضع آخر بأنه من تصنيف الرازي فقال: "وقد أبدى الفخر في كتاب "درة التنزيل"..." [(٣)] وشكك في نسبته له في موضع آخر فقال:" وفي "درة التنزيل" المنسوب لفخر الدين الرازي..."[(٤)] وتردد في موضع آخر فقال:"درة التنزيل وغرة التأويل" المنسوب إلى الفخر وإلى الراغب..."[(٥)]

و الكتاب قد نُسِبَ في بضع النسخ إلى الراغب الأصفهاني[(٦)] ، و في "كشف الظنون" هناك كتابان بهذا الاسم ، نسب أحدهما للراغب الأصفهاني والآخر للفخر الرازي مع اختلاف أول مقدمة الكتابين إلا أنهما اتفقتا بعد ذلك [(٧)].

(انظر :"بغية الوعاة" للسيوطي 149/1 ، "الأعلام" للزركلي 227/6)

(١) هو الحسين بن محمد بن المفضل (وفي "بغية الوعاة" سماه المفضل بن محمد) الأصفهاني ، أبو القاسم ، المعروف بالراغب ، أديب لغوي مفسر ، كان من أذكياء المتكلمين ، من مصنفاته :"الأخلاق" ، "الاعتقاد" ، "أفانين البلاغة" "تفصيل النشأتين" ، "جامع التفاسير" ، "الذريعة إلى مكارم الشريعة" ، "المفردات في غريب القرآن" ، توفي سنة اثنين وخمسمائة .

(انظر :"سير أعلام النبلاء" للذهبي 120/18 ، "بغية الوعاة" للسيوطي 297/2 ، "الأعلام" للزركلي 255/2)

(٢)انظر "التحرير والتنوير" 7/1.

(٣) انظر "التحرير والتنوير"116/14، 118.

(٤) انظر "التحرير والتنوير" 172/21.

(٥)انظر "التحرير والتنوير" 192/27.

(٦) انظر مقدمة تحقيق "درة التنزيل وغرة التأويل" للدكتور / محمد مصطفى آيدين 88/1 ، 95-133 فقد تكلم عن نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه وصحح أنه الخطيب الأصفهاني واستدل على ذلك بأدلة كثيرة .

(٧) انظر "كشف الظنون" لحاجي خليفة 739/1 ؛ "درة التنزيل وغرة التأويل"216/1

قال ابن عاشور عن الكتب السابقة:" وإن أهم التفاسير تفسير "الكشاف" و"المحرر الوجيز" لابن عطية و "مفاتيح الغيب" لفخر الدين الرازي، وتفسير البيضاوي الملخص من "الكشاف" ومن "مفاتيح الغيب" بتحقيق بديع، وتفسير الشهاب الآلوسي، وما كتبه الطيبي والقزويني والقطب والتفتزاني على "الكشاف"، وما كتبه الخفاجي على تفسير البيضاوي، وتفسير أبي السعود، وتفسير القرطبي والموجود من تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي من تقييد تلميذه الأبي[١] ، وهو بكونه تعليقاً على تفسير ابن عطية أشبه منه بالتفسير لذلك لا يأتي على جميع آي القرآن وتفاسير الأحكام، وتفسير الإمام محمد ابن جرير الطبري، وكتاب "درة التنزيل" المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما ينسب للراغب الأصفهاني ، ولقصد الاختصار أعرض عن العزو إليه"[٢]

ثم قال: " وقد ميزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه وما أجلبه من المسائل العلمية مما لا يذكره المفسرون ، وإنما حسبي في ذلك عدم عثوري عليه فيما بين يدي من التفاسير في تلك الآية خاصة ، ولست أدعي انفرادي به في نفس الأمر فكم من كلام تنشئه تجدك قد سبقك إليه متكلم ، وكم من فهم تستظهره وقد تقدمك إليه متفهم وقديماً قيل:

هل غادر الشعراء من متردَّمِ[٣] "[٤] ، و هذا الكلام يدل على فرط تواضعه ودماثة أخلاقه.

---

(١) هو محمد بن خلفة بن عمر الأبِّي الوشتاتي المالكي التونسي ، أبو عبد الله ، محدث فقيه ، مشارك في كثير من العلوم، ولي القضاء ، من مؤلفاته :"إكمال المعلم لفوائد كتاب مسلم" ، "شرح المدونة" ، توفي سنة سبع وعشرين وثمانمائة .

(انظر : "البدر الطالع" 169/2 ، "تراجم المؤلفين التونسيين" لمحمد محفوظ 37/1 ، "الأعلام" للزركلي 115/6)

(٢) انظر "التحرير والتنوير"7/1

(٣) هذا البيت صدر معلقة عنزة بن شداد العبسي، وعجزه : أم هل عرفتِ الدار بعد توهُّمِ ، وهو من البحر الطويل.

انظر "ديوان عنترة بن شداد" ص80 ، "المعلقات العشر" ص45.

(٤) "التحرير والتنوير" 7/1-8

مميزات الكتاب:

يعد تفسير الطاهر بن عاشور موسوعة علمية توج بها الطاهر مسيرته العلمية في التدريس والقضاء والإفتاء ، فقد تمثل في تفسيره قمة النضج العلمي والفكري في شتى الفنون التي تطرق لها ، فقد كان متضلعاً في علوم الشريعة والعلوم العربية مالكاً ناصيتها ، وله يد طولى، وقِدْحٌ مُعَلَّى في علوم شتى.

والذي يطَّلع على مؤلفاته الكثيرة المتنوعة يراها تحمل طابعاً مميزاً، وطرازاً فريداً لا تجده إلا عند الندرة من العلماء، وفي القليل من المؤلفات.

ويبدو أن لهذا الكتاب مكانة عند مؤلفه فقد كان بعد تأليفه يزيد فيه وينقص ويهذب ويشذب ويضع عليه حواشيَ وتعليقات[١] ، ويكفي أنه قال في مقدمته مادحاً هذا الكتاب:" ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القماطير، ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير"[٢].

وقد سلك ابن عاشور في تفسيره منهجاً متميزاً حاوياً لمزايا عظيمة متضمناً لعلوم كثيرة وفوائد عزيزة ، ويرى المطلع على هذا التفسير أن ابن عاشور قد اجتهد في تصنيفه أيما اجتهاد واستجمع كل قواه العقلية والعلمية فظهرت بذلك مقدرته الفذة في إبراز ما في القرآن من هدى وإصلاح وإرشاد وما فيه من علوم ومعارف شتى بحسب ما وصل إليه علمه.

---

(١) "التحرير والتنوير" 19/15

(٢) "التحرير والتنوير" 9/1

منهج ابن عاشور في تفسيره:

ويمكن إجمال منهجه في هذه النقاط:

1: **المقدمات العشر**:

افتتح ابن عاشور تفسيره بمقدمات عشر جعلها بعد الافتتاحية لتكون عوناً للباحث في التفسير وتغنيه عن معاد كثير ــــ كما نص عليه[1] ــــ ، وهذه المقدمات تتضمن علماً غزيراً ملخصًّاً مفيداً يدل على سعة علم مؤلفها ، و لم يكن المؤلف مقلداً لما يقوله غيره بل كان ذا رأي واجتهاد وبحوث استخرجها بفكره دون اعتماد على غيره ممن قبله ، و لم تخل هذه المقدمات من نصائح وإرشادات واقتراحات للمعتنين بعلم التفسير.

وهذا سرد لعناوين هذه المقدمات:

المقدمة الأولى: في التفسير والتأويل وكون التفسير علماً.

المقدمة الثانية: في استمداد علم التفسير.

المقدمة الثالثة: في صحة التفسير بغير المأثور ، ومعنى التفسير بالرأي ونحوه.

المقدمة الرابعة: فيما يحق أن يكون غرض المفسر.

المقدمة الخامسة: في أسباب النزول.

المقدمة السادسة: في القراءات.

المقدمة السابعة: قصص القرآن.

المقدمة الثامنة:في اسم القرآن وسوره وترتيبها وأسمائها.

المقدمة التاسعة:في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها.

المقدمة العاشرة: في إعجاز القرآن.

وقد استغرقت هذه المقدمات مائة وعشرين صفحة من كتابه [٢]

---

(١) "التحرير والتنوير" 9/1

(٢) انظر "التحرير والتنوير" 1/10-130.

2: عنايته بعلم البلاغة ووجوه الإعجاز:

يرى ابن عاشور أن معاني القرآن ومقاصده ذات أفانين كثيرة بعيدة المدى مترامية الأطراف موزعة على آياته ، فالأحكام والآداب والقصص مبينة في مواقعها وقد تطرق كثير من المفسرين إلى تلك الأفنان ، وبين ابن عاشور أن فناً من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه آية من آيات القرآن لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصوا الأفانين الأخرى ألا وهو فن دقائق البلاغة [(١)]، وبين ابن عاشور أنه قد التزم ألا يغفل التنبيه على ما يلوح له من هذا الفن العظيم في آية من آي القرآن الكريم ، وقد أوفى بذلك الالتزام فكان تفسيره بحق يعد عملاً تطبيقياً لقواعد البلاغة على آيات القرآن الكريم فلم يغفل آية من آيات القرآن إلا وبين ما فيها من لطائف بلاغية في الغالب ، ولذلك نراه كثيراً ما يورد المصطلحات البلاغية بشتى أنواعها.

3: التجديد و عدم الاكتفاء بالنقل من كتب التفسير:

ومما يميز ابن عاشور في تفسيره أنه تجافى تكرار النقول واجترار ما كتبه غيره دون نقد أو مناقشة وكان يعد ذلك تعطيلاً لإعجاز القرآن وتجميداً لحكمه وقد أشار إلى ذلك بقوله: " فجعلت حقاً علي أن أبدي في تفسير القرآن نكتاً لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها، فإن الاقتصار على الحديث المعاد، تعطيل لفيض القرآن الذي ما له من نفاد"[(٢)].

وكان ـــ رحمه الله ـــ مع ذلك كثير الإفادة من كلام المتقدمين اعترافاً بجهودهم مع التواضع والتقدير لهم ، فكان يعمد إلى ما قاله المتقدمون فيهذبه ويزيده دون نقض أو إبادة، وعبر عن ذلك بقوله:" وهنالك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعمد إلى ما أشاده الأقدمون فنهذبه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده، عالماً بأن غمض فضلهم كفران للنعمة، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة"[(٣)].

---

(١) "التحرير والتنوير" 8/1

(٢) "التحرير والتنوير" 7/1

(٣) المرجع السابق

4: عنايته ببيان وجوه اتصال آيات القرآن بعضها ببعض.

اعتنى ابن عاشور كثيراً ببيان تناسب اتصال آي القرآن بعضها ببعض فيحرص على ربط الآية بما قبلها وما بعدها مع بيان وجه الاتصال.

قال في مقدمته: " واهتممت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى "نظم الدرر في تناسب الآي"[١]

وقد أتى بمناسبات لم يأت بها أحد قبله واستخرج بفكره روابط للآيات تدل على نباهته ودقة فهمه ، وقد العلم عناية فائقة ، واستدرك على من سبقه ، وانتقد بعضاً من وجوه الربط بين الآيات.

وسيأتي الحديث عن منهجه في إيراد المناسبات في الفصل الثالث إن شاء الله.

5: عنايته ببيان أغراض السور:

لم يترك الشيخ سورة من السور إلا وبين ما يحيط بها من أغراض على سبيل الإجمال لا التفصيل ، وقد أوضح سبب اعتنائه به قبل تفسير كل سورة حيث قال: " ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصوراً على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله"[٢].

6: عنايته بمعاني مفردات اللغة العربية:

اعتنى ابن عاشور في تفسيره ببيان معاني مفردات اللغة العربية مع ضبط تلك المفردات بالحركات كتابةً ، و يتطرق لهيئة الكلمة وتصريفها ، مع الاستشهاد بأشعار العرب في ذلك.

قال رحمه الله: "واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قو اللغة"[٣].

---

(١) "التحرير والتنوير" 8/1.

(٢) "التحرير والتنوير" 8/1.

(٣) "التحرير والتنوير" 8/1.

7: **عنايته بأسباب النزول**:

اعتنى الشيخ ببيان أسباب النزول ، وأعطى هذا الفن أهمية وعناية بالغين ، وأفرد له المقدمة الخامسة ، وتحدث عن منهج المفسرين في إيراد أسباب النزول وأن بعضهم قد أغربوا وأكثروا منه حتى أوهموا أن كل آية من القرآن نزلت على سبب ، فكان أمر أسباب النزول دائراً بين القصد والإسراف ، وهذا الذي دعاه إلى خوض هذا الغرض في مقدمات التفسير لظهور شدة الحاجة إلى تمحيصه أثناء التفسير ، ثم اعتذر للمتقدمين الذين استكثروا من أسباب النزول تأليفاً وجمعاً ، ولم يعذر المفسرين الذين تلقفوا الروايات الضعيفة فأثبتوها في كتبهم دون تنبيه [١].

8: **عنايته بعلم مقاصد الشريعة ، وبيان الحكم من التشريعات**:

اعتنى ابن عاشور بمقاصد الشريعة الإسلامية ومصالحها ، وتحدث عن سماحة الإسلام وأنه ملائم للفطرة ، وتعرض لمقاصد أحكام العائلة وأواصر النكاح والنسب والقرابة ومقاصد التصرفات المالية وأحكام التبرعات وحكمها.

ويحرص على تلمس الحِكَم من الأحكام الشرعية، كالحكمة من تحريم الربا، والرخصة في أكل ذبائح أهل الكتاب، ونحو ذلك[٢].

9: **تنويهه بمكارم الأخلاق وأصول الفضائل والتحذير من مساوئ الأخلاق**:

تطرق ابن عاشور لكثير من أصول الأخلاق والفضائل كالصبر والحلم والشكر والصفح والعفو والكرم والشجاعة ونحوها ، كما أنه قد حذر من مساوئ الأخلاق وسفاسف الأمور كالجور والظلم والبخل والكذب والغيبة والنفاق والتبذير ونحوها[٣].

---

(١) "التحرير والتنوير" 46/1

(٢) "مدخل لتفسير ""التحرير والتنوير" "لمحمد الحمد ص 41,40.

(٣) "مدخل لتفسير " "التحرير والتنوير" "لمحمد الحمد ص44.

10: عنايته بمبتكرات القرآن وعاداته:

وقد تحدث عن هذا الموضوع في المقدمة العاشرة[1] وبين أن في القرآن مبتكرات تميز بها عن بقية كلام العرب ، وذكر أن القرآن جاء على أسلوب يخالف الشعر ويخالف أسلوب الخطابة، وجاء بأسلوب التقسيم وتسوير السور ، وهذا لا يعرف في غير القرآن ، إلى غير ذلك مما ذكره.

وقد نبه ابن عاشور على كل أسلوب يعد من مبتكرات القرآن خلال تفسيره تارة بالنص على أنه من مبتكرات القرآن وتارة لا يجزم بل يكتفي بقوله: "أحسب أنه من مبتكرات القرآن"[2].

---

(١) "التحرير والتنوير" 124,120/1

(٢) انظر على سبيل المثال "التحرير والتنوير" 146/29 و 259/30 .

طباعة الكتاب:

كان ابن عاشور قد نشر هذا التفسير أول الأمر في مقالات في "المجلة الزيتونية "[١] ، ثم طبعت مقدمته في تونس سنة سبعين وثلاثمائة وألف ، وأعيد طبعها مع تفسير جزء عم سنة خمس وسبعين ، وطبع الجزآن الأول الثاني بمصر سنة أربع وثمانين ، ثم طبع التفسير كاملاً سنة أربع وأربعمائة وألف ، وصدر عن الدار التونسية للنشر بتونس ،والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر في ثلاثين جزءاً[٢].

ثم طبع طبعات كثيرة منها طبعة دار سحنون بتونس في ثلاثين جزءاً مجموعة في اثني عشر مجلداً يحوي مجموعها دون الفهارس أحد عشر ألفاً ومائة وسبعاً وثمانين صفحة تقريباً.

---

(١) انظر "المجلة الزيتونية" 15/1

(٢) "محمد الطاهر بن عاشور ، علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه" لإياد الطباع ص104.

الفصل الثالث
منهج ابن عاشور في إيراد المناسبات

بعد أن أنهيت هذا البحث وجمعت المناسبات التي يذكرها ابن عاشور وقارنتها بأقوال غيره ممن اعتنى بهذا العلم تبين لي بعد ذلك المنهج الذي سار عليه ابن عاشور في ذكر المناسبات، ويمكن إجماله فيما يلي:

١. يبدأ ابن عاشور بذكر المناسبة بعد إيراد الآية مباشرة ثم يذكر تفسيرها[١] ، وقد سار على هذه الطريقة كثيراً إلا أنه قد يخالف هذا المنهج أحياناً فيذكر المناسبة بعد تفسير الآية وتحليلها لغوياً[٢].

٢. لم يتتبع جميع الآيات ويذكر مناسباتها، وإنما يذكر ذلك في بعض الآيات.

٣. ذكر في بعض الآيات مناسبتين[٣] وفي بعضها ثلاث مناسبات[٤].

٤. تختلف طريقته في ذكر المناسبات فأحياناً يصرح بذكر المناسبة فيقول: ومناسبة هذه الآية لما قبلها[٥] ، أو يقول: وجه تعقيب هذه الآية[٦]، ونحو هذه العبارات، وأحياناً كثيرة لا يصرح وإنما يشير إلى أنها مفرعة عما قبلها، أو أنها استئناف ناشئ عن شيء قبلها [٧]، ونحو هذه العبارات[٨].

---

(١) انظر على سبيل المثال "التحرير والتنوير": 45/27، 102، 112، 179، 224، 300

(٢) انظر على سبيل المثال "التحرير والتنوير":27/ 9، 145، 216، 248.

(٣) كما في المناسبات رقم :(12)،(52)،(74)،(90)،(110)،(133).

(٤) كما في المناسبات رقم :(11)،(51).

(٥) كما في المناسبة رقم :(4)، (49).

(٦) كما في المناسبة رقم :(25)،(27).

(٧) انظر المناسبة رقم :(38).

(٨) انظر المناسبة رقم:(36)،(136).

٥. قد يذكر ابن عاشور أقوال غيره وينقلها عنهم مع نسبتها إليهم كما في نقله عن الزمخشري[١] ، وابن عطية[٢].

٦. أكثر ما اعتنى به ابن عاشور من أنواع المناسبات هو المناسبة بين الآية وما قبلها.

٧. لا يعتني كثيراً بذكر مناسبة السورة لما قبلها، لأنه يرى أن ذلك ليس حقاً على المفسر كما ذكر ذلك في مقدمة كتابه ، ولكنه مع ذلك قد أشار إلى مناسبة بعض السور لما قبلها [٣].

٨. ذكر ابن عاشور مناسبة فاتحة سورة الصف لما بعدها من الآيات، وهذه المناسبة لم أجد من أشار إليها[٤]، بل لم أجد من اعتنى بذكر هذا النوع من أنواع المناسبات.

٩. كثيراً ما يوافق ابن عاشور ما يذكره الرازي أو أبو حيان أوالبقاعي أو أبو السعود[٥].

وقد يتفق الجميع على ذكر المناسبة[٦] ، ولكن ابن عاشور له أسلوب خاص يتميز به عن غيره ، فهو يعرض المناسبة بأسلوب بديع وتركيز شديد يفهمه كل من يقرأه من متخصص وغيره ، حيث يعرض المناسبة بلغة عصره .

١٠. ينفرد ابن عاشور كثيراً بذكر مناسبات لم أجدها عند غيره من هؤلاء العلماء المعتنين بعلم المناسبات[٧].

١١. في بعض الأحيان يشير ابن عاشور إلى أن الله لما ذكر كذا أعقبه بذكر كذا، ولا

---

(١) كما في المناسبة رقم :(55)،(66).

(٢) كما في المناسبة رقم :(66)،(122).

(٣) كما في المناسبة رقم :(130).

(٤) انظر المناسبة رقم :(50).

(٥) كما في المناسبات رقم :(8)،(16)،(26)،(41)،(48).

(٦) كما في المناسبات رقم :(99)،(111)،(125).

(٧) كما في المناسبات رقم:(15)،(17)، (50)، (62)، (79)، (82)، (90)، (94)، (104)، (110) ، (114)،(115)، (127).

يذكر العلة لهذا التعقيب[١].

و لم أعتن بجمع مثل هذا لأن ليس بصريح في ذكر المناسبة، وإنما فيه بيان أن هذه الآية جاءت بعد تلك الآية.

١٢. يشير في بعض المواضع إلى أن الآيات جاءت في منتهى الدقة ثم يذكر ترتيبها ووجه ذلك بإجمال[٢]، و في سورة النبأ ذكر مناسبة عدة آيات ثم أجمل ذلك في آخرها[٣].

١٣. يعتني كثيراً بذكر المناسبات الجارية على عادة القرآن كإتباع الترغيب بالترهيب أو العكس، أو إتباع أحوال الكفار بأحوال المؤمنين في الدنيا والآخرة ونحو ذلك من المقابلات[٤].

١٤. قد يذكر ابن عاشور المناسبة بين معنى الآية وغرض السورة [٥]، وهذه من المناسبات التي لم أجدها عند غيره.

١٥. يذكر ابن عاشور المناسبة بين القسم والمقسم به [٦]، وهذا الأمر لم يعتن به كثير من العلماء.

١٦. ينتقد بعض أقوال العلماء في وجوه الربط بين الآيات ثم يذكر ما يراه صواباً[٧].

١٧. قد يذكر ابن عاشور عدة أقوال في تفسير الآية ثم يشير إلى مناسبة هذه الآية لما قبلها بناء على تفسيرها بأحد هذه الأقوال[٨].

---

(١) انظر على سبيل المثال :"التحرير والتنوير" 112/28، 29/ 213، 412

(٢) انظر المناسبة رقم:(3).

(٣) انظر ص259

(٤) كما في المناسبات رقم:(26)،(67)،(68)،(75)، (77)،(94)،(99)،(111)، (120)، (125)، (132).

(٥) انظر المناسبات رقم:(92)، (100)،(117)،(135) .

(٦) كما في المناسبات رقم :(7)،(113)،(114)،(115)،(116)،(128)،(129).

(٧) انظر ص238 .

(٨) انظر المناسبة رقم:(30) ، (74).

١٨. اعتمد في بعض المناسبات على سبب نزول الآية[١].

١٩. قد يصرح في بعض المواضع بقوة المناسبة [٢]،أو بوضوح ارتباط الآية بما قبلها [٣]، ولكن لا يذكر وجه الارتباط لوضوح ذلك عنده.

---

(١) كما في المناسبات رقم:(51)،(84).

(٢) انظر المناسبة رقم :(97)

(٣) انظر المناسبة رقم:(126).

القسم الثاني

الجمع والدراسة

سورة ق

مناسبات الآيات في سورة ق

١. (1) قوله تعالى: (ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ)[١]

قال ابن عاشور:"تفريع على قوله: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ)[٢] إلى قوله: (ﭻ ﭼ)[٣] لأن أهمّ ما ذكر من تكذيبهم أنهم كذبوا بالبعث، وخلقُ السماوات والنجوم والأرض دالّ على أن إعادة الإنسان بعد العدم في حيّز الإمكان ، فتلك العوالم وجدت عن عدم ،وهذا أدلّ عليه قوله تعالى في سورة (يس) (ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ)[٤] "[٥].

بين ابن عاشور أن الله لما ذكر جملة من تكذيبات المشركين وكان من أهمها إنكارهم للبعث أتبع تلك الآيات بذكر الدليل على إثبات البعث ، وذلك أن خلق السماوات وما فيها من أفلاك يدل على أن الخالق لتلك الأمور العظام عن عدم قادر على بعث الإنسان.

وهذه الطريقة في إثبات البعث ترد كثيراً في القرآن، ولذلك أشار ابن عاشور إلى ما وافق هذه الطريقة كما في الآية التي في سورة (يس).

وهذه المناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد أشار إليها الرازي أيضاً ، وأشار إلى الآيات الشبيهة بها حيث قال:" (ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ)[٦] إشارة إلى الدليل الذي يدفع قولهم : (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ)[٧] وهذا كما في قوله تعالى : (ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ

---

(١) ق:6.

(٢) ق:2.

(٣) ق:5.

(٤) يس:81.

(٥) "التحرير والتنوير" 285/26

(٦) ق:6.

(٧) ق:3.

ﮤ)[1] وقوله تعالى: (ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ)[2] وقوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﯯ)[3]"[4].

أما البقاعي فقد بين أن هذا إنكار عليهم، وتوبيخ، ودليل على فساد إنكارهم.

قال البقاعي:"ولما أخبرهم أنهم قالوا عن غير تأمل أنكر عليهم ذلك موبخاً لهم دالاًّ على صحة ما أنكروه وفساد إنكارهم بقوله، مسبباً عن عجلتهم إلى الباطل: (ﭽ ﭾ ﭿ)[5] "[6].

فابن عاشور لم يأت بشيء جديد في هذه المناسبة وقد سبقه إلى ذكرها الرازي والبقاعي ، بل إن ابن عاشور قد تابع الرازي في ذكر آية يس ، وزاد الرازي آيتين أخريين.

---

(١) يس:81.

(٢) غافر:57.

(٣) الأحقاف:33.

(٤) "مفاتيح الغيب" 155/28

(٥) ق:6.

(٦) "نظم الدرر" 407/18

٢. (2) قوله تعالى: (ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ)[١]

قال ابن عاشور: "استئناف ابتدائي ناشيء عن قوله: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ)[٢] فعُقّب بأنهم ليسوا ببدع في الضلال فقد كذبت قبلهم أمم"[٣].

بين ابن عاشور أن هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى : (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ)[٤] وذلك أن الله لما ذكر حال المشركين مع دعوة النبي ﷺ بين أن ضلالهم هذا ليس بجديد فقد كذب أمم من قبلهم ، وهذا الأسلوب كثير في القرآن.

وقد ذكر أبو حيان هذه المناسبة أيضاً، وجعل هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى : (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ)[٥] حيث قال:"لما ذكر تعالى قوله: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ)[٦] ذكر من كذب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تسلية لرسوله ﷺ "[٧].

أما البقاعي فقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً، وربطها بسياق الآيات السابقة، قال البقاعي:" لم ا وصل الأمر إلى حد لا خفاء معه، فصح أنهم يعلمون ذلك و لم يحملهم على التصريح بالتكذيب به إلا المبادرة إلى ذلك بغلبة الهوى من غير تأمل لعاقبته، فصار من باب لزوم الغلط، وكان السياق لإنكار البعث الذي جاء به منذر من القوم المنذرين، كان كأنه قيل: إن إنكار هؤلاء أعجب، فهل وقع هذا لأحد قط، فقال تعالى مسلياً لهذا النبي الكريم لأن المصيبة إذا عمت هانت، مبيناً لمجد القرآن ولمجد آياته تحقيقاً للإنذار وتحذيراً به لا للنصيحة: (ﯙ ﯚ ﯛ)[٨][٨] "[١].

---

(١) ق: 12 – 14.

(٢) ق:5.

(٣) "التحرير والتنوير" 295/26

(٤) ق:5.

(٥) ق:5.

(٦) ق:5.

(٧) "البحر المحيط" 122/8

(٨) ق: 12.

ولم يأت ابن عاشور بشيء جديد ، وإنما تابع أبا حيان والبقاعي ، إلا أن ابن عاشور جعل الاستئناف ابتدائياً ، ويفهم من كلام البقاعي أنه استئناف بياني حيث يقول : كأنه قيل ...إلخ.

(١) "نظم الدرر" 414/18

٣. (3) قوله تعالى: ﴿ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح﴾(١)

قال ابن عاشور في آخر تفسير هذه الآيات:" جاء ترتيب الآيات في منتهى الدقة ، فبدأت بذكر إكرامهم بقوله: (ئح ئم ئى)، ثم بذكر أن الجنة جزاؤهم الذي وعدوا به فهي حق لهم، ثم أوْمَأت إلى أن ذلك لأجل أعمالهم بقوله: ﴿بي تج تح تخ تم تى تي﴾ الخ، ثم ذكرت المبالغة في إكرامهم بعد ذلك كله بقوله: ﴿ جم حج ﴾، ثم طمْأَنهم بأن ذلك نعيم خالد، وزِيد في إكرامهم بأن لهم ما يشاؤون ما لم يروه حين الدخول، وبأن الله عدهم بالمزيد من لدنه"(٢).

وقال الرازي:"وفي الآية ترتيب في غاية الحسن، وذلك لأنه تعالى بدأ ببيان إكرامهم حيث قال: (ئح ئم ئى) ولم يقل: قرب المتقون من الجنة بياناً للإكرام حيث جعلهم ممن تنقل إليهم الجنان بما فيها من الحسان، ثم قال لهم هذا لكم، بقوله: ﴿بخ بم بى ﴾ ثم بيّن أنه أجر أعمالهم الصالحة بقوله: ﴿بي تج تح ﴾ وقوله : ﴿تم تى تي ﴾ فإن تصرف المالك الذي ملك شيئاً بعوض أتم فيه من تصرف من ملك بغير عوض، لإمكان الرجوع في التمليك بغير عوض، ثم زاد في الإكرام بقوله: ﴿ جم ﴾ كما بينا أن ذلك إكرام، لأن من فتح بابه للناس، ولم يقف ببابه من يرحب الداخلين، لا يكون قد أتى بالإكرام التام، ثم قال: ﴿ خج خم ﴾ أي لا تخافوا ما لحقكم من قبل حيث أخرج أبويكم منها، فهذا دخول لا خروج بعده منها.

ثم لما بيّن أنهم فيها خالدون قال: لا تخافوا انقطاع أرزاقكم وبقاءكم في حاجة، كما كنتم في الدنيا من كان يعمر ينكس ويحتاج، بل لكم الخلود، ولا ينفد ما تمتعون به فلكم ما تشاءون في أي وقت تشاءون، وإلى الله المنتهى، وعند الوصول إليه، والمثول بين يديه، فلا يوصف ما لديه، ولا يطلع أحد عليه، وعظمة من عنده تدلك على فضيلة ما عنده، هذا هو الترتيب"(٣).

وقال البقاعي:"لما كان التقريب قد لا يدري الناظر ما سببه، قال ساراً لهم: ﴿ بخ ﴾ أي الإزلاف والذي ترونه من كل ما يسركم ﴿ بم ﴾ أي الأمر الذي ﴿ بى ﴾ أي وقع الوعد لكم به في الدنيا ...، وأبهم الأمر لأنه أكثر تشويقاً، والتعيين بعد الإبهام ألذ، فلذلك قال بياناً

---

(١) ق:31 ــ 35

(٢) "التحرير والتنوير" 321/26

(٣) "مفاتيح الغيب" 180/28

للمتقين ... جواباً لمن كأنه قال: لمن هذا الوعد؟ فقال تعالى:﴿ بي تج ﴾ أي رجاع إلى الاستقامة بتقوى القلب إن حصل في ظاهره عوج، ... ﴿تح ﴾ أي مبالغ في حفظ الحدود وسار العهود بدوام الاستقامة والرجوع بعد الزلة، ثم أبدل م ن (كل) تتميماً لبيان المتقين قوله: ﴿ تم تى ﴾ ولم يعد الجارّ لأنه لا اعتراض قبله كالأول، ونبه على كثرة خشيته بقوله: ﴿ تي ﴾... ﴿ثج ﴾ ...

ولما كان النافع من الطاعة الدائم إلى الموت قال:﴿ ثم ﴾ أي بعد المو ت ﴿ ثى ثي ﴾ أي راجع إلى الله تعالى بوازع العلم، ولم يقل: بنفس، لطفاً بالعصاة لأنهم وإن قصرت نفوسهم لم يكن لها صدق القدم فلهم الأسف بقلوبهم، وصدق الندم.

ولما كان الإخبار بكونها لهم وإن كان أمراً ساراً لا يقتضي دخولها في ذلك الوقت، زاد سرورهم بالإذن بقوله معبراً بضمير الجميع بياناً لأن المراد من ﴿ تم ﴾ جميع المتقين: ﴿ جم ﴾ أي يقال لهم: ادخلوا الجنة.

ولما كان المراد استقبالهم بالإلذاذ بالبشارة قال: ﴿ حج ﴾أي مصاحبين للسلامة من كل يمكن أن يخاف، ... ﴿ خج ﴾ أي اليوم العظيم جداً ﴿ خح ﴾ ابتداء أو تقرير ﴿ خم ﴾أي الإقامة التي لا آخر لها ولا نفاذ لشيء من لذاتها أصلاً، ولذلك وصل به قوله جواباً لمن كأنه قال: على أي وجه خلودهم؟:﴿ سح ﴾ بظواهرهم وبواطنهم ﴿ سخ سم ﴾ أي يتجدد مشيئتهم أو تمكن مشيئتهم له ﴿ صح ﴾ أي الجنة ﴿ صم ﴾ أي عندنا من الأمور التي في غاية الغرابة عندهم وإن كان كل ما عندهم مستغرباً﴿ ضج ﴾ أي مما لا يدخل تحت أوهامهم يشاؤه، فإن سياق الامتنان يدل على أن تنوينه للتعظيم "[١].

هذه الطريقة الإجمالية التي ذكرها ابن عاشور نادرة في تفسيره، والإشارة إلى دقة ترتيب هذه الآيات قد اختصرها ابن عاشور من كلام الرازي كما هو واضح ، ولم يزد عليه شيئاً إلا بقوله:"وبأن الله وعدهم بالمزيد من لدنه ".

وأما البقاعي فلم يشر إلى دقة ترتيب هذه الآيات ، وذكر روابط أخرى بينها ، و فيها شيء مما ذكره الرازي حيث قال : "كأنه قال لمن هذا الوعد" وهو بمعنى قول الرازي :"أنه أجر أعمالهم الصالحة".

---

(١) "نظم الدرر"432/18

وقال أيضاً : "زاد سرورهم " وهو بمعنى قول الرازي :"ثم زاد في الإكرام".

٤. (4) قوله تعالى: (ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ)[١]

قال ابن عاشور:"مناسبة اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لما نزل قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ)[٢] إلى قوله: (ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ)[٣] وكان ذلك قريباً مما وصف في التوراة من ترتيب المخلوقات إجمالاً ثم نزل قوله بعد ذلك (ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ)[٤] كان بعض اليهود بمكة يقولون: إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام واستراح في اليوم السابع، وهذا مكتوب في سفر

---

(١) ق:38.

(٢) ق:6.

(٣) ق:10.

(٤) ق:15.

التكوين من التوراة[1]، والاستراحة تؤذن بالنَصَب والإعياء ، فلما فرغت الآية من تكذيب المشركين في أقوالهم عَطفت إلى تكذيب الذين كانوا يحدثوهم بحديث الاستراحة، فهذا تأويل موقع هذه الآية في هذا المحل مع ما حكَى ابن عطية من الإجماع على أن هذه السورة كلها مكية[2] ،وقد أشرنا إلى ذلك في الكلام على طليعة السورة [3] فقول: من قال: نزلت في يهود المدينة تكلّف إذ لم يكن اليهود مقصورين على المدينة من بلاد العرب وكانوا يترددون إلى مكة.

فقوله: (ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ چ) تكملة لما وَصف من خلق السماوات في قوله: (ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڈ) إلى قوله: (ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ)[4] ليتوصل به إلى قوله: ﴿ ڃ ڃ چ چ ﴾ إبطالاً لمقالة اليهود، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها عطف"[5].

بين ابن عاشور أن هذه الآية متصلة بقوله تعالى: (ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڈ) وبقوله: ﴿ ئو ئو ئې ئې ئې ﴾ وأنها جاءت رداً لزعم اليهود أن الله استراح يوم السبت بعد خلقه السماوات والأرض.

وهذه المناسبة التي ذكرها ابن عاشور حسنة.

وقد ورد عن ابن عباس ﷺ أن اليهود أتت رسول الله ﷺ فسألته عن خلق السموات والأرض فقال: ((**خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين ،وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب ، وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاثة ساعات بقين منه ، فخلق في**

---

(١) جاء في سفر التكوين ، الإصحاح الثاني : 1، 2 ، 3 ، 4 : (فأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح الله من جميع عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالياً) ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

(٢) انظر"المحرر الوجيز"لابن عطية 155/6

(٣) "التحرير والتنوير" 274/26

(٤) ق:7.

(٥) "التحرير والتنوير" 325/26

أول ساعة الآجال حتى يموت من مات ،وفي الثانية ألقى الآفة على كل شئ مما ينتفع به الناس ،وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له ،وأخرجه منها في آخر ساعة)).

قالت اليهود:ثم ماذا يا محمد؟ قال: ((**ثم استوى على العرش**)) قالوا:قد أصبت لو أتممت ، قالوا:ثم استراح ، فغضب النبي > غضباً شديداً فنزلت: **(ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ)**[١].

وبما أن السورة مكية فقد رد ابن عاشور على من زعم أنها نزلت في يهود المدينة ، وما ورد من حديث ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ليس فيه ذكر لموطن اليهود الذين سألوا النبي > ولا ذكر لأسمائهم.

واليهود لهم مواطن في الجزيرة غير المدينة النبوية كتيماء [٢] وخيبر[٣] ، وهي وإن كانت أقرب إلى المدينة من مكة إلا أن هناك صلة بين يهود المدينة وغيرها وبين المشركين ، وكان أهل مكة يسألونهم ويأخذون عنهم بعض الشبه والأسئلة ليلقوها على النبي >[٤].

أما الرازي فقد نقل عن بعض المفسرين أن هذه الآية جاءت رداً على اليهود ثم استظهر أنها

---

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك" رقم (3997) 592/2 وقال :هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، قال الذهبي في "التلخيص" : أبوسعيد البقال قال ابن معين : لا يكتب حديثه ، وانظر "أسباب النزول" للواحدي ص297 ، وقال الألباني : "منكر" انظر "السلسلة الضعيفة" رقم (5973).

(٢) تقع في الجزء الشمالي الغربي من المملكة العربية السعودية ، بين المدينة النبوية وتبوك ، حيث تبعد عن تبوك نحو 264 كلم إلى الجنوب الشرقي ، وتبعد عن المدينة النبوية نحو 420 كلم شمالاً ، وهي بلدة تاريخية قديمة .

(انظر:"معجم البلدان" للحموي67/2 ، "معجم معالم الحجاز" لعاتق البلادي 53/2 "

(٣) تقع في الجزء الشمالي الغربي من المملكة العربية السعودية، وتبعد عن المدينة النبوية نحو 165 كلم شمالاً ، وفيها حصون قديمة لليهود .

(انظر:"معجم البلدان" للحموي 409/2، "معجم معالم الحجاز"لعاتق البلادي 29/3)

(٤) انظر "تفسير ابن جرير" 235/15 ، الأثر رقم (22863) ، فقد ذكر أثراً عن محمد بن إسحاق عن شيخ عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وفيه بعث قريشٍ النضرَ بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود.

المراد منها الرد على المشركين وأشار إلى اتصالها بما سبق في هذه السورة من أدلة البعث.

قال الرازي:"قال بعض المفسرين: المراد من الآية الرد على اليهود، حيث قالوا: بدأ الله تعالى خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه في ستة أيام آخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على عرشه فقال تعالى: ﴿ ڇ ڇ چ چ ﴾رداً عليهم، والظاهر أن المراد الرد على المشرك والاستدلال بخلق السموات والأرض ومما بينهما "[١].

وقد ذكر البقاعي قولاً قريباً من قول الرازي و لم يشر إلى أنها نزلت في اليهود أو أنها جاءت للرد عليهم بل جعلها تأكيداً لما مضى من إثبات البعث والرد على المنكرين.

قال البقاعي:" لما دل على تمام علمه وشمول قدرته بخلق الإنسان إثر ما ذكره من جميع الأكوان، ثم بإعدامه لأصناف الإنسان في كل زمان، ذكر بخلق ما أكبر منه في المقدار ... فقال عاطفاً على (ٱ ٻ ٻ ڎ)[٢] وأكد تنبيهاً لمنكري البعث وتبكيتاً، وافتتحه بحرف التوقع لأن من ذكر بخلق شيء توقع الإخبار عما هو أكبر منه: ﴿ ٱ ٻ ﴾ "[٣].

وما ذكره ابن عاشور من أنها نزلت في اليهود لا يكفي في ذكر مناسبة وقوعها في هذا الموقع، إلا إن كان سبب النزول واقعاً أثناء نزول هذه السورة.

والقول بأنها جاءت رداً على المشركين أقرب، خصوصاً وأنه لم يرد لليهود ذكر سابق في هذه السورة ، و السورة مكية، وقد نُقِل الإجماع على ذلك كما سبق ، و احتمال أن يكون هؤلاء اليهود السائلون قد أتوا إلى مكة فيه بعد، وإن كان ذلك لا ينكر ، وابن عاشور نفسه ذكر في الآية التالية لهذه الآية وهي قوله تعالى: (ڿ ڿ ڿ ڿ ڎ)[٤] أن المراد :اصبر على ما يقول المشركون من التكذيب بالبعث والرسالة ، و صرح أيضاً في موضع آخر من تفسيره أن الخوض مع اليهود إنما كان بالمدينة [٥].

و إذا قلنا إنها جاءت رداً على المشركين وتتميماً وتأكيداً لما مضى في أول السورة فإن ذلك لا

---

(١) "مفاتيح الغيب"184/28

(٢) ق:16.

(٣) "نظم الدرر" 437/18

(٤) ق:39.

(٥) "التحرير والتنوير" 123/27

يمنع أن تكون رادة على اليهود أيضاً ، لأن تعدد نزول الآية أمر وارد[1].

(١) انظر : "الإتقان في علوم القرآن" 95/1.

ه. (5) قوله تعالى: **(ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ)**[١]

قال ابن عاشور:"تفريع على ما تقدم كله من قوله: **(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ)**[٢]

ومناسبة وقعه هذا الموقع ما تضمنه قوله: **(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ)**[٣] الآية من التعريض بتسلية النبي ﷺ أي فاصبر على ما يقول المشركون من التكذيب بما أخبرهم من البعث وبالرسالة ،وقد جمع ذلك كله الموصول وهو ﴿ ﭽ ﭾ ﴾.

وضمير ﴿ **يَقُولُونَ** ﴾ عائد إلى المشركين الذين هم المقصود من هذه المواعظ والنذر ابتداء من قوله: **(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ)** "[٤].

بين ابن عاشور أن هذه الآية جاءت تفريعاً على ما تقدم في أول السورة من قوله تعالى: **(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ)**،وأنها جاءت في هذا الموقع لأن قوله: **(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ)** فيه تسلية للنبي > فأردف ذلك بالأمر بالصبر على ما يقولون.

وأما الرازي فقد أشار إلى أنها مرتبطة بقوله تعالى: **(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ)**[٥] ، ورد على من قال إن المقصود بذلك مقالة اليهود ، ولكنه لم يصرح بسبب وقوعها في هذا الموقع كما فعل ابن عاشور.

قال الرازي:"قال من تقدم ذكرهم من المفسرين [٦]:إن معناه اصبر على ما يقولون من حديث التعب بالاستلقاء، وعلى ما قلنا معناه اصبر على ما يقولون إن هذا لشيء عجيب، ﴿ ﭿ ﮀ ﮁ ﴾ وما ذكرناه أقرب لأنه مذكور، وذكر اليهود وكلامهم لم يجر"[٧].

وأما البقاعي فقد ربطها بالآية السابقة لها مباشرة وأشار أيضاً إلى أنها أمر بالصبر على ما يقوله عموم الكفرة.

---

(١) ق:39.

(٢) ق:2.

(٣) ق:36.

(٤) "التحرير والتنوير" 326/26

(٥) ق:2.

(٦) لم يصرح الرازي بأسماء هؤلاء المفسرين وإنما أبهمهم .

(٧) "مفاتيح الغيب" 184/28

قال البقاعي:"لما دل سبحانه على شمول العلم وإحاطة القدرة، وكشف فيهما الأمر أتم كشف، كان علم الحبيب القادر بما يفعل العدو أعظم نذارة للعدو وبشارة للولي، سبب عن ذلك قوله: ﴿ ﭺ ﭻ ﭼ ﴾ أي جميع الذي ﴿ ﭽ ﴾ أي الكفرة وغيرهم"[١].

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور فيها تصريح بعلة مجيء هذه الآية في هذا الموقع فقد ذكر بأنها مسببة عن الآية السابقة لها ، و أما البقاعي فقد ذكر العلة ضمناً و لم يصرح بها ، فإن النذارة للعدو والبشارة للولي فيها تسلية .

و لم يصرح الرازي بعلة مجيء هذه الآية في هذا الموقع ، وإنما ذكر أنها مرتبطة بأول السورة .

(١) "نظم الدرر" 438/18

سورة الذاريات

مناسبات الآيات في سورة الذاريات

٦. (1) قوله تعالى: ﴿ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ﴾ (١)

لما ذكر ابن عاشور الأقوال في محمل هذه الأوصاف وموصوفاتها وذكر القول بأنها جميعها وصف للرياح ونسبه للزمخشري والرازي وذكر أنه الأنسب لعطف الصفات بالفاء قال: " ومن رشاقة هذا التفسير أن فيه مناسبة بين المُقْسَم به والمقسم عليه وهو قوله:﴿ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ﴾ فإن أحوال الرياح المذكورة هنا مبدؤها: نفخ، فتكوين، فإحياء، وكذلك البعث مبدؤه: نفخ في الصور، فالتئام أجساد الناس التي كانت معدومة أو متفرقة، فبثٌّ الأرواح فيها فإذا هم قيام ينظرون.

وقد يكون قوله تعالى: ﴿ ﰉ ﴾ إشارة إلى ما يقابله في المثال من أسباب الحياة وهو الروح لقوله: (ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ)[٢] "[٣].

فبين أن المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه هي أن مبدأ أحوال الرياح نفخ فتكوين فإحياء وكذلك البعث.

وهذه مناسبة لطيفة بين المقسم به والمقسم عليه.

وأما البقاعي فقد نقل عن البيضاوي أنه قال:" كأنه استدل باقتداره على هذه الأشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث"[٤].

وهذا فيه ذكر السر في القسم بهذه الأشياء ، وليس فيه ذكر المناسبة.

وأما أبو السعود فقال: "وفي تخصيصِ الأمورِ المذكورة بالإقسام بها رمز إلى شهادتها بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث إنها أمور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة ،فمن قدر عليها

---

(١) الذاريات: 1- 6 .

(٢) الإسراء:85.

(٣) "التحرير والتنوير" 339/26

(٤) "نظم الدرر" 448/18 ، "أنوار التنزيل" للبيضاوي 146/5 .

فهو قادر على البعث الموعود"[١].

وهذا قريب مما ذكره ابن عاشور حيث أشار إلى أنها مرتبطة بقوله تعالى : ﴿ ئۆ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئۈ ئى ئېى﴾ ، والقادر على الأشياء المقسم بها هنا قادر على البعث.

إلا أن ابن عاشور صرح بذكر المناسبة وجعلها مختصة بأحد الأقوال وهو أن المقسم به في هذه الآيات يعود إلى الرياح.

---

(١) "إرشاد العقل السليم" 136/8

٧. (2) قوله تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ﴾[١]

قال ابن عاشور: "ومناسبة هذا القسم للمقسم عليه في وصف السماء بأنها ذات حُبُك، أي طرائق لأن المقسم عليه: إن قولهم مختلف طرائق قِدداً ،ولذلك وصف المقسم به ليكون إيماء إلى نوع جواب القسم"[٢].

بين ابن عاشور أن المناسبة بين هذا القسم والمقسم عليه هي أن السماء موصوفة بأنها ذات طرائق،والمشركون قولهم مختلف طرائق.

وهذه المناسبة التي ذكرها ابن عاشور محمولة على أن المراد بالحبك الطرق، وفي المراد بها أقوال قد ذكرها ابن عاشور.

وقد أشار أبو السعود إلى هذه المناسبة التي ذكرها ابن عاشور، وأشار إلى أن هذا القول ليس بذلك ولكن لم يوضح مراده.

قال أبو السعود: " قيل: النكتة في هذا القسم تشبيه أقوالهم في اختلافها وتنافي أغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك".

ثم ذكر المناسبة على القول بأن الحبك يراد بها الاستواء فقال:" وفي هذا الجواب [أي: جواب القسم] تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك [٣] من أن قول الكفرة لا يكون مستوياً إنما هو متناقض مختلف"[٤].

فالجامع بين وصف السماء بأنها مستوية تعريض بأقوال الكفار غير السوية ، وهذه مناسبة جيدة على هذا القول.

وأما البقاعي فلم يصرح بتلك المناسبة وإنما قال مفسراً:" ﴿ ﭔ ﴾يا معشر قريش ﴿ ﭕ ﭖ﴾

---

(١) الذاريات :7 -8.

(٢) "التحرير والتنوير" 340/26

(٣) هو ابن مزاحم الهلالي الخراساني ، أبو القاسم أو أبو محمد ، أخذ التفسير عن سعيد بن جبير ، وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة.

قال ابن حجر في "التقريب" :"صدوق كثير الإرسال" ، توفي سنة خمس ومائة .

(انظر:"تهذيب التهذيب"لابن حجر رقم(794)397/4 ، "تقريب التهذيب" لابن حجر رقم (2978) ص221)

(٤) "إرشاد العقل السليم" 137/8

محيط بكم في أمر القرآن والآتي به وجميع أمر دينكم وغيره مما تريدون به إبطال الدين الحق ﴿ يِ ﴾ كاختلاف طرائق السماء التي لا تكاد تنتظم"[١].

(١) "نظم الدرر" 451/18

٨. (3)قوله تعالى:" ﴿ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﴾[١]

قال ابن عاشور:"اعتراض قَابل به حال المؤمنين في يوم الدين جرى على عادة القرآن في اتباع النِّذارة بالبشارة، والترهيب بالترغيب"[٢].

بين ابن عاشور أن الله ما ذكر أحوال المشركين و ووعيدهم أتبعه بذكر أحوال المؤمنين وهذه العادة جارية في القرآن ، وكثيراً ما يذكر ابن عاشور مثل هذه المناسبة ويشير إليها.

وقد أشار إلى هذه المناسبة كل من الرازي وأبي حيان.

قال الرازي:"بعد بيان حال المغترين المجرمين بين حال المحق المتقي"[٣].

وقال أبو حيان:"لما ذكر حال الكفار، ذكر حال المؤمنين"[٤].

فلم يأت ابن عاشور بشيء جديد ، والمناسبة التي ذكرها قد سبقه إليها الرازي وأبو حيان.

---

(١) الذاريات:15-16.

(٢) "التحرير والتنوير" 347/26

(٣) "مفاتيح الغيب" 200/28

(٤) "البحر المحيط" 134/8

٩. (4)قوله تعالى: (ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ)[١]

قال ابن عاشور: "هذا متصل بالقَسَم وجوابه من قوله: (ۑ ې)[٢] وقوله: (ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ)[٣] إلى قوله: (ٱ ٻ ٻ)[٤] فبعد أن حقق وقوع البعث بتأكيده بالقسم انتقل إلى تقريبه بالدليل لإبطال إحالتهم إياه، فيكون هذا الاستدلال كقوله: (ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ)[٥] "[٦].

بين ابن عاشور أن هذه الآية متصلة بأول السورة ،أي أن الله لما أكد وقوع البعث ورد المشركين إنكارهم انتقل إلى ذكر الدليل على ذلك ،وحثهم على النظر فيه ، وهذه مناسبة ظاهرة.

وذكر ابن عاشور آية سورة فصلت التي هي شبيهة بهذا الاستدلال.

وهذه المناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد سبقه إليها الرازي في أحد الوجهين الذين ذكرهما بل وتبعه ابن عاشور بذكر آية فصلت.

والوجه الآخر الذي ذكره الرازي فيه مناسبة جميلة بين هذه الآية وبين ما قبلها من ذكر أحوال المتقين وأن في الأرض لهم آيات دلتهم على إصابة الحق.

قال الرازي: "هو يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون متعلقاً بقوله: (ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ)[٧] و ﴿ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ﴾ تدلهم على أن الحشر كائن كما قال تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ پ) إلى أن قال: (ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ)[٨]

---

(١) الذاريات:20.

(٢) الذاريات:1.

(٣) الذاريات:6.

(٤) الذاريات:7.

(٥) فُصِّلَت:39.

(٦) "التحرير والتنوير" 352/26

(٧) الذاريات:5.

(٨) فُصِّلَت:39.

وثانيهما: أن يكون متعلقاً بأفعال المتقين، فإنهم خافوا الله فعظموه فأظهروا الشفقة على عباده، وكان لهم آيات في الأرض، وفي أنفسهم على إصابتهم الحق في ذلك، فإن من يكون له في الأرض الآيات العجيبة يكون له القدرة التامة فيخشى ويتقى، ومن له من أنفس الناس حكم بالغة ونعم سابغة يستحق أن يعبد ويترك الهجوع لعبادته، وإذا قابل العبد العبادة بالنعمة يجدها دون حد الشكر فيستغفر على التقصير، وإذا علم أن الرزق من السماء لا يبخل بماله، فالآيات الثلاثة المتأخرة فيها تقرير ما تقدم"[1].

أما البقاعي فقد قال:" ولما دل إقسامه بالسماء وما قبلها من الذاريات على ما له في العلويات من الآيات إلى أن ختم بالأموال التي تنبتها الأرض، فكان التقدير: ففي السماوات آيات للمؤمنين دالات على عظمته واستحقاقه للعبادة بغاية الخضوع رغباً ورهباً، عطف عليه قوله: ﴿ ﮕ ں ﴾ "[2].

فجعل هذه الآية مرتبطة بقوله: (ﮒ ﮓ ﮔ)[3] لأن الأموال تنبتها الأرض.

وهذه المناسبات الثلاث لا تعارض بينها ويمكن أن نقول بها جميعها.

وابن عاشور قد تبع الرازي في أحد الوجهين الذين ذكرهما و لم يأت بجديد.

---

(١) "مفاتيح الغيب" 207/28

(٢) "نظم الدرر" 456/18

(٣) الذاريات:19.

١٠. (5) قوله تعالى: (ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ)[١] قال ابن عاشور:"بعد أن ذكر دلائل الأرض ودلائل الأنفس التي هم من علائِق الأرض عُطف ذكر السماء للمناسبة، وتمهيداً للقَسم الذي بعده بقوله: (ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ)[٢]، ولما في السماء من آية المطر الذي به تنبت الأرض بعد الجفاف"[٣].

بين ابن عاشور أن الله لما ذكر الأرض وما فيها من دلائل أتبعه بذكر السماء جرياً على عادة القرآن في ذلك ، ولأن ماء السماء سبب من أسباب إنبات الأرض.

وهذه مناسبة واضحة ، فكثيراً ما يقرن الله في القرآن الكريم بين السماء والأرض.

أما البقاعي فقد ربط هذه الآية بأول السورة حيث قال:" لما بان بما قدمته في (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ)[٤] ما في جهة العلو من الأسباب الموجبة للنعمة والعذاب، قال: ﴿ ﮠ ﮡ ﴾ أي جهة العلو ﴿ ﮢ ﴾"[٥].

وفي ختام هذه الآية أشار الرازي إلى حسن ترتيب هذه الآيات الثلاث فقال:

"وفي الآيات الثلاث ترتيب حسن ،وذلك لأن الإنسان له أمور يحتاج إليها لا بد من سبقها حتى يوجد هو في نفسه وأمور تقارنه في الوجود وأمور تلحقه وتوجد بعده ليبقى بها، فالأرض هي المكان وإليه يحتاج الإنسان ولا بد من سبقها فقال: (ﮗ ﮘ ﮙ)[٦] ثم في نفس الإنسان أمور من الأجسام والأعراض فقال: (ﮛ ﮜ ﮝ)[٧] ثم بقاؤه بالرزق فقال: ﴿ ﮠ ﮡ ﮢ ﴾ ولولا السماء السماء لما كان للناس البقاء"[٨].

وفي هذه ترتيب دقيق يدل على دقة نظر الرازي .

---

(١) الذاريات:22.

(٢) الذاريات:23.

(٣) "التحرير والتنوير" 354/26

(٤) الذاريات:4.

(٥) "نظم الدرر" 458/18

(٦) الذاريات:20.

(٧) الذاريات:21.

(٨) "مفاتيح الغيب" 208/28

وقد سبق[١] أن ذكر مناسبتين أخريين عند قوله تعالى: (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ)[٢] تضاف إلى ما ذكره ذكره هنا.

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم أجد من ذكرها غيره ، وقد أشار ابن عاشور إلى أنها جارية على عادة من عادات القرآن وهي القِران بين السماء والأرض.وفي هذا إضافة جديدة من ابن عاشور.

١١. (6) قوله تعالى(ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ)[٣]

قال ابن عاشور: "المناسبة للانتقال من وعيد المشركين إلى العبرة بالأمم الماضية أن المشركين

---

(١) ص 102

(٢) الذاريات:20.

(٣) الذاريات:24.

وصفوا آنفاً بأنهم في غمرة ساهون فكانوا في تلك الغمرة أشبه بقوم لوط إذ قال الله فيهم (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ)[1] ، ولأن العذاب الذي عذب به قوم لوط كان حجارة أنزلت عليهم من السماء مشبهة بالمطر، وقد سميت مطراً في قوله تعالى: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ)[2] وقوله: (ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ)[3] ولأن في قصة حضور الملائكة عند إبراهيم وزوجه عبرة بإمكان البعث فقد تضمنت بشارتها بمولود يولد لها بعد اليأس من الولادة وذلك مثل البعث بالحياة بعد الممات"[4].

بين ابن عاشور مناسبة هذه القصة لما قبلها وذكر ثلاث أسباب للانتقال إلى العبرة بقصة إبراهيم ولوط ، و لم أجد هذه المناسبات عند غيره ، والمناسبات التي ذكرها ابن عاشور هي:

١. المشابهة بين وصف المشركين بأنهم في غمرة ساهون وبين قوم لوط الذين هم في سكرة يعمهون.

٢. المشابهة اللفظية بين ما جاء في هذه السورة من ذكر السحاب والرزق من السماء وبين المطر الذي عذب به قوم لوط.

٣. ما في قصة بشارة إبراهيم بالولد من إشارة إلى البعث.

أما البقاعي فقد قال:"لما بين بما مضى من القسم وما أتبعه من أنه أودع في السماوات والأرض وما بينهما أسباباً صالحة للإتيان بما وعدناه من الخير، وما توعدنا به من الشر ، وإن كنا لم نرها وهو قادر مختار، فصار ذلك كالمشاهد، ولا وجه للتكذيب بوعد ولا وعيد، دل عليه وصوره بما شوهد من أحوال الأمم وبدأ – لأن السياق للمحسنين – برأس المحسنين من أهل هذه الأنباء الذي أخبرته الملائكة عليهم السلام بما سببه معه وإن كان على غير العادة ، فتعجب زوجته من ذلك مع كونها أعلى نساء ذلك الزمان، وأتبع قصته قصة لوط ابن أخيه عليهما السلام لاتصال ما بين قصتيهما في الزمان، ولمناسبة عذابهم لما أقسم به في أول السورة، فإنه سبحانه أمر الذاريات فاقتلعتهم بقراهم وحملتها كما تحمل السحاب ثم كبتهم فرجمتهم، والأرض فخسفت

---

(١) الحِجر:72.

(٢) الفرقان:40.

(٣) هود:82.

(٤) "التحرير والتنوير" 356/26

بهم، والملائكة الموكلة بمثل ذلك، ففعلوا جميع ما أمروا به ورأوهم في قريتهم وقصدوهم بالمكر لأنهم خفي عليهم أمرهم."(١).

فبين أن هذه القصة مرتبطة بما ذكر في أول هذه السورة من القسم وما تبع ذلك من ذكر الوعيد ثم الوعد للمحسنين أتبع ذلك بذكر رأس المحسنين وهو خليل الله إبراهيم عليه السلام ثم أتبعها بقصة لوط لقرب الزمان بينهما.

ولأن الله ذكر في أول السورة الرياح التي وصفها بالذاريات وهي مناسبة لما عذب به قوم لوط.

وابن عاشور قد تفرد بذكر هذه المناسبة ، فهي من الإضافات التي أضافها في علم المناسبات، وفيها يظهر دقة ابن عاشور حيث أشار إلى ثلاث مناسبات للانتقال من وعيد المشركين إلى العبرة بأحوال الأمم الماضية.

---

(١) "نظم الدرر" 460/18

١٢. (7)قوله تعالى: (ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ)[١]

قال ابن عاشور:"أعقب قصة قوم لوط بقصة موسى وفرعون لشهرة أمر موسى وشريعته"[٢].

وقال أيضاً:"عقبت قصة قوم لوط بقصة موسى وفرعون لما بينهما من تناسب في أن العذاب الذي عذب به الأُمّتان عذاب أرضي إذ عذب قوم لوط بالحجارة التي هي من طين، وعذب قوم فرعون بالغرق في البحر"[٣].

ذكر ابن عاشور مناسبتين لتعقيب قصة قوم لوط بقصة موسى وفرعون:

المناسبة الأولى: شهرة أمر موسى وشريعته.

المناسبة الثانية: أن الأمتين قد عذبتا بعذاب أرضي.

أما البقاعي فقد ربط هذه الآية بما قبلها من القصص ثم أشار إشارة إلى ما أيد الله به موسى من الرياح التي قد أقسم بها في أول السورة.

قال البقاعي:"لما قدم سبحانه أحق القصص الدالة على قسمه وما أقسم عليه بما فيها من خفاء الأسباب مع وجودها، ثم ما فيها من إنزال ما به الوعيد من السماء بالنار والماء الذي أشير إليه بالمقسمات، مع الفرقة بين المسلم والمجرم، أتبعها قصة من أيده بحاملات فيها مطر وبرد ونار مضطرمة... ثم بعد ذلك بريح فرقت البحر ونشفت أرضه ودخله فرعون والقبط، وهو واضح الأمر في أنه سبب لهلاكهم وهم لا يشعرون به"[٤].

و المناسبتان اللتان ذكرهما ابن عاشور لم أجدهما عند غيره ،فهما من الإضافات التي أضافها ابن عاشور في تفسيره.

---

(١) الذاريات:38.

(٢) "التحرير والتنوير" 9/27

(٣) "التحرير والتنوير" 10/27

(٤) "نظم الدرر" 468/18

١٣. (8)قوله تعالى: (ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ)[١]

قال ابن عاشور: أتبعت قصة عاد بقصة ثمود لتقارهما غالباً في القرآن من أجل أن ثمود عاصرت عاداً وخَلفتها في عظمة الأمم، قال تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ)[٢] ولاشتهارهما بين العرب"[٣].

ذكر ابن عاشور مناسبتين في إتباع قصة عاد بقصة ثمود:

أن هذه الآية قد جرت على عادة من عادات القرآن ، وهي تقارن قصة ثمود وعاد غالباً في القرآن ولتقاربهما في الزمن كما في آية الأعراف التي ذكرها ابن عاشور.

وأنهما مشتهرتان عند العرب.

أما البقاعي فقد ربط هذه القصة بسياق السورة ،وهي أن الله قد أيد موسى بالرياح وعذب عاداً بالرياح وأهلك ثمود بما تحمله الرياح ،والرياح قد أقسم الله بها في أول السورة.

قال البقاعي: " لما تم ما اقتضاه سياق السورة من قصة أهل الريح الذارية، أتبعها قصة من أهلكوا بما يحمله السحاب من الريح وما تحمله الريح من صوت الصيحة الراجفة الماحقة فقال: ﴿ ﮥ ﮦ ﴾"[٤].

وهذه المناسبة التي ذكرها البقاعي جارية على سياق هذه السورة .

أما المناسبة التي ذكرها ابن عاشور فهي متعلقة بالقصة التي قبلها وهي قصة عاد.

و لم أجد من أشار إلى هذه المناسبة غير ابن عاشور .

---

(١) الذاريات:43.

(٢) الأعراف:74.

(٣) "التحرير والتنوير" 12/27

(٤) "نظم الدرر" 471/18

١٤. (9) قوله تعالى: (ئد ى ى ي ي ئج ئح ئم)[١]

قال ابن عاشور: "لما أشعر قوله: (ئى ئي ئى ئي ئې ئى ئى)[٢] بأن في ذلك نعمة على الموجودات التي على الأرض، أُتبع ذلك بصفة خلق تلك الموجودات لما فيه من دلالة على تفرد الله تعالى بالخلق المستلزم لتفرده بالإلهية فقال: ﴿ ئد ى ى ي ي ﴾"[٣].

بين ابن عاشور أن هذه الآية مرتبطة بالآية التي قبلها وذلك أن الله لما أنعم على من في الأرض بقوله: ﴿ ئى ئې ئى ئى ﴾ أتبع ذلك بذكر أوصاف من على الأرض.

وأما البقاعي فقد قال: "ولما كان الأشياء المتضادة من الشيء الواحد أدل على القدرة من هذا الوجه، قال: ﴿ ئد ى ى ﴾"[٤].

و هذا استدلال بالأشياء المتضادة من الشيء الواحد على القدرة فإن الله لما قال: (ئو ئو ئۆ)[٥] أي بقوة استدل على قدرته بقوله : (ئى ئي ئى ئي ئې ئى ئى)وقوله : (ئد ى ى ي ي ئج ئح ئم)

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد تفرد بها و لم أجدها عند غيره.

---

(١) الذاريات:49.

(٢) الذاريات:48.

(٣) "التحرير والتنوير" 17/27

(٤) "نظم الدرر" 475/18

(٥) الذاريات:47.

سورة الطور

مناسبات الآيات في سورة الطور

١٥. (1) قوله تعالى: (ﮥ ﮦ ﮧ)[١]

قال ابن عاشور:" مناسبة القسم سبق القسم بكتاب التوراة فعقب ذلك بموطن نزول القرآن، فإن من نزل به من القرآن أنزل بمكة وما حولها مثل جبل حراء"[٢].

بين ابن عاشور أن هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى: (ﮞ ﮟ ﮠ)[٣] وذاك أن الله لما ذكر التوراة أتبعها بذكر موطن نزول القرآن.

وهذه المناسبة مبنية على تفسير الكتاب المسطور بالتوراة والبيت المعمور بالكعبة كما ذكره ابن عاشور ، وفي الآيتين أقوال أخر.

و لم أجد من أشار إلى المناسبة بين الآيتين إلا ابن عاشور، و إن كانت هذه المناسبة فيها شيء من البعد لاختلاف الأقوال في هاتين الآيتين، و لبعد ما بين القسم بالتوراة والقسم بالكعبة بناء على القول الذي اختاره ابن عاشور.

---

(١) الطور:4.

(٢) "التحرير والتنوير" 39/27

(٣) الطور:2.

١٦. (2)قوله تعالى: (ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ)[١]

قال ابن عاشور: " استئناف بياني بعد أن ذكر حال المكذبين وما يقال لهم، فمن شأن السامع أن يتساءل عن حال أضدادهم وهم الفريق الذين صدقوا الرسول ﷺ فيما جاء به القرآن وخاصة إذ كان السامعون المؤمنين ،وعادة القرآن تعقيب الإِنذار بالتبشير وعكسه"[٢].

بين ابن عاشور أن الله لما ذكر حال المكذبين أتبعه بذكر حال أضدادهم جرياً على عادة القرآن في إتباع الترغيب بالترهيب أو العكس.

وقد ذكر هذه المناسبة أيضاً كل من الرازي وأبي حيان والبقاعي.

قال الرازي:"﴿ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﴾ على ما هو عادة القرآن من بيان حال المؤمن بعد بيان حال الكافر، وذكر الثواب عقيب ذكر العقاب ليتم أمر الترهيب والترغيب"[٣].

وقال أبو حيان:"ولما ذكر حال الكفار، ذكر حال المؤمنين، ليقع الترهيب والترغيب"[٤].

وقال البقاعي:" لم ذكر ما للمكذبين من العذاب المشار إليه بكلمات القسم، أتبعه ما لأضدادهم من الثواب المنبه عليه أيضاً بتلك الكلمات ليتم الخبر ترغيباً وترهيباً، فقال جواباً لمن كأنه قال: فما لمن عاداهم فيك؟ مؤكداً لما للكفار من التكذيب: ﴿ ﮘ ﮙ ﴾ أي الذين صارت التقوى لهم صفة راسخة ﴿ ﮚ ﮛ ﴾ أي بساتين دائماً في الدنيا حكماً وفي الآخرة"[٥].

و لم يأت ابن عاشور بشيء جديد في هذه المناسبة إلا أنه قد أضفى إليها نوعاً من البلاغة ، فذكر أنها استئناف بياني ، وذكر هذا البقاعي أيضاً في ثنايا كلامه دون تصريح.

---

(١) الطور:17-18

(٢) "التحرير والتنوير" 45/27

(٣) "مفاتيح الغيب" 247/28

(٤) "البحر المحيط" 145/8

(٥) "نظم الدرر" 12/19

١٧. (3)قوله تعالى: (ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ)[١]

قال ابن عاشور:" لم نفى أن يكون لهم تصرف قوي أو ضعيف في مواهب الله تعالى على عباده أعقبه بنفي أن يكون لهم إطلاع على ما قدره الله لعباده إطلاعاً يخوّلهم إنكار أن يرسل الله بشراً أو يوحي إليه وذلك لإبطال قولهم: (ﭙ ﭚ)[٢]،ومثل ذلك قولهم: (ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ)[٣] "[٤].

بين ابن عاشور أن هذه الآية مرتبطة بالآية السابقة وهي قوله تعالى: (ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ)[٥]،وذلك أن الله لما نفى أن يكون للمشركين تصرف فيما وهب الله بعض خلقه أعقب ذلك ذلك بنفي اطلاعهم على ما قدر الله لبعض من اصطفاهم الله لرسالته فلا يحق لهم الإنكار،وبين أن هذه الآية جاءت إبطالاً لقولهم: (ﭙ ﭚ)وقولهم(ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ)،فظهر شدة ارتباط هذه الآية بما قبلها.

و قد تفرد ابن عاشور بذكر هذه المناسبة حيث لم أجد من أشار إلى مناسبة هذه الآية لما قبلها غيره، فهي من الإضافات التي أضافها إلى علم المناسبات .

---

(١) الطور:38.

(٢) الطور:33.

(٣) الطور:30

(٤) "التحرير والتنوير" 72/27

(٥) الطور:37.

١٨. (4) قوله تعالى: (ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ)[١]

قال ابن عاشور:" لما جرى نفي أن تكون لهم مطالعة الغيب من الملأ الأعْلى إبطالاً لمقالاتهم في شؤون الربوبية أعقب ذلك بإبطال نسبتهم لله بنات استقصاء لإِبطال أوهامهم في المغيبات من العالم العلوي"[٢].

بين ابن عاشور أن هذه الآية مرتبطة بما قبلها ،وذلك أن الله لما رد على المشركين ونفى أن يكون لهم اطلاع على أمور الغيب أتبع ذلك ببيان وهم آخر من أوهامهم في المغيبات.

وقال البقاعي:" لما كان ما مضى على تقدير وجود الإله مع الشركة، وكان ادعاؤهم الولد عظيماً جداً لدلالته على حاجته وضعفه، وكان جعله بنات أعظم لأنه دال مع ضعفه على سفهه، دل على استعظامه بالالتفات إلى خطابهم بعذابهم فقال: ﴿ ﮑ ﮒ ﮓ ﴾ أي كما ادعيتم ﴿ ﮔ ﴾ أي خاصة ﴿ ﮕ﴾"[٣].

أشار البقاعي إلى أن ادعاءهم البنات أمر عظيم فخاطبهم الله منكراً عليهم ومتوعداً لهم ، وهذه المناسبة قريبة مما ذكره ابن عاشور ، فكلاهما بين أن هذا إنكار عليهم وإبطال لادعائهم الولد لله.

و لم يأت ابن عاشور بمناسبة جديدة.

(١) الطور:39.

(٢) "التحرير والتنوير" 74/27

(٣) "نظم الدرر" 29/19

سورة النجم

مناسبات الآيات في سورة النجم

١٩. (1) قوله تعالى: ﴿ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﴾[١]

قال ابن عاشور:"لما جرى في صفة الوحي ومشاهدة رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام ما دل على شؤون جليلة من عظمة الله تعالى وشرف رسوله ﷺ وشرف جبريل عليه السلام إذ وصف بصفات الكمال ومنازل العزة كما وصف النبي ﷺ بالعروج في المنازل العليا، كان ذلك مما يثير موازنة هذه الأحوال الرفيعة بحال أعظم آلهتهم الثلاث في زعمهم وهي: اللاتُ، والعزّى، ومناةُ التي هي أحجار مقرّها الأرض لا تملك تصرفاً ولا يعرج بها إلى رفعة.

فكان هذا التضاد جامعاً خيالياً يقتضي تعقيب ذكر تلك الأحوال بذكر أحوال هاته"[٢].

وقال "أيضاً لما كان فيما جرى من صفة الوحي ومنازل الزلفى التي حظي بها النبي ﷺ وعظمة جبريل إشعار بسعة قدرة الله تعالى وعظيم ملكوته ، مما يسجّل على المشركين في زعمهم شركاء لله أصناماً مثل اللات والعزى ومناة فسادَ زعمهم وسفاهة رأيهم أعقب ذكر دلائل العظمة الإلهية بإبطال إلهية أصنامهم بأنها أقل من مرتبة الإلهية إذ تلك أوهام لا حقائق لها ولكن اخترعتها مُخيّلات أهل الشرك ووضعوا لها أسماء ما لها حقائق، ففرّع ﴿ ﮬ ﮭ ﮮ ﴾ إلخ ، فيكون الاستفهام تقريرياً إنكاريّاً"[٣].

ذكر ابن عاشور أن مناسبة تعقيب هذه الآيات لما قبلها أن الله لما ذكر في أول السورة صفة الوحي وما جرى للنبي > من أمور عظيمة كصعوده إلى منازل العليا وما في ذلك من إشعار بسعة قدر الله كان ذلك مما يثير في نفوس المشركين مقارنة ما سمعوه بالتي يعبدونها فحالها أحقر و أضعف فهي أحجار قابعة في الأرض لا رفعة فيها فكان ذلك مناسباً لذكر هذه الآلهة وإنكار ما يزعمون من إلهيتها.

وهذه المناسبة التي ذكرها ابن عاشور من باب ذكر المضاد.

وهي مناسبة قريبة مما ذكره أبو حيان والبقاعي، فقد ذكرا أن هذا انتقال إلى بيان حقارة

---

(١) النجم :19 -21

(٢) "التحرير والتنوير" 102/27

(٣) "التحرير والتنوير" 103/27

معبوداتهم.

قال أبو حيان:" لما قرر الرسالة أولاً، وأتبعه من ذكر عظمة الله وقدرته الباهرة بذكر التوحيد والمنع عن الإشراك بالله تعالى، وقفهم على حقارة معبوداتهم، وهي الأوثان، وأنها ليست لها قدرة"(١).

وقال البقاعي:"لما أخبر سبحانه من استقامة طريق نبيه عليه الصلاة والسلام مما ثبتت رسالته بما أوحي إليه وما أراه من آياته التي ظهر بها استحقاقه سبحانه الإلهية متفرداً بها، سبب عنه الإنكار عليهم في عبادة معبوداتهم على وجه دال على أنها لا تصلح لصالحة"(٢).

أما الرازي فقد ذكر مناسبة أخرى حيث قال:" لما قرر الرسالة ذكر ما ينبغي أن يبتدىء به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الإشراك"(٣).

وهذا موافق لدعوة جميع الرسل فإنهم أول ما يبدؤون بدعوة قومهم إلى التوحيد والنهي عن الشرك كما ذكر الله ذلك في سورة الأعراف و هود والشعراء وغيرها.

---

(١) "البحر المحيط" 158/8

(٢) "نظم الدرر" 58/19

(٣) "مفاتيح الغيب" 295/28

٢٠. (2)قوله تعالى: ﴿ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم ﴾[١]

قال ابن عاشور:"لما بين الله أن أمور الدارين بيد الله تعالى وأن ليس للإنسان ما تمنّى، ضَرب لذلك مِثالاً من الأماني التي هي أعظم أمانيّ المشركين وهي قولهم في الأصنام : ﴿ک ک گ گ گ گ﴾[٢] ، وقولهم: ﴿ھ ھ ے ے﴾[٣] ، فبينّ إبطال قولهم بطريق فحوى الخطاب[٤] وهو أن الملائكة الذين لهم شرف المنزلة ـــ لأن الملائكة من سكان السماوات فهم لا يستطيعون إنكار أنهم أشرف من الأصنام ـــ لا يملكون الشفاعة إلا إذا أذن الله أن يشفع إذا شاء أن يقبل الشفاعة في المشفوع له، فكيف يكون للمشركين ما تمنوا من شفاعة الأصنام للمشركين الذين يقولون ﴿ھ ھ ے ے﴾وهي حجارة في الأرض وليست ملائكة في السماوات، فثبت أن لا شفاعة إلا لمن شاء الله، وقد نفي الله شفاعة الأصنام فبطل اعتقاد المشركين أنهم شفعاؤهم.

فهذه مناسبة عطف هذه الجملة على جملة ﴿ى ى ي ي ﴾[٥]،وليس هذا الانتقال اقتضاباً لبيان عظم أمر الشفاعة"[٦].

بين ابن عاشور أن هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى: ﴿ى ى ي ي ﴾ فهي تشير إلى إنكار ما يزعمونه من أن أصناهم تشفع لهم وتقربهم إلى الله ،فبين الله في هذه الآية أن هذا الزعم من جملة أمانيهم وأنه إذا كانت الملائكة على عظم خلقها وقدرها لا تشفع إلا بإذن الله فكيف تزعمون أن أصنامكم تشفع وهي حجارة في الأرض؟.

وقال الرازي:"إن قلنا إن معناه أن اللات والعزى وغيرهما ليس لهم من الأمر شيء ﴿ئح ئم

---

(١) النجم:26.

(٢) الزُّمَر:3.

(٣) يونس:18.

(٤) فحوى الخطاب هو : إثبات حكم المنطوق به للمسكوت عنه بطريق الأولى ويسمى مفهوم الموافقة ، انظر:"شرح الكوكب المنير" لابن النجار 481/3 ، و"القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين" للدكتور محمود عثمان ص 230.

(٥) النجم:24.

(٦) "التحرير والتنوير" 112/27

ئى ئي)[1] فلا يجوز إشراكهم ، فيقولون: نحن لا نشرك بالله شيئاً، وإنما نقول هؤلاء شفعاؤنا ، فقال:كيف تشفع هذه ومن في السموات لا يملك الشفاعة"[2].

وقول الرازي موافق للمعنى الذي ذكره ابن عاشور فكلاهما بين أن من في السماء من الملائكة التي هي أشرف من أصناهم لا تملك الشفاعة إلا بإذن الله ورضاه إلا أن الرازي ربطها بالآية التي قبلها مباشرة ، وابن عاشور ربطها بالآية رقم 24.

وأما البقاعي فقد عمم الحكم، و لم يجعله خاصاً بأصنامهم ،وإنما بكل من في الأرض وأشار أيضاً ــ كابن عاشور ــ إلى ارتباط هذه الآية بقوله تعالى: (ى ى ي ي ئج)

قال البقاعي:"لما كان التقدير: فكم من شخص ترونه في الأرض مع أنه في غاية المكنة فيما يظهر لكم لا يصل إلى ربع ما يتمناه، عطف عليه قوله : ــ مظهراً لضخامة ملكه وأنه لا يبالي بأحد، دالاً على الكثرة ــ ﴿ بج بح بخ بم بى بي ﴾ "[3].

وأما أبو السعود فقد أشار إلى أن هذه الآية فيها رد على المشركين و ما طمعوه من شفاعة الأصنام لهم ، وأشار إلى أنها متصلة بما أنكره الله عليهم من عبادة الأصنام في قوله: (ھ ے ے ۓ)[4].

قال أبو السعود:"إقناط لهم عما علقوا به أطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لإقناطهم من شفاعة الأصنام بطريق الأولوية"[5].

وهذه المناسبات كلها قريبة من بعض، فهي تشير إلى الرد على المشركين و إبطال زعمهم بأن الأصنام تشفع لهم ، وابن عاشور قد وافق الرازي وأبا السعود و لم يأت بمناسبة جديدة.

---

(١) النجم:25.

(٢) "مفاتيح الغيب" 305/28

(٣) "نظم الدرر" 62/19

(٤) النجم:19.

(٥) "إرشاد العقل السليم" 160/8

٢١. (3)قوله تعالى: **(ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ)**[١]

قال ابن عاشور:" بعد أن وصف مداركهم الباطلة وضلالهم فَرَّع عليه أمرَ نبيه ﷺ بالإِعراض عنهم ، ذلك لأن ما تقدم من وصف ضلالهم كان نتيجة إعراضهم عن ذكر الله ــ وهو التولّي عن الذكر ــ فحق أن يكون جزاؤهم عن ذلك الإِعراض إعراضاً عنهم"[٢].

بين ابن عاشور مناسبة هذه الآية لما قبلها وهو مقابلة الإعراض بالإعراض ، أي أن الله لما وصف ما هم عليه من الضلال وكان ضلالهم ناشئاً عن إعراضهم عن الحق أردف ذلك بذكر جزائهم وهو الإعراض عنهم كما أعرضوا عن الحق.

وهذه مناسبة شديدة الارتباط بما قبلها.

أما البقاعي فقد أشار إلى أن هذه الآية مسببة عن إصرار المشركين على الهوى، قال البقاعي:" لما كانوا بعد مجيء الهدى قد أصروا على الهوى، وكانت هذه السورة في أوائل ما نزل، والمؤمنون قليل، سبب عن ذلك: ﴿ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﴾"[٣].

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور ألصق بالآيات التي قبلها و فيها مقابلة إعراضهم عن الحق بالإعراض عنهم.

وهذه المناسبة مما أضافه ابن عاشور و لم أجد من أشار إليها غيره.

---

(١) النجم:29.

(٢) "التحرير والتنوير" 116/27

(٣) "نظم الدرر" 64/19

٢٢. (4)قوله تعالى: (ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ)[١]

قال ابن عاشور:" عطف على قوله: (ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ)[٢] إلخ ، فبعد أن ذكر أن لله أمور الدارين بقوله: (ئح ئم ئى ئي)[٣] انتقل إلى أهم ما يجري في الدارين من أحوال الناس الذين هم أشرف ما على الأرض بمناسبة قوله: (ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ)المراد به الإشارة إلى الجزاء وهو إثبات لوقوع البعث والجزاء"[٤].

بين ابن عاشور أن هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى: (ئح ئم ئى ئي) وذلك أن الله لما أخبر أن الآخرة والأولى له أردف ذلك ببيان أحوال الناس في هاتين الدارين ، وذكر أن المناسبة لهذا الانتقال هو ما جاء في قوله تعالى: (ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ)من ذكر الوعد والوعيد.

أما البقاعي فقد ذكر مناسبة أخرى، وهي أن هذه الآية جاءت رداً على من توهم أن من ضل عن سبيل الله فليس في قبضة الله ،فأخبر الله أن كل من في السموات ومن في الأرض تحت قبضة الله.

قال البقاعي:"﴿ ڃ ڃ ﴾ أي المحسن إليك بالإرسال وغيره ﴿ چ ﴾ أي وحده ﴿ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ﴾ ضلالاً مستمراً، فلا تعلق أملك بأن يصل علمه إلى ما وراء الدنيا، وعبر بالرب إشارة إلى أن ضلال هذا من الإحسان إليه ﷺ لأنه لو دخل في دينه لأفسد أكثر مما يصلح كما قال تعالى: (ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا)[٥] وذلك لأنه جبل جبلة غير قابلة للخير ﴿ ڌ ﴾ أي وحده ﴿ ڎ ڎ ڈ ﴾ أي ظاهراً وباطناً.

ولما كان هذا ربما أوهم أن من ضل على هذه الحالة ليس في قبضه، قال دافعاً لهذا الإبهام مبيناً أن له الأسماء الحسنى ... : ﴿ ڑ ﴾ أي الملك الأعظم وحده ﴿ ڑ ک ک ﴾ من الذوات والمعاني فيشمل ذلك السماوات والأراضي، فإن كل سماء في التي تليها، والأرض في السماء ﴿

---

(١) النجم:31.

(٢) النجم:30.

(٣) النجم:25.

(٤) "التحرير والتنوير" 119/27

(٥) التوبة:47.

ﮐ ﮐ ﮒ ﴾"[١].

ولا مانع من الجمع بين المناسبتين، فابن عاشور نظر إلى ما في الآية من ذكر الجزاء للفريقين، والبقاعي نظر إلى ما في الآية من ذكر ملكية الله لمن في السموات والأرض.

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم أجد من أشار إليها غيره.

(١) "نظم الدرر" 65/19

٢٣. (5)قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ)[١]

قال ابن عاشور:" مناسبة الانتقال إلى هذه الجملة أن فيها كيفية ابتداء الحياة"[٢].

أشار ابن عاشور إلى مناسبة ورود هذه الآية بعد التي قبلها، وذلك أن الله لما ذكر الإماتة والإحياء أتبعه بذكر كيفية ابتداء الحياة ، فهو تفصيل بعد إجمال.

وهذه مناسبة ظاهرة وشديدة الارتباط بما قبلها .

وقد أشار البقاعي إلى أنها مرتبطة بذكر الإحياء حيث قال:" لما كان ذكر الإحياء، وكان تصنيف الولد إلى نوعيه ظاهراً في اختصاصه، بل وهو في غاية التعذر على من سواه، أعراه عن مثل التأكيد في الذي قبله فقال: ﴿ ﭑ ﭒ ﴾ ثم فسرها بقوله : ﴿ ﭓ ﭔ ﴾"[٣].

فابن عاشور صرح بذكر المناسبة وأنها مفصلة للآية السابقة ، وأما البقاعي فليس تصريحه كتصريح ابن عاشور وإنما أشار إلى أنها جاءت عقب ذكر الإحياء وأنها معراة من التأكيد وهو الضمير الذي في الآية السابقة وهي قوله تعالى : (ﯕ ﯖ)[٤]

---

(١) النجم:45 – 46 .

(٢) "التحرير والتنوير" 145/27

(٣) "نظم الدرر" 75/19

(٤) النجم:44.

سورة القمر

مناسبات الآيات في سورة القمر

٢٤. (1)قوله تعالى: (ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ)[١]

قال ابن عاشور: "استئناف بيانيّ ناشىء عن قوله: (ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ)[٢] فإن من أشهرها تكذيب قوم نوح رسولهم، وسبق الإِنباء به في القرآن في السور النازلة قبل هذه السورة ، والخبر مستعمل في التذكير وليفرع عليه ما بعده ، فالمقصود النعي عليهم عدم ازدجارهم بما جاءهم من الأنباء بتعداد بعض المهمّ من تلك الأنباء"[٣].

بين ابن عاشور مناسبة هذه الآية لما قبلها ،وذلك أن الله لما قال: (ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ)وكان فيها إجمال أتبعها بتفصيل أحوال المكذبين للرسل، فهي تفصيل بعد إجمال.

وأشار الرازي إلى ارتباط هذه الآية بالآية التي ذكرها ابن عاشور.

قال الرازي:" ثم إنه تعالى أعاد بعض الأنباء فقال: (ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ) "[٤].

و أما البقاعي فقد أشار إلى ارتباطها بقوله تعالى: (ﯿ ﰀ ﰁ)[٥] التي هي متصلة أيضاً بقوله: (ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ).

قال البقاعي:"لما تقدم أمره سبحانه لنبيه ﷺ بالتولي عنهم تهديداً لهم، وصرح بما أراد من أمر الساعة لما دعا إلى ذلك من تقدم ذكرها، ولأنها أشد هول يهددون به، وبياناً أن الخلق ما خلق إلا لأجلها لأنها محط الحكمة، وختم بعسرها على الكافرين، تمم ذلك التهديد بعذاب الدنيا ردعاً لأهل الغلظة الموكلين بالمحسوسات، فذكر عسر يوم كان على الكافرين فيها، فقال: ـــ مهدداً لقريش بجعل القصة مثلاً لهم في إهلاكهم وفي أمر الساعة من حيث إنه كما أهلك أهل الأرض في آن واحد بما أرسله من الماء فهو قادر على أن يهلكهم في آن واحد بالصيحة، وكما صرف هذا التصريف الذي ما سمع بمثله في الإهلاك فهو قادر على أن يصرفه

---

(١) القمر:9.

(٢) القمر:4.

(٣) "التحرير والتنوير" 179/27

(٤) "مفاتيح الغيب" 35/29

(٥) القمر:6.

في الإحياء عند البعث على وجه ما عهد مثله تنبت فيه الأجساد وتحيا فيه العباد، جواباً لمن كأنه قال: هذا ما يوعدونه بعد الموت، فهل لهم عذاب قبله دال على كمال القدرة ــ ﴿ ﯓ ﯔ﴾"[١].

فالبقاعي يرى أنها تهديد للكافرين بعذاب الدنيا وأن فيها ردعاً لأهل الغلظة.

وقول ابن عاشور قد ألمح إليه الرازي قبله إلا أن ابن عاشور أشار إلى السر في البداءة بقوم نوح وهو أنهم من أشهر المكذبين ، وأن أخبارهم قد سبق ذكرها في السور التي نزلت قبل هذه السورة.

---

(١) "نظم الدرر" 102/19

٢٥ . (2)قوله تعالى: (ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ)[١]

قال ابن عاشور:"استئناف وقع تذييلاً لما قبله من الوعيد والإنذار والاعتبار بما حلّ بالمكذبين، وهو أيضاً توطئة لقوله: (ﭑ ﭒ ﭓ)[٢]... ، وقد أشار إلى أن الجزاء من مقتضى الحكمة قوله تعالى: (ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ)[٣]

وقوله: (ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ)[٤]

وقوله: ﴿ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﴾[٥].

فترى هذه الآيات وأشباهها تُعقّب ذكر كون الخلق كله لحكمة بذكر الساعة ويوم الجزاء ، فهذا وجه تعقيب آيات الإِنذار والعقاب المذكورة في هذه السورة بالتذييل بقوله: ﴿ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﴾ بعد قوله: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ)[٦] وسيقول: (ﭒ ﭓ ﭔ)[٧] "[٨].

بين ابن عاشور أن هذه الآية جاءت تذليلاً لما ذكره الله في هذه السورة من الوعيد والإنذار فبين الله أن هذا الجزاء المذكور واقع بمقتضى حكمته تعالى ، وبين ارتباطها بقوله: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ)[٩] و قوله بعد ذلك: (ﭒ ﭓ ﭔ)

ثم ذكر الآيات الدالة على أن الجزاء من مقتضى الحكمة،وبين أن هذه الآية موافقة لأسلوب تلكم الآيات ، فهذه الآية شديدة الاتصال بما قبلها وما بعدها ، وموافقة لأسلوب آيات أخر.

أما الرازي فقد أشار إلى أن المشهور هو تعلقها بالآية التي قبلها وهي قوله: (ﰀ ﰁ

---

(١) القمر:49.

(٢) القمر:50.

(٣) المؤمنون:115.

(٤) الحجر :85 -86 .

(٥) الدخان :38 -40 .

(٦) القمر:43.

(٧) القمر:51.

(٨) "التحرير والتنوير" 216/27 - 217

(٩) القمر:43.

بيتج)[1] ثم ذكر رأياً آخر وهو أنها استئناف لكلام فيه بيان العذاب.

قال الرازي:"المشهور أن قوله: ﴿تح تخ تم ﴾ متعلق بما قبله كأنه قال: ذوقوا فإنا كل شيء خلقناه بقدر، أي هو جزاء لمن أنكر ذلك، وهو كقوله تعالى: (ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک)[2] والظاهر أنه ابتداء كلام وتم الكلام عند قوله: ﴿بم بى بي ﴾، ثم ذكر بيان العذاب لأن عطف: ﴿ ٱ ب ٻ ٻ﴾ يدل على أن قوله: (تح تخ تم تى تي ثج)ليس آخر الكلام، ويدل عليه قوله تعالى: (ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ)[3] وقد ذكر في الآية الأولى الخلق بقوله: ﴿ تح تخ تم تى ﴾ فيكون من اللائق أن يذكر الأمر فقال: ﴿ ٱ ب ٻ﴾"[4].

وأما البقاعي فقد ذكر مناسبة أخرى ، وهي أنها رد لتوهم الكافرين أن تماديهم على الكفر لم يكن بإرادته سبحانه.

قال البقاعي:"لما أخبر بقيام الساعة وما يتفق لهم فيها جزاء لأعمالهم التي قدرها عليهم وهي ستر فرضوا بها لاتباع الشهوات واحتجوا على رضاه بها، وكان ربما ظن ظان أن تماديهم على الكفر لم يكن بإرادته سبحانه، علل ذلك منبهاً على أن الكل فعله، وإنما نسبته إلى العباد بأمور ظاهرية، تقوم عليهم بها الحجة في مجاري عاداتهم، فقال: ﴿ تح ﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿تخ تم ﴾أي من الأشياء المخلوقة كلها صغيرها وكبيرها"[5].

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم أجد من أشار إليها غيره فهي من إضافاته في هذا العلم،ومن محاسن هذه المناسبة أنها موافقة لكثير من الآيات التي فيها تعقيب آيات الإنذار بذكر الحكمة لله تعالى ، وأيضاً فيها ارتباط بما قبلها وما بعدها .

---

(١) القمر:48.

(٢) الدخان:49.

(٣) الأعراف:54.

(٤) "مفاتيح الغيب" 73/29

(٥) "نظم الدرر" 132/19

٢٦. (3) قوله تعالى: **(ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ)**[١]

قال ابن عاشور:"استئناف بياني ،لأنه لما ذكر أن كل صغير وكبير مستطرٍ على إرادة أنه معلوم ومجازىً عليه وقد علم جزاء المجرمين من قوله: **(ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ)**[٢] كانت نفس السامع بحيث تتشوف إلى مقابل ذلك من جزاء المتقين وجرياً على عادة القرآن من تعقيب النذارة بالبشارة والعكس"[٣].

بين ابن عاشور أن هذه الآية جاءت مقابلة لما سبق ذكره من جزاء الكافرين، وهي جارية على عادة القرآن من إتباع الإنذار بالتبشير أو العكس ، وكثيراً ما يذكر ذلك ابن عاشور.

وقد ذكر البقاعي أيضاً هذه المناسبة بقوله:"لما أخبر عن أحوال الكفرة في الدنيا والآخرة واعظاً بها وإعلاماً بعظمته وعليّ صفاته وسعة مملكته وشامل علمه وقدرته، ختم بأحوال القسم الآخر من أهل الساعة وهم أهل طاعته تتميماً لذلك وإشارة وبشارة للسالك في أحسن المسالك"[٤].

وكذلك قال أبو السعود:" ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى﴿ ﯦ ﯧ ﴾ إلخ مما يستدعي بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب والترغيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الإجمال"[٥].

فابن عاشور قد وافق البقاعي وأبا السعود في هذه المناسبة و لم يأت بجديد.

---

(١) القمر:54 - 55

(٢) القمر:47.

(٣) "التحرير والتنوير" 224/27

(٤) "نظم الدرر" 135/19

(٥) "إرشاد العقل السليم" 175/8

سورة الرحمن

مناسبات الآيات في سورة الرحمن

٢٧. (1) قوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ)[١]

قال ابن عاشور:"خبر آخر عن (ڇ ڇ)[٢] قصد منه العبرة بخلق البحار والأنهار، وذلك خلق عجيب دال على عظمة قدرة الله وعلمه وحكمته.

ومناسبة ذكره عقب ما قبله أنه لما ذُكر أنه سبحانه (ٱ ٻ ٻ ٻ)[٣] وكانت الأبحر والأنهار في جهات الأرض ناسب الانتقال إلى الاعتبار بخلقهما والامتنان بما أودعهما من منافع الناس"[٤].

بين ابن عاشور مناسبة هذه الآية لما قبلها وهي أن الله لما قال: (ٱ ٻ ٻ ٻ)،وفيها إشارة إلى الجهات و كانت البحار والأنهار في جهات الأرض انتقل الكلام إلى ما فيهما من عبرة.

وهذه المناسبة قد ذكرها الرازي أيضاً ،وأشار إلى انحصار البر والبحر بين المشرقين والمغرب،وذكر قبل ذلك مناسبة أخرى، وهي أن الله لما ذكر حركتين في الفلك وهي حركة المشرق والمغرب أتبع ذلك بذكر البحر ،لأن الإنسان يجري في البحر كجريان الشمس والقمر في الفلك.

قال الرازي:" لم ذكر تعالى المشرق والمغرب وهما حركتان في الفلك ناسب ذلك ذكر البحرين لأن الشمس والقمر يجريان في الفلك كما يجري الإنسان في البحر قال تعالى: (ې ى ئا ئا ئە ئە)[٥]،فذكر البحرين عقيب المشرقين والمغربين ولأن المشرقين والمغربين فيهما إشارة إلى البحر لانحصار البر والبحر بين المشرق والمغرب، لكن البر كان مذكوراً بقوله تعالى: (ڳ ڳ ڳ ڱ)[٦] فذكر ههنا ما لم يكن مذكوراً"[١].

---

(١) الرحمن:19 – 21

(٢) الرحمن:1.

(٣) الرحمن:17.

(٤) "التحرير والتنوير" 248/27

(٥) الأنبياء:33.

(٦) الرحمن:10.

وأشار البقاعي أيضاً إلى المناسبة الأولى التي ذكرها الرازي، وزاد عليها ما في ذكر المشارق والمغارب من الإشارة إلى الشتاء الذي تنزل فيه الأمطار.

قال البقاعي:" لما كانت باحة البحر لجري المراكب كساحة السماء لسير الكواكب مع ما اقتضى ذكره من تضمن ذكر المشارق والمغارب للشتاء الحاصل فيه من الأمطار ما لو جرى على القياس لأفاض البحار، فأغرقت البراري والقفار، وعلت على الأمصار وجميع الأقطار، فقال: ﴿ ﭙ ﴾ أي أرسل الرحمن ﴿ ﭚ ﴾"(٢).

فابن عاشور تبع الرازي في المناسبة الثانية التي ذكرها ، والبقاعي تبع الرازي في المناسبة الأولى.

---

(١) "مفاتيح الغيب" 100/29

(٢) "نظم الدرر" 159/19

٢٨. (2)قوله تعالى: (ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ)[١]

قال ابن عاشور:"انتقال من وصف جزاء المجرمين إلى ثواب المتقين"[٢].

بين ابن عاشور أن هذه الآية جارية على عادة القرآن من التعقيب بذكر جزاء المتقين بعد جزاء المجرمين أو العكس.

وقد أشار البقاعي إلى هذه المناسبة أيضاً حيث قال:" لما كان قد عرف ما للمجرم المجترئ على العظائم، وقدمه لما اقتضاه مقام التكبر من الترهيب وجعله سبعاً إشارة إلى أبواب النار السبعة، عطف عليه ما للخائف الذي أداه خوفه إلى الطاعة وجعله ثمانية على عدد أبواب الجنة الثمانية فقال: ﴿ ﭨ ﴾ أي ولكل من، ووحد الضمير مراعاة للفظ (مَن) إشارة إلى قلة الخائفين ﴿ ﭩ ﴾ أي من الثقلين "[٣] ، وأما ما ذكره من السبعة والثمانية ففيه تكلف ظاهر، حيث اشتغل بعد آيات السورة وحسابات تتعلق بتكرار قوله تعالى : ﴿ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ﴾ ولا يخفى ما في ذلك من البعد والتكلف.

و لم يأت ابن عاشور بمناسبة جديدة.

---

(١) الرحمن: 46 – 47

(٢) "التحرير والتنوير" 264/27

(٣) "نظم الدرر" 179/19

٢٩. (3)قوله تعالى: (ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ)[١]

قال ابن عاشور:"ضمير ﴿ ﮥ ﴾ عائد إلى فرش ،وهو سبب تأخير نعم أهل الجنة بلذة التأنّس بالنساء عمَّا في الجنات من الأفنان والعيون والفواكه والفرش، ليكون ذكر الفرش مناسباً للانتقال إلى الأوانس في تلك الفرش وليجيء هذا الضمير مفيداً معنى كثيراً من لفظ قليل، وذلك من خصائص الترتيب في هذا التركيب"[٢].

بين ابن عاشور أن الله لما ذكر فرش أهل الجنة أتبعه بذكر اللاتي يؤنسن المؤمنين على تلك الفرش.

وقد أشار الرازي إلى هذه المناسبة أيضاً وأشار إلى حسنها وذكر ارتباط هذه الآية بما قبلها من الآيات بطريقة متسلسلة .

قال الرازي:"الترتيب... في غاية الحسن لأنه في أول الأمر بين المسكن وهو الجنة، ثم بين ما يتنزه به فإن من يدخل بستاناً يتفرج أولاً فقال: (ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ)[٣] ثم ذكر ما يتناول من المأكول فقال: (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ)[٤] ثم ذكر موضع الراحة بعد التناول وهو الفراش، ثم ذكر ما يكون في الفراش معه"[٥].

أما البقاعي فقد بين أن هذه الآية تتميم للنعم التي ذكرت في الآيات السابقة .

وهذه المناسبة تختلف عما ذكره الرازي وابن عاشور ،لأنه لم يذكر سبب ذكر نعمة التمتع بالنساء بعد ذكر الفرش ، وإنما ذكر أنها نعم متتابعة.

قال البقاعي:

"لما كان ما ذكر لا تتم نعمته إلا بالنسوان الحسان، قال دالاًّ على الكثرة بعد سياق الامتنان بالجمع الذي ه التثنية بالدلالة على أن في كل بستان جماعة من النسوان، لما بهن من عظيم"اللّذة وفرط الأنس

---

(١) الرحمن:56.

(٢) "التحرير والتنوير" 269/27

(٣) الرحمن:48 – 50

(٤) الرحمن:52.

(٥) "مفاتيح الغيب" 129/29

(٦) "نظم الدرر" 184/19

فابن عاشور قد سبقه الرازي إلى ذكر هذه المناسبة و لم يأت بجديد.

سورة الواقعة

مناسبات الآيات في سورة الواقعة

٣٠. (1) قوله تعالى: (ڭ ڮ گ ڰ ڱ ڲ ڳ ڴ ڵ ڶ ڷ ڸ ڹ ڻ)[١]

قال ابن عاشور:"لما جرى ذكر الفُرش وهي مما يعد للاتكاء والاضطجاع وقت الراحة في المنزل يخطر بالبال بادىء ذي بدء مصاحبة الحُور العين معهم في تلك الفرش فيتشوف إلى وصفهن، فكانت جملة: ﴿ ڭ ڮ گ ڰ ﴾ بياناً لأن الخاطر بمنزلة السؤال عن صفات الرفيقات"[٢].

بين ابن عاشور مناسبة هذه الآية لما قبلها ، وهي أن الله لما ذكر الفرش أتبعه بذكر المصاحبات في تلك الفرش من الحور العين.

وهذه المناسبة مبنية على تفسير الفرش بما يفرش أو بالأسرة وهو من تفسير الشيء باسم ما يحل فيه كما ذكر ذلك ابن عاشور في تفسير الفرش [٣]، وهذه المناسبة سبق ذكرها في سورة الرحمن[٤].

وأما إن فسرت الفرش بالحور العين أو بالنساء فالمناسبة ظاهرة الاتصال بما قبلها ، فالضمير في هاتين الآيتين عائد إلى الحور العين أو إلى النساء المعبر عنهن بالفرش.

وقد أشار البقاعي إلى مناسبة هذه الآية لما قبلها إن فسرت الفرش بالنساء.

قال البقاعي:"لما كانت النساء يسمين فرشاً، قال تعالى معيداً للضمير على غير ما يتبادر إليه الذهن من الظاهر على طريق الاستخدام مؤكداً لأجل إنكار من ينكر البعث"[٥].

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد انفرد بها ،ولم أجد من أشار إليها غيره بناء على أن الفرش ما يبسط على الأرض أو أنها الأسرة.

---

(١) الواقعة:35- 38

(٢) "التحرير والتنوير" 300/27

(٣) المرجع السابق .

(٤) ص135

(٥) "نظم الدرر" 209/19

٣١. (2)قوله تعالى: (ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ)[١]

قال ابن عاشور:"لما جرى تعليل ما يلاقيه أصحاب الشمال من العذاب بما كانوا عليه من كفران النعمة، وكان المقصود من ذلك وعيد المشركين وكان إنكارهم البعث أدخلَ في استمرارهم على الكفر أمر الله رسوله ﷺ بأن يخاطبهم بتحقيق وقوع البعث وشموله لهم ولآبائهم ولجميع الناس، أي أنبئهم بأن الأولين والآخرين، أي هم وآباؤهم يبعثون في اليوم المعين عند الله، فقد انتهى الخبر عن حالهم يوم تُرَجُّ الأرض وما يتبعه"[٢].

بين ابن عاشور أن هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى: (ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ)[٣] إلى قوله: (ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ)[٤] وذلك أن الله لما أخبر عن إنكارهم للبعث أتبع ذلك بتحقيق وقوعه وأنه شامل لهم ولآبائهم ولجميع الناس.

وهي شديدة الاتصال بما قبلها وفيها التأكيد على وقوع البعث لهم ولآبائهم ، وقد ذكر هذه المناسبة أيضاً أبو حيان والبقاعي.

قال أبو حيان: "لما ذكر تعالى استفهامهم عن البعث على طريق الاستبعاد والإنكار، أمر نبيه ﷺ أن يخبرهم ببعث العالم، أولهم وآخرهم، للحساب، وبما يصل إليه المكذبون للبعث من العذاب"[٥].

وقال البقاعي:"لما كانوا في غاية الجلافة، رد إنكارهم بإثبات ما نفوه، وزادهم الإخبار بإهانتهم ثم دل على صحة ذلك بالدليل العقلي لمن يفهمه"[٦].

فالمناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد سبقه إليها أبو حيان والبقاعي و لم يأت ابن عاشور بجديد.

٣٢. (3) قوله تعالى: (ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ)[٧]

---

(١) الواقعة:49 -50

(٢) "التحرير والتنوير" 307/27

(٣) الواقعة:45.

(٤) الواقعة:47.

(٥) "البحر المحيط" 209/8

(٦) "نظم الدرر" 215/19

(٧) الواقعة:63-64

قال ابن عاشور:"انتقال إلى دليل آخر على إمكان البعث وصلاحية قدرة الله له بضرب آخر من ضروب الإِنشاء بعد العدم"(١).

ثم قال:" ومناسبة الانتقال من الاستدلال بخلق النسل إلى الاستدلال بنبات الزرع هي التشابه البيّن بين تكوين الإنسان وتكوين النبات، قال تعالى: ﴿ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ﴾(٢) "(٣).

ذكر ابن عاشور هاهنا مناسبتين ، الأولى عامة وهي أن الله بعد أن ذكر دليلاً على إمكان البعث بخلق الإنسان انتقل إلى دليل آخر على إمكان البعث .

والمناسبة الثانية ذكر ابن عاشور فيها العلاقة بين ذكر الحرث وبين ذكر تكوين الإنسان، فذكر أن بينهما تشابهاً في التكوين وأشار إلى أن هذه الآية دليل من أدلة إثبات البعث.

وهذه مناسبة حسنة وقد أشار إليها البقاعي أيضاً حيث قال: "لما كان علمهم بأمر النبات الذي هو الآية العظمى لإعادة الأموات أعظم من علمهم بجميع ما مضى، وكان أمره في الحرث وإلقاء البذر فيه أشبه شيء بالجماع وإلقاء النطفة، ولذلك سميت المرأة حرثاً، وصل بما مضى مسبباً عنه قوله منكراً عليهم: ﴿ ﮖ ﴾"(٤).

أما الرازي فقد ذكر مناسبة أخرى وهي أن الله لما ذكر دليل الخلق أتبعه بدليل الرزق الذي به البقاء ثم أشار إلى ترتيب الأمور الثلاثة التي ذكرها الله في هذه الآيات وهي المأكول ثم المشروب ثم ما يصلح به المأكول.

قال الرازي:"ذكر بعد دليل الخلق دليل الرزق فقوله: ﴿ﭽ ﭾ ﭿ﴾(٥) إشارة إلى دليل الخلق وبه الابتداء، وقوله: ﴿ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﴾ إشارة إلى دليل الرزق وبه البقاء، وذكر أموراً ثلاثة المأكول، والمشروب، وما به إصلاح المأكول، ورتبه ترتيباً فذكر المأكول أولاً لأنه هو الغذاء، ثم المشروب لأن به الاستمراء، ثم النار للتي بها الإصلاح وذكر من كل نوع ما هو الأصل، فذكر من المأكول الحب فإنه هو الأصل، ومن المشروب الماء لأنه هو الأصل، وذكر من المصلحات

---

(١) "التحرير والتنوير" 319/27

(٢) نوح:17.

(٣) "التحرير والتنوير" 320/27

(٤) "نظم الدرر" 223/19

(٥) الواقعة:58.

النار لأن بها إصلاح أكثر الأغذية وأعمها، ودخل في كل واحد منها ما هو دونه، هذا هو الترتيب"[١].

والمناسبة الأولى التي ذكرها ابن عاشور قد تفرد بها ، أما الثانية فقد سبقه إليها البقاعي .

---

(١) "مفاتيح الغيب" 181/29

٣٣. (4) قوله تعالى: (ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ)[١]

قال ابن عاشور:" مناسبةُ الانتقال أن الحرث إنما ينبت زرعه وشجره بالماء فانتقل من الاستدلال بتكوين النبات إلى الاستدلال بتكوين الماء الذي به حياة الزرع والشجر"[٢].

بين ابن عاشور مناسبة هذه الآية لما قبلها وهي أن الله لما ذكر تكوين النبات أتبعه بذكر سببه الذي به حياته وهو الماء.

وقد أشار البقاعي إلى هذه المناسبة وبين بأن هذا من ذِكْرِ السبب بعد ذكر المسبب ، قال البقاعي:"لما وقفهم على قدرته في الزرع مع وجود أسبابه، وقدمهم بشدة إليه، وكان ربما ألبس نوع لبس لأن لهم فيه سبباً في الجملة، أتبعه التوقيف على قدرته على التصرف في سببه الذي هو الماء الذي لا سبب لهم في شيء من أمره أصلاً، فقال ــ مسبباً عما أفادهم هذا التنبيه مذكراً بنعمة الشرب الذي يحوج إليه الغذاء ــ : ﴿ ﮯ ﴾ أي أخبروني هل رأيتم بالبصر أو البصيرة ما نبهنا عليه مما مضى في المطعم وغيره"[٣].

أما الرازي فقد ذكر مناسبة أخرى سبق الإشارة إليها في الموضع السابق[٤].

و لم يأت ابن عاشور بمناسبة جديدة في هذا الموضع .

---

(١) الواقعة:68-69.

(٢) "التحرير والتنوير" 323/27

(٣) "نظم الدرر" 226/19

(٤) ص139

٣٤. (5)قال ابن عاشور: (ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ)[١]

قال ابن عاشور:"هو مثل سابقه في نظم الكلام.

ومناسبةُ الانتقال من الاستدلال بخلق الماء إلى الاستدلال بخلق النار هي ما تقدم في مناسبة الانتقال إلى خلق الماء من الاستدلال بخلق الزرع والشجر، فإن النار تخرج من الشجر بالاقتداح وتذكى بالشجر في الاشتعال والالتهاب"[٢].

بين ابن عاشور مناسبة هذه الآية للآية التي فيها ذكر الزرع والشجر فبين أن الله لما ذكر الاستدلال بخلق الزرع والشجر أتبعه بذكر النار التي تخرج من الشجر بالاقتداح.

وهذه المناسبة التي ذكرها ابن عاشور ليس فيها ذكر للارتباط بين هذه الآية وبين الاستدلال بذكر الماء المذكور قبل هذه الاستدلال مباشرة.

أما البقاعي فقد ذكر مناسبة أخرى ربطها بما ذكره الله من الاستدلال بذكر الماء ، وبين أن الماء سبب لتشقيق الأرض والنار سبب لتقاطر الماء ، وهي مناسبة حسنة إن قلنا إن النار سبب لتقاطر الماء.

قال البقاعي:" لم كانت النار سبباً لعنصر ما فيه الماء فيتحلب فيتقاطر كما كان الماء سبباً لتشقيق الأرض بالزرع... أتبعه بما كما أتبع الزرع بالماء لذلك ولبيان القدرة على ما لا سبب فيه لمخلوق في السفل كما كان إنزال الماء عرياً عن سنتهم في العلو، فقال مسبباً عما مضى تنبيهاً على أنه أهلهم للتأمل في مصنوعاته و التبصر في عجائب آياته فقال﴿ﯼ﴾ أي أخبروني هل رأيتم بالأبصار والبصائر ما تقولهم ﴿ﯽ﴾"[٣].

أما الرازي فقد ذكر مناسبة أخرى سبق ذكرها في المناسبة السابقة[٤]

فالمناسبة التي ذكرها ابن عاشور ليست مرتبطة بذكر الماء المذكور قبلها مباشرة وإنما مرتبطة بذكر الشجر و

٣٥. (6)قوله تعالى: (ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﭑ ﭒ ﭓ)[٥] قال ابن

---

(١) الواقعة:71-72

(٢) "التحرير والتنوير" 325/27

(٣) "نظم الدرر" 228/19

(٤) ص 139

(٥) الواقعة:75-77.

عاشور:"تفريع على جملة (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ)[1] يُعرِب عن خطاب من الله تعالى موجه إلى المكذبين بالبعث القائلين: (ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ)[2] ، انتقل به إلى التنويه بالقرآن لأنهم لما كذبوا بالبعث وكان إثباتُ البعث من أهم ما جاء به القرآن وكان مما أغراهُم بتكذيب القرآن اشتمالُه على إثبات البعث الذي عَدُّوه محالاً، زيادة على تكذيبهم به في غير ذلك مما جاء به من إبطال شركهم وأكاذيبهم، فلما قامت الحجة على خطئهم في تكذيبهم، فقد تبين صدق ما أنبأهم به القرآن فثبت صدقه ولذلك تهيّأ المقام للتنويه بشأنه"[3].

بين ابن عاشور أن هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى: (ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ)، وقوله: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ) وذلك أن الله لما ذكر إنكار المشركين للبعث وذكر الأدلة على إثباته والرد عليهم ، وكان إنكار المشركين للبعث قد أغراهم بالتكذيب بالقرآن لأنه مثبت للبعث كان ذلك داعياً إلى التنويه بشأن القرآن وإثبات حقيته.

أما الرازي فقد ذكر المناسبة لإيراد هذا القسم في هذا الموضع ولم يذكر سبب التنويه بالقرآن قال الرازي:"النبي ﷺ لما آتاه الله جل وعز ما ينبغي قالوا: إنه يريد التفضل علينا وهو يجادلنا فيما يعلم خلافه، فلم يبق له إلا أن يقسم فأنزل الله تعالى عليه أنواعاً من القسم بعد الدلائل، ولهذا كثرت الأيمان في أوائل التنزيل وفي السبع الأخير خاصة"[4].

و البقاعي قد شرح ما نبه إليه الرازي بكلام طويل ، وأشار إلى أن هذا القسم جاء بعد بيان الأدلة والبراهين الدالة على صدق ما جاء به الرسول ﷺ.

وهناك تشابه بين قوله وقول الرازي ،وذلك في كلامه عن كثرة الأيمان في السبع الأخير من القرآن ، مما يدل على أنه استفاد من الرازي.

يقول البقاعي:"لما كان من العظمة الباهرة ما ظهر في هذه السورة من أفانين الإنعام في الدارين، وبدأ بنعمة الآخرة لكونها النتيجة، ثم دل عليها بإنعامه في الدنيا فكان تذكيراً بالنعم

---

(١) الواقعة:49 -50

(٢) الواقعة:47.

(٣) "التحرير والتنوير" 329/27

(٤) "مفاتيح الغيب" 188/29

لتشكر، ودلالة على النتيجة لتذكر، وفي كل حالة تستحضر فلا تكفر، فوصلت الدلالة إلى حد هو أوضح من المحسوس وأضوأ من المشموس، وكان مع هذه الأمور الجليلة في مظهر أعجز الخلائق على أن يأتوا بمثله من كل وجه ،... فكان من سمعه و لم يؤمن لم يبق له من الممحلات إلا أن يقول: هذا البيان ليس لظهور المدعى وثبوته بل لقوة عارضة المدعي وقوته على تركيب الأدلة وصوغ الكلام وتصريف وجوه المقال، وهو يعلم أنه يغلب لقوة جداله لا لظهور مقاله، كما أنه ربما يقول أحد المتناظرين عند انقطاعه لخصمه: أنت تعلم أن الحق معي لكنك تستضعفني ولا تنصفني، فحينئذ لا يبقى للخصم جواب إلا الإقسام بالإيمان التي لا مخرج عنها أنه غير مكابر وأنه منصف، وإنما يفزع إلى الإيمان لأنه لو أتى بدليل آخر لكان معرضاً لمثل هذا، فيقول: وهذا غلبتني فيه لقوة جدالك وقدرتك على سوق الأدلة ببلاغة مقالك، فلذلك كانوا إذا أفحمهم النبي ﷺ قالوا: إنه يريد أن يتفضل علينا فيما نعلم خلافه، فلم يبق إلا الإقسام، فأنزل الله أنواعاً من الأقسام بعد الدلائل العظام، ولهذا كثرت الآيات في أواخر القرآن، وفي السبع الأخيرة خاصة أكثر، فلذلك سبب عن هذه الأدلة الرائعة والبراهين القاطعة قوله: ﴿ ئد ى ى ﴾"[1].

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم أجد من أشار إليها غيره ، فهي من الإضافات التي أضافها في هذا العلم.

(١) "نظم الدرر" 232/19

٣٦. (7)قوله تعالى: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ)[١]

قال ابن عاشور:"مقتضى فاءِ التفريع أن الكلام الواقع بعدها ناشيء عما قبله على حسب ترتيبه، وإذ قد كان الكلام السابق إقامةَ أدلة على أن الله قادر على إعادة الحياة للناس بعد الموت، وأعقب ذلك بأن تلك الأدلة أيدت ما جاء في القرآن من إثبات البعث، وأنحى عليهم أنهم وضحت لهم الحجة ولكنهم مكابرون فيها ومظهرون للجحود وهم موقنون بها في الباطن، وكل ذلك راجع إلى الاستدلال بقوة قدرة الله على إيجاد موجودات لا تصل إليها مدارك الناس، انتقل الكلام إلى الاستدلال إثبات البعث بدليل لا محيص لهم عن الاعتراف بدلالته فالتفريع على قوله: (ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ)[٢] وهو أن عجزهم عن إرجاع الروح عند مفارقتها الجسد ينبههم على أن تلك المفارقة منوطة بنظام الخلقة وأنها لحكمة"[٣].

بين ابن عاشور أن هذه الآية مفرعة عن قوله تعالى: (ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ)، فهي رجوع إلى الاستدلال على إثبات البعث.

أما الرازي فقد أشار إلى ارتباطها بالآية التي قبلها مباشرة، وذلك أن الله لما ذكر أحوال المشركين وأنهم يكذبون الرسل أتبع ذلك بذكر دليل على أنهم متناقضون ،قال الرازي:"قوله تعالى: ﴿ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﴾ متصل بما قبله لما بينا أن المراد أنكم تكذبون الرسل فلم لا تكذبونهم وقت النزع"[٤].وهذه مناسبة متصلة بما قبلها مباشرة .

أما البقاعي فقد جعل هذه الآية مسببة عما قبلها فقال:"ولما أنكر عليهم هذا الإنكار وعجب منهم هذا التعجيب في أن ينسبوا لغيره فعلاً أو يكذبوا له خبراً، سبب عن ذلك تحقيقاً لأنه لا فاعل سواه قوله: ﴿ ﭬ ﴾"[٥]اهـ.

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم أجد من أشار إليها غيره.

---

(١) الواقعة:83-84.

(٢) الواقعة:62.

(٣) "التحرير والتنوير" 342/27

(٤) "مفاتيح الغيب" 200/29

(٥) "نظم الدرر" 214/19

سورة الحديد

مناسبات الآيات في سورة الحديد

٣٧. (1) قوله تعالى: **(ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ)**[١]

قال ابن عاشور:" مناسبة ذكره هذه الجملة أن تقدير الليل والنهار وتعاقبهما من التصرفات الإِلهية المشاهدة في أحوال السماوات والأرض وملابسات أحوال الإِنسان، فهذه الجملة بدل اشتمال من جملة **(ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ)**[٢] وهو أيضاً مناسب لمضمون جملة **(ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ)**[٣] تذكير للمشركين بأن المتصرف في سبب الفناء هو الله تعالى فإنهم يعتقدون أن الليل والنهار هما اللذان يُفنيان الناس"[٤].

ذكر ابن عاشور هاهنا مناسبتين :

الأولى : أن الله لما ذكر السماوات والأرض وملكه لهما بين تقديره لليل والنهار وتصرفه فيهما.

والثانية : أن الله لما ذكر أن الأمور ترجع إليه وأنه هو سبب الفناء أتبعه بذكر تصرفه في السماوات والأرض رداً على زعمهم أن الليل والنهار هما اللذان يفنيان الناس.

فهذه الآية متصلة بما قبلها ومناسبة لطرفيها مناسبة قوية.

وقال البقاعي لما ذكر أن الأمور راجعة إلى الله ومنها البعث والإبداء والفناء " ودل على هذا الإبداء والإفناء بأبدع الأمور وأروقها فقال: ﴿ ﮉ ﴾ أي يدخل ويغيب بالنقص والمحو ﴿ ﮊ ﮋ ﮌ ﴾"[٥].

و لم أجد من أشار إلى المناسبة الأولى التي ذكرها ابن عاشور ، فهي من إضافاته لعلم المناسبات، وأما مناسبة هذه الآية لخاتمة الآية السابقة فقد أشار إليها البقاعي قبله.

---

(١) الحديد:6.

(٢) الحديد:5.

(٣) الحديد:5.

(٤) "التحرير والتنوير" 366/27

(٥) "نظم الدرر" 261/19

٣٨. (2)قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ)[١]

قال ابن عاشور:"لما كان معلوماً أن مضاعفة الثواب وإعطاء الأجر يكون في يوم الجزاء، ترجح أن يكون قوله: ﴿ ﭑ ﭒ ﴾ منصوباً بفعل محذوف تقديره: اذكُر تنويهاً بما يحصل في ذلك اليوم من ثواب للمؤمنين والمؤمنات ومن حرمان للمنافقين والمنافقات، ولذلك كرر ﴿ ﭑ﴾ ليَختصَّ كل فريق بذكر ما هو من شؤونه في ذلك اليوم.

وعلى هذا فالجملة متصلة بالتي قبلها بسبب هذا التعلق، على أنه في نظم الكلام يصح جعله ظرفاً متعلقاً بـ(ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ)[٢] على طريقة التخلص لذكر ما يجري في ذلك اليوم من الخيرات لأهلها ومن الشر لأهله.

وعلى الوجه الأول فالجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً لمناسبة ذكر أجر المنفقين فعقب ببيان بعض مزايا المؤمنين، وعلى الوجه الثاني فهي متصلة بالتي قبلها بسبب التعلق"[٣].

ذكر ابن عاشور وجهين لموقع هذه الآية بحسب تعلق كلمة ﴿ ﭑ ﴾، فإن كانت منصوبة بفعل محذوف تقديره اذكر ، فإن هذه الجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً فيه ذكر مزايا المؤمنين بعد أن ذكر الله أجر المنفقين.

قلت: ولعل ذلك فيه إشارة إلى أن الإنفاق في سبيل الله من صفات المؤمنين ففيه إتباع الصفة بذكر الموصوف وذكر مزاياه.

أما إن كانت كلمة ﴿ ﭑ ﴾ ظرفاً متعلقاً بقوله:﴿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ فهو تخلص للانتقال إلى ذكر ما يجري من الخير لأهل الخير ومن الشر لأهل الشر.

وقد أشار البقاعي إلى الوجه الأول الذي ذكره ابن عاشور حيث قال:"لما بين ما لهذا

المقرض، بين بعض وصفه بالكرم ببيان وقته"[٤].

---

(١) الحديد:12.

(٢) الحديد:11.

(٣) "التحرير والتنوير" 379/27

(٤) "نظم الدرر" 271/19

وأما الوجه الثاني الذي ذكره ابن عاشور فهو من إضافاته في علم المناسبات ، و لم أجد من أشار إلى هذا الوجه غيره.

٣٩. (3)قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ)[١].

قال ابن عاشور:" لما ذكر فضل المتصدقين وكان من المؤمنين من لا مال له ليتصدق منه أعقب ذكر المتصدقين ببيان فضل المؤمنين مطلقاً، وهو شامل لمن يستطيع أن يتصدق ومن لا يستطيع على نحو التذكير المتقدم آنفاً في قوله: (ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ)[٢] "[٣].

بين ابن عاشور مناسبة هذه الآية لما قبلها وهي أنها من باب ذكر العام بعد الخاص، فمن المؤمنين من هو قادر على الإنفاق ومنهم من ليس كذلك ، فلما ذكر الله فضل المنفقين أتبعه بذكر فضل المؤمنين مطلقاً ليشمل القادر على الإنفاق وغير القادر.

وهذه مناسبة حسنة.

أما الرازي فقد قال:"اعلم أنه تعالى ذكر قبل هذه الآية حال المؤمنين والمنافقين، وذكر الآن حال المؤمنين وحال الكافرين"[٤].

وهذه المناسبة أقل شأناً مما ذكره ابن عاشور، لأن الآية التي قبلها فيها بيان لأحوال المؤمنين وهذه الآية كذلك فهي متصلة بها مكملة لها.

أما البقاعي فقد أشار إلى أن هذه الآية فيها ترغيب بالصدقة والبذل ،وذلك أن الإيمان يحمل على التصدق فهي من ذكر السبب بعد المسبَّب.

قال البقاعي:" لما بين سبحانه وتعالى أن الصدقة كالبذر الذي هو من أحسن الأرباح وأبهجها، بين الحامل عليها ترغيباً فيها، فقال عاطفاً بالواو، إشارة إلى التمكن في جميع هذه الصفات: ﴿ ﭑ ﭒ ﴾"[٥].

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم أجد من أشار إليها غيره.

٤٠. (4)قوله تعالى: (ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ

---

(١) الحديد:19.

(٢) الحديد:10.

(٣) "التحرير والتنوير" 396/27

(٤) "مفاتيح الغيب" 232/29

(٥) "نظم الدرر" 284/19

ﭵ)[١]

قال ابن عاشور:"لما جرى ذكر الجهاد آنفاً بقوله: (ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ)[٢] وقوله: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ)[٣] على الوجهين المتقدمين هنالك، وجرى ذكر الدنيا في قوله: (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ)[٤] وكان ذلك كله مما تحدُث فيه المصائب من قتل وقطع وأسر في الجهاد، ومن كوارث تعرض في الحياة من فقد وألم واحتياج، وجرى مَثَل الحياة الدنيا بالنّبات، وكان ذلك ما يعرض له القحط والجوائح، أُتبع ذلك بتسلية المسلمين على ما يصيبهم ، لأن المسلمين كانوا قد تخلقوا بآداب الدنيا من قبلُ فربما لحقهم ضر أو رزء خارج عن نطاق قدرقم وَكسبهم فأعلموا أن ذلك مما اقتضاه ارتباط أسباب الحوادث بعضها ببعض على ما سيرها عليه نظام جميع الكائنات في هذا العالم"[٥].

بين ابن عاشور وجه اتصال هذه الآية بما قبلها من الآيات ،فأوضح أن الله لما ذكر الجهاد في هذه السورة وكان الجهاد مظنة حدوث المصائب من قتل وأسر أتبع ذلك بتسلية المسلمين على ما يصيبهم.

أما الرازي فقد نقل المناسبة عن الزجاج [٦] حيث قال:"قال الزجاج:إنه تعالى لما قال: (ﮒ ﮓ ﮔ)[٧] بين أن المؤدي إلى الجنة والنار لا يكون إلا بقضاء وقدر فقال: ﴿ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﴾

---

(١) الحديد:22.

(٢) الحديد:10.

(٣) الحديد:19.

(٤) الحديد:20.

(٥) "التحرير والتنوير" 409/27

(٦) هو إبراهيم بن السريّ بن سهل الزجاج ، أبو إسحاق ، ولد سنة إحدى وأربعين ومائتين ، عالم باللغة والنحو والتفسير ، من أهل الفضل والدين ، كان حسن الاعتقاد ، من مصنفاته :"الاشتقاق" ، "الأمالي في اللغة والأدب" ، "حلق الإنسان" ،"القوافي" ، "المثلث" ،"معاني القرآن وإعرابه" ، توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة .

(انظر:"سير أعلام النبلاء" للذهبي 360/14 ، "بغية الوعاة" للسيوطي 411/1، "الأعلام" للزركلي40/1)

(٧) الحديد:21.

"[1][2].

وهذه المناسبة ظاهرة ومرتبطة بالآية التي قبلها مباشرة .

أما البقاعي فقد ذكر مناسبة أخرى فيها شيء مما ذكره ابن عاشور، وهي أنها تسلية للمؤمنين إلا أنه لم يشر إلى ما في الجهاد من مصائب كما ذكر ذلك ابن عاشور ولكنه جعلها عامة لمصائب الدنيا.

قال البقاعي:" لم كانت الدنيا مانعة عن العكوف إلى الآخرة بلذاتها وآلائها، وكانت كما أنها منزل رخاء هي دار بلاء، وكان قد اقتصر سبحانه في الآية السالفة على الأول لأن السياق للإنفاق والترغيب في معالي الأخلاق وجعل المسابقة إلى السعادة نتيجة الزهد فيها، تحركت النفس إلى السؤال عما يعوق عن الخير من الضرب بسياط البلاء، فقال: ـــ مسلياً عنه لأن النفوس أشد تأثراً بالمكاره وأسرع انفعالاً بالمقارع ومحققاً ومغرياً ، بالإعلام بأنه لم يكن فيها خير ولا شر إلا بقضاء حتم في الأزل وقدر أحكم ووجب حين لم يكن غيره شيء عز وجل،... ـــ: ﴿ ے ۓ ﴾ وأكد النفي فقال: ﴿ ۓ ﯓ ﴾"[3].

فابن عاشور ذكر مناسبة قد سبقه إلى ذكرها البقاعي .

---

(١) انظر "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج 128/5.

(٢) "مفاتيح الغيب" 237/29

(٣) "نظم الدرر" 294/19

سورة المجادلة

مناسبات الآيات في سورة المجادلة

٤١. (1) قوله تعالى: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ)[١]

قال ابن عاشور:" لما جرى ذكر الكافرين وجرى ذكر حدود الله وكان في المدينة منافقون من المشركين نقل الكلام إلى تهديدهم وإيقاظ المسلمين للاحتراز منهم"[٢].

وقال أبو حيان:"لما ذكر المؤمنين الواقفين عند حدوده، ذكر المحادّين المخالفين لها"[٣]

وقال البقاعي:"ولما ذكر حدوده، ولوح بالعطف على غير معطوف عليه إلى بشارة حافظها، وصرح بتهديد متجاوزيها أتبع ذلك تفصيل عذابهم الذي منه بشارة المؤمنين بالنصر عليهم، فقال مؤكداً لأجل إنكارهم لأن يغلبوا على كثرتهم وقوتهم وضعف حزبه وقلتهم: ﴿ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﴾ "[٤].

جميع هذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد وهو أن الله لما ذكر حدوده ،و أن التزامها من تمام الإيمان به وبرسوله وهدد الكافرين بالعذاب الأليم أتبع ذلك بذكر المحادين لله ولرسوله ﷺ وما يستحقون من العذاب.

ونلاحظ أن ابن عاشور قد صرح بأن هذا التهديد دعا إليه وجود نفر من المنافقين المشركين.

---

(١) المجادلة:5.

(٢) "التحرير والتنوير" 23/28

(٣) "البحر المحيط" 233/8

(٤) "نظم الدرر" 355/19

٤٢. (2) قوله تعالى: (ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ)[١]

ذكر ابن عاشور رأيين فيمن خوطب بهذه الآية ،حيث بين أن هذه إما أن تكون خطاباً للمنافقين فعاملهم الله بما أظهروه من الإيمان ، و لم يذكر مناسبة هذه الآية إن كان الخطاب للمنافقين.

ثم ذكر الرأي الثاني فقال: "ويجوز أن تكون خطاباً للمؤمنين الخلّص بأنْ وجه الله الخطاب إليهم تعليماً لهم بما يحسن من التناجي وما يقبح منه بمناسبة ذم تناجي المنافقين ،فلذلك ابتدىء بالنهي عن مثل تناجي المنافقين ، وإن كان لا يصدر مثله من المؤمنين تعريضاً بالمنافقين، مثل قوله تعالى: (ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ)[٢]، ويكون المقصود من الكلام هو قوله: ﴿ ﮰ ﮱ ﯓ ﴾ تعليماً للمؤمنين"[٣].

ومعنى هذا الكلام أن الله لما ذكر حال المنافقين وما يحصل منهم من تناجٍ خاطب المؤمنين بالنهي عن التشبه بالمنافقين تعريضاً للمنافقين وتعليماً للمؤمنين.

وهذه مناسبة حسنة.

و لم يخرج قول ابن عاشور عما قاله الرازي فقد ذكر القولين وذكر المناسبة.

يقول الرازي:" اعلم أن المخاطبين بقوله: ﴿ ﮩ ﮪ ﮫ ﴾ قولين[٤]، وذلك لأنا إن حملنا قوله فيما تقدم: (ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ)[٥] على اليهود حملنا في هذه الآية قوله: ﴿ ﮩ ﮪ ﮫ ﴾ على المنافقين، أي يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم، وإن حملنا ذلك على جميع الكفار من اليهود والمنافقين، حملنا هذا على المؤمنين، وذلك لأنه تعالى لما ذم اليهود والمنافقين على التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، أتبعه بأن نهى أصحابه المؤمنين أن يسلكوا مثل طريقتهم، فقال: ﴿

---

(١) المجادلة:9.

(٢) آل عمران:156.

(٣) "التحرير والتنوير" 33/28

(٤) كذا في المطبوع .

(٥) المجادلة:8.

ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﴾ "[1].

وأشار أبو حيان إلى هذه المناسبة أشارة موجزة فقال:" ثم نهى المؤمنين أن يكون تناجيهم مثل تناجي الكفار"[2] ، وقول أبي حيان جارٍ على أن المخاطب في هذه الآية هم المؤمنون ، و لم يذكر القول الآخر.

أما البقاعي فقد قال:"لما نهى عن النجوى وذم على فعلها وتوعد عليه فكان ذلك موضع أن يظن أن النهي عام لكل نجوى وإن كانت بالخير، استأنف قوله منادياً بالأداة التي [3] يكون ما بعدها له وقع عظيم، معبراً بأول أسنان الإيمان باقتضاء الحال له: ﴿ ﯓ ﯔ ﯕ ﴾ أي ادعوا أنهم أوجدوا هذه الحقيقة ﴿ ﯖ ﯗ ﴾ "[4].

بين البقاعي أن هذه الآية جاءت لرد توهم أن يظن أن النهي عام لكل نجوى فبينت هذه الآية أن من النجوى ما هو جائز بشروط.

وهذه المناسبة التي ذكرها البقاعي لم يذكرها الآخرون.

وابن عاشور لم يأت بشيء جديد في هذه المناسبة وإنما تابع الرازي .

---

(١) "مفاتيح الغيب" 268/29

(٢) "البحر المحيط" 234/8

(٣)في المطبوع :(التي لا يكون ما بعدها) ، ولعل الصواب ما ذكرته.

(٤) "نظم الدرر" 370/19

٤٣. (3) قوله تعالى: (ئى ئي ئې ئى ئى ئد ى ى ې ې ۇ ۆ ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم)[١]

قال ابن عاشور:"فصل بين آيات الأحكام المتعلقة بالنجوى بهذه الآية مراعاة لاتحاد الموضوع بين مضمون هذه الآية ومضمون التي بعدها في أنهما يجمعهما غرض التأدب مع الرسول ﷺ وتلك المراعاة أولى من مراعاة اتحاد سياق الأحكام.

... وأيضاً قد كان للمنافقين نية مكر في قضية المجلس كما كان لهم نية مكر في النجوى، وهذا مما أنشأ مناسبة الانتقال من الكلام على النجوى إلى ذكر التفسح في المجلس النبوي الشريف. "[٢].

بين ابن عاشور أن هذه الآية مفصولة عما قبلها ومرتبطة بما بعدها،وذلك لمراعاة مضمون الآية التي بعدها حيث تشتركان في بيان أدب من آداب التعامل مع الرسول ﷺ.

ثم بين سبب الانتقال من الكلام على النجوى إلى ذكر هذا الأدب وهو أن المنافقين كانت لهم نية مكر في المجالس كما كانت لهم نية مكر في النجوى.

أما الرازي فقد قال:"اعلم أنه تعالى لما نهى عباده المؤمنين عما يكون سبباً للتباغض والتنافر، أمرهم الآن بما يصير سبباً لزيادة المحبة والمودة"[٣].

وتبعه على ذلك أبو حيان حيث قال:" ولما نهى تعالى المؤمنين عن ما هو سبب للتباغض والتنافر، أمرهم بما هو سبب للتواد والتقارب"[٤].

أما البقاعي فقد ذكر مناسبة أخرى حيث قال:"ولما ذكر ما يحزن من السر لكونه اختصاصاً عن الجليس بالمقال فينشأ عنه ظن الكدر وتباعد القلوب، أتبعه الاختصاص بالمجلس الذي هو مباعدة الأجسام اللازم لها من الظن ما لزم من الاختصاص بالسر في الكلام فينشأ عنه الحزن، معلماً لهم بكمال رحمته وتمام رأفته بمراعاة حسن الأدب بينهم ، وإن كان من أمور العادة دون أحكام العبادة، فقال مخاطباً لأهل الدرجة الدنيا في الإيمان لأنهم المحتاجون لمثل هذا الأدب

---

(١) المجادلة:11.

(٢) "التحرير والتنوير" 36/28

(٣) "مفاتيح الغيب" 269/29

(٤) "البحر المحيط" 235/8

﴿ ﯼ ﯽ ﯾ ﴾ "[1].

فربط بين ما ينشأ عن النجوى وما ينشأ عن التباعد بين الأجسام وأن كلا الحالين يوجب ظن السوء.

و المناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم أجد من أشار إليها غيره ، حيث ربط هذه الآية بما قبلها وبمضمون ما بعدها وبين سبب الانتقال ، وهذا ارتباط وثيق ، وهو من إبداع ابن عاشور في علم المناسبات.

---

(١) "نظم الدرر" 374/19

سورة الحشر

مناسبات الآيات في سورة الحشر

٤٤. (1) قوله تعالى: (ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ
ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ)[١]

قال ابن عاشور:" أعقب ذكر ما حلّ ببني النضير[٢] وما اتصل به من بيان أسبابه، ثم بيان مصارف فيْئهم وفَيْءِ ما يُفتح من القرى بعد ذلك، بذكر أحوال المنافقين مع بني النضير وتغريرهم بالوعود الكاذبة ليعلم المسلمون أن النفاق سجية في أولئك لا يتخلون عنه ولو في جانب قوم هم الذين يودُّون أن يظهروا على المسلمين"[٣].

بين ابن عاشور أن الله لما ذكر شأن اليهود وما حل بهم أعقبه ببيان أحوال المنافقين الموالين لهم ليكون المسلمون على علم بهم.

ويظهر أن هذه المناسبة التي ذكرها ابن عاشور غير مرتبطة بالآيات التي سبقتها مباشرة لأن الآيات التي سبقتها فيها ثناء على المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، فلعله جعلها تابعة لمصارف الفيء وجاء الثناء عليهم استطراداً.

أما البقاعي فقد ربطها بالآيات التي فيها ثناء على المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.

قال البقاعي:"ولما دل على أن هذا الثناء للصادقين في الإيمان بإقامة السنة بالهجرة والإيثار والاجتهاد في الدعاء لمن تبين الإيمان فسهل به طريق الأمان، فأخرج ذلك المنافقين وأفهم أنهم لا يفعلون ذلك لأنهم لا رسوخ لهم في الإيمان الحامل على ذلك، دل على نفاقهم الموجب لكذبهم بقوله متمماً للقصة مخاطباً لأعلى الخلق إشارة إلى أنه لا يطلع على نفاقهم لما لهم فيه من دقة

---

(١) الحشر:11.

(٢) النضير : قبيلة من قبائل اليهود من ذرية هارون عليه السلام ، والنضير وقريظة أخوان ، سكن بنو النضير حصناً قريباً من المدينة النبوية وحالفوا الخزرج.

(انظر:"الأنساب" للسمعاني 502/5)

(٣) "التحرير والتنوير" 98/28

المكر حق الاطلاع غيره ﷺ معجباً من حالهم في عدم رسوخهم مع ما يرون من المعجزات والآيات البينات ويرون من حال المؤمنين من إسباغ الرحمة عليهم بتسهيل الأمور والنصرة على الجبابرة والإعراض عن الدنيا مع الإقبال على الآخرة والاجتهاد في الدين الذي هو وحده داع إلى الإيمان ومرقق للقلوب ومبين للحقائق غاية البيان: ﴿ ﭬ ﭭ ﴾ أي تعلم علماً هو في قوة الجزم به كالمشاهد يا أعلى الخلق، وبين بعدهم عن جنابه العالي ومنصبه الشريف الغالي بأداة الانتهاء فقال تعالى: ﴿ ﭮ ﭯ ﭰ ﴾"(١).

وبالجمع بين القولين يظهر ارتباط هذه الآية بما سبقها من الآيات.

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم أجدها عند غيره.

(١) "نظم الدرر" 445/9

٤٥. (2) قوله تعالى: ﴿ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ﴾[١]

قال ابن عاشور:"لما كان المقصود من ذكر وهن المنافقين في القتال تشديد نفس النبي ﷺ وأنفس المؤمنين حتى لا يرهبوهم ولا يخشوا مساندتهم لأهل حرب المسلمين أحلاف المنافقين قريظة[٢] وخيبر أعقب ذلك بإعلام المؤمنين بأن المنافقين وأحلافهم يخشون المسلمين خشية شديدة وُصفت شدتها بأنها أشد من خشيتهم الله تعالى، فإن خشية جميع الخلق من الله أعظم خشية فإذا بلغت الخشية في قلب أحد أن تكون أعظم من خشية الله فذلك منتهى الخشية"[٣].

بين ابن عاشور أن هذه الآية جاءت تأكيداً للآيات السابقة التي فيها تشديد لنفس النبي > ومن معه من المؤمنين ، ففي الآيات السابقة ذكر وهن المنافقين وأحلافهم من اليهود وفي هذه الآية صرح بأنهم يخافون المؤمنين أشد الخوف.

ففيها تثبيت لقلب النبي > وقلوب من معه ، فسياق هذه الآية شديد الارتباط بما قبلها.

أما البقاعي فقد ذكر أن هذه الآية جاءت رداً لتوهم أن ترك المنافقين نصرة إخوانهم اليهود إنما هو لخوفهم من الله ،فجاءت هذه الآية توضح أن ذلك ليس بصحيح، وأنهم يخافون المؤمنين أشد الخوف، قال البقاعي:"ولما كان ربما قيل: إن تركهم لنصرهم إنما هو لخوف الله أو غير ذلك مما يحسن وقعه، علل بما ينفي ذلك ويظهر أن محط نظرهم المحسوسات كالبهائم فقال مؤكداً له لأجل أن أهل النفاق ينكرون ذلك وكذا من قرب حاله منهم: ﴿ﮗ﴾ أيها المؤمنون ﴿ﮘ ﮙ﴾"[٤].

وهذان الرأيان لا يتعارضان، وكل منهما رأي حسن فيه توضيح لمناسبة هذه الآية لما قبلها.

---

(١) الحشر:13.

(٢) قريظة : قبيلة من قبائل اليهود من ذرية هارون عليه السلام ، وقريظة أخ للنضير ، نزل قريظة قلعة حصينة قرب المدينة.

(انظر:"الأنساب" للسمعاني 475/4)

(٣) "التحرير والتنوير" 101/28

(٤) "نظم الدرر" 449/19

٤٦. (3) قوله تعالى: (ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ)[١]

قال ابن عاشور:"انتقال من الامتنان على المسلمين بما يسرّ الله من فتح قرية بني النضير بدون قتال، وما أفاء الله على رسوله ﷺ منهم، ووصف ما جرى من خيبتهم وخيبة أملهم في نصرة المنافقين، ومن الإِيذان بأن عاقبة أهل القرى الباقية كعاقبة أسلافهم ، وكذلك موقف أنصارهم معهم، إلى الأمر بتقوى الله شكراً له على ما منح وما وعد من صادق الوعد فإن الشكر جزاء العبد عن نعمة ربه إذ لا يستطيع جزاء غير ذلك فأقبل على خطاب الذين آمنوا بالأمر بتقوى الله"[٢].

بين ابن عاشور أن هذه الآية جاءت حاثة على شكر الله تعالى لما من به على المؤمنين من النصر والتمكين وما تحقق من وعده الصادق فابن عاشور يرى أن تقوى الله من قبيل الشكر له.

أما أبو حيان فقد قال:" لما انقضى في هذه السورة، وصف المنافقين واليهود. وعظ المؤمنين، لأن الموعظة بعد ذكر المصيبة لها موقع في النفس لرقة القلوب والحذر مما يوجب العذاب، وكرر الأمر بالتقوى على سبيل التوكيد"[٣].

وقريب منه قول البقاعي:"لما أبلغ سبحانه في المواعظ في هذه السورة قولاً وفعلاً، وكانت الإيقاعات المذكورة فيها مسببة عن الخيانات ممن كان له عهد فنقضه، أو ممن كان أظهر الإيمان فأبان فعله كذبه، قال سبحانه وتعالى استنتاجاً عن ذلك وعظاً للمؤمنين لأن الوعظ بعد المصائب أوقع في النفس وأعظم في ترقيق القلب وتحذيره مما يوجب العقوبة:﴿﴾"[٤].

والمناسبة التي ذكرها أبو حيان والبقاعي أقرب ، لأنهما صرحا بأن هذه الآية جاءت موعظة للمؤمنين و على ترك أفعال المنافقين واليهود،فمقام الموعظة هنا أقرب من مقام الشكر على منة الله تعالى ، خصوصاً وأن التقوى لا تدل على الشكر صراحة ، والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم أجدها عند غيره.

---

(١) الحشر:18.

(٢) "التحرير والتنوير" 110/28

(٣) "البحر المحيط" 248/8

(٤) "نظم الدرر" 457/19

٤٧. (4) قوله تعالى: (ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ)[١]

قال ابن عاشور:"لما حذّر المسلمين من الوقوع في مهواة نسيان الله التي وقع فيها الفاسقون، وتوعد الدين نَسُوا الله بالنار، وبيّن حالهم بأن الشيطان سوّل لهم الكفر ، وكان القرآن دالاً على مسالك الخير ومحذّراً من مسالك الشر، وما وقع الفاسقون في الهلكة إلا من جراء إهمالهم التدبر فيه، وذلك من نسيانهم الله تعالى انتقل الكلام إلى التنويه بالقرآن وهديه البيّن الذي لا يصرف الناسَ عنه إلا أهواؤهم ومكابرتهم، وكان إعراضهم عنه أصل استمرار ضلالهم وشركهم، ضَرب لهم هذا المثل تعجيباً من تصلبهم في الضلال.

وفي هذا الانتقال إيذان بانتهاء السورة ."[٢].

بين ابن عاشور أن هذه الآية جاءت للتنويه بشأن القرآن الجامع لخيري الدنيا والآخرة والدال على مسالك الخير والمحذر من مسالك الشر التي ذكرت في هذه السورة.

فكأن هذه الآية إيجاز وتذكير بعد تفصيل ، فموقعها في آخر السورة مناسب جداً وقد أشار إلى ذلك ابن عاشور.

وقول ابن عاشور هذا قريب مما قاله البقاعي حيث قال:"ولما كان قد مر في هذه السورة فضلاً عما تقدمها من حكمة هذا القرآن وإعجازه تارة بمطابقته لما نزل بسببه مطابقة تجلو عنه كل إشكال، وتارة بما يشاهد من صدقه فيما أخبر بإتيانه من الأفعال، وأخرى بما يتحدى به من الأقوال، ومرة بنظم كل جملة مع ما تقدمها على ما لم يكن لبشر مثله في الأحوال إلى غير ذلك من أمور لا يحصرها المقال، ترتب على ذلك قوله : ـــ مبيناً أن سبب افتراق الفريقين في العقبى افتراقهم في هذا القرآن في الأولى تمثيلاً للقلوب في قسوتها أو لينها عند سماع القرآن وتخيلاً توبيخاً للقاسي ومدحاً للعاطف اللين لافتاً القول إلى أسلوب العظمة لاقتضاء الحال لها ـــ ﴿ ﮉ ﮊ ﴾ بعظمتنا التي أباها هذا الإنزال ﴿ ﮋ ﮌ ﴾"[٣].

---

(١) الحشر:21.

(٢) "التحرير والتنوير" 115/28

(٣) "نظم الدرر" 461/19

إلا أن البقاعي صرح بأن سبب الافتراق في الآخرة هو ما حصل من الافتراق في هذه القرآن في الدنيا.

وأشار البقاعي أيضاً إلى ارتباط هذه الآية بما مر في السورة بل ألمح إلى ارتباطها بالسور التي قبلها.

أما ابن عاشور فقد ربط هذه الآية بما قبلها من الآيات التي فيها تحذير المؤمنين من نسيان الله ، وتوعد الكافرين بالنار.

سورة الممتحنة

مناسبات الآيات في سورة الممتحنة

٤٨. (1) قوله تعالى: (ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ...)[1]

قال ابن عاشور:"صدر هذه الآية يفيد تأكيداً لمضمون جملة (ڌ ڎ)[2] وجملة (گ گ گ گ ڳ ڳ)[3] ، لأنها بما تضمنته من أن الموجه إليهم التوبيخ خالفوا الأسوةَ الحسنة تقوي إثبات الخطأ المستوجب للتوبيخ.

ذلك أنه بعد الفراغ من بيان خطأ من يوالي عدوَّ الله بما يجرّ إلى أصحابه من مضارّ في الدنيا وفي الآخرة تحذيراً لهم من ذلك، انتقل إلى تمثيل الحالة الصالحة بمثال من فعل أهل الإِيمان الصادق والاستقامة القويمة وناهيك بها أسوة"[4].

بين ابن عاشور أن هذه الآية انتقال من بيان خطأ من يوالي أعداء الله إلى ضرب المثل بمن كان قدوة يقتدى به في معاداة أعداء الله ، ولئلا يستوحش سالك هذه الطريق من قلة السالكين.

وهذه مناسبة حسنة جداً ، وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً أبو حيان والبقاعي.

قال أبو حيان:"لما نهى عن موالاة الكفار، ذكر قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأن من سيرته التبرؤ من الكفار ليقتدوا به في ذلك ويتأسوا"[5].

وقال البقاعي:"ولما أبلغ سبحانه في وعظهم في ذلك، وكانت عادته التربية بالماضين، كان موضع توقع ذلك فقال معبراً بأداة التوقع: ﴿ ۋ ۅ ﴾أي وجدت وجوداً تاماً، وكان تأنيث الفعل إشارة إلى الرضا بها ولو كانت على أدنى الوجوه ﴿ ۅ ﴾ أي أيها المؤمنون ﴿ ۉ ﴾ أي موضع

(١) الممتحنة:4.

(٢) الممتحنة:2.

(٣) الممتحنة:3.

(٤) "التحرير والتنوير" 142/28

(٥) "البحر المحيط" 252/8

اقتداء وتأسية وتسنن وتشرع وطريقة مرضية ﴿ ﮮ ﴾ يرغب فيها ﴿ ﮯ ﮰ﴾ أي في قول أبي الأنبياء ﴿ ﮱ ﯓ ﴾"[١].

فابن عاشور قد سبقه إلى ذكر هذه المناسبة أبو حيان والبقاعي ، والذي زاده ابن عاشور هو الإشارة إلى أن هذه الآية مؤكدة للآية الثانية والثالثة من هذه السورة.

(١) "نظم الدرر" 496/19

٤٩. (2) قوله تعالى: ﴿ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﴾[١]

قال ابن عاشور: "مناسبة ورود هذه الآية بعد ما قبلها، أن[٢] النهي عن موالاة المشركين يتطرق إلى ما بين المسلمين والمشركين من عقود النكاح والمصاهرة فقد يكون المسلم زوجاً لمشركة وتكون المسلمة زوجاً لمشرك فتحدث في ذلك حوادث لا يستغني المسلمون عن معرفة حكم الشريعة في مثلها"[٣].

وقال البقاعي: "لما كان نزول هذه الآيات الماضية في الفتح الأعظم حين قصد النبي ﷺ سنة ثمان المسير بجنود الله إلى مكة المشرفة – شرفها الله تعالى – لدخولها عليهم بالسيف ... وكان من ذلك الصلح أن من جاء إلى النبي ﷺ من قريش ومن دخل في صلحهم رده إليهم وإن كان مسلماً، ومن جاءهم ممن كان مع النبي ﷺ لم يردوه إليه[٤] ، وقد قال ﷺ ((**أما من جاءنا منهم فرددناه إليهم فسيجعل الله له فرجاً**))[٥] و النساء يدخلن في عموم (من) ، و كان قد ختم سبحانه هذه الآيات التي أدب بها في غزوة الفتح بما أبان به ما لا يخرج عن الصلح في عمرة الحديبية مما هو أقرب إلى الخير من البر والعدل، ونهى عن تولي الكفار، فكانت المصاهرة والمناكحة من أعظم التولي، وصل بذلك ما لا يخرج عنه ولا يحل بالعهد في أن من جاء من الكفار إلى النبي ﷺ رده إليهم وإن كان مسلماً، فقال ...: ﴿ ﮡ ﮢ ﮣ ﴾"[٦].

---

(١) الممتحنة:10.

(٢) في المطبوع : (أي) .

(٣) "التحرير والتنوير" 154/28

(٤) انظر"صحيح البخاري" رقم(2564) 967/2 ، كتاب الشروط ، باب : ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة ، وانظر "صحيح مسلم" رقم(1783) 1126/3 ، كتاب الجهاد والسير ، باب : صلح الحديبية في الحديبية ، وانظر "السيرة النبوية" لابن هشام 347/3.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ ،ولكن وجدت في "صحيح مسلم" عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً)) رقم(1784) 1127/3 ، كتاب الجهاد والسير ، باب : صلح الحديبية في الحديبية.

(٦) "نظم الدرر" 510/19

المناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد أشار إليها البقاعي قبله بكلام طويل فيه نوع استطراد ، حيث اتفق كل منهما على الإشارة إلى ما في الآيات السابقة من نهي عن تولي المشركين ، ثم انتقال الآيات إلى ذكر ما يحصل بين المسلمين مع غيرهم من نكاح ومصاهرة وأحكام ذلك.

وما ذكره ابن عاشور مختصر مفيد.

سورة الصف

مناسبات الآيات في سورة الصف

٥٠. (1) قوله تعالى: (ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ)[١]

قال ابن عاشور: "مناسبة هذه الفاتحة لما بعدها من السورة بيان أن الكافرين محقوقون بأن تقاتلوهم لأنهم شذوا عن جميع المخلوقات فلم يسبحوا الله و لم يصفوه بصفات الكمال إذ جعلوا له شركاء في الإلهية.

وفيه تعريض بالذين أخلفوا ما وعدوا بأنهم لم يؤدُّوا حق تسبيح الله، لأن الله مستحق لأن يوفّى بعهده في الحياة الدنيا وأن الله ناصر الذين آمنوا على عدوّهم"[٢].

هذه المناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم أجد من أشار إليها غيره ، بل لم أجد من أشار إلى المناسبة بين البداءة بالتسبيح وبين موضوع هذه السورة، فهي من الإضافات التي أضافها في هذا العلم .

---

(١) الصف:1.

(٢) "التحرير والتنوير" 172/28

٥١. (2) قوله تعالى: (ۋ ۋ ۆ ۆ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ)[١]

قال ابن عاشور: "موقع هذه الآية هنا خفي المناسبة.

فيجوز أن تكون الجملة معترضة استئنافاً ابتدائياً انتقل به من النهي عن عدم الوفاء بما وعدوا الله عليه إلى التعريض بقوم آذوا النبي ﷺ بالقول أو بالعصيان أو نحو ذلك، فيكون الكلام موجهاً إلى المنافقين، فقد وسموا بأذى الرسول ﷺ قوله تعالى: (ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ)[٢]، وقوله تعالى: (ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى)، وقوله: (ۋ ۋ ۆ ۆ ۈ ۇ ۇ ۆ)[٣].

وعلى هذا الوجه فهو اقتضاب نقل به الكلام من الغرض الذي قبله لتمامه إلى هذا الغرض ، أو تكون مناسبة وقعه في هذا الموقع حدوث سبب اقتضى نزوله من أذى قد حدث لم يطلع عليه المفسرون ورواة الأخبار وأسباب النزول.

والواو على هذا الوجه عطف غرض على غرض ، وهو المسمّى بعطف قصة على قصة.

ويجوز أن يكون من تتمة الكلام الذي قبلها ضرب الله مثلاً للمسلمين لتحذيرهم من إتيان ما يؤذي رسوله ﷺ ويسوؤوه من الخروج عن جادة الكمال الديني مثل عدم الوفاء بوعدهم في الإتيان بأحبّ الأعمال إلى الله تعالى.

وأشفقهم من أن يكون ذلك سبباً للزيغ والضلال كما حدث لقوم موسى لمَّا آذوه"[٤].

ذكر ابن عاشور ثلاثة أوجه في مناسبة هذه الآية لما قبلها:

الوجه الأول: أن هذه الجملة معترضة ، فلما ذكر الله النهي عن عدم الوفاء بالعهد انتقل إلى التعريض بمن آذى النبي > بقول أو فعل وذلك بذكر ما حصل لموسى من قومه.

الوجه الثاني: أن هذا الانتقال قد يكون من أجل حادثة استدعت نزول هذه الآية في هذا الموضع ، ومع أن المفسرين ورواة الأخبار لم يذكروا سبب نزول لهذه الآية إلا أن ابن عاشور ذكر أنهم قد يكونون لم يطلعوا عليه.

---

(١) الصف:5.

(٢) الأحزاب:57.

(٣) التوبة:61.

(٤) "التحرير والتنوير" 177/28

الوجه الثالث: أن هذه الآية من تتمة الكلام الذي قبلها ، وذلك بضرب المثل للمسلمين حتى يحذروا من إيذاء النبي >.

والوجه الأول قريب من الوجه الثالث إلا أنه جعل الآية في الوجه الأول معترضة وفي الوجه الثانية متصلة ، والكلام في الوجه الأول في المنافقين وفي الوجه الثالث في المسلمين عامة ، وهناك فرق بينهما ، والجامع بينهما ضرب المثل.

أما الوجه الثاني فهو بعيد، لأنه لم يرد لهذه الآية سبب نزول ،وعلى افتراض أن لها سبب نزول فنحتاج إلى بيان مناسبة هذه الآية لما قبلها بحسب سبب النزول.

و لم يذكر ابن عاشور وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها مباشرة أي بينها وبين قوله تعالى: (ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ)(١).

وقد ذكر أبو حيان مناسبة أخرى حيث ربطها بالآية الثانية من هذه السورة ،وذلك بعبارة مختصرة حيث قال:" لما كان في المؤمنين من يقول ما لا يفعل، وهو راجع إلى الكذب، فإن ذلك في معنى الإذاية للرسول عليه الصلاة والسلام، إذ كان في أتباعه من عانى الكذب، فناسب ذكر قصة موسى وقوله لقومه: ﴿ ۅ ۅ ﴾، وإذايتهم له كان بانتقاصه في نفسه وجحود آيات الله تعالى واقتراحاتهم عليه ما ليس لهم اقتراحه"(٢).

و لم يذكر وجه ارتباطها بما قبلها مباشرة كما صنع ابن عاشور.

أما أبو السعود فقد ذكر كلاماً عاماً في مناسبة هذه الآية للآية التي فيها الحث على القتال وذكر أنه كلام مستأنف .

يقول أبو السعود:"وقولُه تعالى: ﴿ ۋ ۋ ۇ ۈ ﴾ كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال"(٣).

وأما البقاعي فقد أبدع في بيان مناسبة هذه الآية وأتى بما لم يأت به غيره، وذكر مناسبة ذكر قصة موسى عليه السلام في هذا الموضع.

يقول البقاعي:"ولما كان التخلف عن أمر الله تعالى والغفلة عن شيء يؤدي تركه إلى التهاون

---

(١) الصف:4.

(٢) "البحر المحيط" 259/8

(٣) "إرشاد العقل السليم" 243/8

به والإخلال بأدب من آدابه موجباً للكون في صف الشيطان ومفارقة حزب الرحمن، فيكون أذى الرسول ﷺ، فيوجب ذلك الشقاء كله لأنه جدير بأن يجر إلى أكبر منه إلى أن تحيط الخطايا فتبيح الرزايا، وكان للتذكير بالمشاهدات والأمور الواقعات ما ليس لغيره في التأديب ومرجع الترهيب، ذكر بما كان لبني إسرائيل ترهيباً من مثل حالهم، لئلا يوقع في نكالهم، حين تقاعسوا عما أمروا به ... فقال تعالى: ﴿ ۋ ﴾ عطفاً على ما تقديره: اذكروا ما فعل بعضكم - بما أشرت إليه أول هذه الآيات من الآداب من تنبيه الكفار بما قد يمنع من الفتح أو يكون سبباً في عسره أو في إهلاك خلق كثير من عبادي الذين خلقتهم في أحسن تقويم من المؤمنين وغيرهم، أو من الفرار من الكفار عند المقارعة، أو التقاعس عن اللقاء عند البعث عليه، فآذى ذلك رسول الله ﷺ الذي أذاه من أذى الله فحلم عنكم، وقبل بما له من بليغ الرحمة بكم والشفقة عليكم منكم، وكان أنهى ما عاتبكم به مرسله سبحانه النداء بما هو أدنى الأسنان في الإيمان في نظير إطلاقه على بني إسرائيل الفسق بالوصف المؤذن بالرسوخ ، واذكروا حين ﴿ ۋ ۇ ۆ ﴾ "[1].

فالمناسبات الثلاث التي ذكرها ابن عاشور لم أجد من أشار إليها غيره ، وثنتان منها لها وجه أما الثالثة فبعيدة.

---

(١) "نظم الدرر" 9/20

52 . (3) قوله تعالى: **(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ)**[١]

قال ابن عاشور:"عطف على جملة (ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ)[٢]

فعلى الوجه الأول في موقع التي قبلها فموقع هذه مساوٍ له.

وأما على الوجه الثاني في الآية السابقة فإن هذه مسوقة مساق التتميم لقصة موسى بذكر مثال آخر لقوم حادُوا عن طاعة رسول الله ﷺ إليهم من غير إفادة تحذير للمخاطبين من المسلمين، وللتخلص إلى ذكر أخبار عيسى بالرسول الذي يجيء بعده"[٣].

ذكر ابن عاشور لهذه الآية مناسبتين مترتبطتين بوجهين من الأوجه التي ذكرت في الآية السابقة.

فالوجه الأول أن تكون الآية السابقة " معترضة استئنافاً ابتدائياً انتقل به من النهي عن عدم الوفاء بما وعدوا الله عليه إلى التعريض بقوم آذوا النبي ﷺ بالقول أو بالعصيان أو نحو ذلك، فيكون الكلام موجهاً إلى المنافقين"[٤] وتكون هذه الآية معطوفة عليها.

الوجه الثاني: أن تكون الآية السابقة من تتمة الكلام الذي قبلها وذلك بضرب المثل للمسلمين حتى يحذروا من إيذاء النبي > ، وتكون هذه الآية متممة لها بذكر مثال آخر.

و لم يذكر هنا الوجه الثالث الذي ذكره في الآية السابقة وهو أن هذا الانتقال قد يكون من أجل حادثة استدعت نزول الآية.

وأما البقاعي فقد ذكر مناسبة أخرى لها ارتباط بسورة الممتحنة وأول هذه السورة ثم قصة موسى عليه السلام .

قال البقاعي:" لما كان أذى النبي ﷺ بمخالفة أمره تارة يكون مع العلم برسالته والإقرار بها وتارة مع الإنكار، وقدم العتاب على ما كان منه على تقدير التصديق، وذكر فيه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام الذي كانوا يؤذونه مع العلم برسالته، وهدد بما اتفق لهم من زيغ القلوب

---

(١) الصف:6.

(٢) الصف:5.

(٣) "التحرير والتنوير" 179/28

(٤) المرجع السابق .

التي هي عماد الأبدان وصلاح الإنسان، أتبعه ما يكون منه عند فرض الإنكار.

ولما كان رد المنكر تارة بالعقل وتارة بالنقل، وكان الذي بالعقل يكون بنظر المعجزات ولا سيما إخراج الخبأ وقد كان منه في قصة حاطب [1] رضي الله عنه في إخراج كتابه الذي اجتهد في إخفائه،واجتهدت الظعينة الحاملة له في كتمانه ما فيه مقنع في العلم بالرسالة وتحقق الجلالة، أتبع ذلك دليلاً نقلياً تأييداً للعقل مع كونه دليلاً على صحة الإخبار بإزاغة قلوب بني إسرائيل جزاء على زيغهم عن الحق فقال: ﴿ ﭐ ﴾ أي واذكروا حين ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﴾"[2].

وهذه المناسبة التي ذكرها ابن عاشور كسابقتها فهي مما تفرد به.

---

(١) ابن أبي بلتعة اللخمي ، أبو عبد الله حليف بني أسد بن عبد العزى ، صحابي جليل ، شهد بدراً والحديبية ، توفي سنة ثلاثين ، وله خمس وستون سنة .

(انظر: "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر 312/1 ، "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر 4/2)

(٢) "نظم الدرر" 12/20

53 . (4)قوله تعالى: (ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ چ چ ڍ ڍ)[١]

قال ابن عاشور:"كانت دعوة النبي ﷺ مماثلة دعوة عيسى عليه السلام ، وكان جواب الذين دعاهم إلى الإِسلام من أهل الكتابين والمشركين مماثلاً لجواب الذين دعاهم عليه السلام ، فلما أدمج في حكاية دعوة عيسى بشارته برسول يأتي من بعده ناسب أن ينقل الكلام إلى ما قابل به قوم الرسول الموعود دعوة رسولهم فلذلك ذكر في دعوة هذا الرسول دين الإِسلام فوصفوا بأنهم أظلم الناس تشنيعاً لحالهم"[٢].

أما البقاعي فقد أتى بكلام عام لم يكن كمثل ما ذكره ابن عاشور من شدة الارتباط بين هذه الآية وبين الآية التي ذكر فيها البشارة بالنبي ﷺ

يقول البقاعي:"لما كان التقدير إعلاماً بأنهم أظلم الناس لتعمدهم للكذب ، فمن أظلم منهم لتهتكهم في ذلك، عطف عليه قوله: ﴿ ڃ ڃ ﴾"[٣].

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور حسنة و شديدة الارتباط بما قبلها ، حيث ذكر مماثلة تدعوة عيسى عليه السلام لدعوة النبي محمد ﷺ ، ومماثلة جواب الذين دعاهم النبيّان الكريمان ثم انتقال الكلام إلى ما قابل به قوم النبي محمد ﷺ ، الذي قد بشر به عيسى عليه السلام.

---

(١) الصف:7.

(٢) "التحرير والتنوير" 187/28

(٣) "نظم الدرر" 28/2

سورة الجمعة

مناسبات الآيات في سورة الجمعة

٥٤. (1) قوله تعالى: (ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ)(١).

قال ابن عاشور:"بعد أن تبين أنه تعالى آتى فضله قوماً أميين أعقبه بأنه قد آتى فضله أهل الكتاب فلم ينتفع به هؤلاء الذين قد اقتنعوا من العلم بأن يحملوا التوراة دون فهم وهم يحسبون أن ادخار أسفار التوراة وانتقالها من بيت إلى بيت كافٍ في التبجح بها وتحقير من لم تكن التوراة بأيديهم، فالمراد اليهود الذين قاوموا دعوة محمد ﷺ وظاهروا المشركين.

وقد ضرب الله لهؤلاء مثلاً بحال حمار يحمل أسفاراً لا حظّ له منها إلا الحَمل دون علم ولا فهم.

ذلك أن علم اليهود بما في التوراة أدخلوا فيه ما صيره مخلوطَاً بأخطاء وضلالات ومتبعاً فيه هوى نفوسهم وما لا يعدو نفعهم الدنيوي ،ولم يتخلقوا بما تحتوي عليه من الهدى والدعاء إلى تزكية النفس ،وقد كتموا ما في كتبهم من العهد باتباع النبي الذي يأتي لتخليصهم من ربقة الضلال ،فهذا وجه ارتباط هذه الآية بالآيات التي قبلها"(٢).

بين ابن عاشور أن الله لما ذكر أنه آتى فضله للأميين بين أنه قد آتى قبل ذلك فضله لأهل الكتاب فلم ينتفعوا بما آتاهم الله ، ففيها تحذير للمؤمنين لئلا يسلكوا سبيل أهل الكتاب.

وقد أشار الرازي إلى هذه المناسبة، وذكر الشبهة التي تعلق بها اليهود حيث قال:" اعلم أنه تعالى لما أثبت التوحيد والنبوة، وبين في النبوة أنه عليه السلام بعث إلى الأميين واليهود لما أوردوا تلك الشبهة، وهي أنه عليه السلام بعث إلى العرب خاصة، ولم يبعث إليهم بمفهوم الآية أتبعه الله تعالى بضرب المثل للذين أعرضوا عن العمل بالتوراة، والإيمان بالنبي عليه السلام، والمقصود منه أنهم لما لم يعملوا بما في التوراة شبهوا بالحمار، لأنهم لو عملوا بمقتضاها لانتفعوا بها، ولم يوردوا تلك الشبهة، وذلك لأن فيها نعت الرسول عليه السلام، والبشارة بمقدمه، والدخول في دينه"(٣).

---

(١) الجمعة:5.

(٢) "التحرير والتنوير" 215/28

(٣) "مفاتيح الغيب" 5/30

أما البقاعي فقد ربط هذه الآية بما في سورة الممتحنة ثم الصف ثم أوائل هذه السورة وأشار إلى اليهود وحملهم الكتاب بغير عمل :"ولما أدب عباده المؤمنين في الممتحنة عما يؤذي رسول الله ﷺ وأتمه في الصف بما حذر من إزاغة القلوب لمن آذى نبيه موسى عليه الصلاة والسلام، وأعلم أنه سبحانه جمع الآداب كلها في هذا الكتاب ... ، دل على عقابه الأليم تتميماً للدلالة على باهر قدرته بتجهيل العالم بإزاغة قلبه وإذهاب لبه بيأسه من الآخرة لغضبه عليه تحذيراً من الوقوع بما يوجب الإضلال بعد العلم، فقال: ــ جواباً لمن كأنه قال: هذا فضله على الجاهل فكيف فعله بالعالم؟ فقال : تحذيراً من يزكي فلا يتزكى بأن يقول ما لا يعمل، ويحمل الكتاب فيحمله غير عالم به من أن يفعل به ما فعل باليهود من الذل في الدنيا والخزي والعذاب في الآخرة بإزاغة القلوب وإحاطة الذنوب فيكون أقبح مما قيل فيه... ــ ﴿ ژ ژ ڑ ﴾ "[1].

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد سبقه إلى ذكرها الرزاي والبقاعي، وزاد الرازي ذكر الشبهة التي تعلق بها اليهود.

---

(١) "نظم الدرر" 54/20

٥٥. (2) قوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ)[١].

قال ابن عاشور:"هذه الآيات هي المقصود من السورة وما قبلها مقدمات وتوطئات لها كما ذكرناه آنفاً.

وقد تقدم[٢]ما حكاه "الكشاف" من أن اليهود افتخروا على المسلمين بالسبت فشرع الله للمسلمين الجمعة[٣].

فهذا وجه اتصال هذه الآية بالآيات الأربع التي قبلها فكنَّ لهذه الآية تمهيداً وتوطئة "[٤].

بين ابن عاشور أن هذه الآيات هي المقصودة من السورة ، وأن الله لما ذكر اليهود الذين افتخروا على المسلمين بأن لهم يوم السبت ذكر الله يوم الجمعة الذي اختص الله به هذه الأمة.

أما الرازي فقد قال:" وجه التعلق بما قبلها هو أن الذين هادوا يفرون من الموت لمتاع الدنيا وطيباتها ، والذين آمنوا يبيعون ويشرون لمتاع الدنيا وطيباتها كذلك، فنبههم الله تعالى بقوله: ﴿ ڀ ڀ ڀ ڀ ﴾ أي إلى ما ينفعكم في الآخرة، وهو حضور الجمعة، لأن الدنيا ومتاعها فانية والآخرة وما فيها باقية، قال تعالى: (پ پ ڀ ڀ)[٥].

ووجه آخر في التعلق، قال بعضهم: قد أبطل الله قول اليهود في ثلاث، افتخروا بأنهم أولياء الله واحباؤه، فكذبهم بقوله: (ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ)[٦] وبأنهم أهل الكتاب، والعرب لا كتاب لهم، فشبههم بالحمار يحمل أسفاراً، وبالسبت وليس للمسلمين مثله فشرع الله تعالى لهم الجمعة"[٧].

ذكر الرازيُّ وجهين في مناسبة هذه الآيات لما قبلها، والوجه الثاني الذي ذكره قد وافقه فيه ابن عاشور ، وكلاهما نقله عن الزمخشري ، ولم يصرح الرازي بالذي نقل عنه هذا القول.

---

(١) الجمعة:9 -10.

(٢) "التحرير والتنوير" 215/28

(٣) الكشاف 533/4

(٤) "التحرير والتنوير" 219/28

(٥) الأعلى:17.

(٦) الجمعة:6.

(٧) "مفاتيح الغيب" 8/30

أما الوجه الأول الذي ذكره الرازي فقد ربطه بما سبق من ذكر فرار اليهود من الموت وحبهم للدنيا فنبههم الله إلى ما ينفعهم في الآخرة.

وهذان الوجهان متعلقان بما حصل من اليهود.

أما البقاعي فقد قال:" لم قبح سبحانه المخالفة بين القول والفعل وصور صاحبها بصورة الحمار على الهيئة السابقة، وحذر من ذلك بما هيأ به العاقل للإجابة إلى دوام الطاعة بعد أن بين أن جميع الكائنات مقرة بشمول ملكه بما لها من التسبيح بألسنة الأحوال، والقيام في مراداته بغاية الامتثال، فكان العاقل جديراً بالمبادرة إلى غاية التسبيح بلسان المقال، وختم بالتحذير من الإخبار يوم الجمع الأعظم بجميع الأعمال، قال : ــ على طريق الاستنتاج مما مضى من الترغيب والترهيب، نادباً لهم – ليكونوا أولياء الله – إلى التزكية المذكورة التي هي ثمرة الرسالة بما حاصله الإقبال بالكلية على الله ،والإعراض بالكلية عن الدنيا ليجمع المكلف بين التحلي بالمزايا والتخلي عن الدنايا، فخص من المزايا أعظم تسبيح يفعله العاقل في أيام الأسبوع وهو الإسراع بالاجتماع العظيم في يوم الجمعة الذي يناظر الاجتماع لإجابة المنادي في يوم الجمع الأكبر، ثم الإقبال الأعظم بفعل صلاة الجمعة التي هي سر اليوم الذي ضيعه اليهود واستبدلوا به ما كان سبب تعذيبهم بعذاب لم يعذب به أحد من العالمين كما جعل نتيجة السورة الماضية النداء بالإرشاد إلى الإيمان والجهاد الموجب للأمان ـــ : ﴿ ٱ ٻ ٻ ﴾ أي أقروا بألسنتهم بالإيمان وألهبهم بأداة البعد – المشيرة إلى احتياجهم إلى التزكية – إلى المبادرة إلى الإقبال على ما يتعقب ذلك من الأوامر ﴿ ٻ ٻ ﴾ أي من أي مناد كان من أهل النداء ﴿ پ ﴾ أي لأجل الحضور إليها وإليه عند قعود الإمام على المنبر للخطبة"(١).

وهذه المناسبة التي ذكرها البقاعي فيها إشارة إلى اليهود حين أضلهم الله عن يوم الجمعة ، وفيها ربط لهذه الآية بالآية السابقة لها التي ذكر فيها الموت الذي يعقبه الجمع الأكبر ، وفي هذه الآية ذكر ليوم يحصل فيه اجتماع عظيم وهو يوم الجمعة .

وهذه المناسبة التي ذكرها البقاعي شديدة الارتباط بالآية السابقة لها ، وكذلك فعل الرازي في المناسبة الأولى التي ذكرها.

وقول ابن عاشور قد نقله عن الزمخشري وقد سبقه الرازي في ذلك.

---

(١) "نظم الدرر" 62/20

سورة المنافقون

مناسبات الآيات في سورة المنافقون

٥٦. (1) قوله تعالى: (ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ)[١]

قال ابن عاشور:"استئناف بياني لأن تكذيب الله تعالى إياهم في قولهم للنبي ﷺ (ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ)[٢] يثير في أنفس السامعين سؤالاً عن أيْمانهم لدى النبي ﷺ بأنهم مؤمنون به ، وأنهم لا يضمرون بغضه فأخبر الله عنهم بأنهم اتخذوا أيمانهم تقية يتقون بها وقد وصفهم الله بالحلف بالأيمان الكاذبة في آيات كثيرة من القرآن"[٣].

بين ابن عاشور أن الله لما ذكر أقوال المنافقين أعقب ذلك بما ثار في نفوس السامعين عن أيمان المنافقين عند النبي > فأخبر الله أن هذه الأيمان مجرد تقية يتقون بها خلافاً لما يبطنون وهذه مناسبة شديد الاتصال بما قبلها

وقد ذكر هذا المعنى البقاعي أيضاً حيث جعل هذه الآية تعليلاً للآية السابقة التي فيها شهادتهم بصدق الرسول ﷺ ـــ ومعلوم أن ذلك كذب منهم ـــ .

قال البقاعي :"ولما كان المعنى أنهم لم يعتقدوا ما شهدوا به، وكان كأنه قيل: فما الحامل لهم على هذا الكلام المؤكد ، والكذب في غاية القباحة لا سيما عند العرب، علله بقوله مسمياً شهادتهم إيماناً ،لأن الشهادة تجري مجرى القسم في إرادة التوكيد، ولذلك يتلقى بما يتلقى به القسم: ﴿ ﮉ ﴾ أي أخذو بجهدهم ﴿ ﮊ ﴾ أي كلها من شهادتهم هذه المجتهد في توكيدها وكل يمين سواها ﴿ ﮋ ﴾ أي وقاية تقيهم المكاره الدنيوية"[٤].

وأما أبو حيان فجعل هذه الأيمان من موجبات كفرهم.

قال أبو حيان :"ولما ذكر أنهم كاذبون، أتبعهم بموجب كفرهم، وهو اتخاذ أيمانهم جنة

---

(١) المنافقون:2.

(٢) المنافقون:1.

(٣) "التحرير والتنوير" 236/28

(٤) "نظم الدرر" 77/20

يستترون بها، ويذبون بها عن أنفسهم وأموالهم"[١].

فاتخاذهم أيمانهم جنة هو سبب كفرهم.

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد سبقه إلى ذكرها البقاعي.

٥٧. (2) قوله تعالى: ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ﴾[١].

---

(١) "البحر المحيط" 8/267

قال ابن عاشور:" هذا أيضاً من مقالاتهم في مجامعهم وجماعتهم يقولونها لإخوانهم الذين كانوا ينفقون على فقراء المسلمين تظاهراً بالإسلام كأنهم يقول بعضهم لبعض تظاهَرْ الإسلام بغير الإنفاق مثل قولهم لمن يقول لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله، ولذلك عقبت بها.

وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن قائل هذه المقالة عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول (٢) كما تقدم في طالعة تفسير هذه السورة (٣) ، فإسناد هذا القول إلى ضمير المنافقين لأنهم تقبلوه منه إذ هو رأس المنافقين أو فشا هذا القول بين المنافقين فأخذوا يبثونه في المسلمين.

وموقع الجملة الاستئناف الابتدائي المعرب عن مكرهم وسوء طواياهم انتقالاً من وصف إعراضهم عند التقرب من الرسول ﷺ إلى وصف لون آخر من كفرهم وهو الكيد للدِّين في صورة النصيحة"(٤).

بين ابن عاشور أن هذا انتقال من وصف للمنافقين إلى وصف آخر والجامع بين الوصفين الكيد للدين في صورة النصيحة.

أما البقاعي فقد ذكر أن هذه الآية جاءت بياناً للأمر الذي فسقوا به فقد ربطها بآخر الآية السابقة حيث قال:" ولما كان التقدير لتعليل المبالغة في الإخبار بعدم الغفران لهم لأن فسقهم قد استحكم فصار وصفاً لهم ثابتاً، عبر عن ذلك بقوله: (ﮃ ﮄ ﮅ) أي الذي له صفات الكمال (ﮆ ﮇ ﮈ) أي الناس الذي لهم قوة في أنفسهم على ما يريدونه (ﮉ ﮊ ﮋ)(٥) لأنهم لا عذر لهم في الإصرار على الفسق وهو المروق من حصن الإسلام بخرقه وهتكه مرة بعد مرة والتمرن عليه حتى استحكم فهم راسخون في النفاق والخروج عن مظنة الإصلاح.

---

(١) المنافقون:7.

(٢) قال النووي : "كان عبد الله بن أُبىّ رأس المنافقين، ونزل فى ذمة آيات كثيرة مشهورة، وتوفى فى زمن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصلى عليه وكفنه فى قميصه قبل النهى عن الصلاة على المنافقين، وإنما صلى عليه لكرامة ابنه وإحسانًا وكرمًا وحلمًا"

(انظر :"تهذيب الأسماء واللغات" للنووي 260/1)

(٣) "التحرير والتنوير" 232/28

(٤) "التحرير والتنوير" 246/28

(٥) المنافقون:6.

لما كان هذا داعياً إلى السؤال عن الأمر الذي فسقوا به، قال مبيناً له: ﴿ ﭼ ﴾ أي خاصة بواطنهم ﴿ ﭼ ﭽ ﴾ أي أوجدوا هذا القول ولا يزالون يجددونه"[1].

وهذا الذي سبَّبَ فسقهم هو من جملة أفعال المنافقين المذكورة في أول هذه السورة .

وهذه المناسبة قريبة من المناسبة التي ذكرها ابن عاشور ، فابن عاشور نظر إلى الأوصاف والبقاعي نظر إلى الأمر الذي فسقوا به وهو من جملة أوصافهم.

---

(١) "نظم الدرر" 86/20

٥٨. (3) قوله تعالى: (ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ)[١].

قال ابن عاشور:"انتقال من كشف أحوال المنافقين المسوق للحذر منهم والتحذير من صفاهم إلى الإِقبال على خطاب المؤمنين بنهيهم عما شأنُه أن يشغل عن التذكر لما أمر الله ونهى، ثم الأمر بالإِنفاق في سبل الخير في سبيل الله ومصالح المسلمين وجماعتهم وإسعاف آحادهم، لئلا يستهويهم قول المنافقين: (ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ)[٢] والمبادرة إلى ذلك قبل إتيان الموت الذي لا يُدْرى وقت حلوله حين تمنى أن يكون قد تأخر أجله ليزيد من العمل الصالح فلا ينفعه التمني وهو تمهيد لقوله بعده ﴿ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﴾.

فالمناسبة لهذا الانتقال هو حكاية مقال المنافقين ولذلك قدم ذكر الأموال على ذكر الأولاد لأنها أهم بحسب السياق"[٣].

بين ابن عاشور أن هذه الآية جاءت انتقالاً من بيان أحوال المنافقين وما حصل منهم ليحذر المؤمنين من أفعالهم ثم الأمر بالإنفاق في سبيل الله والإعراض عن قول المنافقين: (ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ) ، ولذلك قدم ذكر الأموال.

وقد أشار إلى هذه المناسبة البقاعيُّ وأتى برابط بديع حيث ربطها بسور الصف وسورة الجمعة وأوائل هذه السورة قال البقاعي:" لما كان هذا الذي حكاه سبحانه وتعالى عن المنافقين بحيث يعجب غاية العجب من تصور قائله له فضلاً عن أن يتفوه به فكيف بأن يعتقده، نبه على أن العلة الموجبة له طمس البصيرة، وأن العلة في طمس البصيرة الإقبال بجميع القلب على الدنيا رجوعاً على إيضاح ما تقدم في نتيجة الجمعة من الإذن في طلب الرزق والتحذير من مثل فعل حاطب ﷺ وفعل من انصرف عن خطبة لتلك العير، وكان هذا التنبيه على وجه حاسم لمادة شرهم في كلامهم فإن كلمة الشح كما قيل مطاعة، ولو بأن تؤثر أثراً ما ولو بأن تقتر نوع تقتير في وقت ما، فقال ـــ منادياً لمن يحتاج إلى ذلك ـــ : ﴿ ﮗ ﮘ ﴾ أي أخبروا بما يقتضي أن بواطنهم مذعنة كظواهرهم ﴿ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﴾"...

---

(١) المنافقون:9-10.

(٢) المنافقون:7.

(٣) "التحرير والتنوير" 250/28

إلى أن قال:" ولما حذر من الإقبال على الدنيا، رغب في بذلها مخالفة للمنافقين فقال: ﴿ ﮯ ﴾ أي ما أمرتم به من واجب أو مندوب، وزاد في الترغيب بالرضى منهم باليسير مما هو كله له بقوله: ﴿ ﮰ ﮱ ﯓ ﴾."[1].

فقول البقاعي :" لما حذر من الإقبال على الدنيا رغب في بذلها" قريب من قول ابن عاشور :"انتقال ... إلى الإقبال على خطاب المؤمنين بنهيهم عما ... يشغل عن التذكر ثم الأمر بالإنفاق".

---

(١) "نظم الدرر" 91/20

سورة التغابن

مناسبات الآيات في سورة التغابن

٥٩. (1) قوله تعالى: **(ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ)**[١].

قال ابن عاشور:" استئناف بياني نَاشيء عن قوله: **(ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ)**[٢] يبيِّن أن انقسامهم إلى قسمي الكافرين والمؤمنين نشأ عن حياد فريق من الناس عن الحق الذي أقيم عليه خلق السماوات والأرض، لأن الحق أن يؤمن الناس بوجود خالقهم، وبأنه واحد وأن يفردوه بالعبادة فذلك الذي أراده الله من خلقهم"[٣].

بين ابن عاشور أن الله لما ذكر انقسام الناس إلى مؤمنين وكفار وأن انقسامهم كان بحسب اتباعهم للحق أو حيادهم عنه أتبع ذلك بذكر الحق الذي أقيم عليه خلق السماوات والأرض.

فابن عاشور نظر إلى كلمة الحق في هذه الآية .

وأما البقاعي فقد قال:" لما ذكر المظروف ذكر ظرفه دالاً على تمام إحاطته بالبواطن والظواهر بأنه يخلق الشيء العظيم جداً فيأتي على وفق الإرادة ثم لا يحتاج إلى أن يزاد فيه ولا أن ينقص منه ، فقال: ﴿ ﭼ ﭽ ﴾ التي هي السقف لبيت عبيد الملك على كبرها وعلوها كما ترون ﴿ ﭾ ﴾ التي هي قرار بيتهم ومهاده على سعتها وما فيها من المرافق والمعاون ﴿ ﭿ ﴾"[٤] ، والمظروف هو الإنسان والظرف هي السموات .

ويمكن أن يقال في توضيح مناسبة هذه الآية : أنه لما كان من مقاصد هذه السورة إثبات البعث والرد على ذكر الله دلائل ذلك بخلق الإنسان أول مرة ثم أتبعه بذكر خلق السموات والأرض فالذي خلق الخلق أول مر السموات والأرض قادر على إعادته ، وهذه الطريقة كثيرة في القرآن.

---

(١) التغابن:3.

(٢) التغابن:2.

(٣) "التحرير والتنوير" 264/28

(٤) "نظم الدرر" 106/20

٦٠. (2) قوله تعالى: (ٹ ٹ ڈ ڈ ڎ ڎ ڌ ڌ ڍ ڍ ڇ ڇ ڄ ڄ ڃ ڃ ڦ ڦ)[١] .

قال ابن عاشور: "استئناف انتقل إليه بعد أن تُوُعِّد المشركون بما يحصل لهم من التغابن يوم يجمع الله الناس يوم الحساب ، ويشبه أن يكون استئنافاً بيانياً لأن تهديد المشركين بيوم الحساب يثير في نفوس المؤمنين التساؤل عن الانتصاف من المشركين في الدنيا على ما يلقاه المسلمون من إضرارهم بمكة فإنهم لم يكفوا عن أذى المسلمين وإصابتهم في أبدانهم وأموالهم والفتنة بينهم وبين أزواجهم وأبنائهم،فالمراد المصائب التي أصابت المسلمين من معاملة المشركين فأنبأهم الله بما يسليهم عن ذلك بأن الله عالم بما ينالهم "[٢].

بين ابن عاشور أن توعد الله المشركين بالعذاب يوم القيامة يثير في أنفس المؤمنين ما حصل من إيذاء المشركين لهم فبين الله أن ذلك جار بإذنه تعالى، وأنه عالم بذلك وسيجزي المشركين بما عملوا وسيجزي المسلمين على ما حصل لهم ،وهذه مناسبة حسنة.

أما البقاعي فقد ربط هذه الآية بما قبلها مما ورد في سورة المنافقين من نهيهم عن الإنفاق على من عند رسول الله ،ولكنه لم يذكر مناسبة هذه الآية لما قبلها مباشرة أي مناسبتها لماذكر الله في هذه السورة من خلق الإنسان والسموات والأرض وإثبات البعث والرد على المشركين وبيان جزائهم، يقول البقاعي: " لم...كان قول المنافقين المتقدم في الإنفاق والإخراج من المصائب، وكانت المصائب تطيب إذا كانت من الحبيب، قال : ـــ جواباً لمن يتوهم عدم القدرة متمماً ما مضى من خلال الأعمال بالإيمان بالقدر خيره وشره، مرغباً في التسليم مرهباً من الجزع ... ـــ﴿ ٹ ٹ ﴾ أي أحداً يمكن المصائب أن تتوجه إليه، وذكر الفعل إشارة إلى القوة، وأغرق في النفي بقوله: ﴿ ڈ ڈ ﴾ أيّ مصيبة كانت دينية أو دنيوية من كفر أو غيره ﴿ ڎ ڎ ڌ ﴾ أي بتقدير الملك الأعظم وتمكينه"[٣].

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم أجد من أشار إليها غيره ،وهي متعلقة بما ذكره الله في هذه السورة من ذكر يوم التغابن وما فيه من تهديد للمشركين ، خلافاً لما ذكره البقاعي.

---

(١) التغابن:11.

(٢) "التحرير والتنوير" 278/28

(٣) "نظم الدرر" 123/20

٦١. (3) قوله تعالى: (ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ)(١)

قال ابن عاشور:"إقبال على خطاب المؤمنين بما يفيدهم كمالاً ويجنبهم ما يفتنهم..."

ثم قال: "والمناسبة بينها وبين الآية التي قبلها أن(٢) كلتيهما تسلية على ما أصاب المؤمنين من غَمّ من معاملة أعدائهم إياهم ومن انحراف بعض أزواجهم وأولادهم عليهم"(٣).

بين ابن عاشور أن هذه الآية جاءت مكملة للآية التي قبلها، فكلتاهما تسلية للمؤمنين وتثبيتٌ لنفوسهم فهذه الآية مؤكدة لما قبلها ، وقد قال ابن عاشور في الآية السابقة عند قوله تعالى: (ڌ ڎ ڎ ڈ)(٤):" وجيء في ذلك بصيغة أمر المؤمنين بالتوكل على الله دون غيره ربطاً على قلوبهم وتثبيتاً لنفوسهم كيلا يأسفوا من إعراض المشركين وما يصيبهم منهم وأن ذلك لن يضرهم.

فإن المؤمنين لا يعتزُّون بهم ولا يتقوون بأمثالهم، لأن الله أمرهم أن لا يتوكلوا إلا عليه، وفيه إيذان بأنهم يخالفون أمر الله وذلك يغيظ الكافرين"(٥).

و قال البقاعي: "لما كانت أوامر الدين تارة تكون باعتبار الأمر الديني من سائر الطاعات المحضة، وتارة باعتبار الأمر التكويني وهو ما كان بواسطة مال أو أهل أو ولد، أتم سبحانه القسم الأول في الآيتين الماضيتين، شرع في الأمر الثاني لأنه قد ينشأ عنه فتنة في الدين وقد ينشأ عنه فتنة في الدنيا، ولما كانت الفتنة بالإقبال عليه والإعراض عنه أعظم الفتن، لأنها تفرق بين المرء وزوجه وبين المرء وابنه وتذهل الخليل عن خليله كما شوهد ذلك في بدء الإسلام، وكان أعظم ذلك في الردة، وكان قد تقدم النهي عن إلهاء الأموال والأولاد، وكان النهي عن ذلك في الأولاد نهياً عنه في الأزواج بطريق الأولى، فلذلك اقتصر عليهم دون الأزواج، وكان المأمور بالتوكل ربما رأى أن تسليم قياده لكل أحد لا يقدح في التوكل، أشار إلى أن بناء هذه الدار

---

(١) التغابن:14.

(٢) في المطبوع : (لأن كلتيهما) .

(٣) "التحرير والتنوير" 283/28

(٤) التغابن:13.

(٥) "التحرير والتنوير" 282/28

على الأسباب مانع من ذلك فأمر بنحو ((**اعقلها وتوكل**))[١] ، و ((**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**)) الحديث[٢]، فقال جواباً عن ذلك لمن يحتاج إلى السؤال عن مثله مبيناً للأوامر بالاعتبار للامتحان التكويني وإن كان أولى الناس ببذل الجهد في تأديبه وتقويمه وتهذيبه أقرب الأقارب وألصق الناس بالإنسان وهو كالعلة لآخر (المنافقون): ﴿ ﮉ ﮊ ﮋ ﴾ ولما كان الأزواج أقرب عداوة من الأولاد قدمهن، فقال مؤكداً لمن يستبعد ذلك: ﴿ ﮌ ﮍ ﮎ ﴾ وإن أظهرن غاية المودة ﴿ ﮏ ﴾ وإن أظهروا أيضاً غاية الشفقة والحنان ﴿ ﮐ ﮑ ﴾"[٣].

وأما البقاعي فقد أبدع في ذكر مناسبة هذه الآية لما قبلها ،وأرى أن قوله أفضل مما ذكره ابن عاشور ، حيث قسم الأوامر الدينية إلى طاعات محضة وإلى أوامر ترجع إلى الأمر التكويني،والأولى مضى ذكرها في الآيتين السابقتين لهذه الآية ، والنهي عن إلهاء الأموال والأولاد مضى ذكره في سورة المنافقون ، وفي هذه الآية نهي عن أمر قد ينشأ عنه فتنة في الدين.

وأما المناسبة التي ذكرها ابن عاشور فليس فيها شيء جديد ، وإنما هي توكيد وتكميل للآية السابقة.

---

(١) أخرجه الترمذي في " سننه " رقم (2517) 285/4 في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال الترمذي : "هذا حديث غريب من حديث أنس لا نعرفه إلا من هذا الوجه" ونقل الترمذي عن يحيى القطان أنه قال :" هذا عندي حديث منكر" ، وحسنه الألباني في "صحيح الجامع"رقم (1067) 242/1 و في "تخريج أحاديث مشكلة الفقر"رقم (22) ص23 .

وله شاهد من حديث عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه ، أخرجه ابن حبان في "صحيحه" كما في "الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان " لابن بلبان رقم (731) 510/2 ، قال المناوي في "فيض القدير" 8/2 عن الزركشي أنه قال : "إسناده صحيح" ،وحسنه شعيب الأرناؤوط في تعليقه على "الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان".

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" رقم (2664) 1629/4 كتاب القدر / باب في الأمر بالقوة وترك العجز ، والاستعانة بالله ، وتفويض المقادير لله ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) "نظم الدرر" 128/20

سورة الطلاق

مناسبات الآيات في سورة الطلاق

٦٢. (1) قوله تعالى: (ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﯗ ﯘ ﯙ
ﯚ)[١] .

قال ابن عاشور:"ولما كان من دواعي الفراق والخلاف بين الزوجين ما هو من التقتير في الإِنفاق لضيق ذات اليد فكان الإحجام عن المراجعة عارضاً كثيراً للناس بعد التطليق، أُتبع الوعد بجعل المخرَج للمتقين بالوعد بمخرج خاص وهو مخرج التوسعة في الرزق"[٢].

بين ابن عاشور أن هذه الآية جاءت تابعة للآية السابقة وهي من باب ذكر الخاص بعد العام فالتوسعة في الرزق يدخل في عموم المخرج.

وهذا رابط قوي بين الآيتين ، و لم أجد من أشار إلى المناسبة بين هاتين الآيتين غير ما ذكره ابن عاشور.

---

(١) الطلاق:3.

(٢) "التحرير والتنوير" 312/28

٦٣. (2) قوله تعالى: (ک گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ)[١].

قال ابن عاشور: "لمَّ شُرعت للمسلمين أحكام كثيرة من الطلاق ولَواحِقِه، وكانت كلها تكاليف قد تحجُم بعضُ الأنفس عن إيفاء حق الامتثال لها تكاسلاً أو تقصيراً رغّب في الامتثال لها بقوله: (ڳ گ گ گ گ ں ں ڻ)[٢] و قوله: (ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى)[٣]، وقوله: (ئى ئد ی ی ی ي ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى)[٤]، وقوله: (ڑ ک ک ک ک گ)[٥]، وحذر الله الناس في خلال ذلك من مخالفتها بقوله: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ)[٦]، وقوله: (ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ)[٧]، أعقبها بتحذير عظيم من الوقوع في مخالفة أحكام الله ورسله لقلة العناية بمراقبتهم، لأن الصغير يُثير الجليل، فذكَّر المسلمين ــ وليسوا ممن يعتوا على أمر ربهم ــ بما حلّ بأقوام من عقاب عظيم على قلة اكتراثهم بأمر الله ورسله لئلا يسلكوا سبيل التهاون بإقامة الشريعة، فيلقي بهم ذلك في مَهواة الضلال"[٨].

بين ابن عاشور أن الله لما ذكر أحكام الطلاق ورغب في امتثال أمره فيها وحذر من مخالفتها أتبع هذه التحذير بذكر ما حصل للأمم السابقة من عذاب لما تركوا أمره وارتكبوا نهيه ، لئلا يصيب من خالف أمر الله مثل ما أصاب تلك الأمم.

قال البقاعي:"لما كان الأمر قد بلغ النهاية في الأحكام والمواعظ والترغيب لمن أطاع، فلم يبق إلا التهديد لمن عصى بما شوهد من المثلات وبالغ العقوبات، فإن من الناس البليد الذي لا يتعظ

---

(١) الطلاق:8-9.

(٢) الطلاق:2.

(٣) الطلاق:4.

(٤) الطلاق:5.

(٥) الطلاق:7.

(٦) الطلاق:1.

(٧) الطلاق:2.

(٨) "التحرير والتنوير" 333/28

بما يرى، وكان التقدير: فكأي من ناس كانوا في غاية الضيق فأطاعوا أوامرنا فجعلناهم في غاية السعة بل جعلناهم ملوكاً، عطف عليه تزهيداً في الرفاهية بأنها تطغى في الأغلب، وتهديداً لأهل المعاصي قوله مفيداً لكثرة القرى الخارجة عن الحد: ﴿ ﮕ ﮖ ﮗ ﴾ "(١).

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد أشار إليها البقاعي قبله ، فكل منهما ذكر أن الله لما بين أحكام الطلاق أتبع ذلك بتهديد من ترك أوامر الله لئلا يصيبهم ما أصاب من قبلهم.

---

(١) "نظم الدرر" 164/20

سورة التحريم

مناسبات الآيات في سورة التحريم

٦٤. (1) قوله تعالى: (ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ)(١).

قال ابن عاشور:"كانت موعظة نساء النبي ﷺ مناسبة لتنبيه المؤمنين لعدم الغفلة عن موعظة أنفسهم وموعظة أهليهم، وأن لا يصدّهم استبقاء الودّ بينهم عن إسداء النصح لهم وإن كان في ذلك بعض الأذى"(٢).

بين ابن عاشور أن هذه موعظة للمؤمنين جاءت لمناسبة موعظة الله لنساء النبي > ، فهي موعظة عامة بعد موعظة خاصة.

وقد أشار إلى هذه المناسبة أبو حيان حيث قال:"لما وعظ أزواج الرسول ﷺ موعظة خاصة، أتبع ذلك بموعظة عامة للمؤمنين وأهليهم"(٣).

أما البقاعي فقد قال:"لما أبلغ سبحانه في عتاب أزواج النبي ﷺ ... أثمر ذلك أمر الأمة بالتأسي به في هذه الأخلاق الكاملة والتأسي بأوليائهن في ذلك ليعرفن حق الله وحق الأزواج فيحصل بذلك صلاح ذات البين المثمرات للخير كله فقال تعالى متبعاً لهذه الموعظة الخاصة بموعظة عامة دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للأقرب فالأقرب﴿ ۋ ۅ ۅ ﴾"(٤).

فالمناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد أشار إليها قبله أبو حيان والبقاعي.

٦٥. (2) قوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ

---

(١) التحريم:6.

(٢) "التحرير والتنوير" 365/28

(٣) "البحر المحيط" 287/8

(٤) "نظم الدرر" 196/20

ﮉ ﮊ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ)[١].

قال ابن عاشور: "أُمر المؤمنون بالتوبة من الذنوب إذا تلبسوا بها لأن ذلك من إصلاح أنفسهم بعد أن أمروا بأن يجنِّبوا أنفسهم وأهليهم ما يَزِجّ بهم في عذاب النار، لأن اتقاء النار يتحقق باجتناب ما يرمي بهم فيها، وقد يذهلون عما فرط من سيئاتهم فهُدُوا إلى سبيل التوبة التي يمحون بها ما فرط من سيئاتهم.

وهذا ناظر إلى ما ذكر من موعظة امرأتي النبي ﷺ بقوله: (ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ)[٢] "[٣].

بين ابن عاشور أن الله لما أمر المؤمنين بأن يقوا أنفسهم وأهليهم النار نبههم إلى ما قد يذهلون عنه من السيئات فأمرهم بالتوبة النصوح.

وذكر أيضاً أن الله لما أمر نساء النبي > بالتوبة أتبعه بأمر المؤمنين عموماً ، وهذه مناسبة واضحة وشديد الارتباط بالآية التي فيها الأمر بالوقاية من النار وبما في هذه السورة من موعظة لزوجتي النبي ﷺ.

وقد ذكر قبل ذلك أن الآية السابقة لهذه الآية هي استطراد بين ما قبلها وما بعدها[٤].

وأما البقاعي فقد ذكر مناسبة أخرى حيث قال:" لما أفهم الأمر بالوقاية والمدح للملائكة أن المأمورين بالوقاية مقصرون قال : ـــ مرشداً إلى داوء التقصير ـــ ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﴾ ناداهم بما هو أليق بهم من أداة البعد ﴿ ﭔ ﴾ أي ارجعوا رجوعاً تاماً ﴿ ﭕ ﭖ ﴾ أي الملك الذي لا كفوء له"[٥].

فهي المناسبة مرتبطة بالآية التي فيها الأمر بالوقاية من النار ، وبما في هذه السورة من ثناء على الملائكة.

وأما الرازي فقد ربط هذه الآية بما قبلها مباشرة وهي قوله تعالى: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ

(١) التحريم:8.

(٢) التحريم:4.

(٣) "التحرير والتنوير" 28 /367

(٤) "التحرير والتنوير" 367/28

(٥) "نظم الدرر" 200/20

ئې)[١] ﴾حيث قال: "كيف تعلق ﴿ ﭑ ﭒ ﴾ بما سبق وهو قوله: ﴿ ئۆ ئۈ ئۈ ﴾.

فنقول: نبههم تعالى على دفع العذاب في ذلك اليوم بالتوبة في هذا اليوم، إذ في ذلك اليوم لا تفيد.

وفيه لطيفة: وهي أن التنبيه على الدفع بعد الترهيب فيما مضى يفيد الترغيب بذكر أحوالهم والإنعام في حقهم وإكرامهم"[٢].

ولم يذكر ابن عاشور ولا البقاعي مناسبة هذه الآية للآية التي قبلها مباشرة كما فعل ذلك الرازي .

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم أجد من أشار إليها غيره.

---

(١) التحريم:7.

(٢) "مفاتيح الغيب" 48/30

٦٦. (3) قوله تعالى: (ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ
ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ)[١].

قال ابن عاشور:"مناسبة ضرب المثل بامرأة نوح وامرأة لوط دون غيرهما من قرابة الأنبياء نحو أبي إبراهيم وابن نوح عليهما السلام أن ذكر هاتين المرأتين لم يتقدم وقد تقدم ذكر أبي إبراهيم وابن نوح لتكون في ذكرهما فائدة مستجدة، وليكون في ذكرهما عقب ما سبق من تمالُؤِ أُمي المؤمنين على زوجهما ﷺ تعريض لطيف بالتحذير من خاطر الاعتزاز بغناء الصلة الشريفة عنهما في الوفاء بحق ما يجب من الإِخلاص للنبيء ﷺ ليكون الشَّبه في التمثيل أقوى.

فعن مقاتل[٢]: (يقول الله سبحانه لعائشة وحفصة: لا تكونا بمنزلة امرأة نوح وامرأة لوط في المعصية وكونا بمنزلة امرأة فرعون ومريم).

ووضحه في الكشاف بأنه من قبيل التعريض[٣] ومنعه الفخر[٤].

وقال ابن عطية: "قال بعض الناس في المثلين عبرة لزوجات النبي ﷺ حين تقدم عتابهن ، وفي هذا بُعد لأن النص أنه للكفار يبعد هذا"[٥] اهـ"[٦].

بين ابن عاشور أن مناسبة ضرب المثل بامرأتي نوح ولوط دون غيرهما أنهما لم يذكرا قبل ذلك

---

(١) التحريم:10.

(٢) ابن سليمان بن بشير الأزدي ولاءً البلخي ، أبو الحسن ، كبير المفسرين ، قال ابن المبارك : ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، قال الذهبي :أجمعوا على تركه ، من كتبه :"التفسير الكبير" ،"الرد على القدرية"،"القراءات"،"متشابه القرآن" ،"الناسخ والمنسوخ" ،"نوادر التفسير" ،"الوجوه والنظائر" ، توفي سنة خمسين ومائة.

قال ابن حجر في "تقريب التهذيب" :"كذبوه وهجروه ورمي بالتجسيم"

(انظر:"سير أعلام النبلاء" 201/7 ، "تهذيب التهذيب" لابن حجر 209/10،"تقريب التهذيب" لابن حجر رقم(6868) ص476، "الأعلام" للزركلي 281/7)

(٣) الكشاف 575/4

(٤) لم أجد الموضع الذي منع فيه الفخر الرازي من أن يكون هذا من قبيل التعريض بل صرح بأنه تعريض كما سيأتي.

(٥) "المحرر الوجيز" لابن عطية 335/6

(٦) "التحرير والتنوير" 347/28

في القرآن، ولما في هذه الآية من تعريض لطيف لأمي المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما. بأن يخلصا للنبي > ولا يكونا كامرأتي نوح ولوط.

وهذه مناسبة حسنة جداً.

وقد أشار الرازي إلى هذه المناسبة بقوله:" وفي ضمن هذين التمثيلين تعريض بأمي المؤمنين، وهما حفصة وعائشة لما فرط منهما وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده لما في التمثيل من ذكر الكفر"(١).

أما استبعاد ابن عطية أن يكون هذا النص فيه عبرة لزوجتي النبي > وفيه تعريض لهن بأن هذا النص للكفار ، فالجواب عن ذلك : أنه وإن كان للكفار ففيه عبرة ، وأمثال هذا في القرآن كثير، فقد يضرب الله أمثالاً للكفار فيها تعليم وحث للمؤمنين بألا يقعوا في بعض أفعالهم.

أما البقاعي فقد عمم المقصود من ضرب هذا المثال ، ولم يقصره على التعريض بأمي المؤمنين وربطه بمقاصد السورة كاملة حيث قال:" لما كان أمر الاستئصال في الإنجاء والإهلاك أشبه شيء بحال أهل الآخرة في الدينونة بالعدل والفضل، وكان المفتتح به السورة عتاب النساء، ثم أتبع بالأمر بالتأديب لجميع الأمة إلى أن ختم بهلاك المخالف في الدارين، وكان للكفار قرابات بالمسلمين وكانوا يظنون أنها ربما تنفعهم، وللمسلمين قرابات بالكفار وكانوا ربما توهموا أنها تضرهم، قال مجيباً لما يتخيل من ذلك تأديباً لمن ينكر عليه ﷺ من النساء وغيرهن: ﴿ ﮎ ﮏ ﴾ أي الملك الذي أحاط بكل شيء قدرة وعلماً ﴿ ﮐ ﴾ يعلم به من فيه قابلية العلم ويتعظ به من له أهلية الاتعاظ ﴿ ﮑ ﮒ ﴾"(٢).

فالمناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد سبقه إلى ذكرها الرازي ، ولم يأت ابن عاشور بجديد.

٦٧. (4) قوله تعالى: (ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ

---

(١) "مفاتيح الغيب" 49/30

(٢) "نظم الدرر" 207/20

ﯯ ﯰ)[1] .

قال ابن عاشور:"لما ضرب المثل للذين كفروا أعقب بضرب مثل للذين آمنوا لتحصل المقابلة فيتضح مقصود المثَلَين معاً، وجريا على عادة القرآن في إتباع الترهيب بالترغيب"[2].

وقال البقاعي :" لما أتم مثل النذارة بأن طاعة المطيع لا تنفع العاصي وإن كان أقرب الناس إلى المطيع إلا إن كان له أساس يصح البناء عليه، ويجوز الاعتداد به والنظر إليه، أتبعه مثل البشارة بأن عصيان العاصي لا يضر المطيع فقال: ﴿ ﮪ ﮫ ﴾ أي الملك الأعلى الذي له صفات الكمال ﴿ ﮬ ﮭ ﮮ ﴾"[3].

بين ابن عاشور أن هذه الآية جاءت على عادة القرآن في إتباع الترهيب بالترغيب ، وكثيراً ما يشير ابن عاشور إلى هذه المناسبة ، وقد سبقه إلى ذكر هذه المناسبة البقاعيُّ.

---

(١) التحريم:11.

(٢) "التحرير والتنوير" 376/28

(٣) "نظم الدرر" 210/20

سورة الملك

مناسبات الآيات في سورة الملك

٦٨. (1) قوله تعالى: (ى ي يج يح يخ يم ئى ئي بج بح)[١].

قال ابن عاشور:" اعتراض يفيد استئنافاً بيانياً جاء على سنن أساليب القرآن من تعقيب الرهبة بالرغبة، فلما ذكر ما أعد للكافرين المعرضين عن خشية الله أعقبه بما أعد للذين يخشون ربهم بالغيب من المغفرة والثواب للعلم بأنهم يترقبون ما يميزهم عن أحوال المشركين"[٢].

بين ابن عاشور أن هذه الآية جاءت تعقيباً للترهيب بالترغيب ، وهذا أسلوب من أساليب القرآن وعادة من عاداته.

وقد أشار الرازي والبقاعي إلى ما ذكره ابن عاشور.

يقول الرازي:" اعلم أنه تعالى لما ذكر وعيد الكفار أتبعه بوعد المؤمنين"[٣].

ويقول البقاعي:" لما ذكر سبحانه أهل المعاملة بصفة العزة لما حصل لهم من العزة، أتبعهم أضدادهم المطوعين أنفسهم لإشارة العقل المتأهلين لنعت المعرفة، فقال مؤكداً لما للأضداد من التكذيب:﴿ ى ي ي ﴾ أي يخافون خوفاً أرق قلوبهم وأرق غيرهم بحيث كانوا كالحب على المقلى لا يقر لهم قرار من توقعهم العقوبة"[٤].

والكفار هم الذين عناهم البقاعي بقوله:"أهل المعاملة بالعزة" ، وهذا وصف دقيق لهم زاده البقاعي على ما ذكره ابن عاشور والرازي.

---

(١) المُلك:12.

(٢) "التحرير والتنوير" 29/29

(٣) "مفاتيح الغيب" 66/30

(٤) "نظم الدرر" 240/20

٦٩. (2)قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ)[١].

قال ابن عاشور:"عطف على الجملة السابقة [٢] ، عطف غرض على غرض، وهو انتقال إلى غرض آخر لِمناسبة حكاية أقوالهم في الآخرة بذكر أقوالهم في الدنيا ، وهي الأقوال التي كانت تصدر منهم بالنيل من رسول الله ﷺ ، فكان الله يطلعه على أقوالهم فيخبرهم النبي ﷺ بأنكم قلتم :كذا وكذا، فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم كيلا يسمعه رب محمد فأنزل الله ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﴾ كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه[٣] "[٤].

بين ابن عاشور أن هذه الآية جاءت معطوفة على الآية السابقة التي كانت تحكي أقوالهم في الآخرة ، فلهذه المناسبة أعقب الله حكاية أقوالهم في الدنيا.

وأما الرازي فقد أخبر عن رجوع السياق إلى خطاب الكفار.إلى

يقول الرازي:"واعلم أنه تعالى لما ذكر وعيد الكفار ووعد المؤمنين على سبيل المغايبة رجع بعد ذلك إلى خطاب الكفار فقال:﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﴾"[٥].

وأما البقاعي فقد قال:" لما كانت الخشية من الأفعال الباطنة، وكان كل أحد يدعي أنه يخشى الله، قال مخوفاً لهم بعلمه نادباً إلى مراقبته لئلا يغتروا بحلمه، عاطفاً على ما تقديره لإيجاب المراقبة: فأبطنوا أفعـ وأظهروها﴿ ﭑ ﴾أي أيها الخلائق[٦].

وهذا القول فيه تصريح ببيان المناسبة وربطها بالآية السابقة لها ، والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد سبقه إليها الرازي إلا أنه لم يصرح بسبب الرجوع إلى خطاب الكفار.

---

(١) المُلك:13-14.

(٢) وهي قوله تعالى : (ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) إلى قوله : (ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ) (الملك:6-12)

(٣) ذكره الواحدي في "أسباب النزول" ص327 .

(٤) "التحرير والتنوير" 29/29

(٥) "مفاتيح الغيب"66/30

(٦) "نظم الدرر" 242/20

٧٠. (3)قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ)[١].

قال ابن عاشور:" انتقال من الاستدلال إلى التخويف ، لأنه لما تقرر أنه خالق الأرض ومذللها للناس وتقرر أنهم ما رعوا خالقها حق رعايته فقد استحقوا غضبه وتسليط عقابه بأن يُصيّر مشيهم في مناكب الأرض إلى تَجَلْجل في طبقات الأرض ، فالجملة معترضة والاستفهام إنكار وتوبيخ وتحذير"[٢].

وقال الرازي:" ثم إنه تعالى بين أن بقاءهم مع هذه السلامة في الأرض إنما كان بفضل الله ورحمته، وأنه لو شاء لقلب الأمر عليهم، ولأمطر عليهم من سحاب القهر مطر الآفات فقال تقريراً لهذا المعنى (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ) [٣].

قال البقاعي:" لما لم يكن بعد الاستعطاف إلا الإنذار على الخلاف، قال مهدداً للمكذبين بعذاب دون عذاب جهنم، منكراً عليهم الأمان بعد إقامة الدليل على أن بيده الملك، وأنه قادر على ما يريد منه بأسباب جنوده وبغير سبب، مقرراً بعد تقرير حاجة الإنسان وعجزه أنه لا حصن له ولا مانع له بوجه من عذاب الله، فهو دائم الافتقار ملازم للصغار:﴿ ﭽ ﴾"[٤].

قول ابن عاشور يتفق مع قول الرازي والبقاعي فكلهم بين أن هذا إنذار بعد ذكر النعمة بخلق الأرض ، والمعاقبة بين الترهيب والترغيب كثيرة في القرآن الكريم.

---

(١) المُلك:16.

(٢) "التحرير والتنوير" 33/29

(٣) "مفاتيح الغيب" 69/30

(٤) "نظم الدرر" 247/20

٧١. (4)قوله تعالى: **(ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ)**[١].

قال ابن عاشور:"وجاء هذا الأمر بقول يقوله لهم بمناسبة قوله: **(ﭧ ﭨ)**[٢] فإنه بعد أن سوَّى بين فرض إهلاك المسلمين وإحيائهم في أن أيّ الحالين فُرض لا يجيرهم معه أحد من العذاب، أعقبه بأن المسلمين آمنوا بالرحمن، فهم مظنة أن تتعلق بهم هذه الصفة فيرحمهم الله في الدنيا والآخرة، فيعلم المشركون علم اليقين أيّ الفريقين في ضلال حين يرون أثر الرحمة على المسلمين وانتفاءه عن المشركين في الدنيا وخاصة في الآخرة "[٣].

بين ابن عاشور أن هذه الآية مرتبطة بالآية السابقة لمناسبة قوله (ﭧ ﭨ)فلما ذكر ذلك أتبعه بأن المسلمين يؤمنون بالرحمن ويتوكلون عليه ، ومن آمن بهذه الصفة فإنه متعرض لرحمة الله.

وهذا ارتباط وثيق بين الآيتين ، وهذه المناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد أشار إليها قبله أبو حيان بطريقة مختصرة حيث قال:"ولما قال: (ﭧ ﭨ)قال:﴿ ﭫ ﭬ ﴾، ثم ذكر ما به النجاة وهو الإيمان والتفويض إلى الله تعالى"[٤].

---

(١) المُلك:29.

(٢) المُلك:28.

(٣) "التحرير والتنوير" 54/29

(٤) "البحر المحيط" 298/8

سورة القلم

مناسبات الآيات في سورة القلم

٧٢. (1) قوله تعالى: (ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ)[١]

قال ابن عاشور:"الجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً دَعت إليه مناسبة قوله: (ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ)[٢] فإن الازدهاء والغرور بسعة الرزق المفضيين إلى الاستخفاف بدعوة الحق وإهمال النظر في كنهها ودلائلها قد أوقعا من قديم الزمان أصحابهما في بَطَر النعمة وإهمال الشكر فجَرَّ ذلك عليهم شر العواقب، فضرب الله للمشركين مثلاً بحال أصحاب هذه الجَنة لعلهم يستفيقون من غفلتهم وغرورهم ، كما ضرب المثل بقريب منه في سورة الكهف، وضرب مثلاً بقارون في سورة القصص"[٣].

بين ابن عاشور أن هذه القصة مثل ضربه الله للمشركين لعلهم يتعظون ، فقد ذكر الله قصة الذين بطروا نعمة الله و لم يشكروه عليها فعاقبهم الله على ذلك ، والذي جر إلى ذكر هذا المثل ما ذكر الله من حال الكفار وبطرهم وغرورهم.

وهذه المناسبة قد ذكرها الرازي قبل ابن عاشور.

يقول الرازي: "اعلم أنه تعالى لما قال: لأجل أن كان ذا مال وبنين، جحد وكفر وعصى وتمرد، وكان هذا استفهاماً على سبيل الإنكار بَيَّنَ في هذه الآية أنه تعالى إنما أعطاه المال والبنين على سبيل الابتلاء والامتحان، وليصرفه إلى طاعة الله، وليواظب على شكر نعم الله، فإن لم يفعل ذلك فإنه تعالى يقطع عنه تلك النعم، ويصب عليه أنواع البلاء والآفات فقال: ﴿ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﴾"[٤].

أما البقاعي فقد ربط هذه القصة بما ذكر في سورة الملك من خلق الموت والحياة وما فيهما من ابتلاء ،ومن هذا الابتلاء الأموال والبنون ، فلما ذكر الله ذلك أعاد في هذه السورة ذكر الابتلاء

---

(١) القلم:17.

(٢) القلم:14-15.

(٣) "التحرير والتنوير" 79/29

(٤) "مفاتيح الغيب" 87/30

تأكيداً لما مضى.

قال البقاعي :" لم ذكر في أول الملك أنه خلق الموت والحياة للابتلاء في الأعمال، وختم هنا بعيب من يغتر بالمال والبنين وهو يعلم أن الموت وراءه، أعاد ذكر الابتلاء وأكده لأن أعمالهم مع العلم بأنه عرض زائل أعمال من ظن الملك الثابت والتصرف التام، فقال: ﴿ ﭞ ﭟ﴾"[١].

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور والرازي أدق ، فإنهما صرحا بأن هذه القصة جاءت مثلاً للاعتبار والاتعاظ ، أما البقاعي فقد جعلها مؤكدة لما مضى.

وهذه الأقوال الثلاثة متعلقة بالمثل الذي ضربه الله للمشركين .

أما أبو حيان فقد تحدث عن مناسبة ذكر ابتلاء المشركين كما ابتلي الذين من قبلهم.

قال أبو حيان:"لما ذكر المتصف بتلك الأوصاف الذميمة وهم كفار قريش أخبر تعالى بما حل بهم من الابتلاء بالقحط والجوع بدعوة رسول الله ﷺ: ((**اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنيِّ يوسف**))[٢]"[٣] ، فنظر أبو حيان إلى قوله تعالى : ﴿ ﭞ ﭟ ﴾ يعني كفار قريش ، ولم يذكر سبب ضرب المثل .

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد سبقه إليها الرازي.

٧٣. (2) قوله تعالى: (**ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ**)[٤].

قال ابن عاشور:" الفاء لتفريع الكلام الذي عطفته على الكلام الذي قبله لكون الكلام الأول

---

(١) "نظم الدرر" 306/20

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري في "صحيحه" رقم (771) 277/1 ، كتاب الصلاة ، باب : يهوي بالتكبير حين يسجد ، وأخرجه مسلم في "صحيحه" رقم (675) 390/1 ، كتاب الصلاة ، باب : استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة.

(٣) "البحر المحيط" 306/8

(٤) القلم:44.

سبباً في ذكر ما بعده، فبعد أن استُوفي الغرض من موعظتهم ووعيدهم وتزييف أوهامهم أعقب بهذا الاعتراض تسلية للرسول ﷺ بأن الله تكفل بالانتصاف من المكذبين ونصْره عليهم"(١).

بين ابن عاشور أن هذه الآية جاءت مسببة عما قبلها ، جيء بها تسلية للرسول ﷺ و شداً لعضده .

وقال البقاعي :"ولما علم بهذا أنه سبحانه المتصرف وحده بما يشاء كيف يشاء من المنع والتمكين، وكان النبي ﷺ يجد من تكذيبهم له - مع إتيانه بما لا يحتمل التكذيب بوجه - من المشقة ما لا يعلم مقداره إلا الله سبحانه وتعالى، وكان علم المغموم بأن له منقذاً يخفف عنه، وكان علمه باقتداره على ما يراد منه أقر لعينه سبب عن كمال اقتداره قوله مخففاً عنه عليه أفضل الصلاة والسلام، لافتاً القول إلى التكلم بالإفراد تنصيصاً على المراد زيادة في تسكين القلب وشرح الصدر: ﴿ ٹ ﴾"(٢).

وقال الرازي: اعلم أنه تعالى لما خوف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد في التخويف فخوفهم بما عنده، وفي قدرته من القهر"(٣).

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد سبقه إلى ذكرها البقاعي حيث صرحا بأنها ﷺ مخففة عن الرسول

وأما الرازي فقد جعلها من باب التأكيد وزيادة التخويف للكفار.

ولا مانع من الجمع بين المناسبتين فإن كانت تخويفاً للكفار فهي تسلية للرسول

(١) "التحرير والتنوير" 100/29

(٢) "نظم الدرر" 326/20

(٣) "مفاتيح الغيب" 96/30

سورة نوح

مناسبات الآيات في سورة نوح

٧٤. (1) قوله تعالى: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ)[١]

قال ابن عاشور:" إن كان هذا من حكاية كلام نوح عليه السلام لقومه كما جرى عليه كلام المفسرين، كان تخلصاً من التوبيخ والتعريض إلى الاستدلال عليهم بآثار وجود الله ووحدانيته وقدرته، مما في أنفسهم من الدلائل، إلى ما في العالم منها، لِما علمتَ من إيذان قوله: (ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ)[٢] من تذكير بالنعمة وإقامة للحجة، فتخلص منه لذكر حجة أخرى، فكان قد نبههم على النظر في أنفسهم أولاً لأنها أقرب ما يحسونه ويشعرون به ثم على النظر في العالم وما سُوّي فيه من العجائب الشاهدة على الخالق العليم القدير.

وإن كان من خطاب الله تعالى للأمة وهو ما يسمح به سياق السورة من الاعتبار بأحوال الأمم الماضية المساوية لأحوال المشركين كان هذا الكلام اعتراضاً للمناسبة"[٣].

بين ابن عاشور هنا مناسبتين لهذه الآية ،كل مناسبة تنزل على قول من القولين في الآية، فإن كانت هذه الآية حكاية عن قول نوح لقومه ومتصلة بما قبلها من كلامه فهي انتقال من التوبيخ إلى الاستدلال عليهم بآثار وجود الله مما يشاهدونه ويعاينونه ، فبدأ بالأنفس ثم العالم العلوي،وهذا ارتباط واضح ، ومناسبة جارية على عادة القرآن الكريم.

وأما إن كانت هذه الآية من خطاب الله تعالى للأمة فهي معترضة بين ما قبلها وما بعدها للاستدلال على المشركين بما يشاهدونه من آيات الله الدالة على وحدانيته ،والذي أدى إلى هذا الانتقال هو ما بين قوم نوح ومشركي العرب من التشابه.

وقال أبو حيان: "لما نبههم نوح عليه السلام على الفكر في أنفسهم، وكيف انتقلوا من حال إلى حال، وكانت الأنفس أقرب ما يفكرون فيه منهم، أرشدهم إلى الفكر في العالم علوه وسفله، وما

---

(١) نوح:15-16.

(٢) نوح:14.

(٣) "التحرير والتنوير" 202/29

أودع تعالى فيه، أي في العالم العلوي من هذين النيرين اللذين بهما قوام الوجود"(١).

وقال البقاعي بعد أن تكلم على أطوار خلق الإنسان وما فيه من الدلالة على وحدانية الله قال:"لما كان هذا واضحاً ولكنهم قوم لد، لا يردهم إلا الشمس المنيرة في وقت الظهيرة، ذكرهم – بعد التذكير بما في أنفسهم – بما هو أكبر من ذلك من آيات الآفاق وقسمها إلى علوي وسفلي، وبدأ بالأنفس لأنها مع شرفها أقرب منظور إليه لهم، وثنى بالعلوي لأنه يليها في الشرف ووضوح الآيات"(٢).

المناسبة الأولى التي ذكرها ابن عاشور قد أشار إليها قبله أبو حيان والبقاعي حيث اتفقوا على أنها انتقال من التذكير بالأنفس إلى التذكير بما في الآفاق من آيات .

وأما المناسبة الثانية التي ذكرها ابن عاشور فلم أجد من أشار إليها غيره ، فهي من إضافاته في هذا العلم .

---

(١) "البحر المحيط" 334/8

(٢) "نظم الدرر" 441/20

٧٥. (2) قوله تعالى: **(ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ)**[١]

قال ابن عاشور: "أنشأ الاستدلال بخلق السماوات حضورَ الأرض في الخيال فأعقَبَ نوح به دليلَهُ السابقَ، استدلالاً بأعجب ما يرونه من أحوال ما على الأرض وهو حال الموت والإقبار، ومهَّد لذلك ما يتقدمه من إنشاء الناس"[٢].

أوضح ابن عاشور أن هذا استدلال تابع للاستدلال السابق ، ففيه انتقال من الاستدلال بخلق السماوات إلى الاستدلال بخلق الأرض ، وذلك أن الأرض كثيراً ما تقرن بالسماء ،وهو انتقال من الاستدلال بالآيات العلوية إلى الآيات السفلية ،وهذه مناسبة جارية على عادة القرآن الكريم.

أما الرازي فقد قال: "واعلم أنه تعالى رجع ههنا إلى دلائل الأنفس وهو كالتفسير لقوله: **(ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ)**[٣] فإنه بين أنه تعالى خلقهم من الأرض ثم يردهم إليها ثم يخرجهم منها مرة أخرى"[٤].

وهذه المناسبة التي ذكرها الرازي عائدة إلى ذكر الأنفس التي سبق ذكرها قبل ذكر السماوات ، وليس فيها ربط بآية خلق السماء وما فيها.

وأما البقاعي فقد قال:"ولما دل على كمال علمه وتمام قدرته بخلق الإنسان ثم بخلق ما هو أكبر منه أعاد الدلالة بخلق الإنسان لأنه أعظم المحدثات وأدلها على الله سبحانه وتعالى على وجه آخر مبين لبعض ما أشار إليه الأول من التفصيل مصرحاً بالبعث فقال مستعيراً الإنبات للإنشاء: ﴿ ﭼ ﴾ أي الملك الأعظم الذي له الأمر ﴿ ﭽ ﴾ أي بخلق أبيكم آدم عليه الصلاة والسلام ﴿ ﭾ ﭿ ﴾ أي كما ينبت الزرع"[٥].

قول البقاعي قريب من قول الرازي ، فكلاهما جعل هذا الاستدلال من باب إعادة الدلالة بخلق الإنسان لع
ويظهر أن ما ذكره ابن عاشور ألصق بالآية السابقة لهذه الآية مما ذكره الرازي والبقاعي.

---

(١) نوح:17.

(٢) "التحرير والتنوير" 204/29

(٣) نوح:14.

(٤) "مفاتيح الغيب" 140/30

(٥) "نظم الدرر" 443/20

سورة الجن

مناسبات الآيات في سورة الجن

٧٦. (1) قوله تعالى: (ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئېئى ئى ئى ئى)[١] .

قال ابن عاشور: "لما كان شأن الصلاح أن يكون مرضياً عند الله تعالى وشأن ضده بعكس ذلك كما قال تعالى: (ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ)[٢] أعقبوا لتعريض الإِقلاع عن ضد الصلاح بما يقتضي أن الله قد أعد لغير الصالحين عقاباً فأيقنوا أن عقاب الله لا يُفْلِت منه أحدٌ استحقه"[٣].

بين ابن عاشور أن الله لما قال : ــ حاكياً قول الجن ــ (ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ)[٤] أعقبوا هذا الكلام بيقينهم أن من كان بضد الصلاح فهو متعرض لعقاب الله ولن يفلت منه.

أما البقاعي فقد أشار إلى مناسبة أخرى، وهي أن هذا انتقال من بيان حالهم وما هم عليه إلى اعترافهم وإذعانهم لله الواحد القهار ، قال البقاعي:"و لما دلوا على قهرهم عما كانوا يقدرون عليه من أمر السماء بما ذكروا، وعلى قهر مفسديهم بهذا القرآن عن كثير مما كانوا يفعلونه بأهل الأرض، فقهروا ــ بهذا القرآن العظيم الشأن في الحقيقة ــ عن الخافقين فمنعنا ه منهم وحفظاً به، ودلوا على أنهم موضع القهر بالتفرق، كان ذلك موجباً للعلم بشمول قدرته تعالى حتى لا يدركه طالب، ولا ينجو منه هارب، لما أبدى لهم من شؤون عظمته وقهره في الحراسة وغيرها، فذكر سبحانه ما أثر ذلك عندهم من الاعتراف والإذعان للواحد القهار"[٥].

و المناسبة التي ذكرها ابن عاشور دقيقة جداً ، و لم أجد من أشار إليها غير ابن عاشور.

---

(١) الجن:12.

(٢) البقرة:205.

(٣) "التحرير والتنوير" 233/29

(٤) الجن:11.

(٥) "نظم الدرر" 481/20

٧٧. (2) قوله تعالى: (ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ)[١].

قال ابن عاشور:"لما كان قوله: (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ)[٢] إلى هنا كلاماً متضمناً أنهم أشركوا وعاندوا الرسول ﷺ حينَ دعاهم إلى التوحيد واقترحوا عليه ما توهموه تعجيزاً له من ضروب الاقتراح، أعقب ذلك بتهديدهم ووعيدهم بأنهم إن داموا على عصيان الله ورسوله سيلقون نار جهنم لأن كل من يعصي الله ورسوله كانت له نار جهنم"[٣].

أوضح ابن عاشور أن هذه الآية جاءت تهديداً لمن أشرك وعاند رسول الله > فظهر ارتباطها بما قبلها ، وإتباع المنكر بالوعيد عادة من عادات القرآن.

وقد أشار البقاعي إلى ذلك بقوله:"لما كان التقدير لبيان أن الله شرف الرسل بأن أعطاهم عظمة من عظمته فجعل عصيانهم عصيانه، فيكون جزاء من عصاهم هو جزاء من عصاه سبحانه وتعالى لأنهم إنما يتكلمون بأمره، فمن يطع الله ورسوله فإن له جنة نعيم يكونون فيها مدى الدهر سعداء، عطف عليه قوله: ﴿ ﮰ ﮱ ﯓ ﴾ أي الذي له العظمة كلها ﴿ ﯔ﴾ الذي ختم به النبوة والرسالة فجعل رسالته محيطة بجميع خلقه في التوحيد أو غيره على سبيل الجحد ﴿ ﯕ ﯖ ﴾ أي خاصة ﴿ ﯗ ﯘ ﴾ أي التي تلقاه بالعبوسة والغيظ"[٤].

فهذه المناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد سبقه إلى ذكرها البقاعي.

---

(١) الجن:23.

(٢) الجن:20.

(٣) "التحرير والتنوير" 245/29

(٤) "نظم الدرر" 497/20

سورة المزمل

مناسبات الآيات في سورة الزمل

٧٨. (1) قوله تعالى: (ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ)(١).

قال ابن عاشور:" تعليل للأمر بقيام الليل وقع اعتراضاً بين جملة (ٻ ٻ)(٢) وجملة (ڦ ڦ ڤ ڤ ڦ ڄ ڄ ڃ)(٣) ، وهو جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لحكمة الأمر بقيام الليل بأنها تهيئةُ نفس النبي ﷺ ليحمل شدة الوحي، وفي هذا إيماء إلى أن الله يَسَّر عليه ذلك كما قال تعالى: (ی ئج ئح ئم ئى)(٤).

فتلك مناسبة وقوع هذه الجملة عقب جملة (ٻ ٻ پ پ)(٥).

بين ابن عاشور مناسبة هذه الآية لما قبلها وهي أن الله لما أمر رسوله > بقيام الليل أخبر بأنه سيلقي عليه قولاً ثقيلاً حتى يستعد له وهيئ نفسه.

وهذه مناسبة حسنة قد أشار إليها الرازي والبقاعي وأبو السعود ، فكل منهم ذكر أن فيها تهيئة للنبي ﷺ في تحمل ما سيلقى إليه .

قال الرازي:" ووجه النظم أنه تعالى لما أمره بصلاة الليل فكأنه قال: إنما أمرتك بصلاة الليل لأنا سنلقي عليك قولاً عظيماً، فلا بد وأن تسعى في صيرورة نفسك مستعدة لذلك القول العظيم، ولا يحصل ذلك الاستعداد إلا بصلاة الليل، ... فلما كان لصلاة الليل أثر في صيرورة النفس مستعدة لهذا المعنى لا جرم قال: إني إنما أمرتك بصلاة الليل لأنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً، فصير نفسك مستعدة لقبول ذلك المعنى "(٦).

وقال البقاعي:"ولما كان المراد منه ﷺ الثبات للنبوة ومن أمته الثبات في الاقتداء به في العمل

---

(١) المزَّمل:5.

(٢) المزَّمل:2.

(٣) المزَّمل:6.

(٤) القيامة:17.

(٥) المزَّمل:2.

(٦) "مفاتيح الغيب" 174/30

والأمر والنهي، وكان ذلك في غاية الصعوبة، وكان الإنسان عاجزاً إلا بإعانة مولاه، وكان العون النافع إنما يكون لمن صفت نفسه عن الأكدار وأشرقت بالأنوار، وكان ذلك إنما يكون بالاجتهاد في خدمته سبحانه، علل هذا الأمر بقوله مبيناً للقرآن الذي أمر بقراءته ما هو وما وصفه، معلماً أن التهجد يعد للنفس من القوى ما به يعالج المشقات"[١].

قال أبو السعود:"﴿ ٹ ٹ ڈ ﴾ أن سنُوحي إليكَ وإيثارُ الإلقاءِ عليه لقوله تعالى: ﴿ ڈ ڤ ڤ ﴾ وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لا سيَّما على الرسولِ عليه الصلاة والسلام فإنه عليه الصلاة والسلام مأمور بتحملها وتحميلها للأمة، والجملة اعتراض بين الأمر وتعليله لتسهيل ما كلفه عليه الصلاة والسلام من القيام"[٢].

فالمناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد سبقه إلى ذكرها كل من الرازي والبقاعي وأبي السعود، وقد وافقه أبو السعود أيضاً في جعل هذه الجملة معترضة بين قوله تعالى : ﴿ ٻ ٻ ﴾ وبين قوله : ﴿ ٹ ٹ ڈ ﴾.

٧٩. (2) قوله تعالى: (ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ)[٣].

---

(١) "نظم الدرر" 9/21

(٢) "إرشاد العقل السليم" 50/9

(٣) المزَّمل:8-9.

قال ابن عاشور:"ومن أكبر التبتل إلى الله الانقطاع عن الإشراك ، وهو معنى الحنيفية ، ولذلك عقب قوله: ﴿ﭼ ﭽ ﭾ﴾ بقوله: ﴿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﴾"[1].

بين ابن عاشور أن الله لما ذكر التبتل وكان أعظم التبتل إلى الله ترك الشرك وأهله و ترك الشرك من مقتضيات التوحيد ذكر الله استحقاقه للتوحيد.

وهذه المناسبة التي ذكرها ابن عاشور شديدة الارتباط بما قبلها ،و لم أجد من أشار إلى المناسبة بين هاتين الآيتين غيره.

(١) "التحرير والتنوير" 266/29

٨٠. (3) قوله تعالى: (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ)[١].

قال ابن عاشور:" عطف على قوله (ﮆ ﮇ ﮈ)[٢].

والمناسبة أن الصبر على الأذى يستعان عليه بالتوكل على الله"[٣].

بين ابن عاشور أن الله لما ذكر التوكل ذكر أثراً من آثاره وهو الصبر على الأذى ، فمن توكل على الله سهل عليه الصبر على الأذى.

وقد ذكر البقاعي قولاً قريباً من هذا ،وألمح إلى المناسبة التي ذكرها ابن عاشور.

قال البقاعي:" لما كانت الوكالة لا تكون إلا فيما يعجز، وكان الأمر بها مشيراً إلى أنه لا بد أن يكون عن هذا القول الثقيل خطوب طوال وزلازل وأهوال، قال:﴿ ﮊ ﴾"[٤].

فالخطوب والزلازل من الأذى الذي يستعان عليها بالتوكل.

---

(١) المزّمل:10.

(٢) المزّمل:9.

(٣) "التحرير والتنوير" 268/29

(٤) "نظم الدرر" 18/21

سورة المدثر

مناسبات الآيات في سورة المدثر

٨١. (1) قوله تعالى: (ﯓ ﯔ ﯕ)[١]

قال ابن عاشور:"وللتطهير إطلاق حقيقي وهو التنظيف وإزالة النجاسات،وإطلاق مجازي وهو التزكية قال تعالى: (ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ)[٢].

والمعنيان صالحان في الآية فتحمل عليهما معاً ، فتحصل أربعةُ معان لأنه مأمور بالطهارة الحقيقية لثيابه إبطالاً لما كان عليه أهل الجاهلية من عدم الاكتراث بذلك ، وقد وردت أحاديث في ذلك يقوّي بعضها بعضاً وأقواها مَا رواه الترمذي ((**إِن الله نظيف يحب النظافة**)) وقال: هو غريب[٣].

والطهارة لجسده بالأولى.

ومناسبة التطهير بهذا المعنى لأن يعطف على (﯏ ﯐ ﯑)[٤]

لأنه لما أمر بالصلاة أُمر بالتطهر لها لأن الطهارة مشروعة للصلاة.

وليس في القرآن ذكر طهارة الثوب إلاّ في هذه الآية في أحد محاملها ، وهو مأمور بتزكية نفسه"[٥].

ذكر ابن عاشور أكثر من معنى للتطهير ، فذكر من معانيها التنظيف وإزالة النجاسات ، ثم بين مناسبة هذه الآية لما قبلها إذا فسرت بهذا التفسير.

---

(١) المدَّثر:4.

(٢) الأحزاب:33.

(٣) أخرجه الترمذي في "سننه " رقم (2799) 495/4 أبواب الأدب ، باب ما جاء في النظافة ، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قال الترمذي : "هذا حديث غريب ، وخالد بن إلياس يُضَعَّف".
وقال عنه ابن حجر في "تقريب التهذيب" رقم(1617) ص126 : "متروك الحديث".
والحديث ضعفه الألباني في "ضعيف الترمذي" رقم (2799) 332/1

(٤) المدَّثر:3.

(٥) "التحرير والتنوير" 297/29

وقد أشار الرازي إلى الأقوال الأربعة في معنى الآية ، و لم يذكر المناسبة فيما إذا فسرت الآية بإزالة النجاسة .

ولكنه ذكر المناسبة إذا حمل لفظ الثياب والتطهير على المجاز وذكر على هذا الاحتمال معنيين هما:

١. طهر قلبك عن الصفات المذمومة.

٢. حسن خلقك.

ثم قال " إذا فسرنا الآية بهذا الوجه، ففي كيفية اتصالها بما قبلها وجهان:

الأول: أن يقال: إن الله تعالى لما ناداه في أول السورة فقال: (ه ه ے)[1]

وكان التدثر لباساً، والدثار من الثياب، قيل طهر ثيابك التي أنت متدثر بها عن أن تلبسها على هذا التفكر والجزع والضجر من افتراء المشركين.

الوجه الثاني: أن يفسر المدثر بكونه متدثراً بالنبوة، كأنه قيل: يا أيها المتدثر بالنبوة طهر ما تدثرت به عن الجزع وقلة الصبر، والغضب والحقد، فإن ذلك لا يليق بهذا الدثار، ثم أوضح ذلك بقوله: (ۋ ۉ ۉ)[2] "[3].

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور ظاهرة ، أي أن الله لما ذكر الصلاة ذكر شرطاً من شروطها وهو إزالة النجاسة.

و لم أجد من أشار إلى هذه المناسبة غير ابن عاشور.

---

(١) المدَّثر:1.

(٢) المدَّثر:7.

(٣) "مفاتيح الغيب" 191/30

٨٢. (2) قوله تعالى: (ۋ ۈ ۉ ۋ)[١]

قال ابن عاشور: "مناسبة عطف ﴿ ۉ ۈ ۋ ۋ ﴾ على الأمر بهجر الرجز أن المنّ في العطية كثير من خُلق أهل الشرك ، فلما أمره الله بهجر الرجز نهاه عن أخلاق أهل الرجز نهياً يقتضي الأمر بالصدقة والإِكثار منها بطريق الكناية فكأنه قال: وتصدق وأَكثر من الصدقة ولا تمنن أي لا تعدّ ما أعطيته كثيراً فتمسك عن الازدياد فيه، أو تتطرق إليك ندامة على ما أعطيت"[٢].

بين ابن عاشور مناسبة هذه الآية لما قبلها فذكر أنه لما أمر النبي > بهجر الرجز نهاه أن يتخلق بأخلاق أهل الرجز.

وأما البقاعي فقد أتى بكلام عام و لم يذكر أن هذين الخلقين من أخلاق أهل الشرك ، فبين أن هجر الرجز سبب لقبول العمل وأن عدم المنة سبب آخر.

وقال البقاعي:" لما بدأ بأحد سببي القبول، أتبعه الثاني المبعد عن قاصمة العمل من الإعجاب والرياء والملل فقال: ﴿ ۉ ۈ ﴾ أي على أحد بدعائك له أو بشيء تعطيه له على جهة الهبة أو القرض بأن تقطع لذة من أحسنت إليه بالتثقيل عليه بذكرك على جهة الاستعلاء والاستكثار بما فعلته معه، أو لا تعط شيئاً حال كونك ﴿ ۋ ۋ ﴾ أي تطلب أن تعطي أجراً أو أكثر مما أعطيت"[٣].

والمناسابة التي ذكرها ابن عاشور مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالذي قبلها ، و لم أجد من أشار إلى هذا المعنى غيره.

---

(١) المدَّثر:6.

(٢) "التحرير والتنوير" 298/29

(٣) "نظم الدرر" 44/21

٨٣. (3) قوله تعالى: (ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی)[١]

قال ابن عاشور:"لما جرى ذكر الكافرين في قوله: (ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې)[٢] ، وأشير إلى ما يلقاه الرسول ﷺ من الكافرين بقوله: (ۓ ڭ ڭ)[٣] انتقل الكلام إلى ذكر زعيم من زعماء الكافرين ومدبر مطاعنهم في القرآن ودعوة الرسول ﷺ"[٤].

وقال البقاعي :"ولما آذن هذا بأن أكثر الخلق يوافى يوم القيامة على كفره وخبث طويته وسوء أمره وكان ذلك مما يهم لشفقته ﷺ على الخلق، ولما يعلم من نصبهم للعداوة هون أمرهم عليه ، وحقر شأنهم لديه بوعده بالكفاية بقوله مستأنفاً منبهاً على أسباب الهلاك التي أعظمها الغرور وهو شبهة زوجتها شهوة: ﴿ ئۆ ﴾ أي أتركني على أي حالة اتفقت ﴿ ئۆ ﴾ أي مع كل من ﴿ ئۈ ﴾ أي أوجدت من العدم وأنشأت في أطوار الخلقة، حال كونه ﴿ ئۈ ئې ﴾ لا مال له ولا ولد ولا شيء"[٥].

بين البقاعي أن الله لما ذكر موافاته للخلق على كفرهم أتبع ذلك بتهوين عداوة الكافرين وتحقيرها ، فهي تقوية للنبي ﷺ وأتباعه.

وأما ابن عاشور فقد ذكر أن هذا انتقال من ذكر الكافرين إلى ذكر زعيم من زعمائهم على سبيل ضرب المثال ، ولم أجد من أشار إلى هذه المناسبة غير ابن عاشور.

والجمع بين المناسبتين لا تعارض فيه.

---

(١) المدَّثر:11-13.

(٢) المدَّثر:9-10.

(٣) المدَّثر:7.

(٤) "التحرير والتنوير" 302/29

(٥) "نظم الدرر" 47/21

سورة القيامة

مناسبات الآيات في سورة القيامة

٨٤. (1) قوله تعالى: (ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ)[١].

هذه الآيات الأربع من أكثر الآيات إشكالاً في موقعها ، فقد أكثر المفسرون الكلام حولها وأتوا بأقوال كثيرة في المناسبة بينها وبين ما قبلها وما بعدها.

وقد تكلم عليها بعض المنحرفين من الروافض ، زاعمين أن القرآن حرف وبدل وهذه الآيات ليس لها ارتباط بما قبلها.

قال الرازي:"زعم قوم من قدماءِ الروافض أن هذا القرآن قد غير وبدل وزيد فيه ونقص عنه، واحتجوا عليه بأنه لا مناسبة بين هذه الآية وبين ما قبلها ، ولو كان هذا الترتيب من الله تعالى لما كان الأمر كذلك"[٢].

قال ابن عاشور:" هذه الآية وقعت هنا معترضة.

وسبب نزولها ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس أنه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه القرآن يُحرك به لسانه يُريد أن يحفَظَه مخافةَ أن يتَفَلَّتَ منه، أو من شدة رغبته في حِفْظه فكان يلاقي من ذلك شدة فأنَزَل الله تعالى: ﴿ ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ﴾ قال: جَمْعَه في صدرك ثم تَقْرَأُه فإذا قرأناه فاتّبعْ قُرْآنه قال فاستَمِعْ له وأنْصِتْ، ثم إن علينا أن نبيّنه بلسانك، أي أن تقرأه)[٣] اهـ.

فلما نزل هذا الوحي في أثناء نزول السورة للغرض الذي نزل فيه و لم يَكن سورةً مستقلة كان

---

(١) القيامة:16-19.

(٢) "مفاتيح الغيب" 222/30

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري في "صحيحه" رقم (5) 1/ 6 ، باب : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخرجه مسلم في "صحيحه" رقم (448) ، كتاب الصلاة ، باب : الاستماع للقراءة ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

ملحقاً بالسورة وواقعاً بين الآي التي نَزَل بينها"(١).

يرى ابن عاشور أن هذه الآيات جاءت معترضة في هذه السورة ، وأوضح ذلك بالإشارة إلى سبب نزولها من أن النبي > كان يعالج من التنزيل شدة ، فكان يحرك شفتيه مخافة أن ينسى، فنزلت هذه الآيات في أثناء السورة ، ثم رجع سياق الكلام إلى ما كان عليه ، قال ابن عاشور عند قوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ ﭙ)(٢):"رجوع إلى مهيع الكلام الذي بنيت عليه السورة كما يرجع المتكلم إلى وصل كلامه بعد أن قطعه عارض أو سائل"(٣).

ويوضح ذلك ما قاله الرازي في الوجه الأول من أوجه مناسبة هذه الآيات لما قبلها وما بعدها، فقد ذكر ستة أوجه حيث قال:" واعلم أن في بيان المناسبة وجوهاً:

أولها: يحتمل أن يكون الاستعجال المنهي عنه، إنما اتفق للرسول عليه السلام عند إنزال هذه الآيات عليه، فلا جرم نهى عن ذلك الاستعجال في هذا الوقت، وقيل له: ﴿ ئې ئى ئى ئى ئد ى ى ﯨ ﴾ وهذا كما أن المدرس إذا كان يلقي على تلميذه شيئاً، فأخذ التلميذ يلتفت يميناً وشمالاً، فيقول المدرس في أثناء ذلك الدرس لا تلتفت يميناً وشمالاً ثم يعود إلى الدرس، فإذا نقل ذلك الدرس مع هذا الكلام في أثنائه، فمن لم يعرف السبب يقول: إن وقوع تلك الكلمة في أثناء ذلك الدرس غير مناسب، لكن من عرف الواقعة علم أنه حسن الترتيب"(٤).

وهذا القول هو الذي اختاره ابن عاشور.

و ليس فيه بيان لوجه مناسبة هذه الآيات لما قبلها ، وإنما هو اعتماد على سبب النزول، ولذلك لا يصلح أن يكون وجهاً من وجوه المناسبة.

ولسائل أن يسأل إذا كانت هذه الآيات نزلت في هذا الموضع معترضة لهذا السبب ، فما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ولا يمكن أن يجاب بالجواب السابق الذي ذكره ابن عاشور والرازي.

ثم ذكر الرازي أقوالاً أخرى في مناسبة هذه الآيات ، يقول الرازي:"

وثانيها: أنه تعالى نقل عن الكفار أنهم يحبون السعادة العاجلة، وذلك هو قوله:

---

(١) "التحرير والتنوير" 349/29

(٢) القيامة:20.

(٣) "التحرير والتنوير" 351/29

(٤) "مفاتيح الغيب" 223/30

(ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ)[١] ، ثم بين أن التعجيل مذموم مطلقاً حتى التعجيل في أمور الدين، فقال: ﴿ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﴾ وقال في آخر الآية: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﴾.

وثالثها: أنه تعالى قال: (ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ)[٢] فههنا كان الرسول ﷺ يظهر التعجيل في القراءة مع جبريل، وكان يجعل العذر فيه خوف النسيان، فكأنه قيل له: إنك إذا أتيت بهذا العذر لكنك تعلم أن الحفظ لا يحصل إلا بتوفيق الله وإعانته فاترك هذا التعجيل واعتمد على هداية الله تعالى، وهذا هو المراد من قوله: ﴿ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﴾.

ورابعها: كأنه تعالى قال: يا محمد إن غرضك من هذا التعجيل أن تحفظه وتبلغه إليهم لكن لا حاجة إلى هذا ، فإن الإنسان على نفسه بصيرة ، وهم بقلوبهم يعلمون أن الذي هم عليه من الكفر وعبادة الأوثان، وإنكار البعث منكر باطل، فإذا كان غرضك من هذا التعجيل أن تعرفهم قبح ما هم عليه، ثم إن هذه المعرفة حاصلة عندهم، فحينئذ لم يبق لهذا التعجيل فائدة، فلا جرم قال: ﴿ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﴾.

وخامسها: أنه تعالى حكى عن الكافر أنه يقول: (ﯚ ﯛ ﯜ)[٣] ، ثم قال تعالى: (ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ)[٤] ، فالكافر كأنه كان يفر من الله تعالى إلى غيره فقيل: لمحمد إنك في طلب حفظ القرآن، تستعين بالتكرار ، وهذا استعانة منك بغير الله، فاترك هذه الطريقة، واستعن في هذا الأمر بالله فكأنه قيل: إن الكافر يفر من الله إلى غيره، وأما أنت فكن كالمضاد له فيجب أن تفر من غير الله إلى الله وأن تستعين في كل الأمور بالله، حتى يحصل لك المقصود على ما قال: (ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ)[٥] وقال في سورة أخرى: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ)[٦] أي لا تستعن في

---

(١) القيامة:5.

(٢) القيامة:14.

(٣) القيامة:10.

(٤) القيامة:11-12.

(٥) القيامة:17.

(٦) طه:114.

طلب الحفظ بالتكرار بل اطلبه من الله تعالى"(١).

والوجه الثالث الذي ذكره الرازي ليس ببعيد عن القول الأول الذي اختاره ابن عاشور إلا أنه ليس فيه تصريح بوجود سبب نزول .

أما الوجه السادس الذي ذكره الرازي نقلاً عن القفال (٢) "وهو أن قوله: ﴿ ئې ئى ئى ئى ی ی ی ﴾ ليس خطاباً مع الرسول ﷺ بل هو خطاب مع الإنسان المذكور في قوله: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ)(٣) فكان ذلك للإنسان حال ما ينبأ بقبائح أفعاله وذلك بأن يعرض عليه كتابه فيقال له: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ)(٤)، فإذا أخذ في القراءة تلجلج لسانه من شدة الخوف وسرعة القراءة ، فيقال له:

له: ﴿ ئې ئى ئى ئى ی ی ی ﴾، فإنه يجب علينا بحكم الوعد أو بحكم الحكمة أن نجمع أعمالك عليك وأن نقرأها عليك ، فإذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه بالإقرار بأنك فعلت تلك الأفعال، ثم إن علينا بيان أمره وشرح مراتب عقوبته، وحاصل الأمر من تفسير هذه الآية أن المراد منه أنه تعالى يقرأ على الكافر جميع أعماله على سبيل التفصيل، وفيه أشد الوعيد في الدنيا وأشد التهويل في الآخرة.

ثم قال القفال: فهذا وجه حسن ليس في العقل ما يدفعه وإن كانت الآثار غير واردة به."(٥).

به."(٥).

قال ابن عاشور عن هذا القول:" إن كان العقل لا يدفعه فإن الأسلوب العربي ومعاني الألفاظ

---

(١) "مفاتيح الغيب" 223/30

(٢) هو محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي القفال ، أبو بكر ، ولد سنة إحدى وتسعين ومائتين ، كان إمام عصره بما وراء النهر ، فقيهاً محدثاً مفسراً أصولياً لغوياً شاعراً ، له مصنفات كثيرة منها :"أصول الفقه" ، "دلائل النبوة"، "شرح رسالة الشافعي" ، "محاسن الشريعة" ، توفي سنة خمس ستين وثلاثمائة.

(انظر:"سير أعلام النبلاء" 283/16، "طبقات المفسرين" للسيوطي ص 94 ، "الأعلام" للزركلي 274/6)

(٣) القيامة:13.

(٤) الإسراء:14.

(٥) "مفاتيح الغيب" 223/30

تنبو عنه"[١].

وأقول: إن سبب نزول هذه الآيات يمنعه ، فهذه الآيات جاءت خطاباً للنبي > عندما كان يتعجل القرآن مخافة نسيانه كما سبق في الحديث الماضي.

أما أبو حيان فقد قال:" ويظهر أن المناسبة بين هذه الآية وما قبلها أنه تعالى لما ذكر منكر القيامة والبعث معرضاً عن آيات الله تعالى ومعجزاته وأنه قاصر شهواته على الفجور غير مكترث بما يصدر منه، ذكر حال من يثابر على تعلم آيات الله وحفظها وتلقفها والنظر فيها وعرضها على من ينكرها رجاء قبوله إياها، فظهر بذلك تباين من يرغب في تحصيل آيات الله ومن يرغب عنها "[٢].

وقول ابن حيان هذا قريب من الوجه الخامس الذي ذكره الرازي ، ففي كل منهما مقارنة بين حال المؤمن وحال الكافر.

أما البقاعي فقد ذكر كلاماً طويلاً بين فيها وجه وقوع هذه الآية في هذا الموضع ، وسأنقله بطوله لنفاسته :

قال البقاعي :"لما كان الإنسان يعتذر في ذلك اليوم عن كل سوء عمله، ويجادل أعظم مجادلة، وكان المجادل في الغالب يظن أنه لم يذنب أو لا يعلم له ذنباً، قال: (ئو ئو) أي ذكر بغاية السرعة ذلك الإنسان من غير تلعثم دلالة على غاية الصدق والاهتمام والتملق ﴿ ئى ئى ﴾[٣] أي كل كلام يمكن أن يخلص به.

... فالمعنى أنه حجة على نفسه ولو احتج عنها واجتهد في ستر عيوبها، فلا تقبل منها الأعذار، لأنه قد أعطى البصيرة فأعماها بهون النفس وشهواتها، وتلك البصيرة هي نور المعرفة المركوز في الفطرة الأولى وهي كقوله تعالى: (ڤ ج چ چ چ)[٤].

ولما كان معنى هذا كله أن الإنسان محجوب في هذه الدار عن إدراك الحقائق بما فيه من الحظوظ والكسل والفتور، لما فيه من النقائص، وكان النبي ﷺ مبرءاً من ذلك لخلق الله له كاملاً

---

(١) "التحرير والتنوير" 350/29

(٢) "البحر المحيط" 379/8

(٣) القيامة:15.

(٤) غافر:52.

وترقيته بعد ميلاده كل يوم في مراقي الكمال حتى صار إلى حد لا يشغله عن العلوم شيء فكان بحيث يرى مواقع الفتن خلال البيوت كمواقع القطر، ويرى من ورائه كما يرى من أمامه، ويقول >: ((**والله لا يخفى عليّ خشوعكم ولا ركوعكم إني أراكم من وراء ظهري**))(١).

وكان ﷺ يرى في أشد الظلام وغير ذلك مما له ﷺ من رقة الجوهر الذي لم ينله أحد غيره، وذلك مما يدل على الكشف التام ، ولكنه كان ﷺ لتعظيمه لهذا القرآن لما له في نفسه من الجلالة ولما فيه من خزائن السعادة والعلوم التي لا حد لها فتستقصى، ولأنه كلام الملك الأعظم، وبأمره نزل إليه ﷺ مع رسوله جبريل عليه الصلاة والسلام، يعالج عند سماعه أول ما يأتيه شدة، فكان يحرك به لسانه استعجالاً بتعهده ليحفظه ولا يشذ عنه منه شيء، وكان قد ختم سبحانه ما قبلها بالمعاذير، وكانت العجلة مما يعتذر عنه، وكان الحامل على جميع ما يوجب الملامة والاعتذار ما طبع عليه الإنسان من حب العاجل، قال (٢) سبحانه نتيجة عن هذه المقدمات الموجبة لانكشاف الأشياء للإنسان الموجب للإخبار بها والخوف من عواقبها لئلا يميل إلى العاجلة ولا يقع في مخالفة لولا ما شغله به من الحجب إعلاماً بأنه سبحانه وتعالى قد دفع عن النبي ﷺ تلك الحجب وأوصله من رتبة (لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً)(٣) إلى أنهاها، وأنه قادر على ما يريد من كشف ما يريد لمن يريد كما يكشف لكل إنسان عن أعماله في القيامة حتى يصير يعرف ما قدم منها وما أخر، وتنبيهاً على أنه ﷺ لا كسب له في هذا القرآن بغير حسن التلقي إبعاداً له عن قول البشر وتمهيداً بما يحرك من لسانه بالقرآن قبل تمام الإلقاء لذم ما طبع عليه الإنسان: ﴿ ئې

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري في "صحيحه" رقم (408) 161/1 ، كتاب الصلاة ، أبواب المساجد ، باب : عظة الإمام الناس في إتمام الصلاة وذكر القبلة ، وأخرجه مسلم في "صحيحه" رقم (424) 268/1 ، كتاب الصلاة ، باب : الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) هذا جواب قوله : " لما كان معنى هذا كله ...".

(٣) رويت هذه العبارة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وعن علي رضي الله عنه ، و لم أجدها مسندة.

انظر "الآداب الشرعية" لابن مفلح 295/1 ، "نظم الدرر" للبقاعي 136/2

ﯽﯾ﴾ أي القرآن الذي هو تذكرة من شاء ذكره لولا حجاب المشيئة، وقد كشف سبحانه وتعالى حجاب المشيئة لهذا النبي الكريم ﷺ وشاء أن يذكره حين قال: (ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ)[١] لأنه ما نزله إليه بغير اكتساب منه إلا وقد شاء ذلك ﴿ ﯿ ﴾ الذي ليست له حركة إلا في ذكر الله تعالى.

ولما لم يكن لهذا التحريك فائدة مع حفظ الله له على كل حال إلا قصد الطاعة بالعجلة، وكانت العجلة هي الإتيان بالشيء قبل أوانه الأليق به، وإن كان النبي ﷺ مثاباً على ذلك أعظم الثواب لأنه لا حامل له عليه إلا حب الله وحب ما يأتي منه، وجعلها الله سبحانه وتعالى علة وإن لم تكن مقصودة فقال: ﴿ ﯼ ﯽ ﯾ ﴾ أي بحمله وأخذه قبل أن يفرغ من إلقائه إليك رسولنا جبريل عليه الصلاة والسلام مخافة أن ينفلت منك، لأن هذه العجلة وإن كانت من الكمالات بالنسبة إليك وإلى إخوانك من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما قال موسى عليه الصلاة والسلام: (ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ)[٢] لأنها من النفس اللوامة التي تلوم على ترك المبادرة إلى أفعال الخير فغيرها من أفعال المطمئنة أكمل منها، فنقل ﷺ من مقام كامل إلى أكمل منه، وكان هذا الكلام المتعلق بالقرآن والذي بعده فرقاناً بين صفتي اللوامة في الخير واللوامة في الشر"[٣].

في هذا الكلام الطويل حاول البقاعي النظر إلى سياق السورة ثم ربط أجزاءها ببعض وربطها أيضاً بالسورة السابقة لهذه السورة وهي سورة المدثر فجعل السورتين في سياق واحد.

وهذا الرابط الذي ذكره البقاعي من أفضل الروابط التي تربط به هذه الآيات بما سبقها.

وأما ماذكره ابن عاشور فقد سبق بيان أنه اعتمد على سبب النزول ، وأن الرازي قد ذكر ذلك ــ في أحد الوجوه ــ .

---

(١) الإنسان:30.

(٢) طه:84.

(٣) "نظم الدرر" 96/21

سورة الإنسان

مناسبات الآيات في سورة الإنسان

٨٥. (1) قوله تعالى: (ں ں ڻ ڻ ڼ ڽ ۀ ہ ۂ ۃ ۄ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ)[١] .

قال ابن عاشور:"هذه الجملة بيان لما أجمل في جملة (ئم ئى ئي بج بح)[٢]، وإنما عطفت عليها لما فيها من مغايرة مع الجملة المعطوف عليها من صفة آنية الشراب، فلهذه المناسبة أعقب ذكر مجالس أهل الجنة ومُتكآتِهم، بذكر ما يستتبعه مما تعارفه أهل الدنيا من أحوال أهل البذخ والترف واللذات بشرب الخمر إذ يُدير عليهم آنية الخمر سقاةٌ ، وإذ قد كان ذلك معروفاً لم تكن حاجة إلى ذكر فاعل الطواف فبُني للنائب"[٣].

بين ابن عاشور أن هذه الآية مرتبطة بما قبلها ، ودعا إلى ذلك ما جرت به عادة أهل الدنيا المترفين من شرب الخمر في المجالس ، فجاءت هذه الآية تشويقاً لهم وتحفيزاً لترك ما في العاجلة والعمل للدار الآخرة.

قال الرازي:"واعلم أنه تعالى لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف بعد ذلك شرابهم وقدم عليه وصف تلك الأواني التي فيها يشربون فقال: ﴿ ں ں ڻ ڻ ڼ ڽ ۀ ہ ﴾"[٤].

وقال أبو حيان:"لما وصف تعالى طعامهم وسكناهم وهيئة جلوسهم، ذكر شرابهم"[٥].

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم أجدها عند غيره بهذا التفصيل ، وأما الرازي وأبو حيان فقد اقتصرا على أن هذا من إتباع أوصاف الطعام والسكنى بأوصاف الشراب.

٨٦. (2) قوله تعالى: (بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح)[٦]

---

(١) الإنسان:15-16.

(٢) الإنسان:5.

(٣) "التحرير والتنوير" 391/29

(٤) "مفاتيح الغيب" 248/30

(٥) "البحر المحيط" 389/8

(٦) الإنسان:23.

قال ابن عاشور:" استئناف للانتقال من الاستدلال على ثبوت البعث بالحجّة والترهيب والوعيد للكافرين به والترغيب والوعد للمؤمنين به بمرهبّات ومرغّبات هي من الأحوال التي تكون بعد البعث، فلمّا استوفى ذلك ثُني عِنانُ الكلام إلى تثبيت الرسول ﷺ والربطِ على قلبه لِدفاع أن تلحقه آثارُ الغمّ على تصلب قومه في كفرهم وتكذيبهم بما أُنزل عليه مما شأنه أن يوهن العزيمة البشرية، فذكَّره الله بأنه نزل عليه الكتاب لئلا يعبأ بتكذيبهم.

وفي إيراد هذا بعد طول الكلام في أحوال الآخرة قضاء لحق الاعتناء بأحوال الناس في الدنيا فابتدئ بحال أشرف الناس وهو الرسول > ثم بحال الذين دعاهم الرسول > بين من (ﭗ ﭘ)[١] و من (ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ)[٢] فأدخلهم في رحمته "[٣].

بين ابن عاشور أن هذه الآية جاءت لتثبيت قلب الرسول > وشحذ همته لتبليغ رسالة ربه، وهو انتقال من بيان أحوال الآخرة إلى بيان أحوال الناس في الدنيا وأنه ابتدأ بذكر الأشرف وهو الرسول >.

قال الرازي:"اعلم أن الخطاب إما النهي وإما الأمر، ثم إنه تعالى قبل الخوض فيما يتعلق بالرسول من النهي والأمر، قدم مقدمة في تقوية قلب الرسول ﷺ، وإزالة الغم والوحشة عن خاطره، ... ثم بعد هذه المقدمة ذكر نهيه عن بعض الأشياء، ثم بعد الفراغ عن النهي، ذكر أمره ببعض الأشياء، ... ثم إنه تعالى ذكر بعد ذلك أحوال المتمردين والكفار على ما سيأتي تفصيل بيانه.

ومن تأمل فيما ذكرناه علم أن هذه السورة، وقعت على أحسن وجوه الترتيب والنظام، فالحمد لله الذي نور عقل هذا المسكين الضعيف بهذه الأنوار، وله الشكر عليه أبد الآباد".

وقال بعد ذلك:" اعلم أن المقصود من هذه الآية تثبيت الرسول وشرح صدره فيما نسبوه إليه من كهانة وسحر، فذكر الله تعالى أن ذلك وحي من الله"[٤].

و ما ذكره ابن عاشور من تثبيت قلب الرسول > قد أشار إليه الرازي ، وأما الانتقال من بيان

---

(١) الإنسان:27.

(٢) الإنسان:29.

(٣) "التحرير والتنوير" 402/29

(٤) "مفاتيح الغيب" 257/30

أحوال الناس في الآخرة إلى ذكر أحوالهم في الدنيا ، ثم ذكر الأشرف فهذا من إبداع ابن عاشور في ذكر المناسبات ، و لم أجد من ذكر ذلك غيره.

٨٧. (3) قوله تعالى: (ٹ ٹ ٺ ٿ ٽ ڈ ڎ ڤ ڦ ڨ)(١).

قال ابن عاشور:" لما كان الإِخبار عنهم بأنهم (ٻ ٹ ٺ ٺ)(٢) يتضمن أنهم ينكرون وقوع ذلك اليوم كما قدمناه وكان الباعث لهم على إنكاره شبهةُ استحالة إعادة الأجسادِ بعد بِلاها وفنائها، وكان الكلام السابق مسوقاً مساق الذم لهم والإِنكار عليهم جيء هنا بما هو دليل للإِنكار عليهم وإبطال لشبهتهم ببيان إمكان إعادة خلقهم يُعيده الذي خلقهم أول مرّة كما قال تعالى: (ٺ ٺ ٺ ٿ ٹ ٺ ٿ ٹ ٽ)(٣) وغيرِ ذلك من الآيات الحائمة حول هذا المعنى"(٤).

خلاصة قول ابن عاشور أن هذه الآية جاءت دليلاً على إمكان البعث فمن خلق الخلق قادر على بعثهم بعد موتهم وهذا في القرآن كثير ومنه قوله تعالى: ﴿ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ﴾(٥) .

و قد أشار البقاعي إلى هذا بقوله:"لما كان تركهم لليوم الثقيل على وجه التكذيب الذي هو أقبح الترك، وكان تكذيبهم لاعتقادهم عدم القدرة عليه قال دالاً على الإعادة بالابتداء من باب الأولى: ﴿ ٹ ٹ ﴾"(٦).

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور موافقة لما ذكره البقاعي ، فكل منهما أشار إلى أنها مرتبطة بالآية السابقة لها وأن فيها ذكراً لقدرة الله على بعث الخلق .

---

(١) الإنسان:28.

(٢) الإنسان:27.

(٣) الإسراء:51.

(٤) "التحرير والتنوير"409/29

(٥) يس:78-79.

(٦) "نظم الدرر" 158/21

سورة المرسلات

مناسبات الآيات في سورة المرسلات

٨٨. (1) قوله تعالى: (ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ)[١] .

قال ابن عاشور:" لما أفاد وقوع البعث وكان المخاطبون ينكرونه ويتعللون بعدم التعجيل بوقوعه، بُيّن لهم ما يحصل قبله زيادة في تهويله عليهم والإِنذار بأنه مؤخّر إلى أن تحصل تلك الأحداث العظيمة، وفيه كناية رمزية على تحقيق وقوعه لأن الأخبار عن أمارات حلول ما يوعدون يستلزم التحذير من التهاون به، ولذلك ختمت هذه الأخبار بقوله: (ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ)[٢] "[٣].

بين ابن عاشور أن هذه الآيات متصلة بما قبلها من الآيات الدالة على وقوع البعث ، وأن هذه الآيات فيها بيان لأحداث مهولة تحصل قبله ، وذلك لإنذارهم وتخويفهم .

وقال البقاعي :"لما كان من المعلوم أنهم يقولون استهزاء: متى هو؟ وكان وقته مما استأثر الله بعلمه لأن إخفاءه عن كل أحد أوقع في النفوس وأهيب عند العقول، سبب عن ذلك قوله ذاكراً ما لا تحتمله العقول لتزداد الهيبة ويتعاظم الخوف معبراً بأد اة التحقق:﴿ ﮧ ﮨ ﴾ أي على كثرتها ﴿ ﮩ ﮪ ﴾"[٤].

فاتفق ابن عاشور والبقاعي على أن الكفار لما كانوا يستعجلون وقوع البعث وما يعقبه من أهوال يوم القيامة ذكر أمراً مهولاً يحصل قبله .

وهذه المناسبة مرتبطة بقوله تعالى : (ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ)[٥] .

---

(١) المرسلات:8.

(٢) المرسلات:19.

(٣) "التحرير والتنوير" 423/29

(٤) "نظم الدرر" 168/21

(٥) المرسلات:7.

سورة النبأ

مناسبات الآيات في سورة النبأ

٨٩. (1) قوله تعالى: (ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ)[١].

قال ابن عاشور:" لما كان أعظم نبأ جاءهم به القرآن إبطال إلهية أصنامهم وإثبات إعادة خلق أجسامِهم، وهما الأصلان اللذان أثارا تكذيبهم بأنه من عند الله وتألبهم على رسول الله ﷺ وترويجهم تكذيبه، جاء هذا الاستئناف بياناً لإجمال قوله: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ)[٢] "[٣].

ثم قال:"ومناسبة ابتداء الاستدلال على إمكان البعث بخلق الأرض أن البعث هو إخراج أهل الحشر من الأرض فكانت الأرض أسبق شيء إلى ذهن السامع عند الخوض في أمر البعث، أي بعث أهل القبور"[٤].

بين ابن عاشور أن هذه الآية جاءت بياناً لما في أول السورة من ذكر النبأ العظيم ، ثم أوضح المناسبة بين خلق الأرض والاستدلال بها على إمكان البعث فذكر أن الأرض هي التي يخرج منها الناس للحشر ، وهي من أقرب الأشياء إليهم وهي التي يمشون في مناكبها ولذلك بدأ بها.

أما الرازي فقد ذكر أن هذه الآية وما عطف عليها فيها دليل على إمكان البعث، أما البداءة بذكر الأرض فلم يتعرض لها.

قال الرازي:"اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم إنكار البعث والحشر، وأراد إقامة الدلالة على صحة الحشر قدم لذلك مقدمة في بيان كونه تعالى قادراً على جميع الممكنات عالماً بجميع المعلومات، وذلك لأنه مهما ثبت هذان الأصلان ثبت القول بصحة البعث، وإنما أثبت هذين الأصلين بأن عدَّدَ أنواعاً من مخلوقاته الواقعة على وجه الإحكام والإتقان، فإن تلك الأشياء من جهة حدوثها تدل على القدرة، ومن جهة إحكامها وإتقانها تدل على العلم، ومتى ثبت هذان

---

(١) النبأ:6.

(٢) النبأ:2.

(٣) "التحرير والتنوير" 13/30

(٤) التحرير والنوير 14/30

الأصلان وثبت أن الأجسام متساوية في قبول الصفات والأعراض، ثبت لا محالة كونه تعالى قادراً على تخريب الدنيا بسمواتها وكواكبها وأرضها، وعلى إيجاد عالم الآخرة، فهذا هو الإشارة إلى كيفية النظم"[١].

ومثل ذلك قال أبو حيان:"ثم قررهم تعالى على النظر في آياته الباهرة وغرائب مخلوقاته التي ابتدعها من العدم الصرف ، وأن النظر في ذلك يفضي إلى الإيمان بما جاءت به الرسل من البعث والجزاء"[٢].

وهذه المناسبة التي ذكرها أبو حيان شاملة لهذه الآية وما بعدها من المعطوفات التي فيها دلائل وآيات لإثبات البعث والجزاء.

و المناسبة التي ذكرها ابن عاشور دقيقة لم أجد من أشار إليها غيره.

---

(١) "مفاتيح الغيب" 6/31

(٢) "البحر المحيط" 403/8

٩٠. (2) قوله تعالى: (ڈ ڤ ڤ)[١].

قال ابن عاشور:" مناسبة ذكر الجبال دعا إليها ذكر الأرض وتشبيهُها بالمهاد الذي يكون داخل البيت ، فلما كان البيت من شأنه أن يخطر ببال السامع من ذكر المهاد كانت الأرض مشبهة بالبيت على طريقة المكنية فشبهت جبال الأرض بأوتاد البيت تخييلاً للأرض مع جبالها بالبيت ومهاده وأوتاده ، وأيضاً فإن كثرة الجبال الناتئة على وجه الأرض قد يخطر في الأذهان أنها لا تناسب جعل الأرض مهاداً فكان تشبيه الجبال بالأوتاد مستملحاً بمنزلة حسن الاعتذار، فيجوز أن تكون الجبال مشبهة بالأوتاد في مجرد الصورة مع هذا التخييل كقولهم: رأيت أسوداً غَابُها الرماح ، ويجوز أن تكون الجبال مشبهة بأوتاد الخيمة في أنها تشد الخيمة من أن تقلعها الرياح أو تزلزلها بأن يكون في خلق الجبال للأرض حكمة لتعديل سَبح الأرض في الكرة الهوائية إذْ نُتُوّ الجبال على الكرة الأرضية يجعلها تكسر تيار الكُرة الهوائية المحيطة بالأرض فيعتدل تيّاره حتى تكون حركة الأرض في كرة الهواء غير سريعة ، على أن غالب سكان الأرض وخاصة العرب لهم منافع جمّة في الجبال فمنها مسايل الأودية، وقرارات المياه في سفوحها، ومراعي أنعامهم، ومستعصمهم في الخوف، ومراقب الطرق المؤدية إلى ديارهم إذا طرقها العدوّ ، ولذلك كثر ذكر الجبال مع ذكر الأرض"[٢].

ذكر ابن عاشور هاهنا مناسبتين لموضع هذه الآية:

أما الأولى منهما فهي أن ذكر الأرض وتشبيهها بالمهاد الذي يكون بالبيت دعا إلى ذكر الأوتاد التي هي كأوتاد البيت ، وهذه المناسبة متعلقة بلفظي المهاد والأوتاد ، ولو نظرنا إلى لفظي الأرض والجبال لوجدنا مناسبة بينهما وهي كون الجبال على الأرض وكون الأرض مشتملة عليها.

وأما المناسبة الثانية التي ذكرها ابن عاشور فهي رد على سؤال قد يرد في الذهن وهو أن الأرض كيف مهاداً وهي كثيرة الجبال ؟ فجاء وصف الجبال بالأوتاد التي تثبت هذه الأرض كما يثبت البيت بأوتاده ، ثم ذكر فوائد الجبال .

وهاتان المناسبتان اللتان ذكرهما ابن عاشور لم أجدهما عند غيره .

---

(١) النبأ:7.

(٢) التحرير والنوير 15/30

٩١. (3) قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ)[١]

قال ابن عاشور: "و قد أُعقب الاستدلال بخلق الأرض وجبالها بالاستدلال بخلق الناس للجمع بين إثبات التفرد بالخلق وبين الدلالة على إمكان إعادتهم، والدليلُ في خلق الناس على الإبداع العظيم الذي الخلقُ الثاني من نوعه أمكنُ في نفوس المستدل عليهم قال تعالى: (ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ)[٢] ، وللمناسبة التي قدمنا ذكرها [٣] في توجيه الابتداء بخلق الأرض في الاستدلال فهي أن من الأرض يخرج الناس للبعث فكذلك ثني باستدلال بخلق الناس الأول لأنهم الذين سيعاد خلقهم يوم البعث وهم الذين يخرجون من الأرض، وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى: (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ)[٤] "[٥].

أما البقاعي فقد ربط هذه الآية بقوله تعالى (ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ)[٦] و لم يشر إلى الآية التي فيها ذكر الجبال وقد يكون ذلك لأن الجبال إنما هي من الأرض.

قال البقاعي:" لما ذكر بما في الظرف الذي هو فرشهم من الدلالة على تمام القدرة، أتبعه التذكير بما في المظروف وهو أنفسهم لتجتمع آيات الأنفس والآفاق فيتبين لهم أنه الحق فقال: ﴿ ﭽ ﴾[٧].

ثم أشار البقاعي إلى أنه بهذه المناسبة تجتمع آيات الأنفس والآفاق ليتبين أن القرآن حق ، وهذا تعبير رائع من البقاعي وفيه إشارة إلى قوله تعالى: (ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ)[٨].

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم أجد من أشار إليها غيره ، وقد سبق أن ذكر مثلها عند

---

(١) النبأ:8.

(٢) الذاريات:21.

(٣) انظر ص 250

(٤) مريم:66-67.

(٥) "التحرير والتنوير" 16/30

(٦) النبأ:6.

(٧) "نظم الدرر" 196/21

(٨) فُصِّلَت:53.

قوله تعالى: (ٿ ٿ ٹ ڈ)[1].

---

(١) النبأ:6.

٩٢. (4) قوله تعالى: **(ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ)**[١]

قال ابن عاشور:" انتقل من الاستدلال بخلق الناس إلى الاستدلال بأحوالهم ، وخص منها الحالة التي هي أقوَى أحوالهم المعروفة شبهاً بالموت الذي يعقبه البعث وهي حالة متكررة لا يَخلُونَ من الشعور بما فيها من العبرة لأن تدبير نظام النوم وما يطرأ عليه من اليقظة أشبه حال بحال الموت وما يعقبه من البعث"[٢].

أما البقاعي فقد ذكر مناسبة أخرى حيث قال:" لما ذكر ما هو سبب لبقاء النوع، ذكر ما هو سبب لحفظه من إسراع الفساد فقال: ﴿ ﭫ ﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿ ﭬ ﴾ الذي ركبنا البدن على قبوله ﴿ ﭭ ﭮ ﴾ أي قطعاً عن الإحساس والحركة التي أتعبتكم في نهاركم مع الامتداد والاسترسال إراحة للقوى الحيوانية والحواس الجثمانية وإزاحة لكلالها مع أنه قاطع لكمال الحياة"[٣].

فجعل هذه الآية مكملة للآية السابقة ، فالسابقة لبقاء النوع الإنساني وهذه فيها سبب لحفظه، وهذا معنى ظاهر .

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم أجدها عند غيره ، وهي مناسبة مرتبطة بمقصد السورة الأساسي وهو إثبات البعث والرد على المنكرين ، وهو معنى دقيق بديع ويدل دلالة واضحة على ترابط الآيات ببعضها.

---

(١) النبأ:9.

(٢) التحرير والنوير 18/30

(٣) "نظم الدرر" 196/21

٩٣. (**5**) قوله تعالى: (**ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ**)[١] .

قال ابن عاشور:" من إتمام الاستدلال الذي قبله وما فيه من المنة لأن كون الليل لباساً حالة مهيئة لتكيف النوم ومُعينة على هنائه والانتفاع به ؛ لأن الليل ظلمة عارضة في الجو من مزايلة ضوء الشمس عن جزء من كرة الأرض وبتلك الظلمة تحتجب المرئيات عن الأبصار فيعسر المشي والعمل والشغل وينحط النشاط فتتهيأ الأعصاب للخمول ثم يغشاها النوم فيحصل السبات بهذه المقدمات العجيبة، فلا جرم كان نظام الليل آية على انفراد الله تعالى بالخلق وبديع تقديره"[٢].

وقال البقاعي:"لما ذكر النوم، أتبعه وقته الأليق به مذكراً بنعمة الظرف الزماني بعد التذكير بالظرف المكاني، فقال دالاً بمظهر العظمة على عظمه: ﴿ ﭻ ﭼ ﴾ أي بعد ذهاب الضياء حتى كأنه لم يكن ﴿ ﭽ ﭾ ﴾ أي غطاء وغشاء ساتراً بظلمته ما أتى عليه عن العيون كما يستره اللباس لتسكنوا فيه عن المعاش"[٣].

وافق ابنُ عاشور البقاعيَّ في هذه المناسبة، فكلاهما ذكر أن الليل جاء عقب ذكر النوم لأن الليل أليق أوقاته ومعين على الانتفاع به.

---

(١) النبأ:10.

(٢) "التحرير والتنوير" 19/30

(٣) "نظم الدرر" 197/21

٩٤. (**6**) قوله تعالى: (**ﭻ ﭼ ﭽ**)[١] .

قال ابن عاشور:" لم ذكر خلق نظام الليل قوبل بذكر خلق نظام النهار"[٢].

هذه المناسبة التي ذكرها ابن عاشور تعد من عادات القرآن كما أشار إلى ذلك ابن عاشور في مواضع كثيرة من تفسيره ، و لم أجد من أشار إلى هذه المناسبة في هذه الآية غير ابن عاشور.

---

(١) النبأ:11.

(٢) التحرير والنوير 21/30

٩٥. (7) قوله تعالى: **(ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ)**[١].

قال ابن عاشور:" ناسب بعد ذكر الليل والنهار وهما من مظاهر الأفق المسمى سماء أن يُتبع ذلك وما سبقه من خلق العالم السفلي بذكر خلق العوالم العلوية"[٢].

بين ابن عاشور أن هذا انتقال من ذكر العالم السفلي وما فيها من مخلوقات إلى ذكر العالم العلوية وما فيه من بديع قدرة الله ، وهذا ارتباط واضح بين هذه الآية وما قبلها.

أما البقاعي فقد ربط هذه الآية بقوله تعالى: **(ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ)**[٣] فلما ذكر الله المهاد ذكر السقف ، وهذا ارتباط حسن إلا أنه مع آية ليست متصلة بهذه الآية.

قال البقاعي:" لم ذكر المهاد وما فيه، أتبعه السقف الذي بدورانه يكون الوقت الزمان وما يحويه من القناديل الزاهرة والمنافع الظاهرة لإحياء المهاد ومن فيه من العباد فقال: ﴿ ﭽ ﴾ أي بناء عظيماً ﴿ ﭾ ﴾ أي عاماً لجميع جهة الفوق، وهي عبارة تدل على الإحاطة ﴿ ﭾ ﴾ أي من السماوات ﴿ ﭿ ﮀ ﴾ أي هي في غاية القوة والإحكام، لا صدع فيها ولا فتق، لا يؤثر فيها كر العصور ولا مر الدهور، حتى يأتي أمر الله بإظهار عظائم المقدور"[٤].

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم أجد من ذكرها غيره.

---

(١) النبأ:12.

(٢) "التحرير والتنوير" 22/30

(٣) النبأ:6.

(٤) "نظم الدرر" 197/21

٩٦. (8) قوله تعالى: **(ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ)**(١).

قال ابن عاشور:"ذِكرُ السماوات يناسبه ذكر أعظم ما يشاهده الناس في فضائها وذلك الشمس، ففي ذلك مع العبرة بخلقها عبرة في كونها على تلك الصفة ومنّة على الناس باستفادتهم من نورها فوائد جمة"(٢).

بين ابن عاشور ارتباط هذه الآية بما قبلها والمناسبة أن الله لما ذكر السموات ذكر أعظم ما فيها من الأفلاك.

وقد سبقه إلى ذكر هذه المناسبة البقاعي حيث قال :"لما ذكر السقف ذكر بعض ما فيه من أمهات المنافع فقال دالا بمظهر العظمة على عظمها: ﴿ ﭼ ﴾ أي مما لا يقدر عليه غيرنا ﴿ ﭽ ﴾ أي نجماً منيراً جداً ﴿ ﭾ ﭿ ﴾"(٣).

---

(١) النبأ:13.

(٢) "التحرير والتنوير" 23/30

(٣) "نظم الدرر" 197/21

٩٧. (9) قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ)[١] .

قال ابن عاشور:" ومناسبة الانتقال من ذكر السماوات إلى ذكر السحاب والمطر قوية"[٢].

لم يذكر ابن عاشور المناسبة بين الانتقال من ذكر السماوات إلى ذكر السحاب وما اشتمل عليه من المطر و إلى قوة المناسبة ، والمناسبة واضحة لا تخفى ، فالسحاب إنما يكون في السماء ، والمطر ينزل منه فناسب أن يذكر السحاب والمطر عقب ذكر السماء التي هي كالظرف له ، وهذا ربط بعموم الآيتين السابقتين، و لم أجد من أشار إلى هذه المناسبة غير ابن عاشور.

أما البقاعي فقد ربط هذه الآية بالآية التي قبلها مباشرة:" ولما ذكر ما يمحق الرطوبة بحرارته، أتبعه ما يطفىء الحرارة برطوبته وبرودته فينشأ عنه المأكل والمشرب، التي بها تمام الحياة ويكون تولدها من الظرف بالمهاد والسقف، وجعل ذلك أشبه شيء بما يتولد بين الزوجين من الأولاد، فالسماء كالزوج والأرض كالمرأة، والماء كالمني، والنبات من النجم والشجر كالأولاد فقال: ﴿ ﭐ ﴾ أي مما يعجز غيرنا ﴿ ﭑ ﭒ ﴾ أي السحائب التي أثقلت بالماء فشارفت أن يعصرها الرياح فتمطر"[٣].

ثم ذكر ابن عاشور مجمل ما في الآيات السابقة من مناسبة وارتباط فقال في ختامها:" وبهذا الاستدلال والامتنان ختمت الأدلة التي أقيمت لهم على انفراد الله تعالى بالإلهية وتضمنت الإيماء إلى إمكان البعث وما أدمج فيها من المنن عليهم عساهم أن يذكروا النعمة فيشعروا بواجب شكر المنعم ولا يستفظعوا إبطال الشركاء في الإلهية وينظروا فيما بلغهم عنه من الإخبار بالبعث والجزاء فيصرفوا عقولهم للنظر في دلائل تصديق ذلك وقد ابتدئت هذه الدلائل بدلائل خلق الأرض وحالتها بهم الذكرى على أهم ما على الأرض من الجماد والحيوان، ثم ما في الأفق من أعراض الليل والنهار تصاعد بهم التجوال بالنظر في خلق السماوات وبخاصة الشمس ثم نزل بهم إلى دلائل السحاب والمطر فنزلوا معه إلى ما يخرج من الأرض من بدائع الصنائع ومنه ينتقل إلى حيث صَدروا وذلك من رد العجز على الصدر"[٤].

---

(١) النبأ:14.

(٢) "التحرير والتنوير" 25/30

(٣) "نظم الدرر" 198/21

(٤) "التحرير والتنوير" 28/30

٩٨. (10) قوله تعالى: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ)[١].

قال ابن عاشور: "هذا بيان لما أجمله قوله: (ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ)[٢] وهو المقصود من سياق الفاتحة التي افتتحت بها السورة وهيأ للانتقال مناسبة ذكر الإخراج من قوله: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ)[٣] إلخ، لأن ذلك شُبه بإخراج أجساد الناس للبعث كما قال تعالى: (ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ)[٤] إلى قوله: (ﯗ ﯘ ﯙ)[٥] "[٦].

بين ابن عاشور أن هذا الانتقال إلى المقصود من سياق فاتحة السور كان مرتبطاً بسبب وهو ذكر الإخراج في قوله تعالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ) فذكر إخراج النبات من الأرض جعل الانتقال إلى ذكر إخراج الأجساد للبعث مناسباً ثم ذكر مثيلاً لهذا الانتقال وهو ما ذكره الله في سورة ق ، وقد ذكر هذه المناسبة البقاعي وأبو السعود.

قال البقاعي:"لما ذكر ما دل على غاية القدرة ونهاية الحكمة فدل قطعاً على الوحدانية لأنه لو كان التعدد لم تكن الحكمة و لم تتم القدرة، فأثمر المحبة لمن اتصف بذلك، فأنتج للطائع الشوق إلى لقائه والترامي إلى مطالعة كمال نعمائه، وللعاصي ما هو حقيق به من الخوف من لقائه ليرده ذلك عن إعراضه وإبائه، أتبع ما أعلم أنه ما ذكره إلا للدلالة على النبأ العظيم في لقاء العزيز الرحيم، فقال منتجاً عما مضى من الوعيد وما دل على تمام القدرة مؤكداً لأجل إنكارهم: ﴿ ﮓ ﮔ ﮕ ﴾ أي الذي هو النبأ العظيم"[٧].

وقال أبو السعود:" شروع في بيان سر تأخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفية وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب

---

(١) النبأ:17.

(٢) النبأ:2.

(٣) النبأ:15.

(٤) ق:9.

(٥) ق:11.

(٦) "التحرير والتنوير" 29/30

(٧) "نظم الدرر" 199/21

حسبما جرى به الوعيد إجمالاً[1]

الأقوال السابقة متفقة في أن هذه الآية جاءت لبيان ما في مطلع السورة من النبأ العظيم ،وفيه تفصيل لكيفي

سيجزى به الخلق بعد وقوعه حسب الأعمال، إلا أن ابن عاشور زاد على قول البقاعي وأبي السعود ما هيأ

إلى ذكر يوم الفصل ، وذلك لم يشر إليه البقاعي ولا أبو السعود.

(١) "إرشاد العقل السليم" 88/9

٩٩. (11) قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ)(١).

قال ابن عاشور:"جرى هذا الانتقال على عادة القرآن في تعقيب الإِنذار للمنذَرين بتبشير من هم أهل للتبشير.

فانتقل من ترهيب الكافرين بما سيلاقونه إلى ترغيب المتقين فيما أُعدَّ لهم في الآخرة من كرامة ومن سلامة مما وقع فيه أهل الشرك ،فالجملة متصلة بجملة (ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ)(٢) وهي مستأنفة استئنافاً ابتدائياً بمناسبة مُقتضِي الانتقال"(٣).

بين ابن عاشور أن هذا انتقال من الترهيب إلى الرغيب وأنه جار على عادة القرآن ، وقد مر معنا كثيراً من مثل هذه المناسبة.

قال الرازي:"اعلم أنه تعالى لما ذكر وعيد الكفار أتبعه بوعد الأخيار"(٤).

وقال أبو حيان:" لما ذكر شيئاً من حال أهل النار، ذكر ما لأهل الجنة فقال: ﴿ ﭐ ﭑ ﭒ ﴾"(٥).

وقال البقاعي:" لما ذكر جزاء الكافرين وأشعر آخره بكونه إخزاء، ذكر جزاء المؤمنين المخالفين لهم فقال مستأنفاً مؤكداً لتكذيب الكافرين به: ﴿ ﭐ ﭑ ﴾"(٦).

وقال أبو السعود:"قوله تعالى ﴿ ﭐ ﭑ ﭒ ﴾ شروع في بيان محاسن أحوال المؤمنين إثر بيان سوء أحوال الكفرة"(٧).

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد سبقه إلى ذكرها الرازي وأبو حيان والبقاعي وأبو السعود.

---

(١) النبأ:31.

(٢) النبأ:22.

(٣) "التحرير والتنوير" 43/30

(٤) "مفاتيح الغيب" 20/31

(٥)"البحر المحيط" 406/8

(٦) "نظم الدرر" 209/21

(٧) "إرشاد العقل السليم" 92/9

سورة النازعات

مناسبات الآيات في سورة النازعات

١٠٠. (1) قوله تعالى: (ﮀ ﮁ ﮂ)[١].

قال ابن عاشور: "يحتمل أن يكون ﴿ ﮀ ﴾ جماعات من الملائكة وهم الموكّلون بقبض الأرواح، فالنزع هو إخراج الروح من الجسد شبه بنزع الدلو من البئر أو الركيَّة، ومنهم قولهم في المحْتضَر هو في النزع ، وأجريت صفتهم على صيغة التأنيث بتأويل الجماعة أو الطوائف كقوله تعالى: (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ)[٢] "[٣].

ثم قال:"والقسَم على هذا الوجه مناسب للغرض الأهم من السورة وهو إثبات البعث لأن الموت أول منازل الآخرة فهذا من براعة الاستهلال"[٤].

ذكر ابن عاشور عدة أقوال في تفسير النازعات، ومنها أنها جماعات من الملائكة، ثم ذكر أن هذا القول مناسب لغرض السورة الأهم وهو إثبات البعث والجزاء والرد على المشركين الزاعمين إحالة وقوعه.

وهذه المناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم أجدها عند غيره وهي حسنة جداً ، وهذا النوع من المناسبات أي المناسبات بين معنى الآية وغرض السورة قليل الورود في تفسيره.

---

(١) النازعات:1.

(٢) الحُجُرات:14.

(٣) "التحرير والتنوير" 61/30

(٤) "التحرير والتنوير" 62/30

١٠١. (2) قوله تعالى: (ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ)[١].

قال ابن عاشور: "ه ذه الآية اعتراض بين جملة (ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ)[٢] وبين جملة (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ)[٣] الذي هو الحجة على إثبات البعث ثم الإنذار بما بعده دعت إلى استطراده مناسبة التهديد لمنكري ما أخبرهم به الرسول ﷺ من البعث لتَماثُل حال المشركين في طغيانهم على الله ورسوله ﷺ بحال فرعون وقومه وتماثل حال الرسول ﷺ مع قومه بحال موسى عليه السلام مع فرعون ليحصل من ذكر قصة موسى تسلية للرسول ﷺ وموعظة للمشركين وأيمتهم مثل أبي جهل[٤] وأميةَ بنِ خلف[٥] وأضرابهما لقوله في آخرها (ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ)[٦] "[٧].

بين ابن عاشور أن هذه القصة جاءت معترضة ، وأنها من باب الاستطراد،وذلك أن حال المشركين في زمن النبي > كحال فرعون وقومه وحال النبي > مع المشركين كحال موسى مع فرعون وقومه فجاء هذا الاستطراد تسلية للنبي > ، وهذه المناسبة قد أشار إليها الرازيُّ قبل ابن عاشور ، وذكر مناسبتين لهذه الآية ، وهما ترجعان في الحقيقة إلى ما قاله ابن عاشور، فكل منهما ذكر أنها تسلية للرسول ﷺ وأن هناك تشابهاً بين تمرد المشركين وتمرد فرعون وقومه.

قال الرازي:"اعلم أن وجه المناسبة بين هذه القصة وبين ما قبلها من وجهين:

الأول: أنه تعالى حكى عن الكفار إصرارهم على إنكار البعث حتى انتهوا في

---

(١) النازعات:15.

(٢) النازعات:13.

(٣) النازعات:27.

(٤) عمرو بن هشام بن المغيرة من بني مخزوم القرشي ، أحد جبابرة قريش في الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم، أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ، كان يكنى بأبي الحكم فدعاه المسلمون أبا جهل ، قتل في معركة بدر سنة اثنين (انظر:"الأعلام" للزركلي87/5).

(٥) ابن وهب من بني لؤي القرشي ، أحد جبابرة قريش في الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، هلك بعد معركة بدر سنة اثنين من الهجرة النبوية (انظر:"الأعلام" للزركلي 22/2)

(٦) النازعات:26.

(٧) "التحرير والتنوير" 73/30

ذلك الإنكار إلى حد الاستهزاء في قولهم: (ئا ئـ ئـ ئو ئو ئۇ)[١] وكان ذلك يشق على محمد ﷺ فذكر قصة موسى عليه السلام، وبين أنه تحمل المشقة الكثيرة في دعوة فرعون ليكون ذلك كالتسلية للرسول ﷺ.

الثاني: أن فرعون كان أقوى من كفار قريش وأكثر جمعاً وأشد شوكة، فلما تمرد على موسى أخذه الله نكال الآخرة والأولى، فكذلك هؤلاء المشركون في تمردهم عليك إن أصروا أخذهم الله وجعلهم نكالاً"[٢].

ووافقهما أيضاً أبو حيان وأبو السعود.

قال أبو حيان:" لم أنكروا البعث وتمردوا، شق ذلك على رسول الله ﷺ، فقص تعالى عليه قصة موسى عليه السلام، وتمرد فرعون على الله عز وجل حتى ادعى الربوبية، وما آل إليه حال موسى من النجاة، وحال فرعون من الهلاك، فكان ذلك مسلاة لرسول الله ﷺ وتبشيراً بهلاك من يكذبه، ونجاته هو من أذاهم فقال تعالى: ﴿ ئى ئد ﴾"[٣].

وقال أبو السعود:"قوله تعالى: (ئى ئد ی ی ی)[٤].كلام مستأنف وارد لتسلية رسولِ الله ﷺ ﷺ من تكذيبِ قومِه بأنَّه يُصيبُهم مثل ما أصاب من كانَ أَقْوى منهُم وأعظمَ "[٥].

وهذه الأقوال قريبة من بعض في المعنى كما هو ظاهر.

أما البقاعي فقد شبه قصة موسى مع قومه وما حصل له معهم بيوم القيامة وما فيه من تقلبات الأحوال ، ثم نص على أن هذه القصة سيقت تسلية للنبي > ومواساة له .

فالبقاعي زاد على ما سبق من الأقوال تشبيه قصة موسى عليه السلام بيوم القيامة والجامع بينهما تقلبات الأحوال ، وربطها بما في أول السورة من القسم ، ثم ذكر ما ذكره ابن عاشور ومن معه من أنها تسلية للرسول ﷺ.

قال البقاعي ــ في كلام طويل ــ :" لما كانت قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع القبط

---

(١) النازعات:12.

(٢) "مفاتيح الغيب" 39/31

(٣) "البحر المحيط" 413/8

(٤) النازعات:15.

(٥) "إرشاد العقل السليم" 98/9

أشبه شيء بالقيامة لما حصل فيها من التقلبات والتغيرات وإيجاد المعدومات من الجراد والقمل والضفادع على تلك الهيئات الخارجة عن العادات في أسرع وقت ، وقهر الجبابرة والمن على الضعفاء حتى كان آخر ذلك أن حشر بني إسرائيل فنشطهم من القبط نشطاً رقيقاً كلهم وجميع ما لهم مع دوابهم إلى ربهم وحشر جميع القبط وراءهم فنزعهم نزعاً كلهم بحشر فرعون لهم بأصوات المنادين عنه في أسرع وقت وأيسر أمر إلى هلاكهم كما يحشر الأموات بعد إحيائهم بالصيحة إلى الساهرة، ثم كانت العاقبة في الطائفتين بما للمدبرات أمراً أن نجا

بنو إسرائيل بالبحر كما ينجو يوم البعث المؤمنون بالصراط، وهلك فرعون وآله به كما يتساقط الكافرون بالصراط، وذلك أنه رأى فرعون وجنوده البحر قد انفلق لبني إسرائيل فلم يعتبروا بذلك ثم دخلوا فيه وراءهم، و لم يجوزوا أن الذي حسره عن مكانه قادر على أن يعيده كما ابتدأه فيغرقهم ، واستمروا في عماهم حتى رده الله فأغرقهم به كما أن من يكذب بالقيامة رأى بدء الله له ولغيره وإفناءه بعد إبدائه ثم إنه لم يجز أن يعيده كما بدأه أول مرة، وصل بذلك قوله تعالى جواباً لمن يقول: هل لذلك من دليل؟ مخاطباً لأشرف الخلق إشارة إلى أنه لا يعتبر هذا حق اعتباره إلا أنت، مستفهماً عن الإتيان للتنبيه والحث على جمع النفس على التأمل والتدبر والاعتبار مقرراً ومسلياً له ﷺ ومهدداً للمكذبين أن يكون حالهم - وهم أضعف أهل الأرض لأنه لا ملك لهم - كحال فرعون في هذا، وقد كان أقوى أهل الأرض"(١).

فالمناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد سبقه إلى ذكرها الرازي وأبو حيان وأبو السعود.

---

(١) "نظم الدرر" 227/21

١٠٢. (3) قوله تعالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ)[١] .

في الموضع السابق ذكر ابن عاشور أن قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه كانت من باب الاستطراد وبين الباعث على هذا الاستطراد[٢] .

وهذه الآيات مرتبطة بما قبل قصة موسى ، وأكتفي هنا بنقل ما ذكره ابن عاشور في هذا الموضع.

قال ابن عاشور:" انتقال من الاعتبار بأمثالهم من الأمم الذي هو تخويف وتهديد على تكذيبهم الرسول ﷺ إلى إبطال شبهتهم على نفي البعث وهي قوله: (ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ)[٣] وما أعقبوه به من التهكم المبني على توهم إحالة البعث ، وإذ قد فرضوا استحالة عود الحياة إلى الأجسام البالية إذ مثلوها بأجساد أنفسهم إذ قالوا: ﴿ ﯙ ﯚ ﴾ جاء إبطال شبهتهم بقياس خلق أجسادهم على خلق السماوات والأرض فقيل لهم: ﴿ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﴾، فلذلك قيل لهم هنا ﴿ ﮌ ﴾ بضميرهم و لم يقل: آالإِنسان أشدّ خلقاً، وما هم إلا من الإنسان، فالخطاب موجه إلى المشركين الذين عبر عنهم آنفاً بضمائر الغيبة من قوله: ﴿ ﯙ ﴾ إلى قوله: (ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ)[٤] ، وهو التفات من الغيبة إلى الخطاب.

فالجملة مستأنفة لقصد الجواب عن شبهتهم لأن حكاية شبهتهم بـــ ﴿ ﯙ ﯙ ﴾ إلى آخره، تقتضي ترقب جواب عن ذلك القول كما تقدم الإِيماء إليه عند قوله: ﴿ ﯙ ﯙ ﯚ ﴾ "[٥].

وقد أشار إلى هذا الرجوع بعد الاستطراد الرازيُّ بقوله:" اعلم أنه تعالى لما ختم هذه القصة رجع إلى مخاطبة منكري البعث"[٦].

ونحوه قال البقاعي إلا أنه جعل هذه الآيات كالنتيجة للآيات التي قبل قصة موسى عليه السلام ، قال

---

(١) النازعات:27.

(٢) ص264

(٣) النازعات:10.

(٤) النازعات:14.

(٥) "التحرير والتنوير" 83/30

(٦) "مفاتيح الغيب" 44/31

البقاعي:" لم ختم قصة فرعون – لعنه الله – بالعبرة، وكان أعظم عبرتها القدرة التامة لا سيما على البعث كما هي مشيرة إليه بأولها وآخرها، والعقوبة على التكذيب به لأن التكذيب به يجمع مجامع الشر والتصديق به يجمع مجامع الخير، وكانوا يستبعدونه لاستبعاد القدرة عليه، وصل به ما هو كالنتيجة منه"[1].

---

(١) "نظم الدرر" 238/21

١٠٣. (4) قوله تعالى: (ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ)[١]

قال ابن عاشور:"انتقل الكلام من الاستدلال بخلق السماء إلى الاستدلال بخلق الأرض ،لأن الأرض أقرب إلى مشاهدتهم وما يوجد على الأرض أقرب إلى علمهم بالتفصيل أو الإِجمال القريب من التفصيل"[٢].

وقال البقاعي:"لم بدأ بدلالة العالم العلوي لأنه أدل لما فيه من العجائب والمنافع مع كونه أشرف، فذكر أنه أتقن السماء التي هي كالذكر، ثنى بأنه سوى ما هي لها كالأنثى فقال: ﴿ ﮗ ﴾"[٣].

الاختلاف في العبارتين إنما هو في اختلاف وصف السماء والأرض فجعل ابن عاشور هذا الانتقال انتقالاً من البعيد إلى القريب المشاهد.

أما البقاعي فقد جعل هذا انتقالاً من الأشرف إلى الأقل شرفاً ،ولا تعارض بين هذه الأوصاف.

فهذه المناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد سبقه إلى ذكرها البقاعي ، والخلاف بينهما إنما هو في وصف السماء والأرض.

---

(١) النازعات:30.

(٢) "التحرير والتنوير" 86/30

(٣) "نظم الدرر" 240/21

١٠٤. (5) قوله تعالى: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ)[١] .

قال ابن عاشور:" يجوز أن يكون التفريع على الاستدلال الذي تضمنه قوله: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ)[٢] الآيات، فإن إثبات البعث يقتضي الجزاء إذ هو حكمته ، وإذا اقتضى الجزاء كان على العاقل أن يعمل لجزاء الحسنى ويجتنب ما يوقع في الشقاء، وأن يهتم بالحياة الدائمة فيؤثرها ولا يكترث بنعيم زائل فيتورط في اتباعه، فلذلك فرع على دليل إثبات البعث تذكير بالجزاءين، وإرشاد إلى النجدين.

وإذ قد قُدّم قبل الاستدلال تحذيرٌ إجماليّ بقوله: (ﯓ ﯔ ﯕ)[٣] الآية ، كما يذكر المطلوب قبل القياس في الجدل، جيء عقب الاستدلال بتفصيل ذلك التحذير مع قرنه بالتبشير لمن تحلى بضده فلذلك عبر عن البعث ابتداء بالراجفة لأنها مبدؤه، ثم بالزجرة، وأخيراً بالطامة الكبرى لما في هذين الوصفين من معنى يشمل الراجفة وما بعدها من الأهوال إلى أن يستقر كل فريق في مقره.

ومن تمام المناسبة للتذكير بيوم الجزاء وقوعه عقب التذكير بخلق الأرض، والامتنان بما هَيّأ منها للإِنسان متاعاً به، للإِشارة إلى أن ذلك ينتهي عندما يحين يوم البعث والجزاء"[٤].

بين ابن عاشور أن مناسبة هذه الآية لما قبلها وهي أن الله لما ذكر الخلق الأرض وما امتن على العباد فيها بأصناف النعم وكانت هذه النعم لا تدوم أبداً وإنما له حد تنتهي عنده وذلك حين يأتي يوم البعث والنشور انتقل إلى ذكر ذلك اليوم وما يكون فيه من جزاء للمحسن والمسيء.

أما البقاعي فقد قال:" لما ذكر ما دل على البعث، أتبعه ما يكون عن البعث مسبباً عنه دلالة على أن الوجود ما خلق إلا لأجل البعث لأنه محط الحكمة: ﴿ ﮪ ﮫ ﴾ أي بعد الموت ﴿ ﮬ ﮭ ﮮ ﴾"[٥].

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم أجدها عند غيره، و فيها لفتة لطيفة حيث جعل هذه الآية

---

(١) النازعات:34.

(٢) النازعات:27.

(٣) النازعات:6.

(٤) "التحرير والتنوير" 89/30

(٥) "نظم الدرر" 241/21

كالنتيجة لما قبلها.

سورة عبس

مناسبات الآيات في سورة عبس

١٠٥. (**1**) قوله تعالى: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ)(١) .

قال ابن عاشور: " عطف على جملة (ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ)(٢) اقتضى ذكره قصد المقابلة مع المعطوف عليها مقابلة الضدين إتماماً للتقسيم.

والمراد بمن جاء يسعى هو ابن أم مكتوم(٣) ، فحصل بمضمون هذه الجملة تأكيد لمضمون (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ)(٤) "(٥).

بين ابن عاشور أن هذه الآية وقعت موقع المقابلة بينها وبين قوله: (ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ)وهذه المقابلة مقابلة بين الضدين.

وقد سبقه إلى هذا المعنى البقاعي حيث قال:" لم ذكر المستغني، ذكر مقابله فقال: ﴿ ﭬ ﭭ ﭮ ﴾ حال كونه ﴿ ﭯ ﭰ ﴾ أي مسرعاً رغبة فيما عندك من الخير المذكر بالله وهو فقير ﴿ ﭱ ﴾ أي والحال أنه ﴿ ﭲ ﭳ ﴾(٦) أي يوجد الخوف من الله تعالى ومن الكفار في أذاهم على الإتيان الإتيان إلى النبي ﷺ ومن معاثر الطريق لعماه ﴿ ﭵ ﭶ ﴾ أي خاصة في ذلك المجلس لكونه في الحاصل ﴿ ﭷ ﭸ ﴾(٧) أي تتشاغل لأجل أولئك الأشراف الذين تريد إسلامهم ل يعلو بهم

---

(١) عبس:8.

(٢) عبس:5.

(٣) عبد الله (وقيل:عمرو) ابن قيس بن زائدة بن الأصم القرشي ، صحابي جليل ، شجاع ضرير البصر ،كان مؤذناً للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يستخلفه على المدينة ، توفي سنة ثلاث وعشرين بالمدينة النبوية.

(انظر:"الاستيعاب" لابن عبد البر 979/3 ، 1198 ، "الإصابة" لابن حجر 494/4، "الأعلام" للزركلي 83/5)

(٤) عبس:1-2.

(٥) "التحرير والتنوير" 108/30

(٦) عبس:9.

(٧) عبس:10.

الدين"[1].

فالقولان متفقان في أن هذا من باب المقابلة إلا أن ابن عاشور جعل هذه الآية أيضاً مؤكدة لمضمون قوله تعالى:﴿ ﭑ ﭒ ﴾.

١٠٦. (2) قوله تعالى: **(ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ)**[2] .

قال ابن عاشور:"استئناف ابتدائي نشأ عن ذكر من استغنى، فإنه أريد به معين واحد أو أكثرُ، وذلك يبيِّنه مَا وقع من الكلام الذي دار بين النبي ﷺ وبين صناديد المشركين في المجلس الذي دخل فيه ابن أم مكتوم.

---

(١) "نظم الدرر" 255/21

(٢) عبس:17.

والمناسبة وصفُ القرآن بأنه تذكرة لمن شاء أن يتذكر، وإذ قد كان أكبر دواعيهم على التكذيب بالقرآن أنه أخبر عن البعث وطالَبهم بالإيمان به كان الاستدلال على وقوع البعث أهم ما يعتنى به في هذا التذكير وذلك من أفنان قوله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ)[1] "[2].

جعل ابن عاشور هذه الآية ناشئة عن ذكر من استغنى في أول السورة وهو ما جاء في قوله تعالى: (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮﭯ ﭰ ﭱ ﭲ)[3] وبين أن هذه الآية جاءت للرد على المشركين المنكرين للبعث وما جاء به القرآن من إثباته والدعوة إلى الإيمان بوقوعه ، والقرآن قد ورد ذكره في الآيات السابقة ووُصِفَ بأنه تذكرة لمن شاء.

وهذا المناسبة التي ذكرها ابن عاشور لطيفة ودقيقة ، تدل على علو شأن ابن عاشور في إبراز المناسبة بين الآيات.

أما الرازي فلم يذكر المناسبة بين هذه الآية وبين الآيات السابقة لها التي ذكر فيها وصف القرآن وأنه تذكرة وإنما جعلها مرتبطة بما قبل ذلك.

قال الرازي: "اعلم أنه تعالى لما بدأ بذكر القصة المشتملة على ترفع صناديد قريش على فقراء المسلمين، عَجِب عباده المؤمنين من ذلك، فكأنه قيل: وأي سبب في هذا العجب والترفع مع أن أوله نطفة قذرة وآخره جيفة مذرة، وفيها بين الوقتين حمال عذرة، فلا جرم ذكر تعالى ما يصلح أن يكون علاجاً لعجبهم، وما يصلح أن يكون علاجاً لكفرهم، فإن خلقة الإنسان تصلح لأن يستدل بها على وجود الصانع، ولأن يستدل بها على القول بالبعث والحشر والنشر"[4].

ونلاحظ أن النتيجة من القولين واحدة ، فالغرض الذي سيقت من أجله هذه الآية هو إثبات البعث والرد على منكريه.

وقد أشار البقاعي إلى نحو هذا المعنى إلا أنه لم يصرح بذكر الأمر الذي أنكره المشركون وهو

---

(١) عبس:12.

(٢) "التحرير والتنوير" 30 /119

(٣) عبس:5-6.

(٤) "مفاتيح الغيب" 60/31

أمر البعث المشار إليه في هذه الآيات والذي سببه ذكر أوصاف القرآن.

قال البقاعي:" كان الوصف بهذه الأوصاف العالية للكتبة الذين أيديهم ظرف للصحف التي هي ظرف للتذكرة للتنبيه على علو المكتوب وجلالة مقداره وعظمة آثاره وظهور ذلك لمن تدبره وتأمله حق تأمله وأنعم نظره، عقبه بقوله ناعياً على من لم يقبل بكليته عليه داعياً بأعظم شدائد الدنيا التي هي القتل في صيغة الخبر لأنه أبلغ: ﴿ ﮐ ﮑ ﴾ أي هذا النوع الآنس بنفسه الناسي لربه المتكبر على غيره المعجب بشمائله التي أبدعها له خالقه، حصل قتله بلعنه وطرده وفرغ منه بأيسر سعي وأسهله من كل من يصح ذلك منه لأنه أسرع شيء إلى الفساد لأنه مبني على النقائص إلا من عصم الله ﴿ ﮒ ﮓ ﮔ ﴾ أي ما أشد تغطيته للحق وجحده له وعناده فيه لإنكاره البعث وإشراكه بربه وغير ذلك من أمره"[1].

وما ذكره ابن عاشور أحسن وأدق مما ذكره الرازي والبقاعي.

---

(١) "نظم الدرر" 258/21

١٠٧. (3) قوله تعالى: (ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ)(١).

قال ابن عاشور: "هذا استدلال آخر على تقريب كيفية البعث انتقل إليه في معرض الإرشاد إلى تدارك الإنسان ما أهمله ، وكان الانتقال من الاستدلال بما في خَلْق الإنسان من بديع الصنع من دلائل قائمة بنفسه في آية: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ)(٢) إلى الاستدلال بأحوال موجودة في بعض الكائنات شديدة الملازمة لحياة الإنسان ترسيخاً للاستدلال، وتفنناً فيه، وتعريضاً بالمنة على الإنسان في هذه الدلائل، من نعمة النبات الذي به بقاء حياة الإنسان وحياة ما ينفعه من الأنعام"(٣).

بين ابن عاشور أن هذه الآية جاءت لترسيخ الاستدلال على إمكانية البعث ، فلما ذكر الله خلق الإنسان وما فيه من بديع الصنع وما اشتمل عليه خلقه من دلائل البعث انتقل إلى الأحوال المحيطة بالإنسان الملازمة له في حياته المحتاج إليها.

و لم ينفرد ابن عاشور ببيان هذا المعنى فقد أشار إليه الرازي أيضاً حيث قال:" اعلم أن عادة الله تعالى جارية في القرآن بأنه كلما ذكر الدلائل الموجودة في الأنفس، فإنه يذكر عقيبها الدلائل الموجودة في الآفاق فجرى ههنا على تلك العادة وذكر دلائل الآفاق وبدأ بما يحتاج الإنسان إليه. فقال: (ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ)الذي يعيش به كيف دبرنا أمره"(٤).

وكذلك أشار إليه أبو حيان حيث قال:" لما عدّد تعالى نعمه في نفس الإنسان، ذكر النعم فيما به قوام حياته، وأمره بالنظر إلى طعامه وكيفيات الأحوال التي اعتورت على طعامه حتى صار بصدد أن يطعم"(٥).

و ذكر أبو السعود قولاً قريباً منه حيث قال:"قوله تعالى (ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ) شروعٌ في تعداد النعم المتعلقة ببقائِه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه أي فلينظر إلى طعامِه الذي عليه يدور أمر

---

(١) عبس:24.

(٢) عبس:18.

(٣) "التحرير والتنوير" 129/30

(٤) "مفاتيح الغيب" 62/30

(٥) "البحر المحيط" 420/8

معاشهِ كيف دَبَّرْناه"[١].

فكل منهم ذكر أن الله أعقب الدلائل الموجودة في الأنفس بالدلائل الموجودة في الآفاق وعبر عنها ابن عاشور بالأحوال المحيطة بالإنسان وعبر عنها أبو حيان بما فيه قوام الإنسان ، وعبر عنها أبو السعود بما يدور معاش الإنسان عليه .

أما البقاعي فقد أتى بمعنى آخر، حيث أوضح أن هذه الآية فيها بيان لتقصير الإنسان وحث له على أداء الشكر والتفكر فيما خلقه الله من أسباب حياته ،ثم ذكر أن هذه النعم فيها قوامه، وهذا قريب مما ذكره أبو حيان، ثم أشار البقاعي إلى احتياج الإنسان إلى به مدة بقائه.

قال البقاعي:"لما ردعه بعد تفصيل ما له في نفسه من الآيات، وأشار إلى ما له من النقائص، شرع يقيم الدليل على تقصيره بأنه لا يقدر على شكر نعمة المنعم فيما له من المطعم الذي به قوامه فكيف بغيرها في أسلوب دال على الإنشار بآيات الآفاق منبه على سائر النعم في مدة بقائه المستلزم لدوام احتياجه إلى ربه فقال مسبباً عن ذلك: (ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ) أي يوقع النظر التام على كل شيء يقدر على النظر به من بصره وبصيرته ومدّ له المدى فقال: ﴿ ﯬ ﯭ ﯮ ﴾ يعني مطعومه وما يتصل به ملتفتاً إليه بكليته بالاعتبار بما فيه من العبر التي منها أنا لو لم نيسره له هلك"[٢].

فالمناسبة التي ذكرها ابن عاشور لم ينفرد بها وإنما سبقه إلى ذكرها الرازي وأبو حيان وأبو السعود.

---

(١) "إرشاد العقل السليم" 111/9

(٢) "نظم الدرر" 264/21

سورة التكوير

مناسبات الآيات في سورة التكوير

١٠٨. (1) قوله تعالى: ﴿ڤ ڤ ڤ﴾(١).

قال ابن عاشور:"وقوله تعالى: ﴿ڤ ڤ ڤ﴾شروع في ذكر الأحوال الحاصلة في الآخرة يوم القيامة، وقد انتقل إلى ذكرها لأنها تحصل عقب الستة التي قبلها وابتدىء بأولها وهو تزويج النفوس"(٢).

وقال الرازي: "واعلم أن هذه العلامات الستة يمكن وقوعها في أول زمان تخريب الدنيا، ويمكن وقوعها أيضاً بعد قيام القيامة، وليس في اللفظ ما يدل على أحد الاحتمالين، أما الستة الباقية فإنها مختصة بالقيامة: السابع: قوله تعالى: ﴿ڤ ڤ ڤ﴾"(٣).

وقال البقاعي: "لما ذكر من الآيات العلوية من عالم الملك اثنين ومن السفلية أربعة، فأفهم جميع الخلق أن الأمر في غاية الخطر فتشوفت النفوس إلى ما يفعل في ذلك كلاً لما أراد من عالم الغيب والملكوت، وهو أمور ستة على عدد ما مضى من عالم الملك والشهادة ترغيباً في الأعمال الصالحة والقرناء الصالحين، فقال مبتدئاً بما يناسب تكوير الشمس: ﴿ڤ ڤ﴾"(٤).

وقال أبو السعود:"هذهِ اثنتا عشرةَ خصلة ، ستٌّ منها في الدُّنيا أي فيمَا بينَ النفختين وهنَّ من أول السورةِ إلى قوله تعالى: ﴿ٹ ٹ ٹ﴾(٥) على أنَّ المرادَ بحشرِ الوحوشِ جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاصِ وستٌّ في الآخرة أي بعدَ النفخةِ الثانية"(٦).

عبارة ابن عاشور موافقة لما قاله الرازي وأبو السعود ، فهذه الستة الباقية تحصل عقب الستة الماضية و لم يزيدوا على ذلك ، وأما البقاعي فقد زاد على ما ذكروه ببيان مناسبة الابتداء بالنفوس من بين

---

(١) التكوير:7.

(٢) "التحرير والتنوير" 143/30

(٣) "مفاتيح الغيب" 69/31

(٤) "نظم الدرر" 279/21

(٥) التكوير:6.

(٦) "إرشاد العقل السليم" 116/9

الستة الباقية فبين أنها مناسبة لتكوير الشمس.

١٠٩. (2) قوله تعالى: (ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ)[١].

قال ابن عاشور:" عطف على جملة: (ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ)[٢] .

والمناسبة بين الجملتين أن المشركين كانوا إذا بلغهم أن الرسول ﷺ يخبر أنه نَزل عليه جبريل بالوحي من وقت غار حراء فما بعده استهزأوا وقالوا: إن ذلك الذي يتراءى له هو جنّي، فكذبهم الله بنفي الجنون عنه ، ثم بتحقيق أنه إنما رأى جبريل القويّ الأمين. فضمير الرفع عائد إلى صاحب من قوله: ﴿ ﮨ ﮩ ﴾ وضمير النصب عائد إلى (ﮔ ﮕ ﮖ)[٣] ، وسياق الكرم يبين معاد الرائِي والمرئي"[٤].

بين ابن عاشور أن هذه الآية جاءت تحقيقاً لنفي الجنون عن النبي ﷺ ورداً على زعم المشركين أن الذي رآه النبي ﷺ إنما هو جني ، وهذا يعد تأكيداً للآية السابقة وهو معنى ما أشار إليه البقاعي بقوله:" لما كان المجنون لا يثبت ما يسمعه ولا ما يبصره حق الإثبات، فكان التقدير بعد هذا النفي: فلقد سمع من رسولنا إليه ما أرسل به حق السمع، ما التبس عليه فيه حق بباطل، عطف عليه الإخبار برفعه شأنه في رؤية ما لم يره غيره وأمانته وجوده فقال: ﴿ ﮬ ﮭ ﴾ "[٥].

فقول البقاعي : " سمع من رسولنا إليه ما أرسل به حق السمع " هو كقول ابن عاشور :"ثم بتحقيق أنه رأى جبريل القوي الأمين" ، فالمراد تحقيق نفي الجنون والرد على المشركين.

---

(١) التكوير:23.

(٢) التكوير:22.

(٣) التكوير:19.

(٤) "التحرير والتنوير" 159/30

(٥) "نظم الدرر" 292/21

سورة الانفطار

مناسبات الآيات في سورة الانفطار

١١٠. (1) قوله تعالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ)(١).

قال ابن عاشور:" فصلت هذه الجملة عن التي قبلها لأنها استئناف بياني جوابٌ عن سؤال يخطر في نفس السامع يثيره قوله: (ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ)(٢) الآية لتشوف النفس إلى معرفة هذا الجزاء ما هو، وإلى معرفة غاية إقامة الملائكة لإِحصاء الأعمال ما هي، فبُين ذلك بقوله: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ) الآية.

وأيضاً تتضمن هذه الجملة تقسيم أصحاب الأعمال فهي تفصيل لجملة (ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ)(٣) وذلك من مقتضيات فصل الجملة عن التي قبلها "(٤).

أجاب ابن عاشور عن سؤال قد يرد في ذهن القارئ وهو: لماذا فصلت هذه الآيات عما قبلها وما وجه اتصالها بها؟

فبين أن هذه الآيات بيان لجزاء من صدق بيوم الدين وبيان لغاية الإحصاء ما هي.

وأضاف أيضاً أن هذه الآيات تفصيل لجملة الأفعال المذكورة في قوله تعالى: (ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ) فمن فعل خيراً فجزاؤه النعيم ومن فعل شراً فجزاؤه الجحيم.

وهذا الوجه الثاني قد أشار إليه الرازي أيضاً حيث قال:" اعلم أن الله تعالى لما وصف الكرام الكاتبين لأعمال العباد ذكر أحوال العاملين فقال: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ) وهو نعيم الجنة (ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ)(٥) وهو النار "(٦).

وقريب منه قول أبي السعود حيث قال:" وقوله تعالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ) استئناف مسوق لبيان

---

(١) الانفطار:13.

(٢) الانفطار:9-10

(٣) الانفطار:12.

(٤) "التحرير والتنوير" 30 /181

(٥) الانفطار:14.

(٦) "مفاتيح الغيب" 85/31

نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب"[١].

فقول الرازي :"ذكر أحوال العاملين" وقول أبي السعود :"مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب .." هو كقول ابن عاشور :"قسيم أصحاب الأعمال" .

أما البقاعي فقد زاد في التفصيل كعادته.

قال البقاعي:" لما كانت نتيجة حفظ الأعمال الجزاء عليها، أنتج ذلك بيان ما كانت الكتابة لأجله تفريقاً بين المحسن والمسيء الذي لا يصح في حكمة حكيم ولا كرم كريم غيره بقوله على سبيل التأكيد، لأجل تكذيبهم:﴿ ژ ژ ﴾ "[٢].

وهذا موافق للأقوال السابقة.

أما الوجه الأول الذي ذكره ابن عاشور فهو وجه بديع لم أجده عند غيره.

---

(١) "إرشاد العقل السليم" 122/9

(٢) "نظم الدرر" 306/21

سورة المطففين

مناسبات الآيات في سورة المطففين

١١١. (1) قوله تعالى: (ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ)[١] قال ابن عاشور:" يظهر أن هذه الآيات المنتهية بقوله: (ﮥ ﮦ ﮧ)[٢] من الحكاية وليست من الكلام المحكي بقوله: (ﮃ ﮄ)[٣] الخ، فإن هذه الجملة بحذافرها تشبه جملة: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ)[٤] ...إلخ أسلوباً ومقابلةً.

فالوجه أن يكون مضمونها قسيماً لمضمون شبيهها ، فتحصلُ مقابلة وعيد الفجار بوعد الأبرار، ومن عادة القرآن تعقيب الإنذار بالتبشير والعكس لأن الناس راهب وراغب ، فالتعرضُ لنعيم الأبرار إدماج اقتضته المناسبة وإن كان المقام من أول السورة مقام إنذار.

ويكون المتكلم بالوعد والوعيد واحداً وجَّه كلامه للفجار الذين لا يظنون أنهم مبعوثون، وأعقبه بتوجيه كلام للأبرار الذين هم بضد ذلك، فتكون هذه الآيات معترضة متصلة بحرف الردع على أوضح الوجهين المتقدمين فيه"[٥].

وقال الرازي:" اعلم أنه تعالى لما ذكر حال الفجار المطففين، أتبعه بذكر حال الأبرار الذين لا يطففون "[٦].

وقال البقاعي:" لما ذكر ما للمكذبين من العذاب الذي جره إليهم إقبالهم على الدنيا بادئاً به لأن المقام من أول السورة للوعيد وصوادع التهديد، أتبعه ما للمصدقين الذين أقبل بهم إلى السعادة ترك الحظ وإعراضهم عن عاجل شهوات الدنيا، فقال مؤكداً لأجل﴿ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﴾"[٧].

---

(١) المطفّفين:18.

(٢) المطفّفين:21.

(٣) المطفّفين:17.

(٤) المطفّفين:7.

(٥) "التحرير والتنوير" 202/30

(٦) "مفاتيح الغيب" 97/31

(٧) "نظم الدرر" 325/21

وقال أبو حيان[1]"ذكر تعالى أمر كتاب الفجار، عقبه بذكر كتاب ضدهم ليتبين الفرق

وقال أبو السعود:" وقولُه تعالَى ﴿ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﴾ استئنافٌ مسوقٌ لبيانِ محلِ كتابِ الأبرارِ بعدهُ بيانُ سوءِ حالِ الفُجَّارِ مُتصلاً ببيانِ سُوءِ حالِ كتابِهم"[2].

هذه الأقوال متفقة في بيان وجه اتصال هذه الآيات بما قبلها وأنها من مقابلة وعيد الفجار بوعيد الأبرار على عادة القرآن بإتباع الترغيب بالترهيب أو العكس،وهذا الذي ذكره ابن عاشور وتبع فيه غيره مبني على أن قوله تعالى: ﴿ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﴾ وما بعدها من الآيات جاءت على أسلوب الحكاية كما في قوله تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﴾ وليست من الكلام المحكي المذكور في قوله تعالى: (ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ)[3].

و لم أجد من تعرض لهذا التفصيل غير ابن عاشور،وقد ذكر ابن عاشور وجهاً آخر لمناسبة هذه الآية لما قبلها وذلك إن جعلت محكية بالقول المذكور في قوله تعالى: ﴿ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﴾ حيث قال: " ويجوز أن تكون من المحكي بالقول في: ﴿ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﴾ فتكون محكية بالقول المذكور متصلة بالجملة التي قبلها وبحرف الإبطال على أن يكون القائلون لهم: ﴿ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﴾ على وجه التوبيخ، أعقبوا توبيخهم بوصف نعيم المؤمنين بالبعث تنديماً للذين أنكروه وتحسيراً لهم على ما أفاتوه من الخير"[4].

فبين أن هذه الجملة على هذا القول متصلة بما قبلها فهي من باب التوبيخ للكفار بذكر أوصاف المؤمنين المط لتحصل لهم الحسرة على ترك فعل الخير،ولم أجد من أشار إلى هذا المعنى الذي ذكره ابن عاشور ، ويظهر بهـ الوجهين دقة فهم ابن عاشور وعمق فهمه في إدراك المناسبات بين الآيات على اختلاف معانيها.

---

(١) "البحر المحيط" 434/8

(٢) "إرشاد العقل السليم" 127/9

(٣) المطفِّفين:17.

(٤) "التحرير والتنوير" 203/30

١١٢. (2) قوله تعالى: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ)[١].

قال ابن عاشور: "ه ذه من جملة القول الذي يقال يوم القيامة للفجار المحكيّ

بقوله تعالى: ﴿ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ﴾لأنه مرتبط بقوله في آخره: (ﺜ ﺝ ﺞ ﺟ ﺠ ﺡ ﺢ)[٢].

إذ يتعين أن يكون قوله: (ﺜ ﺝ ﺞ ﺟ ﺠ ﺡ ﺢ) حكاية كلام يصدر في يوم

(١) المطفّفين:29.

(٢) المطفّفين:34.

القيامة، إذ تعريف (اليوم) باللام ونصبه على الظرفية يقتضيان أنه يوم حاضر موقّت به الفعل المتعلق هو به، ومعلوم أن اليوم الذي يَضحَك فيه المؤمنون من الكفار وهم على الأرائك هو يوم حاضر حين نزول هذه الآيات وسيأتي مزيد إيضاح لهذا.

ولأن قوله: ﴿ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﴾ ظاهر في أنه حكاية كونٍ مضى، وكذلك معطوفاته من قوله: (ﯴ ﯵ ﯶ)[١]، (ﯻ ﯼ ﯽ)[٢]، (ﭑ ﭒ ﭓ)[٣] فدل السياق على أن هذا الكلام حكاية قول ينادي به يوم القيامة مِن حضرة القدس على رؤوس الأشهاد.

فإذا جريتَ على ثاني الوجهين المتقدمين في موقع جُمل (ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ)[٤] الآيات[٥]، من أنها محكية بالقول الواقع في قوله تعالى: ﴿ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ﴾[٦] إلى هنا فهذه متصلة بها.

والتعبير عنهم بالذين أجرموا إظهار في مقام الإِضمار على طريقة الالتفات إذ مقتضى الظاهر أن يقال لهم: إنكم كنتم من الذين آمنوا تضحكون، وهكذا على طريق الخطاب.

وإن جريت على الوجه الأول بجعل تلك الجمل اعتراضاً، فهذه الجملة مبدأ كلام متصل بقوله: (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ)[٧] واقع موقع بدل الاشتمال لمضمون جملة: ﴿ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﴾باعتبار ما جاء في آخر هذا من قوله: (ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ) فالتعبير بالذين أجرموا إذَن جار على مقتضى الظاهر وليس بالتفات.

وقد اتّضح بما قرَّرناه تناسب نظم هذه الآيات من قوله: (ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ)إلى هنا مزيدَ اتضاح.

---

(١) المطفِّفين:30.

(٢) المطفِّفين:31.

(٣) المطفِّفين:32.

(٤) المطفِّفين:18.

(٥) انظر المناسبة السابقة.

(٦) المطفِّفين:17.

(٧) المطفِّفين:16.

وذلك مما أغفل المفسرون العناية بتوضيحه، سوى أن ابن عطية أورد كلمة مجملة فقال: "ولما كانت الآيات المتقدمة قد نيطت بيوم القيامة وأن الويل يومئذ للمكذبين ساغ أن يقول: ﴿ ﰜ ﴾ على حكاية ما يقال "[(١)].اهـ.

و ﴿ ﮯ ﴾ في المواضع الثلاثة مستعمل للزمان الماضي كقوله تعالى: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ)[(٢)] و قوله : (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ)[(٣)].

والمقصود من ذكره أنه بعد أن ذكر حال المشركين على حِدة، وذكر حال المسلمين على حِدة، أعقب بما فيه صفة لعاقبة المشركين في معاملتهم للمؤمنين في الدنيا ليعلموا جزاء الفريقين معاً "[(٤)].

وقال ابن عاشور أيضاً: "وقوله: (ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ في اتصال نظمه بما قبله غموض ، وسكت عنه جميع المفسرين عدا ابن عطية ، ذلك أن تعريف اليوم باللام مع كونه ظرفاً منصوباً يقتضي أن اليوم مراد به يومٌ حاضر في وقت نزول الآية نظير وقتِ كلام المتكلم إذا قال: اليوم يكون كذا، يتعين أنه يخبر عن يومه الحاضر، فليس ضَحِك الذين آمنوا على الكفار بحاصل في وقت نزول الآية ، وإنما يحصل يوم الجَزاء، ولا يستقيم تفسير قوله: ﴿ ﰜ ﴾ بمعنى: فيوم القيامة الذين آمنوا يضحكون من الكفار، لأنه لو كان كذلك لكان مقتضى النظم أن يقال فيومئذ الذين آمنوا من الكفار يضحكون ،وابن عطية استشعر إشكالها فقال: "ولما كانت الآيات المتقدمة قد نيطت بيوم القيامة وأن الويل يومئذ للمكذبين ساغ أن يقول: ﴿ ﰜ ﴾ على حكاية ما يقال يومئذ وما يكون " ا.هـ ، وهو انقداح زناد يحتاج في تَنَوُّرِهِ إلى أعواد،فإمّا أن نجعل ما قبله متصلاً بالكلام الذي يقال لهم يوم القيامة ابتداء من قوله: ﴿ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ إلى هنا كما تقدم ،وإمّا أن يجعل قوله: (ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ) إلخ مقول قول محذوف دل عليه قوله في الآية قبله: ﴿ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﴾.والتقدير: يقال لهم اليومَ

---

(١) "المحرر الوجيز" لابن عطية 454/6

(٢) التوبة:92.

(٣) النساء:83.

(٤) "التحرير والتنوير" 209/30.

الذين آمنوا يضحكون منكم"[١].

استشكل ابن عاشور وجه اتصال قوله تعالى: ﴿ثج ثم ثى ثي جح جم حج﴾ بما قبله وبين أنه غامض ، وأن المفسرين لم يتعرضوا لبيان وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ، وذلك أنها معرفة باللام ، فيقتضي أن يكون اليوم حاضراً وقت نزول الآية.

وبين أن ابن عطية قد أشار إلى وجه اتصالها بما قبلها إشارة تحتاج إلى بيان وإيضاح ، ولم يقصِّر ابن عاشور في شرح ما أوجزه ابن عطية ،فأوضح أن قوله تعالى: ﴿ثج﴾ إما أن يكون من جملة المحكي عنه بقوله: ﴿ک ک گ گ گ گ گ﴾فيكون حكاية كلام يصدر في يوم القيامة،أو يكون مقول قول محذوف تقديره يقال لهم اليوم الذين آمنوا يضحكون منكم.

والوجه الأول قد أشار إليه ابن عطية كما مضى ، أما الوجه الثاني فهو مما زاده ابن عاشور على ما ذكره ابن عطية.

---

(١) "التحرير والتنوير" 214/30.

سورة الانشقاق

مناسبات الآيات في سورة الانشقاق

١١٣. (1) قوله تعالى: (ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ)[١].

قال ابن عاشور:"مناسبة الأمور المقسم بها هنا للمقسم عليه أن [٢] الشفق والليل والقمر تخالط أحوالاً بين الظلمة وظهور النور معها ، أو في خلالها ، وذلك مناسبة لما في قوله: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ)[٣] من تفاوت الأحوال التي يتخبط فيها الناس يوم القيامة أو في حياتهم الدنيا أو من ظهور أحوال خير في خلال أحوال شر أو انتظار تغير الأحوال إلى ما يرضيهم إن كان الخطاب للمسلمين خاصة كما سيأتي.

ولعل ذكر الشفق إيماء إلى أنه يشبه حالة انتهاء الدنيا لأن غروب الشمس مثل حالة الموت ، وأن ذكر الليل إيماء إلى شدة الهول يوم الحساب وذكر القمر إيماء إلى حصول الرحمة للمؤمنين"[٤].

بين ابن عاشور المناسبة بين المقسم به وبين المقسم عليه، وذكر أن الجامع بينهما هو أن كلاً منهما يخالط أحوالاً مختلفة، فالشفق والليل والقمر تمر بأحوال مختلفة من الظلمة وظهور النور معها أو في خلالها ، وكذلك الحال في قوله تعالى: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ)فأحوال الناس متفاوتة في الدنيا وفي يوم القيامة ، وهذه مناسبة جليلة بينها ابن عاشور و لم أجد من تحدث عن المناسبة بين هذه المقسم بها وبين المقسم عليه عند غيره من المفسرين.

---

(١) الانشقاق:16.

(٢) في المطبوع :(لأن الشفق والليل والقمر).

(٣) الانشقاق:19.

(٤) "التحرير والتنوير" 226/30

سورة البروج

مناسبات الآيات في سورة البروج

١١٤. (1) قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ)[١] .

قال ابن عاشور:" ومناسبةُ القسم لما أقسم عليه أن المقسم عليه تضمن العبرة بقصة أصحاب الأخدود، ولما كانت الأخاديد خُطوطاً مجعولة في الأرض مستَعِرَة بالنار أقسم على ما تضمنها بالسماء بقيد صفة من صفاتها التي يلوح فيها للناظرين في نجومها ما سماه العرب بروجاً وهي تشبه دارات متلألئة بأنوار النجوم اللامعة الشبيهة بتلهب النار.

والقسم بالسماء بوصف ذات البروج يتضمن قسماً بالأمرين معاً لتلتفت أفكارُ المتدبرين إلى ما في هذه المخلوقات وهذه الأحوال من دلالة على عظيم القدرة وسعة العلم الإلهي إذ خلقها على تلك المقادير المضبوطة لينتفع بها الناس في مواقيت الأشهر والفصل ، كما قال تعالى في نحو هذا: (ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ)[٢] "[٣].

بين ابن عاشور أن المناسبة بين القسم والمقسم عليه ــ وهو العبرة بقصة أصحاب الأخدود ــ هي أن الأخاديد المستعرة بالنار كانت على شكل خطوط في الأرض فأقسم الله بالسماء ذات البروج اللامعة والملتهبة.

و لم أجد من أشار إلى هذا المعنى الذي ذكره ابن عاشور ، وهو وإن كان بعيداً إلا أنه دقيق كما هو ظاهر من تعبيره.

---

(١) البروج:1.

(٢) المائدة:97.

(٣) "التحرير والتنوير" 237/30

١١٥. (2) قوله تعالى: (ﭙ ﭚ)[١] .

قال ابن عاشور:"وأما مناسبة القسم باليوم الموعود فلأنه يوم القيامة باتفاق أهل التأويل لأن الله وعد بوقوعه قال تعالى: (ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ)[٢] مع ما في القَسم به من إدماج الإِيماء إلى وعيد أصحاب القصة المقسَم على مضمونها، ووعيد أمثالهم المعرَّض بهم"[٣].

بين ابن عاشور مناسبة القسم باليوم الموعود ـــوهو يوم القيامة ـــ وهي أن فيه وعيداً لأصحاب قصة الأخدود ووعيداً لمن حذا حذوهم.

وهذه المناسبة لم أجد من أشار إليها غير ابن عاشور.

---

(١) البروج:2.

(٢) المعارج:44.

(٣)"التحرير والتنوير" 238/30

١١٦. (3) قوله تعالى: (ﭘ ﭙ ﭚ)[١] .

قال ابن عاشور:" ومناسبة القسم بـ (ﭘ ﭙ ﭚ) على اختلاف تأويلاته، ستُذكر عند ذكر التأويلات وهي قريبة من مناسبة القَسم باليوم الموعود، ويقابله في المقسم عليه قوله: (ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ)[٢]"[٣].

وقد ذكر المناسبة بقوله:" وعلى مختلف الوجوه فالمناسبة ظاهرة بين (ﭘ ﭙ ﭚ) وبين ما في المقسم عليه من قوله (ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ)[٤] وقوله: (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ)[٥] أي حضور"[٦].

وهذا المعنى الذي أشار إليه ابن عاشور قد ذكره أبو حيان في "البحر المحيط" حيث قال:

" لما ذكر (ﭙ ﭚ)[٧] وهو يوم القيامة باتفاق، وروي ذلك عن النبي ﷺ[٨]، ناسب أن يكون المقسم به من يشهد في ذلك اليوم ومن يشهد عليه ، إن كان ذلك من الشهادة، وإن كان من الحضور، فالشاهد: الخلائق الحاضرون للحساب، والمشهود: اليوم، كما قال تعالى: (ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ)[٩] كان

---

(١) البروج:3.

(٢) البروج:7.

(٣) "التحرير والتنوير" 238/30

(٤) البروج:7.

(٥) البروج:6.

(٦)"التحرير والتنوير" 239/30

(٧) البروج:2.

(٨) أخرجه الترمذي في "سننه " رقم (3339) 361/5 ، أبواب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة البروج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال الترمذي : "لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة ، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث ، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره من قبل حفظه" .
والحديث صححه الألباني في "صحيح الترمذي" رقم (2659) 128/3.

(٩) هود:103.

موعوداً به فصار مشهوداً "[1].

---

(١) "البحر المحيط" 443/8

سورة الطارق

مناسبات الآيات في سورة الطارق

١١٧. (1) قوله تعالى: (ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ)[١].

قال ابن عاشور:" بعد أن تبين الدليل على إمكان البعث أعقب بتحقيق أن القرآن حق ، وأن ما فيه قول فصل إبطالاً لما مُوِّه عليهم من أن أخباره غير صادقة إذ قد أخبرهم بإحياء الرمم البالية.

فالجملة استئناف ابتدائي لغرض من أغراض السورة"[٢].

وقال الرازي: "اعلم أنه سبحانه وتعالى لما فرغ من دليل التوحيد، والمعاد أقسم قسماً آخر"[٣].

وقال البقاعي:" لما اشتملت هذه الجمل على وجازتها على الذروة العليا من البلاغة في إثبات البعث والجزاء والوحدانية له سبحانه وتعالى إلى غير ذلك من بحور العلوم، فثبت أن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى، فثبت أن كل ما فيه حق مع منازعتهم في ذلك كله، اقتضى الحال الإقسام على حقيته فقال: ﴿ ﮱ ﴾ "[٤].

قول ابن عاشور موافق لما قاله الرازي و البقاعي ، فهذا القسم جاء لتحقيق أن القرآن الذي أخبر بإمكان البعث حق وصدق.

وهذه المناسبة واضحة تمام الوضوح ، ويلاحظ أن الرازي لم يصرح هنا بسبب إعادة الإقسام.

---

(١) الطارق:11.

(٢) "التحرير والتنوير" 266/30

(٣) "مفاتيح الغيب" 133/31

(٤) "نظم الدرر" 381/21

سورة الأعلى

مناسبات الآيات في سورة الأعلى

١١٨. (1) قوله تعالى: (ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ)[(١)].

قال ابن عاشور:"بعد أن ثبَّت الله رسوله > تكفل له ما أزال فَرَقه من أعباء الرسالة وما اطمأنت به نفسه من دفع ما خافه من ضُعف عن أدائه الرسالةَ على وجهها ،وتكفل له دفع نسيان ما يوحى إليه إلا ما كان إنساؤه مراداً لله تعالى ، ووعده بأنه وفقه وهيأه لذلك وييسره عليه، إذ كان الرسول > وهو في مبدأ عهده بالرسالة ــ إذ كانت هذه السورة ثامنة السورــ لا يعلم ما سيتعهد الله به فيخشى أن يقصر عن مراد الله فيلحقه غضب منه أو ملام ، أعقب ذلك بأنْ أمَرَه بالتذكير، أي التبليغ، أي بالاستمرار عليه، إرهافاً لعزمه، وشحذاً لنشاطه ليكون إقباله على التذكير بشراشره[(٢)] فإن امتثال الأمر إذا عاضده إقبال النفس على فعل المأمور به كان فيه مسرة للمأمور، فجَمع بين أداء الواجب وإرضاء الخاطر ،فالفاء للتفريع على ما تقدم تفريعَ النتيجة على المقدمات"[(٣)].

بين ابن عاشور أن هذه الآية فيها شحذ لهمة الرسول > في الاستمرار بتبليغ الرسالة بعد أن طمأنه الله تعالى وتكفل له حفظ ما أنزله عليه ووعده بالتيسير والمعونة ،وهذا الاستمرار في التبليغ يعد استكمالاً لخصال الخير وسيراً في طلب التمام.

وهذا المعنى البديع قد أشار إليه الرازي أيضاً حيث قال:"اعلم أنه تعالى لما تكمل بتيسير جميع مصالح الدنيا والآخرة أمر بدعوة الخلق إلى الحق، لأن كمال حال الإنسان في أن يتخلق بأخلاق الله سبحانه تاماً وفوق التمام، فلما صار محمد عليه

---

(١) الأعلى:9.

(٢) الشراشر : النفس و جميع الجسد والمحبة ، انظر "القاموس المحيط"ص 451 مادة (شر) ، "لسان العرب" لابن منظور 400/4 مادة (شرر) ، والمعنى أن تقبل نفسه على التذكير ، وينصرف إليه بكُلِّيتهِ ويعطيه اهتمامه.

(٣) "التحرير والتنوير" 283/30

الصلاة والسلام تاماً بمقتضى قوله: (ې ې ۑ)[١] أمر بأن يجعل نفسه فوق التمام بمقتضى قوله:﴿ ۑ ﴾ لأن التذكير يقتضي تكميل الناقصين وهداية الجاهلين، ومن كان كذلك كان فياضاً للكمال، فكان تاماً وفوق التمام "[٢].

وجعل البقاعي التذكير هنا تكميلاً من النبي > لغيره ،فكما كمله الله تعالى ويسره لليسرى أمره بتكميل غيره من خلق الله ، وهذا الكمال يعد من التمام الذي أشار إليه الرازي وبعده ابن عاشور فالأقوال متفقة في النتيجة.

قال البقاعي:"لما كمله ﷺ وهيأه سبحانه وتعالى للأيسر ويسره غاية التيسير، سبب عنه وجوب التذكير لكل أحد في كل حالة تكميلاً لغيره شفقة على خلق الله بعد لما له في نفسه ، فإن لله ساعات له فيها نفحات تقضى فيها الحاجات، وذلك لأنه قد صار كالطبيب الحاذق في علاج المرضى فيقوم بنفع عباده لشكره بعد ذكره بإذن منه إشارة إلى أن التلميذ يحتاج إلى إذن المشايخ وتزكيتهم، وإلى أن أعظم الأدواء أن يقتصر الإنسان على ما عنده ولا يطلب الازدياد مما ليس عنده من خير الزاد فقال تعالى: ﴿ ۑ ﴾ أي بهذا الذكر الحكيم "[٣].

وأما أبو حيان فقد قال:" لما أخبر أنه يقرئه وييسره، أمره بالتذكير، إذ ثمرة الإقراء هي انتفاعه في ذاته وانتفاع من أرسل إليهم"[٤].

وهذا القول يدخل في العبارتين السابقتين، فانتفاعه في ذاته يدخل في طلب النبي > للكمال بمداومة التذكير ، وانتفاع من أرسل إليهم يدخل في تكميل الناقصين وهداية الجاهلين.

---

(١) الأعلى:8.

(٢) "مفاتيح الغيب" 144/31

(٣) "نظم الدرر" 397/21

(٤) "البحر المحيط" 454/8

١١٩. (2) قوله تعالى: (ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ)[١].

قال ابن عاشور:" استئناف بياني لأن ذكر

(ﯸ ﯹ ﯺ)[٢] وذكر ﴿ ﯼ ﯽ ﴾[٣] يثير استشراف السامع لمعرفة أثر ذلك

،فابتدىء بوصف أثر الشقاوة فوصف ﴿ ﯼ ﯽ ﴾ بأنه (ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ)[٤]

وأخر ذكر ثواب الأتقى تقديماً للأهمّ في الغرض وهو بيان جزاء الأشقى الذي

يتجنب الذكرى ،وبقي السامع ينتظر أن يعلم جزاء من يخشى ويتذكر ، فلما وفي

حق الموعظة والترهيبة استؤنف الكلام لبيان المثوبة والترغيب. فالمراد ب ـ ﴿ ﰀ ﰁ

ﰂ ﴾ هنا عين المراد بـ (ﯸ ﯹ ﯺ) و (يذكَّرُ) ، فقد عرف هنا بأنه الذي ذكر

اسم ربه، فلا جرم أن ذكر اسم ربه هو التذكر بالذكرى، فالتذكر هو غاية الذكرى

المأمور بها الرسول ﷺ في قوله تعالى: (ﯳ)[٥] . "[٦]

وقال الرازي:" لم ذكر وعيد من أعرض عن النظر والتأمل في دلائل الله تعالى، أتبعه بالوعد لمن تزكى ويطهر من دنس الشرك "[٧].

قول ابن عاشور موافق لما قاله الرازي كما هو ظاهر ، فهذه الآية وعد لمن امتثل ما في الآيات السابقة من تذكر وخشية.

أما البقاعي فقد قال:" لما ثبت بهذا أن لهذا هذا الشقاء الأعظم، فكان التقدير: لأنه لم يزك نفسه لأنه ما كان مطبوعاً على الخشية، أنتج ولا بد قوله تعالى: ـــ دالاً على الدين التكليفي وهو اجتناب واجتلاب، فجمع الاجتناب والاجتلاب بالتزكية بالتبتل بالأبواب والملازمة للأعتاب بامتثال الأمر واجتناب النهي بالمجاهدات المقربات إليه سبحانه وتعالى، المنجيات بعد

---

(١) الأعلى:14.

(٢) الأعلى:10.

(٣) الأعلى:11.

(٤) الأعلى:12.

(٥) الأعلى:9.

(٦) "التحرير والتنوير" 287/30

(٧) "مفاتيح الغيب" 147/31

ما حذر من المهلكات، للمسارعة في محابه ومراضيه اجتماعاً على العبادة الموصلة للخالق بعد حصول الكمال والتكميل فإنه لا بد في الحياة الطيبة بعد الانتماء إلى ذي الجاه العريض والاقتداء بمن لا يزيغ من الارتباط بطريقة مثلى يحصل بها الاغتباط ليصل بها إلى المقصود ويعمّر أوقاته بوظائفها لئلا يحصل له خلل ولا ضياع لنفائس الأوقات ولا غفلة يستهويه بها قطاع الطريق ــ ﴿ يـئج ﴾ أي فاز بكل مراد "[١].

جعل البقاعي هذه الآية ناتجة عن مفهوم الآيات السابقة فالأشقى الذي يصلى النار الكبرى إنما شقي لأنه لم يزك نفسه بالإيمان والعمل الصالح ولذلك صرح بأن الفلاح لمن تزكى.

وهذا معنى دقيق غير الذي ذكره ابن عاشور.

---

(١) "نظم الدرر" 402/21

سورة الغاشية

مناسبات الآيات في سورة الغاشية

١٢٠. (1) قوله تعالى: (ڎ ڎ ڎ ژ)(١).

قال ابن عاشور:" هذه الجملة بمنزلة الاستطراد والتتميم، لإظهار الفرق بين حالي الفريقين ، ولتعقيب النذارة بالبشارة ،فموقع هذه الجملة المستأنفة موقع الاعتراض ،ولا تنافي بين الاستئناف والاعتراض ،وذلك موجب لفصلها عما قبلها ، وفيه جري القرآن على سننه من تعقيب الترهيب والترغيب"(٢).

وقال الرازي:"اعلم أنه سبحانه لما ذكر وعيد الكفار، أتبعه بشرح أحوال المؤمنين"(٣).

وقال البقاعي:" لم ذكر الأعداء وقدمهم لما تقدم، أتبعه الأولياء فقال مستأنفاً ذكر ما لهم من ضد ما ذكر للأعداء: ﴿ ڎ ڎ ﴾"(٤).

حاصل هذه الأقوال أن الله قد أتبع الترهيب بالترغيب ،وهذا الأسلوب من عادات القرآن، وقد وافق ابن عاشور الرازيَّ والبقاعيَّ في ذلك إلا أنه زاد عليهما فوائد ،فبين أن هذا استطراد وتتميم لما مضى، وبين أن هذا جارٍ أيضاً على عادة القرآن من إتباع الترهيب بالترغيب.

وهذه المناسبة كثيراً ما يشير إليها ابن عاشور في تفسيره.

---

(١) الغاشية:8.

(٢) "التحرير والتنوير" 298/30

(٣) "مفاتيح الغيب" 154/31

(٤) "نظم الدرر" 8/22

سورة الفجر

مناسبات الآيات في سورة الفجر

١٢١. (1)قوله تعالى: (ﭑ ﭒﭓ ﭔ ﭕ)[١].

قال ابن عاشور:" ومناسبة عطف (ليالٍ عشر) على (الفجر) أن الفجر وقت انتهاء الليل فبينه وبين الليل جامع المضادة"[٢].

وقال البقاعي:" ولما ذكر هذا اليوم بما العبارة به عنه أدل على البعث لأنه ينفجر عن صبح قد أضاء، ونهار قد انبرم، وانقضى، لا فرق بينه وبين ما مضى، عم فقال ــ معبراً بالمقابل ــ : ﴿ ﭓ ﭔ ﭕ﴾ هي أعظم ليالي العام"[٣].

قول ابن عاشور قريب مما قاله البقاعي، فقد بين ابن عاشور أن بين الليل والنهار مضادة ،وعبر عنها البقاعي بالمقابلة والمعنى قريب.

إلا أن البقاعي صرح بأن ذكر الليالي العشر أعم من ذكر الفجر .

---

(١) الفجر:1-2.

(٢) "التحرير والتنوير" 313/30

(٣) "نظم الدرر" 22/22

١٢٢. (2) قوله تعالى: **(ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ)**[١].

قال ابن عاشور:"وقد ابتدأت الموعظة بذكر عاد وثمود لشهرتهما بين المخاطبين، وذكر بعدهما قوم فرعون لشهرة رسالة موسى عليه السلام إلى فرعون بين أهل الكتاب ببلاد العرب وهم يحدثون العرب عنها"[٢].

بين ابن عاشور مناسبة الابتداء بذكر عاد وثمود ، وذلك أن الله ابتدأ بهم لشهرتهم عند المخاطبين بهذه الآيات وهم المشركون فهم يعرفون هاتين القبيلتين ، وأما ذكر قوم فرعون بعد هاتين القبيلتين فلشهرة رسالة موسى عند العرب وعند أهل الكتاب وذلك أن أهل الكتاب كانوا يحدثون العرب عن قصة النبي موسى عليه السلام.

وقال البقاعي: " بدأ بأشدهم في ذلك وأعتاهم الذين قالوا : **(ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ)**[٣] "[٤].

وقال:" لم بدأ بهؤلاء لأن أمرهم كان أعجب ، وقصتهم أنزه وأغرب ، ثني بأقرب الأمم إليهم زماناً وأشبههم بهم شأناً لأنهم أترفوا بما حبوا به من جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم، فجعلوا موضع ما لزمهم من الشكر الكفر ، واستحبوا العمى على الهدى، مع ما في آيتهم، وهي الناقة ، من عظيم الدلالة على القدرة فقال: **(ﭼ ﭽ ﭾ)**[٥] "[٦].

وقال:"ولما ذكر القبيلتين من العرب، ذكر بعض من جاورهم من طغاة العجم لما في قصتهم من العتو والجبروت مع ما حوته من الغرائب وخوارق العجائب، لا سيما في القدرة على البعث بقلب العصا حية وإعادتها جماداً مع التكرر، وبإيجاد الضفادع والقمل من كثبان الأرض وغير

---

(١) الفجر:6.

(٢) "التحرير والتنوير" 318/30

(٣) فُصِّلَت:15.

(٤) "نظم الدرر" 26/22

(٥) الفجر:9.

(٦) "نظم الدرر" 29/22

ذلك فقال: (ﭼ)[١] "[٢].

ذكر البقاعي مناسبات أخرى لترتيب هذه القصص في هذه السورة فبين أن البداءة بذكر عاد كان لشدة عتوهم وجبروهم ولأن قصتهم كانت عجيبة ، ثم ثنى بأقرب الأمم إليهم وهم ثمود ، وهاتان القصتان لقوم من العرب فأتبع ذلك بذكر قصة قوم من العجم كانت ديارهم غير بعيدة من العرب ولما فيهم من مشابهة هاتين القبلتين في الجبروت والعتو.

و أما المناسبة التي ذكرها ابن عاشور فلم أجدها عند غيره.

---

(١) الفجر:10.

(٢) "نظم الدرر" 30/22

١٢٣. (3) قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ)[١].

قال ابن عاشور:" كان تفريع ما بعد هذه الفاء على ما قبلها خفياً، فلنبينه بياناً جلياً، ذلك أن الكلام السابق اشتمل على وصف ما كانت تتمتع فيه الأمم الممثل بها مما أنعم الله عليها به من النعم، وهم لاهون عن دعوة رسل الله، ومعرضون عن طلب مرضاة ربهم، مقتحمون المناكر التي لهو عنها، بطرون بالنعمة، معجبون بعظمتهم فعقب ذكر ما كانوا عليه وما جازاهم الله به عليه من عذاب في الدنيا، باستخلاص العبرة وهو تذكير المشركين بأن حالهم مماثل لحال أولئك ترفاً وطغياناً وبطراً، وتنبيههم على خطاهم إذ كان لهم من حال الترف والنعمة شبهة توهموا بها أن الله جعلهم محل كرامة، فحسبوا أن إنذار الرسول ﷺ إياهم بالعذاب ليس بصدق لأنه يخالف ما هو واقع لهم من النعمة... فحصروا جزاء الخير في الثروة والنعمة وقصروا جزاء السوء على الخصاصة وقتر الرزق.

وقد تكرر في القرآن التعرض لإبطال ذلك كقوله: (ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ)[٢].

وقد تضمن هذا الوهم أصولاً انبنى عليها إنكار الجزاء في الآخرة، وإنكار الحياة الثانية، وتوهم دوام الأحوال.

ففاء التفريع مرتبطة بجملة (ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ)[٣] بما فيها من العموم الذي اقتضاه كونها تذييلاً"[٤].

بين ابن عاشور أن الله لما ذكر الأمم السابقة وما كانوا عليه من إعراض ثم ما جزاهم الله به من عقاب أعقب ذلك بتذكير المشركين بأن حالهم كحال أولئك ، وأن النعم التي أنعمها الله عليهم ليست لكرامتهم على الله وإنما هي استدراج.

وقد سبقه إلى هذه المناسبة أبو حيان والبقاعي أيضاً .

---

(١) الفجر:15.

(٢) المؤمنون:55-56.

(٣) الفجر:14.

(٤) "التحرير والتنوير" 324/30

قال أبو حيان :" ذكر تعالى ما كانت قريش تقوله وتستدل به على إكرام الله تعالى وإهانته لعبده، فيرون المكرم من عنده الثروة والأولاد، والمهان ضده ، ولما كان هذا غالباً عليهم وبخوا بذلك"[١].

وقال البقاعي:" ولما ذكر سبحانه أن عادة هؤلاء الفرق كانت الطغيان، وذكر أن عادة الرب سبحانه فيمن تولى وكفر أنه يعذبه كما هدد به آخر تلك، ودل على ذلك بما شوهد في الأمم، وعلل ذلك بأنه لا يغفل، ذكر عادة الإنسان من حيث هو من غير تقييد بهؤلاء الفرق عن الابتلاء في حالي السراء والضراء، فقال مشيراً إلى جواب ما كانت الكفار تقوله من أنهم آثر عند الله من المسلمين لا يساعد عليهم في الدنيا وتقلل الصحابة ﷺ من الدنيا مسبباً عما مضى عطفاً على ما تقديره: هذه كانت عادة هؤلاء الأمم وعادة الله فيهم: ﴿ ﮒ ﮓ ﴾"[٢].

وأما الرازي فقد قال :" اعلم أن قوله: ﴿ ﮒ ﮓ ﴾ متعلق بقوله : ﴿ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﴾ (الفجر: 14)

كأنه قيل: إنه تعالى لبالمرصاد في الآخرة، فلا يريد إلا السعي للآخرة فأما الإنسان فإنه لا يهمه إلا الدنيا ولذاتها وشهواتها، فإن وجد الراحة في الدنيا يقول: ربي أكرمني، وإن لم يجد هذه الراحة يقول: ربي أهانني، ونظيره قوله تعالى في صفة الكفار: (ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ)[٣] و قال: (ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ)[٤] "[٥].

ووافقه أبو السعود حيث قال :" قولُه تعالى: ﴿ ﮒ ﮓ ﴾ إلخ متصلٌ بما قبلَه كأنَّه قيل: إنه تعالَى بصددِ مراقبةِ أحوال عباده ومجازاتهم بأعمالِهم خيراً وشراً فأما الإنسان فلاَ يهمه ذلكَ وإنما مطمحُ أنظارِه ومرصدُ أفكارِه الدُّنيا ولذائذِها"[٦].

---

(١) "البحر المحيط" 465/8

(٢) "نظم الدرر" 32/22

(٣) الروم:7.

(٤) الحج:11.

(٥) "مفاتيح الغيب" 170/31

(٦) "إرشاد العقل السليم"156/9.

قول ابن عاشور في هذه المناسبة موافق لقول البقاعي ولقول أبي حيان ، ووافق ابن عاشور الرازي في ذكر الآية التي هي مرتبطة بهذه الآية .

أما ما ذكره الرازي وأبو السعود فهو متفق في المعنى . حيث اتفقا على أن هذه الآية عامة للمشركين الذين خاطبهم النبي ﷺ ولغيرهم وأن الله لما ذكر الآخرة وما فيها من مجازاة ذكر أن الإنسان ليس معتنياً بأمور الآخرة وأنه لايهمه إلا الدنيا وما فيها من ملذات .

وجعل الرازي هذه الآية متعلقة بقوله تعالى :﴿ ک ک ک گ ﴾.

١٢٤. (4) قوله تعالى: **(ه ه ے ے ۓ)**[١] .

قال ابن عاشور:"﴿ ه﴾ إضراب انتقالي والمناسبة بين الغرضين المنتقل منه والمنتقل إليه مناسبة المقابلة لمضمون ﴿گ گ)[٢] من جهة ما توهموه أن نعمة مالهم وسعة عيشهم تكريم من الله

---

(١) الفجر:17.

(٢) الفجر:15.

لهم، فنبههم الله على أنهم إن أكرمهم الله فإنهم لم يكرموا عبيده شحاً بالنعمة إذ حرموا أهل الحاجة من فضول أموالهم وإذ يستزيدون من المال ما لا يحتاجون إليه وذلك دحض لتفخرهم بالكرم والبذل، فجملة ﴿ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﴾استئناف كما يقتضيه الإضراب، فهو إما استئناف ابتداء كلام، وإما اعتراض بين﴿ ﮬ ﴾ وأختها"[١].

ربط ابن عاشور بين هذه الآية والتي قبلها برابط المقابلة من جهة توهمهم أن التوسعة تكريم من الله لهم فإذا كان تكريماً فلماذا لم يكرموا عبيد الله؟

وقد ذكر البقاعي مناسبة قريبة منها حيث قال:" لما زجر عن اعتقاد أن التوسعة للإكرام والتضييق للإهانة، ذكر أن معيار من جبل على حب الطاعة ومن جبل على حب المعصية بغض الدنيا وحبها "[٢].

فالشح الذي أشار إليه ابن عاشور هو حب المعصية وحب الدنيا الذي ذكره البقاعي.

وذكر أبو السعود أيضاً مناسبة قريبة منها حيث قال :" وقوله تعالى : (ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﴾ انتقال من بيان سوء أقوالِه إلى بيان سوء أفعاله"[٣].

فسوء الأقوال هو ما ذكره ابن عاشور من أن قولهم :التوسعة إكرام من الله ، والتضييق إهانة، وسوء أفعالهم هي عدم إكرامهم اليتيم وما عطف عليه من الصفات .

١٢٥. (5) قوله تعالى: (ﭰ ﭱ ﭲ)[٤] .

قال ابن عاشور:" لما استوعب ما اقتضاه المقام من الوعيد والتهديد والإنذار ختم الكلام بالبشارة للمؤمنين الذين تذكروا بالقرآن واتبعوا هديه ، على عادة القرآن في تعقيب النذارة بالبشارة والعكس، فإن ذلك يزيد رغبة الناس في فعل الخير ورهبتهم من أفعال الشر"[٥].

---

(١) "التحرير والتنوير" 332/30

(٢) "نظم الدرر" 34/22

(٣) "إرشاد العقل السليم" 156/9

(٤) الفجر:27.

(٥) "التحرير والتنوير" 340/30.

وقال الرازي:" اعلم أنه تعالى لما وصف حال من اطمأن إلى الدنيا، وصف حال من أطمأن إلى معرفته وعبوديته، فقال: ﴿ ﭰ ﭱ ﴾"[١].

وقال البقاعي:" ولما علم أن هذا الجزاء المذكور لا يكون إلا للهلوع الجزوع المضطرب النفس الطائش في حال السراء والضراء، الذي لا يكرم اليتيم ولا المسكين ويحب الدنيا، وكان من المعلوم أن من الناس من ليس هو كذلك، تشوفت النفس إلى جزائه فشفى عيّ هذا التشوف بقوله ــ إعلاماً بأنه يقال لنفوسهم عند النفخ في الصور وبعثرة ما في القبور للبعث والنشور ــ : ﴿ ﭰ ﭱ ﭲ ﴾"[٢].

وقال أبو حيان:" لم ذكر تعالى شيئاً من أحوال من يعذب، ذكر شيئاً من أحوال المؤمن فقال: ﴿ ﭰ ﭱ ﴾"[٣].

وقال أبو السعود:" وقولُه تعالى: ﴿ ﭰ ﭱ ﭲ ﴾ حكاية لأحوال مَنِ اطمأن بذكرِ الله عز وجل وطاعتِه إثر حكاية أحوال من اطمأن بالدنيا"[٤].

هذه الأقوال كلها قريبة من بعض ،ومضمونها واحد ، ويلاحظ أن أبا السعود قد تبع الرازي في قوله.

وقد صرح ابن عاشور بمضمون الآيات السابقة وما اشتملت عليه من وعيد وإنذار ،وبين أن هذه الآية بشارة للمؤمنين ،وصرح أن هذه عادة من عادات القرآن وهي إعقاب البشارة بالنذارة أو العكس.

---

(١) "مفاتيح الغيب" 177/31

(٢) "نظم الدرر" 42/22

(٣) "البحر المحيط" 467/8

(٤) "إرشاد العقل السليم" 158/9

سورة الشمس

مناسبات الآيات في سورة الشمس

١٢٦. (1) قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ)[١].

قال ابن عاشور: "ومناسبة استحضار السماء عقب ذكر الشمس والقمر ،واستحضار الأرض عقب ذكر النهار والليل واضحة ، ثم ذكرت النفس الإنسانية لأنها مظهر الهدى والضلال وهو المقصود"[٢].

وقال:"أعقب القسم بالنهار بالقسم بالليل لأن الليل مقابل وقت النهار فهو وقت الإظلام"[٣].

وقال البقاعي:" ولما افتتح بذكر آية النهار، أتبعه ذكر آية الليل فقال: ﴿ ﭖ ﴾ أي المكتسب من نورها كما أن أنوار النفوس من أنوار العقول"[٤].

وقال:"ولما ذكر معدن الضياء، ذكر محل الظلام فقال: ﴿ ﭚ ﴾ أي الذي هو ضد النهار فهو محل السكون والانقباض والكمون...

و لم ذكر الآيتين ومحل أثرهما، ذكر محل الكل فقال تعالى: ﴿ﭞ﴾ أي التي هي محل ذلك كله ومجلاه كما أن الأبدان محل النفوس، والنفوس مركب العقول...

و لم ذكر البناء ذكر المهاد فقال: ﴿ ﭢ ﴾ أي التي هي فراشكم بمنزلة محال تصرفاتكم بالعقل في المعاني المقصودة"[٥].

بين ابن عاشور أن ذكر السماء عقب ذكر الشمس والقمر له مناسبة ، وعبر عنها بأنها واضحة ، ولكن لم يصرح بها لوضوحها عنده ، ولعل مراده أن السماء محل للشمس والقمر فهما جرمان من الأجرام السماوية ، فالله قد أقسم بالسماء المشتملة على الشمس والقمر وهما

---

(١) الشمس:1-6.

(٢) "التحرير والتنوير" 367/30

(٣) "التحرير والتنوير" 368/30

(٤) "نظم الدرر" 70/22

(٥) "نظم الدرر" 71/22

من أعظم المخلوقات.

ثم بين أن ذكر الأرض عقب ذكر النهار له مناسبة واضحة، ويظهر أنه يقصد أن الليل والنهار عارضان يعرضان للأرض ومن عليها فهما يتعاقبان عليها.

ثم بين أن القسم بالليل عقب القسم بالنهار له مناسبة وهي المقابلة بين الضدين.

وهذه المناسبة التي ذكرها موافقة لما قاله البقاعي إلا أن تعبير البقاعي أعم وأشمل وأصرح، وأما ابن عاشور فقد ذكر أنها واضحة و لم يبين المقصود .

١٢٧. (2) قوله تعالى: **(ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ)**[١].

قال ابن عاشور: " قدم الفلاح على الخيبة لمناسبته للتقوى"[٢].

لم أجد هذه المناسبة عند غير ابن عاشور ،وبيانها أن التقوى هي المذكور القريب فذكر الفلاح لمناسبة ذكر التقوى ثم بعد ذلك ذكر الخيبة.

وهذه المناسبة فيها مراعاة أقرب مذكور.

---

(١) الشمس:9.

(٢) "التحرير والتنوير" 371/30

سورة الليل

مناسبات الآيات في سورة الليل

١٢٨. (1) قوله تعالى: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ)(١) .

قال ابن عاشور:" ومناسبة المقسم به للمقسم عليه أن سعي الناس منه خير ومنه شر ،وهما مماثلان النور والظلمة ، وأن سعي الناس ينبثق عن نتائج منها النافع ومنها الضار كما ينتج الذكر ذرية صالحة وغير صالحة.

...واختير القسم بالليل والنهار لمناسبته للمقام لأن غرض السورة بيان البون بين حال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة"(٢).

بين ابن عاشور مناسبة المقسم به للمقسم عليه وهو أن الليل وظلمته والنهار ونوره مماثلان لعمل الإنسان وسيعه الذي فيه الخير وفيه الشر .

وهذه المناسبة البديعة لم أجد من أشار إليها غير ابن عاشور ، وفيها دلالة على علو شأنه في هذا العلم ، وكثيراً ما يعتني ابن عاشور بمثل هذا النوع من المناسبات ، وهو مناسبة المقسم به للمقسم عليه .

---

(١) الليل:1-4.

(٢) "التحرير والتنوير" 378/30

سورة الضحى

مناسبات الآيات في سورة الضحى

١٢٩. (1) قوله تعالى: (ﭴ ﭵﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ)[١]

قال ابن عاشور:" ومناسبة القسم بـ﴿ ﭴ ﭵﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﴾ أن الضحى وقت انبثاق نور الشمس فهو إيماء إلى تمثيل نزول الوحي وحصول الاهتداء به، وأن الليل وقت قيام النبي ﷺ بالقرآن وهو الوقت الذي كان يسمع فيه المشركون قراءته من بيوقم القريبة من بيته أو من المسجد الحرام.

ولذلك قيد (الليل) بظرف ﴿ﭷ ﭸ ﭹ﴾. فلعل ذلك وقت قيام النبي ﷺ قال تعالى: (ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ)[٢] "[٣].

بين ابن عاشور أن مناسبة القسم بالضحى هنا أنه وقت انبثاق نور الشمس كما أن الوحي نور قد حصل الاهتداء به،وبين أن مناسبة القسم بالليل أنه وقت قيام النبي ﷺ بالقرآن الذي زعم المشركون أنه قد انقطع وأن رب محمد ﷺ قد قلاه.

وقد ذكر الرازي عدة وجوه للقسم بالضحى والليل في مطلع هذه السورة فقال:

" ما الحكمة ههنا في الحلف بالضحى والليل فقط؟

والجواب لوجوه:

أحدها: كأنه تعالى يقول: الزمان ساعة، فساعة ساعة ليل، وساعة نهار، ثم يزداد فمرة تزداد ساعات الليل وتنقص ساعات النهار، ومرة بالعكس فلا تكون الزيادة لهوى ولا النقصان لقل ي بل للحكمة، كذا الرسالة وإنزال الوحي بحسب المصالح فمرة إنزال ومرة حبس، فلا كان الإنزال عن هوى، ولا كان الحبس عن قلي.

وثانيها: أن العالم لا يؤثر كلامه حتى يعمل به، فلما أمر الله تعالى بأن البينة على المدعي واليمين على من أنكر، لم يكن بد من أن يعمل به، فالكفار لما ادعوا أن ربه ودعه وقلاه، قال: هاتوا الحجة فعجزوا فلزمه اليمين بأنه ما ودعه ربه وما قلاه.

---

(١) الضُّحى:1-3.

(٢) المزَّمل:3.

(٣) "التحرير والتنوير" 394/30

وثالثها [1]: كأنه تعالى يقول: انظروا إلى جوار الليل مع النهار لا يسلم أحدهما عن الآخر بل الليل تارة يغلب وتارة يغلب فكيف تطمع أن تسلم على الخلق" [2] .

وقال أبو السعود:" قالُوا: تخصيصُه بالإقسام بهِ لأنَّها الساعة التي كلَّم فيهَا موسى عليه السلام وألقِي فيهَا السحرة سجدّاً لقوله تعالى: (ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ)[3] "[4].

وكل من هؤلاء العلماء ذكر مناسبة للقسم بهذين الوقتين لم يذكرها الآخر، وباجتماعها يتحصل لدينا عدة وجوه غير متعارضة .

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور قد انفرد بذكرها ، وهي أقرب المناسبات اتصالاً بحال النبي ﷺ في أول بعثته.

---

(١) في المطبوع : (وثانيها).

(٢) "مفاتيح الغيب" 209/31

(٣) طه:59.

(٤) "إرشاد العقل السليم" 169/9

سورة القدر

مناسبات الآيات في سورة القدر

١٣٠. (1) قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ)[١].

قال ابن عاشور: "ومن تسديد ترتيب المصحف أن وضعت سورة القدر عقب سورة العلق مع أنها أقل عدد آيات من سورة البينة وسور بعدها، كأنه إيماء إلى أن الضمير في ﴿ ﭒ ﴾ يعود إلى القرآن الذي ابتدئ نزوله بسورة العلق.

ويجوز أن يكون الضمير عائداً على المقدار الذي أنزل في تلك الليلة وهو الآيات الخمس من سورة العلق فإن كل جزء من القرآن يسمى قرآناً "[٢].

ذكر ابن عاشور المناسبة بين ورود سورة القدر عقب سورة العلق فبين أن الضمير في قوله تعالى: ﴿ ﭒ ﴾ عائد إلى القرآن الذي بدأ نزوله على النبي ﷺ في غار حراء وأول ما نزل صدر سورة العلق وهي قوله تعالى: (ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ)[٣].

فكأنه يقول: إن القرآن الذي ابتدأ نزوله عليك بسورة العلق أنزلناه في ليلة القدر ، وهذا ارتباط وثيق بين السورتين ولذلك أشار إليه ابن عاشور.

وهذه الإشارة من ابن عاشور تعد من النوادر في كتابه لأنه قليلاً ما يذكر ارتباط السور بعضها ببعض وإنما يعتنى بارتباط الآيات فقط.

وممن أشار إلى ذلك أيضاً أبو جعفر ابن الزبير حيث قال: " سورة القدر وردت تعريفاً بإنزال ما تقدم الأمر بقراءته ، لما تقدمت الإشارة إلى عظيم أمر الكتاب وأن السلوك إليه سبحانه إنما هو من ذلك الباب أعلم سبحانه بليلة إنزاله وعرفنا بقدرها لنعتمدها في مظان دعائنا وتعلق رجائنا ونبحث عنها بالاجتهاد بالليل لعلنا نوافقها"[٤].

---

(١) القدْر:1.

(٢) "التحرير والتنوير" 456/30

(٣) العلق:1-5.

(٤) "البرهان في تناسب سور القرآن" ص214

وأشار أبوحيان إلى هذه المناسبة بقوله: "ومناسبتها لما قبلها ظاهرة ، لما قال: ﴿ ﭼ ﭽ ﭾ﴾ فكأنه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا"[(١)].

وقال البقاعي:" لما ذكر الله سبحانه وتعالى كتابه في هذا الذكر العربي المعجز، ذكر إنزاله مستحضراً في كل قلب، كان ذلك مغنياً عن إعادته بصريح اسمه، فكان متى أضمره علمه المخاطب بما في السياق من القرائن الدالة عليه، وبما له في القلب من العظمة وفي الذهن من الحضور لا سيما في هذه السورة لافتتاح العلق بالأمر بقراءته، وختمها بالصلاة التي هي أعظم أركانها، فكانت دلالتها عليه دلالة هي في غاية الوضوح، فكان كأنه قال: واقترب بقراءة القرآن في الصلاة، فكان إضماره أدل على العظمة الباهرة من إظهاره، لدلالة الإضمار على أنه ما تم شيء ينزل غيره فهو بحيث لا يحتاج إلى التصريح به، قال مفخماً له بأمور:

١. إضماره.
٢. وإسناد إنزاله إليه .
٣. وجعل ذلك في مظهر العظمة.
٤. وتعظيم وقت إنزاله المتضمن لعظمة البلد الذي أنزل فيه – على قول الأكثر ـــ، والنبي الذي أنزل عليه، مؤكداً لأجل ما لهم من الإنكار"[(٢)].

وهذه الأقوال تبين مدى ارتباط سورة القدر بما قبلها وتبين أن ابن عاشور قد تبع غيره في بيان وجه المناسبة بين السورتين ، ويظهر أن قول البقاعي أكثر شمولاً من غيره حيث ذكر أن سورة العلق افتتحت بالأمر بقراءة القرآن المشار إليه بالضمير في قوله تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﴾ وختمت سورة العلق بالأمر بالصلاة فكأنه يقول اقترب بقراءة القرآن ، فسورة القدر مرتبطة بأول سورة العلق وخاتمتها.

---

(١) "البحر المحيط" 492/8

(٢) "نظم الدرر" 176/22

سورة البينة

مناسبات الآيات في سورة البينة

١٣١. (1) قوله تعالى (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ)[١].

قال ابن عاشور: "بعد أن أنحى على أهل الكتاب والمشركين معاً خص أهل الكتاب بالطعن في تعللاتهم والابطال لشبهاتهم التي يتابعهم المشركون عليها، أعقبه بوعيد الفريقين جمع بينهما كما ابتدأ الجمع بينهما في أول السورة لأن ما سبق من الموعظة والدلالة كاف في تدليل أنفسهم للموعظة".[٢]

بين ابن عاشور في هذا النص أن هذه الآية جاءت وعيداً للفريقين من أهل الكتاب والمشركين جامعاً بينهما كما جمع بينهما في أول السورة ، ففيه إعقاب الذم والإبطال لشبهاتهم بالوعيد لهم وهو الخلود في نار جهنم ، فهذا بيان لحالهم في الآخرة كما بين في أول السورة حالهم في الدنيا.

وقد ذكر هذه المناسبة أيضاً الرازي فقال:" اعلم أنه تعالى لما ذكر حال الكفار أولاً في قوله: ﴿ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﴾ (البينة:1) ثم ذكر ثانياً حال المؤمنين في قوله: (ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ)[٣] أعاد في آخر هذه السورة ذكر كلا الفريقين، فبدأ أيضا بحال الكفار، فقال: ﴿ ﮪ ﮫ ﮬ ﴾"[٤].

وقد ألمح أبو السعود إلى هذا المعنى حيث قال: إن هذه الآية " بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا"[٥].

---

(١) البيِّنة:6.

(1) "التحرير والتنوير" 482/30

(٣) البيِّنة:5.

(٤) "مفاتيح الغيب" 49/32

(٥) "إرشاد العقل السليم" 186/9

١٣٢. (2) قوله تعالى (ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے)[١].

قال ابن عاشور:" قوبل حال الكفرة من أهل الكتاب وحال المشركين بحال الذين آمنوا بعد أن أشير إليهم بقوله (ۀ ہ ہ ے ے)[٢] استيعاباً لأحوال الفرق في الدنيا والآخرة، وجرياً على عادة القرآن في تعقيب نذارة المنذرين ببشارة المطمئنين وما ترتب على ذلك من الثناء عليهم "[٣].

في هذا النص بيان لوجه ورود هذه الآية في هذا الموضع ، وهو المقابلة بين حال الكفار وحال المؤمنين، فالعلاقة هنا هي المقابلة بذكر الضد ، وأضاف ابن عاشور أمراً آخر ،وهو أن هذه الآية جاءت مكملة لما قبلها في استيعاب أحوال الفرق المذكورة في السورة ، وأرجع ذلك إلى عادة القرآن.

وقال البقاعي: "ولما ذكر الأعداء وبدأ بهم، لأن السياق لذم من جمد من المألوف وترك المعروف، أتبعه الأولياء فقال مؤكداً لما للكفار من الإنكار: ﴿ ۀ ۀ ہ ﴾ أي أقروا بالإيمان من الخلق كلهم الملائكة وغيرهم ﴿ ہ ﴾ أي تصديقاً لإيمانهم ﴿ ہ ﴾ أي هذا النوع، ولما كان نعيم القلب أعظم، قدمه على نعيم البدن إبلاغاً في مدحهم فقال: ﴿ ہ ﴾ أي العالو الدرجات ﴿ ھ ﴾ أي خاصة ﴿ ھ ے ے ﴾"[٤].

وهو قريب من قول ابن عاشور إلا أن ابن عاشور زاد فوائد وهي أن هذا أسلوب فيه استيعاب لأحوال الفرق وأنه جار على عادة القرآن في الجمع بين البشارة والنذارة.

و قد أشار إلى هذه الفائدة كذلك أبو السعود بقوله " ﴿ ۀ ۀ ہ ہ ہ ﴾ بيانٌ لمحاسن أحوال المؤمنين إثر بيان سوء حالِ الكفرة جرياً على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب"[٥].

---

(١) البيِّنة:7.

(٢) البيِّنة:5.

(2) التحرير 483/30

(٤) "نظم الدرر" 197/22

(٥) "إرشاد العقل السليم" 186/9

سورة العاديات

مناسبات الآيات في سورة العاديات

١٣٣. (1) قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ)[١].

قال ابن عاشور:"ومناسبة القسم بهذه الموصوفات دون غيرها إن أريد رواحل الحجيج وهو الوجه الذي فسر به علي بن أبي طالب [٢] ، وهو أن يصدق المشركون بوقوع المقسم عليه لأن القسم بشعائر الحج لا يكون إلا باراً حيث هم لا يصدقون بأن القرآن كلام الله ويزعمونه قول النبي >.

وإن أريد بالعاديات وما عطف عليها خيل الغزاة، فالقسم بها لأجل التهويل والترويع لإشعار المشركين بأن غارة تترقبهم وهي غزوة بدر "[٣] .

ذكر ابن عاشور مناسبة لكل معنى من معاني العاديات وما عطف عليها من الأوصاف،فبيَّن أن المناسبة بين القسم بهذه الموصوفات إن إريد بها رواحل الحج أن المشركين كانوا يعظمون شعائر الحج ولذلك أقسم الله بهذه الأشياء حتى يصدقوا بالقسم.

وأما إن أريد بها خيل الغزاة فهو من باب التهويل والترويع والتهديد للمشركين بوقوع القتال عليهم ، ولم أجد من أشار إلى هذه المناسبة.

وقد ذكر الفخر الرازي ثلاثة أوجه في مناسبة القسم بهذه الموصوفات دون غيرها إن إريد بها الإبل فقال: " وعلى هذا التقدير (أي أنها الإبل) فوجه القسم به من وجوه:

أحدها: ما ذكرنا من المنافع الكثيرة فيه في قوله: (ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ)[١] .

---

(١) العاديات:1-6.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره "جامع البيان" رقم (37785) 345/15 ، وأخرجه الحاكم في "المستدرك" رقم (2507) 115/2 ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وعلق على ذلك الذهبي في "التلخيص" بقوله :"لا والله ... والخبر منكر" .

(٣) "التحرير والتنوير" 502/30

وثانيها: كأنه تعريض بالآدمي الكنود ، فكأنه تعالى يقول: إني سخرت مثل هذا لك وأنت متمرد عن طاعتي.

وثالثها: الغرض بذكر إبل الحج الترغيب في الحج، كأنه تعالى يقول: جعلت ذلك الإبل مقسماً به، فكيف أضيع عملك؟ وفيه تعريض لمن يرغب الحج، فإن الكنود هو الكفور، والذي لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك، كما في قوله تعالى: (ه ه ے ے ۓ) إلى قوله: ﴿ۇ ۇ﴾[٢] "[٣].

ثم ذكر الرازي المعنى الثاني وهو أن المراد بذلك الخيل، وذكر المناسبة بين القسم بهذه الأمور دون غيرها إن أريد بها الخيل فقال: "أقسم بالخيل لأن لها في العدو من الخصال الحميدة ما ليس لسائر الدواب، فإنها تصلح للطلب والهرب والكر والفر، فإذا ظننت أن النفع في الطلب عدوت إلى الخصم لتفوز بالغنيمة وإذا ظننت أن المصلحة في الهرب قدرت على أشد العدو، ولا شك أن السلامة إحدى الغنيمتين، فأقسم تعالى بفرس الغازي لما فيه من منافع الدنيا والدين"[٤].

وهذا وجه آخر غير الوجه الذي ذكره ابن عاشور.

وقال أبو السعود:" تخصيص خيل الغزاة بالإقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه، كأنه قيل: وخيلِ الغُزاة التي فعلت كيت وكيت ،وقد أرجف هؤلاء في حق أربابها ما أرجفوا أنهم مبالغون في الكفران"[٥]

وهذا قريب مما قاله ابن عاشور إلا أن ابن عاشور قد صرح بأنها تهديد وترويع للمشركين.

---

(١) الغاشية:17.

(٢) آل عمران:97.

(٣) "مفاتيح الغيب" 63/32

(٤) "مفاتيح الغيب" 64/32

(٥) "إرشاد العقل السليم" 191/9

سورة التكاثر

مناسبات الآيات في سورة التكاثر

١٣٤. (1) قوله تعالى: (ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ)[١].

قال ابن عاشور:" أعقب التوبيخ والوعيد على لهوهم بالتكاثر عن النظر في دعوة الإِسلام من حيث إن التكاثر صدهم عن قبول ما ينجيهم بتهديدٍ وتخويف من مؤاخذتهم على ما في التكاثر من نعيم تمتعوا به في الدنيا و لم يشكروا الله عليه بقوله تعالى: ﴿ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ﴾، أي عن النعيم الذي خولتموه في الدنيا فلم تشكروا الله عليه وكان به بَطَرُكُم "[٢].

مناسبة هذه الآية لما قبلها واضحة ، حيث بين ابن عاشور في بداية السورة أن التكاثر مشغل عما يجب الاشتغال به، ثم بين أن هذه الآية جاءت بتهديد ووعيد على التكاثر في النعيم، وأنهم سيسألون عنه يوم القيامة.

وقد أشار البقاعي إلى هذا وذكر أنها تهديد حيث قال:" ولما كان من أهول الخطاب التهديد برؤية العذاب، زاد في التخويف بأنه لأجل أن يكون ما يعذب به العاصي عتيداً "[٣].

---

(١) التكاثر:8.

(٢) "التحرير والتنوير" 524/30

(٣) "نظم الدرر" 231/22

سورة العصر

مناسبات الآيات في سورة العصر

١٣٥. (1) قوله تعالى:(ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ پ پ پ ٺ ٺ ٺ)[١].

قال ابن عاشور: " ومناسبة القسم بالعصر لغرض السورة على إرادة عصر الإسلام ظاهرة،فإنها بينت حال الناس في عصر الإسلام بين من كفر به ومن آمن واستوفى حظه من الأعمال التي جاء بها الإسلام، ويعرف منه حال من أسلموا وكان في أعمالهم تقصير متفاوت، أما أحوال الأمم التي كانت قبل الإسلام فكانت مختلفة بحسب مجيء الرسل إلى بعض الأمم، وبقاء بعض الأمم بدون شرائع متمسكة بغير دين الإسلام من الشرك أو بدين جاء الإسلام بنسخه مثل اليهودية والنصرانية قال تعالى: (ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ)[٢] "[٣].

وقد ذكر ابن عاشور عدة أقوال في تفسير المراد بـــــالعصر فذكر من الأقوال:

١. أنه علم لما بين آخر وقت الظهر إلى أن يصير ظل كل شيء مثليه بعد فيء الزوال.
٢. الصلاة الموقتة بوقت العصر.
٣. المدة المعلومة لوجود جيل من الناس أو ملك أو نبي أو دين.
٤. وجوز أن يكون المراد هنا عسر الإسلام كله ، ثم ذكر المناسبة بين هذا المعنى بالذات وبين غرض السورة.

وهذا الطريقة نادرة وقليلة في كتابه، حيث لم يكثر من ذكر المناسبة بين غرض السورة وبين أحد معاني الكلمة.

وقد ذكر الرازي أربعة أقوال في تفسير العصر منها قوله:" : أنه قسم بزمان الرسول عليه السلام" ثم ذكر الأدلة على ذلك ثم قال: " فكأنه قال: وعصرك...، وذلك.. كالظرف له، فإذا وجب تعظيم حال الظرف فقس حال المظروف، ثم وجه القسم، كأنه تعالى يقول: أنت يا محمد

---

(١) العصر:1-3.

(٢) آل عمران:85.

(٣) "التحرير والتنوير" 530/30

حضرتهم ودعوتهم، وهم أعرضوا عنك وما التفتوا إليك، فما أعظم خسرانهم وما أجل خذلانهم"[١].

وماذكره ابن عاشور أعم وأشمل، وكذلك قد عقد ابن عاشور المقارنة بين الحال قبل عصر الإسلام وبعده.

و لم يذكر البقاعي المناسبة بين القسم بعصر الإسلام وغرض السورة ، إلا أنه قد بين أن من الأقوال في تفسير المراد بالعصر أنه " الصلاة الوسطى أو وقتها الذي هو زمان صاحب هذا الشرع الذي مقداره فيما مضى من الزمان بمقدار وقت العصر من النهار أو بعضه"[٢].

---

(١) "مفاتيح الغيب" 86/32

(٢) "نظم الدرر" 236/22

سورة الماعون

مناسبات الآيات في سورة الماعون

١٣٦. (1) قوله تعالى:(ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ)[١]

قال ابن عاشور: " موقع الفاء صريح في اتصال ما بعدها بما قبلها من الكلام على معنى التفريع والترتيب والسبب"[٢].

جعل ابن عاشور هذه الجملة مفرعة عما قبلها مترتبة عليها، فالأوصاف السابقة لهذا الآية من التكذيب بالدين ودع اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين سبب لهذا التهديد والوعيد.

فيظهر أن الكلام متصل ببعضه ومرتبط به ارتباطاً واضحاً.

وذكر الرازي ثلاثة وجوه في اتصال هذه الآية بما قبلها فقال:

" في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه:

أحدها: أنه لا يفعل إيذاء اليتيم والمنع من الإطعام ، دليلاً على النفاق ،فالصلاة لا مع الخضوع والخضوع أولى أن تدل على النفاق، لأن الإيذاء والمنع من النفع معاملة مع المخلوق، أما الصلاة فإنها خدمة للخالق.

وثانيها: كأنه لما ذكر إيذاء اليتيم وتركه للحض كأن سائلاً قال: أليس إن الصلاة تنه ى عن الفحشاء والمنكر؟ فقال له: الصلاة كيف تنهاه عن هذا الفعل المنكر وهي مصنوعة من عين الرياء والسهو.

وثالثها: كأنه يقول: إقدامه على إيذاء اليتيم وتركه للحض تقصير فيما يرجع إلى الشفقة على خلق الله، وسهوه في الصلاة تقصير فيما يرجع إلى التعظيم لأمر الله، فلما وقع التقصير في الأمرين فقد كملت شقاوته، فلهذا قال: ﴿ ﭽ ﴾"[٣]

و الرازي قد أشار إشارة إلى نحو ما ذكره ابن عاشور، ولكنه لم يجعلها مع الوجوه السابقة ، وإنما ذكرها بعد ذلك وأشار إلى أنها تهديد عظيم .

---

(١) الماعون:4-5.

(٢) "التحرير والتنوير" 566/30

(٣) "مفاتيح الغيب" 113/32

يقول الرازي:" الآية دالة على حصول التهديد العظيم بفعل ثلاثة أمور:

أحدها: السهو عن الصلاة.

وثانيها: فعل المراءاة.

وثالثها: منع الماعون، وكل ذلك من باب الذنوب"[1].

وقال البقاعي:" ولما كان هذا حاله مع الخلائق، أتبعه حاله مع الخالق إعلاماً بأن كلاً منهما دالّ على خراب القلب وموجب لمقت الرب ، وأعظم الإهانة والكرب، وأن المعاصي شؤم مهلك، تنفيراً عنها وتحذيراً منها، فسبب عنه قوله معبراً بأعظم ما يدل على الإهانة: ﴿ ج ﴾"[2].

وهذا القول قريب مما قاله ابن عاشور ، حيث جعل المعاصي السابقة سبب لهذا الوعيد وهذه الإهانة.

---

(١) "مفاتيح الغيب" 114/32

(٢) "نظم الدرر" 280/22

سورة المسد

مناسبات الآيات في سورة المسد

١٣٧. (1) قوله تعالى: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ)[١].

قال ابن عاشور: " أعقب ذم أبي لهب [٢] ووعيده بمثل ذلك لامرأته لأنها كانت تشاركه في أذى النبي > وتعينه عليه"[٣].

بين هنا أن سبب ذم امرأة أبي لهب بعد ذمه هو مشاركته في أذى النبي > والإعانة له، فذكر ابن عاشور السبب في ذلك وهو كافٍ في إثبات المناسبة بين الوصفين.

وقد ذكر البقاعي أن سبب ذكر امرأته هو التحقير بذكر ما يحرص العرب على صونه والمدافعة عنه، وذلك بهتك حرمته معبراً عنها بصورة شنيعة زيادة في التحقير.

قال البقاعي: " ولما أخبر سبحانه وتعالى عنه بكمال التباب الذي هو نهاية الخسار، وكان أشق ما على الإنسان هتك ما يصونه من حريمه ... زاده تحقيراً بذكر من يصونها معبراً عنها بما صدرها بأَزورِ صورة وأشنعها"[٤].

---

(١) المَسَد:4.

(٢) هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ، عم النبي صلى الله عليه وسلم ، من أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين ، مات كافراً سنة اثنين بعد غزوة بدر ، ولم يشهدها .
(انظر :"الشجرة النبوية" لابن المبرد المقدسي ص63 ، "الأعلام" للزركلي 12/4)

(٣) "التحرير والتنوير" 605/30

(٤) "نظم الدرر" 341/22

سورة الفلق

مناسبات الآيات في سورة الفلق

١٣٨. (1) قوله تعالى: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ)[(١)]

.

قال ابن عاشور: " عطف شر الحاسد على شر الساحر المعطوف على شر الليل، لمناسبة بينه وبين المعطوف عليه مباشرةً وبينه وبين المعطوف عليه بواسطته، فإن مما يدعو الحاسد إلى أذى المحسود أن يتطلب حصول أذاه لتوهم أن السحر يزيل النعمة التي حسده عليها ولأن ثوران وجدان الجسد يكثر في وقت الليل، لأن الليل وقت والخلوة وخطور الخواطر النفسية والتفكر في الأحوال الحافة بالحاسد والمحسود "[(٢)].

ربط ابن عاشور بين الآيات الثلاث الأُوَل من سورة الفلق برابط واحد يدل على تناسقها ووحدتها، وأشار ابن عاشور إلى أن الحاسد إذا حسد غيره فإنه يطلب ما يزيل النعمة من المحسود متوهماً أن أشد الطرق التي تزيل هذا النعمة من المحسود هو أن يستعدي عليه بالسحر والنفث في العقد الذي يكون من النفوس الخبيثة التي غالباً ما تنشط وتثور في ظلمة الليل،وهذا ارتباط دقيق يدل على سعة مدارك ابن عاشور.

وهذا الذي ذكره ابن عاشور قريب من الذي ذكره البقاعي أيضاً .

قال البقاعي:" لما... كان شر الأشياء الظلام، فإنه أصل كل فساد، وكانت شرارته مع ذلك وشرارة السحر والحسد خفية، خصها بالذكر من بين ما عمه الخلق لأن الخفي يأتي من حيث لا يحتسب الإنسان فيكون أضر.

...ولما كان السحر أعظم ما يكون من ظلام الشر المستحكم في العروق الداخل في ولجيه من تفريق المرء من زوجه وأبيه وابنه، ونحو ذلك، وما فيه من ضنى الأجسام وقتل النفوس، عقب ذلك بقوله تعالى﴿ﭬ ﭭ ﴾...ولما كان أعظم حامل على السحر وغيره من أذى الناس الحسد،

---

(١) الفَلَق:3.

(1) "التحرير والتنوير" 30/ 629

وهوتمني زوال نعمة المحسو.قال تعالى﴿ چ چ چ ﴾"[١].

فاتفق كل منهما على أن الليل وقت لنشاط لحصول الشرور وأن السحر أعظم ما يكون من الشر وأن الحسد من أعظم ما يحمل على السحر .

(١) "نظم الدرر" 411/22

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وأشكر الله تعالى الذي وفقني وأعانني على إتمام هذه الرسالة بعدما عشت في رحاب القرآن الكريم مُطَّلعاً على أقوال العلماء والمفسرين ، وقد اجتهدت غاية ما أستطيعه في نقل صورة عامة لعلم المناسبات القرآنية من حيث تعريفها ونشأها ومراحلها وأهميتها وفوائدها وأقسامها وأهم الكتب فيها ، ثم تطرقت إلى علم من أعلام التفسير وهو الشيخ العلامة محمد الطاهر ابن عاشور فعرفت به وبنشأته وحياته ومؤلفاته وأعماله، ثم تطرقت إلى كتابه المسمى "التحرير والتنوير" فذكرة نبذة مختصرة عنه وعن منهج ابن عاشور الذي سار عليه،ثم أفردت فصلاً في منهج ابن عاشور في إيراد المناسبات في تفسيره من سورة ق إلى آخر القرآن، وما سبق كله يُعَدُّ القسم الأول من الرسالة، وفي القسم الثاني جمعت المناسبات التي أشار إليها ابن عاشور مع دراستها ومقارنتها بأقوال الرازي وأبي حيان والبقاعي وأبي السعود ، وبعد أن أهيت هذه الدراسة وأخذت مني زمناً في الجمع والمقارنة تبين لي بعض النتائج والتوصيات ، أجملها فيما يلي :

أهم النتائج

١. علم المناسبات علم عظيم ذو أهمية كبرى،وهو علم معين على فهم كتاب الله تعالى ، ومظهر لوجه من وجوه إعجازه.

٢. أنه علم قديم النشأة،حيث ظهر في القرون الأولى وبدت بواكيره منذ عهد الصحابة والتابعين، وتكلم فيه كثير من أهل العلم، ولكنه لم يظهر ويستوِ على سوقه إلا بعد ذلك بمدة.

٣. اتفق جماهير العلماء على إثبات هذا العلم وأنه جدير بالعناية والاهتمام ، ولم يخالف في ذلك إلا أفراد من العلماء لأسباب دعتهم إلى ذلك وقد بينتها في صلب الرسالة.

٤. اتفق العلماء على ذم التكلف في هذه العلم والتعمقِ في ذكر روابط بعيدة وركيكة يصان عنها كلام الله تعالى.

٥. أن هذا العلم علم دقيق، يحتاج إلى طول باع في العلوم الشرعية واللغوية وغيرها من العلوم المساعدة.

٦. أن "التحرير والتنوير" من أهم كتب التفسير التي اعتنت بعلم المناسبات.

٧. أن الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور من العلماء المقدمين في هذا العلم، ويشهد لذلك ما في تفسيره "التحرير والتنوير" من إشارات وإبداعات وانتقادات تدل على عمق درايته لهذا العلم وطول باعه فيه.

٨. انفرد ابن عاشور بذكر كثير من المناسبات لم يشر إليها أحد غيره ، ووافق في بعض المناسبات من تقدمه من العلماء، وانفرد كذلك بذكر نوع من المناسبات لم أجد من اعتنى به وهو المناسبة بين فاتحة السورة وبين ما بعدها من الآيات.

٩. أُلِّفَ في هذا العلم كثير من المؤلفات في القديم والحديث مختلفة الطرق والأنواع.

١٠. أن الجانب التطبيقي في هذا العلم على وجه الشمول لجميع آيات القرآن يحتاج إلى مزيد من الدراسات.

١١. أن هذا العلم علم توفيقي اجتهادي قابل للصواب والخطأ، ويمكن أن تجتمع في الآية الواحدة أو السورة أكثر من مناسبة ولا يحصل تعارض بينها.

١٢. أن المناسبات تختلف،فمنها ما هو ظاهر واضح ، ومنها ما يحتاج إلى نظر وتدقيق.

١٣. أن كثيراً من المناسبات جاءت موافقة لعادة مطردة من عادات القرآن الكريم، وكثيراً ما يشير ابن عاشور إلى ذلك.

أهم التوصيات

١. علم المناسبات يحتاج إلى مَعْلَمَةٍ تجمع فيها جميع المناسبات القرآنية بشتى أنواعها، بحيث يتتبع فيها بطون الكتب والرسائل القديمة والمعاصرة، ويذكر عند كل آية ما جاء فيها من وجوه المناسبات، ويقوم بالإشراف عليها نخبة من العلماء والباحثين تحت مظلة مؤسسة علمية.

٢. أن تشجع الجامعات والمؤسسات العلمية الباحثين على إخراج التراث الإسلامي المتعلق بعلم المناسبات وإظهاره إلى النور.

٣. إيجاد مقررات دراسية خاصة بعلم المناسبات تدرس في المرحلة الجامعية وفي مرحلة الدراسات العليا.

٤. حث الطلاب والباحثين على استخراج المناسبات القرآنية من بطون كتب التفسير وعلوم القرآن مع دراسة مناهج مؤلفيها.

هذا ما توصلت إليه في هذا البحث، فما كان فيه من صواب فهو من الله تعالى،وما كان فيه من خطأ فمن نفسي.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

فهرس الآيات

الصفحة	رقم الآية	الآيـــــــــــــــة
		ســــــــورة الـــــبـــــــقرة
48	25	(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ)
42	40	(ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ)
236	205	(ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ)
		ســــــــورة آل عـــــمـــــران
359	85	(ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ)
355	97	(ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ)
7	102	(ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ)
166	156	(ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ)
48	169	(ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ)
		ســــــــورة الـــــنـــــســـاء
7	1	(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ)
309	83	(ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ)
		ســــــــورة المـــــــائـــدة
25	36	(ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ)
24	37	(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ)
26	44	(ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ)

(ٻ ٻ ر ـد ئا ئا ئـہ ئـہ ئو ئو ئوُ)	45	26
(ڃ ڃ ڄ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ)	47	26
(ػ گ ګ ڰ ڱ ڲ ڳ ڴ گ ڏ)	87	27
(ػ ڭ ګ ػ ۇ ۆ ۈ ۉ ۊ ۋ ج)	89	27
(ڃ ڄ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڌ ڎ)	97	314
سـورة الأعـراف		
(ڌ ڎ ڈ ڈ ژ ڙ ڑ ک ػ ک ګ گ ګ ګ ڱ ڲ ڳ ڴ ګ ګ ں ڻ ڽ ڈ ڌ ۂ ۀ ہ ۃ)	54	136
(ٱ ٻ ٻ ٻ پ ڤ)	74	116
سـورة التـوبة		
(ۆ ۋ ۏ ې ي ٻ ٻ ر ـد ئا ئائہ)	47	52، 130
(ۉ ۇ ۇٗ ۋ ۋ و ۆ)	61	148
(ه ے ے ۓ ڭ ڭ ػ ۇ ۆ ۈ ۉ ۊ ۋ ۋ و ۆ ۋ ې ي)	92	309
سـورة يـونـس		
(ٱ ٻ ٻ ٻ پ)	1	46
(ه ه ے ے)	18	126
سـورة هـود		
(ګ ګ ڱ ڲ ڳ ڴ ګ ګ ں)	1	46
(پ ٻ پ پ ٻ)	82	113
(ڈ ۂ ۀ ہ ۃ ٻ ه ه ه)	103	317
سـورة الـحـجـر		
(ٻ پ پ ٻ ٻ)	72	113
(ۀ ہ ۃ ٻ ه ه ه ے ے ۓ ڭ ڭ ػ ػ ۇ ۆ ۈ ۉ)	-85 86	135

سـورة الإسـراء		
252	14	(ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ)
49	19	(ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ)
49	22	(ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ)
49	39	(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ)
25	66	(ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ)
261	51	(ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ)
25	70	(ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ)
25	72	(ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ)
104	85	(ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ)
سـورة مـريـم		
268	66	(ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ)
سـورة طـه		
245	59	(ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ)
255	84	(ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ)
252		(ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ)
سـورة الأنـبـيـاء		
140	33	(ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ)
سـورة الحـج		
332	11	(ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ)
سـورة المـؤمـنـون		
331	55	: (ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ)

135	115	(ے ے ۓ ۓ ﮐ ﮐ ﮑ ﮒ ﯗ)
		ســـــــورة الــفرقان
106	40	(ﮓ ﮔ ﮕ ں ں ڻ ڻ ﮘ ﮙ ﮪ)
		ســـــــورة الروم
332	7	(ٹ ٹ ﭡ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ)
		ســـــــورة الأحزاب
244	33	(ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ)
184	57	(ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ)
7	70	(ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ)
		ســـــــورة يس
261	78	﴿ ﮓ ﮔ ﮕ ں ں ڻ ڻ ﮘ ﮙ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ)
91-90	81	(ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ)
		ســـــــورة الزمر
126		(ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ)
46	23	(ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ)
		ســـــــورة غافر
254	52	(ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ)﴾
91	57	ﮐ ﮑ ﮒ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ)
		ســـــــورة فصلت
329	15	(ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮤ)
110-109	39	(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ)
268	53	(ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ)
		ســـــــورة الدخان
135	38	﴿ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ

﴿ ي تج تح تخ تم تى ٱ ب ب ﭘ ﭙ ﴾		
(ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ)	49	135
سورة الأحقاف		
(ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ)	33	91
سورة الحجرات		
(ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ)	14	281
سورة ق		
(ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ)	2	101 ،90
(ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ)	3	85
(ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ)	5	87
(ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ)	6	90، 91، 92، 97، 98
(ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ)	9	276
(ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ)	12-14	92
(ﮬ ﮭ ﮮ)	10	97
(ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ)	15	98 ،97
(ﭑ ﭒ ﭓ)	16	100
(ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ)	31-35	94
(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ)	36	101
(ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ)	38	98 ،97
(ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ)	39	101 ،100
سورة الذاريات		
﴿ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ	6-1	104

		﴿ئو ئۇئۇ ئۆئۆ ئۈئۈ ئى ئېئى﴾
106	8-7	﴿ ٱ ب ٻ پ ڀ ڀ ڀ ڀ﴾
108	-15 16	﴿ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ﴾
111، 110	19	(گ ڳ ڳ)
109، 111، 112	20	(ڳ ں ں ڻ ڻ)
268	21	(ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ)
111، 112	22	(ہ ہ ھ ھ ھ ھ)
111	23	(ے ے ۓ ۓ ڭ ۇ)
113	24	(ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ)
115	38	(ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ)
116	43	(ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ)
117	48	﴿ئى ئې ئى ئى﴾
117	49	(ئد ی ی ی ئج ئح ئم)
		ســــــــورة الطور
119	2	(ٹ ٹ ٹ)
119	4	(ہ ہ ہ)
120	-17 18	(ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ)
121	30	(ئج ئح ئم ئى)
121	33	(ڀ ٺ)
121		(ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ)
121	37	(ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک)
122	39	(ک ک ک گ گ گ)
		ســــــــورة النجم

﴿ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﴾	19-21	124
(ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ)	24	126
(ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ)	25	127,129
(ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ)	26	127،126
(ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ)	29	128
(ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ)	30	129
(ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ)	31	129
(ﰛ ﰜ)	44	131
(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ)	45	124
سـورة القمر		
(ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ)	4	133
(ﯤ ﯥ ﯦ)	6	133
(ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ)	9	133
(﯒ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ)	43	135
(ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ)	47	138
(ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ)	48	135
(ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ)		135
(ﭑ ﭒ ﭓ)	50	135
(ﭔ ﭕ ﭖ)	51	135
(ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ)	54-55	138
سـورة الرحمن		
(ﭼ ﭽ)	1	140

141	10	(ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ)
140	17	(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ)
140	19-20	(ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ)
142	46-47	(ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ)
143	48-50	(ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ)
143		(ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ)
143	56	(ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ)
سـورة الواقعة		
146	35-38	(ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ)
148	45	(ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ)
153، 148	47	(ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ)
153، 148	49-50	(ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ)
149	58	(ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ)
155	62	(ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ)
150، 149	63	(ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ)
151	68-69	(ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ)
152	71	(ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ)
155، 153	75-77	(ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ)
145	83-	(ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ)

	84	
سـورة الحديد		
157	5	(ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ)
157	6	(ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ)
162	10	(ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ)
159	11	(ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ)
159	12	(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ)
161	19	(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ)
162	20	(ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ)
163	21	(ﮓ ﮔ ﮕ)
162	22	(ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ)
سـورة المجادلة		
165	5	(ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ)
166	8	(ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ)
166	9	(ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ)
168	11	(ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ)
سـورة الحشر		
171	11	(ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ)
173	13	(ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ)
174	21	(ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ)

الصفحة	الآية	النص
175		(ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ)
سـورة الممتحنة		
178	4	(ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ)
178	2	(ﭝ ﭞ)
178	3	(ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ)
180	10	(ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ)
سـورة الصف		
183	1	(ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ)
185	4	(ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ)
184	5	(ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ)
187	6	(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ)
189	7	(ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ)
سـورة الجمعة		
191	5	(ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ)
		(ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ)
193	-9	(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ

ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ)	10	
ســـــــــورة المنافقون		
(ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ)	1	197
(ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ)	2	197
(ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ)	7	199، 201
(ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ)	9	201
ســـــــــورة التغابن		
(ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ)	2	204
(ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ)	3	204
(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ)	11	205
(ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ)	13	207
(ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ)	14	207
ســـــــــورة الطلاق		
(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ)	1	212
(ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ)	2	212
(ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ)	2	212
(ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ)	3	211
(ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ)	4	212
(ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ)	5	212
(ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ)	7	212
(ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ)	8	212

		سـورة التحريم
203	4	(ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ
215	6	(ۈ ۉ ۊ ۋ ۋ ۋ ۋ ې ې ۑ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ)
217	7	(ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ)
216	8	(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ)
218		(ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ)
220	11	(ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ)
		سـورة الملك
222	12	(ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ)
223	13	(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ
224	16	(ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ)
225	29	(ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ)

227	14	(ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئى ئې ئې ئى ئى ئد ى ى)
227	17	(ڀ پ ڀ ڀ پ ٺ ٺ ٿ ٿ)
229	44	(ٹ ٹ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٽ ڈ ڈ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ)
ســـــــورة القلم		
315		(ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ)
سورة المعارج		
231، 233	14	(ٹ ڈ ڈ ڤ)
231	15	(ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ)
139، 233	17	(ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ))
ســـــــورة نوح		
236	11	(ې ې ڀ ڀ ر مدئا)
236	12	(ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئى ئې ئې ئى ئى)
237	20	(ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ)
237	23	(ه ه ه ه ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ)
ســـــــورة الجن		
239، 244	2	(ڀ ڀ پ ڀ)
239	5	(ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ)
225	6	(ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ)
241	8	(ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ)
242	10	(ڑ ک ک ک ک گ گ گ)
ســـــــورة المزمل		

ســـــــــورة المدثر		
(ﮪ ﮫ ﮬ)	1	245
(ﯕ ﯖ ﯗ)	3	244
(ﯘ ﯙ ﯚ)	4	244
(ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ)	6	246
(ﯟ ﯠ ﯡ)	7	،245 247
(ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ)	-9 10	247
(ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ)	11 -13	247
ســـــــــورة القيامة		
﴿بَلْ يُرِيدُ الإنسان لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾	5	251
(ﯟ ﯠ ﯡ)	10	251
(ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ)	11 -12	252
(ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ)		252
(ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ)	14 -15	251
(ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ)	16 -19	،239 249
(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ)	20	250
ســـــــــورة الإنسان		
(ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ)	5	258
(ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ)	15	258

259	23 24-	(ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ)
261	27	(ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ)
261	28	(ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ)
244	29	(ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ)
255	30	(ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ)
سـورة المرسلات		
263	7	(ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ)
263	8	(ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ)
263	15	(ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ)
سـورة النبأ		
250	2	(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ)
265، 268، 269، 273	6	(ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ)
267	7	(ﭠ ﭡ ﭢ)
268		(ﭤ ﭥ ﭦ)
270	9	(ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ)
271	10	(ﭭ ﭮ ﭯ)
272	11	(ﭱ ﭲ ﭳ)
273	12	(ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ)
274	13	(ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ)
275	14	(ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ)
276	17	(ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ)

(ژ ڙ ڑ ڙ ک)	15	276
(ﮨ ﮪ ﮫ ﮬ ﮮ ﮯ ﮰ)	21 22-	278
(ٱ ٻ ٻ ٻ)	31	278
ســــــــورة النازعات		
(ڐ ڎ ۂ)	1	263
(ۓ ڭ ڭ ڴ)	6	288
(ۅ ۆ ۇ ۈ ۉ)	10	285
(ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ)	12	283
(ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ)	13	282
(ئى ئى ئې ئى)		285
(ئی ئد ی ی ې)	15	282، 283
(ڍ ڌ ڌ ڎ ڏ ڐ)	26	282
(ژ ڙ ڑ ک ک ک ک)	27	282، 285
(گ ڳ ڳ ں ں)	30	287
(ھ ھ ے ے ۓ)	34	288
ســــــــورة عبس		
(ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ)	1- 2	290
(ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ)	5- 6	291، 293
(ڤ ڦ ڦ ڃ ڃ)	8	291
(ڇ ڇ ڇ ڍ)	12	293

293	17	(ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ)
295	18	(ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ)
295، 296	24	(ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ)
		سورة التكوير
298		(ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ)
298		(ﭫ ﭬ ﭭ)
300		(ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ)
300		(ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ)
		ســــــــورة الانفطار
302	9- 10	(ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ)
302	12	(ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ)
302	13	(ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ)
303	14	(ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ)
		ســــــــورة المطففين
305	7	(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ)
309	16	(ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ)
306، 309	17	(ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ)
305، 306	18	(ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ)
305	21	(ﮨ ﮩ ﮪ)
308	29	(ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ)
308،	34	(ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ)

310		
		ســـــــــورة الانشقاق
312	16	(ہ ھ ھ ے)
312	19	(ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ)
		ســـــــــورة البروج
314	1	(ٱ ٻ ٻ ٻ)
315، 316	2	(ٻ پ پ)
316	3	(پ پ پ)
316	6	(ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ)
316	7	(ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ)
		ســـــــــورة الطارق
319	11	(ڍ ڌ ڌ ڎ)
		ســـــــــورة الأعلى
322	8	(ې ې ې)
321	9	(ې ى ى ئا ئا)
323	10	(ئە ئو ئو)
323	11	﴿ ئۇ ئۆ ﴾
323	12	(ئۆ ئۈ ئۈ ئى ئې ئى)
323	14	(ئج ئح ئم ئى)
193	17	(پ پ پ پ)
		ســـــــــورة الغاشية
326	8	(ڎ ڎ ڎ ڙ)
353	17	(ہ ہ ھ ہ)
		ســـــــــورة الفجر

(ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ)	1-2	328
(ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ڤ)	6	329
(ڃ ڃ ڃ)	9	329
(ک ک ک گ)	14	331، 332، 333
(گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ گ ڱ ڱ ڱ)	15	331
(ھ ھ ے ے ۓ)	17	334
(ڎ ڎ ڎ ڎ)	27	335
سـورة الشمس		
(ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ)	1-6	338
(ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ)	9	340
سـورة الليل		
(ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ)	1-4	342
سـورة الضحى		
(ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ	1-3	344
سـورة العلق		
(چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ)		347

	سـورة القدر	
347	1	(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ)
	سـورة البينة	
350	5	(ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ)
350	6	(ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ)
351	7	(ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ)
	سـورة العاديات	
353	1	(ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ)

	سـورة التكاثر	
357	8	(ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ)
	سـورة العصر	
359	1	(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ)
	سـورة الماعون	
362	4	(ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ)
	سـورة المسد	
365	4	(ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ)
	سـورة الفلق	
367	3	(ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ)

فهرس الحديث

الحديث	رقم الصفحة
[احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز]	208
[اعقلها وتوكل]	208
[اللهم اشدد وطأتك على مضر]	228
[أما من جاءنا منهم فرددناه إليهم فسيجعل الله له فرجاً]	180
[إن الله نظيف يحب النظافة]	244
[خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين ،وخلق الجبال يوم الثلاثاء]	98
[كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه القرآن يُحرك به لسانه]	249
[والله لا يخفى عليّ خشوعكم]	254
[يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة]	24

فهرس الآثار

رقم الصفحة	الـــــــأثـــــــــر
24	اتل أول الآية
27	إذا حدثت عن الله حديثاً فأمسك
27	إذا حدثت عن الله فقف
24	إذا سأل أحدكم أخاه عن الآية فلا يقول: كذا وكذا
24	إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا
26	اقرأ ما قبلها
26	اقرأ ما قبلها وما بعدها
25	ألا إنهم الذين كفروا
26	زعم قوم أنها نزلت على بني إسرائيل و لم تنزل علينا
27	اللغو أن تحرم هذا الذي أحل الله
25	لم تصب المسألة، اقرأ ما قبلها
255	لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً

فهرس الأشعار

رقم الصفحة	البيت		
76		*	هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ من مترَدَّمِ

فهرس الأعلام

الاسم	رقم الصفحة
ابن العربي	- 22 -، - 29 -، - 30-، - 39-، -53
ابن القيم	- 39 -
ابن المنيِّر	-69 -
ابن النقيب الحنفي	-33 -55-
ابن أم مكتوم	-291 -، - 293 -
ابن جرير	- 72 -، -74- ،- 76 -
ابن عاشور	- 3 -، - 7 -، - 8 -، - 10 -، - 11 -، - 12- ،-13 -، - 14 -، - 15 -، - 16 -،-17- ، - 32 -، - 41 -، - 61 -، - 63 -، - 64 -، - 69 -، - 71 -، - 73 -، - 74 -، - - 76 -، - 77 -، - 78 -، - 79 -، - 80 -، - 81 -، - 82 -، - 85 -، - 86 -، - 87 -، - 88 -، - 90 -، - 91 -، - 92 -، - 93 -، - 94 -، - 95 -، - 97 -، - 98 -، - 99 -، - 101 -، - 102 -، - 104 -، - 105 -، - 106 -، - 107 -، - 108 -، - 109 -، - 110 -، - 112 -، - 113 -، - 114 -، - 115 -، - 117 -، - 119 -، - 121 -، - 122 -، - 123 -، - 124 -، - 126 -، - 127 -، - 128 -، - 129 -، - 130 -، - 132 -، - 134 -، - 135 -، - 137 -، - 138 -، - 139 -، - 140 -، - 141 -، - 142

– ،– 147 – ،– 145 – ،– 144 – ،– 143 – ،– 152 – ،– 151 – ،– 150 – ،– 149 – ،– 148 – ،– 158 – ،– 157 – ،– 155 – ،– 154 – ،– 164 – ،– 163 – ،– 162 – ،– 161 – ،– 160 – ،– 169 – ،– 168 – ،– 167 – ،– 165 – ،– 175 – ،– 174 – ،– 173 – ،– 172 – ،– 170 – ،– 180 – ،– 178 – ،– 177 – ،– 176 – ،– 186 – ،– 184 – ،– 183 – ،– 182 – ،– 181 – ،– 190 – ،– 189 – ،– 188 – ،– 187 – ،– 196 – ،– 195 – ،– 194 – ،– 193 – ،– 191 – ،– 202 – ،– 200 – ،– 199 – ،– 198 – ،– 207 – ،– 206 – ،– 205 – ،– 204 – ،– 203 – ،– 212 – ،– 211 – ،– 210 – ،– 209 – ،– 223 – ،– 222 – ،– 216 – ،– 215 – ،– 214 – ،– 233 – ،– 232 – ،– 231 – ،– 230 – ،– 246 – ،– 245 – ،– 244 – ،– 243 – ،– 241 – ،– 252 – ،– 251 – ،– 250 – ،– 248 – ،– 257 – ،– 256 – ،– 255 – ،– 254 – ،– 253 – ،– 261 – ،– 260 – ،– 259 – ،– 258 – ،– 275 – ،– 274 – ،– 273 – ،– 270 – ،– 269 – ،– 288 – ،– 282 – ،– 281 – ،– 276 – ،– 300 – ،– 299 – ،– 298 – ،– 296 – ،– 290 – ،– 306 – ،– 305 – ،– 303 – ،– 301 – ،– 312 – ،– 311 – ،– 310 – ،– 308 – ،– 307 – ،– 318 – ،– 316 – ،– 315 – ،– 314 – ،– 326 – ،– 324 – ،– 323 – ،– 321 – ،– 320	

	- ،- 332 - ،- 330 - ،- 329 - ،- 327 - ،- 340 - ،- 338 - ،- 337 - ،- 335 - ،- 334 -349-348- 346 - ،- 345 - ،- 342 - ،- -361 -360 -358 -356 -355 -352 -351 372 -371 -368 -366 -364 -363
ابن عباس	- 249 - ،- 223 - ،- 98 - ،- 25-
ابن عرفة	-76-،- 74-
ابن عطية	- 218 - ،- 97 - ،- 85 - ،-76-،- -71- 310 - ،-219-،
ابن عقيلة	57 - 34 -
ابن فارس	- 21 -
ابن مسعود	- 24 -
أبو الثناء محمود الأصفهاني	-75-،-56 -
أبو الحسن بن شعبان	- 63 -
أبو السعود	81 - ،-72-69-53- 30-15 -13 -10-3- -174،- 130 - ،- 120 - ،- 99 - ،- 97 - ،- -،-265-261-،- 260 - ،-226-،-225- ، -282-281-،-278-،-276-،-275-،-266 -،-321-312-،-311-،-310-،-309-،-285 -345-،-330-،-327-،-326
أبو القاسم الأصبهاني	-62-
أبو بكر النيسابوري	-29 – 27 -
أبو تمام	-64-
أبو جعفر ابن الزبير	- 347-،-53-،-33-
أبو جهل	-282-

أبو حيان	-10-،-13-،-15-29-،-53، - 81 -، - 87 -، - 101 -، - 113 -، - 118 -، - 138 -، - 154 -، - 156 -، - 157 -، - 163 -، - 167 -، - 168 -، - 174 - -، - 186 -، - 202 -، - 212 -، - 215 -، -218-،-219، - 238 -،- 239 - - 243 -، - 251 -، - 261 -،- 265-،-266، - 275 -، - 276 -،- 284-،-294، - 299 -، - 308 -، - 309 -،-310، - 312 -،-324-،-345-
أبو لهب	-365-
الأبي	- 76-
أحمد بن بدر الكافي	-61 -
أحمد جمال الدين	- 61-
آدم عليه السلام	-98-،-233-
الآلوسي	-31 -، - 56 -، - 70 -، - 76 -
امرئ القيس	- 65 -
أمية بن خلف	-282-
البخاري	- 65 -، - 249 -
بشار بن برد	- 64 -
البقاعي	7 -، - 13 -، - 15 -، - 23 -، - 28 -، - 31 -، - 32 -، - 36 -، - 38 -، - 40 -، - 49 -، - 51 -، - 52 -، - 76 -، - 86 -، - 87 -، - 89 -، - 90 -، - 93 -، - 94 -، - 95 -، - 97 -، - 99 -، - 103 -، - 104 -، -

	106 -، - 108 -، - 109 -، - 110 -، - 113 -، - 115 -، - 118 -، - 120 -، - 121 -، - 122 -، - 124 -، - 126 -، - 129 -، - 130 -، - 133 -، - 134 -، - 135 -، - 137 -، - 138 -، - 139 -، - 140 -، - 141 -، - 142 -، - 143 -، - 144 -، - 145 -، - 147 -، - 148 -، - 150 -، - 152 -، - 154 -، - 156 -، - 157 -، - 160 -، - 162 -، - 163 -، - 164 -، - 165 -، - 167 -، - 169 -، - 170 -، - 174 -، - 176 -، - 178 -، - 181 -، - 183 -، - 184 -، - 186 -، - 187 -، - 188 -، - 190 -، - 191 -، - 193 -، - 194 -، - 195 -، - 196 -، - 199 -، - 200 -، - 202 -، - 203 -، - 204 -، - 206 -، - 207 -، - 209 -، - 210 -، - 211 -، - 214 -، - 215 -، - 216 -، - 222 -، - 223 -، - 232 -، - 233 -، - 239 -، - 241 -، - 246 -، - 248 -، - 253 -، - 254 -، - 255 -، - 257 -، - 258 -، - 259 -، - 260 -، - 261 -، - 269 -، - 270 -، - 274 -، - 276 -، - 282 -، - 296 -، - 299 -، - 300 -، - 301 -، - 303 -، - 305 -، - 306 -، - 309 -، - 310 -، - 311 -، - 312 -، - 314 -، - 315 -، - 324 -، - 327 -، - 332 -، - 335 -، - 338 -، - 340 -، - 342 -
البيضاوي	-76-، - 104 -، - 56 -

التفتازاني	- 71 -
جابر بن عبد الله	_24_
حاطب بن أبي بلتعة	-188-202-
الحرالي	-33-55-
حكيم بن جبير	- 26 -
الخطيب الأصبهاني	- 74 -
الخفاجي	-72-76-
الرازي	3 –، – 7 –، – 10 –، – 13 –، – 15 –، – 22 –، – 29 –، – 35 –، – 51 –، – 67 –، – 69 – ، – 71 –، – 72 –، – 76 –، – 81 –، – 85 –، – 86 –، – 88 –، – 90 –، – 92 –، – 93 –، – 94 –، – 95 –، – 101 –، – 102 –، – 103 –، – 104 –، – 113 –، – 118 –، – 119 –، – 120 –، – 126 –، – 127 –، – 128 –، – 129 –، – 132 –، – 133 –، – 135 –، – 139 –، – 141 –، – 142 –، – 143 –، – 145 –، – 150 –، – 151 –، – 155 –، – 156 –، – 157 –، – 180 –، – 181 –، – 182 –، – 183 –، – 184 –، – 204 –، – 205 –، – 206 –، – 209 –، – 210 –، – 211 –، – 214 –، – 215 –، – 216 –، – 230 –، – 239 –، – 241 –، – 243 –، – 244 –، – 245 –، – 250 –، – 261 –، – 273 –، – 274 –، – 275 –، – 276 –، – 281 –، – 282 –، – 296 –، – 298 –، – 299 –، – 300 –، – 303 –، – 309 –، – 310 –، – 312 –، – 320 –، – 326 –، – 329 –، – 330 –، – 334

	-، - 337 -، - 338 -، - 345 -
الراغب الأصفهاني	- 75 -
الزجاج	- 161 -
الزركشي	- 28 -، - 34 -، - 35 -، - 40 -، - 44 -
الزمخشري	- 56 -، - 69 -، - 85 -، - 194 -، - 195 -،
سالم بو حاجب	- 61 -
سعيد بن جبير	- 26 -
سعيد حوى	-57-
سيد قطب	- 32 -57-
السيوطي	-33- - 34 -، -35 -41-
الشهراباني	- 28 -، - 30 -
الشوكاني	- 41 -، - 42 -، - 44 -، - 46 -، - 47 -، - 48 -49-
الضحاك	- 106 -
الطيبي	- 70 -، - 71 -، - 76 -
عادل محمد صالح أبو العلا	- 36 -54-
عبد القادر التميمي	- 61 -
عبد الله بن أبي بن سلول	-199-
عبد الله دراز	- 45 -، - 41 -
عز الدين ابن عبد السلام	- 39 -، - 41 -42-44-45-47-
عكرمة	- 25 -

عمر ابن عاشور	- 61 -
عمر بن الشيخ	- 61 -
عيسى عليه السلام	-187-189-
الغماري	- 35 -،
الفراهي	- 35 -، - 53 -
القرطبي	- 76 -
القزويني	- 70 -76-
القطب	- 70 -76-
القفال	- 252 -253
لوط عليه السلام	-113-114-115-218-219
المتنبي	- 65 -
محمد الخياري	- 60 -، - 61 -
محمد الشاذلي	- 59 -، - 63 -
محمد الصادق ابن الحاج محمود	- 63 -
محمد الصادق بن محمد الشطي	- 63 -
محمد العزيز بو عتُّور	-59-61-
محمد العيد	- 63 -
محمد الفاضل	- 63 -
محمد النخلي	- 61 -
محمد بن عثمان النجار	- 62 -
محمد بن عمر بازمول	22 -، - 54 -

محمد رشيد رضا	-57- 56 -32-
محمد ظاهر بن غلام	-52-
محمود ابن الخوجة	- 62 -
المرزوقي	- 64 -
المرسي	- 55 - ،- 31 -
مسلم بن الحجاج	-249-
مسلم بن يسار	- 27 -
مقاتل	- 217 -
موسى عليه السلام	-329-286-285 -284- 282- 255- 345
نظام الدين النيسابوري	-52-
نوح ﷺ	-231-231-219-218-133-
يزيد بن صهيب	- 24 -
يعلى بن مسلم	- 26 -

فهرس المصادر والمراجع

١) الإتقان في علوم القرآن ، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، طبعة 1424.

٢) إتمام الأعلام ، تأليف: نزار أباظة و محمد رياض المالح ، دار صادر ، بيروت ـــ لبنان ، الطبعة الأولى ، 1999.

٣) الآداب الشرعية ، تأليف: محمد ابن مفلح المقدسي ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط و عمر القيام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ـــ لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1419.

٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، تأليف: محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـــ لبنان ، (ط.د) ، (ت.د).

٥) أسباب النزول ، تأليف: علي الواحدي ، عالم الكتب ، بيروت ـــ لبنان ، (ط.د) ، (ت.د).

٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تأليف: يوسف بن عبد الله ابن عبد البر ، تحقيق: علي البجاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ـــ مصر ، (ط.د) ، (ت.د).

٧) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، تأليف: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، (ط.د) ، (ت.د).

٨) الإصابة في تمييز الصحابة ، تأليف: أحمد بن علي بن حجر ، تحقيق: عادل عبد الموجود و علي معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، الطبعة الأولى ، 1415.

٩) إعجاز القرآن ، تأليف: أبى بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف ، مصر ـــ القاهرة ، الطبعة الثالثة ، (ت.د).

١٠) الأعلام ، تأليف: خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، لبنان ، الطبعة الخامسة عشرة ، 2002.

١١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تأليف: عبد الله بن عمر البيضاوي ، تحقيق: محمد المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـــ لبنان ، الطبعة الأولى ، (ت.د).

١٢) البحر المحيط ، تأليف: أبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي ، تحقيق: عادل عبد الموجود و أحمد الجمل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، الطبعة الأولى ، 1413.

١٣) البداية والنهاية ، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير ، تحقيق: عبد الرحمن اللادقي و محمد غازي بيضون ، دار المعرفة ، بيروت ـــ لبنان ، الطبعة السادسة 1422.

١٤) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، تأليف: محمد بن علي الشوكاني ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ـــ مصر ، (ط.د) ، (ت.د).

١٥) البرهان في علوم القرآن ، تأليف: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ـــ مصر ، (ط.د) ، (ت.د).

١٦) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، بيروت ـــ لبنان ، الطبعة الثانية ، 1399.

١٧) تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام ، تأليف: محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـــ لبنان ، الطبعة الثانية ، 1423.

١٨) تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ـــ لبنان ، الطبعة الأولى ، 1405.

١٩) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي ، تحقيق: محمادي عبد السلام الخياطي ، (ن:د) ، الطبعة الأولى ، 1418.

٢٠) تراجم المؤلفين التونسيين ، تأليف محمد محفوظ ، دار الغرب ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1994.

٢١) تفسير القرآن العظيم ، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ، دار طيبة ، الرياض ـــ السعودية ، الطبعة الأولى ، 1418.

٢٢) التفسير والمفسرون ، تأليف: الدكتور محمد حسين الذهبي ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1396.

٢٣) التفسير ورجاله ، تأليف: محمد الفاضل بن عاشور ، دار سحنون ، تونس ، الطبعة الأولى ، 1998-1999.

٢٤) تقريب التهذيب ، تأليف: أحمد بن علي بن حجر ، عناية: عادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ـــ لبنان ، الطبعة الأولى ، 1420.

٢٥) تهذيب الأسماء واللغات ، تأليف: يحيى بن شرف النووي ، دار الكتب العلمية (مصور من الطبعة المنيرية) ، بيروت ـــ لبنان ،(ط.د)،(ت.د).

٢٦) تهذيب التهذيب ، تأليف: أحمد بن علي بن حجر ، دار الفكر ، بيروت ـــ لبنان ، الطبعة الأولى ، 1404.

٢٧) الثقات ، تأليف: محمد بن حبان البستي ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ـــ الهند ، الطبعة الأولى ، 1393.

٢٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تأليف: محمد بن جرير الطبري ، دار ابن حزم ، بيروت ـــ لبنان ، الطبعة الأولى ، 1423.

٢٩) جواهر البيان في تناسب سور القرآن ، تأليف: عبد الله بن الصديق الغماري ، عالم الكتب ، بيروت ـــ لبنان ، الطبعة الثانية ، 1406.

٣٠) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، تأليف : عبد الرزاق البيطار ، تحقيق : محمد بهجة البيطار ، دار صادر ، بيروت ـــ لبنان ، الطبعة الثانية ، 1413.

٣١) حياة الحيوان الكبرى ، تأليف: كمال الدين محمد بن موسى الدميري ، تحقيق: إبراهيم صالح ، دار البشائر ، دمشق ـــ سوريا ، الطبعة الأولى ، 1426.

٣٢) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، تأليف: محمد أمين بن فضل الله المحبي ، تصحيح: مصطفى وهبي ، مصر ، المطبعة الوهبية ، 1284.

٣٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تأليف: جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، بيروت ـــ لبنان ، (ط.د) ، 1993

٣٤) دراسات في علوم القرآن ، تأليف: فهد بن عبد الرحمن الرومي ، (ن.د) ، الطبعة الثالثة عشرة ، 1425.

٣٥) درة التنزيل وغرة التأويل ، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الأصبهاني ، تحقيق:د.محمد مصطفى آيدين ، مطبعة جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، 1422.

٣٦) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تأليف: أحمد بن علي بن حجر ، تحقيق: محمد عبد المعيد ، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ــ الهند ، (ط.د) ، (ت.د).

٣٧) ديوان عنترة بن شداد ، مطبعة الآداب ، بيروت ــ لبنان ، (ط.د) ، 1893.

٣٨) ذيل الأعلام ، تأليف: أحمد العلاونة ، دار المنارة ، جدة ــ السعودية ، الطبعة الأولى، 1422.

٣٩) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، تأليف: محمد بن جعفر الكتاني ، تحقيق: محمد المنتصر الزمزمي ، دار بشائر ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الخامسة ، 1414.

٤٠) سلسلة الرسائل (مجموع فيه رسائل المعلمي) ، تأليف : عبد الرحمن المعلمي ،تحقيق ونشر : ماجد الزيادي ، المكتبة المكية ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، 1417.

٤١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، تأليف: محمد خليل بن علي المرادي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ــ مصر ، (ط.د) ، (ت.د).

٤٢) سنن الترمذي ، تأليف: أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الثانية ، 1998.

٤٣) سير أعلام النبلاء ، تأليف: محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة التاسعة ، 1413.

٤٤) السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام الحميري ، تحقيق: مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الثانية 1417.

٤٥) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تأليف:عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، (ط.د) ، (ت.د).

٤٦) شرح الكوكب المنير ، تأليف : محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي ، مكتبة العبيكان ، الرياض – السعودية ، (ط.د) ، 1418.

٤٧) شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، تأليف: محمد الحبيب ابن الخوجة ، (ن.د) ، الطبعة الأولى ، 1425.

٤٨) الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره "التحرير والتنوير " ، تأليف: الدكتورة هيا ثامر مفتاح العلي ، دار الثقافة ــ قطر ، بدون ذكر الطبعة ، 1994.

٤٩) صحيح البخاري ، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق: مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، دمشق ــ سوريا ، الطبعة الخامسة ، 1414.

٥٠) صحيح الترمذي ، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ــ السعودية ، الطبعة الأولى ، 1411.

٥١) صحيح مسلم ، تأليف: مسلم بن الحجاج النيسابوري ، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن حزم ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ، 1416.

٥٢) ضعيف الترمذي ، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ــ السعودية ، الطبعة الأولى ، 1411.

٥٣) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، تأليف: محمد بن عبد الرحمن السخاوي ،دار الجيل، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ، 1412.

٥٤) طبقات الشافعية ، تأليف:أبو بكر بن أحمد ابن قاضي شهبة ، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ، 1407.

٥٥) طبقات المفسرين ، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، (ط.د) ، (ت.د).

٥٦) علم المناسبات في السور والآيات ، تأليف: محمد بن عمر بازمول ، المكتبة المكية ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، 1423.

٥٧) العواصم من القواصم ، تأليف: محمد بن عبد الله ابن العربي المالكي ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، طبع وزارة الشؤون الإسلامية ، الرياض ــ السعودية ، (ط.د) ، (ت.د).

٥٨) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، تأليف: نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ، تحقيق: زكريا عميران ، دار الكتب العلمية ، لبنان ــ بيروت ، الطبعة الأولى ، 1416.

٥٩) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، دار الوفاء ، المنصورة ــ مصر ، الطبعة الثانية ، 1418.

٦٠) فضائل القرآن ، تأليف: أبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق: وهبي سليمان عاوجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ، 1411.

٦١) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، تأليف : محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1327.

٦٢) فوات الوفيات ، تأليف: محمد بن شاكر الكتبي ، تحقيق:إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ، 1974.

٦٣) القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين ، تأليف : د.محمود حامد عثمان،دار الزاحم،الرياض –السعودية ، الطبعة الأولى ، 1423

٦٤) القاموس المحيط ، تأليف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ــ لبنان ، الطبعة السادسة ، 1419.

٦٥) القرآن الكريم.

٦٦) قطف الأزهار في كشف الأسرار ، تأليف: جلال الدين السيوطي ، تحقيق: أحمد محمد الحمادي ، وزارة الشؤون الإسلامية بقطر ، الطبعة الأولى ، 1414.

٦٧) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الثانية ، 1421.

٦٨) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تأليف: مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة ، دار إحياء التراث ، بيروت ــ لبنان ، (ط.د)،(ت.د).

٦٩) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (طبقات المناوي الكبرى) ، تأليف: عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق: د.عبد الحميد صالح حمدان ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر ، (ط.د) ، (ت.د).

٧٠) لسان العرب ، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ، دار صادر ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ، (ت.د).

٧١) لسان الميزان ، تأليف: أحمد بن علي بن حجر ، تحقيق: دائرة المعرف النظامية ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1406.

٧٢) مجلة الأحمدية ، العدد 11 ، جمادى الأولى ، 1423.

٧٣) مجلة البيان ، العدد 146 ، شوال ، سنة 1420.

٧٤) المجلة الزيتونية ، مجلة علمية أدبية أخلاقية ، تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونية ، المجلد الأول ، رجب 1355.
٧٥) مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد 25 ، محرم ، سنة 1420.
٧٦) مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية ، المجلد 20 ، العدد الثاني2004.
٧٧) مجلة حولية كلية المعلمين في أبها ،تصدر عن مركز البحوث التربوية بكلية المعلمين في أبها، العدد الخامس ،1424-1425.
٧٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تأليف: عبد الحق بن غالب ابن عطية ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، (ط.د) ،1413.
٧٩) المحرر في علوم القرآن ، تأليف : مساعد بن سليمان الطيار ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، الطبعة الأولى ،1427.
٨٠) محمد الطاهر ابن عاشور ، علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه تأليف: إياد خالد الطباع ، دار القلم ، دمشق ــ سوريا ، الطبعة الأولى 1426.
٨١) مدخل لتفسير "التحرير والتنوير" لابن عاشور ، تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد ، دار ابن خزيمة ، الرياض ــ السعودية ، الطبعة الأولى ،1428.
٨٢) المستدرك على الصحيحين ، تأليف: محمد بن عبد الله الحاكم ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ،1411.
٨٣) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ، تأليف: برهان الدين البقاعي ، تحقيق: د.عبد السميع محمد أحمد حسنين ، مكتبة المعارف ، الرياض ــ السعودية ، الطبعة الأولى ، 1408.
٨٤) المصنف ، تأليف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الثانية ،1403.
٨٥) المصنف في الأحاديث والآثار ، تأليف: أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، تحقيق: كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ،1409.
٨٦) معاني القرآن وإعرابه ، تأليف: إبراهيم الزجاج ، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ،1408.

٨٧) معجم البلدان ، تأليف: ياقوت الحموي ، دار الفكر ، بيروت ــ لبنان ، (ط.د)،(ت.د).

٨٨) المعجم الكبير ، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ــ العراق ، الطبعة الثانية، 1404.

٨٩) معجم معالم الحجاز ، تأليف : عاتق البلادي ، دار مكة ، الطبعة الأولى ، 1399.

٩٠) المعلقات العشر ، عناية: أحمد بن الأمين الشنقيطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ، (ت.د).

٩١) مفاتح الغيب (التفسير الكبير) ، تأليف: فخر الدين بن ضياء الدين عمر الرازي ، دار الفكر ، لبنان ــ بيروت ، الطبعة الأولى ، 1401.

٩٢) مقاييس اللغة ، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ، 1422.

٩٣) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، تأليف: محمد بن عبد الله ابن العربي المالكي ، تحقيق: عبد الكريم العلوي المدعري ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة — مصر ، (ط.د) ، (ت.د).

٩٤) النبأ العظيم ، تأليف: محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، القاهرة ــ مصر ، الطبعة الثامنة ، 1416.

٩٥) نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر ، تأليف : الدكتور يوسف المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ، 1427.

٩٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تأليف: برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، المكتب الإسلامي ، القاهرة ــ مصر ، (ط.د) ، (ت.د).

٩٧) النظم الفني في القرآن ، تأليف: عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ــ مصر،(ط.د) ، (ت.د).

٩٨) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تأليف: أحمد بن أحمد المقري التلمساني ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ــ الطبعة الأولى ، 1997.

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
3	مستخلص الرسالة
4	ترجمة المستخلص
5	شكر وتقدير
6	المقدمة
11	أهمية الموضوع وأسباب اختياره
12	الدراسات السابقة
13	حدود البحث
14	خطة البحث
15	منهج البحث
16	منهج الباحث في ذكر المناسبات
18	**القسم الأول**:
20	الفصل الأول: علم المناسبات
21	المبحث الأول: تعريف علم المناسبات
24	المبحث الثاني: نشأة علم المناسبات.
30	المبحث الثالث: مراحل علم المناسبات
37	المبحث الرابع: أقسام علم المناسبات

المبحث الخامس: أهمية علم المناسبات	49
المبحث السادس: فوائد علم المناسبات	50
المبحث السابع: الكتب المعتنية بعلم المناسبات.	52
الفصل الثاني:	58
المبحث الأول: التعريف بمؤلف "التحرير والتنوير".	59
اسمه ونسبه	59
مولده ونشأته	60
همته وذكاؤه	61
شيوخه	61
تلاميذه	63
مؤلفاته	64
وظائفه وأعماله	66
وفاته	67
المبحث الثاني: التعريف بكتاب "التحرير والتنوير"	68
اسم الكتاب	68
افتتاحية الكتاب	68
سبب تأليف الكتاب	68
الكتب التي استفاد منها ابن عاشور	69
مميزات الكتاب	77
منهج ابن عاشور في تفسيره	78
١. المقدمات العشر	78
٢. عنايته بعلم البلاغة ووجوه الإعجاز	79
٣. التجديد وعدم الاكتفاء بالنقل من كتب التفسير.	79
٤. عنايته ببيان وجوه اتصال آيات القرآن بعضها ببعض	80
٥. عنايته ببيان أغراض السور	80

٦. عنايته بمعاني مفردات اللغة العربية	80
٧. عنايته بأسباب النزول	81
٨. عنايته بعلم مقاصد الشريعة ، وبيان الحكم من التشريعات	82
٩. تنويهه بمكارم الأخلاق وأصول الفضائل والتحذير من مساوئ الأخلاق	81
١٠. عنايته بمبتكرات القرآن	82
طباعة الكتاب	83
الفصل الثالث: منهج ابن عاشور في إيراد المناسبات	84
القسم الثاني: الجمع والدراسة	88
مناسبات الآيات في سورة ق	89
مناسبات الآيات في سورة الذاريات	103
مناسبات الآيات في سورة الطور	118
مناسبات الآيات في سورة النجم	123
مناسبات الآيات في سورة القمر	132
مناسبات الآيات في سورة الرحمن	139
مناسبات الآيات في سورة الواقعة	145
مناسبات الآيات في سورة الحديد	156
مناسبات الآيات في سورة المجادلة	164
مناسبات الآيات في سورة الحشر	170
مناسبات الآيات في سورة الممتحنة	177
مناسبات الآيات في سورة الصف	182
مناسبات الآيات في سورة الجمعة	190
مناسبات الآيات في سورة المنافقون	196
مناسبات الآيات في سورة التغابن	203
مناسبات الآيات في سورة الطلاق	210

مناسبات الآيات في سورة التحريم	214
مناسبات الآيات في سورة الملك	221
مناسبات الآيات في سورة القلم	226
مناسبات الآيات في سورة نوح	230
مناسبات الآيات في سورة الجن	235
مناسبات الآيات في سورة المزمل	238
مناسبات الآيات في سورة المدثر	243
مناسبات الآيات في سورة القيامة	248
مناسبات الآيات في سورة الإنسان	257
مناسبات الآيات في سورة المرسلات	262
مناسبات الآيات في سورة النبأ.	264
مناسبات الآيات في سورة النازعات	280
مناسبات الآيات في سورة عبس	290
مناسبات الآيات في سورة التكوير	297
مناسبات الآيات في سورة الانفطار	301
مناسبات الآيات في سورة المطففين	304
مناسبات الآيات في سورة الانشقاق	311
مناسبات الآيات في سورة البروج	313
مناسبات الآيات في سورة الطارق	318
مناسبات الآيات في سورة الأعلى	320
مناسبات الآيات في سورة الغاشية	325
مناسبات الآيات في سورة الفجر	327
مناسبات الآيات في سورة الشمس	337
مناسبات الآيات في سورة الليل	341
مناسبات الآيات في سورة الضحى	343

مناسبات الآيات في سورة القدر	346
مناسبات الآيات في سورة البينة	349
مناسبات الآيات في سورة العاديات	353
مناسبات الآيات في سورة التكاثر	356
مناسبات الآيات في سورة العصر	358
مناسبات الآيات في سورة الماعون	361
مناسبات الآيات في سورة المسد	364
مناسبات الآيات في سورة الفلق	366
الخاتمة	368
أهم النتائج	370
أهم التوصيات	372
الفهارس	373
فهرس الآيات	374
فهرس الأحاديث	407
فهرس الآثار	408
فهرس الأشعار	409
فهرس الأعلام	410
قائمة المصادر والمراجع	419
فهرس الموضوعات	426

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة

شعبة التفسير وعلوم القرآن

المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور

من خلال سورتي الأنفال والتوبة

جمعًا ودراسة وتحليلاً

بحث مقدم لنيل درجة (الماجستير) في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة:

ندين بنت مصطفى بن علي السليمي

الرقم الجامعي: ٤٢٧٨٠١٨٩

إشراف فضيلة الدكتور:

عبد الله بن علي الغامدي

١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

هذه الرسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير وعنوانها : (المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور من خلال سورتي الأنفال والتوبة، جمعًا ودراسة وتحليلاً).

وتتكون من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس.

اشتملت المقدمة على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، إضافةً إلى الدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

وأما التمهيد فاشتمل على مدخل إلى علم المناسبات، وتعريف بالإمام الطاهر بن عاشور، وذلك من خلال ترجمته، وبيان أهم مراحل حياته، ومكانته العلمية، إلى جانب أهم مؤلفاته، كما اشتمل على تعريف بتفسير التحرير والتنوير، وبيان موقف الطاهر من علم المناسبات، وتوضيح منهجه في إيرادها.

وأما الفصل الأول فتضمن دراسة المناسبات في سورة الأنفال، وبيان أثرها، وعددها ٧٧ مناسبة.

وأما الفصل الثاني فتضمن دراسة المناسبات في سورة التوبة، وبيان أثرها، وعددها ١٠٢ مناسبة.

ثم الخاتمة واحتوت على أهم النتائج التي تم التوصل إليها، ومنها : أهمية علم المناسبات وما فيه من وجوه الإعجاز، وأن بيان المناسبة يعتمد على التأمل والتدبر من قِبل العلماء بشروط وصفات معينة، وأن المناسبات موجودة وفيها رد على كل طاعن مشكك في ترابط القرآن الكريم، وأنه لا ينبغي في طلبها التكلف. وأن الطاهر بن عاشور من العلماء المهتمين بهذا العلم، ولم يكن فقط ناقلاً عمّن سبقه بل أيضًا جاء بمناسبات مستقلة، وقد بحث المناسبات بين الآيات والمقاطع وجمل الآية الواحدة، ولم يبحث المناسبات بين السور.

ثم ختمت الرسالة بعشرة فهارس كاشفة عن محتوياتها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

الطالبة

ندين بنت مصطفى بن علي السليمي

Abstract

Title: (Connections And their effects in explaination of edition and illumination By AL Taher Bin Ashoor through surat AL Anfal, And Al Tawbah collection, studying and criticism).

It consists of introduction, preface, two chapters, conclusion and indexes.

The introduction included the subject importance, reasons of choice, in addition to previous studies, methodology and the plan.

The preface included an introduction to the Science of connections, sheik Taher Bin Ashoor autobiography, the main stages in his life, his scientific position beside his most famous volumes, as it contained a definition of editing and illumination explanation, illustration of AL Taher situation toward connections Science and his methodology in them.

Chapter one: involved the study of connections in Surat AL Anfal and their effect (77 connections).

Chapter two: involved the study of connections in Surat AL Tawbah and their effect (102 connections)

The conclusion which involved the most important results that were achieved.

Finally I ended the study with the ten indexes that recover it's contents.

Thank Goodness firstly and finally.

Graduator Nadeen Bint Mustafa Bin Ali AL Sulaimi

مقدمة

الحمد لله مجري الأمور تقديرًا وتدبيرًا ، مُنزِّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، صلاة وسلامًا دائمين إلى يوم الدين. أما بعد:

لما كانت معجزة الإسلام الخالدة هي القرآن الكريم، وكان كل ما فيه حجة باهرة للمؤمنين، وبرهانًا قاهرًا للمغرضين، ولما كانت العلوم تنال شرفها بمنزلة المعلوم ومكانته، فإن أشرف العلوم هو ما كان متعلقًا بكتاب الله تعالى وبعلومه؛ لذا انبرى كثير من علماء هذا الدين _ قديمًا وحديثًا _ في البحث عن أسراره ودقائقه، ودراسة سوره وآياته ومقاطعه، وتخصيص جُلِّ أوقاقم في تأمله وتدبره في كافة الجوانب، وإظهار وجوه إعجازه لأنه كتاب شامل صالح لكل زمان ومكان.

ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ، عالم تونسي جليل، شهد له علماء عصره بشتى المناقب والمآثر، هو الإمام الطاهر بن عاشور ، صاحب التفسير المشهور باسم : (تفسير التحرير والتنوير)، وقد اهتم جمع من الباحثين بهذا التفسير من جوانب متعددة، وقد كان علم المناسبات من أحد الجوانب المهمة في هذا التفسير، فتوجهت إليه أنظار عدد من طلاب وطالبات الدراسات العليا بقسم الكتاب والسنة، واختير ليكون موضوع بحوث لأطروحاتهم في الماجستير ، وقد رغبتُ في المشاركة في هذا العمل العلمي ووقع اختياري فيه على دراسة المناسبات من خلال سورتي الأنفال والتوبة، وكان تحت عنوان : (المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من خلال سورتي الأنفال والتوبة، جمعًا ودراسة وتحليلاً). حيث أقوم بتتبع المناسبات التي ذكرها الطاهر في تفسيره من خلال تلك السورتين، ثم أُبيّن أثرها.

هذا وأسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما يحبّ ويرضى، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية الموضوع فيما يلي:

١_ يعدُّ تفسير التحرير والتنوير من التفاسير النافعة الجليلة، ولا يخفى استفادة كثير من الباحثين والمتخصصين مما حواه من التفسير وعلوم القرآن واللغة بجوانبها المتعددة.

٢_ مكانة الطاهر بن عاشور العلمية بين العلماء، وقيمة مؤلفاته وسعة علمه.

٣_ منزلة علم المناسبات وقيمته، واهتمام الطاهر به في تفسيره واجتهاداته فيه.

٤_ جمع ما كان منثورًا من مناسبات في تفسير التحرير والتنوير واستخلاصه يُعدُّ عملاً مُهمًا في خدمة علم المناسبات.

٥_ اهتمام الطاهر بهذا العلم هو استمرار لجهود العلماء السابقة في علم المناسبات مما منح الطاهر تميّزًا فيه وتمكّنًا، واستفادة من جهودهم المتقدمة.

٦_ كثرة الأقوال في بيان ا لمناسبات واختلافها من مفسّر إلى آخر، ف كان العمل على جمع تلك الأقوال ودراستها، وبيان أنسبها وألطفها علمٌ غزير وخيرٌ كثير.

٧_ يردُّ علم المناسبات على مزاعم المستشرقين المشكك ين في ترابط أجزاء القرآن الكريم، ويلزمهم بالقول الحق.

٨_ يزيد علم المناسبات من يقين العبد وإيمانه من خلال إبرازها وإظهارها.

أسباب اختيار الموضوع:

- لم أجد _ في حدود إطلاعي _ بحثًا تناول دراسة المناسبات من خلال تفسير التحرير والتنوير وتحليلها.
- ارتباط علم المناسبات بالقرآن الكريم، والعمل على ذلك هو أجلُّ ما فنيتْ فيه الأعمار، وصُرفتْ فيه الأوقات.
- محاولة المشاركة في عمل يتعلق بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، ولو بجهدٍ قليل، وعملٍ يسير، فالله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

الدراسات السابقة:

إن أغلب الدراسات على هذا التفسير الجليل تفسير التحرير والتنوير قد تناولَتْه من جوانب لغوية وبلاغية، ومن هذه الدراسات:

١_ ابن عاشور ومنهجه في التفسير، سعيد مطلك هدب، رسالة ماجستير في جامعة بغداد، ١٩٨٦م.

٢_ تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجية وتقليدية، جمال محمود أحمد أبو حسان ، رسالة ماجستير في جامعة الأردن، ١٩٩١م.

٣ــ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره (التحرير والتنوير)، هيا ثامر مفتاح العلي، رسالة دكتوراه، نشر: دار الثقافة، الدوحة، ١٩٩٤م.

٤ــ ابن عاشور ومنهجه في التفسير ، عبد الله بن إبراهيم الريس ، رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه، ١٤٠٥هــ.

٥ــ مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، شعيب بن أحمد الغزالي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

٦ــ المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، حؤاس بزي.

٧ــ خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، إبراهيم بن علي الجعيد، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى.

٨ــ أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه (التحرير والتنوير)، مشرف بن أحمد بن جمعان، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى.

٩ــ علم التناسب القرآني عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوي، دراسة تطبيقية ، الجزء الأول والثلاثون من القرآن الكريم، إعداد خالد محمود العزام ، جامعة اليرموك بالأردن.

حدود البحث:

هذا البحث ــ بعون الله تعالى ــ يركز على دراسة المناسبات وأثرها من خلال سورتي الأنفال والتوبة.

خطة البحث:

يتكوّن البحث من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس، كالآتي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وحدود البحث، والخطة.

التمهيد: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مدخل إلى علم المناسبات، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبات، ونشأته .

المطلب الثاني: موضوعه، مكانته وفضله وثمرته.

المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبات.

المطلب الرابع: أنواع المناسبات، أشهر المؤلفات.

المبحث الثاني: التحرير والتنوير، المؤلف، والكتاب، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف.

المطلب الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير.

المبحث الثالث: منهج الطاهر بن عاشور في إيراد المناسبات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موقفه من علم المناسبات.

المطلب الثاني: منهجه في إيراد المناسبات

الفصل الأول: سورة الأنفال، وفيها ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجه تسميتها.

المبحث الثاني: أغراضها.

المبحث الثالث: تناسب آياتها، وأثره في التفسير.

الفصل الثاني: سورة التوبة، وفيها ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجه تسميتها.

المبحث الثاني: أغراضها.

المبحث الثالث: تناسب آياتها، وأثره في التفسير.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج.

الفهارس: وتتضمن الآتي:

١ــ فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

٢ــ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

٣ــ فهرس الآثار.

٤ــ فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥ــ فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة.

٦ــ فهرس القبائل.

٧ــ فهرس الأماكن والبلدان.

٨ــ فهرس الأبيات الشعرية.

٩ــ فهرس المصادر والمراجع.

١٠ــ فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سلكتُ المنهج التالي في البحث:

- حصر المناسبات التي ذكرها الطاهر في سورتي الأنفال والتوبة.
- إيراد أقوال بعض المفسرين في تلك المناسبات ــ إن وجدت ــ، لموازنة أقوال الطاهر بها، وقد اعتمدتُ على خمسة تفاسير وهي:

١ــ المحرر الوجيز لابن عطية.

٢ــ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي.

٣ــ البحر المحيط لأبي حيان.

٤ــ نظم الدرر للبقاعي.

٥ــ روح المعاني للألوسي.

- السبب في اختيار هذه التفاسير هو شهرة أصحابها في الاهتمام بالمناسبات في تفاسيرهم، وقد اعتمدتُ في ترتيبهم عند نقل أقوالهم على الترتيب الزمني حسب أقدمهم وفاةً.
- إيراد الآية أو الآيات التي ذكر الطاهر فيها مناسبةً، ثم إتباعها بكلامه، ثم أقوال المفسرين، سواء وافقهم أم لا.
- دراسة الأقوال وموازنتها، ثم الخلوص في ضوء ذلك كله إلى ما هو أنسب.
- بيان أثر المناسبة بعد دراستها، وأثرها يعني دلالتها وما ينتج عن تلك الدلالة، سواء كان أثرًا عامًا أو خاصًا، وسواء كان على المعنى أو على البلاغة والبيان ...الخ. وأحيانًا أذكر أثر المناسبات في ختام دراسة مناسبات الآية الواحدة ككل.
- بيان منهج الطاهر في إيراد المناسبات من خلال تفسيره لسورتي الأنفال والتوبة فقط.
- الاعتماد على الرسم العثماني في كتابة الآيات القرآنية، بقراءة حفص عن عاصم.
- ذكر رقم الآية القرآنية ثم اسم السورة في الحاشية.
- عند تكرار الآية في نفس الصفحة فأكتفي بإثباتها في المرة الأولى.
- الآية أو الآيات المعنية بالمناسبة فإني أ ثبتها فقط في المرة الأولى مهما تعددت المناسبات المذكورة فيها كمناسبة الختام وما شابه، وأيضًا إذا تكررت أجزاء منها في الأقوال المنقولة.

- تخريج الأحاديث الواردة في البحث، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بتخريجه منهما دون غيرهما، وإن كان من غيرهما فأخرجه من مظانه، ثم أذكر حكم العلماء عليه، فإن لم أجد اجتهدتُ في بيان حكمه من خلال دراسة إسناده.
- عند تخريج الحديث أُبيّن اسم الكتاب والباب، ثم الجزء والصفحة، ورقم الحديث.
- توثيق النصوص المنقولة من مصادرها الأصلية، وذلك بذكر اسم المصدر مع اسم مؤلفه والجزء والصفحة في المرة الأولى التي يرد فيها ذكر المصدر، وإذا ورد المصدر مرة أخرى فلا أذكر اسم مؤلفه.
- المصادر التي تتشابه أسماؤها، ويختلف مؤلفوها، فإني أذكر اسم المصدر، واسم مؤلفه في كل مرة تمييزًا لها.
- اختصرت بعض أسماء المصادر عند العزو إليها بعد المرة الأولى، وهي (مرتبة أبجديًا):

١ــ الإتقان في علوم القرآن: الإتقان.

٢ــ الاستيعاب في معرفة الأصحاب: الاستيعاب.

٣ــ أسد الغابة في معرفة الصحابة: أسد الغابة.

٤ــ الإصابة في تمييز الصحابة: الإصابة.

٥ــ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: البدر الطالع.

٦ــ البرهان في علوم القرآن: البرهان.

٧ــ تاج العروس من جواهر القاموس: تاج العروس.

٨ــ تناسق الدرر في تناسب السور: تناسق الدرر.

٩ــ تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: إرشاد العقل السليم.

١٠ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: جامع البيان.

١١ــ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: الدرر الكامنة.

١٢ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: روح المعاني.

١٣ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: شذرات الذهب.

١٤ــ علم المناسبات في السور والآيات ويليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للشيخ الإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل السيوطي: علم المناسبات.

١٥ــ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: فتح القدير.

١٦ــ الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الكشاف.

١٧_ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: المحرر الوجيز.

١٨_ مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور: مصابيح الدرر.

١٩_ مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: مصاعد النظر.

٢٠_ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: معرفة القراء الكبار.

٢١_ المناسبات في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي: المناسبات في القرآن الكريم.

٢٢_ نظم الدرر في تناسب الآي والسور: نظم الدرر.

٢٣_ وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان: وفيات الأعيان.

- الترجمة للأعلام الذين ذُكروا في متن البحث عند ذكرهم للمرة الأولى _ على قدر الاستطاعة_ ترجمة موجزة، وعدم الترجمة للمشهورين منهم كالخلفاء الراشدين ونحوهم، وبعض المؤلفين المعاصرين كعائشة بنت الشاطئ، وعبد الحميد طهماز، وعبد الرحمن حسن حبنكة، فلم أقف على ترجمة لهم.
- الإحالة إلى أهم مصادر الترجمة الأصلية على قدر المستطاع.
- عزو الأبيات الشعرية إلى قائلها، ومصادرها المعتبرة.
- التعريف بالأماكن من مصادرها المعتبرة.
- استخدام الأنواع التالية من الأقواس في متن البحث:

﴿ ﴾ للآيات القرآنية الكريمة.

" " للأحاديث النبوية الشريفة.

(( )) للآثار والنصوص المنقولة.

- ضبط الألفاظ المُشكِلة بالشكل، وشرح الغريب.
- تذييل البحث بعشرة فهارس، اعتمد فيها الترتيب الهجائي، ما عدا فهرس الآيات القرآنية اعتمد فيه ذكر اسم السورة، ورقم الآية، حسب ترتيب السور في المصحف الشريف.

شكر وتقدير

أحمدُ الله تعالى على ما أنعم ويسّر، وتفضّل وامتن وسَخّر، وعلى ما لطف به وقدّر، فله الحمد في الأولى والآخرة، له الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلقد تجلّت ألطافه ونعماؤه ، وغمرتني رحماته في كل حين دائمًا وأبدًا، أسأله سبحانه أن يجعله عملاً خالصًا نافعًا مقبولاً، وأن ينفعني بما علّمني ويعلّمني ما ينفعني ويزيدني علمًا بفضله وكرمه.

ثمّ الشكر لوالديّ الحبيبين، فلم يقصّرا جهدًا في تعليمي ود عمي منذ الصغر، وفي تشجيعي على العلم النافع لأنفع نفسي وغيري بما أستطيع ، ولم يدخرا وسيلة إلا و سخّراها في إعانتي على إنهاء هذا البحث، ولَكَم أحاطتني دعواتهما ليلاً ونهارًا وفي كل حين، فاللهم أدم عليهما الصحة والعافية وأكرمهما وارحمهما كما ربياني صغيرًا.

ثم الشكر لإخوتي الأعزاء، على دعمهم ومتابعتهم ودعواتهم.

ولا أنسى في هذا المقام أستاذتي الحبيبة الراحلة يمان علي الطنطاوي _ رحمها الله _ بالدعاء، فاللهم وسّع لها في قبرها، وآنس وحشتها، وارفع درجتها في عليين.

وأتقدّم بالشكر الجزيل، والدعاء الصادق، لل دكتور الفاضل عبد الله بن علي الغامدي الذي تفضّل بالإشراف على هذا البحث، على اهتمامه وتوجيهاته، وعلى ثمين وقته وعلمه، وعلى كرم أخلاقه، فبارك الله في جهوده، وأَتمَّ عليه الصحة والعافية الوافرة، وجزاه عني خير الجزاء.

والشكر موصول لأستاذنا الفاضل د .إسماعيل الميمني على إرشاده ومساعدته، وللجنة المناقشة لتفضّلها بمناقشة هذا البحث، وإلى كل أساتذتي الفضلاء في قسم الكتاب والسنة، الذين نهلتُ من علمهم الجمّ.

وشكري إلى جامعة الملك عبد العزيز بجدة، ووحدة المواد العامة للثقافة الإسلامية _ مقرُّ عملي _ ممثلة بمديرها السابق الدكتور الفاضل فايز حابس، ونائبة المدير السابقة الدكتورة الفاضلة إلهام باجنيد، على ما تفضلوا به في تيسير أمور ابتعاثي وتفرغي للماجستير.

وأخص بالشكر الدكتور الفاضل علي بادحدح على جميع جهوده، وأستاذتي الفاضلة عائشة القرني على اهتمامها ودعمها الدائم، والدكتور الفاضل عادل أبو العلا على إهدائه بعض المراجع.

والشكر والعرفان لصديق والدي الدكتور الفاضل خالد بن العربي ، والدكتور الفاضل عبد الرحمن الشهري على كل توجيهاتهما ومساندتهما بالمراجع والإرشاد.

فجزى الله الجميع خير الجزاء، وختامًا أسأل الله العلي القدير، أن يغفر لي كل تقصير، وأن يتجاوز عن خطئي، وأن يمنّ ع لي بقبول جهدي المتواضع الذي لا يخلو من نقص، فإن أصبتُ فمن الله، وإن أخطأتُ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبته الطالبة

ندين بنت مصطفى بن علي السليمي

التمهيد

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مدخل إلى علم المناسبات

المبحث الثاني: التحرير والتنوير، المؤلف، والكتاب

المبحث الثالث: منهج الطاهر بن عاشور في إيراد المناسبات

المبحث الأول
مدخل إلى علم المناسبات

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبات، ونشأته

المطلب الثاني: موضوعه، مكانته وفضله وثمرته

المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبات

المطلب الرابع: أنواع المناسبات، أشهر المؤلفات

المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبات، ونشأته

تعريف علم المناسبة:

المناسبة لغة:

من مادة (نسب): وتدور هذه الكلمة حول معانٍ عدة في كتب اللغة تدلُّ على الاتصال والمشاكلة والمقاربة بين شيء وشيء.

فالنسب بمعنى القرابة، والنسيب : المناسب، والتناسب : التشابه، والنسبة : الصلة أو القرابة، والمناسبة المشاكلة[١]. تقول: ناسب فلانًا شركه في نسبه وشاكله، يُقال بينهما: مناسبة، ويُقال: ناسب الأمر أو الشيء فلانًا لاءمه ووافق مزاجه، وتناسب الشيئان: تشاكلا[٢].

اصطلاحًا:

المناسبة هي علة الترتيب في الاصطلاح العام[٣].

والمناسبة في **اصطلاح المفسرين وعلماء علوم القرآن**: فقد عرّفها القاضي أبو بكر ابن العربي[٤] بأنها: ((ارتباط آي القرآن بعضها ببعض؛ حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني)) [٥].

وذكر الزركشي[٦] أن المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول، تلقته بالقبول[٧].

---

(١) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني (٤/٢٦٠_ ٢٦٥) ، القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مادة "نسب" باب الباء، فصل النون (١/١٧٦).

(٢) انظر المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون (٢/٩١٦)، تاج العروس (٤/٢٦٠_ ٢٦١).

(٣) علم المناسبات في السور والآيات، محمد عمر بازمول (ص ٨٤).

(٤) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد ، الإمام أبو بكر ابن العربي المعافري الأندلسي ، الحافظ أحد الأعلام ، ولد سنة (٤٦٨هـ)، كان من أهل التفنن في العلوم، صاحب التصانيف، (ت ٥٤٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ١٩٧)، طبقات المفسرين، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (١/ ١٠٥)، طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي (١/ ١٨٠).

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (١/ ٤١ _ ٤٢).

(٦) محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الموصلي الشافعي بدر الدين ، ولد سنة (٧٤٥هـ)، ألّف تصانيف كثيرة في عدة فنون ، (ت ٧٩٤هـ). انظر: طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن قاضي شهبة (٣/ ١٦٧)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٣٠٢).

(٧) انظر: البرهان، بدر الدين الزركشي (١/ ٤١).

وعرّف البقاعي[1] هذا العلم بقوله: ((علمٌ تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال، لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها)) [2].

ويمكن القول بأنّ علم المناسبة : علمٌ يبحث في المعاني الرابطة بين الآيات في السورة، وأوجه الترابط بين السور المتتالية، حتى تُعرف علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم.

نشأة علم المناسبة:

إنّ أغلب من صنّف في علم المناسبات _ قديمًا _ ذكروا قلّة اعتناء المصنّفين بالتأليف في هذا العلم لدقته[3]، رغم أن بداياته قديمة، فثمّة آثار تُبرز اعتناء الصحابة والتابعين ﷺ بالسياق والنظم والتركيب، فقد كانوا يعرفون المناسبة بسليقتهم العربية، وبإدراكهم لمرامي كتاب الله تعالى.

وصرّح البقاعي بقِدَم علم المناسبات القرآنية، وانتشاره بين الصحابة والتابعين ﷺ، واعتمادهم إياه في فهم آي الكتاب الحكيم، فقال: ((وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا بما في سليقتهم من أفانين العربية، ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية، ثم تناقص هذا العلم حتى انعجم على الناس، وصار إلى حد الغرابة كغيره من الفنون)) [4].

وذَكَرَ قول ابن مسعود[5] ﷺ إذ قال: ((إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا، فلْيَسَلْه عما قبلها)) [6].

(١) إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط ابن علي بن أبي بكر برهان الدين، وكنّى نفسه بأبي الحسن الخرباوي البقاعي، نزيل القاهرة، ثم دمشق صاحب المناسبات، ولد تقريبًا سنة (٨٠٩هـــ)، بقرية خربة روحا، (ت ٨٨٥هـــ). انظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي (١/ ٣٤٧).

(٢) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (١٤٢/١)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٥/١).

(٣) انظر: البرهان (١/ ٤١).

(٤) مصاعد النظر، إبراهيم بن عمر البقاعي (١/ ١٥٣ _ ١٥٤).

(٥) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أبو عبد الرحمن، أسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، ولازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه، وأول من جهر بالقرآن في مكة، شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، (ت ٣٢هـــ). انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (٣/ ٩٨٧)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير (٣/ ٣٩٤)، الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني (٤/ ٢٣٣).

(٦) انظر: مصاعد النظر (١/ ١٥٤). أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن عَبْدُ الله بنُ مَسْعودِ ﷺ، باب العين، (٩/ ١٤٠)، رقم: [٦٨٩٣]. وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه: كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ونسيانه، (٣/٣٦٥)، رقم:[٥٩٨٨].

ومن أقوالهم في هذا الأمر: ((إذا حدثتَ عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ما قبله، وما بعده)) [1]. بل إنّ الأعرابي عرف المناسبة لأصالته ودقة عربيته، قال الأصمعي [2]: ((كنتُ أقرأ سورة المائدة ومعي أعرابي فقرأتُ هذه الآية: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [3]، فقلتُ: "وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" سهوًا، فقال الأعرابي: كلام مَن هذا؟ فقلتُ: كلام الله، قال: أعِد، فأعدتُ "والله غفورٌ رحيم" ثم تنبهتُ فقلتُ ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فقال: الآن أصبتَ، فقلتُ: كيف عرَفتْ؟ قال: يا هذا عزيزٌ حكيم فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع)) [4]. إلى غير ذلك من الآثار التي تدلُّ على معرفتهم بهذا العلم وتطبيقهم له.

والحديث عن المناسبات تناثر في ثنايا كتب التفسير والحديث وأيضًا في كتب البلاغة لكنه لم يُدّون تدوينًا مستقلاً بعدُ، وتمثّلت بداياتُ هذا العلم المسطورة في طيّات كتب السابقين **كالشافعي** [5] (ت ٢٠٤هـ)، **وابن جرير** [6] (ت ٣١٠هـ)، فقد اهتموا بالسياق والنظم، والنواحي البلاغية، وفَهم المعاني المعاني على اتساعها، وبناء الكلام بعضه على بعض، وردّ شُبه الطاعنين في القرآن الذي نزل بلغة العرب فأعجزهم وتحدّاهم ببيانه.

أما **أبو بكر النيسابوري** [7] (ت ٣٢٤هـ) فيعتبر أوّل من بدأ هذا العلم تدريسًا في بغداد، وأوّل من أظهر هذا العلم صريحًا، ولقد نقلت المصادر أنّ أبا بكر كان يجلس على كرسيه ويقول إذا قُرئت عليه

(١) انظر: مصاعد النظر (١/ ١٥٤).

(٢) عبد الملك بن قريب بن عبد الملك أبو سعيد الأصمعي ، صاحب اللغة والنحو والغريب والأخبار، أحد الأعلام، كان بحرًا في اللغة لا يعرف مثله فيها وفي كثرة الرواية، مات حوالي سنة (٢١٥ أو ٢١٦هـ). انظر: تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي (١٠/ ٤١٠)، الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (١٩/ ١٢٦)، لسان الميزان، أحمد بن حجر العسقلاني (٧/ ٢٩٢).

(٣) جزء من الآية (٣٨) من سورة المائدة.

(٤) التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (١١/١٨١).

(٥) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد بن يزيد بن هشام بن عبد المطلب بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ، الإمام الشافعي أبو عبد الله ولد سنة (١٥٠هـ)، ولد بغزة، ونشأ في مكة، قدم بغداد وصنف بها كتابه القديم، ثم ارتحل إلى مصر وصنف بها كتابه الجديد، (ت ٢٠٤هـ). انظر: صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي أبو الفرج (٢/ ٢٤٨)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٢٥).

(٦) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى ، الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، له التصانيف العظيمة منها: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ولد سنة (٢٢٤هـ)، ومات سنة (٣١٠هـ). انظر: طبقات المفسرين، السيوطي (١/ ٩٥)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٤٨).

(٧) عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل ، الإمام أبو بكر النيسابوري الحافظ الفقيه العلامة، رحل في العلم، وكان إمام عصره من الشافعية بالعراق، (ت ٣٢٤هـ). انظر: تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي (١٠/ ١٢٠)، طبقات الشافعية، أبو بكر ابن قاضي شهبة (١/ ١١٠)، سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي (١٥/ ٦٥).

الآية: لِمَ جُعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يعيب على علماء بغداد عدم علمهم بالمناسبة[1].

ثم جاء **الخطابي**[2] (ت٣٨٨هـ) وبعده **الباقلاني**[3] (ت ٤٠٣هـ) فيما صنّفاه عن إعجاز القرآن، فأشاد الخطابي بترابط آيات القرآن رغم اختلاف موضوعاته، وبنظمه وسياقه الذي جاء معجزًا يجمع شتات تلك الموضوعات، وبألفا ظه التي جاءت في أماكنها المناسبة، وردّ كذلك على شُبه كثير من المغرضين [4].

أما الباقلاني فقد جعل النظم على أنه التناسق والترابط، وسبق إلى تناول الوحدة الفنية في السور، فبيّن كيف ترتبط الآيات في السورة الكاملة، وأشار إلى وحدة الموضوع من خلال دراسته التحل يلية لسورتي غافر وفصلت في كتابه (إعجاز القرآن)، وذكر قواعد مهمة لإدراك وجوه الإعجاز والترابط في الآيات والسور، فلفت النظر إلى حسن الكلمة المفردة، وإلى المقاطع والآيات في السورة الواحدة، وإلى تعانقها على اختلاف ما شملته من قصة وعقيدة وتشريع وأحكام وغيرها، و نبّه على مراعاة الفواتح والخواتم، والمطالع والمقاطع، والفصل والوصل وما فيها من الفصاحة وحسن النظم، ولم يدّخ ر جهدًا في الرد على مزاعم الطاعنين والملاحدة [5]. وقال الباقلاني في إبراز إعجاز القرآن في نظمه: ((فأما نهج القرآن ونظمه، ونظمه، وتأليفه ورصفه، فإن العقول تتيه في جهته وتحار في بحره، وتضل دون وصفه ... واعلم أن هذا علمٌ شريفُ المحل، عظيم المكان... وهو أدق من السحر)) [6].

وفي القرن الذي يليه أسهم عدد من العلماء في بيان إعجاز القرآن وأسراره، فقد حفل تفسير **الزمخشري**[7] (ت٥٣٨هـ) صاحب كتاب (الكشاف) بعلمي المعاني و البيان، ووقف على علل ترتيب كثير من الآيات، وعلى الربط بين بعض الآي، وابتدأ كتابه بقوله: ((الحمد لله الذي أنزل القرآن كلامًا

---

(١) انظر البرهان، الزركشي (٤٢/١)، الإتقان، السيوطي (٣٢٢/٣).

(٢) الإمام العلامة الحافظ اللغوي أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف، ولد سنة بضع عشرة وثلاث مئة، وتوفي سنة (٣٨٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣).

(٣) القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد البصري، ثم البغدادي، ابن الباقلاني، الإمام العلامة، كان يضُرب المثل بفهمه وذكائه، من أكثر الناس كلامًا وتصنيفًا في الكلام، مات سنة (٤٠٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠)، تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩).

(٤) انظر: المناسبات في القرآن الكريم، د.عبد الله القربي (ص ٥٣ـ ٦٠).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٦١ـ ٧٠)، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، د.عادل محمد أبو العلا (ص ٥١).

(٦) إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلاني (ص ١٩٧).

(٧) محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر، يلقب جار الله لأنه جاور بمكة زمانًا، ولد سنة (٤٦٧هـ)، ومات سنة (٥٣٨هـ). انظر: طبقات المفسرين، السيوطي (١/ ١٢٠)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ١٧٢)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد ابن خلكان (٥/ ١٦٨).

منظمًا)) [1]، ووصف القرآن الكريم بالبناء المرصف عند تفسيره لأوّل سورة هود، وظهر لفظ التناسب في كتابه عدة مرات.

وجاء **ابن العربي** (ت٥٤٣هـــ) فقال في (سراج المريدين): ((ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم ، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه ، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ؛ ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه)) [2].

أما **ابن عطية**[3] (ت٥٤٦هـــ) فقد تعرّض للتناسب بين الآيات وترابطها في تفسيره (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، وذكر أنّ التحدي في القرآن وقع بنظمه، وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه[4].

ثم جاء **الفخر الرازي**[5] (ت٦٠٦هـــ) بتفسيره (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، وتعُّده المصادر من من أكثر مَنْ تناول التناسب في عصره، حيث قال : ((أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط)) [6]، واعتنى ببيان المناسبات بين الآية والآية، وبين أجزاء الآية الواحدة، وبين الافتتاح والختام، ويظهر تعرضه للوحدة الموضوعية في القرآن الكريم في أكثر من موضع حيث قال : ((القرآن كله كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض،.... وكالآية الواحدة يصدق بعضها بعضًا، ويُبين بعضها معنى بعض)) [7]. [7]. ويُقال أنه أوّل من استخدم مصطلح المناسبة عند تفسيره آخر سورة المائدة، وربطه أولها بآخرها [8].
.[8]

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥/١).

(٢) انظر: الإتقان (٣٢٢/٣).

(٣) عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية الغرناطي، الإمام الكبير قدوة المفسرين أبو محمد القاضي ، كان فقيهًا عارفًا بالأحكام والحديث والتفسير ، بارع الأدب، بصيرًا بلسان العرب ، ولد سنة (٤٨١هـــ)، ومات سنة (٥٤٦هـــ). انظر: طبقات المفسرين، السيوطي (١/ ٦٠)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ١٧٥).

(٤) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية (٥٢/١).

(٥) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي بن الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري ، المفسر المتكلم، ولد سنة (٥٤٤هـــ)، قال ابن خلكان: "فريد عصره، شهرته تغني عن استقصاء فضائله"، له التفسير الكبير، والمحصول في أصول الفقه، مات سنة (٦٠٦هـــ). انظر: طبقات الشافعية (٢/ ٦٥)، طبقات المفسرين، السيوطي (١/ ١١٥)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٢١٣).

(٦) البرهان (٤١/١)، الإتقان (٣٢٢/٣).

(٧) انظر: التفسير الكبير، الرازي (١٨٩/٣٠) ، (٣٠، ١٩٠)، (٩٨/٣٢).

(٨) انظر: المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير، محمد مذكور (ص ٢٣).

وتوالت بعد ذلك المصنّفات ككتاب (مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل) **لأبي الحسن علي بن أحمد الحرّالي**[1] (ت٦٣٧هـ)، وقد علّق البقاعي على هذا الكتاب في نظمه، فقال بعد إطلاعه عليه: ((وانتفعتُ في هذا الكتاب _ يعني نظم الدرر_ كثيرًا بتفسير على وجه كلي، للإمام الرباني أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحرالي... سمّاه (مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل)، وكتاب العروة لهذا المفتاح... وقد ذكرتُ أكثر هذا الكتاب في تضاعيف كتابي هذا معزوًا إليه في مواضع تليق به، ثم بعد وصولي إلى سورة الأنفال ملكت جزءًا من تفسيره فيه من أوله إلى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾[2]، فرأيته عديم النظير، وقد ذكرت فيه المناسبات، وقد ذكرتُ منها ما أعجبني وعزوته إليه))[3].

وأوّل من أفرد علم المناسبات بالتصنيف هو **أبو جعفر بن الزبير الأندلسي الغرناطي**[4] (ت ٧٠٨هـ)، بكتاب سمّاه: (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن)، قال عنه البقاعي: ((وهو لبيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط، لا يتعرض فيه للآيات))[5]. وهو أول كتاب أُلّف في مناسبات السور.

وأيضًا له كتاب في تفسير الآيات المتشابهات سمّاه: (ملاك التأويل) لفت فيه النظر إلى الارتباط بين الآيات والسياق، وكذا إلى المناسبة مع موضوع السورة والألفاظ والصيغ والمعاني المتكررة، حيث يقول جوابًا عن ما هو وجه تخصيص سور الحمد الخمسة بأوصاف لله تعالى معينة بعد افتتاحها بالحمد، وننقل ما ذكره في سورة فاطر: ((وأما سورة الملائكة، فمناسبة وصفه تعالى باختراع السموات والأرض لما ذكره من خلق عامري السموات من الملائكة، وجعلهم رسلاً أولي أجنحة، وإمساكه السموات والأرض

---

(١) علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي الإمام أبو الحسن الحرالي الأندلسي، ولد بمراكش، ولقي العلماء وجال في البلاد، وشارك في فنون عديدة، ومال إلى علم الكلام وأقام بحماة مدة، قال الذهبي: "له تفسير فيه عجائب"، (ت ٦٣٧هـ). انظر: الوافي بالوفيات (٢٠/ ١٢٠)، طبقات المفسرين، السيوطي (١/ ٧٦)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٢٧٣).

(٢) جزء من الآية (٣٣) من سورة آل عمران.

(٣) نظم الدرر، البقاعي (٧/١).

(٤) أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم، العلامة أبو جعفر الأندلسي الحافظ النحوي، ولد سنة (٦٢٧هـ)، نزيل غرناطة، قال صاحب طبقات المفسرين: " قد صنف البرهان في تفسير القرآن، ذكر فيه مناسبة كل سورة لما قبلها، وصنف ملاك التأويل في فن التفسير، مؤلف ضخم الحجم لخص فيه كتاب العلامة القاضي الحصنكيفي وزاد عليه من التفسير ما يحتاج إليه المفسرون والمصنفون "، ثم ذكر أن وفاته كانت في سنة (٩٨٠هـ) والأصح أنه مات سنة (٧٠٨هـ). انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (١/ ٩٦)، شذارت الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد العكري الحنبلي (٦/ ١٦)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٣٩٧).

(٥) نظم الدرر (٥/١).

أن تزولا، أبين شيء وأوضحه، وليس شيء من هذه الأوصاف العلية بمناسب لغير موضعه كمناسبة موضعه الوارد فيه)) [(١)].

وحكى الزركشي عن الشيخ **كمال الدين الزملّكاني** [(٢)] (ت٧٢٧هـ) صاحب كتاب (البرهان في إعجاز القرآن)، أنه تحدّث عن المناسبات في بعض دروسه، فذكر مناسبة افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح، وافتتاح سورة الكهف بالتحميد، وربط بين فاتحة كل سورة وموضوعها، وأثرها في ترتيبها ، ثم تعقيبه على ذلك بقوله: ((فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة. وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور، فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض؟ بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة)) [(٣)].

وذكر **أبو حيان الأندلسي** [(٤)] (ت٧٤٥هـ) أنه اعتنى في تفسيره: (البحر المحيط) بالمناسبات، حيث قال في مقدمته: ((ثم أشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب ، ونسخها، ومناسبتها وارتباطها بما قبلها)) [(٥)].

أما **بدر الدين الزركشي** (ت٧٩٤هـ) فقد جَعَلَه النوع الثاني من كتابه (البرهان في علوم القرآن)، وأسماه: (معرفة المناسبة بين الآيات)، وتعقّب فيه هذا العلم من حيث تعريفه ونشأته ومَنْ كتب فيه، ثم أطال النفس في عرض أمثلة عن المناسبات القرآنية بين السور المتجاورة، وبين الآيات في السورة الواحدة.

ثم جاء **برهان الدين البقاعي** (ت ٨٨٥هـ)، بكتابيه العمدة في هذا الفنّ: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) وهو تفسير التزم فيه بيان مناسبة الآي والسور ، وبناه على المناسبات، ويعدُّ من أوسع المصادر التي تناولت المناسبة، أما الثاني: (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور)، فأورد فيه وصف علم المناسبات، وأصله، وأسراره، وحقيقته، والداعي إليه، وتعريفه، ونسبته، وكيفيته، والإجادة فيه، وموضوعه آيات السور، ويُقصد منه معرفة مقاصد السور كما ذَكَر هو في كتابه.

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (١/ ١٥٨).

(٢) محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم ، الشيخ الإمام العلامة ، كمال الدين أبو المعالي المعروف بابن الزملكاني ، ولد سنة (٦٦٧هـ)، سمع من جماعة وطلب الحديث بنفسه، وأطلق عليه الذهبي عالم العصر وكبير الشافعية ، (ت ٧٢٧هـ). انظر: الوافي بالوفيات (٤/ ١٥١)، طبقات الشافعية (٢/ ٢٩١)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني (٢/ ٢١٢).

(٣) البرهان (١/٤٤).

(٤) محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الغرناطي، أبو حيان، الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر النحوي اللغوي ، ولد بغرناطة سنة (٦٥٤هـ)، وكان إمامًا منتفعًا به ، وصنف التصانيف السائرة، وله البحر المحيط في التفسير ، (ت ٧٤٥هـ). انظر: طبقات الشافعية (٣/ ٦٧)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٢٧٨).

(٥) البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (١٠٣/١).

ويأتي **الحافظ جلال الدين السيوطي** [١] (ت٩١١هـ) بعدة كتب في هذا العلم، وهي : (أسرار التنزيل) ووصفه بأنه جامع لمناسبات السور والآيات، ومناسبة أسماء السور، وأوائلها لأواخرها، ومناسبات الفواصل، مع ما تضمّنه من بيان لوجوه الإعجاز، وأساليب البلاغة وغيرها، جعلها في بضعة عشر نوعًا، وقد عرض لجميع سور القرآن بالترتيب، ويسمى أيضًا "قطف الأزهار في كشف الأسرار" وقد ذكره السيوطي في فهرست مؤلفاته، ثم لخّص مناسبة السور من ه في جزء لطيف سمّاه: "تناسق الدرر في تناسب السور"، قال السيوطي في مقدمته : ((وقد أردت أن أفرد جزءًا لطيفًا في نوع خاص من هذه الأنواع، وهو: مناسبات ترتيب السور، ليكون عجالة لمريده، وبغية لمستفيده، وأكثره من نتاج فكري، وولاد نظري، لقلة من تكلم في ذلك أو خاض في هذه المسالك. وما كان فيه لغيري صرحت بعزوه إليه، ولا أذكر منه إلا ما استحسن، ولا انتقاد عليه، وقد كنت أولاً سميته: نتائج الفكر في تناسب السور ، لكونه من مستنتجات فكري كما أشرت إليه. ثم عدلت وسميته : تناسق الدرر في تناسب السور ، لأنه أنسب بالمسمى وأزيد بالجناس)) [٢].[٣]

ثم أتى السيوطي بكتاب آخر في علم المناسبات أسماه : (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع)، ويظهر من تسميته اعتناؤه بالمناسبة بين أول السورة والمسماة مطلعها، وبين آخرها ويسمّى المقطع ، حيث قال في مقدمته: ((فإن من علوم القرآن العظيم: مناسبة مطالع السور ومقاطعها، كما أوضحته في الإتقان وكتاب أسرار التنزيل)) [٤].

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان ، ابن الهمام الجلال بن الكمال بن ناصر الدين السيوطي الشافعي ، لقبه والده بجلال الدين، ولد سنة (٨٤٩هـ)، وكنّاه العزّ الكناني بأبي الفضل، له مؤلفات كثيرة، منها: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، والجامع الصغير في الحديث، (ت ٩١١هـ). انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٤/ ٦٥)، تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر بن شيخ العيدروسي (١/ ٥١)، شذارت الذهب (٨/ ٥١)، معجم المؤلفين، عمر كحالة، طبعة دار إحياء التراث العربي (٥/ ١٢٨).

(٢) تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله الدرويش (ص ٢٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ١٩). وقد حققه الأستاذ عبد الله الدرويش، وطبعَتْه عالم الكتب ببيروت، وقد ذكر المحقق أنه عندما انتهى من تحقيقه للنص ظهر له أن هذا الكتاب مطبوع باسم آخر وهو : (أسرار ترتيب سور القرآن) وبتحقيق الأستاذ عبد القادر أحمد عطا في سلسلة نوادر التراث، ولكنه تابع إخراج تحقيقه _كما يقول المحقق _ لأهمية الكتاب رغم تغيير عنوانه؛ ولما حوته طبعة الأستاذ عبد القادر من أخطاء ولم أطلع على نسخة الأستاذ عبد القادر، لكنني حصلتُ على الكتاب نفسه وبالعنوان نفسه : "أسرار ترتيب سور القرآن " بتحقيق: رضى فرج الهمامي، طباعة المكتبة العصرية، وقارنتها بالكتاب الذي يحمل العنوان الأصلي الذي أطلقه السيوطي: " تناسق الدرر في تناسب السور " بتحقيق الأستاذ عبد الله الدرويش، فلم أجد سوى اختلافات يسيرة في الألفاظ وبعض المسميات في مقدمة المؤلف، وقد يرجع ذلك إلى اختلاف نسخ التحقيق، والله أعلم. انظر: أسرار ترتيب سور القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: رضى فرج الهمامي (ص ٥_ ١٥). تناسق الدرر (ص ٢٣ _ ٣٣).

(٤) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، جلال الدين السيوطي (ص ١٢١).

بالإضافة إلى كتابه (الإتقان في علوم القرآن) فقد خصص النوع الثاني والستين للمناسبات، وجعله في مناسبات الآيات والسور، وذكر فيه أغلب ما ذكره الزركشي في برهانه، وزاد عليه في الأمثلة.

ومن التفاسير التي اعتنت بالمناسبات في القرن العاشر الهجري: تفسير **أبي السعود**[1] (ت ٩٨٢هـ) المسمّى: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، فهو يهتم بإظهار وجوه المناسبات بين الآيات.

ثم جاء **أبو الثناء شهاب الدين الألوسي** [2] (ت ١٢٧٠هـ) بتفسيره الذي أسماه: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، ويعدُّ تفسيره الجامع لخلاصة تفاسير مَن سبقه، ولقد اعتنى بإظهار وجه المناسبة بين السور عند تفسيره لكل سورة، وكذا بين الآيات.

وكذا **سيد قطب** [3] (ت١٣٨٧هـ) وكتابه: (في ظلال القرآن) فقد سار على نمط جديد، وتعرّض للتناسب بأسلوب بياني أدبي، وأن لكل سورة وحدة موضوعية وشخصية مميزة على حدّ تعبيره كما بيّن ذلك في كتابه.

ثم جاء **الطاهر بن عاشور**[4] (ت ١٣٩٣هـ) في تفسيره الشهير (التحرير والتنوير) حيث قال: ((واهتممتً أيضًا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألّف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى (نظم الدرر في تناسب الآي والسور) إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع، أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقًا على المفسر...))، وقال: ((لم أغادر سورة إلا بينتُ ما أحيط به من أغراضها؛ لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورًا على بيان مفرداته، ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة، تصرفه عن روعة انسجامه، وتحجب عنه روائع جماله))[5]. وقد ساق مقدمة كاملة في الحديث عن أغراض السور، مراعيًا مقاصد الشريعة، واعتنى بذكر المناسبات بين الآية والتي قبلها، وبين

---

(١) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، الإمام العلامة أبو السعود، ولد بقرية قريبة من قسطنطينية، وقد عاقه الدرس والفتوى عن التفرغ للتصنيف، سوى أنه اختلس فرصاً وصرفها إلى التفسير الشريف، وقد أتى فيه بما لم تسمح به الأذهان، ولم تقرع بمثله الآذان، (ت ٩٨٢هـ). انظر: طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٣٩٨)، شذرات الذهب (٨/ ٣٩٨).

(٢) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، ولد ببغداد سنة (١٢١٧هـ)، ومات فيها سنة (١٢٧٠هـ). انظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي (٧/ ١٧٦)، معجم المؤلفين، طبعة دار إحياء التراث العربي (١١/ ١٧٥).

(٣) سيد بن قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية "موشا" في أسيوط، ولد سنة (١٣٢٤هـ)، له كتب كثيرة مطبوعة، (ت ١٣٨٧هـ). انظر: الأعلام، الزركلي (٣/ ١٤٧).

(٤) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها عُيّن شيخًا للإسلام، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة له مصنفات مطبوعة، (ت ١٣٩٣هـ). انظر: الأعلام (٦/ ١٧٤). وستأتي ترجمته مفصلة في المبحث التالي.

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور (١/ ٨).

جمل الآية الواحدة، واهتم ببيان مناسبات الفواصل، وأكثر من ذكر كلمة المناسبة، وألزم نفسه بذكر أغراض كل سورة في المقدمة التعريفية بها، وسيأتي في المبحث التالي.

وبعد هذا الاستعراض لنشأة هذا العلم، ولمَن اهتمّ به _ ومَنْ ذُكروا ليسوا على سبيل الحصر _ نلحظ أنّ علم المناسبات كان يشغل حيزًا بصورة غير مباشرة في كتب إعجاز القرآن ونظمه، ثم تناوله العلماء في دروسهم، ونبّهوا عليه في مجالسهم، ودعوا إلى إحاطته بمزيد عناية، حتى قيّض الله تعالى له من تولاه بالتأليف والتقعيد، سواء من جعله في ثنايا تفسيره _مكثرون منه أو مقلّون _ منهم: الزمخشري والرازي والبقاعي وابن عاشور، أو تناوله كعلم من علوم القرآن الكريم وأفرده بالتصنيف كأبي الزبير الغرناطي والبقاعي والسيوطي.

على أن أوّل من أبرز هذا العلم هو الرازي وتصريحه بمصطلح المناسبة، ثم تابعه البقاعي، ثم تلقفه العلماء من بعدهم.

وهناك ملحظ آخر وهو أنّ هذه المؤلفات وما حوته من علم المناسبات، إمّا أنها ركّزت على مناسبة الآية لما قبلها ولما بعدها، أو المناسبة بين السورة وبين السورة التي قبلها وبين التي تليها، أو جمعت بين عدة أنواع من المناسبات منثورة بين السطور كمناسبة الفاصلة أو لفظة في سياق الآية، لكنها لم تتعمّق في ربط مقاطع السورة بعضها البعض، أو تنظر في الروابط بين السور في المصحف ككل من أوّله لآخره؛ حتى أخذ هذا العلم منحى آخر في العصر الحديث، وطالته بحوث الدارسين وطلاب العلم، واستفاضت الدراسات انطلاقًا من وجهة نظر بيانية، كما فعل سيد قطب في ظلاله.

وهناك دراسات أخرى تُبرز تلك الوحدة الموضوعية منها:

ثم جاء كتاب (جواهر البيان في تناسب سور القرآن)، **لعبد الله بن محمد الصديق الغماري** (١) (ت ١٤١٣هـ) فتناول مناسبات السور على ترتيب المصحف، حيث قال مؤلفه: ((فقد أردتُ _ بمشيئة الله تعالى_ أن أبيّن في هذا الكتاب مناسبات سور القرآن الكريم بعضها لبعض، حسب ترتيبها في المصحف الشريف. وهذا فنٌّ عزيز، قلَّ من تعرّض له من العلماء على كثرة من تعرّض منهم لفنون القرآن المتنوعة، مثل تفسيره، وإعرابه، وقراءاته، وتجويده، واستنباط أحكامه، وقصصه، وغير ذلك)) (٢).

---

(١) عبد الله بن محمد بن الصديق بن أحمد الغماري، الصديقي الإدريسي الحسني، ولد بطنجة سنة (١٣٢٠هـ)، له مؤلفات كثيرة منها: بدع التفاسير، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، فضائل القرآن، (ت ١٤١٣هـ). انظر: التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، د. محمد بن رزق بن طرهوني (١/ ٢٤٥).

(٢) جواهر البيان، الغماري (ص ٣).

وكذا كتاب (الإعجاز البياني للقرآن) للدكتورة **عائشة عبد الرحمن** المشهورة ببنت الشاطئ (ت ١٤١٨هـ) الذي سارت فيه مراعية البيان والوحدة الفنية، حيث تصف توجيهات أستاذها أثناء تأليفها لهذا الكتاب، وحثّه لها على أن تلتزم بضوابط منهجية دقيقة أثناء التفسير، فلا تفسّر كلمة دون استقراء لمواضع ورودها بمختلف صيغها في القرآن الكريم، ولا تتناول موضوعًا أو أسلوبًا من القرآن دون استيعاب لنظائرهما وتدبر السياق الخاص في الآية والسورة، والسياق العام في القرآن كله(١).

وهناك أيضًا كتابات الشيخ **عبد الحميد محمود طهماز** وسلسلته (من موضوعات سور القرآن الكريم) فهي سلسلة تفسيرية حسب مواضيع السورة، وقد تناول سور القرآن الكريم كلها، مستخلصًا محاور السورة الرئيسة ومعنونًا بها، مع تعرّضه للمناسبات بين الآيات والمقاطع، ومناسبات الافتتاح والخواتم، ويصف كتابه في تفسير سورة الأنفال بقوله : ((وجاء الكتاب صورة صادقة للهدف الأساسي لهذه السلسلة القرآنية المباركة، وهو إظهار الاتساق والانسجام بين آيات السورة، مع تفسيرها تفسيرًا علميًا عصريًا واضحًا من خلال الموضوع للسورة الكريمة)) (٢).

وكتاب الشيخ **عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني** (ت ١٤٢٥هـ): (معارج التفكر و دقائق التدبر)، وهذا التفسير أقامه مؤلفه على ترتيب نزول القرآن الكريم، وانتهى من تفسير السور المكية، وتوفي بعد بدايته في تفسير سورة البقرة، وعلل اختياره لهذا المنهج؛ ما وصل إليه بالتدبر الميداني للسور من أن هذا الترتيب التزولي حق؛ له دلالات بنائية تكاملية تربوية متسلسلة، ويتعلق بحركة البناء المعرفي لأمور الدين، وحركة المعالجات التربوية الربانية للرسول ﷺ، ولمن بعده من المؤمنين أو الكافرين (٣). ولعلّه يُخشى من اتباع هكذا منهج؛ لمخالفته ترتيب النبي ﷺ للسور، على القول أن ترتيب السور توقيفي.

ومما سبق فإنّ هذه الدراسات ليست على سبيل الحصر، بل هي ما استطعتُ الوقوف عليه ــ إما اسمًا في ثنايا كتاب ما أو رسمًا بين أيدينا ــ وكان له أثر أو إضافة في هذا العلم، وما زال هذا العلم غنيًا يحتاج لتدبّر وحذق وإخلاص ومزيد بحث، والله الموفق.

---

(١) انظر: الإعجاز البياني للقرآن، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ (ص ١١).

(٢) أسباب النصر في سورة الأنفال، عبد الحميد محمود طهماز (ص ٦).

(٣) انظر: مصابيح الدرر (ص ٥٧ــ ٥٨)، موقع ملتقى أهل التفسير www.tafsir.net موضوع بعنوان: التعريف بكتاب معارج التفكر ودقائق التدبر للشيخ عبد الرحمن حبنكة رحمه الله.

المطلب الثاني: موضوعه، مكانته وفضله وثمرته

موضوع علم المناسبة:

من خلال تعريف علم المناسبة في القرآن الكريم، نجد أنّه يدور حول الآيات والسور القرآنية، واتصالها وتناسبها، وترابط أجزاء القرآن، فموضوع علم المناسبة هو الآيات والسور القرآنية.

مكانة علم المناسبة وفضله وثمرته:

لقد توالت أقوال العلماء في بيان فضل هذا العلم ومكانته وأهميته، حيث قال الزركشي : ((واعلم أن المناسبة علمٌ شريف، تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول))[1]. وقد جعله النوع الثاني من كتابه مما يدلُّ على أهميته ودرجته في علم التفسير.

وبهذا العلم النفيس يظهر إعجاز القرآن الكريم، فتتبيّن فصاحة ألفاظه، وجلال معانيه في نظمه وأسلوبه وترتيبه؛ لذا حض العلماء على معرفة هذا العلم الشريف، يقول ابن تيمية[2]: ((فتَدَبَّرْ تناسب القرآن وارتباط بعضه ببعض)) [3].

وفائده هذا العلم وثمرته هي الإعانة على تدبر كلام الله تعالى، واستظهار محاسنه، وتذوّق إعجازه في نظمه وجمله، وارتباط أجزائه كاللحمة الواحدة، وبذلك يرسخ الإيمان، ويُدفع كل ما يُثار حول القرآن من تشكيكات ومطاعن واهية؛ نتيجة لما يمكن أن يحصل من خفاء وجوه الاتصال بين الآي، وكل ذلك زائل بالتأمّل والتدبّر.

قال البقاعي: ((وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن في اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب . والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب)) [4].

---

(١) البرهان (١/٤١).

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، شيخ الإسلام، نادرة العصر، ذو التصانيف، ولد سنة (٦٦١هـ)، أحد الأعلام، كان من بحور العلم، (ت ٧٢٨هـ). انظر: الوافي بالوفيات (٧/ ١١)، طبقات الحفاظ، جلال الدين السيوطي (١/ ٥٢٠).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (١٤/٤٦).

(٤) نظم الدرر (١/٥ ، ٧).

وتحدّث الدكتور محمد عبد الله دراز عن فائدة أخرى وهي : أن هذا النظم وهذا الترتيب هو من لدن حكيم خبير، ودليل على ثبوت نبوة الرسول ﷺ، فالقرآن الكريم نزل منجمًا في ثلاث وعشرين سنة؛ فهذه الآيات لم تتخذ وضعها الترتيبي في الترول، ولكنها انتظمت في بناء متكامل، ووحدة متصلة غير ممزقة ولا متفرقة، فكم من آية نزلت لحادثة ما، أو حاجة مُلمة، ومع هذا فقد نزلت لتوضع في مكانها الذي لا تحيد عنه، ولا تجاوزه أو تغيّره من أول السورة إلى آخرها، وما وجد الدهر ع ن هذا الترتيب مصرفًا أو متحولاً[1].

وأخيرًا: إنّ طلب علم المناسبة يُعين على تدبر كتاب الله تعالى، ويُعين هذا العلم أيضًا على امتثال ما في القرآن الكريم ونهج ما فيه [2]، قال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [3].

(١) انظر: النبأ العظيم (ص ١٤٢ـ ١٦٣).

(٢) انظر: علم المناسبات في السور والآيات (ص ٤٠).

(٣) الآية (٢٩) من سورة ص.

المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبات

إنّ المتأمّل في نشأة هذا العلم يجد عددًا غير قليل من العلماء الأجلاء، والمفسرين العظماء قد تناولوا هذا العلم تصنيفًا وتقعيدًا، وتقسيمًا وتنظيرًا كما سبق وجاء في الحديث عن نشأته وتطوره ، فمنهم من اعتنى بالمناسبات بين الآيات المتتالية وبيّنها في مؤلفاته، ومنهم من اهتم بالمناسبات بين السور المتتالية وأفرد لها التصانيف وهكذا.

ولقد انقسم العلماء على مذهبين في طلب ه ذا العلم، فالكثير من العلماء ذهبوا إلى جواز طلب علم المناسبة، بل وحثّوا عليه كل حا ذق مُلمّ، كما جاء في الحديث عن مكانة هذا العلم وفضله، ومن هؤلاء العلماء الذين تناولوا هذا العلم فخر الدين الرازي، وبرهان الدين البقاعي وغيرهم.

وقال أحد شيوخ الزركشي: ((قد وَهِم مَن قال: لا يُطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها حسب الوقائع المتفرقة. وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا؛ فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف. وحافظ القرآن العظيم لو اُستفتي في أحكام متعددة، أو ناظر فيها، أو أملاها لذَكَر آية كل حكم على ما سئل، وإذا رجع إلى التلاوة لم يَتْل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقًا؛ بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة. ومن المعجز البين أسلوبه، ونظمه الباهر، ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(١)... والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة؛ ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم؛ وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له)) (٢).

وتجدر الإشارة إلى أن الذين أجازوا هذا العلم تفاوتوا في قبول الإكثار من هذا العلم لدرجة التكلّف، ودون بسط زائد مُخلّ بقواعده.

أما القسم الآخر من العلماء فه م الذين منعوا هذا العلم ؛ ومنهم: الشيخ **عزّ الدين بن عبد السلام**(٣) حيث قال: ((المناسبة علم حسن؛ ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر.

---

(١) الآية (١) من سورة هود.

(٢) انظر: البرهان (١/ ٤٢ _ ٤٣).

(٣) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، الشيخ الإمام العلامة، سلطان العلماء عز الدين أبو محمد السلمي، ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة، وكان أمّارًا بالمعروف نهاء عن المنكر، (ت ٦٦٠هـ). انظر: طبقات الشافعية (٢/ ١٠٩)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٢٤٢).

قال: ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه؛ فإن القرآن نزل في نيّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة؛ وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض؛ إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب؛ كتصرف الملوك والحكام والمفتين، وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة و متخالفة ومتضادة. وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض، مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها)) (١).

ومن قول العزّ السابق يظهر أنه لا يُعارض علم المناسبات بالكلية، ولكنه يشترط لقبوله وجود رابط متّحد يربط أوله بآخره، ويمكن القول بأن قبو ل التناسب لا ينفي وجوده لعدم ظهور الرابط، فإنه قد يظهر حينًا ويخفى حينًا، ويحتاج إظهاره مزيدَ عمق وتأمّل، وقد ذكر البقاعي والسيوطي وغيرهما دقة هذا العلم وعمقه، واستغراقهم الشهور الطوال في استظهار مناسبة ما، وهذا لا ينفي وجودها بل يدل على دقتها، وعدم معرفتها لكل أحد، وإنما لمن أكثر التأمل وأطال التفكر .

وأمّا ما احتجّ به العزّ من أن تصرفات الملوك والحكام والمفتين على اختلافها وتضادها حسب الوقائع المختلفة فلا يُعتدّ به؛ لأن الله تعالى أحكم الحاكمين، وكل شيء عنده لحكمة قد تظهر للبشر وقد تخفى، وقد يفتح الله بها على بعضهم، وهذا القرآن الكريم نزل لهداية البشر، وسعادتهم وفلاحهم، فهو صالح لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة، فتعالى سبحانه أن ينزّل إليهم كتابًا لا يفهمونه وهم مأمورون بتدبّره، ولا تظهر معجزاته وهم مطالبون بالإيمان به، ومن أعظم هذا الإعجاز هو ترابط آياته واتصالها رغم نزولها متفرقة حسب الوقائع والأحداث، وهذا النظم المعجز هو ما تحدّى به الله تعالى فطاحلة قريش فخابوا وحاروا أمام فصاحة القرآن الكريم. والله تعالى أجلّ وأعلم.

ويذهب الإمام **الشوكاني** (٢) في تفسيره (فتح القدير) مذهب العزّ في الخوض في هذا العلم، ولكنه أكثر تشديدًا حيث ناقش المسألة تحت مبحث سماه: (الترابط بين الآيات) عند تفسيره لسورة البقرة.

والمتأمّل لكلامه يجد أنه عاب على المتكلّفين، وأيضًا على طلب هذا العلم أصلاً ــ كما فعل البقاعي ــ وليس فرعًا من فروع علم التفسير؛ متعللاً باختلاف حوادث وأسباب النزول، وتباين مواضيع القرآن بين القصص والتشريعات وحتى باختلاف أنواع المخاطبين، وجعل طلب المناسبة فتحًا لأبواب الشك

---

(١) البرهان (٤٢/١).

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد، ولد بصنعاء سنة (١١٧٣هـ)، له مؤلفات عديدة منها: فتح القدير، البدر الطالع، نيل الأوطار وغيرها كثير، (ت ١٢٥٠هـ). انظر: الأعلام (٦/ ٢٩٨)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات ، عبد الحي عبد الكبير الكتاني (٢/ ١٠٨٣).

والريب، فلكثرة التصنيف في هذا العلم ــ كما يذكر الشوكاني ــ قد يظنّ الباحث أن إعجاز القرآن لا يظهر إلا بحضور المناسبة، وقارن بين طلب المناسبات في آي القرآن وسوره وبين طلب التناسب فيما قاله رجل من البلغاء في خطبه ورسائله وإنشاءاته العديدة المختلفة المواضيع، أو فيما نظمه شاعر تعددت أغراض قصائده، وجعل ذلك كله من تضييع الأوقات ومن الحماقات التي تفنى بها الأعمار ولا تُفيد، ناهيك عن حماقة فعل ذلك ــ على حدّ قوله ــ بين آيات القرآن وسوره المعجزة البليغة[1].

ويمكن القول بأن الشوكاني وإن وقف من المناسبات هذا الموقف المتشدد إلا أنه ذكر كثيرًا من المناسبات و لم يصرح بها[2].

ومن خلال ما سبق، يظهر أن مانعي هذا العلم، لم يمنعوه بالكلية، بل أتَوْا به في كتبهم، ولعل تلك الهجمة كانت على المتكلفين في طلبه، ولا يخفى ما في التكلف من ضرر في جميع الأمور ، وأن الناظر في علم المناسبات إذا كان يملك الآلة والأهلية الكاملة فلا مانع من أن يبحث في ذلك العلم انطلاقًا من آيات الله التي جاءت في الحث على التدبر. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (١/ ٦٣ــ ٦٥).

(٢) من أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ الأنفال: ٤١. حيث قال: ((لما أمر سبحانه بالقتال بقوله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ ،وكانت المقاتلة مظنة حصول الغنيمة، ذكر حكم الغنيمة)).انظر: فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني (٢/ ١٩٣). وأيضًا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ .... ﴾ التوبة: ٣٤، حيث قال: ((لما فرغ سبحانه من ذكر حال أتباع الأحبار والرهبان والمتخذين لهم أربابًا، ذكر حال ا لمتبوعين)). انظر: فتح القدير (٢/ ٢٣٦).

المطلب الرابع: أنواع المناسبات، أشهر المؤلفات

أولاً: أنواع المناسبات:

تعددت تقسيمات المشتغلين بهذا العلم لأنواع المناسبات، واختلفت تبعًا لذلك أعدادها ومسمياتها، ومن خلال النظر في تلك التقسيمات والتصنيفات يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسين، يندرج تحتهما عدة فروع وصور، وهما:

أولاً: المناسبات في السورة الواحدة، ويشتمل على:

١ـ التناسب في الآية الواحدة كتناسب جمل الآية مع بعضها البعض، والتناسب في ترتيب المفردات، ومناسبة الفاصلة وتسمى التذييل.

ومن الأمثلة على ذلك:

أـ مثال تناسب جمل الآية وأجزائه ا: قال أبو حيان في مناسبة قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[(١)]: ((ثم استأنف بقوله ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ﴾ أي: لا عزة لهم ولا منعة، فهم لا يقدرون لك على شيء ، ولا يؤذونك، إن الغلبة والقهر لله ، وهو القادر على الانتقام منهم، فلا يعازه شيء ولا يغالبه، وكأنّ قائلاً قال: لم لا يحزنه قولهم وهو مما يحزن ؟ فقيل: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ﴾ ليس لهم منها شيء))[(٢)].

ب ـ مثال ترتيب المفردات : قال أبو حيان في مناسبة قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[(٣)]: ((وأمر تعالى أولاً بالتقوى؛ لأنها أصل للطاعات ، ثم بإصلاح ذات البين ؛ لأنّ ذلك أهم نتائج التقوى في ذلك الوقت الذي تشاجروا فيه، ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله فيما أمركم به من التقوى والإصلاح وغير ذلك))[(٤)].

---

(١) الآية (٦٥) من سورة يونس.

(٢) البحر المحيط (٥/ ١٧٤).

(٣) الآية (١) من سورة الأنفال.

(٤) البحر المحيط (٤/ ٤٥٤).

جـــ مثال مناسبة التذييل: قال الألوسي في مناسبة ختام قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(١): ((والجملة تذييل مقرر لما قبله)) (٢).

٢ــ التناسب بين الآيات في السورة الواحدة: ويُقصد بها مناسبة الآية أو الآيات المتتالية لما قبلها وما بعدها في السورة، وهو كثير في القرآن الكريم، ونال حظًا وافرًا من اهتمام العلماء والمصنفين، ومثاله:

قال البقاعي في مناسبة هذه الآية ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾(٣) لما قبلها وهو قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٤): ((ولما ختمت بعموم سمعه وعلمه بعد قصر العزة عليه، كان كأنه قيل: إن العزة لا تتم إلاّ بالقدرة فأثبت اختصاصه بالملك ا لذي لا يكون إلاّ بها)) (٥).

٣ــ المناسبة بين أوّل السورة وخاتمتها: وهو يعني مناسبة الافتتاح للختام، كافتتاح سورة الإسراء بالتسبيح وختمها بالتحميد، والتسبيح مقدم على التحميد كما في قولنا: (سبحان الله والحمد لله) (٦).

٤ــ المناسبة بين مقاطع السورة وأجزائها: وبتعبير آخر تسمّى (الوحدة الموضوعية)، ويعني ذلك أن للسورة محورًا رئيسًا تدور حوله آياتها، وتعرضه بشتى الصور والأساليب، ومثاله: سورة القصص وما حوته من قصص موسى عليه السلام وقومه، والمتأمل في تلك القصص ــعلى اختلافها وتنوّع أحداثها ــ يجدها كلها تدور حول عناية الله تعالى بالمؤمنين المطمئنين بربهم وبوعده، فالسورة من بدايتها ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٧)، ولا أدلّ على ذلك من الظروف التي نزلت فيها السورة وهي وقت الهجرة، وقت الثقة بوعد الله ونصره.

---

(١) الآية (١١) من سورة المائدة.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي (٤/ ١١٤).

(٣) الآية (٦٦) من سورة يونس.

(٤) الآية (٦٥) من سورة يونس.

(٥) نظم الدرر (٣/ ٤٦٢ــ ٤٦٣).

(٦) انظر: البرهان(١/٤٣)، الإتقان (٣/ ٣٣٧).

(٧) جزء من الآية (٣) من سورة القصص.

ثانيًا: المناسبات بين السور، ويتفرّع إلى:

١ــ المناسبة بين خاتمة السورة السابقة وفاتحة السورة التي تليها: ومثاله كافتتاح سورة الحديد بالتسبيح، المناسب لما ختمت به سورة الواقعة قبلها بالأمر بالتسبيح[١].

٢ــ المناسبة بين فاتحة السورة وفاتحة التي تليها : كمناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتسبيح، وسورة الكهف بالتحميد، والتسبيح مُقدّم على التحميد[٢].

٣ــ المناسبة بين موضوعات السورتين من حيث الإجمال والتفصيل : ومثاله ما ذكره الألوسي في وجه اتصال سورة الأعراف بما بعدها وهي سورة الأنفال، حيث قال : ((ووجه مناسبتها لسورة الأعراف أن فيها ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾[٣] وفي هذه كثير من أفراد المأمور به وفي تلك ذكر قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم وفي هذه ذكر النبي ﷺ وذكر ما جرى بينه وبين قومه وقد فصل سبحانه وتعالى في تلك قصص آل فرعون وأضرابهم وما حل بهم وأجمل في هذه ذلك فقال سبحانه وتعالى ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[٤] وأشار هناك إلى سوء زعم الكفرة في في القرآن بقوله تعالى ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ﴾[٥] وصرح سبحانه وتعالى بذلك هنا بقوله جل وعلا وعلا ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾[٦] وبيّن جل شأنه فيما تقدم أن القرآن هدى ورحمة لقوم يؤمنون وأردف سبحانه وتعالى ذلك بالأمر بالاستماع له والأمر بذكره تعالى وهنا بيّن جل وعلا حال المؤمنين عند تلاوته وحالهم إذا ذكر الله تبارك اسمه بقوله عز من قائل ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٧] إلى غير ذلك من المناسبات))[٨].

---

(١) انظر: البرهان (١/ ٤٣)، الإتقان (٣/ ٣٣٢).

(٢) انظر: البرهان (١/ ٤٣).

(٣) جزء من الآية (١٩٩) من سورة الأعراف.

(٤) الآية (٥٢) من سورة الأنفال.

(٥) جزء من الآية (٢٠٣) من سورة الأعراف.

(٦) الآية (٣١) من سورة الأنفال.

(٧) الآية (٢) من سورة الأنفال.

(٨) روح المعاني (٥/ ٤٥٤).

بالإضافة إلى مناسبة موضوع عدة سور مع موضوع عدة سور أخرى أو سورة واحدة، ومناسبة موضوع مقطع من الآيات في السورة لمقطع آخر في سورة أخرى[1]، ومثاله: قال السيوطي: ((ورد في القرآن سورتان: أولهما ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾[2] في كل نصفٍ سورة، فالتي في النصف الأول تشتمل على شرح المبدأ، والتي في الثاني على شرح المعاد)) [3].

ثانيًا: أشهر المؤلفات:

لقد تناول جمعٌ من العلماء والمصنفين _ قديمًا وحديثًا _ علم المناسبات بالتأليف، فمنهم من ضمنه تفسيره، ومنهم من أفرده بالتصنيف. وهذا عرض لأشهر تلك المؤلفات _ تمثيلاً لا حصرًا _ فيما يلي:

أ_ المؤلفات النظرية (مرتبة حسب أقدمهم):

١_ البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي.

٢_ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي.

٣_ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي.

٤_ تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين السيوطي.

٥_ مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، جلال الدين السيوطي.

٦_ نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، عبد الحميد الفراهي.

٧_ جواهر البيان في تناسب سور القرآن، عبدالله بن محمود الصديق الغماري.

٨_ الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، الدكتور محمد أحمد يوسف القاسم.

٩_ المناسبات في القرآن الكريم، ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، عبد الله بن مقبل القرني. (رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤١٣هـ).

١٠_ إمعان النظر في نظام الآي والسور، محمد عناية الله محمد هداية الله.

١١_ دراسات في علوم القرآن الكريم، الدكتور فهد عبد الرحمن الرومي.

١٢_ فواتح السور ومناسبتها لمقاصد السور، منال بنت منصور القرشي . (رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ_ ٢٠٠٦م).

١٣_ التناسب بين سورة البقرة، طارق حميدة. (رسالة ماجستير بجامعة القدس، ١٤٢٨هـ_ ٢٠٠٧م).

١٤_ مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل أبو العلا.

---

(١) انظر: علم المناسبات (ص ٨٥، ٨٦).

(٢) هما سورتا النساء والحج.

(٣) الإتقان (٣/ ٣٣٨).

ب_ المؤلفات التطبيقية (مرتبة حسب أقدمهم):

١_ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر بن جرير الطبري.

٢_ الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري.

٣_ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي.

٤_ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي.

٥_ أنوار التتريل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي.

٦_ البحر المحيط، محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان الأندلسي.

٧_ بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية[١].

٨_ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي.

٩_ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد العمادي.

١٠_ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي.

١١_ تفسير القرآن الحكيم المشهور باسم تفسير المنار، محمد رشيد رضا.

١٣_ في ظلال القرآن، سيد قطب.

١٤_ التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور.

١٥_ التفسير المنير، وهبة الزحيلي.

١٦_ الأساس في التفسير، سعيد حوى.

(١) ذكر الأستاذ يسري السيد في مقدمته: ((ولو نظرنا إلى السور التي نكاد نقف على تفسير شبه كامل لها مثل الفاتحة والعنكبوت، وهناك عدد لا بأس به من سورة القيامة إلى آخر التفسير خاصة الفلق والناس . نرى أن ابن القيم يذه ب إلى التفسير الموضوعي للسورة، أي : إبراز الوحدة الموضوعية المتكاملة للسورة القرآنية، تلك الوحدة التي تربط بين أركان السورة بعضها إلى بعض، لتخدم الأهداف التي أُنزلت من أجلها، والتي يمكن أن تكون أساسًا لفهم آياهما)). بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمع: يسري السيد (١/ ٨٠).

المبحث الثاني

التحرير والتنوير، المؤلف، والكتاب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف

المطلب الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف

اسمه ومولده:

هو العلامة الإمام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور التونسي، من مواليد ضاحية المَرْسَى[1] في جمادى الأولى من سنة (١٢٩٦هـــ)، سبتمبر (١٨٧٩م)[2].

أسرته ونشأته:

انحدر الإمام ابن عاشور من أسرة ذات نَسَب ودِين، وبيتِ شَرَف وعِلم، حيث توافرت له بيئة علمية، وأصالة راقية، وقيم أ خلاقية، كان لها أفضل الأثر في تنشئته تنشئة فريدة، أعدته لخو ض ميادين عديدة، أبرزتْ تميزه على جميع الأصعدة.

ولقد حظي عصر الإمام ابن عاشور بظروف قاهرة عصيبة، وتآمرات استعمارية غادرة على شتى بلدان المسلمين، في حين كانت الدولة العثمانية تحتضر، والدول الغر بيّة تسعى لبسط نفوذها عليها ، في هذا العصر المشحون ولد ابن عاشور، وتربى في كنف والده، وتحت عناية جده لأمه، فنشأ ــ رحمه الله ــ في بيت ذي سلالة عريقة، ونسب عالٍ، وفي ظل تربية إسلامية وارفة، ألقت بآثارها نفعًا وخيرًا كبيرًا للأمة الإسلامية بعد ذلك.

فجدُّ الإمام هو قاضي الجماعة الشيخ محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور (١٢٣٥هـــ ــ ١٢٨٤هـــ)، الأديب الفقيه، قامت بينه وبين العديد من العائلات التونسية صداقات، أهمها صداقته بتلميذه محمد العزيز بوعتور [3] التي أثمرت عن زواج ابنه بابنة تلميذه، فكا ن زواجًا مباركًا نشأ عنه ولادة مترجمنا الإمام ابن عاشور.

ولقد تقلّد جدّه مناصب هامة كالقضاء والإفتاء والتدريس، والإشراف على الأوقاف الخيرية، والنظارة على بيت المال، والعضوية بمجلس الشورى، كيف لا؟ وهو الذي برع في علوم شتى، وجدد ما اندرس منها، فقد كان م تمرسًا في علوم اللغة والأدب والبيان والشعر، وكان صاحب صنعة كتابية

---

(١) المرسى: من ضواحي العاصمة تونس. انظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي (٥/ ١٠٧).

(٢) انظر: الأعلام (٦/ ١٧٤)، مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور، محمد الحبيب ابن الخوجة (١/ ١٥٣)، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره، د.بلقاسم الغالي (ص ٣٧)، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا (١/ ٣٤٧).

(٣) محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب ابن الوزير محمد بن محمد بوعتور، ولد سنة (١٢٤٠هـــ)، التحق بجامع الزيتونة سنة (١٢٥٤هـــ)، وتلّقد مناصب إصلاحية عديدة، تصدر وزارة القلم، ثم المال، ثم وزير استشارة في الوزارة الكبرى، ثم وزير الوازة، اعتنى عناية فائقة بحفيده الطاهر ابن عاشور. (ت ١٣٢٥هـــ). انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٤٠ــ ٤٢).

متميزة، ويبرز تميزه أيضًا في فتواه وفقهه، فقد خالف منهج الفقهاء في عصره، والذي يعتمد على التقليد وقولهم (قال الفقهاء كذا وكذا)، ونحى طريقة المجتهدين الآخذين بمنهج تتبع الأدلة والإحاطة بها، و ردّ الفروع على الأصول، والتنبيه على المقاصد، فنال بذلك مفخرة فاق بها معاصريه.

وله إضافات علمية عدة، وشروحات على كتب السابقين جمّة، ومجموعة فتاوى ومؤلفات [1]،هذا هو جدّ الإمام ابن عاشور لوالده، أما جدّه لأمه فهو الوزير العالم الكاتب محمد العزيز بوعتور، التحق بجامع الزيتونة، وتلقى العلوم فيه، فكان ضليعًا في اللغة والأدب وعلوم الشريعة وغيرها، ولم يُعقه عمله في الوزارة من طلب العلم وشهود حلقاته، فكان يحضر دورس شيخه محمد الطاهر ابن عاشور الأول جدّ الإمام، وكذا لم تمنعه المناصب الحكومية والإدارية من تبليغ العلم وتدريسه، فكان يُلقي دروسه في الجامع الأعظم.

وقد نبغ كسلفه من أهل بيته في النظم والنثر، وله مقالات ورسائل بثها في دواويينه، أو احتفظ بها في خزانة الدولة، ولعلّ أهمّها والتي تصوّر عصره ، وتعبّر عن علومه الشرعية وخبرته القانونية، رسالته التي تناول فيها قانون عهد الأمان[2] شرحًا وتحليلاً وتفريعًا وتعليقات أصولية محررة تحريرات بديعة أجرى فيها بعض الكليات على قواعد الشريعة الإسلامية[3].

وكان للشيخ بوعتور بالإضافة إلى الجوانب العلمية، جوانب إدارية وإصلاحية، فقد ساهم في إصلاح نظام التعليم بالجامع الأعظم، وكذا في تأسيس المدرسة الصادقية [4]، وجمعية الأوقاف، وتنظيم المحاكم الشرعية وغير ذلك من مؤسسات نافعة[5] .

إن حسن التربية التي لقيها الإمام وشبّ في كنفها، وتكوينه الأسري الذي يرفل في مناصب علمية وسياسية وإصلاحية شتى، جعل الفتى يُقبل من عمر السادسة على ا لمسجد المجاور لبيته، فحفظ القرآن

---

(١) من مؤلفاته: في السيرة: شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح، ولعله اختصار لشرح ابن مرزوق لقصيدة البردة للبوصيري، وله في النحو: حاشية على شرح ابن سعيد الحجري على الأشموني، وحاشية على القطر لابن هشام أسماها هدية الأريب إلى أصدق حبيب، أما في البلاغة: الغيث الأفريقي وهو عبارة عن تقييدات على حاشية عبد الحكيم على المطوّل، وفي الأصول: حاشية على شرح المحلي لجمع الجوامع لكنه لم يتمها، إلى غير ذلك في الفقه والفتوى. انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ١٣٢_ ١٣٣).

(٢) وثيقة مكتوبة تهدف إلى تحقيق العدل بين الرعية. أعلنه يوم ٩ سبتمبر ١٨٥٧ محمد باي ويؤكد هذا الميثاق على حقوق الأجانب في الإيالة التونسية التي ستسمح لهم بالتدخل في الحياة السياسية. انظر: موسوعة ويكيبيديا الحرة.

(٣) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ١٤٢).

(٤) تأسست المدرسة الصادقية في سنة ١٨٧٥م على يد خير الدين التونسي. وتعتبر أول مدرسة ثانوية عصرية في البلاد تونسية جاءت لتعاضد مجهود المدرسة الزيتونية في نشر العلم. انظر: موسوعة ويكيبيديا الحرة.

(٥) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ١٤٢).

الكريم، ومجموعة من المتون العلمية [(١)]، ثم التحق بجامع الزيتونة وتلقّى فيه العلوم على يد عدد من علماء الجامع الأفذاذ.

علمه، وشهاداته:

لقد اجتمع للإمام بجانب حفظه لكتاب الله وبعض المتون العلمية، دراسته في جامع الزيتونة، وا لتي أضافت له الكثير، وساعدت على تنمية مواهبه وقدراته، فلما بلغ الرابعة عشرة التحق بالجامع الأعظم وكان ذلك سنة (١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م)، فألّم رحمه الله بشتى الفنون، وأصول العلوم، كعلوم اللغة وآدابها، وعلوم الشريعة، وتعلّم بجانب ذلك اللغة الفرنسية وأتقنها[(٢)].

هذا وقد كان رحمه الله على معرفة بعلم الطب، وقد ظهر ذلك في مواضع من تفسيره التحرير والتنوير، وذكر بعضهم أن له كتابًا مخطوطًا في الطب موجود في المكتبة العاشورية بتونس ، عبارة عن تصحيح وتعليق على كتاب (الانتصار لجالينوس[(٣)]) للحكيم ابن زهر[(٤)].

أما علم التفسير فيشهد لضلوعه فيه كتابه الشهير المعروف بالتحرير والتنوير، وسيأتي التعريف به.

وكان رحمه الله حافظًا حجة في الحديث، له إسناد جامع لصحيحي البخاري[(٥)] ومسلم[(٦)]، وله إسناد إسناد عزيز روى به أحاديث البخاري، وقد أجاز بذلك عددًا من علماء تونس وما حولها، بالإضافة إلى شروحه وتحقيقاته على مرويات الإمام مالك بن أنس[(٧)] والإمام البخاري.

---

(١) من هذه المتون : ابن عاشر، والرسالة، والقطر، وشرح الشيخ خ الد الأزهري على الأجرومية . انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ١٥٣ـ ١٥٤)، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٣٧).

(٢) انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٣٩)، مدخل لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، محمد بن إبراهي م الحمد (ص ١٣).

(٣) جالينيوس: آخر الأطباء الكبار المعلمين، وهو الثامن منهم، لا يدانيه أحد في صناعة الطب فضلاً عن أن يساويه، صنف كتبًا كثيرة، عاش سبعة وثمانين سنة. انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن أصيبعة (ص ١٠٩).

(٤) زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان، أبو العلاء الإيادي، فيلسوف أندلسي من أهل إشبيلية، مشهور بالحذق والمعرفة، وله علاجات مختارة تدل على قوته في صناعة الطب وإطلاعه على دقائقها، (ت ٥٢٥هـ). انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص ٥١٧)، الأعلام (٣/ ٥٠).

(٥) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله البخاري، جبل الحفظ، وإمام الدنيا في فقه الحديث، صاحب الصحيح، (ت ٢٥٦هـ). انظر: صفة الصفوة (٤/ ١٦٨)، طبقات الشافعية (١/ ٨٣)، تقريب التهذيب، احمد بن حجر العسقلاني (١/ ٤٦٨).

(٦) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صاحب الصحيح أحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين، (ت ٢٦١هـ). انظر: تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٠)، تقريب التهذيب (١/ ٥٢٩)، وفيات الأعيان (٥/ ١٩٤).

(٧) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عبد الله المدني، الفقيه إمام دار الهجرة، قال البخاري: أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر، (ت ١٧٩هـ). انظر: صفة الصفوة (٢/ ١٧٧)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٧)، تقريب التهذيب (١/ ٥١٦).

أما في علم الفقه وأصوله، فقد كان بارعًا راسخ القدمين فيهما، وأكبر دليل على ذلك كتابه في مقاصد الشريعة، والذي بحث فيه مقاصد الإسلام من التشريع والقوانين، وإثبات تلك المقاصد وحاجة الفقيه لها، والتفريق بين علمي الأصول والمقاصد وعلاقة كل منهما بالآخر . بالإضافة إلى شروحه وتحقيقاته على عدد من كتب الأصول والفروع.

ومع هذا وذاك فهو اللغوي العارف بعلوم اللغة ودقائقها، الفارس في هذا المضمار بلا مُنازع، ومما يُبرهن على فصاحته وبيانه مؤلفاتهُ العديدة في مجالات اللغة المختلفة كالبلاغة والنحو، وأساليبه القوية في التصنيف، ودواوينه الشعرية المنشورة والتي لا تزال مخطوطة، وسأمثّل لها لاحقًا في مؤلفاته.

وله كذلك باع في التاريخ، ومن آثاره فيه (تاريخ العرب) وبعض السير والتراجم، وقيل أنها ما تزال مخطوطة بالمكتبة العاشورية.

أما معرفته بالفلسفة والمنطق فقد كان كثيرًا ما يفنّد أقوال الفلاسفة، ويحلل مناهجهم ويوظفها له، ويردُّ على ما عندهم من سوء فهم وتأويل.

ولقد عني به الشيخ عمر بن أحمد ابن الشيخ [1] أثناء دراسته، وقام بتعيين الشيوخ له، وسنأتي على ذكر شيوخه لاحقًا.

وكان كل مَن في الجامع قد لاحظ نبوغه، وتفوقه في دروسه ومناظراته، وبجانب هذا التميز العلمي نال التميز في حياته الوظيفية، فكان أول نجاح له حصوله على شهادة التطويع في عام (١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م) [2].

ثم تابع حضور الدروس عند شيوخه، وأفاد منهم أدبًا وعلمًا جمًّا، ونال العديد من الإجازات العلمية، فلقد أجازه جدّه الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور بكل مروياته عام (١٣٢١هـ/ ١٩٠٤م)، وبسنده الجامع بين صحيحي البخاري ومسلم ، وكذا أجازه شيخه الإمام سالم بو حاجب[3] إجازة تامة مطلقة عامة في الفروع والأصول، وفي جميع محفوظاته وملحوظاته المعقولة والمنقولة، وفي رواية صحيح البخاري،

(١) عمر بن الشيخ أحمد المعروف بابن الشيخ، أبو حفص، من بلد رأس الجبل، ولد سنة (١٢٢٧هـ)، ودخل الجامع الأعظم سنة (١٢٥٩هـ)، قرأ على أئمة أعلام، واشتغل بالتدريس، تولى الوظائف النبيهة كالنظارة العلمية والقضاء والفتيا، له رسائل في مسائل من العلوم الشرعية، (ت ١٣٢٩هـ). انظر: الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، زكي محمد مجاهد (٢/ ٤٨٦)، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة (٢/ ٥٥٢).

(٢) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ١٥٨)، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٣٩).

(٣) سالم بن عمر بو حاجب النبيلي : فاضل مالكي، من أهل تونس . ولد سنة (١٢٤٣هـ)، تولى التدريس بجامع الزيتونة ثم الفتيا سنة (١٣٢٣هـ)، ثم عُيّن كبيرًا لأهل الشورى المالكية. له شروحات ورسائل، (ت ١٣٤٢هـ). انظر: الأعلام (٣/ ٧١)، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٤٤ـ ٤٥).

وكان ذلك عام (١٣٢٣هـ)، بالإضافة إلى حصوله على إجازة شيخه عمر ابن الشيخ عام (١٣٢٥هـ)[١].

شيوخه:

شهد شيوخ الإمام له بالنبوغ والتفوق في العلوم العديدة وتحصيلها، وبقدرته على التعمق فيها، و لقد سجلوا ذلك في دفتر شهاداته[٢].

ولقد تخرّج الإمام على أيدي نخبة من علماء عصره، امتازوا بعلمهم الوفير، والقدرة على التبليغ، والمعرفة بطرق التدريس، إلى جانب مراعاتهم لتربية الملكات الفريدة والتركيز عليها، فاكتسب ـرحمه الله ـ الكثير من العلوم ومهارات الفكر والتحليل، من أشهرهم : الشيخ سالم بوحاجب، والشيخ محمد النخلي[٣]، والشيخ محمد النجار[٤] وغيرهم رحمهم الله أجمعين.

وبالتصفّح في سيرة هؤلاء العلماء نجد أنهم ـ رحمهم الله ـ كانوا مشاعل للعلم، ومناهل لكل فنّ، حفلوا بحياة علمية، أعطت وأثمرت جلائل الأعمال للدين والمجتمع، وساهمت في نهضة الجامع الأعظم بما أخرجوه من طلاب وتلاميذ تسلّحوا بعلومهم أمام الاستعمار والأفكار الدخيلة.

تلاميذه:

أشهرهم: ابنه محمد الفاضل [٥]، وابنه الثاني عبد الملك [٦]، ومعد الحبيب ابن الخوجة[٧] وغيرهم.

---

(١) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ١٥٩ـ ١٦٢).

(٢) ذكر الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة أنه كان من عاداتهم قديمًا أن يكون لدى الطالب دفتر شهادات يكتب فيه الشيخ له بحضور الدرس ومستواه فيه، انظر هامش (٢)، (١/ ١٥٦).

(٣) محمد النخلي: أصيل القيروان، من أشهر علماء الزيتونة الذين برعوا في العلوم النقلية والعقلية، (ت ١٩٢٥م). انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٤٦).

(٤) محمد بن عثمان النجار، أبو عبد الله : فقيه مالكي، من أهل تونس . ولد سنة (١٢٥٥هـ)، تعلم بجامع الزيتونة، ودرّس . (ت ١٣٣١هـ). انظر: الأعلام (٦/ ٢٦٣)، معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف اليان سركيس (ص ١٧٠٠)، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٤٥).

(٥) محمد الفاضل ابن عاشور، ولد بتونس عام (١٣٢٧هـ)، وتولى التدريس بجامع الزيتونة والقضاء ثم عميدًا بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، ومفتيًا للجمهورية التونسية. من مؤلفاته: تراجم بالأعلام، الحركة الأدبية في تونس، ومضات فكر، (ت١٣٩٠هـ). انظر: معجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة (ص ٥٥٥)، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور، هامش (ص ٦٦).

(٦) الأستاذ عبد الملك ابن عاشور: موظف سام. من إنتاجه بحوث وتحقيقات علمية نشرت له بالمجلات التونسية كالهداية وغيرها. ومؤلفات علمية تتصل بجمع ما تناثر في الصحف والمجلات من آثار والده. انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور، هامش (ص ٦٦).

(٧) د.محمد الحبيب ابن الخوجة: تولى عمادة كلية الزيتونية، ثم افتاء الجمهورية التونسية . له انتاج علمي وافر في العلوم الإسلامية واللغوية مثل كتابه حول حازم القرطاجني وغيره. انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور، هامش (ص ٦٧).

مناصبه ووظائفه:

تولى ابن عاشور العديد من المناصب الإدارية والقضائية الشرعية والعلمية، وأسهم في الكثير من المؤسسات العلمية والثقافية، منها:

١ــ تولى مهام التعليم بصفة رسمية بالجامع عام (١٣٢٠هــ) عندما نجح في مناظرة الطبقة الثانية، ثم انتدب للتدريس بالمدرسة الصادقية في العام الذي يليه، وعُيّن عضوًا بمجلس إدارتها عام (١٣٢٦هــ)، وبقي بها إلى عام (١٣٥١هــ)[(١)].

٢ــ كان عضوًا في لجنة فهرسة الكتب بالجامع الأعظم عام (١٣٢٣هــ)، ثم رئيسًا لها عام (١٣٢٩هــ).

٣ــ عُيّن نائبًا أول للحكومة لدى النظارة العلمية بجامع الزيتونة عام (١٣٢٥هــ).

٤ــ كان رئيس الجمعية الخلدونية.

٥ــ عُيّن حاكمًا بالمجلس المختلط عام (١٣٢٩هــ).

٦ــ عُيّن في قضاء الجماعة عام (١٣٣١هــ).

٧ــ عُيّن مفتيًا عام (١٣٤١هــ)، ثم بعدها بعام ترقى إلى كبير المفتين.

٨ــ عُيّن شيخ إسلام رئيس للمجلس الشرعي المالكي عام (١٣٥١هــ).

٩ــ تولى مشيخة الجامع الأعظم وفروعه عام (١٣٥١هــ) لأول مرة ولكنه استقال بعد سنة واحدة.

١٠ــ سُمّي شيخًا لجامع الزيتونة وفروعه للمرة الثانية عام (١٣٦٤هــ).

١١ــ عُيّن شيخًا عميدًا للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين عام (١٩٥٦مــ ١٩٦٠م).

١٢ــ كان عضوًا مراسلاً للمجمع اللغوي بالقاهرة منذ عام (١٩٥٠م)، والمجمع العلمي بدمشق منذ عام (١٩٥٥م).

وقد تخرّجتْ على يد الإمام أجيال وأجيال، وساهمتْ همّته العالية، وإحاطته بدقائق العلوم والأمور، والتعمّق في أسرارها، وقيامه بعدة رحلات علمية للشرق وأوروبا واسطنبول؛ على اتساع أفقه العلمي والفكري؛ وعلى تنمية قدرته على النقد والنظر، ومع تقلّبه في مراتب التدريس، وعضويته في العديد من المؤسسات على الصعيد الداخلي والخارجي، فقد كان ــرحمه الله ــ أوّل من جمع بين منصب شيخ الإسلام المالكي، وشيخ الجامع الأعظم، وأوّل من سمّي شيخًا للجامع الأعظم[(٢)]، ونال أيضًا جائزة الدولة

---

(١) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ١٦٤)، الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٥٦).

(٢) انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٦٢).

التقديرية، ونال وسام الاستحقاق الثقافي عام (١٩٦٨م)؛ وهو أعلى وسام ثقافي في الدولة، نظرًا لأبحاثه العميقة، ومؤلفاته الوافرة، وإصلاحاته العديدة [(١)]، وحصل كذلك على جائزة رئيس الجمهورية في الإسلاميات عامي (١٩٧٢ ـ ١٩٧٣م) [(٢)].

من إصلاحاته:

يُجمع المؤرخون على أن تاريخ تونس بل وتاريخ شمال إفريقيا مرتبط شديد الارتباط بجامع الزيتونة، وما قام به من دور في الحفاظ على مقومات الحضارة الإسلامية، ونشر العلم والمعرفة، ولقد بقيت الجامعة الزيتونية والمدرسة الصادقية التي نشأت عام (١٢٩١هـ)، والمدرسة الخلدونية التي تأسست عام (١٣١٤هـ)، تقوم بدورها في الحفاظ على الهوية والدين، والجمع بين الأصالة والمعاصرة أمام محاولات الاستعمار للهيمنة على الثقافة آنذاك.

ولقد عانى الجامع في فترة من فتراته جمودًا وتقليدًا، وتصدّى الإمام ابن عاشور لذلك الضعف، وأخذ على عاتقه مهمة الإصلاح والتغيير، ويعدّ ابن عاشور أول من أدخل إصلاحات تعليمية وتنظيمية في الجامع الزيتوني، جاءت هذه الإصلاحات التربوية الفكرية في كتابه: (أليس الصبح بقريب)، وتمثّلت تلك الإصلاحات في التعليم في عدة مجالات، منها : أنه قام بإدخال مواد جديدة كالكيمياء والفيزياء والجبر وغيرها، وزاد من دروس العربية في الصرف والأدب[(٣)].

ومن تلك الإصلاحات أيضًا : إصلاح الكتب الدراسية ، وتطوير أساليب التدريس ومعاهد التعليم، ودعا إلى التقليل من الإلقاء والإكثار من الأشغال التطبيقية ؛ حتى تتربى للطالب ملكة بها يستقل في الفهم ، وحرص رغم كل تلك التغييرات على إبقاء الصبغة الشرعية واللغة العربية في الجامع، بالإضافة إلى حثّه للمدرسين على اختيار أحسن المناهج، وانتقاد الأساليب والمناهج الدراسية.

وقد بلغ عدد فروع الزيتونة في عهده سبعة وعشرين معهدًا علميًا، منها فرع مخصص للبنات، ونما بذلك عدد الطلاب ، وارتفع عدد الشيوخ، ونظمت الامتحانات واللجان، وبذلك حصل تطوير عالٍ في الجامع الزيتوني في علوم الشريعة والعلوم الأخرى[(٤)].

ومن ضمن إصلاحات الإمام دعوته للإصلاح الاجتماعي، حيث ذكّر بمحاسن الدين الإسلامي، وفضائل التشريع، والالتزام بها : كالسماحة والوسطية والعدل والإحسان، منبهًا الدعاة المصلحين على

(١) انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٦٨).

(٢) انظر: المدخل لتفسير التحرير والتنوير (ص ١٩).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ١٩).

(٤) انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٥٩).

ضرورة معرفة الأحوال، وأسباب المرض وأعراضه ليكون إصلاحًا كاملاً كما يحبّ الإسلام . وحركة الإصلاح هذه تحتاج لتفقّه في الدين، وقد ضبط الإمام للأمة أحوال نظامها الاجتماعي، ثم دعا المؤمنين إلى تطبيق الإسلام في العبادات والمعاملات[١].

وساعد الإمامَ على ذلك عدد من الشيوخ والمصلحين، كشيخ الإسلام الشيخ سالم بوحاجب.

أخلاقه:

هذا التفوق، وهذا الفكر، نال إعجاب من حوله من علماء وشيوخ وأصدقاء، ممن عاشروا أخلاقه، وعاصروا فكره، قال عنه صديقه الشيخ محمد الخضر حسين [٢] شيخ الجامع الأزهر: ((وللأستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان، ويضيف إلى غزارة العلم، وقوة النظر صفاء الذوق، وسعة الاطلاع في آداب اللغة ... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم)) [٣].

وقال تلميذه الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة : ((كان خزانة علم تتنقل يجد لديه كل طالب بغيته، أعانه على حصول ذلك وبلوغ المرتبة العالية العجيبة في اشتغاله المتواصل بالمراجعة والتدريس والتحقيق والتأليف، مع صحة ذهن، وجودة طبع، وقوة عارضة، وطلاقة لسان)) [٤].

وقال الشيخ العلامة اللغوي الأديب محمد البشير الإبراهيمي[٥]: ((عَلَم من الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره)) [٦].

ولم يكن فظًّا مع مخالفيه، ولم يُعرف عنه الكلام النابي، بل كان في ردوده ومناقشاته معهم رحب الصدر حليمًا مترفعًا عن الدنايا والصغائر.

وكان ــ رحمه الله ــ يُعامل أصحابه بمنتهى الودّ، حيث يذكر صديقه الشيخ محمد الخضر حسين أن الإمام ابن عاشور كان مرة في جامع الزيتونة ومعه أديبان، وكان الشيخ محمد الخضر في ناحية أخرى من الجامع يقرأ درسًا، فبعث الإمام إليه بورقة كُتب فيها:

تألقتِ الآدابُ كالبدر في السَّحَرْ   وقد لفظ البحران موجُهما الدرر

---

(١) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ٣٢ـ ٣٤).

(٢) محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي : عالم إسلامي أديب باحث، يقول الشعر، مو مواليد نفطة في تونس سنة (١٢٩٣هـ)، من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، تولى مشيخة الأزهر، (ت ١٣٧٧هـ). انظر: الأعلام (٦/ ١١٣)، معجم المؤلفين، طبعة دار إحياء التراث العربي (٩/ ٢٧٩).

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ١٦٩)، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٦٣).

(٤) شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٦٤).

(٥) محمد البشير الإبراهيمي الجزائري (١٣٠٦ـ ١٣٨٥هـ). انظر: مدخل إلى تفسير التحرير والتنوير (ص ٢٥).

(٦) مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور (١/ ١٦٩).

فما لي أرى منطيقهـــا الآن غائبـــًا وفي مجمع البحرين لا يُفقد (الخضر) [١]

مؤلفاته:

لقد تعددت مؤلفات الإمام الطاهر ، واصطبغتْ كتاباته بطابع فريد، وأشهر مؤلفاته على الإطلاق تفسيره (**تفسير التحرير والتنوير**)، وكتابه الفريد في أصول الفقه : (**مقاصد الشريعة الإسلامية**)[٢]، وكتابه في إصلاح التعليم ومعالجته في الوطن العربي والإسلامي، والذي كتبه في سن الخامسة والعشرين : (**أليس الصبح بقريب**)[٣]، ومن مؤلفاته في العلوم الشرعية:

- **أصول التقدم في الإسلام**، طبعته الشركة التونسية للتوزيع.
- **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، طبعته الشركة التونسية للتوزيع والدار العربية للكتاب عام (١٩٧٩م)، ودار النفائس بعمّان عام (٢٠٠١م)، ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام (٢٠٠٥م).
- **الأمالي على مختصر خليل**[٤]، مخطوط.
- **التوضيح والتصحيح في أصول الفقه**، طبعته مطبعة النهضة بتونس عام (١٣٤١هـ).
- **رد على كتاب الإسلام وأصول الحكم**، طبعته المطبعة السلفية بمصر عام (١٣٤٤هـ).
- **فتاوى ورسائل فقهية**، مخطوط.
- **قصة المولد**، وهو كتاب في السيرة النبوية، طبعته الدار التونسية للنشر عام (١٩٧٢م).
- **قضايا شرعية وأحكام فقهية وأراء اجتهادية ومسائل علمية**، مخطوط.
- **كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ** [٥]، طبعته الشركة التونسية للتوزيع عام (١٩٧٥م)، والدار العربية للكتاب، في ليبيا وتونس عام (١٩٧٩م)، ودار السلام في مصر عام (٢٠٠٦م).

---

(١) انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٦٣)، المدخل إلى تفسير التحرير والتنوير (ص ٢١).

(٢) طبعته الشركة التونسية للتوزيع عام (١٩٧٨م)، ودار النفائس بعمّان، ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام (٢٠٠٧م).

(٣) طبعته الشركة التونسية للتوزيع عام (١٩٦٧م)، دار سحنون ودار السلام عام (١٤٢٨هـ).

(٤) كتاب في الفقه المالكي وفروعه، ومؤلفه هو خليل بن إسحاق بن موسى المالكي المعروف بالجندي، (ت ٧٦٧هـ). انظر : الديباج المذهب، إبراهيم بن علي ابن فرحون (١/ ١١٥)، الدرر الكامنة (٢/ ٢٠٧).

(٥) هذا الكتاب عبارة عن شرح للموطأ، وضع فيه الطاهر منهجًا للمحدثين في انتقاء الأحاديث والرجال، وللفقهاء في استنباط الأحكام.

- **النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح** [1]، طبعته الدار العربية للكتاب، في ليبيا وتونس عام (١٩٧٩م)، ودار السلام بالقاهرة مع دار سحنون بتونس عام (٢٠٠٧م).
- **الوقف وآثاره في الإسلام**، طبعة القاهرة عام (١٣٥٠هـ).

وغيرها كثير في علوم الشريعة، أما مؤلفاته في اللغة العربية، فمنها:

- **أصول الإنشاء والخطابة**، وهو في فنّ الأدب والتعبير بأسهل الأساليب، طبعته الدار التونسية للنشر والتوزيع عام (١٩٨٨م).
- **الأمالي على دلائل الإعجاز**[2]، مخطوط.
- **تراجم لبعض الأعلام**، مخطوط.
- **تحقيق كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب**[3]، مخطوط.
- **تحقيق مقدمة في النحو**[4]، مخطوط.
- **شرح ديوان بشار**[5]طبعته الدار التونسية للتوزيع عام (١٩٧٦م)، ودار السلام للطباعة والنشر والنشر والتوزيع بالقاهرة عام (٢٠٠٨م).
- **شرح ديوان النابغة**[6]، طبعته الد ار التونسية للتوزيع عام (١٩٧٦م)، ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام (٢٠٠٩م).
- **شرح ديوان الحماسة لأبي تمام**[7]، مخطوط.
- **غرائب الاستعمال**، مخطوط.
- **موجز البلاغة**، طبعته الشركة التونسية للتوزيع عام (١٩٥٢م).

---

(١) هذا الكتاب عبارة عن فوائد وآثار ولمحات فقهية على صحيح البخاري.

(٢) دلائل الإعجاز، من تأليف: عبد القاهر الجرجاني.

(٣) من تأليف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي.

(٤) مقدمة في النحو، من تأليف: خلف بن حيان أبو محرز المعروف بالأحمر.

(٥) بشار بن برد، أبو معاذ البصري الضرير، مولى بني عقيل، بلغ شعره الفائق نحوًا من ثلاثة عشر ألف بيت ، نزل بغداد (ت ١٦٧هـ). انظر: تاريخ بغداد (٧/ ١١٢)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤).

(٦) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني، يكنى أبا أمامة، شاعر جاهلي. انظر: طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (١/ ٥١)، تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن عساكر(١٩/ ٢٣٤).

(٧) حبيب بن أوس أبو تمام الطائي الشاعر ، شامي الأصل، جالس الأدباء فأخذ عنهم ، وكان فطنًا فهمًا، وكان يحب الشعر فلم يزل يعانيه حتى قال الشعر فأجاد، وقدم إلى بغداد، وكان موصوفًا بالظرف وحسن الأخلاق وكرم النفس، (ت ٢٣١هـ). انظر: تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٨)، وفيات الأعيان (٢/ ١١).

إلى غير ذلك من المؤلفات منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط ومحفوظ في المكتبة العاشورية بدار آل عاشور بتونس.

وكانت له كتابات وتحريرات في عدد من المجلات العلمية في الشرق العربي، كالموسوعة الفقهية بالكويت، ومجلة الهداية الإسلامية بالقاهرة، ومجلة المنار، ومجلة السعادة العظمى بتونس، والمجلة الزيتونية، ومجلة نور الإسلام، بالإضافة إلى مجلتي المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة وغيرها من الصحف والمجلات الأخرى.

وفاته:

توفي الطاهر ــرحمه اللهــ بالمرسى يوم الأحد الثالث عشر من شهر رجب عام (١٣٩٣هــ)، الموافق الثاني عشر من شهر أغسطس عام (١٩٧٣م)، ودفن في مقبرة الزلاج بتونس [١]، بعد أن ترك رحمه الله من الآثار والمناقب، لم تقف على حدّ الكتب والمؤلفات، والانجازات والإصلاحات، وما تخرّج على يديه من طلاب، بل امتدت إلى أبناء وبنات ، فكان له رحمه الله ثلاثة أبناء، هم : محمد الفاضل ابن عاشور، وعبد الملك، وزين العابدين، وبنتان.

رحم الله الإمام ابن عاشور إمام الجامع الأعظم، قال عنه الأستاذ محمد الطاهر الميساوي [٢]: ((ومن ثمّ فلا غرابة أن جاء ت هذه السيرة وارفة الأفنان، متنوعة العطاء، دانية القطوف، وكأنما أنت في حضرة مجمع من العلماء ضُمّ في صعيد واحد: اللغوي، والأديب، والمفسر، والمحدث، والأصولي، والفقيه، والمربي، والمؤرخ، والفيلسوف، والمنطقي، بل وحتى العالم بأمور الطب ...)) [٣]، وقال أيضًا: ((إن ابن عاشور ليس اسمًا عاديًا في محيط الثقافة الإسلامية، بل إن اسمه وجهاده قد ارتبطا ارتباطًا وثيقًا بواحدة من أهم مؤسسات هذه الثقافة، وبرمز من أبرز رموزها في النصف الأول من القرن العشرين، ألا وهي جامعة الزيتونة...)) [٤].

ونحمد الله تعالى أن سخّر لهذا التراث العاشوري ثلّة من طلاب العلم الجادّين ليحللوه، ويستجلوا منه الأصالة والإبداع والابتكار، ويدرسوا أثره وأبعاده على الفكر والعصر الحديث، وعلى حركة الثقافة الإسلامية في العالم الإسلامي ككل، وتونس بأخص، ونسأله تعالى أن يوفقنا إلى خدمة هذا الدين، وأن يرحم المؤلف وعلماءنا أجمعين رحمة واسعة، وأن يرفع درجاتهم في عليين، إنه سميع مجيب.

---

(١) انظر: الأعلام (٦/ ١٧٤)، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص ٦٨).

(٢) محقق ومؤلف معاصر، وأستاذ في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

(٣) مدخل إلى تفسير التحرير والتنوير (ص ١٤).

(٤) انظر: المرجع السابق(ص ١٧).

المطلب الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير

يُعدّ كتاب ابن عاشور الشهير في التفسير المسمّى (تفسير التحرير والتنوير)، من أعظم مؤلفاته وأَحَبّها إليه، والاسم الأصلي له : (تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، وتفسير الكتاب المجيد)، ولكنه اُشتهر بما اختصره: (التحرير والتنوير من التفسير) وهو المطبوع على غلافه.

وهو عبارة عن ثلاثين جزءًا، في خمسة عشر مجلدًا، طبعَتْه دار سحنون للنشر والتوزيع بتونس.

وكانت أمنية الإمام ابن عاشور أن يكتب كتابًا في التفسير ــ كما يذكر في مقدمته ــ، وقد ظلت نفسه المُحبة للعلم، الشغوفة به، تراوده على المضي قُدمًا رغم تردّده مرات ومرات، وبالاستعانة بالله وبالاستخارة، وبعد ذاك التردد بين الإحجام والإقدام، عقد العزم على الشروع، وبدأ به في عام (١٣٤١هـ) وانتهى منه في عام (١٣٨٠هـ)، وكانت مدة تأليفه له تسعًا وثلاثين سنة وستة أشهر كما يقول هو في نهايته.

ولقد جاء تفسيره غاية في العلم، واللغة، والأسلوب، فجَمَعَ فيه مواهبه العديدة، وعلومه الغزيرة، وفصاحته البليغة، ورؤيته التربوية والإصلاحية، وغير ذلك من الفنون، حتى أنه وصفه بقوله: ((فإني بذلتُ الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير، بحيث ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القماطير، ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير))[(١)].

ولقد بدأ تفسيره بمقدمات عشر ذات صلة بالتفسير وعلوم القرآن، عللها بأنها عون للباحث في التفسير، وتغنيه عن معاد كثير[(٢)]، وهذه المقدمات في:

١ــ التفسير والتأويل وكون التفسير علمًا.

٢ــ استمداد علم التفسير.

٣ــ صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه.

٤ــ ما يحق أن يكون غرض المفسر.

٥ــ أسباب النزول.

٦ــ القراءات.

---

(١) التحرير والتنوير (١/٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/٩).

٧ـ قصص القرآن.

٨ـ اسم القرآن وسوره وترتيبها وأسمائها.

٩ـ أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها.

١٠ـ إعجاز القرآن.

وذكر أنه أتى في تفسيره بما فتح الله من فهم لمعاني الآية ومسائل علمية لم تتناولها التفاسير الأخرى[1].

وأوضح أنّ أهم التفاسير التي رجع إليها : (الكشاف) و (المحرر الوجيز) لابن عطية، و(مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي، وتفسير البيضاوي [2]، وتفسير الشهاب الآلوسي، وتفسير أبي السعود، وتفسير القرطبي[3]، وتفسير الإمام محمد ابن جرير الطبري، وغير ذلك من التفاسير التي ذكرها ورجع إليها .

وقد أخذ بعض العلماء على ابن عاشور ابتداءه بتفسير الكشاف عند تصنيفه لأهم التفاسير، وتأخيره لكتاب الطبري والذي يعدّ العمدة في التفسير بالمأثور، ممّا يوحي بأن منهج الإمام يعتمد على التفسير بالرأي أكثر منه بالمأثور، وبأنه بهذا الترتيب كأنه يُبيّن مراجعه الأساسية[4].

والذي يظهر أنه ـرحمه اللهـ قدّم الكشاف على اعتزاله لما حواه من وجوه بلاغية ـفمعروف أنّ الكشاف من أبرز التفاسير في هذا الجانب ـ والتي أشار في مقدمته أنه لم يُفرد تفس يرٌ التصنيفَ في دقائق البلاغة، وأنه تصدى في تفسيره لهذا الفنّ، وقد قال ـرحمه اللهـ إزاء نظرته لتفسير السابقين : ((ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين : رجل معتكف فيما شاده الأقدمون، وآخر آخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين ضرّ كثير ، وهنالك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعمد إلى ما أشاده الأقدمون فنهذّبه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده، عالمًا بأن غمض فضلهم كفران للنعمة، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة))[5]؛ وهذا يكفي لبيان أنه بجانب اعتماده على التفسير بالرأي فإنه لم يُغفل التفسير بالمأثور وأن كتابه ضمّ من آثار السابقين، وظلال الأقدمين، وأنه

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (١/٧).

(٢) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي ، أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي ، له مختصر الكشاف في التفسير المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، وله شرح المصابيح في الحديث ، كان إمامًا مبرزًا نظارًا صالحًا متعبدًا زاهدًا، (ت ٦٨٥هـ). انظر: طبقات المفسرين، الداودي (١/ ٢٥٤)، طبقات الشافعية (٢/ ١٧٢).

(٣) محمد بن أحمد بن أبي فرح الأنصاري الخزرج ي المالكي، أبو عبد الله القرطبي، مصنف التفسير المشهور الذي سارت به الركبان ، و التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، قال الذهبي: إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته، وكثرة اطلاعه، ووفور فضله، مات بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى سنة (٦٧١هـ). انظر: طبقات المفسرين، الداوي (١/ ٢٤٦)، طبقات المفسرين، الأدنة وي (١/ ٩٢)، الوافي بالوفيات (٢/ ٨٧).

(٤) التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا (٢/ ٧٣٨).

(٥) التحرير والتنوير (١/ ٧).

راعى في الأساس أغراض التفسير، ومقاصد القرآن الكريم، وبيان مُراد الله تعالى بأتمّ بيان يحتمل المعنى ولا يأباه اللفظ، ومن أجل ذلك جاءت مقدمته الرابعة في أغراض المفسر.

ولما كان كتاب الله تعالى كتاب هداية وإصلاح على مستوى الأفراد والجماعات، جاء ليهديهم سبيل ربهم ليعبدوه ويعمروا أرضه كما يحبُّ ويرضى ، فلقد اهتم الطاهر في تفسيره بذكر مقاصد السور وأغراضها وقال في مقدمته الرابعة : ((إن القرآن أنزله الله تعالى كتابًا لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم قال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] ... فمراد الله من كتابه هو بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين وقد أودع ذلك في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطابًا بينًا وتعبدنا بمعرفة مراده والإطلاع عليه فقال : ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[2]))[3].

وعلى من يخوض في هذا الفن أن يعلم المقاصد الثمانية الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها وهي كما ذكرها ابن عاشور[4]:

١ــ إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، فهذا أعظم سبب للإصلاح والتحرر من عبودية غير الله تعالى.

٢ــ تهذيب الأخلاق قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[5]، وفسرّت عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خُلُقِه ﷺ فقالت: "كَانَ خُلُقُهُ القُرْآن"[6].

٣ــ التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ ﴾[8].

---

(١) جزء من الآية (٨٩) من سورة النحل.

(٢) الآية (٢٩) من سورة ص.

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٣٨ ــ ٣٩).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/ ٣٩ــ ٤٢) بتصرف.

(٥) الآية (٤) من سورة القلم.

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب من دعا الله أن يحسن خلقه، (١/ ١١٥)، رقم: [٣٠٨].

(٧) جزء من الآية (١٠٥) من سورة النساء.

(٨) جزء من الآية (٤٨) من سورة المائدة.

٤ــ سياسة الأمة و القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها ووحدتها بقوله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[2].

٥ــ القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[3].

٦ــ التعليم وما يؤهل أفراد الأمة إلى تلقي الشريعة ونشرها، وقد زاد القرآن تعليم حكمة ميزان العقول فقال ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾[4]، وقد لحق به التنبيه المتكرر على فائدة العلم، وذلك شيء لم يطرق أسماع العرب من قبل.

٧ــ المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين.

٨ــ الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول ﷺ.

وبالنظر في هذا التفسير نجد أن مؤلفه ــ كما يقول في مقدمته ــ قد اهتم ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، وأيضًا ببيان أوجه المناسبة بين الآيات، وأحاط بأغراض السور، وقام بإيضاح بعض معاني المفردات العربية مما خلت منه القواميس ضبطًا وتحقيقًا.

هذا بصورة مجملة ما ذكره ابن عاشور عن تفسيره، وما حكاه في مقدماته، وفيما يلي بيان وعرض لمنهجه في تفسيره بتفصيل يسير.

منهجه في تفسيره:

من خلال إطلاعي على جزء من تفسيره، فهذه أبرز سمات منهجه في تفسيره:

١ــ سار في تفسيره على ترتيب المصحف الشريف، وفي بداية تفسيره لكل سورة يُقدّم لتلك السورة ببيان أسمائها، وعدد آياتها واختلاف العلماء فيها إن وجد، وترتيب نزولها، ومكيتها ومدنيتها، ويستشهد في ذلك كله بالآثار ــ إن وجدت ــ ثم يقول: وأغراضها أو أغراض السورة، ويذكر تلك الأغراض، ثم يشرع في تفسير آية آية.

---

(١) جزء من الآية (٤٦) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٣٨) من سورة الشورى.

(٣) الآية (٣) من سورة يوسف.

(٤) جزء من الآية (٢٦٩) من سورة البقرة.

٢ــ عند تفسيره للآية أول ما يبدأ به هو ذكر المناسبة ــإن وجدتــ ثم يشرع في تفسيرها، و لم يبحث اتصال مواقع السور[١].

٣ــ الاعتناء بذكر أسباب الترول مستعينًا بها على فهم الآيات[٢].

٤ــ في بعض الأحيان يفسّر القرآن بالقرآن، ومن أمثلته: ما ذكره الطاهر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[٣]: ((جرى على سنة الله أنه لا يسلب نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ذلك بأنفسهم، وأن قوم فرعون والذين من قبلهم كانوا من جملة الأقوام الذين أنعم الله عليهم فتسببوا بأنفسهم في زوال النعمة كما قال تعالى ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ﴾[٤]))[٥].

٥ــ الاستشهاد بالأحاديث في تفسير الآيات، وأيضًا في أسباب الترول، و كان يذكرها بدون سند مكتفيًا بذكر اسم الصحابي الذي روى الحديث مرفوعًا إلى الرسول ﷺ[٦].

٦ــ الاهتمام بذكر القراءات، ونسبتها إلى أصحابها، وبيان أثر اختلافها ع لى التفسير وما تحمله من معانٍ، ومثاله: قال الطاهر: ((وقرأ الجمهور ــ لَيَميز ــ بفتح التحتية الأولى وكسر الميم وسكون التحتية الثانيةــ مضارع ماز بمعنى فرز وقرأ حمزة [٧] والكسائي[٨]، ويعقوب[٩]، وخلف[١٠]: ــ بضم التحتية

---

(١) انظر: (ص ٥٧) من هذا البحث.

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٩/٢٤٨).

(٣) الآية (٥٣) من سورة الأنفال.

(٤) جزء من الآية (٥٨) من سورة القصص.

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٠/٤٥).

(٦) انظر: المصدر السابق (١/ ٣٧٦)، (١٠/ ١٤٣)، (١٠/٢٦٩)، (١٠/ ٢٧٦ــ ٢٧٧).

(٧) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام، أبو عمارة الكوفي، مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي الزيات، أحد القراء السبعة، ولد سنة ثمانين، قرأ على التابعين، و تصدر للإقراء، (ت ١٥٦هــ). انظر: معرفة القراء الكبار، محمد بن أحمد الذهبي (١/١١١)، شذرات الذهب (١/ ٢٤٠)،

(٨)علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الإمام أبو الحسن الكسائي ، كان إمام الكوفيين في اللغة والنحو ، وسابع القراء السبعة، توطن في بغداد، ومن مصنفاته معاني القرآن العظيم، وبعض الكتب في القراءات، وكانت وفاته في بلدة ري سنة (١٩٢هــ). انظر: طبقات المفسرين، الداودي (١/ ٢١)، تهذيب التهذيب (٧/ ٢٧٥).

(٩) قارئ أهل البصرة، يعقوب بن إسحاق الحضرمي، المقرئ النحوي أحد الأعلام، وله في القراءة رواية مشهورة ثامنة على القراء السبعة، قال أبو حاتم السمتاني: كان يعقوب الحضرمي أعلم من أدركنا في الحروف والاختلاف في القرآن وتعليله ومذاهبه ومذاهب النحو، (ت ٢٠٥هــ). انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٥٧)، شذرات الذهب (٢/ ١٤).

(١٠) خلف بن هشام بن ثعلب، أبو محمد البغدادي المقرئ البزار، أحد الأعلا م، ولد سنة (١٥٠هــ)، قال الدارقطني: كان عابدًا فاضلاً، (ت٢٢٩هــ). انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ٢٠٨)، شذرات الذهب (٢/ ٦٧).

الأولى وفتح الميم التحتية وتشديد الثانية ــ. مضارع ميز إذا محص الفرز وإذ أسند هذا الفعل إلى الله تعالى استوت القراءتان)) [١].

٧ــ التوسّع في ذكر دقائق البلاغة وأساليب البيان[٢].

٨ــ الاستشهاد بالشعر العربي كثيرًا، وخاصة عند الحديث عن التراكيب اللغوية واستعمالات العرب[٣].

٩ــ العناية بالنحو والصرف، والحرص على بنية الكلمات وإرجاعها إلى أصولها، ولا يخفى تضلّعه في سنن العرب وكلامها لذا تطرّق إلى نشأة اللغة، وهو كثير جدًا في تفسيره [٤].

١٠ــ التعرّض لمسائل الفقه، وأقوال العلماء، واختلافاتهم الفقهية، وكان يفصّل المسائل ويرجّح دون تعصبّ لمالكيته[٥].

١١ــ اتّباع منهج الإنصاف بين الأقوال، ومسائل الاختلاف، والمناقشة والنقد والترجيح بدون تعصب[٦].

١٢ــ اعتنى بمقاصد الشريعة، وبيان الحِكَم من بعض المسائل والأمور[٧].

١٣ــ نَقَلَ العديد من نصوص أسفار التوراة مع التعليق والإيضاح؛ بهدف بيان صحة القرآن الكريم وسلامته من التحريف، وإن أُخذ هذا عليه من بعضهم . مثال ذلك قوله: ((والاعتداد بالرؤيا من قديم أمور النبوءة. وقد جاء في التوراة أن الله خاطب إبراهيم عليه الصلاة والسلام في رؤيا رآها وهو في طريقه ببلاد شاليم بلد ملْكي صَا دق وبشّره بأنه يهبه نسلاً كثيرًا ، ويعطيه الأرض التي هو سائر فيها، في الإصحاح ١٥ من سفر التكوين)) [٨].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٩/٣٤٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٩/ ٣٠٥)، (٩/٣١٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (٩/ ٢٩٠)، (٩/٣٣١).

(٤) انظر: المصدر السابق (٩/ ٢٩٦)، (٩/ ٣٢٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (٩/ ٢٥٠ــ ٢٥١)، (٩/ ٣٤٥).

(٦) المصدر السابق (٢/ ١١٦)، (١٠/ ٢٩٢).

(٧) انظر: المصدر السابق (١/ ١٧٣ــ ١٧٤).

(٨) المصدر السابق (١٢/ ٢٠٩).

١٤ــ قد يُسهب أحيانًا في شرح مسألة قد تتعلّق بعلم الجغرافيا، أو التاريخ، أو الفلسفة، أو حتى الطب والتشريح والأحياء، وعلم النفس والفلك والطبيعة من باب بيان إعجاز القرآن العلمي [١].

١٥ــ تحدّث عن مبتكرات القرآن في مقدمته العاشرة التي تناول فيها إعجاز القرآن في أسلوبه، ومبتكراته في نظمه، ثم بيّن ذلك في مواضع من كتابه منها: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٢] ، قال الطاهر: ((وأحسب أنّ وصف الله بصفة واسع في العربية من مبتكرات القرآن)) [٣].

---

(١) من أمثلة ذلك ما ذكره عن علم الفلك وتقسيم الشهور عند العرب وغيرهم في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة: ٣٦. انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٠).

(٢) جزء من الآية (٧٣) من سورة آل عمران.

(٣) التحرير والتنوير (٣/ ٢٨٤).

المبحث الثالث

منهج الطاهر بن عاشور في إيراد المناسبات

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موقفه من علم المناسبات

المطلب الثاني: منهجه في إيراد المناسبات

المطلب الأول: موقفه من علم المناسبات

بما أنّ هذه الدراسة تتناول تفسير التحرير وال تنوير فإن صاحبه المصنف _رحمه الله_ قد ذكر في مقدمته الثامنة موقفه من علم المناسبات بين الآيات، والمناسبات بين السور.

موقفه من علم المناسبات بين الآيات:

نجد أن الإمام ابن عاشور قد اهتم ببيان وجوه المناسبات والاتصال بين الآيات، وأيّد هذا النوع من المناسبات، وحثّ عليه، وأثنى على المفسرين الذي اعتنوا به، فقال: ((واهتتمتُ أيضًا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألّف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى (نظم الدرر في تناسب الآي والسور) إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع)) [١].

ويذكر الطاهر _ في مقدمته الثامنة_ أن ترتيب الآيات في السور هو بتوقيف من النبي ﷺ، حيث قال: ((وأما ترتيب الآي بعضها عقب بعض فهو بتوقيف من النبي ﷺ حسب نزول الوحي... وذلك الترتيب مما يدخل في وجوه إعجازه من بداعة أسلوبه ...فلهذا كان الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسب في الغرض، أو في الانتقال منه، أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتصل)) [٢].

موقفه من علم المناسبات بين السور:

وبالنسبة لعلم المناسبات بين السور فقد قال عنه الطاهر : ((أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقًا على المفسر)) [٣].

ولقد كان هذا الرأي منه لأنه يرى أن ترتيب السور اجتهاديًا وليس توقيفيًا. وقد تناول هذا الرأي في مقدمته الثامنة، ثم عقّب على ذلك بقوله: ((لا أشك أن طوائف من سور القرآن كانت مرتبة في زمن النبي ﷺ على ترتيبها في المصحف الذي بأيدينا اليوم... فلا شك في أن سور المفصل كانت هي آخر القرآن ولذلك كانت سنة قراءة السورة في الصلوات المفروضة أن يكون في بعض الصلوات من طوال المفصل وفي بعضها من وسط المفصل وفي بعضها من قصار المفصل. وأن طائفة السور الطولى الأوائل في المصحف كانت مرتبة في زمن النبي ﷺ أول القرآن. والاحتمال فيما عدا ذلك)) [٤].

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٨).

(٢) المصدر السابق (١/ ٧٩).

(٣) المصدر السابق (١/ ٨).

(٤) انظر : المصدر السابق (١/ ٨٦ _ ٨٧).

ومما سبق يظهر أن الطاهر لم يعتنِ في تفسيره بذكر المناسبة بين السور؛ لأنّ المناسبة بين كل سورة وسورة تليها تعتمد على القول بتوقيف ترتيب سور القرآن الكريم[1].

---

(١) اختلف العلماء في مسألة ترتيب سور القرآن الكريم على ثلاثة آراء : الأول: أن ترتيبها توقيفي، الثاني: أن ترتيبها اجتهادي، الثالث: أن بعض السور ترتيبها توقيفي وبعضها اجتهادي، ونظرًا لطول الخلاف في هذا الموضوع، فإني أكتفي بنقل ما قاله الدكتور فهد الرومي بعد أن استعرض الأقوال الثلاثة وناقشها: ((الراجح أن ترتيب سور القرآن الكريم كترتيب آياته بالتوقيف عن الرسول ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن ربه ﷻ مع ما في أدلة هذا الرأي من الاحتمال .. إلا أنه أقوى الآراء... وعلى كل حال، ومهما يكن من أمر، سواء أكان هذا الترتيب الذي نجده في المصاحف بطريق التوقيف أم بطريق الاجتهاد، ثم أجمع الصحابة عليه، ومضت الأمة على قبوله، فيجب التمسك به ... لأن في ترتيب سوره معانٍ لا تقل عن معاني الترتيب في آياته، جدّ كثير من العلماء في استنباطها وتحليلها ...)). انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، د.فهد عبد الرحمن سليمان الرومي (ص ١٢٣ــ ١٢٤).

المطلب الثاني: منهجه في إيراد المناسبات

أكثر الطاهر من ذكر لفظ المناسبة، وغالبًا ما يذكر المناسبة _ إن وُجدت_ قبل شروعه في تفسير الآية، وتجدر الإشارة إلى عدم تعرّضه لمناسبة أول السورة مع خاتمتها، وكذا المناسبات بين السور.

ومن عباراته الصريحة التي استخدمها: (والمناسبة [١]، عقّب بكذا [٢]، أو أعقب ذلك [٣]، ناسب كذا[٤]، وموقع كذا [٥]، ومناسبتها لما قبلها [٦] ...)، وكثيرًا لا يصرّح بل يشير إلى المناسبة إشارة تُفهم بها [٧]، ويورد حينًا ما أورده بعض المفسرين من مناسبة ما ثم يتبع ذلك بموافقة أو ردّ [٨].

ومن أنواع المناسبات بين الآيات التي تعرّض لها خلال تفسيره:

١_ المناسبة بين الآية والتي قبلها [٩].

٢_ مناسبة الفاصلة [١٠].

٣_ وحينًا يذكر المناسبة بين الآية وأحد أغراض السورة [١١].

٤_ يربط أحيانًا عدة آيات ببعض أو يربط الآية بأول السورة [١٢].

٥_ المناسبة بين جمل الآية الواحدة [١٣].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (التحرير والتنوير (١٠/ ٧٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٣٢٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٣٠٢).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٣٢٥_ ٣٢٦).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ٦٥).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ١٤٢_ ١٤٣).

(٧) انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ٦١).

(٨) انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ٧٨ _ ٧٩).

(٩) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٢٨٦).

(١٠) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٢٥٩).

(١١) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٢٧٦_ ٢٧٧).

(١٢) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٣١١).

(١٣) انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ١٧٦).

الفصل الأول

سورة الأنفال

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجه تسميتها

المبحث الثاني: مقاصدها وأغراضها

المبحث الثالث: تناسب آياتها، وأثره

المبحث الأول: وجه تسميتها

لقد أولى المفسرون وعلماء علوم القرآن أسماء السور عنايتهم، وتعرضوا لوجه تسميتها، وتجدر الإشارة ابتداء إلى أنّ أسماء السور المثبتة في المصاحف توقيفية ثبتت بالأحاديث والآثار كما ذكر السيوطي[(١)]، وهناك أسماء للسورة أشهر من غيرها، وبعض تلك الأسماء اجتهادي، وهي أشبه بالأوصاف أو الألقاب لما تتسم به السورة، أطلقه عليها الصحابة ﷺ، أو مَن بعدهم من العلماء؛ لبيان فضل تلك السورة، ولإبراز معنى جليل فيها[(٢)]، وفيما يلي نورد أسماء هذه السورة التي ذكرها الطاهر في بداية تفسيره لسورة الأنفال ووجه تسميتها:

١_ سورة الأنفال[(٣)]:

قال الطاهر: ((عُرِفت بهذا الاسم من عهد أصحاب رسول الله ﷺ روى الواحدي[(٤)] في أسباب النزول[(٥)] عن سعد بن أبي وقاص [(٦)] قال: " لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ قُتِلَ أَخِي عُمَيْرٌ وَقَتَلْتُ سَعِيدَ بنَ العَاصِي فَأَخَذْتُ سَيْفَهُ فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: اذْهَبْ القَبَضَ (بفتحتين الموضع الذي تجمع فيه الغنائم) فَرَجَعْتُ فِي مَا لا يَعْلَمُهُ إِلا الله، قُتِلَ أَخِي وَأُخِذَ سَلَبِي فَمَا جَاوَزْتُ قَرِيبًا حَتَّى نَزَلَتْ سُورَةُ الأَنْفَالِ"[(٧)].

---

(١) انظر: الإتقان (١/ ١٥٠).

(٢) انظر: التناسب بين سورة البقرة طارق حميدة ص ٣ من الفصل الأول www.saaid.net.

(٣) النَّفَلُ مُحَرَّكَةً الغَنِيمَةُ والهِبَةُ ، وهي جمع أنفال ونِفال. انظر: تاج العروس (٣١/ ١٦) مادة ن ف ل، المعجم الوسيط (٢/ ٩٤٢).

(٤) علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري، كان واحد عصره في التفسير، صنف التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز وأسباب النزول وغيرها، وتصدر للإفادة وللتدريس مدة، وله شعر حسن، (ت ٤٦٨هـ). انظر: طبقات الشافعية (١/ ٢٥٦)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٧٨).

(٥) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص ١٦٤_ ١٦٥).

(٦) سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري ، أبو إسحاق، أحد العشرة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، ومناقبه كثيرة مات بالعقيق سنة ست وخمسين على الأشهر. انظر: الإصابة (٣/ ٧٣)، تقريب التهذيب (١/ ٢٣٢).

(٧) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنفال، (٥/ ٢٦٨)، رقم: [٣٠٧٩]، قال أبو عِيسَى هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ورواه الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص، (١/ ١٨٠)، رقم: [١٥٥٦].

وأخرج البخاري، عن سعيد بن جبير[1]، قال: "قُلْتُ لابنِ عَبّاسٍ[2]: سُوْرَةُ الأَنْفَالِ، قَالَ: نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ[3]" [4]. فباسم الأنفال عرفت بين المسلمين وبه كتبت تسميتها في المصحف حين كتبت أسماء السور السور في زمن الحجاج[5]، ولم يثبت في تسميتها حديث، وتسميتُها سورة الأنفال من أنها افتتحت بآية فيها اسم الأنفال، ومن أجل أنها ذكر فيها حكم الأنفال كما سيأتي)) [6].

ومن خلال ما سبق يذكر الطاهر أنها سُمّيت سورة الأنفال لافتتاحها بآية فيها ذكر الأنفال، وقد نزلت لاختلافهم فيها أو لأن بعضهم سأل الرسول ﷺ أن يعطيهم من الأنفال؛ ولم يثبت في تسميتها حديث، وهذا الوجه ظاهر في تسميتها فقد جاء في السورة بيان أحكام الأنفال.

٢_ سورة بدر:

وذكر الطاهر أيضًا أنها سُمّيت بسورة بدر، قال: ((وتسمى أيضًا سورة بدر ففي الإتقان [7] أخرج أبو الشيخ[8] عن سعيد بن جبير قال: "قُلْتُ لابنِ عَبَّاسٍ: سُوْرَةُ الأَنْفَالِ، قَالَ: تِلْكَ سُوْرَةُ بَدْرٍ"[9].

---

(١) سعيد بن جبير بن هشام، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد، ويقال أبو عبد الله، أحد الأعلام، سمع من ابن عباس وأكثر الرواية عنه، قتله الحجاج سنة (٩٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١)، وفيات الأعيان (٢/ ٣٧١).

(٢) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي، يكنى أبا العباس، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان ابن ثلاث عشرة سنة إذ توفي رسول الله ﷺ، (ت٦٨هـ). انظر: الاستيعاب (٣/ ٩٣٣)، أسد الغابة (٣/ ٢٩٥).

(٣) بدر: معركة شهيرة وقعت بين المسلمين والمشركين في شهر رمضان، سنة (٢هـ)، وانتصر فيها المسلمون انتصارًا عظيمًا. وبدر ماء مشهور بين مكة والمدينة، أسفل وادي الصفراء، بينه وبين ساحل البحر ليلة. انظر: السيرة النبوية، ابن هشام (٢/ ٢١٨)، معجم البلدان (١/ ٣٥٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾، (٤/ ١٧٠٣)، رقم: (٤٣٦٨). وباب تفسير سورة الحشر، (٤/ ١٨٥٢)، رقم: (٤٦٠٠).

(٥) أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل، عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان، مات في رمضان سنة (٩٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٣)، وفيات الأعيان (٢/ ٢٩).

(٦) التحرير والتنوير (٩/ ٢٤٥).

(٧) انظر: الإتقان (١/١٥٥).

(٨) حافظ أصبهان، ومسند زمانه، الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، صاحب المصنفات، ويعرف بأبي الشيخ، ولد سنة (٢٧٤هـ)، كان مع سعة علمه وغزارة حفظه أحد الأعلام صالحًا خيرًا، صنف التفسير وغيره، (ت ٣٦٩هـ). انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٤٥)، طبقات الحفاظ (١/ ٣٨٢).

(٩) أخرجه مسلم، كتاب التفسير، باب في سورة براءة والأنفال والحشر، (٤/ ٢٣٢٢)، رقم: (٣٠٣١).

وقد اتفق رجال الأثر كلهم على أنها نزلت في غزوة بدر: قال ابن إسحاق[1] أنزلت في أمر بدر سورة سورة الأنفال بأسرها، وكانت غزوة بدر في رمضان من العام الثاني للهجرة بعد عام ونصف من يوم الهجرة، وذلك بعد تحويل القبلة بشهرين، وكان ابتداء نزولها قبل الانصراف من بدر، فإن الآية الأولى منها نزلت والمسلمون في بدر قبل قسمة مغانمها، كما دل عليه حديث سعد بن أبي وقاص، والظاهر أنها استمر نزولها إلى ما بعد الانصراف من بدر[2]))[3].

وقد تحدثت السورة عن المعركة والأحداث التي قبلها ونتيجتها، واتفق أهل الأثر جميعًا على أنها نزلت في غزوة بدر، وهذا أيضًا وجه ظاهر في تسميتها .ومما سبق من بيان لأسماء السورة التي اقتصر الطاهر على ذكرها [4] يتضح أنه قد تسمى سورة الأنفال لافتتاحها بمسألة الأنفال وحكمها، وقد تسمى سورة بدر لما سيق فيها من ذكر غزوة بدر وأحداثها ونتائجها. والله تعالى أعلم.

---

(١) محمد بن إسحاق بن يسار، العلامة الحافظ، أبو بكر، وقيل: أبو عبد الله القرشي المطلبي، مولاهم المدني، صاحب السيرة النبوية، ولد سنة (٨٠هـ)، مات سنة (١٥١هـ). انظر: تاريخ بغداد (١/ ٢١٤)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٣)، طبقات الحفاظ (١/ ٨٢).

(٢) نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين : أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون يوم بدر صبيحة الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان . نا أحمد نا يونس، عن أسباط بن نصر، عن إسماعيل بن عبد الرحمن قال: كان يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان. انظر: سيرة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار (٢/ ١١٠).

(٣) التحرير والتنوير (٩/٢٤٥).

(٤) سماها البقاعي بسورة الجهاد وهي تسمية مناسبة لما ورد فيها من أحكام الجهاد، حيث قال : (واسمها الجهاد كذلك لأن الكفار دائمًا أضعاف المسلمين، وما جاهد قوم من أهل الإسلام قط إلا أكثر منهم، وتجب مصابرة الضعف، فلو كان النظر إلى غير قوته سبحانه ما أطيق ذلك...). انظر: نظم الدرر (٣/ ١٨١)، مصاعد النظر (٢/ ١٤٤).

المبحث الثاني: مقاصدها وأغراضها

لا يكون نصر إلا بالتمام الشمل، ونبذ كل خلاف، وتوحيد القلب والصفّ، فمع عظمة النصر في غزوة بدر إلا أنه لم يبتدأ السورة التي تحكي أحداث هذه الغزوة بامتداح نصرهم وبلائهم فيها، بل حذّر أشدّ الحذر من الذي حدث آخر الغزوة، وهو الاختلاف الذي يحول دون كل نصر قادم!

جاءت السورة لتربط كل شيء بالإيمان، ولتردّ كل أمر لله تعالى، جاءت لتحكي أحداث أول غزوة، وأول انتصار، لذا سمّاها بعض العلماء بسورة بدر، وسمّاها مدبّرها ومقدّرها في السورة بيوم الفرقان، فهي فرقان بين الحق والباطل، بين عهد الضعف وعهد القوة، بين من جاهد لله تعالى ومن يجاهد للغنائم، بين ما أراده المؤمنون من خروجهم وبين ما أراده ربهم لهم.

إنها تحكي قصة أول نصر رغم أن كل الدلائل لا تدلُّ عليه! فالمؤمنون قلة، والعدو كثرة، واستعدادات العدو تفوق استعداداتهم، ولكنها إرادة الله القادر، ووعده الصادق المُنجَز لنبيه ﷺ.

إنها تذكُرُ البدايات، وتسرد وعد الله قبل المعركة، وتحكي ظروفها ومشاعر المؤمنين وعنايته لهم فيها، كان يُريد منهم السمع الطاعة لله الذي يُدبّر ويدير، والثقة بوعده إحدى الطائفتين، فما النصر إلا من عنده، وما المدد والعون إلا من عنده، والمطلوب هو التوكل عليه والأخذ ب الأسباب المتاحة، وترك أمر النتيجة له.

وآخرون أطلقوا عليها سورة الجهاد؛ ليس فقط لكونها تحكي قصة أكبر نصر في تاريخ الإسلام؛ بل لما حوته من بيان لأسباب النصر الظاهرة والباطنة، والمادية والمعنوية.

إنها تدعو إلى إصلاح النفوس التي هي أساس صلاح كل مجتمع، وتمنع الفتنة وتقمعها، لذا انتزع أمر الأنفال منهم حتى يخلُص عملهم وجهادهم من كل شائبة، إنها تحافظ على كيان المجتمع المسلم، وتُعالج كل ما قد يسبّب فيه الفُرقة والاختلاف، إنها تدعو للتغيير النابع من الذات، فكما أن غزوة بدر غيّرت مسيرة الإيمان عبر التاريخ، فإن الأساس لهذا التغيير يبدأ من القلب الذي هو محل الإيمان، ومن الجسد الذي هو المترجم لهذا الإيمان، لذا تُعطينا السورة وسائل التغيير (التقوى، وإصلاح ذات البين، والطاعة)، وتسوق بعدها من الأعمال القلبية والعملية ما يقوّي ويعزز هذا التغيير.

إنها ست نداءات بـ (يا أيها الذين آمنوا)، تبدأ قوية محذرة من الفرار عند لقاء العدو ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾[1]، ولكن اثبتوا فإن الله معكم عليهم، ثم

(١) الآية (١٥) من سورة الأنفال.

نداء بأمر جاء في أول السورة ثم عاد وكرره ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾[1]، فجدد الأمر هنا بطاعة الله ورسو له، ثم أكده بالدعوة للاستجابة لله وللرسول، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾[2]، ثم نداء بالنهي عن الخيانة لجميع أنواع الأمانات، حفاظًا على كيان الأمة من الزعزعة التي تهدم كل نصر، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[3]، ثم أعاد ذكر التقوى الذي افتتح به أول السورة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[4]، ثم خاطبهم بالثبات أمام العدو وأن يذكروا الله تعالى الناصر المعين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[5]، مؤكدًا على أهمية الطاعة لله والرسول والصبر عند اللقاء، وترك كل نزاع وخلاف.

إن المتأمل في النداءات الستة يجدها تخاطب القلوب المؤمنة في كل عصر، وتسوق لها أدوات النصر المباشرة وغير المباشرة، فهي تؤكد على الطاعة، وتدعو إلى التقوى، وتحث عل ى الثبات، وتنهى عن الخيانة، وتُحذر من الخصام، ورأس ذلك كله الإيمان الذي ما إن يتعمق في النفوس حتى تعمل لله تعالى ولدينه ونصرته، لا تغرها الدنيا ولا تثنيها الأهواء.

وقد ساق الطاهر تسعة عشر غرضًا للسورة، وهي[6]:

١ــ بيان أحكام الأنفال وهي الغنائم وقسمتها ومصارفها.

٢ــ الأمر بتقوى الله في ذلك وغيره.

٣ــ الأمر بطاعة الله ورسوله، في أمر الغنائم وغيرها.

٤ــ أمر المسلمين بإصلاح ذات بينهم ، وأن ذلك من مقومات معنى الإيمان الكامل.

---

(١) الآية (٢٠) من سورة الأنفال.

(٢) الآية (٢٤) من سورة الأنفال.

(٣) الآية (٢٧) من سورة الأنفال.

(٤) الآية (٢٩) من سورة الأنفال.

(٥) الآيتان (٤٥ ــ ٤٦) من سورة الأنفال.

(٦) التحرير والتنوير (٩/ ٢٤٧) بتصرف يسير.

٥ـ ذكر الخروج إلى غزوة بدر وبخوفهم من قوة عدوهم وما لقوا فيها من نصر وتأييد من الله ولطفه بهم.

٦ـ امتنان الله عليهم بأن جعلهم أقوياء.

٧ـ وعدُهم بالنصر إن اتقوا بالثبات للعدو، والصبر.

٨ـ الأمر بالاستعداد لحرب الأعداء.

٩ـ الأمر باجتماع الكلمة والنهي عن التنازع.

١٠ـ الأمر بأن يكون قصد النصرةِ للدين نصب أعينهم.

١١ـ وصف السبب الذي أخرج المسلمين إلى بدر.

١٢ـ ذكر مَواقع الجيْشين، وصفات ما جرى من القتال.

١٣ـ تذكير النبي ﷺ بنعمة الله عليه إذ أنجاه من مكر المشركين به بمكة وخلصه من عنادهم، وأن مقامه بمكة كان أمانًا لأهلها فلما فارقهم فقد حق عليهم عذاب الدنيا بما اقترفوا من الصدّ عن المسجد الحرام.

١٤ـ دعوة المشركين للانتهاء عن مناوأة الإسلام وإيذائهم بالقتال.

١٥ـ التحذير من المنافقين.

١٦ـ ضرب المثل بالأمم الماضية التي عاندت رسل الله ولم يشكروا نعمة لله.

١٧ـ أحكام العهد بين المسلمين والكفار وما يترتب على نقضهم العهد، ومتى يحسن السلم.

١٨ـ أحكام الأسرى.

١٩ـ أحكام المسلمين الذين تخلفوا في مكة بعد الهجرة. وولايتهم وما يترتب على تلك الولاية.

هذه هي الأغراض التي ذكرها ابن عاشور، وكلامه واسع شامل لجميع دقائق السورة وموضوعاتها المهمة في إصلاح الفرد والجماعة، وفي أحكام الجهاد والسلم والحرب. والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث: تناسب آياتها، وأثره

١ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [(١)]

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((موقع هذه الجملة وما عطف عليها موقع التعليل لوجوب تقوى الله وإصلاح ذات بينهم وطاعتهم الله ورسوله، لأن ما تضمنته هذه الجمل التي بعد ﴿ إِنَّمَا ﴾ من شأنه أن يحمل المتصفين به على الامتثال لما تضمنته جُمل الأمر الثلاث السابقة))[(٢)].

وقال أيضًا: ((وقد تكون جملة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ مستأنفة استئنافًا بيانيًا لجواب سؤال سائِل يثيره الشرطُ وجزاؤه المقدرُ في قوله : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [(٣)] بأن يتساءلوا عن هذا الاشتراط بعد ما تحقق أنهم مؤمنون من قبل، وهل يمتري في أنهم مؤمنون، فيجابوا بأن المؤمنين هم الذين صفتهم كيت وكيت، فيعلموا أن الإيمان المجعول شرطًا هو الإيمان الكامل فتنبعث نفوسهم إلى الاتسام به وا لتباعد عن موانع زيادته.

وإذ قد كان الاحتمالان غير متنافيين صح تحميل الآية إياهما توفيرًا لمعاني الكلام المعجز فإن علة الشيء مما يُسأل عنه، وإن بيان العلة مما يصح كونه استئنافًا بيانيًا.

وعلى كلا الاحتمالين وقعت الجملة مفصولة عن التي قبلها لاستغنائه ا عن الربط وإن اختلف موجب الاستغناء باختلاف الاحتمالين، والاعتباراتُ البلاغية يصح تعدد أسبابها في الموقع الواحد لأنها اعتبارات معنوية وليست كيفيات لفظية فتحقّقْه حق تحقُّقه.

والمعنى ليس المؤمنون الكامل إيمانهم إلا أصحاب هذه الصلة التي يعرف المتصف بها تحققها فيه أو عدمه من عرض نفسه على حقيقتها ، فإنه لما كان الكلام وارداً مورد الأمر بالتخلق بما يقتضيه الإيمان أحيلوا في معرفة أمارات هذا التخلق على صفات يأنسونها من أنفسهم إذا علموها)) [(٤)].

---

(١) الآية (٢) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٢٥٤).

(٣) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٤) التحرير والتنوير (٩/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما قال ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (١) واقتضى ذلك كون الإيمان مستلزمًا للطاعة شرح ذلك في هذه الآية مزيد شرح وتفصيل وبيّن أن الإيمان لا يحصل إلا عند حصول هذه الطاعات فقال ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ الآية)) (٢).

من خلال النقل السابق، جعل الطاهر مناسبة هذه الآية وما جاء فيها من خصال الإيمان إما موقع التعليل لوجوب الصفات الثلاثة (التقوى، الإصلاح، الطاعة) المذكورة في الآية السابقة، وكذلك معرض الحث على الاتصاف بها، وإما أن تكون الجملة مستأنفة وكأنها جواب لسؤال مقدر عن الاشتراط في قوله تعالى ﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ فيثار سؤال: من هم المؤمنون وهم قد آمنوا وسبقوا ؟ وأشار الطاهر إلى أن كلاهما لا يتنافيان والآية، وكونها مفصولة عن الآية التي قبلها هو من وجوه البلاغة.

أما الرازي فذكر أن هذه الآية شرح وبيان لمستلزمات الإيمان من الطاعة، وما جاء في هذه الآية من صفات للمؤمنين، وحثّ على امتثالها.

ومن خلال ما سبق بيانه، لم يختلف كثيرًا المعنى الأول الذي ذكره الطاهر عن معنى مناسبة الرازي، ويظهر تناسب هذه الآية مع ما قبلها في أنه لما ذكر الأوامر الثلاثة واشترط أن تطبيقها من الإيمان، عرج إلى ذكر صفات المؤمنين تحريضًا لتحقيق كمال الإيمان على سبيل البيان والتفصيل أو التعليل، وهو الألطف، أو أنها كما ذكر الطاهر مستأنفة جوابًا لسؤال. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان وجوب الاتصاف بصفات المؤمنين، وأن دعوى الإيمان لا تكفي وحدها، وعقّب بذكر صفات المؤمنين وبعض أحوال كمال الإيمان، للتذكير بأنّ كل خصام ونزاع يجب أن لا يكون بين المؤمنين، فالتقوى وإصلاح ذات البين والطاعة لله والرسول كلها من الإيمان، وهذه الصفات المذكورة بعدها تحقق كمال الإيمان، الذي هو سبب لكل فلاح وسعادة في الدنيا والآخرة.

---

(١) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ٩٥).

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: ((وحظّ المقام المتعلق بأحكام الأنفال من هذه الزيادة هو أن سماع آيات حكم الأنفال يزيد إيمان المؤمنين قوة، بنبذ الشقاق والتشاجر الطارئ ببينهم في أنفس الأموال عندهم، وهو المال المكتسب من سيوفهم، فإنه أحب أموالهم إليهم. وفي الحديث "وَجَعَلَ رِزْقِي تحْتَ ظِلّ رُمْحِي "[1] وبذلك تتضح المناسبة بين ذكر حكم الأنفال، وتعقيبه بالأمر بالتقوى وإصلاح ذات البين والطاعة، ثم تعليل ذلك بأن شأن المؤمنين ازدياد إيمانهم عند تلاوة آيات الله))[2].

ويظهر أن المناسبة هي أنه لما ذكر حكم الأنفال، ذكر بعد ذلك صفات أهل الإيمان الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم خشية ورهبة وازدادوا إيمانًا فتركوا الشقاق والتزاع. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن ذكر الله تعالى سبب لوجل القلوب منه سبحانه، وخصلة من خصال الإيمان وصفة من صفات كماله، تستدعي طاعة أوامره واجتناب نواهيه.

وبالتأمل في الحديث الصحيح: " لا تَحَاسَدُوا ولا تَنَاجَشُوا، ولا تَبَاغَضُوا ولا تَدَابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ على بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى ها هنا ــ وَيُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ــ بِحَسْبِ امْرِئٍ من الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ على الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ" [3] نجد أن التقوى بحسب الحديث يكون محلها القلب، ومن معاني التقوى الخوف من إتيان ما يُغضب الله تعالى بإتيان نواهيه وترك مراضيه . ونصُّ الحديث ينهى عن ظلم المسلمين، ويدعو للمودة والمحبة بينهم بترك كل ما يضر المسلم وبيّن ﷺ أنه لا باعث على اجتناب تلك المنهيات كالتقوى، وهذا متفق مع معاني الآيات حيث أمر بالتقوى في قضية الأنفال، لأن الشقاق والتزاع يضر بالمسلمين وخوف الله بتقواه يكف المسلم عن ذلك.

---

(١) عَنِ ابن عُمَرَ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ : " بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حتى يُعْبَدَ الله لاَ شَرِيكَ له، وَجُعِلَ رزقي تَحْتَ ظِلِّ رمحي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ على من خَالَفَ أمري، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ منهم". رواه الإمام أحمد في مسنده، (٢/ ٥٠)، رقم: [٥١١٤] وَ [٥١١٥]، وأيضًا (٢/ ٩٢)، رقم: [٥٦٦٧]. وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه، (٤/ ٢١٢، ٢١٦)، رقم: [١٩٤٩١] وَ [١٩٤٣٧]. وأيضًا في كتاب السير، باب ما قالوا في الفيء يفضل فيه الأهل على الأعزب، (٦/ ٤٧٠)، رقم: [٣٣٠١٠]. وبعد دراسة الإسناد فالحديث حسن يرتقي إلى الحديث الصحيح لتعدد الطرق.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٢٥٩).

(٣) رواه مسلم (٤/ ١٩٨٦)، في كتاب: باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله برقم: (٢٥٦٤).

فقد جاء في الآيات ذكر التقوى عندما اختلفوا في النفل، ثم ذَكَر مكانها وهو القلب وأسند الوجل إليه، وذكر أن من صفات المؤمنين أن يزداد إيمانهم كلما سمعوا ذكر الله وعملوا به، كل ذلك في معرض حديثه عن مسألة الأنفال واختلافهم عليها، مما يدعو إلى التطبيق والالتزام بأوامر الله ورسوله، ويؤكد أن التقوى أول وسائل إصلاح النفس وإصلاح الجماعة وتحقيق الأخوة الإيمانية بين المسلمين فلا ضرر ولا ضرار.

المناسبة الثالثة: قال الطاهر في مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾: ((ومناسبة هذا الوصف للغرض: أنهم أمروا بالتخلي عن الأنفال، والرضى بقسمة الرسول ﷺ فيها، فمن كان قد حرم من نفل قتيله يتوكلُ على الله في تعويضه بأحسن منه)) (1).

مما سبق يذكر ابن الطاه ر مناسبة وصف المؤمنين بالتوكل على الله تعالى في الآية مع قصة الأنفال؛ وتتلخص المناسبة في أنهم لما نزلوا على حكم الله تعالى وردوا الأنفال حثهم على التوكل عليه وتفويض الأمر إليه ليعوضهم خيرًا مما تركوا.

ومن خلال السابق تكون مناسبة الطاهر من تفرداته، والله تعالى أجل وأعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه تدعو الآية إلى التوكل على الله تعالى، والاعتماد عليه بالكلية في أمور الدنيا والآخرة.

وأيضًا الحث على عدم الحزن لفوات أمر من الدنيا والرضا بحكمه والتسليم به.

(1) التحرير والتنوير (٩/ ٢٥٩).

٢_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((وَصْفُهم بأنهم الذين يقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله جاءَ بإعادة الموصول، كما أعيد في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ (٢) وذلك للدلالة على الانتقال، في وصفهم، إلى غرض آخر غيرِ الغرض الذي اجتُلِبَ الموصول الأول لأجله، وهو هنا غرض محافظتهم على ركني الإيمان: وهما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فلا علاقة للصلة المذكورة هنا بأحكام الأنفال والرضى بقسمها، ولكنه مجرد المدح، وعبر في جانب الصلاة بالإقامة للدلالة على المحافظة عليها ... وجيء بالفعلين المضارعين في ﴿يُقِيمُونَ ﴾ و ﴿يُنفِقُونَ ﴾ للدلالة على تكرر ذلك وتجدده)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال ابن عطية: ((وهذه أوصاف جميلة وصف الله بها فضلاء المؤمنين فجعلها غاية للأمة يستبق إليها الأفاضل، ثم أتبع ذلك وعدهم ووسمهم بإقامة الصلاة ومدحهم بها حضاً على ذلك)) (٤).

٢_ قال الرازي: ((والصفة الرابعة والخامسة قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ واعلم أن المراتب الثلاثة المتقدمة أحوال معتبرة في القلوب والبواطن ، ثم انتقل منها إلى رعاية أحوال الظاهر؛ ورأس الطاعات المعتبرة في الظاهر ورئيسها بذل النفس في الصلاة ، وبذل المال في مرضاة الله ، ويدخل فيه الزكوات والصدقات والصِّلات، والإنفاق في الجهاد، والإنفاق على المساجد والقناطر))(٥).

٣_ قال أبو حيان: ((الأحسن أن يكون ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ صفة للذين السابقة حتى تدخل في حيّز الجزئية ، فيكون ذلك إخبارًا عن المؤمنين بثلاث: الصفة القلبية، وعنهم بالصفة البدنية، والصفة المالية، وجمع أفعال القلوب لأنها أشرف، وجمع في أفعال الجوارح بين الصلاة والصدقة لأنهما عمودا أفعال)) (٦).

٤_ قال البقاعي: ((ولما وصفهم بالإيمان الحامل على الطاعة والتوكل الجامع لهم الدافع للمانع منها، منتقلاً من عمل الباطن إلى عمل الظاهر مبينً ا أن همتهم إنما هي العبادة والمكارم : ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي لا يفترون عن تجديد ذلك؛ ولما كانت صلة بين الخلق والخالق، أتبعها الوصلة بين الخلائق

---

(١) الآية (٣) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٤) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٢٦٠).

(٤) المحرر الوجيز (٢/ ٥٠١).

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ٩٧_ ٩٨).

(٦) البحر المحيط (٤/ ٤٥٥).

فقال: ﴿ رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ أي على عظمتنا وهو لنا دونهم ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ ولو كانوا مقلين اعتمادًا على ما عندنا فالإنفاق وإهانة الدنيا همتهم، لا الحرص عليها، فحينئذ يكونون كالذين عند ربك في التحلي بالع بادة والتخلي من الدنيا إعراضاً وزهادة، وهو تذكير بوصف المتقين المذكور أول الكتاب بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (1))) (2).

٥_ قال الألوسي: ((وقد مدحهم ﷻ أولاً بمكارم الأعمال القلبية من الخشية والإخلاص والتوكل وهذا مدح لهم بمحاسن الأعمال القوليية من الصلاة والصدقة)) (3).

من خلال ما سبق تتجلى المناسبة التي ذكرها الطاه ر في أن هذه الآية جاءت للانتقال من غرض الحديث عن الأنفال وقسمتها إلى غرض آخر هو مديح المؤمنين بركني الإيمان : الصلاة والزكاة ومحافظتهم عليهما.

و لم يختلف ابن عطية عن الطاهر فيما ذكر من مناسبة وإن اختلفت تعابيرهما اللفظية، واتفق الرازي مع أبو حيان والبقاعي والألوسي في أنه انتقال من الأعمال الباطنة إلى الأعمال الظاهرة فجمع بذلك معنى الإيمان بشطريه القلبي والعملي، مع اتفاق بعضهم مع الطاهر في أنه مديح للمؤمنين بهذه الصفات الظاهرة.

وكل ما ذُكر من مناسبات يتخلص في فكرتين، إما أنه انتقال من حادثة الأنفال إلى امتداح المؤمنين بإقامة الصلاة وبذل الصدقة وهو ما ذهب إليه ابن عاشور . أو هو انتقال من الحديث عن أعمال القلوب إلى أعمال الأبدان ومدحهم بها ليحافظوا عليها. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن الإيمان يشمل الباطن والظاهر من الأفعال والأقوال، وأنه تعالى امتدح المتصفين المحافظين على الصلاة المؤدين الزكاة . وهنا لطيفة جميلة ذكرها البقاعي، ففي أول سورة البقرة امتدح المؤمنين المتقين بالمحافظة على الصلاة والصدقة، وهنا لما ذكر التقوى والإيمان عقب بذكر الصلاة والصدقة.

وقد يكون الإتيان بركني الصلاة والإنفاق في معرض الحديث عن نزاع الأنفال، هو أنه لما ردها لله وللرسول، ذكر لهم ما يقويهم على الرضا بالحكم وهو الاستعانة بالصلاة كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ ﴾ (4)، وحثهم على الصدقة لأن الأ نفال كانت أموالاً اختلفوا فيها،

(١) الآية (٣) من سورة البقرة.

(٢) نظم الدرر (٣/ ١٨٤_ ١٨٥).

(٣) روح المعاني (٥/ ٤٦٨).

(٤) جزء من الآية (١٥٣) من سورة البقرة.

فكأنه ذكر الصلاة ليتقوا ويتقوّوا، وذكر الصدقة لأن كل ما يملكونه هو من رزق الله وكرمه . والله تعالى أعلم.

٣ــ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((جملة مؤكدة لمضمون جملة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ ﴾ (٢) إلى آخرها ولذلك فُصِلت)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((واعلم أن الله تعالى لما ذكر هذه الصفات الخمس أثبت للموصوفين بها أمورًا ثلاثة: الأول: قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ ﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قوله ﴿ حَقًّاۚ ﴾ بماذا يتصل فيه قولان: أحدهما: بقوله ﴿ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي هم المؤمنون بالحقيقة. والثاني: أنه تم الكلام عند قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ ثم ابتدأ وقال ﴿ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ ﴾)) (٤).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما حققوا إيمانهم بأفعال القلوب والجوارح والأموال، فاستوفوا بذلك جميع شعب الدين، عظّم سبحانه شأنهم بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أي العالو الهمم ﴿ هُمُ ﴾ أي خاصة ﴿ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ وأكد مضمون الجملة بقوله: ﴿ حَقًّاۚ ﴾)) (٥).

من خلال النقل السابق يتضح أنهم جميعًا اتفقوا في أن مناسبة هذه الآية لما قبلها هو التأكيد لمضمون سابقتها بإيراد لفظ حقًا في الآية، فهو لما ذكر الإيمان وصفات أهله وحثهم على امتثالها، أكّد بهذه الآية أنّ مَن اتصف بتلك الصفات هم حقًا من أهل الإيمان. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

تتناسق الآيات مع بعضها البعض ويتضح ترابطها فقد بدأت بتأنيبهم في شأن الأنفال التي تنازعوا عليها، ثم أمرتهم بثلاثة أو امر لفض ذلك الخلاف، ثم عرجت لذكر صفات المؤمنين التي يجب أن يكونوا عليها، ثم ختمت ذلك كله بالتأكيد على التزام خصال الإيمان المذكورة في الآيات، وأن المؤمن حقًا من

(١) الآية (٤) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٢) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٢٦٠).

(٤) التفسير الكبير (١٥/ ٩٨).

(٥) نظم الدرر (٣/ ١٨٥).

تعلق بما عند الله تعالى من أجر آخروي وجاهد نفسه على التزام تلك الأوامر والصفات فأولئك لهم درجات عند ربهم ومغفرة على كل تقصير ورزق كريم من رب كريم.

٤_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر: ((تشبيهُ حال بحال، وهو متصل بما قبله: إما بتقدير مبتدأ محذوف، هو اسم إشارة لما ذكر قبله، تقديرُه: هذا الحال كحال ما أخرجك ربك من بيتك بالحق، ووجه الشبه هو كراهية المؤمنين في بادئ الأمر لما هو خير لهم في الواقع.

وإما بتقدير مصدر لفعل الاستقرار الذي يقتضيه الخبر بالمجرور في قوله ﴿ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ ﴾ (٢) إذ التقدير: استقرت لله والرسول استقرارًا كما أخرجك ربك، أي فيما يلوح إلى الكراهية و الامتعاض في بادئ الأمر، ثم نوالهم النصرَ والغنيمةَ في نهاية الأمر، فالتشبيه تمثيلي وليس مراعى فيه تشبيهُ بعض أجزاء الهيئة المشبهة ببعض أجزاء الهيئة المشبّه بها، أي أن ما كرهتموه من قسمة الأنفال على خلاف مشتهاكم سيكون فيه خير عظيم لكم، حسب عادة الله تعالى بهم في أمره ونهيه، وقد دل على ما في الكلام من معنى مخالفة مشتهاهم قولُه ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (٣) كما تقدم، مع قوله في هذه الجملة ﴿ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾.

فجملة: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقٗا ﴾ في موضع الحال والعامل فيها ﴿ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ هذا وجه اتصال كاف التشبيه بما قبلها على ما الأظهر، وللمفسرين وجوه كثيرة بلغت العشرين قد استقصاها ابن عادل (٤)، وهي لا تخلو من تكلف، وبعضها متحد المعنى وبعضها مختلفُة، وأحسن الوجوه ما ذكره ابن عطية ومعناه قريب مما ذكرنا وتقديره بعيد منه.

والمقصود من هذا الأسلوب: الانتقالُ إلى تذكيرهم بالخروج إلى بدر وما ظهر فيه من دلائِل عناية الله تعالى برسوله ﷺ وبالمؤمنين)) (٥).

---

(١) الآية (٥) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٤) عمر بن علي الشهير بابن عادل الحنبلي الدمشقي، الإمام العالم الفاضل سراج الدين، قد صنف التفسير المسمى باللباب في علم الكتاب، انظر: طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٤١٨).

(٥) التحرير والتنوير (٩/ ٢٦٣_ ٢٦٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية: ((إن هذه الكاف شبهت هذه القصة التي هي إخراجه من بيته بالقصة المتقدمة التي هي سؤالهم عن الأنفال كأنهم سألوا عن النفل وتشاجرو ا فأخرج الله ذلك عنهم فكانت فيه الخيرة كما كرهوا في هذه القصة انبعاث النبي ﷺ فأخرجه الله من بيته فكانت في ذلك الخيرة فتشاجرهم في النفل بمثابة كراهيتهم ها هنا للخروج وحكم الله في النفل بأنه لله وللرسول دونهم هو بمثابة إخراجه نبيه ﷺ من بيته ثم كانت الخيرة في القصتين فيما صنع الله))[١].

٢ــ قال الرازي: ((وفي الآية مسائل: المسألة الأولى: اعلم أن قوله ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ يقتضي تشبيه شيء بهذا الإخراج وذكروا فيه وجوهً ا: الأول: أن النبي ﷺ لما رأى كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال: "مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً فلَهُ سَلَبُهُ وَمَنْ أَسَرَ أَسِيرًا فلَهُ كَذَا وَكَذَا" [٢] ليرغبهم في القتال، فلما انهزم المشركون قال سعد بن عبادة [٣]: يا رسول الله إن جماعة من أصحابك وقومك فدوك بأنفسهم ، ولم يتأخروا عن القتال جبناً ولا بخلاً ببذل مهجهم؛ ولكنهم أشفقوا عليك من أن تغتال، فمتى أعطيت هؤلاء ما سميته لهم بقي خلق من المسلمين بغير شيء ، فأنزل الله ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ ﴾ [٤] يصنع فيها ما يشاء فأمسك المسلمون عن الطلب وفي أنفس بعضهم شيء من الكراهية . وأيضاً حين خرج الرسول ﷺ إلى القتال يوم بدر كانوا كارهين لتلك المقاتلة على ما سنشرح حالة تلك الكراهية، فلما قال تعالى ﴿ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ ﴾ كان التقدير أنهم رضوا بهذا الحكم في الأنفال وإن كانوا كارهين له كما أخرجك ربك من بيتك بالحق إلى القتال وإن كانوا كارهين له وهذا الوجه أحسن الوجوه المذكورة هنا. الثاني: أن يكون التقدير ثبت الحكم بأن الأنفال لله وإن ك رهوه، كما ثبت حكم الله بإخراجك إلى القتال وإن كرهوه . الثالث: لما قال ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ ﴾ [٥] كان التقدير أن الحكم بكونهم مؤمنين حق ، كما أن حكم الله بإخراجك من بيتك للقتال حق . الرابع: قال الكسائي:

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ٥٠٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الجهاد، باب في النفل، (٣/ ٧٧)، رقم: [٢٧٣٨]، والترمذي في سننه، من كتاب السير، بَاب ما جاء في من قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ، (٤/ ١١١)، رقم: [١٥٦٢]، وقال: وهذا حديث حسن صحيح.

(٣) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن حرام بن خزيمة، الخزرجي الأنصاري، سيد الخزرج، يكنى أبا ثابت وأبا قيس، شهد العقبة، وكان أحد النقباء، خرج إلى الشام فمات بحوران سنة خمس عشرة وقيل سنة ست عشرة. انظر: الإصابة (٣/ ٦٥)، الاستيعاب (٢/ ٥٩٤).

(٤) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٥) جزء من الآية (٤) من سورة الأنفال.

(الكاف) متعلق بما بعده وهو قوله ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ ﴾[1] والتقدير ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ على كره فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه. والله أعلم))[2].

٣ـ قال البقاعي: ((ولما كان ترك الدنيا شديدًا على النفس، وترك التراع بعد الانتساب فيه أشد، شرع يذكر لهم ما كانوا له كارهين ففعله بهم وأمرهم به لعلمه بالعواقب فحمدوا أثره، ليكون أدعى لتسليمهم لأمره وازدجارهم بزجره، فشبه حال كراهتهم لترك مرادهم في الأنفال بحال كراهتهم لخروجهم معه ثم بحال كراهتهم للقاء الجيش دون العير، ثم إنهم رأوا أحسن العاقبة في كلا الأمرين))[3].

من خلال المنقول السابق نجد تقارب أقوال المفسرين بشكل كبير، فالطاهر يربط هذه الآية بما قبلها من خلال كاف التشبيه، فيذكر أن وجه اتصالها بما قبلها من آيات إما تشبيه حال بحال، فحالهم في بادئ الأمر كراهة بعضهم للخروج كحالهم عند قضية الأنفال وتنازعهم فيها وكراهة بعضهم لتقسيمها.

وإما أنها مصدر لفعل الاستقرار الذي اقتضاه قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ ﴾[4] وتقديره: أنه لما استقر حكم الأنفال لله ولرسوله، فكان تقسيم الأنفال مغايرًا لمشتهاهم فيها فكرهوا ذلك والدليل على كراهتهم هذه القسمة ما أُمروا به من التقوى والإصلاح والطاعة، كما كرهوا الخروج للقتال حيث قال تعالى ﴿ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ ثم كانت النتيجة أن نصرهم الله تعالى.

ليذكر ابن عاشور أخيرًا أن الغرض من استعمال هذا الأسلوب هو تذكير المؤمنين بغزوة بدر وكيف نصرهم الله تعالى فيها بمنّه وكرمه وجنده.

وينوّه الطاهر بما ذكره ابن عطية، ويشير إلى أنه قريب المعنى مما ذكره ولكن تقديره بعيد. فابن عطية يرى أن وجه الاتصال هو تشبيه إخراج الرسول ﷺ من بيته وكراهتهم لذلك، بقصة الأنفال ونزاعهم فيها فأخرجها الله من بين أيديهم، وكان الخير في القصتين هو ما اختاره الله تعالى وكرهوه ابتداءً.

أما الرازي فإنه قد ذكر أربعة أوجه: أحسنها عنده: أنه شبه الإخراج في الآية بما حدث في الغزوة من حث النبي ﷺ لهم على القتال بأن من قتل قتيلاً أو أسيرًا فكل ما عنده هو له، فلما تنازعوا في الأنفال ونزل حكمها بردها لله وللرسول توقفوا عن طلبها ونفوسهم كارهة . وجعل التقدير: كراهتهم لحكم

---

(١) جزء من الآية (٦) من سورة الأنفال.

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٠١ ـ ١٠٢).

(٣) نظم الدرر (٣/ ١٨٦).

(٤) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

الأنفال رغم أنهم رض وا بحكم الله ككراهتهم للخروج إلى القتال، وقد رجّح الرازي هذا الوجه واستحسنه.

أما البقاعي فيذكر أن المناسبة هي أنه لما حثهم على ترك الدنيا في قضية الأنفال وكان التعلق بها يعسر التخلص منه، شبّه كراهتهم لانتزاع الأنفال منهم بكراهتهم لخروجهم للقتال وبكراهتهم للنفير دون العير ثم ظهور الخير لهم في كل ما اختاره الله وأمر به وقدّره، فشرع يذكر تلك الكراهية ليحمدوه على عواقبه.

لتكون المناسبة أنه لما ذكر حالهم في قضية الأنفال وكراهتهم الحكم الذي نزل فيها، شرع يحكي وقائع غزوة بدر من البداية حين كرهوا الخروج للقتال ثم نالهم ما نالوه من نصر وتمكين. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

عندما ردّ أمر الأنفال لله وللرسول وأمرهم بأمور تُصلح حالهم، وعندما ذكّرهم بأنه هو الذي أخرجهم وقدّر لهم القتال، كل ذلك فيه بيان بأن اتباع أوامره والرضا بقدره فيه حسن العاقبة في كل الشؤون الدنيوية والآخروية.

٥ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر: ((الأحسن أن تكون ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ معطوفًا على ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ ﴾ (٢) عطفَ المفرد على المفرد فيكون المعطوف مشبهًا به التشبيه المفاد بالكاف والمعنى : كإخراجك اللَّهُ من بيتك وكوقتِ يعدكم الله إحدى الطائفتين الآية. واسم الزمان إذا أضيف إلى الجملة كانت الجملة في تأويل المفرد فتُؤَول بمصدر، والتقدير: وكوقت وعد الله إحدى الطائفتين، فـ ﴿ وَإِذۡ ﴾ اسم زمان متصرف مجرور بالعطف على مجرور كاف التشبيه، وجعَل ص احب (الكشاف) (٣) ﴿ وَإِذۡ ﴾ مفعولاً لفعل اذكر محذوف شأن ﴿ وَإِذۡ ﴾ الواقعة في مفتتح القِصص، فيكون عطفُ جملةِ الأمر المقدرِ على جملة ﴿ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ ﴾ (٤) والمناسبة هي أن كلا القولين فيه توقيفهم على خطأ رأيهم وأن ما كرهوه هو الخير لهم)) (٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال البقاعي: ((ولما لانوا بهذا الخطاب، وأقبلوا على الملك التواب، أقبل عليهم فقال : ﴿ وَإِذۡ ﴾ أي اذكروا هذا الذي ذكره الله لكم وقد كان حالكم فيه ما ذكره، ثم أفضى إلى سعادة عظ يمة وعز لا يشبهه عز، واذكروا إذ ﴿ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ ﴾)) (٦).

٢ــ قال الألوسي: ((كلام مستأنف مسوق لبيان جميل صنع الله تعالى بالمؤمنين مع ما بهم من الجزع وقلة الحزم)) (٧).

---

(١) الآيتان (٧، ٨) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٥) من سورة الأنفال.

(٣) انظر: الكشاف (٢/ ٤٠٩).

(٤) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٥) التحرير والتنوير (٩/ ٢٦٩).

(٦) نظم الدرر (٣/ ١٨٧).

(٧) روح المعاني (٥/ ٤٧٣).

من خلال ما نُقل سابقًا من أقوال المفسرين، يظهر توافق معنى ما ذكره الطاهر مع ما ذكره البقاعي ، فالمناسبة عندهما ــ على اختلاف لفظيهما ــ أنه لما ذكّرهم بكراهتهم للخروج شرع يذكّرهم بأحداث الغزوة من البداية وبتقديره سبحانه وبوعده لهم ليدركوا أن ما كرهوه هو الخير لهم.

أما الألوسي فذكر أنها مستأنفة لبيان فضل الله ومنته عليهم في تلك المع ركة، وهذا معنى لا يبعُد عن سابقه.

ومما سبق بيانه تكون المناسبة أنه لما ذكّرهم بحالة كراهتهم الخروج للنفير كما كرهوا الحكم في الأنفال، شرع يذكّرهم بتقديره وتدبيره ونعمته عليهم في تلك الغزوة، وبأن ما قدّره كان فيه الخير لهم . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بداية سرد أحداث الغزوة الكبرى، والقصة المعروفة حين فرّت عير قريش فبشّر الرسول ﷺ أصحابه بالفوز ثم استشارهم هل يلحقون بالعير أم يواجهون النفير فكرهوا النفير، جاء ذلك بعد افتتاح السورة بحدث خطير وهو الاختلاف في النفل، وكما ذُكر في مقاصد هذه السورة، بدأ بإصلاح الخلل و بيان سبل معالجته ثم عاد يذكرهم بنعمه وقدره وتدبيره لهم ليرضوا ويسلّموا في كل أمورهم، فالأنفال التي اشتجروا عليها هي نتيجة لما كرهوه من خروج للقتال ساقهم الله إليه.

وهذه دعوة للتوكل والأخذ بالأسباب، وترك النتائج على مسبب الأسباب، والتسليم والرضا بأي نتيجة كانت لأنها الخير لا محالة كما حدث في هذه المعركة، فالخير الذي أراده الله لهم أكمل وأشمل من الخير الذي أرادوه لنظرتهم القاصرة، ورغبتهم في أمر العير والمنفعة اليسيرة منه.

٦ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾[١]

قال الطاهر: ((يتعلق ظرف ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ ﴾ بفعل (يريد الله) [٢] لأن إرادة الله مستمر تعلقها بأزمنة منها زمانُ استغاثة النبي ﷺ والمسلمينَ ربّهم على عدوهم، حين لقائهم مع عدوهم يومَ بدر، فكانت استجابة الله لهم بإمدادهم بالملائكة، من مظاهر إرادته تحقيقَ الحق فكانت الاستغاثةُ يوم القتال في بدر وإرادة الله أن يُحِق الحق حصلت في المدينة يوم وعَدَهم الله إحدى الطائفتين، ورشح لهم أن تكون إحدى الطائفتين ذات الشوكة، وبيْنَ وقت الإرادة ووقت الاستغاثة مدةَ أيام، ولكن لما كانت الإرادة مستمرة إلى حين النصر يوم بدر صح تعليق ظرف الاستغاثة بفعلها، لأنه اقترن ببعضها في امتدادها، وهذا أحسن من الوجوه التي ذكروها في متعلق هذا الظرف أو موقعه)) [٣].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بيّن في الآية الأولى أنه يحق الحق ويبطل الباطل بيّن أنه تعالى نصرهم عند الاستغاثة)) [٤].

٢ـ قال أبو حيان : ((لما علموا أنه لا بدّ من القتال شرعوا في طلب الغوث من الله تعالى والدعاء بالنصرة)) [٥].

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر أنه لما ذكر في الآيات قبلها إرادته سبحانه إحقاق الحق، بيّن مظاهر ذلك الإحقاق من خلال استجابته لهم بإنزال الملائكة حين استغاثوه. وبمثل هذا المعنى قال الرازي.

وذكر أبو حيان أنه لما تحتم أمر القتال بيّن طلبهم الغوث منه سبحانه، وهو معنى قريب من سابقه، لأن القتال هو إرادة الله تعالى والحق الذي يريد إحقاقه.

ومن خلال ما سبق بيانه تكون المناسبة هي أنه لما وعدهم إحدى الطائفتين وقرر إحقاق الحق ودحض الباطل بلقائهم العدو، عقّب بذكر مظاهر ذلك الحق حيث أمدهم بالملائكة لما طلبوا الغوث منه . والله تعالى أعلم.

---

(١) الآية (٩) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٧) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤).

(٤) التفسير الكبير (١٥/ ١٠٤).

(٥) البحر المحيط (٤/ ٤٩٥).

أثر المناسبة:

١ــ بيان تدبير الله تعالى، ورعايته لعباده المسلمين، فلما أراد تحقيق الحق لم يتركهم بل نصرهم وأمدهم لما استعانوا به واستغاثوه وخذل عدوهم.

٢ــ الحث على طلب الغوث من الله للاستعانة على النائبات.

٧ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبةهذه الآية لما قبلها: ((لقد أبدع نظم الآيات في التنقل من قصة إلى أخرى من دلائل عناية الله تعالى برسوله ﷺ وبالمؤمنين، فقَرَنَها، في قَرَن زمانها، وجعل ينتقل من إحداها إلى الأخرى بواسطة إذْ الزمانية، وهذا من أبدع التخلص، وهو من مبتكرات القرآن فيما أحسب)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال ابن عطية: ((القصد أن تعدد نعمة الله تعالى على المؤمنين في يوم بدر)) (٣).

٢ـ قال الرازي: ((أنه تعالى لما ذكر أنه استجاب دعاءهم ووعدهم بالنصر فقال ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ (٤) ذكر عقيبه وجوه النصر وهي ستة أنواع)) (٥).

٣ـ قال البقاعي: ((ولما ذكر البشرى والطمأنينة بالإمداد، ناسب أن يذكر لهم أنه أتبع القول الفعل فألقى في قلوبهم بعزته وحكمته الطمأنينة والأمن والسكينة بدليل النعاس الذي غشيهم في موضع هو أبعد الأشياء عنه وهو موطن الجلاد ومصاولة الأنداد والتيقظ لمخاتلة(٦) أهل العناد، وكذا المطر وأثره))(٧).

جعل الطاهر مناسبة استخدام (إذ) في الآية: الانتقال والتخلص، وعدّه من مبتكرات القرآن، وذكر أنه مناسب في سرد القصص، فهنا انتقال إلى تعداد نعم الله تعالى على المؤمنين في المعركة وعنايته بهم . وهذا معنى ما ذهب إليه ابن عطيةٍ أيضًا.

أما الرازي فقد ربط الآية بالكلية بما قبلها، فإنه تعالى لما ذكر وعده لهم بالنصر وهو الناصر وحده؛ ذكر لهم وجوه النصر التي نصرهم بها. وما اختلف عنه البقاعي سوى في طريقة التعبير عن المعنى نفسه.

---

(١) الآية (١١) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٢٧٧ـ ٢٧٨).

(٣) المحرر الوجيز (٢/ ٥٠٦).

(٤) جزء من الآية (١٠) من سورة الأنفال.

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ١٠٦).

(٦) الختل: تخادع عن غفلة، والمخاتلة مشي الصياد قليلاً قليلاً في خفية لئلا يسمع الصيد حسه . انظر: لسان العرب، باب ختل، (١١/١٩٩).

(٧) نظم الدرر (٣/ ١٩٢).

ومن خلال السابق بيانه تكون المناسبة أنه لما أنعم عليهم بالإمداد والبشرى بالنصر، أتبع ذلك ببيان بقية ما أنعم به عليهم في تلك المعركة من الأمن بالنعاس ومن المطر، فهو انتقال لتعداد النعم . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان امتداد نعم الله تعالى على المؤمنين في تلك المعركة، وأنه نصرهم بالأسباب المادية والمعنوية.

وبيان أسلوب التخلص الذي عدّه الطاهر من مبتكرات القرآن الكريم، والتخلص هو : أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره وجعل الأول سببً ا إليه فيكون بعضه آخذًا برقاب بعض، من غير أن يقطع كلامه ، ويستأنف كلامًا آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغً [1].

(١) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (٢/ ٢٤٤).

٨_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾[١]

قال الطاه ر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((لمّا ذكّرَ الله المسلمين بما أيّدهم يوم بدر بالملائكة والنصر من عنده، وأكرمهم بأن نصر هم على المشركين الذين كانوا أشد منهم وأكثر عددًا وعُددًا، وأعقبه بأن أعلمهم أن ذلك شأنه مع الكافرين به اعترض في خلال ذلك بتحذيرهم من الوهن والفرار، فالجملة معترضة بين جملة: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ ﴾[٢] وبين جملة ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾[٣] الآية وفي هذا تدريب للمسلمين على الشجاعة والإقدام والثبات عند اللقاء، ...فالجملة استئناف ابتدائي، والمناسبة واضحة))[٤].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما أخبر أنه سيلقي الرّعب في قلوب الكفار وأمر من آمن بضرب فوق أعناقهم وبنانهم، حرضهم على الصبر عند مكافحة العدوّ ونهاهم عن الانهزام))[٥].

٢_ قال البقاعي: ((ولما قرر إهانتهم في الدنيا والآخرة بما حسر عليهم القلوب، حسن أن يتبع ذلك نهي من ادعى الإيمان عن الفرار منهم وتهديد من نكص عنهم بعد هذا البيان وهو يدعي الإيمان فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾))[٦].

٣_ قال الألوسي: ((﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة إظهارًا للاعتناء به وحثًا على المحافظة عليه))[٧].

مما سبق يذكر الطاه ر أن الجملة معترضة للتحذير من الضعف والفرار، جاءت بين ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ ﴾ وبين جملة ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾. حثًا لهم على الشجاعة والإقدام، بعد ذِكره تعالى لتأييده ونصره لهم رغم قلة عددهم وعدتهم، وبعد إخباره بشأنه مع الكافرين.

---

(١) الآية (١٥) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (١٢) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (١٧) من سورة الأنفال.

(٤) التحرير والتنوير (٩/ ٢٨٦).

(٥) البحر المحيط (٤/ ٤٦٩).

(٦) نظم الدرر (٣/ ١٩٥).

(٧) روح المعاني (٥/ ٤٨٤_ ٤٨٥).

أما أبو حيان فذكر أنه تعالى لما ذكر الكافرين وإلقاء الرعب في قلوبهم، حثّ المؤمنين على الثبات أمام العدو وعدم التقهقر والانهزام.

وعند البقاعي أنه تعالى لما جعل الحسرة في قلوب الكفار وأهانهم في الدنيا بالهزيمة وفي الآخرة بالعذاب الشديد، ناسب أن يحذر المؤمنين من الفرار فخاطبهم بنداء الإيمان.

وجعل الألوسي المناسبة هي إيراد حكم من الله يسري في جم يع الوقائع من خلال قصة غزوة بدر؛ عناية بهذا الحكم المهم وحثًا على التزامه.

وبعد التأمل في المعاني السابقة، فإنها جميعها متلائمة، وتكون المناسبة أنه لما أمدّ المؤمنين بالمدد وأيّدهم ثم ذكر شأنه مع الكافرين ووعيده لهم، ناسب أن يحذّر المؤمنين من الفرار، وأن يأتي بحكم من أحكام الجهاد ليُقدِموا ويثبتوا. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

يتتابع السياق في إيصال المؤمنين لأعلى درجات الإيمان، وبما أن السورة تحكي وقائع غزوة بدر وأحداثها المتطلبة للإيمان في كل مراحلها، ابتداء من الشقاق حول الأنفال وتذكيرهم بكر اهتهم للقاء النفير ثم تذكيرهم بتأييد الله لهم؛ بيّن هنا حكمًا من أحكام الحروب وهو عدم الفرار أمام العدو، لأن النصر أولاً وأخيرًا من الله تعالى.

٩ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاهر: ((والتفريع بالفاء تفريع العلة على المعلول، فإن كون قتل المشركين ورميهم حاصلاً من الله لأمن المسلمين يفيد تعليلاً وتوجيهًا لنهيهم عن أن يولوهم الأدبار . ولأَمْرهم الصبر والثبات وهو تعريض بضمان تأييد الله إياهم إن امتثلوا لقوله: ﴿ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (٢) فإنهم إذا امتثلوا ما أمرهم الله كان الله ناصرهم، وذلك يؤكد الوعيد على تولية الأدبار، لأنه يقطع عذر المتولين والفارين، ولذلك قال الله تعالى في وقعة أحد: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ ﴾ (٣)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال أبو حيان: ((لما قال ﴿ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾(٥)، كان امتثال ما أمروا أمروا به سببًاللقتل، فقيل: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ أي لستم مستبدين بالقتل لأنّ الأقدار عليه والخالق له إنما هو الله ليس للقاتل فيها شيء لكنه أجرى على يده، فنفى عنهم إيجاد القتل وأثبت لله)) (٦).

٢ـ قال البقاعي: ((ولما تقدم إليهم في ذلك، علله بتقرير عزته وحكمته، وأن النصر ليس إلا من عنده، فمن صح إيمانه لم يتوقف عن امتثال أوامره، فقال مسبباً عن تحريمه الفرار وإن كان العدو كثيرًا، تذكيرًا بما صنع لهم في بدر، ليجريهم على مثل ذلك، ومنعًا لهم من الإعجاب بما كان على أيديهم في ذلك اليوم من الخوارق ...)) (٧).

٣ـ قال الألوسي: ((ثم إنه تعالى عاد كلامه إلى بيان بقية أحكام الواقعة وأحوالها وتقرير ما سبق))(٨).

---

(١) الآية (١٧) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٤٦) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (١٥٥) من سورة آل عمران.

(٤) التحرير والتنوير (٩/ ٢٩٣ـ ٢٩٤).

(٥) جزء من الآية (١٢) من سورة الأنفال.

(٦) البحر المحيط (٤/ ٤٧١) بتصرف.

(٧) نظم الدرر (٣/ ١٩٦).

(٨) روح المعاني (٥/ ٤٩٠).

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر مناسبة هذه الآية لما قبلها، فهو لما نهاهم عن تولية الأدبار، علل ذلك بأن كون القتل والرمي الذي تفاخروا به كان حاصلاً منه سبحانه تكريمًا للمسلمين، وفيه أيضًا تعريض بضمان تأييد الله، ليقطع عذر المتولين . ووافق الطاهر في هذا ما ذكره أبو حيان والبقاعي من مناسبة على اختلاف ألفاظهما.

أما الألوسي فذكر أن الآية بيان لبقية أحداث الغزوة، وتقرير لما سبق ذكره.

ومن خلال ما سبق بيانه، يظهر أن المناسبة هي أنه لما أمرهم بالضرب ونهى عن التولي، بيّن لهم أنه الناصر وليس فعلهم، لذا فلا عذر لمن يتولى. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان لمعجزة من الله تعالى، فيها نصر وتأييد وتكريم للمسلمين. فغزوة بدر في مجملها ليست عادية، بل هي تدبير من الله أولاً وأخيرًا.

١٠_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

<u>المناسبة الأولى:</u> قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((جمهور المفسرين جعلوا الخطاب موجهًا إلى المشركين، فيكون الكلام اعتراضًا خوطب به المشركون في خلال خطابات المسلمين بمناسبة قوله : ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (٢) والخطاب التفات من طريق الغيبة الذي اقتضاه قوله : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ وذكر المفسرون في سبب نزولها (٣) أن أبا جهل(٤) وأصحابه لما أزمعوا الخروج الخروج إلى بدر استنصروا الله تجاه الكعبة، وأنهم قبل أن يشرعوا في القتال يومَ بدر استنصروا الله أيضًا وقالوا ربنا افتح بيننا وبين محمد وأصحابه، فخوطبوا بأن قد جاءهم الفتح على سبيل التهكم أي الفتح الذي هو نصر المسلمين عليهم)) (٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما تضمن ذلك إيقاع الإهانة بالكفار بهذه الوقعة، والوعد بإلزامهم الإهانة فيما يأتي، كان ذلك مفصلاً للالتفات إلى تهديدهم في قالب استجلائهم والاستهزاء بهم وتفخيم أمر المؤمنين فقال :

---

(١) الآية (١٩) من سورة الأنفال.

(٢) الآية (١٨) من سورة الأنفال.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه (٣٥٧/٢)، في كتاب التفسير، تفسير سورة الأنفال، رقم: (٣٢٦٤).عن عبد الله بن ثعلبة بن أبي صعير العذري قال: كَانَ الْمُسْتَفْتِحُ أَبُو جَهْلٍ فَإِنَّهُ قَالَ حِينَ الْتَقَى الْقَوْمُ: اللَّهُمَّ أَيُّنَا كَانَ أَقْطَعَ لِلرَّحِمِ وَأَتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ فَأَحْنِهِ الْغَدَاةَ، فَكَانَ ذَلِكَ اسْتِفْتَاحَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ ﴾ إلى قوله ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال السدي والكلبي: كان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة أخذوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين، فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقال عكرمة: قال المشركون: اللهم لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ ﴾ الآية. انظر: أسباب النزول، الواحدي (ص ١٦٦_ ١٦٧).

(٤) أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، كان أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وأكثرهم أذى له ولأصحابه، وكنيته أبو الحكم، وأما أبو جهل فالمسلمون كنوه به، وهو الذي قتل سمية أم عمار بن ياسر، وقُتِل ببدر، قتله ابنا عفراء، وأجهز عليه عبد الله بن مسعود. انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٤)، الكامل في التاريخ، ابن الأثير (١/ ٥٩٤).

(٥) التحرير والتنوير (٩ / ٢٩٨).

﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ ﴾ أي تسألوا الفتح أيها الكفار بعد هذا اليوم كما استفتحتم في هذه الوقعة عند أخذكم أستار الكعبة وقت خروجكم)) [١].

من خلال ما نُقل سابقًا يذكر الطاهر ـ في أحد قوليه ـ أن مناسبتها لما قبلها هي أنه لما ذكر إيهان كيد الكافرين، خاطبهم بعده بتذكيرهم بقولهم قبل المعركة وبالفتح الذي استفتحوه، فخوطبوا بأن جاءهم الفتح للمسلمين تهكمًا بهم وتوبيخًا . وهذا الخطاب اعتراض خوطب به المشركون في خلال خطابات المؤمنين. وهذا معنى ما ذكره البقاعي. والله تعالى أعلم.

<u>**المناسبة الثانية:**</u> قال الطاهر في مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾: ((ومن المفسرين من جعل الخطاب بهذه الآية للمسلمين، ... لكون خطاب المشركين بعد الهجرة قد صار نادرًا لأنهم أصبحوا بُعداء عن سماع القرآن، الجملة مستأنفة استئنافًا بيانيًا فإنهم لما ذُكّروا باستجابة دعائهم بقوله: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ ﴾ [٢] الآيات، وأُمروا بالثبات للمشركين، وذُكّروا بنصر الله تعالى إياهم يوم بدر بقوله : ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ ﴾[٣] إلى قوله ﴿ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [٤] كان ذلك كله يثير سؤالاً يختلج في نفوسهم أن أيكون كذلك شأننا كلما جاهدنا أم هذه مزية لوقعة بدر، فكانت هذه الآية مفيدة جواب هذا التساؤل . فالمعنى: إن تستنصروا في المستقبل قوله ﴿ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ ﴾، والتعبير بالفعل الماضي في جواب الشرط للتنبيه على تحقيق وقوعه، ويكون قوله ﴿ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ ﴾ دليلاً على كلام محذوف، والتقدير: إن تستنصروا في المستقبل ننصركم فقد نصرناكم يوم بدر)) [٥].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الألوسي: ((أي ولأن الله تعالى مُعِين المؤمنين كان ذلك أو والأمر أن الله سبحانه معهم وقرأ الأكثر (وإن) بالكسر على الاستئناف قيل وهي أوجه من قراءة الفتح لأن الجملة حينئذ تذييل كأنه قيل القصد

(١) نظم الدرر (٣/ ١٩٨).

(٢) جزء من الآية (٩) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (١٧) من سورة الأنفال.

(٤) جزء من الآية (١٨) من سورة الأنفال.

(٥) التحرير والتنوير (٩/ ٣٠٠).

إعلاء أمر المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وكيت وكيت وإن سنة الله تعالى جارية في نصر المؤمنين وخذلان الكافرين وهذا إن أمكن إجراؤه على قراءة الفتح)) [1].

لم يختلف ما تمّ نقله عن الطاهر وعن الألوسي في المعنى، فذكرا أن الجملة مستأنفة لسؤال في دواخل المؤمنين عن شأنهم في الجهاد وعن نصر الله مستقبلاً، وهل اختص بموقعة بدر فقط؟ فهو لما استجاب لهم حينما استغاثوا، وذكّرهم بنصره لهم يوم بدر، وأمرهم بالثبات أمام العدو، وأنه موهن كيد الكافرين، ذيّل الآية بأنه تعالى ناصر المؤمنين كلما جاهدوا في سبيله، وكلما استنصروه، كما حدث معهم في وقعة بدر. وهذه المناسبة هي قول الطاهر الثاني بأنها خطاب للمسلمين. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

هذه الآية إما خطاب للكافرين فيكون زيادة لإهانتهم، وإما خطاب للمسلمين، و بشرى للمؤمنين المجاهدين على مرّ الزمان، فإنهم كلما جاهدوا في سبيله تعالى، واستنصروه، فهم منصورون بعونه وتأييده، وأعداؤهم مهزومون، وفي كيدهم مخذولون.

(١) روح المعاني (٥/ ٤٩٥).

١١ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((لما أراهم الله آيات لطفه وعنايته بهم، ورأوا فوائِد امتثال أمر الرسول ﷺ بالخروج إلى بدر، وقد كانوا كارهين الخروج، أعقب ذلك بأنْ أمَرَهم بطاعة الله ورسوله شكرًا على نعمة النصر، واعتبارًا بأن ما يأمرهم به خيرٌ عواقبه، وحذرهم من مخالفة أمر الله ورسوله ﷺ)) (٢).

وقال في مناسبة هذه الآية لأول السورة: ((وفي هذا رجوع إلى الأمر بالطاعة الذي افتتحت به السورة في قوله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (٣) رجوع الخطيب إلى مقدمة كلامه ودليلِهِ ليأخذها بعد الاستدلال في صورة نتيجة أسفر عنها احتجاجُه، لأن مطلوب القياس هو عين النتيجة، فإنه لما ابتدأ فأمرهم بطاعة الله ورسوله بقوله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ في سياق ترجيح ما أمرهم به الرسول عليه الصلاة والسلام على ما تهواه أنفسهم، وضرب لهم مثلاً لذلك بحادثة كراهتهم الخروج إلى بدر في بدء الأمر ومجادلتهم للرغبة في عدمه، ثم حادثة اختيارهم لقاء العير دون لقاء النفير خشية الهزيمة، وما نجم عن طاعتهم الرسول عليه الصلاة والسلام ومخالفتهم هواهم ذلك من النصر العظيم والغُنم الوفير لهم مع نزارة الرزء، ومن التأييد المبين للرسول ﷺ والتأسيسِ لإقرار دينه ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ ﴾ (٤) وكيف أمدهم الله بالنصر العجيب لمّا أطاعوه وانخلعوا عن هواهم، وكيف هزَم المشركين؛ لأنهم شاقوا الله ورسوله، والمشاقة ضد الطاعة تعريضًا للمسلمين بوجوب التبرؤ مما فيه شائبة عصيان الرسول ﷺ ثم أمرهم بأمر شديد على النفوس ألا وهو ﴿ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾ (٥) وأظهر لهم ما كان من عجيب النصر لما ثبتوا كما أمرهم الله ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡ ﴾ (٦)، وضمن لهم النصر إن هم أطاعوا الله ورسوله وطلبوا من الله النصر، أعقب ذلك بإعادة أمرهم بأن يطيعوا الله ورسوله ولا يتولوا عنه، فذلكة للمقصود من

---

(١) الآية (٢٠) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣٠٢).

(٣) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٤) من الآيات (٧ ــ ٨) من سورة الأنفال.

(٥) جزء من الآية (١٥) من سورة الأنفال.

(٦) جزء من الآية (١٧) من سورة الأنفال.

الموعظة الواقعة بطولها عقب قوله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١) وذلك كله يقتضي فصل الجملة عما قبلها، ولذلك افتتحت بـــ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما خاطب المؤمنين بقوله ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ ﴾ (٣) أتبعه بتأديبهم فقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾(٤) ولم يبين أنهم ماذا يسمعون إلا أن الكلام من أول السورة إلى هنا لما كان واقعًا في الجهاد علم أن المراد وأنتم تسمعون دعاءه إلى الجهاد، ثم إن الجهاد اشتمل على أمرين: أحدهما: المخاطرة بالنفس. والثاني: الفوز بالأموال، ولما كانت المخاطرة بالنفس شاقة شديدة على كل أحد وكان ترك المال بعد القدرة على أخذه شاقًا شديدًا، لا جرم بالغ الله تعالى في التأديب في هذا الباب فقال ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ في الإجابة إلى الجهاد، وفي الإجابة إلى تركه المال إذا أمره الله بتركه؛ والمقصود تقرير ما ذكرناه في تفسير قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾(٥)))(٦).

٢ــ قال أبو حيان: ((لما تقدّم قوله ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ ﴾ وكان الضمير ظاهره العود على المؤمنين، نادهم وحرّكهم إلى طاعة الله ورسوله، والظاهر: أنه نداء، وخطاب للمؤمنين الخلّص، حثّهم بالأمر على طاعة الله ورسوله. ولما كانت الآية قبلها مسوقة في أمر الجهاد. قيل: معنى أطيعوه فيما يدعوكم إليه من الجهاد. وقيل: في امتثال الأمر والنهي، وأفردهم بالأمر، رفعًا لأقدارهم وإن كان غيرهم مأمورًا بطاعة الله ورسوله. وهذا قول الجمهور. وأما من قال: إنّ قوله ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ ﴾ خطاب للكفار. فيرى أن هذه الآية نزلت بسبب اختلافهم في النفل، ومجادلتهم في الحق، وتفاخرهم بقتل الكفار، والنكاية فيهم)) (٧).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما كان سبب ما أحله بالكفار -من الإعراض عن إجابتهم فيما قصدوا من دعائهم ومن خذلانهم في هذه الوقعة وإيجاب مثل ذلك لهم أبدًا- هو عصيانهم الرسول وتوليهم عن قبول ما

---

(١) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣٠٢ ــ ٣٠٣).

(٣) جزء من الآية (١٩) من سورة الأنفال.

(٤) من الآيتين (١٩ــ ٢٠) من سورة الأنفال.

(٥) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٦) التفسير الكبير (١٥/ ١١٥ــ ١١٦).

(٧) البحر المحيط (٤/ ٤٧٣ــ ٤٧٤).

يسمعونه منه من الروح؛ حذر المؤمنين من مثل حالهم بالتمادي في التنازع في الغنيمة أو غيرها فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ أي ادعوا ذلك ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي الذي له جميع العز والعظمة ﴿ وَرَسُولَهُۥ ﴾ تصديقاً لدعواكم الإيمان)) [١].

من خلال ما سبق نقله، تتلخص مناسبة الطاه ر أنه تعالى بعد أن امتنّ على المؤمنين بالجند والنصر، أمرهم بطاعته وطاعة رسوله ﷺ ليشكروا نعمته، ويحمدوا فضله على عواقبه، فيحذروا مخالفته لما خَبِروه من فوائد لهذا الامتثال عندما أمرهم بالخروج فكرهوه.

ثم عرج إلى ربط الأمر بالطاعة في هذه الآية مع الأمر بالطاعة في أول السورة، فهذا رجوع إلى مقدمة الكلام وهو أسلوب من أساليب الخطباء، ليسوقهم إلى نتيجة أنّ الأمر بالطاعة في الافتتاح هو لترجيح الطاعة على ما تشتهيه النفوس في الأنفال، ودلل على ذلك بذكره لحادثة كراهتهم الخروج إلى بدر ومجادلتهم في الأمر، ثم نصْر الله لهم في لقاء النفير لّما أطاعوا الرسول ﷺ وتركوا مرادهم ومحابهم، فنالوا حسن العاقبة بطاعتهم وامتثالهم، وخزى الله تعالى الكافرين لعنادهم وشقاقهم، وانتصب أمر الدين، وجاء الأمر المتين بالثبات وعدم الفرار أمام الأعداء، ثقة بنصر الله تعالى الذي ذكّرهم بعجائب قوته وجنده الذي لا يُهزم، ليجيء أخيرًا إعادة الأمر بالطاعة مرة أخرى فذلكة للمقصود من الآيات ابتدء من الافتتاح وحتى هذه الآية.

أما أبو حيان فيذكر أنه لما تقدم قوله ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ ﴾ وظاهر الخطاب للمؤمنين، ناداهم وحركهم للطاعة في أمر الجهاد والامتثال للأمر والنهي.

أما الرازي فيربط الآية بما قبلها وبأول السورة كذلك، فهو يرجّح أن الخطاب في الآية السابقة للمؤمنين، وأنه تعالى جاء بهذه الآ ية بعدها تأديبًا لهم؛ لأن السياق من أول السورة عن الجهاد، والمقصود هو رد جميع الأمور لله ورسوله، ومن المعلوم أن في الجهاد مشاق بدنية ونوال مالية، فلما أخذوا الأنفال ثم تركوها نزولاً عند حكم الله تعالى، ولما دعاهم للجهاد والخروج فكرهوا ذلك ابتداء، كرر عليهم الأمر بالطاعة ليجيبوا داعي الجهاد، ويزهدوا في مغانم الدنيا والأموال إذا تركوها بأمر الله.

أما البقاعي فذكر في الآية السابقة أن الخطاب للكافرين، فيرى أنه لما كان سبب خذلان الكافرين وما طالهم من الهزيمة والذل هو عصيانهم للرسول ﷺ وإعراضهم عن سماع ما يدعو إليه، حذّر المؤمنين من حالهم سواء في خلافهم حول الأنفال أو غيره لعدم امتثالهم فجاء الأمر بالطاعة هنا .

---

(١) نظم الدرر (٣/ ١٩٩).

ومن خلال ما سبق بيانه تختلف المناسبات تبعًا للمخاطب في الآية السابقة، والألطف ما ذكره الطاهر، وهو من تفرداته. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن الطاعة لله وللرسول جزء من الإيمان، ووسيلة لكل خير وحسن عاقبة في الدنيا والآخرة.

فقصة الأنفال من بدايتها لخاتمتها جاءت لتأكيد معنى الطاعة المطلقة، وترسيخ مفهوم الإيمان، وأن الطاعة شكر الله تعالى على ما أنعم به وتفضّل في غزوة بدر.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله تعالى ﴿ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾: ((ولما كان الأمر بالطاعة كلام يطاع ظهر موقع ﴿ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ فلما كان الكلام الصادر من الله ورسوله من شأنه أن يقبله أهل العقول كان مجرد سماعه مقتضيًا عدم التولي عنه))[1].

من خلال هذا المنقول، يذكر الطاهر مناسبة قوله ﴿ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ للآية، فيذكر أنه لما أمر بالطاعة لله ولرسوله، وكان ذلك الأمر كلامًا يُطاع، ويجدر بذوي العقول قبوله، فكيف بمجرد سماعه وتلقيه فذاك يستلزم عدم التولي عنه. وهذا والله أعلم من المناسبات التي تفرّد بذكرها.

أثر المناسبة:

بيان أن من طاعة الله ورسوله قبول كلامهما بمجرد سماعه والالتزام به وعدم التولي عنه، وهو شأن من له عقل.

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٣٠٣_ ٣٠٤).

١٢_ المناسبات في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرًا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[(١)]

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((وجملة: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾معترضة، وسَوقها في هذا الموضع تعريض بالذين ﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾[(٢)] بأنهم يشبهون دواب صماء بكماء ... وهذه الآية تعريض بتشبيههم بالدواب، فإن الدواب ضعيفة الإدراك، فإذا كانت صماء كانت مثلاً في انتفاء الإدراك، وإذا كا نت مع ذلك بكمًا انعدم منها ما انعدم منها ما يعرف به صاحبها ما بها، فانضم عدم الإفهام إلى عدم الفهم، فقوله : ﴿ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ﴾ خبرَان عن الدواب بمعناهما الحقيقي، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ خبر ثالث، وهذا عدول عن التشبيه إلى التوصيف لأن ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ مما يناسب المشبّهين إذ هو ا سم موصول بصيغة جمع العقلاء وهذا تخلص إلى أحوال المشبهين)) [(٣)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال أبو حيان : ((لما أخبر تعالى إنّ هؤلاء المشبّه بهم لا يسمعون ، أخبر أنّ شرّ الحيوان الذي يدبّ الصمّ، أو أن شرّ البهائم. فجمع بين هؤلاء وبين جمع الدواب، وأخبر أنهم شرّ الحيوان مطلقاً)) [(٤)].

٢_ قال البقاعي: ((ولما كانت حال من هذا شأنه مشابهة لحال الأصم في عدم السماع لعدم الانتفاع به، والأبكم في عدم كلامه لعدم تكلمه بما ينفع، والعادم للعقل في عدم عقله لعدم انتفاعه به، قال معللاً لهذا النهي معبرًا بأنسب الأشياء لما وصفهم به: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ ﴾ أي التي تدب على وجه الأرض، جعلهم من جنس الحشرات أو البهائم ثم جعلهم شرها)) [(٥)].

٣_ قال الألوسي: ((استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقريرً ا للنهي إثر تقرير)) [(٦)].

---

(١) الآيتان (٢٢_ ٢٣) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٢١) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٣٠٥_ ٣٠٦).

(٤) البحر المحيط (٤/ ٤٧٤).

(٥) نظم الدرر (٣/ ١٩٩).

(٦) روح المعاني (٥/ ٤٩٥).

من خلال النقل الس ابق تكون هذ ه الجملة عند الطاه ر جملة معترضة، ومناسبتها هنا التعريض بالمشركين الذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون بأنهم يشبهون الدواب، بل هم أشر من الدواب الصماء البكماء، فهو تخلص إلى بيان أحوالهم.

وعند أبي حيان لما وصفهم بأنهم لا يسمعون وصفهم بأنهم شر من الحيوانات الصم. أما البقاعي فذكر أنه لما وصفهم بأنهم لا يسمعون ما ينفع، ولا يتكلمون بما ينفع، وبالتالي انعدم عندهم العقل ناسب أن يصفهم بشر الدواب التي لا تعقل.

وعند الألوسي تكون الجملة مستأنفة مسوقة لبيان سوء حالهم، والتحذير منه.

ويتضح مما سبق تشابه معاني المنا سبات، وإن تفاوتت الألفاظ، فالكل متفق على أن الآية في ذمّ المشركين الذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ، فناسب أن يزيد في وصفهم بأنهم شر الدواب . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

التشديد على عدم الإعراض عن الحق، وعلى السماع دون الانتفاع، لأن ذلك هو حال أناس شبّههم الله تعالى بأنهم أشر من الدواب التي لا تعقل ولا تعي.

المناسبة الثانية: قال الطاه ر في مناسبة قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ : ((ولما وصفهم بانتهاء قبول المعقولات والعجز عن النطق بالحجة أتبعه بانتفاء العقل عنهم أي عقل النظر والتأمل ... وقد وصف بهذه الأوصاف في القرآن كل من المشركين والمنافقين في مواضع كثيرة)) [(١)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الألوسي: ((ثم وصفوا بعدم التعقل في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ تحقيقاً لكمال سوء حالهم فإن الأصم الأبكم كان له عقل ربما يفهم بعض الأمور ويفهمه غيره ويهتدي إلى بع ض مطالبه. أما إذا كان فاقدًا للعقل أيضاً فقد بلغ الغاية في الشرية وسوء الحال ، وبذلك يظهر كونهم شر الدواب حيث أبطلوا ما به يمتازون عنها)) [(٢)].

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٣٠٦).

(٢) روح المعاني (٥/ ٤٩٦).

من خلال المنقول السابق، يُبيّن الطاه ر مناسبة وصفهم بانتفاء العقول وهي أنه لما انتفت عنهم الصفات التي يعرفون به ا الحق فلم يقبلوه، ناسب أن يصفهم بانتفاء عقولهم وتعطيلهم إياها عن التأمل والفكر، وهذا هو حال الكافرين والمنافقين ودأبهم.

أما الألوسي فذكر أنه ناسب أن يصفهم بهذا الوصف لبيان سوء حالهم في إعراضهم وعدم قبولهم لما يسمعون لأنهم عطلوا الصفة التي تميزهم عن باقي المخلوقات وهي الفهم والإدراك بالعقل فصاروا بالتالي أشر من الدواب.

وكلا المناسبتين المذكورتين تفضيان لمعنى واحد، وهو بيان سوء ح الهم فهم شرّ الدواب، وهم أيضًا لا يعقلون لما عطلوه من حواس الإدراك والفهم لديهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن عدم الانتفاع بسماع الحق دليل على تعطيل العقل، فصار الإنسان بذلك أشر من تلك الدواب. فالعقل هو الميزة التي ميّز الله بها بني الإنسان عن باقي المخلوقات من الحيوانات وغيرها.

المناسبة الثالثة: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾: ((معطوفة على جملة: ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ ﴾ أي لأفهمهم ما يسمعون وهو ارتقاء في الأخبار عنهم بانتفاء قابلية الاهتداء عن نفوسهم في أصل جبلتهم . فإنهم لما أخبر عنهم بانتفاء تعلمهم الحكمة والهدى فلذلك انتفى عنهم الاهتداء، ارتقى بالإخبار في هذا المعنى بأنهم لو قبلوا فهم الموعظة والحكمة فيما يسمعونه من القرآن وكلام النبوة لغلب ما في نفوسهم من التخلق بالباطل على ما خالطها من إدراك الخير، فحال ذلك التخلق بينهم وبين العمل بما علموا، فتولوا وأعرضوا)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما كان ذلك ربما دعا السامع إلى أن يقول : ما للقادر لم يقبل بمن هذا شأنه إلى الخير؟ أجاب بأنه جبلهم من أول الأمر - وله أن يفعل في مِلكه ومُلكه ما يريد - جبلة عريقة في الفساد، وجعل جواهرهم شريرة كجوهر العقرب التي لا تقبل التأديب بوجه ولا تمر بشيء إلا لسبته، فعلم سبحانه أنه لا خير فيهم فتركهم على ما علم منهم ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ ﴾ أي الذي له الكمال كله ﴿ فِيهِمۡ خَيۡرٗا ﴾ أي قبولاً للخير ﴿ لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ ﴾ أي إسماعَ هو الإسماع، وهو ما تعقبه الإجابةالمستمرة.

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٣٠٨).

ولما كان علم الله تعالى محيطاً، وجب أن يعلم كل ما كان حاصلاً، فكان عدم علمه بوجود الشيء من لوازم عدمه، فلا جرم كان التقدير هنا: ولكنه لم يعلم فيهم خيرًا، بل علم أنه لا خير فيهم فلم يسمعهم هذا الإسماع ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ وهم على هذه الحالة من عدم القابلية للخير إسماعًا قسرهم فيه على الإجابة ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ أي بعد إجابتهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ أي ثابت إعراضهم مرتدين على أعقابهم، ولم يستمروا على إجابتهم لما جبلوا عليه من ملاءمة الشر ومباعدة الخير، فلم يريدوا الإسلام وأهله بعد إقبالهم إلا وهناً))[1].

من خلال ما سبق نقله، فالمناسبة عند الطاهر هي الارتقاء في الإخبار عن هؤلاء الكافرين وأصل جبلتهم المنتفي عنها الاهتداء، فلما وصفهم بانتفاء الإدراك والفهم والهدى، نفى عنهم الاهتداء والعمل بما يسمعون لأنهم جبلوا على عدم الاهتداء جراء ما خالط نفوسهم وجبلّتهم من باطل.

وجعلها البقاعي جوابًا لسؤال مقدر من قبل السامع لما سبق: ما للقادر لم يقبل بمن هذا شأنه إلى الخير؟ فأجاب بأنه جبلهم من أول الأمر.

وكلا المناسبات متلائمة. وما جاء به الطاهر يُعدّ من إضافاته. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن من جبله الله على الفساد والشر؛ لعلمه سبحانه ذلك في نفوسهم، فإنه لا فائدة مرجوة من إسماعهم ولو قسرًا، فإنهم حتى لو سمعوا لتولوا وهم معرضون.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٠٠).

١٣ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاه ر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((إعادة لمضمون قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ (٢) الذي هو بمترلة النتيجة من الدليل أو مقصد الخطبة من مقدمتها كما تقدم هنالك.

ففافتتاح السورة كان بالأمر بالطاعة والتقوى، ثم بيان أن حق المؤمنين الكُمّل أن يخافوا الله ويطيعوه ويمتثلوا أمره وإن كانوا كارهين، وضرب لهم مثلاً بكَراهتهم الخروج إلى بدر، ثم بكراهتهم لقاء النفير وأوقفهم على ما اجتنوه من بركات الامتثال وكيف أيدهم الله بنصره ونصب لهم عليه أمارة الوعد بإمداد الملائكة؛ لتطمئن قلوبهم بالنصر وما لطف بهم من الأحوال، وجعل ذلك كله إقنا عًا لهم بوجوب الثبات في وجه المشركين عند الزحف ثم عاد إلى الأمر بالطاعة وحذرهم من أحوال الذين يقولون سمعنا وهم لا يسمعون، وأعقب ذلك بالأمر بالاستجابة للرسول إذا دعاهم إلى شيء، فإن في دعوته إياهم إحياء لنفوسهم وأعلمهم أن الله يكسب قلوبهم بتلك الاستجابة قوى قدسية)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما كان ما مضى من نكال الكافرين مسبباً عن عدم الاستجابة، أمر المؤمنين بها تحذيرً ا من الكون الكفرة في مثل حالهم فيحشروا معهم في مآلهم)) (٤).

من خلال المنقول السابق يذكر ابن عاشور أن هذه الآ ية إعادة لمضمون أمر سابق جاء في قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾، فبعد أن أمرهم بالطاعة وحذّرهم من التولي عن سماع أوامر رسوله ﷺ، خاطبهم مرة أخرى بنداء الإيمان داعيًا إياهم إلى الاستجابة لله وللرسول إذا دعاهم لما يحييهم، وبالتالي يظهر وجه ارتباط الآيات من أول السورة مع هذه الآية، فالأوامر في الافتتاح ثم ضرب الأمثال يليه المنن والنعم على المؤمنين كلها أدلة مقنعة ليثبتوا ويطيعوا ويستجيبوا.

---

(١) الآية (٢٤) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٢٠) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٣١١).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٠١).

أما المناسبة عند البقاعي فهي أنه لما ذكر ما آل إليه حال الكافرين من ذل وهزيمة وهلاك كان بسبب عدم استجابتهم وإعراضهم ، فجاء هنا محذرًا المؤمنين من أن يكون حالهم كحال هؤلاء الكفار في عدم الاستجابة.

ويتضح أن الطاهر جاء بالمناسبة كالنتيجة للمقدمة وما تبعها، ويظهر جليًا تناسبه مع السياق، واقتصر البقاعي على مناسبة هذه الآية لما قبلها. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

التأكيد على مفهوم الإيمان والثقة بالله تعالى فإعادة النداء بوصف الإيمان، ودعوتهم للاستجابة الفورية لله ولرسوله ﷺ، في ذلك منتهى الحياة السعيدة والعاقبة الحميدة.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: ((والمقصود من هذا تحذير المؤمنين من كل خاطر يخطر في النفوس : من التراخي في الاستجابة إلى دعوة الرسول ﷺ والتنصل منها، أو التستر في مخالفته، وهو معنى قوله : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ (١). وبهذا يظهر وقع قوله : ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ عقبه فكان ما قبله تحذيرًا وكان هو تهديدًا وفي (الكشاف) (٢)، و (ابن عطية) (٣): قيل إن المراد الحث على المبادرة بالامتثال وعدم إرجاء ذلك إلى وقت آخر خشية أن تعترض المرءَ موانع من تنفيذ عزمه على الطاعة أي فيكون الكلام على حذف مضاف تقديره : إن أجَل الله يحول بين المرء وقلبه، أي بين عمله وعزمه قال تعالى : ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ (٤) الآية)) (٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية : ((وقوله ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ يحتمل وجوهًا، ومنها أنه لما أمرهم بالاستجابة في الطاعة حضّهم على المبادرة والاستعجال فقال : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ بالموت والقبض أي فبادروا بالطاعات ، ويلتئم مع هذا التأويل قوله ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ

---

(١) جزء من الآية (٢٣٥) من سورة البقرة.

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٤١٤).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٥١٤).

(٤) جزء من الآية (١٠) من سورة المنافقون.

(٥) التحرير والتنوير (٩/ ٣١٥ـ ٣١٦).

﴿تُحۡشَرُونَ﴾ أي فبادروا الطاعات وتزودوها ليوم الحشر ، ومنها أن يقصد بقوله ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ إعلامهم أن قدرة الله وإحاطته وعلمه والجة بين المرء وقلبه حاصلة هناك حائلة بينه وبين قلبه)) [١].

٢ـ قال أبو حيان : ((الظاهر: أن الضمير في (أنه) عائد إلى الله . ويحتمل أن يكون ضمير الشأن . ولما أمرهم بأن يعلموا قدرة الله ، وحيلولته بين المرء ومقاصد قلبه ، أعلمهم بأنه تعالى إليه يحشرهم ، فيثيبهم على أعمالهم، فكان في ذلك تذكار لما يؤول إليه أمرهم من البعث، والجزاء. بالثواب والعقاب)) [٢].

٣ـ قال البقاعي: ((ولما كان الإنسان إذا كان على حالة يستعبد جدً ا أن يصبر على غيرها، قال تعالى مرغبلًمرهبًا ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾... فكنى سبحانه بشدة القرب اللازم للحيلولة عن شدة الاقتدار على تبديل العزائم والمرادات، وهو تحريض على المبادرة إلى اتباع الرسول ﷺ ما دامت القلوب مقبلة على ذلك خوفًامن تغييرها. ولما خوفهم عاقبة الحال، حذرهم شأن المآل فقال: ﴿وَأَنَّهُۥٓ﴾ أي واعلموا أنه تعالى ﴿إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾)) [٣].

٤ـ قال الألوسي: ((عطف على استجيبوا،... فالآية نظير قوله سبحانه ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [٤] وفيها تنبيه على أنه تعالى مطلع من مكنونات القلوب على ما قد يغفل عنه أصحابها، وجوز أن يكون المراد من ذلك الحث على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها ، فمعنى يحول بينه وبين قلبه يميته فيفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من إخلاص القلب ومعالجة أدوائه وعلله ورده سليمًا كما يريده الله تعالى، فكأنه سبحانه بعد أن أمرهم بإجابة الرسول عليه الصلاة والسلام أشار لهم إلى اغتنام الفرصة من إخلاص القلوب للطاعة وشبه الموت بالحيلولة بين المرء وقلبه الذي به يعقل في عدم التمكن من علم ما ينفعه علمه)) [٥]. وقد ذكر جملة ما ذُكر من أقوال، ويظهر أن هذا القول هو الراجح عنده.

من خلال ما سبق نقله يذكر الطاه ر مناسبة هذه الجملة للآية، فإنه لما أمرهم بالاستجابة للرسول ﷺ ، حذّرهم من التراخي عن الاستجابة فورًا ومن كل خاطر قد يمنعهم، وهددهم بأنه إليه المآب ليبتدروا

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ٥١٤).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٤٧٧).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٠٢).

(٤) جزء من الآية (١٦) من سورة ق.

(٥) روح المعاني (٥/ ٤٩٩).

الامتثال قبل أن يحول بينهم وبين ذلك حائل، وقدّم متعلق ﴿تُحْشَرُونَ﴾ للدلالة على أنه لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه فاستجيبوا.

وقد اتفق الطاهر مع ابن عطية في معنى المناسبة، فقد ذكر ابن عطية بأن هذا المعنى متلائم مع خاتمة الآية، وذهب إلى هذا المعنى أبو حيان.

وذهب البقاعي والألوسي إلى أن المناسبة، أنه لما دعاهم إلى الاستجابة، أعلمهم أنه قريب يحول بين المرء وقلبه بتغيير الحال أو بالموت، فاغتنموا وفي هذا ترغيب وترهيب . وهذا معنى لم يختلف عن المعنى السابق.

ويمكن القول بأن المناسبة أنه لما أمرهم بالاستجابة، أعلمهم بأنّ الحشر إليه ليبادروا قبل أن يحول بينهم وبين الاستجابة حائل الموت. وهذا أنسب الأقوال وأبعدها عن التكلف. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بحصول المناسبة بين جمل الآية، حصل الترجيح بين الأقوال، وظهر المعنى كاملاً تامًا معجزًا، وفي الآية ترغيب وترهيب، ودعوة للمبادرة والاغتنام قبل تغيّر الأحوال، وحلول الآجال، لأن الحشر والمردّ إلي ه سبحانه.

١٤_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [١]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((عُقِّب تحريضُ جميعهم على الاستجابة، المستلزمُ تحذيرهم من ضدها بتحذير المستجيبين من إعراض المعرضين، ليعلموا أنه م قد يلحقهم أذى من جراء فعل غيرهم إذا هم لَمْ يُقَوّموا عِوَج قومهم، كَيلا يحسبوا أن امتثالهم كاف إذا عصى دهماؤهم، فحذّرهم فتنة تلحقهم فتعمّ الظالم وغيره.

فإن المسلمين إن لم يكونوا كلمة واحدة في الاستجابة لله وللرسول عليه الصلاة والسلام دبّ بينهم الاختلاف واضطربت أحوالهم واختل نظام جماعتهم باختلاف الآراء وذ لك الحال هو المعبر عنه بالفتنة)) [٢].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى كما حذّ ر الإنسان أن يحال بينه وبين قلبه ، فكذلك حذّره من الفتن، والمعنى: واحذروا فتنة إن نزلت بكم لم تقتصر على الظالمين خاصة ، بل تتعدى إليكم جميعًا وتصل إلى الصالح والطالح)) [٣].

٢_ قال البقاعي: ((ولما كان لمجيب ربما قال: ليس عليّ إلا الإجابة في خاصة نفسي، وليس عليّ تعريض نفسي للأذى بالأخذ على يد غيري، نبَّه سبحانه على أن ذلك منابذة للدين واجتثاث له من أصله، لأن ترك العاصي على عصيانه كترك الكافر على كفرانه، وذلك موجب لعموم البلاء، ومزيد القضاء فقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً ﴾)) [٤].

من خلال السابق يذكر الطاه ر أنه تعالى لما دعاهم للاستجابة لله وللرسول، حذّ رهم ضمنًا من ضدها، وخاصة من عدم المستجيبين، ليسارع ال ذين استجابوا لإصلاح خلل المعرضين ولا يكتفوا بصلاحهم وامتثالهم، فإن العذاب إذا جاء عمّ الصالحين والطالحين على حد سواء.

أما الرازي فذكر أنه تعالى لما حذّ ر أنه يحول بين المرء وقلبه، حذّر كذلك من الفتنة التي تلحق الجميع بلا استثناء صالحهم ومفسدهم.

---

(١) الآية (٢٥) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣١٦).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٠).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٠٤).

ووافقهما البقاعي، فذكر أن الله تعالى هنا يُنبه المستجيبين إلى أنه لا تكفي الإجابة في أنفسهم خاصة، بل يجب أن يأخذوا على يد العاصي حتى لا يعمّهم مع العاصين البلاء، وأن تلك قاعدة من قواعد الدين لحمايته وصونه.

ومن خلال ما سبق بيانه فإن جميع المعاني المذكورة متوافقة المعنى، مختلفة اللفظ، فتكون المناسبة أنه لما دعاهم إلى الاستجابة، نبّه إلى أنه لا يكفي أن يستجيبوا وحدهم بل عليهم دعوة غيرهم، لذا أعقبه بتحذيرهم من فتنة تنزل بمن استجابوا ومن لم يستجيبوا على السواء. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

تحذير المؤمنين من الاكتفاء بالصلاح الذاتي، وتركهم غيرهم في غيّهم وفسادهم، دون أن يأخذوا على يد الظالم فيكفّ عن ظلمه، ولا على يد العاصي فيعود لرشده، فالأمة الإسلامية وحدة واحدة، لا وجود للانفراد والمصلحة الذاتية بين أفرادها؛ لذا وجب اتقاء تلك الفتنة ومجابهتها من قبل الصالحين؛ لأن التهديد جاء بشمولية العذاب للصالح والطالح سواء وهذه سنة إلهية كونية، نظرًا لما تتركه هذه الفتنة من أثر سيء في الأمة على جميع الأصعدة.

والأخذ على يد الظالمين من وسائل حماية المجتمع من العذاب، وهذا تذكير بما جاء أول السورة من وسائل لإصلاح الأمة وقت النزاع، وهنا وسيلة أخرى متممة لما سبق.

١٥_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[(١)]

قال الطاه ر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((عُطف على الأمر بالاستجابة لله فيما يدعوهم إليه، وعلى إعلامهم بأن الله لا تخفى عليه نياتُهم، وعلى التحذير من فتنة الخلاف على الرسول ﷺ تذكيرُهم بنعمة الله عليهم بالعزة والنصر، بعد الضعف والقلة والخوف، ليذكروا كيف يسّر الله لهم أسباب النصر من غير مظانها، حتى أوصلهم إلى مكافحة عدوهم وأن يتقيَ أعداؤُهم بأسَهم، فكيف لا يستج يبون لله فيما بعد ذلك، وهم قد كثروا وعزوا وانتصروا، فالخطاب للمؤمنين يومئذٍ، ومجيء هذه الخطابات بعد وصفهم بالذين آمنوا إيماء إلى أن الإيمان هو الذي ساقَ لهم هذه الخيرات كلها، وأنه سيكون هذا أثَرَه فيهم كلما احتفظوا عليه كُفُوه من قبلِ سُؤالهم، ومن قبل تسدي د حالهم، فكيف لا يكونون بعد ترفّه حالهم أشد استجابة وأثبت قلوبًا)) [(٢)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما أمرهم بطاعة الله وطاعة الرسول، ثم أمرهم باتقاء المعصية، أكد ذلك التكليف بهذه الآية ؛ وذلك لأنه تعالى بيّن أنهم كانوا قبل ظهور الرسول ﷺ في غاية القلة والذلة وبعد ظهوره صاروا في غاية العزة والرفعة وذلك يوجب عليهم الطاعة وترك المخالفة)) [(٣)].

٢_ قال البقاعي: ((ولما كان من أشد العقاب الإذلال، حذرهموه بالتذكير بما كانوا فيه من الذل، لأنه أبعث على الشكر وأزجر عن الكفر)) [(٤)].

من خلال النقل السابق، يذكر الطاهر أن المناسبة هي أنه تعالى هنا ذكّرهم بنعمه عليهم، وبالأمن بعد الخوف، وبالعزة بعد الضعف، وبالنصر الذي حظوا به بتدبيره وكرمه، والهدف من هذا التذكير حثهم على الاستجابة التي دعوا إليها في الآيات السابقة، فكيف لا يستجيبو ن بعد أن كثر عددهم وانتصروا، وجاء هذا الخطاب بعد مخاطبتهم سابقًا بوصف الإيمان عدة مرات؛ ليُبيّن لهم أن كل هذا الخير

---

(١) الآية (٢٦) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣١٨/ ٣١٩).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٢١).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٠٥).

حاصل بذلك الإيمان، فيزدادوا ثباتًا واستجابة، فكلما قوي ذلك الإيمان وحوفظ عليه كانت تلك الخيرات ثمارَه ونتائجَه.

وهذا المعنى موافق لما ذ كره الرازي، فذكر أنه تعالى لما أمرهم بالطاعة واتقاء الفتنة، أكد ذلك بأن ذكّرهم بحالهم قبل مجيء الرسول ﷺ من الضعف والقلة، ثم لما أطاعوه انتصروا وارتفعوا؛ ليحذروا مخالفته ويلتزموا طاعته.

وحاصل كلام البقاعي أنه لما حذّرهم شديد عقابه في الآية السابقة، وكا ن من أشد العقاب الذل والمهانة، ولا يخفى ما في العقاب من ذل ومهان ة؛ جاء هنا وذكّ رهم بحالهم السابقة من الذل والضعف ليطيعوا ويتقوا. وهذا القول شبيه المعنى بما سبق ولكنه من جانب آخر.

ويظهر مما سبق بيانه، أن المناسبة هي : أنه لما دعاهم إلى الاستجابة، وحذّ رهم من الفتنة، ناسب أن يذّكرهم بحالهم السابق قبل أن ينصرهم ويُعلي شأنهم، فكيف لا يستجيبون بعد ذلك. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان لنتيجة الطاعة واتقاء الفتنة فقد تبدّل حالهم من حال وضيعة إلى حال رفيعة، وتلك سنة إلهية كلما أطاعوا ارتفعوا ونالوا، ثم ختمها بما يحافظ على تلك النعمة وهو الشكر.

١٦ـ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف خطاب للمؤمنين يحذرهم من العصيان الخفي . بعد أن أمرهم بالطاعة والاستجابة لله ولرسوله ﷺ حذّرهم من أن يظهروا الطاعة والاستجابة في ظاهر أمرهم ويبطنوا المعصية والخلاف في باطنه، ومناسبته لما قبله ظاهرة وإن لم تسبق من المسلمين خيانة وإنما هو تحذير)) (٢).

ثم قال بعد أن فصّل في كلمة الخون : ((وتشمل الخيانة كل معصية خفية، فهي داخلة في ﴿لَا تَخُونُواْ﴾ ، لأن الفعل في سياق النهي يعم، فكل معصية خفية فهي مراد من هذا النهي، فتشمل الغلول الذي حاموا حوله في قضية الأنفال، لأنهم لما سأل بعضهم النفل وكانوا قد خرجوا يتتبعون آثار القتلى ليتنفلوا منهم، تعين تحذيرهم من الغلول، فذلك مناسبة وقع هذه الآية من هذه الآيات ...)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما ذكر أنه رزقهم من الطيبات، فههنا منعهم من الخيانة)) (٤).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما ختم الآية هو في غاية النصيحة منه تعالى لهم من الإيواء والنصر والرزق الطيب المشار به إلى الامتنان بإحلال المنعم، وختم ذلك بالحث على الشكر؛ نهانا عن تضييع الشكر في ذلك بالخيانة في أوامره بالغلول أو غيره فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ تذكيرًا بما ألزموا به أنفسهم من الوفاء)) (٥).

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر أن الجملة مستأنفة مفتتحة بخطاب الإيمان للتحذير من الخيانة وهي معصية خفية قبيحة، بعد أن حذّرهم سابقًا من العصيان العلني لله ولرسوله.

ثم يذهب الطاه ر أبعد من ذلك، فيربط الآية بافتتاح السورة، فقد جاء في الآية نهي ع ن كل خيانة والتي عرّفها الطاه ر بأنها كل معصية خفية، بالتالي يكون النهي شام لاً عامًا لكل فعل خفي، ويكون هذا التحذير داخلاً في قضية الأنفال، فإنهم لما خرجوا يقتفونها حذّرهم من الخيانة فيها وهي الغلول.

---

(١) الآية (٢٧) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣٢١ ــ ٣٢٢).

(٣) المصدر السابق (٩/ ٣٢٢).

(٤) التفسير الكبير (١٥/ ١٢١ ــ ١٢٢).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢٠٦).

أما الرازي فيذكر أنه لما رزقهم من الطيبات في الآية السابقة جاء مناسبًا أن يحذّرهم من خيانة تلك النعم.

ويوافقه البقاعي فيما ذهب إليه من ربط هذه الآية بما قبلها، ففي تلك ذكّرهم بنعمه ونصره المستلزمين للشكر، وفي هذه بيّن أنه ليس من الشكر الخيانة في الأنفال بالغلول، وكذا الخيانة في جميع النعم.

ومن خلال ما سبق بيانه، يتفق معنى ما ذهب إليه الرازي مع البقاعي، ويتممه معنى ما ذهب إليه الطاهر، فتكون المناسبة، أنه لما ذكّرهم بنعمه وأمرهم بشكرها، جاء هنا وحذّرهم من الخيانة في تلك النعم وغيرها، كما حذّرهم سابقًا من عدم الطاعة لله ولرسوله . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

التحذير أشد الحذر من كل فعل يؤذي المسلمين ويعود عليهم بالضرر، سواء كان فعلاً ظاهرًا أم خفيًا. والنهي في الآية عن الخيانة يعمّ كل صورها وأشكالها، لما لها من أثر ضار على المجتمع المسلم، وزعزعة لأمنه واستقراره . والخيانة لا تقتصر على خيانة الفرد لأمته فقط، ف يدخل من ضمن الخيانات : الخيانة في العبادات، بالتقصير في أدائها عل ى وجهها المطلوب، وكذا الخيانة في العمل الدنيوي، فأداء الأمانات وعدم الخيانة من أوصاف أهل الإيمان.

وبما أن السورة تحكي مسيرة الجهاد الأولى، وتُبيّن وسائل الإصلاح والنهضة، فإن الخيانة هي من فعل قبيح مذموم وهو من وسائل هدم الأمة، والأمانة هي من محاسن الأخلا ق ومن مقومات التقدم، وهذان الخُلقان معلومان عند جميع الناس، فمحمود مؤدي الامانة، ومذموم مضيّعها وخائنها .

١٧_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ (١)

قال الطاهر: ((وابتداء جملة: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ بفعل ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ للاهتمام ... وهذا تنبيه على الحذر من الخيانة التي يحمل عليها المرءَ حبُ المال وهي خيانة الغلول وغيرها ، فتقديم الأموال لأنها مظنة الحمل على الخيانة في هذا المقام.

وعطف الأولاد على الأم وال لاستيفاء أقوى دواعي الخيانة ، فإن غرض جمهور الناس في جمع الأمو ال أن يتركوها لأبنائهم من بعدهم، وقد كثر قرن الأموال والأولاد في التحذير ، ونجده في القرآن، قيل إن هاته الآية من جملة ما نزل في أبي لبابة.

وجيء في الإخبار عن كون الأموال والأولاد فتنة بطريق القصر قصرًا ادعائيًا لقصد المبالغة في إثبات أنهم فتنة.

وجُعل نفس (الأموال والأولاد) فتنة لكثرة حدوث فتنة المرء من جراء أحوالهما ، مبالغة في التحذير من تلك الأحوال وما ينشأ عنها، فكأن وجود الأموال والأولاد نفس الفتنة)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((لما كان الداعي إلى الإقدام على الخيانة هو حب الأموال والأولاد نبّ ه تعالى على أنه يجب على العاقل أن يحترز عن الم ضار المتولدة من ذلك الحب فقال ﴿ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ لأنها تشغل القلب بالدنيا وتصير حجاباً عن خدمة المولى)) (٣).

٢_ قال البقاعي : ((ولما كان سبب الخيانة غالباً محبة المال أو الولد، وكان سبب التقاول المسبب عنه إنزال هذه السورة - كما سلف بيانه أولها - الأموال من الأنفال، وكان من أعظم الخيانة في الأنفال الغلول، وكان الحامل على الغلول المحنة بحب جمع المال إما استلذاذ ا به أو لإنفاقه على محبوب، وكان الولد أعز محبوب؛ حسن كل الحسن إيلاء ذلك قوله : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ وهي كلمة ينبه بها السامع على أن ما بعدها مهم جدًا ﴿ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ ﴾ قلّت أو جلّت هانت أو عزّت ﴿ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ ﴾ كذلك ﴿ فِتۡنَةٞ ﴾

(١) الآية (٢٨) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣٢٤_ ٣٢٥).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٢).

أي سببها، يفعل الله بها فعل المختبر لينكشف للعباد من يغتر بالعاجل الفاني ممن تسمو نفسه عن ذلك، فلا يحملنكم ذلك على مخالفة أمر الله فتهلكوا)) (١).

٣ـ قال الألوسي: ((لأنها سبب الوقوع في الإثم والعقاب أو محنة من الله ﷻ يختبركم بها فلا يحملنكم حبها على الخيانة كأبي لبابة ولعل الفتنة في المال أكثر منها في الولد ولذا قدمت الأموال على الأولاد ولا يخفى ما في الأخبار من المبالغة)) (٢).

من خلال المنقول السابق ، تؤكد المناسبة الذي ذكرها ابن عاشور كون الآية السابقة في قصة أبي لبابة، فذكر هنا أنه لما نهى عن الخيانة، أعقبه بذكر الأموال والأولا د فهما قد يكونان سببًا للخيانة . وبمثل هذا المعنى قال الرازي.

وذكر الطاهر أنه ذكر الأموال لأن حبها قد يدفع المرء للغلول، وذكر الأولاد لأن المرء عادة يجم ع الأموال للأبناء، وفي تقديم الأموال على الأولاد لأنها أنسب للمقام وقصة الأنفال.

ثم ذكر الطاهر أن الاقتصار على ذكر هذين الاثنين (الأموال والأولاد) للمبالغة في إثبات فتنتهما، ولكثرة حدوث فتنة المرء من جراء أحوالهما، فيحذر المسلم تلك الحال.

واتفق الطاهر مع البقاعي في أن افتتاحها بـ ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ للتنبيه والاهتمام.

وذكر الألوسي أنه قدّم الأموال على الأولاد لأن الفتنة في المال أكثر.

ومن خلال ما سبق بيانه، تكون مناسبة هذه الآية لما قبلها : أنه لما حذّرهم من الخيانة، حذّرهم من دواعيها وهو حب الأموال والأولاد، فهما فتنة واختبار وسبب للوقوع في الإثم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه، في الآية تحذير من الخيانة ببيان داعيها وهو حب الأموال والأولاد والخشية عليهما.

وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ (٣) ، فالأموال والأولاد متاع وزينة الدنيا، وقد يكونان

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨).

(٢) روح المعاني (٥/ ٥٠٦).

(٣) الآية (٢٠) من سورة الحديد.

مصدر تلاءٍ وبلاء، فعلى الإنسان أن يتنبه لذلك، وأن يجعلهما سبيلاً لمرضاة الله، فما عند الله أعظم وأبقى من متاع الدنيا الزائل.

١٨ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((استئناف ابتدائي متصل بالآيات السابقة ابتداء من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ ﴾ (٢) الآية وما بعده من الآيات إلى هُنا. وافتتح بالنداء للاهتمام ، كما تقدم آنفًا.

وخوطب المؤمنون بوصف الإيمان تذكيرًا لهم بعهد الإيمان وما يقتضيه كما تقدم آنفًا في نظائِره، وعقّب التحذير من العصيان والتنبيه على سوء عواقبه، بالترغيب في التقوى وبيان حسن عاقبتها وبالوعد بدوام النصر واستقامة الأحوال إن هم داموا على التقوى)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((واعلم أنه تعالى لما حذّر عن الفتنة بالأموال والأولاد ، رغّب في التقوى التي توجب ترك الميل والهوى في محبة الأموال والأولاد)) (٤).

٢ـ قال البقاعي: ((ولما ذكّرهم ما كانوا عليه قبل الهجرة من الضعف، وامتنَّ عليهم بما أعزهم به، وختم هذه بالتحذير من الأموال والأولاد الموقعة في الردى، وبتعظيم ما عنده الحامل على الرجاء، تلاها بالأمر بالتقوى الناهية عن الهوى بالإشارة إلى الخوف من سطواته إشارة إلى أنه يجب الجمع بينهما، وبيّن تعالى أنه يتسبب عنه الأمن من غيره في الأولى والنجاة من عذابه في الأخرى)) (٥).

من خلال ما سبق نقله، يذكر الطاهر أن هذه الآية تتصل بما قبلها من آيات بأنها استئناف ابتدائي، فإنه لما حذرهم في خطابات سابقة من العصيان وبيّن لهم عاقبته السيئة، وفرض عليهم الطاعة مقابله، خاطبهم هنا مجددًا بوصف الإيمان حاثًا لهم على التقوى ومذكرًا لهم بحسن عاقبتها على الدوام.

ويذهب الطاهر لربط الآية بمجموعة الآيات قبلها، فإنه تعالى لمّا رتب على نهيهم عن المخالفة والخيانة أضرارًا عدة، من وصفهم بشر الدواب ووقوعهم في الفتنة ونزول العذاب، رتّب مقابلها منافع التقوى من نصر ومغفرة وسعة فضل. وأحسبُ أن هذا من تفردات الطاهر على حدّ إطلاعي والله تعالى أعلم.

---

(١) الآية (٢٩) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٢٠) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٣٢٥).

(٤) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٣).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢٠٧).

وتكون مناسبة هذه الآية لما قبلها عند الرازي أنه لما حذّ رهم من فتنة الأموال وا لأولاد، رغّبهم في التقوى التي تقيهم من كل ميل وهوى في شأنهما. وبمثل هذا المعنى قال البقاعي.

ويظهر مما سبق عموم مناسبة الطاهر وربطه للآية بما قبلها من آيات، واتفاق مناسبتي الرازي والبقاعي في اتصال هذه الآية بما قبلها مباشرة. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثاني: قال الطاه ر في مناسبة ختام الآية: ((وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ تذييل وتكميل وهو كناية عن حصول منافع أخرى لهم من جراء التقوى)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ومن كان كذلك فإنه إذا وعد بشيء وفى به)) (٢).

٢ــ قال البقاعي: ((وفي الآية أعظم مناسبة لقصة أبي لبابة ﷺ لأنه لما كان الحامل له على ما فعل بنفسه من العقوبة التقوى، فكفرت عنه خطيئته وغفر له، عقبت بها ترغيباً لغيره في الإسراع بالتوبة عند مواقعة الهفوة، وختم هذه الآية بالفضل على ما كان من نقص، إشارة إلى تفضله سبحان ه بما رزق أهل الإسلام من علو المترلة وانتشار الهيبة وفخامة الأمر في قلوب المخالفين كما هو مشاهد))(٣).

٣ــ قال الألوسي: ((تعليل لما قبله وتنبيه على أن ما وعد لهم على التقوى تفضل منه سبحانه وإحسان وأنها بمعزل عن أن توجب عليه جل شأنه شيئاً، قيل: ومن عظيم فضله تعالى أنه يتفضل من غير واسطة وبدون التماس عوض ولا كذلك غيرهم سبحانه)) (٤).

من خلال ما سبق نقله، يذكر الطاهر مناسبة الختم بسعة فضل الله تعالى ، وأنها لبيان منافع أخرى تلحقهم من جراء تقواهم، ففضله تعالى لا حدّ له.

وأما الرازي فذكر أنه لما وعدهم بما جاء في الآية من وعود، ختم بأنه ذو الفضل العظيم الذي يوفي بما وعد ويزيد.

وذكر البقاعي أن هذه الآية مناسبة لقصة أبي لبابة ، فتقواه حملته على عقوبة نفسه، فنال التكفير والمغفرة، لذا تكون هذه الآية دعوة لكل من هفا أو مال حتى يعود ويتقي ، لأن من طبيعة البشر ا لنقص، ولكنّ الله ذو فضل لا يُحدّ لمن أناب.

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٣٢٧).

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٣).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٠٩).

(٤) روح المعاني (٥/ ٥٠٧).

أما الألوسي فيعرض لمناسبة الختام بأنه لما ذكر ثمار التقوى تلك نبههم على أنها من فضله وإحسانه لم يوجبها عليه أحد، ولا يضره شيء على إنعامه، ولا ينقص من ملكه شيئًا.

ويظهر مما سبق تقارب ما ذكروه إلى حد كبير، فالمناسبة هي أنه لما ذكر منافع التقوى في الآية، أخبرهم بأنه واسع الفضل، كثير النعم، ولاسيما لمن اتقى وأناب. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

تُجدد الآيات النداء بالإيمان، والأمر بالتقوى، بعد خطابات عدة من أول السورة، وأدلة ساقتها من خلال حوادث غزوة بدر، تَبيّن فيها حسن عاقبة المتقين، ثم تجيء الآية هنا بثمار أخرى للتقوى حثًا على التزامها، وترغيبًا في انتهاجها، ففيها النصر والمغفرة وحسن العاقبة على الدوام، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو فضل عظيم.

وبما أن التقوى هي مخافة الله في السر والعلانية، وبما أن الخيانة هي فعل خفي ــ وقد سبق ذكر الخيانة في الآية قبلها ــ ظهر أنه لا علاج أنجع لها من التقوى التي هي دافع الإنسان للامتثال في الخفاء وفي الجهر.

١٩ــ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (١)

قال الطاه ر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((يجوز أن يكون عطف قصة على قصة من قصص تأييد الله رسوله عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ... ويجوز أن يكون عطفًا على قوله : ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (٢) ... فإن المكر بالرسول عليه الصلاة والسلام مكر بالمسلمين ويكون ما بينهما اعتراضًا. فهذا تعداد لنعم النصر، التي أنعم الله بها على رسوله ﷺ والمؤمنين، في أحوال ما كان يظن الناس أن سيجدوا منها مخلصًا، وهذه نعمة خاصة بالنبي ﷺ والإنعام بحياته وسلامته نعمة تشمل المسلمين كلهم، وهذا تذكير بأيام مُقامهم بمكة، وما لاقاه المسلمون عمو مًا وما لاقاه النبي ﷺ خصوصًا وأن سلامة النبي ﷺ سلامة لأمته)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية : ((وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الآية يشبه أن يكون قوله ﴿ وَإِذْ ﴾ معطوفـًعلى قوله ﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ ﴾وهذا تذكير بحال مكة وضيقها مع الكفرة ، وجمي صنع الله تعالى في جمعها ويحتمل أن يكون ابتداء كلام)) (٤).

٢ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما ذكّر المؤمنين نعمه عليهم بقوله ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ ﴾فكذلك ذكّر رسوله نعمه عليه وهو دفع كيد المشركين ومكر الماكرين عنه)) (٥).

٣ــ قال أبو حيان: ((لما ذكّر المؤمنين نعمه عليهم ذكّره ﷺ نعمه عليه في خاصة نفسه)) (٦).

٤ــ قال البقاعي : ((ولما وعد سبحانه بهذا الفضل العظيم والنبأ الجسيم، ذكّ رهم من أحوال داعيهم وقائدهم وهاديهم عليه الصلاة والسلام والتحية والإكرام بما يدعوهم إلى ملازمة أسبابه في سياق المخاطبة

---

(١) الآية (٣٠) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٢٦) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٣٢٧).

(٤) المحرر الوجيز (٢/ ٥١٨).

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٤).

(٦) البحر المحيط (٤/ ٤٨١).

له ﷺ تذكيرًا بنعمته وإشارة إلى دوام نصرته فقال تعالى عاطفاً على ﴿إِذۡ أَنتُمۡ ﴾ ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ﴾))[1].

٥ـ قال الألوسي: ((ثم أنه ﷻ لم ذكر من ذكر نعمته بقوله تعالى ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٌ ﴾ الخ ذكّر نبيه عليه الصلاة والسلام النعمة الخاصة به))[2].

من خلال المنقول السابق نجد أن المناسبات التي ذكرها الجميع تتفق في المعنى، وتختلف في العبارة، فبعد أن ذكّر الله تعالى المؤمنين بنعمه عليهم وبحالهم السابق وما آل إليه من تمكين ورفعة، ولم يكونوا يظنون تغّير حالهم، ذكّرهم هنا بنعمة أخرى عليهم وعلى نبيه ﷺ بامتنانه عليه وقت كونه في مكة، وكيف أنجاه من تآمر المشركين. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

يتتابع السياق في التذكير بنعم الله تعالى على المؤمنين، ومن أعظم تلك النعم وجود النبي ﷺ بينهم، ونجاته من كيد الكافرين.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٠٩ ـ ٢١٠).

(٢) روح المعاني (٥/ ٥٠٧).

٢٠_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[١]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((انتقال إلى ذكر بهتان آخر من حجاج هؤلاء المشركين، لم تزل آيات هذه السورة يتخللها أخبار كفرهم من قوله : ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢] وقوله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ ﴾[٣] وقوله ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ ﴾[٤] وقوله ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[٥] ثم بقوله ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[٦].

وهذه الجمل عطف على جملة: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ ﴾[٧]))[٨].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما حكى مكرهم في ذات محمد حكى مكرهم في دين محمد))[٩].

٢_ قال البقاعي: ((ولما ذكر مكرهم بالرسول، ذكر مكرهم بما أرسل به، فقال عاطفاً على ﴿إِذْ أَنتُمْ ﴾[١٠]: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ ﴾))[١١].

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أنها انتقال إلى ذكر بهتان آخر عن الكافرين.

واتفق ما ذكره الرازي مع البقاعي، فقد ربطا الآية بما قبلها مباشرة، ور بطها الطاهر بما جاء سابقًا من ذكر الكافرين وحجاجهم من أول السورة. وهو من إضافاته. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان مكر الكافرين بالرسول ﷺ وبدينه وبكتابه وبالمؤمنين، وحماية الله لرسوله ﷺ

---

(١) الآية (٣١) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٧) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (١٣) من سورة الأنفال.

(٤) جزء من الآية (١٧) من سورة الأنفال.

(٥) الآية (٢١) من سورة الأنفال.

(٦) جزء من الآية (٣٠) من سورة الأنفال.

(٧) جزء من الآية (٢٣) من سورة الأنفال.

(٨) التحرير والتنوير (٩/ ٣٢٩).

(٩) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٦).

(١٠) جزء من الآية (٢٦) من سورة الأنفال.

(١١) نظم الدرر (٣/ ٢١٠).

٢١ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(١)]

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((عطف على قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[(٢)] وهو ارتقاء في بيان أنهم أحقاء بتعذيب الله إياهم، بيانًا بالصراحة))[(٣)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((ثم بيّن تعالى ما لأجله يعذّبهم، فقال ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وقد ظهرت الأخبار أنهم كيف صدوا عنه عام الحديبية))[(٤)].

٢ــقال الألوسي: ((إن الآية الأولى متصلة بما قبلها على أنها حكاية عن المشركين فإنهم كانوا يقولون إن الله تعالى لا يعذبنا ونحن نستغفر، ولا يعذب سبحانه أمة ونبيها معها، فقص الله تعالى ذلك على نبيه ﷺ مع قولهم الآخر فكأنه قيل: وإذ قالوا اللهم الخ. وقالوا أيضاً: كيت وكيت، ثم رد عليهم بقوله سبحانه ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ على معنى أنهم يعذبون وإن كنت بين أظهرهم وإن كانوا يستغفرون))[(٥)].

من خلال ما سبق ذكر الطاهر أنها ارتقاء في بيان استحقاق الكافرين للعذاب صراحة.

وربطها الرازي بالجملة قبلها، فهو هنا ذكر سبب استحقاقهم العذاب وهو صدهم عن المسجد الحرام.

وذكر الألوسي أنها رد على دعوى الكفار في أنهم لا يُعذبون ومعهم نبيهم.

ومن خلال ما سبق نجد أن الطاهر ربطها بالآية التي قبلها، وهي من إضافاته . وكل ما ذُكر من مناسبات متلائم. والله تعالى أعلم.

---

(١) الآية (٣٤) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٣٣) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٣٣٥).

(٤) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٧).

(٥) روح المعاني (٥/ ٥١٣).

المناسبة الثانية: قال الطاهر: ((وجملة: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ تعيين لأوليائه الحق، وتقرير لمضمون ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ مع زيادة ما أفاده القصر من تعيين أوليائه، فهي بمنزلة الدليل على نفي ولاية المشركين، ولذلك فصلت.

وإنما لم يُكتف بجملة القصر مع اقتضائه أن غير المتقين ليسوا أولياء المسجد الحرام، لقصد التصريح بظلم المشركين في صدهم المسلمين عن المسجد الحرام بأنهم لا ولاية لهم عليه، فكانت جملة: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ أشد تعلقًا بجملة: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ من جملة: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ وكانت جملة: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ كالدليل، فانتظم الاستدلال أبدع انتظام، ولما في إناطة ولاية المسجد الحرام بالمتقين من الإشارة إلى أن المشركين الذين سلبت عنهم ولايته ليسوا من المتقين، فهو مذمة لهم وتحقيق للنفي بحجة))(١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((ونبّه على أنهم يصدون لادعائهم أنهم أولياؤه ثم بيّن بطلان هذه الدعوى بقوله ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الذين يتحرزون عن المنكرات كالذي كانوا يفعلونه عند البيت من المكاء والتصدية والمقصود بيان أن من كانت هذه حاله لم يكن ولياً للمسجد الحرام فهم إذن أهل لأن يقتلوا بالسيف ويحاربوا فقتلهم الله يوم بدر وأعز الإسلام بذلك على ما تقدم شرحه))(٢).

٢ـ قال أبو حيان: ((استئناف إخبار أي وما استحقوا أن يكونوا ولاة أمره ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾))(٣).

٣ـ قال البقاعي: ((ولما نفى عنهم الولاية. ذكر أهلها فقال ﴿إِنْ﴾ أي ما ﴿أَوْلِيَآؤُهُۥٓ﴾أي بالاستحقاق ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ أي العريقون في هذا الوصف بما يجعلون بينهم وبين سخط الله من وقايات الطاعات، لا كل من آمن بل خاصة المؤمنين، وهم ليسوا كذلك لتلبسهم الآن بالكفر))(٤).

من خلال المنقول السابق، اتفقت معاني أقوال المفسرين في مناسبة هذه الجملة، رغم اختلاف ألفاظهم.

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٣٣٧).

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٧).

(٣) البحر المحيط (٤/ ٤٨٤).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢١٣).

فالمناسبة أنه لما بيّن أنهم ليسوا أولياء للمسجد الحرام، بيّن مَن هم أولياؤه إنكارًا لدعوى المشركين، وتقريرًا لأوليائه الحق. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

يتتابع سياق الآيات في تناسق واضح، وبيان جليّ، حيث أخبر عن سبب العذاب بأصرح وأقطع بيان، ثم ردّ على دعواهم بالولاية، ثم أخبر عن المستحقين الجديرين بها قطعًا وتقريرًا.

٢٢ــ المناسبات في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((معطوفة على جملة ﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾(٢) فمضمونها سبب ثان لاستح قاقهم العذاب، وموقعها، عقب جملة : ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ﴾ (٣) يجعلها كالدليل المقرر لانتفاء ولايتهم للمسجد الحرام، لأن من كان يفعل مثل هذا ع ند مَسجد الله لم يكن من المتقين، فكان حقيقًا بسلب ولاية المسجد عنه، فعطفت الجملة باعتبارها سببًا للعذاب، ولو فصلت باعتبارها مقررة لسلب أهلية الولاية عنهم لصحَ ذلك، ولكن كان الاعتبار الأول أرجح؛ لأن العطف أدل عليه مع كون موقعها يفيد الاعتبار الثاني)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية : ((فلما نفى الله تعالى ولايتهم للبيت أمكن أن يعترض معترض بأن يقول : وكيف لا نكون أولياءه ونحن نسكنه ونصلي عنده ؟ فقطع الله هذا الاعتراض بأن قال وما كان صلاتهم إلا المكاء والتصدية)) (٥).

٢ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما قال في حق الكفار أنهم ما كانوا أولياء البيت الحرام وقال ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (٦) بيّن بعده ما به خرجوا من أن يكونوا أولياء البيت وهو أن صلاتهم عند البيت وتقربهم وعبادتهم إنما كان بالمكاء والتصدية)) (٧).

٣ــ قال أبو حيان: ((لما نفي عنهم أن يكونوا ولاة البيت ذكر من فعلهم القبيح ما يؤكد ذلك وأنّ من كانت صلاته ما ذكر لا يستأهل أن يكونوا أولياءه)) (٨).

---

(١) الآية (٣٥) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٣٤) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (٣٤) من سورة الأنفال.

(٤) التحرير والتنوير (٩/ ٣٣٨).

(٥) المحرر الوجيز (٢/ ٥٢٤).

(٦) جزء من الآية (٣٤) من سورة الأنفال.

(٧) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٨).

(٨) البحر المحيط (٤/ ٤٨٥).

٤ــ قال البقاعي: ((ولما كانوا يفعلون عند البيت ما يُ نزه البيت عنه مما هو غاية في الجهل، قال مبينً ا لجهلهم واستحقاقهم للنكال وبعدهم عن استحقاق ولايته: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ ﴾)) [١].

٥ــ قال الألوسي: ((والجملة معطوفة إما على ﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ ﴾ فتكون لتقرير استحقاقهم للعذاب ببيان أنهم صدوا و لم يقوموا مقام من صدوه في تعظيم البيت ، أو على ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓ ﴾[٢] فتكون تقريرًا لعدم استحقاقهم لولايته)) [٣].

من خلال السابق، يذكر الطاه ر ارتباط هذه الآية بما قبلها، حيث كان الحديث عن المشركين، وعن أسباب استحقاقهم للعذاب، فهم يصدون عن المسجد الحرام أولاً، فعطف في هذه الآية بسبب ثانٍ لاستحقاقهم للعذاب ولنفي ولايتهم للمسجد الحرام وهو ما يقومون به من عبادة وتقرب بطريق المكاء والتصدية.

وقد رجّح الطاهر أنها معطوفة ــ ويجوز فيها الفصل ويستقيم المعنى أيضًا ــ عقب جملة ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓ ﴾ التي هي كتقرير ودليل على سلب هذه الولاية.

وذكر ابن عطية أنه لما نفى ولايتهم عن المسجد في الآية السابقة، جاء بهذه الآية لنفي أي اعتراض من معترض منهم بأحقيتهم بتلك ال ولاية لسكناهم فيه، فدلل على انتفاء تلك الأحقية ببطلان عبادتهم وتقربهم.

أما الرازي فقد ذكر أنه لما نفى عن الكفار ولاية المسجد الحرام، جاء بعده بالدليل على سلب هذه الولاية لأن صلاتهم مكاء وتصدية.

وجعلها أبو حيان في سبب نفي ولاية البيت عنهم، وهو قبح فعلهم وعبادتهم عنده.

و لم يختلف ما ذهب إليه البقاعي عن ابن عطية والرازي، فذكر أن ذلك التقرب يتتره عنه البيت الحرام، وما فعوا ذلك إلا جهلاً منهم، فاستحقوا العذاب ونفي الولاية.

أما الألوسي فقد وافقت عبارته معنى المناسبتين التي ذكرهما ابن عاشور، و لم يرجح.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢١٣).

(٢) جزء من الآية (٣٤) من سورة الأنفال.

(٣) روح المعاني (٥/ ٥١٦).

فيكون ابن عطية والرازي وأبو حيان والبقاعي قد ذهبوا إلى أن المناسبة هي التأكيد على نفي ولاية البيت عنهم بذكر السبب، و ذكرها ابن عاشور و لم يرجحها، والمناسبة الأنسب أنها في ذكر سبب آخر لاستحقاقهم العذاب، وهو ترجيح الطاهر، وأحد قولي الألوسي. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة الختام : ((وعبّر هنا بــ ﴿ تَكۡفُرُونَ ﴾ وفي سورة الأعراف بــ ﴿ تَكۡسِبُونَ ﴾ [1] لأن العذاب المتحدث عنه هنا لأجل الكُفر . والمتحدث عنه في الأعراف لأجل الكفر والإضلال ومَا يجرّه الإضلال من الكبرياء والرئاسة)) [2].

وأحسبُ أن هذا من تفردات الطاهر ــ على حدّ إطلاعي والله أعلم ــ.

أثر المناسبات:

الاستمرار في ذم الكافرين ببيان صورة من صور جهلهم وعبادتهم وكفرهم، وزيادة النكال فيهم بأنهم أبعد ما يكونون عن ولاية البيت.

ويظهر والله أعلم من خاتمة هذه الآية (تكفرون) وقد جيئت في سياق تقرير سبب آخر لاستحقاقهم العذاب؛ يظهر من ذلك تأييد لما جاء في المناسبة السابقة من أن معنى (يستغفرون) يؤمنون ويتوبون عن الشرك، فإذا آمنوا دفعوا العذب وأمِنوا، وإذا بقوا على كفرهم ﴿ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾[3].

(١) جزء من الآية (٣٩) من سورة الأعراف.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣٤٠).

(٣) جزء من الآية (٣٥) من سورة الأنفال.

٢٣ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((لما ذُكر صدهم المسلمين عن المسجد الحرام الموجب لتعذيبهم، عُقب بذكر محاولتهم استئصال المسلمين وصدهم عن الإسلام وهو المعني بـ ﴿ سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وجعلت الجملة مستأنفة، غير معطوفة، اهتمامًا بها أي أنهم ينفقون أموالهم وهي أعز الأشياء عليهم للصد عن الإسلام)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال هؤلاء الكفار في الطاعات البدنية أتبعها بشرح أحوالهم في الطاعات المالية)) (٣).

٢ـ قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر من شرح أحوالهم في الطاعات البدنية وهي صلاتهم شرح حالهم في الطاعات المالية وهي إنفاقهم أموالهم للصدّ عن سبيل الله وال ظاهر الإخبار عن الكفار بأنّ إنفاقهم ليس في سبيل الله بل سببه الصدّ عن سبيل الله)) (٤).

٣ـ قال البقاعي: ((ولما أخبر سبحانه عن أحوال الكفار في الأعمال البدنية، وكان غلبهم مع كثرتهم وقوتهم مستبعدًا، أخبر بما يقربه مبيناً لأعمالهم المالية فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾)) (٥).

٤ـ قال الألوسي: ((وكأن هذا بيان لعبادتهم المالية بعد عبادتهم البدنية)) (٦).

من خلال المنقول السابق ، يذكر الطاهر أن مناسبة هذه الآية لما قبلها تتلخص في أنه تعالى لما ذكر سابقًا صدّ الكفار للمسلمين عن المسجد الحرام، ذكر هنا صدًا آخر وهو صدهم الناس عن دين الله،

---

(١) الآيتان (٣٦ ـ ٣٧) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣٤٠).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٢٩).

(٤) البحر المحيط (٤/ ٤٨٧).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢١٥).

(٦) روح المعاني (٥/ ٥١٧).

ومحاولتهم زعزعة المسلمين عن سبيل الله، وذلك ببذل أموالهم التي هي من أعز ما يملكون ويحبون . فتكون الآية مستأنفة للاهتمام.

واتفق باقي المفسرين وإن اختلفت ألفاظهم على أن مناسبة هذه الآية لما قبلها هي ذكر لأحوال الكفار المالية وكيف لا ينقصون جهدًا في بذلها للصد عن سبيل الله، بعد أن ذكر قبلاً أحوالهم البدنية وكيف هي عبادتهم وشعائرهم عند المسجد الحرام.

ويظهر أن ما ذكروه متقارب المعنى مع مناسبة الطاهر وإن كانت عبارته أجزل وأوفق مع السياق . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن الكافرين دائمًا في جميع الأزمان لا يدخرون سبيلاً ولا وسيلة إلا ويتخذونها لصدّ المسلمين عن دينهم، ولإبعاد الناس عن الحق والصواب.

وأيضًا بيان لتنوّع وسائلهم الماكرة، فهم يصدون الناس عن الإيمان بأبدانهم وبأموالهم.

٢٤ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (١)

قال الطاه ر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((جرى هذا الكلام على عادة القرآن في تعقيب الترهيب بالترغيب، والوعيد بالوعد، والعكس، فأنذرهم بما أنذر، وتَوعّدَهم بما توعد ثم ذكّرهم بأنهم متمكنون من التدارك وإصلاح ما أفسدوا، فأمر الله نبيه ﷺ بأن يقول لهم ما يفتح لهم باب الإنابة.

والجملة استئناف يصح جعله بيانيًا لأن ما تقدم بين يديه من الوعيد وقلة الاكتراث بشأنهم، وذكر خيبة مساعيهم، مما يثير في أنفُس بعضَهم والسامعين أن يتساءلوا عما إذا بقي لهم مخلص ينجيهم من ورطهم التي ارتبقوا (٢) فيها، فأمر الرسول بأن يقول لهم هذا المقال ليريهم أن باب التوبة مفتوح، والإقلاع في مكنتهم)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بيّن صلاتهم في عباداتهم البدنية وعباداتهم المالية أرشدهم إلى طريق الصواب)) (٤).

٢ـ قال أبو حيان: ((لما ذكر ما يحل بهم من حشرهم إلى النار وجعلهم فيها وخسرهم تلطّف بهم وأنهم إذا انتهوا عن الكفر وآمنوا غفرت لهم ذنوبهم السالفة)) (٥).

٣ـ قال البقاعي: ((ولما بيّن ضلالهم في عبادتهم البدنية والمالية، وكان في كثير من العبارات السالفة القطع للذين كفروا بلفظ الماضي بالشقاء، كان ذلك موهمًا لأن يراد من أوقع الكفر في الزمن الماضي وإن تاب، فيكون مؤيسًا من التوبة فيكون موجبًا للثبات على الكفر، قال تعالى متلطفاً بعباده مرشدًا لهم إلى طريق الصواب مبيناً المخلص مما هم فيه من الوبال في جواب من كأنه قال: أما لهم من جبلة يتخلصون بها من الخسارة ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ﴾ أي لأجل الذين ﴿ كَفَرُوٓاْ ﴾ أي أقبل توبة من تاب منهم بمجرد انتهائه عن حاله)) (٦).

---

(١) الآية (٣٨) من سورة الأنفال.

(٢) ارْتَبَقَ أَي وَقَعَ فيه. انظر: تاج العروس (٢٥/ ٣٣٠) باب ربق.

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٣٤٤).

(٤) التفسير الكبير (١٥/ ١٣٠).

(٥) البحر المحيط (٤/ ٤٨٨).

(٦) نظم الدرر (٣/ ٢١٦).

من خلال النقل السابق ، يذكر الطاهر أنه تظهر عادة من عا دات القرآن الكريم في هذه الآية ، فلما أنذر الكافرين وهددهم وتوعدهم في الآية السابقة، جاء في هذه بفتح باب الرجعة والتوبة لهم ليصلحوا أحوالهم إن تساءل بعضهم عن كيفة الخلاص مما هم فيه، فتكون الجملة مستأنفة بيانيًا. وهو ما ذهب إليه البقاعي أيضًا.

أما الرازي فجعل المناسبة أنه تعالى لما بيّن ضلال وفساد عباداتهم البدنية والمالية، بيّن لهم في هذه طريق الحق والرشاد.

وعند أبي حيان أنه تعالى لما ذكر أنهم يحشرون إلى النار وما يصيبهم من عذاب نتيجة أعمالهم القبيحة، تلطف بهم في هذه بأن فتح لهم سبيلاً للنجاة.

وذكر البقاعي أنه تعالى لما حكى عن فساد عباداتهم البدنية والمالية ، وتكرر الحديث عن الكفار بصيغة الماضي، قد يتوهم واهم أنه كُتب عليهم الشقاء أبد الآبدين فلا سبيل للنجاة ولا مخلص لهم من كفرهم وإن تابوا، فجاء في هذه الآية بإرشادهم إلى الطريق تلطفًا بحالهم، وقاطعًا ليأس من أراد التوبة.

ومما سبق نجد أن الطاهر والبقاعي وأبا حيان قد ربطوا الآية بما ذُكر قبلها من الوعيد والتهديد، أما الرازي فقد تفرد بذكر تلك المناسبة، وجميع ما جاء من مناسبات يُكمّل بعضه بعضًا. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان رحمة الله تعالى بعباده أجمعين، فرغم كفر الكافرين وضلالهم فقد جعل لهم مناصًا ومخرجًا بالعودة والتوبة.

وأيضًا بيان أسلوب القرآن الكريم في ذكر الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، فما إن يأتي على ذكر أحدهما حتى يتبعه بالآخر، فهذا الدين لا يقوم إلا على ركائزه الثلاثة: المحبة والخوف والرجاء.

٢٥ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[(١)]

المناسبة الأولى: قال الطاه ر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((انتقال لبيان ما أجمل من حكم الأنفال، الذي افتتحته السورة، ناسب الانتقال إليه ما جرى من الأمر بقتال المشركين إن عادوا إلى قتال المسلمين. وافتتاحه بـــ (اعلموا) للاهتمام بشأنه ، والتنبيهِ على رعاية العمل به ... فإنّ المقصود بالعلمِ تقرّر الجزم بأنّ ذلك حكم الله، والعمل بذلك المعلوم، فيكون (اعلموا) كناية مراداً به صريحه ولازمه . والخطاب لجميع المسلمين و بالخصوص جيش بدر، وليس هذا نسخًا لحكم الأنفال المذكور أوّل السورة، بل هو بيان لإجمال قوله: ﴿لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[(٢)]))[(٣)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما أمر بالمقاتلة في قوله ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾[(٤)] وكان من المعلوم أن عند المقاتلة قد تحصل الغنيمة لا جرم ذكر الله تعالى حكم الغنيمة))[(٥)].

٢ــ قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما أمر تعالى بقتال الكفار حتى لا تكون فتنة، اقتضى ذلك وقائع وحروباً فذكر بعض أحكام الغنائم، وكان في ذلك تبشير للمؤمنين بغلبتهم للكفار، وقسم ما تحصّل منهم من الغنائم))[(٦)].

٢ــ قال البقاعي: ((ولما كان التقدير: فإذا أعانكم مولاكم عليهم وغلبتموهم وغنمتم فيه فلا تنسبوا إلى أنفسكم فعلاً، بل اعلموا أنه هو الفاعل وحده لأن جميع الأفعال متلاشية بالنسبة إلى فعله فلا تتنازعوا في المغنم تنازع من أخذه بقوته وحازه بقدرته، عطف عليه قوله:﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾، ابتداء بهذا الأمر إشارة إلى أن ما بعدها من المهمات ليبذلوا الجهد في تفريغ أذهانهم لوعيه وتنزيله منازله ورعيه))[(٧)].

---

(١) الآية (٤١) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (١) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (١٠ / ٥).

(٤) جزء من الآية (٣٩) من سورة الأنفال.

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ١٣٢).

(٦) البحر المحيط (٤/ ٤٩٢).

(٧) نظم الدرر (٣/ ٢١٨).

يذكر الطاه ر من خلال ما سبق أن هذه الآية هي الانتقال إلى تفصيل حكم الأنفال المجمل في أول السورة، ومناسبته أنه لما أمر بقتال المشركين إن هم قاتلوا المسلمين، فلا بد من غنائم بعد هذه الحرب فجاء على ذكر الأنفال وأحكامها التفصيلية ، وابتدأ الآية بـــ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ ليهتموا ويراعوا ما سيأتي . وهذا المعنى هو ما ذهب إليه الرازي وأبو حيان أيضًا على اختلاف عباراتهم.

وذكر البقاعي أنه لما أعان المسلمين في القتال فغلَبوا وغنموا، عطف هنا بالأمر ليستمعوا وينتبهوا.

وما ذكره الطاهر ووافق فيه الرازي وأبا حيان هو الأنسب، وهي مناسبة جلية. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال بيان المناسبة ظهر أن هذه الآية ليست منسوخة، بل هي بيان و تفصيل الإجمال في حكم الأنفال أول هذه السورة.

المناسبة الثانية: قال الطاه ر: ((وقوله: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا ﴾ عطف على اسم الجلالة، والمعنى : وآمنتم بما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان، وهذا تخلّص [١] للتذكير بما حصل لهم من النصر يوم بد ر، والإيمانُ به يجوز أن يكون الاعتقاد الجازم بحصوله، ويجوز أن يكون العلم به، فيكون على الوجه الثاني من استعمال المشترك في معنييه، أو من عموم المشترك)) [٢].

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر مناسبة هذه الجملة للآية، فلما قسّم الغنائم وبيّن حكمها ونبههم إلى وجوب مراعاته، وأن ذلك من الإيمان، ذ كّرهم بما حصل لهم يوم بدر، وهذا من بديع التخلص. وتخصيص التذكير بالإيمان بما نزل يوم الفرقان، ذَكَر أنه لذلك المنزّل مزيد تعلق بما جاء في الآية من مأمورات يجب أن يعلموها ويعملوا بها.

فتكون من تفردات الطاهر وإضافاته على حد إطلاعي. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

يظهر من خلال الآية وجه من وجوه المناسبات وهو : التخلص، ولا يخفى ما فيه من الإعجاز، حيث انتقل من الحديث عن تقسيم الغنائم إلى التذكير بأحداث الغزوة بأعجز وأوجز عبارات.

---

(١) انظر: (ص ٨٣) من هذا البحث.

(٢) التحرير والتنوير (١٠ / ١٤).

٢٦ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاه ر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((﴿ إِذْ ﴾ بدل من ﴿ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ ﴾(٢) فهو ظرف (لأنزلنا) أي زمن أنتم بالعدوة الدنيا ، وقد أريد من هذا الظرف وما أضيف إليه تذكيرهم بحالة حرجة كان المسلمون فيها، وتنبيهه م للطف عظيم حفّهم من الله تعالى ، وهي حالة موقع جيش المسلمين من جيش المشركين، وكيف التقى الج يشان في مكان واحد عن غير ميعاد ، ووجَد المسلمون أنفسهم أمام عدوّ قوي العِدّة والعُدّة والمَكانة من حسن الموقع . ولولا هذا المقصد من وصف هذه اله يئة لما كان من داع لهذا الإطناب (٣) إذ ليس من أغراض القرآن وصف المنازل إذا لم تكن فيه عبرة)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال أبو حيان: ((قال الزمخشري(٥): فإن قلت: ما فائدة هذا التوقيت ، وذكر مراكز الفريقين ، وإن العِير كانت أسفل منهم . قلت: الفائدة فيه الإخبار عن الحالة الدالة على قوّة شأن العدوّ ، وشوكته، وتكامل عدّته وتمهد أسباب الغلبة له ، وضعف شأن المسلمين ، وشتات أمرهم وإن غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنعاً من الله تعالى ودليل على أن ذلك أمر لم يتيسّر إلا بحوله تعالى ، وقوته وباهر قدرته. وذلك أن العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء ، وكانت أرضاً لا بأس بها ، ولا ماء بالعدوة الدنيا، وهي خبار(٦) تسوخ(١) فيها الأرجل، ولا يمشى فيها إلا بتعب ومشقة ، وكانت العِير وراء

---

(١) الآية (٤٢) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٤١) من سورة الأنفال.

(٣) الإطناب (في علم المعاني): أن يزيد اللفظ على المعنى لفائدة ، انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٥٦٧). الإطناب: أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة. انظر: التعريفات (١/ ٤٦).

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ١٥ــ ١٦).

(٥) الكشاف (٢/ ٤٢٠).

(٦) خبار من الأرض: أي سهلة لينة. انظر: لسان العرب (٤/ ٢٢٨).

ظهور العدو مع كثرة عددهم ، وكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم ، وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ، ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم ، وأموالهم ليبعثهم الذبّ عن الحرم والغيرة على الحرم على بذل تجهيداتهم في القتال ، أن لا يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز إليه ، فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم، ويوطن نفوسهم على أن لا يبرحوا مواطئهم، ولا يخلو مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم. وفيه تصوير ما دبّر سبحانه من أمر وقعة بدر. انتهى. وهو كلام حسن)) [٢].

٢ـ قال البقاعي: ((ولما ذكر لهم يوم ملتقاهم، صوّ ر لهم حالتهم الموضحة للأمر المبينة لما كانو ا فيه من اعترافهم بالعجز تذكيرًا لهم بذلك ردعًا عن المنازعة وردًا إلى المطاوعة فقال مبدلاً من ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ ﴿إِذْ أَنتُم﴾ نزول ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي القربى من المدينة ﴿وَهُم﴾ أي المشركون نزول ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ أي البعدى منها القريبة إلى البحر ... وهو كان قصدكم وسؤلكم، فلو كانت لكم قوة على طرقه لبادرتم إلى الطرف وغالبتم عليه الحتف، ولكن منعكم من إدراك مأمولكم منه من كان جاثمًا بتلك العدوة جثوم الأسد واثقًا بما هو فيه من القوى والعدد ... مع استضعافكم لأنفسكم عن مقاومتهم لولا رسولنا يبشركم وجنودنا تثبتكم، وإلى مثل هذه المعاني أشار تصوير مكانهم ومكان الركب إيماء إلى ما كان فيه العدو من قوة الشوكة وتكامل العدة وتمهد أسباب الغلبة وضعف حال المسلمين وأن ظفره م في مثل هذا الحال ليس إلا صنعاً من الله)) [٣].

٣ـ قال الألوسي: ((ووجه الإطناب في الآية مع حصول المقصود بأن يقال : يوم الفرقان يوم النصر والظفر على الأعداء مثلا تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر والإمتنان والدلالة على أنه من الآيات الغر المحجلة وغير ذلك وهذا مراد الزمخشري بقوله ما فائدة هذا التوقيت...)) [٤].

مما سبق يظهر توافق معنى ما ذكره المفسرون على اختلاف عباراتهم، وهو موافق لما جاء في السيرة عن هذه الغزوة، فالمناسبة أنه لما ذكّرهم بوقعة بدر، أطنب في الحديث عنها مصورًا حالهم وحال عدوهم، ومنازلهم، وضعف المسلمين، وقوة العدو عدة وعتادًا، ثم كيف قلب كل ذلك لصالح المسلمين، ليذكروا نعم الله تعالى ولطفه وأن كل ذلك من تدبيره وصنعه.

ولقد كانت عبارة الطاهر أجزل. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

---

(١) تسوخ في الأرض: تدخل فيها وتغيب. انظر: لسان العرب (٣/ ٢٧).

(٢) البحر المحيط (٤/ ٤٩٦).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٢٠).

(٤) روح المعاني (٦/ ١٠).

بيان لعظيم صنع الله وتدبيره، فقد تبدو الأمور لأول وهلة عصيبة لا مخرج فيها، ولا مخلص منها، فيغتم الإنسان ويحزن، ولكن وراء كل أمر لطف من الله، وحكمة قد تخفى حينها ثم قد تظهر، لذا فليُسلّم المؤمن لتقدير ربه وتدبيره، فهو بلا شك الخير في كلا الحالات.

٢٧_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاه ر: ((لمّا عرّفهم الله بنعمه ودلائل عنايته، وكشف لهم عن سرّ من أسرار نصره إيّاهم، وكيف خذل أعداءهم، وصرفهم عن أذاهم، فاستتبّ لهم النصر مع قلتهم وكثرة أعدائهم، أقبل في هذه الآية على أن يأمرهم بما يهيءّ لهم النصر في المواقع كلّها، ويستدعي عناية الله بهم وتأييدَه إيّاهم، فجمع لهم في هذه الآية ما به قِوام النصر في الحر وب. وهذه الجمل معترضة بين جمل ة: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ ﴾ (٢) وجملة: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ (٣)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال ابن عطية: ((هذا أمر بما فيه داعية النصر وسبب العز وهي وصية من الله متوجهة بحسب التقييد التي في آية الضع ف ويجري مع معنى الآية قول النبي ﷺ: "لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاثْبُتُوا" (٥)) (٦).

٢_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما ذكر أنواع نعمه على الرسول وعلى المؤمنين يوم بدر ، علّمهم إذا التقوا بالفئة وهي الجماعة من المحاربين نوعين من الأدب : الأول: الثبات وهو أن يوطنوا أنفسهم على اللقاء ولا يحدثوها بالتولي. والثاني: أن يذكروا الله كثيرًا)) (١).

---

(١) الآيتان (٤٥_ ٤٦) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٤٤) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (٤٨) من سورة الأنفال.

(٤) التحرير والتنوير (١٠ / ٢٩).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يُقَاتِلْ أَوَّلَ النَّهَارِ أَخَّرَ الْقِتَالَ حتى تَزُولَ الشَّمْسُ، (٣/ ١٠٨٢)، رقم: [٢٨٠٤].

(٦) المحرر الوجيز (٢/ ٥٣٦).

من خلال ما نُقل سابقًا يذكر الطاهر مناسبة هذه الآية لما قبلها، فيذكر أنه تعالى لما بيّن لهم إنعامه وإكرامه باعتنائه بهم، وأخبرهم كيف نصرهم بفضله ومنّه، رغم قلة عددهم وعدتهم، وكثرة عدوهم، وكشف سرّ ذلك النصر وهو ما كان من منام أراه لنبيه ﷺ، وما أراهم إياه عند اللقاء من قلة عدوهم، وهو وحده الناصر المهيأ لأسباب النصر جميعها، جاء في هذه بأمور عظيم يضمن لهم النصر في جميع المواجهات، ويجلب لهم تأييد ربهم ورعايته، ويجمع لهم قوام النصر وسببه الرئيس آلا وهو ذكر الله تعالى عند اللقاء.

واختصر ابن عطية فذكر أنه جاء بمأمورات هي أسباب النصر والرفعة[1]. ولم يختلف الرازي عن ابن عاشور سوى في عبارته، فذكر أنه تعالى لما أخبرهم بإنعامه على رسوله وعلى المؤمنين، أقبل يبيّن لهم أدبان مهمان عند اللقاء، آلا وهما: الثبات وذكر الله.

ومن خلال ما سبق بيانه، تتوافق معاني المناسبات التي ذكروها، ويظهر أن المناسبة هي أنه لما ذكر نعمه عليهم لّما لاقوا عدوّهم، شرع يُبيّن لهم أسباب النصر وآداب اللقاء. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: ((وهذان أمران أمروا بهما وهما يَخصّان المجاهد في نفسه، ولذلك قال: ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾فهما لإصلاح الأفراد))[2].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((ثم قال ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾وذلك لأن مقاتلة الكافر إن كانت لأجل طاعة الله تعالى كان ذلك جاريًا مجرى بذل الروح في طلب مرضاة الله تعالى، وهذا هو أعظم مقامات العبودية فإن غلب الخصم فاز بالثواب والغنيمة، وإن صار مغلوبًا فاز بالشهادة والدرجات العالية، أما إن كانت المقاتلة لا لله بل لأجل الثناء في الدنيا وطلب المال لم يكن ذلك وسيلة إلى الفلاح والنجاح))[3].

٢ــ قال البقاعي: ((ولما أمر بذلك، علله بأداة الترجي، ليكون أدل على أنه سبحانه لا يجب عليه شيء فيكون للإيمان فقال: ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي لتكونوا على رجاء من الفلاح وهو الظفر بالمراد من النصر والأجر وكما كنتم إذ ذاك))[4].

---

(١) التفسير الكبير (١٥/ ١٣٧).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٠).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٣٧).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٢٤).

من خلال ما سبق يربط الطاه ر ختام الآية بما جاء فيها من أسرار النصر، فالثبات وذكر الله عند اللقاء سببان للفلاح وصلاح الأفراد.

أما الرازي فانبرى لبيان مناسبة الختام ولما بعد هذه الآية ، فذكر الله ﷻ الإنسان متذكرًا هدفه من الجهاد، فهو في كلا الحالات رابح، لأن البيع مع الله تعالى ، فإن انتصر فاز بالأجر الجزيل وبالغنيمة، وإن قُتل فاز بالجنان ومنزلة الشهداء، فذلك هو الفلاح والفوز العظيم. وبمثل هذا المعنى قال البقاعي.

ويظهر مما سبق أن الطاه ر يستنبط من الآيات قواعد النصر الأساسية، وقوام الأمة الإسلامية، فجاءت المناسبات التي ذكرها منطلقة من ذلك. وهي مناسبات جليلة، والله تعالى أعلم.

المناسبة الثالثة: قال الطاه ر في مناسبة قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ ﴾ لما قبلها: ((ثم أمرهم بأعمال راجعة إلى انتظام جيشهم وجماعتهم، وهي علائق بعضهم م ع بعض، وهي الطاعة وترك التناز ع)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية: ((وقوله ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ الآية استمرار على الوصية لهم والأخذ على أيديهم في اختلافهم في أمر بدر وتنازعهم)) (٢).

٢ــ قال الرازي: ((ثم قال تعالى مؤكدًا لذلك ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ في سائر ما يأمر به لأن الجهاد لا ينفع إلا مع التمسك بسائر الطاعات)) (٣).

من خلال ما سبق يعرج الطاه ر إلى وجه اتصال الآية بما قبلها فهنا الأمر بالطاعة وترك التنازع، فهما سببان لصلاح الجماعة واستقامة أمرهم، بعد أن ذكر أسباب صلاح الأفراد .

وربط ابن عطية الآية بأنها استمرار لما أمرهم به من الثبات والذكر، فأمر مجددً ا بالطاعة أخذًا على أيديهم في نزا ع الأنفال.

أما الرازي فذكر أن الأمر بالطاعة جاء لأن الجهاد لا ينفع دون امتثال لجميع الطاعات .

وجميع ما ذُكر من مناسبات متلائم، وما ذكره الطاهر أنسب فيما يتعلق بالجهاد وصلاح الأمة . والله تعالى أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٠).

(٢) المحرر الوجيز (٢/ ٥٣٦).

(٣) المصدر السابق (١٥/ ١٣٧).

المناسبة الرابعة: قال الطاهر: ((ولمّا كان التنازع من شأنه أن ينشأ عن اختلاف الآراء، وهو أمر مرتكز في الفطرة بسَطَ القرآن القولَ فيه ببيان سيّىءِ آثاره، فجاء بالتفريع بالفاء في قوله: ﴿ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ فحذّرهم أمرين معلومًا سوءُ مَغبتهما: وهما الفشلَ وذهاب الريح)) [1].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((بيّن تعالى أن النزاع يوجب أمرين : أحدهما: أنه يوجب حصول الفشل والضعف . والثاني: قوله ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾)) [2].

٢ـ قال أبو حيان : ((أمرهم تعالى بالطاعة لله ولرسوله ونهاهم عن التنازع وهو تجاذب الآراء وافتراقه ا والأظهر أن يكون ﴿ فَتَفْشَلُواْ ﴾ جوابًا للنهي فهو منصوب ولذلك عطف عليه منصوب لأنه يتسبب عن التنازع الفشل وهو الخور والجبن عن لقاء العدو وذهاب الدولة باستيلاء العدو)) [3].

٤ـ قال البقاعي: ((وأشار إلى عظيم ضرر التنازع ببيان ثمرته المرة فقال؛ ﴿ فَتَفْشَلُواْ ﴾ أي تضعفوا؛ ... ولما كان الفشل ربما كان معه الظفر لفشل في العدو أكثر منه أو غير ذلك، عطف ما يلزمه غالبً ا بالواو دون الفاء فقال: ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ أي غلبتكم وقوتكم)) [4].

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر مناسبة التعقيب بنتائج التنازع هنا، فلما نهاهم عن الاختلاف وهو سنة فطرية بشرية، بيّن لهم عواقبه الوخيمة، ففيه الضعف والفشل وذهاب القوة والنصر.

وذكر الرازي أنه لما ذكر النزاع، ذكر أنه بعده لا يكون سوى الفشل وذهاب القوة.

أما أبو حيان فذكر أنه لما أمرهم بالطاعة ونهاهم عن التنازع، بيّن لهم عواقب التنازع . وذهب البقاعي إلى هذا المعنى أيضًا.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠ / ٣١).

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٣٨).

(٣) البحر المحيط (٤/ ٤٩٩).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٢٤).

ومن خلال ما سبق بيانه تتفق المناسبات المذكورة في المعنى، فتكون المناسبة أنه لما أمرهم بالأوامر الأربعة، بيّن لهم نتائج مخالفتها. والله تعالى أعلم.

المناسبة الخامسة: قال الطاهر: ((ثم أمرهم الله بشيء يعمّ نفعه المرء في نفسه وفي علاقته مع أصحابه، ويسهل عليهم الأمور الأربعة، التي أمروا بها آنفًا في قوله: ﴿فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ وفي قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ الآية. ألاَ وهو الصبر، فقال: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ لأنّ الصبر هو تحمّل المكروه، وما هو شديد على النفس، وتلك المأمورات كلّها تحتاج إلى تحمّل المكاره، فالصبر يجمع تحمّل الشدائد والمصاعب، ولذلك كان قوله: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ بمنزلة التذييل.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ إيماء إلى منفعة للصبرِ إلهيةٍ، وهي إعانة الله لمن صبر امتثالاً لأمره، وهذا مشاهد في تصرفات الحياة كلها)) (1).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية: ((وقوله ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ إلى آخر الآية تتميم في الوصية وعدة مؤنسة)) (2).

٢ــ قال الرازي: ((ثم قال تعالى ﴿وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ والمقصود أن كمال أمر الجهاد مبني على الصبر فأمرهم بالصبر)) (3).

٣ــ قال البقاعي: ((ثم ختم هذه الأسباب بالجامع لشملها الناظم لمقاصد أهلها فقال؛ ﴿وَٱصْبِرُوٓاْۚ﴾ أي على ما يكون من تلك المشاق فإنكم إن تكونوا تألمون فإن أعداءكم كذلك، وأنتم ترجون من الله ما لا يرجون؛ ثم علله بما يكون النصر في الحقيقة فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أي المحيط بصفات الكمال ﴿مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾)) (4).

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر مناسبة الختام، فيذكر أنه لما أمرهم بأوامر أربعة هي: الثبات، وذكر الله، والطاعة، وعدم التنازع، أخبرهم بما يعينهم على ذلك وهو الصبر، ففي تلك الأوامر مشاق

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٢).

(٢) المحرر الوجيز (٢/ ٥٣٧).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٣٨).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٢٤).

وشدائد فناسب أن يذيلها بالأمر بالصبر وبأنه مع الصابرين لأن منفعة الصبر ظاهرة في كل أمور الحياة، وهي الإعانة من رب العالمين.

وذكر ابن عطية بأنه إتمام لما أوصاهم به قبلاً من الثبات والذكر والطاعة وعدم الاختلاف، وإيناسًا لنفوسهم بأنه معهم.

وذكر الرازي أنه أمر بالصبر لأن كمال الجهاد يكون بالصبر.

وعند البقاعي أنه لما ذكر لهم أسباب النصر الأربعة، جاء بجماع ذلك كله وهو الصبر، فالصبر يجلب النصر، والنصر حقيقة لا يكون إلا من عند الله فهو مع الصابرين.

ومن خلال ما سبق بيانه تتفق المناسبات المذكورة في المعنى، فتكون المناسبة أنه لما أمرهم بالأوامر الأربعة، وبيّن لهم نتائج مخالفتها، أخبرهم بما يعينهم على التزامها وهو الصبر. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

بيان ما يحصل للمؤمن بذكره لله ﷻ من الاطمئنان والثبات والنصر عند اللقاء، فبذكره تعالى تجدد النيات، وتضمحل الشهوات، فتعظم النفوس على الدنيا، وتهون في سبيل الله، ويحصل الثبات، وتتبدد المخاوف؛ لأن الناصر وحده هو الله . وفيه دلالة على أهمية ذكر الله في الشدائد كلها، قال الألوسي : ((وذكره جل شأنه في مثل ذلك الموطن من أقوى أدلة محبته جل شأنه ، ألا ترى من أحب مخلوقًا مثله كيف يقول:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلٌ مِنّي وَبِيضُ الهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي

فَوَدِدتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لأَنهَا بَرَقَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ المُتَبَسِّمِ[1]))[2].

وتُقعّد الآيات أساسيات في الجهاد يحصل بها النصر والفلاح، وهي:

١ــ أسباب فردية معنوية وعملية: الثبات وعدم التولي، وذكر الله تعالى باللسان والقلب.

٢ــ أسباب جماعية: الطاعة لله ورسوله، ترك النزاع والاختلاف.

٣ــ الصبر في كل الأحوال، لأن جميع الأسباب الفردية والجماعية، فيها نوع من المشقة، يحتاج إلى صبر.

---

(١) ديوان عنترة بن شداد (١/ ١٧٦).

(٢) روح المعاني (٦/ ١٩).

٢٨_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاه ر في مناسبة هذه ا الآية لما قبلها: ((جملة: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ ﴾ معطوفة على ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ ﴾ (٢) عطف نهي على نهي.

ويصحّ أن تكون معطوفة على جملة ﴿ فَٱثْبُتُواْ ﴾ (٣) عطف نهي على أمر، إكمالاً لأسباب النجاح والفوز عند اللقاء، بأن يتلبسوا بما يدنيهم من النصر، وأن يتجنّبوا ما يفسد إخلاصهم في الجهاد.

وجِيء في نهيهم عن البطَر والرئاء بطريقة النهي عن التشبّه بالمشركين إدماجًا للتشنيع بالمشركين وأحوالِهم، وتَكريهًا للمسلمين تلكَ الأحوالَ، لأنّ الأحوال الذميمة تتّضح مذمتها، وتنكشف مزيد الانكشاف إذا كانت من أحوال قوم مذمومين عند آخرين، وذلك أبلغ في النهي، وأكش ف لقُبْح المنهي عنه)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما ذكّرهم سبحانه ما أوجب نصرهم آمرً ا لهم بالثبات عليه، ذكر لهم حال أعدائهم الذي أوجب قهرهم ناهياً عنه تعريضاً بحال المنازعة في الأنفال وأنها حال من يريد الدنيا، ويوشك – إن تمادت – أن تجر إلى مثل حال هؤلاء الذي محط نظرهم الدنيا فقال: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ ﴾ أي يا معشر المؤمنين ﴿كَٱلَّذِينَ ﴾ وصوّر قبح عملهم من أوله إلى آخره)) (٥).

(١) الآية (٤٧) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٤٦) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (٤٥) من سورة الأنفال.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٢ _ ٣٣).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢٢٥).

من خلال ما سبق يربط الطاه ر هذه الآية بما قبلها بأنها إكمال لما سيق سابقًا من أسباب النصر، ففي هذه الآية دعاهم إلى اجتناب ما يشوب إخلاصهم في الجهاد؛ فنهاهم عن البطر والرئاء الذي هو حال الكفار في غزوة بدر.

وذكر البقاعي أنه تعالى لما بيّن لهم أسباب النصر وأمرهم بالثبات، ساق لهم حال عدوهم في غزوة بدر مذكرًا إياهم بحالهم عند تنازعهم في الأنفال، فتلك الحال حال من شاب إخلاصه دنيا وشهوات ويكاد يشابه حال هؤلاء الكفار.

ومما سبق بيانه تتقارب المعاني السابقة، ويمكن القول بأنه لما بيّن أسباب النصر، شرع يدعو إلى الابتعاد عن كل ما يشوب الإخلاص في الجهاد، من البطر والرياء الذي هو حال الكفار يومئذ. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاه ر في مناسبة الختام: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: ((تذكير للمسلمين بصريحه، ووعيد للمشركين بالمعنى الكنائي، لأنّ إحاطة العلم بما يعملون مجاز في عدم خفاء شيء من عملهم عن علم الله تعالى، ويلزمه أنّه مجازيهم عن عملهم بما يجازي به العليمُ القدير مَن اعتدى على حُر مه)) [(١)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: ((ثم ختم هذه الآية بقوله ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ والمقصود أن الإنسان ربما أظهر من نفسه أن الحامل له والداعي إلى الفعل المخصوص طلب مرضاة الله تعالى مع أنه لا يكون الأمر كذلك في الحقيقة فبيّن تعالى كونه عالمًا بما في دواخل القلوب وذلك كالتهديد والزجر عن الرئاء والتصنع))[(٢)].

ومما سبق نقله، تتلخص مناسبة كليهما في أنه تعالى لما حذّ رهم من حال هؤلاء الكفار وما فيه من المراءاة والمفاخرة ناسب أن يختم هذه الآية بعلمه المحيط، فيخلُص عملهم، وتسلَم نياتهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

ضرورة إخلاص جميع الأعمال لله تعالى، وأن ذلك سبب من أسباب النصر، فلا خروج لسمعة، ولا لرياء، ولا لمفخرة، ولا لأي نوال دنيوي، فالله تعالى مطلع على ما في النفوس، محيط بما في القلوب، لا يخفى عليه شيء.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٤).

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٣٩).

٢٩ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١)

قال الطاه ر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((﴿ وَإِذْ زَيَّنَ ﴾ عطف على ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾ (٢) الآية. وما بينهما اعتراض، رُتّب نظمه على أسلوبه العجيب؛ ليقع هذا الظرف عقب تلك الجمل المعتَرضة، فيكون له إتمام المناسبة بحكاية خروجهم وأحوالِه، فإنّه من عجيب صنع الله فيما عرض للمشركين من الأحوال في خروجهم إلى بدر، ممّا كان فيه سبب نصر المسلمين، وليقع قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم ﴾ (٣) عَقِب أمر المسلمين بما ينبغي لهم عند اللقاء، ليجمع لهم بين الأمر بما ينبغي والتحذير ممّا لا ينبغي، وترك التشبه بمن لا يرتضَى، فيتمّ هذا ا لأسلوب البديع المحكمُ الانتظام)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أن هذا من جملة النعم التي خص أهل بدر بها)) (٥).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما كان بيّن لهم فساد أعمالهم لفساد نياتهم تنفيرً ا منها، زاد في التنفير بالإشارة إلى الأمر بدوام تذكرها بعاطف على غير معطوف عليه مذكور فقال؛ ﴿ وَإِذْ ﴾ فعلم أن التقدير قطعً ا:

(١) الآية (٤٨) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٤٤) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (٤٧) من سورة الأنفال.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٤).

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ١٣٩).

اذكروا ذلك واذكروا إذ، وزاد في التنفير بذكر ا لعدو المبين والتنبيه على أن كل ما يأمر به إنما هو خيال لا حقيقة له كما كان ما سوّل لهم في هذا الأمر)) [1].

ذكر الطاه ر أن هذه الجملة معطوفة على ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ ﴾ [2] وأن كل الآيات بعد ذلك معترضة بينهما، فإنه سبحانه ذكر سابقًا عجيب أحوال تلك الموقعة، ثم ذكر ما أمرهم به وما نهاهم عنه لينالوا النصر، ثم حذّرهم من مشابهة حال الكفار في البطر والرياء، ثم هنا أتمّ بيان حالة خروج الكفار وعجائب ما حدث فيها من قصة الشيطان، ليظهر أن كل ذلك كان بتدبيره تعالى لنصر المسلمين.

ويذكر الرازي أن هذه الآية تتمة لذكر نعم الله تعالى على المؤمنين يوم بدر.

أما البقاعي فيذكر أنه لما نفّر المؤمنين من حالة هؤلاء الكفار عند خروجهم للمعركة، أقبل هنا يزيد في تنفيرهم بذكر من كان عونًا لهؤلاء الكفار ومسولاً لهم وهو الشيطان عدو المؤمنين، وكأنّ البقاعي يشير إلى أحد مفسدات الإخلاص في الجهاد وهو الشيطان العدو المبين.

ومما سبق يربط ابن عاشور الآية بما تدور حوله السورة من التذكير بالله الناصر المعين، وهي من إضافاته.

ويربطها البقاعي بأسباب النصر التي جاءت في آيات تسبقها في السورة، فإنه لما ذكر أسباب النصر شرع يذكر أعداءه ومثبطاته، خاصة وأنه جاء في أول السورة إنعامه تعالى عن المؤمنين بصر ف الشيطان عنهم، وهو ما يبدو أوفق. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

عجيب صنع الله تعالى وقدرته المطلقة في تهيئة النصر، والتأكيد على أنه بيده أسباب النصر كلها.

وأيضًا الإشارة إلى أحد أعداء الإخلاص، وأسباب عدم النصر: وهو الشيطان بما يوسوس في صدور بني آدم من تثبيط وتخذيل.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٢٦ _ ٢٢٧).

(٢) جزء من الآية (٤٤) من سورة الأنفال.

٣٠ــ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((وإنّما تُطلب المناسبة لذكر هذا الخبر عقب الذي وَليه هو، وتلك هي أنّ كلا الخبرين يتضمّن قوّة جيش المشركين، وضعف جيش المسلمين، ويقينَ أولياء الشيطان بأنّ النصر سيكون للمشركين على المسلمين . فالخبر الأول عن طائفة أعانت المشركين بتأمينهم من عدوّ يخشونه فانحازت إليهم علنًا، وذلك يستلزم تقبيح ما أقحم المسلمون فيه أنفسهم إذ عمدوا إلى قتال قوم أقوياء . والخبر الثاني: عن طائفتين شوَّهتا صنيع المسلمين حَمَّقتَاهُم ونَسَبَتاهم إلى الغرور فأسرّوا ذلك ولم يبوحوا به، وتحدّثوا به فيما بينهم، أو أسرّوه في نفوسهم.

فنَظْم الكلام هكذا: وزيَّن الشيطان للمشركين أعمالهم حين كان المنافقون يقبحون أعمال المسلمين ويصفونهم بالغرور وقلّة التدبير من اعتقادهم في دينهم الذي أوقعهم في هذا الغرور ويجول في نفوس الذين في قلوبهم مرض مثل هذا)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((ليس فيه عطف لهذا الكلام على ما قبله، بل هو كلام مبتدأ منقطع عما قبله))(٣).

---

(١) الآية (٤٩) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٧).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٤١).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما استوفى ما كان يقطع به في حق أولئك مما هو من أنفسهم ومما هو من تزيين الشيطان، أبدل منه ما كان يقطع به في حقهم من أهل الجهل بالله وبأيامه الماضية وآثاره عند أول يائه وأعدائه)) [١].

من المنقول السابق، تعرض الطاهر لمناسبة هذه الآية ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾[٢] ووجه اتصالها بها أ ن في كلتا الآيتين إشعار بقوة جيش المشركين ، ويقينهم بأن النصر حليفهم لقلة جيش المسلمين. ففي الآية الأولى إخبار عن الحلفاء والمعاونين لقريش في العلن وبالتالي يظهر أن المسلمين أوقعوا أنفسهم في مأزق وهو قتال جيش قوي لا يقدرون على مجابهته، وفي الآية الثانية إخبار عن فئتين حليفتين في الخفاء، هما: المنافقون والذين في قلوبهم مرض، وإسرارهم في تقبيح خروج المسلمين للقتال.

وذكر الرازي أنه ابتداء كلام . أما البقاعي فيذكر أنه لما ذكر حال هؤلاء الكفار وما جزموا به من انتصارهم لا محالة وما زيّنه لهم الشيطان، ذكر طائفتين شبيهتين بحالهم هما الم نافقون والذين في قلوبهم مرض فهذين شابهوا قريشًا في جهلهم بالله تعالى وسنته في نصر أوليائه وخذلان أعدائه .

وما ذكره الطاه ر أقرب لواقع المعركة، حيث تصوّر الآيات حال هؤلاء الكفار مع حلفائهم ثم انهزامهم شرّ هزيمة رغم تحالفهم وتضافر كل القوى معهم. والله تعالى أعلم.

<u>المناسبة الثانية:</u> قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾: ((معطوفة على جملة: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾[٣] لأنّها من جملة الأخبار المسوقة ؛ لبيان عناية الله تعالى بالمسلمين، وللامتنان عليهم ، فالمناسبة بينها وبين الجملة التي قبلها : أنها كالعلّة لخيبة ظنون المشركين ونصرائهم، أي أنّ الله خيّب ظنونهم لأنّ المسلمين توكّلوا عليه وهو عزيز لا يغلب، فمن تمسك بالاعتماد عليه نصره، وهو حكيم يكوّن أسباب النصر من حيث يجهلها البشر)) [٤].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية: ((وقد يحتمل أن يكون منافقو المدينة لما وصلهم خروج قريش في قوة عظيمة قالوا عن المسلمين هذه المقالة، فأخبر الله بها نبيه في هذه الآية ، ثم أخبر الله ﷻ أن من توكل على الله واستند إليه

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٢٨).

(٢) جزء من الآية (٤٨) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (٤٨) من سورة الأنفال.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٨).

فإن عزة الله تعالى وحكمته كفيلة بنصره ، وشد أعضاده، وخرجت العبارة عن هذا المعنى بأوجز لفظ وأبلغه)) (1).

٢ـ قال أبو حيان : ((هذا يتضمن الردّ على من قال ﴿ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ ﴾ فكأنه قيل: هؤلاء في لقاء عدوّهم هم متوكلون على الله، فهم الغالبون، ومن يتوكل على الله ينصره، ويعزّه فإن الله عزيز لا يغالب بقوة ولا بكثرة ، حكيم يضع الأشياء مواضعها أو حاكم بنصره من يتوكل عليه ، فيديل القليل على الكثير)) (2).

٣ـ قال الألوسي: ((﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ جواب لهم ورد لمقالتهم ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ﴾ غالب لا يذل من توكل عليه ولا يخذل من استجار به وإن قلّ ﴿ حَكِيمٞ ﴾ يفعل بحكمته البالغة ما تستبعده العقول وتحار في فهمه ألباب الفحول)) (3).

من خلال ما سبق نقله، يذكر الطاهر مناسبة هذه الجملة لما قبلها، فهو لما بيّن تزيين وإغراء الشيطان للمشركين، ومقولة المنافقين المستهزئة، جاء على ذكر التوكل لبيان عنايته بالمسلمين، وتخييب ظن المشركين وأعوانهم.

واتفق معنى ما ذكره ابن عطية مع ما ذكره الطاهر، ولم تختلف المناسبات التي ذكرها المفسرون إلا قليلاً، فذكروا أنها جواب لمقولة المنافقين، ولم يصرحوا بذكر المناسبة، أما الطاهر فقد تفرد بذكر المناسبة والنص عليها صراحة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

الإشارة إلى أعداء الأمة الإسلامية في الخفاء، وهما : المنافقون والذين في قلوبهم مرض . ولو تحالفت قوى الشرّ جميعها فإن الله ناصر عباده وأوليائه فليتوكلوا عليه حق التوكل.

---

(1) المحرر الوجيز (٢/ ٥٣٩).

(2) البحر المحيط (٤/ ٥٠١).

(3) روح المعاني (٦/ ٢٢).

٣١_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((لمّا وُفِّيَ وصفُ حال المشركين حقَّه، وفصّلت أحوال هزيمتهم ببدر، وكيف أمكن الله منهم المسلمين، على ضُعف هؤلاء وقوة أولئك، بم ا شاهده كلّ حاضر حتّى ليوقن السامع أنّ ما نال المشركين يومئذ إنّما هو خذلان من الله إيّاهم، وإيذان بأنّهم لاقون هلاكهم ما داموا مناوئين لله ورسوله، انتُقِل إلى وصف ما لقيه من العذاب مَنْ قُتل منهم يوم بدر، ممّا هو مغيب عن الناس، ليعلم المؤمنون ويرتدع الكافرون، والمراد بالذين كفروا هنا الذين قتلوا يوم بدر، وتكون هذه الآية من تمام الخبر عن قوم بدر.

ويجوز أن يكون المراد بالذين كفروا جميع الكافرين حملاً للموصول على معنى العموم فتكون الآية اعتراضًا مستطردًا في خلال القصّة بمناسبة وَصف ما لقيه المشركون في ذلك اليوم، الذي عجّل لهم فيه عذاب الموت)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال هؤلاء الكفار، شرح أحوال موقم والعذاب الذي يصل إليهم في ذلك الوقت)) (٣).

٢_ قال البقاعي: ((ولما ذكر ما سرّهم من حال أعدائهم المجاهر ين والمساترين في الدنيا مرصعً ا ذلك بجواهر الحكم وبدائع الكلم التي بملازمتها تكون السعادة وبالإخلال بها تحل الشقاوة، أتبعه ما يسرّ هم من حال أعدائهم عند الموت وبعده)) (٤).

من خلال السابق يذكر الطاه ر مناسبة هذه الآية لما قبلها، فإنه تعالى لما استوفى وصف أ حوال الكافرين، وخذلانهم يوم بدر، انتقل إلى ذكر أحوالهم بعد موقم والعذاب الذي ي لاقونه. وهذه من تفرداته.

وذكر الطاهر في قوله الثاني أنها اعتراض مستطرد خلال القصة بمناسبة وصف المشركين.

---

(١) الآية (٥٠) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٩).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٤٢).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٢٨).

والقول الأول أنسب للسياق دون الثاني، ووافقه الرازي والبقاعي في قوله الثاني بعبارهما. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان لجزاء الكافرين في الآخرة بعد بيانه لجزائهم في الدنيا، وفيه الكشف عن أمور غيبية ، تزيد من يقين المؤمنين، ونكاية في المشركين.

٣٢ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف بياني. والإشارة إلى مضمون قوله : ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (٢) أي ذلك المذكور بسبب أنّ الله لم يك مغيّرًا إلخ أي ذلك الأخذ بسبب أعمالهم التي تسببوا بها في زوال نعمتهم)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال البقاعي: ((ولما كان كأنه قيل : فما له يمهلهم ولا يعالجهم بالأخذ قبل النكاية في أوليائه وأهل وده وأصفيائه؟ قال : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي الأخذ على هذه الحالة ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي بسبب أنهم غيروا ما في أنفسهم، وقد كان له سبحانه أن يأخذهم قبل أن يغيروا لعلمه بما في ضمائرهم، ولكنه تعالى أجرى سنته الإلهية لتمام علمه وكمال قدرته وإحاطته بجميع صفات الكمال...)) (٤).

٢ـ قال الألوسي: ((﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى ما يفيده النظم الكريم من كون ما حلّ بهم من العذاب منوطًا بأعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه)) (٥).

من خلال السابق يظهر توافق معنى ما ذهب إليه المفسرون في مناسبة هذه الآية لما قبلها، فقد ذكر الطاهر أن الآية مستأنفة لبيان سنة إلهية، فقد جرت سنته سبحانه أنه لا يغير على قوم نعمة ومنحة حتى يغيروا ما في أنفسهم وما يكسبوه بأعمالهم التي توجب أخذهم.

وحملت مقالات البقية المعنى نفسه، فتكون المناسبة أنه لما ذكر قوم فرعون وما كانوا فيه من نعم غيّرها الله بالنقم، بيّن هنا سبب ذلك وهو أنه تعالى أنعم عليهم فقابلوا ذلك الإنعام بالكفر والفسق، فغيّر الله حالهم لما غيروا ما بأنفسهم . وهذا إنذار لقوم قريش الذين قابلوا نعمة وجود محمد ﷺ بينهم بالكفر. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

---

(١) الآية (٥٣) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٥٢) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٤٤).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٣١).

(٥) روح المعاني (٦/ ٢٦).

تقرير سنة إلهية مهمة، وقاعدة ربانية جارية، أن التغيير إما سبب للنجاة وإما سبيل للهلاك . وأنه تعالى لا يأخذ بشديد العقاب حتى يظهر من الإنسان ما يدعو لذلك.

٣٣ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ (١)

قال الطاهر: ((تكرير لقوله: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ (٢) المذكور قبله لقصد التأكيد والتسميع، تقرير للإنذار والتهديد، وخولف بين الجملتين تفنّنًا في الأسلوب، وزيادة للفائدة، بذكر التكذيب هنا بعد ذكر الكفر هناك، وهما سببان للأخذ والإهلاك كما قدّمناه آنفًا.

وذكر وصف الربوبية هنا دون الاسم العلم لزيادة تفظيع تكذيبهم، لأنّ الاجتراء على الله مع ملاحظة كونه ربًّا للمجترىء، يزيد جرَاءته قبحًا لإشعاره بأنّها جراءة في موضع الشكر، لأنّ ا لربّ يستحقّ الشكر. وعبّربالإهلاك عوض الأخذ المتقدّم ذكره ليفسّر الأخذ بأنّه آل إلى الإهلاك، وزيد الإهلاك بيانًا بالنسبة إلى آل فرعون بأنّه إهلاك الغرق)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية: ((وهذا التكرير هو لمعنى ليس للأول إذ الأول د أب في أن هلكوا لما كفروا وهذا الثاني دأب في أن لم تغير نعمتهم حتى غيروا ما بأنفسهم)) (٤).

٢ــ قال الرازي: ((أنه تعالى ذكر مرة أخرى قوله تعالى ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ ذكروا فيه وجوهً ا كثيرة: الأول: أن الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الأول ، لأن الكلام الأول فيه ذك ر أخذهم، وفي الثاني ذكر إغراقهم وذلك تفصيل.

والثاني: أنه أريد بالأول ما نزل بهم من العقوبة في حال الموت ، وبالثاني ما يترل بهم في القبر في الآخرة.

الثالث: أن الكلام الأول هو قوله ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ والكلام الثاني هو قوله ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ فالأول إشارة إلى أهم أنكروا الدلائل الإلهية ، والثاني إشارة إلى أنه سبحانه رباهم وأنعم عليهم بالوجوه الكثيرة، فأنكروا دلائل التربية والإحسان مع كثرها وتواليها عليهم ، فكان الأثر اللازم من الأول

(١) الآية (٥٤) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٥٢) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٤٦).

(٤) المحرر الوجيز (٢/ ٥٤١).

هو الأخذ والأثر اللازم من الثاني هو الإهلاك والإغراق، وذلك يدل على أن لكفران النعمة أثرًا عظيمًا في حصول الهلاك والبوار)) [١]. وذكر أبو حيان كلامًا شبيهًا فلينظر[٢].

٣ــ قال البقاعي: ((ثم كرر قوله: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾... لدقيقة، وهي أنه قد تقدم أنه ما من أمة إلا ابتليت بالضراء والسراء، فالأولى ينظر إليها مقام الإلهية الناظر إلى العظمة والكبرياء والقهر والانتقام، والثانية ثمرة مقام الربوبية الناشيء عنه التودد والرحمة والرأفه والإكرام، لذا عبّر في الأولى باسم الذات الجامع لجميع الصفات الذي لفظه – عند من يقول باشتقاقه – موضوع لمعنى الإلهية إشارة إلى أنهم أعرضوا في حال الضراء عن التصديق وعاملوا بالتجلد والإصرار، ولذا عبّر في هذه الثانية باسم الرب فقال: ﴿كَذَّبُواْ ﴾ أي عنادًا زيادة على تغطية ما دلّ عليه العقل بالتكذيب بالنقل ﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ فأشار بذلك إلى بطرهم بالنعم وتكذيبهم أنها بسبب دعاء الرسل.

ولما أشار بالتعبير به إلى أنه غرّهم معاملته بالعطف والإحسان، قال: ﴿ فَأَهْلَكْنَـٰهُم ﴾ أي جميعًا ﴿فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ فأتى بنون العظمة إشارة إلى أنه أتاهم بما أنساهم ذلك البر ﴿ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ وإشارة إلى أنهم نسوا أن الرب كما أنه يتصف بالرحمة فلا بد أن يتصف بالعظمة والنقمة وإلا لم تتم ربوبيته)) [٣].

٤ــ قال الألوسي: ((استئناف آخر على ما ذكره بعض المحققين مسوق لتقرير ما سيق له الاستئناف الأول بتشبيه دأبهم بدأب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب في الجانبين عبارة عما يلازم معناه الأول من تغيير الحال وتغيير النعمة أخذًا مما نطق به قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا ﴾ الخ أي دأب هؤلاء وشأنهم الذي هو عبارة عن التغييرين المذكورين كدأب أولئك حيث غيروا حالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم فقوله سبحانه: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ تفسير لدأبهم الذي فعلوه من تغييرهم لحالهم، وأشير بلفظ الرب إلى أن ذلك التغيير كان بكفران نعمه تعالى لما فيه من الدلالة على أنه مربيهم المنعم عليهم وقوله سبحانه: ﴿ فَأَهْلَكْنَـٰهُم ﴾ تفسير لدأبهم الذي فعل بهم من تغييره تعالى ما بهم من نعمته جل شأنه.

---

(١) التفسير الكبير (١٥/ ١٤٥).

(٢) البحر المحيط (٤/ ٥٠٣).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٣١ ــ ٢٣٢).

وفي الإهلاك رمز إلى التغيير ولذا عبِّر به دون الأخذ المعبر به أولاً وليس الأخذ مثله في ذلك ألا ترى أنه كثيرًا ما يطلق الإهلاك على إخراج الشيء عن نظامه الذي هو عليه و لم نر إطلاق الأخذ على ذلك ، وقيل: إنما عبر أولاً بالأخذ وهنا بالإهلاك لأن جنايتهم هنا الكفران وهو يقتضي أعظم النكال)) (1).

من خلال المنقول السابق من مناسبات، نجد الطاهر يذكر مناسبةَ تكرير الآية بنظم مختلف عن أختها، فذكر أن سبب هذا التكرير هو التأكيد، والإسماع لمن لم يعي بعد، والت قرير والتهديد بأن الكفر والتكذيب سببان للأخذ والهلاك.

وفي مقارنة بين نظم هذه الآية والتي تكررت عنها قبلاً، يذكر الطاهر أنه عبّر هنا بالربوبية على عكس الأولى بالاسم العلم؛ لزيادة فظاعة تكذيبهم، و اجترائهم على مربيهم بنعمه الذي يستحق الشكر، فكفروا نعمته بدل أن يشكروها.

وفي تعبيره بالهلاك في هذه وفي الأولى بالأخذ؛ ذكر الطاه ر أنه لإيضاح مآل ذلك الأخذ وهو الإهلاك، ثم بيّن أن ذلك الإهلاك في حق آل فرعون هو الإغراق.

وذكر ابن عطية أن فائدة التكرير معنى غير المعنى الأول، فالأول حال مَن أُهلكوا لكفرهم، والثاني حال مَن لم تُغيّر نعمتهم حتى غيرّوا ما بأنفسهم.

وذكر الرازي عدة وجوه للتكرير، أولها : أن الآية الثانية جاءت بتفصيل الأخذ الذي جاء في الآية الأولى وهو الإغراق. وفي هذه اتفق معه الطاهر.

ثانيها: أن الآية الأولى بيان لعقوبتهم حال الموت، والثانية حال القبر في الآخرة.

ثالثها: أنه في الأولى ذكر الأولوهية فأنكروا دلائلها، وفي الثانية ذكر الربوبية فأنكروا نعمه وإحسانه وتوالي خيراته. فأخذهم في الأولى لمناسبته، وأهلكهم وأغرقهم في الثانية. وأيضًا وافقه الطاهر في هذه.

ويربطها البقاعي بأن في الآية الأولى مقام الإلهية وهو مقام العظمة والقهر والانتقام، وفي الثانية مقام الربوبية وهو مقام الإنعام والإحسان والرحمة، لذا في الأولى جاء بلفظ الجلالة (الله) الجامع لجميع الصفات مشيرًا بذلك لإعراضهم وعدم تصديقهم بالآيات، وفي الثانية عبّر باسم الرب لما كذبوا بما جاء به الرسل وعاندوا وبطروا بالنعم. وكلامه قريب جدًا من معنى كلام ابن عاشور والرازي.

وجعلها الألوسي استئنافًا مسوقًا لتقرير الاستئناف في الآية الأولى بتشبيه حال الكفار بحال آل فرعون، فلما غيروا حالهم بالتكذيب غيّر الله نعمته عليهم، والتعبير بلفظ الرب دلالة على كفرانهم لتلك النعم،

---

(1) التحرير والتنوير (٦/ ٢٧ ــ ٢٨).

فالرب هو الذي يربي عباده بنعمه . وتعبيره بالإهلاك هنا لأن فعلهم وهو كفر النعمة يستحق أشد العذاب.

ومما سبق لا تختلف المناسبات المذكورة إلا في يسير العبارات، وتكون المناس بة أنه كرر هنا هذه الآية للتأكيد والتقرير على أن الكفر والتكذيب من أسباب الأخذ والهلاك، وأنه عبّر هنا بالربوبية لأنه في سياق نكران النعمة للرب المربي المنعم وناسبه أن يكون عقابه هو الإهلاك، وعبّر في الأولى بالألوهية لأنه في مقام ذكر كفرهم وناسبه أن يكون عقابه هو الأخذ. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن الله تعالى هو مربي عباده بالنعم والإحسان، ووجوب شكر الله تعالى على هذه النعم، وأن جحدها وكفرها يستوجب الهلاك والعذاب الشديد من الله تعالى.

٣٤ــ المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٥ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((استئناف ابتدائي انتقل به من الكلام على عموم المشركين إلى ذكر كفّار آخرين هم الذين بينّهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ﴾ الآية.

وهؤلاء عاهدوا النبي ﷺ وهم على كفرهم، ثم نقضوا عهدهم، وهم مستمرّون على الكفر، وإنّما وصَفَهم بـــ ﴿شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ لأنّ دعوة الإسلام أظهر من دعوة الأديان السابقة، ومعجزةَ الرسول ﷺ أسطع، ولأنّ الدلالة على أحَقّية الإسلام دلالة عقلية بيّنة، فمَن يجحده فهو أشبَه بما لا عقلَ له ، وقد اندرج الفريقان من الكفّار في جنس ﴿شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما وصف كل الكفار بقوله ﴿وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ (٣) أفرد بعضهم بمزية في الشر والعناد فقال ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي في حكمه وعلمه من حصلت له صفتا ن، الصفة الأولى: الكافر الذي يكون مستمرً ا على كفره مصرً ا عليه لا يتغير عنه البتة . الصفة الثانية: أن يكون ناقضاً للعهد على الدوام)) (٤).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما أخبر سبحانه بهلاكهم، أخبر بالوصف الجامع لهم بالهلاك فقال : ﴿وَكُلّٞ﴾ أي من هؤلاء ومن تقدمهم من آل فرعون ومن قبلهم ﴿كَانُواْ﴾ أي جبلة وطبعاً ﴿ظَٰلِمِينَ﴾ أي لأنفسهم

(١) الآيتان (٥٥ــ ٥٦) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٤٦ ــ ٤٧).

(٣) جزء من الآية (٥٤) من سورة الأنفال.

(٤) التفسير الكبير (١٥/ ١٤٥ ــ ١٤٦).

وغيرهم واضعين الآيات في غير مواضعها وهم يظنون بأنفسهم العدل؛ ثم علل اتصافهم بالظلم أو استأنف بياناً له بقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾)) [1].

٣ــ قال الألوسي: ((وهذا شروع في بيان أحوال سائر الكفرة بعد بيان أحوال المهلكين منهم)) [2].

ومما سبق يذكر الطاه ر مناسبة هذه الآيات لما قبلها، فالكلام هنا مستأنف للابتداء، انتقل به من الحديث عن عموم الكافرين إلى طائفة منهم معينة وهم الكفار الذين نقضوا العهد (بنو قريظة[3])[4].

وذكر أنه وصفهم بشر الدواب لانتفاء العقل عنهم لج حودهم رغم جميع الدلائل العقلية على أحقية الإسلام، بالتالي اندرج فريقا الكفار في وصف شر الدواب.

ويذكر الرازي مناسبة بديعة، فإنه تعالى لما ختم الآية السابقة بوصف جميع الكفار بالظلم، أت بع ذلك بأن وصف طائفة منهم بشر الدواب في هذه، لأنهم بعد كل الآيات والدلا ئل فهم مستمرون على كفرهم معاندون، ناكثون لعهودهم دائمين.

وذكر البقاعي أنه لما وصفهم في الآية السابقة بالظلم علل اتصافهم به أنهم شر الدواب، أو أنه استأنف مبينًا صفة أخرى وهي أنهم شر الدواب.

أما الألوسي فذكر أنه لما بيّن حال المهلكين من الكافرين، شر ع هنا في بيان حال سائر الكفار.

ومن خلال ما سبق، جعلها الطاهر مستأنفة للابتداء، واتفق الرازي والبقاعي في قوله الثاني أنها تتمة لما ذُكر من أوصاف فيما سبق، وتعليل لوصفهم بالظلم، وذكر البقاعي أيضًا أنها مستأنفة بيانيًا.

وجميع ما ذُكر من مناسبات متلائم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٣٢).

(٢) روح المعاني (٦/ ٢٩ــ ٣٠).

(٣) من قبائل اليهود التي سكنت المدينة، وقد خانوا العهد مع المسلمين لما تحالفوا مع الأحزاب في غزوة الخندق . انظر: السيرة النبوية، ابن هشام (٢٥٧/٣).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٥٤٢)، التفسير الكبير (١٥/ ١٤٦)، البحر المحيط (٤/ ٥٠٣ ــ ٥٠٤)، روح المعاني (٦/ ٣٠)، التحرير والتنوير (١٠/ ٤٧ــ ٤٨).

تكرار ذمّ المشركين ومن شاكلهم خلال السورة تنبيهًا لقبح حالهم وسوء مآلهم، وأن من صفاهم الدائمة عنادهم وإصرارهم على الكفر ونقضهم للعهد، لتحذر الأمة الإسلامية من أن تأمنهم.

٣٥ــ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((عطف حكم عام لمعاملة جميع الأقوام الخائنين بعد الحكم الخاصّ بقوم معينين الذين تلوح منهم بوارق الغدر والخيانة، بحيث يبدو من أعمالهم ما فيه مخيلة بعدم وفائهم، فأمَره الله أن يردّ إليهم عهدهم، إذ لا فائدة فيه وإذ هم ينتفعون من مسالمة المؤمنين لهم، ولا ينتفع المؤمنون من مسالمتهم عند الحاجة)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية: ((والذي يظهر من ألفاظ القرآن أن أمر بني قريظة قد انقضى عند قوله ﴿ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ (٣) ثم ابتدأ تبارك وتعالى في هذه الآية بأمره بما يصنعه في المستقبل مع من يخاف منه خيانة إلى سالف الدهر)) (٤).

(١) الآية (٥٨) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٥١).

(٣) جزء من الآية (٥٧) من سورة الأنفال.

(٤) المحرر الوجيز (٢/ ٥٤٣).

٢ــ قال أبو حيان: ((الظاهر أنّ هذا استئناف كلام أخبره الله تعالى بما يصنع في المستقبل مع من يخاف منه خيانة إلى سالف الدهر)) [(١)].

٣ــ قال البقاعي: ((ولما أمره بما يفعل بمن تحقق نقضه، أرشده إلى ما يفعل بمن خاف غدره)) [(٢)].

٤ــ قال الألوسي: ((بيان لأحكام المشرفين إلى نقض العهد إثر بيان أحكام الناقضين له بالفعل)) [(٣)].

من خلال ما نُقل سابقًا، اتفقت معاني أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية على اختلاف ألفاظهم.

فالمناسبة هي أنه لما ذكر ما كان من بني قريظة ونقضهم للعهد، والحكم الذي نزل فيهم جراء فعلتهم، عطف عليه هنا أحكامًا عامة يُعمل بها مع جميع الخائنين إذا لاحت بادرة خيانة للمسلمين . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

تحذير الأمة من الأقوام المتوقع خيانتها ونبذها للعهود، وبيان الأحكام الإلهية في التعامل مع هكذا موقف.

وبيان إحاطة الإسلام الشاملة بكل أمور الأمة، ومنها وضعه قواعد للحرب كفيلة بحفاظ مصالح الأمة الإسلامية، ورعاية لها من أن تُؤخذ على حين غرة.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾: ((تذييل لما اقتضته جملة ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ إلخ تصريحًا واستلزامًا. والمعنى: لأنّ الله لا يحبّهم، لأنّهم متّصفون بالخيانة فلا تستمرَّ على عهدهم فتكون معاهدًا لمن لا يحبّهم الله؛ ولأنّ الله لا يحبّ أن تكون أنت من الخائنين كما قال تعالى ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾[(٤)] في سورة

---

(١) البحر المحيط (٤/ ٥٠٤).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٢٣٥).

(٣) روح المعاني (٦/ ٣١).

(٤) الآية (١٠٧) من سورة النساء.

النساء. وذكر القرطبي عن النحّاس[1] أنّه قال: هذا من معجز ما جاء في القرآن مما لا يوجد في الكلام مثله على اختصاره وكثرة معانيه [2].

قلت: وموقع (إنّ) فيه موقع التعليل للأمر برد عهدهم ونبذه إليهم فهي مغنية غناء فاء التفريع كما قال عبد القاهر، وتقدّم في غير موضع وهذا من نكت الإعجاز)) [3].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال أبو حيان: ((وظاهر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أن يكون تعليلاً لقوله ﴿فَٱنۢبِذۡ﴾ أي: فانبذ إليهم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ على تبعد من الخيانة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ ويحتمل أن يكون طعنًا على الخائنين الذين عاهدهم الرسول)) [4].

٢ـ قال الألوسي: ((تعليل للأمر بالنبذ باعتبار استلزامه للنهي عن المناجزة التي هي خيانة فيكون تحذيرً ا للنبي ﷺ منها.

وجوز أن يكون تعليلاً لذلك باعتبار استتباعه للقتال بالآخرة فتكون حثاًله ﷺ على النبذ أولاً وعلى قتالهم ثانياً، كأنه قيل: وإما تعلمن من قوم خيانة فانبذ إليهم ثم قاتلهم إن الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت حالهم، والأول هو المتبادر، وعلى كلا التقديرين المراد من نفي الحب إثبات البغض إذ لا واسطة بين الحب والبغض بالنسبة إليه تعالى)) [5].

يذكر الطاهر من خلال المنقول سابقًا مناسبة هذا التذييل للآية، فبعد أن بيّن تعالى أحكام مَن يُخشى خيانته، عقّب بنفيه حب الخائنين، وجاء ذاك التعقيب صريحًا لأن الله لا يحب أن يكون الرسول ﷺ معاهدًا لمن لا يحبه م الله لخيانتهم عهدهم، فيستلزم ذلك أن يُنهي الرسول ﷺ العهد معهم، ولكي لا يكون من الخائنين أيضًا.

---

(١) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس النحوي المصري أبو جعفر ، كان من الفضلاء، له تصانيف مفيدة منها : تفسير القرآن الكريم، وكتاب إعراب القرآن، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب في النحو، (ت ٣٣٨هـ). انظر: الوافي بالوفيات (٧/ ٢٣٧)، طبقات المفسرين، الداودي (١/ ٧٢).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (٨/ ٢٢).

(٣) التحرير والتنوير (١٠ / ٥٣).

(٤) البحر المحيط (٤/ ٥٠٥).

(٥) روح المعاني (٦/ ٣١).

ويذكر أبو حيان أن مناسبة الختم إما التعليل لردّ النبي ﷺ عليهم عهودهم لأنهم خائنون، وإما للطعن والذم في هؤلاء الخائنين . وذهب الألوسي لما ذكره أبو حيان بعبارته . والمراسبات التي ذكروها جميعًا متقاربة المعنى. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان كرهه تعالى للخائنين في جميع الأمور، والتحذير من أن يكون المسلم منهم.

٣٦_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ (١)

قال الطاه ر في مناسبة ه ذه الآية لما قبلها : ((تسلية النبي ﷺ على ما بدأه به أعداؤه من الخيانة مثل ما فعلت قريظة، وما فعل عبد الله بن أبي سلول (١) وغيرهم من فلول المشركين الذين نجوا يوم بدر، وطمأنة

(١) الآية (٥٩) من سورة الأنفال.

له وللمسلمين بأنّهم سيدالون منهم، ويأتون على بقيتهم، وتهديد للعدوّ بأنّ الله سيمكّن م نهم المسلمين)) [٢].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بيّن ما يفعل الرسول في حق من يجده في الحرب ويتمكن منه وذكر أيضاً ما يجب أن يفعله فيمن ظهر منه نقض العهد ، بيّن أيضاً حال من فاته في يوم بدر وغيره ، لئلا يبقى حسرة في قلبه، فقد كان فيهم من بلغ في أذية الرسول عليه الصلاة والسلام مبلغًا عظيمًا)) [٣].

٢ـ قال البقاعي : ((ولما كان نبذ العهد مظنة الخوف من تكثير العدو وإيقاظه، وكان الإيقاع أولى بالخوف، أتبع سبحانه ذلك ما يجري عليه ويسلي عن فوت من هرب من الكفار في غزوة بدر فلم ي قتل و لم يؤسر)) [٤].

من خلال السابق تتفق معاني المناسبات التي ذكرها المفسرون في هذه الآية على اختلاف ألفاظهم ، فيذكر الطاه ر أن مناسبة هذه الآية لما قبلها هو التسرية عن قلب النبي ﷺ وتسلية فؤاده، وطمأنة له وللمؤمنين من بعده، وتهديد للكافرين وأعوانهم، فهو لم ا ذكر خيانتهم وما فعلوه من فظاعات، بيّن أنهم لن يفروا وينجوا بفعلتهم، فمن من نجا منهم يوم بدر فلا يظنن أنه غير مدرك هالك.

وقد وافق الطاهرُ الرازي، حيث ذكر الأخير أنه تعالى لما فصّل لرسوله ﷺ ما يفعله بالذين يحاربونه فيتمكن منهم ثم فيمن ينقضون العهد، جاء في هذه بذكر من لم يتمكن منهم المسلمون بأنهم مدركون لا يفوتون رب العزة والجلالة، وكل ذلك حتى لا يحزن رسوله ﷺ وتبقى حسرة في قلبه لفواتهم، لما ناله منهم من أذى وسوء. وذكر مثلهما البقاعيُّ بعبارة موجزة.

وتكون المناسبة جلية وهي ما ذهب إليه الطاهر ومن اتفق معهم في المعنى. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان لرحمة الله تعالى برسوله ﷺ وتسليته له ولعباده المؤمنين، ورفعته لشأنهم بأنه مدرك عدوهم ومتمكن منهم لا مفرّ، فلا يحزنون ولا يضيقون.

وتهديد للكافرين والخائنين على مرّ العصور، وإعلام لهم بعجزهم وانعدام حيلتهم في النجاة والفرار.

---

(١) عبد الله بن أبي ابن سلول، من بني عوف بن الخزرج، وكان رأس المنافقين، وإليه يجتمعون، قال ابن إسحاق: وكان ممن تعوذ بالإسلام، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره، وهو منافق من أحبار يهود. انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ١٤٠).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٥٣).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٤٧).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٣٥).

٣٧_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾(١)

المناسبة الأولى: قال الطاه ر: ((عطف جملة: ﴿ وَأَعِدُّواْ ﴾ على جملة: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ ﴾(١) أو على جملة: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ۚ ﴾(٢)، فتفيد مفاد الاحتراس(٣) عن مُفادها، لأنّ قوله: ﴿ وَلَا

(١) الآية (٦٠) من سورة الأنفال.

﴿ يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ ﴾ يُفيد توهينًا لشأن المشركين، فتعقيبه بالأمر بالاستعداد لهم : لئلا يحسب المسلمون أنّ المشركين قد صاروا في مكنتهم، ويلزم من ذلك الاحتِراس أنّ الاستعداد لهم هو سبب جعْل اللَّهِ إيّاهم لا يُعجزون اللَّهَ ورسوله، لأنّ الله هيّأ أسباب استئصالهم ظاهرها وباطنها)) [(٤)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما أوجب على رسوله أن يشرّد من صدر منه نقض العهد ، وأن ينبذ العهد إلى من خاف منه النقض، أمره في هذه الآية بالإعداد لهؤلاء الكفار)) [(٥)].

٢ــ قال أبو حيان : ((لما اتفق في قصة بدر أن قصدوا الكفار بلا تكميل آلة ، ولا عدة، وأمره تعالى بالتشريد، وبنبذ العهد للناقضين. كان ذلك سبباً للأخذ في قتاله ، والتمالؤ عليه، فأمره تعالى للمؤمنين بإعداد ما قدروا عليه من القوة للجهاد)) [(٦)]. وذكر الرازي أيضًا هذا القول[(٧)].

٣ــ قال البقاعي: ((ولما كان هذا ربما أدى إلى ترك المناصبة والمحاربة والمغالبة اعتماداً على الوعد الصادق المؤيد بما وقع لهم في بدر من عظيم النصر مع نقص دعوى العِدة والعُدة، أتبعه ما يبين أن اللازم ربط الأسباب بمسبباتها، وليتبين الصادق في دعوى الإيمان من غيره)) [(٨)].

من خلال السابق يتعرض المفسرون لمناسبة هذه الآية لما قبلها، فيذكر ابن عاشور أنها معطوفة إما على ﴿ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ ﴾ [(٩)] أو على ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ ﴾ [(١٠)]، وبذلك تفيد الاحتراس، فلما هوّن من شأن الكافرين وقلّل، أتبعه بأن أمر المؤمنين بالاستعداد لهم بكل ما عندهم، منبهًا إياهم على الأخذ بالأسباب ظاهرًا وباطنًا، فالاستعداد هو سبب جعل الله إياهم لا يعجزون .

---

(١) جزء من الآية (٥٧) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٥٩) من سورة الأنفال.

(٣)الاحتراس هو: أن يأتي في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه أي يؤتى بشيء يدفع ذلك الإيهام. انظر: التعريفات (١/ ٢٥).

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٥٤ ــ ٥٥).

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ١٤٨).

(٦) البحر المحيط (٤/ ٥٠٦ــ ٥٠٧).

(٧) التفسير الكبير (١٥/ ١٤٨).

(٨) نظم الدرر (٣/ ٢٣٥).

(٩) جزء من الآية (٥٧) من سورة الأنفال.

(١٠) جزء من الآية (٥٩) من سورة الأنفال.

وذكر الرازي أنه تعالى لما بيّن أحكام مَن نقضوا العهد ومِن ثم مَن خيف نقضهم ل ه، جاء في هذه بالأمر بالاعداد لهم.

أما أبو حيان فذكر أنهم لما خرجوا في غزوة بدر بدون عدة، ثم أمره بطرد الناقضين للعهد، كان ذلك مدعاة للكفار أن يقاتلوه ويتآلبوا عليه، فجاء في الآية بالأمر بالاستعداد لهم.

و لم يختلف معنى ما ذكره البقاعي عن معنى ما ذكر ه الطاهر ، فيذكر أنه تعالى لما وعدهم بالتمكن من الكافرين، ربما أدى هذا إلى اعتماد المؤمنين على الوعد وتركهم للمحاربة والمغالبة، خاصة ما وقع لهم يوم بدر من النصر على قلة عدتهم وعتادهم، فجاء في هذه بالأمر بالإعداد بكل ما يستطيعون، متخذين بذلك جميع أسباب النصر.

وقد اتفقت أقوالهم على معنيين قريبين، الأول ما ذهب إليه الطاهر ووافق في ذلك قول الرازي والبقاعي، والثاني ما ذهب إليه أبو حيان، وتكون مناسبة الفريق الأول أقرب لتعلقها المباشر بالآية السابقة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

الحث على الأخد بالأسباب، وعدم الاتكاء على الوعد، لأن هذا الوعد الرباني لن يتحقق بدون عمل بالأسباب.

وفيه تنبيه على ضرورة اتخاذ كافة الأسباب المعنوية والمادية في الجهاد، وعدم اقصاء أي جهد متوفر في الاستعداد.

المناسبة الثانية: قال الطاهر: ((وإذ قد كان إعداد القوَّةِ يستدعي إنفاقًا، وكانت النفوس شحيحة بالمال، تكفّل الله للمنفقين في سبيله بإخلاف ما أنفقوه والإثابة عليه، فقال: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ فسبيل الله هو الجهاد لإعلاء كلمته))[1].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال أبو حيان: ((ثم حضّ تعالى على النفقة في سبيل الله من جهاد وغيره))[1].

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٥٧).

٢ـ قال البقاعي: ((ولما كان أغلب معاني هذه الآية الإنفاق، لأن مبنى إعداد القوة عليه، رغب فيه بقوله: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ ﴾ أي من الأشياء وإن قلّ ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي طريق من له صفات الكمال من الجهاد وغيره ﴿ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ ﴾ أي أجره كاملاً في الدنيا والآخرة أوفى ما يكون مضاعفًا أحوج ما تكونون إليه)) (٢).

من خلال ما سبق نقله يتحد معنى ما ذهب إليه المفسرون، ويظهر أن عبارة الطاهر والبقاعي أنسب كونها في تحديد المناسبة. أما عبارة أبي حيان فليست تذكر المناسبة صراحة، ولكنها في المعنى نفسه.

وتكون المناسبة أنه لما أمر بالإعداد، كان ذلك يتطلب نفقة وأموالاً، لذا حثّ على الإنفاق وبيّن أنه يخلفه ويوفيه لمن أنفقه في سبيل الله . لذا رجح ابن عاشور أن معنى (سبيل الله) هو الجهاد. وذكر البقية أنه يدخل فيه الجهاد وغيره، وهذا القول أولى. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

الحث على الإنفاق في سبيل الله، وأن الجهاد جهاد النفس والمال، فكان من أعظم الإنفاق الإعداد لإعلاء كلمة الله، ولا يقتصر ذلك على إعداد الجيوش فقط، بل يدخل فيه كل عمل إسلامي ومشروع يُقصد به وجه الله ونشر دينه، فالله تعالى يوفّي للمنفقين ما أنفقوه.

٣٨ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾(٣)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((انتقال من بيان أحوال معاملة العدوّ في الحرب : من وفائهم بالعهد، وخيانتهم، وكيف يحلّ المسلمون العهد معهم إن خافوا خيانتهم، ومعاملتهم إذا ظفروا بالخائنين،

---

(١) البحر المحيط (٤/ ٥٠٩).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٢٣٦).

(٣) الآية (٦١) من سورة الأنفال.

والأمر بالاستعداد لهم؛ إلى بيان أحكام السلم إن طلبوا السلم والمهادنة، وكفّوا عن حالة الحرب. فأمر الله المسلمين بأن لا يأنفوا من السلم وأن يوافقوا من سأله منهم)) (١).

ثم قال في مناسبة ذكر التوكل في الآية : ((والأمر بالتوكّل على الله، بعد الأمر بالجنوح إلى السلم، ليكون النبي ﷺ معتمدًا في جميع شأنه على الله تعالى، ومفوّضًا إليه تسيير أموره، لتكون مدّة السلم مدّة تقوّ واستعداد، وليكفيه الله شرّ عدوّه إذا نقضوا العهد، ولذلك عُقب الأمر بالتوكّل بتذكيره بأنّ الله السميع العليم، أي السميع لكلامهم في العهد، العليمُ بضمائرهم، فهو يعاملهم على ما يعلم منهم)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((واعلم أنه لما بيّ ن ما يرهب به العدو من القوة والاستظهار ، بيّن بعده أنهم عند الإرهاب إذا جنحوا أي مالوا إلى الصلح فالحكم قبول الصلح)) (٣).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما كان ضمان النصر والخلف في النفقة موجبًا لدوام المصادمة والبعد من المسالمة، أتبعه قوله أمرًا بالاقتصاد: ﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾)) (٤).

ثم قال: ((ولما كان ذلك مظنة أن يقال: إنه قد عهد منهم من الخداع ما أعلم أنهم مطبوعون منه على ما لا يؤمنون معه فمسالمتهم خطر بغير نفع، لوح إلى ما ينافي ذلك بقوله : ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي الذي له مجامع العظمة فيما تعهده من خداعهم فإنه يكفيك أمره ويجعله سببًا لدمارهم ... ثم علل الأمر بالتوكل الذي معناه عدم الخوف من عاقبة أمرهم في ذلك بقوله : ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ أي وحده ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ أي البالغ السمع، فهو يسمع كل ما أبرموه في ذلك وغيره سرًا كما يسمعه علانية ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ أي البالغ العلم وحده فهو يعلم كل ما أخفوه كما أنه يعلم ما أعلنوه)) (٥).

من خلال السابق يتضح أن المناسبة التي ذكرها الجميع واحدة، فلما ذكر أحكام الحرب ناسب أن ينتقل إلى ذكر أحكام السلم.

وتعرّض الطاهر والبقاعي لمناسبة الأمر بالتوكل في هذه الآية، وهي أنه لما أمرهم بمسالمة من يطلب السلم، ناسب أن يعزز الاعتماد عليه سبحانه، بأن يتوكلوا على الله تعالى السميع العليم بكل ما يُدبّر في الخفايا، وما يمكن أن يكون وراء طلب السلم، فهو المعين الناصر على كل خداع وغدر. والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٥٨).

(٢) المصدر السابق (١٠ / ٥٩).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٤٩).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٣٧).

(٥) المصدر السابق (٣/ ٢٣٧).

أثر المناسبة:

١ــ شمولية أحكام الإسلام لشؤون السلم والحرب.

٢ــ الإسلام دين السلام والعدل، فمن طلب من الكفار المسالمة سالمهم.

٣ــ الأمر بالتوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب.

٤ــ بيان لفائدة السلم فهو فرصة للمسلمين للتقوّي والاستعداد.

٣٩ــ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (١)

قال الطاه ر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((لّما كان طلب السلم والهدنة من العدوّ قد يكون خديعة حربية، ليَغزُّوا المسلمين بالمصالحة ثمّ يأخذوهم على غرّة، أيقظ الله رسوله لهذا الاحتمال فأمره بأن يأخذ الأعداء على ظاهر حالهم، ويحملهم على الصدق، لأنّه الخُلق الإسلامي، وشأن أهل المُروءة، ولا تكون

---

(١) الآية (٦٢) من سورة الأنفال.

الخديعة بمثل نكث العهد، فإذا بعث العدوَّ كفرُهم على ارتكاب مثل هذا التسفّل، فإنّ الله تكفّل، للوفي بعهده، أن يقيه شرّ خيانة الخائِنين)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما أمر في الآية المتقدمة بالصلح ، ذكر في هذه الآية حكمًا من أحكام الصلح وهو أنهم إن صالحوا على سبيل المخادعة ، وجب قبول ذلك الصلح لأن الحكم يبنى على الظاهر لأن الصلح لا يكون أقوى حالاً من الإيمان ، فلما بيّنا أمر الإيمان على الظاهر لا على الباطن فههنا أولى)) (٢).

٢ـ قال البقاعي: ((ثم علل الأمر بالتوكل الذي معناه عدم الخوف من عاقبة أمرهم في ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ أي وحده ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ أي البالغ السمع، فهو يسمع كل ما أبرموه في ذلك وغيره سرًا كما يسمعه علانية ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ أي البالغ العلم وحده فهو يعلم كل ما أخفوه كما أنه يعلم ما أعلنوه؛ ثم صرح بالاستهانة بكيدهم فقال: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ﴾)) (٣).

من خلال ما سبق من منقول، يذكر ابن عاشور مناسبة هذه الآية لما قبلها، فإنه لما ذُكر السلم والمصالحة، ويُحتمل أن تكون خدعة حربية من الأعداء، أتبع ذلك بتنبيه النبي ﷺ والمسلمين لهذا الأمر، وأمَرَ بأن يقْبل ظاهرهم لأن ذلك خُلق المسلمين، ولا يُهتم بخيانتهم لأن الله منجز له ﷺ وعده بالنصر والرعاية.

وقد وافق بقوله الرازي على اختلاف عباراتهما ، ولم يذهب البقاعي بعيدًا ، فذكر أنه ختم الآية قبلها بالأمر بالتوكل في السلم، والاعتماد على الله السميع العليم، ثم تعرّضت الآية التالية لكيدهم وخداعهم المحتمل فكان ذلك استهانة بمكرهم لأنه الله تعالى حسبهم. والمناسبات التي ذكروها معناها متفق، وتلائم السياق. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

وجوب الأخذ بالظاهر وهي قاعدة إسلامية، وأدب كريم، وخلق فاضل، فلنا الظاهر والله يتولى السرائر. وبيان أن العمل بهذا الخلق مع الأعداء ليس غفلة من جانب المسلمين، بل نبّه تعالى المسلمين لأن يكونوا متيقظين مستعدين، والله حسبهم وكافيهم.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٦١).

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٥٠).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٣٧).

٤٠ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1]

(١) الآية (٦٣) من سورة الأنفال.

قال الطاهر: ((ولذلك استأنف بعدَ قوله: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ قوله: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ استئنافًا ناشئًا عن مساق الامتنان به ذا الائتلاف، فهو بياني، أي: لو حاولت تأليفهم ببذل المال العظيم ما حصل التآلف بينهم)) [1].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال البقاعي: ((ثم استأنف الإخبار بما دل على تعذر ألفتهم لولا هو فقال: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ ﴾)) [2].

٢ـ قال الألوسي: ((استئناف مقرر لما قبله ومبين لعزة المطلب وصعوبة المأخذ ، والخطاب لكل واقف عليه لأنه لا مبالغة في انتفاء ذلك من منفق معين ، وذكر القلوب للإشعار بأن التأليف بينها لا يتسنى وإن أمكن التأليف ظاهرًا ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ﴾ جلت قدرته ﴿ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ قلبًا وقالبًا بقدرته البالغة)) [3].

من خلال المنقول السابق، اتفق المفسرون ــ رغم اختلاف تعبيراتهم اللفظية ــ على أن مناسبة هذه الآية لما قبلها، هو أنه لما ذكر تأييده لرسوله ﷺ بالمؤمنين، وتأليفه لقلوبهم بعد أن كانت على عداوة، استأنف مبينًا وممتنًا بأن ذلك فضل منه سبحانه، فإن أموال الدنيا كلها لو أُنفقت ما ألّفت بين القلوب. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

تقرير أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء [4]، وبيان لتأثير الإيمان على القلوب، فإنه يمنعها من الإقبال على الدنيا، ويوردها الآخرة . فلما أنعم الله عليهم بالإيمان، توحدت قلوبهم وتآلفت، وتركوا الشقاق والتراع.

ويمكن القول بأن هذا رجوع لأول السورة، عندما تنازعوا في النفل واختلفوا، فكان العلاج الأنجع هو تقوية الإيمان بالأوامر الثلاثة أول السورة، وبذكر صفات المؤمنين بعدها ليلتزموها.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٦٤).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٢٣٨).

(٣) روح المعاني (٦/ ٣٨).

(٤) حدثني زُهَيْرُ بن حَرْبٍ وبن نُمَيْرٍ كلاهما ، عن الْمُقْرِئِ قال زُهَيْرٌ: حدثنا عبد اللَّهِ بن يَزِيدَ الْمُقْرِئُ قال: حدثنا حَيْوَةُ، أخبرني أبو هَانِئٍ، أَنَّهُ سمع أَبَا عبد الرحمن الحبلى ، أَنَّهُ سمع عَبْدَ اللَّهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ يقول : أَنَّهُ سمع رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: "إِنَّ قُلُوبَ بني آدَمَ كُلَّهَا بين إِصْبَعَيْنِ من أَصَابِعِ الرحمن، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قال رسول اللَّهِ ﷺ: "اللهم مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا على طَاعَتِكَ". أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، (٤/ ٢٠٤٥)، رقم: [٢٦٥٤].

٤١ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1]

(١) الآية (٦٤) من سورة الأنفال.

قال الطاه ر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف ابتدائي بالإقبال على خطاب الرسول ﷺ بأوامر وتعاليم عظيمة، مُهّد لقبولها وتسهيلها بما مضى من التذكير بعجيب صنع الله والامتنان بعنايته برسوله والمؤمنين، وإظهار أن النجاح والخير في طاعته وطاعة الله، من أوّل السورة إلى هنا، فموقع هذه الآية بعد التي قبلها كَامل الاتّساق والانتظام، فإنّه لّما أخبره بأنّه حَسبه وكافيه، وبيّن ذلك بأنّه أيّده بنصره فيما مضى وبالمؤمنين، فقد صار للمؤمنين حظّ في كفاية الله تعالى رسوله ﷺ فلا جرم أنتج ذلك أنّ حسبه الله والمؤمنون، فكانت جملة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ كالفذلكة للجملة التي قبلها. وتخصيص النبي بهذه الكفاية لتشريف مقامه بأنّ الله يكفي الأمّة لأجله)) (١).

ثم قال: ((وقد روي عن ابن عبّاس : أنّ قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ نزلت يوم أسلم عمر بن الخطاب. فتكون مكّيّة، وبقيت مقروءة غير مندرجة في سورة، ثم وقعت في هذا الموضع بإذن من النبي ﷺ لكونه أنسب لها . وعن النقّاش(٢) نزلت هذه الآية بالبيداء في بدر، قبل ابتداء القتال، فيكون نزولها متقدّمًا على أوّل السورة ثم جعلت في هذا الموضع من السورة (٣).

والتناسب بينها وبين الآية التي بعدها ظاهر مع اتّفاقهم على أنّ الآية التي بعدها نزلت مع تمام السورة فهي تمهيد لأمر المؤمنين بالقتال ليحقّقوا كِفايتهم الرسول)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما وعده بالنصر عند مخادعة الأعداء، وعده بالنصر والظفر في هذه الآية مطلقاً على جميع التقديرات وعلى هذا الوجه لا يلزم حصول التكرار ، لأن المعنى في الآية الأولى ، إن أرادوا خداعك كفاك الله أمرهم. والمعنى في هذه الآية عام في كل ما يحتاج إليه في الدين والدنيا))(٥).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما صرّح بأن الله كافيه، وكانت كفاية الله للعبد أعظم المقاصد، التفتت الأنفس إلى أنه هل يكفيه مطلقاً أو هو فعل مع المؤمنين أيضاً مثل ذلك، فأتبعها بقوله معبرًا بوصف النبوة الذي معناه الرفعة والاطلاع من جهة الله على ما لا يعلمه العباد، لأنه في سياق الإخبار ببعض المغيبات والتصرف في

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٦٥).

(٢) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون الموصلي ثم البغدادي ، أبو بكر النقاش، المقرئ المفسر، كان إمام أهل العراق في القراءات والتفسير، ورحل وطوف من مصر إلى ما وراء النهر في لقى المشايخ ، وصنف التفسير وسماه شفاء الصدور، وله الإشارة في غريب القرآن، والموضح في معاني القرآن، ودلائل النبوة، (ت ٣٥١هـــ). انظر: طبقات المفسرين، الأدنه وي (١/ ٩٤)، تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٠٨).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٥٤٩)، التفسير الكبير (١٥/ ١٥٣)، البحر المحيط (٤/ ٥١٠)، روح المعاني (٦/ ٤٢).

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٦٥ ــ ٦٦).

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ١٥٢ ــ ١٥٣).

الملكوت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ أي العالي القدر الذي نعلمه بعواقب أموره ﴿ حَسْبُكَ ﴾ أي كافيك ﴿ ٱللَّهُ ﴾ أي الذي بيده كل شيء ﴿ وَمَنِ ﴾ أي مع من ﴿ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يجوز أن يكون المعية من ضميره ﷺ فيكون المؤمنون مكفيين، وأن يكون من الجلالة فيكونوا كافين، حتى يكون المعنى : فهو كافيهم أيضاً وهم كافوك لأنه معهم، وساق سبحانه هذا هكذا تطييباً لقلوبهم وجبرًا لخواطرهم وبالمعنى الثاني - لتضمنه الأول وزيادته عليه - قال ابن زيد [(١)] والشعبي[(٢)]: حسبك الله وحسبك من اتبعك، وساقها سبحانه على وجه مكرر لكفاية نبيه ﷺ محتمل لأن فيمن كان على اتباعه في ذ لك الوقت لئلا يستقلوا بالنسبة إلى كثرة أعدائهم)) [(٣)].

٣ـ قال الألوسي: ((شروع في بيان كفايته تعالى إياه عليه الصلاة والسلام في جميع أموره وحده أو مع أمور المؤمنين أو في الأمور المتعلقة بالكفار كافة إثر بيان الكفاية في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرفي النداء والتنبيه للنداء والتنبيه على الا عتناء بمضمونها وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان النبوة للإشعار بعلية الحكم كأنه قيل يا أيها النبي ﴿ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾ أي كافيك في جميع أمورك أو فيما بينك وبين الكفرة من الحراب لنبوتك)) [(٤)].

من خلال المنقول سابقًا، يذكر الطاه ر تناسب موقع هذه الآية فبعد أن انتظم السياق من أول السورة في بيان عجيب صنع الله في غزوة بدر، وعنايته بالمؤمنين، وتأكيده أن النصر والظفر لا يكون إلا بالأمر الذي جاء أول السورة وهو الطاعة لله ولرسوله، وذَكَرَ الخديعة من الكفار وأعوانهم، استأنف في هذه الآية بأن يبتدأ بأوامر جليلة لرسوله ﷺ فالله تعالى حسبه وكافيه وناصره كما مضى من نصره له تعالى من أول السورة، ومن عظيم كرمه سبحانه على المؤمنين الطائعين أن جعلهم الله تعالى ضمن كفايته لرسوله ﷺ، فهو الذي ألّف بين قلوبهم، فالجملة في موقع الفذلكة لما سبقها.

ثم ذكر ابن عاشور سبب نزول هذه الآية، وتناول تناسبها في هذا الموقع رغم مكيتها، فهي تناسب التحريض للمؤمنين بالقتال بعدها لتقوم كفايتهم للرسول ﷺ، وسبب النزول ذاك ذكره ابن عطية، والرازي، وأبو حيان، والألوسي.

---

(١) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني، أخذ معاني القرآن، وروى عن والده وابن المنكدر، (ت ١٠٢هـ). انظر: طبقات المفسرين للداودي (١/١١).

(٢) عامر بن شراحيل، أبو عمرو الشعبي الكوفي، روى عن عدد من الصحابة والتابعين، (ت ١٠٤هـ). انظر: التاريخ الكبير (٦/٤٥٠)، تهذيب التهذيب (٥/ ٥٧).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩).

(٤) روح المعاني (٦/ ٤١).

أما الرازي فيذكر أن مناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه تعالى وعده بالكفاية من المخادعين في تلك، وفي هذه وعده بالكفاية عمومًا في الدين والدنيا.

ويذكر البقاعي أنه لما صرّح سبحانه بكفايته لرسوله ﷺ، فإن النفوس تتطلع لمعرفة تلك الكفاية، فبيّن تعالى أنه كافيه وكافي المؤمنين معه، أو كافيه بالمؤمنين أيضًا، فبالمعنى الأ ول يكون تطييبًا لنفوس المؤمنين، أما المعنى الثاني فهو يتضمن أنه كافيهم ويزيد عليه بأنهم كافون نبيه ﷺ.

ويتشابه ما ذكره الألوسي مع قول البقاعي فذكر أنه لما ذكر كفاية خاصة وهي كفايته سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ في حال خداع الأعداء، ذكر كفايته له في جميع أموره أو مع أمور المؤمنين أو في الأمور المتعلقة بالكفار.

والمناسبة التي ذكرها ابن عاشور أنسب وأشمل وذلك للمناسبة التالية. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

كفاية الله نبيه ﷺ، وتشريف المؤمنين بأن ضمّهم في كفايته له.

٤٢ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((أعيد نداء النبي ﷺ للتنويه بشأن الكلام الوارد بعد النداء وهذا الكلام في معنى المقصد بالنسبة للجملة التي قبله، لأنّه لما تكفّل الله له الكفاية، وعطف المؤمنين في إسناد الكفاية إليهم، احتيج إلى بيان كيفية كفايتهم، وتلك هي الكفاية بالذبّ عن الحوزة وقتال أعداء الله، فالتعريف في ﴿ ٱلۡقِتَالِۚ ﴾ للعهد، وهو القتال الذي يعرفونه، أعني: قتال أعداء الدين)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((ثم بيّن أنه تعالى وإن كان يكفيك بنصره وبنصر المؤمنين ، فليس من الواجب أن تتكل على ذلك إلا بشرط أن تحرض المؤمنين على القتال فإنه تعالى إنما يكفيك بالكفاية بشرط أن يحصل منهم بذل النفس والمال في المجاهدة)) (٣).

٢ـ قال البقاعي: ((ولما بيّن أنهم كافون مكفيون، وكان ذلك مشروطاً بفعل الكيس والحزم وهو الاجتهاد بحسب الطاقة، أمره بأن يأمرهم بما يكونون به كافين من الجد في القتال وعدم الهيبة للأبطال في حال من الأحوال، فقال معبرًا بالوصف الناظر إلى جهة التلقي عن الله ليشتد وثوق السامع لما يسمعه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾)) (٤).

٣ـ قال الألوسي: ((بعد أن بيّن سبحانه الكفاية أمر جل شأنه نبيه ﷺ بترتيب بعض مباديها وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لإظهار كمال الإعتناء بشأن المأمور به)) (٥).

من خلال ما سبق نجد أن الطاهر قد تناول مناسبة هذه الآية لما قبلها بشكل بديع يتناسب مع ما ذكره من مناسبة في الآية التي قبلها، فتكون هذه الآية المقصد مما سبقها، فقد ذُكر قبلاً كفاية الله تعالى

(١) الآية (٦٥) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٦٦).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٥٣).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٣٩).

(٥) روح المعاني (٦/ ٤٢).

لرسوله ﷺ وكفايته بالمؤمنين، فناسب في هذه أن يذكر كيفية تلك الكفاية، وهي أنهم يقاتلون ويدفعون أعداء الإسلام. وهذا المعنى هو ما ذهب إليه الرازي والبقاعي والألوسي.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله تعالى ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ﴾ : ((ولمّا كان عموم الجنس الذي دل عليه تعريف القتال يقتضي عموم الأحوال باعتبار المقاتَلين بفتح التاء وكان في ذلك إجمال من الأحوال، وقد يكون العدو كثيرين ويكون المؤمنون أقلّ منهم، بيّن هذا الإجمال بقوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ﴾الآية)) [1].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي : ((ولما ندبهم إلى القتال، أعلمهم بأنهم منصورون فيه إن لازموا آلة النصر، فقال اسئنافاً ا جوابلًلن قال: ما عاقبتهم إذا رغبوا فبادروا إلى ذلك؟: ﴿إِن يَكُن﴾)) [2].

من خلال ما سبق، يذكر الطاه ر أنه لما ذكر ﴿ٱلْقِتَالِ ۚ﴾ معرفة مجملة، جاء بتفصيل ذلك الإجمال وبيان أحواله بجملة ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ﴾، فالعدو قد يكون كثيرًا والمسلمون أقل.

وعند البقاعي أنه لما حثهم على القتال، بيّن لهم أنهم منصورون، فاستأنف جوابًا لسؤال محذوف : ما عاقبتهم إذا بادروا لذلك؟

ويظهر أن المناسبات كلها متلائمة. وما ذكره الطاهر يُعد من تفرداته. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

بيان أن الوعد بالكفاية مشروط بأعمال وأمور، لا تتحقق الكفاية إلا بها.

وفي الآية بشارة من الله تعالى للمؤمنين إن صبروا، فسيغلبون ضعف أمثالهم من الكفار بعون الله، لأن المؤمنين يفقهون أهداف القتال، ويعملون لإعلاء كلمته وهذا ما لا يفقهه المشركون من قتالهم.

واستخدام الأعداد هنا لم يكن عبثًا، حيث كان المسلمون ابتداء قلة، ولكنهم طولبوا بالمراتب العالية في المواقف الكريمة، ليجيء بعد ذلك التخفيف عند كثرة المسلمين رخصةً وتيسيرًا [3].

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٦٦).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٢٣٩).

(٣) انظر: النفسير المنير، وهبة الزحيلي (٥/ ٤٠٣_ ٤٠٤).

٤٣ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاه ر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف ابتدائي مناسب لما قبله سواء نزل بعقبه أم تأخّر نزوله عنه فكان موقعه هنا بسبب موالاة نزوله لنزول ما قبله أو كان وضع الآية هنا بتوقيف خاصّ.

والمناسبة ذكر بعض أحكام الجهاد، وكان أعظم جهاد مضى هو جهاد يوم بدر . لا جرم نزلت هذه الآية بعد قضية فداء أسرى بدر مشيرة إليها.

وعندي أن هذا تشريع مستقبل أخّره الله تعالى رفقًا بالمسلمين الذين انتصروا ببدر وإكرامًا لهم على ذلك النصر المبين، وسدًّا لخلّتهم التي كانوا فيها، فترلت لبيان الأمر الأجدر فيما جرى في شأن الأسرى في وقعة بدر. وذلك ما رواه مسلم عن ابن عبّاس، والترمذي(٢) عن ابن مسعود، ما مُختصره أن المسلمين لما أسروا الأسارى يوم بدر وفيهم صناديد المشركين سأل المشركون رسول الله ﷺ أن يفاديهم بالمال وعَاهدوا على أن لا يعودوا إلى حربه فقال رسول الله ﷺ للمسلمين "ما تَرون في هؤلاء الأسارى"، قال أبو بكر: "يا نبي الله هم بنو العمّ والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوّة على الكفّار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام " وقال عُمر: أرى أن تمكّننا فنضرب أعناقهم فإنّ هؤلاء أئمّة الكفر وصناديدها

---

(١) الآية (٦٧) من سورة الأنفال.

(٢) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي ، أبو عيسى، صاحب الجامع، أحد الأئمة، مات بترمذ سنة (٢٧٩هــ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٠)، تقريب التهذيب (١/ ٥٠٠).

فَهوي رسولُ الله ما قال أبو بكر فأخذ منهم الفداء كما رواه أحمد [1] عن ابن عباس فأنزل الله ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾ الآية[2])) [3].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((واعلم أن المقصود من هذه الآية تعليم حكم آخر من أحكام الغزو والجهاد في حق النبي ﷺ))[4].

٢ـ قال البقاعي: ((ولما تقدم الأمر بالإثخان في ﴿ فَشَرِّدْ بِهِم ﴾ ثم بإعداد القوة، ثم التحريض على القتال بعد الإعلام بالكفاية ثم إيجاب ثبات الواحد لعشرة ثم إنزال التخفيف إلى اثنين؛ كان ذلك مقتضياً للإمعان في الإثخان، فحسن عتاب الأحباب في اختيار غير ما أفهمه هذا الخطاب، لكون ذلك أقعد في الامتنان عليهم بالعفو والغفران بسبب أن أكثرهم مال إلى فداء الأسارى فإن النبي ﷺ استشارهم فيهم فأشار أبو بكر ﷺ بالمفاداة ومال معه الأكثر، وأشار عمر ﷺ بضرب أعناقهم... فقال تعالى استئنافاً واستنتاجاً: ﴿ مَا كَانَ ﴾)) [5].

من خلال ما سبق ، ذكر الطاهر أنها استئناف ابتدائي فيه إكرام للمسلمين وعفو وغفران بعد معاتبتهم. وهذه من تفرداته.

واتفق الطاهر مع الرازي وإن اختلفت ألفاظهما التعبيرية أنه لما حكى الله تعالى غزوة بدر ناسب أن يذكر حكمًا من أحكام الجهاد، وحادثًا حدث في غزوة بدر الكبرى وهو حادث الأسرى.

وربطها البقاعي بالآيات السابقة، فلما أمرهم بالإثخان، ثم بإعداد القوة، وحرضهم على القتال، عاتبهم هنا استنافًا بيانيًا.

---

(١) الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، ولد سنة (١٦٤هـ)، كان إمام المحدثين، صنف المسند، وكان من أصحاب الإمام الشافعي وخواصه، ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل الشافعي إلى مصر، وقال في حقه: خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل، ودعي إلى القول بخلق القرآن أيام المعتصم، وحبس وضرب على الامتناع، توفي ببغداد سنة (٢٤٤هـ). انظر: الوافي بالوفيات (٦/ ٢٢٥)، وفيات الأعيان (١/ ٦٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم عن ابن عباس، (٣/ ١٣٨٣)، رقم: [١٧٦٣]. ورواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنفال عن ابن مسعود، (٥/ ٢٧١)، رقم: [٣٠٨٤]. والإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس، مسند عمر بن الخطاب، (١/ ٣٠ـ ٣١)، رقم: [٢٠٨].

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٧٢).

(٤) التفسير الكبير (١٥/ ١٥٧).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢٤٣ـ ٢٤٤).

من هذا النقل يتضح أنه تعالى والى الحديث عن غزوة بدر بذكر أمر أسراها وأن الحكم الأجدر هو خلاف ما مالوا إليه من فداء الأسرى. وجميع ما ذُكر من مناسبات متلائم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح رفق الله تعالى بالمسلمين حين اختلفوا في أمر الأسرى وإنزال التشريع لهم.وفيه ردّ جميع الأمور لله تعالى كما ردها في أول السورة، فالنبي ﷺ استشارهم هنا في أمر الأسارى، فمال أكثرهم لأخذ الفدية لشدة حاجتهم، فبيّن لهم تعالى أن رسوله ﷺ ما قاتل لعرض دنيا ولكن لنشر دينه وإعلاء كلمته، فكأنه يذكّرهم بغاية الجهاد وهدفه، وبأنه بيده كل شيء فهو الناصر المعين ، ويذكرهم بالآخرة وبنعيمها كما ذكره في أول السورة جزاء للمؤمنين.

ومن خلال ما سبق بيانه تُنبّه الآية على أهمية تقديم مصالح الدين على مصالح النفس، وتُرغّب في ثواب الآخرة، وتهوّن متاع الدنيا لزواله وفنائه .ويظهر أيضًا أن من محاب الله للمؤمن أن يكون سعيه وعمله لرضا الله وثوابه.

٤٤_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((وجملة: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ إلخ مستأنفة استئنافًا بيانيًا، لأنّ الكلام السابق يؤذن بأنّ مفاداة الأسرى أمر مرهوب تخشى عواقبه، فيستثير سؤالاً في نفوسهم عمّا يترقّب من ذلك، فبيّنه قوله: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ الآية)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((كأنهم قالوا ﷺ: تقتضي عزته وحكمته سبحانه من تطهيرنا عما تدنسنا به؟ استأنف تعالى الجواب عن ذلك ممتراً غاية الامتنان ومحذرًا من التعرض لمواقع الخسران فقال: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ ﴾))(٣).

(١) الآية (٦٨) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٧٧).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٤٥).

من خلال المنقول سابقًا يظهر توافق معنى ما ذكره الطاهر مع البقاعي وإن اختلفت تعبيراهما، فالمناسبة هي أنه لما عاتبهم على ميلهم للمفاداة في أمر الأسرى، وبدا أن الفداء أمر تخشى عواقبه، استأنف في هذه الآية ببيان ما عليهم فعله، جوابًا على ما تترقبه نفوسهم وامتنانًا منه سبحانه. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أسلوب القرآن الكريم في حسن المعاتبة ثم تقديم الحل، لأن كتاب الله سبيل هداية ورشاد للحائرين، فهم ابتداء اجتهدوا في شأن الأسرى، ثم ظهر لهم خطأ ما ذهبوا إليه، فهداهم سبحانه لنهجه المطلوب رحمة منه وفضلاً.

٤٥_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١]

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((الفاء تؤذن بتفريع هذا الكلام على ما قبله . وفي هذا التفريع وجهان:

أحدهما: الذي جرى عليه كلام المفسّرين أنّه تفريع على قوله : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾[٢] إلخ ... أي لولا ما سبق من حلّ الغنائم لكم لمسّكم عذاب عظيم، وإذ قد سبق الحلّ فلا تبعة عليكم في الانتفاع بمال الفداء. وقد روي أنّه لمّا نزل قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾[٣] الآية، أمسكوا عن الانتفاع بمال الفداء، فنزل قوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ ﴾ وعلى هذا الوجه قد سمّي مال

(١) الآية (٦٩) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٦٨) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (٦٧) من سورة الأنفال.

الفداء غنيمة تسمية بالاسم اللغوي دون الاسم الشرعي؛ لأنّ الغنيمة في اصطلاح الشرع هي ما افتكّه المسلمون من مال العدوّ بالإيجاف[(١)] عليهم.

والوجه الثاني: يظهر لي أنّ التفريع ناشئ على التحذير من العود إلى مثل ذلك في المستقبل، وأنّ المعنى: فاكتفوا بما تغنمونه ولا تفادوا الأسرى إلى أن تثخنوا في الأرض . وهذا هو المناسب لإطلاق اسم الغنيمة هنا إذ لا ينبغي صرفه عن معناه الشرعي.

ولمّا تضمّن قوله: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ امتنانًا عليهم بأنّه صرف عنهم بأس العدوّ، فرّع على الامتنان الإذن لهم بأن ينتفعوا بمال الفداء في مصالحهم، ويتوسّعوا به في نفقاتهم، دون نكد ولا غصّة، فإنّهم استغنوا به مع الأمن من ضرّ العدوّ بفضل الله. فتلك نعمة لم يشُبها أذى)) [(٢)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

ومن خلال النقل السابق ذكر الطاهر وجهين لارتباط هذه الآية بما قبلها:

أولهما: أنه لما عاتبهم في الأسرى فأمسكوا عن الانتفاع بمال المفاداة، أتبع ذلك بأن أخبرهم أنه لا تبعة عليهم في أن ينتفعوا لأن الغنائم سبق وأن حلت لهم.

ثانيهما: أنه لما عاتبهم في الأسرى جاء في هذه بتحذيرهم من الرجوع للمفاداة دون إثخان وقتال، وهو ما مال إليه الطاهر.

ثم ذكر الطاهر أن المناسبة هي الامتنان على المسلمين بالإذن في الانتفاع من مال الفداء إكمالاً لمنته عليهم في صرف العدو عنهم.

ومن خلال ما سبق، يظهر تفرد الطاهر هنا على حدّ إطلاعي. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر: ((وذُيّل ذلك بالأمر بالتقوى: لأنّ التقوى شكر الله على ما أنعم من دفع العذاب عنهم)) [(٣)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال ابن عطية: ((وجاء قوله ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ اعتراضًا فصيحًا في أثناء الكلام لأن قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ هو متصل بالمعنى بقوله ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾)) [(١)].

(١) الإيجاف: سرعة السير. انظر: لسان العرب، باب وجف، (٨/٣٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٧٨ ـ ٧٩).

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٧٩).

٢ــ قال الرازي: ((﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ إشارة إلى المستقبل وقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ إشارة إلى الحالة الماضية)) (٢).

٣ــ قال أبو حيان: ((وأمر تعالى بتقواه؛ لأن التقوى حاملة على امتثال أمر الله، وعدم الإقدام على ما لم يتقدّم فيه إذن، ففيه تحريض على التقوى مَن مَالَ إلى الفداء، ثم جاءت الصفتان مشعرتين بغفران الله ورحمته عن الذين مالوا إلى الفداء قبل الإذن)) (٣).

٤ــ قال البقاعي: ((وفائدة الأمر بالتقوى التحذير من العود اعتماداً على سعة الحلم، و أيضاً فقد تقدم تهديد ومغفرة فناسب أن يدلهم على أن علة المغفرة التقوى، فكان ترجمة ذلك أنه لما رهبهم بمس العذاب عند أخذ الفداء لولا سبق الكتاب، رغّبهم بأنه كلما صدهم عن جنابه صارف ذنب فردهم إليه عاطف تقوى، أسبل عليهم ذيل المغفرة والرحمة)) (٤).

من خلال ما سبق من نقل يظهر تعرّض المفسرون لمناسبة الأمر بالتقوى في الآية، فيذكر الطاهر أنه لما صرف عنهم العذاب ناسب أن يأمر بالتقوى لأنها شكر على النعم، ومنها نعمة دفع العذاب. وهذه من تفردات الطاهر.

وجعلها ابن عطية معترضة بين الانتفاع بمال الفداء والأكل منه، وبين الرحمة والمغفرة على ما مالوا إليه.

ويُفهم من كلام الرازي أنه أمرهم بالتقوى تحذيرًا من أن يعودوا لما فعلوه مستقبلاً.

وذكر أبو حيان أن التقوى تحمل على الامتثال وعدم الإقدام على ما لم يأذن به الله، فجيء بالأمر بها هنا حثًا وتحريضًا لمن مالوا للفداء.

أما البقاعي فيذكر أن فائدة الأمر بالتقوى هي التحذير من تكرار ما حدث معتمدين على سعة حلمه ومغفرته سبحانه، فقد جاء في الآية السابقة تهديد وفي هذه غفران، فناسب أن يذكر علة المغفرة والرحمة وهي التقوى.

ويمكن الخلوص مما ذكروه بأن المناسبة هي أنه تعالى لما أنعم وامتن عليهم بالانتفاع بمال الفداء ناسب أن يحثهم على التقوى مُجَددًا لأنها الباعث على الامتثال الذي يؤدي إلى شكر النعم، وهي سبب المغفرة. والله تعالى أعلم.

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ٥٥٤).

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٦٢).

(٣) البحر المحيط (٤/ ٥١٦).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٤٥).

أثر المناسبة:

بيان لامتنان آخر على المسلمين خلال هذه الغزوة وما بعدها، وتجديد الأمر بالتقوى في سياق الامتنان، لأن شكر النعمة يكون ب اتباع الأوامر واجتناب النواهي، وهذا يعود بنا إلى أوائل السورة وأوسطها حيث وردت التقوى.

وبالتأمل يظهر تلاحم الآيات وترابطها مع ما قبلها، وتأسيسها لقواعد في الجهاد من خلال هذه الواقعة المهمة، متجليًا ذلك من أول السورة إلى هنا.

٤٦ــ المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[(١)]

قال الطاهر: ((استئناف ابتدائي، وهو إقبال على خطاب النبي ﷺ بشيء يتعلّق بحال سرائر بعض الأسرى، بعد أن كان الخطاب متعلقًا بالتحريض على القتال وما يتبعه، وقد كان العباس في جملة الأسرى وكان ظهر منه ميل إلى الإسلام . قبل خروجه إلى بدر، وكذلك كان عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب،

---

(١) الآية (٧٠) من سورة الأنفال.

ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وقد فدى العباسُ نفسه وفدى ابنَي أخَوَيْه: عُقيلاً ونوْفلاً. وقال للنبي ﷺ تركتني أتكفّف قريشًا. فنزلت هذه الآية في ذ لك، وهي ترغيب لهم في الإسلام في المستقبل، ولذلك قيل لهم هذا القول قبل أن يفارقوهم)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أن الرسول لما أخذ الفداء من الأسارى وشق عليهم أخذ أموالهم منهم ذكر الله هذه الآية استمالة لهم)) (٢).

ثم ذكر الرازي الحديث الذي ذكر الطاهر جزءًا منه، وقد ذكره ابن عطية على اختلاف الروايات، وأبو حيان، وكذا البقاعي والألوسي(٣).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما عُلِمِ من هذا إباحة ما يُؤخذ من الأسر من الفداء، وكان ما يُؤخذ منهم تعظم مشقته عليهم، أقبل عليهم مستعطفاً لهم تر غيباًفي الإسلام، فأقبل على نبيه ﷺ بالأمر بمخاطبتهم تنبيهً ا على أنهم ليسوا بأهل لخطابه سبحانه بما أبعدوا أنفسهم عنه من اختيارهم الكون في زمرة الأعداء على الكون في عداد الأولياء، فقال معبرً ا بالوصف الناظر إلى تلقي العلم ترغيباً في التلقي منه ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾)) (٤).

من خلال المنقول سلفًا يُلاحظ اتفاقهم على سبب نزول الآية، وعلى مناسبتها لما قبلها وإن اختلفت التعابير اللفظية.

فلما ذكر تعالى الأسرى وأخذُ الفداء منهم، شقّ ذلك على الأسرى فخاطب تعالى نبيه ﷺ بأن يرغبهم في الإسلام، ويستميل قلوبهم للدين قبل مفارقتهم، والله تعالى عليم بالسرائر. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان رحمة الله تعالى بعباده، وأن الهدف من الجهاد هو دعوة الناس للدين الإسلامي وإزالة ا لموانع التي تمنع بلوغ الدين لهم، وفتح قلوبهم وعقولهم لمحاسن الإسلام ليُقبلوا عليه عن طواعية واختيار.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٨٠).

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٦٢).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٥٥٤ــ ٥٥٥)، التفسير الكبير (١٥/ ١٦٢ــ ١٦٣)، البحر المحيط (٤/ ٥١٦)، نظم الدرر (٢٤٦/٣)، روح المعاني (٦/ ٥٠ــ ٥١).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٤٥ ــ ٢٤٦).

٤٧ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1]

(١) الآية (٧١) من سورة الأنفال.

قال الطاهر: ((وهذا كلام خاطب به اللَّهُ رسولَه ﷺ اطمئنانًا لنفسه، وليبلغ مضمونَه إلى الأسرى، ليعلموا أنّهم لا يغلِبون الله ورسوله. وفيه تقرير للمنّة على المسلمين التي أفادها قوله: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ ﴾[1]، فكل ذلك الإذنُ والتطييب بالتهنئة والطمأنة بأن ضمن لهم، إنْ خانهم الأسرى بعدَ رجوعهم إلى قومهم ونكثوا عهدهم وعادوا إلى القتال، بأنّ الله يمكّن المسلمين منهم مرةً أخرى، كما أمكنهم منهم في هذه المرة، أي: أن يَنووا من العهد بعدم العود إلى الغزو خيانتَك، وإنّما وعدوا بذلك لينجَوا من القتل والرقّ، فلا يضرّكم ذلك، لأنّ الله ينصركم عليهم ثانيَ مرة))[2].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الألوسي: ((كلام مسوق من جهته تعالى لتسليته عليه الصلاة والسلام بطريق الوعد له ﷺ والوعيد لهم))[3].

من خلال المنقول أعلاه يظهر اتفاق الطاهر مع الألوسي في مناسبة هذه الآية، فهو لما ذكر أمر الأسرى وترغيبهم في الإسلام، ناسب أن يطمئن نبيه ﷺ بالتمكين منهم إن هم خانوا وغدروا، وفي هذا أيضًا تحذير لهم من الخيانة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان إحاطة الله تعالى بكل شيء، ورحمته ورعايته بنبيه والمؤمنين، والتحذير الشديد للأسرى من الخيانة والغدر، فإن الله تعالى كما أمكن منهم أول مرة فسيمكن منهم مرة أخرى.

---

(١) جزء من الآية (٦٩) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٨١).

(٣) روح المعاني (٦/ ٥١).

٤٨_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((هذه الآيات استئناف ابتدائي للإعلام بأحكام موالاة المسلمين للمسلمين الذين هاجروا والذين لم يهاجروا، وعدم م والاتهم للذين كفروا، نشأ عن قول العباس بن عبد المطلب حين أسرّ ببدر أنّه مسلم، وأنّ المشركين أكرهوه على الخروج إلى بدر، ولعلّ بعض الأسرى غيره قد قال ذلك وكانوا صادقين، فلعل بعض المسلمين عطفوا عليهم وظنّوهم أولياء لهم، فأخبر الله المسلمين وغيرهم بحكم من آمن واستمرّ على البقاء بدار الشرك)) (٢). ثم نقل الطاهر قول ابن عطية التالي.

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما بيّن للأسرى أن الخير الذي لم يطلع عليه من قلوبهم غير الله لا ينفعهم في إسقاط الفداء عنهم لأنه لا دليل عليه، وكل ما لا دليل عليه فحكمه حكم العدم، لأن مبنى الشرع على ما يمكن المكلف معرفته وهو الظواهر، وختم بصفتي العلم والحكمة، شرع يبين الخبر الذي يفيد القرب الذي تنبني عليه المناصرة وكل خير، فقال مقسمً ا أصحاب النبي ﷺ أربعة أقسام: قسم جمع الإيمان والهجرة أولاً والجهاد، وقسم آوى، وقسم آمن ولم يهاجر، وقسم هاجر من بعد)) (٣).

من خلال ما سبق نقله يذكر الطاه ر مناسبة هذه الآية لما قبلها، وأنها ناشئة من قول العباس عندما كان أسيرًا، فهو حين ذكر أسرى بدر وقد يكون بعضهم مسلمًا مكرهًا كما في قصة العباس، فيظن المسلمون أنهم أولياء لهم، ناسب أن يذ كر أحكام الولاية وأقسامها، وأن يبين أفضيلة مَ ن جَمَعَ الإيمان والهجرة والجهاد على مَن آمن ولم يهاجر وبقي في ديار المشركين.

وهذا ربط دقيق بالآيات السابقة، يتشابه مع قول البقاعي الذي ربط هذه الآية بسابقتها، فذكر أنه تعالى لما ذكر أنه مطلع على سرائر هؤلا ء الأسرى، وعليم بما في أنفسهم من خير غير ظاهر للمسلمين

(١) الآية (٧٢) من سورة الأنفال.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٨٣).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٤٧).

وهو إسلامهم، شرع يُبين لهم القرب والولاية المبنية على ذلك الخير وعلى المناصرة، وشرع يُقسم المسلمين.

فتكون المناسبة أنه لما ذكر أمر الأسرى وفيهم من قال أنه مسلم، بيّن على ماذا تُبنى ولايات الإسلام، فذكر أقسام المسلمين ومن يستحق الولاية منهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

١ــ بيان أن الولاية الحقيقية هي ولاية الإسلام والهجرة والجهاد.

٢ــ بيان فضيلة الهجرة من دار الكفر إلى ديار الإسلام.

وذِكر الولاية في آخر السورة يذكّرنا بما جاء أولها من ذِكرٍ للمؤمنين وصفاتهم، وأن جميع الخلافات والنزاعات الدنيوية تلغى أمام ولاية الإسلام. فهم ابتداء اختلفوا في أمر الأنفال فأرشدهم لحل الخلاف، ثم ذكّرهم بصفات المؤمنين، ثم بأنهم أولياء بعض فلا يصح أن يتنازعوا ويتفرقوا.

وأيضًا لما ذَكَر الولايات افتتح السورة التالية بالبراءة من كل الولايات عدا ولاية الإسلام.

٤٩ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [١]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((هذا بيان لحكم القسم المقابل لقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ ﴾ [٢] وما عطف عليه)) [٣].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((ثم قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾وفيه مسائل:
المسألة الأولى: اعلم أن هذا الترتيب الذي اعتبره الله في هذه الآية في غاية الحسن؛ لأنه ذكر ههنا أقسامًا ثلاثة، فالأول: المؤمنون من المهاجرين والأنصار، وهم أفضل الناس وبيّن أنه يجب أن يوالي بعضهم بعضًا.
والقسم الثاني: المؤمنون الذين لم يهاجروا فهؤلاء بسبب إيمانهم لهم فضل وكرامة وبسبب ترك الهجرة لهم حالة نازلة فوجب أن يكون حكمهم حكمًا متوسطًا بين الإجلال والإذلال وذلك هو أن الولاية المثبتة للقسم الأول، تكون منفية عن هذا القسم، إلا أنهم يكونون بحيث لو استنصروا المؤمنين واستعانوا بهم نصروهم وأعانوهم. فهذا الحكم متوسط بين الإجلال والإذلال. وأما الكفار فليس لهم البتة ما يوجب شيئًا من أسباب الفضيلة، فوجب كون المسلمين منقطعين عنهم من كل الوجوه فلا يكون بينهم ولاية ولا مناصرة بوجه من الوجوه، فظهر أن هذا التريب في غاية الحسن)) [٤].

٢ـ قال أبو حيان: ((لما ذكر أقسام المؤمنين الثلاثة، وأنهم أولياء ينصر بعضهم بعضًا ويرث بعضهم بعضًا، بيّن أن فريق الكفار كذلك، إذ كانوا قبل بعثة الرسول ﷺ ينادي أهل الكتاب منهم قريشًا، ويتربّصون بهم الدوائر، فصاروا بعد بعثه يوالي بعضهم بعضًا. وإلبًا [٥] واحدًا على الرسول، صونًا على رئاساتهم، وتحزّبًا على المؤمنين)) [٦].

---

(١) الآية (٧٣) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٧٢) من سورة الأنفال.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٨٧).

(٤) التفسير الكبير (١٥/ ١٦٨).

(٥) الإلب بالفتح والكسر القوم يجتمعون على عداوة إنسان و تألبوا تجمعوا. انظر: لسان العرب (١/ ٢١٦).

(٦) البحر المحيط (٤/ ٥١٨).

٣_ قال البقاعي: ((ولما بيّن شرط موالاة المسلم، بيّ ن مو الاة الكافر وما يجب من مناظرتهم ومباراتهم فيها، وأنه لا شرط لها غير مطلق ال كفر فإنه وإن اختلفت أنواعه وتباعدت أنحاؤه - يجمعه عداوة الله و ولاية الشيطان)) [١].

من خلال ما نُقل أعلاه تظهر المناسبة جلية واضحة في كلام العلماء رحمهم الله، فهو لما قسّم المسلمين وبيّن مراتبهم وولايتهم، شرع في ذكر القسم المقابل وهم الكفار وولايتهم بع ضهم لبعض. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان عادة القرآن الكريم في ذكر الفريقين المتقابلين، فريق المؤمنين وفريق الكافرين . وهو أسلوب كثر وقوعه في كتاب الله تعالى فما إن يذكر الشيء حتى يذكر ما يقابله، فإن ذكر الوعد ذكر الوعيد، وإن رغّب جاء بعده بالترهيب وبالعكس.

وكما أن المؤمنين أولياء بعض، فإن الكافرين بعضهم أولياء بعض، ولكن فرق بين الولاتين، فتلك ولاية في النعيم، والأخرى في السعير.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٥٢).

٥٠ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ﴾[1]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((الأظهر أنّ هذه جملة معترضة بين جملة ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾[2]، وجملة ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ ﴾[3] الآية، والواو اعتراضية للتنويه بالمهاجرين والأنصار، وبيان جزائهم وثوابهم، بعد بيان أحكام ولاية بعضهم لبعض بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾[4] فليست هذه تكريرًا للأولى، وإن تشابهت ألفاظها : فالأولى لبيان ولاية بعضهم لبعض، وهذه واردة للثناء عليهم والشهادة لهم بصدق الإيمان مع وعدهم بالجزاء))[5].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((واعلم أنه تعالى لما ذكر هذا القسم الثالث، عاد إلى ذكر القسم الأول والثاني مرة أخرى ... واعلم أن هذا ليس بتكرار وذلك لأنه تعالى ذَكَرَهم أولاً ليبين حكمهم وهو ولاية بعضهم بعضًا، ثم إنه تعالى ذَكَرَهم ههنا لبيان تعظيم شأنهم وعلو درجتهم، وبيانه من وجهين: الأول: أن الإعادة تدل على مزيد الاهتمام بحالهم وذلك يدل على الشرف التعظيم. والثاني: وهو أنه تعالى أثنى عليهم ههنا من ثلاثة أوجه: أولها قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ ﴾ فقوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ يفيد الحصر وقوله ﴿حَقّٗاۚ ﴾ يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين محققين في طريق الدين، والأمر في الحقيقة كذلك،... وثانيها: قوله ﴿ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ ﴾ وتنكير لفظ المغفرة يدل على الكمال كما أن التنكير في قوله ﴿

---

(١) الآية (٧٤) من سورة الأنفال.

(٢) جزء من الآية (٧٣) من سورة الأنفال.

(٣) جزء من الآية (٧٥) من سورة الأنفال.

(٤) جزء من الآية (٧٢) من سورة الأنفال.

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ٨٩).

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ [1] يدل على كمال تلك الحياة،... وثالثها: قوله ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ والمراد منه الثواب الرفيع الشريف. والحاصل أنه تعالى شرح حالهم في الدنيا وفي الآخرة)) [2].

٢ــ قال أبو حيان: ((هذه الآية فيها تعظيم المهاجرين والأنصار، وهي مختصرة، إذ حذف منها بأموالهم وأنفسهم وليست تكرارًا. لأن السابقة تضمنت ولاية بعضهم بعضًا. وتقسيم المؤمنين إلى الأقسام الثلاثة، وبيان حكمهم في ولايتهم ونصرهم، وهذه تضمنت الثناء، والتشريف، والاختصاص، وما آل إليه حالهم من المغفرة والرزق الكريم)) [3].

٣ــ قال البقاعي: ((ولما تقدمت أنواع المؤمنين: المهاجر والناصر والقاعد، وذكر أحكام موالاتهم، أ خذ يبين تفاوتهم في الفضل فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾)) [4].

٤ــ قال الألوسي: ((كلام مسوق للثناء على القسمين الأولين من الأقسام الثلاثة للمؤمنين وهم المهاجرون والأنصار بأنهم الفائزون بالقدح المعلى من الإيمان مع الوعد الكريم بقوله سبحانه ﴿ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ لا يقادر قدرها ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾)) [5].

من خلال ما نقل سابقًا يظهر اتحاد كلام المفسرين في المعنى وإن اختلفت تعبيراتهم.

فالمناسبة التي ذكروها، أن هذه الآية ليست بتكرار لما سبق، فابتداءً لما ذَكَر المؤمنين ومنازلهم ذَ كَر ولايتهم، فالآية الأولى اختصت بذكر الولاية وأحكامها، ثم ذَ كَر الفريق الآخر وهم الكفار وولايتهم، ثم عاد وذَكَر الفريق الأول مثنيًا وشاهدًا ومكرمًا ومجازيًا بأوفر الجزاء. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال سياق السورة وبالتأمل فيها يلاحظ ذكره للمؤمنين وجزاؤهم في خاتمتها كما ذَ كَرَهم وصفاتهم في أولها، فمن اتصف بتلك الصفات، واتبع ما في السورة من أحكام، أولئك هم المؤمنون حقًا.

وأيضًا بيان لتكريم الله تعالى للمؤمنين، وثنائه عليهم، ووعدهم بالجزاء العظيم.

---

(١) جزء من الآية (٩٦) من سورة البقرة.

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٦٩).

(٣) البحر المحيط (٤/ ٥١٨).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٥٣).

(٥) روح المعاني (٦/ ٥٣).

٥١_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾[١]

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((بعد أن منع الله ولاية المسلمين للذين آمنوا ولم يهاجروا بالصراحة، ابتداءً ونفى عن الذين لم يهاجروا تحقيق الإيمان، وكان ذلك مثيرًا في نفوس السامعين أن يتساءلوا هل لأولئك تمكن من تدارك أمرهم بِرأب[٢] هذه الثَّلمة[٣] عنهم، ففتح الله باب التدارك بهذه الآية ... فكانت هذه الآية بيانًا، وكان مقتضى الظاهر أن تكون مفصولة غير معطوفة، ولكن عدل عن الفصل إلى العطف تغليبًا لمقام التقسيم الذي اسقعبته هذه الآيات))[٤].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما حصر المؤمنين حقًا في الموصوفين، بيّن أن مَن ترك ما هو عليه من لزوم دار الكفر والقعود عن الجهاد، لحق بمطلق درجتهم وإن كانوا فيها أعلى منه فقال ذاكرًا القسم الرابع: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾))[٥].

من خلال النقل السابق، ربط الطاهر الآية بما قبلها من آيات، وذكر أنها جوابًا على سؤال مقدر، ثم بيّن العلة في العطف وترك الفصل لأن البيان لا يكون معطوفًا. فهي عنده مستأنفة استئنافًا بيانيًا.

أما البقاعي فقد ربطها بالآية السابقة مباشرة، وهنا يظهر الفرق بين مناسبة الطاهر والبقاعي، فالطاهر جعلها في ثوب بلاغي يُظهر إعجاز القرآن، وهذه المناسبة من تفرداته، فهو لما ذكر التقسيمات السابقة وأحكام ولايتها، نفى ابتداء عن غير المهاجرين تحقيق الإيمان، فقد يتساءل سائل هل من توبة؟ فعطف بهذه الآية رحمة ورأفة ليتداركوا ويلحقوا وأوردهم كقسم. والله تعالى أعلم.

---

(١) الآية (٧٥) من سورة الأنفال.

(٢) رأب إذا أصلح. انظر لسان العرب (١/ ٣٩٨).

(٣) الثلمة الخلل في الحائط وغيره. انظر: لسان العرب (١٢/ ٧٩).

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٨٩ _ ٩٠).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢٥٣).

أثر المناسبة:

بيان الرحمة والشفقة بالأمة، وفتح باب التوبة والعودة، وفي هذا تناسب مع تسمية السورة التالية وهي سورة التوبة.

المناسبة الثانية: قال الطاهر: ((يظهر أنّ التقاسيم السابقة لّما أثبتت ولاية بين المؤمنين، ونفت ولايةً من بينهم وبين الكافرين، ومِن بينهم وبين الذين آمنوا و لم يهاجروا حتّى يهاجروا، ثم عادت على الذين يهاجرون من المؤمنين بعد تقاعسهم عن الهجرة بالبقاء في دَار الكفر مدّة، فبيّنت أنّهم إن تداركوا أمرهم وهاجروا يدخلون بذلك في ولاية المسلمين، وكان ذلك قد يشغل السامعين عن وَلاية ذوي أرحامهم من المسلمين، جاءت هذه الآية تذكّر بأنّ ولاية الأرحام قائمة وأنّها مرجّحة لغيرها من الولاية فموقعها كموقع الشروط، وشأن الصفات والغايات بعد الجُمل المتعاطفة أنّها تعود إلى جميع تلك الجمل، وعلى هذا الوجه لا تكون هذه الآية ناسخة لما اقتضته الآيات قبلها من الولاية بين المهاجرين والأنصار بل مقيّدةً الإطلاقَ الذي فيها)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما بيّن أنهم منهم، بين أنه متى جمعهم الوصف المحصل للولاية، كان القرب في الرحم أولى من غيره فقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾)) (٢).

من خلال ما سبق نقله من كلام الطاهر والبقاعي نجده يلتقي في المعنى نفسه بتعابير مختلفة، فبعد أن ذكر الأقسام الثلاثة وولايته ا، ثم عرج إلى القسم الرابع وهم الذين تداركوا وهاجروا، قد ينشغل السامعون عن ذوي الأرحام فناسب أن يلفت النظر لولاية الأرحام وأنها مرجحة لغيرها من الولايات . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان لما يجمع الناس من ولايات وأواصر وقرابات، وأن الفطر تميل للرح م وتقديمها، فمن رحمة الله تعالى بالأمة أن نبهها لحق ذوي الأرحام وولايتهم ، خاصة إن كانوا مسلمين ولا يوجد ما يناقض الدين . فالولاية ابتداء ولاية الدين، ومن باب أولى إذا كانت ولاية جمعت بين النسب والإسلام. وفي هذا ترجيح

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٩١).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٢٥٤).

إلى أن الآية الأولى في الولاية قُصد بها ولاية الدين والنصرة والمعاونة دون التوارث، وفي هذه الآية قُصد بالولاية الإرث.

الفصل الثاني

سورة التوبة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجه تسميتها

المبحث الثاني: مقاصدها وأغراضها

المبحث الثالث: تناسب آياتها، وأثره

المبحث الأول: وجه تسميتها

تعددت أسماء سورة التوبة، وقد ذكر لها الطاهر أربعة عشر اسمًا، ومن أشهر تسمياتها التوبة وبراءة، وفيهما يقول الطاهر: ((ووقع هذان الاسمان معًا في حديث زيد بن ثابت [(١)]، في صحيح البخاري، في باب جمع القرآن، قال زيد: " فتتبعتُ القرآن حتّى وجدت آخرَ سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري [(٢)]: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [(٣)]، حتى خاتمةِ سورة البراءة "[(٤)]. وهذان الاسمان هما الموجودان في المصاحف التي رأيناها)) [(٥)].

ولقد تعرّض الطاهر لمناسبة تلك التسميات، وفيما يلي بيان ما أورده:

١ــ سورة براءة:

قال الطاهر: ((سمّيت هذه السورة، في أكثر المصاحف، وفي كلام السلف : سورة براءة، ففي الصحيح عن أبي هريرة[(٦)]، في قصة حجّ أبي بكر بالناس، قال أبو هريرة: " فأذَّن معنا علي بن أبي طالب في أهل منى ببَراءة" [(٧)].

---

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي ، أبو سعيد، وقيل: أبو ثابت، وقيل غير ذلك في كنيته، استصغر يوم بدر، ويقال: إنه شهد أحدًا، ويقال: أول مشاهده الخندق، من علماء الصحابة، وهو الذي جمع القرآن في عهد أبي بكر، كان عمر يستخلفه إذا سافر، اختلف في وفاته، قيل : مات سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وأربعين ، وقيل: سنة إحدى أو اثنتين أو خمس وخمسين ، وفي خمس وأربعين قول الأكثر. انظر: الاستيعاب (٢/ ٥٣٧)، الإصابة (٢/ ٥٩٢).

(٢) الحارث بن خزيمة أبو خزيمة الأنصاري قال ابن شهاب عن عبيد ابن السباق عن زيد بن ثابت قال: وجدت آخر التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، وهذا لا يوقف له على اسم على صحة، وهو مشهور بكنيته. انظر: الاستيعاب (١/ ٢٨٨)، أسد الغابة (٢/ ١٦٤).

(٣) جزء من الآية (١٢٨) من سورة التوبة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، بَاب جَمْعِ الْقُرْآنِ، (٤/ ١٩٠٧)، رقم: [٤٧٠١]. وباب كاتب النبي ﷺ، (٤/ ١٩٠٨)، رقم: [٤٧٠٣]. وفي كتاب التفسير، بَاب قَوْلِهِ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ، (٤/ ١٧٢٠)، رقم: [٤٤٠٢]. وفي كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم، (٦/ ٢٧٠٠)، رقم: [٦٩٨٩].

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ٩٥).

(٦) أبو هريرة صاحب رسول الله، اختلفوا في اسمه واسم أبيه في الجاهلية والإسلام، كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، وفي الإسلام عبد الله أو عبد الرحمن بن صخر، وكني بأبي هريرة لأنه وجد هرة فجعلها في كمه، فقيل له: ما هذه؟ قال: هرة، قيل: فأنت أبو هريرة، أسلم عام الخيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ، ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم راضيا بشبع بطنه فكانت يده مع يد رسول الله ﷺ، توفي سنة سبع وخمسين ، وقيل: ثمان وخمسين أو تسع وخمسين. انظر: الاستيعاب (٤/ ١٧٦٨)، أسد الغابة (٣/ ٣٦٠).

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يستر من العورة، (١٤٤/١)، رقم: [٣٦٢]. وفي كتاب التفسير، بَاب قَوْلِهِ ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ، (٤/ ١٧٠٩)، رقم: [٤٣٧٨]. وباب ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ، (٤/ ١٧١٠)، رقم: [٤٣٧٩].

وفي صحيح البخاري ، وعن زيد بن ثابت قال: " آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ سُورَةُ بَرَاءة "[1]، وبذلك ترجَمها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه[2]. وهي تسمية لها بأول كلِمَة منها)) [3].

ومن خلال كلامه تظهر مناسبة التسمية بوضوح، فهي سميت بسورة براءة، لافتتاحها بهذه الكلمة.

ويمكن القول أنها سميت براءة لما حوته من الولايات والبراءات، فهي آخر سورة نزلت[4]، ونزل معها آخر تقسيم للناس حيث استتب أمر الإسلام وعلت رايته، فجاء فيها البراءة من الكافرين وعدم ولايتهم.

٢_ الفاضحة:

قال الطاهر: ((وتسمّى سورة التوبة في كلام بعض السلف في مصاحف كثيرة، فعن ابن عبّاس "سورة التوبة هي الفاضحة"[5]))[6].

وقال: ((وكان ابن عبّاس يدعوها الفاضحة : قال: "ما زال يترل فيها ومنهم ومنهم حتى ظننّا أنّه لا يبقى أحد إلاّ ذكر فيها" [7]. وأحسب أنّ ما تحكيه من أحوال المنافقين يَعرف به المتّصفون بها أ نّهم المراد فعرف المؤمنون كثيرًا من أولئك مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ [8] فقد قالها بعضهم وسمعت منهم، وقوله : ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [9] فهؤلاء نقلت مقالتهم بين المسلمين. وقوله: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا﴾ [10])) [11].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حج أبي بكر بالناس في سنة تسع، (٤/ ١٥٨٦)، رقم: [٤١٠٦]. وفي كتاب التفسير، باب ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ﴾ ، (٤/ ١٦٨١)، رقم: [٤٣٢٩].

(٢) قال البخاري في كتاب التفسير: باب تفسير سُورَةُ بَرَاءَةَ التوبة. انظر: صحيح البخاري (٤/ ١٧٠٧).

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٩٥).

(٤) انظر: البرهان (١/ ١٤٩).

(٥) انظر: البرهان (١/ ١٨٩)، الإتقان (١/ ١٥٥).

(٦) التحرير والتنوير (١٠/ ٩٥).

(٧) انظر: البرهان (١/ ١٨٩)، الإتقان (١/ ١٥٥).

(٨) جزء من الآية (٤٩) من سورة التوبة.

(٩) جزء من الآية (٦١) من سورة التوبة.

(١٠) جزء من الآية (٤٢) من سورة التوبة.

(١١) التحرير والتنوير (١٠/ ٩٦).

من خلال السابق من كلام الطاهر، ذكر تسميتها بالفاضحة، ولقد سُمّيت بذلك لأنها فضحت المنافقين ومقالاتهم وأحوالهم.

٣ــ التوبة:

قال الطاهر: ((وترجم لها الترمذي في جامعه باسم التوبة(١). ووجه التسميّة: أنّها وردت فيها توبة الله تعالى عن الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك(٢)، وهو حدث عظيم)) (٣).

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر تسميتها بالتوبة، ومناسبة هذه التسمية أنه ذُكر فيها قصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك وتوبة الله عليهم، وهو أهمّ حدث في السورة.

٤ــ المقشقشة:

قال الطاهر : ((روي عن ابن عمر (٤)، عن ابن عبّاس : "كنّا ندعوها ــ أي سورة براءة ــ المقشقِشة"(٥) بصيغة اسم الفاعل وتاء التأنيث من قشقشَهُ إذا أبْرَاه من المرض، كان هذا لقبًا لها ولسورة الكافرون لأنهما تخلصان من آمن بما فيهما من النفاق والشرك ، لما فيهما من الدعاء إلى الإخلاص ، ولما فيهما من وصف أحوال المنافقين)) (٦).

ومما سبق يظهر أنها تشارك سورة الكافرون في لقب المقشقشة، ووجه إطلاق ذلك عليهما كما يذكر الطاهر أنهما اشتملتا على الدعوة إلى الإخلاص، وعلى وصف أحوال المنافقين، ما يُخلّص من النفاق والشرك مَن آمن بما فيهما.

(١) انظر: الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (٥/ ٢٥٤).

(٢) حدثت في رجب سنة تسع، بين المسلمين والروم، وكانت في زمن عسرة وشدة حرّ . انظر: السيرة النبوية (٤/ ١٦٩). تبوك: بالفتح ثم الضم وواو ساكنة وكاف، موضع بين وادي القرى والشام. انظر: معجم البلدان (٢/ ١٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٩٥).

(٤) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، يولد سنة ثلاث من المبعث النبوي، وأسلم مع أبيه وهاجر وعرض على النبي ﷺ ببدر فاستصغره ثم بأحد فكذلك ثم بالخندق فأجازه وهو يومئذ بن خمس عشرة سنة، مات سنة ثلاث وسبعين بمكة بعد مقتل ابن الزبير . انظر: الاستيعاب (٣/ ٩٥٠)، الإصابة (٤/ ١٨١).

(٥) انظر: البرهان (١/ ١٨٩)، الإتقان (١/ ١٥٦).

(٦) التحرير والتنوير (١٠/ ٩٥).

٥_ العذاب، المنقّرة، البَحوث، الحافرة، المثيرة، المبعثرة، المخزية، المنكّلة، المشددة، المدمدمة:

قال الطاه ر: ((وعن حذيفة[١]: أنّه سمّاها سورة **العذاب** [٢] لأنّها نزلت بعذاب الكفّار ، أي عذاب القتل، والأخذ حين يثقفون.

وعن عبيد بن عمير[٣] أنّه سمّاها **المنقِّرة** [٤] _ بكسر القاف مشدّدة _ لأنّها نقرت عمّا في قلوب المشركين (لعلّه يعني من نوايا الغدر بالمسلمين وا لتمالي على نقض العه د، وهو من نَقَر الطائر إذا أنقى بمنقاره موضعاً من الحصى ونحوه ليبيض فيه).

وعن المقداد بن الأسود [٥]، وأبي أيّوب الأنصاري [٦]: تسميتها **البَحوث** [٧] بباء موحّدة مفتوحة في في أوّله وبمثلّثة في آخره بوزن فعول بمعنى الباحثة ، وهو مثل تسميتها المنقّرة [٨]. وعن الحسن البصري أنّه دعاها **الحافرة** [٩] كأنّها حفرت عمّا في قلوب المنافقين من النفاق، فأظهرته للمسلمين . وعن قتادة: أنّها تسمّى **المثيرة** [١٠] لأنّها أثارت عورات المنافقين وأظهرها. وعن ابن عباس أنّه سمّاها **المبعثرة** لأنّها بعثرت

---

(١) حذيفة بن اليمان ﷺ أبا عبد الله واسم اليمان حسيل بن جابر ، شهد حذيفة وأبوه وأخوه أحدًا، وقتل أباه يومئذ بعض المسلمين وهو يحسبه من المشركين ، كان حذيفة من كبار أصحاب رسول الله ، وهو معروف في الصحابة بصاحب سر رسول الله في المنافقين، (ت ٣٦هـــ). انظر: الاستيعاب (١/ ٣٣٤)، أسد الغابة (١/ ٥٧٢).

(٢) انظر: البرهان (١/ ١٨٩)، الإتقان (١/ ١٥٦).

(٣) عبيد بن عمير بن قتادة بن سعد بن عامر بن جندع الليثى ثم الجندعى ، يكنى أبا عاصم، قاص أهل مكة، ذكر البخاري أنه رأى النبي ﷺ، وذكره مسلم بن الحجاج فيمن ولد على عهد رسول الله ﷺ، وهو معدود في كبار التابعين، (ت ٧٤هـــ). انظر: الاستيعاب (٣/ ١٠١٨)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٥٦).

(٤) انظر: الإتقان (١/ ١٥٦).

(٥) المقداد بن الأسود الكندي هو بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهراني ، يكنى أبا الأسود وقيل : كنيته أبو عمر، وقيل: أبو سعيد، أسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، وكان فارساً يوم بدر حتى إنه لم يثبت أنه كان فيها على فرس غيره، مات في خلافة عثمان سنة (٣٣هـــ). انظر: الاستيعاب (٤/ ١٤٨٠)، الإصابة (٦/ ٢٠٢).

(٦) خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار ، أبو أيوب الأنصاري معروف باسمه وكنيته، من السابقين، شهد العقبة وبدرًا وما بعدها، ونزل عليه النبي ﷺ لما قدم المدينة فأقام عنده حتى بنى بيوته ومسجده ، توفي في غزاة القسطنطينية سنة خمسين وقيل إحدى وقيل اثنتين وخمسين أو خمس وخمسين. انظر: الاستيعاب (٤/ ١٦٠٦)، الإصابة (٢/ ٢٣٤).

(٧) انظر: البرهان (١/ ١٨٩)، الإتقان (١/ ١٥٦).

(٨) قال القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [المائدة: ٣١]: ((يبحث معناه يفتش التراب بمنقاره ويثيره. ومن هذا سميت سورة براءة البحوث، لأنها فتشت عن المنافقين))، الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٩٤) . وقال أيضًا: ((والبحوث لأنها تبحث عن أسرار المنافقين)). الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤٠).

(٩) انظر: البرهان (١/ ١٨٩)، الإتقان (١/ ١٥٦).

(١٠) انظر: الإتقان (١/ ١٥٦).

عن أسرار المنافقين، أي أخرجتها من مكانها. وفي الإتقان: أنّها تسمّى **المخزية** [1] _ بالخاء والزاي المعجمة وتحتية بعد الزاي _ وأحسب أنّ ذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2]. وفي الإتقان أنّها تسمّى **المنكّلة** [3]، أي بتشديد الكاف. وفيه أنّها تسمّى **المشدّدة**[4].

وعن سفيان [5] أنّها تسمّى **المدمدمة** [6] بصيغة اسم الفاعل من دمدم إذا أهلك، لأنّها كانت سبب هلاك المشركين. فهذه أربعة عشر اسماً)) [7].

ومن خلال ما سبق نقله، فإن بعض السلف قد أطلقوا عليها أسماء تناسب موضوعًا أو أمرًا ذُكر في السورة، والذي جاء به الطاهر هو وجه تسميتها با لمخزية، فذكر أن ذلك لورود آية فيها خزي الله للكافرين. ويظهر من خلال هذه التسميات، تناسبها مع ما جاء في السورة من الحديث عن المنافقين والكافرين، وما جاء فيها من أحكامهم، وهتك أستارهم، وعذابهم، وكل ذلك من أغراض هذه السورة العظيمة. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/ ١٥٦).

(٢) جزء من الآية (٢) من سورة التوبة.

(٣) انظر: الإتقان (١/ ١٥٦).

(٤) انظر: المصدر السابق. وفيه: (المشردة) وليس المشددة، فقد يكون خطأ مطبعيًا.

(٥) سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الثوري الكوفي ، الإمام شيخ الإسلام سيد الحفاظ، قال ابن المبارك: لا أعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان، وقال وكيع: كان سفيان بحرًا، (ت ١٦١). انظر: التاريخ الكبير (٤/ ٩٢)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٣).

(٦) انظر: الإتقان (١/ ١٥٦).

(٧) التحرير والتنوير (١٠/ ٩٦_ ٩٧).

المبحث الثاني: مقاصدها وأغراضها

لقد نزلت سورة التوبة في السنة التاسعة من الهجرة، متفرقة على أيام ذلك العام وشهوره، فنزلت أجزاء منها قبل غزوة تبوك وبعدها، ونزل صدرها في أواخره قبيل موسم حج ذلك العام.

نزلت في زمن طابت فيه الثمار، واشتد فيه الحرّ، وركن الناس إلى الدعة، ذاك هو زمن العسرة، وذاك هو وقت الابتلاء والامتحان من الله، وقت خروج النبي ﷺ إلى موقعة تبوك لغزو الروم، ليظهر مَن آمن، ويُفتضح مَن نافق.

جاءت التوبة بنبذ العهود وردّها على المشركين، والأمر بقتالهم، ونفي عمارة المسجد الحرام وسقاية الحجيج عنهم، ولَحِق بهم في الخزي إخوانهم من أهل الكتاب، وفي الفضيحة معاونوهم من المنافقين.

جاءت السورة لترسم الخطوط العريضة للعلاقات بين المجتمع المسلم وبين غيره من المجتمعات، بعد أن عزّ أمر الإسلام، واغتنى المسلمون، وصارت لهم منعة وشوكة. جاءت لتجعل الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراء لمن عاداه وبقي على كفره وجهله. جاءت لتضع أحكام السلم والحرب، والجهاد والصدقات، وتبني دستورًا للأمة تسير عليه في علاقاتها الخارجية والداخلية، فكانت ضمانة وأمنًا لكيان الإسلام، فشرّدت السورة أمر المشركين، وهتكت أستار المنافقين، وقضت على مكر أهل الكتاب الماكرين، وتصدّت للأعداء خارج دولة الإسلام.

ورغم كل الشدة التي في السورة، ومع عدم تصدّر البسملة أولها، إلا أن آياتها أبقت باب التوبة مفتوحًا للجميع، مسلمهم وكافرهم ومنافقهم؛ لأن الإسلام يأبى أن ييأس الناس من رحمة خالقهم ومولاهم. وخُتمت أخيرًا بالرحمة المهداة، والنعمة المسداة، رسول الرحمة، وقائد الأمة، ليكتمل أمر تلك الأحكام، بذكر المُبلِّغ عن الله تعالى رسول الأنام، ويعلم العالم كله أمر دين الإسلام، فإن تولوا وأبوا فإن الله حسبه وكافيه.

وقد جاءت أيات السورة منسجمة المقاطع، متناسقة الموضوعات، وقد جعلها الطاهر في بضعة عشر غرضًا ومقصدًا، وهي [1]:

١ـ افتتحت السورة بتحديد مدّة العهود التي بين النبي ﷺ وبين المشركين وما يتبع ذلك من حالة حرب وأمن وفي خلال مدة الحرب مُدةُ تمكينهم من تلقّي دعوة الدين وسماع القرآن. وأتبع بأحكام الوفاء والنكث وموالاتهم.

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ٩٩ـ ١٠١) بتصرف.

٢_ منع المشركين من دخول المسجد الحرام وحضور مناسك الحجّ . إبطال مناصب الجاهلية التي كانوا يعتزّون بأنّهم أهلها. وإعلان حالة الحرب بين المسلمين وبينهم .

٣_ إعلان الحرب على أهل الكتاب من العرب حتّى يعطوا الجزية، وأنّهم ليسوا بعيدًا من أهل الشرك وأن الجميع لا تنفعهم قوتهم ولا أموالهم.

٤_ حُرمة الأشهر الحرم. وضبط السنة الشرعية وإبطال النسيء الذي كان عند الجاهلية.

٥_ تحريض المسلمين على المبادرة بالإجابة إلى النفير للقتال في سبيل الله ، ونصر النبي ﷺ وأنّ الله ناصر نبيّه وناصر الذين ينصرونه، وتذكيرهم بنصر الله رسوله يوم حنين ، وبنصره إذ أنجاه من كيد المشركين بما هيّأ له من الهجرة إلى المدينة.

٦_ الإشارة إلى التجهيز بغزوة تبوك.

٧_ ذم المنافقين المتثاقلين والمعتذرين والمستأذنين في التخلّف بلا عذر. وصفات أهل النفاق من جبن وبخل وحرص على أخذ الصدقات مع أنّهم ليسوا بمستحقيّها.

٨_ ذكر أذَى المنافقين للرسول ﷺ بالقول. وأيمانهم الكاذبة وأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف وكذبهم في عهودهم وسخريتهم بضعفاء المؤمنين .

٩_ الأمر بضرب الجزية على أهل الكتاب . ومذمّة ما أدخله الأحبار والرهبان في دينهم من العقائد الباطلة، ومن التكالب على الأموال.

١٠_ أمر الله بجهاد الكفّار والمنافقين. ونهي المؤمنين عن الاستعانة بهم في جهادهم والاستغفار لهم. ونهي نبيه ﷺ عن الصلاة على موتاهم. وضرب المثل بالأمم الماضية.

١١_ ذكر الذين اتّخذوا مسجدَ الضرار عن سوء نية ، وفضل مسجد قباء ومسجد الرسول بالمدينة.

١٢_ وصف حالة الأعراب من مُحسنهم ومسيئهم ومهاجرهم ومتخلّفهم .

١٣_ مقابلة صفات أهل الكفر والنفاق بأضدادها صفات المسلمين ، وذكر ما أعدّ لهم من الخير . وذكر في خلال ذلك فضْل أبي بكر. وفضل المهاجرين والأنصار.

١٤_ التحريض على الصدقة والتوبة والعمل الصالح.

١٥_ الجهاد وأنّه فرض على الكفاية. والتّذكير بنصر الله المؤمنين يوم حنين بعد يأسهم.

١٦_ التّنويه بغزوة تبوك وجيشها. والذين تاب الله عليهم من المتخلّفِين عنها.

١٧_ الامتنان على المسلمين بأن أرسل فيهم رسولاً منهم جبله على صفات فيها كلّ خير لهم.

١٨_ شرع الزكاة ومصارفها والأمر بالفقه في الدين ونشر دعوة الدين.

ويظهر مما حررّه الطاهر، إلمامه بجميع مقاصد السورة التي دارت حولها، وأن هذه الأغراض يمكن تلخيصها بأنها في شؤون المسلمين الداخلية مع المشركين، وأهل الكتاب، والمنافقين، وفي أحكام الجهاد، والمسالمة والمحاربة، وفي استعدادات غزوة تبوك وما حدث بعدها . وفي تنظيم علاقات المجتمع المسلم الخارجية مع المجتمعات الأخرى لأن السورة نزلت وقد بدأ الإسلام بالانتشار خارج الجزيرة.

المبحث الثالث: تناسب آياتها، وأثره

١ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر: ((الفاء للتفريع على معنى البراءة، لأنّها لّما أمر الله بالأذان بها كانت إعلامًا للمشركين، الذين هم المقصود من نقض العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين، فضمير الخطاب في فعل الأمر معلوم منه أنّهم الموجه إليهم الكلام وذلك التفات . فالتقدير: فليسيحوا في الأرض ونكتة هذا الالتفات إبلاغ الإنذار إليهم مباشرة)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما أعلمهم سبحانه بأنه رد إليهم عهدهم، وكانوا مختلطين مع أهل الإسلام، جعل لهم مخلصاً إن آثروا البقاء على الشرك مع إعلامهم بأنه لا خلاص لهم لأنهم في قبضته، فقال مخاطباً لهم ولكل مشرك مسبباً عن البراءة: ﴿فَسِيحُواْ ﴾)) (٣).

من خلال ما سبق نقله، اتفق المفسرون على أن هذه الآية إعلام للمشركين بنقض العهد معهم لئلا يُنسب للمسلمين الغدر، وإنذار للمشركين وتخويف وتأجيل لهم بعد البراءة المذكورة في الآية السابقة، ليراجعوا أنفسهم في المدة المضروبة فيُسلموا أو يدفعوا الجزية أو ليس لهم إلا القتال. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ ﴾: ((عطف على ﴿فَسِيحُواْ ﴾ داخل في حكم التفريع، لأنّه لّما أنبأهم بالأمان في أربعة الأشهر عقّبه بالتخويف من بأس الله احْتراسًا من تطرّق الغرور، وتهديدًا بأنّ لا يطمئنوا من أنْ يسلّط الله المسلمين عليهم في غير الأشهر الحرم، وإن قبعوا في ديارهم. وافتتاح الكلام بـ ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ ﴾ للتنبيه على أنّ ممّا يحقّ وعيه، والتدبر فيه)) (٤).

(١) الآية (٢) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٠٥).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٦٦).

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ١٠٦ـ ١٠٧).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما كان الإسلام قد ظهر بعد أن كان خفيًا، وقوي بعد أن كان ضعيفاً، افتتح وعظهم بالكلمة التي تقال أولاً لمن يراد تقريع سمعه وإيقاظ قلبه وتنبيهه على أن ما بعدها أمر مهم ينبغي مزيد الاعتناء به فقال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ﴾ أي أيها الكفرة وإن كثرتم ﴿غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ﴾ لأن علمه محيط بكل شيء فهو قادر على كل ممكن ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي لما له من الإحاطة بالجلال والإكرام ﴿مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي كلهم منكم ومن غيركم في الدنيا والآخرة لأن قوله قد سبق بذلك، ولا يبدل القول لديه، والإخزاء: الإذلال مع إظهار الفضيحة والعار - . وأظهر الوصف موضع الضمير تعميمًا وتعليقاً للحكم به؛ ولعل الالتفات إلى الخطاب إشارة إلى أن من ترك أمر الله حدباً على قريب أو عشير فهو منهم، وقد برئت منه الذمة، فلينج بنفسه ولا نجاء له، أو يكون لا ستعطاف الكفار لهذيذ الخطاب وترهيبهم بزواجر العقاب))[1].

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أنها معطوفة على ﴿فَسِيحُواْ﴾ ، داخل في حكم التفريع السابق، ثم ألبسها ثوبًا بلاغيًابأنها احتراس.

أما البقاعي فقد ذكر السر في وعظهم بقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾.

ومما سبق يظهر تميز الطاهر في المناسبات التي يذكرها . فتكون المناسبة أنه لما أمّنهم وأمهلهم، أتبع ذلك بتخويفهم وتهديدهم بأنهم لا يعجزون الله، فهو قادر على أن يُسلط عليهم المسلمون في غير الأشهر الحرم، وفي أي وقت كان. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن في هذا الإمهال للكافرين رحمة من الله وإنذار، وفرصة للتراجع عن الكفر، والاستسلام لله سبحانه، الذي وسعت قدرته وعظمته كل شيء فلا يعجزه شيء في الدنيا ولا في الآخرة.

وفيه تنبيه على أنه لا يفوت أحد من عذاب الله تعالى، فيجب الاحتراس من الغرور والعجب وغير ذلك من الأمور التي تؤدي إلى الا طمئنان والدعة إلى العصيان، ونسيان بأس الله وسخطه . فعلى الإنسان أن لا يرفل في الدعة فينسى ويغفل، لأن الله تعالى يمهل ولا يُهمل.

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٦٦).

٢ــ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١)

قال الطاه ر: ((عطف على جملة ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ (٢) وموقع لفظ ﴿ وَأَذَٰنٌ ﴾ كموقع لفظ ﴿بَرَآءَةٌ ﴾ في التقدير، وهذا إعلام للمشركين الذين لهم عهد بأنّ عهدهم انتقض ... وإضافة الأذان إلى الله ورسوله دُون المسلمين، لأنّه تشريع وحكم في مصالح الأمّة ، فلا يكون إلاّ من الله على لسان رسوله ﷺ وهذا أمر للمسلمين بأن يأذنوا المشركين بهذه البراءة ، لئلا يكونوا غادرين، كما قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ (٣). والمراد بالناس جميع الناس من مؤمنين ومشركين لأن العلم بهذا النداء يَهُمّ الناس كلّهم)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أن قوله ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ جملة تامة مخصوصة بالمشركين، وقوله ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ جملة أخرى تامة معطوفة على الجملة الأولى وهي عامة في حق جميع الناس ، لأن ذلك مما يجب أن يعرفه المؤمن والمشرك من حيث كان الحكم المتعلق بذلك يلزمهما جميعً ا، فيجب على المؤمنين أن يعرفوا الوقت الذي يكون فيه ، القتال من الوقت الذي يحرم فيه فأمر الله تعالى بهذا الإعلام يوم الحج الأكبر ، وهو الجمع الأعظم ليصل ذلك الخبر إلى الكل ويشتهر)) (٥).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما أنزل البراءة، أمر بالإعلام بها في المجمع الأعظم ليقطع الحجج، فقال عاطفاً ظهرة الجملة إلى مضمونها: الإخبار بوجوب الإعلام بما ثبت بالجملة الأولى المعطوفة عليها من البراءة: ﴿ وَأَذَٰنٌ ﴾ أي وهذا إعلام وإعلان واقع وواصل ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ﴾أي المحيط بجميع صفات العظمة ﴿وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ أي

(١) الآية (٣) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١) من سورة التوبة.

(٣) الآية (٥٨) من سورة الأنفال.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ١٠٧ــ ١٠٨).

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ١٧٦).

الذي عظمته من عظمته، فلا يوجهه إلى شيء إلا أعلاه عليه ؛ ولما كان المقصود الإبلاغ الذي هو وظيفة الرسول، عداه بحرف الانتهاء فقال: ﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي كلهم من أهل البراءة وغيرهم)) [1].

من خلال المنقول السابق، اتحد معنى ما ذكره المفسرون من مناسبات رغم اختلاف ألفاظهم، فتكون المناسبة أنه لما أنزل البراءة، أعقب ذلك بالأمر بإعلانها وإعلامها للناس يوم الحج الأكبر، لتصل وتبلغ مسامع الجميع من مسلمين وكافرين لأن الأمر مُهمٌّ أن يعلموه أجمعين.

وزاد الطاهر مناسبة إضافة الأذان إلى الله ورسوله؛ فذكر أنه تشريع من الله للأمة لا يكون إبلاغه إلا على لسان رسوله، وفيه أمر للمسلمين بأن يُعلموا المشركين بالبراءة حتى لا يكونوا غادرين. وذكر البقاعي أن هذا الإبلاغ وظيفة الرسول. وهو قريب من قول الطاهر. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان لضرورة الإنباء بنقض العهد، وأن ذلك من أخلاقيات الإسلام وأسسه. وأنه تعالى ذكره نَسَبَ الأذان إليه وإلى رسوله لأهمية ما يُعْلَم الناس به، فهو تشريع يجب أن يُنفَّذ. وكذلك إذا كان هناك أمر مهم وطارئ فإن من أدب الإسلام أن يتمّ إعلامه وأذانه على الجميع سريعًا وبأوضح العبارات وأصرحها لئلا يكون هناك عذر لمتعذر في عدم الفهم أو في وصول البلاغ إليه متأخرًا، وكذلك من أدبه اختيار المكان والزمان المناسبين للتبليغ بأمر يهم الجميع فيُذاع ويُنشر بينهم فيَبْلُغُ مَن حَضَرَ ومَن لم يحضر.

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٧٦).

٣ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاه ر: ((استثناء من المشركين في قوله : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ ﴾ (٢)، ومن ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ في قوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣) لأنّ شأن الاستثناء إذا ورد عقب جمل أن يرجع إلى ما تحتويه جميعُها ممّا يصلح لِذلك الاستثناء، فهو استثناء لهؤلاء: من حكم نقض العهد، ومن حُكم الإنذار بالقتال، المترتّب على النقض ، فهذا الفريق من المشركين باقون على حرمة عهدهم وعلى السلم معهم)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما أعلمهم بالبراءة وبالوقت الذي يؤذن بها فيه، وكان معنى البراءة منهم أنه لا عهد لهم، استثنى بعض المعاهدين)) (٥).

من خلال السابق، ذكر الطاهر المناسبة ضمنًا، وذكر المستثنى منه، وأن شأن الاستثناء إذا ورد عقب جمل أن يرجع إلى ما تحتويه جميعها مما يصلح ذلك . أما البقاعي فقد ذكر المناسبة صريحة ولم يتعرض للمستثنى منه.

ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما ذكر البراءة من المشركين، ونقض العهد معهم، وإنذارهم بالعذاب والقتال لنقضهم، استثنى منهم مَن عاهدوا وبقوا على العهد. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان حرمة العهود في الدين الإسلامي ما دامت مدتها قائمة، ووجوب الالتزام بها وإتمامها.

---

(١) الآية (٤) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٣) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٣) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ١١١ـ ١١٢).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢٧٠).

المناسبة الثانية: قال الطاهر: ((وجملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ تذييل في معنى التعليل للأمر بإتمام العهد إلى الأجل بأنّ ذلك من التقوَى، أي م ن امتثال الشر ع الذي أمر الله به ، لأنّ الإخبار بمحبة الله المتّقين عقب الأمر كناية عن كون المأمور به من التقوى))[1].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية: ((وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ تنبيه على أن الوفاء بالعهد من التقوى))[2].

٢ــ قال الرازي: ((يعني أن قضية التقوى أن لا يسوى بين القبيلتين ، أو يكون المراد أن هذه الطائفة لما أَوْفَوْا النكث ونقض العهد، استحقوا من الله أن يصان عهدهم أيضاً عن النقض والنكث))[3].

٣ــ قال أبو حيان : ((وقوله يحب المتقين تنبيه على أنّ الوفاء العهد من التقوى وأنّ من التقوى أن لا يسوي بين القبيلتين))[4].

٤ــ قال البقاعي : ((ولما كانت محافظتهم على عهدهم من أفراد التقوى، وكان الأمر بالإحسان إلى شخص من أفعال المحب، قال تعالى معللاً : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أي الذي له صفات الكمال ﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي يفعل بهم وبكم أفعال المحب، فهو قول حاث للكل على التقوى، وكل ينزله على ما يفهم، فهو من الإعجاز الباهر))[5].

٥ــ قال الألوسي: ((تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على أن مراعاة العهد من باب التقوى وأن التسوية بين الغادر والوفي منافية لذلك وإن كان المعاهد مشركًا))[6].

ومن خلال السابق يذكر المفسرون مناسبة الختام بـــ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، فذكر الطاهر أنه لما أمرهم بإتمام العهد للمشركين الذين لم ينقضوا العهد، أتبعه بذكر التقوى لأن امتثال أمر الله وإيفاء العهود هو من صفات المتقين، والله يحب المتقين.

و لم يختلف معنى ما ذكره الطاهر عن بقية المفسرين سوى باللفظ، وزاد بعضهم أنه جاء على ذكر التقوى لأنه لا يساوى بين من نقض العهد وبين من حافظ عليه، فمن التقوى معام لتهم بالعدل وإتمام عهدهم. والله تعالى أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١١٣).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٨).

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ١٧٩).

(٤) البحر المحيط (٥/ ١١).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢٧١).

(٦) روح المعاني (٩/ ٦٩).

أثر المناسبة:

إظهار للأخلاق الإسلامية حتى في التعامل مع غير المسلمين، ما داموا محافظين على وعودهم مع أهل الإسلام.

وبيان أن التقوى هي الباعثة على الامتثال، وأن مراعاة العهود من مظاهر التقوى.

٤ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((استئناف بياني، نشأ عن قوله: ﴿ بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ (٢) ثم عن قوله: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (٣) وعن قوله ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (٤) التي كانت تدرجًا في إبطال ما بينهم وبين المسلمين من عهود سابقة ، لأنّ ذلك يثير سؤالاً في نفوس السامعين من المسلمين الذين لم يطلعوا على دخيلة الأمر ، فلعلّ بعض قبائل العرب من المشركين يتعجّب من هذه البراءة، ويسأل عن سببها، وكيف أنهيت العهود وأعلنت الحرب، فكان المقام مقام بيان سبب ذلك ، وأنّه أمران: بُعد ما بين العقائد، وسبق الغدر)) (٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال البقاعي: ((ولما كان الأمر بالنبذ مظنة لأن يعجب منه، عجب فقال : فمن يتعجب منه؟ وأنكر عليه فقال: ﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ أي أهل العراقة في الشرك الذين توجب عراقتهم فيه ومحبتهم لظهوره نكثَ العهد الذي لا أقبح منه عند العرب ولا أشنع ﴿ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي المستجمع لصفات الكمال، فهو لا يحب النقض من أوليائه فكيف به من أعدائه ﴿ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ ﴾ أي الذي هو أكمل الخلق وأوفاهم وأحفظهم للعهود وأرعاهم فهم أضداده فأعمالهم أضداد أعماله، وقد بدا منهم الغدر)) (٦).

٢ـ قال الألوسي: ((تبيين للحكمة الداعية لما سبق من البراءة ولواحقها والمراد من المشركين الناكثون لأن البراءة إنما هي في شأنهم)) (٧).

---

(١) الآية (٧) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٣) من سورة التوبة.

(٤) جزء من الآية (٥) من سورة التوبة.

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ١٢٠ـ ١٢١).

(٦) نظم الدرر (٣/ ٢٧٢).

(٧) روح المعاني (٦/ ٧٥).

من خلال ما سبق نقله، فإن المناسبات المذكورة قد اتفقت في الم عنى رغم اختلاف الألفاظ، فتكون المناسبة أنه لما ذكر البراءة وتوابعها، قد يتساءل سائل ويتعجب : ما موجبها؟ فبيّن الله تعالى في هذه الآية أسباب البراءة، وهي: الكفر، وسابقة الغدر من الكفار. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾: ((تعليل للأمر بالاستقامة. وموقع ﴿ إِنَّ ﴾ أولها، للاهتمام وهو مؤذن بالتعليل لأن ﴿ إِنَّ ﴾ في مثل هذا تغني غناء فاء، وقد أنبأ ذلك، التعليل، أنّ الاستقامة لهم من التقوى وإلاّ لم تكن مناسبة للإخبار بأنّ الله يحبّ المتّقين . عقّب الأمر بالاستقامة لهم، وهذا من الإيجاز. ولأنّ في الاستقامة لهم حفظاً للعهد الذي هو من قبيل اليمين)) [(١)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الألوسي: ((وعلل سبحانه بقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ على طرز ما تقدم حذو القذة بالقذة)) [(٢)].

من خلال المنقول السابق، لم تختلف معاني مناسبات ا لمفسرين سوى في ألفاظها، فتكون المناسبة أنه لما أمرهم بالاستقامة في إتمام العهد مع المشركين الذين لم ينقضوا عهدهم مع المسلمين، أعقبه بالتنويه بمحبة الله للمتقين لأن الاستقامة لهؤلاء المشركين وحفظ عهدهم هو من التقوى. والله تعالى أعلم[(٣)].

أثر المناسبات:

بيان أن هذا الإنكار وتلك البراءة هي معاملة بالمثل، فمن استقام أُستقيم له، ومن أضمر وغدر فلا مراعاة لعهده. والتأكيد مرة أخرى على أن الوفاء بالعهود والشروط هو من التقوى.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٢٣).

(٢) روح المعاني (٦/ ٧٦).

(٣) وقد جاءت مثل هذه المناسبة قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾. انظر: المناسبة الثالثة من سورة التوبة في هذا البحث.

٥_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾[١]

قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾: ((عطف على جملة: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ لمناسبة أنّ إثبات الاعتداء العظيم لهم، نشأ عن الحقد، الشيء الذي أضمروه للمؤمنين ، لا لشيء إلاّ لأنّهم مؤمنون كقوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[٢]))[٣].

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر مناسبة ختم الآية، أنه ختم بوصفهم بالاعتداء تنبيهًا إلى أن سبب العدواة هو حقدهم على المؤمنين، وأن سبب ذلك الحقد هو الإيمان . وهذه من تفرداته على حد إطلاعي. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان لصفة أخرى من صفات المشركين، فهُم على فسقهم معتدون أيضًا ومتجاوزون ظالمون ، يحّركهم حقدهم على الإسلام وأهله، فلا تعنيهم القرابات ولا المعاهدات.

---

(١) الآية (١٠) من سورة التوبة.

(٢) الآية (٨) من سورة البروج.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٢٧).

٦ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر: ((تفريع حكم على حكم لتعقيب الشدّة باللين إن هم أقلعوا عن عداوة المسلمين بأن دخلوا في الإسلام لقصد مَحو أثر الحنق عليهم إذا هم أسلموا أعقب به جملة: ﴿ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾ (٢) تنبيهًا لهم على أنّ تداركهم أمرهم هين عليهم ، وفرّع على التوبة أنّهم يصيرون إخوانًا للمؤمنين . ولمّا كان المقام هنا لذكر عداوته م مع المؤمنين جعلت توبتهم سببًا للأخوّة مع المؤمنين، بخلاف مقام قوله قبله ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾ (٣) حيث إنّ المعقّب بالتوبة هنالك هو الأمر بقتالهم والترصّد لهم ، فناسب أن يفرّع على توبتهم عدم التعرّض لهم بسوء. وقد حصل من مجموع الآيتين أنّ توبتهم توجب أمنهم وأخُوّتهم)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بيّن حال من لا يرقب في الله إلاً ولا ذمة، وينقض العهد وينطوي على النفاق ويتعدى ما حد له ، بيّن من بعد أنهم إن أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة كيف حكمهم ، فجمع ذلك الشيء بقوله ﴿ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ ﴾ وهو يفيد جملة أحكام الإيمان، ولو شرح لطال)) (٥).

٢ـ قال البقاعي: ((ولما بيّن ما أوجب بعُدهم منهم ومعاداتهم لهم، بيّن ما يصيرون به أهلاً فقال ﴿ فَإِن تَابُواْ ﴾ أي بالإيمان بسبب ما أبديتم لهم من الغلظة ﴿ وَأَقَامُواْ ﴾ أي أيدوا ذلك بأن أقاموا ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي بجميع حدودها ﴿ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أي كما حده رسول الله ﷺ ﴿ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ أي هم، وبيّن أنها ليست أخوة النسب فقال : ﴿ فِى ٱلدِّينِ ۗ ﴾ لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، فلا تعرضوا لهم بما يكرهونه)) (٦).

---

(١) الآية (١١) من سورة التوبة.

(٢) من الآيتين (٩ـ ١٠) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٥) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ١٢٧).

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ١٨٥).

(٦) نظم الدرر (٣/ ٢٧٦).

من خلال النقل السابق، يذكر الطاهر مناسبة هذه الآية لما قبلها، وأيضًا علاقتها بأختها : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ ﴾ (١)، ثم ذكر أنه حصل من مجموع الآيتين أن توبتهم توجب أمنهم وأخوتهم.

وذكر الرازي والبقاعي مناسبة هذه الآية لما قبلها مباشرة، ولم يتعرضا للآية الأخرى التي فيها ذكر للتوبة.

فتكون مناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه تفريع حكم على حكم، فبعد أن بيّن حالهم من نقض للعهد وأنهم لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، عقّب بعد تلك الشدة بأنه يمكنهم تدارك ذلك بالتوبة.

وفي مناسبة تعقيب التوبة بالأخوة، فإنه لما كان الحديث قبله عن عداوتهم مع المسلمين، ناسب أن يعقّب التوبة هنا بذكر حكمهم وهو الأخوة مع المسلمين، فيشملهم جميع أحكام الدين. وفي نظيرتها كان الحديث عن الأمر بقتالهم وتشريدهم والتضييق عليهم، فناسب أن يعقّب التوبة بتخلية سبيلهم وعدم التعرض لهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن الإيمان يَجُبُّ ما قبله، ويمحو آثار العدواة، وأن ضدّه _ وهو الكفر _ يوجب التفرقة، ويفكك عرى الأخوة، فإذا آمنوا نالوا بإيمانهم الأمن والإخاء في الإسلام، وانطبقت عليهم سائر الأحكام، وهذا من مبادئ الولاء والبراء اللذين جاءت بهما السورة. وفيه دلالة على عظم الأخوة الإسلامية وعلوّها على جميع العلاقات.

وما كانت تلك الأخوة ستحصل إلا بفتح باب التوبة لهم ليتداركوا، ولا عجب فهي سورة التوبة رغم ما فيها شدة ! وهذا فيه بيان لأسلوب من أساليب القرآن الكريم، فهو يذكر اللين ثم الشدة، والترهيب ثم الترغيب، وبالعكس.

<u>المناسبة الثانية:</u> قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾: ((اعتراض وتذييل، والواو اعتراضية، ومناسبة موقعه عقب قوله : ﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا ﴾ (٢) أنّه تضمّن أنّهم لم يهتدوا بآيات الله ونبذوها على علم بصحّتها كقوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ ﴾ (٣) ،

---

(١) جزء من الآية (٥) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٩) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٢٣) من سورة الجاثية.

وباعتبار ما فيه من فرض توبتهم وإيمانهم إذا أقلعوا عن إيثار الفساد على الصلاح، فكان قوله: ﴿ وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ جامعًا للحالين، دالاً على أنّ الآيات المذكورة آنفًا في قوله : ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [1] آيات واضحة مفصّلة، وأنّ عدم اهتداء هؤلاء بها ليس لنقص فيها ولكنّها إنّما يهتدي بها قوم يعلمون، فإن آمنوا فقد كانوا من قوم يعلمون . ويفهم منه أنّهم إن اشتروا بها ثمنًا قليلاً فليسوا من قوم يعلمون ، فنُزّل علمهم حينئذ منزلة عدمه لانعدام أثر العلم، وهو العمل بالعلم ، وفيه نداء عليهم بمساواتهم لغير أهل العقول كقوله: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [2])) [3].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي : ((قال صاحب الكشاف [4]: وهذا اعتراض وقع بين الكلامين والمقصود الحث والتحريض على تأمل ما فصلّ من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها)) [5].

٢ـ قال أبو حيان: ((وهذه الجملة اعتراض بين الشرطين بين قوله ﴿ فَإِن تَابُوا۟ ﴾ وقوله ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ ﴾ [6] بعثًا وتحريضاً على تأمل ما فصلّ تعالى من الأحكام وقال ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ لأنه لا يتأمل تفصيلها إلا من كان من أهل العلم والفهم)) [7].

٣ـ قال البقاعي: ((ولما كان كأنه قيل بعثًا وتحريضاً على تأمّل ما فصلّ: قد فصلّنا لكم أمرهم في هذه الآيات تفصيلاً، عطف عليه قوله: ﴿ وَنُفَصِّلُ ﴾ أي في كل أمر يحتاجون جميع ﴿ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ وعظم هذه الآيات وحثهم على تدبرها بقوله : ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ أي صار العلم لهم صفة فلهم ملكة يتصرفون بها في أصوله وفروعه، لا يغترون بمجرد كلام من شأنه الرداءة والمخالفة بين القول والعمل، والاعتراض بهذا بين هذه الجمل المتلاحمة إشارة إلى عظم الأمر الذي نبـّه عليه وتحريض على إنعام النظر فيه ليعلم أن مدخوله جليل الأمر عظيم القدر لئلا يُظَنّ أنه تكرار)) [8].

---

(١) جزء من الآية (٩) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٤٣) من سورة العنكبوت.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٢٨).

(٤) الكشاف (٢/ ٤٣٤).

(٥) التفسير الكبير (١٥/ ١٨٦).

(٦) جزء من الآية (١٢) من سورة التوبة.

(٧) البحر المحيط (٥/ ١٦).

(٨) نظم الدرر (٣/ ٢٧٦ـ ٢٧٧).

من خلال ما سبق نقله، يذكر الطاهر مناسبة التذيل هنا، فلما ذكر قبلاً أنهم ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [1] فهم لم يهتدوا بها رغم علمهم بصحتها، ثم لما ذكر التوبة هنا ذكر بعدها ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ فكأنه جمع بين الكلامين السابقين، فالآيات واضحة مفصلة فلم يؤمنوا بها، وعدم توبتهم جعلهم لا يعلمون، فانعدم علمهم لانعدام انتفاعهم به.

و لم يختلف بقية المفسرين عن أن الجملة معترضة بقصد التنبيه والتحريض على تأمل ما فصّل من أحكام المعاهدين، وإشارة أنه لا يعي تلك الأحكام ولا تلك الآيات إلا أصحاب العلم والفهم. وما ذكره الطاهر أجزل. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثالثة: قال الطاهر: ((وعطف هذا التذييل على جملة : ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ ﴾ لأنّه به أعلق، لأنّهم إن تابوا فقد صاروا إخوانًا للمسلمين، فصاروا من قوم يعلمون، إذ ساووا المسلمين في الاهتداء بالآيات المفصّلة)) [2].

من خلال ما سبق نقله، يذكر الطاهر مناسبة التعقيب بـــ ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ هنا بعد ذكر التوبة أنسب، لأنهم إن تابوا وآمنوا نالوا أخوة المسلمين فصاروا مثلهم يهتدون بالآيات ويعلمون.

وما ذكره الطاهر هنا هو من تفرداته، فهو ربطها بما قبلها من آيات وربطها بما جيء في الآية من ذكر أخوة الدين. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

بيان أن الذين يهتدون وينتفعون بآيات الله تعالى الواضحات، هم المؤمنون . وأن الكفار لما أعرضوا واشتروا بها ثمنًا قليلاً لم ينتفعوا بعلمهم بها لانتفاء أثره وتطبيقه، فصاروا في عداد الذين لا يعلمون.

---

(١) جزء من الآية (٩) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٢٨).

٧_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((لمّا استوفى البيان لأصناف المشركين الذين أ مر الله بالبراءة من عهدهم بقوله: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٢) وإنّما كان ذلك لإبطانهم الغدر، والذين أمر بإتمام عهدهم إلى مدّ تهم ما استقاموا على العهد بقوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ ﴾ (٣) الآيات، والذين يستجيبون عَطَف على أولئك بيان الذين يعلنون بنكث العهد، ويعلنون بما يسخطُ المسلمين من قولهم، وهذا حال مضادّ لحال قوله : ﴿ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ ﴾ (٤) ... وعبّ عن نقض العهد بنكث الأيمان تشنيعًا للنكث ، لأنّ العهد كان يقارنه اليمين على الوفاء ولذلك سمّي العهد حلفًا . وزيد قوله: ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ ﴾ زيادة في تسجيل شناعة نكثهم: بتذكير أنّه غدْر لعهد، وحنث باليمين)) (٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما بيّن السبب الموجب لمجازاتهم بجنس عملهم، وهو البراءة منهم وما يتبع ذلك إلى أن ختم بتقدير توبتهم، رجع إلى قسيم قوله ﴿ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ ﴾ (٦) فقال: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم ﴾ أي التي حلفوها لكم؛ ولما كان النقض ضارًا وإن قصر زمنه، أتى بالجار فقال : ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ ﴾ أي الذي عقدوه ﴿ وَطَعَنُواْ ﴾ أي أوقعوا الطعن ﴿ فِي دِينِكُمۡ ﴾ أي بقول أو فعل)) (٧).

من خلال النقل السابق، يذكر الطاهر أنه لما بيّن أقسام المشركين من أول السورة، وأمر بالبراءة من عهدهم لإضمارهم الغدر، وأمر بإتمام العهد لمن استقام وحافظ عليه، عَطَفَ على أولئك مَن يعلنون نكث العهد، ويطعنون في الدين، وهذا حال مضادّ لحال من يُرضون المسلمين بأفواههم ويبطنون الغدر والخداع.

---

(١) الآية (١٢) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٣) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٤) من سورة التوبة.

(٤) جزء من الآية (٨) من سورة التوبة.

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ١٢٩).

(٦) جزء من الآية (٧) من سورة التوبة.

(٧) نظم الدرر (٣/ ٢٧٧).

أما البقاعي فذكر أنه لما أ وضح سبب البراءة منهم بسبب غدرهم، وفتح باب التوبة لهم، عاد إلى الذين أمر بإتمام العهد لهم ما استقاموا عليه، مُذكرًا إياهم بأيمانهم التي حلفوها.

وفي الإتيان بجملة ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ ﴾ ذكر الطاهر أنه لما عبّر عن نقض العهد بالنكث للأيمان لأن العهود يصاحبها الحلف على الوفاء، زاد هذه الجملة زيادة في بيان شناعة النكث الذي نكثوه، فهو غدر لعهد، بالإضافة إلى حنث ليمين. وعند البقاعي أنها بيان لسوء وضرر النقض وإن قصرت مدته.

وبالنظر في السابق، تكون مناسبة الطاهر تفصيل وبيان لكلام البقاعي الذي ذكر المناسبة إجمالاً . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه تُظهر الآيات حالاً أخرى للمشركين، وهي حال الإعراض المعلن، والنكث الصريح، والطعن في الدين، فهم قوم لا يُؤمَن جانبهم وإن حلفوا وأغلظوا الأيمان، لذا صارت عهودهم لا قيمة لها، وليس لهم إلا القتال.

٨ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((تحذير من التواني في قتالهم عدا ما استثني منهم بعد الأمر بقتلهم، وأسرهم، وحصارهم، وسدّ م سالك النجدة في وجوههم، بقوله : ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ إلى قوله ﴿ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ ﴾ (٢). وبعد أن أثبتت لهم ثمانية خلال تغري بعدم الهوادة في قتالهم، وهي قوله : ﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ ﴾ (٣) وقوله: ﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ ﴾ (٤) وقولُه ﴿ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ ﴾ (٥) وقولُه: ﴿ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ (٦) وقولُه: ﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا ﴾ (٧) وقولُه: ﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ ﴾ (٨) وقولُه: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴾ (٩) وقولُه: ﴿ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ ﴾ (١٠). فكانت جملة ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ ﴾ تحذيرًا من التراخي في مبادرتهم بالقتال)) (١١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

(١) الآية (١٣) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٥) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٧) من سورة التوبة.

(٤) جزء من الآية (٨) من سورة التوبة.

(٥) جزء من الآية (٨) من سورة التوبة.

(٦) جزء من الآية (٨) من سورة التوبة.

(٧) جزء من الآية (٩) من سورة التوبة.

(٨) جزء من الآية (١٠) من سورة التوبة.

(٩) جزء من الآية (١٠) من سورة التوبة.

(١٠) جزء من الآية (١٢) من سورة التوبة.

(١١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٣١ـ ١٣٢).

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما قال ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾ [(١)] أتبعه بذكر السبب الذي يبعثهم على مقاتلتهم فقال ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ ﴾ . واعلم أنه تعالى ذكر ثلاثة أسباب كل واحد منها يوجب مقاتلتهم لو انفرد، فكيف بها حال الاجتماع...)) [(٢)].

٢ــ قال أبو حيان: ((الحض عليها على سبيل المبالغة ، ولما أمر تعالى بقتل أهل الكفر ، أتبع ذلك بالسبب الذي يبعث على مقاتلتهم ، وهو ثلاثة أشياء جمعوها وكل واحد منها على انفراده كاف في الحض على مقاتلتهم)) [(٣)].

٣ــ قال البقاعي: ((ولما نفى أيمانهم بنفي إيمانهم، شرع يقيم الدليل على ذلك بأمور ارتكبوها، كل منها بسبب باعث على الإقدام عليهم، ويحث على قتالهم في صورة تعجيب ممن يتوانى فيه فقال : ﴿ أَلَا ﴾ وهو حرف عرض، ومعناه هنا الحض لدخول همزة الإنكار على ال نافي فنفته فصار مدخولها مثبتاً على سبيل الحث عليه فهو أبلغ مما لو أثبت بغير هذا الأسلوب ﴿ تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا ﴾)) [(٤)].

من خلال ما سبق نقله، يتبيّن أن هذه الآية وقعت موقع التحذير من الإبطاء في قتال هؤلاء المشركين الذين ذكر الله صفاتهم.

فعند الطاهر أنه لما أثبت للمشركين ثمان صفات توجب مقاتلتهم، حذّر المسلمين من التهاون في قتالهم. وتُعد مناسبة الطاهر من تفرداته.

أما الرازي فذكر أنه لما أمر في الآية السابقة بقتال أئمة الكفر، أتبع الأمر بالأسباب الموجبة لقتالهم . وإلى مثل قول الرازي ذهب أبو حيان والبقاعي. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة الختام ﴿ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾: ((وهذا زيادة في التحريض على قتالهم . وفرّع على هذا التقرير جملة ﴿ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ ﴾ أي فالله الذي أمركم بقتالهم أحقّ أن تخشوه إذا خطر في نفوسكم خاطر عدم الامتثال لأمره، إن كنتم مؤمنين ، لأنّ الإيمان يقتضي الخشية من الله وعدم التردّد في نجاح الامتثال له . وجيء بالشرط المتعلّق بالمستقبل، مع

---

(١) جزء من الآية (١٢) من سورة التوبة.

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٨٧).

(٣) البحر المحيط (٥/ ١٨).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٧٧).

أنّه لا شكّ فيه، لقصد إثارة همّتهم الدينية فيبرهنوا على أنّهم مؤمنون حقّا يقدمون خشية الله على خشية الناس)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((ولما شرح تعالى هذه الموجبات الثلاثة زاد فيها، فقال ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وهذا الكلام يقوي داعية القتال من وجوه: الأول: أن تعديد الموجبات القوية وتفصيلها مما يقوي هذه الداعية، والثاني: أنك إذا قلت للرجل: أتخشى خصمك كان ذلك تحريكًا منه لأن يستنكف أن ينسب إلى كونه خائفًا من خصمه، والثالث: أن قوله ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ يفيد ذلك كأنه قيل: إن كنت تخشى أحدًا فالله أحق أن تخشاه لكونه في غاية القدرة والكبرياء والجلالة. والضرر المتوقع منهم غايته القتل، أما المتوقع من الله فالعقاب الشديد في القيامة والذم اللازم في الدنيا. والرابع: أن قوله ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ معناه: أنكم إن كنتم مؤمنين بالإيمان وجب عليكم أن تقدموا على هذه المقاتلة، ومعناه أنكم إن لم تقدموا عليها وجب أن لا تكونوا مؤمنين. فثبت أن هذا كلام مشتمل على سبعة أنواع من الأمور التي تحملهم على مقاتلة أولئك الكفار الناقضين للعهد)) (٢).

٢ـ قال البقاعي: ((ولما أمرهم بالقتال وكان مكروهًا إلى النفوس على كل حال. شرع يبين الأسباب الحاملة على التواني عن قتالهم، وحصرها في الخشية والعاطفة، وقسم العاطفة إلى ما سببه القرب في محاسن الأفعال وإلى ما سببه القرب في النسب والصهر، ونقض الكل وبيّن أنه لا شيء منها يصلح للسببية، فقال بادئًا بالخشية لأنها السبب الأعظم في ترك المصادمة منكرًا عليهم موبخًا لهم ليكون أبلغ في الحث على قتالهم منبهًا على أن التواني عنهم مصحح للوصف بالجبن ورقة الدين: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ أي أتخافون أن يظفروا بكم في القتال بأن يكونوا على باطلهم أشد منكم على حقكم ﴿فَاللَّهُ﴾ أي الذي له مجامع العظمة ﴿أَحَقُّ﴾ أي منهم ﴿أَن تَخْشَوْهُ﴾ أي بأن يكون مخشيًا لكم لما تعلمون من قدرته في أخذه لمن خالفه ولو بعد طول الأناة ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي فإن من صدق بأنه الواحد الذي تفرد بصفات العظمة لم ينظر إلى غير هيبته)) (٣).

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٣٤).

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ١٨٨).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٧٩).

من خلال السابق نقله، يذكر الطاهر أنه لما حرّضهم على قتال المشركين، زاد في ذلك الحضّ بأن أثار همتهم الدينية ليُقدموا ويُدللوا على إيمانهم بقتالهم وعدم خشيتهم؛ لأن الإيمان يقتضي الخشية من الله وحده دون الناس، والامتثال لأمره.

ولم يختلف ما ذكره الطاهر عن معنى ما ذكروه المفسرون في مناسبة هذه الجملة للآية، واتفق بذلك مع الجميع أنه بعد أن بيّن الأسباب الموجبة لقتال المشركين، جاء بهذه الجملة على سبيل المبالغة في التحريض على قتالهم، وإنكار خشيتهم من قتال المشركين، فالله أحق بالخشية، وبذلك قطع جميع العوائق التي قد تعيق هذا الامتثال المبرهن على إيمانهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

من خلال ما سبق بيانه من تناسب الآية، يظهر تعدد الأسباب الداعية لقتال هؤلاء المشركين، وأن الأمر بقتالهم لم يأتِ إلا عن استحقاق شديد.

ومع هذا التحريض إلا أنه سبحانه خبير بالنفوس، عليم بضعفها ورقتها وهو خالقها وبارئها، فقد يعتريها التردد، وينتابها الخوف، وتثنيها الجبلة الإنسانية، لذا حثّها على الإقدام، وأثار شجاعتها، وقطع مخاوفها، بأن لا تخشى إلا الله وحده، وأن ذلك من علامات إيمان العبد، وامتثاله لمولاه.

فهذا هو كتاب الله تعالى، يأتي بما يتناسب مع النفس الإنسانية، وبما يتوافق مع طبائعها، فيُعالج خورها، ويُطمْئنها، ويستحثّها، ويُرغّبها، ويُرهبّها، بما يتناسب مع طبيعتها والأمر الذي جاء به.

٩ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾(١)

قال الطاهر : ((استئناف ابتدائي للعود من غرض التحذير ، إلى صريح الأمر بقتالهم الذي في قوله : ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾(٢) وشأن مثل هذا العود في الكلام أن يكون باستئناف كما وقع هنا))(٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال ابن عطية: ((قررت الآيات قبلها أفعال الكفرة ثم حض على القتال مقترناً بذنوبهم لتنبعث الحمية مع ذلك، ثم جزم الأمر بقتالهم في هذه الآية مقترناً بوعد وكيد يتضمن الرصرة عليهم والظفر بهم)) (٤).

٢ـ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما قال في الآية الأولى ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا ﴾ (٥) ذكر عقيبه سبعة أشياء كل واحد منها يوجب إقدامهم على القتال . ثم إنه تعالى في هذه الآية أعاد الأمر بالقتال وذكر في ذلك القتال خمسة أنواع من الفوائد ، كل واحد من ها يعظم موقعه إذا انفرد ، فكيف بها إذا اجتمعت؟))(٦).

---

(١) الآية (١٤) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٢) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٣٥).

(٤) المحرر الوجيز (٣/ ١٣).

(٥) جزء من الآية (١٣) من سورة التوبة.

(٦) التفسير الكبير (١٦/ ٣).

٣_ قال البقاعي: ((ولما بكت[1] في التواني عنهم، وعدهم بما يزيل خشيتهم منهم، بل يوجب إقدامهم عليهم ورغبتهم فيهم، فقال مصرحًا بما تضمنه الاستفهام الإنكاري في ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ ﴾ من الأمر: ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ ﴾))[2].

٤_ قال الألوسي: ((قاتلوهم تجريد للأمر بالقتال بعد بيان موجبه على أتم وجه والتوبيخ على تركه ووعد بنصرهم وبتعذيب أعدائهم وإخزائهم وتشجيع لهم))[3].

من خلال المنقول السابق، اختلفت المناسبة التي ذكرها الطاهر عن بقية كلام المفسرين اختلافًا يسيرًا، فذكر الطاهر أن الآية مستأنفة، فلما حذّرهم من التواني في قتال المشركين، عاد إلى صريح الأمر بقتالهم في قوله ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾. وكلامه يقرب من قول البقاعي، فذكر أنه لما حذّرهم من التواني عنهم، وحثهم بأنه وحده الذي يُخشى، صرّح هنا بالأمر بالقتال.

ويُلاحظ توافق معنى ما ذهب إليه البقية، فإنه لما حضّ على قتال المشركين، مبينًا الأسباب الموجبة لذلك، أعاد الأمر بالقتال مبينًا فوائد مقاتلتهم. وهذه هي المناسبة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان لفوائد امتثال الأمر الرباني في قتال المشركين، وهذا تتمة لمراعاة النفس البشرية، فهو لما استثار الهمّة، وأيقظ الشجاعة، بيّن لهم فوائد إقدامهم وقتالهم للمشركين، فيزداد حماسهم، وتقوى عزيمتهم . وكأنّ الإتيان بالأمر الصريح هنا، تأكيد لتحقق تلك المنافع لا محالة.

---

(١) بكت بكته يبكته بكتًا بكته ضربه بالسيف والعصا ونحوهما، و التبكيت كالتقريع والتعنيف انظر: لسان العرب (١١/٢).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٢٧٩).

(٣) روح المعاني (٦/ ٨٤_ ٨٥).

١٠ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [١]

قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ﴾: ((جملة ابتدائية مستأنفة، لأنّه ابتداء كلام ليس ممّا يترتب على الأمر بالقتال، بل لذكر من لم يُقتَلوا، ولذلك جاء الفعل فيها مرفوعًا ، فدلّ هذا النظم على أنّها راجعة إلى قوم آخرين ، وهم المشركون الذين خانوا وغدروا، ولم يُقتلوا، بل أسلموا من قبل هذا الأمر أو بعده.

وتوبة الله عليهم : هي قبول إسلامهم أو دخولهم فيه ، وفي هذا إعذار وإمهال لمن تأخّر . وإنّما لم تفصل الجملة: للإشارة إلى أنّ مضمونها من بقية أحوال المشركين، فناسب انتظامها مع ما قبلها)) [٢].

أقوال المفسرين في مناسبةهذه الآية:

١ـ قال ابن عطية : ((والمعنى أن الآية استأنفت الخبر بأنه قد يتوب على بعض هؤلاء الكفرة الذين أمر بقتالهم)) [٣].

---

(١) الآية (١٥) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٣٧).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ١٤).

٢ــ نقل الرازي: ((هذا مذكور على سبيل الاستئناف ولا يمكن أن يكون جواباً لقوله ﴿قَـٰتِلُوهُمۡ ﴾[1] لأن قوله ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ ﴾ لا يمكن جعله جزاء لمقاتلتهم مع الكفار))[2].

٣ــ قال أبو حيان: ((وهو استئناف إخبار بأنّ بعض أهل مكة وغيرهم يتوب عن كفره وكان ذلك عالم كثيرون وحسن إسلامهم)) [3].

٤ــ قال الألوسي: ((ابتداء إخبار بأن بعض هؤلاء الذين أمروا بمقاتلتهم يتوب من كفره فيتوب الله تعالى عليه وقد كان كذلك حيث أسلم منهم أناس وحسن إسلامهم)) [4].

من خلال ما سبق نقله، اتفقت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية رغم اختلاف ألفاظهم، فالجملة مستأنفة ابتدائيًا للإخبار عن قوم آخرين، وهم المشركون الذين أسلموا و لم يُقتلوا. والله أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه، يظهر الإنباء عن معجزة ستحصل، وهي توبة بعض المشركين، ودخولهم في الإسلام مستقبلاً.

---

(١) جزء من الآية (١٤) من سورة التوبة.

(٢) التفسير الكبير (١٦/ ٥).

(٣) البحر المحيط (٥/ ١٩).

(٤) روح المعاني (٦/ ٨٦).

١١ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [١]

المناسبة الأولى: قال الطاهر: ((هذا ابتداء غرض من أغراض معاملة المشركين، وهو منع المشركين من دخول المسجد الحرام في العام القابل، وهو مرتبط بما تضمّنته البراءة في قوله: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [٢] ولِمَا اتّصَل بتلك الآية من بيان النبي ﷺ الذي أرسل به مع أبي بكر الصديق: أنْ لا يَحُج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عُريان [٣]. وهو توطئة لقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ ﴾ [٤])) [٥].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى بدأ السورة بذكر البراءة عن الكفار وبالغ في إيجاب ذلك وذكر من أنواع فضائحهم وقبائحهم ما يوجب تلك البراءة، ثم إنه تعالى حكى عنهم شبهًا احتجوا بها في أن هذه

(١) الآية (١٧) من سورة التوبة.

(٢) الآية (١) من سورة التوبة.

(٣) سبق تخريجه في المبحث الأول من هذا الفصل، يراجع هامش رقم (٧)، (ص ١٩٠).

(٤) الآية (٢٨) من سورة التوبة.

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ١٣٩).

البراءة غير جائزة وأنه يجب أن تكون المخالطة والمناصرة حاصلة، فأولها ما ذكره في هذه الآية، وذلك أنهم موصوفون بصفات حميدة وخصال مرضية، وهي توجب مخالطتهم ومعاونتهم ومناصرتهم، ومن جملة تلك الصفات كونهم عامرين للمسجد الحرام)) [1].

٢ــ قال أبو حيان : ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر البراءة من المشركين وأنواعً ا من قبائحهم توجب البراءة منهم ، ذكروا أنهم موصوفون بصفات حميدة توجب انتفاء البراءة منها : كونهم عامري المسجد الحرام)) [2].

٣ــ قال البقاعي: ((ولما حذّرهم من اتخاذ وليجة من دونه، شرع يبين أن الوليجة التي يتخذها بعضهم لا تصلح للعاطفة بما اتصفت به من محاسن الأعمال ما لم توضع تلك المحاسن على الأساس الذي هو الإ يمان المبين بدلائله، فقال سائقاً له مساق جواب قائل قال:إن فيهم من أفعال الخير ما يدعو إلى الكف عنهم من عمارة المسجد الحرام وخدمته وتعظيمه! ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾)) [3].

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر أنه لما افتتح السورة بالبراءة، وذكر ما يلزمها، ابتدأ هنا بذكر معاملة المشركين وهو منعهم من دخول المسجد الحرام، وهذا داخل في سبب نزول أولها، ومتواطئ مع آيات لاحقات. وهذه المناسبة من تفرداته.

وعند الرازي أنه لما بدأ السورة بالبراءة، وأتبعها بما يوجبها من ذكر قبائح المشركين، ابتدأ هنا بذكر ما احتجوا به ضد تلك البراءة من ذكر محاسنهم التي توجب مخالطتهم ونصرتهم، وكونهم عمّار المسجد الحرام. وبمثله قال أبو حيان، فقد ربطا الآية بما ذُكر من أول السورة.

أما البقاعي فذكر أنه لما حذّر في الآية قبلها من اتخاذ وليجة دون الله تعالى وأوليائه، عقّب ببيان أن كل الولائج لا تصلح إلا وليجة الإيمان، وإن كانت تلك الولائج حسنة خيّرة كإعمار المشركين المسجد الحرام، فكأنه جواب لسؤال: إن لهؤلاء القوم أفعال حسنة فلم لا يُكَفُّ عنهم؟ . ويظهر من قول البقاعي أن المقصود هو أن البراءة المأمور بها تمنع مخالطتهم وإن كانوا محسنين.

ومن خلال ما سبق، تكون جميع المناسبات متلائمة، وتفرد الطاهر بهذه الإضافة. والله تعالى أعلم.

(١) التفسير الكبير (١٦/ ٧).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٢٠).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٢٨١).

المناسبة الثانية: قال الطاهر: ((وتقديم ﴿ وَفِي ٱلنَّارِ ﴾ على ﴿ خَٰلِدُونَ ﴾ للرعاية على الفاصلة ويحصل منه تعجيل المساءة للكفار إذا سمعوه)) [1].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الألوسي: ((وإيراد الجملة اسمية للمبالغة في الخلود، والظرف متعلق بالخبر قُدّم عليه للاهتمام به ومراعاة للفاصلة)) [2].

من خلال ما سبق نقله، اتفقت مناسبتا الطاهر والألوسي في كون التقديم رعاية للفاصلة، وأضاف الطاهر أن في التقديم تعجيلٌ لحصول المساءة للكافرين حين سماعه، وعبّر الألوسي بأنه للاهتمام. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

يتتابع السياق في إتمام أحكام البراءة المفتتح بها، ومنها: أن أفعال الكافرين الحسنة لا تقتضي نفي البراءة منهم، والعودة لمخالطتهم ومعاونتهم.

وفيه أيضًا الإشارة إلى أفعال الكافرين الشركية عند البيت الحرام، من عبادة للأصنام، والطواف عراة، وبالتالي فهم جمعوا بين عمارة المسجد الحرام والكفر بالله، وهذا ما لا ينبغي ولا يليق لتنافيه وتضاده؛ لأن الكفر محبط للعمل ولا ثواب على ذلك العمل في الآخرة مهما عَظُم، لقوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [3].

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٤١).

(٢) روح المعاني (٦/ ٨٩).

(٣) الآية (٢٣) من سورة الفرقان.

١٢ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾(١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((موقع جملة ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ الاستئناف البياني، لأنّ جملة: ﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾(٢) لّما اقتضت إقصاء المشركين عن العبادة في المساجد كانت بحيث تثير سؤالاً في نفوس السامعين أن يتطلّبوا من هم الأحقّاء بأن يعمروا المساجد، فكانت هذه الجملة مفيدة جواب هذا السائِل))(٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

---

(١) الآية (١٨) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٧) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٤١).

١_ قال الرازي: ((لما بيّن أن الكافر ليس له أن يشتغل بعمارة المسجد بيّن أن المشتغل بهذا العمل يجب أن يكون موصوفاً بصفات أربعة الصفة الأولى قوله ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾)) [١].

٢_ قال البقاعي: ((ولما نفى عنهم أهلية العمارة، بيّن من يصلح لها)) [٢].

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر أن المناسبة استئناف بياني، ولم يصرح الرازي والبقاعي بذلك ولكنه يُفهم من كلام هما، ويتميز الطاهر على غيره في إيراد المناسبة، وصبغها بالصبغة البلاغية . فتكون المناسبة أنه لما نفى عن المشركين أن يكونوا عمّار المساجد والبيت الحرام، بيّن بعدها من يستحق تلك العمارة وما هي صفاقم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه، و من تتابع سياق الآيات في نفي عمارة المسجد الحرام عن المشركين، وبيان أهل العمارة الجديرين بها، هذا كله فيه حثّ للمؤمنين على عمارة بيوت الله والمساجد، وأن تلك العمارة تكون بما يُرضي الله تعالى من صلاة وذكر وطاعة، وأن يُشرفوا على تلك المساجد عناية وترميمًا وتأسيسًا، لأن هذا فضل من الله وشرف أن يكونوا عمّار بيوته، وحرّي بهم أن يتصفوا بما وصف الله به العمّار.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾: ((وفرّع على وصف المسلمين بتلك الصفات رجاء أن يكونوا من المهتدين ، أي من الفريق الموصوف بالم هتدين وهو الفريق الذي الاهتداء خُلق لهم في هذه الأعمال وفي غيرها . ووجه هذا الرجاء أنّهم لما أتوا بما هو اهتداء لا محالة قوي الأمل في أن يستقرّوا على ذلك ويصير خُلُقًا لهم فيكونوا من أهله، ولذلك قال : ﴿ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ ولم يقل أن يكونوا مهتدين.

وفي هذا حثّ على الاستزادة من هذا الاهتداء وتحذير من الغرور والاعتماد على بعض العمل الصالح باعتقاد أنّ بعض الأعمال يغني عن بقيتها.

والتعبير عنهم باسم الإشارة للتنبيه على أنّهم استحقّوا هذا الأمل فيهم بسبب تلك الأعمال التي عُدّت لهم)) [١].

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ٨).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٢٨٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((أحسن الوجوه ما ذكره صاحب الكشاف [٢]: وهو أن المراد منه تبعيد المشركين عن مواقف الاهتداء، وحسم أطماعهم في الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها ، فإنه تعالى بيّن أن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع وضموا إليها الخشية من الله، فهؤلاء صار حصول الاهتداء لهم دائرًا بين ـ لعل وعسى ـ فما بال هؤلاء المشركين يقطعون بأنهم مهتدون ويجزمون بفوزهم بالخير من عند الله تعالى! وفي هذا الكلام ونحوه لطف بالمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء)) [٣].

٢ـ قال أبو حيان : ((وعسى من الله تعالى واجب حيثما وقعت في القرآن ، وفي ذلك قطع أطماع المشركين أن يكونوا مهتدين إذ مَن جمع هذه الخصال الأربعة جعل حاله حال من ترجى له الهداية ، فكيف بمن هو عار منها ، وفي ذلك ترجيح الخشية على الرجاء ، ورفض الاغترار بالأعمال الصالحة ، فربما دخلها بعض المفسدات وصاحبها لا يشعر بها)) [٤].

٤ـ قال البقاعي : ((ولما سبب عما مضى نفيًا وإثباتًا أن المتصف بهذه الأصاف يكون جديرًا بالهداية وحقيقًا بها، قال تعالى : ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي العالو الهمم ﴿أَن يَكُونُواْ مِنَ﴾ أي جبلة ورسوخًا ﴿مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ فأقامهم - مع ما قدم لهم من الكمال بالمعارف والأفعال - بين الرجاء والخوف مع الإشارة بإفراد الخشية إلى ترجيح الخوف على الرجاء إيذانًا بعلو أمره وعظيم كبره إشارة إلى أنه لا حق لأحد عليه وأنه إن شاء أثاب، وإن أراد حكم - وهو الحكم العدل - بالعقاب، لا يسأل عما يفعل، وكرر الاسم الأعظم لمزيد الترغيب لخطر المقام وعزة المرام، ومادة عسى بجميع تصاريفها تدور على الحركة، وهذه بخصوصها للأطماع، والحاصل أن من اتصف بالأوصاف الأربعة كان صالحًا وخليقًا وجديرًا وحقيقًا بأن يتحرك طمعه ويمتد أمله إلى أن يكون من جملة أهل الهدى، فكيف توجبون أنتم لمن لم يتصف بواحد منها ما يختص به المهتدون من الموالاة)) [٥].

٥ـ قال الألوسي: ((وإبراز اهتدائهم لذلك مع ما بهم من تلك الصفات الجليلة في معرض التوقع لحسم أطماع الكافرين عن الوصول إلى مواقف الاهتداء لأن هؤلاء المؤمنين وهم ـ هم ـ إذا كان أمرهم دائرًا بين لعل وعسى فما بال الكفرة بيت المخازي والقبائح ، وفيه قطع اتكال المؤمنين على أعمالهم وما هم

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٤٢).

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٤٣٦).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ١٠).

(٤) البحر المحيط (٥/ ٢١ ـ٢٢).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢٨٣).

عليه وإرشادهم إلى ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ، وهذا هو المناسب للمقام لا الأطماع وسلوك سنن الملوك مع كون القصد إلى الوجوب ، وكون الكفرة يزعمون أنهم محقون وأن غيرهم على الباطل فلا يتأتى حسم أطماعهم لا يلتفت إليه بعد ظهور الحق وهذا لا ريب فيه.

وقيل: إن الأوصاف المذكورة ، وإن أوجبت الا هتداء، ولكن الثبات عليها مما لا يعلمه إلا الله تعالى وقد يطرأ ما يوجب ضد ذلك والعبرة للعاقبة ، فكلمة التوقع يجوز أن تكون لهذا ولا يخفى ما فيه فإن النظر إلى العاقبة هنا لا يناسب المقام الذي يقتضي تفضيل المؤمنين عليهم في الحال))[(1)].

من خلال ما سبق نقله، يذكر الطاهر مناسبة التذييل بالرجاء أن يكونوا من المهتدين، فيذكر أنه لما وصفهم بتلك الصفات ــ وهي من الاهتداء قطعًا ــ ختم الآية بالرجاء رجاء أن يبقوا عليها، وينطبق عليهم الوصف، حثًا لهم على الاستزادة، وعدم الاغترار ببعض عملهم الصالح، ليقوى أملهم ويصير دأبهم أن يسعوا لأن يكونوا من المهتدين. ورجّح الألوسي هذا المعنى.

وذكر بقية المفسرين أنها جاءت لقطع أطماع الكافرين في أن يكونوا من أهل الهدى، وأنها في ترجيح جانب الخوف على الرجاء لئلا يغتر المسلمون بعملهم ويعتمدوا عليه، وفي هذه وافقهم الطاهر.

ومن خلال ما سبق بيانه فإن ما ذهب إليه الطاهر موافقًا فيه الألوسي هو الأنسب؛ لأن السياق في تفضيل المؤمنين. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

على المسلم أن يعيش في دائرة الخوف والرجاء متوا زنًا، فيعمل العمل الصالح محبة لله، ورجاء الثواب من الله، وخوفًا من عدم قبوله ومن أليم عقابه . وهذا فيه حثّ على عمل الطاعات والصالحات على الدوام، وعدم الاعتماد على العمل الصالح، فلن يدخل الجنة أحد بعمله بل بفضل الله ورحمته[(2)].

---

(١) روح المعاني (٦/ ٩٢ـ ٩٣).

(٢) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﵁ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلَهُ" قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال : "ولا أَنَا إِلا أَنْ يَتَغَمّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا ورُوحوا، وشَيءٌ من الدُّلْجَةِ، والقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا ". أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، (٥/ ٢٣٧٣). رقم: [٦٠٩٨].

١٣_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((ظاهر هذه الآية يقتضي أنّها خطاب لقوم سَوَّوا بين سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام، وبين الجهاد و الهجرة، في أنّ كلّ ذلك من عمل البرّ ، فتؤذن بأنّها خطاب لقوم مؤمنين قعدوا عن الهجرة والجهاد ، بعلّة اجتزائهم بالسقاية والعمارة. ومناسبتها للآيات التي قبلها: أنّه لّما وقع الكلام على أنّ المؤمنين هم الأحقّاء بعمارة المسجد الحرام من المشركين دلّ ذلك الكلام على أنّ المسجد الحرام لا يحقّ لغير المسلم أن يباشر فيه عملاً من الأعمال الخاصّة به ، فكان ذلك مثار ظنّ بأنّ القيام بشعائر المسجد الحرام مساوٍ للقيام بأفضل أعمال الإسلام.

وأحسن ما روي في سبب نزول هذه الآية : ما رواه الطبري(٢)، والواحدي(٣)، عن النعمان بن بشير(٤)، قال: كنتُ عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فقال رجل منهم : "ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلاَّ أنْ أسقي الحاج "؛ وقال آخر : "بل عمارة المسجد الحرام"، وقال آخر: "بل الجهاد في سبيل الله خير ممّا قلتم"، فزجرهم عمر بن الخطاب وقال: "لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صُلِّيَتْ الجمعة دخلتُ على رسول الله ﷺ فاستفتيه فيما اختلفتم فيه" قال:

---

(١) الآية (١٩) من سورة التوبة.

(٢) انظر: جامع البيان (١٠/ ٩٥).

(٣) انظر: أسباب النزول، الواحدي (ص ١٧٣).

(٤) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد الأنصاري الخ زرجي، يُكْنى أبا عبد الله، له ولأبيه صحبة، قال الواقدي: كان أول مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة ، استعمله معاوية على الكوفة، قُتل سنة (٦٥هـ). انظر: الاستيعاب (٤/ ١٤٩٦)، الإصابة (٦/ ٤٤٠).

فأنزل الله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [1]. وقد روي أنه سرى هذا التوهم إلى بعض المسلمين، فروي أن العباس رام أن يقيم بمكة ويترك الهجرة لأجل الشغل بسقاية الحاج والزائر؛ وأن عثمان بن طلحة[2] رام مثل ذلك، للقيام بحجابة البيت. وروى الطبري[3]، والواحدي[4]: أن مماراة جرت بين العباس وعلي بن أبي طالب ببدر، وأن عليًا عير العباس بالكفر وقطيعة الرحم، فقال العباس: ما لكم لا تذكرون محاسننا إنا لنعمر مسجد الله ونحجب الكعبة ونسقي الحاج فأنزل الله ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ ﴾ الآية))[5].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما بيّن سبحانه الصالح لذلك مِن غيره، أنكر على مَن لم يفرّق بين الصنفين))[6].

من خلال ما سبق نقله، فقد رجّح الطاهر أن الخطاب في الآية للمؤمنين [7]، وعلى هذا كانت مناسبته. أما البقاعي فقد ذكر مناسبة عامة دون توجيه الخطاب في الآية.

فالمناسبة أنه لما ذكر سابقًا أحقية المؤمنين في عمارة المسجد الحرام وسقاية الحجيج دون المشركين، وكون هذين العملين من الفضائل فهما لا يوجبان فضيلة للمشركين، وقد يُظَنّ تساوي هذه الأعمال بالجهاد وأفعال الإسلام الباقية، فعقّب ببيان عدم تساويهما وبأفضلية الإيمان والجهاد عليهما. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، (٣/ ١٤٩٩)، رقم: [١٨٧٩].

(٢)عثمان بن طلحة بن أبي طلحة القرشي العبدري، واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، حاجب البيت، أعطاه النبي ﷺ مفتاح الكعبة يوم الفتح، مات سنة (٤٢هـ). انظر: الاستيعاب (٣/ ١٠٣٤)، الإصابة (٤/ ٤٥٠).

(٣) انظر: جامع البيان (١٠/ ٩٦).

(٤) انظر: أسباب النزول، الواحدي (ص ١٧٣).

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ١٤٢_ ١٤٣).

(٦) نظم الدرر (٣/ ٢٨٩).

(٧) ذكر القرطبي :((وقد اعترض هنا إشكال وهو ما جاء في صحيح مسلم عن النعمان بن بشير ... وهذا المساق يقتضي أنها إنما نزلت عند اختلاف المسلمين في الأفضل من هذه الأعمال. وحينئذ لا يليق أن يقال لهم في آخر الآية: والله لا يهدي القوم الظالمين فتعين الإشكال. وإزالته بأن يقال: إن بعض الرواة تسامح في قوله، فأنزل الله الآية. وإنما قرأ النبي ﷺ الآية على عمر، حين سأله فظن الراوي أنها نزلت حينئذ، واستدل بها النبي ﷺ على أن الجهاد أفضل مما قال أولئك الذين سمعهم عمر، فاستفتى لهم فتلا عليه، ما قد كان أنزل عليه، لا أنها نزلت في هؤلاء. والله أعلم)). انظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٥٩).

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ : ((مستأنفة استئنافًا بيانيًا : لبيان ما يُسأل عنه من معنى الإنكار الذي في الاستفهام بقوله: ﴿ أَجَعَلْتُمْ ﴾ الآية))[1].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الألوسي: ((والجملة استئناف لتقرير الإنكار المذكور وتأكيده))[2].

من خلال المنقول السابق، اتفقت مناسبتا الطاهر والألوسي في هذه الجملة، فهو لما أنكر في بداية الآية، بيّن سبب الإنكار وهو عدم المساواة بين العملين. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثالثة: قال الطاهر ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾: ((تذييل لجملة ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ ﴾ الخ، وموقعهُ هنا خفي إن كانت السورة قد نزلت بعد غزوة تبوك، وكانت هذه الآية ممّا نزل مع السورة ولم تنْزل قبلها، على ما رجحناه من رواية النعمان بن بشير في سبب نزولها، فإنّه لم يبق يومئذٍ من يجعل سقاية الحاجّ وعمارة البيت تساويان الإيمان والجهاد، حتى يُرَد عليه بما يدلّ على عدم اهتدائه . وقد تقدّم ما روي عن عمر بن الخطاب في سبب نزولها وهو يزيد موقعها خفاء.

فالوجه عندي في موقع جملة ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أنّ موقعها الاعتراض بين جملة ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ ﴾ وجملة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ ﴾[3] الخ. والمقصود منها زيادة التنويه بشأن الإيمان، الإيمان، إعلامًا بأنّه دليل إلى الخيرات، و قائد إليها . فالذين آمنوا قد هداهم إيمانهم إلى فضيلة الجهاد ، والذين كفروا لم ينفعهم ما كانوا فيه من عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاجّ، فلم يهدهم الله إلى الخير ، وذلك برهان على أنّ الإيمان هو الأصل، وأنّ شُعَبَه المتولّدة منه أفضل الأعمال، وأنّ ما عداها من المكارم والخيرات في الدرجة الثانية في الفضل، لأنّها ليست من شعب الإيمان ، وإن كان كلا الصفتين لا ينفع إلاّ إذا كان مع الإيمان، وخاصّة الجهاد))[4].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((ولما ذكر تعالى وصف الفريقين قال ﴿ لَا يَسْتَوُۥنَ ﴾ولكن لما كان نفي المساواة بينهما لا يفيد أن الراجح مَن هو نبّهعلى الراجح بقوله ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فبيّن أن الكافرين ظالمون لأنفسهم فإنهم خلقوا للإيمان وهم رضوا بالكفر وكانوا ظالمين، لأن الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٤٦).

(٢) روح المعاني (٦/ ٩٥).

(٣) جزء من الآية (٢٠) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ١٤٦ــ ١٤٧).

موضعه. وأيضاً ظلموا المسجد الحرام فإنه تعالى خلقه ليكون موضعًا لعبادة الله تعالى، فجعلوه موضعًا لعبادة الأوثان فكان هذا ظلمًا)) [1].

٢ـ قال أبو حيان: ((ولما نفى المساواة بينهما أوضح بقوله ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ من الراجح منهما، وأنّ الكافرين بالله هم الظالمون ظلموا أنفسهم بترك الإيمان بالله، وبما جاء به الرسول وظلموا المسجد الحرام، إذ جعله الله متعبدًا له، فجعلوه متعبدًا لأوثانهم، وذكر في المؤمنين إثبات الهداية لهم بقوله ﴿ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [2] وفي المشركين هنا نفى الهداية بقوله ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾)) [3].

٣ـ قال الألوسي: ((أريد بهم المشركون وبالظلم الشرك أو وضع الشيء في غير موضعه شركًا كان أو غيره فيدخل فيه ظلمهم في ذلك الجعل وهو أبلغ في الذم، والمراد من الهداية الدلالة الموصلة لا مطلق الدلالة لأنه لا يناسب المقام، وهذا حكم منه تعالى أنه سبحانه لا يوفق هؤلاء الظالمين إلى معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح ولعله سيق لزيادة تقرير عدم التساوي)) [4].

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر أنها جملة معترضة بين ﴿ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ ﴾ وجملة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ ﴾ [5]، فلما ذكر هنا أنهم لا يستوون، نوّه في ختام الآية بالإيمان وفضيلته في الدلالة إلى الخيرات، وأنه الأصل في الأعمال الفاضلة، لأنهم لما آمنوا هداهم، والذين كفروا لم ينتفعوا بما كان منهم من العمارة والسقاية فناسب أن يصفهم بالظالمين.

وذهب الرازي وأبو حيان إلى أنه لما نفى المساواة بين الفريقين، احتيج للتنبيه على الفريق الراجح . وأضاف أبو حيان أنه لما ذكر سابقًا أن المؤمنين من المهتدين، ذكر هنا نفي الهداية عن الكافرين بأنهم هم الظالمون.

وذكر الألوسي قولاً قريبًا من قول الرازي وأبي حيان، فالجملة ذمّ للكافرين بأنهم لا يهتدون بسبب ظلمهم (الشرك)، وحُكم من الله بعدم توفيقهم وتمييزهم للراجح من المرجوح، وزيادة لتأكيد نفي التساوي.

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ١١).

(٢) جزء من الآية (١٨) من سورة التوبة.

(٣) البحر المحيط (٥/ ٢٢).

(٤) روح المعاني (٦/ ٩٥).

(٥) جزء من الآية (٢٠) من سورة التوبة.

ومما سبق بيانه، فجميع ما ذُكر من مناسبات متلائم، فلما ذكر عدم تساوي الفريقين، ختمها بالتنبيه على الظلم (الشرك) وأنه لا ينفع ولا يهدي، وبأن الإيمان هو طريق كل خير. ومناسبة الطاهر هنا هي من تفرداته وإضافاته. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

١ـ من خلال التأمل في نظم الآية أمكن ترجيح سبب نزولها، بما يتوافق مع نظمها ومعناها.

٢ـ بيان أن عمارة المسجد والسقاية مقبولتان بشرط الإيمان، وأنهما لا يفضلان الجهاد في الأعظمية والدرجة عند الله، وأن مفاخرة المشركين بتلك الأعمال الصالحة لا ترفعهم ولا تقدّمهم دون إيمان.

١٤ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((هذه الجملة مبيّنة لنفي الاستواء الذي في جملة ﴿ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ ﴾ (٢) ومفصّلة للجهاد الذي في قوله: ﴿ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ (٣) بأنّه الجهاد بالأموال والأنفس، وإدماج لبيان مزية المهاجرين من المجاهدين)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال ابن عطية: ((لما حكم الله تعالى في الآية المتقدمة بأن الصنفين لا يستوون بيّن ذلك في هذه الآية الأخيرة وأوضحه، فعدد الإيمان والهجرة والجهاد بالمال والنفس، وحكم أن أهل هذه الخصال أعظم درجة عند الله من جميع الخلق، ثم حكم لهم بالفوز برحمته ورضوانه)) (٥).

٢ـ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى ذكر ترجيح الإيمان والجهاد على السقاية وعمارة المسجد الحرام، على طريق الرمز. ثم أتبعه بذكر هذا الترجيح على سبيل التصريح في هذه الآية)) (٦).

٣ـ قال أبو حيان: ((زادت هذه الآية وضوحاً في الترجيح للمؤمنين المتصفين بهذه الأوصاف على المشركين المفتخرين بالسقاية والعمارة، فطهروا أنفسهم من دنس الشرك بالإيمان، وطهروا أبدانهم بالهجرة

---

(١) الآية (٢٠) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٩) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (١٩) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ١٤٨).

(٥) المحرر الوجيز (٣/ ١٧).

(٦) التفسير الكبير (١٦/ ١٢).

إلى موطن الرسول، وترك ديارهم التي نشأوا عليها، ثم بالغوا بالجهاد في سبيل الله بالمال والنفس المعرضين بالجهاد للتلف، فهذه الخصال أعظم درجات البشرية)) [1].

٤_ قال البقاعي: ((ولما نفى عنهم المساواة من غير تصريح بأهل الترجيح ليشتد التشوف إلى التصريح فيكون أثبت في النفس وأوقر في القلب، كان كأنه قيل: فمن الراجح؟ فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾)) [2].

٥_ قال الألوسي: ((استئناف لبيان مراتب فضلهم زيادة في الرد وتكميلاً له)) [3].

من خلال ما سبق نقله، تقاربت معاني أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية، وزاد بعضهم على بعض.

فذكر الطاهر أنه لما ذكر عدم استواء العملين في الآية السابقة، وذكر الجهاد في سبيل الله، زاد في هذه البيان في نفي المساواة، وتفصيل الجهاد، وبيان فضيلة الهجرة والجهاد . وبمثله قال ابن عطية وأبو حيان إلا أن الطاهر صبغ المناسبة بصبغة بلاغية فتميز عن غيره، وذكر فيها نوعًا من المحسنات البديعية وهو الإدماج [4].

وعند الرازي والبقاعي _ على اختلاف ألفاظهما _ أنه لما نفى المساواة ونفى الهداية عن الظالمين دون ترجيح صريح بين الفريقين، جاء في هذه مصرحًا بالفريق الراجح.

وذكر الألوسي أنه استئناف في بيان مراتب التفاضل، وإكمال للرد على المشركين.

فتكون المناسبة أنه لما نفى المساواة بين العملين وأنكر ذلك، صرّح في هذه الآية بالفريق الراجح وببيان سبب عدم الاستواء، وأفضلية العمل الراجح (الجهاد) وتفصيله. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أفضلية الجهاد في سبيل الله على سائر أعمال البرّ، وأنه يُنال به شرف التفاضل كما ناله المهاجرون الذين جمعوا بين شرفي الهجرة والجهاد.

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٢٢).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٢٩٠).

(٣) روح المعاني (٦/ ٩٥).

(٤) الإدماج وفي الاصطلاح: أن يتضمن كلام سيق لمعنى مدحًا كان أو غيره معنى آخر. انظر: التعريفات (١/ ٣٠).

١٥ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [١]

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((بيان للدرجة العظيمة التي في قوله : ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ ﴾[٢] فتلك الدرجة هي عناية الله تعالى بهم بإدخال المسرّة عليهم، وتحقيق فوزهم، وتعريفهم برضوانه عليهم، ورحمته بهم، وبما أعد لهم من النعيم الدائم. ومجموع هذه الأمور لم يمنحه غيرهم من أهل السقاية والعمارة، الذين وإن صلحوا لأن ينالوا بعض هذه المزايا فهم لم ينالوا جميعها)) [٣].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال ابن عطية : ((لما حكم الله تعالى في الآية المتقدمة بأن الصنفين لا يستوون بيّن ذلك في هذه الآية الأخيرة وأوضحه، فعدد الإيمان والهجرة والجهاد بالمال والنفس ، وحكم أن أهل هذه الخصال أعظم درجة عند الله من جميع الخلق، ثم حكم لهم بالفوز برحمته ورضوانه)) [٤].

٢ـ قال الرازي: ((واعلم أن هذه الإشارة اشتملت على أنواع من الدرجات العالية ، وأنه تعالى ابتدأ فيها بالأشرف فالأشرف، نازلاً إلى الأدون فالأدون)) [٥].

٣ـ قال البقاعي : ((ولما بيّن أن جزاء أولئك الخلود في النار، بيّن ما لهؤلاء، فقال مفسراً لفوزهم : ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم ﴾)) [١].

---

(١) الآيتان (٢١ـ ٢٢) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٢٠) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٤٩).

(٤) المحرر الوجيز (٣/ ١٧).

(٥) التفسير الكبير (١٦/ ١٣).

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر أنه لما ذكر في الآية قبلها الدرجة العظيمة، بيّن في هذه الآية ماهية تلك الدرجة وأنها البشرى السعيدة من الله، بالإضافة إلى رضوانه وجنانه ونعيمها المقيم لهم أبدًا. ثم ربط الطاهر هذا النعيم والجزاء بفعلي السقاية والعمارة، فذكر أن ذلك النعيم الموعود به هو لفعل الجهاد وللمجاهدين، وأن أهل السقاية والعمارة لم ينالوا جميع ذلك النعيم، بل جزءًا منه.

وذكر ابن عطية أنه تعالى لما حَكَمَ لأهل الهجرة والجهاد بالأفضلية وبأعظمية الأجر دون سواهم، حَكَمَ بعد ذلك لهم بالفوز برحمته ورضوانه.

أما الرازي فذكر أنه لما حكم لهم بالدرجة، بيّن هنا إلى أنها أنواع من الدرجات العاليات.

وعند البقاعي أنه لما بيّن في الآية السابقة فوز المؤمنين وخلود الكافرين في النار، فسّر ذلك الفوز وبيّنه. وقد يكون قوله قريبًا من سابقيه في تفسير الفوز المختوم به الآية السابقة، ولكن لم تتعرض الآيات لخلود الكافرين في النار وربما ذكره البقاعي لأنه فُهم ضمنًا.

ومما سبق بيانه تكون مناسبة الطاهر أشمل وأعمّ لما جاء في الآية السابقة. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ : ((تذييل وتنويه بشأن المؤمنين المهاجرين المجاهدين لأنّ مضمون هذه الجملة يعمّ مضمون ما قبلها وغيرَه ، وفي هذا التذييل إفادة أنّ ما ذكر من عظيم درجات المؤمنين المهاجرين المجاهدين هو بعض ما عند الله من الخيرات فيحصل من ذلك الترغيب في الازدياد من الأعمال الصالحة ليزدادوا رفعة عند ربّهم)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ ذكر الرازي تفسيرات للمتكلمين وأخرى للعارفين ــ على حدِّ قوله ــ في تفسير هذه الآية، ويظهر جليًا تكلّفها، وأنقل منها قوله: ((واعلم أنه تعالى لما قال ﴿ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم ﴾ بيّن الشيء الذي به يبشرهم وهو أمور: أولها: قوله ﴿ بِرَحۡمَةٍ مِّنۡهُ ﴾ وثانيها: قوله ﴿ وَرِضۡوَٰنٍ ﴾ وأنا أظن والعلم عند الله أن المراد بهذين الأمرين ما ذكره في قوله ﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ﴾ (٣) والرحمة كون العبد راضياً بقضاء الله وذلك لأن من حصلت له هذه الحالة كان نظره على المبلي والمنعم لا على النعمة والبلاء ، ومن كان نظره على المبلي والمنعم لم يتغير حاله ، لأن المبلي والمنعم منزه عن التغير ، فالحاصل أن حاله يجب أن يكون

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٩٠).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٥٠).

(٣) الآية (٢٨) من سورة الفجر.

متزهًا عن التغير. أما من كان طالبًالمحض النفس كان أبدًا في التغير من الفرح إلى الحزن، ومن السرور إلى الغم، ومن الصحة إلى الجراحة ، ومن اللذة إلى الألم ، فثبت أن الرحمة التامة لا تح صل إلا عند ما يصير العبد راضياً بقضاء الله فقوله ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ ﴾ هو أنه يزيل عن قلبه الالتفات إلى غير هذه الحالة ويجعله راضياً بقضائه، ثم إنه تعالى يصير راضياً وهو قوله ﴿ وَرِضْوَانٍ ﴾ وعند هذا تصير هاتان الحالتان هما المذكورتان في قوله ﴿ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ وهذه هي الجنة الروحانية النورانية العقلية القدسية الإلهية. ثم إنه تعالى بعد أن ذكر هذه الجنة العالية المقدسة ذكر الجنة الجسمانية ، وهي قوله ﴿ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ وقد سبق شرح هذه المراتب ولما ذكر هذه الأحوال قال ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ والمقصود شرح تعظيم هذه الأحوال)) [(١)].

٢ــ قال البقاعي: ((ولما ذكر هذه الجنة الروحانية المنعم بها في الدنيا، أتبعه بيان الجنة الروحانية البدنية الخاصة بالدار التي فيها القرار فقال: ﴿ وَجَنَّاتٍ ﴾ أي بساتين كثيرة الأشجار والثمار ﴿ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ ﴾ أي عظيم جدًا خالص عن كدر ما، ودل على الخلود بقوله : ﴿ مُّقِيمٌ ﴾ ثم صرح بخلودهم فيها بلفظ الخلود ليكون أقر للنفس فقال: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ وحقق أمره بقوله: ﴿ أَبَدًا ﴾ ثم استأنف المدح لذلك مؤذناً بالمزيد بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ ﴾ أي الذي له الغنى المطلق والقدرة الكاملة ﴿ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ وناهيك .بما يصفه العظيم دالاً بالعظم، وخص هؤلاء المؤمنين بهذا الثواب المعبر عن دوامه بهذه العبارات الثلاث المقرونة بالتعظيم والاسم الأعظم، فكان أعظم الثواب، لأن إيمانهم أعظم الإيمان)) [(٢)].

٣ــ قال الألوسي: ((والجملة استئناف وقع تعليلاً لما سبق)) [(٣)].

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أنه لما ذكر ما للمهاجرين والمجاهدين من أجر ودرجة، عقّب بأن هذا كله بعضًا مما عند الله، والله عنده أجر عظيم، حضًا للمؤمنين على الاستزادة والدوام على الأعمال الصالحة. ومناسبة الطاهر توافق كلام البقاع ي إلا أنها أوضح وأصرح، وهذا يدل على دقة الطاهر في عرض المناسبة وإن كانت موجودة في كتب السابقين، إلا أنه أعاد عرضها بأسلوب واضح رصين يعتبر نت إضافاته.

وكلا الرازي فيه تكلف، وذكر الألوسي أنها تعليل. والله تعالى أعلم.

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ١٥).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٢٩١).

(٣) روح المعاني (٦/ ٩٧).

أثر المناسبات:

من خلال ما سبق بي انه، أوضحت الآيات عظيم أجر المهاجرين المجاهدين، وأنه مع نيلهم تلك الدرجات الرفيعة، والمنازل العلية، إلا أنه تعالى بيّن أنه أوسع فضلاً، وأجزل عطاءً، وأعظم أجرًا، ليزدادوا ويستزيدوا في الطاعات والصالحات.

١٦ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[١]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((استئناف ابتدائي لافتتاح غرض آخر وهو تقريع المنافقين ومن يواليهم، فإنّه لّما كان أوّل السورة في تخطيط طريقة معاملة المظهرين للكفر، لا جرم تهيّأ المتامُ [٢] لمثل ذلك بالنسبة إلى من أبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان: المنافقينَ من أه ل المدينة ومن بقايا قبائل العرب؛ ممّن عُرفوا بذلك، أو لم يعرفوا وأطْلَعَ الله عليهم نبيه ﷺ وحذّر المؤمنين المطّلعين عليهم من بطانتهم وذوي قرابتهم ومخالطتهم، وأكثر ما كان ذلك في أهل المدينة لأنّه م الذين كا ن معظمهم مؤمنين خلصًا، وكانت من بينهم بقية من المنافقين وهم من ذوي قرابتهم، ولذلك افتتح الخ طاب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ إشعارًا بأنّ ما سيلقى إليهم من الوصايا هو من مقتضَيات الإيمان وشِعاره))[٣].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((لما أمر المؤمنين بالتبري عن المشركين وبالغ في إيجابه، قالوا كيف تمكن هذه المقاطعة التامة بين الرجل وبين أبيه وأمه وأخيه؟ فذكر الله تعالى أن الانقطاع عن الآباء والأولاد والأخوان واجب بسبب الكفر))[٤]. وقد ذكره الألوسي أيضًا [٥].

---

(١) الآية (٢٣) من سورة التوبة.

(٢) بحثتُ عنها في المعاجم ولم أجدها، وربما تكون (المقام) ولكن وقع خطأ مطبعي. والله أعلم.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٥٠ـ ١٥١).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ١٥ـ ١٦).

(٥) روح المعاني (٦/ ٩٧).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما فرغ من العاطفة بمحاسن الأ عمال، شرع في العاطفة بالأنساب والأموال، وقدم الأول إشارة إلى أن المجانسة في الأفعال مقدمة على جميع الأحوال))[(١)].

من خلال ما سبق نقله، يظهر تفاوت الأقوال المذكورة أعلاه، فذكر الطاهر أنه لما ذكر البراءة في أول السورة، وذكر كيفية معاملة المظهرين لكفرهم، ابتدأ هنا بغرض جديد وهو كيفية معاملة المبطنين لكفرهم وهم المنافقون، ليحذَرَهم المؤمنون الخلص ولو كانوا من ذوي قرابتهم؛ لأن عدم موالاتهم من الإيمان ومقتضياته.

وذكر الرازي أنه لما أمر بالبراءة من المشركين، احتج بعضهم بتعذّر حصول المقاطعة التامة بين ذويهم وأقاربهم الكافرين، فأنزل الله هذه الآية لإزالة تلك الشبهة التي احتجوا بها.

و لم يختلف البقاعي عن الرازي إلا في عبارته ، فذكر أنه لما سبق وأن احتجوا بمحاسن الأعمال من العمارة والسقاية، فعالجها وبيّن أمرها، شرع يعالج حجة أخرى وهي عاطفة الأنساب والأموال.

ومن خلال السابق بيانه، يمكن القول بأن ما ذهب إليه الرازي ومَن وافقه أنسب للسياق المستمر في أحكام البراءة، وتأسيسها في قلوب المسلمين، وما ذهب إليه الطاهر يبعُدُ عن معنى الآية وما بعدها وما فيها من الحضّ على الهجرة وترك ديار الكفار[(٢)]. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

تقرير مبادئ البراءة وتثبيتها بقطع أي حجة يمكن أن يُحتج بها، فالأمر شاق، ولكنها العقيدة التي تُبنى على أساسها العلاقات حتى بين الأقارب كالآباء والإخوان.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٩١).

(٢) قال الطبري في معنى هذه الآية : ((يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ﴾ بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسراركم وتطلعونهم على عورة الإسلام وأهله وتؤثرون المكث بين أظهرهم على الهجرة إلى دار الإسلام ﴿إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِ﴾ يقول: إن اختاروا الكفر بالله على التصديق به والإقرار بتوحيده)). انظر: جامع البيان (١٠/ ٩٨). ويقول القرطبي: ((ظاهر هذه الآية أنها خطاب لجميع المؤمنين كافة، وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين، وروت فرقة أن هذه الآية إنما نزلت في الحض على الهجرة ورفض بلاد الكفرة ، فالمخاطبة على هذا إنما هي للمؤمنين الذين كانوا بمكة وغيرها من بلاد العرب، خوطبوا بألا يوالوا الآباء والإخوة فيكونوا لهم تبعاً في سكنى بلاد الكفر)). انظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٦٠).

١٧ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((ارتقاء في التحذير من العلائق التي قد تفضي إلى التقصير في القيام بواجبات الإسلام، فلذلك جاءت زيادة تفصيل الأصناف من ذوي القرابة وأسباب المخالطة التي تكون بين المؤمنين وبين الكافرين، ومن الأسباب التي تتعلّق بها نفوس الناس فيَحول تعلّقُهم بها بينَهم وبين الوفاء ببعض حقوق الإسلام، فلذلك ذكر الأبناءُ هنا لأنّ التعلّق بهم أقوى من التعلّق بالإخوان، وذُكر غيرهم من قريب القرابة أيضاً)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((اعلم أن هذه الآية هي تقرير الجواب الذي ذكره في الآية الأولى، وذلك لأن جماعة من المؤمنين قالوا يا رسول الله، كيف يمكن البراءة منهم بالكلية، وإن هذه البراءة توجب انقطاعنا عن آبائنا وإخواننا وعشيرتنا وذهاب تجارتنا، وهلاك أموالنا وخراب ديارنا، وإبقاءنا ضائعين؟ فبيّن تعالى أنه يجب تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليبقى الدين سليماً، وذكر أنه إن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله، فتربصوا بما تحبون حتى يأتي الله بأمره)) (٣).

(١) الآية (٢٤) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٥٢).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ١٦).

٢ــ قال البقاعي : ((ولما كانت الأنفس مختلفة الهمم متباينة السجايا والشيم، كان هذا غير كافٍ في التهديد لكلها، فأتبعه تهديدًا أشد منه بالنسبة إلى تلك النفوس فقال منتقلاً من أسلوب الإقبال إلى مقام الإعراض المؤذن بزواجر الغضب: ﴿ قُلۡ ﴾))[(١)].

٣ــ قال الألوسي : ((تلوين للخطاب وأمر له ﷺ بأن يثبت المؤمنين ويقوي عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الآباء والإخوان ويزهدهم فيهم وفيمن يجري مجراهم ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا على وجه التوبيخ و الترهيب أي قل يا محمد للمؤمنين ﴿ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ ﴾ لم يذكر الأبناء والأزواج فيما سلف وذكرهم هنا لأن ما تقدم في الأولياء وهم أهل الرأي والمشورة والأبناء والأزواج تبع ليسوا كذلك وما هنا في المحبة وهم أحب إلى كل أحد))[(٢)].

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر أن هذه الآية فصّلت الأقارب والأسباب التي قد تتعلق بها النفوس فتقصّر في واجبات الإسلام، فهي ارتقاء في التحذير من العلائق التي ذكر جزءًا منها في الآية السابقة . ثم ذكر الطاهر سبب ذكر الأبناء هنا لأن التعلق بهم أقوى من التعلق بالإخوان.

أما الرازي فقد جعلها تقريرًا وبيانًا لما جاء في الآية السابقة.

وعند البقاعي أنه لما كانت النفوس مختلفة في الإقبال، هدد هنا بأشد مما سبق بوجوب الامتثال .

وذكر الألوسي أنه جاء بهذه الآية بعد أن نهى المؤمنين عن اتخاذ الآباء والإخوان أولياء، ليقوي عزائم المؤمنين ويثبتهم بتزهيدهم في جميع العلائق ويحذرهم من زخارف الدنيا . وذكر الألوسي أنه أتى بذكر الأبناء والأزواج هنا دون الآية السابقة لأن الآية هنا في المحبة وهم أحب من كل أحد.

ومن خلال السابق، يظهر أن كلام البقاعي والألوسي متقارب، وكذا الطاهر إلا أنه ساق المناسبة بعبارة واضحة. ومناسبة الرازي مختلفة، فهو لم يذكر التحذير والتهديد، وإنما بيّن أنها مقررة لما جاء في الآية الأولى. ويمكن القول بأن المناسبة هي التحذير مما قد يخلّ بالبراءة وبيانه، فلما أمر بالبراءة من الآباء والإخوان الكافرين، فصّل هنا علاقات قرابة وأسبابًا دنيوية قد تحول دون الامتثال أيضًا ليحذرها المؤمنون.

وفي ذكر الأبناء والأزواج هنا اتفق الجميع في أنه ذكر الأبناء في هذه الآية دون التي قبلها لأن هذه الآية في سياق المحبة، والأبناء من أحب الناس إلى النفس. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٢٩٢).

(٢) روح المعاني (٦/ ٩٨).

نظرًا لشدة الأمر على المسلمين، ولشدة تعلق النفوس بأقاربها وخاصة الأبناء والأزواج، وقد جاء تحذير قرآني منهما في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ ﴾ [(١)]، ولما كانت الدنيا ومصالحها حبيبة إلى النفوس، وقد تُلهي عن الأمور العظام، وتُقعد المرء عن المكرمات، جاءت الآيات بقطع كل العلائق والعلاقات وتفصيلها لما قد يكون لها من ضرر على تطبيق عقائد الإسلام. وقد جاء في آيات كثيرة، كون المال والبنون زينة الدنيا ومتاعها، وقد تُلهي عن ذكر الله والطاعات، ومنها قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[(٢)] وجاء في الحديث: "لَا يُؤْمِنُ أحدكم حتى أَكُونَ أَحَبَّ إليه من وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"[(٣)].

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة الختام ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾: ((تذييل، والواو اعتراضية وهذا تهديد بأنّهم فضلوا قرابتهم وأموالهم على محبّة الله ورسوله وعلى الجهاد فقد تحقّق أنّهم فاسقون ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ فحصل بموقع التذييل تعريض بهم بأنّهم من الفاسقين)) [(٤)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما كان من آثر حب شيء من ذلك على حبه تعالى، كان مارقاً من دينه راجعًا إلى دين من آثره، وكان التقدير: فيصيبكم بقارعة لا تطيقونها ولا تهتدون إلى دفعها بنوع حيلة، لأنكم اخترتم لأنفسكم منابذة الهداية ومعلوم أن من كان كذلك فهو مطبوع في الفسق، عطف عليه قوله: ﴿ وَٱللَّهُ ﴾ أي الجامع لصفات الكمال ﴿ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ﴾ أي لا يخلق الهداية في قلوب ﴿ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ أي الذين استعملوا ما عندهم من قوة القيام فيما يريدون من الفساد حتى صار الفسق - وهو الخروج مما حقه المكث فيه و التقيد به وهو هنا الطاعة - خلقاً من أخلاقهم ولازمًا من لوازمهم، بل يكلهم إلى نفوسهم فيخسروا الدنيا والآخرة)) [(٥)].

من خلال ما سبق، ذكر الطاهر أنه ختم الآية بنفي الهدي عن الفاسقين، وهذا التذييل فيه تعريض بأنهم من الفاسقين وتهديد لهم لتفضيلهم القرابات والأموال على محبة الله ورسوله والجهاد.

---

(١) جزء من الآية (١٤) من سورة التغابن.

(٢) جزء من الآية (٩) من سورة المنافقون.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، (١/ ١٤)، رقم: [١٥].

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ١٥٤).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٢٩٢).

وذكر البقاعي أنه مَن آثر محبة شيء، كان خارجًا من دينه إلى دين مَن آثره لذا عقّب بأن الفسق صار لازمًا وخلقًا لهم يمنعهم من الهداية. وكلا المعنيين متقارب. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

مما سبق بيانه، يظهر التهديد والتحذير من تفضيل ما جاء في الآية من محاب وقرابات على محاب الله ورسوله لأن هذا من الفسق، والله لا يهدي الفاسقين.

١٨_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((لما تضمّنت الآيات السابقة الحث على قتال المشركين ابتداءً من قوله تعالى: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ (٢)، وكان التمهيد للإقدام على ذلك مدرَّجًا بإبطال حرمة عهدهم، لشركهم، وبإظهار أنّهم مضمرون العزم على الابتداء بنقض العهود التي بينهم وبين المسلمين لو قُدّر لهم النصر على المسلمين وآية ذلك: اعتداؤهم على خزاعة (٣) أحلاف المسلمين، وهمُّهم بإخراج الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة بعد الفتح، حتى إذا انتهى ذلك التمهيد المدرج إلى الحثّ على قتالهم وضمان نصر الله المسلمين عليهم، وما اتّصل بذلك ممّا يثير حماسة المسلمين جاء في هذه الآية بشواهد ما سبق من نصر الله المسلمين في مواطن كثيرة، وتذكير بمقارنة التأييد الإلهي لحالة الامتثال لأوامره، وإنّ في غزوة حنين (٤) شواهد تشهد للحالين. فالكلام استئناف ابتدائي لمناسبة الغرض السابق)) (٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى ذكر في الآية المتقدمة أنه يجب الإعراض عن مخالطة الآباء والأبناء والأخوان والعشائر وعن الأموال والتجارات والمساكن، رعاية لمصالح الدين، ولما علم الله تعالى أن هذا يشق جدًا على النفوس والقلوب، ذكر ما يدل على أن من ترك الدنيا لأجل الدين فإنه يوصله إلى مطلوبه

---

(١) الآية (٢٥) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٥) من سورة التوبة.

(٣) هم بنو عمرو بن عامر، من اليمن. انظر: السيرة النبوية (١/ ١٢٦).

(٤) حدثت في سنة ثمان بعد الفتح، بين المسلمين وهوازن وثقيف، وانتصر فيها المسلمون. انظر: السيرة النبوية (٤/ ٨٧).

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ١٥٤).

من الدنيا أيضاً، وضرب تعالى لهذا مثلاً ، وذلك أن عسكر رسول الله ﷺ في واقعة حنين كانوا في غاية الكثرة والقوة، فلما أعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين ، ثم في حال الانهزام لما تضرعوا إلى الله قواهم حتى هزموا عسكر الكفار، وذلك يدل على أن الإنسان متى اعتمد على الدنيا ، فاته الدين والدنيا ومتى أطاع الله ورجح الدين على الدنيا آتاه الله الدين والدنيا على أحسن الوجوه ، فكان ذكر هذا تسلية لأولئك الذين أمرهم الله بمقاطعة الآباء والأبناء والأموال والمساكن ، لأجل مصلحة الدين وتصبيراً لهم عليها، ووعدًا لهم على سبيل الرمز بأنهم إن فعلوا ذلك فالله تعالى يوصلهم إلى أقاربهم وأموالهم ومساكنهم على أحسن الوجوه. هذا تقرير النظم وهو في غاية الحسن)) [(١)].

٢ــ قال أبو حيان: ((لما تقدم قوله ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾[(٢)] واستطرد بعد ذلك بما استطرد، ذكّرهم تعالى نصره إياهم في مواطن كثيرة)) [(٣)].

٣ــ قال البقاعي: ((ولما كان في بعض النفوس من الغرور بالكثرة ما يكسبها سكرة تغفلها عن بعض مواقع القدرة، ساق قصة حنين دليلاً على ذلك الذي أبهمه من التهديد ج وابلسائل كان كأنه قال: ما ذاك الأمر الذي يتربص لإتيانه ويخشى من عظيم شأنه ؟ فقيل: الذل والهوان والافتقار والانكسار، فكأنه قيل: وكيف يكون ذلك؟ فقيل: بأن يسلط القدير عليكم - وإن كنتم كثيرًا - أقوياء غيركم وإن كانوا قليلاً ضعفاء كما سلطكم - وقد كنتم كذلك - حتى صرتم إلى ما صرتم إليه)) [(٤)].

من خلال المنقول السابق، يربط الطاهر هذه الآية بما قبلها من آيات جاءت في الحث على قتال المشركين، من خلال التمهيد لهذا القتال بنقضهم للعهد، وإضمارهم الغدر، فلما أمرهم بالقتال، وضمن لهم النصر، جاء بشواهد من سبق نصر الله للمسلمين مثيرًا لحماستهم، ومذكرًا لهم بغزوة حنين التي كادوا يُهزمون فيها لولا تأييد الله ليدركوا عاقبة امتثال أمر الله تعالى.

وذكر الرازي أنه تعالى لما أوجب مقاطعة الكافرين من الآباء والأبناء والأخوان والعشائر، وأمر بالإعراض عن الأموال والتجارات والمساكن، مراعاة لمصالح الدين، وكان ذلك مما قد يشق على المسلمين، ضرب لهم في هذه مثلاً للتسلية عن قلوبهم ولتصبيرهم، فهم في غزوة حنين لم ينتصروا لما أُعجبوا بكثرتهم وقوتهم، بل لما تضرعوا لله تعالى.

وذكر أبو حيان أنه لما أمرهم بالقتال سابقًا في السورة، ذكّرهم بنصره لهم في مواطن كثيرة.

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ١٧).

(٢) جزء من الآية (١٤) من سورة التوبة.

(٣) البحر المحيط (٥/ ٢٤).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٩٣).

وعند البقاعي أنه لما هدد في الآية السابقة بإتيان أمره إن هم لم يطيعوا، وكان في بعض النفوس غرورًا بالكثرة والقوة، ساق قصة غزوة حنين ــ التي تُظهر غلبتهم ابتداء بسبب اغترارهم بكثرتهم ــ مبينًا كيفية الإتيان بأمره.

ومن خلال ما سبق بيانه، فإن جميع ما ذُكر من مناسبات يتلاءم إما مع الآية السابقة، وإما مع ما قبلها من آيات. وتعد مناسبة الطاهر من تفرداته، فهو لم ينقل عمن سبقه. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

تذكير الله تعالى للمسلمين بنصره لهم يوم حنين، هو من باب ضرب المثل، والتذكير بالحال التي يجب أن يكونوا عليها، وهو نوع من الترغيب والتسلية، ليمتثلوا أوامره، وليصبروا عليها.

١٩_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف ابتدائي للرجوع إلى غرض إقصاء المشركين ع ن المسجد الحرام المفاد بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾(٢) الآية ، جيء به لتأكيد الأمر بإبعادهم عن المسجد الحرام مع تعليله بعلّة أخرى تقتضي إبعادهم عنه : وهي أنّهم نجس ، فقد علّل فيما مضى بأنّهم شاهدون على أنفسهم بالكُفر ، فليسوا أهلاً لتعمير المسجد المبني للتوحيد، وعلّل هنا بأنّهم نجس فلا يعمروا المسجد لطهارته)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما تقدم في الأمر والنواهي وبيان الحكم المرغبة والمرهبة ما لم يبق لمن عنده أدنى تمسك بالدين شيئاً من الالتفات إلى المفسدين، بيّ ن أن العلة في مدا فعتهم وشديد مقاطعتهم أنهم نجس وأن المواضع – التي ظهرت فيها أنوار عظمته وجلالته وأشرقت عليها شموس نبوته ورسالته، ولمعت فيها بروق كبره وجالت صوارم نهية وأمره – مواضع القدس ومواطن الأنس، من دنا إليها من غير أهلها احترق بنارها، وبهرت بصره أشعة أنوارها، فقال مستخلصًا مما تقدم ومستنتجًا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾)) (٤).

من خلال المنقول السابق، ذكر الطاهر أن هذه الآية تعليل آخر لعدم أحقية المشركين في العمارة والسقاية، فهنا عود لهذه المسألة بذكر سبب آخر لها، فالسبب الأول المذكور سابقًا هو كفرهم، والسبب الثاني المذكور هنا هو أنهم نجس، فلا يعمروا المسجد الحرام لطهارته.

(١) الآية (٢٨) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٧) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٥٩).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٢٩٦).

وبمثل هذا المعنى قال البقاعي إلا أن الطاهر صاغها بصورة أوضح وربطها بقوله ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾، وهذا يُظهر تميزه في أنه يستفيد من السابقين ويضيف عليه ويزيده، لا أن ينقضه ويبيده. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال سياق الآيات، وتتابع الأوامر الصارمة في التزام البراءة من المشركين، يبيّن الله تعالى بعلل وشواهد تؤدي إلى وجوب الامتثال، وتقطع عذر المتعذّرين، وتمحّص المؤمنين، وتعلّق قلوبهم بالدين ورب العالمين، فالمشركون جمعوا بين فساد الاعتقاد، والنج اسة الحسية، وخبيث الأخلاق حين نبذوا وخدعوا، فالأجدر بالمؤمنين أن يعاملوهم بما شرع الله لهم، ليمنعوا استفحال أمرهم، وليُسمعوا الدنيا دين الله تعالى الذي يُخرج من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن النجاسة إلى الطهارة المعنوية والمادية، ومن الشقاوة إلى السعادة الدائمة.

٢٠ـ المناسبات في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف ابتدائي لتنبيه المسلمين على نقائص أهل الكتاب، تحقيرًا لهم في نفوسهم ، ليكونوا أشدّاء عليهم في معاملتهم ، فبعد أن ذكر تأليه عامتهم لأفاضل من أحبارهم ورهبانهم المتقدّمين : مثل عُزير، بيّن للمسلمين أنّ كثيرًا من الأحبار والرهبان المتأخّرين ليسوا على حال كمال، ولا يستحقّون المقام الديني الذي ينتحلونه، والمقصود من هذا التنبيه أن يعلم المسلمون تمالئ الخاصّة والعامّة من أهل الكتاب ، على الضلال وعلى مناوأة الإسلام، وأنّ غرضهم من ذلك حبّ الخاصة الاستئثار بالسيادة، وحبّ العامّة الاستئثار بالمزية بين العرب)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال ابن عطية : ((المراد بهذه الآية بيان نقائص المذكورين ونهي المؤمنين عن تلك النقائص مترتب ضمن ذلك)) (٣).

٢ـ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما وصف رؤساء اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على الخلق، وصفهم في هذه الآية بالطمع والحرص على أخذ أموال الناس، تنبيهًا على أن المقصود من إظهار تلك الربوبية والتجبر والفخر، أخذ أموال الناس بالباطل)) (٤).

---

(١) الآية (٣٤) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٧٤).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ٢٧).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ٣٤).

٣_ قال أبو حيان : ((ذكر أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، ذكر ما هو كثير منهم ، تنقيصاً من شأنهم وتحقيراً لهم، وأنّ مثل هؤلاء لا ينبغي تعظيمهم، فضلاً عن اتخاذهم أرباباً لما اشتملوا عليه من أكل المال بالباطل ، وصدهم عن سبيل الله ، واندرجوا في عموم الذين يكنزون الذهب والفضة ، فجمعوا بين الخصلتين المذمومتين: أكل المال بالباطل وكنز المال، إن ضنوا أنْ ينفقوها في سبيل الله)) [1].

٤_ قال البقاعي : ((ولما حقّر أمرهم بتقسيم اعتمادهم على رؤسائهم، وحالهم معروف في أنه لا نفع عندهم ولا ضر، وأعلى أمر أهل الله باجتماعهم عليه وهو القادر على كل شيء، وكان الإقبال على الدنيا أعظم أمارة على الخذلان ولو أنه بحق فكيف إذا بالباطل! أقبل سبحانه وعز شأنه على أهل وده مستعطفاً متلطفاً منادياً باسم الإيمان الذي بنى أمره في أول هذا الكتاب على الإنفاق لا على التحصيل ولو كان بحق، فكيف إذا كان بباطل، ويؤتون الزكاة ومما رزقناهم ينفقون، منبهاً على سفه من ترك من لا يسأله على بذل الهدى والدعوة إلى دين الحق أجراً وهو سفير محض لا ينطق عن الهوى، ولم يعتقده رسولاً واتخذ مربوباً مثله وهو يأخذ ماله بالباطل رباً، وذلك مقتضٍ لتحقيرهم لا لمطلق تعظيمهم فضلاً عن الرتبة التي أنزلوهم بها وأهلوهم لها مع الترفع عليهم لقصد أكل أموالهم بالباطل فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ أي أقروا بإيمان داعيهم من التكذيب ومما يؤول إليه ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ ﴾ أي من علماء اليهود ﴿ وَٱلرُّهْبَانِ ﴾ أي من زهاد النصارى ﴿ لَيَأْكُلُونَ ﴾ أي يتناولون، ولكنه عبر به لأنه معظم المراد من المال، وإشارة إلى تحقير الأحبار والرهبان بأنهم يفعلون ما ينافي مقامهم الذي أقاموا أنفسهم فيه)) [2].

٥_ قال الألوسي : ((شروع في بيان حال الأحبار والرهبان في إغوائهم لأراذلهم إثر بيان سوء حال الأتباع في اتخاذهم لهم أرباباً وفي ذلك تنبيه للمؤمنين حتى لا يحوموا حول ذلك الحمى ولذا وجه الخطاب إليهم ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾)) [3].

من خلال المنقول السابق، تقارب معنى ما ذكره المفسرون في مناسبة هذه الآية.

فيذكر الطاهر أنه لما ذكر تأليه عامة أهل الكتاب لأحبارهم ورهبانهم، أتبعه بذكر نقائص أهل الكتاب، وبيان فضائحهم للمسلمين ليحقروهم ويعاملوهم بما يجب، فعامتهم وخاصتهم لا يألون جهدًا في الإفساد والإضلال. ولم يختلف أبو حيان كثيرًا، فذكر أنهم لما اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا، نقّص

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٣٨).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٣٠٥).

(٣) روح المعاني (٦/ ١١٩).

من شأنهم وحقّرهم بأنهم يأخذون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله، فلا ينبغي تعظيمهم . وذكر ابن عطية أنها في بيان نقائص أهل الكتاب . وذكر الألوسي أنه لما ذكر حال الأحبار والرهبان، واتخاذ الناس لهم أربابًا، شرع يُبيّن تجبّرهم على مرؤوسيهم بأخذ أموالهم بالباطل، تنبيهًا للمؤمنين من سوء حالهم. وجميع تلك الأقوال متقاربة المعنى.

وعند الرازي أنه لما وصف الأحبار والرهبان بادعاء الربوبية والتكبر على الخلق، استكمل في هذه الآية ما اتصفوا به من الجشع وأخذ أموال الناس بالباطل، لأن ذلك هو مقصدهم الخفي من ادعاء الربوبية.

وذكر البقاعي أنه لما ذكر اعتماد أهل الكتاب على أحبارهم ورهبانهم، حقّر أمر هؤلاء الرؤساء والعامة، وأظهر نقص خاصتهم، بأنهم يترفّعون عن العامة ليأكلوا أموال الناس بالباطل، وأنكر على من اتخذوهم أربابًا من دون الله، وهم لهم أنداد.

ومن خلال ما سبق بيانه تكون المناسبة، أنه لما ذكر اتخاذ أهل الكتاب لأحبارهم ورهبانهم أربابًا، ذكر تسلّط هؤلاء الأحبار والرهبان على الناس بأخذ أموالهم بالباطل، ليُبقوا على مترلتهم التي ادعوها في الربوبية، فجاء في الآية بذكر نقائصهم لتحقيرهم وتنبيه المؤمنين على قبحهم ومقاومتهم للإسلام . والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ ﴾: ((جملة معطوفة على جملة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا ﴾ والمناسبة بين الجمْلتين: أنّ كلتيهما تنبيه على مساوي أقوام يضَعُهم الناس في مقامات الرفعة والسؤدد وليسوا أهلاً لذلك، فمضمون الجملة الأولى بيان مساوي أقوام رفع الناس أقدارهم لعلمهم ودينهم، وكانوا منطوين على خبائث خفيّة ، ومضمون الجملة الثانية بيان مساوي أقوام رفعهم الناس لأجل أموالهم، فبين الله أنّ تلك الأموال إذا لم تنفق في سبيل الله لا تغني عنهم شيئاً من العذاب)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال ابن عطية: ((لما ذكر نقص الأحبار والرهبان الآكلين المال بالباطل ذكر بعد ذلك بقولٍ عامرٍ نقص الكافرين المانعين حق المال)) (٢).

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٧٦).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٢٧).

٢ـ قال الرازي: ((إن كان المراد تخصيص هذا الوعيد بمن سبق ذكرهم وهم أهل الكتاب كان التقدير أنه تعالى وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال الناس بقوله ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ ووصفهم أيضاً بالبخل الشديد والامتناع عن إخراج الواجبات عن أموال أنفسهم بقوله ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ وإن كان المراد مانعي الزكاة من المؤمنين، كان التقدير أنه تعالى وصف قبح طريقتهم في الحرص على أخذ أموال الناس بالباطل ، ثم ندب المسلمين إلى إخراج الحقوق الواجبة من أموالهم، وبيّن ما في تركه من الوعيد الشديد ، وإن كان المراد الكل كان التقدير أنه تعالى وصفهم بالحرص على أخذ أموال الناس بالباطل، ثم أردفه بوعيد كل من امتنع عن إخراج الحقوق الواجبة من ماله، تنبيهًا على أنه لما كان حال من أمسك مال نفسه بالباطل كذلك فما ظنك بحال من سعى في أخذ مال غيره بالباطل والتزوير والمكر)) (١).

٣ـ قال أبو حيان : ((الظاهر العموم كما قلناه ، فيقرن بين الكانزين من المسلمين وبين المرتشين من الأحبار والرهبان تغليظاً ودلالة على أنهم سواء في التبشير بالعذاب)) (٢).

٤ـ قال البقاعي: ((ولما كان أكثرهم يكتزون تلك الأموال، شرع سبحانه على مطلق الكتر، ففهم من باب الأولى الصد الذي هو سبب الجمع الذي هو سبب الكتر)) (٣).

٥ـ قال الألوسي: ((والمراد من الموصول إما الكثير من الأحبار والرهبان لأن الكلام في ذمهم ويكون ذلك مبالغة فيه حيث وصفوا بالحرص بعد وصفهم بما سبق من أخذ البراطيل في الأباطيل وإما المسلمون لجرى ذكرهم أيضاً وهو الأنسب بقوله تعالى ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لأنه يشعر بأنهم ممن ينفق في سبيله سبحانه لأنه المتبادر من النفي عرفاً فيكون نظمهم في قرن المرتشين من أهل الكتاب تغليظاً ودلالة على كونهم أسوة لهم في استحقاق البشارة بالعذاب، واختار بعض المحققين حمله على العموم ويدخل فيه الأحبار والرهبان دخولاً أولياً)) (٤).

من خلال ما سبق نقله، يذكر الطاهر أنه لما ذكر قبح أناس رُفعوا مترلة لم يستحقوها لتسترهم بستار الدين والعلم، ذكر بعد ذلك قبح أناس رُفعوا مترلة فوقية لا يستحقونها بسبب أموالهم، فتلك الأموال إذا لم تُنفق في سبيل الله لم تُغنِ شيئًا من العذاب.

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ٣٥).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٣٨).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٠٥).

(٤) روح المعاني (٦/ ١٢٠).

وذكر ابن عطية أنه لما ذكر ن قائص أهل الكتاب من الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ذكر نقائص الكفار الذين يكترون الأموال.

وذكر الرازي أنه لما ذكر أكل الأحبار والرهبان لأموال الناس بالباطل وحرصهم عليها، أتبع ذلك بوصفهم بالبخل الشديد وكترها وعدم أداء حقها. وذكر الرازي أنه إذا كان المقصود هم المؤمنون فتكون المناسبة أنه لما ذكر حرص أهل الكتاب على الأموال، ندب المؤمنين إلى إخراج حقوق الأموال ببيان عذاب كانزيها. ثم ذكر الرازي أنه إذا كان المقصود هم أهل الكتاب والمؤمنون، فإنه لما بيّن قبح أهل الكتاب في أخذ الأموال بالباطل، ندب الجميع إلى إخراج حقوقها وتوّعد من امتنع، منبهًا على تساوي مَن كترها و لم يُخرج حقها، ومَن أخذها بغير وجه حق . وبهذا القول الأخير قال أبو حيان، ورجّحه الألوسي.

وذكر البقاعي أنه لما ذكر حرصهم الشديد على أخذ الأموال بالباطل وصدهم بها عن سبيل الله، شرع يذكر الذين يكترون الأموال ويمنعونها، لأن الصدّ هو سبب الحرص عليها وجمعها، وبالتالي هو سبب في إمساكها وكترها.

ومما سبق بيانه، يكون كلام مَن ذهب إلى عموم المخاطبين هو الأنسب، فالمناسبة أنه لما ذكر ارتفاع الأحبار والرهبان فوق مترلتهم الحقيقية، ثم ذكر بعده ا حرصهم على أخذ الأموال بالباطل للصد عن سبيل الله، ذكر بعد ذلك الحريصين على كتر الأموال وعدم أداء حقوقها. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

من خلال ما سبق بيانه، ينشر القرآن الكريم خفايا الأحبار والرهبان، ويفضح قبائحهم، فإنهم ما قاوموا الدين الإسلامي إلا خوفًا من ذهاب ما ادّعوه من مترلة الربوبية، التي استغلوها في نيل مطامعهم المادية، وأكل أموال الناس باطلاً، والصد عن سبيل الله، متخذين من الدين ستارًا على نقائصهم الدنيّة.

ويظهر أيضًا قبح كتر المال، والإمساك عن أداء حقوقه الواجبة، وفيه حثّ على الإنفاق في وقت العسرة، وزمن تجهيز الجيش لغزوة تبوك، حيث كثرت الأموال، وإمساكها منذر بعذاب شديد.

٢١_ المناسبات في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف ابتدائي لإقامة نظام التوقيت للأمّة على الوجه الحق الصالح لجميع البشر ، والمناسب لما وضع الله عليه نظام العالم الأرضي ، وما يتّصل به من نظام العوالم السماوية، بوجه محكم لا مدخل لتحكّمات الناس فيه، وليوضّح تعيين الأشهر الحُرم من قوله: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ﴾ (٢) بعدما عقِبَ ذلك من التفاصيل في أحكام الأمن والحرب مع فرق الكفار من المشركين وغيرهم)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أن هذا شرح النوع الثالث من قبائح أعمال اليهود والنصارى والمشركين، وهو إقدامهم على السعي في تغييرهم أحكام الله ، وذلك لأنه تعالى لما حكم في كل وقت بحكم خاص ، فإذا غيّروا تلك الأحكام بسبب النسيء فحينئذ كان ذلك سعياً منهم في تغيير حكم السنة بحسب أهوائهم وآرائهم فكان ذلك زيادة في كفرهم وحسرتهم)) (٤).

---

(١) الآية (٣٦) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٥) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٠).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ٤٠).

٢ــ قال أبو حيان : ((ومناسبة هذه الآية أنه لما ذكر أنواعً ا من قبائح أهل الشرك وأهل الكتاب ، ذكر أيضاً نوعًا منه، وهو تغيير العرب أحكام الله تعالى ؛ لأنه حكم في وقت بحكم خاص ، فإذا غيَّروا ذلك الوقت، فقد غيّروا حكم الله)) (١).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما تقدّم كثير مما ينبني على التاريخ: الحج في غير موضع والأشهر وإتمام عهد من له مدة إلى مدته والزكاة والجزية، و ختم ذلك بالكنز الذي لا يطلق شرعًا إلا على ما لم تؤد زكاته، وكان مشركو العرب – الذين تقدم الأمر بالبراءة منهم والتأذين بهذه الآيات يوم الحج الأكبر فيهم – قد أحدثوا في الأشهر – بالنسيء الذي أمروا أن ينادوا في الحج بإبطاله – ما غيّر السنين عن موضوعها الذي وضعها الله عليه، فضاهوا به فعل أهل الكتاب بالتدين بتحليل أكابرهم وتحريمهم كما ضاهى أولئك قول أهل الشرك في النبوة والأبوة، قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ ﴾ أي منتهى عدد شهور السنة ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي في حكم وعلم الذي خلق الزمان وحده وهو الإله وحده فلا أمر لأحد معه ﴿ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ أي لا زيادة عليها ولا تغيير لها كما تفعلونه في النسيء)) (٢).

من خلال ما سبق نقله، يذكر الطاهر أنه لما ذكر في أول السورة الأشهر الحرم، وما تبع ذلك من أحكام السلم والحرب مع الكفار أجمعين على اختلاف فِرَقهم، ابتدأ هنا في تعيين الأشهر الحرم، وضبط نظام التوقيت الصالح للبشرية جمعاء حسب القوانين الكونية، لا مدخل بعده لتحكمات الناس فيه بأهوائهم.

وذكر الرازي أن الآية استمرار في ذكر قبائح أهل الكتاب والمشركين، فذكر في هذه الآية قبحًا آخر وهو سعيهم في تغيير أحكام الله، فهو سبحانه قد حكم بوقت فغيّروه بحسب أهوائهم.

وذكر أبو حيان أنه لما ذكر قبائح أهل الكتاب، ذكر هنا قبائح المشركين.

وذكر البقاعي مناسبة جميلة جدًا، فإنه لما سبق في السورة الأمر بالبراءة من الكافرين وم ا تبع ذلك من أحكام، وكان أغلبها متعلقًا بالتاريخ، كالحج، وإتمام العهد لمن له مدة، والزكاة والجزية، وكنزهم الأموال المترتب على منعهم لزكاتها، وكان المشركون يؤخرون النسيء، وغيّروا ما غيّروا في السنين والأوقات، وقد شابهوا بذلك أهل الكتاب في التحليل والتحريم بأهوائهم، عقّب هنا ببيان عدة الشهور التي حَكَمَ الله بها.

(١) البحر المحيط (٥/ ٤٠).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٣٠٧).

ومما سبق بيانه، فاتفق الجميع أنها في تعداد قبائح أخرى للمشركين واليهود . وعند الطاهر أنها استئناف ابتدائي، وهي من تفرداته. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾: ((تفريع على ﴿ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ فإنّها لما كانت حرمتها ممّا شرعه الله ، أوجب الله على الناس تعظيم حرمتها بأن يتجنّبوا الأعمال السيئة فيها. فالضمير المجرور بـ في عائد إلى الأربعة الحرم: لأنّها أقرب مذكور، ولأنّه أنسب بسياق التحذير من ارتكاب الظلم فيها، وإلاّ لكان مجرّد اقتضاب بلا مناسبة)) (١).

من خلال ما سبق نقله، تكون المناسبة أنه لما بيّن تعالى حرمة تلك الشهور، أوجب على الناس تعظيم حرمتها وعدم الظلم فيها. وهذه من تفردات الطاهر على حد إطلاعي. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثالثة: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ﴾: ((أحسب أنّ موقع هذه الآية موقعُ الاحتراس من ظنّ أنّ النهيِ عن انتهاء الأشهر الحرم يَقتضي النهي عن قتال المشركين فيها إذا بدأوا بقتال المسلمين، وبهذا يؤذن التشبيه التعليلي في قوله: ﴿ كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ فيكون المعنى فلا تنتهكوا حرمة الأشهر الحرم بالمعاصي، أو باعتدائكم على أعدائكم ، فإن هم بَادَأوكم بالق تال فقاتلوهم على نحو قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (٢) فمقصود الكلام هو الأمر بقتال المشركين الذين يقاتلون المسلمين في الأشهر الحرم، وتعليله بأنّهم يستحلون تلك الأشهر في قتالهم المسلمين)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما كان إنساؤهم هو لتحلّ لهم المقاتلة على زعمهم قال : ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ﴾ أي كلكم في ذلك سواء، في الائتلاف واجتماع الكلمة ﴿ كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ أي كلهم في ذلك سواء وذلك الحكم في جميع السنة، لا أنهاكم عن قتالهم في شهر منها، فأنتم لا تحتاجون إلى تغيير حكمي فيها لقتال ولا غيره إن اتقيتم الله، فلا تخافوهم وإن زادت جموعهم وتضاعفت قواهم لأن الله يكون معكم ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي الذي له جميع العظمة معكم، هكذا كا ن الأصل ولكنه

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٥).

(٢) جزء من الآية (١٩٤) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٧).

أظهر الوصف تعليقاً للحكم به وتعميماً فقال: ﴿مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ جميعهم، وهم الذين يثبتون تقواهم على ما شرعه لهم، لا على النسيء ونحوه، ومن كان الله معه نصر لا محالة)) (١).

من خلال ما سبق نقله، جعلها الطاهر احتراسًا، وضمنها ثوبًا بلاغيًا، وربطها بفهم المسلمين من تحريم القتال في الأشهر الحرم، أنه ربما يظن أنه لا يحل لهم القتال فيه . بخلاف البقاعي فقد ربطها بفعل المشركين من النسيء لتحل لهم المقاتلة. والله تعالى أعلم.

المناسبة الرابعة: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: ((والجملة بمنزلة التذييل لما قبلها من أجل ما فيها من العموم في المتّقين، دون أن يقال واعلموا أنّ الله معكم ليحصل من ذكر الاسم الظاهر معنى العموم، فيفيد أنّ المتّصفين بالحال المحكية في الكلام السابق معدودون من جملة المتقين، لئلا يكون ذكر جملة ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ غريبًا عن السياق، فيحصل من ذلك كلام مستقلّ يجري مجرى المثل وإيجازٌ يفيد أنّهم حينئذٍ من المتّقين، وأنّ الله يؤيّدهم لتقواهم ، وأنّ القتال في الأشهر الحرم في تلك الحالة طاعة لله وتقوى ، وأنّ المشركين حينئذٍ هم المعتدون على حرمة الأشهر، وهم الحاملون على المقابلة بالمثل للدفاع عن النفس)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الألوسي: ((إرشاد لهم إلى ما ينفعهم في قتالهم بعد أمرهم به ، وقيل: المراد أن الله معكم بالنصر والإمداد فيما تباشرونه من القتال ، وإنما وضع المظهر موضع المضمر مدحًا لهم بالتقوى وحثًا للقاصرين على ذلك وإيذاناً بأنه المدار في النصر ، وقيل: هي بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم كما يشعر بذلك التعليق بالمشتق ، وما ذكرناه نحن لا يخلو عن حسن إلا أن الأمر بالتقوى فيه أعم من الأحداث والدوام ومثله كثير في الكلام)) (٣).

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٣٠٧_ ٣٠٨).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٨).

(٣) روح المعاني (٦/ ١٢٨).

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر أنه لما أمرهم بمقاتلة المشركين الذين ابتدأوا المسلمين بالقتال في الأشهر الحرم، عقّب بأنه مع المتقين عمومًا، يؤيدهم وينصرهم، لأن قتالهم في تلك الحالة من الطاعة والتقوى، وأن المشركين هم المعتدون فوجب مدافعتهم.

وذكر الألوسي أنه لما أمرهم بقتال البادئين، عقّب بالتقوى ليرشدهم إلى ما ينفعهم في قتالهم.

ويظهر أن مناسبة الطاهر أنسب وأشمل. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

من خلال السابق بيانه، يظهر جليًا قيام كثير من تشريعات وعبادات الإسلام على الوقت، كعبادة الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها، وأن المشركين لما بدّلوا وغيّروا حُكْم الله في الوقت بحسب ما تمليه عليهم أهواؤهم ومصالحهم، فإنهم بذلك اعتدوا على سنة إلهية كونية قررها سبحانه لا تتغير ولا تتبدل مهما فعلوا.

ويظهر أيضًا أنه متى انحرفت البشرية عن نظام الله في الكون، حصل الفساد والضلال والظلم، وشاعت الفوضى، واختلت الأحوال، فكان لا بدّ من حسم تلك القضية، وإقامة الأمة على النظام والتوقيت الذي فطر الله الكون عليه منذ خلق السموات والأرض، لتنضبط أمورها، ويصلح حالها.

فللأوقات أهميتها، ولبعض الشهور حرمتها، وما استقام شيء ولا طاب إلا وفق ما جبله الله عليه، فيجب تعظيم ما عظّم الله وميّزه، وفيه حثٌّ على مراعاة حرمة الأشهر الحرم وتقوى الله فيها بعدم الظلم، وتضييعها في الشهوات والأهواء والمعاصي، هذا مطلوب على مرّ العام، ويزداد تأكيده في تلك الأربعة (رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، محرم).

٢٢_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((استئناف بياني ناشئ عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ﴾ (٢) الآية لأنّ ذلك كالمقدّمة إلى المقصود وهو إبطال النسيء وتشنيعه))(٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما فهُم من هذا إبطال النسيء لأنه فعل أهل الجاهلية فلا تقوى فيه، كان كأنه قيل: أفما في النسيء تقوى فإن سببه إنما هو الخوف من انتهاك حرمة الله بالقتال في الشهر الذي حرمه؟ وذلك أنهم كانوا أصحاب غارات وحروب، وكانوا يحترمون الأشهر الحرم عن القتال حتى لو رأى الإنسان قاتل أبيه لا مانع منه لم يعرض له، فكان إذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم تركه، وكان يشق عليهم ترك ذلك ثلاثة أشهر متوالية، فجعلوا النسيء لذلك، فقيل تصريحاً بما أفهمه ما مضى: ليس فيه شيء من ذلك: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾ أي تأخير الشهر إلى شهر آخر على أنه مصدر نسأ نسيئاً – إذا أخره، أو هو اسم مفعول، أي الشهر الذي تؤخر العرب حرمته من الأشهر الحرم عن وقتها ﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِۖ﴾ أي لأنه على خلاف ما شرعه الله، وفيه ستر تحريم ما أظهر الله تحريمه))(٤).

---

(١) الآية (٣٧) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٣٦) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٨).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣٠٨).

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أن هذه الآية كالمقدمة إلى المقصود من الآية السابقة، فإنه لما قدّم في الآية التي قبلها بأن الشهور هي من حكم الله لا مجال لتغييرها، أتبع ذلك ببيان بطلان ما كانوا يفعلونه من النسيء.

وذكر البقاعي أنه لما ذكر التق وى في الآية السابقة، وفُهم من ذلك أن النسيء باطل وليس بتقوى، كأنهم برّروا أن فعلهم النسيء كان لتقوى منهم من انتهاك حرمة الأشهر بالقتال فيها وقت كونهم محاربين، فجاء في هذه الآية مبينًا ومصرحًا بأن النسيء خلاف شرع الله.

ومما سبق بيانه، اتفقت المناسبتان، و يظهر أن البقاعي ربط الآية بذيل التي قبلها و لم يصرح بأنها استئناف بياني، أما الطاهر فقد صرح بذلك. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ﴾: ((مستأنفة استئنافًا بيانيًا: لأنّ ما حكي من اضطراب حالهم يثير سؤال السائلين عن سبب هذا الضغث من الضلال الذي تمالأوه فقيل: لأنّهم زيّن لهم سوء أعمالهم ، أي لأنّ الشيطان زيّن لهم سوء أعمالهم فحسّن لهم القبيح)) (١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما انهتكت بهذا البيان قباحة فعلهم، كان كأنه قيل : إن هذا لعجب ! ما حملهم على ذلك؟ فقيل: ﴿زُيِّنَ ﴾ أي زين مزين، وقرئ شاذًا بإسناد الفعل إلى الله ﴿لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ﴾ أي حتى رأوا حسناً ما ليس بالحسن فضلوا و لم يهتدوا، فعل الله بهم ذلك لما علم من طبعهم على الكفر فلم يهدهم ﴿وَٱللَّهُ ﴾ أي الذي له صفات الكمال ﴿ لَا يَهْدِى ﴾ أي يخلق الهداية في القلوب ﴿ ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي الذي طبعهم على الكفر فهم عريقون فيه لا ينفكون عنه)) (٢).

من خلال النقل السابق، لم يختلف معنى ما ذهب إليه الطاهر والبقاعي، فتكون المناسبة أنه لما أحلوا ما حرّم الله، وظهر للسامعين اضطراب حالهم، وقبح فعلهم، قد يتساءل سائل ويتعجّب : ما الذي حملهم على هذا الضلال؟ فكانت جملة زين لهم سوء أعمالهم بيانًا وتعليلاً، وأنه تزيين من الشيطان فرأوا القبيح حسنًا.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٩٤).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٣٠٩).

المناسبة الثالثة: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: ((عطف على جملة ﴿زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ﴾ فهي مشمولة لمعنى الاستئناف البياني المراد منه التعليل لتلك الحالة الغريبة، لأنّ التعجيب من تلك الحالة يستلزم التعجيب من دوامهم على ضلالهم وعدم اهتدائهم إلى ما في صنيعهم من الاضطراب، حتّى يقلعوا عن ضلالهم ، فبعد أن أفيد السائل بأنّ سبب ذلك الاضطراب هو تزيين الشيطان لهم سوءَ أعمالهم، أفيد بأنّ دوامهم عليه لأنّ الله أمسك عنهم اللطف والتوفيق، الذيْن بهما يتفطّن الضالّ لضلاله فيقلع عنه، جزاءً لهم على ما أسلفوه من الكفر ، فلم يزالوا في دركات الضلال إلى أقصى غاية))[1].

هنا مناسبة الختام أنه لما بيّن سبب اضطرابهم وهو تزيين الشيطان لهم سوء أعمالهم، أفاد بدوامهم على ذلك، فهم لم ينالوا الهداية والتوفيق لكفرهم. وهذه من تفردات الطاهر. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

بيان أن تزيين الشيطان للإنسان عمله القبيح، يطبعه على الدوام عليه، وعدم تبيّن ضلاله، وهذا يمنعه من الاهتداء والارتداع.

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٩٤_ ١٩٥).

٢٣ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [١]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((هذا وعيد وتهديد عقّب به الملام السابق، لأنّ اللوم وقع على تثاقل حصل، ولمّا كان التثاقل مفضياً إلى التخلّف عن القتال، صرّح بالوعيد والتهديد أن يعودوا لمثل ذلك التثاقل، فهو متعلّق بالمستقبل كما هو مقتضَى أداة الشرط . فالجملة مستأنفة لغرض الإنكار بعد اللوم)) [٢].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((لما رغّبهم في الآية الأولى في الجهاد بناء على الترغيب في ثواب الآخرة ، رغّبهم في هذه الآية في الجهاد بناء على أنواع أخر من الأمور المقوية للدواعي)) [٣].

٢ـ قال البقاعي: ((ولما كان طول الاستعطاف ربما كان مدعاة للخلاف وترك الإنصاف، توعّ دهم بقوله: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ ﴾)) [٤].

من خلال النقل السابق، تفاوتت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية، فاتفق الطاهر مع البق اعي في أنه لما أنكر عليهم تثاقلهم وتخلّفهم عن القتال حين استنفرهم للجهاد، جاء هنا بلومهم مع التصريح بالوعيد والتهديد حتى لا يعودوا لمثله مستقبلاً.

وذهب الرازي إلى أنه لما رغّبهم في الجهاد عن طريق الترغيب في ثواب الآخرة، رغّبهم هنا في الجهاد عن طريق دواعٍ أخرى هي العذاب والاستبدال والاستغناء عنهم.

---

(١) الآية (٣٩) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٩٩).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ٤٩).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣١٨).

ومن خلال ما سبق بيانه، تكون مناسبة الطاهر والبقاعي أولى وأنسب؛ لأنه سياق إنكار ثم ملامة . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

التحذير من التثاقل إلى الأرض، والركون إلى الدنيا، والزهد فيما عند الله تعالى، وهذا ليس فقط في الجهاد، بل في أمور الإنسان كلها، فمتى وجد المرء نفسًا طابت بنعيم الدنيا، ومالت إلى ظلالها، استنفرها واستحثها على نفض النعيم الزائل، وخوّفها عذاب الله واستبداله، فهو رب العالمين القادر على أن يستخلف قومًا آخرين، ولا يضرّه شيء مطلقًا.

٢٤_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((استئناف بياني لقوله: ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2] لأنّ نفي أن يكون قعودهم عن النفير مُضرًّا بالله ورسولِه، يثير في نفس السامع سؤالاً عن حصول النصر بدون نصير، فبيّن بأنّ الله ينصره كما نصره حين كان ثاني اثنين لا جيش معه، فالذي نصره حين كان ثاني اثنين قدير على نصره وهو في جيش عظيم ، فتبيّن أنّ تقدير قعودهم عن النفير لا يضرّ الله شيئًا))[3].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

(١) الآية (٤٠) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٣٩) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٠٠ _ ٢٠١).

١ــ قال الرازي: ((اعلم أن هذا ذكر طريق آخر في ترغيبهم في الجهاد ، وذلك لأنه تعالى ذكر في الآية الأولى أنهم إن لم ينفروا باستنفاره و لم يشتغلوا بنصرته ، فإن الله ينصره بدليل أن الله نصره وقواه حال ما لم يكن معه إلا رجل واحد)) [١].

٢ــ قال البقاعي : ((ولما وصف سبحانه نفسه الأقدس بما هو له أهل من شمول القدرة وعظيم البأس والقوة، أتبع ذلك بدليل يتضمن أن المستنفر لهم – وهو نبيه ﷺ – غير محتاج إليه ومتوقف نصره عليهم كما لم يحتج إليهم – بحياطة القادر له – فيما مضى من الهجر التي ذكرها، وأن نفع ذلك إنما هو لهم باستجلاب ما عدوه واستدفاع ما أوعدوه في الدارين المشار إلى ذلك كله بقوله ﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾[٢] الآية وقوله ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ ﴾ – الآية، فقال: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ ﴾)) [٣].

من خلال ما سبق نقله، اختلفت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية.

فالطاهر جعلها استئنافًا بيانيًا جوابًا عن سؤال عن حصول النصر بدون نصير وربطها بقوله ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [٤]. وهذه من تفرداته.

والرازي جعلها ذكر طريق آخر من طرق الترغيب في الجهاد.

والبقاعي ربطها بقوله ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ وأن من دلائل قدرته أنه غير محتاج إليهم في نصرته فقد نصره حين كان في الغار.

فتكون المناسبة أنه لما ختم تعالى الآية السابقة بأن قعود المؤمنين عن النفير لن يضر الله ورسوله شيئًا، أتى بعد ذلك بحادثة الهجرة بيانًا لكيفية نصره وقدرته سبحانه، حيث نصره و لم يكن معه سوى رجل واحد. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان تكفّل الله تعالى بنبيه ﷺ، ونصره له في أشد المواطن وأعسرها، حيث لا مدد ولا عدد، إلا الله تعالى يُعين وينصر، ليعلم كل من تقاعس وتثاقل بأن الله غني عنه، وقادر على نصر دينه، ورفعة شأنه، وحمايتي عباده المؤمنين.

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ٥١).

(٢) جزء من الآية (٣٨) من سورة التوبة.

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣١٨ ــ ٣١٩).

(٤) جزء من الآية (٣٩) من سورة التوبة.

٢٥ــ المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف لابتداء الكلام على حال المنافقين وغزوة تبوك حين تخلّفوا واستأذن كثير منهم في التخلّف واعتلّوا بعلل كاذبة ، وهو ناشئ عن قوله: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ﴾ (٢). وانتُقل من الخطاب إلى الغيبة لأنّ المتحدّث عنهم هنا بعض المتثاقلين لا محالة بدليل قوله بعد هذا ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (٣). ومن هذه الآيات ابتدأ إشعار المنافقين بأنّ الله أطْلَع رسوله ﷺ على دخائلهم)) (٤).

(١) الآية (٤٢) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٣٨) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٤٥) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٠٨).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بالغ في ترغيبهم في الجهاد في سبيل الله ، وكان قد ذكر قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [١] عاد إلى توري كونهم متثاقلين وبيّن أن أقوامًا مع كل ما تقدم من الوعيد والحث على الجهاد تخلفوا في غزوة تبوك وبين أنه ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ ﴾)) [٢].

٢ــ قال البقاعي: ((ولما كان هذا العتاب مؤذنًا بأن فيهم من تباطأ عن الجهاد اشتغالاً بنحو الأموال والأولاد، وكان ما اشتملت عليه هذه الآيات من الأوامر والزواجر والمواعظ جدير: بأن يخفف كل متثاقل وينشط كل متكاسل، تشوفت النفوس إلى ما اتفق بعد ذلك فأعلم سبحانه به في أساليب البلاغة المخبرة عن أحوال القاعدين وأقاصيص الجامدين المفهمة أن هناك من غلب عليه الشقاء فلم ينتفع بالمواعظ، فالتفت من لطف الإقبال إلى تبكيت المتثاقلين بأسلوب الإعراض المؤذن الغضب المحقق للسخط المبين لفضائحهم المبعثر لقبائحهم المخرج لهم ما دخلوا فيه من عموم الدعاء باسم الإيمان)) [٣].

من خلال المنقول السابق، اتفقت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية رغم اختلاف ألفاظهم.

فتكون المناسبة لما استنفرهم للجهاد في سبيل الله، وتوعد وهدد، وعاتب وحثّ، ابتدأ هنا في ذكر من لم ينفعه ما سبق من وعظ، وهم المتثاقلون المنافقون الذين تخلّفوا عن الجهاد وعن غزوة تبوك، مخبرًا عن دخائلهم وفضائحهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه، تكون هذه الآيات أول ما نزل في التفرقة بين المنافقين والمؤمنين في القتال، فمن تتابع السياق المليء بالمواعظ والترغيب والترهيب، يظهر عدم استجابتهم، وخلودهم إلى التثاقل، وأن بالجهاد تظهر النفوس الصادقة، والقلوب المؤمنة، لما فيه من المشقة، والتضحية، والإخلاص. ومن هنا يتنبه المسلم إلى أنه إذا لم ينتفع بما جاء عن ربه وعن رسوله ﷺ، ورضي بهمة دونية، ونفس كسولة، يوشك أن يكون من المنافقين المتثاقلين.

---

(١) جزء من الآية (٣٨) من سورة التوبة.

(٢) التفسير الكبير (١٦/ ٥٨).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٢٢).

٢٦ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً نشأ عن تبرئة المؤمنين من أن يستأذنوا في الجهاد: ببيان الذين شأنهم الاستئذان في هذا الشأن، وأنّهم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر في باطن أمرهم لأنّ انتفاء إيمانهم ينفي رجاءهم في ثواب الجهاد، فلذلك لا يُعرضون أنفسهم له)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((بيّن أن هذا الانتقال لا يصدر إلا عند عدم الإيمان بالله واليوم الآخر ، ثم لما كان عدم الإيمان قد يكون بسبب الشك فيه، وقد يكون بسبب الجزم والقطع بعدمه، بيّن تعالى أن عدم إيمان هؤلاء إنما كان بسبب الشك والريب)) (٣).

٢ـ قال البقاعي: ((ولما أخبر بالمتقين، عرّف بغيرهم على وجه الحصر تأكيدًا لتحقيق صفة العلم بما أخبر به سبحانه، فصار الاستئذان منفياً عن المؤمنين مرتين، فثبت للمنافقين على أبلغ وجه ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ﴾)) (٤).

---

(١) الآية (٤٥) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢١٢).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ٦٢).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣٢٧).

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر أنها استئناف بياني جوابًا عن سؤال مقدر من الكلام السابق : من الذين يستأذنونك؟ بعد نفي الاستئذان عن المؤمنين. وهذه من تفردات الطاهر.

والرازي ذكر علة عدم إيمانهم وذلك بسبب الشك والريب.

أما البقاعي فقد جعلها بيانًا، فلما ذكر المتقين، عرّف بغيرهم.

فالمناسبة أنه لما كان المؤمنون الحق لا يستأذنون في الخروج للجهاد، أثبت هنا مرة أخرى عدم استئذانهم ببيان فريق المستأذنين وهم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وارتابوا. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه، فإنه لا ي نبغي التردد والتحير في فعل الواجبات والخيرات، وأن من شك في شيء فعليه السؤال عنه ليجد إجابة شافية، وليزيل ريبه، لأن من فعل عكس ذلك، شابه في فعله المنافقين المذكورين في الآية. وفيه أن في الجهاد دليل على الإيمان بالله واليوم الآخر.

٢٧_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((استئناف بياني لجملة ﴿ كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ (٢) لبيان الحكمة من كراهية الله انبعاثهم ، وهي إرادة الله سلامة المسلمين من أضرار وجود هؤلاء بهم ، لأنّهم كانوا يضمرون المكر للمسلمين فيخرجون مرغمين، ولا فائدة في جيش يغزو بدون اعتقاد أنّه على الحقّ)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى بيّن في هذه الآية أنواع المفاسد الحاصلة من خروجهم)) (٤).

٢_ قال البقاعي: ((ولما كان كأنه قيل: ما له ثبطّهم وقد كنا قاصدين سفرًا بعيدًا وعدوًا كثيرًا شديدًا فنحن محتاجون إلى الإسعاد ولو بتكثير السواد ! قيل: و ﴿ لَوْ ﴾ أي فعل ذلك بهم لأنهم ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم ﴾ أي وإن كانوا قليلاً معمورين بجماعاتكم ﴿ مَّا زَادُوكُمْ ﴾ أي بخروجهم شيئًا من الأشياء ﴿ إِلَّا خَبَالًا ﴾أي ما أتوكم بشيء زائد على ما عندكم من الأشياء غير الخبال)) (٥).

٣_ قال الألوسي: ((بيان لكراهة الله تعالى انبعاثهم أي لو خرجوا مخالطين لكم ﴿ مَّا زَادُوكُمْ ﴾ شيئًا من الأشياء ﴿ إِلَّا خَبَالًا ﴾ أي شرًا وفسادًا)) (٦).

من خلال ما سبق نقله، اختلفت أقوال المفسرين في مناسبة ه ذه الآية.

فقد اتفق الطاهر مع البقاعي والألوسي في معنى المناسبة إلا أن الطاهر قد صرّح بأنها استئناف بياني، وفُهم ذلك من كلام البقاعي والألوسي.

وذكر الرازي أنها لبيان أنواع المفاسد الحاصلة من خروجهم.

وجميع المناسبات متلائمة. والله تعالى أعلم.

---

(١) الآية (٤٧) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٤٦) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢١٦).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ٦٥).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٣٢٨).

(٦) روح المعاني (٦/ ١٥٥).

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾: ((تذييل قصد منه إعلام المسلمين بأنّ الله يعلم أحوال المنافقين الظالمين ليكونوا منهم على حذر ، وليتوسّموا فيهم ما وسمهم القرآن به ، وليعلموا أنّ الاستماع لهم هو ضرب من الظلم)) [1].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال ابن عطية: ((توعد لهم ولمن كان من المؤمنين على هذا الصفة)) [2].

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أنها إعلام للمسلمين ليكونوا على حذر من المنافقين الظالمين . وما ذكره من مناسبة أوضح وأصرح.

وجعلها ابن عطية وعيدًا للمنافقين وللمؤمنين الذين يتصفون بهذه الصفة.

فتكون المناسبة أنه لما ذكر أحوال المنافقين لو خرجوا للقتال مع المسلمين، ذيّل الآية بإعلام المسلمين بعلمه سبحانه بمكائد هؤلاء، ووعيده للمنافقين الظالمين، ولمن استمع لهم لأن الاستماع لهم نوع من الظلم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

من خلال ما سبق بيانه، تستمر الآيات في فضح قبائح المنافقين، وبيان خطرهم على الجيش الإسلامي، ولو بدا من وجودهم مصلحة ونفع للعقول القاصرة، لأنهم يبطنون الكفر والمكر والخديعة، ولا يألون جهدًا في الإفساد والتفريق في الخفاء.

وفي الآيات أيضًا تسلية للرسول ﷺ، والربط على قلوب المؤمنين، فهم ليسوا بحاجة لجند ولا مدد، ما دام ربهم ينصرهم ويثبتهم.

وأيضًا يظهر أنه أينما وُجِد منافقون، وُجدت آذان مصغية، وعقول ضعيفة، قد تنخدع بالمنافقين، فتفتر العزائم، وتقلّ الهمم، فيجب التنبّه والحذر، والسعي إلى إقصائهم.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٢١٨).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٤١).

٢٨_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ [(١)]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((تتنزل هذه الجملة منزلة البيان لجملة ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [(٢)]، وما بين الجملتين استدلال على كذبهم في ما اعتذروا به وأظهروا الاستئان لأجله ، وبُيِّن هنا أن تردّدهم ه و أنّهم يخشون ظهور أمر المسلمين، فلذلك لا يصارحونهم بالإعراض ويودّون خيبة المؤمنين، فلذلك لا يحبّون الخروج معهم)) [(٣)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: ((اعلم أن هذا نوع آخر من كيد المنافقين ومن خبث بواطنهم)) [(٤)].

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر أن مناسبة هذه الآية هي أنه لما ذكر استئذان المنافقين في القتال وترددهم، وعقّبه بذكر أدلة كذبهم في اعتذاراتهم واستئذانهم، جاء هنا ببيان أن ترددهم في الخروج للقتال هو خشيتهم انتصار المسلمين وظهور استيائهم منه .

واقتصر الرازي على أنها في بيان نوع آخر من كيد المنافقين ومكرهم.

فتكون المناسبة التي ذكرها الطاهر إضافة إلى التفسير ومما تفرد به. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن المنافقين يفرحون ويُسرّون بما يصيب الإسلام وأهله. وأنهم يحنقون ويتحون من فوز الإسلام وأهله. وأنهم يفخرون ويدّعون تيقظهم الذي حال دون أن ينالوا ما نال المسلمون من سيئة، وهذا من خبث بواطنهم، وجبنهم وكذبهم، فما كانت اعتذاراتهم إلا لغرض، وما كان استئذانهم إلا لمصلحة لهم، لذا على المسلم أن يتنبّه من تغلغل تلك الفئات في العمل الإسلامي، لأنه مفسدون لا مصلحون، وحانقون لا محبّون، ويشمتون ولا يَصْدُقون.

---

(١) الآية (٥٠) من سورة التوبة.

(٢) الآية (٤٥) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٢٢).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ٦٨).

٢٩_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾[١]

قال الطاهر في مناسبة ختام هذه الآية : ((وجملة ﴿ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ في موضع العلّة لنفي التقبّل، ولذلك وقعت فيها (إنَّ) المفيدة لِمعنى فاء التعليل، لأنّ الكافر لا يتقبّل منه عمل البرّ . والمراد بالفاسقين: الكافرون، ولذلك أعقب بقوله: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾[٢])) [٣].

من خلال ما سبق نقله، تكون هذه المناسبة من تفردات ابن عاشور والله أعلم. فذكر أنه لما نفى قبول نفقاتهم التطوعية أو المكروهة من قبلهم، ختم الآية بوصفهم بالفسق بمعنى الكفر؛ لأن الكافر لا يُقبل عمله من البر. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن أعمال المنافقين الخيرية لم تكن بدافع الإيمان، بل إبطانًا لكفرهم، وتسترًا على مكرهم، ومعلوم أن أعمالهم لا تنفع ولا تُقبل مهما كانت لغياب الإيمان الذي هو سبب قبول العمل الصالح.

---

(١) الآية (٥٣) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٥٤) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٢٦).

٣٠_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴾[1]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((عطف على جملة ﴿ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾[2] لأنّ هذا بيان للتعليل لعدم قبول نفقاتهم بزيادة ذكر سببين آخريْن مانعين من قبول أعمالهم هما من آثار الكفر والفسوق. وهما: أنّهم لا يأتون الصلاة إلاّ وهم كسالى، وأنّهم لا ينفقون إلاّ وهم كارهون. والكفر وإن كان وحده كافياً في عدم القبول، إلاّ أنْ ذكر هذين السببين إشارة إلى تمكّن الكفر من قلوبهم وإلى مذمّتهم بالنفاق الدالّ على الجبن والتردّد. فذكر الكفر بيان لذكر الفسوق، وذكر التكاسل عن الصلاة لإظهار أنّهم متهاونون بأعظم عبادة فكيف يكون إنفاقهم عن إخلاص ورغبة. وذكر الكراهية في الإنفاق لإظهار عدم الإخلاص في هذه الخصلة المتحدّث عنها))[3].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما علل بالعراقة في الخروج عن الطاعة، بيّنه في قوله: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ ﴾ أي باطناً، ولذا عبر بالمجرد، ولذا بناه للمفعول لأن النافع القبول في نفس الأمر لا كونه من معين ﴿ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ ﴾ أي وإن جلت ﴿ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ ﴾ أي الذي له جميع صفات الكمال من الجلال والجمال لفساد جبلاتهم وسوء غرائزهم.

ولما كان قبول النفقات مهيئًا للطهارة التي تؤثرها الصلاة، كان السياق لعدم قبولها – ليتسبب عنه النهي عن الصلاة عليهم – أبلغ لأنه أدل على الخبث، فأكد كفرهم بزيادة الجار إشعارًا بأن الكفر بكل منهما على حياله مانع فقال : ﴿ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ أي فسقهم بأنهم غير مؤمنين وهو السبب المانع بمفرده من القبول: ثم قدح في شاهدي ما يظهرون من الإيمان وهما الصلاة والزكاة وغيرهما من الإنفاق في الخيرات بما هو لازم للكفر ودال عليه فقال : ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي المفروضة وغيرها ﴿ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾ أي في حال كسلهم، لا يأتونها قط بنشاط ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ ﴾ أي نفقة من واجب أو غيره ﴿

(١) الآية (٥٤) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٥٣) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٢٧).

﴿ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴾ أي في حال الكراهة وإن ظهر لكم خلاف ذلك، وذلك كله لعدم النية الصالحة واعتقاد الآخرة، وهذا لا ينافي طوعاً لأن ذلك بحسب الفرض أو الظاهر وهذا بحسب الواقع)) [1].

من خلال المنقول السابق، يذكر الطاهر أنه لما أخبر في الآية السابقة عن عدم قبول نفقاتهم، لأنهم قوم فاسقون بمعنى كافرون ، بيّن هنا سبب عدم القبول بذكر سببين آخرين، ولكنهما من آثار ا لكفر والفسوق، وتمكّنهما من قلوبهم، وهما : أنّهم لا يأتون الصلاة إلاّ وهم كسالى ، وأنّهم لا ينفقون إلاّ وهم كارهون.

ثم ذكر الطاهر أنه ذكر تهاونهم في الصلاة أعظم العبادات للدلالة على عدم إخلاصهم ورغبتهم في إنفاقهم، وذكر كراهيتهم في الإنفاق لإظهار عدم إخلاصهم فيها.

وعند البقاعي أنه لما بيّن عدم قبول نفقاتهم بسبب فسقهم وهو خروجهم عن الطاعة للرسول، بيّن هنا خبث بواطنهم فهم قد جمعوا بين الكفر وإتيان الصلاة كسالى وكراهية الإنفاق.

وذكر البقاعي أنه ذكر الصلاة والزكاة لأنهما شاهدي الإيمان فأبطل ما يظهرونه.

ومما سبق يظهر تقارب المعنيين، والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

تعداد صفات أخرى للمنافقين، فهم على كفرهم الباطن، يُظهرون الإسلام خداعًا وتخفيًا لكفرهم، وهي: لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، ولا ينفقون إلا وهم كارهون . وقد سبق ذكر بعض صفاتهم في سورة الرساء: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [2].

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٣٣٣).

(٢) الآية (١٤٢) من سورة النساء.

٣١_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((تفريع على مذمّة حالهم في أموالهم، وأن وفرة أموا لهم لا توجب لهم طُمَأْنِينَة بال ، بإعلام المسلمين أنّ ما يرون بعض هؤلاء المنافقين فيه من متاع الحياة الدنيا لا ينبغي أن يكون محلّ إعجاب المؤمنين ، وأن يحسبوا المنافقين قد نالوا شيئاً من الحظّ العاجل ببيان أنّ ذلك سبب في عذابهم في الدنيا)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما قطع في الآية الأولى رجاء المنافقين عن جميع منافع الآخرة ، بيّن أن الأشياء التي يظنونها من باب المنافع في الدنيا ، فإنه تعالى جعلها أسباب تعظيمهم في الدنيا ، وأسباب اجتماع المحن والآفات عليهم. ومن تأمل في هذه الآيات عرف أنها مرتبة على أحسن الوجوه ، فإنه تعالى لما بيّن قبائح أفعالهم وفضائح أعمالهم، بيّن مالهم في الآخرة من العذاب الشديد ومالهم في الدنيا من وجوه المحنة والبلية، ثم بيّن بعد ذلك أن ما يفعلونه من أعمال البر لا ينتفعون به يوم القيامة البتة. ثم بين في هذه الآية أن ما يظنون أنه من منافع الدنيا فهو في الحقيقة سبب لعذابهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم ، وعند هذا يظهر أن النفاق جالب لجميع الآفات في الدين والدنيا ، ومبطل لجميع الخيرات في الدين والدنيا ، وإذا وقف الإنسان على هذا الترتيب عرف أنه لا يمكن ترتيب الكلام على وجه أحسن من هذا . ومن الله التوفيق)) (٣).

٢_ قال أبو حيان: ((لما قطع رجاء المنافقين عن جميع منافع الآخرة بيّن أن الأشياء التي يظنونها من باب منافع الدنيا جعلها الله تعالى أسباباً ليعذبهم بها في الدنيا)) (٤).

٣_ قال البقاعي: ((ولما انتفى عن أموالهم النفع الأخروي الذي هو النفع، تسبب عن ذلك الزهد فيها الموجب لعدم الالتفات إليها وعدم اعتقاد أن فيها بركة ودلالة على خير، فقال - مبيناً ما فيها من الفساد الذي يظن أنه صلاح: ﴿ فَلَا ﴾ - بفاء السبب، فالسياق أبلغ من سياق الآتية بعد النهي عن الصلاة عليهم ﴿ تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ ﴾ أي وإن أنفقوها في سبيلي وجهزوا بها الغزاة . فإن ذلك عن غير إخلاص منهم ولا

---

(١) الآية (٥٥) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٢٧).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ٧٣ _ ٧٤).

(٤) البحر المحيط (٥/ ٥٥).

حسن نية ولا جميل طوية، وإنما هو لما أذلهم من عزة الإسلام وأخافهم من سط   وة الانتقام فهو من جملة العذاب)) [1].

من خلال المنقول السابق، اتفقت معاني أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية على اختلاف ألفاظهم.

فتكون المناسبة أنه لما ذمّ حال المنافقين في أموالهم، وأخبر عدم انتفاعهم بها في الآخرة، حذّر المسلمين من أن يعُجبوا بهم وبما عندهم من متاع الدنيا لأنه سبب في عذابهم وامتحانهم. والله أعلم.

أثر المناسبة:

تحذير المؤمنين من الإعجاب بما حبا الله به هؤلاء المنافقين من متاع دنيوي، فإنه لهم بلاء ومحنة وعذاب في الدنيا.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٣٣٣_ ٣٣٤).

٣٢ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ [١]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((هذه الجملة معطوفة ع لى ما قبلها من أخبار أهل النفاق . وضمائر الجمع عائدة إليهم ، قصد منها إبطال ما يموّهون به على المسلمين من تأكيد كونهم مؤمنين بالقَسم على أنّهم من المؤمنين)) [٢].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بيّن كونهم مستجمعين لكل مضار الآ خرة والدنيا، خائبين عن جميع منافع الآخرة والدنيا، عاد إلى ذكر قبائحهم وفضائحهم، وبيّن إقدامهم على الأيمان الكاذبة)) [٣].

٢ـ قال أبو حيان : ((ولما حقر تعالى شأن المنافقين وأموالهم وأولادهم ، عاد إلى ذكر مصالحهم وما هم عليه من خبث السريرة ، فقال ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ ﴾ على الجملة لا على التعيين ، وهي عادة الله في ستر أشخاص العصاة)) [٤].

٣ـ قال البقاعي : ((ولما وضح بهذه الأمور منابذهم للمؤمنين وخروجهم من ربقة [٥] الدين المصحح لوصفهم بالفسق، أوضح لبساً آخر من أحوالهم يقيمونه بالأيمان الكاذبة فقال: ﴿ وَيَحْلِفُونَ ﴾)) [٦].

من خلال ما سبق نقله، اتفقت معاني أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية على اختلاف ألفاظهم.

فالمناسبة العود إلى ذكر قبائح المنافقين واستكمال أخبارهم، وهنا قبيحة أخرى وهي حلفهم الكاذب للمؤمنين بأنهم من المؤمنين. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان استخفاف المنافقين بالأيم ان وإجرائها على ألسنتهم كذبًا وزورًا ليتوصلوا بها إلى أغراضهم ومصالحهم، فهذا بيان لأسلوب من أساليبهم الماكرة فهم لم يحلفوا إلا خشية افتضاح أمرهم، و خوف ظهور حقيقتهم لعيشهم بين المؤمنين، وهم أهل إخفاء الحقائق، وإبطان الشرور، وفساد النوايا.

---

(١) الآية (٥٦) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٢٩).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ٧٧).

(٤) البحر المحيط (٥/ ٥٦).

(٥) الربق بالكسر: حبل فيه عدة عرا تشد به البهم، الواحدة من العرا ربقة. انظر: مختار الصحاح (١/ ٩٨)، باب ر ب ق.

(٦) نظم الدرر (٣/ ٣٣٤).

٣٣_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾[١]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((جملة معطوفة على جملة: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[٢] باعتبار ما تفرّع عليها من قوله: ﴿ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴾[٣] عطفاً ينبئ عن الحالة المحمودة، بعد ذكر الحالة المذمومة))[٤].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما أخبر تعالى عن حالهم السي ء الدنيء الذي لا يجديهم في الدنيا ويهلكهم في الأخرى، نبههّم على ما هو الأصلح لهم من الحال الشريف السني))[٥].

من خلال المنقول السابق، اتفقت مناسبة الطاهر مع البقاعي في هذه الآية على اختلاف ألفاظهم.

فتكون المناسبة أنه لما ذكر حالة المنافقين المذمومة في لمزهم النبي ﷺ في الصدقات، بيّن هنا الحالة المحمودة التي كان من المفترض بهم أن يكونوا عليها م ن الرضا وطيب النفس بما قسم الله ورسوله . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن طلب الدنيا والطمع فيها يؤول بالإنسان إلى خسران الدين وتضييعه، وأن طلب الآخرة والرضا بما قسم الله في الدنيا يؤول بالإنسان إلى سعادة الدنيا والآخرة . فهذه الآية تُعلّم الرضا بم ا قسم الله، والتوكل عليه فيما آتى اعتقادًا ولسانًا وعملاً، واتخاذ ما أتاه لنيل رضوانه، وخدمة دينه، وأنّ ما فات من شؤون الدنيا لا يفوت عند الله في الآخرة.

---

(١) الآية (٥٩) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٥٨) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٥٨) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٣٣).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٣٣٥).

٣٤ـ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[١]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((هذه الآية اعتراض بين جملة: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[٢] وجملة ﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾[٣] الآية. وهو استطراد نشأ عن ذكر اللمز في الصدقات أدمج فيه تبيين مصارف الصدقات))[٤].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((اعلم أن المنافقين لما لمزوا الرسول ﷺ في الصدقات، بيّن لهم أن مصرف الصدقات هؤلاء، ولا تعلق لي بها ، ولا آخذ لنفسي نصيبًا منها، فلم يبق لهم طعن في الرسول بسبب أخذ الصدقات))[٥].

٢ـ قال أبو حيان: ((لما ذكر تعالى من يعيب الرسول في قسم الصدقات ، بأنه يعطي من يشاء ويحرم من يشاء، أو يخص أقاربه أو يأخذ لنفسه ما بقي ، وكانوا يسألون فوق ما يستحقون ، بيّن تعالى مصرف الصدقات وأنه ﷺ إنما قسم على ما فرضه الله تعالى))[٦].

٣ـ قال البقاعي: ((ولما أخبر عن لمزهم في الصدقات وقرر ما هو خير لهم إرشادًا إلى النجاة، علل فعل رسول الله ﷺ فيها وبين أنه لا يفعل غيره لأنه الحق الذي لا يجوز في شرعه الأكمل غيره لمزوا أو تركوا زهدوا أو رغبوا فقال معبرًا بأداة القصر على ما ذكر: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾))[٧].

٤ـ قال الألوسي: ((ثم إنه سبحانه لما ذكر المنافقين وطعنهم وسخطهم بيّن أن فعله عليه الصلاة والسلام لإصلاح الدين وأهله لا لأغراض نفسانية كأغراضهم فقال جل وعلا ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ الخ يعني أن الذي ينبغي أن يقسم مال الله عليه من اتصف بإحدى هذه الصفات دون غيره

---

(١) الآية (٦٠) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٥٨) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٦١) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٣٤).

(٥) التفسير الكبير (١٦/ ٨٠).

(٦) البحر المحيط (٥/ ٥٨).

(٧) نظم الدرر (٣/ ٣٣٦).

إذ القصد الصلاح والمنافقون ليس فيهم سوى الفساد فلا يستحقونه وفي ذلك حسم لأطماعهم الفار غة ورد لمقالتهم الباطلة)) [1].

من خلال ما سبق نقله، اتفقت معاني أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية على اختلاف ألفاظهم.

فتكون المناسبة أنه لما ذكر لمز المنافقين للرسول ﷺ وطعنهم في قسمته للصدقات، بيّن هنا مصارف الصدقات ومستحقيها، وأنها بتقسيم الله تعالى، ردًا عليهم وإسكاتًا لهم، وحدًا لأطماعهم.

ويظهر كذلك تفرد الطاهر عن غيره المفسرين بأن ضمّن هذه المناسبة أنواعًا من البلاغة فذكر الاعتراض والاستطراد والتدميج. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال تتابع الآيات في فضح المنافقين، وهتك أستار نفوس هم الخبيثة، تأتي هذه الآية وسط تلك القبائح بما يُربي النفس على الإحسان، وتخلية القلب من حب الدنيا والمال، عن طريق الشعور بحرمان الآخرين وبؤسهم، والحث على تقديم يد الجود بما آتى الله تعالى، عبادة لله وحبًا لله، فتصفى نفوس المجتمع المسلم وتتكافل، وتندفع الآفـات، وتعمّ الخيرات، غنيّهم وفقيرهم، وتندحر العلائق الدنيوية، وترغب النفس وتتشوّق لما عند الكريم المنان.

فالزكاة شكر، وتعاون، وألفة، وسدّ للخلل من جميع الوجوه، وتلمّس لحاجات المسلمين، وهي علاج مقابل لما يبثّه المنافقون من تفريق بين المسلمين، وما دأبوه في التشتيت وإذكاء الفتن.

---

(١) روح المعاني (٦/ ١٦٦).

٣٥_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((لمّا كان قولهم : ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ ﴾ (٢) اعتذارًا عن مناجاتهم، أي إظهارًا للعذر الذي تناجَوا من أجله، وأنّه ما يحتاجه المتعَب : من الارتياح إلى المزح والحديث في غير الجدّ ، فلمّا كشف الله أمر استهزائهم ، أردفه بإظهار قلّة جدوى اعتذارهم إذ قد تلبّسوا بما هو أشنع وأكبر ممّا اعتذروا عنه ، وهو التباسهم بالكفر بعد إظهار الإيمان . فإن الله لّما أظهر نفاقهم. كان ما يصدر عنهم من الاستهزاء أهون فجملة ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ ﴾ من جملة القول الذي أمر الرسول أن يقوله، وهي ارتقاء في توبيخهم، فهي متضمّنة توكيدًا لمضمون جملة ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٣)، مع زيادة ارتقاء في التوبيخ وارتقاء في مثالبهم بأنّهم تلبّسوا بما هو أشدّ وهو الكفر ، فلذلك قطعت الجملة عن التي قبلها، على أنّ شأن الجمل الواقعة في مقام التوبيخ أن تقطع ولا تعطف لأنّ التوبيخ يقتضي التعْداد ، فتقع الجمل الموبَّخ بها موقع الأعداد المحسوبة نحو واحد، اثنان، فالمعنى لا حاجة بكم للاعتذار عن التناجي فإنّكم قد عُرفتم بما هو أعظم وأشنع . والنهي مستعمل في التسوية وعدم الجدوى)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((أنه تعالى بيّن أن ذلك الاستهزاء كان كفرًا والعقل يقتضي أن الإقدام على الكفر لأجل اللعب غير جائز فثبت أن قولهم ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ ﴾ ما كان عذرًا حقيقيًا في الإقدام على ذلك الاستهزاء فلما لم يكن ذلك عذرًا في نفسه نهاهم الله عن أن يعتذروا به لأن المنع عن الكلام الباطل واجب فقال ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ ﴾ أي لا تذكروا هذا العذر في دفع هذا الجرم)) (٥).

---

(١) الآية (٦٦) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآيتي (٦٥) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٦٥) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥١_ ٢٥٢).

(٥) التفسير الكبير (١٦/ ٩٩).

٢ـ قال البقاعي: ((ولما حقق استهزاءهم، أنتج قوله: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا ﴾ أي لا تبالغوا في إثبات العذر، وهو ما ينفي الملام، فإن ذلك لا يغنيكم وإن اجتهدتم لأن القطع حاصل بأنكم ﴿ قَدْ كَفَرْتُم ﴾ أي بقولكم هذا)) [١].

من خلال النقل السابق، يظهر تميز الطاهر في هذه المناسبة، حيث أسبغ على المناسبة لونًا بلاغيًا، فذكر علة قطع هذه الآية ع ن التي قبلها، وإن كانت من جملة المقول الذي أُمر الرسول ﷺ أن يقوله. وأشار الطاهر إلى أن الآية ارتقاء في التوبيخ، وهو ما لم يُشر إليه الرازي والبقاعي.

فتكون المناسبة أنه لما اعتذروا في الآية السابقة بأنهم إنما قالوا ما قالوا خوضًا ولعبًا، وفضح الله استهزاءهم، أعقبه بأن نهاهم عن الاعتذار ارتقاء في توبيخهم، لأن اعتذارهم غير صادق ولا يفيد، ووبخهم لتلبّسهم بما هو أشنع وأعظم من الاستهزاء، فهم قد كفروا بعد إظهار الإيمان. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾: ((جاءت هذه الجملة على عادة القرآن في تعقيب النذارة بالتبشير للراغب في التوبة تذكيرًا له بإمكان تدارك حاله. ولّما كان حال المنافقين عجيبًا كانت البشارة لهم مخلوطة ببقية النذارة، فأنبأهم أنّ طائفة منهم قد يُعفى عنها إذا طلبت سبب العفو : بإخلاص الإيمان، وأنّ طائفة تَبْقى في حالة العذاب ، والمقام دالّ على أنّ ذلك لا يكون عبثاً ولا ترجيحًا بدون مُرجّح، فما ه و إلاّ أنّ طائفة مرجّوة الإيمان، فيغفر عمّا قدّمته من النفاق، وأخرى تصرّ على النفاق حتّى الموت، فتصير إلى العذاب)) [٢].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال البقاعي: ((ولما كان الحال مقتضياً لبيان ما صاروا إليه بعد إكفارهم من توبتهم أو إصرارهم، بيّن أنهم قسمان: أحدهما مطبوع على قلبه ومقضي توبته وحبه، ، وهذا الأشرف هو المراد بقوله بانياً للمفعول إعلامًا بأن المقصود الأعظم هو الفعل، لا بالنظر إلى فاعل معين: ﴿إِن نَّعْفُ ﴾ لأن كلام الملك وإن جري في مضمار الشرط فهو مرشد إلى تحققه ليحصل الفرق بين كلام الأعلى والأدنى ﴿ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ ﴾ أي لصلاحيتها للتوبة ﴿ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً ﴾ أي قوم ذوو عدد فيهم أهلية الاستدارة)) [٣].

من خلال النقل السابق، تفاوت ما ذكره الطاهر والبقاعي.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٣٤٣).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٢).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٤٣).

فذكر الطاهر أنه لما أنذرهم في أول الآية، أردف تلك النذارة بالترغيب والبشارة لمن يريد التوبة وتدارك حاله فيُعفى عنه، وطائفة تبقى في حالة العذاب لإصرارها على النفاق . وهذه عادة القرآن الكريم في ذكر الضد.

وذكر البقاعي أنه لما بيّن كفرهم اقتضى أن يبيّن بعد ذلك انقسامهم إلى فريق يرجو التوبة لصلاحيته لها، وفريق مطبوع على الكفر والإجرام.

والمناسبة الأنسب أنه لما بيّن لهم كفرهم وأنذرهم، فتح لهم باب التوبة مع الإنذار الشديد بعذاب من بقي منهم على كفره. وهي مناسبة الطاهر. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

من خلال ما سبق بيانه، أوضحت الآيات أن الاستهزاء بالدين كفر بالله تعالى، جدًا كان أو هزلاً، قولاً كان أو فعلاً، لا يمحوه إلا التوبة الصادقة عن ذلك الكفر والنفاق.

٣٦ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((يظهر أن تكون هذه الآية احتراساً عن أن يظنّ المنافقون أنّ العفو المفروض لطائفة منهم هو عفو ينال فريقاً منهم باقين على نفاقهم ، فعقب ذلك ببيان أنّ النفاق حالة واحدة وأنّ أصحابه سواء ، ليعلم بذلك أن افتراق أحوالهم بين عفو وعذاب لا يكون إلاّ إذا اختلفت أحوالهم بالإيمان والبقاءِ على النفاق، إلى ما أفادته الآية أيضاً من إيضاح بعض أحوال النفاق وآثاره الدالّة على استحقاق العذاب ، ففصل هاته الجملة عن التي قبلها : إمّا لأنّها كالبيان للطائفة المستحقّة العذاب، وإمّا أن تكون استئنافاً ابتدائياً في حكم الاعتراض كما سيأتي عند قوله تعالى : ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (٢) وإمّا أن تكون اعتراضاً هي والتي بعدها بين الجملة المتقدمة وبين جملة ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً ﴾ (٣) كما سيأتي هنالك . وزيد في هذه الآية ذكر ﴿ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ ﴾ تنصيصاً على تسوية الأحكام لجميع المتّصفين بالنفاق : ذكورهم وإناثهم، كيلا يخطر بالبال أن العفو يصادف نساءهم، والمؤاخذة خاصّة بذُكرَانِهم ، ليعلم الناس أنّ لنساء المنافقين حظّا من مشاركة رجالهنّ في النفاق فيحذروهنّ ... وجملة ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ ﴾ مبيِّنة لمعنى الاتّصال والاستواءِ في الأحوال)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال ابن عطية: ((هذا ابتداء إخبار عنهم وحكم من الله تعالى عليهم)) (٥).

٢ـ قال الرازي: ((اعلم أن هذا شرح نوع آخر من أنواع فضائحهم وقبائحهم والمقصود بيان أن إناثهم كذكورهم في تلك الأعمال المنكرة والأفعال الخبيثة فقال ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ ﴾ أي

---

(١) الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٦٩) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٦٩) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤).

(٥) المحرر الوجيز (٣/ ٥٦).

في صفة النفاق كما يقول الإنسان أنت مني وأنا منك أي أمرنا واحد لا مباينة فيه ولما ذكر هذا الكلام ذكر تفصيله فقال ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ﴾))[1].

٣_ قال البقاعي: ((ولما بيّن سبحانه أفعالاً وأقوالاً لطوائف من المنافقين - منهم من كان معه ﷺ في العسكر - هي في غاية الفساد، كان ذلك ربما اقتضى أن يسأل عن المتخلفين لو خرجوا ما كان يكون حالهم؟ فقال جوابًا عن ذلك واستدلالاً على أن إجرام الذين لم يعف عنهم منهم خلق لازم : ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾ أي الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفران ﴿بَعْضُهُم﴾ ولما كان مرجعهم الجمود على الهوى والطبع والعادة والتقليد من التابع منهم للمتبوع، قال : ﴿مِّن بَعْضٍ﴾ أي في صفة النفاق هم فيها كالجسد الواحد، أمورهم متشابهة في أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم، والقصد أن حالهم يضاد حال أهل الإيمان ولذلك بيّنه بقوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ﴾...))[2].

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر أنه لما ذكر أن مَن تاب من المنافقين يُعفى عنه، عقّب بهذه الآية احتراسًا من أن يظنّ مَن بقي على نفاقه أن العفو يطاله، فحكم أن المنافقين الباقون على نفاقهم فئة واحدة سواء؛ لذا فصّل في الآية بذكر قبائح أعمالهم وتساويهم في الأحوال القبيحة، وإما أن تكون ا ستئنافًا أو اعتراضًا لما بعدها، وفي قوله الثاني وافق ابن عطية.

وفي مناسبة ذكر المنافقات هنا، ذكر الطاهر أنها للتنصيص على أنهم وذكرانهم سواء في الحكم.

وذكر الرازي أن الآية في بيان حكم المنافقين والمنافقات وأنهم سواء في منزلة النفاق والكفر، وأن ما بعدها تفصيل لتشابههم في الأحوال جميعها.

وذكر البقاعي أنها استئناف بياني جوابًا عن سؤال مقدر من الكلام السابق.

ومن خلال ما سبق بيانه، ويظهر تفرد الطاهر في أن المناسبة احتراسًا، وما ذكره أنسب من مما ذكره بقية المفسرين. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة الختام ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ : ((فذلكة للتي قبلها فلذلك فصلت لأنّها كالبيان الجامع . وصيغة القصر في ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ قصر ادّعائي للمبالغة لأنّهم لمّا بلغوا النهاية في الفسوق جعل غيرهم كمن ليس بفاسق))[3].

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ١٠١).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٣٤٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما تطبعوا بهذه النقائص كلها، اختصوا بكمال الفسق فشرح ذلك في أسلوب التعجيب من حالهم)) [1].

من خلال المنقول السابق، اتفق الطاهر في معنى ما ذكره مع البقاعي، فتكون المناسبة أنه لما فصّل وبيّن أعمال هؤلاء المنافقين والمنافقات، أتبعه بفذلكة جامعة مبينة لكل ما سبق بأنهم هم الفاسقون . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

أوضحت الآيات من خلال ما سبق الدور الذي يقوم به مجتمع المنافقين في المجتمع المسلم، فهم على استهزائهم وخبث طويتهم، تشابهت أحوالهم وأفعالهم ومقالاتهم في جميع الأزمنة، فأينما تواجدوا فهم سواء في الإفساد والتخريب، ذكورهم وإناثهم، وهم على ما هم فيه من حال فاقوا الجميع في فسقهم وميلهم عن الحق.

(١) نظم الدرر (٣/ ٣٤٤_ ٣٤٥).

٣٧_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[١]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((هذه الجملة إمّا استئنافٌ بياني ناشئ عن قوله : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[٢]، وإمّا مبيِّنةٌ لجملة ﴿فَنَسِيَهُمْۗ ﴾[٣] لأنّ الخلود في جهنم واللعنَ بَيان للمرادِ من نسيان الله إيّاهم))[٤].

ثم قال: ((وزيادة ذِكر ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ هنا للدلالة على أنّ المنافقين ليسوا بأهون حالاً من المشركين إذ قد جمع الكفر الفريقين))[٥].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بيّن من قبل في المنافقين والمنافقات أنه نسيهم، أي جازاهم على تركهم التمسك بطاعة الله أكّد هذا الوعيد وضم المنافقين إلى الكفار فيه، فقال ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ ﴾ ولا شك أن النار المخلدة من أعظم العقوبات))[٦].

٢_ قال البقاعي: ((ولما بيّن كثيرًا من أحوالهم فاشتد التشوّف إلى مآلهم وكان مقصودها بإظهار الإيمان والاعتذار عن النقائض بتأكيد الأيمان إنما هو التقرب إلى المؤمنين و التحبب طمعًا في العيش في أكنافهم وفرقاً من المعاجلة بما يستحقون من إتلافهم، بيّن أن لهم على هذا الخداع العذاب الدائم والطرد اللازم ، وجمع معهم المصارحين بالكفر إعلاماً بأنهم إن لم يكونوا أعظم عنادًا منهم فهم سواء)))[٧].

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر في قوله الأول أنها استئناف بياني ناشئ عن سؤال مقدر عن قوله : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[٨]. وهذه من تفرداته.

---

(١) الآية (٦٨) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٥).

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٦).

(٦) التفسير الكبير (١٦/ ١٠٢).

(٧) نظم الدرر (٣/ ٣٤٥).

(٨) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

واتفق الطاهر في قوله الثاني مع الرازي في أنه لما ذكر في الآية التي قبلها نسيان الله للمنافقين لما نسوه، بيّن هنا هذا النسيان بأنه الخلود في النار ولعنُهم.

وذكر البقاعي أنه لما بيّن كثيرًا من أحوال هؤلاء المنافقين وخداعهم، زاد التشوف لمعرفة مصيرهم، فبيّن هنا أنهم في النار خالدون جزاء على هذا الخداع.

ومناسبة ذكر الكفار هنا في معرض ذكر عذاب المنافقين، لبيان تساويهم وأن المنافقين ليسوا بأقل حالاً من الكافرين المخلدين في النار.

وكل ما ذكر من مناسبات متلائم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن المنافقين ليسوا بأفضل حالاً من إخوانهم الكافرين، فلفعلهم القبيح وافقوهم فكانوا في العذاب سواء.

٣٨ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[١]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((قيل هذا الخطاب التفات، عن ضمائر الغيبة الراجعة إلى المنافقين، إلى خطابهم لقصد التفريع والتهديد بالموعظة، والتذكير عن الغرور بما هم فيه من نعمة الإمهال بأنّ آخر ذلك حبط الأعمال في الدنيا والآخرة، وأن يحقّ عليهم الخسران))[٢].

وقال أيضًا: ((وقيل هذا من بقية المَقول المأمور بأن يبلغه النبي ﷺ إيّاهم من قوله: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ﴾[٣] الآية. فيكون ما بينهما اعتراضًا بقوله: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾[٤] الخ فضمير الخطاب لهم جار على مقتضى الظاهر بدون التفات والكلام مسوق لتشبيه حالهم في مصيرهم إلى النار))[٥].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((واعلم أن هذا رجوع من الغيبة إلى الخطاب، وهذا الكاف للتشبيه، وهو يحتمل وجوهًا: الأول: قال الفراء[٦]: فعلتم كأفعال الذين من قبلكم، والمعنى: أنه تعالى شبّه المنافقين بالكفار الذين كانوا قبلهم في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وقبض الأيدي عن الخيرات، ثم إنه تعالى وصف أولئك الكفار بأنهم كانوا أشد قوة من هؤلاء المنافقين وأكثر أموالاً وأولادًا، ثم استمتعوا مدة بالدنيا ثم هلكوا وبادوا وانقلبوا إلى العقاب الدائم، فأنتم مع ضعفكم وقلة خيرات الدنيا عندكم أولى أن تكونوا كذلك.

---

(١) الآية (٦٩) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٦).

(٣) جزء من الآية (٦٥) من سورة التوبة.

(٤) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٧).

(٦) أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء الديلمي الكوفي، مولى بني أسد، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، (ت ٢٠٧هـ). انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٩)، وفيات الأعيان (٦/ ١٧٦).

والوجه الثاني: أنه تعالى شبه المنافقين في عدولهم عن طاعة الله تعالى لأجل طلب لذات الدنيا ، بمن قبلهم من الكفار، ثم وصفهم تعالى بكثرة الأموال والأولاد وبأنهم استمتعوا بخلاقهم ،...فذكر تعالى أنهم استمتعوا بخلاقهم فأنتم أيها المنافقون استمتعتم بخلاقكم كما استمتع أولئك بخلاقهم)) [1].

٢ـ قال البقاعي: ((ولما كان حالهم في الإقبال على العاجلة لكونها حاصلة والإعراض عن العاقبة لأنها غائبة متشابهًا لحال من كان قبلهم من الأمم الخالية والقرون الماضية، بيّن لهم ذلك وختم ببيان سوء أحوالهم وقبح مآلهم بتلاشي أعمالهم فقال ملتفتًا إلى أسلوب الخطاب لأنه أوقع في باب العتاب وأقعد في استجلاب المصالح للمتاب: ﴿كَٱلَّذِينَ﴾)) [2].

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما بيّن ما بيّن في الآيات السابقة من عذاب المنافقين ووعيدهم، التفت هنا من أسلوب الغيبة إلى خطاب المنافقين بأنهم شابهوا الذين من قبلهم في أفعالهم، وفي غرورهم بما أُمهلوا، واعظًا لهم وممهدًا بحبط أعمالهم وخسرانهم الأكيد. وبمثله قال الرازي والبقاعي.

وذكر الطاهر مناسبة أخرى أنه قد يكون من بقية قول النبي ﷺ للمنافقين، سيق لتشبيه حالهم بمن قبلهم في مصيرهم إلى النار، وما بين القولين اعتراض. وهذه المناسبة مما تفرد به الطاهر. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان مراعاة القرآن الكريم حال المخاطبين ونفسياتهم في خطابه لهم، فالأنفع والأوقع في الزجر والعتاب للمنافقين هو الأسلوب المباشر الصريح الذي يواجه سوءاتهم، ويكشف عوراتهم، فلا يجعل لهم مناصًا ولا مخلصًا إلا التوبة والإياب.

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ١٠٢).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٣٤٥ـ ٣٤٦).

٣٩_ **المناسبة في قوله تعالى :** ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((هذه تقابل قوله: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ ﴾ (٢) لبيان أنّ الطائفة التي ينا لها العفو هي الملتحقة بالمؤمنين . فالجملة معطوفة على جملة : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ ﴾ وما بينهما جمل تسلسل بعضها عن بعض .

وقوله : ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾ مقابل قوله: في المنافقين ﴿ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ ﴾. وعبّر في جانب المؤمنين والمؤمنات بأنّهم أولياء بعضٍ للإشارة إلى أنّ اللحمة الجامعة بينهم هي وَلاية الإسلام ، فهم فيها على السواء ليس واحد منهم مقلّدً ا للآخر ولا تابعً له على غير بصيرة لما في معنى الولاية من الإشعار بالإخلاص والتناصر بخلاف المنافقين فكأنّ بَعضَهم ناشئ من بعض في مذامّهم.

وزيد في وصف المؤمنين هنا ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ تنويهًا بأنّ الصلاة هي أعظم المعروف. وقوله: ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ مقابل قوله في المنافقين ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ ﴾ (٣). وقوله ﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ ﴾ مقابل قوله في المنافقين ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ ﴾ (٤). لأنّ الطاعة تقتضي مراقبة المطاع فهي ضدّ النسيان. وقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ مقابل قوله في المنافقين ﴿ فَنَسِيَهُمْۗ ﴾ (٥)) (٦).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بالغ في وصف المنافقين بالأ عمال الفاسدة والأفعال الخبيثة ، ثم ذكر عقيبه أنواع الوعيد في حقهم في الدنيا والآخرة ، ذكر بعده في هذه الآية كون المؤمنين موصوفين بصفات الخير وأعمال البر، على ضد صفات المنافقين، ثم ذكر بعده في هذه الآية أنواع ما أعد الله لهم من الثواب الدائم والنعيم المقيم، فلها صفات المؤمنين فهي قوله ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾ . فإن

---

(١) الآية (٧١) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٤) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٥) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٦) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٦٢_ ٢٦٣).

قيل: ما الفائدة في أنه تعالى قال في صفة المنافقين : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ ﴾[1] وههنا قال في صفة المؤمنين ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ فلم ذكر في المنافقين لفظ (مِنْ) وفي المؤمنين لفظ (أَوْلِيَاء).

قلنا: قوله في صفة المنافقين ﴿ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ ﴾[2] يدل على أن نفاق الأتباع كالأمر المتفرع على نفاق الأسلاف ، والأمر في نفسه كذلك ، لأن نفاق الأتباع وكفرهم حصل بسبب التقليد لأولئك الأكابر، وبسبب مقتضى الهوى والطبيعة والعادة ، أما الموافقة الحاصلة بين المؤمنين فإنما حصلت لا بسبب الميل والعادة، بل بسبب المشاركة في الاستدلال والتوفيق والهداية ، فلهذا السبب قال تعالى في المنافقين ﴿ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ ﴾ وقال في المؤمنين ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾... واعلم أنه تعالى لما وصف المؤمنين بكون بعضهم أولياء بعض، ذكر بعده ما يجري مجرى التفسير والشرح له فقال ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ ﴾ فذكر هذه الأمور الخمسة التي بها يتميز المؤمن من المنافق ، فالمنافق على ما وصفه الله تعالى في الآية المتقدمة يأمر بالمنكر ، وينهى عن المعروف، والمؤمن بالضد منه . والمنافق لا يقوم إلى الصلاة إلا مع نوع من الكسل والمؤمن بالضد منه . والمنافق يبخل بالزكاة وسائر الواجبات كما قال ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ ﴾[3] والمؤمنون يؤتون الزكاة . والمنافق إذا أمره الله ورسوله بالمسارعة إلى الجهاد فإنه يتخلف بنفسه ويثبط غيره كما وصفه الله بذلك ، والمؤمنون بالضد منهم، وهو المراد في هذه الآية بقوله ﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ ﴾ ثم لما ذكر صفات المؤمنين بين أنه كما وعد المنافقين نار جهنم فقد وعد المؤمنين الرحمة المستقبلة وهي ثواب الآخرة ، فلذلك قال ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ ﴾ وذكر حرف السين في قوله سَيَرْحَمُهُ مُ اللَّهُ للتوكيد والمبالغة))[4].

٢ــ قال أبو حيان : ((لما ذكر المنافقين والمنافقات وما هم عليه من الأوصاف القبيحة والأعمال الفاسدة ذكر المؤمنين والمؤمنات، وقال في أولئك ﴿ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ ﴾ وفي هؤلاء ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾)) [5].
[5].

---

(١) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٤) التفسير الكبير (١٠/ ١٠٤ــ ١٠٥).

(٥) البحر المحيط (٥/ ٧١).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما بيّن سبحانه أن المنافقين بعضهم من بعض وما توعدهم به وما استتبعه من تهديدهم بإهلاك من شابهوه، وختم بما سبب هلاكهم من إصرارهم وعدم اعتبارهم، عطف ببيان حال المؤمنين ترغيباً في التوبة طعمًا في مثل حالهم فقال: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ ﴾ أي بما جاءهم عن ربهم ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ ﴾ ولم يقل: من، كما قال في المنافقين: من ﴿ بَعْضٍ ﴾ دلالة على أن أحدًا منهم لم يقلد أحدًا في أصل الإيمان ولا وافقه بحكم الهوى، بل كلهم مصوبون بالذات وبالقصد الأول إلى اتباع رسول الله ﷺ بالدليل القطعي على حسب فهم كل أحد منهم، فذلك دليل على صحة إيمانهم ورسوخهم في تسليمهم وإذعانهم؛ ثم بيّن ولايتهم بأنهم يد واحدة على من سواهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر فقال: ﴿ يَأْمُرُونَ ﴾ أي كلهم على وجه التعاضد والتناصر ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ وهو كل ما عرفه الشرع وأجازه ﴿ وَيَنْهَوْنَ ﴾ أي كذلك ﴿ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ لا يحابون أحدًا.

ولما ذكر الدليل القطعي على صحة الإيمان، أتبعه أفضل العبادات فقال: ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي يوجدونها على صفة تقتضي قيامها بجميع أركانها و شروطها وحدودها مراقبة لربهم واستعانة بذلك على جميع ما ينوبهم ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أي مواساة منهم لفقرائهم صلة للخلائق بعد خدمة الخالق، وذلك مواز لقوله في المنافقين ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾[(١)] ولما خص أمهات الدين، عم بياناً لأنهم لا ينسون الله طرفة عين بل يذكرونه في كل حال بقوله: ﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ ﴾ أي الملك الأعظم الذي لا ملك سواه ﴿ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ إشارة إلى حسن سيرتهم وجميل عشرتهم))[(٢)].

٤ــ قال الألوسي: ((بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالاً ومآلاً بعد بيان حال أضدادهم عاجلاً وآجلاً، وقوله سبحانه ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ يقابل قوله تعالى فيما مرّ: ﴿ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾[(٣)]. وتغيير الأسلوب للإشارة إلى تناصرهم وتعاضدهم بخلاف أولئك وقوله عز وجل ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ ظاهر المقابلة (ليأمرون بالمنكر) الخ الكلام في المنكر والمعروف معروف، وقوله جل وعلا ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ في مقابلة ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ ﴾[(٤)]، وقوله تعالى جده ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ في

---

(١) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٢) نظم الدرر (٣/ ٣٥٨).

(٣) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

(٤) جزء من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

مقابلة ﴿وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ﴾ وقوله تبارك وتعالى ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ أي في سائر الأمور في مقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة ، وقيل: هو في مقابلة ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ وقوله سبحانه ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ زيادة مدح، وقوله تعالى شأنه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ في مقابلة ﴿فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ المفسر بمنع لطفه ورحمته سبحانه))[1].

من خلال ما سبق نقله، اتفقت معاني أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية، على اختلاف ألفاظهم.

فاتفق الجميع على أن الآية مقابلة للآية التي سيقت سابقًا في المنافقين والمنافقات وأوصافهم.

وذكر الطاهر أنها لبيان الطائفة التي تابت فعفا الله عنها وألحقها بالمؤمنين. وذكر الرازي وأبو حيان والألوسي أنه لما وصف المنافقين وقبائحهم وجزاءهم، جاء هنا بذكر المؤمنين وأوصافهم المضادة للمنافقين. ولم يختلف عنهما البقاعي إلا أنه جعل ذكر المؤمنين ترغيبًا للتوبة ببيان صفاتهم وحالهم.

وفي مناسبة التعبير بالأولياء في جانب المؤمنين، واستخدام (من) في جانب المنافقين، هي أن الولاية الجامعة للمؤمنين هي ولاية الإسلام الحاملة على الإخلاص والتناصر، وأن الذي جمع المنافقين هو التقليد والتبعية الجاهلة للأكابر والآباء، فهم كأنهم نشأ بعضهم من بعض.

وذكر الطاهر أنه زاد هنا وصف المؤمنين بإقامة الصلاة لأنها أعظم المعروف، وقوله هذا قريب مما قاله البقاعي والألوسي. حيث ذكر البقاعي أنه لما ذكر دليل إيمان المؤمنين أتبعه بذكر أفضل العبادات وقيامهم بها. وجعل الألوسي إقامة الصلاة هنا في مقابل نسيانهم الله هناك، أو هي زيادة مدح للمؤمنين . أما الرازي فذكر أن المنافقين لا يقومون إلى الصلاة إلا وهم كسالى بينما المؤمنون يقيمون الصلاة على وجهها المطلوب.

واتفق الجميع على أن مقابل إيتاء الزكاة هنا، قبض المنافقين أيديهم عنها هناك.

وذكر الطاهر في مقابل طاعة الله ورسوله هنا، ذكر هناك نسيان المنافقين لله تعالى لأن الطاعة تقتضي مراقبة المطاع فهي ضد النسيان، وهذا المعنى ذهب إليه البقاعي أيضًا . وذكر الرازي أنه في مقابل الطاعة هنا، التخلف عن الجهاد والتثبيط للمؤمنين هناك . وذكر الألوسي أن الطاعة هنا مقابل وصف المنافقين بالفسق هناك.

وذكر الطاهر أنه جاء في جانب المؤمنين بأنه سيرحمهم، وفي جانب المنافقين بأنه نسيهم، وبهذا المعنى قال الألوسي. وذكر الرازي أنه لما وعد المنافقين بالخلود في النار، وعد هنا المؤمنين بالرحمة . وهو المعنى ذاته.

(١) روح المعاني (٦/ ١٨٨).

ومن خلال ما سبق بيانه، فإن الآية جاءت في مقابلة ما ورد في وصف المنافقين ا لسابق، للعبرة والعظة، والترغيب في التوبة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

١ــ بيان للأسلوب القرآني في ذكر الأضداد، لتكتمل الصورة، وتتضح الفروق، وتنجلي الحقائق، ويعرف الإنسان ما نُهي عنه وضده، ليرى رحمة الله فيه، ويستشعر مصلحته التامة فيما أمر ربه ونهى، فيرغب فيما عنده، ويتجنب ما نهى عنه. فبهذا الأسلوب تبيّنت الفروق الشاسعة بين أهل النفاق وأهل الإيمان، واتضح سبيل الله وطريق الشيطان.

٢ــ بيان أن الولاية بين المؤمنين هي أعظم الولايات وأقومها، فليست قائمة على تقليد وتبعية وعدم بصيرة ومصالح، بل هي لحمة الإيمان، وأ خوة الإسلام، كالبناء يكمل بعضه بعضًا، ويشد بعضه أزر بعض.

٣ــ بيان الفروق الخمسة بين أهل النفاق، وأهل الإيمان.

٤٠ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [١]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((لمّا أشعر قوله تعالى في الآية السابقة ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[٢]. بأنّ لهم عذابين عذاباً أخروياً وهو نار جهنم، تعيَّن أنّ العذاب الثاني عذاب دنيوي وهو عذاب القتل، فلمّا أعقب ذلك بشنائع المنافقين وبضرب المثل لهم بالأمم البائدة، أمر نبيّه بجهاد المنافقين وهذا هو الجهاد الذي أنذروا به في سورة الأحزاب ﴿ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾[٣] فبعد أن أنذرهم الله بذلك فلم يرتدعوا ومضى عليهم من المدّة ما كُشفت فيه دخيلتُهم بما تكرّر منهم من بوادر الكفر والكيد للمسلمين، أنجز الله ما أنذرهم به بأن أمر رسوله بجهادهم. والجهاد القتال لنصر الدين، وتقدّم في قوله تعالى: ﴿ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾[٤].

وقُرن المنافقون هنا بالكفار: تنبيهًا على أنّ سبب الأمر بجهاد الكفار قد تحقّق في المنافقين، فجهادهم كجهاد الكفار، ولأنّ الله لمّا قرنهم في الوعيد بعذاب الآخرة إذ قال: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ وأومأ قوله هنالك بأنّ لهم عذاباً آخرَ، لا جرم جَمعَهم عند شرع هذا العذاب الآخرِ لهم))[٥].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((لما وصف المنافقين بالصفات الخبيثة وتوعدهم بأنواع العقاب، وكانت عادة الله تعالى في هذا الكتاب الكريم جارية بذكر الوعد مع الوعيد، لا جرم ذكر عقيبه وصف المؤمنين بالصفات الشريفة الطاهرة الطيبة، ووعدهم بالثواب الرفيع والدرجات العالية، ثم عاد مرة أخرى إلى شرح أحوال الكفار والمنافقين في هذه الآية))[٦].

---

(١) الآية (٧٣) من سورة التوبة.

(٢) الآية (٦٨) من سورة التوبة.

(٣) من الآيتين (٦٠ـ ٦١) من سورة الأحزاب.

(٤) جزء من الآية (٥٤) من سورة المائدة.

(٥) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٦٥).

(٦) التفسير الكبير (١٦/ ١٠٧).

٢ـ قال أبو حيان: ((لم ذكر وعيد غير المؤمنين ، وكانت السورة قد نزلت في المنافقين بدأ بهم في ذلك بقوله ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾.ولما ذكر أمر الجهاد وكان الكفار غير المنافقين أشد شكيمة وأقوى أسباباً في القتال، وإنكاء بتصديهم للقتال قال جاهد الكفار والمنافقين فبدأ بهم)) [(١)].

٣ـ قال البقاعي : ((ولما ثبتت موالاة المؤمنين ومقاطعتهم للمنافقين والكافرين، وكان م ا مضى من الترغيب والترهيب كافياً في الإنابة، وكان من لم يرجع بذلك عظيم الطغيان غريقاً في الكفران، أتبع ذلك الأمر بجهادهم بما يليق بعنادهم... ولما كان الجهاد أعرف في المصارحين، وكانوا أولى به لشدة شكائمهم وقوة نفوسهم وعزائمهم بدأ بهم فقال؛ ﴿ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ ﴾ أي المجاهرين ﴿ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ أي المسائرين كلاًّ بما يليق به من السيف واللسان)) [(٢)].

من خلال المنقول السابق، تفاوتت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية.

حيث ذكر الطاهر أنه لما أخبر سبحانه بوعيده للمنافقين والمنافقات، وبأن لهم عذابين، عذاب الآخرة وهو جهنم، ثم ضرب لهم الأمثال بالأمم البائدة، بيّن هنا عذابهم الدنيوي وهو قتالهم، فجاء الأمر للنبي بجهادهم. وقرن المنافقين بالكفار لبيان أن سبب جهاد الكفار قد تحقق في هؤلاء المنافقين.

وعند الرازي أنها عود إلى شرح أحوال المنافقين والكفار بعد ذكره للمنافقين ووصفهم، والمؤمنين ووصفهم، وعاقبة كلا الفريقين.

أما أبو حيان فذكر أنه لما أخبر عن وعيد المنافقين والكفار، وبدأ في الوعيد بالمنافقين لأن السورة جاءت في فضح أخبارهم، بدأ بالأمر هنا بجهاد الكفار غير المنافقين لأن أسباب قتالهم أقوى من المنافقين.

وذكر البقاعي أنه لما تم إثبات ولاية المؤمنين وقطع ما عداهم، وبالغ في الترغيب والترهيب ليتوب غير المؤمنين، أردف بالأمر بجهاد من طغى ولم يرتدع بعد كل هذا. وفي البدء بجهاد الكفار هنا ذهب البقاعي لمثل ما ذهب إليه أبو حيان.

ومن خلال ما سبق بيانه، يبدو أن ما ذكره الطاهر أرشق وأنسب من كل ما ذُكر . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٧٢ـ ٧٣).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٣٦٠).

بيان شدة الوعيد على المنافقين، لشأفتهم من بين المسلمين، وتحقق الكفر فيهم، لذا كان عذابهم عذابين، جهادهم في الدنيا، وجهنم وبئس المصير في الآخرة.

٤١ـ المناسبات في قوله تعالى : ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرًا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((لمّا كان معظم ما أخذ على المنافقين هو كلمات دالّةً على الطعن في الرسول ﷺ ونحو ذلك من دلائل الكفر وكانوا إذا نُقِل ذلك عنهم تنصّلوا منه بالأيمان الكاذبة ، عُقّبت آية الأمر بجهادهم بالتنبيه على أنّ ما يتنصّلون به تنصلٌ كاذب وأن لا ثِقة بحَلفهم، وعلى إثبات أنّهم قالوا ما هو صريح في كفرهم . فجملة ﴿ يَحۡلِفُونَ ﴾ مستأنفة استئنافاً بيانياً يثيره الأمر بجهادهم مع مشاهدة ظاهر أحوالهم من التنصّل ممّا نقل عنهم ، إن اعتبر المقصود من الجملة تكذيبهم في حلفهم.

وقد تكون الجملة في محلّ التعليل للأمر بالجهاد إن اعتبر المقصود منها قوله: ﴿ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾ وما بعده، وأن ذلك إنّما أخَّر للاهتمام بتكذيب أيمانهم ابتداء، وأتي بالمقصود في صورة جملة حاليَّة . ومعلوم أنّ القيد هو المقصود من الكلام المقيَّد . ويرجّح هذا أنّ معظم ما في الجملة هو شواهد كفرهم ونقضِهم عهد الإسلام، إذ لو كان المقصود خصوص تكذيبهم فيما حلفوا لاقتُصر على إثبات مقابله وهو ﴿ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾ ، ولم يكن لما بعده مزيد اتّصال به . وأيّاً ما كان فالجملة مستحقّة الفصل دون العطف)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال البقاعي: ((ولما أتى بالدليل العام على إجرامهم، أتبعه الدليل الخاص عليه وهو أيضًا دليل على دليل)) (٣).

٢ـ قال الألوسي: ((استئناف لبيان ما صدر منهم من الجرائم الموجبة لما مرّ)) (٤).

---

(١) الآية (٧٤) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٦٨).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٦٠).

(٤) روح المعاني (٦/ ١٩٢).

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أنه لما أمر بجهاد هؤلاء المنافقين ، عقّب استئنافًا بالتنبيه على إطلاقهم الأيمان الكاذبة تنصلاً، وساق الدليل وراء الدليل على أن ما قالوه صريح في كفرهم ، وموجب لجهادهم. وبمثل هذا المعنى قال الألوسي.

ثم ذكر الطاهر مناسبة أخرى وهي : أنه لما أمر أمر بجهاهم، علل هنا سبب هذا الأمر . وهي من تفردات الطاهر.

وذكر البقاعي أنه لما جاء بالدليل العام على إجرامهم، جاء هنا بالدليل الخاص.

وجميع ما ذُكر من مناسبات متلائم. والله تعالى أعلم.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله﴿ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ : ((التفريع على قوله: ﴿ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [(١)] على عادة القرآن في تعقيب الوعيد بالوعد والعكس فلمّا أمر بجهادهم والغِلظة ع ليهم وتوعّدهم بالمصير إلى النار، فرّع على ذلك الإخبارَ بأنّ التوبة مفتوحة لهم وأنَّ تدارك أمرهم في مكنتهم، لأنّ المقصود من الأمر بجهادهم قطع شأفة مضرّتهم أو أن يصلح حالهم)) [(٢)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما نبهّعلى أن هذه المساوئ قابلوا بها المحسن إليهم، رغّ بهم بأنه قابل المتاب عليهم، ورهّبهم بأنه لا مردّ لما يريد من العذاب)) [(٣)].

من خلال النقل السابق، تكون المناسبة عند الطاهر، أنه لما أمر بالجهاد والغلظة على الكفار والمنافقين، أعقبه بفتح باب التوبة لهم لأن المقصود من الجهاد ردعهم وإصلاح حالهم.

وعند البقاعي أنه لما ذكر حلفهم الكذب ومساوئ أعمالهم الأخرى، رغّبهم في التوبة، ورهّبهم من العذاب.

ومن خلال ما سبق بيانه، تكون مناسبة الطاهر أجمل وأنسب للأمر السابق بالجهاد. والله تعالى أعلم.

---

(١) جزء من الآية (٧٣) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٧١).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٦١_ ٣٦٢).

أثر المناسبات:

من خلال الآيات تظهر الأدلة متتابعة على أن الأمر بجهاد هؤلاء المنافقين وتوعّدهم كان لأفعالهم القبيحة، وصفاتهم الدنيئة، ومنها ما جاء هنا من حلفهم الكاذب للتنصل والتبرير.

ومع هذا كله فإن الآيات ما زالت تفتح باب التوبة لهم كعادة القرآن الكريم في تعقيب الوعيد بالوعد والترغيب بالترهيب؛ لأن المقصود هو إيمانهم وانتهاؤهم عما هم عليه.

٤٢ـ المناسبة في قوله تعالى:﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾[١]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف ابتدائي. وهذه الآية تشير إلى ما حصل للمنافقين عند الاستنفار لغزوة تبوك فيكون المراد بالمخلّفين خصوص من تخلّف عن غزوة تبوك من المنافقين . ومناسبة وقوعها في هذا الموضع أنّ فرحهم بتخلّفهم قد قَوِي لّما استغفر لهم النبي ﷺ وظنّوا أنّهم استغفلوه فقضَوا مأربهم ثم حصَّلوا الاستغفار ظنًّا منهم بأنّ معاملة الله إياهم تجري على ظواهر الأمور))[٢].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال أبو حيان: ((لما ذكر تعالى ما ظهر م ن النفاق، والهزء من الذين خرجوا معه إلى غزوة تبوك من المنافقين، ذكر حال المنافقين الذين لم يخرجوا معه، وتخلفوا عن الجهاد، واعتذروا بأعذار وعلل كاذبة حتى أذن لهم، فكشف الله للرسول ﷺ عن أحوالهم، وأعلمه بسوء فعالهم))[٣].

٢ـ قال البقاعي: ((ولما علل سبحانه عدم المغفرة بفسقهم، وأتى بالظاهر موضع الم ضمر إشارة إلى اتصافهم به وتعليقاً للحكم بالوصف، علل رسوخهم في الفسق بعد أن قدم أن المنافقين بعضهم من بعض فهم كالجسد الواحد بقوله: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾))[٤].

من خلال النقل السابق، فيذكر الطاهر أنه لما استغفر الرسول ﷺ لمن تخلّف عن غزوة تبوك من المنافقين، عقّب هنا ببيان أنهم فرحوا أشد الفرح وظنوا أنهم نفذوا بمأربهم وباطنهم الخبيث، ففضحهم وبيّن أمرهم.

وعند أبي حيان، أنه لما ذكر حال مَن خرج لغزوة تبوك واستهزاءهم، ذكر هنا حال مَن لم يخرج لغزوة تبوك من المنافقين، واعتذارهم الكاذ ب ليأذن لهم الرسول ﷺ في التخلف، وفَضَح أمرهم، وأخبر عن سوء فعلهم.

---

(١) الآية (٨١) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٨٠).

(٣) البحر المحيط (٥/ ٨٠).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣٦٨).

وذكر البقاعي أنه لما حرمهم من استغفار الرسول ﷺ لفسقهم، جاء بعده بتعليل هذا الفسق ورسوخهم فيه حيث فرحوا بتخلّفهم. وهذا ربط للآية بذيل الآية السابقة.

ومن خلال ما سبق بيانه، يمكن القول بتوافق معنى ما ذكره الطاهر مع معنى قول أبي حيان، فتكون المناسبة هي أنه لما استأذن المنافقون في التخلف عن غزوة تبوك، واطمأنّوا لاستغفار الرسول ﷺ لهم، بيّن هنا سوء حالهم، وفضح فرحهم الشديد بالتخلّف. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

أوضحت الآيات اغترار المرافق بحاله، وقصر نظره على واقعه، لذا اشتد فرحه بركونه وتخلّفه عن ركب الصالحين، ومواكب السائرين، وحصر دنياه في الظل والدعة، والخمول والراحة، ونسي الآخرة وحرّ السعير.

٤٣_ المناسبة في قوله تعالى:﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[١]

قال الطاهر في مناسبةهذه الآية لما قبلها : ((تفريع كلام على الكلام السابق مِن ذِكر فَرحهم، ومِن إفادة قوله : ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ [٢] من التعريض بأنّهم أهلها وصائرون إليها)) [٣].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما كان غاية السرور الضحك، وكان اللازم له م في الآخرة البكاء في دار الشقاء الذي هو غاية الحزن لهم، فيها زفير وشهيق وهم يصطرخون فيها، قال تعالى مهددًا لهم مسببًاعن قبيح ما ذكر من فعلهم مخبرًا في صورة الأمر إيذاناً بأنه أمر لا بد من وقوعه : ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا ﴾ أي فليتمتعوا في هذه الدار بفرحتهم بمقعدهم التمتع ا لذي غاية السرور به الضحك – يسيرًا، فإنها دار قلعة وزوال وانزعاج وارتحال ﴿ وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ أي في نار جهنم التي أغفلوا ذكر حرورها وأهملوا الاتقاء من شديد سعيرها بدل ذلك الضحك القليل كما استبدلوا حرها العظيم بحر الشمس الحقير ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ أي من الفرح بالمعاصي والسرور بالشهوات والانهماك في اللذات)) [٤].

من خلال النقل السابق، اتحد معنى ما ذهب إليه الطاهر والبقاعي على اختلاف ألفاظهما.

فذكر الطاهر أنه فرّع بهذه الآية للتعريض بأنهم أهل النار ومصيرهم إليها، بعد أن ذكر فرحهم بالقعود وركونهم لظل الدنيا ونسيانهم حرّ جهنم.

وعند البقاعي أنه لما كان غاية الفرح والسرور الضحك، عقّب مهددًا بأن اضحكوا في الدنيا بتخلفكم، فإنها زائلة راحلة، فستبكون كثيرًا في نار جهنم التي أغفلتموها ونسيتم حرّها.

ومن خلال السابق، تكون المناسبة أنه لما ذكر فرحهم بالتخلف، وبيّن أن نار جه نم أشد حرًا، فرّع بهذه الآية تهديدًا بأنهم أهل جهنم فليفرحوا في الدنيا قليلاً. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

(١) الآية (٨٢) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٨١) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٨١).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣٦٨_ ٣٦٩).

بيان أن العبرة بالضحك والسرور في النهاية، فالمنافقون ضحكوا في دنياهم، وتمتعوا بظلها، وركنوا إلى الراحة والدعة، ولكنهم في الآخرة سيبكون في ج هنم وبئس المصير على تضييعهم واغترارهم وتخلفهم في جميع الأمور.

٤٤_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾[١]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((الفاء للتفريع على ما آذن به قوله: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ ﴾[٢] إذ فرّع على الغضب عليهم وتهديدهم عقاب آخر لهم ، بإبعادهم عن مشاركة المسلمين في غزواتهم)) [٣].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((واعلم أنه تعالى لما بيّن مخازي المنافقين وسوء طريقتهم ، بيّن بعد ما عرف به الرسول أن الصلاح في أن لا يستصحبهم في غزواته لأن خروجهم معه يوجب أنواعً من الفساد))[٤].

٢_ قال البقاعي: ((ولما كان المسرور بشيء الكاره لضده الناهي عنه لا يفعل الضد إلا تكلفاً ولا قلب له، إليه وكان هذا الدين مبنيًا على العزة والغنى، أتبع ذلك بقوله مسبباً عن فرحهم بالتخلف : ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ ﴾ أي الملك الذي له العظمة كلها فله الغنى المطلق عن سفرك هذا ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ أي وهم الذين يمد الله في أعمارهم إلى أن ترجع إليهم، وهذا يدل على أنه أهلك سبحانه في غيبته بعضهم، فأردت الخروج إلى سفر آخر ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ ﴾ أي طلبوا أن تأذن لهم ﴿لِلْخُرُوجِ ﴾ أي معك في سفرك ذلك ﴿ فَقُل ﴾ عقوبة لهم وغنى عنهم وعزة عليهم ناهيًا لهم بصيغة الخبر ليكون صدقك فيه علمً ا من أعلام النبوة وبرهاناً من براهين الرسالة ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا ﴾ أي في سفر من الأسفار لأن الله قد أغناني عنكم وأحوجكم إليّ ﴿ وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ ﴾ لأنكم جعلتم أنفسكم في عدا د ربات الحجال ولا تصلحون لقتال)) [٥].

من خلال ما سبق نقله، تفاوتت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية.

---

(١) الآية (٨٣) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٨١) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٨٢).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ١٢٠).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٣٦٩).

فذكر الطاهر أنه لما هددهم بعذاب جهنم وحرورها، فرّع هنا بعقاب آخر هو منعهم من الخروج للغزو مع المسلمين.

وذكر الرازي أنه بعدما بيّن سوء أحوال المنافقين، بيّن أن خروجهم مع الرسول ﷺ للغزو لا فائدة فيه إلا الإفساد وعدم الصلاح.

وعند البقاعي أنه لما كان الإسلام مبينًا على العزة، وكان القعود محبوبًا إلى المنافقين، والخروج مكروهًا عندهم، فعاقبهم هنا بالاستغناء عنهم ومنعهم من المشاركة في الغزو.

ومن خلال ما سبق بيانه، يمكن القول بأن جميع ما ذكروه متلائم فلما بيّن حال هؤلاء المنافقين من التخلف وغيره، وهددهم بالنار المحرقة، جاء هنا بمنعهم من الخروج للجهاد والاستغناء عنهم حيث لا نفع من خروجهم إلا الضرر والإفساد، والإسلام غني عنهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان للأسلوب الأمثل والحاسم في التعامل مع هؤلاء المتخلفين من المنافقين، وهو منعهم من الخروج للقتال مع المسلمين مستقبلاً، فعلى المسلمين إقصاؤهم وإبعادهم عن كل محفل إسلامي لأن تواجدهم ليس فيه إلا الفساد والإفساد.

وبيان أن مَن أعرض عوقب بالإعراض والصدّ، ومَن أقبل جوزي بالإقبال والثواب.

٤٥ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((لمّا انقضى الكلام على الاستغفار للمنا فقين الناشئ، عن الاعتذار والحلف الكاذبيْن وكان الإ علام بأن الله لا يغفر لهم مشوبًا بصورة التخيير في ا لاستغفار لهم، وكان ذلك يبقي شيئاً من طمعهم في الانتفاع بالاستغفار لأنهم يحسبون المعاملة الربانية تجري على ظواهر الأعمال والألفاظِ كما قدمناه في قوله : ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ (٢)، هَيَّأ الحال للتصريح بالنهي عن الاستغفار لهم والصلاةِ على موتاهم، فإنّ الصلاة على الميت استغفار)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى أمر رسوله بأن يسعى في تخذيلهم وإهانتهم وإذلالهم، فالذي سبق ذكره في الآية الأولى وهو منعهم من الخروج معه إلى الغزوات سبب قو ي من أسباب إذلالهم وإهانتهم ، وهذا الذي ذكره في هذه الآية وهو منع الرسول من أن يصلي على من مات منهم ، سبب آخر قوي في إذلالهم وتخذيلهم)) (٤).

٢ـ قال أبو حيان: ((النهي عن الصلاة على المنافقين إذا ماتوا عقوبة ثانية وخزي متأبد عليهم)) (٥).

٣ـ قال البقاعي: ((ولما أتم سبحانه الكلام في الاستغفار وتعليله إلى أن ختم بإهانة المتخلفين، و كان القتل المسبب عن الجهاد سبباً لترك الصلاة على الشهيد تشريفاً له، جعل الموت الواقع في القعود المرضي به عن الجهاد سبباً لترك الصلاة إهانة لذلك القاعد، فقال عاطفاً على ما أفهمت جملة : ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ ﴾ (٦) الآية، من نحو : فلا تستغفر لهم أصلاً : ﴿ وَلَا تُصَلِّ ﴾ أي الصلاة التي شرعت لتشريف المصلى عليه والشفاعة فيه)) (٧).

من خلال النقل السابق، اختلفت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية.

---

(١) الآية (٨٤) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٨١) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٨٤).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ١٢١).

(٥) البحر المحيط (٥/ ٨٣).

(٦) جزء من الآية (٨٠) من سورة التوبة.

(٧) نظم الدرر (٣/ ٣٧٠).

ذكر الطاهر أنه لما جعل الاستغفار سابقًا بصورة التخيير، أتبعه بأن أيّسهم من كل طمع في استغفار الرسول ﷺ لهم، فجاء الأمر الصريح بالنهي عن الصلاة على موتاهم لأن الصلاة استغفار.

وذكر الرازي أنه لما أهانهم وخذّلهم بأن منعهم من الخروج للغزو، عقّب هنا بسبب آخر لتخذيلهم وإهانتهم بمنع الرسول ﷺ من الصلاة عليهم. وبمثله قال أبو حيان.

وعند البقاعي أنه لما أتم الحديث عن الاستغفار، ثم أهان المتخلفين لقعودهم، وكان الشهيد لا يُصلى عليه تشريفًا، عطف بهذه الآية للنهي عن الاستغفار والصلاة عليهم، فجعل القاعد عن الجهاد إذا مات لا يُصلى عليه خذلانًا وإهانة، لأن الصلاة تشريف.

ويمكن القول بأن ما ذهب إليه البقاعي فيه قليل تكلف، وما بقي من المعاني المذكورة يمكن قبوله مناسبة للآية، وإن كان ما ذهب إليه الرازي وأبو حيان أنسب. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه، أسقطت الآيات كل اعتبار للمنافقين، أحياء وأمواتًا، فقد نالوا المهانة والذلة في حياتهم وبعد موتهم. ففي حياتهم فضح أمرهم، وأهانهم وشدّد عليهم لما فيهم من الخبث والمكر والفساد، ومنع الرسول ﷺ من الاستغفار لهم، وأمره بجهادهم، وبعد موتهم نُهي الرسول ﷺ عن الصلاة عليهم لأن الصلاة استغفار ودعاء وتكريم، فجمعوا خزي الحياة وخزي الممات.

٤٦_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[1]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((ومناسبة ذكر هذا الكلام هنا أنّه لما ذُكر ما يدل على شقاوتهم في الحياة الآخرة كان ذلك قد يثير في نفوس الناس أنّ المنافقين حصلوا سعادة الحياة الدنيا بكثرة الأموال والأولاد وخسروا الآخرة . وربما كان في ذ لك حيرة لبعض المسلمين أن يقولوا : كيف مَنَّ الله عليهم بالأموال و الأولادِ وهم أعداؤه وبُغضاء نبيه . وربم كان في ذلك أيضًا مسلاة لهم بين المسلمين ، فأعلم الله المسلمين أنّ تلك الأموال والأولاد وإن كانت في صورة النعمة فهي لهم نقمة وعذاب ، وأنّ الله عذّبهم بها في الدنيا بأن سلبهم طمأنينة البال عليها لأنّهم لما اكتسبوا عداوة الرسول والمسلمين كانوا يحذرون أن يُغْريَ اللَّهُ رسوله بهم فيستأصلهم، كما قال :﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾[2]، ثم جعل ذلك مستمرًا إلى موتهم على الكفر الذي يصيرون به إلى العذاب الأبدي))[3].

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أنه لما جاء الكلام على مصير المنافقين الآخروي، ربما ظن البعض أن المنافقين نالوا سعادة الدنيا بأموالهم وأولادهم، وربما تعجبوا من إنعام الله عليهم بها رغم سوئهم، لذا جاء بهذه الآية لتسلية قلوب المسلمين، وليُعلِم المسلمين أن تلك الأموال والأولاد ما هي إلا نقمة وع ذابًا، سلب بهما طمأنينة بال المنافقين خشية أن يُغِير عليهم الرسول والمؤمنون.

وهذه قد تكون من تفردات الطاهر _ على حدّ إطلاعي _ والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه تُظهر الآيات موقفًا حاسمًا من المنافقين وأحوالهم، فابتداء منعهم من الخ روج للجهاد، ثم نهى عن الصلاة على موتاهم، ثم عاد هنا ونهى عن الاغترار بأموالهم وأولادهم فهي عذاب لهم على فسقهم وكفرهم.

---

(١) الآية (٨٥) من سورة التوبة.

(٢) الآيتان (٦٠_ ٦١) من سورة الأحزاب.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٨٦).

٤٧ـ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((هذا عطف غرض على غرض قصد به الانتقال إلى تقسيم فرق المتخلّفين عن الجهاد من المنافقين وغيرهم وأنواع معاذيرهم ومراتبها في القبول. دعا إليه الإغلاظ في تقريع المتخلّفين عن الجهاد نفاقاً وتخذيلاً للمسلمين، ابتداء من قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾(٢) ثم قوله: ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا ﴾(٣) وكلّ ذلك مقصود به المنافقون . ولأجل كون هذه الآية غرضاً جديدًا ابتدأت بذكر نزول سورة داعية إلى الإيمان والجهاد))(٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((واعلم أنه تعالى بيّن في الآيات المتقدمة أن المنافقين احتالوا في رخصة التخلف عن رسول الله ﷺ والقعود عن الغزو ، وفي هذه الآية زاد دقيقة أخرى ، وهي أنه متى نزلت آية مشتملة على الأمر بالإيمان وعلى الأمر بالجهاد مع الرسول ، استأذن أولو الثروة والقدرة منهم في التخلف عن الغزو ، وقالوا لرسول الله ذرنا نكن مع القاعدين أي مع الضعفاء من الناس والساكنين في البلد))(٥).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما افتتحت قصتهم بأن المتقين لا يتوقفون في الانتداب إلى الجهاد على أمر جديد ولا استئذان، بل يكتفون بما سبق من عموم الحث عليه والندب إليه فيبادرون إليه الطرف ولا يحاذرون الحتف، وأن من المنافقين من يستأذن في الجهاد جاعلاً استئذانه فيه باباً للاستئذان في التخلف عنه، ومنهم من يصرح بالاستئذان في القعود ابتداء من غير تستر، وعقب ذلك بالنهي عن الإعجاب بأموالهم وأولادهم ثم مر في ذكر أقسامهم وما لزمهم من فضائحهم وآثامهم، إلى أن ختم القصة بأن أموالهم إنما هي لفتنتهم لا لرحمتهم، ولمحنتهم لا لمنحتهم، أتبع ذلك بدليله من أنهم لا يتوصلون بها إلى جهاد، ولا يتوسلون إلى دار المعاد، فقال عاطفاً على ما أفهمه السياق من نحو أن يقال لأنهم لا يفعلون بها خيراً ولا

(١) الآية (٨٦) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٣٨) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٤٢) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٨٧ــ ٢٨٨).

(٥) التفسير الكبير (١٠/ ١٢٤).

يكسبون أجرًا، أو بانيًا حالاً من الكاف في (تعجبك): ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ أي وقع إنزال قطعة من القرآن)) [1].

من خلال المنقول السابق، ذكر الطاهر أن هذه الآية انتقال إلى غرض جديد وهو تقسيم فرق المتخلفين عن الجهاد من المنافقين وبيان معاذيرهم ومراتب قبولها. وهذه المناسبة من تفرداته.

وعند الرازي أنه لما ذكر تخلّف المنافقين عن الغزو وتنصّلهم منه احتيالاً، زاد هنا ببيان حال المنافقين أصحاب الثروات والقدرة على القتال عند نزول آية تأمرهم بالإيمان والجهاد، وهو استئذانهم للقعود.

أما البقاعي فذكر أنه لما امتدح المتقين بالجهاد دون تعذّر أو تقاعس، وأن المنافقين من هم من استأذن صريحًا ومنهم من تستّر للقعود عن الخروج، ولما نهى عن الإعجاب بما في أيدي المنافقين، وأن أموالهم وأولادهم فتنة وامتحان لتعذيبهم، أردف ببيان الدليل على أنهم لا يستعملونها للجهاد ولا للخيرات، فإذا جاء الأمر استأذن أصحاب المال والقدرة أن يتخلّفوا.

ومن خلال السابق بيانه، يظهر تلاؤم جميع المناسبات المذكورة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان انقسام المنافقين في تخلفهم عن الجهاد، وبيان أعذارهم، وأيضًا بيان انعدام الخير تمامًا من التابعين والمتبوعين من المنافقين، فأصحاب الأموال والقدرة على الجه اد بالنفس منهم أحبّوا المهانة والذلة فاستأذنوا للتخلف والقعود.

(١) نظم الدرر (٣/ ٣٧٢).

٤٨_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف قصد منه التعجيب من دناءة نفوسهم وقلّة رجلتهم بأنّهم رضوا لأنفسهم بأن يكونوا تبعاً للنساء)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((لما استأنف به أو بيّ ن من قوله : ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ ﴾ أي كوناً كأنه جبلة لهم ﴿مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ أي النساء ﴿ وَطُبِعَ ﴾ أي وقع الطبع المانع ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي حتى رضوا لأنفسهم بالتخلف عن سبب السعادة مع الكون في عداد المخدرات بما هو عار في الدنيا ونار في العقبى)) (٣).

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أنه لما ذكر استئذانهم للقعود، استأنف هنا بذمهم والتعجب من دناءتهم حيث رضوا بالقعود مع النساء الخوالف.

وقد ذكر البقاعي كذلك أنها استئناف، ولكنه لم يُبين القصد من ه، لذا هذه إضافة من الطاهر . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان قبول المنافقين للدون والأدنى في أمور الآخرة، ورضاهم بالخسّة والدناءة على أنفسهم لأنه طبع وجبلة متأصلة في كل لئيم مخاد ع.

---

(١) الآية (٨٧) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٨٩).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٧٢_ ٣٧٣).

٤٩ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[(١)]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((افتتاح الكلام بحرف الاستدراك يؤذن بأنّ مضمون هذا الكلام نقيض مضمون الكلام الذي قبله أصلاً وتفريعًا. فلمّا كان قعود المنافقين عن الجهاد مسببًا على كفرهم بالرسول ﷺ كان المؤمنون على الضدّ من ذلك . وابتدئ وصف أحوالهم بوصف حال الرسول لأنّ تعلّقهم به واتّباعهم إياه هو أصل كمالهم وخيرهم ... وقوله: ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ﴾ مقابل قوله : ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾[(٢)]. وقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ مقابل قوله : ﴿ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[(٣)]))[(٤)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((واعلم أنه تعالى لما شرح حال المنافقين في الفرار عن الجهاد بيّن أن حال الرسول والذين آمنوا معه بالضد منه ، حيث بذلوا المال والنفس في طلب رضوان الله والتقرب إليه . وقوله ﴿ لَٰكِنِ ﴾ فيه فائدة، وهي أن التقدير أنه إن تخلف هؤلاء المنافقون عن الغزو ، فقد توجه من هو خير منهم ، وأخلص نية واعتقادًا))[(٥)].

٢ــ قال أبو حيان: ((لما ذكر أنّ أولئك المنافقين اختاروا الدعة وكرهوا الجهاد وفروا من القتال، وذكر ما أثر ذلك فيهم من الطبع على قلوبهم ذكر حال الرسول والمؤمنين في المثابرة على الجهاد ، وذلك ما لهم من الثواب، ولكن وضعها أنْ تقع بين متنافيين، ولما تضمن قول المنافقين ذرنا واستئذانهم في القعود كان ذلك تصريحًا بانتفاء الجهاد فكأنه قيل : رضوا بكذا و لم يجاهدوا ، ولكنّ الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا ، والمعنى إنْ تخلف هؤلاء المنافقون فقد توجه إلى الجهاد من هو خير منهم وأخلص نية))[(٦)].

(١) الآية (٨٨) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٨٦) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآيتي (٨٧) من سورة التوبة.

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٩٠).

(٥) التفسير الكبير (١٦/ ١٢٥).

(٦) البحر المحيط (٥/ ٨٦).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما افتتح القصة بمدح المتقين لمسابقتهم إلى الجهاد من دون استئذان ختمها بذلك وذكر ما أعد لهم فقال معلمًا بالغنى عنهم بمن هو الخير المحض تبكيتـًا لهم وتقريعًا...))[1].

من خلال ما سبق نقله، تكون المناسبة أنه لما ذكر سوء حال المنافقين وكفرهم، وقعودهم عن الجهاد، وإمساكهم الأموال، ذكر بعده الفريق المقابل وهم المؤمنين الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، فلا ضرر من تخلف هؤلاء. وهو معنى كلام الطاهر الذي وافق فيه الرازي وأبا حيان.

أما البقاعي فقد ربط الآية بالمتقين، وبأنه تع الى امتدحهم أولاً لمسابقتهم إلى الجهاد دون استئذان، ثم ختم القصة بالمتقين وما أُعدّ لهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان الأسلوب القرآني في ذكر الفريقين، وحالهما، وعاقبة كل منهما، فدومًا هناك طريقان، طريق للخير، وطريق للشر، فريق للحق، وفريق للباطل، وبضدها تتبيّن الأشياء.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٣٧٣).

٥٠_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[(١)]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((استئناف بياني لجواب سؤال مقدّر ينشأ عن تهويل القعود عن الغزو وما توجّه إلى المخلّفين من الوعيد. استيفاءً لأقسام المخلّفين من ملوم ومعذور من الأعراب أو من غيرهم. وإعادة حرف النفي في عطف الضعفاء والمرضى لتوكيد نفي المؤاخذة عن كلّ فريق بخصوصه))[(٢)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بيّن الوعيد في حق من يوهم العذر، مع أنه لا عذر له، ذكر أصحاب الأعذار الحقيقية، وبيّن أن تكليف الله تعالى بالغزو والجهاد عنهم ساقط))[(٣)].

٢_ قال أبو حيان: ((لما ذكر حال من تخلف عن الجهاد مع القدرة عليه، ذكر حال من له عذر في تركه))[(٤)].

٣_ قال البقاعي: ((ولما كان من القاعدين من أهل المدر والوبر من له عذر، استثناهم سبحانه وساق ذلك مساق النتيجة من المقدمات الظاهرة))[(٥)].

من خلال المنقول السابق، اتحدت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية معنى دون اللفظ.

فتكون المناسبة أنه لما هوّل من التخلف، وتوعّد مَن لا عذر له، أتبع ذلك باستيفاء أقسام المخلفين من ذوي الأعذار. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان رحمة الله تعالى بالمؤمنين الصادقين، أصحاب الأعذار الحقيقية، فهم صادقون في طلب الطاعة، ولكن منعهم من ذلك مرض أو فقر أو ضعف، أو قلة ذات اليد، فلما أظهروا صدقهم وشدة رغبتهم،

---

(١) الآية (٩١) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٩٤).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ١٢٧).

(٤) البحر المحيط (٥/ ٨٧).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٣٧٤).

كافأهم ربهم تعالى بإسقاط الجهاد عنهم، لأن من صدق يصدقه الله، على عكس فئة المنافقين الذين تخلفوا بأعذار وهمية، وتنصلوا بأكاذيب عديدة، لذا شدد الله تعالى عليهم وفضحهم وأخزاهم.

٥١_ المناسبات في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((لما نفت الآيتان السابقتان أن يكون سبيلٌ على المؤمنين الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون والذين لم يجدوا حمولة ، حصرت هذه الآية السبيل في كونه على الذين يستأذنون في التخلف وهم أغنياء ، وهو انتقال بالتخلص إلى العودة إلى أحوال المنافقين كما دل عليه قوله بعدُ ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ ﴾ (٢)))(٣).

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ : ((مستأنفة لجواب سؤال ينشأ عن علة استئذانهم في التخلف وهم أغنياء، أي بعثهم على ذلك رضاهم بأن يكونوا مع الخوالف من النساء)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((لما قال في الآية الأولى ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ ﴾(٥) قال في هذه الآية إنما السبيل على من كان كذا وكذا . ثم الذين قالوا في الآية الأولى المراد ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ ﴾ في أمر الغزو والجهاد ، وأن نفي السبيل في تلك الآية مخصوص بهذا الحكم ، قالوا: السبيل الذي نفاه عن المحسنين، هو الذي أثبته في هؤلاء المنافقين ، وهو الذي يختص بالجهاد ، والمعنى: أن هؤلاء الأغنياء الذين يستأذنونك في التخلف سبيل الله عليهم لازم ، وتكليفه عليهم بالذهاب إلى الغزو متوجه ، ولا عذر لهم البتة في التخلف.

فإن قيل: قوله ﴿ رَضُوا۟ ﴾ ما موقعه؟

قلنا: كأنه استئناف، كأنه قيل: ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء ؟ فقيل: رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف)) (٦).

---

(١) الآية (٩٣) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٩٤) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٥).

(٤) المصدر السابق (١١/ ٦).

(٥) جزء من الآية (٩١) من سورة التوبة.

(٦) التفسير الكبير (١٦/ ١٢٩_ ١٣٠).

٢ــ قال أبو حيان: ((أثبت في حق المنافقين ما نفاه في حق المحسنين ، فدل لأجل المقابلة أنّ هؤلاء مسيئون وأي إساءة أعظم من النفاق والتخلف عن الجهاد والرغبة بأنفسهم عن رسول الله ... و ﴿رَضُوا۟﴾ استئناف، كأنه قيل: ما بالهم استأذنوا في القعود بالمدينة وهم قادرون على الجهاد ؟ فقيل: رضوا بالدناءة وانتظامهم في سلك الخوالف)) [1].

٣ــ قال البقاعي: ((ولما نفى السبيل عمن وصفه كرّ على ذم مَن انتفى عنه هذا الوصف فقال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ [2] أي باللوم وغيره ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ أي يطلبون إذنك في التخلف عنك راغبين فيه ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ أي فلا عذر لهم في التخلف عنك وعدم م واساتك، وتضمن قوله تعالى مستأنفاً ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟﴾ أي كوناً كأنه جبلة لهم ﴿مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ انتفاء الضعف والمرض عنهم من حيث إنه علل فعلهم برضاهم بالتخلف فأفهم ذلك أنه لا علة لهم سواه، وأفهم أيضاً أن كل من كان كذلك كان مثلهم ولو أنه ضعيف أ و مريض، وكرر ذكر الخوالف تكريرً ا لعيبهم برضاهم بالكون في عداد النساء إذ كان ذلك من أعظم المعايب عند العرب)) [3].

٤ــ قال الألوسي في مناسبة ﴿رَضُوا۟﴾ : ((استئناف بياني كأنه قيل: لم استأذنوا أو لم استحقوا؟ فأجيب بأنهم ﴿رَضُوا۟﴾ بأن يكونوا مع الخوالف)) [4].

من خلال النقل السابق، تعرّض المفسرون لمناسبة هذه الآية لم ا قبلها، ومناسبة جملة ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ .

فذكر الطاهر أنه لما نفت الآيات السابقة السبيل عن بعض الطوائف صاحبة الأعذار الحقيقية كالمرض والضعف وعدم المال، حصرت هذه الآية السبيل على فئة الأغنياء الذين يستأذنون في التخلف وهم المنافقين، فهذه الآية تخلص إلى العودة إلى الحديث عن أحوال المنافقين.

واختلفت ألفاظ الرازي كثيرًا لكن المعنى واحد، فذكر أنه لما نفى السبيل عن المحسنين، أثبته على المنافقين. وهو أيضًا معنى ما ذكره أبو حيان والبقاعي فلما أثبت لهؤلاء الإحسان جاء في المقابل إثبات الإساءة للمنافقين.

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٩٢ــ ٩٣).

(٢) جزء من الآية (٩٣) من سورة التوبة.

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٧٥).

(٤) روح المعاني (٦/ ٢٢٦).

ومن خلال ما سبق بيانه، فإن جميع المناسبات ذات معنى واحد، فتكون المناسبة أنه لما نفى السبيل عن طوائف المحسنين ذوي الأعذار، انتقل إلى ذكر طائفة المسيئين وهم المنافقون الذين تخلّفوا بلا عذر.

وفي مناسبة جملة ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾، اتفق جميع المفسرون على أنها جم لة مستأنفة لسؤال: ما علة استئذانهم وهم أغنياء؟ فجاء الجواب : كونهم رضوا بأن يكونوا في الدناءة والقعود مع الخوالف من النساء. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

١ــ بيان الأسلوب القرآني في حسن الانتقال والتخلص إلى الكلام السابق دون إخلال بالمعنى[1].

٢ــ بيان المذمة التامة للمنافقين، فهم طُبعوا وجُبلوا على عدم الانتفاع بالخيرات، وكذا زادهم الله تعالى حرمانًا وعمى على طغيانهم.

(١) يراجع معنى التخلص في (ص ٨٣) من هذا البحث.

٥٢_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[(١)]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((الجملة مستأنفة ابتدائية تعداد لأحوالهم. ومعناها ناشئ عن مضمون جملة ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾[(٢)] تنبيهًا على أنهم لا يرعوون عن الكذب ومخادعة المسلمين، فإذا قيل لهم ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ حلفوا على أنهم صادقون ترويجًا لخداعهم: وهذا إخبار بما سيلاقي به المنافقون المسلمين قبل وقوعه وبعد رجوع المسلمين من الغزو))[(٣)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال أبو حيان: ((لما ذكر أنهم يصدر منهم الاعتذار، أخبر أنهم سيؤكدون ذلك الاعتذار الكاذب بالحلف، وأنّ سبب الحلف هو طلبتهم أنْ يعرضوا عنهم فلا يلوموهم ولا يوبخوهم))[(٤)].

٢_ قال الألوسي: ((تأكيدًا لمعاذيرهم الكاذبة وترويجًا لها))[(٥)].

من خلال النقل السابق، لم يختلف معنى ما ذهب إليه المفسرون في مناسبة هذه الآية.

فتكون المناسبة أنه لما ذكر أن المنافقين سيعتذرون للمؤمنين عند رجوعهم من الغزو، أخبر هنا أنهم لا يتوانون عن الكذب، وأنهم سيحلفون لتأكيد أعذارهم وخداعهم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

استمرار الآيات في ذكر فضائح المنافقين، والإخبار عنهم بالغيب، بأن حالهم سيكون كيت وكيت عندما يرجع المؤمنون من القتال.

والإخبار بما في المستقبل من معجزات الرسول ﷺ، وهذا فيه مزيد تبكيت للمنافقين بأن الله قد أحاط بهم وأخبر نبيه عنهم، وأن جزاءهم جهنم وساءت مصيرًا.

---

(١) الآية (٩٥) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٩٤) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٨_ ٩).

(٤) البحر المحيط (٥/ ٩٣).

(٥) روح المعاني (٦/ ٢٢٧).

٥٣_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((استئناف ابتدائي رجع به الكلام إلى أحوال المعذّرين من الأعراب والذين كذبوا الله ورسوله منهم، وما بين ذلك استطراد دعا إليه قرن الذين كذبوا الله ورسوله في الذكر مع الأعراب . فلما تقضّى الكلام على أولئك تخلص إلى بقية أحوال الأعراب . وللتنبيه على اتصال الغرضين وقع تقديم المسند إليه، وهو لفظ (الأعراب) للاهتمام به من هذه الجهة، ومن وراء ذلك تنبيه المسلمين لأحوال الأعراب لأنهم لبعدهم عن الاحتكاك بهم والمخالطة معهم قد تخفى عليهم أحوالهم ويظنون بجميعهم خيرًا)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((إنما أعاد هذه الأحكام ، لأن المقصود منها مخاطبة منافقي الأعراب، ولهذا السبب بيّن أن كفرهم ونفاقهم أشد، وجهلهم بحدود ما أنزل الله أكمل)) (٣).

٢_ قال البقاعي: ((ولم ترتب سبحانه الاستئذان في القعود والرضى بما فيه من الدناءة على عدم الفقه تارة والعلم أخرى وختم بصنف الأعراب، بيّن أن الأعراب أولى بذلك لكونهم أعرق في هذا الوصف وأجرأ على الفسق لبعدهم عن معدن العلم وصرفهم أفكارهم في غير ذلك من أنواع المخازي لتحصيل المال الذي كلما داروا عليه طار عنهم فأبعد . فهم لا يزالون في همه قد شغلهم ذلك عن كل هم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً)) (٤).

من خلال النقل السابق، اتفقت أقوال المفسرين في معنى هذه المناسبة على اختلاف تعبيراتهم.

فالمناسبة أنه رجوع إلى الحديث عن المعذرين من الأعراب وبيان أحوالهم، فلما أخبر سبحانه عن أحوال العرب بالمدينة، عاد إلى ذكر أحوال الأعراب خارجها. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

(١) الآية (٩٧) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ١٠_ ١١).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ١٣١).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣٧٧).

التنبيه على أحوا ل البعيدين عن مركز الإسلام آنذاك وهم الأعراب، وأن فيهم كافرون ومنافقون ومؤمنون، وهذا حسن تخلص واستطراد [1].

(١) يراجع معنى التخلص في (ص ٨٣) من هذا البحث.

٥٤_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((عُقِّب ذكر الفرق المتلبسة بالنقائص على تفاوت بينها في ذلك بذكر القدوة الصالحة والمثل الكامل في الإيمان والفضائل والنصرة في سبيل الله ليحتذِي مُتطلب الصلاح حذوَهم، ولئلا يخلوَ تقسيم القبائل الساكنة بالمدينة وحَواليها وبَواديها، عن ذكر أفضل الأقسام تنويهًا به. وبهذا تم استقراء الفرق وأحوالها . فالجملة عطف على جملة: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا ﴾ (٢))) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((واعلم أنه تعالى لما ذكر فضائل الأعراب الذين يتخذون ما ينفقون قربات عند الله وصلوات الرسول، وما أعد لهم من الثواب ، بيّن أن فوق مترلتهم منازل أعلى وأعظم منها ، وهي منازل السابقين الأولين)) (٤).

٢_ قال البقاعي: ((ولما ذكر القسم الصالح منهم وكانوا متفاوتين فمنهم السابق وأكثرهم التابع اللاحق، أتبعه السابقين على وجه شامل حاصر لصنفي البادي والحاضر إشا رة إلى أنه - وإن أجره - أصله فقد قدمه وصفه بحيث ساوى أهل الكمال في مطلق الانخراط في ملكهم والفوز بد رجتهم لإحسانه في اتباعهم ترغيباً لأهل القدرة والرحمة في اتباع أهل الرضوان والنعمة)) (٥).

٣_ قال الألوسي: ((بيان لفضائل أشراف المسلمين إثر بيان طائفة منهم)) (٦).

من خلال النقل السابق، اتحد معنى ما ذهب إليه المفسرون في مناسبة هذه الآية رغم اختلاف ألفاظهم.

---

(١) الآية (١٠٠) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٩٨) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ١٧).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ١٣٤).

(٥) نظم الدرر (٣/ ٣٧٩).

(٦) روح المعاني (٦/ ٢٣٣).

فالمناسبة أنه لما ذكر الأعراب وتقسيماتهم وتفاوتهم، وأن منهم الصالح ومنهم المسيء، بيّن أن هناك مرتبة أعلى حتى من الصالحين منهم، ليحتذى بهم، ويقتفى أثرهم ، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وبالتالي استوفى جميع التقسيمات في الحاضرة والبادية، وأعلاها كمالاً وأجدرها اقتداء، وأدناها حالاً ومآلاً. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

الثناء والإشادة بأفضل الفرق رتبة، وأعلاها مترلة، الذين سبقوا كل فاضل وصالح بالإيمان والهجرة والنصرة، فرضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه، ففازوا بأعظم الجزاء من رب العالمين.

٥٥ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: ((استئناف بياني للجواب عن سؤال يثيره قوله: ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾، وهو أن يسأل سا ئل عن أثر كون الله تعالى يعلمهم . فأعلم أنه سيعذبهم على نفاقهم ولا يفلتهم منه عدمُ علم الرسول عليه الصلاة والسلام بهم)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ثم استأنف جزاءهم بقوله: ﴿سَنُعَذِّبُهُم﴾)) (٣).

من خلال النقل السابق، تكون المناسبة أنه لما ذكر علم الله تعالى بمنافقي الأعراب وتخفّيهم، فكأنه أثار سؤالاً: فماذا سيحصل لهم؟ فجاء ببيان جزائهم وتوعدهم بالعذاب مرتين. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان الوعيد ا لشديد للمنافقين أينما كانوا، بأن الله يعلم أمرهم، وفاضح شأنهم، ومعذبهم مرتين في الدنيا، ثم مردهم إلى عذاب غليظ في الآخرة.

---

(١) الآية (١٠١) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٢٠).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٨١).

٥٦_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((لما كان من شرط التوبة تدارك ما يمكن تداركه مما فات وكان التخلف عن الغزو مشتملاً على أمرين هما عدم المشاركة في الجهاد، وعدم إنفاق المال في الجهاد ، جاء في هذه الآية إرشاد لطريق تداركهم ما يُمكن تَدَارُكه مما فات وهو نفع المسلمين بالمال، فالإنفاقُ العظيم على غزوة تُبوك استنفد المال المعد لنوائب المسلمين ، فإذا أخذ من المخلفين شيء من المال انجبر به بعض الثلم الذي حلّ بمال المسلمين . فهذا وجه مناسبة ذكر هذه الآية عقب التي قبلها . وقد روي أن الذين اعترفوا بذنوبهم قالوا للنبي ﷺ هذه أموالنا التي بسببها تخلفنا عنك خذها فتصدق بها وطهرنا واستغفر لنا، فقال لهم: لم أؤمر بأن آخذ من أموالكم. حتى نزلت هذه الآية فأخذ منهم النبي ﷺ صدقاتهم (٢))) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((هذه الآية كلام مبتدأ ، والمقصود منها إيجاب أخذ الزكاة من الأغنياء وعليه أكثر الفقهاء إذ استدلوا بهذه الآية في إيجاب الزكوات ، وقالوا في الزكاة إنها طهرة . أما القائلون بالقول الأول، فقد احتجوا على صحة قولهم بأن الآيات لا بد وأن تكون منتظمة متناسقة ، أما لو حملناها على الزكوات الواجبة ابتداء، لم يبق لهذه الآية تعلق بما قبلها، ولا بما بعدها، وصارت كلمة أجنبية، وذلك لا يليق بكلام الله تعالى ، وأما القائلون بأن المراد منه أخذ الزكوات الواجبة ، قالوا: المناسبة حاصلة أيضًا على هذا التقدير، وذلك لأنهم لما أظهروا التوبة والندامة عن تخلفهم عن غزوة تبوك. وهم أقروا بأن السبب الموجب لذلك التخلف حبهم للأموال وشدة حرصهم على صونها عن الإنفاق ، فكأنه قيل لهم إنما يظهر صحة قولكم في ادعاء هذه التوبة والندامة لو أخرجتم الزكاة الواجبة ، ولم تضايقوا فيها، لأن الدعوى لا تتقرر إلا بالمعنى، وعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان ، فإن أدوا تلك الزكوات عن طيبة النفس ظهر كونهم صادقين في تلك التوبة والإنابة ، وإلا فهم كاذبون مزورون بهذا الطريق . لكن حمل هذه الآية على التكليف بإخراج الزكوات الواجبة مع أنه يبقى نظم هذه الآيات سليمًا أولى، ومما يدل على أن المراد الصدقات الواجبة، قوله ﴿ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ والمعنى تطهرهم عن الذنب بسبب أخذ تلك الصدقات، وهذا إنما يصح لو قلنا إنه لو لم يأخذ تلك الصدقة لحصل الذنب ، وذلك إنما يصح حصوله في الصدقات

---

(١) الآية (١٠٣) من سورة التوبة.

(٢) انظر: جامع البيان (١١/ ١٦)، المحرر الوجيز (٣/ ٧٨)، البحر المحيط (٥/ ٩٩)، روح المعاني (٦/ ٢٤١_ ٢٤٢).

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٢٢).

الواجبة. وأما القائلون بالقول الأول ، فقالوا: إنه عليه الصلاة والسلام لما عذر أولئك التائبين وأطلقهم ، قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي بسببها تخ لفنا عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا ، فقال عليه الصلاة والسلام ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً، فأنزل الله تعالى هذه الآيات...)) [(1)].

٢ـ قال البقاعي: ((ولما كان من شأن الرضوان قبول القربان، أمره ﷺ تطهيرًا لهم وتطييبًا لقلوبهم بقوله: ﴿خُذْ﴾ ورحمهم بالتبعيض فقال: ﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ أي تطيب أنفسهم بإخراجها ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ أي هي من ذنوبهم وتجري بهم مجرى الكفارة)) [(2)].

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أنه لما فتح باب التوبة، وكان من شروطها تدارك ما فات، وكانوا قد تخلفوا عن الجهاد وعن الإنفاق في تجهيز الجيش لموقعة تبوك، جاء في هذه الآية ببيان طريقة تداركهم وهي الصدقة بالمال لجبر الثلم الذي حدث في مال المسلمين جراء إنفاقهم الأموال الكثيرة في التجهيز لغزوة تبوك.

وذهب الرازي إلى أن الآية في أخذ الزكوات الواجبة من هؤلاء المتخلفين، وتكون المناسبة أنه لما تيب على هؤلاء الذين أ ظهروا الندامة على تخلفهم عن تبوك بسبب الأموال، جعل التصديق على تلك التوبة بإيتاء الزكاة المفروضة وإخراجها، فالزكاة تنمية وطهارة فإن أدوها عن طيب نفس كانوا صادقين في توبتهم.

وعند البقاعي أنه لما فتح باب التوبة والرضوان، فتح لهم باب قبول أموالهم لتطهيرهم والتكفير عما فعلوه.

وجميع معاني المناسبات السابقة متشابهة، وقد تفاوتت أقوال المفسرين بين كون هذه الأموال صدقة وبين كونها الزكاة الواجبة، وعلى ذلك دارت المناسبة، وسواء كانت الأموال المأمور أخذها صدقة أم زكاة مفروضة، فإن كليهما تنمية وكفارة وتطهير، جاء بالأمر بأخذها منهم ليدللوا على توبتهم . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

فتح باب التوبة مجددًا للمتخلفين، كيف لا وهي سورة التوبة؟! لكن في هذه المرة جاء الإرشاد العملي والتطبيقي لهذه التوبة، مما يدل على أن التوبة يتبعها العمل والإصلاح وتدارك ما فات تصديقً ا لدعوى

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ١٤١).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٣٨٢).

التوبة والإياب . وفي الآية الحث على الصدقة والإنفاق لأنها تزكية وطهارة للنفس والمال، وتكفير للسيئات.

٥٧_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((إن كان الذين اعترفوا بذنوبهم وعرضوا أموالهم للصدقة قد بقي في نفوسهم اضطراب من خوف أن لا تكون توبتهم مقبولة وأن لا يكون الرسول عليه الصلاة والسلام قد رضي عنهم وكان قوله: ﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ (٢) مشيرًا إلى ذلك، وذلك الذي يشعر به اقتران قبول التوبة وقبول الصدقات هنا ليناظر قوله : ﴿ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ (٣) وقوله: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً ﴾ (٤) كانت جملة: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ ﴾ استئنافًا بيانيًا ناشئًا عن التعليل بقوله : ﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾، لأنه يثير سؤال من يسأل عن موجب اضطراب نفوسهم بعد أن تابوا ، فيكون الاستفهام تقريرًا مشوبًا بتعجيبٍ من ترددهم في قبول توبتهم . والمقصود منه التذكير بأمر معلوم لأنهم جروا على حال نسيانه، ويكون ضمير ﴿ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ عائدًا إلى الذين اعترفوا بذنوبهم.

وإن كان الذين اعترفوا بذنوبهم لم يخطر ببالهم شك في قبول توبتهم وكان قوله: ﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ مجرد إرشاد من الله لرسوله إلى حكمة دعائه لهم بأن دعاءه يصلح نفوسهم ويقوي إيمانهم كان الكلام عليهم قد تم عند قوله : ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥)، وكانت جملة ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ مستأنفة استئنافًا ابتدائيًا على طريقة الاستطراد لترغيب أمثال أولئك في التوبة ممن تأخروا عنها ، وكان ضمير ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ عائدًا إلى ما هو معلوم من مقام التذييل وهو الكلام على أحوال الأمة، وكان الاستفهام إنكاريًا. ونُزل جميعهم منزلة من لا يعلم قبول التوبة ، لأن حالهم حال من لا يعلم ذلك سواء في ذلك من يعلم قبولها ومن لا يعلم حقيقةً، وكان الكلام أيضاً مسوقاً للتحْضيض)) (٦).

(١) الآية (١٠٤) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٠٣) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (١٠٢) من سورة التوبة.

(٤) جزء من الآية (١٠٣) من سورة التوبة.

(٥) جزء من الآية (١٠٣) من سورة التوبة.

(٦) التحرير والتنوير (١١/ ٢٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال الرازي: ((واعلم أنه تعالى لما حكى عن القوم الذين تقدم ذكرهم أنهم تابوا عن ذنوبهم وأنهم تصدقوا وهناك لم يذكر إلا قوله ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾[١] وما كان ذلك صريحاً في قبول التوبة ذكر في هذه الآية أنه يقبل التوبة وأنه يأخذ الصدقات، والمقصود ترغيب من لم يتب في التوبة، وترغيب كل العصاة في الطاعة))[٢].

٢ــ قال البقاعي: ((ولما ساق توبتهم سبحانه في حيز ﴿عَسَى﴾، وكان الأصل فيها الترجية في المحبوب والإشفاق في المكروه، وأمر سبحانه بالأخذ من أموالهم لذلك، وكان إخراج المال شديداً على النفوس لا سيما في ذلك الزمان، كان ربما استوقف الشيطان من لم يرسخ قدمه في الإيمان عن التوبة وما يترتب عليها من الصدقة لعدم الجزم بأنها تقبل، فأتبع ذلك سبحانه بقوله: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ﴾ أي المعترفون بالذنوب حتى تسمح أنفسهم بالصدقة أو غيرهم حتى يرغبوا في التوبة والصدقة...))[٣].

من خلال المنقول السابق، ذكر الطاهر أنه بعد أن ذكر أن صلاة الرسول ودعاءه سكن لهم، وكان ذلك مثار سؤال عن علة اضطراب نفوسهم وترددهم في قبول توبتهم، جاءت هذه الآية للتعجب من ترددهم، ولتذكيرهم بما هو معلوم بأن الله تعالى يقبل التوبة . وبالتالي كان استفهامًا للتقرير والتعجب . وهو معنى ما ذكره الرازي والبقاعي.

ثم ذكر الطاهر مناسبة أخرى، وهي أنه لما ذكر صلاة الرسول وأنها إرشاد من الله بأن دعاءه لهم فيه صلاحهم وتقوية إيمانهم، استطرد بعد ذلك في ترغيب من لم يعترفوا بذنوبهم لينالوا أمثال ما ناله من تابوا. فجاء بالاستفهام الإنكاري بأنه معلوم بأن الله يقبل التوبة. وهي من تفرادته. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان سعة رحمة الله تعالى وقبوله لتوبة مَن تاب، وأوبة مَن عاد، فالله تعالى يفرح بتوبة عبده مهما عظم ذنبه، ويقبل منه إحسانه بعد إساءته، وأنه لما جاء لفظ الجلالة (الله) في الآية نبّه على أن كونه إلهًا له العظمة الكاملة، والقدرة البالغة، وبيده الرحمة العامة التامة، يوجب قبول التوبة.

---

(١) جزء من الآية (١٠٢) من سورة التوبة.

(٢) التفسير الكبير (١٦/ ١٤٦).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٨٣).

صـ

٥٨_ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [١]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((عطف على جملة : ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ ﴾ [٢] الذي هو في قوة إخبارهم بأن الله يقبل التوبة وقل لهم اعملوا، أي بعد قبول التوبة ، فإن التوبة إنما ترفع المؤاخذة بما مضى فوجب على المؤمن الراغب في الكمال بعد توبته أن يزيد من الأعما ل الصالحة ليجبر ما فاته من الأوقات التي كانت حقيقة بأن يعمرها بالحسنات فعمرها بالسيئات فإذا وردت عليها التوبة زالت السيئات وأصبحت تلك المدة فارغة من العمل الصالح ، فلذلك أمروا بالعمل عقب الإعلام بقبول توبتهم لأنهم لما قُبلت توبتهم كان حقاً عليهم أن يدلوا عل ى صدق توبتهم وفرط رغبتهم في الارتقاء إلى مراتب الكمال حتى يَلحقوا بالذين سبقوهم، فهذا هو المقصود ، ولذلك كان حذف مفعول ﴿ ٱعۡمَلُواْ ﴾ لأجل التعويل على القرينة ، ولأن الأمر من الله لا يكون بعمل غير صالح. والمراد بالعمل ما يشمل العمل النفساني من الاعتقاد والنية. وإطلاق العمل على ما يشمل ذلك تغليب.

وتفريع ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ ﴾ زيادة في التحْضيض. وفيه تحذير من التقصير أو من ارتكاب المعاصي لأن كون عملهم بمرأى من الله مما يبعث على جعله يرضي الله تع الى. وذلك تذكير لهم باطلا ع الله تعالى بعلمه على جميع الكائنات)) [٣].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أن هذا الكلام جامع للترغيب والترهيب ، وذلك لأن المعبود إذا كان لا يعلم أفعال العباد لم ينتفع العبد بفعله ، ... فقوله ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ ﴾ ترغيب عظيم للمطيعين ، وترهيب عظيم للمذنبين، فكأنه تعالى قال: اجتهدوا في المستقبل، فإن لعملكم في الدنيا حكمًا وفي الآخرة حكمًا. أما حكمه في الدنيا فهو أنه يراه الله ويراه الرسول ويراه المسلمون ، فإن كان طاعة حصل منه الثناء العظيم والثواب العظيم في الدنيا والآخرة ، وإن كان معصية حصل منه الذم العظيم في الدنيا

(١) الآية (١٠٥) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٠٤) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٢٥).

والعقاب الشديد في الآخرة. فثبت أن هذه اللفظة الواحدة جامعة لجميع ما يحتاج المرء إليه في دينه ودنياه ومعاشه ومعاده)) [1].

٢ـ قال البقاعي: ((ولما أمره من تطهيرهم بما يعيدهم إلى ما كانوا عليه قبل الذنب، عطف على قوله ﴿خُذْ﴾ [2] قوله تحذيرًا لهم من مثل ما وقعوا فيه: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ﴾ أي بعد طهارتكم ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾ أي الذي له الإحاطة الكاملة ﴿عَمَلَكُمْ﴾ أي بما له من إحاطة العلم والقدرة فاعملوا عمل من يعلم أنه بعين الله)) [3].

٣ـقال الألوسي: ((والجملة تعليل لما قبله أو تأكيد لما يستفاد منه من الترغيب والترهيب)) [4].

من المنقول السابق، تشابهت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية معنى، واختلفت لفظًا.

فذكر الطاهر أنه عَقِب الإعلام بقبول التوبة، أَعْلَمهم بضرورة إِتْباع تلك التوبة بالعمل الصالح؛ لجبر ما فات، وللتدليل على صدق توبتهم، ورغبتهم في اللحاق بركب من سبقهم في الصلاح والكمال، ثم فرّع بأنه تعالى يراهم للتحذي من أي نقص أو عصيان، ولترغيبهم في التزام جادّة الطاعة.

أما عند الرازي فالآية لترهيب المذنبين، وترغيب الطائعين، بأن الله تعالى يراهم فلْيَعْمَلوا ولْيجتهدوا.

وأما البقاعي فقد ذكر أنه لما أمره بأخذ بعض أموالهم لتطهيرهم مما كانوا عليه، أردف محذّرًا ب أن يعودوا لمثله بأنه يرى أعمالهم ويحيط بها.

وقد جمع الألوسي بين قولي الرازي والبقاعي.

ويظهر مما سبق أن جميع أقوال المفسرين السابقة تمحورت حول الحثّ على العمل الصالح بعد التوبة، والتحذير من المعاصي، وكلام الطاهر أوفى وأجزل لأن التوبة النصوح يصدّقها العمل النابع من الذات لتصحيح ما فات. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن من شروط التوبة: إِتْباع السيئة الحسنة، فلا أدلّ على التوبة من عمل صالح يمحو الزلل، ويجبر الخلل.

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ١٤٩).

(٢) جزء من الآية (١٠٣) من سورة التوبة.

(٣) نظم الدرر (٣/ ٣٨٣ـ ٣٨٤).

(٤) روح المعاني (٦/ ٢٤٤).

٥٩_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[١]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((هذا كلام على فريق آخر من المؤاخَذين بأعمال عملوها غضب الله عليهم من أجلها، وهم فريق من المنافقين بنوا مسجدًا حول قباء لغرض سيء لينصرف إخوانهم عن مسجد المؤمنين وينفردوا معهم بمسجد يخصهم. فالجملة مستأنفة ابتدائية على قراءة من قرأها غيرَ مفتتحة بواو العطف... ونكتة الاستئناف هنا التنبيه على الاختلاف بين حال المراد بها وبين حال المراد بالجملة التي قبلها وهم المرجون لأمر الله. وقرأها البقية بواو العطف في أولها، فتكون معطوفةً على التي قبلها لأنها مثلها في ذكر فريق آخر مثل مَن ذكر فيما قبلها. وعلى كلتا القراءتين فالكلام جملة إثر جملة وليس ما بعد الواو عطف مفرد))[٢].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما ذكر أصناف المنافقين وطرائقهم المختلفة قال ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾))[٣].

٢_ قال أبو حيان: ((لما ذكر طرائق ذميمة لأصناف المنافقين، أقوالاً وأفعالاً، ذكر أنّ منهم من بالغ في الشر حتى ابتنى مجمعًا للمنافقين، يدبرون فيه ما شاءوا من الشر، وسمّوه مسجدًا))[٤].

٣_ قال البقاعي: ((ولما ذكر الذين أقامهم في مقام الخطر أتبعه تعيين طائفة من القسم الأول المستور الموصوف بالمرود، فألحق بهم الضرر فقال: ﴿ وَالَّذِينَ ﴾ وهو معطوف في قراءة من أثبت الواو على قوله ﴿ وَآخَرُونَ ﴾[٥] وخبره على ما يليق بالقصة: منافقون ماردون، وأما على قراءة المدنيين وابن عامر بحذفها فيكون على تقدير سؤال سائل، وذلك أنه لما قال تعالى ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾[٦] تشوّفت

(١) الآية (١٠٧) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٢٩).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ١٥٣).

(٤) البحر المحيط (٥/ ١٠١).

(٥) جزء من الآية (١٠٦) من سورة التوبة.

(٦) جزء من الآية (١٠١) من سورة التوبة.

النفس إلى الإعلام بهم، فلما قال ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ ﴾[1] اشتغل السامع بتفهمه، وربما ظن أنه يأتي في آخر الكلام من تسميتهم ما يغنيه عن السؤال، فلما انتقل بقوله ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ ﴾[2] إلى قسم آخر، وختم الآية بصفتي العلم والحكمة ليعلم أن الترديد للتقسيم وأنه إن كان شك فهو بالنسبة إلى العباد وأما الله تعالى فمتره عنه فذكر السامع بالصفتين ما كان دار في خلده ومال إليه قلبه من الإعلام بالماردين على النفاق، فاشتد تشوفه إليه فكان كأنه قال : منْ منَ الماردين منهم؟ فقال تعالى الذين ﴿ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدًا ﴾ أي من الماردين وهم من أعظمهم مهارة في النفاق وإخفاء الكيد والشقاق لأنهم توصلوا إلى ذلك بأن كلفوا أنفسهم الأخذ لأعظم عرى الدين مع المنازعة للفطرة الأولى والحذر من أن يفضحوا، فكان ختام هذه الآية من بديع الختام فإن احتراس عما يتوهم فيما قبله ودليل على ما بعده، ولذلك ختم قصتهم أيضاً بصفتي العلم والحكمة، ولاح من هذا أن قوله ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ﴾[3] يمكن أن يراد به : مرة برجوعك، ومرة بإخرابك مسجدهم وتفريقك لشملهم بعد هتك سرائرهم بكشف ضمائرهم))[4]. [4].

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر أن الآية مستأنفة للابتداء على قراءة حذف واو العطف، بالتالي هي لبيان اختلاف حال المذكورين هنا في الآية عن حال مَن قبلهم وهم المرجون لأمر الله.

وإذا كانت افتتحت بواو العطف تكون معطوفة على ما قبلها في ذكر فريق آخر وهم المنافقون الذين اتخذوا مسجد الضرار. ووافق في هذا كلام الرازي وأبي حيان و البقاعي في كلامه عن قراءة العطف.

وذكر البقاعي أنها على قراءة الحذف استئناف بياني على تقدير سؤال، فلما ذكر تعالى أنه يعلمهم، وتشوّقت النفوس لمعرفة مَن هم، وذكر بعده المعترفون بذنوبهم، ثم انتقل للمرجون، وختم بصفتي العلم والحكمة، ليعلم المتشوفون أن الله يعلم بما في قلوبهم من التشوّف للمعرفة، فاشتد شوقهم لمعرفة الماردين الذين يعلمهم الله، فذكر أنهم الذين اتخذوا مسجد الضرار.

ومن خلال ما سبق بيانه، يتبيّن أن من العلماء من جعلها معطوفة على ما قبلها في ذكر فريق آخر ممن سبق، وعلى قراءة الحذف جعلها الطاهر مستأنفة للابتداء، وجعلها البقاعي مستأنفة للبيان . والله تعالى أعلم.

---

(١) جزء من الآية (١٠٢) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٠٦) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (١٠١) من سورة التوبة.

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣٨٤_ ٣٨٥).

أثر المناسبة:

بيان قبائح طرق المنافقين في الإفساد والتفريق وتنوعها، حيث بنوا مقرًّا لهم يدبّرون فيه المكائد والخطط المضرّة بالإسلام وأهله الحقيقيين، فظاهره الهدى والصلاح، وباطنه المكر والخداع.

٦٠ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((يجوز أن تكون مستأنفة لتعداد مساوي مسجد الضرار بذكر سوءِ عواقبه بعد أن ذكرَ سوء الباعث عليه وبعد أن ذكر سوء وقعه في الإسلام بأن نهى الله رسوله عن الصلاة فيه وأمرَه بهدمه ، لأنه لما نهاه عن الصلاة فيه فقد صار المسلمون كلهم منهيين عن الصلاة فيه، فسلب عنه حكم المساجد ، ولذلك أمر رسول الله ﷺ بهدمه. ويرجح هذا الوجه أنه لم يؤت بضمير المسجد أو البنيان بل جيء باسمه الظاهر.

ويجوز أن تكون خبرًا ثانياً عن ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾[2] كأنه قيل: لا تقم فيه ولا يزال ريبةً في قلوبهم، ويكون إظهار لفظ ﴿بُنْيَانُهُمُ﴾ لزيادة إيضاحه. والرابط هو ضمير ﴿قُلُوبِهِمْ﴾. والمعنى أن ذلك المسجد لما بنوه لغرض فاسد فقد جعلهُ اللّهُ سببًا لبقاء النفاق في قلوبهم ما دامت قلوبهم في أجسادهم)) [3].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: ((ولما كان ما تقدم غير قاطع في إخرابه لما ثبت للمساجد من الحرمة، استأنف الإخبار عن أنه لا يعد في عداد المساجد بوجه، وإنما هو في عداد بيوت الأصنام فهو واجب الإعدام ... أو يكون المراد أنه لا يزال حاملاً لهم على التصميم على النفاق إلى أن يموتوا، فهو كناية عن عدم توبتهم)) [4].

من خلال السابق، ذكر الطاهر أن هذه الآية إما مستأنفة لتعداد مساوي مسجد الضرار بعد ذكره لباعث بنائه، والنهي عن الصلاة فيه، والأمر بهدمه لأنه سُلب عنه حكم المساجد . أو هي ـ كما يقول الطاهر ـ إخبار آخر عن الذين بنوه، فهم لما بنوه لغرض فاسد، أخبر سبحانه هنا بأن هذا سبب في إبقاء النفاق في قلوبهم.

وعند البقاعي أنه لما ذكر مساوئ مسجد الضرار، وكانت للمساجد حرمتها، أخبر هنا بأنه خرج من حكم المساجد قطعًا.

ومن خلال ما سبق بيانه، فقد اتفق الطاهر في قوليه مع قولي البقاعي. والله تعالى أعلم.

---

(١) الآية (١١٠) من سورة التوبة.

(٢) الآية (١٠٧) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٣٥ـ ٣٦).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣٨٨).

أثر المناسبة:

بيان أن كل بناء في الإسلام يجب أن يُبنى لأجل الخير والإصلاح، وعلى أساس من التقوى ولا سيما المساجد، التي هي مواطن العبادة والعلم واجتماع الأمة.

وفيه تنبيه للمسلمين على أن يحرصوا في كل عمل ومشروع أن يُبنى على أسس متينة من التقوى وصلاح النية وبما يُرضي الله تعالى في جميع الوجوه، ليبارك الله فيه ويستمر، وإلا كان مصيره الانهيار.

٦١_ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((استئناف ابتدائي للتنويه بأهل غزوة تبوك وهم جيش العُسْرة، ليكون توطئة وتمهيدًا لذكر التوبة على الذين تخلفوا عن الغزوة وكانوا صادقين في أيمانهم، وإنْباءِ الذين أضمروا الكفر نفاقاً بأنهم لا يتوب الله عليهم ولا يستغفر لهم رسوله ﷺ والمناسبة ما تقدم من ذكر أحوال المنافقين الذين تسلسل الكلام عليهم ابتداءً من قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ (٢) الآيات، وما تولد على ذلك من ذكر مختلف أحوال المخلفين عن الجهاد واعتلالهم وما عقب ذلك من بناء مسجد الضرار.

وافتتحت الجملة بحرف التوكيد للاهتمام بالخبر ، المتضمنة على أنه لما كان فاتحة التحريض على الجهاد بصيغة الاستفهام الإنكاري وتمثيلهم بحال من يُستنهض لعمل فيتثاقل إلى الأرض في قوله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ ناسب أن يترل المؤمنون مترلة المتردد الطالب في كون جزاء الجهاد استحقاق الجنة)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما شرع في شرح فضائح المنافقين وقبائحهم لسبب تخلفهم عن غزوة تبوك فلما تمم ذلك الشرح والبيان وذكر أقسا مهم وفرع على كل قسم ما كان لائقً ا به عاد إلى بيان فضيلة الجهاد وحقيقته فقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ﴾)) (٤).

٢_ قال البقاعي: ((ولما تقدم الإنكار على المتثاقلين عن النفر في سبيل الله في قوله تعالى ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ ﴾ ثم الجزم بالأمر بالجهاد بالنفس والمال في قوله ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾(١)وكان أمره

---

(١) الآية (١١١) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٣٨) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٣٧).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ١٥٨).

تعالى كافياً للمؤمن الذي صدق إيمانه بالإسلام في امتثاله لذلك في منشطه ومكرهه، وكان كثير منهم قد فعلوا بتثاقلهم ما يقدح في إيمانهم طعمًا في ستره بمعاذيرهم وإيمانهم، اقتضى المقام تبكيت المتثاقلين وتأنيب المنافقين على وجه مهتك لأستارهم مكشف لأسرارهم، فلما استوفى تعالى في ذلك أقسامهم، ونكس ألويتهم وأعلامهم، وختمهم بهذه الطائفة التي ظهر فيها امتثاله ﷺ لقوله تعالى ﴿ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾[2] أن هدّ مسجدهم وحرقه بالنار وأزال بنيانه وفرقه، وقدّ أديمه عن جديد الأرض ومزقه، أتبع ذلك سبحانه بتذكير المؤمنين ما أمرهم به في قوله تعالى ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾[3] وقوله ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾[4] ليفعلوا فيه ما فعله رسول الله ﷺ فيما أمر به، فساق مساق الجواب لسؤال من كأنه قال: لقد طال المدى وعظم الخطب في هذه السورة في إبانة الفضائح وهتك السرائر وإظهار القبائح، فلم فعل ذلك وقد جرت عادته بالأمر بالستر وأخذ العفو؟))[5].

٣ــ قال الألوسي: ((ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان حال المتخلفين عنه))[6].

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر أنه بعد ذِكْر أحوال المنافقين والمخلفين عن الجهاد، وحال الذين اتخذوا مسجد الضرار، استأنف استئنافًا ابتدائيًا هنا بذِكر الجهاد للتمهيد لغزوة تبوك والتنويه بأهلها، ولذكر توبة الثلاثة الذين خُلّفوا، فكأنه عاد إلى ترغيبهم بما أمرهم به ابتداء من الجهاد والقتال بعد التفصيل في قبائح ومكائد المنافقين والمتخلفين. وهذه من تفرداته.

وذكر الرازي أنها ترغيب في الجهاد وبيان فضيلته بعد بيان حال المتخلفين عنه . وبمثل هذا المعنى قال الألوسي.

وأما البقاعي فقد جعلها استئنافًا بيانيًا، فلما ذكر المتثاقلين عن الجهاد، وبيّن أقسامهم وفَضَحهم، وأمر بجهادهم، أتبع ذلك بتذكير المؤمنين بالجهاد والنفرة، فساق مساق الجواب لسؤال من كأنه قال: لقد طال المدى وعظم الخطب في هذه السورة في إبانة الفضائح وهتك السرائر وإظهار القبائح، فلم فعل ذلك وقد جرت عادته بالأمر بالستر وأخذ العفو؟

---

(١) جزء من الآية (٤١) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٧٣) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (٢٩) من سورة التوبة.

(٤) جزء من الآية (٤١) من سورة التوبة.

(٥) نظم الدرر (٣/ ٣٨٨ــ ٣٨٩).

(٦) روح المعاني (٦/ ٢٥٩).

وجميع ما ذُكر من مناسبات متلائم، ومناسبة الطاهر أجمل. والله تعالى أعلم.

<u>المناسبة الثانية:</u> قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾: ((مستأنفة استئنافًا بيانيًا، لأن اشتراء الأنفس والأموال لغرا بته في الظاهر يثير سؤال من يقول : كيف يبذلون أنفسهم وأموالهم ؟ فكان جواب ﴿ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الخ)) (1).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية: ((مقطوع ومستأنف)) (2).

٢ــ قال أبو حيان: ((مستأنف ذكر أعظم أحوالهم، ونبه على أشرف مقامهم)) (3).

٣ــ قال البقاعي: ((ولما ذكر المبيع أتبعه الثمن فقال : ﴿ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ أي خاصة بهم مقصورة عليهم، لا يكون لغير مؤمن، فميزهم حتى يقابل كل بما يستحقه، فكأنه قيل : اشترى منهم ذلك بماذا؟ فقيل: ﴿ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾)) (4).

٤ــ قال الألوسي: ((بيانًا لمكان التسليم وهو المعركة)) (5).

من خلال ما سبق نقله، اتفقت معاني مناسبات المفسرين في هذه الآية على اختلاف ألفاظهم.

فالمناسبة أنه لما ذكر أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، استأنف هنا ببيان سؤال مثار : كيف اشترى تلك الأنفس والأموال؟ فجاء الجواب : يقاتلون في سبيل الله، وهذا أشرف أحوال المؤمنين وأعظمها. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

من خلال ما سبق بيانه، تستمر الآيات في بيان أهمية الجهاد وفضيلته، في عرض متسلسل، وأساليب شتى، فهو ابتداء أمر به، ثم أردف بنشر قبائح المنافقين، وأحوال المتخلفين، فهتك الأستار، وشنّ حملة قوية على الأشرار، حكى فيها وعدّد، ورغّب ورهّب، ووعد وتوعّد، ليصل البلاغ الأخير للجميع،

---

(1) التحرير والتنوير (١١/ ٣٨).

(2) المحرر الوجيز (٣/ ٨٧).

(3) البحر المحيط (٥/ ١٠٦).

(4) نظم الدرر (٣/ ٣٨٩).

(5) روح المعاني (٦/ ٢٦٠).

وليعلم المؤمنون أن الصفقة مع العزيز الجبار، فخسر من تخلف ونافق واعتذر، وفاز وربح من أقدم وباع واعتبر.

ومن أساليب القرآن الكريم التوطئة والتمهيد للحدث المهم في السورة، وبما أن أهم أحداث هذه السورة هو توبة الله تعالى على الثلاثة الذين خلفوا، كان ما سبق من ذكر أحوال المجتمع في مدينة رسول الله ﷺ وما حولها كالمقدمة لغزوة تبوك وما جرى فيها من أحداث ذات عبرة.

٦٢ـ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾: ((تذييل مناسب للجملة السابقة، ووقوع ﴿إِنَّ ﴾ في أولها يفيد معنى التفريع . والتعليل مضمون للجملة السابقة، وهو أن الله لا يضل قومً ا بعد أن هداهم حتى يبين لهم الحق)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال أبو حيان: ((لما بيّن أنه لا يستغفر للمشركين، ولو كانوا أولي قربى، كان في هذه الآية وفي التي بعدها تباين ما بين القرابة حتى منعوا من الاستغفار لهم ، فمنع رسول الله ﷺ من الاستغفار لعمه أبي طالب، وهو الذي تولى تربيته ونصره وحفظه إلى أن مات ، ومنع إبراهيم من الاستغفار لأبيه وهو أصل نشأته ومربيه، وكذلك منع المسلمون من الاستغفار للمشركين أقرباء وغير أقرباء ، فكأنه قيل: لا تعجب لتباين هؤلاء، هذا خليل الله ، وهذا حبيب الله ، والأقرباء المختصون بهم المشركون أعداء الله ، فإضلال هؤلاء لم يكن إلا بعد أن أرشدهم الله إلى طريق الحق بما ركز فيهم من حجج العقول التي أغفلوها وتبيين ما يتقون بطريق الوحي ، فتظافرت عليهم الحجج العقلية والسمعية ، ومع ذلك لم يؤمنوا و لم يتبعوا ما جاءت الرسل به عن الله تعالى ، ولذلك ختمها بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فيضل من يشاء ويختص بالهداية من يشاء)) (٣).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما كان الذي يأمر بسلوك طريق ثم يترك فيها ما يحتاج إلى البيان إنما يؤتى عليه من الجهل أو النسيان. نفي ذلك سبحانه عن نفسه فقال معللاً لعدم الإضلال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي المحيط بصفات الكمال ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أي بالغ العلم فلا يتطرق إليه خفاء بوجه من الوجوه في حين من الأحيان فهو يبين لكم جميع ما تأتون وتذرون وما يتوقف عليه الهدى، وما تركه فهو إنما يتركه رحمة لكم)) (٤).

٣ــ قال الألوسي: ((تعليل لما سبق أي إن الله تعالى عليم بجميع الأشياء التي من جملتها حاجتهم إلى البيان فيبين لهم وقيل إنه استئناف لتأكيد الوعيد المفهوم مما قبله)) (٥).

---

(١) الآية (١١٥) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٤٨).

(٣) البحر المحيط (٥/ ١٠٩ــ ١١٠).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٣٩٥).

(٥) روح المعاني (٦/ ٢٧٧).

من خلال ما سبق نقله، اتفقت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية، رغم اختلاف ألفاظهم.

فيذكر الطاهر مناسبة مجيء ﴿إِنَّ﴾ في هذا التذييل، فوقوعها هنا أفاد معنى التفريع والتعليل لما سبق، فإنه تعالى لا يُضِلّ ولا يُعاقب حتى يُبيّن الحق، فهو عليم سبحانه بكل شيء وبأحوال الناس.

وهو ذات معنى ما ذهب إليه بقية المفسرين إلا أن الألوسي ذكر أنها قد تكون استئنافًا لتأكيد الوعيد بالإضلال، وهذا المعنى لا يخرج عن المعنى السابق فإنه لن يوقع عليهم الضلال إلا بعد التبيين.

فالمناسبة أنه سبحانه نفى عن نفسه الإضلال قبل البيان، فهو عليم بكل شيء لا يخفى عنه شيء. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان سنة من سنن الله تعالى وهي عدم المؤاخذة والعقاب إلا بعد البيان والبلاغ وثبوت الحجة . وتدل الآية على أن المعاصي والذنوب هي سبيل للهلاك والضلال والزيغ عن طريق الرشاد، وتعريض الإنسان نفسه للعقاب.

٦٣ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((تذييل ثان في قوة التأكيد لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٢) ، ولذلك فُصل بدون عطف لأن ثبوت ملك السماوات والأرض لله تعالى يقتضي أن يكون عليمًا بكل شيء لأن تخلف العلم عن التعلق ببعض المتملكات يفضى إلى إضاعة شؤونها ... وزيادة جملتي : ﴿ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ ﴾ لتصوير معنى الملك في أتم مظاهره المحسوسة للناس المسلم بينهم أن ذلك من تصرف الله تعالى لا يستطيع أحد دفع ذلك ولا تأخيره. وعطف جملة: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ لتأييد المسلمين بأنهم منصورون في سائر الأحوال لأن الله وليهم فهو نصير لهم ، ولإعْلامهم بأنهم لا يخشون الكفار لأن الكافرين لا مولى لهم لأن الله غاضب عليهم فهو لا ينصرهم . وذلك مناسب لغرض الكلام المتعلق باستغفارهم للمشركين بأنه لا يفيدهم)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((لما أمر بالبراءة من الكفار بيّن أنه له ملك السموات والأرض، فإذا كان هو ناصرًا لكم، فهم لا يقدرون على إضراركم ، وثانيها: أن القوم من المسلمين قالوا : لما أمرتنا بالانقطاع من الكفار، فحينئذ لا يمكننا أن نختلط بآبائنا وأولادنا وإخواننا لأنه ربما كان الكثير منهم كافرين . والمراد أنكم إن صرتم محرومين عن معاونتهم ومناصرتهم ، فالإله الذي هو المالك للسموات والأرض والمحيي والمميت ناصركم، فلا يضركم أن ينقطعوا عنكم . وثالثها: أنه تعالى لما أمر بهذه التكاليف الشاقة كأنه قال وجب عليكم أن تنقادوا لحكمي وتكليفي لكوني إلهكم ولكونكم عبيدًا لي)) (٤).

٢ـ قال أبو حيان: ((ولما ذكر تعالى علمه بكل شيء، فهو يعلم ما يصلح لكل أحد وما هيئ له في سابق الأزل ذكر ما دل على القدرة الباهرة ، من أنه له ملك السموات والأرض فيتصرف في عباده بما شاء ، ثم ذكر من أعظم تصرفاته الإحياء والإماتة)) (٥).

---

(١) الآية (١١٦) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١١٥) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٤٨).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ١٦٩).

(٥) البحر المحيط (٥/ ١١٠).

٣ـ قال البقاعي: ((ثم علل علمه بكل شيء بأن قدرته شاملة فهو قادر على نصرة من يريد والانتقام ممن يريد، فلا ينبغي لأحد أن يحب إلا فيه ولا يبغض إلا فيه ولا يهتم بعداوة أحد ممن عاداه فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ ... ثم علل قدرته وعلمه بما يشاهد متكرراً من فعله في الحيوان والنبات وغير ذلك فقال : ﴿ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ ﴾ أي بكل معنى فهو الذي أحياكم وغيركم الحياة الجسمانية وخصّ كم أنتم بالحياة الإيمانية، وكما جعل غيركم بعضهم أولياء بعض وجمعهم كلهم على ولاية عدو هم الشيطان جعلكم أنتم أولياء ربكم الرحمن فهو وليكم وناصركم ﴿وَمَا ﴾ أي والحال أنه ما ﴿ لَكُم ﴾ ولما كان ليس لأحد أن يجوز كل ما دون رتبته سبحانه، أثبت الجار فقال. ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي الملك الذي له الأمر كله، وأغرق في النفي بقوله: ﴿مِن وَلِيّٖ ﴾ أي قريب يفعل معكم من الحياطة والنصح ما يفعل القريب من النصرة وغيره.

ولما كان الإنسان قد ينصره غير قريبه قال. ﴿وَلَا نَصِيرٖ ﴾ أي فلا توالوا إلا من كان من حزبه وأهل حبه وقربه، وفيه تهديد لمن أقدم على ما ينبغي أن يتقي لا سيما الملاينة لأعداء الله من المساترين والمصارحين، فإن غاية ذلك موالاتهم وهي لا تغني من الله شيئاً)) (١).

٤ـ قال الألوسي: ((تعليل لما سبق أي إن الله تعالى عليم بجميع الأشياء التي من جملتها حاجتهم إلى البيان فيبين لهم وقيل إنه استئناف لتأكيد الوعيد المفهوم مما قبله وكذا قوله سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ ... ﴿يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ وقال غير واحد: إنه سبحانه لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبري عنهم رأسًا بيّن لهم أن الله سبحانه مالك كل موجود ومتولي أمره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصر إلا منه تعالى ليتوجهوا إليه جل شأنه بشراشرهم متبرئين عما سواه غير قاصدين إلا إياه)) (٢).

من خلال ما سبق نقله، ذكر الطاهر أنه لما أثبت لنفسه تعالى صفة العلم بكل شيء، أثبت لنفسه ملك السموات والأرض الذي يقتضي أن يكون عليمً ا بكل شيء من باب التأكيد فكأنها تذييل ثانٍ للآية قبلها، وأتى بعدها بالإحياء والإماتة لتصوير معنى الملك بشكل محسوس وتام، ثم ذكر النصرة لأن الله هو الناصر فلا يخشى المسلمون الكفارَ، وليعلموا أنهم منصورون، وهذا متعلق بما جاء سابقًا من الاستغفار للمشركين.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٣٩٥).

(٢) روح المعاني (٦/ ٢٧٧).

وعند الرازي أنه لما أمر بالبراءة من الكفار، بيّن أنه تعالى هو الملك الناصر، أو أنه بيّن لهم وجوب الانقياد لحكمه فهو الإله القادر.

وذكر أبو حيان أنه لما أثبت صفة العلم، أثبت القدرة الباهرة في السموات والأرض وفي عباده، ومن أعظمها الإحياء والإماتة.

وذكر البقاعي أنه لما ذكر علمه الشامل التام، ذكر قدرته على النصر والانتقام بذكر ملكه للسموات والأرض، ثم علل ذلك العلم، وتلك القدرة بشاهد هو الإحياء والإماتة، ثم ذكر النصرة والولاية.

وذكر الألوسي أنها تعليل لصفة العلم وتوكيد للوعيد، ثم ذكر أن الولاية والنصرة من عنده سبحانه في سياق الحديث عن البراءة وعدم الاستغفار للمشركين.

ومن خلال السابق بيانه، تشابهت المعاني المذكورة وكادت تتحد، ويظهر أن عبارة الطاهر أوفاها وأنسقها. ويمكن القول بأن المناسبة هي إثبات القدرة المطلقة لله تعالى بعد إثبات العلم، وتصوير تلك القدرة في مشهد محسوس وهو الإحياء والإماتة، ثم ذكر ولاية الله ونصرته ليتناسب مع غرض ذكر البراءة من المشركين وعدم الاستغفار لهم ولو كانوا أولي قربى. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

تؤكد الآيات أن النصر من الله المالك القادر، فلا قريب يُرجى نصره، ولا بعيد يُخشى غدره، فالله تعالى عليم بمن في السموات والأرض.

ويظهر أيضًا من خلال الآيات استخدام الصورة المحسوسة لقربها من النفوس، وإدراكها بالحواس، وأن في هذا الأسلوب أبلغ الأثر في إثبات الأمر وتقريره واقعًا مُعاشًا . وهذا مرتبط بما في الآية السابقة من الإتيان بالبينات والحجج الظاهرات قبل المؤاخذة . فالإسلام جاء بجميع الحجج العقلية والنقلية التي تدل على صحته، وأنه شريعة الله تعالى ومنهجه، فطاشت بذلك كل الأعذار.

٦٤ـ **المناسبة في قوله تعالى :** ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ (١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((انتقال من التحريض على الجهاد والتحذير من التقاعس والتوبيخ على التخلف ، وما طرأ على ذلك التحريض من بيان أحوال الناس تُجاه ذلك التحريض وما عقبه من أعمال المنافقين والضعفاء والجبناء إلى بيان فضيلة الذين انتدبوا للغزو واقتحموا شدائده، فالجملة استئناف ابتدائي)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما استقصى في شرح أحوال غزوة تبوك ، وبيّن أحوال المتخلفين عنها ، وأطال القول في ذلك على الترتيب الذي لخصناه في هذا التفسير ، عاد في هذه الآية إلى شرح ما بقي من أحكامها ومن بقية تلك الأحكام أنه قد صدر عن رسول الله ﷺ نوع زلة جارية مجرى ترك الأولى ، وصدر أيضاً عن المؤمنين نوع زلة، فذكر تعالى أنه تفضل عليهم وتاب عليهم في تلك الزلات)) (٣).

٢ـ قال أبو حيان: ((لما تقدم الكلام في أحوال المنافقين، من تخلفهم عن غزوة تبوك، واستطرد إلى تقسيم المنافقين إلى أعراب وغيرهم، وذكر ما فعلوا من مسجد الضرار ، وذكر مبايعة المؤمنين الله في الجهاد وأثنى عليهم وأنه ينبغي أن يباينوا المشركين حتى الذين ماتوا منهم بترك الاستغفار لهم ، عاد إلى ذكر ما بقي من أحوال غزوة تبوك ، وهذه شنشنة(٤) كلام العرب، يشرعون في شيء ثم يذكرون بعده أشياء مناسبة ، ويطيلون فيها، ثم يعودون إلى ذلك الشيء الذي كانوا شرعوا فيه)) (٥).

٣ـ قال البقاعي: ((ولما أشار إلى أنه هو وليهم أحياهم بروح منه مبين لهم ما يصلحهم وأنه لا ولي لهم غيره، أقام الدليل على ذلك بقوله: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ ﴾)) (٦).

---

(١) الآية (١١٧) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٤٩).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ١٧٠).

(٤) الشنشنة: الطبيعة والخليقة والسجية. انظر: لسان العرب (١٣/ ٢٤٣).

(٥) البحر المحيط (٥/ ١١٠).

(٦) نظم الدرر (٣/ ٣٩٦).

من خلال النقل السابق، ذكر الطاهر أنها استئناف انتقل به من الحديث عن الجهاد والتحريض عليه، وعن المتخلفين وأحوالهم، والمنافقين وأعمالهم، إلى بيان حال الفضلاء الذين انتدبوا للمعركة، وقاموا بالجهاد.

وما ذكره الطاهر هو عين معنى ما ذهب إليه الرازي وأبو حيان، حيث ذكرا أنه لما ف صّل أحوال المنافقين والمتخلفين عن غزوة تبوك، عاد إلى إكمال أحكام غزوة تبوك وأحداثها.

أما البقاعي فذكر أنه لما أخبر بأنه ولي المؤمنين، دلل على ذلك بأن أعلمهم بتوبته عليهم مما جنوه.

وتكون المناسبة الأنسب هي ما ذهب إليه الرازي وأبو حيان ووافقهم فيه ال طاهر، لأن الحديث في هذه الآية وما بعدها مختص بغزوة تبوك وأحداثها. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أسلوب من أساليب العرب وهو الشروع في حديث ما، ثم التفصيل في أمور متعلقة بذلك الحديث تتناسب معه، ثم العودة لذلك الحديث المبدوء به . وقد جاء القرآن الكريم بلغة العرب وأساليبهم ولكنه تحداهم بها وفَاقَهم بإعجازه.

٦٥ـ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((فهذه الآية بمنزلة التذييل للقصة فإن القصة مشتملة على ذكر قوم اتقوا الله فصدقوا في إيمانهم و جهادهم فرضي الله عنهم، وذِكر قوم كذبوا في ذلك واختلقوا المعاذ ير وحلفوا كذباًفغضب الله عليهم ، وقوم تخلفوا عن الجهاد وصدقوا في الا ع تراف بعدم العذر فتاب الله عليهم، فلما كان سبب فوز الفائزين في هذه الأحوال كلها هو الصدق لا جرم أمر الله المؤمنين بتقواه وبأن يكونوا في زمرة الصادقين مثل أولئك الصادقين الذين تضمنتهم القصة)) (٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال ابن عطية : ((هذا الأمر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين ، فجاء هذا الأمر اعتراضاً في أثناء الكلام إذ عن في القصة ما يجب التنبيه على امتثاله)) (٣).

٢ـ قال الرازي: ((واعلم أنه تعالى لما حكم بقبول توبة هؤلاء الثلاثة ذكر ما يكون كالزاجر عن فعل ما مضى، وهو التخلف عن رسول الله ﷺ في الجهاد فقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ في مخالفة أمر الرسول ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ يعني مع الرسول وأصحابه في الغزوات ولا تكونوا متخلفين عنها وجالسين مع المنافقين في البيوت)) (٤).

٣ـ قال أبو حيان : ((هو خطاب للمؤمنين ، أمروا بكونهم مع أهل الصدق بعد ذكر قصة الثلاثة الذين نفعهم صدقهم وأزاحهم عن ربقة النفاق ، واعترضت هذه الجملة تنبيهاً ا على رتبة الصدق، وكفى بها أنها ثانية لرتبة النبوة في قوله ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾(٥)))(٦).

---

(١) الآية (١١٩) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٥٤).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ٩٤ـ ٩٥).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ١٧٥).

(٥) جزء من الآية (٦٩) من سورة النساء.

(٦) البحر المحيط (٥/ ١١٣).

٤ــ قال البقاعي: ((ولما كان الذي نالوا به الإقبال من مولاهم عليهم - مما وصفهم به من الضيق وما معه - هو التقوى والصدق في الإيمان كما كان ما يجده الإنسان في نفسه مما الموت عنده والقذف في النار أحب إليه من التلفظ به صريح الإيمان بشهادة المصطفى ﷺ، رغّب سبحانه في الصدق))(١).

من خلال السابق نقله، ذكر الطاهر أن هذه الآية بمنزلة التذييل للقصة العجيبة، ولأحوال جميع المخلفين على اختلافهم، لبيان أن النجاة في جميع الأحوال كانت بسبب الصدق، لذا جاء الأمر بالتقوى والصدق كحال الثلاثة الذين اتقوا وصدقوا فأنجاهم الله وقبل توبتهم.

واعتبر ابن عطية أن الأمر بالتقوى والصدق بعد ذكر قصة الثلاثة اعتراض للتنبيه على امتثالهما .
وكذلك أبو حيان ذكر أنها اعتراض للتنبيه على أنهما يُخرِجان من دائرة النفاق، وعلى علو مرتبة الصدق.

وعند الرازي أنه لما ذكر قصة الثلاثة وتوبته عليهم، أتبعه بالأمر بالتقوى التي تبعث على الطاعة، ورغّبهم في الصدق الذي يبعث على الجهاد وعدم التخلف والنفاق. وهذا معنى ما ذهب إليه البقاعي.

ومن خلال ما سبق بيانه، فإن المناسبة التي ذكرها الطا هر أنسب وأجمل لختم أحداث قصة تبوك، التي نجا فيها من اتقى وصَدَق. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن عاقبة التقوى والصدق هي النجاة والفلاح، والخلوص من النفاق، فجاءت هذه الخاتمة أنسب ما يكون لختم قصة غزوة تبوك بالحثّ على أن يكون المؤمن متقيًا وصادقًا مهما كان حاله.

أيضًا في الآية تنبيه على أن التقوى والصدق لازمان لقبول التوبة، وفي كل الآيات السابقة في السورة ذُكرت التقوى إيماء أو إشارة أو تنبيهًا، إلا أنها جاءت هنا بالأمر الصريح مع الصدق للدلالة على أن التوبة يلزمها تقوى، وأن التقوى تحتاج لدليل يصدّقها، وهذا ما حدث في قصة الثلاثة الذين خلّفوا.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٣٩٩).

٦٦ـ المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((عطف على جملة ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾[2]، وهو انتقال من عداد الكُلف التي تصدر عنهم بلا قصد في سبيل الله إلى بعض الكلف التي لا تخلو عن استشعار من تحِل بهم بأنهم لقُوها في سبيل الله، فالنفقة في سبيل الله لا تكون إلا عن قصد يتذكر به المنفق أنه يسعى إلى ما هو وسيلة لِنصر الدين، والنفقةُ الكبيرة أدخل في القصد، فلذلك نبّه عليها وعلى النفقة الصغيرة ليعلم بذكر الكبيرة حكم النفقة الصغيرة لأن العلة في الكبيرة أظهر وكان هذا الإطناب في عدّ مناقبهم في الغزو لتصوير ما بذلوه في سبيل الله))[3].

من خلال السابق، ذكر الطاهر أن هذه الآية استمرار في تعداد مناقب المؤمنين في الجهاد، وتصوير لما بذلوه في سبيل الله عن قصد واعتناء كإنفاق أموالهم، بعد أن ذكر في الآية التي قبلها المشاق التي تعتريهم بلا قصد، فهو إطناب في تعداد مناقبهم في الجهاد.

ويظهر أن ما ذكره الطاهر هو إضافة جديدة ومما تفرد به على حد إطلاعي. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن الجهاد مشاق بدنية ومالية، وأن كل بذل مالي في سبيل الله مهم وذو دور، فلا يحتقر الإنسان نفقة بذلها قليلة كانت أو كثيرة. وربما كان ذكر النفقة والتفصيل فيها لكون الزمن وقت عسرة، وقد تشح النفوس بالقليل، وقد لا تجد الكثير. والله تعالى أعلم.

أيضًا ما جاء في الآية ينطبق على عدم احتقار أي معروف ولو كان صغيرًا، فرب كلمة أو نفقة أو فعل حسن ينفع أو يدفع، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

---

(١) الآية (١٢١) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٢٠) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٥٧ـ ٥٨).

٦٧ـ المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(١)

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((كان غالب ما تقدم من هذه السورة تحريضًا على الجهاد وتنديدًا على المقصرين في شأنه ، وانتهى الكلام قبل هذا بتبرئة أهل المدينة والذين حولهم من التخلف عن رسول الله ﷺ فلا جرم كانت قوة الكلام مؤذنة بوجوب تمحض المسلمين للغزو. وإذ قد كان من مقاصد الإسلام بث علومه وآدابه بين الأمة وتكوين جماعات قائمة بعلم الدين وتثقيف أذهان المسلمين كي تصلح سياسة الأمة على ما قصده الدين منها ، من أجل ذلك عُقب التحريض على الجهاد بما يبين أن ليس من المصلحة تمحض المسلمين كلهم لأن يكونوا غزاة أو جُندًا ، وأن ليس حظ القائم بواجب التعليم دون حظ الغازي في سبيل الله من حيث إن كليهما يقوم بعمل لتأييد الدين، فهذا يؤيده بتوسع سلطانه وتكثير أتباعه، والآخَرُ يؤيده بتثبيت ذلك السلطان وإعداده لأن يصدر عنه ما يضمن انتظام أمره وطول دوامه ، فإن اتساع الفتوح وبسالة الأمة لا يكفيان لاستبقاء سلطانها إذا هي خلت من جماعة صالحة من العلماء والسَّاسَة وأولي الرأي المهْتمين بتدبير ذلك السلطان ... وإذ قد كانت الآية السابقة قد حرضت فريقًا من المسلمين على الالتفاف حول رسول الله ﷺ في الغزو لمصلحة نشر الإسلام ناسب أن يُذكر عقبها نَفْر فريق من المؤمنين إلى رسول الله ﷺ للتفقه في الدين ليكونوا مرشدين لأقوامهم الذين دخلوا في الإسلام))(٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ـ قال ابن عطية : ((وتجيء هذه الآية مبينة لذلك مطردة الألفاظ مت صلة المعنى من قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ إلى قوله ﴿ يَحْذَرُونَ ﴾ بيّن في آخر الآية العموم الذي في أولها إذ هو معرض أن يتأول فيه ألا يتخلف بشر))(٣).

٢ـ قال الرازي: ((اعلم أنه يمكن أن يقال هذه الآية من بقية أحكام الجهاد ، ويمكن أن يقال إنها كلام مبتدأ لا تعلق لها بالجهاد.

(١) الآية (١٢٢) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٥٨ـ ٥٩).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ٩٦).

أما الاحتمال الأول ... والمعنى: أنه لا يجوز للمؤمنين أن ينفروا بكليتهم إلى الغزو والجهاد، بل يجب أن يصيروا طائفتين؛ تبقى طائفة في خدمة الرسول ، وتنفر طائفة أخرى إلى الغزو ، وذلك لأن الإسلام في ذلك الوقت كان محتاجاً إلى الغزو والجهاد وقهر الكفر، وأيضاً كانت التكاليف تحدث والشرائع تنزل ، وكان بالمسلمين حاجة إلى من يكون مقيماً بحضرة الرسول عليه السلام فيتعلم تلك الشرائع ، ويحفظ تلك التكاليف ويبلغها إلى الغائبين، فثبت أن في ذلك الوقت كان الواجب انقسام أصحاب رسول الله ﷺ إلى قسمين أحد القسمين ينفرون إلى الغزو والجهاد ، والثاني يكونون مقيمين بحضرة الرسول ، فالطائفة النافرة إلى الغزو يكونون نائبين عن المقيمين في الغزو ، والطائفة المقيمة يكونون نائبين عن النافرين في التفقه ، وبهذا الطريق يتم أمر الدين بهاتين الطائفتين...

وأما الاحتمال الثالث : وهو أن يقال هذه الآية ليست من بقايا أحكام الجهاد ، بل هو حكم مبتدأ مستقل بنفسه، وتقريره أن يقال إنه تعالى لما بيّن في هذه السورة أمر الهجرة ، ثم أمر الجهاد ، وهما عبادتان بالسفر ، بيّن أيضاً عبادة التفقه من جهة الرسول عليه السلام وله تعلق بالسفر)) [1].

٣ـ قال أبو حيان : ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنّ كلا النفيرين هو في سبيل الله ، وإحياء دينه، هذا بالعلم، وهذا بالقتال)) [2].

٤ـ قال البقاعي: ((ذلك مظنة أن لا يتخلف بعدها أحد عن رسول الله ﷺ وعمن يقوم مقامه فيتمكن حينئذ الأعداء من الأموال والذراري والعيال، فأتبع ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي الذين حثهم على النَّفر الرسوخ في الإيمان ﴿لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ أي جميعًا فإن ذلك يخل بكثير من الأغراض الصالحة، وهو تعليم لما هو الأنسب بالدين والدنيا من انقسام الناس قسمين: قسمًا للجهاد، وقسمًا للنفقة وحفظ الأموال والأولاد، كل ذلك بأمره عليه الصلاة والسلام والعمل بما يرضاه، ولا يخفى ذلك على المخلص)) [3].

٥ـ قال الألوسي: ((والمراد نهيهم عن النفير جميعاً لما فيه من الإخلال بالتعلم)) [4].

من خلال المنقول السابق، ذكر الطاهر أنه بعد التحريض الشديد على الجهاد، بيّن أن التمحض فيه وترك التعلم والتفقه ليس من مصلحة المسلمين، لذا عقّب بهذه الآية لبيان أن الغزو والعلم عملان يقومان في تأييد الدين وتثبيته. ثم ذكر الطاهر التناسب بين افتتاح هذه الآية وما قبلها.

---

(١) التفسير الكبير (١٦/ ١٧٩ـ ١٨٠).

(٢) البحر المحيط (٥/ ١١٦).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٤٠٢).

(٤) روح المعاني (٦/ ٢٨٨).

وهذا المعنى هو ما ذهب إليه المفسرون على اختلاف ألفاظهم إلا أن الرازي ذكر أن الآية إما متعلقة بالجهاد، فتكون المناسبة هي أنه لما ذكر المنافقين وفضحهم لتخلفهم، وحرّض على الجهاد، فكان المؤمنون يتسارعون للنفير كلهم حتى لا يُكتبوا من المنافقين، وكان الإسلام بحاجة للغزو، وكانت الشرائع تنزل، فجاءت هذه الآية لينقسم المسلمون إلى قسمين، قسم للجهاد، وآخر للتفقه . وفي هذا المعنى وافق الرازي بقية المفسرين، والقول الثاني للرازي أنها ابتداء غير متعلقة بالجهاد، فذكر أنه لما بيّن في السورة أمر الهجرة ثم الجهاد وكلاهما عبادتان فيها سفر، بيّن هنا أن التفقه في الدين عبادة لها تعلق بالسفر . وهذا معنى لطيف لكنه لا يتناسب وسياق الآيات.

وأولى المناسبات هو ما ذكره الطاهر ووافق فيه بقيةَ المفسرين إلا أن الطاهر تميز بحسن العرض ودقة الفهم، وهذه إضافة جديدة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أن العلم والجهاد سبيلان لنشر الدين، وفي طلب العلم جهاد، وفي الجهاد علوم وآداب، وعلى الأمة أن لا تُغفل جوانب الإصلاح الأخرى كالتعليم والتعمير، فتتلاقى جميع الجهود من جهاد وتعليم وعمران، كل طائفة وفرقة تقوم بدورها، فهذا يجاهد بعلمه وطلبه للعلم، وذاك يجاهد بسلاحه ودحر العدو، فيزول كل باطل، ولا تبقى حجة لمحتج.

٦٨ـ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((فالجملةُ مستأنفة استئنافاًابتدائياً تكملة للأمر بما يتعيّن على المسلمين في ذيول غزوة تبوك . وفي توجيه الخطاب للذين آمنوا دون النبي إيماء إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام لا يغزو بعد ذلك وأن أجله الشريف قد اقترب . ولعل في قوله: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ إيماء إلى التسلية على فقد نبيهم عليه الصلاة والسلام وأن الله معهم))(٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال أبو حيان: ((لما حضّ تعالى على التفقه في الدين، وحرّض على رحلة طائفة من المؤمنين فيه، أمر تعالى المؤمنين كافة بقتال من يليهم من الكفار، فجمع من الجهاد جهاد الحجة وجهاد السيف))(٣).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما علمت المقاصد وتهيأت القلوب لقبول الفوائد، وأمر بالإنذار بالفقه، وكان من الناس من لا يرجع إلا بشديد البأس، أقبل على الكل مخاطباً لهم بأدنى أسنان القلوب ليتوجه إلى الأدنى ويتناول الأعلى منه من باب الأولى)) (٤).

من خلال السابق، ذكر الطاهر أن هذه الآية مستأنفة لإكمال ما يتعيّن على المسلمين بعد غزوة تبوك، ولم يُخاطِب النبي هنا مع المؤمنين إيماء إلى أن النبي ﷺ لا يغزو بعد ذلك ولاقتراب أجله، وأخبرهم بأنه معهم تسلية لقلوبهم على فقده ﷺ.

وعند أبي حيان أنه لما حضهم على التفقه وطلبه، أَمَر بقتال من يليهم من الكفار، فجمع جهاد الحجة والسيف.

أما البقاعي فذكر أنه لما تبينت المقاصد، وأمر بالإنذار بالفقه، وكان من الناس من لا يستجيب، أَمَر بقتال الكفار الذين يلونهم ثم ما بعدهم.

من خلال ما سبق بيانه، تكون المناسبة التي ذكرها الطاهر أنسب للسياق، وتعد من إضافاته . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

---

(١) الآية (١٢٣) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٦٣).

(٣) البحر المحيط (٥/ ١١٧).

(٤) نظم الدرر (٣/ ٤٠٣).

في الآية بلاغ أخير وأمر للمؤمنين بقتال الأقرب من الكفار ثم الأبعد، فكأنه لما حرّضهم على الجهاد، وأمرهم بالتفقه والعلم، وضع لهم الخ طة التي يسيرون عليها في الجهاد، والقاعدة التي يجب اتباعها كما اتبعها رسول ﷺ في جهاده: وهي البدء بالأقرب فالأقرب في نشر الدين الإسلامي، كما بدأت الدعوة الغراء بالمقربين ثم الأبعد فالأبعد.

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾: ((تأييد وتشجيع ووعد بالنصر إن اتقوا بامتثال الأمر بالجهاد)) [(١)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية: ((ثم وعد تعالى في آخر الآية وحض على التقوى التي هي ملاك الدين والد نيا وبها يلقى العدو)) [(٢)].

٢ــ قال البقاعي: ((ولما كان التقدير: وليكن كل ذلك مع التقوى لا بسبب مال ولا جاه فإنها ملاك الأمر كله، قال منبهًا على ذلك بقوله: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي الذي له الكمال كله ﴿ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ فلا تخافوا أن يؤدي شيء من مصاحبتها إلى وهن فإن العبرة بمن كان الله معه)) [(٣)].

٣ــ قال الألوسي: ((بالعصمة والنصرة، والمراد بهم المخاطبون والإظهار للتنصيص على أن الإيمان والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين... فالكلام تعليل وتأكيد لما قبله)) [(٤)].

من خلال ما سبق نقله، اتفقت مناسبة الطاهر مع ما ذكره ابن عطية والبقاعي، ومعنى كلامهم أنه ذيّل الآية بالإعلام بأنه تعالى مع المتقين، حضًا على التقوى ولتكون الباعث على القتال والغلظة، وتأكيدًا للنصر إن امتثلوا الجهاد وأحكامه التي ارتضاها الله تعالى.

وجعلها الألوسي تعليلاً وتأكيدًا لما قبلها، وفيه كذلك معنى الوعد والتشجيع للمجاهدين

ومما سبق بيانه فالمناسبات جميعها ذات معانٍ متقاربة. والله تعالى أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (١١/ ٦٤).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٩٧ــ ٩٨).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٤٠٤).

(٤) روح المعاني (٦/ ٢٩٠).

أثر المناسبة:

لما أوضحت الآيات الطريقة التي يجب امتثالها في جهاد الكفار، والغلظة وقت المعركة على المحاربين، جاء الحضّ على التقوى لينقطع كل داعٍ للجهاد، وكل مطمع في القتال، غير إعلاء كلمة الله ونشر دينه، وليُعلَم أن النصر حليف المتقين، وأن الله معهم ولن يخذلهم، فلا تُخشى قوة في الأرض، ولكي تُطبّق أحكام الجهاد وآدابه المشروعة على تقوى من الله.

٦٩ــ المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((عطف على قوله : ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ ﴾(٢) وهذا عود إلى بيان أحوال المنافقين وما بينهما اعتراضات: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾(٣) ، ولما في قوله قبل هذا: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ ﴾ (٤))) (٥).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال أبو حيان: ((ولما استطرد من سفر الغزو وتأنيب المتخلفين عن الرسول إلى سفر التفقه في الدين ، ثم أمر بقتال من يلي من الكفار ، والغلظة عليهم عاد إلى ذكر مخازي المنافقين ، إذ هم الذين نزل معظم السورة فيهم وكان في الآية قبلها إشارة إلى الغلظة على الكفار وهم منهم)) (٦).

٢ــ قال البقاعي: ((ولما ذكر هذه السورة أي الطائفة الحاضة بصيغة " لولا " على النفر مع رسول الله ﷺ الآمرة بجهاد الكفار والغلظة عليهم، وكان لا يحمل على ذلك إلا ما أشار إليه ختم الآية السالفة من التقوى بتجديد الإيمان كلما نزل شيء من القرآن، وكان قد ذكر سبحانه المخالفين لأمر الجهاد بالتخلف دون أمر الإيمان حين قال ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾(٧) التفت إلى ذلك ليذكر القسم الآخر وهو القاعد عن الإيمان فقال : ﴿ وَإِذَا ﴾ وأكد بزيادة النافي ترتيبًا على فضل الإيمان فقال: ﴿ مَآ ﴾. ولما كان المنكي لهم مطلق النزول، بني للمفعول قوله: ﴿ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ ﴾ أي قطعة من القرآن، أي في معنى من المعاني))(٨).

---

(١) الآية (١٢٤) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (٨٦) من سورة التوبة.

(٣) جزء من الآية (١٢٥) من سورة التوبة

(٤) جزء من الآية (١٢٣) من سورة التوبة.

(٥) التحرير والتنوير (١١/ ٦٤ــ ٦٥).

(٦) البحر المحيط (٥/ ١١٨).

(٧) جزء من الآية (٨٦) من سورة التوبة.

(٨) نظم الدرر (٣/ ٤٠٤).

من خلال السابق نقله، ذكر الطاهر أن هذه الآية عود إلى بيان أحوال المنافقين، وهي معطوفة على ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾وما بينهما اعتراضات.

أما أبو حيان فقد ذكر أنه بعد الاستطراد في سفر القتال والتفقه، والأمر بجهاد الأقرب من الكفار، فلما ذكر القتال والغلظة على هؤلاء، وكانت السورة تنزل في المنافقين، كان ذلك إشارة إلى المنافقين، فعاد إلى بيان مخازيهم.

وعند البقاعي أنه لم سبق وذَكَر المخالفين لأمر الجهاد دون الإيمان بالتخلف في ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾، ثم ذكر الأمر بجهاد الكفار والغلظة عليهم، وجدد الإيمان بالتقوى، التفت هنا لذكر القسم القاعد عن الإيمان . وذكر البقاعي أنه جاء بالتأكيد تنبيهًا على فضل الإيمان.

من خلال ما سبق بيانه، فإن الجميع متفق على أنه عود للحديث عن المنافقين، ولكنهم اختلفوا في ربطها بما قبلها. وأنسب الأقوال بدون تكلف هو ما ذهب إليه الطاهر. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

استطراد أخير في ذكر فئة المنافقين وعودة إلى بيان مخازٍ أخرى ليكون ختام الحديث عنهم في هذه السورة.

المناسبة الثانية: قال الطاهر: ((والفاء في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ للتفريع على حكاية استفهامهم بحملهِ على ظاهر حاله وصرفه عن مقصدهم منه . وتلك طريقة الأسلوب الحكيم، وهو : تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده لنكتة ، وهي هنا إبطال ما قصدوه من نفي أن تكون السورة تزيد أحدًا إيمانًا قياساً على أحوال قلوبهم فأجيب استفهامهم بهذا التفصيل المتفرع عليه، فأثبت أن للسورة زيادة في إيمان بعض الناس وأكثرَ من الزيادة، وهو حصول البشر لهم . وارتُقِيَ في الجواب عن مقصدهم من الإنكار بأن السورة ليست منفياً عنها زيادة في إيمان بعض الناس فقط بل الأمر أشد إذ هي زائدة في كفرهم ، فالقِسم الأول المؤمنون زادهم إيماناً وأكسبتهم بشرى فحصل من السورة لهم نفعان عظيمان، والقسم الثاني الذين في قلوبهم مرض زادهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون. فالوجه أن تكون جملة ﴿ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ معطوفة على جملة: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ وأن تكون جملة: ﴿ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ

﴿ كَٰفِرُونَ ﴾ معطوفة على جملة: ﴿ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا ﴾[1] لأن مضمون كلتا الجملتين مما أثرته السورة . أما جملة: ﴿ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ فهي حال من ضمير ﴿ وَمَاتُواْ ﴾. وقوبل قوله: ﴿ وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ في جانب المؤمنين بقوله: ﴿ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ في جانب المنافقين تحسيناً بالازدواج، بحيث كانت للسورة فائدتان للمؤمنين ومصيبتان على المنافقين، فجُعل موهم على الكفر المتسبب على زيادة السورة في كفرهم بمترلة مصيبة أخرى غير الأولى وإن كانت في الح قيقة زيادة في المصيبة الأولى . هذا وجه نظم الآية على هذا النسج من البلاغة والبديع، وقد أغفل فيما رأيت من التفاسير، فمنها ما سكت عن بيانه . ومنها ما نُشرت فيه معاني المفردات وترك جانب نظم الكلام))[2].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال ابن عطية : ((ثم ابتدأ ﷻ الرد عليهم والحكم بما يهدم لبسهم ، فأخبر أن المؤمنين الموقنين قد زادهم إيماناً، وأنهم يستبشرون من ألفاظها ومعانيها برحمة الله ورضوانه))[3].

٢ــ قال الرازي: ((ثم إنه تعالى أجاب فقال إنه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة أمران، وحصل للكافرين أيضاً أمران، أما الذي حصل للمؤمنين: فالأول: هو أنها تزيدهم إيماناً إذ لا بد عند نزولها من أن يقروا بها ويعترفوا بأنها حق من عند الله ،... والثاني: ما يحصل لهم من الاستبشار ...ثم جمع للمنافقين أمرين مقابلين للأمرين المذكورين في المؤمنين ، فقال ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[4] يعني المنافقين ﴿ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ ﴾...والأمر الثاني: أنهم يموتون على كفرهم ، فتكون هذه الحالة كالأمر المضاد للاستبشار الذي حصل في المؤمنين ، وهذه الحالة أسوأ وأقبح من الحالة الأولى وذلك لأن الحالة الأولى عبارة عن ازدياد الرجاسة، وهذه الحالة عبارة عن مداومة الكفر وموهم عليه))[5].

٣ــ قال البقاعي: ((﴿ فَمِنۡهُم ﴾ أي من المترل إليهم ﴿ مَّن يَقُولُ ﴾ أي إنكارًا واستهزاء، وهم المنافقون ﴿ أَيُّكُمۡ ﴾ أي أيها العصابة المنافقة ﴿ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ ﴾ إيهامًا لأنهم متصفون بأصل الإيمان، لأن الزيادة ضم الشيء إلى غيره مما يشاركه في صفته، هذا ما يظهرون تستراً ا، وأما حقيقة حالهم عند أمثالهم

---

(١) جزء من الآية (١٢٥) من سورة التوبة.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٦٥ــ ٦٦).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ٩٨).

(٤) جزء من الآية (١٢٥) من سورة التوبة.

(٥) التفسير الكبير (١٦/ ١٨٣).

فالاستهزاء استبعادًا لكونها تزيد أحدًا في حاله شيئًا، وسبب شكهم واستفهامهم أن سامعيها انقسموا إلى قسمين: مؤمنين ومنافقين، ولذلك أجاب تعالى بقوله مسببًا عن إنزالها: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾))[1].

٤_ قال الألوسي: ((﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ جواب من جهته تعالى شأنه وتحقيق للحق وتعيين لحالهم عاجلاً وآجلاً. وقال بعض المدققين إن الآية دلت على أنهم مستهزئون وأن استهزاءهم منكر فجاء قوله تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[2] الخ تفصيلاً لهذين القسمين))[3].

من خلال المنقول السابق، ذكر الطاهر أن هذا التفريع جواب على استفهامهم بغير ما كانوا يترقبون، فبيّن أن الذين آمنوا زادتهم إيمانًا وبشرى، وهاتان فائدتان عظيمتان، فأبطل ما قصده المنافقون من أن السورة لا تزيد أحدًا إيمانًا قياسًا على أنفسهم، وزاد في الجواب بأنها تزيدهم كفرًا ورجسًا على ما هم فيه ويموتون عليه، وهاتان مصيبتان عظيمتان. وبمثل هذا المعنى قال الرازي، إلا أنه يظهر حسن عرض الطاهر للمناسبة، وصبغها بالصبغة البلاغية، وهو مما يعتبر من إضافاته.

واقتصرت أقوال المفسرين على أن الإتيان بقوله تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ جواب وبيان لحال المنافقين الذي استهزأوا وأنكروا زيادة الإيمان باستفهامهم، وهذا الجواب بيّن كونهم فريقين في التأثر بالمنزّل.

ومن خلال ما سبق يكون هذا التفريع جوابًا وردًّا على المنافقين من الله تعالى إبطالاً لمزاعمهم بذكر ما يحصل للمؤمنين وما يحصل للمنافقين، وما ذكره الطاهر والرازي أوفى. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أثر القرآن الكريم على المنافقين، فهذه هي آخر الآيات التي نزلت في هذه السورة بالحديث عنهم، وهذه صفة أخرى وعلامة فارقة، تُضاف إلى قائمة صفاتهم القبيحة السابقة.

وتُبيّن الآية طريقة المنافقين في تلقي آيات الله، وهي التساؤل في ريب وشك عن أثر السورة في زيادة الإيمان الذي يدّعونه. فبيّن الله حالهم، وندد به، وبيّن حال المؤمنين المعاكس ونوّه به، وهذا دليل على أن الإيمان يزيد وينقص.

---

(١) نظم الدرر (٣/ ٤٠٤).

(٢) جزء من الآية (١٢٥) من سورة التوبة.

(٣) روح المعاني (١١/ ٢٩١).

ويظهر من نظم الآية إتيان الجواب مفرعًا غير مرتقب لدحض ما ذهبوا إليه، وقَلبِ استفهامهم المتهكم عليهم، وبيان عاقبتهم، وهكذا يجب أن يكون الرد على أهل الباطل، سريعًا مباشرًا واضح النتائج.

٧٠_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[(١)]

قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها : ((عطف على جملة ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ [(٢)] إلى آخره فهي من تمام التفصيل)) [(٣)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أن الله تعالى لما بيّن أن الذين في قلوبهم مرض يموتون وهم كافرون ، وذلك يدل على عذاب الآخرة، بيّن أنهم لا يتخلصون في كل عام مرة أو مرتين عن عذاب الدنيا)) [(٤)].

٢_ قال أبو حيان: ((لما ذكر أنهم بموتهم على الكفر رائحون إلى عذاب الآخرة، ذكر أنهم أيضاً في الدنيا لا يخلصون من عذابها)) [(٥)].

٣_ قال البقاعي: ((ولما كان التقدير تسبيباً عما جزم به من الحكم بعراقتهم في الرجس وازديادهم منه : أفلا يرون إلى تماديهم في النفاق وثباتهم عليه؟ عطف عليه تقريرهم بعذاب الدنيا والإنكار عليهم)) [(٦)].

من خلال النقل السابق، اتفقت معاني أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية رغم اختلاف ألفاظهم.

فلما ذُكر في الآية السابقة أن من عذاب المنافقين موتهم وهم كافرون، وكان هذا عذابهم في الآخرة، فصّل هنا عذابهم في الدنيا وزيادة الرجس المذكور في الآية الس ابقة، بأنهم يفتنون في كل عام . والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

رغم جميع المنبهات، والتذكير بشتى الأساليب والوسائل، إلا أن المنافقين لا يرتدعون، فلا هم يتوبون ولا هم يذّكرون، لذا جمعوا مع عذاب الآخرة، عذاب الدنيا المتكرر من الفتن والمحن وغيرها، والعياذ بـالله من ذلك كله.

---

(١) الآية (١٢٦) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٢٥) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٦٧).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ١٨٤).

(٥) البحر المحيط (٥/ ١١٩).

(٦) نظم الدرر (٣/ ٤٠٥).

٧١_ المناسبات في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ (١)

المناسبة الأولى: قال الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: ((عطف على جملة: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ ﴾ (٢) والظاهر أن المقصود عطف جملة: ﴿ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ على جملة: ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ ﴾. وإنما أعيدت جملة الشرط لبعد ما بين الجملة المعطوفة وجملة الجزاء، أو للإشارة إلى اختلاف الوقت بالنسبة للنزول الذي يقولون عنده ﴿ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ ﴾ وبالنسبة للسورة التي عند نزولها ينظر بعضهم إلى بعض، أو لاختلاف السورتين بأن المراد هنا سورة فيها شيء خاص بهم)) (٣).

المناسبة الثانية: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾: ((بيان لجملة ﴿ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ لأن النظر تفاهموا به فيما هو سِرّ بينهم؛ فلما كان النظر نظر تفاهم صح بيان جملته بما يدل على الاستفهام التعجيبي، ففي هذا النظم إيجازُ حذف بديعٌ دلت عليه القرينة . والتقدير: وإذا ما أنزلت سورة فيها فضيحةُ أمرهم نظر بعضهم إلى بعض بخائنة الأعين مستفهمين متعجبين من اطلاع النبي ﷺ على أسرارهم، أي هل يراكم من أحد إذا خلوتم ودبرتم أموركم، لأنهم بكفرهم لا يعتقدون أن الله أطْلع نبيه عليه الصلاة والسلام على دخيلة أمرهم)) (٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال أبو حيان : ((ذكر أولاً ما يحدث عنهم من القول على سبيل الاستهزاء ثم ذكر ثانيًا ما يصدر منهم من الفعل على سبيل الاستهزاء وهو الإيماء والتغامز بالعيون إنكارًا للوحي وسخرية ... نظر بعضهم إلى بعض على جهة التقرير يفهم من تلك النظرة التقرير هل يراكم من ينقل عنكم هل يراكم من أحد حين تدبرون أموركم ثم انصرفوا أي عن طريق الاهتداء وذلك أنهم حين ما بين لهم كشف أسرارهم

---

(١) الآية (١٢٧) من سورة التوبة.

(٢) جزء من الآية (١٢٤) من سورة التوبة.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٦٨).

(٤) المصدر السابق (١١/ ٦٩).

والإعلام بمغيبات أمورهم يقع لهم لا محالة تعجب وتوقف ونظر فلو اهتدوا لكان ذلك الوقت مظنة النظر الصحيح والاهتداء)) (1).

٢ـ البقاعي: ((ولما ذكر ما يحدث منهم من القول استهزاء، أتبعه تأكيداً لزيادة كفرهم وتوضيحاً لتصويره ما يحدث من فعلهم استهزاء من الإيمان والتغامز بالعيون)) (2).

قال الألوسي: ((بيان لأحوالهم عند نزولها وهم في محفل تبليغ الوحي كما أن الأول بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه)) (3).

من خلال ما سبق نقله، يذكر الطاهر أن هذه الآية معطوفة على أختها، فقد جاء في الأولى استفهام المنافقين عند نزول السورة عن زيادتها للإيمان، وفي هذه عَطَفَ عليها حالة أخرى من استهزائهم وهي نظرهم إلى بعضهم البعض.

وبالتأمل فيما ذكره بقية المفسرين، فإن معاني المناسبات المذكورة واحد ولكن الألفاظ مختلفة.

فتكون المناسبة أنه لما بيّن مقالتهم المُستهزئة عند نزول السورة، بيّن بعد ذلك أفعالهم المُستهزئة حال نزول السورة وكونهم في مجلس الوحي. والله تعالى أعلم.

وذكر الطاهر ـ في مناسبته الثانية ـ وأبو حيان أنه لما ذكر تغامزهم بالنظر إلى بعضهم البعض، أتبعه بذكر استفهامهم التعجبي من إطلاع النبي ﷺ على أسرارهم ومكائدهم دليلاً على كفرهم وبُعدهم عن الاهتداء. وهي مناسبة واضحة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان أساليب المنافقين في الاستهزاء من الوحي حين نزوله، فتارة بالمقول وتارة بالفعل.

المناسبة الثالثة: قال الطاهر في مناسبة قوله ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾: ((وزيادة جملة: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ﴾ لإفادة أنهم لم يكتسبوا من نزول السورة التي أطلعت المؤمنين على أسرارهم عبرةً ولا قُرباً من الإيمان، بل كان قصارى أمرهم التعجب والشك في أن يكون قد اطلع عليهم من يبوح بأسرارهم ثم انصرفوا كأن لم تكن عبرة. وهذا من جملة الفتن التي تحل بهم ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون. وجملة: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ مستأنفة استئنافاً بيانياً، لأن ما أفاده قوله: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ﴾ من عدم انتفاعهم بما في تلك

---

(1) البحر المحيط (٥/ ١٢٠).

(2) نظم الدرر (٣/ ٤٠٦).

(3) روح المعاني (٦/ ٢٩٢).

السورة من الإخبار بالمغيبات الدال على صدق الرسول ﷺ يثير سؤال من يسأل عن سَبب عدم انتفاعهم بذلك واهتدائه م، فيجاب بأن الله صرف قلوبهم عن الفهم بأمر تكو يني فحُرموا الانتفاع بأبلغ واعظ)) [(١)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١ــ قال أبو حيان: ((لما كان الكلام في معرض ذكر التكذيب بدأ بالفعل المنسوب إليهم وهو قوله ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ﴾ ثم ذكر فعله تعالى بهم على سبيل المجازاة لهم على فعلهم)) [(٢)].

٢ــ قال البقاعي: ((ولما كان انصرافهم عن مثل هذا المقام مستهجنًا، أشار إلى شدة قبحه بأداة الترا خي فقال: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ﴾ أي إن لم يكن أحد يراهم، وإن رآهم أحد من المؤمنين تجشموا المشقة وثبتوا؛ ولما كانوا مستحقين لكل سوء، أخبر عنهم في أسلوب الدعاء بقوله : ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ ﴾ أي الذي له الغنى المطلق والكمال كله ﴿قُلُوبَهُم ﴾ أي عن الإيمان)) [(٣)].

من خلال ما سبق نقله، تفاوتت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الجملة.

فيذكر الطاهر أنه لما ذكر انصرافهم وعدم انتفاعهم بالهدى، كان ذلك مثار سؤال سائل عن السبب في عدم الانتفاع، فبيّن أنه تعالى صرف قلوبهم.

وذكر أبو حيان أنهم لما قاموا بالانصراف، أتبعه ببيان فعل الله لهم على سبيل المجازاة.

أما البقاعي فذكر أنهم لما انصرفوا وكان فعلهم قبيحًا في هذا المقام، قابل ذلك بالدعاء عليهم بصرف قلوبهم.

ومن خلال ما سبق بيانه، تتشابه مناسبتا أبي حيان والبقاعي، وتكون مناسبة الطاهر من إضافاته . وجميع ما ذكروه من مناسبات متلائم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

بيان مجازاة الله تعالى للمنصرفين عن هديه، والمعرضين عن وحيه، بصرف قلوبهم ومنعهم من الانتفاع لأنهم منعوا أنفسهم ابتداء.

والانصراف والإعراض صفة من صفات المنافقين، وخصلة قبيحة اتصفوا بها.

---

(١) التحرير والتنوير (١١/ ٦٩).

(٢) البحر المحيط (٥/ ١٢٠).

(٣) نظم الدرر (٣/ ٤٠٦).

٧٢_ المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١)

قال الطاهر في م ناسبة هاتين الآيتين لما قبلها : ((كانت هذه السورة سورة شدة وغلظة على المشركين وأهل الكتاب والمنافقين من أهل المدينة ومن الأعراب، وأمْرً ا للمؤمنين بالجهاد، وإنحاء على المقصرين في شأنه. وتخلل ذلك تنويه بالمتصفين بضد ذلك من المؤمنين الذين هاجروا والذين نصروا و اتبعوا الرسول في ساعة العسْرة. فجاءت خاتمة هذه السورة آيتين بتذكيرهم بالمنة ببعثة محمد ﷺ والتنويه بصفاته الجامعة للكمال. ومن أخصها حرصهُ على هداهم ، ورغبته في إيمانهم ودخولِهم في جامعة الإسلام ليكون رؤوفاً رحيمً ا بهم ليعلموا أن ما لقيه المعرضون عن الإسلام من الإغلاظ عليهم بالقول والفعل ما هو إلا استصلاح لحالهم. وهذا من مظاهر الرحمة التي جعلها الله تعالى مقارنة لبعثة رسو له ﷺ بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢)، بحيث جاء في هاتين الآيتين بما شأنه أن يزيل الحرج من قلوب الفرق التي نزلت فيهم آيات الشدة وعوملوا بالغلظة تعقيباً للشدة بالرفق وللغلظة بالرحمة، وكذلك عادة القرآن . فقد انفتح بهاتين الآيتين باب حظيرة الإيمان والتو بة ليدخلها من وفقه الله إليها . فالجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً. وفي وقوعها آخر السورة ما يكسبها معنى التذييل والخلاصة)) (٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

١_ قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما أمر رسوله عليه السلام أن يبلغ في هذه السورة إلى الخلق تكاليف شاقة شديدة صعبة يعسر تحملها إلا لمن خصه الله تعالى بوجوه التوفيق والكرامة، ختم السورة بما يوجب سهولة تحمل تلك التكاليف، وهو أن هذا الرسول منكم، فكل ما يحصل له من العز والشرف في الدنيا فهو عائد إليكم. وأيضاً فإنه بحال يشق عليه ضرركم وتعظم رغبته في إيصال خير الدنيا والآخرة إليكم ، فهو كالطبيب المشفق والأب الرحيم في حقكم، والطبيب المشفق ربما أقدم على علاجات صعبة يعسر تحملها، والأب الرحيم ربما أقدم على تأديبات شاقة ، إلا أنه لما عرف أن الطبيب حاذق ، وأن الأب مشفق ، صارت تلك المعالجات المؤلمة متحملة ، وصارت تلك التأديبات جارية مجرى الإحسان . فكذا ههنا لما عرفتم أنه رسول حق من عند الله، فاقبلوا منه هذه التكاليف الشاقة لفوزوا بكل خير)) (٤).

---

(١) الآية (١٢٨) من سورة التوبة.

(٢) الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء.

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٧٠).

(٤) التفسير الكبير (١٦/ ١٨٦_ ١٨٧).

٢ـ قال أبو حيان : ((لما بدأ السورة ببراءة الله ورسوله من المشرك ين، وقص فيها أحوال المنافقين شيئًا فشيئاً خاطب العرب على سبيل تعداد النعم عليهم والمن عليهم ، بكونه جاءهم رسول من جنسهم، أو من نسبهم عربيًا قرشيًا يبلغهم عن الله متصف بالأوصا ف الجميلة، من كونه يعز عليه مشقتهم في سوء العاقبة من الوقوع في العذاب، ويحرص على هداهم، ويرأف بهم ويرحمهم)) (١).

٣ـ قال البقاعي: ((ولما أمر ﷺ أن يبلغ هذه الأشياء الشاقة جدًا من أمر هذه السورة، وكان من المعلوم أنه لا يحمل ذلك إلا من وفقه الله تعالى، وأما المنافقون فيكرهون ذلك وكان انصرافهم دالاً على الكراهة، عرفهم أن الأمر كان يقتضي توفر دواعيهم على محبة هذا الداعي لهم المقتضي لملازمته والبعد عما يفعلونه به من الانصراف عنه، وأن أحواله الداعية لهم إلى محبته أعظم من أحوال آبائهم التي أوجبت لهم منهم من المحبة وعليهم من الحقوق ما هم مفتخرون بالتلبس به والمغالاة فيه، وأن كل ما يحصل بهذا القرآن من العز والشرف في الدنيا فهو لكل من آمن به فقال: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾)) (٢).

من خلال ما سبق نقله، تقاربت أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية.

فالمناسبة عند الطاهر أنه لما جاء في السورة بأوامر وتكليفات، وتنويهات بالمؤمنين المجاهدين المنفقين والتائبين، وتنديدات بالمنافقين والمتخلفين والأعراب المتشددين، وبراءة من أهل الكتاب والمشركين، ناسب أن يختم السورة بالتذكير النعمة المسداة، والرحمة المهداة، محمد سيد خلق الله ﷺ، وبصفاته الجامعة للكمال والرحمة، فكل ما جاء به من تشريعات هو لإصلاح حال الناس وشفقة بهم، وقد جاءت هذه الخاتمة بعد ذكر الغلظة والشدة كعادة القرآن الكريم، فاتحة باب التوبة والرحمة للجميع.

وعند الرازي أنه لما جاءت السورة بتكاليف ومشاق، ختم السورة بسهولة ما يوجب تحملها ب أن مبلغها هو رسول الله ﷺ من أنفسكم، وما جاء به فيه عزكم، وعائد إليكم بالخير إذا طبقتموه دنيا وأُخرى.

وذكر أبو حيان أنه لما افتتح السورة بالبراءة من المشركين، وحكى أحوال المنافقين، جاء هنا بمخاطبة العرب بالمن عليهم ببعثة الرسول ﷺ منهم، وباتصافه بصفات جهلة جليلة.

وذكر البقاعي أنه لما أُمر الرسول ﷺ ببلاغ ما في هذه السورة، وكان المنافقون يكرهون ذلك وينصرفون عنه، جاء هنا ببيان الدواعي التي تقتضي محبة الرسول ﷺ والإقبال عليه، وأن كل ما جاء به هو شرف لهم في الدنيا.

---

(١) البحر المحيط (٥/ ١٢٠).

(٢) نظم الدرر (٣/ ٤٠٧).

وجميع ما ذُكر من مناسبات يلتقي في أن هذا الختام جاء بعد الأوامر الشديدة التي تضمنتها هذه السورة، وأنسبها وألطفها أن ذكر الرسول ﷺ هنا وهو المرسل رحمة للعالمين بعد هذه التكاليف، فيه فتح لباب التوبة، وامتنان بالنعم، ودعوة للامتثال.

ومما سبق يظهر تميز الطاهر في حسن العرض، وجودة السبك، وجعل هذ ه الآية كأنها تذييل للسورة، وخلاصة لها. وهو مما تفرد به على غيره من المفسرين. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

١ـ ذُكِر الرسول ﷺ في أول آية من هذه السورة خلال الحديث عن البراءة والشدة على المشركين بنبذ عهودهم، وذُكر الرسول ﷺ هنا في الختام في سياق الامتنان وتعداد النعم والرحمات وهو المبعوث رحمة للعالمين والمبلغ لشرع الله، وهذا يدل على أن كل ما تضمنته السورة من تكليفات شديدة هي في النهاية رحمة وخير وفلاح.

٢ـ رغم كل الشدة والغلظة التي حوتها السورة من أولها لآخرها، إلا أنه فتح في كثير من المواضع باب التوبة للناس كافة، وأكد هذا المعنى في هذا الختام.

٣ـ سُنة ذكر الرسول ﷺ في الختام، فصلوات الله وسلامه عليه دائمًا وأبدًا، ما سطع القمران، وتعاقب الجديدان، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

الحمد لله المتفضل بكل إنعام، حمدًا يليق بذي الجلال والإكرام، حمدًا كثيرًا مباركًا على الدوام، أحمده سبحانه على توفيقه وعونه وتسخيره، فلقد أنعم عليّ بأن أدرس المناسبات القرآنية من خلال تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور في سورتي الأنفال والتوبة، وكان لهذا البحث نتائجه المهمة ومن أهمّها ما يلي:

١ــ مكانة علم المناسبات، وأنه ذو وجوه إعجازية وبيانية وبلاغية عديدة.

٢ــ أن بيان المناسبة القرآنية واستنباطها يعتمد على التأمل والتدبر والنظر في محور السورة الرئيس ومقاصدها وأغراضها الأخرى.

٣ــ أن المناسبات بين الآيات موجودة دون شك، قد تظهر حينًا وتخفى حينًا أخرى على المفسر، وأنه لا ينبغي التكلف في طلبها.

٤ــ أن إظهار المناسبة القرآنية فيه ردّ قاطع على كل طعن في ترابط آيات القرآن الكريم.

٥ــ أن الآية قد يكون لها أكثر من مناسبة من أوجه مختلفة.

٦ــ أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين اسم السورة وأهم أغراضها.

٧ــ أن الطاهر بن عاشور كان عالمًا بارزًا في علم المناسبات القرآنية.

٨ــ أن الطاهر لم يكن مجرد ناقل للمناسبات القرآنية عمن سبقه من المفسرين، بل في أحيان كثيرة كان مستقلاً بآرائه، مستفيدًا من غيره.

٩ــ أن الطاهر كان معتدلاً في بيان المراسبات بين الآيات.

١٠ــ أن الطاهر بحث علم المناسبات بين الآيات والمقاطع وأجزاء الآية الواحدة، ولم يبحث المناسبات بين السور.

١١ــ أن هناك أثرًا في كل مناسبة، وهذا يزيد من وضوح غرض الآية ومقصودها.

هذا وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

وتتضمن الآتي:

١ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

٢ـ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

٣ـ فهرس الآثار.

٤ـ فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥ـ فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة.

٦ـ فهرس القبائل.

٧ـ فهرس الأماكن والبلدان.

٨ـ فهرس الأبيات الشعرية.

٩ـ فهرس المصادر والمراجع.

١٠ـ فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾	البقرة: ٣	٢	٧٢
﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾	البقرة: ٤	٢	٦٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾	البقرة: ١٥٣	٢	٧٢
﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾	البقرة: ٩٦	٢	١٨٥
﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾	البقرة: ١٩٤	٢	٢٥٢
﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾	البقرة: ٢٣٥	٢	١٠٠
﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾	البقرة: ٢٦٩	٢	٥٢
﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾	آل عمران: ٧٣	٣	٥٥
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ﴾	آل عمران: ١٥٥	٣	٨٦

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾	النساء: ١	٤	٣٥
﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾	النساء: ٦٩	٤	٣٤٦
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾	النساء: ١٠٥	٤	٥١
﴿ وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾	النساء: ١٠٧	٤	١٥٤
﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	النساء: ١٤٢	٤	٢٧١
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	المائدة: ١١	٥	٣٣
﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	المائدة: ٣١	٥	١٩٣
﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾	المائدة: ٣٨	٥	١٨
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾	المائدة: ٤٨	٥	٥١

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾	المائدة: ٥٤	٥	٢٩٤
﴿ تَكۡسِبُونَ ﴾	الأعراف: ٣٩	٧	١٢٢
﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾	الأعراف: ١٩٩	٧	٣٤
﴿ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ ﴾	الأعراف: ٢٠٣	٧	٣٤
الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾	الأنفال: ١	٨	٣٢، ٦٢، ٦٧، ٦٨، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٩١ ، ٩٢ ، ١٢٧
﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾	الأنفال: ٢	٨	٣٤،٦٧، ٧٣
﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾	الأنفال: ٣	٨	٧١
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾	الأنفال: ٤	٨	٧٣، ٧٥
﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾	الأنفال: ٥	٨	٧٤، ٧٨
﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ ﴾	الأنفال: ٦	٨	٧٥

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	الأنفال: ٧	٨	٧٨ ، ٨٠، ٩١
﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾	الأنفال: ٨	٨	٧٨، ٩١
﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾	الأنفال: ٩	٨	٨٠، ٨٩
﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	الأنفال: ١٠	٨	٨٢
﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾	الأنفال: ١١	٨	٨٢
﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾	الأنفال: ١٢	٨	٨٤، ٨٦
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ ﴾	الأنفال: ١٣	٨	١١٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾	الأنفال: ١٥	٨	٦٤، ٨٤، ٩١

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	الأنفال: ١٧	٨	٨٤، ٨٦، ٨٨ ، ٨٩، ٩١
﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	الأنفال: ١٨	٨	٨٨ ، ٨٩
﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	الأنفال: ١٩	٨	٩٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾	الأنفال: ٢٠	٨	٦٥، ٩١، ٩٢، ٩٩، ١١١
﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾	الأنفال: ٢١	٨	٩٥، ١١٦
﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	الأنفال: ٢٢	٨	٩٥
﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾	الأنفال: ٢٣	٨	٩٥، ١١٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾	الأنفال: ٢٤	٨	٦٥، ٩٩

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾	الأنفال: ٢٥	٨	١٠٣
﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾	الأنفال: ٢٦	٨	١٠٥، ١١٤، ١١٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾	الأنفال: ٢٧	٨	٦٥، ١٠٧
﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾	الأنفال: ٢٨	٨	١٠٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾	الأنفال: ٢٩	٨	٦٥، ١١١
﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾	الأنفال: ٣٠	٨	١١٤، ١١٦
﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾	الأنفال: ٣١	٨	٣٤، ١١٦
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾	الأنفال: ٣٣	٨	١١٧

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	الأنفال: ٣٤	٨	١١٧، ١٢٠، ١٢١
﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾	الأنفال: ٣٥	٨	١٢٠، ١٢٢
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾	الأنفال: ٣٦	٨	١٢٣
﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾	الأنفال: ٣٧	٨	١٢٣
﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾	الأنفال: ٣٨	٨	١٢٥
﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾	الأنفال: ٣٩	٨	١٢٧
﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾	الأنفال: ٤١	٨	٣١، ١٢٧، ١٢٩

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	الأنفال: ٤٢	٨	١٢٩
﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ ﴾	الأنفال: ٤٤	٨	١٣١، ١٣٩
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	الأنفال: ٤٥	٨	٦٥، ١٣١، ١٣٧
﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾	الأنفال: ٤٦	٨	٥٢، ٦٥، ٨٦، ١٣١، ١٣٧
﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾	الأنفال: ٤٧	٨	١٣٧، ١٣٩
﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾	الأنفال: ٤٨	٨	١٣١، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	الأنفال: ٤٩	٨	١٤١
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾	الأنفال: ٥٠	٨	١٤٤
﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾	الأنفال: ٥٢	٨	٣٤، ١٤٦، ١٤٧
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	الأنفال: ٥٣	٨	٥٣، ١٤٦
﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴾	الأنفال: ٥٤	٨	١٤٧، ١٥١
﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	الأنفال: ٥٥	٨	١٥١
﴿ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾	الأنفال: ٥٦	٨	١٥١
﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾	الأنفال: ٥٧	٨	١٥٣، ١٥٨، ١٥٩

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾	الأنفال: ٥٨	٨	١٥٣
﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾	الأنفال: ٥٩	٨	١٥٦، ١٥٨، ١٥٩
﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾	الأنفال: ٦٠	٨	١٥٨
﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	الأنفال: ٦١	٨	١٦١
﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	الأنفال: ٦٢	٨	١٦٣
﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	الأنفال: ٦٣	٨	١٦٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	الأنفال: ٦٤	٨	١٦٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾	الأنفال: ٦٥	٨	١٧٠

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾	الأنفال: ٦٧	٨	١٧٢، ١٧٥
﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾	الأنفال: ٦٨	٨	١٧٤، ١٧٥
﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	الأنفال: ٦٩	٨	١٧٥، ١٨٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	الأنفال: ٧٠	٨	١٧٨
﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	الأنفال: ٧١	٨	١٨٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾	الأنفال: ٧٢	٨	١٨١، ١٨٣، ١٨٥
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾	الأنفال: ٧٣	٨	١٨٣، ١٨٥

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾	الأنفال: ٧٤	٨	١٨٥
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾	الأنفال: ٧٥	٨	١٨٥، ١٨٧
﴿ بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾	التوبة: ١	٩	١٩٩، ٢٠٤، ٢٢١
﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	التوبة: ٢	٩	١٩٣، ١٩٧
﴿ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	التوبة: ٣	٩	١٩٩، ٢٠١، ٢٠٤، ٢١١
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾	التوبة: ٤	٩	٢٠١، ٢١١
﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	التوبة: ٥	٩	٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٤٢، ٢٥٢

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٠٤، ٢١١، ٢١٣	٩	التوبة: ٧	﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾
٢١١، ٢١٣	٩	التوبة: ٨	﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾
٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٣	٩	التوبة: ٩	﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾
٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٣	٩	التوبة: ١٠	﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾
٢٠٧	٩	التوبة: ١١	﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾
٢٠٩، ٢١١، ٢١٣، ٢١٧	٩	التوبة: ١٢	﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾
٢١٣، ٢١٧	٩	التوبة: ١٣	﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾
٢١٧، ٢١٩، ٢٤٣	٩	التوبة: ١٤	﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢١٩	٩	التوبة: ١٥	﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾
٢٢١، ٢٢٤، ٢٤٥	٩	التوبة: ١٧	﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾
٢٢٤، ٢٣١	٩	التوبة: ١٨	﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾
٢٢٨، ٢٣٢	٩	التوبة: ١٩	﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾
٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤	٩	التوبة: ٢٠	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾
٢٣٤	٩	التوبة: ٢١	﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾
٢٣٤	٩	التوبة: ٢٢	﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾
٢٠٨، ٢٣٧	٩	التوبة: ٢٣	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾
٢٣٩	٩	التوبة: ٢٤	﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾	التوبة: ٢٥	٩	٢٤٢
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	التوبة: ٢٨	٩	٢٢١، ٢٤٢
﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾	التوبة: ٢٩	٩	٣٣٦
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	التوبة: ٣٤	٩	٣١، ٢٤٧
﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	التوبة: ٣٦	٩	٥٥، ٢٥٢، ٢٥٧

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	التوبة: ٣٧	٩	٢٥٧
﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾	التوبة: ٣٨	٩	٢٦١، ٢٦٣، ٣٠٩، ٣٣٥
﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾	التوبة: ٣٩	٩	٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢
﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	التوبة: ٤٠	٩	٢٦١
﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا ﴾	التوبة: ٤١	٩	٣٣٥، ٣٣٦
﴿ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾	التوبة: ٤٢	٩	١٩١، ٢٦٣، ٣٠٩
﴿ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴾	التوبة: ٤٥	٩	٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٨

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ ﴾	التوبة: ٤٦	٩	٢٦٦
﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	التوبة: ٤٧	٩	٢٦٦
﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ ﴾	التوبة: ٤٩	٩	١٩١
﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴾	التوبة: ٥٠	٩	٢٦٨
﴿ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾	التوبة: ٥٣	٩	٢٦٩، ٢٧٠
﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴾	التوبة: ٥٤	٩	٢٦٩، ٢٧٠
﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾	التوبة: ٥٥	٩	٢٧٢
﴿ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴾	التوبة: ٥٦	٩	٢٧٤
﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴾	التوبة: ٥٨	٩	١٩٩، ٢٧٦، ٢٧٧

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٧٦	٩	التوبة: ٥٩	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾
٢٧٧	٩	التوبة: ٦٠	﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾
١٩١، ٢٧٧	٩	التوبة: ٦١	﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ ﴾
٢٧٩، ٢٨٧	٩	التوبة: ٦٥	﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾
٢٧٩	٩	التوبة: ٦٦	﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾
٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٧ ، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١	٩	التوبة: ٦٧	﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾
٢٨٥، ٢٩٤	٩	التوبة: ٦٨	﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾	التوبة: ٦٩	٩	٢٨٢، ٢٨٧
﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	التوبة: ٧١	٩	٢٨٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾	التوبة: ٧٣	٩	٢٩٤، ٢٩٨، ٣٣٦
﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾	التوبة: ٧٤	٩	٢٩٧
﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ ﴾	التوبة: ٨٠	٩	٣٠٠ ، ٣٠٦
﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾	التوبة: ٨١	٩	٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٦
﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾	التوبة: ٨٢	٩	٣٠٢

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٠٤،	٩	التوبة: ٨٣	﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾
٣٠٦	٩	التوبة: ٨٤	﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾
٣٠٨	٩	التوبة: ٨٥	﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾
٣٠٩، ٣١٢، ٣٥٥	٩	التوبة: ٨٦	﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴾
٣١١، ٣١٢	٩	التوبة: ٨٧	﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾
٣١٢	٩	التوبة: ٨٨	﴿ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾
٣١٤، ٣١٥	٩	التوبة: ٩١	﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
٣١٥، ٣١٦	٩	التوبة: ٩٣	﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾	التوبة: ٩٤	٩	٣١٥، ٣١٨
﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	التوبة: ٩٥	٩	٣١٨
﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	التوبة: ٩٧	٩	٣١٩
﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	التوبة: ٩٨	٩	٣٢٠
﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	التوبة: ١٠٠	٩	٣٢٠
﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾	التوبة: ١٠١	٩	٣٢٢، ٣٣٠، ٣٣١
﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ ﴿عَسَى﴾	التوبة: ١٠٢	٩	٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣١
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	التوبة: ١٠٣	٩	٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٩

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	التوبة: ١٠٤	٩	٣٢٦، ٣٢٨
﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	التوبة: ١٠٥	٩	٣٢٨
﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ ﴾	التوبة: ١٠٦	٩	٣٣٠، ٣٣١
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾	التوبة: ١٠٧	٩	٣٣٠، ٣٣٣
﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	التوبة: ١١٠	٩	٣٣٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾	التوبة: ١١١	٩	٣٣٥
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾	التوبة: ١١٥	٩	٣٣٩، ٣٤١

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾	التوبة: ١١٦	٩	٣٤١
﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾	التوبة: ١١٧	٩	٣٤٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	التوبة: ١١٩	٩	٣٤٦
﴿لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ﴾ ﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ ﴾	التوبة: ١٢٠	٩	٣٤٨
﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾	التوبة: ١٢١	٩	٣٤٨
﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾	التوبة: ١٢٢	٩	٣٤٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾	التوبة: ١٢٣	٩	٣٥٢، ٣٥٥
﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾	التوبة: ١٢٤	٩	٣٥٥، ٣٦١

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ ﴾	التوبة: ١٢٥	٩	٣٥٥، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٠
﴿ أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾	التوبة: ١٢٦	٩	٣٦٠
﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾	التوبة: ١٢٧	٩	٣٦١
﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٌ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	التوبة: ١٢٨	٩	١٢٨، ٣٦٤
﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾	يونس: ١١	١٠	٣٣
﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾	يونس: ٦٥	١٠	٣٢، ٣٣
﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾	يونس: ٦٦	١٠	٣٤

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	هود: ١	١١	٢٩
﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾	يوسف: ٣	١٢	٥٢
﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾	النحل: ٨٩	١٦	٥١
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾	الأنبياء: ١٠٧	٢١	٣٦٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾	الحج: ١	٢٢	٣٥
﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾	الفرقان: ٢٣	٢٥	٢٢٣
﴿ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾	القصص: ٣	٢٨	٣٣
﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ ﴾	القصص: ٥٨	٢٨	٥٣، ١٧٦
﴿ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴾	العنكبوت: ٤٣	٢٩	٢٠٩
﴿ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾	الأحزاب: ٦٠	٣٣	٢٩٤، ٣٠٨
﴿ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴾	الأحزاب: ٦١	٣٣	٢٩٤، ٣٠٨
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾	ص: ٢٩	٣٨	٢٨، ٥١
﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾	الشورى: ٣٨	٤٢	٥٢

الآية	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾	ق: ١٦	٥٠	١٠١
﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾	الحديد: ٢٠	٥٧	١١٠
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾	المنافقون: ٩	٦٣	٢٤١
﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾	المنافقون: ١٠	٦٣	١٠٠
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾	التغابن: ١٤	٦٤	٢٤٠
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	القلم: ٤	٦٨	٥١
﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾	البروج: ٨	٨٥	٢٠٦
﴿ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾	الفجر: ٢٨	٨٩	٢٣٥

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ سُورَةُ بَرَاءة ١٩١

إِنَّ قُلُوبَ بني آدَمَ كُلَّهَا بين إِصْبَعَيْنِ من أَصَابِعِ الرَّحْمَن ١٦٥

بَعَثَني أبو بَكْرٍ في تِلْكَ الْحَجَّةِ في مُؤَذِّنِينَ يوم النَّحْرِ ١٩٠/ ٢٢١

فأذَّن معنا علي بن أبي طالب في أهل منى ببَراءة ١٩٠

فتتبعتُ القرآن حتّى وجدت آخرَ سورة التوبة ١٩٠

قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ: سُوْرَةُ الأَنْفَالِ، قَالَ: نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ........................... ٦٢

كَانَ خُلُقُهُ القُرْآن ٥١

كَانَ الْمُسْتَفْتِحُ أَبُو جَهْلٍ فَإِنَّهُ قَالَ حِينَ الْتَقَى الْقَوْمُ ٨٨

لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاثْبُتُوا ١٣١

لا تَحَاسَدُوا ولا تَنَاجَشُوا، ولا تَبَاغَضُوا ولا تَدَابَرُوا ٦٩

لَا يُؤْمِنُ أحدكم حتى أَكُونَ أَحَبَّ إليه من وَالِدِهِ ٢٤١

لما أسروا الأسارى يوم بدر وفيهم صناديد المشركين ١٧٢

لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ قُتِلَ أَخِي عُمَيْر ٦١

ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلاَّ أنْ أسقي الحاج ٢٢٨

لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلَهُ.. ٢٢٧

مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ وَمَنْ أَسَرَ أَسِيرًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا ٧٥

وَجَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي ٦٩

فهرس الآثار

إذا حدثتَ عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ما قبله، وما بعده ١٨
إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا (ابن مسعود ﵁) ١٧

فهرس الأعلام المترجم لهم

إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (البقاعي) ١٧
أبو خزيمة الأنصاري ٢٢٥
أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (أبو جعفر بن الزبير الأندلسي) ٢١
أحمد بن حنبل ١٧٢
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ابن تيمية) ٢٧
أحمد بن محمد بن إسماعيل (أبو جعفر النحاس) ١٥٤
بشار بن برد ٤٧
الحارث بن خزيمة (أبو خزيمة الأنصاري) ١٩٠
الحجاج بن يوسف بن الحكم ٦٢
جالينيوس ٤٠
حبيب بن أوس بن الحارث (أبو تمام) ٤٧
حذيفة بن اليمان ١٩٢
حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب (الخطابي) ١٩
حمزة بن حبيب بن عمارة (أبو عمارة الكوفي) ٥٣
خالد بن زيد ١٩٣
خلف بن هشام بن ثعلب ٥٣
زهر بن عبد الملك بن زهر ٤٠
زياد بن معاوية الذبياني (النابغة) ٤٧
زيد بن ثابت ١٩٠
سالم بن عمر بوحاجب النبيلي ٤١
سفيان بن سعيد الثوري ١٩٤

سعد بن أبي وقاص ٦١
سعد بن عبادة ٧٥
سعيد بن جبير ٦١
سيد بن قطب ٢٤
عامر بن شراحيل (أبو عمرو الشعبي الكوفي) ١٦٨
عبد الحق بن غالب بن عبد الملك (ابن عطية) ٢٠
عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (جلال الدين السيوطي) ٢٣
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني ١٦٨
عبد الرحمن بن صخر (أبو هريرة) ١٩٠
عبد الله بن أبي سلول ١٥٦
عبد الله بن عباس ٦١
عبد الله بن عمر بن الخطاب ١٩٢
عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ٥٠
عبد الله بن محمد بن جعفر (الأصبهاني) ٦٢
عبد الله بن محمد بن زياد (أبو بكر النيسابوري) ١٨
عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري ٢٥
عبد الله بن مسعود.. ١٧
عبد العزيز بن عبد السلام ٢٩
عبد الملك بن قريب الأصمعي ١٨
عبد الملك بن عاشور ٤٢
عبيد بن عمير ١٩٣
عثمان بن طلحة ٢٢٨
علي بن أحمد بن الحسين الحرالي ٢١
علي بن أحمد بن محمد النيسابوري (أبو الحسن الواحدي) ٦١

علي بن حمزة الكسائي ٥٣
عمر بن أحمد ابن الشيخ ٤١
عمر بن علي (ابن عادل الحنبلي) ٧٤
عمرو بن هشام (أبو جهل) ٨٨
مالك بن أنس الأصبحي ٤٠
محمد بن إدريس الشافعي ١٨
محمد بن أحمد الأنصاري (القرطبي) ٥٠
محمد بن إسحاق بن يسار (ابن إسحاق) ٦٢
محمد بن إسماعيل البخاري ٤٠
محمد بن جرير الطبري ١٨
محمد بن الحسن بن محمد (أبو بكر النقاش) ١٦٧
محمد بن الطيب بن محمد (أبو بكر الباقلاني) ١٩
محمد بن عبد الله بن بهادر (الزركشي) ١٦
محمد بن عبد الله بن محمد المعافري (أبو بكر ابن العربي) ١٦
محمد بن عثمان النجار ٤٢
محمد بن علي بن عبد الواحد (ابن الزملكاني) ٢٢
محمد بن علي بن محمد (الشوكاني) ٣٠
محمد بن عمر بن الحسين (فخر الدين الرازي) ٢٠
محمد بن عيسى الترمذي ١٧٢
محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (أبو السعود) ٢٤
محمد بن يوسف بن علي بن حيان (أبو حيان الأندلسي) ٢٢
محمد البشير الإبراهيمي ٤٥
محمد الحبيب ابن الخوجة ٤٢
محمد الخضر بن الحسين التونسي ٤٥

محمد الطاهر بن محمد (ابن عاشور) ٢٤
محمد الطاهر الميساوي ٤٨
محمد الفاضل ابن عاشور ٤٢
محمد العزيز بن محمد بوعتور ٣٨
محمد النخلي ٤٢
محمود بن عبد الله الحسيني (الألوسي) ٢٤
محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ١٩
مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ٤٠
المقداد بن الأسود ١٩٣
النعمان بن بشير ٢٢٨
يحيى بن زياد (الفراء) ٢٨٧
يعقوب بن إسحاق الحضرمي ٥٣

فهرس المصطلحات

ارتبق ١٢٥

الإدماج ٢٣٣

الاحتراس ١٥٨

الإطناب ١٢٩

الأنفال ٦١

الإلب ١٨٣

الإيجاف ١٧٥

بكت ٢١٧

التخلص ٨٣

تسوخ ١٢٩

الثلمة ١٨٧

خبار ١٢٩

رأب ١٨٧

ربقة ٢٧٤

الشنشنة ٣٤٤

علم المناسبة ١٧

عهد الأمان ٣٩

المخاتلة ٨٢

المدرسة الصادقية ٣٩

المناسبة ١٦

فهرس القبائل

خزاعة ٢٤٢

بنو قريظة ١٥٢

فهرس الأماكن والبلدان

بدر ٦٢
تبوك ١٩٢
المرسى ٣٨

فهرس الأبيات الشعرية

تألقتِ الآدابُ كالبــدر فــي السَّحَــرْ وقد لفظ البحران موجُهمــا الــدرر ٤٦

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلٌ مِنّي وَبِيضُ الهِنْدِ تَشْرَبُ مِنْ دَمِي ١٣٦

فهرس المصادر والمراجع

١ــ القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

٢ــ الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هــ ــ ٢٠٠٣م.

٣ــ الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هــ ــ ١٩٨٩م.

٤ــ أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، الشركة الجزائرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هــ ــ ٢٠٠٦م.

٥ــ أسباب النصر في سورة الأنفال، عبد الحميد محمود طهماز، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هــ ــ ١٩٩٢م.

٦ــ أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هــ ــ١٩٩٦م.

٧ــ أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، تحقيق: رضى فرج الهمامي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٨هــ ــ ٢٠٠٧م.

٨ــ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هــ ــ ١٩٩٢م.

٩ــ الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هــ ــ ١٩٩٢م.

١٠ــ الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة.

١١ــ إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الرابعة.

١٢ــ الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، زكي محمد مجاهد، دار الغرب الإسلامي.

١٣ــ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م.

١٤ـ أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، عُني به: محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

١٥ـ بحث تقديم كتاب التحرير والتنوير، إعداد: مهدي بن حميدة، منشور على موقع مكتبة الجامع الكبير الإسلامية:

http://٣lsooot.com/book/view-١٥١٥.html

١٦ـ بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه ووثق نصوصه وخرّج أحاديثه: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٧ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.

١٨ـ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١٩ـ البلاغ الأخير في سورة التوبة، عبد الحميد محمود طهماز، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٠ـ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٢١ـ تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢ـ التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر.

٢٣ـ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي ابن عساكر، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

٢٤ـ تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢٥ـ التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي، دار الصحابة للتراث بطنطا/ مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٦ـ تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

٢٧ـ التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة عشرة، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٢٨ــ التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـــ.

٢٩ــ تفسير أبو السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـــ ــ ١٩٩٤م.

٣٠ــ تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د.زكريا عبد المجيد النوقي، د.أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـــ ــ ٢٠٠٧م.

٣١ــ التفسير البنائي للقرآن الكريم، محمود البستاني، منشور على موقع:
http://u-of-islam.net/uofislam/maktaba/Qran/al-tafseer/01/a6.htm

٣٢ــ تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس.

٣٣ــ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء الحافظ ابن مث ير الدمشقي، كتب هوامشه وضبطه : حسين بن إبراهيم زهران، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة، طبعة جديدة مخرجة الأحاديث.

٣٤ــ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـــ ــ ٢٠٠٤م.

٣٥ــ التفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـــ ــ ٢٠٠٣م.

٣٦ــ التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٤٢٤هـــ ــ ٢٠٠٣م.

٣٧ــ التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، د.محمد بن رزق بن طرهوني، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـــ.

٣٨ــ تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـــ ــ ١٩٨٦م.

٣٩ــ التناسب بين سورة البقرة للباحث طارق حميدة رسالة ماجستير بجامعة القدس/ فلسطين، تاريخ المناقشة : ٢٠٠٧/٦/١٧م، لجنة المناقشة : الدكتور حاتم جلال التميمي: مشرفاًورئيساً للجنة، الدكتور عطية صدقي الأطرش: ممتحناً خارجياً، الدكتور إسماعيل أمين نواهضة: ممتحناً داخلياً و لم تنشر بعد ومنشورة على موقع صيد الفوائد www.saaid.net

٤٠ــ تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الله الدرويش، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـــ ــ ١٩٨٧م.

٤١_ تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الفكر ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ _ ١٩٨٤م.

٤٢_ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ _ ١٩٩٣م.

٤٣_ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٤٤_ الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ _ ١٩٨٧م.

٤٥_ الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧ هـ _ ١٩٨٧م.

٤٦_ جواهر البيان في تناسب سور القرآن، أبو الفضل عبد الله بن محمد الصديق الغماري، مكتبة القاهرة، مطبعة محمد عاطف وسيد طه وشركاهما.

٤٧_ خواطر قرآنية نظرات في أهداف سور القرآن، عمرو خالد، أريج للنشر والتوزيع، الدقى، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ _ ٢٠٠٤م.

٤٨_ دراسات في علوم القرآن الكريم، د..فهد عبد الرحمن سليمان الرومي، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م.

٤٩_ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد/ الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ _ ١٩٧٢م.

٥٠_ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ _١٩٩٥م.

٥١_ ديوان عنترة بن شداد.

٥٢_ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٣_ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود الألوسي، تحقيق: أبو عبد الرحمن فؤاد بن سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، مصر.

٥٤ــ سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.

٥٥ــ سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الحادية عشرة، ١٤١٧هــ ــ ١٩٩٦م.

٥٦ــ السيرة النبوية: ابن هشام، تحقيق وضبط وشرح وفهرسة: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هــ ــ ١٩٩٤م.

٥٧ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هــ.

٥٨ــ شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره، د.بلقاسم الغالي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هــ ــ ١٩٩٦م.

٥٩ــ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هــ ــ ١٩٩٣م.

٦٠ــ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦١ــ صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري، د.محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ هــ ــ ١٩٧٩م.

٦٢ــ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٦٣ــ طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هــ.

٦٤ــ طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هــ.

٦٥ــ طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.

٦٦ــ طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هــ- ١٩٩٧م.

٦٧ــ طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هــ.

٦٨ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
٦٩ــ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـــ ــ ٢٠٠٥م.
٧٠ــ فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمساسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار العربي الإسلامي، بيوت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـــ ــ ١٩٨٢م.
٧١ــ في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الخامسة والثلاثون، ١٤٢٥هـــ ــ ٢٠٠٥م.
٧٢ــ في عمارة السورة القرآنية، محمود البستاني، مقالة منشورة على الموقع:
http://www.u-of-islam.net/uofislam/behoth/behoth_quran/56/a6.ht
٧٣ــ القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٧٤ــ الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـــ ــ ١٩٩٥م.
٧٥ــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـــ ــ ٢٠٠٣م.
٧٦ــ العلاقات الدولية في الإسلام على ضوء الإعجاز البياني في سورة التوبة، كامل سلامة الدقس، دار الشروق، جدة، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـــ ــ ١٩٧٥م.
٧٧ــ علم المناسبات في السور والآيات ويليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للشيخ الإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل السيوطي، تأليف وتحقيق: د.محمد عمر بازمول، المكتبة المكية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـــ ــ ٢٠٠٢م.
٧٨ــ علم المناسبات في القرآن، محمد بن عبد العزيز الخضيري، سي دي مجلة البيان، منشور على:
http://www.islamselect.com/article/٥٣٣
٧٩ــ علم المناسبات القرآنية، موضوعه، تطوره، مكانته، مقالة لعبد الحميد محمود غانم، مجلة البيان السنة التاسعة عشرة * العدد ٢٠٢* جمادى الآخرة ١٤٢٥هـــ * يوليو / أغسطس ٢٠٠٤م.
٨٠ــ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٨١_ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أصيبعة، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.
٨٢_ غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، ١٤١٦هـ _ ١٩٩٥م.
٨٣_ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
٨٤_ لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعرف النظامية _الهند _، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ هـ _ ١٩٨٦م.
٨٥_ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م.
٨٦_ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٨٧_ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ _ ١٩٩٧م.
٨٨_ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ _ ١٩٩٣م.
٨٩_ محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الحبيب ابن الخوجة، طباعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة قطر، ١٤٢٥هـ _ ٢٠٠٤م.
٩٠_ مختار الصحاح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق : محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ _ ١٩٩٥م.
٩١_ مدخل لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ _ ٢٠٠٧م.
٩٢_ المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ _ ١٩٩٠م.
٩٣_ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.
٩٤_ مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، د.عادل محمد صالح أبو العلا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ _ ٢٠٠٤م.

٩٥ـ مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، الحافظ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي، تحقيق: د. عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
٩٦ـ المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
٩٧ـ معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر، بيروت.
٩٨ـ المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.
٩٩ـ معجم مصنفي الكتب العربية في التاريخ والتراجم والجغرافية والرحلات، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
١٠٠ـ معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، بالإضافة إلى طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٠١ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف اليان سركيس، مطبعة سركيس، مصر، ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م.
١٠٢ـ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
١٠٣ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق : بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
١٠٤ـ مفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.
١٠٥ـ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
١٠٦ـ المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، د. عبد الله بن مقبل القرني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤١٢هـ.

١٠٧ــ المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، أحمد محمد قاسم مذكور، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، إشراف: د. إسماعيل الميمني، سنة المناقشة: ١٤٢٩هــ ــ ٢٠٠٨م.

١٠٨ــ موسوعة ويكيبيديا الحرة.

١٠٩ــ موقع ملتقى البيان لتفسير القرآن http://www.bayan-alquran.net

١١٠ــ النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، د.محمد عبد الله دراز، دار القلم، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٤١٦هــ ــ ١٩٩٦م.

١١١ــ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تخريج الآيات والأحاديث ووضع الحواشي: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هــ ــ ٢٠٠٦م.

١١٢ــ الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هــ ــ ٢٠٠٠م.

١١٣ــ وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

فهرس الموضوعات

ملخص الرسالة ٣

Thesis Abstract ٤

المقدمة ٥

أهمية الموضوع ٥

أسباب اختيار الموضوع ٦

الدراسات السابقة ٦

حدود البحث ٧

خطة البحث ٧

منهج البحث ٩

شكر وتقدير ١٢

التمهيد ١٤

المبحث الأول: مدخل إلى علم المناسبات ١٥

المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبات ونشأته ١٦

تعريف علم المناسبة ١٦

نشأة علم المناسبة ١٧

المطلب الثاني: موضوعه، مكانته وفضله وثمرته ٢٧

المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبات ٢٩

المطلب الرابع: أنواع المناسبات، أشهر المؤلفات ٣٢

أنواع المناسبات ٣٢

أشهر المؤلفات ٣٥

المبحث الثاني: التحرير والتنوير، المؤلف والكتاب ٣٧

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف ٣٨

اسمه ومولده ٣٨
أسرته ونشأته ٣٨
علمه وشهادته ٤٠
شيوخه ٤٢
تلاميذه ٤٢
مناصبه ووظائفه ٤٣
من إصلاحاته ٤٤
أخلاقه ٤٥
مؤلفاته ٤٦
وفاته ٤٨
المطلب الثاني: التعريف بالتحرير والتنوير ٤٩
منهجه في تفسيره ٥٢
المبحث الثالث: منهج الطاهر بن عاشور في إيراد المناسبات ٥٦
المطلب الأول: موقفه من علم المناسبات ٥٧
المطلب الثاني: منهجه في إيراد المناسبات ٥٩
الفصل الأول: سورة الأنفال ٦٠
المبحث الأول: وجه تسميتها ٦١
المبحث الثاني: مقاصدها وأغراضها ٦٤
المبحث الثالث: تناسب آياتها وأثره ٦٧
المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ٦٧
المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ٧١

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ ٧٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ ٧٤

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ ٧٨

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾ ٨٠

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴾ ٨٢

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾ ٨٤

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ ٨٦

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ٨٨

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾ ٩١

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ ٩٥

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ ٩٩

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ ١٠٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ ١٠٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ ١٠٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ ١٠٩

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ ١١١

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ ١١٤

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ ١١٦

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ ١١٧

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ ١٢٠

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ ١٢٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ١٢٥

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ١٢٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ١٢٩

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ١٣١

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ ١٣٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ ١٣٩

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ١٤١

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ ١٤٤

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ١٤٦

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ ١٤٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ ١٥١

المناسبات في قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ ١٥٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ ١٥٦

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ ١٥٨

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.. ١٦١

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ١٦٣

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ١٦٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾........... ١٦٧

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾.. ١٧٠

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.............................. ١٧٢

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾........ ١٧٤

المناسبات في قوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.. ١٧٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾........................ ١٧٨

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.. ١٨٠

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.. ١٨١

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾.. ١٨٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ ١٨٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ ١٨٧

الفصل الثاني: سورة التوبة ١٨٩

المبحث الأول: وجه تسميتها ١٩٠

المبحث الثاني: مقاصدها وأغراضها ١٩٥

المبحث الثالث: تناسب آياتها وأثره ١٩٧

المناسبات في قوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ١٩٧

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ١٩٩

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ ٢٠١

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ ٢٠٤

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴾ ٢٠٦

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ ٢٠٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾.............................. ٢١١

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾.. ٢١٣

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴾.. ٢١٧

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾... ٢١٩

المناسبات في قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴾...................... ٢٢١

المناسبات في قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾.. ٢٢٤

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾............... ٢٢٨

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾...................................... ٢٣٢

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ (٢١) خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾............................... ٢٣٤

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.......... ٢٣٧

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾... ٢٣٩

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾.. ٢٤٢

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.................................... ٢٤٥

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾........................... ٢٤٧

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.. ٢٥٢

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾................................ ٢٥٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾............................. ٢٦٠

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ٢٦١

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ ٢٦٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ ٢٦٥

المناسبات في قوله تعالى : ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ٢٦٦

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ ٢٦٨

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ ٢٦٩

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ ٢٧٠

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ ٢٧٢

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ ٢٧٤

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ ٢٧٦

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ٢٧٧

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ ٢٧٩

المناسبات في قوله تعالى : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ٢٨٢

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ ٢٨٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ ٢٨٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ٢٨٩

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ ٢٩٤

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾
.... ٢٩٧

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ ٣٠٠

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾.......... ٣٠٢

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾.......... ٣٠٤

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾.. ٣٠٦

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾... ٣٠٨

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾.................................... ٣٠٩

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾.. ٣١١

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾...................... ٣١٢

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ٣١٤

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٣١٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ ٣١٨

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ٣١٩

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ٣٢٠

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ ٣٢٢

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ٣٢٣

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ٣٢٦

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ٣٢٨

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ ٣٣٠

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ٣٣٣

المناسبات في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ٣٣٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ٣٣٩

المناسبات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ٣٤١

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ٣٤٤

المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ٣٤٦

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ٣٤٨

المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ ٣٤٩

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور

من أول سورة الرعد إلى آخر سورة مريم

جمعًا ودراسةً ونقدًا

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

يوسف بن زيدان بن مزيد السلمي

الرقم الجامعي (٤٢٦٨٠٣١٤)

إشراف فضيلة الشيخ:

أ.د. أمين بن محمد بن عطية باشا

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

ماجستير يوسف السلمي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠١   ١٤٣٠/٠٧/١٨   Ali Fattani

طباعة الفطاني

ماجستير يوسف السلمي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٦ ١٤٣٠/٠٧/١٨
Ali Fattani

ملخص الرسالة

هذا البحث يتحدث عن المناسبات القرآنية وأثرها عند ابن عاشور، من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة مريم .

و يتكون من قسمين:

القسم الأول: يتحدث عن علم المناسبات، وأهميته، ونشأته، ومراحله، و التعريف بكتاب التحرير والتنوير، وبمؤلفه، و منهج ابن عاشور في إيراد المناسبات، وكل ذلك باختصارغير مخل.

والقسم الثاني: وهو صلب البحث، ويتحدث عن المناسبات الوارد ة في تفسير التحرير والتنوير، من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة مريم، وذلك بجمعها ودراستها وبيان قيمتها، وذكر أثرها في التفسير، وبداية كل سورة نذكر مقاصدها، وأهم موضوعاتها، ومناسبتها لما بعدها، ومناسبة أولها لمقاصدها، ونختم البحث، بذكر أهم النتائج والتوصيات، والله من وراء القصد.

الباحث

يوسف زيدان السلمي

ماجستير يوسف السلمي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٦ ١٤٣٠/٠٧/١٨ Ali Fattani

Thesis Abstract

This research deals with the Qur'an Sequencing and Consistency and the effect of this for Ibn Ashour from the beginning of Surat Alraad to the end of Surat Merriam.

It is composed of two parts :

<u>Part 1:</u> It deals with the science of Qur'an Sequencing and consistency , its importance , How it started , its stages , definition of the author of Altahrir and Altanwir and Ibn Ashour's approach in mentioning the Qur'an Sequencing .All this is dealt with in brief.

<u>Part 2 :</u> It is the core of the research . It deals with the Qur'an sequencing and consistency that are mentioned in the explanation of Altahrir and Altanwir from the beginning of Surat Alraad to the end of Surat Merriam by means of assembling , studying and manifesting its importance and also by dealing with its influence on the interpretation of the Holy Qur'an . At the beginning of each Surah , we mention its importance , the main topics included , its relevance to the following surah ,and eventually its relevance to its objective .

By the researcher

Yousef Zidan Alsulami

ماجستير يوسف السلمي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٦   ١٤٣٠/٠٧/١٨

Ali Fattani

شكر وتقدير

ماجستير يوسف السلمي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٦
١٤٣٠/٠٧/١٨
Ali Fattani

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين حمدَ الشاكرين، نحمدُه على عظيمِ نعمائِه، وجميلِ بلائهِ، ونرغبُ إليه في التوفيقِ والسداد، ونبرأُ إليه من الحَولِ والقوة، ونسأله يقيناً يملأُ الصدرَ ويعمرُ القلبَ ويستولي على النَّفس، والصلاة على خيرِ خلقهِ والمصطفى من بريَّته محمدٍ سيد المرسلينَ وعلى أصحابهِ وآلهِ الأخيارِ .

وبعـــد: -

أشكر الله ﷻ الذي أعانني على إتمام الموضوع ووفقني فيه، إذ لولا توفيقه وإعانته لما فعلتُ شيئاً.

والشكر والتقدير، للوالد الكريم الشيخ/ زيدان بن مزيد السلمي، ووالدتي الكريمة ، حيث سعيا في تعليمي وبذلا جهدهما في ذلك. فجزاهما الله عني أحسن الجزاء وأوفره، ورفع درجتهما وأحسن عاقبتهما في الأولى والآخرة، وأعانني على برهما.

ومن ثم أشكر العم الفاضل الشيخ / زويد بن مزيد السلمي، على تشجيعه لنا على طلب العلم، فله خالص الشكر والتقدير.

وشكري وتقديري لأهل بيتي، لصبرهم وتحملهم، وبذلهم ما يستطيعون من عون ومساعدة خلال فترة انشغالي بالرسالة.

ثم الشكر والتقدير لفضيلة شيخي الأستاذ الدكتور: أمين محمد عطيه باشا المشرف على هذه الرسالة، والذي بذل جهده ووقته في توجيهي وإرشادي طيلة اشتغالي بالرسالة مع ما كان يتحلى به من الخلق الفاضل، والآراء السديدة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

ولايفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الشيخين الكريمين : فضيلة الشيخ الدكتور: أحمد عبد الله الدروبي ، رئيس معهد اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعة

ماجستير يوسف السلمي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٦
١٤٣٠/٠٧/١٨
Ali Fattani

إم القرى ، وفضيلة الشيخ الدكتور: عبد الحميد محمود البطاوي الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة ، على تفضلهما بقبول الرسالة ، وتقويمها ، وإصلاح اعوجاجها ، والله أسأل أن يجزل مثوبتهما ، وأن يجعل ذلك في موازين حسناتهما.

وأشكر كل من وقف معي، وساندني، من الإخوة الكرام وأبناء العم وزملائي في الدراسة، كل هؤلاء أتمنى أن أذكرهم بأسمائهم، ولكن سوف أذكرهم في ظهر الغيب بخالص الدعاء.

والشكر موصول لكل من أعانني على هذا البحث برأي سديد، وقول رشيد، أو إعارة كتاب، أو دعاء بظهر الغيب، أو نحو ذلك، وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناته يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، « ونرجو من الله القريب المجيب، إذ وفقنا لخدمة هذا الكتاب المبارك القرآن الكريم- أن يجعلنا مباركين أينما كنا، وأن يبارك لنا وعلينا، وأن يشملنا ببركاته العظيمة في الدنيا والآخرة، وأن يعم جميع إخواننا المسلمين، الذين يأتمرون بأوامره، بالبركات والخيرات، في الدنيا والآخرة، إنه قريب مجيب »[(1)]، والله تعالى أعلم، فما كان في هذا البحث من إجادة وإتقان وإحسان فمن فضل الله تعالى وكرمه وتوفيقه، وما كان من نقص وخلل وخطأ فمن نفسي والشيطان وأسأل الله تعالى العفو والغفران، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) هذا الدعاء ذكره الشيخ الشنقيطي عند تفسير قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩]. أضواء البيان (٧/ ٣١).

ماجستير يوسف السلمي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١٤٣٠/٠٧/١٨ ٠٠٦
Ali Fattani

المقدمـــــة

ماجستير يوسف السلمي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٦
١٤٣٠/٠٧/١٨
Ali Fattani

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فقد أنزل الله كتابه على نبيه محمد ﷺ، وأمر بتلاوته، وتدبره ؛ لأنه احتوى على معان فريدة، ومواعظ عديدة، لا ينجلي فهمها إلا لقارئ متدبر .

وقد وقف بلغاء العرب وشعراؤهم عاجزين أمام فصاحة القرآن وبلاغته، وعجزوا أن يأتوا بمثل سورة واحدة من سوره، وبذلك انتصر القرآن على أعدائه، وحساده، فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد .

إن السلف الصالح أَوْلَوْا كتاب الله تعالى عناية خاصة، تمثلت في حفظه، وتفسيره، والعمل بتعاليمه، وعكفوا على دراسة ما جاء فيه من علوم ومعارف، واستنبَطوا منه كَمّاً هائلا من العلوم القيّمة، ومن تلك العلوم (علم المناسبات)، فلاحَظوا أن هناك تناسبا وترابطا وثيقا بين الآيات، وكأنها نظم من الدرر، يقوي بعضها بعضا، مشتركة في عقد واحد يزين المعاني القرآنية، ويجملها، فاعتنوا به أيما اعتناء، وضمنوه تفاسيرهم، بل وكتبوا فيه كتبا مستقلة، ومن العلماء الذين ضمنوا ذاك العلم تفاسيرهم، الشيخ ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير)، فقد أعطى هذا الجانب أهمية خاصة، وأشار إلى جهود من سبقه في إبراز هذا العلم، إلا أنه رأى أنهم لم يأتوا بما هو مقنع في كثير من الآيات حيث قال: " وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي،

ماجستير يوسف السلمي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١٤٣٠/٠٧/١٨ ٠٦ Ali Fattani

وألّف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى " نظم الدرر في تناسب الآي والسور " إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع " (١).

ومن خلال استعراضي لكتاب التحرير والتنوير رأيت أن مؤلفه ~ قد أشار فيه إشارات لطيفة فيما يتعلق بالتناسب بين الآيات، فرأيت أن يكون موضوع بحثي في مرحلة الماجستير (المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور من سورة أول سورة الرعد آخر سورة مريم (**جمعاً ودراسةً ونقداً**) .

وقد حصرت عدد المناسبات في السور السبع من خلال تفسير التحرير والتنوير، فكان عددها [١٤٩] مناسبة موزعة على النحو الآتي:

١- سورةالرعد: [١٧] مناسبة .

٢- سورة إبراهيم: [٢٩] مناسبة .

٣- سورة الحجر: [٢٣] مناسبة .

٤- سورة النحل: [٣٠] مناسبة.

٥- سورة الإسراء: [٢٧] مناسبة.

٦- سورة الكهف [١٤] مناسبة.

٧- سورة مريم [٩] مناسبات.

هذا وأسأل الله الكريم أن يوفقني في هذا البحث، وأن ينفع به كل مطلع، وطالب علم .

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ٢

ماجستير يوسف السلمي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٦

١٤٣٠/٠٧/١٨

Ali Fattani

۞ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تبرز أهمية الموضوع من خلال النقاط الآتية:

١- تَعلُّق علم التناسب بالقرآن الكريم .

٢- إن علم التناسب يعين على فهم معاني القرآن ومقاصده .

٣- إن استخلاص ما ورد من تناسب بين الآيات من خلال كتاب التحرير والتنوير يعتبر عملا ذا أهمية بالغة ؛ كونه يستخلص علما جليلا ويجمعه بعد أن كان منثورا بين ثنايا الكتاب .

٤- إن اهتمام الطاهر ابن عاشور ~ بهذا العلم في تفسيره جاء بعد جهود عدد من العلماء المتقدمين في هذا المجال، مما منحه تميّزاً فيه، ومكنه من الاستفادة من جهودهم السابقة .

٥- حاجة المتخصصين إلى معرفة هذا العلم وفهمه، ليزيد من علاقتهم بالقرآن الكريم، وإيمانهم به .

۞ الدراسات السابقة:

١-التناسب القرآني عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ، دراسة تطبيقية ، الجزء الأول والثلاثون من القرآن الكريم ، إعداد خالد محمود عزام ، جامعة اليرموك بالأردن .

٢-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي .

٣- تناسق الدرر في تناسب السور، عبدالرحمن السيوطي .

٤-جواهر البيان في تناسب سور القرآن، عبدالله بن محمد الصديق الغماري .

٥-المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، د. عبدالله بن مقبل القرني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

ماجستير يوسف السلمي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٦ ١٤٣٠/٠٧/١٨
Ali Fattani

٦-أسرار التناسب والنظم في الأسماء الحسنى والصفات العلا في فواصل سورة الأنفال، عواطف حمزة خياط، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى .

٧-التناسب البلاغي في سورة لقمان، موسى بن درباش الزهراني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى .

٨-التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، د. أحمد أبو زيد، رسالة دكتوراه، جامعة محمد الخامس بالرباط .

وأحب أن أنوه أن هناك دراسات تناولت تفسير التحرير والتنوير من جوانب مختلفة، وهي:

١-الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره (التحرير والتنوير)، هيا ثامر مفتاح العلي .

٢-مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، شعيب بن أحمد الغزالي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى .

٣-المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، حؤاس بزي .

٤-خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، إبراهيم بن علي الجعيد، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى .

٥-أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر ابن عاشور في كتابه (التحرير والتنوير)، مشرف بن أحمد بن جمعان، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى .

ومن خلال استعراض الدراسات السابقة - سواء المتعلقة بعلم المناسبات أو المعتمدة على تفسير التحرير والتنوير - لم أجد في أي منها دراسة لعلم المناسبات من خلال تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، مما يجعل هذه الدراسة من الدراسات الجديدة والحديثة في ساحة البحث العلمي، تضاف إلى الدراسات السابقة التي

ماجستير يوسف السلمي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٦ ١٤٣٠/٠٧/١٨ Ali Fattani

اعتمدت على تفسير التحرير والتنوير.

۞ منهج البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي، ومن مفرداته:

١-نسبة الأقوال إلى أصحابها .

٢-عزو الآيات إلى سورها وأرقامها .

٣-عزو الأحاديث إلى مخرجيها، وتبيين حكم العلماء عليها .

٤- ما كان في الصحيحين وخرجه غير الشيخين سأكتفي تخريجه منهما.

٥-ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في البحث .

٦-جمع ودراسة أقوال ابن عاشور في المناسبات من خلال السور المحددة .

٧-الموازنة بين تلك الأقوال وبين أقوال بعض أهل العلم في حال ورود أقوال لهم.

٨-الخروج بما هو ألطف، وأنسب في الغالب، وإن كان لامانع من تعدد المناسبات في الآية الكريمة .

٩- ذكر أثر المناسبة، ويشمل الإضافة الجديدة التي أضافها ابن عاشور إلى التفسير، وذلك في حدود مايلي:

أ - انفراد ابن عاشور بالمناسبة عن غيره من المفسرين.

ب - وجود نكتة بلاغية في المناسبة لم يسبق إليها.

۞ خطة البحث:

قسمت الخطة إلى مقدمة وتمهيد، وسبعة فصول، وخاتمة .

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، والخطة .

ماجستير يوسف السلمي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٦ ١٤٣٠/٠٧/١٨ Ali Fattani

التمهيد: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف علم المناسبات، وأهميته، ونشأته، ومراحله .

المبحث الثاني: التعريف بكتاب التحرير والتنوير، وبمؤلفه .

المبحث الثالث: منهج ابن عاشور في إيراد المناسبات .

الفصل الأول: سورة الرعد، وفيه تمهيد، وأربعة مباحث:

المبحث الأول: مقاصدها .

المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها .

المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها

المبحث الرابع: . تناسب آياتها، وأثره في التفسير .

الفصل الثاني: سورةإبراهيم، وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: مقاصدها .

المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها.

المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها .

المبحث الرابع: تناسب آياتها، وأثره في التفسير .

الفصل الثالث: سورة الحجر، وفيه تمهيد، وأربعة مباحث:

المبحث الأول: مقاصدها .

المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها .

المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها .

المبحث الرابع: تناسب آياتها، وأثره في التفسير .

الفصل الرابع: سورة النحل، وفيه تمهيد، وأربعة مباحث:

ماجستير يوسف السلمي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٦ ١٤٣٠/٠٧/١٨ Ali Fattani

المبحث الأول: مقاصدها .

المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها .

المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها .

المبحث الرابع: تناسب آياتها، وأثره في التفسير .

الفصل الخامس: سورة الإسراء، وفيه تمهيد، وأربعة مباحث:

المبحث الأول: مقاصدها .

المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها .

المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها .

المبحث الرابع: تناسب آياتها، وأثره في التفسير

الفصل السادس: سورة الكهف، وفيه تمهيد، وأربعة مباحث:

المبحث الأول: مقاصدها .

المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها .

المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها .

المبحث الرابع: تناسب آياتها، وأثره في التفسير

الفصل السابع: سورة مريم، وفيه تمهيد، وأربعة مباحث:

المبحث الأول: مقاصدها .

المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها .

المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها .

المبحث الرابع: تناسب آياتها، وأثره في التفسير

-الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث.

ماجستير يوسف السلمي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٦ ١٤٣٠/٠٧/١٨ Ali Fattani

وفي نهاية البحث سأذيله بالفهارس الآتية:

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث الشريفة .
- فهرس الآثار .
- فهرس الأعلام .
- فهرس المراجع والمصادر .
- فهرس الموضوعات.

ماجستير يوسف السلمي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٦ ١٤٣٠/٠٧/١٨ Ali Fattani

التمهيـــد

التمهيـــد

وفيـه ثلاثـة مباحـث:

۞ المبحث الأول: مدخل إلى علم المناسبات.

۞ المبحث الثاني: التحرير والتنوير، المؤلف والكتاب.

۞ المبحث الثالث: منهج الطاهر بن عاشور في إيراد المناسبات.

المبحث الأول

مدخل إلى علم المناسبات

وفيه خمسـة مطالـب :

- ۞ المطلب الأول: تعريفه، وموضوعه، وثمرته.
- ۞ المطلب الثاني: نشـأته.
- ۞ المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبات.
- ۞ المطلب الرابع: أهميته، وفائدته، وأشهر المؤلفات فيه.
- ۞ المطلب الخامس: أنواع المناسبات.

* *   * *   * *

المطلب الأول: تعريفه، وموضوعه، وثمرته

تعريف علم المناسبات:

المناسبات لغة: جمع مناسبة، والمناسبة الـمُشَاكَلَةُ، ونَاسَبَ فلانًا شَرَكَهُ في نَسَبِهِ وشَاكَلَهُ، يُقَالُ: بينهما مناسبةٌ، ويُقالُ: نـاسَبَ الأمـرُ أو الشّيءُ فلانًا، أي لاءَمَهُ ووافقَ مِزَاجَهُ، والتّناسبُ التّشَابُهُ، والمقاربةُ، وفلانٌ يُنَاسِبُ فُلانًا، أي يَقرُبُ مِنهُ ويُشَاكِلُهُ، ومنه النّسيبُ الذي هو القريبُ المتّصِلُ[١].

وفي اصطلاح المفسّرين: هو علمٌ تُعرفُ منه عِلَلُ ترتيب أجزائهِ، بعضها إثر بعض، وهو سرّ من أسرار البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال[٢].

وعرّفه ابن العربي[٣] بقوله: «ارتباط آي القُرآن بعضها ببعض حتّى تكون كالكلمة الواحدة، متّسقة المعاني، مُنتظِمة المباني علمٌ عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة[٤]، ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حَمَلة، ورأينا الخلق بأوصاف البَطَلَة؛ ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه»[٥].

---

(١) ينظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي، (١/ ١٧٥)؛ مختار الصحاح، أبي بكر الرازي، (٦٥٦)؛ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (٢/ ٩٥٦).

(٢) انظر: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، تأليف: د محمد أحمد القاسم (٣١).

(٣) محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد الإمام أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي الحافظ، أحد الأعلام، ولد سنة (٤٦٨هـ)، كان من أهل التفنن في العلوم، والجمع لها، (ت٥٤٣هـ). ينظر: طبقات المفسّرين، للسيوطي (ص٩٠)؛ طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي (ص١٨٠)؛ سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ١٩٧).

(٤) لم أقف على اسم هذا العالم.

(٥) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/ ٣٦)؛ الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٢/ ٩٧٦)، نقلا عن ابن العربي من كتابه "سراج المريدين".

وعَرّفه الزّركشي[1] بقوله: «المناسبة أمرٌ مَعْقُولٌ، إذا عُرِضَ على العقول؛ تَلَقَّتْهُ بالقَبول»[2].

ومن خلال هذه التعريفات يمكن القول بأن علم المناسبات عِلمٌ يعنى بالبحث في أسرار ترابط الآيات وأجزائها، وترابط السور ببعضها، انطلاقًا من مقاصدها وأغراضها، للوصول إلى اتساق معانيها، وانتظام مبانيها.

موضوعه: السور والآيات القرآنية.

ثمرته: الاطلاع على الرُّتبة التي يستحقّها الجزء بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتّعلق، الذي هو كلُحمةِ النّسَبِ[3]، وبه يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكّنُ من اللبّ[4].

(١) محمد بن عبدالله بن بَهَادر الزَّركَشي الموصلي الشّافعي بدر الدين، ولد سنة (٧٤٥هـ)، ألّف تصانيفَ كثيرة في عدة فنون، (ت٧٩٤هـ). ينظر: طبقات المفسرين، للداوود(٢/ ١٦٢)؛ طبقات المفسرين، الأدنه وي (ص٣٠٢)؛ طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي الشافعي (٣/ ١٦٧).

(٢) البرهان (١/ ٣٦).

(٣) نظم الدرر (١/ ٥).

(٤) المصدر نفسه (١/ ١٠).

المطلب الثاني: نشأته

أدرك بلغاء العربِ بلاغة القرآن الكريم منذ فترة نزولـه، مـع أنهـم قـدحوا فيـه، وَوصفوه بأوصاف سيئة، وكان الحامل لهم على ذلك هو الكبر والمعانده.

ومِمّا يَدُلُّ على ذلك موقف الوليد بـن المغيرة[1] بعـد سماعه القـرآن الكـريم مـن الرسول ﷺ، حيث عَلِمَ أبـو جهـل[2] بـذلك فأتـاه فقـال: يـا عـم إن قومـك يـرون أن يجمعوا لك مالا، قال: لِمَ؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قـولا يبلـغ قومـك أنـك منكـر لـه، أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلـم بالأشـعار مِنِّـي، ولا أعلـم بِرَجْزٍ[3] ولا بقصيدة مِنِّي، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقـول شـيئًا مـن هـذا، ووالله إنّ لِقَوْلِهُ الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مغدقٌ أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنــه ليُحَطِّم فاتحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيـه، قال: فدعني حتى أفكّر، فلمّا فكّـر قـال: هـذا سـحرٌ يُـؤثر، يَـأْثُره عـن غـيره، فنزلـت: ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴾[المدثر:١١][4].

---

(١) هو الوليد بن المغيرة بن عبدالله من بني مخزوم، والد الوليد وخالد { ، من ألدِّ أعداء الرسول ﷺ، مات مشركًا في السّنة الأولى من الهجرة بمكة. ينظر: سيرة ابن هشام، أبـو محمـد عبـدالملك بـن هـشام الحمـيري المصري (٢/ ٢٥٦)؛ السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٢/ ٣٤١).

(٢) أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، كان يُكنى أبا الحكم فكَناهُ رسولُ الله ﷺ أبا جهل فذهبت، كان شديد العداوة لرسول الله ﷺ، أجْهَزَ عليه عبدالله بن مسعود ﷺ يوم بـدر. ينظـر: سـيرة ابـن هشام (٥/ ٣٠٥)؛ الرّوض الأُنُف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبـدالرحمن بـن عبـدالله السهيلي (٢/ ١٧٦).

(٣) الرَّجَزُ من الشعرسمي بذلك لتقارب أَجزائه وقلة حروفه. انظر: لسان العرب لابن منظور ٤/ ٣٤٨.

(٤) أخرج هذه الرواية الحاكم في مستدركه عن ابن عباس { ، وقال: «هـذا حـديث صـحيح الإسـناد عـلى شرط البخاري ولم يُخرجاه»، وقال الذّهبي: «على شرط البخاري». المستدرك، الإمام الحاكم أبو عبـدالله محمد بن عبدالله، تعليق الإمام الذّهبي، كتاب التفسير، تفسير سورة المدثر (٢/ ٥٥٠)، رقم [٣٨٧٢].

إن اعتراف الوليد بن المغيرة لَيَدُلُّ دلالةً واضحة على تأثير القرآن الكريم على النّفس البشرية وإن كانت كافرة، وهذا التّأثير إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على روعة القرآن وسلاسته وترابطه، وقُوَّة إعجازه البلاغي.

وأخرج ابن جرير[(١)] في تفسيره عن ابن عباس[(٢)] { قال: أتى رسول الله ﷺ ابن مِشْكَم[(٣)] في عامة من يهودٍ سماهم، فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئت به، حقٌّ من عند الله ﷻ؟ فإنّا لا نراه متناسقًا كما تَنَاسَقُ التوراةُ، فقال لهم رسول الله ﷺ: {**أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه مكتوبًا عندكم، ولو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله ما جاؤوا به**}[(٤)].

---

(١) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، ولد بآمل سنة (٢٢٤هـ)، كان حافظًا لكتاب الله، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، له جامع البيان في تفسير القرآن، وهو أجلُّ التفاسير، وتاريخ الأمم، وتهذيب الآثار، وغير ذلك من المؤلفات، (ت٣١٠هـ). ينظر: طبقات المفسرين، السيوطي (ص٨٢)؛ طبقات المفسرين، الداوودي (٢/ ١١٠)؛ طبقات المفسرين، الأدنه وي (٤٨).

(٢) عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، وهو أحد المكثرين من الصحابة ﵃، دعا له الرسول ﷺ بالحكمة والفقه والتأويل، (ت٦٨هـ) بالطائف. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٢/ ٣٣٠).

(٣) هو سَلام بن مِشكَم [بتشديد اللام] من رؤساء اليهود في المدينة، وسيد بني النضير في زمانه. ينظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٣١١)؛ السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٥٤٠).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطّبري (١٧/ ٥٤٧)؛ وقد روى الطبري هذا الحديث قال: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس { . وهذا إسنادٌ ضعيفٌ فيه يونس وهو "صدوقٌ يُخطئ". تقريب التهذيب، أحمد بن حجر العسقلاني، (ص١٠٩٨) رقم [٧٩٥٧]، وفيه محمد بن أبي محمد وهو "مجهول". تقريب التهذيب، (ص٨٩٤) رقم [٦٣١٦]؛ وذكره جلال الدين عبدالرحمن السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول (ص١٤٠).

وذكر الزّركَشِي أن أوّل من أظهر علم المناسبات هو أبو بكر النيسابوري[1]، وكان يُزْري[2] على علماء بغداد لجهلهم وجوه المناسبات بين الآيات، وكان يقول إذا قرئت عليه الآية أو السورة: «لِمَ جُعِلَت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة

(١) عبدالله بن محمد بن زياد بن واصل، أبو بكر النيسابوري الحافظ الفقيه الشافعي مولى آل عثمان بن عفان، كان إمام عصره في الشافعية بالعراق، توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٦٥)؛ الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفَدي أبو الصفاء (١٧/ ٤٨٠).

وفي ترجمة أبي بكر النيسابوري خلاف ذكره الدكتور/ عبدالحكيم أنيس في بحثه: (أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية) الذي نُشِر في مجلة الأحمدية، العدد (١١).

(٢) وزَرَى عليه عَمَلَه إذا عابَه وعَنَّفَه وأَزْرَى به بالألف إِزْراءً قَصَّرَ به وحَقَّرَه وهَوَّنه، والإِزراء التَّهاوُن بالشيء يقال أَزْرَيْت به إذا قَصَّرْتَ به وتَهاوَنْتَ وازْدَرَيْته أي حَقَّرته. انظر: لسان العرب لابن منظور ١٤/ ٣٥٦.

المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبات

انقسم العلماء حول علم المناسبات بين الآيات والسُّوَر إلى فريقين، وسوف أَعرِضُ آراءهم، ثم سأُبَيِّن الراجح بإذن الله تعالى.

أ - القائلون بوجود التناسب بين الآيات والسور:

تُعَدُّ مناسبة الآيات والسور، وارتباط مبانيها، من وجوه إعجاز القرآن الكريم، ويُعَدُّ الإمام أبو بكر النيسابوري أول من دعا إلى هذا العلم، وكان مُتَفَقِّهًا في الشريعة والأدب، وقد تقدم أنه كان يقول: «لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة ملاصقة للأخرى؟ وكان يلقي باللائمة على علماء بغداد لإهمالهم علم المناسبات».

والمتدبر لكتاب الله تعالى يجد أنه على الرغم من نزوله مُفَرَّقًا، إلا أنه اكتمل مترابطًا مُحْكَمًا.

كما قال به ابن العربي، حيث قال في كتابه: "سراج المريدين": «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، عِلمٌ عظيمٌ، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله -عز وجل- لنا فيه، فلما لم نجد له حَمَلَةً، ورأينا الخلق بأوصاف البَطَلَة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه» (1).

واهتم به الإمام فخر الدين الرازي، الذي ضَمَّنَه تفسيره مفاتيح الغيب.

وقال به الإمام برهان الدين البقاعي(2)، حيث قال: «علم مناسبات القرآن علم

---

(1) نقل هذا القول الزركشي في البرهان ١/ ٣٦.

(2) إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط ابن علي بن أبي بكر برهان الدين، كنَى نفسه بأبي الحسن الخرباوي البقاعي، نزيل القاهرة، ثم دمشق، صاحب المناسبات، ولد تقريباً سنة (٨٠٩هـ) بقرية خربة روحا، (ت٨٨٥هـ). ينظر: طبقات المفسرين، الأدنه وي (ص٣٤٧).

تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير، نسبة علم البيان من النحو».

ويقول ابن عاشور: «وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونُكَت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو مَنزَعٌ جليلٌ، قد عَنَى به فخر الدين الرازي، وألّف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى: "نظم الدرر في تناسب الآي والسُّوَر"، إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع»[(١)].

ومن خلال ما سبق يتبين أن عددًا من العلماء المتقدمين والمتأخرين يقولون بوجود التناسب بين الآيات والسور، مع العلم أن علماء آخرين -غير الذين ذُكِروا- قالوا بهذا القول.

ب - المعارضون لوجود التناسب بين الآيات والسُّوَر:

وَرَدَ عن بعض العلماء معارضةٌ لهذا الفن، بزعم أنه تَكَلُّفٌ مَحْضٌ، وكان من أبرزهم سلطان العلماء العز بن عبدالسلام[(٢)]، والإمام المفسِّر محمد بن علي الشوكاني[(٣)].

(١) التحرير والتنوير (١/ ٨).

(٢) عبد العزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن، شيخ الإسلام وبقية الأعلام، الشيخ عز الدين أبو محمد السّلمي الدمشقي الشافعي، ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمس مائة، كان ناسكًا ورعًا أمّارًا بالمعروف، نهّاءً عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، توفي سنة (٦٦٠هـ). ينظر: الوافي بالوفيات، (١٨/ ٥٢٠)؛ طبقات الشافعية (٢/ ١٠٩).

(٣) محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بـهَجْرة شوكان من بلاد خولان باليمن سنة (١١٧٣هـ)، كان يرى تحريم التقليد، له نحو (١١٤) مؤلفًا، =

قال العز بن عبدالسلام: «واعلم أن من الفوائد أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضُه ببعض، ويتشبث بعضُه ببعض، لئلا يكون مقطّعًا مُتَبَّرًا، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر مُتّحد، فيرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة، لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن ربط ذلك فهو مُتكَلِّف، لما لم يقدر عليه إلا بِرَبطٍ ركيكٍ، يُصانُ عن مثله حَسَنُ الحديث، فضلا عن أحسنه، فإن القرآن نزل على الرسول ﷺ في نَيِّفٍ[1] وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة، وما كان كذلك لا يتأتّى ربط بعضه ببعض، إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض، مع اختلاف العلل والأسباب»[2].

ثم أخذ يضرب أمثلة لذلك.

فسلطان العلماء لم يعارض وجود المناسبة والترابط بين الكلام، لكنه اشترط أن يقع الكلام في أمر مُتّحد، وما عدا ذلك فهو يراه أمرًا مُتَكَلَّفًا.

أما الإمام الشوكاني فقد أنحى باللوم، بل بالتقريع على أئمة التفسير القائلين بالتناسب في القرآن الكريم، وأطال في الاستدلال لرأيه، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[البقرة:٤٧]، فقال: «اعلم أن كثيرًا من المفسرين جاؤوا بعلم مُتَكَلَّف، وخاضوا في بحر لم يُكَلَّفُوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فنٍّ لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية، المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاؤوا

من أشهرها "فتح القدير" في التفسير، (ت١٢٥٠هـ). ينظر: الأعلام، للزركلي (٦/ ٢٩٨).

(١) النيّف: وكلُّ ما زاد على العَقْد فهو نيّف بالتشديد وقد يخفف حتى يبلغ العَقْد الثاني انظر: لسان العرب لابن منظور٩/ ٣٤٢.

(٢) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام (ص٢٢١).

بتكلفات وتعسفات يَتَبَرَّأُ منها الإنصاف، ويتنزَّه عنها كلام البلغاء، فضلا عن كلام الربِّ سبحانه»(١).

إن رأي الإمام الشوكاني يستلزم الوقوف عنده؛ كونه يمثل الاتجاه المقابل للقائلين بالتناسب بين الآيات.

وإن ما ذمه الشوكاني من التكلف في هذا العلم لا شك أنه ذمٌّ في محله، إذ التّكلف غير مقبول عمومًا.

أما قوله بأن فن المناسبة كلامٌ بمحض الرأي المنهي عنه ففيه مبالغة، لأن الرأي المنهي عنه هو الرأي الناشئ عن الهوى، أو غير الملتزم بضوابط التفسير.

قال الإمام الشاطبي(٢): «إعمال الرأي في القرآن جاء ذمّه، وجاء أيضًا ما يقتضي إعماله...فما كان موافقًا كلام العرب، والكتاب والسنة؛ فهذا لا يمكن إهمال مثله لعالم بهما، أما الرأي غير الجاري على موافقة العربية، أو غير الجاري على الأدلة الشرعية؛ فهذا هو الرأي المذموم المنهي عنه»(٣).

كما أن ذكر المناسبة بين الآيات والسور ليس تكلّفا بمحض الرأي، بل يُبرِز الوحدة المعنوية[٤] بين آيات وسور الكتاب العزيز، ويرسخ الاعتقاد بإعجاز القرآن الكريم، لما يبديه هذا العلم من لطائف القرآن وأسراره، كما أنه يعزز رأي العلماء الذين يرون أن ترتيب السور توقيفي، لا اجتهاد فيه.

---

(١) فتح القدير للشوكاني (١/ ١٧١).

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي صاحب (الموافقات)، و(الاعتصام)، وغير ذلك، (ت٧٩٠هـ). ينظر: الأعلام (١/ ٧٥)؛ معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة (١/ ٧٧).

(٣) الموافقات في أصول الفقه، للشاطبي (٤/ ٢٧٦).

٤ **الوحدة المعنوية على طريقة المتكلمين في المناسبات لم تثبت أبدا إذ كيف يمكن أن تكون هناك وحدة معنوية لسورة البقرة مثلا وقد تناولت موضوعات شتى ومتنوعة .أفاده د عبد الله الدروي مناقش الرسالة .فهو يرى هذا الرأي وغيره يخالفه.**

أما قوله: «فقد جاؤوا بتكلفات وتعسفات...»؛ بعضاً من المفسرين، ولكن ما أكثر المناسبات البديعة التي يقبلها العقل، ويطرب لها الذوق، وإذا قمنا برفض أي علم لأخطاء وقعت فيه، لما بقي لنا علم.

ومن خلال استعراض رأي الفريقين يتبين أن القول الأول -وهو القول بالتناسب بين الآيات والسور- هو القول الراجح، كون التناسب بين الآيات قد أشار إليه بعض الصحابة عند تفسيرهم للقرآن الكريم، مثل الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود، وجابربن عبدالله رضي الله عنهم، إلى جانب أن كثيرًا من المفسرين اعتنوا بهذا العلم في تفاسيرهم، وأقرّه جمعٌ كبيرٌ من العلماء؛ لأنه يبرز وجهًا مهمًّا من وجوه إعجاز القرآن.

كما أن الإمام الشوكاني قد أشار في تفسيره إلى التناسب(1)، ممّا يدلّ دلالة واضحة أن التناسب له ارتباط وثيق بالتفسير، ولا يمكن للمفسر إغفاله وإن ذمّه، بل نجده يُثني على الإمام البقاعي، وعلى كتابه نظم الدرر حيث قال: «ومن أمعن النظر في كتابه المترجَم له في التفسير، الذي جعله في المناسبات بين الآي والسور؛ علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء، الجامعين بين علم المعقول والمنقول، وكثير ما يشكل عَلَيَّ شيء في الكتاب فأرجع إلى مطولات التفسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي، وأرجع إلى هذا الكتاب -نظم الدرر- فأجد فيه ما يفيد في الغالب»(2).

إن إمعان النظر في كلام كل من الإمامين، العزّ بن عبدالسلام، والشوكاني؛ يُظهِر فرق بينهما، فالعزّ بن عبدالسلام يُقِرّ بالمناسبات إلا أنه يمنع التكلّف في طلبها، والإمام الشوكاني يردها جملةً وتفصيلا، ويعتبر طلبها تَعَدِّيًا على القرآن الكريم.

---

(1) قال رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية. [البقرة: ٢٥]: «لما ذكر تعالى جزاء الكافرين؛ عقّبه بجزاء المؤمنين ليجمع بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، كما هي عادته سبحانه في كتابه العزيز، لما في ذلك من تنشيط عباده المؤمنين، وتثبيط عباده الكافرين عن معاصيه». فتح القدير (١/ ١٤٢).

(2) البدر الطالع للشوكاني (١/ ١٩).

وبين القولين فرقٌ شاسعٌ.

لكن لماذا التباين في موقف الإمام الشوكاني من المناسبات؟ ألم يشن هجمةً قويةً على القائلين بالتناسب مرّة، ويُثني على كتاب نظم الدرر المهتم بالتناسب بين الآيات والسور تارة أخرى؟!

ألم يَعتبِرْ طلبَ المناسبة تَكَلُّفًا ورأيًا محضًا، ثم يوردها بين الآيات في تفسيره؟!

إن هذا التباين في موقفه ~ يستوجب وقفة تأمل، ولعل الجواب الذي يلتئم مع الواقع، هو أن الإمام الشوكاني لما رأى البعض يتكلف في طلب التناسب بين الآيات والسُّوَر؛ خشي من خروج المفسرين إلى أغراض ثانوية على حساب الغرض الأساسي للتفسير؛ فَشَنّ تلك الهجمة عليهم، ولكنه لما شرع في تفسيره -فتح القدير- لم يغفل الربط بين بعض، وكأنه يقول بلسان الحال: إن الممنوع في طلب المناسبة هو التكلف في طلبها إذا لم تكن ظاهرة، وتحميل القرآن ما لا يحتمل، أما إذا كانت متبادرة إلى الذهن فلا مانع من بيانها. والله تعالى أعلم.

المطلب الرابع: أهمّيته وفائدته، وأشهر المؤلفات فيه

تبرز أهمّيّة علم المناسبات من خلال الآتي:

١-كونه يمثل نوعًا فريدًا من أنواع الإعجاز البلاغي والبياني للقرآن الكريم .

٢-يعتبر من أهم قواعد التفسير التي اعتمد عليها المفسرون في اختياراتهم[(١)] .

٣-قال أبو بكر ابن العربي: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم».

٤-قال الزركشي: «واعلم أن المناسبة علمٌ شريفٌ تحرز به العقول، ويعرف به

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي الحربي (١/ ١٢٥).

قدر القائل فيما يقول»[1].

٥-قال الباقلاني[2]: «فأما نهج القرآن ونظمه وتأليفه ورصفه فإن العقول تتيه في جهته، وتحار في بحره، وتضل دون وصفه»[3].

فائدته:

١-المساعدة على فهم كتاب الله تعالى، وبيان المراد من الآية.

٣- إبراز وجه مهم من وجوه إعجاز القرآن الكريم وبلاغته.

٤- توجيه الإنسان إلى التدبر والتفكر في كتاب الله ﷻ.

أشهر المؤلفات فيه:

أَلَّف عدد من العلماء - المتقدمين والمتأخرين - مؤلفاتٍ عديدةً عنَوا فيها بعلم المناسبات، فمنهم من تناوله في كتب علوم القرآن، ومنهم من أفرده بالتأليف، ومنهم من أشار إليه إشارات لطيفة في بعض المواضع.

ولما كانت النفس تتشوق لمعرفة أهم وأشهر المؤلفات في هذا الفن، طمعًا في الاستزادة، وتحصيلا للفائدة، كان لا بد من عرض أهم تلك المؤلفات، وذلك على سبيل المثال لا الحصر:

---

(١) البرهان (١/ ٣٥).

(٢) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري القاضي أبو بكر الباقلاني المتكلم الأشعري، سكن بغداد وتوفي بها سنة (٤٠٣هـ)، من تصانيفه: إعجاز القرآن، والانتصار. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (٤/ ٢٦٩)؛ سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠)؛ الوافي بالوفيات (٣/ ١٧٧).

(٣) إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني (ص١٩٧).

أولا: المؤلفات والبحوث من غير كتب التفسير، ومن أهمها:

١- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي.

٢- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، للإمام بديع الزمان سعيد النورسي.

٣- أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية، لعبد الحكيم الأنيس. بحث منشور في مجلة الأحمدية، دبي، العدد (١١)، جمادى الأولى، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م).

٤- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، للدكتور محمد أحمد يوسف القاسم.

٥- إمعان النظر في نظام الآي والسور، لمحمد عناية الله محمد هداية الله.

٦- البرهان في ترتيب سور القرآن، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي الغرناطي.

٧- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي.

٨- التعبير القرآني، لفاضل صالح السامرائي.

٩- التناسب البياني في القرآن، لأحمد أبو زيد. رسالة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط، (١٩٩٢م).

١٠- تناسق الدرر في تناسب السور، لجلال الدين السيوطي.

١١- فواتح السور وخواتيمها، لعبد العزيز الخضيري. رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود، (١٩٩٧م).

١٢- فواتح السور ومناسبتها لمقاصد السور، لمنال بنت منصور محمد القرشي. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، (١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م).

١٣- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، لجلال الدين السيوطي. نشر: المكتبة المكية، مكة المكرمة، تحقيق: د. محمد بن عمر بازمول، ط١، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م).

١٤- معترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطي.

١٥- مناسبات الآيات والسور، نشأة علم المناسبة، محلها ودلالتها، وأثرها في التفسير، لعلي عبدالعزيز سيور. بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد (٢٥)، ربيع الثاني (١٤٢٤هـ)، يونيو (٢٠٠٣).

١٦- المناسبات في القرآن الكريم، ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، لعبد الله بن مقبل القرني. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، (١٤١٣).

١٧- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبدالعظيم الزرقاني.

١٨- النبأ العظيم، لمحمد عبدالله دراز.

ثانيا: المؤلفات من كتب التفسير، ومن أشهرها:

١٩- مفاتيح الغيب، مؤلفه: محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبدالله.

٢٠- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، المؤلف: الإمام / برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى .

٢١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد العمادي.

٢٢- الأساس في التفسير، لسعيد حَوّى.

٢٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر البيضاوي.

٢٤- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي.

٢٥- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور.

٢٦- تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا.

٢٧- التفسير القيم للإمام ابن القيم.

٢٨- جواهر البيان في تناسب سور القرآن، لعبد الله بن محمود الصديق الغماري .

٢٩- حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي.

٣٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الآلوسي.

٣١- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني.

٣٢- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري.

٣٣- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل.

٣٤- في ظلال القرآن، لسيد قطب.

المطلب الخامس: أنواع المناسبات

وردت عدة تقسيمات لأنواع المناسبات في كتب المهتمين بهذا العلم، واختلفت تلك التقسيمات من حيث عددها ومسمياتها، ومن خلال التأمل والتتبع، اتضح أن المناسبات تنقسم إلى قسمين رئيسين، ولكل قسم صور تندرج تحته، وذلك على النحو الآتي:

القسم الأول: التناسب بين الآيات في السورة الواحدة، وله أربع صُوَر:

١- تناسب كلمات الآية الواحدة.

٢- تناسب ترتيب الآيات.

٣- تناسب مطلع السورة مع مقاصدها.

٤- تناسب مطلع السورة مع خاتمتها.

القسم الثاني: التناسب بين السور، وله ثلاث صُوَر:

١- تناسب فاتحة السورة مع فاتحة ما قبلها.

٢- تناسب خاتمة السورة مع فاتحة ما بعدها.

٣- تناسب مقاصد السورة مع السورة التي قبلها.(١)

(١) انظر: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، تأليف: د محمد أحمد القاسم (٢٩٨) ومابعده.

المبحث الثاني

التعريف بالطاهر ابن عاشور وكتابه

وفيه خمسـة مطالـب :

- المطلب الأول: نسبه ونسبته.
- المطلب الثاني: مولده ونشأته.
- المطلب الثالث: شيوخه.
- المطلب الرابع: وفاته.
- المطلب الخامس: التعريف بتفسيره التحرير والتنوير.

* *   * *   * *

المطلب الأول: نسبه ونسبته

هوشيخ الإسلام: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابـن عاشـور التونـسي، رئيس المفتين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه(1).

أسرة آل عاشور:

أصل هذه الشجرة الزكية الأول هـو محمـد بـن عاشـور، ولـد بمدينـة سـلا مـن المغرب الأقصى بعد خروج والده من الأندلس، فارا بدينه مـن القهـر والتنـصير. تـوفي سنة ١١١٠هـ

وقد سطع نجم آخر وهو الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وهو جد مترجمنا، ولـد سنة ١٢٣٠هـ وقد تقلـد مناصـب هامـة كالقـضاء، والإفتـاء، والتـدريس، والإشرا ف على الأوقاف الخيرية، والنظارة على بيت المال، والعضوية بمجلس الشورى.

ومن أشهر تلاميذه الشيخ محمد العزيز بوعتور(2)، والشيخ أحمد بن الخوجـة(3)،

---

(١) الأعلام للزركلي ٦/ ١٧٤.

(٢) محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب ابن الوزير محمد بـن محمـد بـو عتـور الصفاقسي التونـسي: وزير، من العلماء الكتاب.

أصله من صفاقس، من بني الشيخ عبدالكافي العثماني (نسبة إلى عثمان بن عفـان) ومولـده سـنة ١٢٤٠هـ ووفاته سنة ١٣٢٥هـ بتونس.

ولي الكتابة في حكومتها سنة ١٢٦٢ ه، وتقـدم، فكـان كاتبـا خاصـا لاسرار الملـك، وأحـد أعـضاء مجلـس الشورى الخاص، وكانت الخطب الملكية والرسائل الهامة والمنشورات كلها من إنشائه.الأعلام٦/ ٢٦٨.

(٣) أحمد بن محمد بن الخوجة، أبو العباس: فاضل، من شيوخ تونس وعلمائها.

مولده سنة ١٢٤٥هـ ووفاته فيها سنة ١٣١٣هـ.

ولي قضاء الحنفية، ثم الفتوى، ثم مشيخة الاسلام سنة ١٢٩٤ هـ.

له (كشف اللثام عن محاسن الاسلام) وعدة رسائل في موضوعات مختلفة. الأعلام ١/ ٢٤٢.

والشيخ سالم بوحاجب[1]، والشيخ محمود الخوجة[2]، والشيخ محمد بيرم[3]. ومن سلالة آل عاشور والد شيخنا الشيخ محمد ابن عاشور، وقد تولى رئاسة مجلس إدارة جمعية الأوقاف، ثم خلفه عليها "أبو النخبة المثقفة" محمد البشير صفر[4]، حيث عينته الدولة نائبا عنها في تلك المؤسسة، وقد تدعمت الصلة وتمتنت بين الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الجد، وتلميذه محمد العزيز بوعتور الوزير، نتج عنها زيجة شرعية لابنة الثاني - محمد العزيز بوعتور - على ابن الأول - الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الجد - وهكذا تمت أواصر هذه العائلة بالعائلات التونسية[5].

(١) مترجم له في شيوخه.

(٢) محمود بن محمد بن الخوجه، الحنفي، عالم مشارك في بعض العلوم، ودرس بالجامع الاعظم وغيره، وتولى خطبة الافتاء، ثم مشيخة الإسلام، توفي سنة ١٣٢٩هـ انظر: معجم المؤلفين ١٢/ ١٩٥.

(٣) محمد بن حسين بن أحمد بن محمد بن حسين بن بيرم: من أعيان الأسرة البيرمية بتونس، أقام مفتيا فيها خمسا وأربعين سنة، وشرع في عدة تصانيف، فلم يتم منها غير (بغية السائل باختصار أنفع الوسائل في تحرير المسائل للطرسوسي) في فقه الحنفية، و(رسالة في السياسات الشرعية) وله نظم، توفي سنة ١٢١٤هـ الأعلام ٦/ ١٠٤.

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) مقالات الإمام: محمد الطاهر بن عاشور ص ٨ إعداد أ. علي الرضا الحسيني

المطلب الثاني: مولده ونشــأته

بشّرت هذه العائلة الشريفة، بولادة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، بالمرسى ضاحية من ضواحي العاصمة التونسية في جمادى الأولى سنة ١٢٩٦ هـ.(١)

نشأ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، في بيئة علمية لجده للأب قاضي قضاة الحاضرة التونسية، وجده للأم الشيخ محمد العزيز بوعتور.

ففي مثل هذا الوسط العلمي، والسياسي، والإصلاحي، شب مترجمنا فحفظ القرآن الكريم حفظا متقنا منذ صغر سنه، وحفظ المتون العلمية، كسائر أبناء عصره من التلاميذ، وارتحل إلى المشرق العربي، وأوروبا وشارك في عدة ملتقيات إسلامية.

وكان عضوا مراسلا لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وبالمجمع العلمي العربي بدمشق.(٢)

---

(١) من أعلام الزيتونه شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور ص ٣٧، د بلقاسم الغالي

(٢) ينظر: الشيخ محمد الطاهربن عاشور ومنهجه في تفسيره لهياء العلي ص ٢٥- ٢٦، ومحمد الطاهر ابن عاشوروكتابه مقاصد الشريعة لمحمد الحبيب ١/ ١٥٣، وشيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره لبالقاسم الغالي ص ٣٧.

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه

اكتسب الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ثقافة واسعة، شملت التفسير، والحديث، والقراءات، ومصطلح الحديث، والبيان، واللغة، والتاريخ، والمنطق، وعلم العروض.

ولا يخفى أنه تخرج على أيدي ثلة من علماء عصره، امتازوا بثقافة موسوعية في علوم الدين، وقواعد اللغة العربية وبلاغتها وبيانها وبديعها، إلى جانب قدرة على التبليغ، ومعرفة بطرق التدريس، والتركيز على تربية الملكات في العلوم، ومن أشهرهم:

١- الشيخ محمد بن عثمان بن محمد النجار (أبو عبدالله) فقيه، أصولي، محدث، مفسر. تخرج في جامع الزيتونة، وتولى فيه منصب الإفتاء مع التدريس، و من مؤلفاته: مجموعة إملاءات على أمهات أحاديث صحيح البخاري، الفتاوى في ثمان مجلدات، بغية المشتاق في مسائل الاستحقاق، مصنف في رؤية الهلال، ومصنف في شرح حديث لا عدوى، توفي سنة١٣٣١هـ[(١)]

٢- الشيخ سالم بن عمر بو حاجب النبيلي (أبو النجاة) فقيه مشارك في أنواع من العلوم.

تولى التدريس في جامع الزيتونة، ثم الفتيا.

له من الآثار: شرح على ألفية ابن عاصم في الأصول، تقريرات على البخاري، ديوان خطب، تقريرات على الأشموني على الخلاصة، وله نظم. ت سنة ١٣٤٢هـ[(٢)]

٣- الشيخ محمد النخلي من أشهر علماء جامع الزيتونه، ولد بالقيروان عام ١٢٨٦هـ وكان الشيخ من أشهر دعاة الإصلاح في تونس، من مؤلفاته: رسالة في

(١) معجم المؤلفين ١٠/ ٢٨٦

(٢) معجم المؤلفين ٤/ ٢٠٣

الفقه المالكي، ورسالة في المرأة المسلمة، وتراجم بعض الأعلام التونسين من أبناء عصره، توفي عام ١٣٤٢هـ[١]

٤- الشيخ محمد بن يوسف[٢].

٥- الشيخ عمر ابن عاشور[٣].

٦- الشيخ محمد صالح الشريف ولد عام ١٢٨٥هـ، وأصل أسرته من بجاية في الجزائر، وتخرج على كوكبة من العلماء، أمثال: عمر بن الشيخ، سالم بو حاجب، وانتصب للتدريس بالجامع الأعظم بعد حصوله على شهادة التطويع عام ١٣٠٤هـ ت ١٣٣٨هـ[٤].

تلاميذه كثيرون، ومن أشهرهم على سبيل المثال لا الحصر:

١- عبدالحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس: رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، من بدء قيامها سنة ١٩٣١ م، إلى وفاته، وأتم دراسته في الزيتونة بتونس.

وأصدر مجلة (الشهاب) مجلة علمية دينية أدبية، صدر منها في حياته نحو خمسة عشر مجلدا، وكان شديد الحملات على الاستعمار، وحاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتوليته رياسة الأمور الدينية فامتنع واضطهد وأوذي، وقاطعه إخوة له كانوا من الموظفين، وقاومه أبوه، وهو مستمر في جهاده، وأنشأت جمعية العلماء في عهد رياسته وكثير من المدارس، وتوفي في حياة والده سنة ١٣٥٩هـ .

---

(١) انظر كتاب آثار الشيخ محمد النخلي (١٨- ٤٠)جمع عبدالمنعم النخلي

(٢) لم أقف له على ترجمة

(٣) لم أقف له على ترجمة

(٤) انظر: تراجم الأعلام للفاضل ابن عاشور ص ٢١٢

له (تفسير القرآن الكريم) اشتغل به تدريسا زهاء أربعة عشر عاما، ونشرت نبذة منه ثم جمع تفسيره لآيات من القرآن، باسم (مجلس التذكير)[1].

٢- ابنه: محمد الفاضل بن محمد الطاهر ابن عاشور: أديب وخطيب، مشارك في علوم الدين، من طلائع النهضة الحديثة النابهين، في تونس، تخرج بالمعهد الزيتوني وأصبح أستاذا فيه فعميدا، وكان من أنشط أقرانه دؤوبا على مكافحة الاستعمار الذي كان يسمى (الحماية) .

وشارك في ندوات علمية كثيرة، وفي بعض مؤتمرات المستشرقين، وشغل خطة القضاء بتونس ثم منصب مفتي الجمهورية.

وهو من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة، ورابطة العالم الاسلامي بمكة، طبع من كتبه (أعلام الفكر الاسلامي في تاريخ المغرب العربي)، (الحركة الادبية والفكرية في تونس)، (أركان الحياة العلمية بتونس) ت سنة ١٣٩٠هـ[2].

(١) انظر: الأعلام ٣/ ٣٨٩.

(٢) انظر: الأعلام ٦/ ٣٢٥.

المطلب الرابع: مؤلفاته[1]

مؤلفاته كثيرة نشيرالى بعض منها، مجموعة من المطبوع، ومجموعة من المخطوط، فمن المطبوع مايلي:

١ - تفسيرالتحرير والتنوير[2]

٢ - مقاصد الشريعة الإسلامية [3]

٣ - أصول النظام الإجتماعي في الإسلام [4]

٤ - أليس الصبح بقريب [5]

٥ - كشف المغطى عن المعاني الواقعة في الموطأ[6]

٦ - حواشي على التنقيح لشهاب الدين القرافي في أصول الفقه[7]

ومن المخطوط مايلي:

١ - أراء اجتهادية. [8]

٢ - الفتاوى.

---

(١) ينظر: الشيخ محمد الطاهربن عاشور ومنهجه في تفسيره لهياء العلي ص ٧٥-ـ٧٨

(٢) طبعت أجزاء في حياته، ثم توالت بعد وفاته حتى طبعت الطبعة الكاملة منه سنة ١٤٠٤هـ بالدار التونسية للنشر. انظر: أثر الدلالات اللغوية عند ابن عاشور رسالة دكتواره مقدمه من / الطالب: مشرف الزهراني جامعة إم القرى أشرف عليه د/ أمين محمد عطيه باشا. ص(٢٤)

(٣) طبعت الطبعة الأولى منه في الشركة التونسية للتوزيع سنة ١٩٧٨م . المرجع السابق ص(٢٥)

(٤) طبعت الطبعة الأولى منه بالمطبعة االرسمية للتونس سنة ١٩٦٤م المرجع السابق ص(٢٥)

(٥) طبعت الطبعة الأولى في المصرف التونسي للطباعة سنة ١٩٦٧م المرجع السابق ص(٢٥)

(٦) طبعت الطبعة الأولى الشركة التونسية للتوزيع سنة ١٩٧٥م المرجع السابق ص(٢٤)

(٧) طبعت الطبعة الأولى بمطبعة النهضة بتونس سنة ١٣٤١م المرجع السابق ص(٢٥)

(٨) مخطوط بمكتبته المرجع السابق(٢٥)

٣- تعليق وتحقيق على شرح حديث أم زرع.

٤- قضايا شرعية وأحكام فقهية وأراء اجتهادية ومسائل علمية.

٥- آمال على دلائل الإعجاز.

٦- تعاليق على المطول للتفتازاني وحاشية السيالكوتي [١]

(١) ينظر: أثر الدلالات اللغوية عند ابن عاشور رسالة دكتواره مقدمه من / الطالب: مشرف الزهراني جامعة أم القرى أشرف عليها د/ أمين محمد عطيه باشا.(٢٤)

المطلب الخامس: وفاته

وقد توفي الطاهر بن عاشور في (١٣ رجب ١٣٩٣ هـ) بعد حياة حافلة بـالعلم، والإصلاح والتجديد على مستوى تونس والعالم الإسلامي.[١]

(١) شيخ الإسلام محمد الطاهر ابن عاشور، الشيخ: محمد الحبيب بن الخوجه ١/ ١٦٨

المطلب السادس: التعريف بتفسير ابن عاشور

يقع تفسير التحرير والتنوير في ثلاثين جزءا موزعا على اثني عشر مجلداً طبع في دار سحنون في تونس، وله عدة طبعات من دور مختلفة، وقد سلك ابن عاشور في تفسيره منهجاً متميزاً، فجاء محتوياً على مزايا عظيمة، متضمناً علوماً كثيرة، وفوائد جمة وربما كانت عزيزة.

وقد بذل في هذا التفسير قصارى جهده، واستجمع قواه العقلية والعلمية؛ فتجلت فيه مواهبه المتعددة، وتبين من خلاله علوُّ كعبه وعلميته الفذة النادرة، ومنهجه التربوي، ونظراته الإصلاحية.

بدأ المؤلف كتابه بتمهيد ذكر فيه أن تفسير كتاب الله كان من أكبر أمنياته حيث قال: «فقد كان أكبر أمنيتي منذ أمد بعيد، تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين، وموثق شديد العرى من الحق المتين، والحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها، والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها، طمعا في بيان نكت من العلم وكليات من التشريع، وتفاصيل من مكارم الأخلاق ولكني كنت على كلفي بذلك أتجهم التقحم على هذا»(١)

ثم بين ما اهتم به في تفسيره، فقال: «وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى نظم الدرر في تناسب الآي والسور إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع، أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقا على المفسر .

ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ٥.

القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله .

واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة . وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد ونكتا على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير، بحيث ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القماطير، ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير »[1].

ثم ختم هذا التمهيد بذكر اسم الكتاب قال: «وسميته تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد . واختصرت هذا الاسم باسم التحرير والتنوير من التفسير»[2].

بعد هذا أخذ بذكر مقدمات تكون عونا للباحث في التفسير، وتغنيه عن معاد كثير، و هي عشر مقدمات:

المقدمة الأولى: في التفسير والتأويل وكون التفسير علما.

المقدمة الثانية: في استمداد علم التفسير.

المقدمة الثالثة: في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه.

المقدمة الرابعة: فيما يحق أن يكون غرض المفسر.

المقدمة الخامسة: في أسباب النزول.

المقدمة السادسة: في القراءات.

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ٨

(٢) التحرير والتنوير ١/ ٨

المقدمة السابعة: في قصص القرآن.

المقدمة الثامنة: في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها.

المقدمة التاسعة: في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن، تعتبر مرادة بها.

المقدمة العاشرة: في إعجاز القرآن.

المبحث الثالث

منهج الطاهر بن عاشور في إيراد المناسبات

* * ** * *

المبحث الثالث:
منهج الطاهر بن عاشور في إيراد المناسبات

بعد ما عشت مع تفسير ابن عاشور وأقواله في ذكر المناسبات، والبحث فيها، ومن ثم التعليق عليها، تبين من خلال ذلك للباحث المنهج الذي سار عليه ابن عاشور في إيراده للمناسبات وحديثه عنها، ويمكن أن نلخص ذلك فيما يلي:

١- عند البدء في التفسير يذكر الآية أو الآيات، ثم يتبعه ذكر المناسبه أو الربط ثم يشرع في التفسير وهكذا دائما.

٢- يكون ذكره للمناسبة إما بالتصريح بلفظ المناسبة، أو بغير تصريح كقوله: وعلاقة هذه الآية بما قبلها، أو وهي مرتبطة بكذا، وغير ذلك .

٣- نجده أحيانا يطنب في ذكر المناسبة، ويختصر في أخرى، والغالب عليه التوسط.

٤- ويكون ربطه وذكره للمناسبة من وجوه: -

- ربط المناسبة بالآية التي قبلها.
- ربط المناسبة بآية سابقة .
- ربط المناسبة بآية لاحقة.
- ربط المناسبة بأكثر من آية.
- ربط المناسبة بجملة من آية .
- ربط المناسبة بغرض من أغراض السورة.
- تعدد ربط المناسبة الواحدة بأكثر من وجه مما سبق ذكره.

٥- في الغالب ينص بالجزم على ذكر المناسبة، وقد يوردها بالاحتمال، كقوله: (لعل).

٦- إن كان للآية معنيان، فإنه يذكر منا سبة لكل معنى في الغالب.

٧- المناسبة التي فيها خلاف يذكر الأقوال ثم يرجح، وقد يذكر قولا جديدا، وربما يعرض عن ذكر الخلاف.

٨- يعقد المقارنات بين المناسبتين المتشابهتين في أغلب الأحوال.

٩- في الغالب يذكر مناسبة افتتاح السورة، وكذلك مناسبة الختم .

١٠- عند ذكر بعض المناسبات أحيانا يستشهد على حسن المناسبة بفنون البلاغة، أو بالشعر ونحوا ذلك[١] .

[1] مخلصاً من المناسبات وأثرها ، لعمر المديفر ، ص ٧٥ ـ ٥٨

الفصل الأول

الفصل الأول

سورة الرعد

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

- ۞ المبحث الأول: مقاصدها.
- ۞ المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها.
- ۞ المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها.
- ۞ المبحث الرابع: تناسب آياتها، وأثره في التفسير.

تمهيـــــد

سورة الرعد

اسمهـا:

هكذا سميت من عهد السلف . وذلك يدل على أنها مسماة بذلك من عهد النبي ﷺ إذ لم يختلفوا في اسمها .

وجه تسميتها: وإنما سميت بإضافتها إلى الرعد لورود ذكر الرعد فيها بقوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ [الرعد:١٣]. فسمّيت بالرعد لأن الرعد لم يذكر في سورة مثل هذه السورة [(١)]

نوعها: فإن هذه السورة مكية كلّها أو معظمها .

وهذه السورة مكية في قول مجاهد[(٢)] وروايته عن ابن عباس[(٣)] ورواية علي بن أبي طلحة[(٤)] وسعيد بن جبير[(١)] عنه وهو قول قتادة[(٢)] . وعن أبي بشر

---

(١) التحرير والتنوير١٣/ ٧٦.

(٢) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة، قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت ؟ وتنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة، ويقال: إنه مات وهو ساجد ت سنة ١٠٤هـ انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤٩ ، والأعلام ٥/ ٢٧٨.

(٣) عبد الله بن عباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد بمكة ،ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها.

له في الصحيحين وغير هما ١٦٦٠ حديثا، قال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس، ت ٦٨هـ انظر الأعلام ٤/ ٩٥.

(٤) علي بن أبي طلحة سالم مولى بني العباس سكن حمص أرسل عن بن عباس ولم يره من السادسة صدوق قد يخطئ مات سنة ثلاث وأربعين، تقريب التهذيب لابن حجر ١/ ٦٩٧.

قال: سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي في آخر سورة الرعد(٤٣) أهو عبدالله بن سلام[٣] ؟ فقال: كيف وهذه سورة مكية، وعن ابن جريج[٤] وقتادة في رواية عنه وعن ابن عباس أيضاً: أنها مدنية، وهو عن عكرمة[٥] والحسن البصري، وعن عطاء[٦] عن ابن عباس . وجَمَعَ السيوطي وغيره بين الرّوايات

---

(١) سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبدالله: تابعي، وهو حبشي الاصل، أخذ العلم عن عبدالله بن عباس وابن عمر، ثم كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء ؟ يعني سعيدا ، قال : الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيدا وما على وجه الارض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه.ت سنة ٩٥هـ انظر الأعلام ٣/ ٩٣.

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه، قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث، رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب.ت سنة ١١٨هـ انظر: الأعلام ٥/ ١٨٩.

(٣) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي: أبو يوسف: صحابي، قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب ، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان اسمه " الحصين " فسماه رسول الله ﷺ عبدالله.

وفيه الآية: " وشهد شاهد من بني إسرائيل " والآية " ومن عنده علم الكتاب " وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية ،ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية، اتخذ سيفا من خشب، واعتزلها.

وأقام بالمدينة إلى أن مات.سنة ٤٣هـ له خمسة وعشرون حديثا انظر الأعلام ٤/ ٩٠.

(٤) عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد: فقيه الحرم المكي، كان إما م أهل الحجاز في عصره، وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة، رومي الاصل، من موالي قريش ، مكي المولد والوفاة، قال الذهبي: كان ثبتا، لكنه يدلس، ت سنة ١٥٠هـ

انظر: الأعلام ٤/ ١٦٠.

(٥) عكرمة أبو عبدالله مولى بن عباس أصله بربر ي ثقة ثبت عالم بالتفسير من الثالثة مات سنة سبع ومائة وقيل بعد ذلك. تقريب التهذيب لابن حجر١/ ٦٨٥.

(٦) عطاء بن أبي رباح بفتح الراء والموحدة واسم أبي رباح أسلم القرشي مولاهم المكي ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال من الثالثة مات سنة أربع عشرة على المشهور، وقيل إنه تغير بأخرة، ولم يكثر ذلك منه. تقريب التهذيب لابن حجر١/ ٦٧٤- ٦٧٥.

بأنها مكية إلاّ آيات منها نزلت بالمدينة يعني قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد:١٢] وقوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٤٣]. قال ابن عطية: والظاهر أن المدني فيها كثير، وكل ما نزل في شأن عامر بن الطفيل(١) وأربد بن ربيعة فهو مدني .

ويقول ابن عاشور: أشبه آياتها بأن يكون مدنياً قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد:٤١]. وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:٣٠]، فقد قال مقاتل(٢) وابن جريج نزلت في صلح الحديبية (٣).

قال ابن عاشور: ومعانيها جارية على أسلوب معاني القرآن المكيّ من الاستدلال على الوحدانية وتقريع المشركين وتهديدهم . والأسباب التي أثارت القول بأنها مدنية أخبار واهية، وسنذكرها في مواضعها من هذا التفسير، ولا مانع من أن تكون مكيّة . ومن آياتها آيات نزلت بالمدينة وألحقت بها . فإن ذلك وقع في بعض سور القرآن(٤).

ترتيبها بين السور: فالذين قالوا: هي مكية لم يذكروا موقعها من ترتيب المكيات

(١) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري، من بني عامر بن صعصعة: فارس قومه، وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية، كنيته أبو علي، ولد ونشأ بنجد، وكان يأمر مناديا في (عكاظ) ينادي: هل من راجل فنحمله ؟ أو جائع فنطعمه ؟ أو خائف فنؤمنه ؟.وخاض المعارك الكثيرة، وأدرك الإسلام شيخا، ت سنة ١١هـ انظر: الأعلام ٣/ ٢٥٢.

(٢) مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن: أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، وتوفي بالبصرة، كان متروك الحديث.

من كتبه (التفسير الكبير)، و(نوادر التفسير) و(الرد على القدرية) و(متشابه القرآن) و(الناسخ والمنسوخ) و(القراآت) و(الوجوه والنظائر) .ت سنة ١٥٠انظر: الأعلام ٧/ ٢٨١.

(٣) التحرير والتنوير١٣/ ٧٧.

(٤) التحرير والتنوير١٣/ ٧٧.

سوى أنهم ذكروها بعد سورة يوسف، وذكروا بعدها سورة إبراهيم .

والذين جعلوها مدنية عَدّوها في النزول بعد سورة القتال، وقَبل سورة الرحمن، وعَدّوها سابعة وتسعين في عداد النزول . وإذ قد كانت سورة القتال نزلت عام الحديبية، أو عام الفتح تكون سورة الرعد بعدها[1] .

عدد آياتها: وعُدّت آياتها ثلاثاً وأربعين من الكوفيين وأربعاً وأربعين في عدد المدنيين وخمساً وأربعين عند الشام.[2]

(١) المرجع السابق

(٢) البيان في عد آي القرآن للداني ١/ ١٦٩.

المبحث الأول: مقاصدها

ذكر ابن عاشور مقاصد سورة الرعد وأهم موضوعاتها، في مطلع حديثه عن السورة وتفسيرها، فقال: «أقيمت هذه السورة على أساس إثبات صدق الرسول فيما أوحي إليه من إفراد الله بالإلهية والبعث، وإبطال أقوال المكذّبين، فلذلك تكررت حكاية أقوالهم خمس مرات موزعة على السورة بدءاً ونهاية، ومُهّد لذلك بالتنويه بالقرآن وأنه منزل من الله، والاستدلال على تفرده تعالى بالإلهية بدلائل خلق العالَمَيْن ونظامهما الدال على انفراده بتمام العلم والقدرة، وإدماج الامتنان لما في ذلك من النعم على الناس، ثم انتقل إلى تفنيد أقوال أهل الشرك ومزاعمهم في إنكار البعث، وتهديدهم أن يحلّ بهم ما حلّ بأمثالهم، والتذكير بنعم الله على الناس، وإثبات أن الله هو المستحق للعبادة دون آلهتهم .

وأنّ الله العالم بالخفايا وأنّ الأصنام لا تعلم شيئاً ولا تنعم بنعمة، والتهديد بالحوادث الجوية أن يكون منها عذاب للمكذبين كما حلّ بالأمم قبلهم، والتخويف من يوم الجزاء، والتذكير بأن الدنيا ليست دار قرار .

وبيان مكابرة المشركين في اقتراحهم مجيء الآيات على نحو مقترحاتهم، ومقابلة ذلك بيقين المؤمنين . وما أعد الله لهم من الخير، وأن الرسول ما لقي من قومه إلا كما لقي الرسلُ عليهم السلام من قبله، والثناء على فريق من أهل الكتب يؤمنون بأن القرآن منزل من عند الله، والإشارة إلى حقيقة القدر ومظاهر المحو والإثبات، وما تخلل ذلك من المواعظ والعبر والأمثال»(١) .

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ٧٧.

المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها

في هذ المبحث يظهر ربط افتتاحية السورة بمقاصدها الأساسية، بحيث يتجلى الترابط في أبهى صوره، وأروع مبانيه، وتظهر السورة متماسكة، ومتناسب مطلعها مع مقاصدها .

فقد بدأت السورة بقوله تعالى: ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ
ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢
وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ
ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ
وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤ ۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ
جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ
فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الرعد:١-٥] "وابتداء السورة بهذا تنويه بما في القرآن الذي هذه السورة جزء منه مقصود به تهيئة السامع للتأمل مما سيرد عليه من الكلام"(١). وفي هذه الفاتحة إشارة إلى أساسيات العقيدة، من إثبات القرآن والرسالة، والدعوة إلى التوحيد عن طريق الحث على التفكر والتدبر في الحقائق الدالة على الوحدانية، وتأكيد قضية البعث والجزاء.

وهذه المعاني التي أشارت إليها السورة من أول آياتها هي التي تناولتها بشيء من التفصيل والإيضاح في بقية الآيات حتى يأتي قوله تعالى في آخرها ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣﴾ [الرعد:٤٣] فقد انطبق هذا الآخر على أول السورة في أن المنزل حق من عنده وأنهم لايؤمنون.(٢)

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ٧٩.

(٢) نظم الدرر ١٠/ ٣٦٨.

وهكذا تكون السورة وحدة متكاملة من أول آياتها إلى آخر آية فيها . والله أعلم.

ويبين سيد قطب[1] مناسبة الإفتتاح لجملة مقاصد السورة فيقول: «هذا هو الافتتاح الذي يلخص موضوع السورة كله، ويشير إلى جملة قضاياها . ومن ثم يبدأ في استعراض آيات القدرة، وعجائب الكون الدالة على قدرة الخالق وحكمته وتدبيره، الناطقة بأن من مقتضيات هذه الحكمة أن يكون هناك وحي لتبصير الناس؛ وأن يكون هناك بعث لحساب الناس . وأن من مقتضيات تلك القدرة أن تكون مستطيعة بعث الناس ورجعهم إلى الخالق الذي بدأهم وبدأ الكون كله قبلهم . وسخره لهم ليبلوهم فيما آتاهم .

وتبدأ الريشة المعجزة في رسم المشاهد الكونية الضخمة . . لمسة في السماوات، ولمسة في الأرضين . ولمسات في مشاهد الأرض وكوامن الحياة .

ثم التعجيب من قوم ينكرون البعث بعد هذه الآيات الضخام، ويستعجلون عذاب الله، ويطلبون آية غير هذه الآيات » [2].

ومن خلال ماسبق، يتبين لنا تناسب مطلع السورة مع مقاصدها وموضوعاتها . والله أعلم

---

(١) سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط.تخرج في كلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٣٥٣هـ (١٩٣٤ م) وعمل في جريدة الأهرام.وكتب في مجلتي (الرسالة) و(الثقافة) وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف.ثم (مراقبا فنيا) للوزراة، وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (١٩٥٣ م- ٥٤) وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرهاوهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم سنة ١٣٨٧هـ. انظر: الأعلام ٣/ ١٤٧.

(٢) ظلال القرآن ٤/ ٢٠٣٨.

المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها(١)

ابن عاشور لم يتعرض للمناسبات بين السور، لأنه يرى أن البحث في هذا الأمرليس حقا على المفسر فيقول في مقدمة كتابه « أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقا على المفسر»(٢).

وكذلك نعرض نحن عن هذا في هذا المبحث .

(١) للعلماء في ترتيب السور مذاهب ثلاثة:

١- فمنهم من يقول إن الترتيب اجتهادي، وهم ابن فارس، والقاضي عياض، والبقاعي .

٢- ومنهم من يقول إن الترتيب توقيفي، وهم أبو بكر الباقلاني، وأحد قولي ابن حجر، وابن الحصار، والطيبي، والنحاس، وابن الأنباري.

٣- ومنهم من يقول إن البعض بالتوقيف، والبعض بالاجتهاد، وهم البيهقي، وابن عطية، وابن الزبير، والراجح القول الثاني الذي يرى أن الترتيب توقيفي .

ينظر: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره ص(٢٥٧) ومابعدها.

ومن الأدلة : ١ـ استدلوا**على ذلك بأن الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كتب في عهد عثمان، ولم يُخالف منهم أحد، وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف؛ لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاحف المخالفة بمخالفتهم، ولكنهم عدلوا عن مصاحفهم وأحرقوها، ورجعوا إلى مصحف عثمان وترتيبه جميعًا. مناهل العرفان (٣٥٤/١)**

٢ـ وعن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ؟ قال: ((أُعطِيت مكانَ التوراة السبع الطوالَ، وأُعطِيت مكان الزبور المِئين، وأُعطِيت مكان الإنجيل المثانيَ، وفُضلْت بالمفصل)) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده كتاب باب (١٣٦/١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤٧٥/٥)، وأشار إليه السيوطي بالحسن: فيض القدير شرح الجامع الصغير (٥٦٥/١)

(٢) التحرير والتنوير ١/ ٨.

المبحث الرابع: تناسب آياتها وأثره في التفسير

لقد ربط الطاهر بن عاشور ~ بين كثير من الآيات في تفسيره، وذكر مناسبة الآية مع أختها الأخرى، سواء كانت قبلها مباشرة أم تسبقها بعدة آيات.

ولقد اعتنى الطاهر بن عاشور ~ بربط الآيات بعضها ببعض في مواطن عدة في تفسيره التحرير والتنوير، وهذه المناسبات من خلال سورة الرعد:

١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾ [الرعد: ٢].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«استئناف ابتدائي هو ابتداء المقصود من السورة وما قبله بمنزلة الديباجة من الخطبة، ولذا تجد الكلام في هذا الغرض قد طال واطّرد

ومناسبَة هذا الاستئناف لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[الرعد: ١]، لأن أصل كفرهم بالقرآن ناشىء عن تمسكهم بالكفر وعن تطبعهم بالاستكبار والإعراض عن دعوة الحق» [1].

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: « اعلم أنه تعالى لما ذكر أن أكثر الناس لا يؤمنون ذكر عقيبه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد»[2].

قال ابن عطية[3]: « لما تضمن قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١]

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ٧٩.

(٢) مفاتيح الغيب ١٨/ ٥٢٨.

(٣) القاضي أبومحمد عبدالحق بن غالب بن عطية الغرناطي، كان فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث =

توبيخ الكفرة، عقب ذلك بذكر الله الذي ينبغي أن يوقن به، ويذكر الأدلة الداعية إلى الإيمان به»[1].

قال البقاعي: « فلما أثبت سبحانه لهذا الكتاب أنه المختص بكونه حقاً فثبت أنه أعظم الأدلة والآيات، شرع يذكر ما أشار إليه بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ﴾ من الآيات المحسوسة الظاهرة الدالة على كون آيات الكتاب حقاً بما لها في أنفسها من الثبات، والدلالة بها لفاعلها من القدرة والاختيار - على أنه قادر على كل شيء، وأن ما أخبر به من البعث حق لما له من الحكمة، والدالة - بما للتعبير عنها من الإعجاز - على كونها من عند الله، وبدأ بما بدأ به في تلك من آيات السماوات لشرفها ولأنها أدل»[2].

قال أبو حيان[3]: «ولما ذكر انتفاء الإيمان عن أكثر الناس، ذكر عقيبه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد وما يجذبهم إلى الإيمان فيما يفكر فيه العاقل، ويشاهده من عظيم القدرة وبديع الصنع»[4].

قال السمرقندي[5]: «فلما ذكر أنهم لا يؤمنون، بيّن الدلائل التي توجب

= والفقه والنحو والأدب، مقيداً حسن التقييد، من مؤلفاته (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز). توفي سنة (٥٤١هـ). انظر: طبقات المفسرين للسيوطي(١/ ٢٦٠).

(١) المحرر الوجيز٣/ ٢٩٢.

(٢) نظم الدرر ٤/ ١١٧

(٣) أبو حيان النحوي محمد بن يوسف بن على بن يوسف ابن حيان الغرناطي الاندلسي الجيانى، النفزي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات.
ولد في إحدى جهات غرناطةسنة ٦٥٤هـ، ورحل إلى مالقة.
وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفى فيها، بعد أن كف بصره. سنة ٧٤٥هـ، واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه. انظر: الأعلام للزركلي ٧/ ١٥٢.

(٤) البحر المحيط٥/ ٣٥٣.

(٥) علي بن يحيى، علاء الدين السمرقندي ثم القرماني: مفسر من علماء الحنفية. فقيه، منطقي.
توفي نحوسنة ٨٨٠هـ انظر: الأعلام للزركلي٥/ ٣٢، ومعجم المؤلفين رضا كحالة ٣/ ٢٦١.

التصديق بالخالق»[١] .

ومن هذا النقل، فإن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي استئناف ابتدائي ، وهو أن سبب عدم إيمانهم ، ناشئ عن تمسكهم بالكفر، وعن تطبعهم بالاستكبار، والإعراض عن دعوة الحق.

وهذه المناسبة تعد من تفردات ابن عاشور وإضافاته الجديدة في هذا العلم ولم يسبق إليها.

وأما الرازي فيرى أن المناسبة هي ذكر الدلائل على صحة التوحيد والمعاد.

وبهذا المعنى قال ابن عطية، والبقاعي، والسمرقندي، وأبو حيان .

ومن خلال ماسبق، يظهر أن كل ما ذكر قول حسن في المناسبة، وله أثره في التفسير والربط بين الآيتين، ولامانع من ذكر أكثر من مناسبة للآية الكريمة، ولكن الذي تميل إليه النفس، ما أورده الرازي ومن وافقه فهو أولى وأنسب، لأنه منسجم مع السياق، ولأن ابن عاشور ذكر أسباب عدم إيمانهم، والرازي ذكر الأدلة على صحة المعاد، وذكر الأدلة أوفق وأولى[٢]، وهذه المناسبة لها ارتباط وثيق بمقصد من مقاصدالسورة، وهو الاستدلال على المعاد وصحته، ومتوافقة مع تفسير الآية، غير مخالفة له مخالفة تضاد، ولا نجزم أن هذه المناسبة مراد الله تعالى، غاية الأمر أن هذا ما أداه إليه اجتهاده ونظره وتدبره، والله أعلم .

---

(١) بحر العلوم٢/ ١٨٢.

(٢) ترجيحي في المناسبات، لاينفي ما قد يكون من صحة غيره، وذلك أن السورة أوالجملة من القرآن قد تحتمل أكثرمن وجه في بيان نظامها وارتباطها، ولابأس بتعدد الوجوه، ما لم تؤد إلى تعارض أو تناكر، لأن القرآن مبني على تعدد الدلالة، ولاتزال دائرة دلالاته تتسع وتتنوع، ولايزال مجال الأخذ منه يتراحب .اهـ. بتصرف من مصابيح الدرر، عادل أبوالعلا(١٤٤).

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين، ولم يسبق إليها، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها.

٢ - المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[الرعد:٣].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف على جملة ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[الرعد:٢] فبين الجملتين شبه التضاد. اشتملت الأولى على ذكر العوالم العلوية وأحوالها، واشتملت الثانية على ذكر العوالم السفلية»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي «اعلم أنه تعالى لما قرر الدلائل السماوية أردفها بتقرير الدلائل الأرضية »(٢).

قال ابن عطية: « لما فرغت الآيات من ذكر السماوات ذكرت آيات الأرض»(٣).

قال ابن كثير«لما ذكر تعالى العالم العلوي، شرع في ذكر قدرته وحكمته وأحكامه للعالم السفلي)(٤).

قال أبو حيان «لما قرر الدلائل السماوية أردفها بتقرير الدلائل الأرضية»(٥).

---

(١) التحرير والتنوير ٥/ ٣٢٤

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ٦.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٣

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٣١

(٥) البحر المحيط ٣/ ٣٤٥

قال البقاعي «ولما انقضى ما أراد من آيات السماوات، ثنى بما فيما ثنى به في آية يوسف من الدلالات»[1].

قال النيسابوري «ولما ذكر الدلائل السماوية أتبعها الدلائل الأرضية »[2].

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأت بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم.

(١) نظم الدرر ٤/ ١٢٢.

(٢) غرائب القرآن ٤/ ١٣٧.

٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾ [الرعد: ٥].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف على جملة ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[الرعد: ٢] فلما قُضِي حق الاستدلال على الوحدانية نقل الكلام إلى الردّ على منكري البعث وهو غرض مستقل مقصود من هذه السورة. وقد أدمج ابتداءً خلال الاستدلال على الوحدانية بقوله: ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢] تمهيداً لما هنا، ثم نقل الكلام إليه باستقلاله بمناسبة التدليل على عظيم القدرة مستخرجاً من الأدلة السابقة عليه أيضاً فصيغ بصيغة التعجيب من إنكار منكري البعث، لأن الأدلة السالفة لم تبق عذراً لهم في ذلك فصار إنكارهم محل عجب المتعجب».[1]

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل القاهرة على ما يحتاج إليه في معرفة المبدأ، ذكر بعده مسألة المعاد فقال: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ﴾[الرعد: ٥] »[2].

قال البقاعي: « ولما ثبت قطعاً بما أقام من الدليل على عظيم قدرته بما أودعه من الغرائب في ملكوته التي لا يقدر عليها سواه أن هذا إنما هو فعل واحد قهار مختار يوجد المعدوم ويفاوت بين ما تقتضي الطبائع اتحاده، كان إنكار شيء من قدرته عجباً، فقال عطفاً على قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[هود: ١٧] مشيراً إلى أنهم

(١) التحرير والتنوير١٣/ ٨٩.

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ١١

يقولون: إن الوعد بالبعث سحر لا حقيقة له»[(١)].

قال أبو حيان: « ولما أقام الدلائل على عظيم قدرته بما أودعه من الغرائب في ملكوته التي لا يقدر عليها سواه، عجب الرسول ﷺ من إنكار المشركين وحدانيته، وتوهينهم قدرته لضعف عقولهم فنزل ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ﴾ »[(٢)].

قال ابن عادل الحنبلي[٣]: « لما ذكر الدَّليل على معرفة المبدأ ذكر بعده ما يدلُّ على المعادِ»[(٤)].

قال الشربيني[(5)]: «ولما ذكر تعالى الدلائل القاهرة الدالة على معرفة المبدأ ذكر بعده ما يدل على المعاد »[(٦)].

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثرهم، ولم يأت بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم.

---

(١) نظم الدرر ٤/ ٣٢٢

(٢) البحر المحيط ٧/ ٨٤

3 **عمر بن علي بن عادل الدمشقي، الحنبلي النعماني (أبو حفص) مفسر.**
من تصانيفه: اللباب في علوم الكتاب في تفسير القرآن فرغ من تأليفه في رمضان سنة ٨٧٩ هـ.
الأعلام ٥٨/٥.

(٤) اللباب ٩/ ٣٨٦

(٥) (الخطيب الشربيني) محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين: فقيه شافعي، مفسر، من أهل القاهرة ت ٩٧٧هـ انظر: الأعلام ٦/ ٦.

(٦) السراج المنير٢/ ١٦٤.

٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ [الرعد:٦].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«جملة ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ عطفٌ على جملة ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ [الرعد:٥]، لأن كلتا الجملتين حكاية لغريب أحوالهم في المكابرة والعناد والاستخفاف بالوعيد . فابتدأ بذكر تكذيبهم بوعيد الآخرة لإنكارهم البعث، ثم عطف عليه تكذيبهم بوعيد الدنيا وتكذيبهم الرسول ﷺ ، وفي الاستخفاف بوعيد نزول العذاب، وعَدّهم إياه مستحيلاً في حال أنهم شاهدوا آثار العذاب النازل بالأمم قبلهم، وما ذلك إلا لذهولهم عن قدرة الله تعالى التي سيق الكلام للاستدلال عليها والتفريع عنها، فهم يستعجلون بنزوله بهم استخفافاً واستهزاء كقولهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الأنفال:٣٢] ».(١)

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «اعلم أنه ﷺ كان يهددهم تارة بعذاب القيامة وتارة بعذاب الدنيا، والقوم كلما هددهم بعذاب القيامة أنكروا القيامة والبعث والحشر والنشر وهو الذي تقدم ذكره في الآية الأولى وكلما هددهم بعذاب الدنيا قالوا له: فجئنا بهذا العذاب وطلبوا منه إظهاره وإنزاله على سبيل الطعن فيه، وإظهار أن الذي يقوله كلام لا أصل له فلهذا السبب حكى الله عنهم أنهم يستعجلون الرسول بالسيئة قبل الحسنة، والمراد بالسيئة ههنا نزول العذاب عليهم كما قال الله تعالى عنهم في قوله: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾[الأنفال:٣٢]وإنما قالوا ذلك طعناً منهم فيما ذكره الرسول، وكان ﷺ

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ٩٢.

يعدهم على الإيمان بالثواب في الآخرة وبحصول النصر والظفر في الدنيا فالقوم طلبوا منه نزول العذاب، ولم يطلبوا منه حصول النصر والظفر فهذا هو المراد بقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾[الرعد:٦] ومنهم من فسر الحسنة[1] ههنا بالإمهال والتأخير، وإنما سموا العذاب سيئة لأنه يسوءهم ويؤذيهم »[2].

قال البقاعي: « ولما تضمنت هذه الآية إثبات القدرة التامة مع ما سبق من أدلتها المحسوسة المشاهدة، كان أيضاً من العجب العجيب والنبأ الغريب استهزاءهم بها، فقال معجباً منهم: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ أي استهزاء وتكذيباً»[3].

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة هي أن جملة ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ عطفٌ على جملة ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ [الرعد:٥]، لأن كلتا الجملتين حكاية لغريب أحوالهم في المكابرة والعناد والاستخفاف بالوعيد . فابتدأ بذكر تكذيبهم بوعيد الآخرة لإنكارهم البعث، ثم عطف عليه تكذيبهم بوعيد الدنيا وتكذيبهم الرسول ﷺ، ومن ذكرنا يدور محور كلامهم في هذا المضمار، والله أعلم.

➢ أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثر بهم، ولم يأت بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير، والله أعلم

---

(١) والسيئة: الحالة السيئة. وهي هنا المصيبة التي تسوء من تحل به. والحسنة ضدها، أي أنهم سألوا من الآيات ما فيه عذاب بسوء، كقولهم: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال:٣٢] دون أن يسألوا آية من الحسنات .

فهذه الآية نزلت حكاية لبعض أحوال سؤالهم الظّانين أنه تعجيز، والدالين به على التهكم بالعذاب. انظر: التحرير والتنوير١٣/ ٩٣.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ١٩/ ١٢

(٣) نظم الدرر ٤/ ١٢٧.

٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرعد:١٨].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«استئناف بياني لجملة ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد:١٧]، أي فائدة هذه الأمثال أن للذين استجابوا لربهم حين يضربها لهم الحسنى إلى آخره.

فمناسبته لما تقدم من التمثيلين أنهما عائدان إلى أحوال المسلمين والمشركين .

ففي ذكر هذه الجملة زيادة تنبيه للتمثيل وللغرض منه مع ما في ذلك من جزاء الفريقين، لأن المؤمنين استجابوا لله بما عقلوا الأمثال فجوزوا بالحسنى، وأما المشركون فأعرضوا ولم يعقلوا الأمثال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٣]، فكان جزاؤهم عذاباً عظيماً وهو سوء الحساب الذي عاقبته المصير إلى جهنم . فمعنى ﴿ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾ [الرعد:١٨] استجابوا لدعوته بما تضمنه المثل السابق وغيره».(١)

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: «أما قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الرعد:١٨].

ففيه وجهان:

الأول: أنه تم الكلام عند قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد:١٧] ثم استأنف الكلام بقوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الرعد:١٨].

ومحله الرفع بالابتداء، وللذين خبره، وتقديره لهم الخصلة الحسنى والحالة

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ١٢٢.

الحسنى.

الثاني: أنه متصل بما قبله والتقدير: كأنه قال الذي يبقى هو مثل المستجيب، والذي يذهب جفاء مثل من لا يستجيب، ثم بين الوجه في كونه مثلاً، وهو أنه لمن يستجيب الحسنى، وهو الجنة، ولمن لا يستجيب أنواع الحسرة والعقوبة.

وفيه وجه آخر وهو أن يكون التقدير: كذلك يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الاستجابة الحسنى، فيكون الحسنى صفة لمصدر محذوف»(1).

قال الزمخشري[2]: «﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ﴾[الرعد:١٨] اللام متعلقة بيضرب، أي كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا، وللكافرين الذين لم يستجيبوا، أي: هما مثلا الفريقين و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ صفة لمصدر استجابوا، أي: استجابوا الاستجابة الحسنى.

وقوله ﴿لَوۡ أَنَّ لَهُم﴾ كلام مبتدأ في ذكر ما أعدّ لغير المستجيبين.

وقيل: قد تم الكلام عند قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [الرعد:١٧] وما بعده كلام مستأنف»(٣).

بعد هذا النقل لأقوال المفسرين في المناسبة بين الآيتين، فإن ابن عاشوريرى أن هذه الآية مناسبتها لما تقدم من التمثيلين أنهما عائدان إلى أحوال المسلمين والمشركين.

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ١٩/ ٣٢

2 **محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والاداب ، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله ، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها.**
أشهر كتبه (الكشاف) في تفسير القرآن، و (أساس البلاغة) و (المفصل) (الفائق) في غريب الحديث وكان معتزلي المذهب، مجاهرا، شديد الانكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره ت ٥٣٨هـ الأعلام ١٧٨/٧.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٤٦.

أما الرازي فيرى في الربط أنه تم الكلام عند قوله: ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[الرعد:١٧] ثم استأنف الكلام بقوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الرعد:١٨].

ووافقه في هذا الوجه الزمخشري .

الثاني: أنه متصل بما قبله ، ووجهه أنه لمن يستجيب الحسنى وهو الجنة، ولمن لا يستجيب أنواع الحسرة والعقوبة .

ووافقه فيه ابن عاشور.

وفيه وجه آخر، وافقه فيه الزمخشري، وهو أن يكون التقدير: كذلك يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الاستجابة الحسنى، فيكون الحسنى صفة لمصدر محذوف.

هذا محصلة ماذكر الرازي من أقوال، وموافقة بعض المفسرين له .

ومن خلال ماسبق بيانه، يظهرأن كل ما ذكر قول حسن وجيد وله أثره في التفسير والربط بين الآيتين، ولامانع من ذكر أكثر من مناسبة للآية الكريمة، ولكن لعل ما ذكره ابن عاشور ومن وافقه أنسب وأولى، لأنه منسجم مع السياق، ولأن ابن عاشور ذكرأنها عائدة لأحوال المشركين والمسلمين، وهذا أوفق وأولى بخلاف من يرى أنه تم الكلام: عند قوله﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[الرعد:١٧] ثم استأنف الكلام بقوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الرعد:١٨]، والله أعلم .

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، إذ فيها نكتة بلاغية، لم يسبق إليها، وهو الاستئناف البياني[1] الناشيء عن سؤال مقدر. وتقديره في المناسبة، ما **فائدة هذه الأمثال ؟ فيأتي الجواب أن للذين استجابوا لربهم حين يضربها لهم الحسنى** . والله أعلم.

(١) قال ابن هشام: « ويخص البيانيون الاستئناف بما كان جواباً لسؤال مقدر». انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب(١٤٣).

٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾[الرعد: ٢٠-٢٢].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«يجوز أن تكون ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾.

ابتداء كلام فهو استئناف ابتدائي جاء لمناسبة ما أفادت الجملة التي قبلها من إنكار الاستواء بين فريقين، ولذلك ذكر في هذه الجمل حال فريقين في المحامد والمساوي، ليظهر أن نفي التسوية بينهما في الجملة السابقة، ذلك النفي المرادَ به تفضيل أحد الفريقين على الآخر هو نفي مُؤيد بالحجة، وبذلك يصير موقع هذه الجملة مفيداً تعليلاً لنفي التسوية المقصود منه تفضيل المؤمنين على المشركين، فيكون قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ﴾ [الرعد:١٩] مسنداً إليه، وكذلك ما عطف عليه. وجُملة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ مسنداً، واجتلاب[1] اسم الإشارة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ للتنبيه على أن المشار إليهم جديرون بما بعد اسم الإشارة من أجْل الأوصاف التي قبل اسم الإشارة.

وقد ظهر بهذه الجملة كلها وبموقعها تفضيل الذين يعلمون أن ما أنزل حق بما لهم من صفات الكمال الموجبة للفضل في الدنيا وحسن المصير في الآخرة وبما لأضدادهم من ضد ذلك في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ

(١) الاجتلاب مأخوذ من الجَلْبُ وهو سَوْقُ الشيء من موضع إلى آخر انظر: لسان العرب ١/ ٢٦٨، مادة جلب.

ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥]».[1]

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: «اعلم أن هذه الآية هل هي متعلقة بما قبلها أم لا؟ فيه قولان:

القول الأول: إنها متعلقة بما قبلها، وعلى هذا التقدير ففيه وجهان:

الأول: أنه يجوز أن يكون قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾[الرعد:٢٠] صفة لأولي الألباب.

والثاني: أن يكون ذلك صفةً لقوله: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾[الرعد:١٩].

والقول الثاني: أن يكون قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾[الرعد:٢٠] مبتدأ: و ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[الرعد:٢٢] خبره كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥] ».[2]

قال البقاعي: «ولما منح سبحانه من فيهم أهلية التذكر بالعقول الدالة على توحيده والانقياد لأوامره، كان كأنه عهد في ذلك، فقال يصف المتذكرين بما يدل قطعاً على أنه لا لب[3] لسواهم»[4].

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي أنه ذكر في هذه الجمل حال فريقين في المحامد والمساوي، ليظهر أن نفي التسوية بينهما هو نفي مُؤيد بالحجة.

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ١٢٥.

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ٣٨

(٣) لُبُّ كلِّ شيءٍ ولُبابُه خالِصُه وخِيارُه ولُبُّ كلِّ شيءٍ نفسُه وحَقِيقَتُه واللُّبُّ العَقْلُ والجمع أَلبابٌ وأَلْبُبٌ. انظر: لسان العرب ١/ ٧٢٩، مادة لب.

(٤) نظم الدرر ٤/ ١٤٥

وبهذا المعنى قال البقاعي والرازي في الوجه الأول.

ومن خلال ماسبق بيانه، الذي يظهرأن قول ابن عاشور ومن وافقه من أنه ذكر في هذه الجمل حال فريقين في المحامد والمساوي، ليظهر أن نفي التسوية بينهما هو نفي مُؤيد بالحجة. أولى وأنسب، وأدق في بيان التناسب، وأليق بنظم الكلام، ولا نجزم أن هذه المناسبة مراد الله تعالى، غاية الأمر أن هذا ما أداه إليه اجتهاده ونظره وتدبره . والله أعلم .

أثر المناسبة: من خلال ما سبق بيانه يتضح أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثر بهم، ولم يأت بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير، والله أعلم

٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾ [الرعد:٢١].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«فالمراد بـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ ما يصدق على الفريق الذين يوفون بعهد الله .

ومناسبة عطفه أنّ وصْلَ ما أمر الله به أن يوصل أثر من آثار الوفاء بعهد الله وهو عهد الطاعة الداخل في قوله: ﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١﴾ [يس:٦١] »[١].

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: «وههنا سؤال: وهو أن الوفاء بالعهد وترك نقض الميثاق اشتمل على وجوب الإتيان بجميع المأمورات والاحتراز عن كل المنهيات، فما الفائدة في ذكر هذه القيود المذكورة بعدهما؟

والجواب من وجهين:

الأول: أنه ذكر لئلا يظن ظان أن ذلك فيما بينه وبين الله تعالى فلا جرم أفرد ما بينه وبين العباد بالذكر .

والثاني: أنه تأكيد .»[٢]

ومن خلال ما سبق يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي أنّ وصْلَ ما أمر الله به أن يوصل أثر من آثار الوفاء بعهد الله وهو عهد الطاعة .

وقد انفرد ابن عاشور بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين.

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ١٢٧.

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ٣٨.

وأما الرازي فذكر في الربط بين الآيتين وجهين .

الأول: أن ذكر هذه الآية لئلا يظن ظان أن ذلك فيما بينه، وبين الله فلابد من ذكر ما بينه وبين العباد .

الثاني: أن هذه الآية تأكيد، وهذا فيه بعد، لأن حمل الآية على التأسيس أولى من حملها على التأكيد[1]، كما هو متقرر عند أئمة هذا الشأن .

والذي يظهر أن قول ابن عاشور أولى وأنسب لأن وصْلَ ما أمر الله به أن يوصل أثر من آثار الوفاء بعهد الله وهو عهد الطاعة، وهذا أقوى في بيان التناسب، وأدق من غيره. والله أعلم.

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة ، حيث انفرد بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير. والله أعلم.

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي، (٤٧٣)

٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥﴾[الرعد:٣٥].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«استئناف ابتدائي يرتبط بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ﴾ [الرعد:٢٩]. ذُكر هنا بمناسبة ذكر ضدّه في قوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾ [الرعد:٣٤] [(١)].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة.

قال الرازي: « اعلم أنه تعالى لما ذكر عذاب الكفار في الدنيا والآخرة، أتبعه بذكر ثواب المتقين»[(٢)].

قال البقاعي «ولما توعدهم على تفريطهم في جانب الله، تشوفت النفس إلى ما لأضدادهم»[(٣)].

ومن هذا النقل، فإن المناسبة هي أنه لما ذكر عذاب الكفار في الدنيا والآخرة، أتبعه بذكر ثواب المتقين، في هذا المعنى يدور محور المناسبة بينهم، والله أعلم

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأت بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير، والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ١٥٥.

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ٤٧.

(٣) نظم الدرر ٤/ ١٥٧.

٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرعد:٣٦].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«الواو للاستئناف. وهذا استئناف ابتدائي انتقل به إلى فضل لبعض أهل الكتاب في حسن تلقيهم للقرآن بعد الفراغ من ذكر أحوال المشركين من قوله: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ﴾ [الرعد:٣٠] الخ، ولذلك جاءت على أسلوبها في التعقيب بجملة ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾. والمناسبة هي أن الذين أرسل إليهم بالقرآن انقسموا في التصديق بالقرآن فِرقاً؛ ففريق آمنوا بالله وهم المؤمنون، وفريق كفروا به وهم مصداق قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾[الرعد:٣٠]، كما تقدم أنه عائد إلى المشركين المفهومين من المقام كما هو مصطلح القرآن. وهذا فريق آخر أيضاً أهل الكتاب وهو منقسم أيضاً في تلقي القرآن فرقتين: فالفريق الأول صدّقوا بالقرآن وفرحوا به وهم الذين ذُكروا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[المائدة:٨٣] في سورة العقود وكلهم من النصارى مثل ورقة بن نوفل[1] وكذلك غيره ممن بلغهم القرآن أيام مُقام النبي بمكة قبل أن تبلغهم دعوة النبي فإن اليهود كانوا قد سُرُّوا بنزول القرآن مصدّقاً للتوراة، وكانوا يحسبون دعوة النبي مقصورة على العرب، فكان اليهود يستظهرون بالقرآن على المشركين، قال تعالى: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[البقرة:٨٩]. وكان النصارى يستظهرون به على اليهود؛ وفريق لم يثبت لهم الفرحُ بالقرآن، وهم معظم اليهود والنصارى البعداء عن مكة، وما كفر الفريقان به إلا حين علموا أن دعوة

(١) ورقة بن نوفل من قريش: حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وامتنع من أكل ذبائحها، وتنصر، وقرأ كتب الأديان، وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني، أدرك أوائل عصر النبوة، ولم يدرك الدعوة، وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين. انظر: الأعلام ٨/ ١١٥.

الإسلام عامة وهذه الآية من مجاراة الخصم واستنزال طائر نفسه كيلا ينفر من النظر . وبهذا التفسير يظهر موقع جملة ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ [الرعد:٣٦] بعد جملة ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ ﴾ وأنها جواب للفريقين ..»[١]

> أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: «ولما وصف العالمين بأن المنزل إليه هو الحق برجاحة العقول وأصالة الأداء المؤدية إلى الصلاح الموجب لكل سعادة، والكافرين به بضعف العقول الدافع إلى الفساد الموصل إلى سوء الدار، ومر فيما يلائمه إلى أن ختمه بمثل ما ختم به ذلك، عطف على ذلك قوله.

ويمكن أن يكون اتصاله بما قبله، أنه معطوف على محذوف، هو علة لختم الآية السالفة، تقديره: لأنهم ساءهم ما أنزل إليه حسداً وجهلاً ».[٢]

ومن خلال ماسبق يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي فضل لبعض أهل الكتاب في حسن تلقيهم للقرآن، بعد الفراغ من ذكر أحوال المشركين .

وقد انفرد ابن عاشور بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين.

وأما البقاعي فيرى في الربط بين الآيتن وجهين:

الأول: أنه لما وصف العالمين بأن المنزل إليه هو الحق برجاحة العقول، وأصالة الأداء المؤدية إلى الصلاح الموجب لكل سعادة، والكافرين به بضعف العقول الدافع إلى الفساد الموصل إلى سوء الدار، ومر فيما يلائمه إلى أن ختمه بمثل ما ختم به ذلك، عطف عليه هذا.

الثانية: أنه معطوف على محذوف هو علة لختم الآية السالفة، تقديره: لأنهم

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ١٥٦

(٢) نظم الدرر ٤/ ١٥٨.

ساءهم ما أنزل إليه حسداً وجهلاً.

ومن خلال ماسبق، يظهرأن كل ما ذكر قول حسن وجيد في المناسبة، وله أثره في التفسير، والربط بين الآيات، ولامانع من ذكر أكثر من مناسبة للآية الكريمة، ولا تتزاحم المناسبات، وكل حسن فيما قال. والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين، ولم يسبق إليها، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها. والله أعلم.

١٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية لما قبلها فقال:

«اعتراض وعطف على جملة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٦] لما ذكر حال تلقي أهل الكتابين للقرآن عند نزوله عرج على حال العرب في ذلك بطريقة التعريض بسوء تلقي مشركيه له مع أنهم أولَى الناس بحسن تلقيه، إذ نزل بلسانهم مشتملاً على ما فيه صلاحهم وتنوير عقولهم. وقد جُعل أهم ما في هذا الغرض التنويهَ بعلوّ شأن القرآن لفظاً ومعنى. وأدمج في ذلك تعريض بالمشركين من العرب»[(١)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: «ولما بينت هذه الآيات من مراتب الإعجاز ما بينت، أتبع تعالى ذكر ما أنزل قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الرعد: ٣٠] أي ومثل هذا الإنزال البديع المثال البعيد المنال؛ ولا يبعد أن يكون عطفاً على ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ﴾».[(٢)]

قال أبو السعود: «ثم شرُع في رد إنكارِهم لفروع الشرائع الواردةِ ابتداءً أو بدلاً من الشرائع المنسوخةِ ببيان الحكمةِ في ذلك»[(٣)].

ومن هذا النقل، يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي تعريج على حال العرب في ذلك بطريقة التعريض بسوء تلقي مشركيه له، مع أنهم أولَى الناس بحسن تلقيه، إذ نزل بلسانهم مشتملاً على ما فيه صلاحهم، وتنوير عقولهم.

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ١٥٩

(٢) نظم الدرر ٤/ ١٥٧

(٣) إرشاد العقل السليم ٥/ ٢٦.

وقد انفرد ابن عاشور بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين.

وأما البقاعي فيرى أن المناسبة هي أتبع تعالى ذكر ما أنزل، بعد بيان مراتب الإعجاز .

وأما أبو السعود فله رأي مغاير، فيرى أن المناسبة هي ببيان الحكمةِ في نزول الشرائع.

ومن خلال ماسبق بيانه، الذي يظهر أن الأنسب قول ابن عاشورلأن فيه تعريض بحال العرب في سوء تلقيالمشركين للقرآن، مع أنهم أولَى الناس بحسن تلقيه، إذ نزل بلسانهم مشتملاً على ما فيه صلاحهم، وتنوير عقولهم . فهذا أولى وأنسب، لأنه أدق في بيان التناسب، وأليق بنظم الكلام، وهذه المناسبة لها ارتباط وثيق بمقصد من مقاصدالسورة، وهو التنويه بالقرآن، وأنه منزل من عند الله، ، ولا نجزم أن هذه المناسبة مراد الله تعالى، غاية الأمر أن هذا ما أداه إليه اجتهاده ونظره وتدبره . والله أعلم .

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين، ولم يسبق إليها، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها.

وكذلك في المناسبة نكتة بلاغية، تعد إضافة جديدة لها أثرها، حيث ذكر التعريض هو أن يطلقَ الكلامُ، ويُشارَ به إلى معنى آخرَ يفهَمُ من السياق، [1] كما ذكر ابن عاشورأنه لما ذكر حال تلقي أهل الكتابين للقرآن عند نزوله، عُرج على حال العرب في ذلك بطريقة التعريض، بسوء تلقي مشركيه له، مع أنهم أولَى الناس بحسن تلقيه، إذ نزل بلسانهم مشتملاً على ما فيه صلاحهم وتنوير عقولهم .

وبما سبق يظهر أثر المناسبة البديع . وموقعها الحسن .

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة - (١ / ١٠٦) .

١١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[الرعد:٣٨].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية لما قبلها فقال:

«هذا عود إلى الردّ على المشركين في إنكارهم آية القرآن، وتصميمهم على المطالبة بآية من مقترحاتهم تُماثل ما يؤثر من آيات موسى، وآيات عيسى عليهما السلام، ببيان أن الرسول لا يأتي بآيات إلاّ بإذن الله، وأن ذلك لا يكون على مقترحات الأقوام، وذلك قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، فالجملة عطف على جملة ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾[الرعد:٣٧].

وأدمج في هذا الرد إزالة شبهة قد تعرض، أو قد عرضت لبعض المشركين فيطعنون أو طعنوا في نبوءة محمد بأنه يتزوج النساء وأن شأن النبي أن لا يهتم بالنساء»(١).

وقد وافق ابن عاشور البقاعي في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أنهم مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال البقاعي: في هذا المعنى «ولما حسمت الأطماع عن إجابتهم رجاء الاتباع أو خشية الامتناع، وكان بعضهم قد قال: لو كان نبياً شغلته نبوته عن كثرة التزوج، كان موضع توقع الخبر عما كان للرسل في نحو ذلك، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾»(٢).

ومن هذا النقل، فإن حاصل أقوالهم في المناسبة هي الردّ على عدم منافاة اتخاذ الزوجة لصفة الرسالة، في هذا المحور يدور حديث المناسبة بينهما. والله أعلم .

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ١٦٢

(٢) نظم الدرر ٤/ ١٦٠

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثرهم، ولم يأت بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير، والله أعلم.

١٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾[الرعد:٣٩].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية لما قبلها فقال:

«وجملة ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ مستأنفة استئنافاً بيانياً لأن جملة ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد:٣٨] تقتضي أن الوعيد كائن وليس تأخيره مزيلاً له . ولما كان في ذلك تأييس للناس عقب بالإعلام بأن التوبة مقبولة وبإحلال الرجاء محلّ اليأس، فجاءت جملة ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ احتراسا»[(١)].

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: «قالوا: لو كان في دعوى الرسالة محقاً لما نسخ الأحكام التي نص الله تعالى على ثوبتها في الشرائع المتقدمة نحو التوراة والإنجيل، لكنه نسخها وحرفها نحو تحريف القبلة، ونسخ أكثر أحكام التوراة والإنجيل، فوجب أن لا يكون نبياً حقاً. فأجاب الله ﷻ عنه بقوله: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد:٣٩] »[(٢)].

قال البقاعي: « ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ أي غاية أمر قدره وحده، لأن يكون عنده أمر من الأمور. ﴿كِتَابٌ﴾ قد أثبت فيه أن أمر كذا يكون في وقت كذا من الثواب والعقاب والأحكام والإيتان بالآيات وغيرها، إثباتاً ونسخاً على ما تقتضيه الحكمة، والحكمة اقتضت أن النبوة يكفي في إثباتها معجزة واحدة، وما زاد على ذلك فهو إلى المشيئة؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ﴾ أي الملك الأعظم ﴿مَا يَشَآءُ﴾ أي محوه من الشرائع والأحكام وغيرها بالنسخ فيرفعه، ﴿وَيُثْبِتُ﴾ ما يشاء إثباته من ذلك، بأن يقره

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ١٦٤

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ٥٢.

ويمضي حكمه[1]».[2]

قال الخازن: قيل: « في الآية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل ومدة، والمعنى أن الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ وذلك أنهم لما اعترضوا على رسول الله فقالوا: إن محمداً يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم يأمرهم بخلافه غداً، وما سبب ذلك إلا أنه يقوله من تلقاء نفسه، أجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾».[3]

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة أنه لما كان الوعيد كائن وليس تأخيره مزيلاً له . ولما كان في ذلك تأييس للناس عقب بالإعلام بأن التوبة مقبولة، وبإحلال الرجاء محلّ اليأس، فجاءت جملة ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ احتراسا.

وقد انفرد ابن عاشور بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين.

وأما الرازي فيرى أن المناسبة أن هؤلاء المشركين قالوا: لو كان في دعوى الرسالة محقاً لما نسخ الأحكام التي نص الله تعالى على ثبوتها في الشرائع المتقدمة نحو

---

(١) قال ابن عطية عند تفسير قوله: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ «وتخبط الناس في معنى هذه الألفاظ، والذي يتلخص به مشكلها: أن نعتقد أن الأشياء التي قدرها الله تعالى في الأزل وعلمها بحال ما لا يصح فيها محو ولا تبديل، وهي التي ثبتت في (أم الكتاب) وسبق بها القضاء، وهذا مروي عن ابن عباس وغيره من أهل العلم، وأما الأشياء التي قد أخبر الله تعالى أنه يبدل فيها وينقل كعفو الذنوب بعد تقريرها، وكنسخ آية بعد تلاوتها واستقرار حكمها ففيها يقع المحو والتثبيت فيما يقيده الحفظة ونحو ذلك، وأما إذا رد الأمر للقضاء والقدر فقد محا الله ما محا وثبت ما ثبت . وجاءت العبارة مستقلة بمجيء الحوادث، وهذه الأمور فيما يستأنف من الزمان فينتظر البشر ما يمحو أو ما يثبت وبحسب ذلك خوفهم ورجاؤهم ودعاؤهم»

انظر: المحرر الوجيز ٣/ ٣١٧.

(٢) نظم الدرر ٤/ ١٦٠.

(٣) لباب التأويل ٤/ ٢٧.

التوراة والإنجيل، لكنه نسخها وحرفها نحو تحريف القبلة، ونسخ أكثر أحكام التوراة والإنجيل، فوجب أن لا يكون نبياً حقاً . فأجاب الله ﷻ عنه بقوله: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾.

وبهذا المعنى، قال البقاعي، والخازن .

والذي يظهر أن الأنسب ما ذكره الرازي ومن وافقه لأن هؤلاء المشركين قالوا: لو كان في دعوى الرسالة محقاً لما نسخ الأحكام التي نص الله تعالى على ثوبتها في الشرائع المتقدمة نحو التوراة والإنجيل، لكنه نسخها وحرفها نحو تحريف القبلة، ونسخ أكثر أحكام التوراة والإنجيل، فوجب أن لا يكون نبياً حقاً . فأجاب الله ﷻ عنه بقوله: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[الرعد:٣٩] فهو القول أنسب وأولى، لأنه أدق في بيان التناسب، وأليق بنظم الكلام، ولا نجزم أن هذه المناسبة مراد الله تعالى، غاية الأمر أن هذا ما أداه إليه اجتهاده ونظره وتدبره . والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين، ولم يسبق إليها، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها.

وكذلك في المناسبة نكتة بلاغية، تعد إضافة جديدة لها أثرها، حيث ذكر أن فيها احتراس وهو من أنواع الإطنابُ، وهو يَكُونُ حِيَنما يأتي المتكلمُ بمَعْنى يُمكِنُ الكلام أنْ يَدخلَ عَلَيْهِ فيه لَوْمٌ، فَيَفْطِنُ لذلكَ، ويأتي بما يُخَلِّصُهُ منْهُ، ويقالُ له التكميلُ.(1)

وفيها نكتة بلاغية أخرى، **تعد إضافة جديدة** لها أثرها، و هو الاستئناف البياني. والله أعلم.

---

(1) انظر: البلاغة الواضحة - (1 / 16)

١٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرعد: ٤٠].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة الآية لما قبلها فقال:

«عطف على جملة ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [الرعد:٣٩] باعتبار ما تفيده من إبهام مراد الله في آجال الوعيد ومواقيت إنزال الآيات، فبينت هذه الجملة أن النبي ليس مأموراً بالاشتغال بذلك، ولا بترقبه وإنما هو مبلّغ عن الله لعباده والله يعلم ما يحاسب به عباده، سواء شهد النبي ذلك، أولم يشهد.

وجعل التوفي كناية عن عدم رؤية حلول الوعيد بقرينة مقابلته بقوله: ﴿نُرِيَنَّكَ﴾. والمعنى: ما عليك إلا البلاغ سواء رأيت عذابهم أم لم تره»[(1)].

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: « ولما تم ما أراد مما يتعلق بتألفهم، وختم بأنه سبحانه يفعل ما يشاء من تقديم وتأخير ومحو وإثبات، وكان من مقترحاتهم وطلباتهم استهزاء استعجال السيئة مما توعدوا به، وكانت النفس ربما تمنت وقوع ذلك للبعض وإثباته ليؤمن غيره تقريباً لفصل النزاع، قال ﷻ: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾»[(2)].

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة، أن هذه الآية بينت أن النبي ليس مأموراً بالاشتغال بآجال الوعيد وإنزال الآيات ولا بترقبه، وإنما هو مبلّغ عن الله لعباده، والله يعلم ما يحاسب به عباده، سواء شهد النبي ﷺ ذلك، أو لم يشهد.

وقد انفرد ابن عاشور بهذا القول في المناسبة عن غيره من المفسرين.

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ١٦٩

(٢) نظم الدرر ٤/ ١٦٠

وأما البقاعي فيرى أنه كان من مقترحاتهم وطلباتهم استهزاء استعجال السيئة مما توعدوا به، وكانت النفس ربما تمنت وقوع ذلك للبعض، وإثباته ليؤمن غيره تقريباً لفصل النزاع، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ .

والذي يظهر أن الأنسب قول ابن عاشور لأن الآية بينت أن النبي ليس مأموراً بالاشتغال بآجال الوعيد وإنزال الآيات ولا بترقبه، وإنما هو مبلّغ عن الله لعباده، والله يعلم ما يحاسب به عباده، سواء شهد النبي ﷺ ذلك، أو لم يشهد ، فهذا القول أولى وأنسب، لأنه أدق في بيان التناسب، وأليق بنظم الكلام، من قول البقاعي. والله أعلم.

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين، ولم يسبق إليها، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها.

١٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد:٤١].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية لما قبلها فقال:

«عطف على جملة ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾[الرعد:٤٠] المتعلقة بجملة ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[الرعد:٣٨]. عقبت بهذه الجملة لإنذار المكذبين بأن ملامح نصر النبي ﷺ قد لاحت وتباشير ظَفَره قد طلعت ليتدبروا في أمرهم، فكان تعقيب المعطوف عليها بهذه الجملة للاحتراس، من أن يتوهموا أن العقاب بطيء وغيرُ واقع بهم . وهي أيضاً بشارة للنبي ﷺ بأن الله مظهر نصره في حياته وقد جاءت أشراطه، فهي أيضاً احتراس من أن ييأس النبي ﷺ من رؤية نصره، مع علمه بأن الله متم نوره بهذا الدّين»[(١)].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما وعد رسوله بأن يريه بعض ما وعده أو يتوفاه قبل ذلك، بين في هذه الآية أن آثار حصول تلك المواعيد وعلاماتها قد ظهرت وقويت»[(٢)].

قال البقاعي: «ولما أرشد السياق إلى أن التقدير في تحقيق أنه سبحانه قادر على الجزاء لمن أرادعطف عليه قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا﴾»[(٣)].

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ١٧٠

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ٥٤

(٣) نظم الدرر ٤/ ١٦٢

ومن هذا النقل فإن حاصل أقوالهم في هذه المناسبة، على ما قرره ابن عاشور أنه جاء بهذه الجملة للاحتراس من أن يتوهموا أن العقاب بطيء وغيرُ واقع بهم، فأقوالهم تدور حول هذا المعنى . والله أعلم .

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، إذ فيها نكتة بلاغية، وهوما يسميه البلاغيون الاحتراس، ووجهه في المناسبة أن فيها احتراس من أن ييأس النبي ﷺ من رؤية نصره، مع علمه بأن الله متم نوره بهذا الدّين. والله أعلم.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

سورة إبراهيم

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

- المبحث الأول: مقاصدها.
- المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها.
- المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها.
- المبحث الرابع: تناسب آياتها، وأثره في التفسير.

تمهيـــــد

سورة إبراهيم

اسمها: أضيفت هذه السورة إلى اسم إبراهيم عليه السلام فكان ذلك اسماً لها لا يعرف لها غيره .

ووجه تسميتها: بهذا وإن كان ذكر إبراهيم عليه السلام جرى في كثير من السور أنها من السور ذوات ﴿ الر ﴾ . وقد ميّز بعضها عن بعض بالإضافة إلى أسماء الأنبياء عليهم السلام التي جاءت قصصهم فيها، أو إلى مكان بعثة بعضهم وهي سورة الحجر[(١)].

نوعها: وهي مكية كلها عند الجمهور . وعن قتادة إلا آيتي ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ إلى قوله ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم:٢٨]، وقيل: إلى قوله: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [إبراهيم:٣٠]. نزل ذلك في المشركين في قضية بدر، قال ابن عاشور وهذا وهم[(٢)(٣)].

ترتيبها بين السور: نزلت هذه السور بعد سورة الشورى وقبل سورة الأنبياء . وقد عُدّت السبعين في ترتيب السور في النزول[(٤)].

---

(١) التحرير والتنوير١٣/ ١٧٧.

(٢) لأن هذه الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ نزلت في كفار أهل مكة، وليس المشركين يوم بدركماذكره ابن عباس انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير٤/ ٥٠٨.

(٣) المرجع السابق

(٤) المرجع السابق

عدد آياتها: وعدت آياتها أربعاً وخمسين عند المدنيين، وخمسا وخمسين عند أهل الشام، وإحدى وخمسين عند أهل البصرة، واثنتين وخمسين عند أهل الكوفة[1].

(١) البيان في عد آي القرآن للداني ١/ ١٧١.

المبحث الأول: مقاصدها

ذكر ابن عاشور مقاصد سورة إبراهيم وأهم موضوعاتها، في مطلع حديثه عن السورة وتفسيرها، فقال: «واشتملت من الأغراض على أنها ابتدئت بالتنبيه إلى إعجاز القرآن، وبالتنويه بشأنه، وأنه أنزل لإخراج الناس من الضلالة، والامتنان بأن جعله بلسان العرب، وتمجيد الله تعالى الذي أنزله، ووعيد الذين كفروا به وبمن أنزل عليه .

وإيقاظ المعاندين بأن محمداً ما كان بدعاً من الرسل، وأن كونه بشراً أمر غير مناف لرسالته من عند الله كغيره من الرسل .

وضرب له مثلاً برسالة موسى عليه السلام إلى فرعون، لإصلاح حال بني إسرائيل وتذكيره قومه بنعم الله ووجوب شكرها وموعظته إياهم بما حلّ بقوم نوح وعاد ومن بعدهم وما لاقته رسلهم من التكذيب .

وكيف كانت عاقبة المكذبين .

وإقامة الحجة على تفرد الله تعالى بالإلهية بدلائل مصنوعاته، وذكر البعث وتحذير الكفار من تغرير قادتهم وكبرائهم بهم من كيد الشيطان، وكيف يتبرأون منهم يوم الحشر، ووصف حالهم، وحال المؤمنين يومئذٍ، وفضل كلمة الإسلام، وخبث كلمة الكفر، ثم التعجيب من حال قوم كفرُوا نعمة الله وأوقعوا من تبعهم في دار البوار بالإشراك والإيماء، إلى مقابلته بحال المؤمنين .

وعدّ بعض نعمه على الناس تفضيلاً ثم جمعها إجمالاً . ثم ذكر الفريقين بحال إبراهيم عليه السلام، ليعلم الفريقان من هو سالك سبيل إبراهيم عليه السلام، ومن هو ناكب عنه من ساكني البلد الحرام، وتحذيرهم من كفران النعمة، وإنذارهم أن يحل بهم ما حل بالذين ظلموا من قبل، وتثبيت النبي بوعد النصر وما تخلل ذلك من الأمثال .

وختمت بكلمات جامعة من قوله: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم:٥٢] إلى آخرها»(١) .

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ١٧٨

قال البقاعي: «مقصود السورة التوحيد، وبيان أن هذا الكتاب غاية البلاغ إلى الله، لأنه كافل ببيان الصراط الدال عليه المؤدى إليه.

وأدل ما فيها على هذا المرام قصة إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أما التوحيد فواضح، وأما أمر الكتاب، فلأنه من جملة دعائه لذريته الذين أسكنهم عند البيت المحرم من ذرية إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة:١٢٩] »[1].

نكتفي بما ذكر ابن عاشور والبقاعي من مقاصد، فهي شاملة لجميع جوانب السورة.

(١) انظر: نظم الدرر ٤/ ١٦٤، مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور ٢/ ١٩٨

المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها

بدأت السورة بقوله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾ [إبراهيم:١-٣] فكان في هذا الافتتاح "بيان الغرض من نزول القرآن، وهو هداية الناس بالترغيب في الثواب والترهيب من العقاب"(١)، وهذا ما تضمنته آيات السورة، فبينت أنه لا عذر ولا حجة، فقد أرسل الله تعالى الرسل بلغات أقوامهم ليبينوا لهم سبيل الهداية وطريق الضلال، فقوبلوا بالكفر والتكذيب، والعناد، - " فكان أكثر هذه السورة في بيان الكفرة ومآلهم، وبيان أن أكثر الخلق هالك معرض عما يأتيه من نعمة الهداية على أيدي الرسل الدعاة إلى من له جميع النعم"(٢) وفيها وعد للمؤمنين الطائعين، كما ذكرت ببعض نعم الله تعالى، وبينت واجب شكره عليها، وعذاب الكفر بها، وكيف يشكر نعمته من يكذب رسله، ويتبع غير هداه؟، كما عرضت دعوة أبي الموحدين إبراهيم عليه السلام، ثم ختمت بيان هداية القرآن، ودعوته إلى عبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم:٥٢] "وقد انطبق آخر السورة على أولها، لأن هذا عين الخروج من الظلمات إلى النور بهذا الكتاب الحامل على كل صواب"(٣) وقد لخصت هذه الآية مقاصد السورة بأنها الإبلاغ، والإنذار، والعلم بوحدانية الله، والتذكير . فهي بلاغ للناس بأن هذا القرآن وحده هو الذي يخرجهم من الظلمات إلى النور، وبمجموع مقاصد السورة نعرف كيف تتم

(١) النظم الفني في القرآن الكريم، عبدالمتعال الصعيدي ص ١٦١ .

(٢) نظم الدرر ٤/ ١٨٨.

(٣) نظم الدرر٤/ ١٩٦.

عملية الخروج من الظلمات إلى النور بالبلاغ، والإنذار، والتركيز على التوحيد، والتذكير"[1].

وهكذا فإن آيات السورة بينت ما افتتحت به من معان، مركزة على مقصودها وهو التوحيد، وبيان هداية الناس إلى الصراط المستقيم الذي هو عبادة الله وحده واتباع رسله . والله أعلم.

(١) الأساس ٥/ ٢٨٢٤.

المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها

ابن عاشور لم يتعرض للمناسبات بين السور، لأنه يرى أن البحث في هذا الأمر ليس حقا على المفسر فيقول في مقدمة كتابه « أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقا على المفسر»[1].

وكذلك نعرض نحن عن هذا في هذا المبحث .

(١) التحرير والتنوير ١/ ٨

المبحث الرابع: تناسب آياتها، وأثره في التفسير

١- مناسبة ختم الآية بقوله (العزيز الحميد):

قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم:١].

قال ابن عاشور ~ :

«واختيار وصف ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ من بين الصفات العُلى لمزيد مناسبتها للمقام، لأن العزيز الذي لا يُغلب . وإنزال الكتاب برهان على أحقية ما أراده الله من الناس فهو به غالب للمخالفين مقيمٌ الحجة عليهم .

والحميد: بمعنى المحمود، لأن في إنزال هذا الكتاب نعمة عظيمة ترشد إلى حمده عليه، وبذلك استوعبَ الوصفان الإشارة إلى الفريقين من كل منساق إلى الاهتداء من أول وهلة ومن مجادل صائر إلى الاهتداء بعد قيام الحجة ونفاد الحيلة»[(١)] .

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: « فقوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ إشارة إلى كمال القدرة، وقوله: ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ إشارة إلى كونه مستحقاً للحمد في كل أفعاله، وذلك إنما يحصل إذا كان عالماً بالكل غنياً عن الكل فثبت بما ذكرنا أن صراط الله إنما كان موصوفاً بكونه شريفاً رفيعاً عالياً لكونه صراطاً مستقيماً للإله الموصوف بكونه عزيزاً حميداً، فلهذا المعنى: وصف الله نفسه بهذين الوصفين في هذا المقام»[(٢)] .

قال الآلوسي[(٣)]: «وتخصيص الوصفين الجليلين بالذكر للترغيب في سلوكه، إذ

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ١٨٠

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ٥٨

(٣) الآلوسي الكبير محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من =

في ذلك إشارة إلى أنه يعز سالكه ويحمد سابله[1]»[2].

قال أبو حيان: «ولما تقدم شيئان أحدهما إسناد إنزال هذا الكتاب إليه . والثاني إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، ناسب ذكر هاتين الصفتين صفة العزة المتضمنة للقدرة والغلبة، وذلك من حيث إنزال الكتاب، وصفة الحمد المتضمنة استحقاقه الحمد من حيث الإخراج من الظلمات إلى النور، إذ الهداية إلى الإيمان هي النعمة التي يجب على العبد الحمد عليها والشكر . وتقدمت صفة العزيز، لتقدم ما دل عليها، وتليها صفة الحميد لتلو ما دل عليها»[3].

قال أبو السعود: «وتخصيصُ الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الأمن والعاقبةِ الحميدة »[4].

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة **هي** اختيار وصف ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ من بين الصفات العُلى لمزيد مناسبتها للمقام، لأن العزيز الذي لا يُغلب فهو بهذا الكتاب غالب للمخالفين مقيمٌ الحجة عليهم .

والحميد: بمعنى المحمود، لأن في إنزال هذا الكتاب نعمة عظيمة ترشد إلى حمده عليه.

وبهذا المعنى، قال أبو حيان.

= المجددين، من أهل بغداد، مولده سنة ١٢١٧هـ ووفاته سنة ١٢٧٠هـ.مولده ووفاته في بغداد، كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا.، تقلد الافتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ.، وعزل، فانقطع للعلم.ينظر: الأعلام ٧/ ١٦٧- ومعجم المؤلفين١٢/ ١٧٥

(١) والسابِلَةُ: هنا الطريق. ينظر: لسان العرب لابن منظور١٠/ ٢١٥.

(٢) روح المعاني ٧/ ١٧٣.

(٣) البحر المحيط ٥/ ٣٩٣.

(٤) إرشاد العقل السليم ٥/ ٣٠.

وأما الرازي فيرى أن قوله: ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ إشارة إلى كمال القدرة، و﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ إشارة إلى كونه مستحقاً للحمد في كل أفعاله.

والآلوسي وأبو السعود على قول واحد بأن تخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوك الطريق المستقيم، ببيان ما فيه من الأمن والعاقبةِ الحميدة .

ومن خلال ماسبق، يظهرأن كل ما ذكر قول حسن وجيد في المناسبة، ولامانع من ذكر أكثر من مناسبة لختام الآية الكريمة، ولا تتزاحم المناسبات، وقول ابن عاشور ومن وافقه أدق في بيان التناسب لختام الآية الكريمة . والله أعلم.

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾ [إبراهيم:٤].

قال ابن عاشور ~ :

«فموقع هذه الآية عقب آية ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾[إبراهيم:١] بيّن المناسبة

وتقدير النظم: كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأنزلناه بلغة قومك لتبيّن لهم الذي أوحينا إليك، وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه، ليبين لهم فيخرجهم من الظلمات إلى النور»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما ذكر في أول السورة: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم:١] كان هذا إنعاماً على الرسول من حيث إنه فوض إليه هذا المنصب العظيم، وإنعاماً أيضاً على الخلق، من حيث إنه أرسل إليهم من خلصهم من ظلمات الكفر وأرشدهم إلى نور الإيمان، فذكر في هذه الآية ما يجري مجرى تكميل النعمة والإحسان في الوجهين . أما بالنسبة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، فلأنه تعالى بين أن سائر الأنبياء كانوا مبعوثين إلى قومهم خاصة، وأما أنت يا محمد فمبعوث إلى عامة الخلق، فكان هذا الإنعام في حقك أفضل وأكمل، وأما بالنسبة إلى عامة الخلق، فهو أنه تعالى ذكر أنه ما بعث رسولاً إلى قوم إلا بلسان أولئك القوم، فإنه متى كان الأمر كذلك، كان فهمهم لأسرار تلك الشريعة ووقوفهم على حقائقها أسهل، وعن الغلط والخطأ أبعد . فهذا هو وجه النظم»(٢).

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ١٨٦

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ٦٤

قال البقاعي: «ولما قدم ما أفهم أنه أرسله ﷺ بلسان قومه إلى الناس كافة لأن اللسان العربي أسهل الألسنة وأجمعها وأفصحها وأبينها، فكان في غاية العدالة، وختم بأن السبيل إليه في غاية الاستقامة والاعتدال، دلّ على شرف هذا اللسان لصلاحيته لجميع الأمم، وخفته عليهم بخصوص لسان كل من الرسل بقومه، فلذلك أتبعه قوله ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا ﴾[إبراهيم:٤] »[1].

ومن هذا النقل، فإن محصلة أقوالهم على ماذكروه أنه تعالى لما ذكر ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[إبراهيم:١] كان هذا إنعاماً على الرسول من حيث إنه فوض إليه هذا المنصب العظيم، وإنعاماً أيضاً على الخلق من حيث إنه أرسل إليهم من خلصهم من ظلمات الكفر وأرشدهم إلى نور الإيمان والمفسرون يدور كلامهم في هذا المعنى. والله أعلم .

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثرهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

---

(١) نظم الدرر ٤/ ١٦٤

٣- قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾ [إبراهيم:٤].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة ختم الآية الكريمة بأسماء الله الحسنى ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ فقال: «وجملة ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ تذييل، لأن العزيز قويّ لا ينفلت شيء من قدرته ولا يخرج عما خُلق له، والحكيم يضع الأشياء مواضعها، فموضع الإرسال والتبيين أتي على أكمل وجه من الإرشاد . ومَوْقع الإضلال والهدى هو التكوين الجاري على أنسب حال بأحوال المرسل إليهم، فالتبيين من مقتضَى أمر التشريع، والإضلالُ من مقتضَى أمر التكوين»[١].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الطبري[٢]: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لا يمتنع مما أراده من ضلال أو هداية من أرادَ ذلك به ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾، في توفيقه للإيمان من وفَّقه له، وهدايته له من هداه إليه، وفي إضلاله من أضلّ عنه، وفي غير ذلك من تدبيره»[٣].

قال أبو السعود: «﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فلا يغالَب في مشيئته ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعل شيئاً من الإضلال والهداية إلا لحكمة بالغةٍ»[٤].

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ١٨٨

(٢) الإمام العلم المجتهد، أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، كان من أفراد الدهر علماً وذكاءً وكثرة تصانيف. قال الذهبي: كان ثقة، صادقاً، حافظاً، رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف، علاّمة في التاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقراءات، وباللغة وغير ذلك. توفي سنة (٣١٠هـ)، ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٧١١.

(٣) جامع البيان ١٥/ ٥١٧.

(٤) إرشاد العقل السليم ٤/ ١٤

وحاصل أقوالهم في مناسبة ختام الآية بهذين الاسمين أن ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ هو القويّ الذي لا ينفلت شيء من قدرته ولا يخرج عما خُلق له، و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ يضع الأشياء مواضعها، فموضع الإرسال والتبيين أتي على أكمل وجه من الإرشاد. ومَوْقع الإضلال والهدى هو التكوين الجاري على أنسب حال بأحوال المرسل إليهم، فكلامهم يدور في هذا المحور ولايخرج عنه والله أعلم.

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم.

٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾ [إبراهيم:٥].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لما كانت الآيات السابقة مسوقة للرد على من أنكروا أن القرآن منزل من الله أعقب الرد بالتمثيل بالنظير، وهو إرسال موسى عليه السلام إلى قومه بمثل ما أرسل به محمد ﷺ وبمثل الغاية التي أرسل لها محمد ﷺ ليخرج قومه من الظلمات إلى النور .

وتأكيد الإخبار عن إرسال موسى عليه السلام، بلام القسم وحرف التحقيق لتنزيل المنكرين رسالة محمد ﷺ منزلة من ينكر رسالة موسى عليه السلام، لأن حالهم في التكذيب برسالة محمد ﷺ يقتضي ذلك التنزيل، لأن ما جاز على المِثل يجوز على المماثل، على أن منهم من قال: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾[الأنعام:٩١] »(١) .

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما بين أنه إنما أرسل محمداً ﷺ إلى الناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وذكر كمال إنعامه عليه وعلى قومه في ذلك الإرسال، وفي تلك البعثة، أتبع ذلك بشرح بعثة سائر الأنبياء إلى أقوامهم وكيفية معاملة أقوامهم، معهم تصبيراً للرسول عليه السلام على أذى قومه، وإرشاداً له إلى كيفية مكالمتهم ومعاملتهم، فذكر تعالى على العادة المألوفة قصص بعض الأنبياء عليهم السلام، فبدأ بذكر قصة موسى عليه السلام، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾[إبراهيم:٥]» (٢) .

(١) التحرير والتنوير١٣/ ١٨٨

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ٦٤

قال البقاعي: «ولما ذكر سبحانه الرسل بما ذكره، توقع السامع تفصيل شيء من أخبارهم، فابتدأ بذكر من كتابه أجل كتاب بعد القرآن هدى للناس دليلاً على أنه يفعل ما يشاء من الإضلال والهداية، وتسلية للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وتثبيتاً وتصبيراً على أذى قومه، وإرشاداً إلى ما فيه الصلاح في مكالمتهم، فقال مصدراً بحرف التوقع: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾»(١).

قال أبو السعود: « ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ ﴾ شروع في تفصيل ما أجمل في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾[إبراهيم:٤]»(٢).

ومن هذا النقل، فإن محصلة أقوالهم على ماذكروه، أنه تعالى لما بين أنه إنما أرسل محمداً ﷺ إلى الناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وذكر كمال إنعامه عليه وعلى قومه في ذلك الإرسال، وفي تلك البعثة، أتبع ذلك بشرح بعثة سائر الأنبياء إلى أقوامهم وكيفية معاملة أقوامهم معهم فبدأ بذكر قصة موسى عليه السلام، وأغلب المفسرون يدور كلامهم في هذا المحور. والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) نظم الدرر ٤/ ١٧٠

(٢) إرشاد العقل السليم ٤/ ١٨

٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ [إبراهيم:٥].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة ختم الآية الكريمة فقال: « ولكون الآيات مختلفة، بعضها آيات موعظة وزجر، وبعضها آيات منة وترغيب، جُعلت متعلقة بـ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ إذ الصبر مناسب للزجر، لأن التخويف يبعث النفس على تحمل معاكسة هواها خيفة الوقوع في سوء العاقبة، والإنعام يبعث النفس على الشكر، فكان ذكر الصفتين توزيعاً لما أجمله ذكر أيام الله من أيام بؤس، وأيام نعيم»(١).

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: «فإن قيل: إن تلك التذكيرات آيات للكل، فلماذا خص الصبار الشكور بها؟

قلنا: فيه وجوه:

الأول: أنهم لما كانوا هم المنتفعون بتلك الآيات صارت كأنها ليست آيات إلا لهم.

والثاني: لا يبعد أن يقال: الانتفاع بهذا النوع من التذكير لا يمكن حصوله إلا لمن كان صابراً أو شاكراً، أما الذي لا يكون كذلك لم ينتفع بهذه الآيات »(٢).

قال أبو السعود: «والتعبيرُ عنهم بذلك للإشعار بأن الصبرَ والشكرَ عنوانُ المؤمن، أي لكل مَن يليق بكمال الصبرِ، والشكر، أو الإيمان، ويصبِر أمرَه إليها، لا لمن

(١) التحرير والتنوير١٣/ ١٩٠

(٢) مفاتيح الغيب ٩/ ٢١١

اتصف بها بالفعل، لأنه تعليلٌ للأمر بالتذكير المذكور السابقِ على التذكر المؤدّي إلى تلك المرتبة، فإن من تذكّر ما فاض، أو نزل عليه، أو على مَنْ قبله من النعماء والبلاءِ وتنبّه لعاقبة الشكر والصبر، أو الإيمان لا يكاد يفارقها، وتخصيصُ الآيات بهم، لأنهم المنتفعون بها لا لأنها خافيةٌ عن غيرهم، فإن التبيينَ حاصلٌ بالنسبة إلى الكل »[1].

قال أبوحيان: «وصبار، شكور، صفتا مبالغة، وهما مشعرتان بأنّ أيام الله المراد بهما بلاؤه ونعماؤه أي: صبار على بلائه، شكور لنعمائه، فإذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الأمم، أو بما أفاض عليهم من النعم، تنبه على ما يجب عليه من الصبر إذا أصابه بلاء، و من الشكر إذا أصابته نعماء، وخص الصبار والشكور، لأنهما هما اللذان ينتفعان بالتذكير والتنبيه ويتعظان به . وقيل: أراد لكل مؤمن ناظر لنفسه، لأنّ الصبر والشكر من سجايا أهل الإيمان»[2].

ومن هذا النقل، يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي ذكر الصفتين توزيعاً لما أجمله ذكر أيام الله من أيام بؤس، وأيام نعيم.

وبهذا المعنى، قال أبو السعود، وأبو حيان .

أما الرازي فيرى أن المناسبة أن الانتفاع بهذا التذكير لا يمكن حصوله إلا لمن كان صابراً أو شاكراً.

ومن خلال ما سبق بيانه، أن كل ما ذكرمن أقوال يصلح أن يكون مناسبة للآية، ولكن ما ذكره ابن عاشورومن وافقه، أنسب وأولى لأنه منسجم مع ماذكر في الآية، ولا نجزم أن هذه المناسبة مراد الله تعالى، غاية الأمر أن هذا ما أداه إليه اجتهاده ونظره وتدبره . والله أعلم .

(١) إرشاد العقل السليم ٤/ ١٨

(٢) البحر المحيط ٧/ ١٣٦

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾ [إبراهيم:٩].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«هذا الكلام استئناف ابتدائيّ رجع به الخطاب إلى المشركين من العرب على طريقة الالتفات في قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾، لأن الموجّه إليه الخطاب هنا هم الكافرون المعنيون بقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم:٢]، وهم معظم المعنيّ من الناس في قوله: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم:١]، فإنهم بعد أن أُجمل لهم الكلام في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:٤] الآية، ثم فُصّل بأن ضُرب المثل للإرسال إليهم لغرض الإخراج من الظلمات إلى النور، بإرسال موسى عليه السلام لإخراج قومه، وقُضي حق ذلك عقبه بكلام جامع لأحوال الأمم ورسلهم، فكان بمنزلة الحوصلة والتذييل مع تمثيل حالهم بحال الأمم السالفة، وتشابه عقلياتهم في حججهم الباطلة، وردّ الرسل عليهم بمثل ما رَدّ به القرآن على المشركين في مواضع، ثم ختم بالوعيد»[1].

وقد وافق ابن عاشور أبا السعود في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة، إلا أنهم مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال أبو السعود: «ثم شرَع في الترهيب بتذكير ما جرى على الأمم الخالية فقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[إبراهيم:٩] ليتدبروا ما أصاب كلَّ واحد من حزبي المؤمن والكافر فيُقلعوا عما هم عليه من الشر، ويُنيبوا إلى الله تعالى، وقيل: هو ابتداءُ كلامٍ من الله تعالى خطاباً للكفرة في عهد النبي ﷺ فيختصّ تذكير موسى

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ١٩٥

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بما اختص ببني إسرائيلَ من السراء والضراء، والأيامُ بالأيام الجاريةِ عليهم فقط، وفيه ما لا يخفى من البعد، وأيضاً لا يظهر حينئذ وجهُ تخصيصِ تذكيرِ الكفار الذين في عهد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بما أصاب أولئك المعدودين مع أن غيرهم أسوةٌ لهم في الخلوّ قبل هؤلاء».[1]

ومن هذا النقل، فإن محصلة أقوالهم على ماذكروه، فإنهم بعد أن أُجمل لهم الكلام في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ ﴾ [إبراهيم:٤] الآية، ثم فُصّل بأن ضُرب المثل للإرسال إليهم لغرض الإخراج من الظلمات إلى النور بإرسال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لإخراج قومه، وقُضي حق ذلك عقبه بكلام جامع لأحوال الأمم ورسلهم. والله أعلم.

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق أبا السعود، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير، والله أعلم.

(١) إرشاد العقل السليم ٥/ ٣٥.

٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾[إبراهيم:١٨].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«تمثيل لحال ما عمله المشركون من الخيرات، حيث لم ينتفعوا بها يوم القيامة . وقد أثار هذا التمثيل ما دلّ عليه الكلام السابق من شدة عذابهم، فيخطر ببالهم، أو ببال من يسمع من المسلمين أن يسأل نفسه، أن لهم أعمالاً من الصلة والمعروف من إطعام الفقراء، ومن عتق رقاب، وقِرى ضيوف، وحمالة ديات، وفداء أسارى، واعتمار، ورفادة الحجيج[(١)]، فهل يجدون ثواب ذلك؟ وأن المسلمين لما علموا أن ذلك لا ينفع الكافرين، تطلبت نفوسهم وجهَ الجمع بين وجود عمل صالح، وبين عدم الانتفاع به عند الحاجة إليه، فضُرب هذا المثل لبيان ما يكشف جميع الاحتمالات» .[(٢)]

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما ذكر أنواع عذابهم في الآية المتقدمة، بين في هذه الآية أن أعمالهم بأسرها تصير ضائعة باطلة لا ينتفعون بشيء منها، وعند هذا يظهر كمال خسرانهم، لأنهم لا يجدون في القيامة إلا العقاب الشديد، وكل ما عملوه في الدنيا وجدوه ضائعاً باطلاً، وذلك هو الخسران الشديد».[(٣)]

---

(١) الرِّفْد بالكسر العطاء والصلة والرَّفْد بالفتح المصدر رَفَدَه يَرْفِدُه رَفْداً أعطاه ورَفَدَه وأَرْفَده أعانه، والاسم منهما الرِّفْد وترافدوا أعان بعضهم بعضاً، والرِّفادة شيء كانت قُرَيش ترافد به في الجاهلية. انظر: لسان العرب لابن منظور ٣/ ١٨١

(٢) التحرير والتنوير ١٣/ ٢١٢

(٣) مفاتيح الغيب ١٩/ ٨٢.

قال البقاعي: « فلما فرغ من محاوراتهم، وما تبعها مما بين فيه، أنه لا يغنيهم من بطشه شيء، ضرب لهم في ذلك مثلاً».[1]

قال النيسابوري: « لما ذكر في الآيات المتقدمة أنواع عذاب الكفار، أراد أن يبين غاية حسرتهم ونهاية خيبتهم . فقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ﴾».[2]

ومن هذا النقل فإن محصلة أقوالهم على ماذكروه، أنه تعالى لما ذكر أنواع عذابهم في الآية المتقدمة بين في هذه الآية أن أعمالهم بأسرها تصير ضائعة باطلة لا ينتفعون بشيء منها، وعند هذا يظهر كمال خسرانهم، **والمفسرون يدور كلامهم في هذا المحور. والله أعلم .**

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثرهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) نظم الدرر ٤/ ١٧٧.

(٢) غرائب القرآن٤/ ١٨٦.

٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم:١٩-٢٠].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«استئناف بياني ناشىء عن جملة ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [إبراهيم:١٣] فإن هلاك فئة كاملة شديدة القوة والمرة أمر عجيب يثير في النفوس السؤال: كيف تهلك فئة مثل هؤلاء؟؟ فيجاب بأن الله الذي قدر على خلق السماوات والأرض في عظمتها قادر على إهلاك ما هو دونها، فمبدأ الاستئناف هو قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم:١٩] وموقع جملة ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ موقع التعليل لجملة الاستئناف، قدم عليها كما تجعل النتيجة مقدمة في الخطابة والجِدال على دليلها. وقد بيناه في كتاب «أصول الخطابة».

ومناسبة موقع هذا الاستئناف ما سبقه من تفرق الرماد في يوم عاصف»(١).

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: «واعلم أنه تعالى لما تمم هذا المثال قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ وجه النظم، أنه تعالى لما بين أن أعمالهم تصير باطلة ضائعة، بين أن ذلك البطلان والإحباط إنما جاء بسبب صدر منهم وهو كفرهم بالله، وإعراضهم عن العبودية، فإن الله تعالى لا يبطل أعمال المخلصين ابتداء، وكيف يليق بحكمته أن يفعل ذلك، وأنه تعالى ما خلق كل هذا العالم إلا لداعية الحكمة والصواب»(٢).

---

(١) التحرير والتنوير ٣/ ٢١٤

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ٨٢

قال البقاعي: « ولما ذكر الآخرة في أول السورة، ذكر ما هو ثابت لا نزاع فيه، ثم جرّ الكلام إليه هنا على هذا الوجه الغريب، وأتبعه مثل أعمال الكفار في الآخرة، أتبع ذلك الدليل عليه، وعلى أنه لا يسوغ في الحكمة في أعمال الضلال إلا الإبطال فقال: : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ﴾»(1).

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي أن الله الذي قدر على خلق السماوات والأرض في عظمتها قادر على إهلاك ما هو دونها.

وهذه من تفردات ابن عاشور، وإضافاته المبتكرة في هذا الفن .

أما الرازي فيرى أن المناسبة هي أن أعمالهم تصير باطلة، وسبب البطلان صادر منهم بسبب كفرهم بالله وإعراضهم عن العبودية، فإن الله تعالى لا يبطل أعمال المخلصين ابتداء، وكيف يليق بحكمته أن يفعل ذلك، وأنه تعالى ما خلق كل هذا العالم إلا لداعية الحكمة والصواب.

وبهذا المعنى، قال البقاعي .

والذي يظهر أن ما ذكره الرازي ومن وافقه، هو الأنسب والأوفق، كونه يرتبط بمعنى الآية السابقة، حيثُ اكتملت الصورة، وصارت أقرب إلى الأفهام، وأنسب في ربط مقصود الكلام .والله أعلم.

---

(1) نظم الدرر ٤/ ١٧٩

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين، ولم يسبق إليها .

وكذلك في المناسبة نكتة بلاغية، تعد إضافة جديدة لها أثرها، و هو الاستئناف البياني الذي يكون جوابا عن سؤال مقدر كيف تهلك فئة مثل هؤلاء؟؟ فيجاب بأن الله الذي قدر على خلق السماوات والأرض في عظمتها قادر على إهلاك ما هو دونها . والله أعلم.

٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم:١٩-٢٠].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«وجملة ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ عطف على جملة ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ﴾ مؤكد لمضمونها، وإنما سلك بهذا التأكيد مسلك العطف لما فيه من المغايرة للمؤكد في الجملة بأنه يفيد أن هذا الشيء سهل عليه هين، كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[الروم:٢٧] والعزيز على أحدٍ: المتعاصي عليه الممتنع بقوته وأنصاره»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «ثم قال: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ أي ممتنع لما ذكرنا أن القادر على إفناء كل العالم وإيجاده بأن يكون قادراً على إفناء أشخاص مخصوصين، وإيجاده أمثالهم أولى وأحرى »(٢).

قال أبو السعود: « رتب قدرتَه تعالى على ذلك على قدرته تعالى على خلق السموات والأرض على هذا النمط البديعِ إرشاداً إلى طريق الاستدلالِ، فإن من قدَر على خلق مثلِ هاتيك الأجرامِ العظيمةِ كان على تبديل خلق آخرَ بهم أقدر، ولذلك قال: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ﴾ أي إذهابُكم والإتيانُ بخلق جديد مكانكم ﴿عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ بمتعذر أم متعسر، فإنه قادرٌ بذاته على الممكِنات لا اختصاصَ له بمقدور دون مقدورٍ، ومَنْ هذا شأنُه حقيقٌ بأن يؤمَنَ به ويرجى ثوابُه ويُخشى عقابه»(٣).

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ٢١٥

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ٨١.

(٣) إرشاد العقل السليم ٥/ ٤٠.

قال ابن عادل « قال ﷻ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ والمعنى: من كان قادراً على خلق السموات والأرض بالحق، فأنه يقدر على إفناء قوم وإماتتهم وعلى أيجاد آخرين من باب أولى؛ لأنَّ القادر على الأصعب الأعظم؛ يقدر على الأسهل الأضعف بطريق الأولى »[1].

ومن هذا النقل فإن محصلة أقوالهم على ماذكروه، أن جملة ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ عطف على جملة ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ مؤكد لمضمونها، تفيد أن هذا الشيء سهل عليه هين، كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ والمفسرون يدور كلامهم في هذا المعنى . والله أعلم .

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) اللباب ١١/ ٣٦٦.

١٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم:٢٢].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«أفضت مجادلة الضعفاء وسادتهم في تغريرهم بالضلالة إلى نطق مصدر الضلالة وهو الشيطان؛ إما لأنهم بعد أن اعتذر إليهم كبراؤهم بالحرمان من الهدى علموا أن سبب إضلالهم هو الشيطان لأن نفي الاهتداء يرادفه الضلال، وإما لأن المستكبرين انتقلوا من الاعتذار للضعفاء إلى ملامة الشيطان الموسوس لهم ما أوجب ضلالهم، وكل ذلك بعلم يقع في نفوسهم كالوجدان. على أن قوله: ﴿فَلَا تَلُومُونِى﴾ يظهر منه أنه توجه إليه ملام صريح، ويحتمل أنه توقّعه فدفعه قبل وقوعه، وأنه يتوجه إليه بطريقة التعريض، فجملة ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ عطف على جملة ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟﴾ [إبراهيم:٢١].

والمقصود من وصف هذا الموقف إثارة بغض الشيطان في نفوس أهل الكفر ليأخذوا حذرهم بدفاع وسواسه لأن هذا الخطاب الذي يخاطبهم به الشيطان مليء بإضماره الشر لهم، فيما وعدهم في الدنيا مما شأنه أن يستفز غضبهم من كيده لهم وسخريته بهم، فيورثهم ذلك كراهية له، وسوء ظنهم بما يتوقعون إتيانه إليهم من قِبَله. وذلك أصل عظيم في الموعظة والتربية»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما ذكر المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والأتباع

(١) التحرير والتنوير١٣/ ٢١٨

من كفرة الإنس، أردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وبين أتباعه من الإنس فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾»[1].

قال أبوحيان: « مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر محاورة الأتباع لرؤسائهم الكفرة، ذكر محاورة الشيطان وأتباعه من الإنس، وذلك لاشتراك الرؤساء والشياطين في التلبس بالإضلال . والشيطان هنا إبليس، وهو رأس الشياطين »[2].

ومن هذا النقل فإن حاصل أقوالهم في المناسبة، أنه لما أفضت مجادلة الضعفاء وسادتهم في تغريرهم بالضلالة أدى ذلك إلى نطق مصدر الضلالة وهو الشيطان. والمفسرون يدور كلامهم في هذا المعنى . والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

---

(١) مفاتيح الغيب ١٩/ ٨٩

(٢) البحر المحيط ٥/ ٤٠٨.

١١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٣].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

« عطف على جملة ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[إبراهيم:٢١]، وهو انتقال لوصف حال المؤمنين يومئذٍ بمناسبة ذكر حال المشركين، لأن حال المؤمنين يومئذٍ من جملة الأحوال المقصودة بالوصف إظهاراً لتفاوت الأحوال، فلم يدخل المؤمنون يومئذٍ في المنازعة والمجادلة تنزيهاً لهم عن الخوض في تلك الغمرة، مع التنبيه على أنهم حينئذٍ في سلامة ودعة»(1).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة.

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما بالغ في شرح أحوال الأشقياء من الوجوه الكثيرة، شرح أحوال السعداء»(2).

قال الآلوسي: «وكأن الله تعالى لما جمع الفريقين في قوله سبحانه: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [إبراهيم:٢١] وذكر شيئاً من أحوال الكفار، ذكر ما آل إليه أمر المؤمنين من إدخالهم الجنة ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أي بأمره سبحانه، أو بتوفيقه وهدايته جل شأنه»(3).

ومن هذا العرض فإن مجمل كلامهم في المناسبة، أنه تعالى لما بالغ في شرح أحوال الأشقياء من الوجوه الكثيرة، شرح أحوال السعداء. فهم متفقون على هذا المعنى . والله أعلم

---

(١) التحرير والتنوير١٣/ ٢٢٢

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ٨٩

(٣) روح المعاني ٧/ ٢٠٠.

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، لم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

١٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم:٢٦].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«استئناف ابتدائي اقتضته مناسبة ما حكي عن أحوال أهل الضلالة وأحوال أهل الهداية ابتداء من قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم:٢١] إلى قوله ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾[إبراهيم:٢٣]، فضرب الله مثلاً لكلمة الإيمان وكلمة الشرك»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال الأشقياء وأحوال السعداء، ذكر مثالاً يبين الحال في حكم هذين القسمين، وهو هذا المثل»(٢).

قال البقاعي: «ولما تقرر بما مضى، أن الحق ما قاله الله أو فعله أو أذن فيه، وأن الباطل ما كان على غير أمره مما ينسب إلى الشيطان أو غيره من قول أو فعل، وأنه لا يصلح في الحكمة أن ينفي الحق ولا أن يبقى الباطل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٨١]، ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾[يونس:٨٢]، ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الأنفال:٧-٨]، وقص سبحانه كلام أوليائه الذي هو من كلامه، فهو أثبت الأشياء وأطيبها وأعظمها ثمرة، وكلام أعدائه الذي هو من كلام الشيطان، فهو أبطل الأشياء وأخبثها، قرب سبحانه ذلك بمثل يتعارفه المخاطبون فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي يا من لا يفهم عنا هذا

---

(١) التحرير والتنوير١٣/ ٢٢٣

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ٩٣

المثل حق الفهم سواه»[1].

ومن هذا النقل فإن المناسبة التي اتفقوا عليها هي، أنه تعالى لما شرح أحوال الأشقياء وأحوال السعداء، ذكر مثالاً يبين الحال في حكم هذين القسمين، وهو هذا المثل، والمفسرون يدور كلامهم في هذا المحور . والله أعلم .

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم.

(١) نظم الدرر ٤/ ١٨٣

١٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم:٢٧].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً ناشئاً عما أثاره تمثيل الكلمة الطيبة بالشجرة الثابتة الأصل بأن يسأل عن الثبات المشبه به: ما هو أثره في الحالة المشبهة؟ فيجاب بأن ذلك الثبات ظهر في قلوب أصحاب الحالة المشبهة وهم الذين آمنوا إذ ثبتوا على الدين ولم يتزعزعوا فيه، لأنهم استثمروا من شجرة أصلها ثابت، ومعنى تثبيت الذين آمنوا بها، أن الله يسر لهم فهم الأقوال الإلهية على وجهها، وإدراك دلائلها حتى اطمأنت إليها قلوبهم، ولم يخامرهم فيها شك، فأصبحوا ثابتين في إيمانهم غير مزعزعين، وعاملين بها غير مترددين .

وذلك في الحياة الدنيا ظاهر، وأما في الآخرة فبإلفائهم الأحوال على نحو مما علموه في الدنيا، فلم تعتريهم ندامة ولا لهف، ويكون ذلك بمظاهر كثيرة يَظهر فيها ثباتهم بالحق قولاً وانسياقاً، وتظهر فيها فتنة غير المؤمنين في الأحوال كلها»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما بين أن صفة الكلمة الطيبة أن يكون أصلها ثابتاً، وصفة الكلمة الخبيثة أن لا يكون لها أصل ثابت، بل تكون منقطعة، ولا يكون لها قرار، ذكر أن ذلك القول الثابت الصادر عنهم في الحياة الدنيا يوجب ثبات كرامة الله لهم، وثبات ثوابه عليهم، والمقصود: بيان أن الثبات في المعرفة والطاعة يوجب الثبات في الثواب والكرامة من الله تعالى فقوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ﴾ أي على الثواب والكرامة،

(١) التحرير والتنوير١٣/ ٢٢٦

وقوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧] أي بالقول الثابت الذي كان يصدر عنهم حال ما كانوا في الحياة الدنيا»[(١)].

قال البقاعي: « فلما برز الكلام إلى هذين المثالين، حصل التعجب ممن يترك ممثول الأول، ويفعل ممثول الثاني، فوقع التنبيه على أن ذلك بفعل القاهر، فقال تعالى - جواباً لمن كأنه قال: إن هذا الصريح الحق، ثم إنا نجد النفوس مائلة إلى الضلال، وطائشة في أرجاء المحال، فكيف لنا بالامتثال؟»[(٢)].

ومن هذا النقل فإن محصلة أقوالهم على ماذكروه، ذكرأثر الثبات أنه ظهر في قلوب أصحاب الحالة المشبهة وهم الذين آمنوا إذ ثبتوا على الدين، ولم يتزعزعوا فيه، لأنهم استثمروا من شجرة أصلها ثابت، والمفسرون يدور كلامهم في هذا المحور. والله أعلم.

- **أثر المناسبة**:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن في المناسبة نكتة بلاغية، تعد إضافة جديدة لها أثرها، و هو الاستئناف البياني، الذي يكون جوابا عن سؤال مقدر، وجهه في المناسبة، بأن يسأل عن الثبات المشبه به: ما هو أثره في الحالة المشبهة؟ فيجاب بأن ذلك الثبات ظهر في قلوب أصحاب الحالة المشبهة، وهم الذين آمنوا إذ ثبتوا على الدين ولم يتزعزعوا فيه . والله أعلم.

---

(١) مفاتيح الغيب١٩/ ٩٣

(٢) نظم الدرر٤/ ١٨٥.

١٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٨-٢٩].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«أعقب تمثيل الدينين ببيان آثارهما في أصحابها . وابتُدىء بذكر أحوال المشركين، لأنها أعجب، والعبرة بها أولى، والحذر منها مقدّم على التحلي بضدها، ثم أعقب بذكر أحوال المؤمنين بقوله: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[إبراهيم:٣١]»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: « اعلم أنه تعالى عاد إلى وصف أحوال الكفار في هذه الآية فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾ نزل في أهل مكة، حيث أسكنهم الله تعالى حرمه الآمن، وجعل عيشهم في السعة، وبعث فيهم محمداً ﷺ، فلم يعرفوا قدر هذه النعمة، ثم إنه تعالى حكى عنهم أنواعاً من الأعمال القبيحة»(٢).

قال البقاعي: «ولما أخبر سبحانه أنه هو الفاعل وحده، أتبعه الدليل عليه إضلال الذين بدلوا الكلمة الطيبة من التوحيد بالإشراك، وزلزلتهم واجتثاث كلمتهم فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ ﴾»(٣).

قال أبو حيان: «لما ذكر حال المؤمنين وهداهم، وحال الكافرين وإضلالهم، ذكر السبب في إضلالهم »(٤).

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ٢٢٧.

(٢) مفاتيح الغيب١٩/ ٩٣.

(٣) نظم الدرر ٤/ ١٨٥.

(٤) البحر المحيط ٥/ ٤١٣

ومن هذا النقل، فإن حاصل أقوالهم أنه أعقب تمثيل الدينين ببيان آثارهما في أصحابهما، **والمفسرون يدور كلامهم في هذا المعنى. والله أعلم.**

- **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

١٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ [إبراهيم:٣١].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

« استئناف نشأ عن ذكر حال الفريق الذي حقت عليه الكلمة الخبيثة بذكر حال مقابله، وهو الفريق الذي حقت عليه الكلمة الطيبة . فلما ابتدىء بالفريق الأول لقصد الموعظة والتخلي ثُنّي بالفريق الثاني على طريقة الاعتراض بين أغراض الكلام كما سيأتي في الآية عقبها .

ولما كانوا متحلين بالكمال صِيغَ الحديث عنهم بعنوان الوصف بالإيمان، وبصيغة الأمر بما هم فيه من صلاة وإنفاق لقصد الدوام على ذلك، فحصلت بذلك مناسبة وقع هذه الآية بعد التي قبلها لمناسبة تضاد الحالين»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما أمر الكافرين على سبيل التهديد والوعيد بالتمتع بنعيم الدنيا، أمر المؤمنين في هذه الآية بترك التمتع بالدنيا[٢] والمبالغة في المجاهدة بالنفس والمال» (٣).

قال البقاعي: «ولما ذكر كفرهم وضلالهم عن السبيل، وما أمره صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن يقول لهم، وكان ذلك محركاً لنفس السامع إلى الوقوف على ما يقال لمن خلع الأنداد، وكان أوثق عرى السبيل بعد الإيمان، وأعمها الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر، والنفقة الشاملة لوجوه البر، أمره تعالى أن يندب أولياءه إلى الإقبال

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ٢٣١.

٢ **هذا الكلام من الرازي فيه نظر فلم يأمر الله المؤمنين بترك التمتع بالدنيا بل أحل لهم الطيبات والأكل منها .**

(٣) مفاتيح الغيب ١٩/ ٩٦.

إلى ما أعرض عنه أعداؤه، والإعراض عما أقبلوا بالتمتع عليه من ذلك»[1].

قال أبوحيان: «لما ذكر تعالى حال الكفار وكفرهم نعمته، وجعلهم له أنداداً، وتهددهم أمر المؤمنين بلزوم الطاعة والتيقظ لأنفسهم، وإلزام عمودي الإسلام الصلاة والزكاة قبل مجيء يوم القيامة»[2].

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها الى التفسير، إذ فيها نكتة بلاغية، وهو ما يسميه البلاغيون، الاعتراض وهُو أنْ يؤْتَى في أثْناءَ الكلاَمِ أوْ بَيْنَ كلاميْنِ مُتَّصِلَيْنِ في المعنى بجُمْلَةٍ أوْ أكْثرَ لا مَحَلَّ لها منَ الإعرابِ، وذلك لأغراضٍ يرمي إليها البليغُ[3] ووجهه في المناسبة أنه لما ابتدىء بالفريق الأول لقصد الموعظة والتخلي ثُنّي بالفريق الثاني على طريقة الاعتراض بين أغراض الكلام[4].

---

(١) نظم الدرر ٤/ ١٨٦.

(٢) البحر المحيط ٥/ ٤١٤.

(٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة - (١ / ٦٦)

(٤) انظر: التحرير والتنوير ١٣/ ٢٣١

١٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٤].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«استئناف واقع موقع الاستدلال على ما تضمنته جملة ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [إبراهيم:٣٠] الآية. وقد فصل بينه وبين المستدل عليه بجملة ﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[إبراهيم:٣١]. وأدمج في الاستدلال تعدادهم لنعم تستحق الشكر عليها ليظهر حال الذين كفروها، وبالضد حال الذين شكروا عليها، وليزداد الشاكرون شكراً. فالمقصود الأول هو الاستدلال على أهل الجاهلية، كما يدل عليه تعقيبه بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم:٣٥]. فجيء في هذه الآية بِنعم عامة مشهودة محسوسة لا يستطاع إنكارها، إلا أنها محتاجة للتذكير بأن المنعم بها وموجدها هو الله تعالى، وافتتُح الكلام باسم الموجِد، لأن تعيينه هو الغرض الأهم، وأخبر عنه بالموصول، لأن الصلة معلومة الانتساب إليه والثبوت له، إذ لا ينازع المشركون في أن الله هو صاحب الخلق ولا يدعون أن الأصنام تخلق شيئاً»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة، إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «اعلم أنه لما أطال الكلام في وصف أحوال السعداء وأحوال

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ٢٣٤

الأشقياء، وكان العمدة العظمى والمنزلة الكبرى في حصول السعادات معرفة الله تعالى بذاته وبصفاته، وفي حصول الشقاوة فقدان هذه المعرفة، لا جرم ختم الله تعالى وصف أحوال السعداء والأشقياء بالدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته»(1).

قال البقاعي: «ولما نفى جميع الأسباب النافعة في الدنيا في ذلك اليوم، كان كأنه قيل: فمن الحكم فيه حتى أنه يسير سيرة لا نعرفها؟ فقيل: ﴿ٱللَّهُ﴾ أي الملك الأعلى المحيط بكل شيء؛ ثم أتبعه بصفات تدل على ما دعا إليه الرسل من وحدانيته، وما أخبروا به من قدرته على كل شيء فلا يقدر أحد على مغالبته، وعلى المعاد وعلى غناه فلا يبايع، فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وهما أكبر خلقاً منكم وأعظم شأناً، ثم عقبه بأدل الأمور على الإعادة مع ما فيه من عظيم المنة بأن به الحياة، فقال: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[إبراهيم:٣٢]»(2).

قال أبو السعود: «لمّا ذكر أحوالَ الكافرين لنعم الله تعالى، وأمرَ المؤمنين بإقامة مراسم الطاعةِ شكراً لنعمه، شرَع في تفصيل ما يستوجب على كافة الأنامِ»(3).

ومن هذا النقل، فإن مجمل أقوالهم في المناسبة هي أنه ختم الله تعالى وصف أحوال السعداء والأشقياء بالدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته، والمفسرون يدور كلامهم في هذا المحور. والله أعلم.

---

(1) مفاتيح الغيب ١٩/ ١٠٠

(2) نظم الدرر/ ١٨٨

(3) إرشاد العقل السليم ٥/ ٤٧

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، لم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

١٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم:٣٥-٣٦].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف على جملة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم:٢٨] فإنهم كما بدّلوا نعمة الله كفراً أهملوا الشكر على ما بوأهم الله من النعم بإجابة دعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام، وبدلوا اقتداءهم بسلفهم الصالح اقتداءً بأسلافهم من أهل الضلالة، وبدلوا دُعاء سلفهم الصالح لهم بالإنعام عليهم كفراً بمفيض تلك النّعَم.

ويجوز أن تكون معطوفة على جملة ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[إبراهيم:٢] بأن انتقل من ذكر النعم العامة للناس التي يدخل تحت مِنتها أهل مكة بحكم العموم إلى ذكر النعم التي خص الله بها أهل مكة. وغير الأسلوب في الامتنان بها إلى أسلوب الحكاية عن إبراهيم، لإدماج التنويه بإبراهيم عليه السلام، والتعريض بذريته من المشركين»(١).

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما بين بالدلائل المتقدمة أنه لا معبود إلا الله سبحانه، وأنه لا يجوز عبادة غيره تعالى ألبتة حكى عن إبراهيم عليه السلام مبالغته في إنكار عبادة الأوثان»(٢).

قال أبوحيان: «مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه تعالى لما ذكر التعجيب من الذين بدلوا نعمة الله كفراً، وجعلوا لله أنداداً وهم قريش ومن تابعهم من العرب الذين

---

(١) التحرير والتنوير١٣/ ٢٣٧

(٢) مفاتيح الغيب١٩/ ١٠٣

اتخذوا آلهة من دون الله، وكان من نعم الله عليهم إسكانه إياهم حرمه، أردف ذلك بذكر أصلهم إبراهيم، وأنه صلوات الله عليه دعا الله تعالى أن يجعل مكة آمنة، ودعا بأنْ يجنب بنيه عبادة الأصنام، وأنه أسكنه وذريته في بيته ليعبدوه وحده بالعبادة التي هي أشرف العبادة وهي الصلاة، لينظروا في دين أبيهم، وأنه مخالف لما ارتكبوه من عبادة الأصنام، فيزدجروا ويرجعوا عنها»(1).

قال البقاعي: «ولما انقضى المأمور به من القول لكافر النعمة وشاكرها وسبب ذلك والدليل عليه، وبان أنه خالق الموجودات كلها وربها، فلا يصح أصلاً أن يكون شيء منها شريكاً . أمره صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يذكرهم بأيام الله عند أبيهم إبراهيم عليه السلام، للدلالة على تبديلهم النعمة ظلماً منهم وكفراً»(2).

ومن خلال ما سبق يتبين أن ابن عاشور يرى أن في الربط بين الآيتين وجهين:

الأول: أنها عطف على جملة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾[إبراهيم:٢٨] فإنهم كما بدّلوا نعمة الله كفراً أهملوا الشكر على ما بوأهم الله من النعم بإجابة دعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام.

وبهذا الوجه، قال البقاعي.

الثاني: ويجوز أن تكون معطوفة على جملة ﴿اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[إبراهيم:٢] بأن انتقل من ذكر النعم العامة للناس التي يدخل تحت مِنتها أهل مكة بحكم العموم، إلى ذكر النعم التي خص الله بها أهل مكة.

وأما الرازي يرى أن المناسبة حكاية عن إبراهيم عليه السلام في مبالغته في إنكار عبادة الأوثان.

وبهذا المعنى، قال أبوحيان.

(١) البحر المحيط ٥/ ٤١٩

(٢) نظم الدرر ٤/ ١٩٠.

ومن خلال ماسبق، يظهرأن كل ما ذكر قول حسن وجيد في المناسبة، وله أثره في التفسير، والربط بين الآيتين، ولامانع من ذكر أكثر من مناسبة للآية الكريمة، ولا تتزاحم المناسبات، ولكن الوجه الثاني الذي ذكره ابن عاشور يظهر- والله أعلم - أنه أنسب وأدق من غيره ، لأنه أدق في بيان التناسب، وأليق بنظم الكلام، ولا نجزم أن هذه المناسبة مراد الله تعالى، غاية الأمر أن هذا ما أداه اليه اجتهاده ونظره وتدبره . والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بذكر المناسبةالثانية، وهي أنه انتقل من ذكر النعم العامة للناس التي يدخل تحت مِنتها أهل مكة بحكم العموم، إلى ذكر النعم التي خص الله بها أهل مكة، وهذه من تفرداته التي لم يسبق إليها، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها. والله أعلم .

١٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم:٣٩].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لما دعا الله لأَهَمّ ما يهمه وهو إقامة التوحيد، وكان يرجو إجابة دعوته، وأن ذلك ليس بَعجبُ في أمر الله خطر بباله نعمة الله عليه بما كان يسأله وهو أن وهب له ولدَيْن في إبان الكِبَر، وحين اليأس من الولادة فناجى الله فحمده على ذلك، وأثنى عليه بأنه سميع الدعاء، أي مجيب، أي متصف بالإجابة وصفاً ذاتياً، تمهيداً لإجابة دعوته هذه كما أجاب دعوتَه سلفاً . فهذا مناسبة مَوقع هذه الجملة بعد ما قبلها بقرينة قوله: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾»(١).

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: « المناسبة بين قوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [إبراهيم:٣٨] وبين قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ وذلك هو كأنه كان في قلبه أن يطلب من الله إعانتهما وإعانة ذريتهما بعد موته ولكنه لم يصرح بهذا المطلوب، بل قال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ﴾ أي إنك تعلم ما في قلوبنا وضمائرنا، ثم قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ وذلك يدل ظاهراً على أنهما يبقيان بعد موته، وأنه مشغول القلب بسببهما، فكان هذا دعاء لهما بالخير والمعونة بعد موته على سبيل الرمز والتعريض، وذلك يدل على أن الاشتغال بالثناء عند الحاجة إلى الدعاء ثم قال: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

واعلم أنه لما ذكر الدعاء على سبيل الرمز والتعريض لا على وجه الإيضاح

---

(١) التحرير والتنوير١٣/ ٢٤٣

والتصريح قال: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ أي هو عالم بالمقصود سواء صرحت به أو لم أصرح»(١).

قال البقاعي: «ولما تم ما دعا به من النزاهة عن رجاسة الشرك، وتبين بتقديمه أن أهم المهمات البراءة منه، أتبعه الحمد على ما رزق من النعم، وما تبع ذلك من الإشارة إلى وجوب الشكر فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي المستجمع لصفات الكمال»(٢).

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة أنه لما دعا الله لأَهَمّ ما يهمه وهو إقامة التوحيد، خطر بباله نعمة الله عليه بما كان يسأله، وهو أن وهب له ولَدَيْن في إبان الكِبَر، فناجى الله فحمده على ذلك .

وبهذا المعنى، قال البقاعي.

أما الرازي فيرى أن المناسبة أن إبراهيم كان مشغول القلب بأولاده، فكان هذا دعاء لهما بالخير والمعونة بعد موته على سبيل الرمز والتعريض .

ومن خلال ماسبق يتضح أن كل ما ذكريصلح أن يكون مناسبة للآية، وله وجه في التناسب، لكن الذي تميل إليه النفس، هو قول ابن عاشور ومن وافقه فهو أنسب وأولى، لأنه أشد إنسجاماً مع السياق القرآني. والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب ١٩/ ١٠٧

(٢) نظم الدرر ٤/ ١٩٢

١٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٢-٤٣].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

« عطف على الجمل السابقة، وله اتصال بجملة ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ [إبراهيم:٣٠] الذي هو وعيد للمشركين، وإنذار لهم بأن لا يغتروا بسلامتهم وأمنهم تنبيهاً لهم، على أن ذلك متاع قليل زائل، فأكد ذلك الوعيد بهذه الآية، مع إدماج تسلية الرسول عليه الصلاة والسلام على ما يتطاولون به من النعمة والدعة، كما دل عليه التفريع في قوله ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾ [إبراهيم:٤٧]» [١].

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: « اعلم أنه لما بين دلائل التوحيد، ثم حكى عن إبراهيم عليه السلام أنه طلب من الله أن يصونه عن الشرك، وطلب منه أن يوفقه للأعمال الصالحة، وأن يخصه بالرحمة والمغفرة في يوم القيامة، ذكر بعد ذلك ما يدل على وجود يوم القيامة، وما يدل على صفة يوم القيامة، أما الذي يدل على وجود القيامة فهو قوله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم:٤٢] »[٢].

قال البقاعي: «ولما ختم دعاءه بيوم الحساب الموجب ذكره لكل سعادة ونسيانه لكل شقاوة، ذكر بعض ما يتفق فيه رجوعاً إلى ما مضى من أحوال يوم القيامة على أحسن وجه عاطفاً على قوله ﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ﴾ [إبراهيم:٣١] وجل المقصد تهديد أهل الظلم

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ٢٤٥

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ١٠٧

بالإشراك وغيره، وخاطب الرأس الذي لا يمكن ذلك منه، ليكون أوقع في قلب غيره»[1].

ومن خلال ما سبق يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة أن الآية السابقة فيها وعيد للمشركين، فأكد ذلك الوعيد بهذه الآية.

وبهذا المعنى، قال البقاعي .

أما الرازي فيرى أن المناسبة هي ذكر ما يدل على وجود يوم القيامة، وهو هذه الآية . وهذا فيه من التكلف ما لايخفى.

ومن خلال ماسبق، فقول ابن عاشور ومن وافقه أنسب وأولى، لأنه أشد إنسجاماً مع السياق، ولا نجزم أن هذه المناسبة مراد الله تعالى، غاية الأمر أن هذا ما أداه إليه اجتهاده ونظره وتدبره . والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

---

(١) نظم الدرر ٤/ ١٩٣

٢٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم:٤٤].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف على جملة ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم:٤٢] أي تَسَلّ عنهم ولاتمل من دعوتهم وأنذرهم».[1]

لم أجد من تكلم من المفسرين عن الربط بين الآيتين من خلال البحث القاصر في كثير من التفاسير، فبهذا يظهر انفراد ابن عاشور بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين، ولكن يظهر أن المقام مقام إنذار وليس تسلية .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة وهي أن هذه الآية عطف على جملة ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم:٤٢] أي تَسَلّ عنهم ولاتمل من دعوتهم وأنذرهم، وهذه من تفرداته التي لم يسبق إليها، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها. والله أعلم .

(١) التحرير والتنوير١٣/ ٢٤٧

٢١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم:٤٦].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«يجوز أن يكون عطفَ خبر على خبر، ويجوز أن يكون حالاً من ﴿ٱلنَّاسَ﴾ في قوله: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾[إبراهيم:٤٤]، أي أنذرهم في حال وقوع مكرهم»(١).

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما ذكر صفة عقابهم أتبعها بذكر كيفية مكرهم فقال: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ﴾»(٢).

قال ابن عجيبة(٣): «وقيل: الآية متصلة بما قبلها، أي وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم، ومكروا مكرهم في إبطال الحق»(٤).

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن في الربط بين الآيتين وجهين:

الأول: أنه يجوز أن يكون عطفَ خبر على خبر.

وبمعنى هذا قال ابن عجيبه.

الثاني: ويجوز أن يكون حالاً من ﴿ٱلنَّاسَ﴾ في قوله: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾، أي أنذرهم في حال وقوع مكرهم.

---

(١) التحرير والتنوير١٣/ ٢٥٠

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ١١١

(٣) ابن عجيبة أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، الحسني الأنجري: مفسر، صوفي، مشارك، من أهل المغرب ولدسنة ١١٦٠ هـ

وتوفي سنة ١٢٢٤ هـ ودفن ببلدة أنجرة - انظر: الأعلام ١/ ٢٤٥

(٤) البحر المديد ٣/ ٣٨٢.

و أما الرازي فيرى أن المناسبة هي لما ذكر صفة عقابهم أتبعها بذكر كيفية مكرهم.

ومن خلال ماسبق بيانه، يتضح أن كل ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية، وله وجه في التناسب، لكن قول الرازي أنسب وأولى، لأنه لما ذكر صفة عقابهم ناسب أن يذكر كيفية مكرهم الذي استحقوا عليه هذا العقاب فلذلك كان هذا القول أدق في بيان التناسب، وأليق بنظم الكلام . والله أعلم .

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

٢٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾[إبراهيم:٤٧].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«تفريع على جميع ما تقدم من قوله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم:٤٢] . وهذا محل التسلية . والخطاب للنبي . وتقدم نظيره آنفاً عند قوله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾، لأن تأخير ما وعد الله رسوله عليه الصلاة والسلام، من إنزال العقاب بأعدائه يشبه حال المخلف وعده، فلذلك نهي عن حُسبانه»(١).

وقد وافق ابن عاشور ابن عادل في بيان هذه المناسبة، فمحور المناسبة بينهما واحد، وزاد ابن عاشور عن ما ذكره ابن عادل أن في الآية تسلية للنبي ﷺ.

قال ابن عادل الحنبلي: «قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾ لما بين في الآية الأولى أنه ينتصر للمظلوم من الظَّالم بين هاهنا أنه لا يخلف الوعد»(٢).

ومن هذا النقل، فإن مجمل أقوالهم في المناسبة هي أن تأخير ما وعد الله رسوله عليه الصلاة والسلام من إنزال العقاب بأعدائه يشبه حال المخلف وعده، فلذلك نهي عن حُسبانه. والمفسرون يدور كلامهم في هذا المحور، والله أعلم

- **أثر المناسبة**: يتبين أن ابن عاشور وافق ابن عادل، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير، والله أعلم .

(١) التحرير والتنوير١٣/ ٢٥١

(٢) اللباب ١١/ ٤١٣.

٢٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم:٤٧].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة ختم الآية بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ فقال:

«وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ تعليل للنهي عن حُسبانه مُخلف وعده .

والعزة: القدرة . والمعنى: أن موجب إخلاف الوعد منتف عن الله تعالى، لأن إخلاف الوعد يكون إما عن عَجز، وإما عن عدم اعتياد الموعود به، فالعزة تنفي الأول، وكونُه صاحب انتقام ينفي الثاني . وهذه الجملة تذييل أيضاً وبها تمّ الكلام»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه، في أنها تعليل لما سبق ذكره.

قال البقاعي: « فلما بين سبحانه أنه لايخلف وعده بل يعز أولياءه، ويذل أعداءه، ويهلكهم بظلمهم، ويسكن أولياءه الأرض من بعدهم؛ ثم علل ذلك بقوله - مؤكداً، لأن كثرة المخالفين وقوتهم على تمادي الأيام تعرّض السامع للإنكار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أي ذا الجلال والإكرام ﴿عَزِيزٌ﴾ أي يقدر ولا يقدر عليه ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ ممن يخالف أمره»(٢).

قال أبو السعود: « ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ غالبٌ لا يماكَر، وقادرٌ لا يقادَر ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ لأوليائه من أعدائه، والجملةُ تعليلٌ للنهي المذكور وتذييلٌ له، وحيث كان الوعدُ عبارةً عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يذيَّل بأن يقال: إن الله لا يخلف الميعاد، بل تعرض لوصف العزة والانتقامِ المُشعِرَين بذلك، والمرادُ بالانتقام ما أشير إليه بالفعل وعبّر عنه

---

(١) التحرير والتنوير١٣/ ٢٥١

(٢) نظم الدرربتصرف ٤/ ١٩٦

بالمكر»[1].

ومن هذا النقل، فإن حاصل أقوالهم في المناسبة أن موجب إخلاف الوعد منتف عن الله تعالى، لأن إخلاف الوعد يكون إما عن عَجز، وإما عن عدم اعتياد الموعود به، فالعزة تنفي الأول وكونُه صاحب انتقام ينفي الثاني . وهذه الجملة تذييل أيضاً، وبها تمّ الكلام. والمفسرون يدور كلامهم في هذا المحور، والله أعلم .

- **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) إرشاد العقل السليم ٥/ ٥٩.

٢٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٥٢].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«الإشارة إلى الكلام السابق في السورة كلها من أيْنَ ابتدأتهُ أصبت مراد الإشارة، والأحسن أن يكون للسورة كلها ثم قال: وقد رتبت صفات الآيات المشار إليها باسم الإشارة على ترتيب عقلي بحسب حصول بعضها عقب بعض، فابتدىء بالصفة العامة، وهي حصول التبليغ . ثم ما يعقب حصول التبليغ من الإنذار، ثم ما ينشأ عنه من العلم بالوحدانية لما في خلال هذه السورة من الدلائل . ثم بالتذكير في ما جاء به ذلك البلاغ وهو تفاصيل العلم والعمل . وهذه المراتب هي جامع حكمة مما جاء به الرسول ﷺ موزعة على من بَلّغ إليهم . ويختص المسلمون بمضمون قوله: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ »(1).

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: «ثم قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾أي هذا التذكير والموعظة بلاغ للناس، أي كفاية في الموعظة، ثم اختلفوا فقيل: إن قوله هذا إشارة إلى كل القرآن، وقيل: بل إشارة إلى كل هذه السورة، وقيل: بل إشارة إلى المذكور من قوله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ إلى قوله: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[إبراهيم:٥١]»(2).

قال البقاعي: «ولما اشتملت هذه السورة على ما قرع سمعك من هذه المواعظ والأمثال والحكم التي أبكمت البلغاء، وأخرست الفصحاء، وبهرت العقول، ترجمها سبحانه بما يصلح عنواناً لجميع القرآن فقال: ﴿ هَٰذَا ﴾ أي الكتاب الذي يخرج الناس

---

(١) التحرير والتنوير١٣/ ٢٥٤-٢٥٥

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ١١٦

من الظلمات إلى النور ﴿بَلَٰغٌ﴾ أي كافٍ غاية الكفاية في الإيصال ﴿لِّلنَّاسِ﴾، ليصلوا به إلى الله بما يتحلون به من المزايا في سلوك صراطه القويم، فإن مادة « بلغ » بأي ترتيب كان - تدور على الوصول، وتارة تلزمها القوة وتارة الإعياء الناشىء عن الضعف»[1].

قال أبو السعود: «﴿هَٰذَا﴾أي ما ذكر من قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا﴾إلى قوله: ﴿سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ ﴿بَلَٰغٌ﴾، كفايةٌ في العظة والتذكيرِ من غير حاجة إلى ما انطوى عليه السورةُ الكريمة أو كلُّ القرآن المجيدِ من فنون العظات والقوارعِ»[2].

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي الإشارة إلى الكلام السابق في السورة كلها من أيْنَ ابتدأتهُ أصبت مراد الإشارة، والأحسن أن يكون للسورة كلها.

وأما الرازي يرى أن قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي هذا التذكير والموعظة بلاغ للناس، أي كفاية في الموعظة ثم اختلفوا في مرجع الاشارة.

١ - فقيل: إن قوله هذا إشارة إلى كل القرآن . وبه قال البقاعي.

٢ - وقيل: بل إشارة إلى كل هذه السورة . وبه قال ابن عاشور

٣ - وقيل: بل إشارة إلى المذكور من قوله: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ﴾ إلى قوله: ﴿سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ وبهذا قال أبوالسعود، وابن عاشور.

والذي يظهر أن قول الرازي بأن هذه الآية إشارة إلى كل القرآن أعم وأدق وأولى من غيره لأن القرآن في حقيقته بلاغ للناس كلهم. والله أعلم .

---

(١) نظم الدرر ٤/ ١٩٦

(٢) إرشاد العقل السليم ٥/ ٦٢.

- **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثر بهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

سورة الحجر

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

۞ المبحث الأول: مقاصدها.

۞ المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها.

۞ المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها.

۞ المبحث الرابع: تناسب آياتها، وأثره في التفسير.

تمهيـــــد

سورة الحجر

اسمها: سميت هذه السورة سُورة الحِجْر، ولا يعرف لها اسم غيره[1].

ووجه التسمية: أن اسم الحِجر لم يذكر في غيرها

والحجر اسم البلاد المعروفة به وهو حِجر ثمود . وثمود هم أصحاب الحِجر[2].

نوعها: وهي مكية كلها، وحُكِيَ الاتفاق عليه[3].

ترتيبها بين السور: عُدت الرابعة والخمسين في عدد نزول السور، نزلت بعد سورة يوسف وقبل سورة الأنعام[4].

عددآياتها: وعدد آيها تسع وتسعون باتفاق العادّين[5].

(١) التحريروالتنوير ١٤/ ٦.

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع السابق

(٤) التحرير والتنوير١٤/ ٧.

(٥) البيان في عد آي القرآن للداني ١/ ١٧٣.

المبحث الأول: مقاصدها

ذكر ابن عاشور مقاصد سورة الحجر وأهم موضوعاتها، في مطلع حديثه عن السورة وتفسيرها، فقال: «افتتحت بالحروف المقطعة التي فيها تعريض بالتحدي بإعجاز القرآن . وعلى التنويه بفضل القرآن وهديه.

وإنذار المشركين بندم يندمونه على عدم إسلامهم .

وتوبيخهم بأنهم شغلهم عن الهدى انغماسهم في شهواتهم .

وإنذارهم بالهلاك عند حلول إبان الوعيد الذي عينه الله في علمه .

وتسلية الرسول ﷺ على عدم إيمان من لم يؤمنوا، وما يقولونه في شأنه وما يتوركون بطلبه منه، وأن تلك عادة المكذبين مع رسلهم .

وأنهم لا تجدي فيهم الآيات والنذر لو أسعفوا بمجيء آيات حسب اقتراحهم به، وأن الله حافظ كتابه من كيدهم .

ثم إقامة الحجة عليهم بعظيم صنع الله وما فيه من نعم عليهم .

وذكر البعث ودلائل إمكانه .

وانتقل إلى خلق نوع الإنسان وما شرف الله به هذا النوع .

وقصة كفر الشيطان .

ثم ذكر قصة إبراهيم ولوط عليهما السلام، وأصحاب الأيكة، وأصحاب الحِجر .

وختمت بتثبيت الرسول ﷺ وانتظار ساعة النصر، وأن يصفح عن الذين يؤذونه، ويكل أمرهم إلى الله، ويشتغل بالمؤمنين، وأن الله كافيه أعداءه .

مع ما تخلل ذلك من الاعتراض، والإدماج من ذكر خلق الجن، واستراقهم السمعَ، ووصف أحوال المتقين، والترغيب في المغفرة، والترهيب من العذاب»[1].

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٧

هذا وبعد هذه الجوله في هذه الحديقة الغناء، والدرر المكنونة من كلام ابن عاشور في مقاصدها نثني بذكر ماأورده البقاعي وسيد قطب من مقاصد، ليكملا منظومة المقاصد، وأهم موضوعاتها، لتتضح الصورة للمطلع على ذلك .

قال البقاعي: «فمقصود هذه السورة اعتقاد كون القرآن بلاغاً جامعاً للأمور الموصلة إلى الله، مغنياً عن جميع الأسباب، فلا ينبغي الالتفات إلى شيء سواه»(١).

قال سيد قطب: «هذه السورة، تتحدث عن طبيعة الكتاب الذي يكذب به المشركون . ويهددهم بيوم يتمنون فيه لو كانوا مسلمين! كما يكشف لهم عن سبب إرجاء هذا اليوم عنهم، فهو موقوت بأجل معلوم . . ويذكر تحدياتهم واستهزاءهم وطلبهم الملائكة، ثم يهددهم بأن نزول الملائكة يكون معه الهلاك والتدمير! وأخيراً يكشف عن العلة الحقيقية للتكذيب . . إنها ليست نقص الدليل، ولكنه العناد الأصيل»(٢).

وبعد هذا الكلام على مقاصد هذه السورة الكريمة، من درركلام علمائنا، يتبين لنا ما حوته هذه السورة من مقاصد عظيمة، لها أثرها البالغ في النفوس، لله الحمد على نعمته علينا بهذا الكتاب العظيم .

(١) نظم الدرر٤/ ١٩٩.

(٢) الظلال٤/ ٢١٢٤

المبحث الثاني: مناسبتها لما بعدها

سبق أن ذكرنا في المباحث الماضية، رأي ابن عاشور في هذا المبحث، وأنه يقول: لاأراه حقا على المفسر الكلام على التناسب بين السور، لأنه يرى أن ترتيب السور اجتهادي وليس توقيفي، فمن هذا المبدأ يرى أن الكلام عن هذا الأمر غير مجدي وليس بنافع، ولكن الرأي الراجح في هذا الأمر خلاف ما ذكره ابن عاشور، لأن الصواب أن ترتيب السور توقيفي، وليس اجتهادي، ولذلك ذكر المفسرون المناسبات بين السور.ولأن بحثنا في تفسير التحرير والتنويرفلا نخرج عنه .

المبحث الثالث: مناسبة أولها لمقاصدها

افتتحت السورة بقوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٣﴾ [الحجر:١-٣]

"ووقعت هذه الآيات في مفتتح تهديد المكذبين بالقرآن لقصد الإعذار إليهم باستدعائهم للنظر في دلائل صدق الرسول ﷺ وحقية دينه"(١) . "وهذا المقطع الأول في سياق السورة، يتحدث عن طبيعة الكتاب الذي يكذب به المشركون . . ويهددهم بيوم يتمنون فيه لو كانوا مسلمين! كما يكشف لهم عن سبب إرجاء هذا اليوم عنهم، فهو موقوت بأجل معلوم . . ويذكر تحدياتهم واستهزاءهم وطلبهم الملائكة، ثم يهددهم بأن نزول الملائكة يكون معه الهلاك والتدمير! وأخيراً يكشف عن العلة الحقيقية للتكذيب . . إنها ليست نقص الدليل ولكنه العناد الأصيل! .فحول هذا المحور يدور السياق، فآيات السورةترجع كلها إلى ذلك المحور الأصيل سواء في القصة، ومشاهد الكون، ومشاهد القيامة، والتوجيهات والتعقيبات التي تسبق القصص وتتخلله وتعقب عليه" (٢).

"ومن رأى هذه المعاني كلها رأى السورة على غاية من الوحدة والانسجام، وعلى غاية من الترابط والتسلسل"(٣)

(١) التحرير والتنوير٨/ ١٤.

(٢) انظر: ظلال القرآن ٤/ ٢١٢٢- ٢١٢٣.

(٣) الأساس في التفسير ٦/ ٢٨٩٩.

المبحث الرابع: تناسب آياتها وأثره

١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧﴾ [الحجر:٦-٧].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف على جملة ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ [الحجر:٣]. والمناسبة أن المعطوف عليها تضمنّت انهاكهم في الملذّات والآمال، وهذه تضمّنت توغّلهم في الكفر، وتكذيبهم الرسالة المحمّدية والمعنى: ذرهم يكذبون ويقولون شتى القول من التكذيب والاستهزاء .والجملة كلها من مقولهم»(١).

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما بالغ في تهديد الكفار ذكر بعده شبههم في إنكار نبوته»(٢).

قال الشوكاني: «ثم لما فرغ من تهديد الكفار شرع في بيان بعض عتوّهم في الكفر، وتماديهم في الغيّ مع تضمنه لبيان كفرهم بمن أنزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب»(٣).

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي أن الآية السابقة تضمّنت توغّلهم في الكفر وتكذيبهم الرسالة المحمّدية، بعد ذكر اشتغالهم بالشهوات. وهذا فيه تهديد لهم، لذلك ربط ابن عاشور بين الآية التي معنا وبين قوله ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾، لأن قوله ﴿ذَرۡهُمۡ﴾ فيها تهديد ووعيد لهم، وهذا ربط لطيف.

---

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ١٤

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ١٢٤

(٣) فتح القدير ٣/ ١٧٣

وأما الرازي فيرى أن المناسبة هي ذكر شبههم في إنكار نبوته .

وبه قال الشوكاني .

وبعد تأمل ماسبق من الأقوال، الذي يظهر أن كل ماذكر قول جيد وحسن في المناسبة، وقد تتعدد المناسبات في الآية، وكلها صحيح .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة التي مضمونها أن هذه الآية تضمّنت توغّلهم في الكفر، وتكذيبهم الرسالة المحمّدية، بعد ذكر إشتغالهم بالشهوات. وهذا فيه تهديد لهم، وهذه من تفرداته المبتكرة التي لم يسبق إليها، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها. والله أعلم .

٢- المناسبة قوله تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحجر:٨].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«مستأنفة ابتدائية جواباً لكلامهم وشبهاتهم ومقترحاتهم .

وابتدىء في الجواب بإزالة شبهتهم إذ قالوا: ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾[الحجر:٧]. أريد منه إزالة جهالتهم، إذ سألوا نزول الملائكة علامة على التصديق، لأنهم وإن طلبوا ذلك بقصد التهكم فهم مع ذلك معتقدون أن نزول الملائكة هو آية صدق الرسول، فكان جوابهم مشوباً بطرف من الأسلوب الحكيم، وهو صرفهم إلى تعليمهم الميز بين آيات الرسل وبين آيات العذاب، فأراد الله أن لا يدخرهم هدياً، وإلا فهم أحرياء بأن لا يجابوا».(١)

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال أبو السعود: «وهو كلامٌ مسوق إلى النبي ﷺ جواباً لهم عن مقالتهم المَحْكية، ورداً لاقتراحهم الباطلِ».(٢)

قال البقاعي: « لما كان في قولهم أمران، أجاب عن كل منهما على طريق الاستئناف على تقدير سؤال من كأنه قال: ربما إذا أجابهم؟ فقيل: أجاب عن الثاني، لأنه أقرب بقوله: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ أي هذا النوع ﴿إِلَّا﴾ تنزلاً ملتبساً ﴿بِٱلْحَقِّ ﴾، أي بسبب عمل الأمر الثابت»(٣).

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ١٨

(٢) إرشاد العقل السليم٥/ ٦٧.

(٣) نظم الدرر٤/ ٢٠٦

ومن هذا النقل فإن مجمل أقوالهم في المناسبة هي أن هذه الآية كلامٌ مسوق إلى النبي ﷺ جواباً لهم عن مقالتهم المَحْكية ورداً لاقتراحهم الباطلِ، **والمفسرون يدور كلامهم في هذا المحور. والله أعلم .**

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثرهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم.

٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

« استئناف ابتدائي لإبطال جزء من كلامهم المستهزئين به، إذ قالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ [الحجر:٦]، بعد أن عجل كشف شبهتهم في قولهم: ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الحجر:٧].

جاء نشر الجوابين على عكس لفّ المقالين اهتماماً بالابتداء بردّ المقال الثاني بما فيه من الشبهة بالتعجيز والإفحام، ثم ثُني العنان إلى ردّ تعريضهم بالاستهزاء وسؤال رؤية الملائكة .

وكان هذا الجواب من نوع القول بالموجب بتقرير إنزال الذكر على الرسول مجاراة لظاهر كلامهم . والمقصود الردّ عليهم في استهزائهم » (١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الزمخشري: «﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ رد لإنكارهم واستهزائهم في قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ [الحجر:٦] ولذلك قال: إنا نحن، فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات، وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد ﷺ، وبين يديه ومن خلفه رصد، حتى نزل، وبلغ محفوظاً من الشياطين، وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبدبل، بخلاف الكتب المتقدمة؛ فإنه لم يتول حفظها.

فإن قلت: فحين كان قوله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ رداً لإنكارهم واستهزائهم،

(١) التحرير والتنوير ٢٠/ ١٤

فكيف اتصل به قوله ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ ؟ قلت: قد جعل ذلك دليلاً على أنه منزل من عنده آية؛ لأنه لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان، كما يتطرق على كل كلام سواه»[1].

قال البقاعي: « وأجاب سبحانه .. مؤكداً لتكذيبهم: ﴿ إِنَّا نَحْنُ﴾ أي على ما لنا من العظمة لا غيرنا من جن ولا إنس ﴿نَزَّلْنَا﴾ أي بالتدريج على لسان جبريل عليه السلام ﴿الذِّكْرَ﴾ أي الموعظة والشرف ﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾ أي بعظمتنا وإن رغمت أنوف الحاسدين ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ أي دائماً، بقدرتنا وعلمنا»[2].

قال الشوكاني: «ثم أنكرعلى الكفار استهزاءهم برسول الله ﷺ بقولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[الحجر:٦] فقال سبحانه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ أي: نحن نزلنا ذلك الذكر الذي أنكروه ونسبوك بسببه إلى الجنون ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ عن كل ما لا يليق به من تصحيف، وتحريف، وزيادة، ونقص ونحو ذلك »[3].

ومن هذا النقل، فإن مجمل أقوالهم في المناسبة أن هذه الآية ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ رد لإنكارهم واستهزائهم، والمفسرون يدور كلامهم في هذا المحور. والله أعلم .

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٩٩.

(٢) نظم الدرر ٤/ ٢٠٧

(٣) فتح القدير ٣/ ١٧٤

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافهاإلى التفسير، إذ فيها نكتة بلاغية، وهو ما يسميه البلاغيون القول بالموجب ووجهه في المناسبة أن هذا الجواب كان من نوع القول بالموجب بتقرير إنزال الذكر على الرسول مجاراة لظاهر كلامهم . والمقصود الردّ عليهم في استهزائهم[1]. والله أعلم.

(١) انظر: التحرير والتنوير ٢٠/ ١٤

٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١﴾ [الحجر:١٠-١١].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف على جملة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩] باعتبار أن تلك جواب عن استهزائهم في قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[الحجر:٦] فإن جملة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾قول بموجب قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾. وجملة ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إبطال لاستهزائهم على طريقة التمثيل بنظرائهم من الأمم السالفة .

وفي هذا التنظير تحقيق لكفرهم، لأن كفر أولئك السالفين مقرّر عند الأمم، ومتحدِّث به بينهم .

وفيه أيضاً تعريض بوعيد أمثالهم، وإدماج بالكناية عن تسلية الرسول عليه الصلاة والسلام»[1].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «اعلم أن القوم لما أساؤوا في الأدب وخاطبوه بالسفاهة وقالوا: إنك لمجنون، فالله تعالى ذكر أن عادة هؤلاء الجهال مع جميع الأنبياء هكذا كانت . ولك أسوة في الصبر على سفاهتهم وجهالتهم بجميع الأنبياء عليهم السلام، فهذا هو الكلام في نظم الآية»[2].

قال أبو حيان: «لما ذكر تعالى استهزاء الكفار به عليه السلام، ونسبته إلى الجنون،

(١) التحرير والتنوبر ١٤/ ٢٢

(٢) مفاتيح الغيب١٩/ ١٢٧.

واقتراح نزول الملائكة، سلاه تعالى بأن من أرسل من قبلك كان ديدن الرسل إليهم مثل ديدن هؤلاء معك »[1].

قال البقاعي: «ولما كان هذا الكلام الذي قالوه عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم شاقاً وله غائظاً موجعاً، قال تعالى تسلية له على وجه راد عليهم: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾»[2].

ومن هذا النقل فإن حاصل أقوالهم في المناسبةأن هذه الآية فيها إبطال لاستهزائهم على طريقة التمثيل بنظرائهم من الأمم السالفة، والمفسرون يدور كلامهم في هذا المحور. والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، إذ فيها نكتة بلاغية، وهو مايسمى عند البلاغيون. التعريض، ووجهه في المناسبة أنه تعريض بوعيد أمثالهم، وكذلك فيها نكتة بلاغية أخرى وهو الإدماج ووجهه في المناسبة أن الآية فيها إدماج بالكناية عن تسلية الرسول عليه الصلاة والسلام[3]. **والله أعلم.**

(١) البحر المحيط٥/ ٤٣٥.

(٢) نظم الدرر٤/ ٢٠٩

(٣) انظر: التحرير والتنوير ١٤/ ٢٢

٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الحجر:١٢-١٣].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«استئناف بياني ناشىء عن سؤال يخطر ببال السامع لقوله ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[الحجر:١١] فيتساءل كيف تواردت هذه الأمم على طريق واحد من الضلال، فلم تفدهم دعوة الرسل عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[الذاريات:٥٣].

والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً ناشئاً عن جملة ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]؛ إذ قد يخطر بالبال أن حفظ الذكر يقتضي أن لا يكفر به من كفر . فأجيب بأن ذلك عقاب من الله لهم لإجرامهم وتلقّيهم الحق بالسخرية وعدم التدبر، ولأجل هذا اختير لهم وصف المجرمين دون الكافرين، لأن وصف الكفر صار لهم كاللقب لا يشعر بمعنى التعليل»[1].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي « التأويل الصحيح أن الضمير في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾ عائد إلى الذكر الذي هو القرآن فإنه تعالى قال قبل هذه الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ وقال بعده: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾ أي هكذا نسلك القرآن في قلوب المجرمين، والمراد من هذا السلك، هو أنه تعالى يسمعهم هذا القرآن، ويخلق في قلوبهم حفظ هذا القرآن ويخلق فيها العلم بمعانيه، وبين أنهم لجهلهم وإصرارهم لا يؤمنون به مع هذه الأحوال عناداً وجهلاً، فكان هذا موجباً للحوق الذم الشديد بهم»[2].

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٢٣

(٢) مفاتيح الغيب١٩/ ١٢٧.

قال البقاعي: «ولما كانت قلوب أهل الضلال موصوفة بالضيق والحرج، كان الداخل إليها لا يدخل إلا بغاية العسر، فلذلك قال جواباً لمن كأنه قال: أهذا خاص بهؤلاء؟ فقيل: لا، بل ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا السلك العجيب الشأن، وعبر بالمضارع الدال مع التجدد على الاستمرار، لاقتضاء المقام له كما تقدم في أولها فقال: ﴿نَسۡلُكُهُۥ﴾ أي الذكر ﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي العريقين في الإجرام في كل زمن»[1].

قال أبو السعود: «وهذا كما ترى تسليةٌ لرسول الله ﷺ بأن هذه عادةُ الجهال مع الأنبياء عليهم السلام، وحيث كان الرسولُ مصحوباً بكتاب من عند الله تعالى تضمّن ذكرُ استهزائِهم بالرسول استهزاءَهم بالكتاب ولذلك قيل: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما دل عليه الكلام السابقُ من إلقاء الوحي مقروناً بالاستهزاء، أي مثلَ ذلك السَّلْكِ الذي سلكناه في قلوب أولئك المستهزئين برسلهم، وبما جاءوا به من الكتب ﴿نَسۡلُكُهُۥ﴾ أي الذكرَ ﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي أهل مكةَ أو جنسُ المجرمين، فيدخلون فيه دخولاً أولياً»[2].

ومن هذا النقل، فإن حاصل أقوالهم في المناسبة أنه قد يخطر بالبال أن حفظ الذكر يقتضي أن لا يكفر به من كفر، فأجيب بأن ذلك عقاب من الله لهم، لإجرامهم وتلقّيهم الحق بالسخرية وعدم التدبر، والمفسرون يدور كلامهم في هذا المعنى. والله أعلم.

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم

(١) نظم الدرر ٤/ ٢٠٩-٢١٠.

(٢) إرشاد العقل السليم ٥/ ٦٩.

٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجر:١٤-١٥].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف على جملة ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الحجر:١٣] وهو كلام جامع لإبطال جميع معاذيرهم من قولهم: ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ ﴾ [الحجر:٧] وقولهم: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر:٦] بأنهم لا يطلبون الدلالة على صدقه، لأن دلائل الصدق بيّنة، ولكنهم ينتحلون المعاذير المختلفة.

والكلامُ الجامعُ لإبطال معاذيرهم: أنهم لو فتح الله باباً من السماء حين سألوا آيةً على صدق الرسول، أي بطلب من الرسول، فاتصلوا بعالم القدس والنفوس الملكية، ورأوا ذلك رأي العين لاعتذروا بأنها تخيّلات، وأنهم سُحِروا فرأوا ماليس بشيء شيئاً.

ونظيره قوله: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الأنعام:٧]»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «اعلم أن هذا الكلام هو المذكور في سورة الأنعام في قوله: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الأنعام:٧] والحاصل: أن القوم لما طلبوا نزول ملائكة يصرحون بتصديق الرسول عليه السلام في كونه رسولاً من عند الله تعالى، بين الله تعالى في هذه الآية أن بتقدير أن يحصل هذا المعنى لقال الذين كفروا هذا من باب السحر، وهؤلاء الذين يظن أنا نراهم فنحن في الحقيقة لا نراهم.

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٢٥

والحاصل: أنه لما علم الله تعالى أنه لا فائدة في نزول الملائكة، فلهذا السبب ما أنزلهم»[1] .

قال البقاعي: «ولما أخبره بهذه الأسرار منبئة عن أحوالهم، وكانت النفس أشد شيء طلباً لقطع حجة المتعنت بإجابة سؤله، قال تعالى مخبراً بتحقيق ما ختم به من أنهم لا يؤمنون للخوارق ولو رأوا أعجب من الإيتان بالملائكة».[2]

قال الآلوسي: « هذا وفي هذه الآية من وصفهم بالعناد، وتواطئهم على ما هم فيه من التكذيب والفساد ما لا يخفى، وفي ذلك تأكيد لما يفهم من الآية الأولى »[3].

ومن هذا النقل فإن حاصل أقوالهم في المناسبة، أن هذه الآية جاءت بكلام جامع لإبطال جميع معاذيرهم، **والمفسرون يدور كلامهم في هذا المحور. والله أعلم**

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

---

(١) مفاتيح الغيب١٩/ ١٢٩

(٢) نظم الدرر٤/ ٢١٠

(٣) روح المعاني٧/ ٢٦٧.

٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر:١٦-١٨].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

« لما جرى الكلام السابق في شأن تكذيب المشركين برسالة محمد ﷺ وما تواركوا به في ذلك، وكان الأصلُ الأصيل الذي بَنوا عليه صَرْح التكذيب أصلين هما إبطاله إلهية أصنامهم، وإثباته البعث، انبرى القرآن يبيّن لهم دلائل تفرد الله تعالى بالإلهية، فذكر الدلائل الواضحة من خلق السماوات والأرض، ثم أعقبها بدلائل إمكان البعث من خلق الحياة والموت، وانقراض أمم وخلفها بأخرى في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [الحجر:٢٣] الآية . وصادف ذلك مناسبة ذكر فتح أبواب السماء في تصوير غلوائهم بعنادهم، فكان الانتقال إليه تخلصاً بديعاً »(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: « اعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهة منكري النبوة، وكان قد ثبت أن القول بالنبوة مفرع على القول بالتوحيد أتبعه تعالى بدلائل التوحيد . ولما كانت دلائل التوحيد منها سماوية، ومنها أرضية، بدأ منها بذكر الدلائل السماوية، فقال: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾»(٢).

قال ابن عطية: « لما ذكر تعالى أنهم لو رأوا الآية المذكورة في السماء لعاندوا فيها - عقب ذلك بهذه الآية - فكأنه قال: وإن في السماء لعبراً منصوبة غير هذه المذكورة،

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٢٧

(٢) مفاتيح الغيب١٩/ ١٣٠

وكفرهم بها وإعراضهم عنها إصرار منهم وعتو »[1].

قال البقاعي: «ولما كان ذكر هذه الآية السماوية على سبيل الفرض في الجواب عن إنكارهم النبوة، دليلاً على مرودهم على الكفر، وكان من المعلوم أن ثبوت النبوة مترتب على ثبوت الوحدانية، توقع السامع الفَهِم الإخبارَ عما له تعالى من الآيات المحققة الوجود المشاهدة الدالة على قدرته، فأتبعها بذلك استدلالاً على وحدانيته بما له من المصنوعات شرحاً لقوله ﴿وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [إبراهيم:٥٢] ودليلاً على عدم إيمانهم بالخوارق، وابتدأ بالسماويات لظهورها لكل أحد، وشرفها وظهور أنها من الخوارق بعدم ملابستها والوصول إليها، فقال مفتتحاً بحرف التوقع: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا﴾ أي بما لنا من العظمة التي لا يقدر عليها سوانا مما هو مغنٍ عن فتح باب ونحوه»[2].

قال أبو حيان: «لما ذكر حال منكري النبوة، وكانت مفرعة على التوحيد، ذكر دلائله السماوية، وبدأ بها، ثم أتبعها بالدلائل الأرضية»[3].

قال الآلوسي: «ثم أنه تعالى لما ذكر حال منكري النبوة وكانت مفرعة على التوحيد ذكر دلائله السماوية والأرضية فقال عز قائلاً: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾»[4].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٣.

(٢) نظم الدرر ٤/ ٢١٠-٢١١.

(٣) البحر المحيط ٥/ ٤٣٧.

(٤) روح المعاني ٧/ ٢٦٨.

ومن هذا النقل فإن حاصل أقوالهم في المناسبة هي أنه تعالى لما أجاب عن شبهة منكري النبوة، أتبعه تعالى بدلائل التوحيد، ولما كانت دلائل التوحيد منها سماوية، ومنها أرضية، بدأ منها بذكر الدلائل السماوية، **والمفسرون يدور كلامهم في هذا المحور. والله أعلم .**

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم

٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ۝١٩ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۝٢٠﴾ [الحجر:١٩-٢٠].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«انتقال من الاستدلال بالآيات السماوية إلى الاستدلال بالآيات الأرضية لمناسبة المضادة»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما شرح الدلائل السماوية في تقرير التوحيد أتبعها بذكر الدلائل الأرضية وهي أنواع:

النوع الأول: قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ .

النوع الثاني: من الدلائل المذكورة في هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ .

النوع الثالث: من الدلائل المذكورة في هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾»(٢).

قال البقاعي: «ولما ذكر آية السماء، ثنى بآية الأرض فقال: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾أي بما لنا من العظمة»(٣).

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٣٥

(٢) مفاتيح الغيب١٩/ ١٣٣

(٣) نظم الدرر٤/ ٢١٣

ومن هذا النقل فإن حاصل أقوالهم في المناسبة هي انتقال من الاستدلال بالآيات السماوية إلى الاستدلال بالآيات الأرضية، وقد اتفقت أقوالهم على هذا المحور. **والله أعلم .**

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر:٢٢].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«انتقال من الاستدلال بظواهر السماء، وظواهر الأرض إلى الاستدلال بظواهر كرة الهواء الواقعة بين السماء والأرض، وذلك للاستدلال بفعل الرياح والمنة بما فيها من الفوائد»[1].

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال أبو السعود: «﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ﴾ عطفٌ على جعلنا لكم فيها معايشَ، وما بينها اعتراضٌ لتحقيق ما سبق وترشيحِ ما لِحق»[2].

ومن خلال ماسبق فإن ابن عاشور يرى أنه انتقال من الاستدلال بظواهر السماء، وظواهر الأرض للاستدلال بفعل الرياح .

وقد انفرد ابن عاشور بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين.

وأما أبو السعود يرى أن الآية عطفٌ على جعلنا لكم فيها معايشَ.

ولعل الراجح ما ذكره ابن عاشور فهو الظاهر من السياق ، والمتبادر إلى الأذهان . والله أعلم .

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٣٧

(٢) إرشاد العقل السليم٥/ ٧٢.

أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين، ولم يسبق إليها، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها.

١٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحجر:٢٣].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

« لماجرى ذكر إنزال المطر وكان مما يسبق إلى الأذهان عند ذكر المطر إحياءُ الأرض به ناسب أن يذكر بعده جنس الإحياء، كله لما فيه من غرض الاستدلال على الغافلين عن الوحدانية، ولأن فيه دليلاً على إمكان البعث . والمقصود ذكر الإحياء ولذلك قُدم . وذكر الإماتة للتكميل .

والجملة عطف على جملة ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾[الحجر:١٦] للدلالة على القدرة، وعموم التصرف»[١].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «اعلم أن هذا هو النوع السادس من دلائل التوحيد وهو الاستدلال بحصول الإحياء والإماتة لهذه الحيوانات على وجود الإله القادر المختار»[٢].

قال ابن عطية: «وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾، هذه الآيات مع الآيات التي قبلها تضمنت العبرة والدلالة على قدرة الله تعالى، وما يوجب توحيده وعبادته، فمعنى هذه: وإنا لنحن نحيي من نشاء بإخراجه من العدم إلى وجود الحياة، وبرده عند البعث من مرقده ميتاً، ونميت بإزالة الحياة عمن كان حياً»[٣].

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٣٩

(٢) مفاتيح الغيب١٩/ ١٧٢.

(٣) المحرر الوجيز٣/ ٣٥٩.

قال البقاعي: «فلما تقرر تفصيل الخبر عما هو سبب للإحياء في الجملة، فتهيأت النفس للانتقال منه إلى الإحياء الحقيقي قياساً»[1].

ومن هذا النقل فإن مجمل أقوالهم في المناسبة هي أنه لما جرى ذكر إنزال المطر، وكان مما يسبق إلى الأذهان عند ذكر المطر إحياءُ الأرض به ناسب أن يذكر بعده جنس الإحياء كله، لما فيه من غرض الاستدلال على الغافلين عن الوحدانية، ولأن فيه دليلاً على إمكان البعث، وكلامهم يدور في هذا المحور. والله أعلم .

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) نظم الدرر ٤/ ٢١٥

١١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحجر:٢٤-٢٥].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لماذكر الإحياء والإماتة، وكان الإحياء بكسر الهمزة يذكر بالأحياء بفتحها، وكانت الإماتة تذكّر بالأموات الماضين تخلص من الاستدلال بالأحياء والإماتة على عظم القدرة إلى الاستدلال بلازم ذلك على عظم علم الله وهو علمه بالأمم البائدة، وعلم الأمم الحاضرة»(١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية :

قال الرازي: «واعلم أنه تعالى لما قال: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ ﴾[الحجر:٢٣] أتبعه بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ تنبيهاً على أنه لا يخفى على الله شيء من أحوالهم، فيدخل فيه علمه تعالى بتقدمهم، وتأخرهم في الحدوث، والوجود، وبتقدمهم، وتأخرهم في أنواع الطاعات والخيرات، ولا ينبغي أن نخص الآية بحالة دون حالة»(٢).

قال البقاعي: «فلما ثبت بهذا كمال قدرته، وكانت آثار القدرة لا تكون محكمة إلا بالعلم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ »(٣).

قال أبو السعود: «﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ مَنْ تقدّم منكم ولادةً وموتاً ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ من تأخر ولادةً وموتاً، أو من خرج من أصلاب الآباءِ، ومن لم يَخْرُجْ بعدُ، أو مَنْ تقدم في الإسلام والجهاد، وسبق إلى الطاعة، ومن تأخر في ذلك، لا يخفى علينا شيء من أحوالكم، وهو بيانٌ لكمال علمِه بعد الاحتجاج على كمال قدرتِه،

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٤٠

(٢) مفاتيح الغيب١٩/ ١٣٧

(٣) نظم الدرر٤/ ٢١٦

فإن ما يدل عليها دليلٌ عليه، وفي تكرير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا﴾ ما لا يخفى من الدلالة على كمال التأكيدِ»[1] .

ومن خلال ماسبق فإن كلام الرازي أعم من كلام ابن عاشورحيث قال : **ولا ينبغي أن نخص الآية بحالة دون حالة، بينما ابن عاشور خصها بالعلم بالأمم البائدة والأمم الحاضرة** . والله أعلم .

- **أثر المناسبة**:

- يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) إرشاد العقل السليم٥/ ٧٣.

١٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر:٢٦-٢٧].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«تكملة لإقامة الدليل على انفراده تعالى بخلق أجناس العوالم وما فيها . ومنه يتخلص إلى التذكير بعداوة الشيطان للبشر، ليأخذوا حذرهم منه، ويحاسبوا أنفسهم على ما يخامرها(١) من وَسْواسه بما يرديهم . جاء بمناسبة ذكر الإحياء والإماتة فإن أهم الإحياء هو إيجاد النوع الإنساني . ففي هذا الخبر استدلال على عظيم القدرة والحكمة، وعلى إمكان البعث، وموعظةٌ وذكرى»(٢).

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: «اعلم أن هذا هو النوع السابع من دلائل التوحيد، فإنه تعالى لما استدل بتخليق الحيوانات على صحة التوحيد في الآية المتقدمة أردفه بالاستدلال بتخليق الإنسان على هذا المطلوب»(٣).

قال البقاعي: «ولما جرت سنته الإلهية أنه يذكر ابتداء الخلق دليلاً على الإعادة سابقاً ولاحقاً، وابتدأ هنا بذكر الحشر لما قام عليه من الدليل بإحياء الأرض، توقع السامع تفصيل ابتداء الخلق الذي هو أدل دليل على البعث بعد إجماله في قوله ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ﴾[الحجر:٢٣] فقال مفتتحاً بحرف التوقع: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾»(٤).

---

(١) خامَرَ الشيءَ قاربه وخالطه. انظر: لسان العرب لابن منظور ٤/ ٢٥٤.مادة خمر.

(٢) التحرير والتنوير١٤/ ٤١

(٣) مفاتيح الغيب١٩/ ١٣٩

(٤) نظم الدرر٤/ ٢١٦

قال أبو حيان: «لما نبه تعالى على منتهى الخلق وهو الحشر يوم القيامة إلى ما يستقرون فيه، نبههم على مبدأ أصلهم آدم، وما جرى لعدوه إبليس من المحاورة مع الله تعالى »[1].

ومن خلال ما سبق يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي تكملة لإقامة الدليل على انفراده تعالى بخلق أجناس العوالم وما فيها وموعظةٌ وذكرى. وهذه من تفردات ابن عاشوروإضافاته .

وأما الرازي فيرى أن المناسبة، هي الاستدلال بتخليق الإنسان على صحة التوحيد .

وأما البقاعي يرى أن المناسبة هي ذكر الحشر لما قام عليه من الدليل بإحياء الأرض.

وأما أبو حيان يرى أن المناسبة هي أنه لما نبه تعالى على منتهى الخلق وهو الحشر يوم القيامة إلى ما يستقرون فيه، نبههم على مبدأ أصلهم آدم.

و من خلال ما سبق بيانه يظهرأن كل ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية، ولكن الأنسب والأوفق ماذهب اليه ابن عاشور، لأنه أدق في بيان التناسب، وأليق بنظم الكلام . والله أعلم.

---

(١) البحر المحيط٥/ ٤٤٠.

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين، ولم يسبق إليها، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها.

وكذلك في المناسبة نكتة بلاغية، في إسلوب التخلص وجهها في المناسبة أن هذه الآية تكملة لإقامة الدليل على انفراده تعالى بخلق أجناس العوالم وما فيها، ومنه يتخلص إلى التذكير بعداوة الشيطان للبشر، وبه يظهر أثر المناسبة البديع، وموقعها الحسن . والله أعلم .

١٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ٤٨﴾ [الحجر:٤٥-٤٨].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«استئناف ابتدائي، انتقال من وعيد المجرمين إلى بشارة المتّقين على عادة القرآن في التفنن»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة.

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال أهل العقاب أتبعه بصفة أهل الثواب»(٢).

قال البقاعي: «ولما ذكر الكافرين وما جرهم إلى الضلال، وجرأهم على قبائح الأعمال، ذكر المخلصين فقال - مؤكداً لإنكار المكذبين بالبعث: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾»(٣).

قال النيسابوري: «ثم عقب الوعيد بالوعد فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾»(٤).

ومن هذا النقل فإن حاصل أقوالهم في المناسبة أنه انتقال من وعيد المجرمين إلى بشارة المتّقين، وقد اتفقوا على هذا المحور. والله أعلم .

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٥٤

(٢) مفاتيح الغيب١٩/ ١٤٩

(٣) نظم الدرر٤/ ٢٢٢

(٤) غرائب القرآن٤/ ٢٢٢

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثرهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم

١٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر:٥١-٥٦].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«هذا العطف مع اتحاد الفعل المعطوف بالفعل المعطوف عليه في الصيغة دليل على أن المقصود الإنباء بكلا الأمرين، لمناسبة ذكر القصة أنها من مظاهر رحمته تعالى وعذابه»[(١)].

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما بالغ في تقرير أمر النبوة، ثم أردفه بذكر دلائل التوحيد، ثم ذكر عقيبه أحوال القيامة، وصفة الأشقياء والسعداء، أتبعه بذكر قصص الأنبياء عليهم السلام، ليكون سماعها مرغباً في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الأنبياء، ومحذراً عن المعصية لاستحقاق دركات الأشقياء، فبدأ أولاً بقصة إبراهيم عليه السلام، والضمير في قوله: ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ راجع إلى قوله: ﴿عِبَادِي﴾ والتقدير: ونبىء عبادي عن ضيف إبراهيم»[(٢)].

قال البقاعي: «ولما أتم سبحانه شرح قوله: ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ وما تبعه من الدلالة على البعث، شرع في شرح ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ بقصة الخليل عليه السلام، وما بعدها مع الوفاء بذكر المعاد، تارة تلويحاً وتارة تصريحاً»[(٣)].

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٥٧

(٢) مفاتيح الغيب١٩/ ١٥١

(٣) نظم الدرر٤/ ٢٢٦.

قال النيسابوري: «إنه سبحانه عطف ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ على ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ﴾ ليكون سماع هذه القصص مرغباً في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الأولياء، ومحذراً من المعصية المستتبعة لدركات الأشقياء، ولما في قصة لوط من ذكر، إنجاء المؤمنين وإهلاك الظالمين، وكل ذلك يقوّي ما ذكر من أنه غفور رحيم للمؤمنين، وأن عذابه عذاب أليم للكافرين »[1].

قال الآلوسي: «ثم إنه تعالى لما ذكر الوعد والوعيد ذكر ما يحقق ذلك لما تضمنه من البشرى والإهلاك بقوله سبحانه: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ إلخ....، وقيل: إنه تفصيل لما تضمنته الآية السابقة منهما لا من الوعيد فقط»[2].

قال أبو حيان: «ولما ذكر تعالى ما أعد للعاصين من النار، وللطائعين من الجنة، ذكر العرب بأحوال من يعرفونه ممن عصى وكذب الرسل فحل به عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة، ليزدجروا عن كفرهم، وليعتبروا بما حل بغيرهم . فبدأ بذكر جدهم الأعلى إبراهيم عليه السلام، وما جرى لقوم ابن أخيه لوط، ثم بذكر أصحاب الحجر وهم قوم صالح، ثم بأصحاب الأيكة وهم قوم شعيب»[3].

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي أن قصة إبراهيم عليه السلام من مظاهر رحمته تعالى وعذابه.

وأما الرازي فيرى أن المناسبة هي ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام، ليكون سماعها مرغباً في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الأنبياء، ومحذراً عن المعصية لاستحقاق دركات الأشقياء.

وبهذا المعنى، قال النيسابوري.

(١) غرائب القرآن ٤/ ٢٢٧

(٢) روح المعاني٧/ ٣٠٤.

(٣) البحر المحيط٥/ ٤٤٦.

وأما البقاعي فيرى أن المناسبة هي حصول القنوط سبب لآية المغفرة، والإخبار بعذاب الأمم تمثيل لآية العذاب، ليزدجر المخاطبون

وببعض هذا المعنى، قال أبوحيان .

وأما الآلوسي فذكر الربط بين الآيتين من وجهين هما:

الأول: إنه تعالى لما ذكر الوعد والوعيد ذكر ما يحقق ذلك لما تضمنه من البشرى والإهلاك بقوله سبحانه: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ إلخ....

وبهذا المعنى، قال ابن عاشور .

الثاني: إنه تفصيل لما تضمنته الآية السابقة منهما لا من الوعيد فقط.

و من خلال ما سبق بيانه، يظهر أن كل ماذكريصلح أن يكون مناسبة للآية، لأن المناسبات لاتتزاحم قد تكون للآية أكثر من مناسبة، وماذكره الرازي يدخل فيه كثير من الأقوال المذكورة. والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

١٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر:٨٥-٨٦].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

« موقع الواو في صدر هذه الجملة بديع . فهذه الجملة صالحة، لأن تكون تذييلاً لقصص الأمم المعذبة ببيان أن ما أصابهم قد استحقّوه فهو من عدل الله بالجزاء على الأعمال بما يناسبها»(١).

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما ذكر أنه أهلك الكفار فكأنه قيل: الإهلاك والتعذيب كيف يليق بالرحيم الكريم ؟ فأجاب عنه بأني إنما خلقت الخلق ليكونوا مشتغلين بالعبادة، والطاعة فإذا تركوها، وأعرضوا عنها وجب في الحكمة إهلاكهم، وتطهير وجه الأرض منهم، وهذا النظم حسن إلا أنه إنما يستقيم على قول المعتزلة(٢).

وفي الآية وجه آخر في النظم، وهو أن المقصود من ذكر هذه القصص تصبير الله تعالى محمداً عليه الصلاة والسلام على سفاهة قومه فإنه إذا سمع أن الأمم السالفة كانوا يعاملون

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٧٤

(٢) المعتزلة: فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري، وعندهم أصول خمسة يقوم عليها مذهبهم: وهي ١- التوحيد ٢- العدل٣- الوعد والوعيد: وهو أن المكلف ينال ما وعدبه عن طريق الإستحاق، ولايجوز عليه إخلاف الوعيد .٤- المنزلة بين المنزلتين.٥- الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر: للإستزادة . انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة تأليف: عواد المعتق (النشأة ١٣- الأصل الأول ٨١- الأصل الثاني ١٥١- الأصل الثالث ٢٠٩ -الأصل الرابع ٢٥٥- الأصل الخامس . ٢٥٦).

أنبياء الله تعالى بمثل هذه المعاملات الفاسدة سهل تحمل تلك السفاهات على محمد ﷺ، ثم إنه تعالى لما بين أنه أنزل العذاب على الأمم السالفة فعند هذا قال لمحمد ﷺ: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ﴾ وإن الله لينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم، فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق والعدل والإنصاف فكيف يليق بحكمته إهمال أمرك»[1].

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة أن هذه الجملة صالحة لأن تكون تذييلاً لقصص الأمم المعذبة ببيان أن ما أصابهم قد استحقّوه فهو من عدل الله بالجزاء على الأعمال بما يناسبها.

وأما الرازي فذكر في الربط بين الآيتين وجهين:

الأول: أنه تعالى إنما خلق الخلق ليكونوا مشتغلين بالعبادة والطاعة فإذا تركوها وأعرضوا عنها وجب في الحكمة إهلاكهم وتطهير وجه الأرض منهم. وقال: وهذا النظم حسن إلا أنه إنما يستقيم على قول المعتزلة.

قلت: هذه المناسبة لاتقبل لأنها مخالفة للشرع، وتقدح في العقيدة، وذلك لأن من شروط المناسبة الصحيحة، أن تكون موافقة للشرع[2].

الثانية: وإن الله لينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم، فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق والعدل والإنصاف فكيف يليق بحكمته إهمال أمرك.

ومن خلال ما سبق بيانه، الذي يظهر أن ماذكره ابن عاشور أنسب، لأن هذه المناسبة تبين أن ما أصاب الأمم المعذبة قد استحقّوه بعدل الله جزاء ما عملوه من الذنوب، فهذاالقول أدق في بيان التناسب، وأليق بنظم الكلام من غيره من الأقوال،

(١) مفاتيح الغيب١٩/ ١٥٨

2 وجه مخالفتها للعقيدة: قولهم وجب في الحكمة - فإنه لايجب على الله شيء إلا ما أوجبه على نفسه.

ولا نجزم أن هذه المناسبة مراد الله تعالى، غاية الأمر أن هذا ما أداه إليه اجتهاده ونظره وتدبره . والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، إذا فيها نكتة بلاغية، في إسلوب التذييل وهوَ تَعقيبُ الجملِ بجمْلَةٍ أخْرَى تَشْتَمِلُ على مَعْنَاهَا تَوْكيدًا لها، تأكيداً لمنطوق الأولى، أو لمفهومِها، و وجهه في المناسبة أن هذه الجملة صالحة لأن تكون تذييلاً لقصص الأمم المعذبة ببيان أن ما أصابهم قد استحقّوه فهو من عدل الله بالجزاء على الأعمال بما يناسبها، والله أعلم .

١٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦﴾[الحجر:٨٦].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة ختم الآية الكريمة بأسماء الله ﴿ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ فقال: «وجملة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ في موقع التعليل للأمر بالصّفح عنهم، أي لأن في الصّفح عنهم مصلحة لك ولهم يعلمها ربك، فمصلحة النبي ﷺ في الصّفح هي كمال أخلاقه، ومصلحتهم في الصّفح رجاء إيمانهم، فالله الخلّاق لكم ولهم ولنفسك وأنفسهم، العليم بما يأتيه كل منكم، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾[فاطر:٨] ومناسبته لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ﴾[الحجر:٨٥] ظاهرة وفي وصفه بـ﴿ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ إيماء إلى بشارة النبي ﷺ، بأن الله يخلق من أولئك من يعلم أنّهم يكونون أولياء للنبي ﷺ، وهم الذين آمنوا بعد نزول هذه الآية، والّذين ولدوا، كقول النبي ﷺ « لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده »(١).

وتلك هي نكتة ذكر وصف ﴿ٱلۡخَلَّٰقُ﴾ دون غيره من الأسماء الحسنى»(٢).

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال البقاعي: «ثم علل هذا الأمر بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ أي المحسن إليك الآمر لك بهذا ﴿هُوَ﴾ أي وحده ﴿ٱلۡخَلَّٰقُ﴾ المتكرر منه هذا الفعل في كل وقت بمجرد الأمر، فلا عجب في إيجاد ما ينسب إليه من إبداع الساعة أو غيرها، وهو لذلك عالم بأحوالكم أجمعين وما يكون منها صلاحاً لك على غاية الحكمة، لأن المصور أعلم بالصورة من ناظرها والمتبصر فيها، وصانع الشيء أدرى به من مشتريه، وباني البيت أخبر به من ساكنه، وهو الذي خلق كل ما تراه منهم فهو فعله فسلم له.

ولما كان إحكام المصنوعات لا يتم إلا بالعلم، قال تعالى: ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ أي البالغ

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٢٩٩٢) - وأخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب مالقي الرسول ﷺ من المشركين، رقم (٣٣٥٢)

(٢) التحرير والتنوير ١٤/ ٧٨

العلم بكل المعلومات، فلا ترى أفعالهم وأقوالهم إلا منه سبحانه لأنه خالقها، وقد علمت أنه لا يضيع مثقال ذرة فاعتمد عليه في أخذ حقك، فإنه نعم المولى ونعم النصير، ولا يخفي عليه شيء منه؛ ويدل على ما قلته آية يس»[(١)].

قال أبو حيان: «ولما ذكر خلق السموات والأرض وما بينهما قال: إن ربك هو الخلاق، أتى بصفة المبالغة لكثرة ما خلق، أو الخلاق من شاء لما شاء من سعادة أو شقاوة»[(٢)].

قال الآلوسي: «﴿هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ لك ولهم ولسائر الأشياء على الأطلاق ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأحوالك وأحوالهم، وبكل شيء فلا يخفى عليه جل شأنه شيء مما جرى بينك وبينهم، فحقيق أن تكل الأمور إليه، ليحكم بينكم أو هو الذي خلقكم، وعلم تفاصيل أحوالكم، وقد علم سبحانه أن الصفح الجميل اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح، فهو تعليل للأمر بالصفح على التقديرين على ما قيل، وقال بعض المدققين: إنه على الأخير تذييل للأمر المذكور، وعلى الأول لقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ﴾ [الحجر:٨٥] وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما[(٣)] والجحدري[(٤)] والأعمش[(٥)].

---

(١) نظم الدرر٤/ ٢٣٤

(٢) البحر المحيط٥/ ٤٥٣

(٣) زيد بن علي بن أحمد بن محمد بن عمران بن أبي بلال أبو القاسم العجلي الكوفي شيخ العراق إمام حاذق ثقة توفي زيد ببغداد سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة. انظر: غاية النهاية لابن الجزري ١/ ١٣١

(٤) عاصم بن أبي الصباح العجاج وقيل ميمون أبو المجشر الجحدري البصري، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان بن قتة عن بن عباس، قال خليفة بن خياط وغيره مات قبل الثلاثين ومائة وقال المدائني سنة ثمان وعشرين ومائة. انظر: غاية النهاية لابن الجزري ١/ ١٥٤

(٥) سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي الإمام الجليل، ولد سنة ستين، قال هشام ما رأيت بالكوفة أحدا أقرأ لكتاب الله ﷻ من الأعمش، ، مات في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة.انظر: غاية النهاية ١/ ١٣٨

ومالك بن دينار[1] ﴿هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ﴾ وكذا في مصحف أبي بن كعب[2]. وعثمان[3] رضي الله تعالى عنهما وهو صالح للقليل والكثير و﴿ٱلۡخَلَّٰقُ﴾ مختص بالكثير و﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ أوفق به، وهو على ما قيل أنسب بما تقدم من قوله سبحانه: ﴿خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾[الحجر:٨٥]»[4].

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبةأنها تعليل للأمر بالصّفح عنهم.

وبمعنى قوله قال البقاعي، والآلوسي.

وخالف أبو حيان في ذلك.

وكل ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة، ولامانع من ذكر أكثر من مناسبة في ختام

---

(١) مالك بن دينار أبو يحيى البصري، وردت الرواية عنه في حروف القرآن سمع أنس بن مالك، قال القتيبي كان يكتب المصاحف بالأجرة وكان من أحفظ الناس للقرآن وكان يقرأ كل يوم جزءاً من القرآن حتى يختم فإن أسقط حرفاً قال ذنب مني وما الله بظلام للعبيد، مات سنة سبع وعشرين ومائة. انظر: غاية النهاية ١/ ٢٩١

(٢) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج، أبو المنذر: صحابي أنصاري.
، وشهد بدرا واحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان يفتي على عهده.
وشهد مع عمر بن الخطاب وقعة الجابية، وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس،
وله في الصحيحين وغيرهما ١٦٤ حديثا، مات بالمدينة سنة ٢١هـ انظر: الأعلام ١/ ٨١.

(٣) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أبو عبدالله وأبو عمرو القرشي الأموي أمير المؤمنين ذو النورين أحد السابقين الأولين وأحد من جمع القرآن حفظاً على عهد رسول الله ﷺ، تروج بابنة رسول الله ﷺ رقية فولدت له عبدالله وبه كان يكنى ثم كني بابنه عمرو فلما توفيت رقية ليالي بدر زوجه النبي ﷺ باختها أم كلثوم، وكان أصغر من النبي ﷺ بست سنين، قتل شهيداً مظلوماً في داره يوم الأربعاء وقيل يوم الجمعة بعد العصر وكان صائماً ثامن عشر الحجة سنة خمس وثلاثين وله اثنتان وثمانون سنة على الصحيح، انظر: غاية النهاية ١/ ٢٢٦.

(٤) روح المعاني٧/ ٣٢١.

الآية بهذين الاسمين، ولا تتزاحم المناسبات، وكل حسن فيما قال . والله أعلم.

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثر بهم، ولم يأت بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

١٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر:٨٧].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«اعتراض بين جملة ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[الحجر:٨٥] وجملة ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الآية.

أتبع التسلية والوعد بالمنّة، ليذكر الله نبيه ﷺ بالنّعمة العظيمة، فيطمئن بأنه كما أحسن إليه بالنّعم الحاصلة فهو منجزه الوعود الصادقة.

وفي هذا الامتنان تعريض بالردّ على المكذبين. وهو ناظر إلى قوله: ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾[الحجر:٦] إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩].

فالجملة عطف على الجمل السابقة، عطف الغرض على الغرض، والقصّة على القصّة. وهذا افتتاح غرض من التنويه بالقرآن والتحقير لعيش المشركين»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما صبره على أذى قومه، وأمره بأن يصفح الصفح الجميل أتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي خص الله تعالى محمداً ﷺ بها، لأن الإنسان إذا تذكر كثرة نعم الله عليه سهل عليه الصفح والتجاوز»(٢).

قال البقاعي: «ولما ذكر صفة العلم بصيغة المبالغة، أتبعها ما آتاه في هذه الدار من مادة العلم بصيغة العظمة»(٣).

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٧٩

(٢) مفاتيح الغيب١٩/ ١٦٢.

(٣) نظم الدرر٤/ ٢٣٥.

قال النيسابوري: «ثم حثه على الصفح والتجاوز بذكر النعم العظام التي خصه بها فقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾»[1].

ومن هذا النقل فإن حاصل أقوالهم في المناسبة أنه أتبع التسلية والوعد بالمنّة، ليذكر الله نبيه ﷺ بالنّعمة العظيمة، فيطمئن بأنه كما أحسن إليه بالنّعم الحاصلة، فهو منجزه الوعود الصادقة، وكلامهم يدور في هذا المعنى. والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، لم يسبق إليها، إذ فيها نكتة بلاغية، في إسلوب التعريض ووجهه في المناسبة أن في هذ الامتنان تعريض بالردّ على المكذبين. والله أعلم .

(١) غرائب القران٤/ ٢٣٢.

١٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الحجر:٨٨].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«استئناف بياني لما يثيره المقصود من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ومن تساؤل يجيش في النّفس عن الإملاء للمكذّبين في النّعمة والتّرف مع ما رمقوا به من الغضب والوعيد، فكانت جملة ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ بياناً لما يختلج في نفس السامع من ذلك، ولكونها بهذه المثابة فصلت عن الّتي قبلها فصل البيان عن المبيّن

ولولا أن الجملة الّتي وقعت قبلها كانت بمنزلة التمهيد لها، والإجمال لمضمونها لعطفت هذه الجملة، لأنها تكون حينئذٍ مجرد نهي لا اتّصال له بما قبله، فلما فصلت الجملة هنا فهم أن الجملة الّتي قبلها مقصودة التمهيد بهذه الجملة، ولو عطفت هذه لما فهم هذا المعنى البديع من النظم»(١).

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: «فاعلم أنه تعالى لما عرف رسوله عظم نعمه عليه فيما يتعلق بالدين، وهو أنه آتاه سبعاً من المثاني والقرآن العظيم، نهاه عن الرغبة في الدنيا، فحظر عليه أن يمد عينيه إليها رغبة فيها»(٢).

قال ابن عطية: «فكأنه قال: ولقد آتيناك عظيماً خطيراً، فلا تنظر إلى غير ذلك من أمور الدنيا وزينتها التي متعنا بها أنواعاً من هؤلاء الكفرة»(٣).

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٨١

(٢) مفاتيح الغيب١٩/ ١٦٣

(٣) المحرر الوجيز٣/ ٣٧٤

قال أبو حيان: «ولما ذكر تعالى ما أنعم به على رسوله ﷺ من إتيانه ما آتاه، نهاه. وقد قلنا: إنّ النهي لا يقتضي الملابسة، ولا المقاربة عن طموح عينه إلى شيء من متاع الدنيا، وهذا وإن كان خطاباً للرسول ﷺ فالمعنى: نهى أمته عن ذلك لأنّ من أوتي القرآن شغله النظر فيه، وامتثال تكاليفه وفهم معانيه عن الاشتغال بزهرة الدنيا»[1].

قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف وصل هذا بما قبله؟ قلت: يقول لرسوله ﷺ: قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة، وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة، وهي القرآن العظيم؛ فعليك أن تستغني به، ولا تمدن عينيك إلى متاع الدنيا»[2].

قال البقاعي: «ولما كانت هذه الآية لصاحبها مغنية، ولمن فاز بقبولها معجبة مرضية، حسن كل الحسن اتباعها بقوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾»[3].

قال ابن جزي[4]: «لا تنظر إلى ما متعنا به في الدنيا، ومعنى الآية: تزهيد في الدنيا، كأنه يقول: قد آتيناك السبع المثاني والقرآن العظيم؛ فلا تنظر إلى الدنيا، فإن الذي أعطيناك أعظم منها»[5].

قال الأمين الشنقيطي[6]: «لما بين تعالى أنه آتى النّبي ﷺ السبع المثاني والقرآن

---

(١) البحر المحيط ٥/ ٤٥٢.

(٢) الكشاف٣/ ٤١٧.

(٣) نظم الدرر٤/ ٢٣٥

(٤) ابن جزي الكلبي محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة. ولد سنة ٦٩٣هـ، من كتبه " القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، وتقريب الوصول إلى علم الأصول و الفوائد العامة في لحن العامة و التسهيل لعلوم التنزيل، قال المقريزي: فقد وهو يحرض الناس يوم معركة طريف سنة ٧٤١ هـ، انظر: الأعلام ٥/ ٣٢٥

(٥) التسهيل ٣٥٠

(٦) محمد الامين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي: مفسر مدرس من علماء شنقيط (موريتانيا)، ولد وتعلم بها، مولده سنة ١٣٢٥هـ وحج (١٣٦٧) واستقر مدرسا في المدينة المنورة ثم = ⇦

العظيم، وذلك أكبر نصيب، وأعظم حظ عند الله تعالى، نهاه أن يمد عينيه إلى متاع الحياة الدنيا الذي متع به الكفار . لأن من أعطاه ربه جل وعلا النصيب الأكبر والحظ الأوفر، لا ينبغي له أن ينظر إلى النصيب الأحقر الأخس، ولا سيما إذا كان صاحبه إنما أعطيه لأجل الفتنة والاختبار »[1].

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي تساؤل يجيش في النّفس عن الإملاء للمكذّبين في النّعمة والتّرف مع ما رمقوا به من الغضب والوعيد فكانت جملة ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ بياناً لما يختلج في نفس السامع من ذلك.

وقد انفرد ابن عاشور بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين .

وأما الرازي فيرى أن المناسبة أنه تعالى لما عرف رسوله عظم نعمه عليه فيما يتعلق بالدين، وهو أنه آتاه سبعاً من المثاني والقرآن العظيم، نهاه عن الرغبة في الدنيا

وبهذا المعنى، قال ابن عطية، والبقاعي، وابن جزي، والأمين الشنقيطي .

والذي يظهر أن كل ماذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية، وكل حسن فيما قال، ويظهر عند ابن عاشور الجِدة والإبتكار وعدم السير على خطا الغير . والله أعلم .

=

الرياض، وأخيرا في الجامعة الاسلامية بالمدينة (١٣٨١) وتوفي بمكة.

له كتب، منها (أضواء البيان في تفسير القرآن) و(منع جواز المجاز) و(منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات) و(دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب) و(آداب البحث والمناظرة) جزآن و(ألفية في المنطق) و(رحلة خروجه من بلاده إلى المدينة) توفي سنة ١٣٩٣هـ بمكة انظر: الأعلام ٦/ ٤٥

(١) أضواء البيان٤/ ١٩٤.

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة وهي من تفرداته التي **لم يسبق إليها**، **فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها.**

وكذلك في المناسبة نكتة بلاغية، **تعد إضافة جديدة** لها أثرها، و هو الاستئناف البياني الذي يأتي جوابا عن سؤال مقدر والله أعلم.

١٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ۝٨٩﴾ [الحجر:٨٩].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«وجملة ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ عطف على جملة ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر:٨٨] فالمقولُ لهم هذا القولُ هم المتحدّث عنهم بالضّمائر السابقة في قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمْ﴾ وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾. فالتقدير: وقل لهم لأن هذا القول مراد منه المتاركة، أي ما عليّ إلاّ إنذاركم، والقرينة هي ذكر النذارة دون البشارة، لأن النذارة تناسب المكذبين، إذ النذارة هي الإعلام بحدث فيه ضرّ» (١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما أمر رسوله بالزهد في الدنيا، وخفض الجناح للمؤمنين، أمره بأن يقول للقوم: ﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ فيدخل تحت كونه نذيراً، كونه مبلغاً لجميع التكاليف، لأن كل ما كان واجباً ترتب على تركه عقاب، وكل ما كان حراماً ترتب على فعله عقاب، فكان الإخبار بحصول هذا العقاب داخلاً تحت لفظ النذير، ويدخل تحته أيضاً كونه شارحاً لمراتب الثواب والعقاب والجنة والنار»(٢).

ومن هذا النقل، فإن مجمل أقوالهم في المناسبة أنه أمره بأن يقول للقوم: ﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ فيدخل تحت كونه نذيراً، كونه مبلغاً لجميع التكاليف، وكلامهم يدور في هذا المعنى. والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٨٣.

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ١٦٢

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

٢٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر:٩٠-٩١].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«التشبيه الذي أفاده الكاف تشبيه بالذي أنزل على المقتسمين .

و (ما) موصولة أو مصدرية، وهي المشبه به .

وأما المشبه فيجوز أن يكون الإيتاءَ المأخوذ من فعل ﴿ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾[الحجر:٨٧] أي إيتاء كالذي أنزلنا أو كإنزالنا على المقتسمين . شُبّه إيتاء بعض القرآن للنبي بما أنزل عليه في شأن المقتسمين، أي أنزلناه على رسل المقتسمين .

ويجوز أن يكون المشبّهُ الإنذارَ المأخوذَ من قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾، أي الإنذار بالعقاب من قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الحجر:٩٢-٩٣].

وأسلوب الكلام على هذين الوجهين أسلوب تخلّص من تسلية النبي إلى وعيد المشركين الطاعنين في القرآن بأنهم سيحاسبون على مطاعنهم»(١).

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الزمخشري: « فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا﴾؟ قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن يتعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾ [الحجر:٨٧] أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾، وهذه تسلية لرسول الله ﷺ عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم، وقولهم سحر وشعر وأساطير، بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم .

---

(١) التحرير والتنوير بتصرف ١٤/ ٨٤

والثاني: أن يتعلق بقوله ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ [الحجر:٨٩] أي: وأنذر قريشاً مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين، يعني اليهود»(١).

قال الرازي: «أن قوله: ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ يقتضي تشبيه شيء بذلك فما ذلك الشيء؟ والجواب عنه من وجهين:

الوجه الأول: التقدير: ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم، كما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين، حيث قالوا بعنادهم وجهلهم بعضه حق موافق للتوارة والإنجيل، وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه إلى حق وباطل.

فإن قيل: فعلى هذا القول كيف توسط بين المشبه والمشبه به قوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ إلى آخره؟

قلنا: لما كان ذلك تسلية لرسول الله ﷺ عن تكذيبهم وعداوتهم، اعترض بما هو مدار لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات إلى دنياهم، والتأسف على كفرهم.

والوجه الثاني: أن يتعلق هذا الكلام بقوله: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾.

والتقدير: إني أنا النذير المبين ما أنزلناه على المقتسمين، وقال بعضهم والتقدير: إني أنا النذير أي أنذر قريشاً مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين»(٢).

قال ابن عطية: «والكاف من قوله ﴿كَمَا﴾ متعلقة بفعل محذوف تقديره، وقل إني أنا النذير المبين عذاباً كالذي أنزلنا على المقتسمين، فالكاف اسم في موضع نصب.

قال القاضي أبو محمد: «هذا قول المفسرين، وهو عندي صحيح، لأن ﴿كَمَا﴾ ليس مما يقوله محمد عليه السلام بل هو من قول الله تعالى له فينفصل الكلام، وإنما يترتب هذا القول بأن نقدر أن الله تعالى قال له تنذر عذاباً كما، والذي أقول في هذا المعنى:

---

(١) الكشاف ٣/ ٤١٨.

(٢) مفاتيح الغيب١٩/ ١٦٣.

وقل أنا النذير كما قال قبلك رسلنا وأنزلنا عليهم كما أنزلنا عليك، ويحتمل أن يكون المعنى وقل أنا النذير كما قد أنزلنا قبل في الكتب أنك ستأتي نذيراً، وهذا على أن ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ أهل الكتاب»[1].

قال أبو السعود: «﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ قيل: إنه متعلق بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾ الخ، أي أنزلنا عليك كما أنزلنا على أهل الكتاب .

وقيل: إنه متعلق بقوله: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ فإنه في قوة الأمرِ بالإنذار، كأنه قيل: أنذِرْ قريشاً مثلَ ما أنزلنا على المقتسمين، يعني اليهودَ»[2].

قال البقاعي: «ولما ذكر ما التحم بقصة أصحاب الحجر المقتسمين على قتل رسولهم، وختمه بالإنذار الذي هم أهله، عاد إلى تتميم أمرهم فشبههم بمن كذب من هذه الأمة فقال: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ »[3].

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي تخلّص من تسلية النبي ﷺ إلى وعيد المشركين الطاعنين في القرآن بأنهم سيحاسبون على مطاعنهم.

وبهذا المعنى، قال الزمخشري، والرازي، وابن عطية، وأبو السعود.

وأما البقاعي فيرى أن المناسبة هي تتميم أمرأصحاب الحجر فشبههم بمن كذب من هذه الأمة.

والذي يظهرمن خلال ما سبق، أن قول ابن عاشور ومن وافقه أنسب وأوفق، لأنه منسجم مع السياق، ولا نجزم أن هذه المناسبة مراد الله تعالى، غاية الأمر أن هذا ما أداه إليه اجتهاده ونظره وتدبره . والله أعلم .

---

(١) المحرر الوجيز٣/ ٣٧٤.

(٢) إرشاد العقل السليم٥/ ٩٠.

(٣) نظم الدرر٤/ ٢٣٧.

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

الفصل الرابع

الفصل الرابع

سورة النحل

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

۞ المبحث الأول: مقاصدها.

۞ المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها.

۞ المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها.

۞ المبحث الرابع: تناسب آياتها، وأثره في التفسير.

تمهيـــــد

سورة النحل

اسمها: سمّيت هذه السورة عند السّلف سورة النحل، وهو اسمها المشهور في المصاحف، وكتب التفسير، وكتب السنّة[1].

ووجه تسميتها: أن لفظ النحل لم يذكر في سورة أخرى.

وعن قتادة أنّها تسمّى سورة النِعَم أي بكسر النّون وفتح العين[2].

نوعها: وهي مكية في قول الجمهور، وهو عن ابن عباس وابن الزّبير[3]. وقيل: إلاّ ثلاث آيات نزلت بالمدينة مُنصرفَ النبي ﷺ من غزوة أُحد، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ﴾ [النحل:١٢٦] إلى آخر السورة. قيل: نزلت في نسخ عزم النبي على أن يُمثل بسبعين من المشركين إن أظفره الله بهم مكافأة على تمثيلهم بحمزة.

وعن قتادة وجابر بن زيد أن أولها مكي إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ [النحل:٤١] فهو مدني إلى آخر السورة.

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٩٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر: فارس قريش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة، شهد فتح إفريقية زمن عثمان، وبويع له بالخلافة سنة ٦٤ ه، عقيب موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة، وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة، حتى سيروا إليه الحجاج الثقفي، في أيام عبدالملك بن مروان، فانتقل إلى مكة، وعسكر الحجاج في الطائف، ونشبت بينهما حروب أتى المؤرخون على تفصيلها انتهت بمقتل ابن الزبير في مكة، بعد أن خذله عامة أصحابه وقاتل قتال الأبطال، وهو في عشر الثمانين، وكان من خطباء قريش المعدودين، يشبة في ذلك بأبي بكر. ت سنة ٧٣هـ انظر: الأعلام ٤/ ٨٧.

وبعضها نزل بعد الهجرة إلى الحبشة كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ﴾ [النحل:١١٠]، وبعضها متأخر النزول عن سورة الأنعام لقوله في هذه ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ ﴾ [النحل:١١٨]، يعني بما قصّ من قبل قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ [الأنعام:١٤٦] الآيات .

وذكر القرطبي[(١)] أنه روي عن عثمان بن مظعون[(٢)]: لمّا نزلت هذه الآية[(٣)] قرأتُها على أبي طالب فتعجّب وقال: يا آل غالب اتبعوا ابن أخي تفلحوا فوالله إن الله أرسله ليأمركم بمكارم الأخلاق .

وروى أحمد عن ابن عباس أن عثمان بن مظعون لما نزلت هذه الآية[(٤)] كان جالساً عند رسول الله قبل أن يسلم قال: فذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمداً[(٥)].

---

(١) أحكام القرآن ١٠/ ١٦٥.

(٢) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي، أبو السائب: صحابي، كان من حكماء العرب في الجاهلية، يحرم الخمر ،وأسلم بعد ثلاثة عشر رجلا، وهاجر إلى أرض الحبشة مرتين، وشهد بدرا، ولما مات جاءه النبي ﷺ وقبله ميتا، حتى رؤيت دموعه تسيل على خد عثمان، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع منهم ت سنة ٢هـ السير ١/ ١٥٣.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡىِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠].

(٤) الآية السابقة .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسند ابن عباس قال حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ حَدَّثَنَا شَهْرٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ وذكر الحديث. رقم(٢٧٧٠).قال الهيثمي: في مجمع الزوائد ٣/ ١٧٧وفيه شهر وثقه أحمد وجماعة وفيه ضعف لا يضر، وبقية رجاله ثقات.

ترتيبها بين السور: وهذه السورة نزلت بعد سورة الأنبياء وقبل سورة الم السجدة، وقد عدّت الثانية والسبعين في ترتيب نزول السور[1] .

عدد آياتها: وآيها مائة وثمان وعشرون بلا خلاف[2] .

(١) انظر: التحرير والتنوير ١٤/ ٩٥.

(٢) البيان في عد آي القرآن للداني ١/ ١٧٥.

المبحث الأول: مقاصدها

هذه السورة مقصودها الأساس - ذكر النِعَم - لذلك تسمى سورة النِعَم، وعن قتادة[(١)] أنّها تسمّى سورة النِعَم أي بكسر النّون وفتح العين[(٢)] . قال ابن عطيّة: لما عَدّد الله فيها من النّعم على عباده[(٣)] .ولذلك قال السعدي[(٤)]: « هذه السورة تسمى سورة النعم، فإن الله ذكر في أولها أصول النعم وقواعدها، وفي آخرها متمماتها ومكملاته»[(٥)].

وبعد هذا نورد مقاصد ها وموضوعاتها الأساسية بشيء من التفصيل من خلال ما ذكره ابن عاشور ~ في أول تفسيره للسورة قال: «معظم ما اشتملت عليه السورة إكثارُ متنوع من الأدلّة على تفرّد الله تعالى بالإلهية، والأدلّةِ على فساد دين الشرك وإظهار شناعته، وأدلةُ إثبات رسالة محمد، وإنزال القرآن عليه ﷺ، وإن شريعة الإسلام قائمة على صون ملة إبراهيم عليه السلام، وإثباتُ البعث والجزاء ؛ فابتدئت بالإنذار بأنه قد اقترب حلول ما أنذر به المشركون من عذاب الله الذي يستهزئون به، وتلا ذلك قرع المشركين وزجرهم على تصلّبهم في شركهم وتكذيبهم .

وانتقل إلى الاستدلال على إبطال عقيدة الشرك ؛ فابتدأ بالتذكير بخلق السماوات والأرض، وما في السماء من شمس وقمر ونجوم، وما في الأرض من ناس

---

(١) قتادة بن دعامة بن عرنين بن عمرو بن ربيعة السدوسي، البصري (أبو الخطاب) مفسر، ت ١١٧هـ - معجم المؤلفين رضا كحالة ٨/ ١٢٧.

(٢) التحرير والتنوير ١٤/ ٩٣.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٧.

(٤) عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي التميمي: مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد، مولده ووفاته في عنيزة (بالقصيم) وهو أول من أنشأ مكتبة فيها (سنة ١٣٥٨) له نحو ٣٠ كتابا توفي سنة ١٣٧٦هـ ينظر: الأعلام٣/ ٣٤٠

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٤٣٥)

وحيوان ونبات وبحار وجبال، وأعراض الليل والنهار .

وما في أطوار الإنسان وأحواله من العبر .

وخُصّت النحل وثمراتها بالذكر لوفرة منافعها، والاعتبار بإلهامها إلى تدبير بيوتها، وإفراز شُهدها .

والتّنويه بالقرآن وتنزيهه عن اقتراب الشيطان، وإبطال افترائهم على القرآن .

والاستدلال على إمكان البعث وأنه تكوين كتكوين الموجودات .

والتّحذير مما حلّ بالأمم التي أشركت بالله، وكذبت رسله عليهم السلام عذابَ الدنيا، وما ينتظرهم من عذاب الآخرة . وقابل ذلك بضدّه من نعيم المتّقين المصدقين والصابرين على أذى المشركين، والذين هاجروا في الله وظلموا .

والتّحذيرُ من الارتداد عن الإسلام، والتّرخيص لمن أكره على الكفر في التقية من المُكرهين .

والأمرُ بأصول من الشريعة ؛ من تأصيل العدل، والإحسان، والمواساة، والوفاء بالعهد، وإبطال الفحشاء والمنكر، والبغي، ونقض العهود، وما على ذلك من جزاء بالخير في الدنيا والآخرة .

وأدمج في ذلك ما فيها من العبر والدلائل، والامتنان على الناس بما في ذلك من المنافع الطيبات المنتظمة، والمحاسن، وحسن المناظر، ومعرفة الأوقات، وعلامات السير في البر والبحر، ومن ضرب الأمثال .

ومقابلة الأعمال بأضدادها، والتحذير من الوقوع في حبائل الشيطان، والإنذار بعواقب كفران النّعمة .

ثم عرّض لهم بالدعوة إلى التوبة ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النحل:١١٩] إلخ . . . .

وملاك طرائق دعوة الإسلام ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ [النحل:١٢٥] .

وتثبيت الرسول عليه الصلاة والسلام، ووعده بتأييد الله إياه »[1]

ونذكر كذلك ما ذكره سيد قطب وهو من أبدع من كتب في المقاصد .

قال سيد قطب: « وهي كسائر السور المكية تعالج موضوعات العقيدة الكبرى: الألوهية، والوحي، والبعث .

ولكنها تلم بموضوعات جانبية أخرى تتعلق بتلك الموضوعات الرئيسية .

تلم بحقيقة الوحدانية الكبرى التي تصل بين دين إبراهيم عليه السلام ودين محمد ﷺ. وتلم بحقيقة الإرادة الإلهية والإرادة البشرية فيما يختص بالإيمان، والكفر، والهدى، والضلال . وتلم بوظيفة الرسل، وسنة الله في المكذبين لهم .

وتلم بموضوع التحليل والتحريم، وأوهام الوثنية حول هذا الموضوع .

وتلم بالهجرة في سبيل الله، وفتنة المسلمين في دينهم، والكفر بعد الإيمان، وجزاء هذا كله عند الله . .

ثم تضيف إلى موضوعات العقيدة موضوعات المعاملة: العدل، والإحسان، والإنفاق، والوفاء بالعهد، وغيرها من موضوعات السلوك القائم على العقيدة . . وهكذا هي مليئة حافلة من ناحية الموضوعات التي تعالجها، ثم قال:

فأما الظلال العميقة التي تلون جو السورة كله فهي الآيات الكونية تتجلى فيها عظمة الخلق، وعظمة النعمة، وعظمة العلم والتدبير»[2] .

بما ذكرنا من قول ابن عاشور وسيد قطب تتجلى لنا المعالم البارزة والمقاصد السامية لهذه السورة المكية. والله أعلم .

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٩٥-٩٦

(٢) الظلال ٤/ ٢١٥٨.

المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها

افتتحت السورة بقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ① يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ② خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ③ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ④ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ⑤﴾ [النحل:١-٥].

"لأن معظم أغراض هذه السورة زجر المشركين عن الإشراك وتوابعه وإنذارهم بسوء عاقبة ذلك، وكان قد تكرّر وعيدهم من قبل في آيات كثيرة بيوم يكون الفارقَ بين الحق والباطل فتزول فيه شوكتهم وتذهب شدّتهم. وكانوا قد استبطأوا ذلك اليوم حتى اطمأنوا أنه غير واقع فصاروا يهزأون بالنبي عليه الصلاة والسلام والمسلمين فيستعجلون حلول ذلك اليوم.

صدّرت السورة بالوعيد المصوغ في صورة الخبر بأن قد حلّ ذلك المتوعد به"(١).

"وافتتح هذه باسم الأعظم الجامع لجميع معاني الأسماء لأن ذلك أليق بمقام التهديد، ولما ستعرفه من المعاني المتنوعة في أثناء السورة، وسيكرر هذا الاسم فيها تكريراً تعلم منه صحة هذه الدعوى"(٢).

فالمتأمل للآيات يرى "أن سورة النحل تكاد تكون وقفا على الدعوة إلى توحيد الله تعالى "(٣)

وبهذا تكون السورة وحدة واحدة من أولها إلى آخرها - والله أعلم -

---

(١) التحرير والتنوير١٤/ ٩٦.

(٢) نظم الدرر٤/ ٢٤٢..

(٣) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم(تفسير سورة النحل ص٣).

المبحث الثالث: مناسبتها لمابعدها

ابن عاشور لم يتعرض للمناسبات بين السور، لأنه يرى أن البحث في هذا الأمر ليس حقا على المفسر فيقول في مقدمة كتابه « أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقا على المفسر»[1]

وكذلك نعرض نحن عن هذا في هذا المبحث .

(١) التحرير والتنوير ١/ ٨

المبحث الرابع: تناسب آياتهاوأثره في التفسير

١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [النحل:٢].

قال ابن عاشور ~ في مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها:

«كان استعجالهُم بالعذاب استهزاءً بالرسول ﷺ وتكذيبه، وكان ناشئاً عن عقيدة الإشراك التي من أصولها استحالة إرسال الرسل من البشر .

وأُتبع تحقيق مجيء العذاب بتنزيه الله عن الشريك فقفّي ذلك بتبرئة الرسول عليه الصلاة والسلام من الكذب فيما يبلغه عن ربّه، ووصف لهم الإرسال وصفاً موجزاً.

وهذا اعتراض في أثناء الاستدلال على التوحيد ..»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال البقاعي: «ولما تقرر بذلك تنزهه عن كل نقص: شرك وغيره، شرع يصف نفسه سبحانه بصفات الكمال من الأمر والخلق، ولما كان الأمر أقدم وأعلى، بدأ به، ولما كان من أمره إنزال الملائكة على الصورة التي طلبوها في قولهم ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [الحجر:٧] وقص عليهم ما يترتب على إنزالهم مجتمعين، وفهم منه أن لهم في نزولهم حالة أخرى لا تنكرها الرسل، وهي حالة الإتيان إليهم بالعلم الذي نسبته إلى الأرواح نسبة الأرواح إلى الأشباح، وكان ذلك ربما أثار لهم اعتراضاً يطلبون به الفرق بينهم وبين الرسل في إنزالهم عليهم دونهم - كما تقدم في الحجر، وكان ما يشركون به لا تصرف له أصلاً بإنزال ولا غيره، قال تعالى مشيراً، إلى ذلك وإلى أن الوحي بواسطة

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٩٨

الملك، وأن النبوة عطائية لا كسبية»[١].

قال أبو السعود: « ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ بيانٌ لتحتم التوحيدِ حسبما نُبّه عليه تنبيهاً إجمالياً ببيان تقدّس جنابِ الكبرياءِ وتعاليه عن أن يحوم حوله شائبةُ أن يشاركه شيءٌ في شيء، وإيذانٌ بأنه دينٌ أجمع عليه جمهورُ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأُمروا بدعوة الناسِ إليه، مع الإشارة إلى سر البعثةِ والتشريعِ، وكيفية إلقاءِ الوحي، والتنبيهِ على طريق علمِ الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بإتيان ما أوعدهم به، وباقترابه إزاحةً لاستبعادهم اختصاصَه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بذلك، وإظهاراً لبُطلان رأيهم في الاستعجال والتكذيب، وإيثارُ صيغةِ الاستقبال للإشعار بأن ذلك عادةٌ مستمرةٌ له سبحانه.»[٢].

قال الألوسي: «وقال في «الكشف»: التحقيق أن قوله سبحانه ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١] تنبيه وإيقاظ ليكون ما يرد بعده ممكناً في نفس حاضرة ملقية إليه، وهو تمهيد لما يرد من دلائل التوحيد وقوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ إلخ .... تفصيل لما أجمل في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أيقظ أولاً، ثم نعى عليهم ما هم فيه من الشرك، ثم أردفه بدلائل السمع والعقل، وقدم السمعي، لأن صاحبه هو القائم بالأمرين جميعاً فافهم»[٣]

قال الشوكاني: «ووجه اتصال هذه الجملة بما قبلها أنه ﷺ لما أخبرهم عن الله أنه قد قرب أمره، ونهاهم عن الاستعجال، تردّدوا في الطريق التي علم بها رسول الله ﷺ بذلك فأخبر أنه علم بها بالوحي على ألسن رسل الله سبحانه من ملائكته »[٤].

(١) نظم الدرر بتصرف ٤/ ٢٤٣

(٢) إرشاد العقل السليم٥/ ٩٥.

(٣) روح المعاني٧/ ٣٣٧

(٤) فتح القدير٣/ ٢٠٩.

ومن هذا النقل فإن المناسبة هي أُتبع تحقيق مجيء العذاب بتنزيه الله عن الشريك فقفّي ذلك بتبرئة الرسول عليه الصلاة والسلام من الكذب فيما يبلغه عن ربّه، **ومن ذكرنا كلامهم في هذا المحور. والله أعلم .**

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، إذ فيها نكتة بلاغية.في إسلوب الاعتراض وجهه في المناسبة أن هذه الآية الكريمة اعتراض في أثناء الاستدلال على التوحيد. والله أعلم .

٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝٤﴾ [النحل:٤].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«استئناف بياني أيضاً . وهو استدلال آخر على انفراده تعالى بالإلهية ووحدانيته فيها . وذلك أنه بعد أن استدلّ عليهم بخلق العوالم العُليا والسفلى وهي مشاهدة لديهم انتقل إلى الاستدلال عليهم بخلق أنفسهم المعلوم لهم . وأيضاً لما استدلّ على وحدانيته بخلق أعظم الأشياء المعلومة لهم، استدلّ عليهم أيضاً بخلق أعجب الأشياء للمتأمّل وهو الإنسان في طَرَفَيْ أطواره من كونه نطفة مهينة إلى كونه عاقلاً فصيحاً مبيناً بمقاصده وعلومه»[1].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «اعلم أن أشرف الأجسام بعد الأفلاك والكواكب هو الإنسان، فلما ذكر الله تعالى الاستدلال على وجود الإله الحكيم بأجرام الأفلاك، أتبعه بذكر الاستدلال على هذا المطلوب بالإنسان، واعلم أن الإنسان مركب من بدن ونفس، فقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ اشارة إلى الاستدلال ببدنه على وجود الصانع الحكيم، وقوله: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ إشارة إلى الاستدلال بأحوال نفسه على وجود الصانع الحكيم»[2].

قال أبو السعود: «وبعد ما نبّه على صنعه الكليِّ المنطوي على تفاصيل مخلوقاتِه شرَع في تعداد ما فيه من خلائقه، فبدأ بفعله المتعلق بالأنفس فقال: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾»[3].

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ١٠٢

(٢) مفاتيح الغيب١٩/ ١٧٤.

(٣) إرشاد العقل السليم٥/ ٩٦.

قال أبو حيان: «ولما ذكر ما دل على وحدانيته من خلق العالم العلوي والأرض، وهو استدلال بالخارج، ذكر الاستدلال من نفس الإنسان، فذكر إنشاءه من نطفة فإذا هو خصيم مبين، وكان حقه والواجب عليه أن يطيع وينقاد لأمر الله»(١).

قال البقاعي: «ولما كان خلق السماوات والأرض غيباً لتقدمه، وكان خلق الإنسان على هذه الصفة شهادة، مع كونه أدل على ذلك من حيث إنه أشرف من كل ما يعبده من دون الله، ولن يكون الرب أدنى من العبد أصلاً، قال معللاً: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ أي هذا النوع الذي خلقه أدل ما يكون على الوحدانية والفعل بالاختيار، لأنه أشرف ما في العالم السفلي من الأجسام لمشاركته للحيوان الذي هو أشرف من غيره بالقوى الشريفة من الحواس الظاهرة والباطنة، والشهوة والغضب، واختصاصه بالنطق الذي هو إدراك الكليات، والتصرف فيها بالقياسات»(٢).

ومن هذا النقل فإن مجمل أقوالهم في المناسبة أنه بعد أن استدلّ عليهم بخلق العوالم العُليا والسفلى وهي مشاهدة لديهم، انتقل إلى الاستدلال عليهم بخلق أنفسهم المعلوم لهم. والله أعلم.

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، إذ فيها نكتة بلاغية، لم يسبق إليها، وهو الاستئناف البياني الذي يأتي جوابا عن سؤال مقدر كما هو ظاهر في المناسبة . والله أعلم.

---

(١) البحر المحيط٥/ ٤٥٨.

(٢) نظم الدرر٤/ ٢٤٥

٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧﴾ [النحل:٥-٧].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«يجوز أن يعطف ﴿ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ عطف المفرد على المفرد عطفاً على ﴿ٱلۡإِنسَٰنُ﴾، أي خلق الإنسان من نطفة والأنعامَ، وهي أيضاً مخلوقة من نطفة، فيحصل اعتبار بهذا التكوين العجيب لشبهه بتكوين الإنسان، وتكون جملة (خلقها) بمتعلقاتها مستأنفة، فيحصل بذلك الامتنان .

ويجوز أن يكون عطف الجملة على الجملة، فيكون نصب ﴿ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ بفعل مضمر يفسّره المذكور بعده على طريقة الاشتغال . والتقدير: وخلق الأنعام خلقها . فيكون الكلام مفيداً للتأكيد لقصد تقوية الحكم اهتماماً بما في الأنعام من الفوائد؛ فيكون امتناناً على المخاطبين، وتعريضاً بهم، فإنهم كفروا نعمة الله بخلقها فجعلوا من نتاجها لشركائهم، وجعلوا لله نصيباً . وأي كفران أعظم من أن يتقرّب بالمخلوقات إلى غير من خلقها . وليس في الكلام حصر على كلا التقديرين »(1) .

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال البقاعي: «ولما صار التوحيد بذلك كالشمس، وكان كل ما في الكون – مع أنه دال على الوحدانية نعمة على الإنسان يجب عليه شكرها، شرع يعدد ذلك تنبيهاً له على وجوب الشكر بالتبرؤ من الكفر، فقال مقدماً الحيوانات، لأنها أشرف من غيرها، وقدم منها ما ينفع الإنسان، لأنه أجلّ من غيره .

(١) انظر: التحرير والتنوير ١٤/ ١٠٣

مبتدأً بما هو أولاها بالذكر، لأنه أجلّها منفعة في ضرورات المعيشة، وألزمها لمن أنزل الذكر بلسانهم: ﴿وَٱلۡأَنۡعَـٰمَ﴾»(١).

قال النيسابوري: «ثم أردف تكوين الإنسان بتكوين الحيوانات التي ينتفع بها الإنسان في ضروراته من الأكل والركوب وجر الأثقال، وفي غير الضروريات من الأغراض الصحيحة كالتزيين والجمال»(٢).

قال الشوكاني: «ثم عقب ذكر خلق الإنسان بخلق الأنعام لما فيها من النفع لهذا النوع، فالامتنان بها أكمل من الامتنان بغيرها»(٣).

ابن عاشور ذكر أن عطف الأنعام، يحتمل وجهين: وعلى كل ففيها امتنان من الله على الإنسان، وكلامهم يدور في هذا المحور. والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) نظم الدرر ٤/ ٢٤٥.

(٢) غرائب القران ٤/ ٢٤٤.

(٣) فتح القدير ٣/ ٢١٠.

٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧﴾ [النحل:٧].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة ختم هذه الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ فقال:

«وجملة ﴿إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ النحل: ٧ تعليل لجملة ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَا﴾، أي خلقها لهذه المنافع، لأنه رؤوف رحيم بكم»[(١)].

وقد وافق ابن عاشور البقاعي في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أنهم مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال البقاعي: « ولما كان هذا كله من الإحسان في التربية، ولا يسخره للضعيف إلا البليغ في الرحمة، وكان من الناس من له من أعماله سبب لرضى ربه، ومنهم من أعماله كلها فاسدة، قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمۡ﴾ أي الموجد لكم والمحسن إليكم ﴿لَرَءُوفٞ﴾ أي بليغ الرحمة لمن يتوسل إليه بما يرضيه ﴿رَّحِيمٞ﴾ أي بليغ الرحمة بسبب وبغير سبب»[(٢)].

من هذا النقل فإن المناسبة هي تعليل لجملة ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَا﴾، أي خلقها لهذه المنافع، لأنه رؤوف رحيم بكم، والله أعلم

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

((١ انظر: التحرير والتنوير ١٤/ ١٠٣.

(٢) نظم الدرر٤/ ٢٤٦

٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾ [النحل:٩].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

« جملة معترضة . . اقتضَتْ اعتراضَها مناسبة الامتنان بنعمة تيسير الأسفار بالرواحل والخيل والبغال والحمير، فلما ذكرت نعمة تيسير السبيل الموصلة إلى المقاصد الجثمانية ارتُقِي إلى التذكير بسبيل الوصول إلى المقاصد الرُّوحانية وهو سبيل الهدى، فكان تعهّد الله بهذه السبيل نعمة أعظمَ من تيسير المسالك الجثمانية، لأن سبيل الهدى تحصل به السعادة الأبدية . وهذه السبيل هي موهبةُ العقل الإنساني الفارق بين الحقّ والباطل، وإرسال الرسل لدعوة الناس إلى الحقّ، وتذكيرهم بما يغفلون عنه، وإرشادهم إلى ما لا تصل إليه عقولهم، أو تصل إليه بمشقّة على خطر من التورّط في بنيّات الطريق .

ويزيد هذه المناسبة بياناً أنه لما شرحت دلائل التوحيد ناسب التنبيه على أن ذلك طريق للهدى، وإزالة للعذر، وأن من بين الطرق التي يسلكها الناس طريق ضلال وجور »(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: « اعلم أنه تعالى لما شرح دلائل التوحيد قال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي إنما ذكرت هذه الدلائل وشرحتها إزاحة للعذر، وإزالة للعلة ليهلك من هلك عن بينة . ويحيى من حي عن بينة».(٢)

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ١١١.

(٢) مفاتيح الغيب١٩/ ١٧٩.

قال البقاعي: « ولما كانوا في أسفارهم واضطرابهم في المنافع بهذه الحيوانات وغيرها يقصدون أسهل الطرق وأقومها وأوصلها إلى الغرض، ومن عدل عن ذلك كان عندهم ضالاً سخيف العقل غير مستحق للعد في عداد النبلاء، نبههم على أن ما تقدم في هذه السورة قد بين الطريق الأقوم الموصل إليه سبحانه بتكفله ببيان أنه واحد قادر عالم مختار، وأنه هو المنعم، فوجب اختصاصه بالعبادة، وأخبرهم سبحانه أنه أوجب هذا البيان على نفسه فضلاً منه فقال تعالى: ﴿وَعَلَى﴾ أي قد بين لكم الطريق الأمم[1] وعلى ﴿ٱللَّهِ﴾ أي الذي له الإحاطة بكل الشيء ﴿قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي بيان الطريق العدل.»[(٢)]

ومن هذا النقل فإن مجمل أقوالهم في المناسبة أنه التذكير بسبيل الوصول إلى المقاصد الرُّوحانية وهو سبيل الهدى. وكلامهم يدور في هذا المحور. والله أعلم

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

---

[1] هكذا في الأصل ولعل الصواب الأقوم

(٢) نظم الدرر ٤/ ٢٤٧.

٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل:١٦].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«وجملة ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ معطوفة على جملة ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾[النحل:١٥]، لأنها في معنى: وهداكم بالنجم فأنتم تهتدون به . وهذه منّة بالاهتداء في الليل لأن السبيل والعلامات إنما تهدي في النهار، وقد يضطرّ السالك إلى السير ليلاً؛ فمواقع النجوم علامات لاهتداء الناس السائرين ليلاً تعرف بها السموات، وأخصّ من يهتدي بها البحّارة، لأنهم لا يستطيعون الإرساء في كل ليلة فهم مضطرّون إلى السير ليلاً، وهي هداية عظيمة في وقت ارتباك الطريق على السائر، ولذلك قدم المتعلق في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ﴾ تقديماً يفيد الاهتمام، وكذلك بالمسند الفعلي في قوله تعالى: ﴿هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾»(١).

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: « ولما كانت الأدلة في الأرض غير محصورة فيها، قال: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ﴾ أي من الجبال وغيرها، جمع علامة وهي صورة يعلم بها المعنى من خط، أو لفظ أو إشارة أو هيئة، وقد تكون علامة وضعية، وقد تكون برهانية .

ولما كانت الدلالة بالنجم أنفع الدلالات وأعمها وأوضحها براً وبحراً، ليلاً ونهاراً، نبه على عظمها بالالتفات إلى مقام الغيبة لإفهام العموم لئلا يظن أن المخاطب مخصوص، وأن الأمر لا يتعداه، فقال تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ﴾ أي أهل الأرض كلهم، وأولى الناس بذلك أول المخاطبين، وهم قريش، ثم العرب كلها، لفرط معرفتهم بالنجوم»(٢).

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ١٢٢.

(٢) نظم الدرر٤/ ٢٥٤

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي منّة الاهتداء في الليل.

وأما البقاعي ذكرسر الإلتفات في قوله هم يهتدون، وذكر المناسبة ضمناً، ولم يذكرها صراحة، وكل ماذكر قول جيد وحسن في المناسبة، ولكن قول ابن عاشور أنسب وأولى، لأنه أدق في بيان التناسب، وأليق بنظم الكلام . والله أعلم .

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة التي هي منّة الاهتداء في الليل، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها. والله أعلم .

٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾[النحل:١٨].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة ختم هذه الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ فقال:

«وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ استئناف عُقب به تغليظ الكفر والتّهديد عليه تنبيهاً على تمكّنهم من تدارك أمرهم بأن يقلعوا عن الشرك، ويتأهبوا للشكر بما يطيقون، على عادة القرآن من تعقيب الزواجر بالرغائب، كيلا يقنط المسرفون، وقد خولف بين ختام هذه الآية وختام آية سورة إبراهيم، إذ وقع هنالك ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ ٣٤﴾[إبراهيم:٣٤]؛ لأن تلك جاءت في سياق وعيد وتهديدٍ عقب قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا﴾ [إبراهيم:٢٨]، فكان المناسب لها تسجيل ظلمهم وكفرهم بنعمة الله.

وأما هذه الآية فقد جاءت خطاباً للفريقين، كما كانت النّعم المعدودة عليهم منتفعاً بها كلاهما

ثم كان من اللطائف أن قوبل الوصفان اللذان في آية سورة إبراهيم ﴿لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ بوصفين هنا ﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ إشارة إلى أن تلك النّعم كانت سبباً لظلم الإنسان وكفره وهي سبب لغفران الله ورحمته . والأمر في ذلك منوط بعمل الإنسان..»(١).

- **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: « أما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ اعلم أنه تعالى قال في سورة إبراهيم: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ١٢٤

وقال ههنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ والمعنى: أنه لما بين أن الإنسان لا يمكنه القيام بأداء الشكر على سبيل التفصيل: قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي غفور للتقصير الصادر عنكم في القيام بشكر نعمه، رحيم بكم، حيث لم يقطع نعمه عليكم بسبب تقصيركم»[1].

قال البقاعي: « ولما كانوا مستحقين لسلب النعم بالإعراض عن التذكير، والعمى عن التبصر، أشار إلى سبب إدرارها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أي الذي له صفات الكمال بجميع صفات الإكرام والانتقام ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فلذلك هو يدر عليكم نعمه وأنتم منهمكون فيما يوجب نقمه .»[2]

قال أبو حيان: « ولما ذكر نعماً سابقة أخبر أنّ جميع نعمه لا يطيقون عدها، وأتبع ذلك بقوله: (إن الله لغفور رحيم)، حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعم، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم، ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها، ولما كان الإنسان غير قادر على أداء شكر النعم، وأن له حالة يعرض فيها منه كفرانها قال في عقب الآية التي في إبراهيم: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ أي لظلوم بترك الشكر كفار للنعمة . وفي هذه الآية ذكر الغفران والرحمة لطفاً به، وإيذاناً في التجاوز عنه .»[3]

قال الآلوسي: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والإخلال بالقيام بحقوقها، ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك ﴿رَّحِيمٌ﴾ حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تأتون، وما تذرون من أصناف الكفر والعصيان التي من جملتها المساواة بين الخالق وغيره، وكل من ذينك الستر والإفاضة نعمة وأيما نعمة، فالجملة تعليل للحكم بعدم الإحصاء، وتقديم المغفرة على

(١) مفاتيح الغيب ٢٠/ ١٩٦

(٢) نظم الدرر ٤/ ٢٥٦

(٣) البحر المحيط ٥/ ٤٦٨.

الرحمة، لتقدم التخلية على التحلية»[1].

ومن هذا النقل فإن ابن عاشور ربط بين هذه الآية، وبين الآية التي في سورة إبراهيم، وقارن بين الختامين، وما بينهما من علاقة، ومثله الرازي، وأبو حيان، ولذلك قال ابن عاشور وقد خولف بين ختام هذه الآية، وختام آية سورة إبراهيم، إذ وقع هنالك ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم:٣٤] لأن تلك جاءت في سياق وعيد وتهديدٍ عقب قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا﴾ [إبراهيم:٢٨]، فكان المناسب لها تسجيل ظلمهم، وكفرهم بنعمة الله.

وأما هذه الآية فقد جاءت خطاباً للفريقين، كما كانت النّعم المعدودة عليهم منتفعاً بها كلاهما

ثم كان من اللطائف أن قوبل الوصفان اللذان في آية سورة إبراهيم ﴿لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ بوصفين هنا ﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ إشارة إلى أن تلك النّعم كانت سبباً لظلم الإنسان وكفره وهي سبب لغفران الله ورحمته .

وهذا ربط لطيف بين الآيتين في السورتين .

وأما البقاعي يرى أن المناسبة هي أنهم لما كانوا مستحقين لسلب النعم بالإعراض عن التذكير، والعمى عن التبصر، أشار إلى سبب إدرارها بقوله: إن الله لغفور رحيم. وقريب من هذا قو ل الآلوسي .

والذي يظهر أن ربط هذه الآية بآية سورة إبراهيم أعم وأقوى في بيان التناسب، وحتى تظهر العلاقة جلية بين الآيتين، ويتبين ما تتميز به كل آية في موضعها، وهو ما ذهب اليه ابن عاشور، والرازي، وأبو حيان . والله أعلم .

(١) روح المعاني٧/ ٣٦٠.

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ١٩﴾ [النحل:١٩].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف على جملة ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾[النحل:١٧]. فبعد أن أُثبت أن الله منفرد بصفة الخلق دون غيره بالأدلّة العديدة، ثم باستنتاج ذلك بقوله: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ انتُقل هنا إلى إثبات أنه منفرد بعموم العلم .

ولم يقدم لهذا الخبر استدلال، ولا عقّب بالدّليل، لأنه مما دلّت عليه أدلّة الانفراد بالخلق، لأن خالق أجزاء الإنسان الظاهرة والباطنة يجب له أن يكون عالماً بدقائق حركات تلك الأجزاء، وهي بين ظاهر وخفيّ، فلذلك قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ..»(١)

وقد وافق ابن عاشور البقاعي في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن أنهم مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال البقاعي: « ولما جرت العادة بأن المكفور إحسانه يبادر إلى قطعه عند علمه بالكفر، فكان ربما توهم متوهم أن سبب مواترة الإحسان عدم العلم بالكفران، أو عدم العلم بكفران لا يدخل تحت المغفرة، قال مهدداً مبرزاً للضمير بالاسم الأعظم الذي بنيت عليه السورة للفصل بالفرق بين الخالق وغيره، ولئلا يتوهم تقيد التهديد بحيثية المغفرة إيماء إلى أن ذلك نتيجة ما مضى»(٢).

ومن هذا النقل فإن المناسبة المتفق عليها بينهم هي إثبات أنه منفرد بعموم العلم، بعد أن أثبت أن الله منفرد بصفة الخلق . والله أعلم .

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ١٢٤

(٢) نظم الدرر٤/ ٢٥٦

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير.

والله أعلم .

٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل:٢٤-٢٥].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

« و﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾ عطف على جملة ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾[النحل:٢٢] لأن مضمون هذه من أحوالهم المتقدم بعضُها، فإنه ذُكر استكبارهم وإنكارهم الوحدانية، وأتبع بمعاذيرهم الباطلة لإنكار نبوة محمد، وبصدّهم الناس عن اتّباع الإسلام . والتقدير: قلوبهم منكرة ومستكبرة، فلا يعترفون بالنبوة، ولا يخلّون بينك وبين من يتطلب الهدى، مضلّون للناس صادّونهم عن الإسلام »(١) .

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: « اعلم أنه تعالى لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد، وأورد الدلائل القاهرة في إبطال مذاهب عبدة الأصنام، ذكر بعد ذلك شبهات منكري النبوة مع الجواب عنها .»(٢)

قال البقاعي: « ولما كان الطعن في القرآن بما ثبت من عجزهم عن معارضته دليل الاستكبار قال تعالى عاطفاً على قوله ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾»(٣) .

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ١٢٩

(٢) مفاتيح الغيب٢٠/ ١٩٦.

(٣) نظم الدرر٤/ ٢٥٧.

قال أبو السعود: «﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم ﴾ أي لأولئك المنكِرين المستكبرين، وهو بيانٌ لإضلالهم غِبَّ [1] بيانِ ضلالهم»[2].

ذكر ابن عاشورأن المناسبة هي بيان معاذيرهم الباطلة لإنكار نبوة محمد ﷺ.

وبهذا المعنى قال الرازي، والبقاعي .

وأما أبو السعود فيرى أن المناسبة هي بيانٌ لإضلالهم غِبَّ بيانِ ضلالهم.

ومن خلال ماسبق، يظهرأن كل ما ذكر قول حسن وجيد في المناسبة، ولامانع من ذكر أكثر من مناسبة للآية الكريمة، ولا تتزاحم المناسبات، ولكن قول ابن عاشور ومن وافقه أنسب وأوفق، لأنه ربطه بقوله ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ فإنه لما أنكرت قلوبهم هذا الكتاب، وصوفوه بعد ذلك بأنه أساطير الأولين فبذلك كان الربط بين الآيتين حسناً. والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثر بهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

---

(١) غِبُّ الأَمْرِ ومَغَبَّتُه عاقبتُه وآخِرُه وغَبَّ الأَمرُ صارَ إِلى آخره وكذلك غَبَّتِ الأُمورُ إِذا صارتْ إِلى أَواخرها، وغَبَّ بمعنى بَعْدَ وغِبُّ كلِّ شيءٍ عاقبتُه وجئتُه غِبَّ الأَمر أَي بَعْدَه . انظر: لسان العرب لابن منظور١/ ٦٣٤ .مادة غب.

(٢) إرشاد العقل السليم٥/ ١٠٧.

١٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [النحل:٢٦].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لمّا ذكر عاقبة إضلالهم وصدّهم السائلين عن القرآن والإسلام أتبع بالتهديد بأن يقع لهم ما وقع فيه أمثالهم في الدّنيا من الخزي والعذاب مع التأييس من أن يبلغوا بصنعهم ذلك مبلغ مرادهم، وأنهم خائبون في صنعهم كما خاب من قبلهم الذين مكَروا برسلهم»[١].

وقال البقاعي في بيان المناسبة: « ولما كان المراد من هذا الاستكبار محو الحق، وإخفاء أمره من غير تصريح بالعناد - بل مع إقامة شبه ربما راجت، وإن اشتد ضعفها على عقول هي أضعف منها، وكأن هذا حقيقة المكر التي هي التغطية والستر كما بين في الرعد عند قوله تعالى: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾[الرعد:٣٣] شرع يهدد الماكرين، ويحذرهم وقوع ما وقع بمن كانوا أكثر منهم عدداً وأقوى يداً، ويرجي المؤمنين في نصرهم عليهم، بما له من عظيم القوة وشديد السطوة، فقال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ﴾ »[٢].

وقد وافق ابن عاشور البقاعي في بيان هذه المناسبة، ومحور المناسبة بينهما واحد، وزاد البقاعي بأن ربطها بما ورد في سورة الرعد عند قوله تعالى: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾ وهذا ربط يدل على أصالة وعمق في كشف وجوه العلاقة بين الآيات لإستخراج وجه المناسبة الأنسب والألطف، وهذا النهج موجود عند البقاعي، ويدل على تمكنه من هذا العلم الجليل.

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ١٣٣

(٢) نظم الدرر٤/ ٢٥٩.

ومن هذا النقل فإن المناسبة المتفق عليها بينهم هي أنه لمّا ذكر عاقبة إضلالهم وصدّهم السائلين عن القرآن والإسلام أتبع بالتهديد بأن يقع لهم ما وقع فيه أمثالهم في الدّنيا من الخزي والعذاب. والله أعلم .

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق البقاعي في جوانب من المناسبة، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

١١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النحل:٣٠-٣١].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لما افتتحت صفة سيّئات الكافرين وعواقبها بأنّهم إذا قيل لهم ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ قالوا ﴿قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[النحل:٢٤] جاءت هنا مقابلة حالهم بحال حسنات المؤمنين، وحسن عواقبها، فافتتح ذلك بمقابل ما افتتحت به قصّة الكافرين، فجاء التنظير بين القصّتين في أبدع نظم»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: « اعلم أنه تعالى لما بين أحوال الأقوام الذين إذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم؟ قالوا: أساطير الأولين . وذكر أنهم يحملون أوزارهم، ومن أوزار أتباعهم، وذكر أن الملائكة تتوفاهم ظالمي أنفسهم، وذكر أنهم في الآخرة يلقون السلم، وذكر أنه تعالى يقول لهم ادخلوا أبواب جهنم، أتبعه بذكر وصف المؤمنين الذين إذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم؟ قالوا خيراً، وذكر ما أعده لهم في الدنيا والآخرة من منازل الخيرات، ودرجات السعادات، ليكون وعد هؤلاء مذكوراً مع وعيد أولئك»(٢).

قال البقاعي: «ولما تم الخبر عن المنكر لما أنزل الله على ألسنة الملائكة من الروح من أمره على الأنبياء عليهم السلام، إنكاراً لفضلهم، وتكبراً بما ليس لهم، بالاعتراض على خالقهم، ابتدأ الخبر عن المقرين تصديقاً لهداتهم، واعترافاً بفضلهم، وتسليماً لمن

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ١٤١

(٢) مفاتيح الغيب٢٠/ ٢٠٣

هـم عبيـده في تفـضيل مـن يـشاء، منبهـاً عـلى الوصـف الـذي أوجـب لهـم الاعـتراف بالحق»(١) .

قال ابن عطية: « وقوله ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ الآية، لما وصف تعالى مقالـة الكفـار الذين قالوا أساطير الأولين، عادل ذلك بذكر مقالة المـؤمنين مـن أصـحاب النبـي ﷺ، وأوجب لكل فريق ما يستحق لتتباين المنازل بين الكفر والإيمان»(٢) .

قال ابن سعدي: «لما ذكـر الله قيـل المكـذبين بـما أنـزل الله، ذكـر مـا قالـه المتقـون، وأنهم اعترفوا وأقروا بأن ما أنزله الله نعمة عظيمة، وخير عظيم امتن الله به على العباد، فقبلوا تلك النعمة، وتلقوها بالقبول والانقياد، وشكروا الله عليها، فعلموهـا وعملـوا لها»(٣) .

ومن هذا النقل فإن المناسبة المتفق عليها بينهم أنه جاءت هنا مقابلة حالهم بحال حسنات المؤمنين، وحسن عواقبها، فافتتح ذلك بمقابل ما افتتحت به قصّة الكـافرين، وكلامهم يدور في هذا المحور. والله أعلم .

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

➢

(١) نظم الدرر٤/ ٢٦٣.

(٢) المحرر الوجيز٣/ ٣٩١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن(٣٩٢)

١٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢﴾ [النحل:٤١-٤٢].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لما ثبتت حكمة البعث بأنها تبيين الذي اختلف فيه الناس من هدى وضلالة، ومن ذلك أن يتبين أن الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين و أن الذين آمنوا كانوا صادقين بدلالة المضادة، وأنهم مثابون ومكرمون، فلما علم ذلك من السياق وقع التصريح به في هذه الآية، وأدمج مع ذلك، وعدهم بحسن العاقبة في الدنيا مقابلة وعيد الكافرين بسوء العاقبة فيها الواقع بالتعّريض في قوله تعالى: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾[النحل:٣٦]. فالجملة معطوفة على جملة ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾[النحل:٣٩]»(١).

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم على إنكار البعث والقيامة، دل ذلك على أنهم تمادوا في الغي، والجهل، والضلال، وفي مثل هذه الحالة لا يبعد إقدامهم على إيذاء المسلمين وضرهم، وإنزال العقوبات بهم، وحينئذ يلزم على المؤمنين أن يهاجروا عن تلك الديار والمساكن، فذكر تعالى في هذه الآية حكم تلك الهجرة وبين ما لهؤلاء المهاجرين من الحسنات في الدنيا، والأجر في الآخرة من حيث هاجروا وصبروا وتوكلوا على الله، وذلك ترغيب لغيرهم في طاعة الله تعالى»(٢).

---

(١) التحرير والتنوير بتصرف ١٤/ ١٥٧

(٢) مفاتيح الغيب٢٠/ ٢١٠

قال البقاعي: « ولما كان التقدير تفصيلاً لفريقي المبين لهم، وترغيباً في الهجرة، لأنها بعد الإيمان أوثق عرى الإسلام: فالذين كفروا واغتروا بما شاهدوه من العرض الفاني لنخزينهم في الدنيا والآخرة ولنجازينهم بجميع ما كانوا يعملون، عطف عليه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ ﴾»(1).

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي وعدهم بحسن العاقبة في الدنيا مقابلة وعيد الكافرين بسوء العاقبة.

وبهذا قال البقاعي.

أما الرازي فيرى أن المناسبة هي ذكر حكم تلك الهجرة، وما لهؤلاء المهاجرين من الحسنات في الدنيا.

ومن خلال ماسبق، يظهرأن كل ما ذكر قول حسن وجيد في المناسبة، ولامانع من ذكر أكثر من مناسبة للآية الكريمة، ولا تتزاحم المناسبات، ولعل ما أورده ابن عاشور ومن وافقه أنسب وأولى، لأنه ربط هذه الآية بقوله ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴾ [النحل:٣٩]، وهذا ربط يدل على فهم عميق في وجوه الترابط بين الآيات، ومن ذلك أنه يتبين أن الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين يعلم منه أنّه يتبين أن الذين آمنوا كانوا صادقين بدلالة المضادة، وأنهم مثابون ومكرمون كما ذكر في الآية التي معنا في هذه المناسبة، فهذا ربط لطيف من ابن عاشور. والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسيرلم يسبق إليها، إذ فيها نكتة بلاغية، وهو مايسمى الإدماج، وجهه في المناسبة أنه أدمج مع ذلك وعدهم بحسن العاقبة في الدنيا مقابلة وعيد الكافرين بسوء العاقبة. والله أعلم.

(1) نظم الدرر ٤/ ٢٧١.

١٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النحل:٤٣-٤٤].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

« كانت الآيات السابقة جارية على حكاية تكذيب المشركين نبوة محمد ﷺ، وإنكارهم أنه مرسل من عند الله، وأن القرآن وحي الله إليه، ابتداء من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[النحل:٢٤] وردّ مزاعمهم الباطلة بالأدلّة القارعة لهم متخلّلاً بما أدمج في أثنائه من معان أخرى تتعلّق بذلك، فعاد هنا إلى إبطال شبهتهم في إنكار نبوته من أنه بشر لا يليق بأن يكون سفيراً بين الله والناس، إبطالاً بقياس التّمثيل بالرّسل الأسبقين الذين لا تنكر قريش رسالتهم مثل نوح وإبراهيم عليهما السلام . وهذا ينظر إلى قوله في أول السورة﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ ﴾[النحل:٢].

وقد غيّر أسلوب نظم الكلام هنا بتوجيه الخطاب إلى النبي بعد أن كان جارياً على أسلوب الغيبة ابتداء من قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ ﴾ [النحل:٢٢] الآية، تأنيساً للنبي عليه الصلاة والسلام، لأن فيما مضى من الكلام آنفاً حكاية تكذيبهم إيّاه تصريحاً وتعريضاً، فأقبل الله على الرسول بالخطاب لما في هذا الكلام من تنويه منزلته بأنه في منزلة الرسل الأولين عليهم الصلاة والسلام » (١).

قال البقاعي: « ولما أخبر تعالى أنه بعث الرسل، وكان عاقبة من كذبهم الهلاك، بدلالة آثارهم، وكانوا قد قدحوا في الرسالة بكون الرسول بشراً، ثم بكونه ليس معه ملك يؤيده، رد ذلك بقوله مخاطباً لأشرف خلقه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لكونه أفهمهم

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ١٦٠

عنه مع أنه أجل من توكل وصبر، عائداً إلى مظهر الجلال بياناً، لأنه يظهر من يشاء على من يشاء»(١).

وقد وافق ابن عاشور البقاعي في بيان هذه المناسبة، ومحور المناسبة بينهما واحد، لكن قول ابن عاشور أعم، لأنه ربط بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[النحل:٢٤] حتى يكون الربط شامل للسياق في الآيات، وليس علاقة بين آيتين فقط، وهذا ربط يدل على تدبر للآيات واكتشاف وجوه العلاقات بين بعضها البعض، ويضفي على الآيات قوة في الربط والنظم، وهذا ما تميز به ابن عاشور، ودل على قوة باعه وتمكنه في هذا العلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) نظم الدرر ٤/ ٢٧٢.

١٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل:٤٥-٤٧].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة ختم الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ فقال:

«وتفرّع ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ على الجمل الماضية تفريع العلّة على المعلّل . وحرف (إن) هنا مفيد للتعليل ومغن عن فاء التفريع، كما بيّنه عبدالقاهر[(1)]، فهي مؤكدة لما أفادته الفاء . والتّعليل هنا لما فهم من مجموع المذكورات في الآية من أنه تعالى قادر على تعجيل هلاكهم وأنه أمهلهم حتى نسوا بأس الله، فصاروا كالآمنين منه، بحيث يستفهم عنهم: أهم آمنون من ذلك أم لا»[(٢)].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «ثم ختم الآية بقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ والمعنى أنه يمهل في أكثر الأمور، لأنه رؤوف رحيم، فلا يعاجل بالعذاب »[(٣)].

قال البقاعي: « ولما كان التقدير: لم يأمنوا ذلك في نفس الأمر، ولكن جهلهم بالله لطول أناته وحلمه غرهم سبب عنه قوله التفاتاً إلى الخطاب استعطافاً: ﴿فَإِنَّ

(1) عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني الأشعري، الشافعي (أبو بكر) نحوي، بياني، متكلم، فقيه، مفسر. توفي بجرجان من تصانيفه الكثيرة: شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي في نحو من ثلاثين مجلدا وسماه المغني، ثم لخصه في مجلد وسماه المقتصد، إعجاز القرآن، العوامل المائة، تفسير الفاتحة، العمدة في التصريف، وله شعر. ت ٤٧١هـ انظر: معجم المؤلفين ٥/ ٣١٠.

(٢) التحرير والتنوير ١٤/ ١٦٧

(٣) مفاتيح الغيب٢٠/ ٢١٣

رَبَّكُمْ ﴾ أي المحسن إليكم بإهلاك من يريد وإبقاء من يريد ﴿لَرَءُوفٌ ﴾ أي بليغ الرحمة لمن يتوسل إليه بنوع وسيلة، وكذا لمن قاطعه أتم مقاطعة وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿رَّحِيمٌ ﴾ أي فتسبب عن إمهاله لهم في كفرهم وطغيانهم مع القدرة عليهم العلم بأن تركه لمعاجلتهم ما هو إلا لرأفته ورحمته»[1].

قال أبو حيان: « ولما كان تعالى قادراً على هذه الأمور ولم يعاجلهم بها ناسب وصفه بالرأفة والرحمة »[2].

ومن هذا النقل فإن المناسبة المتفق عليها بينهم أن الله ﷻ يمهل في أكثر الأمور، لأنه رؤوف رحيم فلا يعاجل بالعذاب. والله أعلم .

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثرهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) نظم الدرر ٤/ ٢٧٤.

(٢) البحر المحيط ٥/ ٤٨٠.

١٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النحل:٤٩].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لما ذُكر في الآية السابقة السجود القسري ذُكر بعده هنا سجود آخر بعضه اختيار وفي بعضه شبه اختيار»[(١)].

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال أبو السعود: « وبعد ما بُيّن سجودُ الظلالِ وأصحابِها من الأجرام السفلية الثابتة في أخبارها ودخورُها له ﷻ، شُرع في بيان سجودِ المخلوقات المتحركة بالإرادة سواء كانت لها ظلال أو لا فقيل: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ﴾»[(٢)].

قال البقاعي: « ولما حكم على الظلال بما عم أصحابها من جماد وحيوان، وكان الحيوان أشرف من الجماد، رقي الحكم إليه بخصوصه فقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ﴾ أي الذي له الأمر كله ﴿يَسْجُدُ﴾ أي يخضع بالانقياد للمقادير والجري تحت الأقضية، وعبر بما هو ظاهر في غير العقلاء مع شموله لهم فقال تعالى: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، ولما كان المقام للمبالغة في إثبات الحكم على الطائع والعاصي، أعاد الموصول فقال تعالى: ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، ثم بين ذلك بقوله تعالى: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ أي عاقلة وغير عاقلة»[(٣)].

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي أنه لما ذُكر في الآية السابقة السجود القسري، ذُكر بعده هنا سجود آخر بعضه اختيار، وفي بعضه شبه اختيار .

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ١٧٠

(٢) إرشاد العقل السليم٥/ ١١٨.

(٣) نظم الدرر٤/ ٢٧٥.

وبهذا قال أبو السعود.

وأما البقاعي فيرى أن المناسبة هي أنه لما حكم على الظلال بما عم أصحابها من جماد وحيوان، وكان الحيوان أشرف من الجماد، رقي الحكم إليه بخصوصه

الذي يظهر أن قول ابن عاشور ومن وافقه أنسب وأولى، لأنه يعم سجود الاختيار وشبه الاختيار، بخلاف غيره من الأقوال . والله أعلم .

- **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

١٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١ ﴾ [النحل:٥١].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لما أُشبع القول في إبطال تعدّد الآلهة الشائع في جميع قبائل العرب، وأتبع بإبطال الاختلاق على الرسول ﷺ والقرآن، نُقل الكلام إلى إبطال نوع آخر من الشّرك متّبع عند قبائل من العرب وهو الإشراك بإلهية أصلين للخير والشرّ»(١).

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن كل ما سوى الله سواء كان من عالم الأرواح أو من عالم الأجسام، فهو منقاد خاضع لجلال الله تعالى وكبريائه، أتبعه في هذه الآية بالنهي عن الشرك وبالأمر بأن كل ما سواه فهو ملكه، وأنه غني عن الكل فقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾»(٢).

قال أبو السعود: «وبعد ما بُيّن أن جميعَ الموجودات يُخَصّون بالخضوع والانقياد أصلاً لله ﷻ أُردف ذلك بحكاية نهْيِه ﷻ للمكلفين عن الإشراك فقيل:

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ﴾ عطف على قوله: ولله يسجد»(٣).

قال البقاعي: «ولما كان التوحيد أعظم المأمورات، وكان العصيان فيه أعظم العصيان وكان سبحانه قد أكثر التخويف من عصيانه، أبلغ الأمر إلى نهايته بالإخبار بأن الملائكة تخافه، وكان الملائكة من أعظم الموحدين، كما كانوا من أعظم الساجدين، من أهل السماوات والأرضين، وكانت هذه الآيات من أعظم أدلة التوحيد، أتبعها

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ١٧١

(٢) مفاتيح الغيب٢٠/ ٢٣١

(٣) إرشاد العقل السليم٥/ ١١٩.

عطفاً على ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾[النحل:٤٤] ليتظافر على ذلك أدلة العقل والنقل، وتسليكاً بأحوال الملائكة»[1].

قال أبو حيان: « لما ذكر انقياد ما في السموات وما في الأرض لما يريده تعالى منها، فكان هو المتفرد بذلك . نهى أن يشرك به، ودل النهي عن اتخاذ إلهين على النهي عن اتخاذ آلهة.»[2]

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي إبطال نوع آخر من الشّرك متّبع عند قبائل من العرب، وهو الإشراك بإلهية أصلين للخير والشرّ .

وأما الرازي فيرى أن المناسبة هي النهي عن الشرك .

وبهذا قال أبو حيان، وأبو السعود.

وأما البقاعي فيرى أن المناسبة هي ذكر الأدلة على التوحيد .

ومن خلال التأمل الذي يظهرأن قول الرازي أنسب وأولى، لأنه أعم فإن ابن عاشور خص نوع واحد من الشرك وهو الإشراك بإلهية أصلين للخير والشرّ، وأما الرازي فذكر الشرك بعمومه، فهو أحسن الأقوال وأقواها. والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشورتأثربمن سبقه، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير، فمحور المناسبة بينهما واحد. والله أعلم

(١) نظم الدرر ٤/ ٢٧٦.

(٢) البحر المحيط ٥/ ٤٨٥.

١٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النحل:٥٢].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«مناسبة موقع جملة ﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بعد جملة ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ﴾[النحل:٥١] أن الذين جعلوا إلهين جعلوهما النور والظلمة. وإذ كان النور والظلمة مظهرين من مظاهر السماء والأرض كان المعنى: أن ما تزعمونه إلهاً للخير وإلهاً للشرّ هما من مخلوقاته، وتقديم المجرور يفيد الحصر فدخل جميع ما في السماء والأرض في مفاد لام الملك، فأفاد أن ليس لغيره شيء من المخلوقات خيرها وشرّها. فانتفى أن يكون معه إله آخر لأنه لو كان معه إله آخر، لكان له بعض المخلوقات إذ لا يعقل إله بدون مخلوقات وضمير { له} عائد إلى اسم الجلالة من قوله: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ﴾.

فعطفه على جملة ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، لأن عظمة الإلهية اقتضت الرّهبة منه وقصرها عليه، فناسب أن يشار إلى أن صفة المالكية تقتضي إفراده بالعبادة»(١).

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: « ثم قال بعده: ﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهذا حق، لأنه لما كان الإله واحداً، والواجب لذاته واحداً، كان كل ما سواه حاصلاً بتخليقه وتكوينه وإيجاده، فثبت بهذا البرهان صحة قوله: ﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ »(٢).

قال أبو حيان: « ثم التفت من التكلم إلى ضمير الغيبة فأخبر تعالى: أنّ له ما في السموات والأرض لأنه لما كان هو الإله الواحد الواجب لذاته كان ما سواه موجوداً

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ١٧٥

(٢) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٢٣١

بإيجاده وخلقه»[1].

قال الآلوسي: «﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ عطف على قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ أو على الخبر، أو مستأنف جيء به تقريراً لعلة انقياد ما فيهما له سبحانه خاصة، وتحقيقاً لتخصيص الرهبة به تعالى»[2].

المناسبات هنا مختلفة.

فقد بنى ابن عاشور المناسبة هنا على ما ذكره سابقا من أن بعض العرب كانت تعتقد بوجود إلهين للخير والشر.

وأما الرازي يرى أنه لما كان الإله واحداً، والواجب لذاته واحداً، كان كل ما سواه حاصلاً بتخليقه وتكوينه وإيجاده.

وبه قال أبو حيان .

وأما الآلوسي يرى أن قوله ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ عطف على قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ أو على الخبر، أو مستأنف جيء به تقريراً لعلة انقياد ما فيهما له سبحانه خاصة، وتحقيقاً لتخصيص الرهبة به تعالى.

كل ما ذكرمن الأقوال السابقة له وجهه في التناسب، ويصلح أن يكون مناسبة، ولكن ماذكره ابن عاشور أنسب وأولى، لأنه ذكر بعض اعتقادات كانت موجوده عند العرب وهذا يفهم من السياق فبذلك كان الربط بين الآيتين لطيفاً وحسناً. والله أعلم.

---

(١) البحر المحيط٥/ ٤٨٥.

(٢) روح المعاني٧/ ٤٠٣.

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة التي تفيد أن بعض العرب كانت تعتقد بوجود إلهين للخير والشر. والله أعلم .

١٨- المناسبة فيقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النحل:٦٤].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف على جملة القسم . والمناسبة أن القرآن أنزل لإتمام الهداية، وكشف الشبهات التي عرضت للأمم الماضية والحاضرة، فتَرَكَتْ أمثالها في العرب وغيرهم .

فلما ذكرت ضلالاتهم وشبهاتهم عقّب ذلك ببيان الحكمة في إرسال محمد ﷺ، وإنزال القرآن إليه، فالقرآن جاء مبيّناً للمشركين ضلالهم بياناً لا يترك للباطل مسلكاً إلى النفوس، ومفصحاً عن الهدى إفصاحاً لا يترك للحَيرة مجالاً في العقول، ورحمةً للمؤمنين بما جزاهم عن إيمانهم من خير الدنيا والآخرة»[1] .

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: « والمقصود من قوله: ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾[النحل:٦٣] هو أنه لا ولي لهم ذلك اليوم ولا ناصر، وذلك لأنهم إذا عاينوا العذاب وقد نزل بالشيطان كنزوله بهم، ورأوا أنه لا مخلص له منه، كما لا مخلص لهم منه، جاز أن يوبخوا بأن يقال لهم: هذا وليكم اليوم على وجه السخرية، ثم ذكر تعالى أن مع هذا الوعيد الشديد أقام الحجة وأزاح العلة فقال: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾»[2] .

قال البقاعي: « ولما كان حاصل ما مضى الخلاف والضلال والنقمة، كان كأنه

(١) التحرير والتنوير١٤/ ١٩٥

(٢) مفاتيح الغيب٢٠/ ٢٣١

قيل: فبين لهم وخوفهم ليرجعوا، فإنا ما أرسلناك إلا لذلك ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ﴾»[1].

ومن هذا النقل فإن المناسبة المتفق عليها بينهم أنه لما ذكرت ضلالاتهم وشبهاتهم عقّب ذلك ببيان الحكمة في إرسال محمد ﷺ، وإنزال القرآن إليه، والله أعلم.

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثرهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم.

(١) نظم الدرر ٤/ ٢٨٣.

١٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [النحل:٧٠].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة ختم هذه الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ فقال:

«وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ تذييل تنبيهاً على أن المقصود من الجملة الدلالة على عظم قدرة الله وعظم علمه»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال البقاعي: « ولما كان مقصود السورة الدلالة على تمام القدرة وشمول العلم والتنزه عن كل شائبة نقص، وكان السياق هنا لذلك أيضاً بدليل ختم الآية»(٢).

قال الآلوسي: «قيل: إنه تعالى لما ذكر ما يعرض في الهرم من ضعف القوى والقدرة وانتفاء العلم، ذكر أنه جل شأنه مستمر على العلم الكامل، والقدرة الكاملة لا يتغيران بمرور الأزمان، كما يتغير علم البشر وقدرتهم، ويفيد الاستمرار الجملة الاسمية، وقدم صفة العلم لتجاوز انتفاء العلم عن المخاطبين، مع أن تعلق صفة العلم بالشيء أول لتعلقه صفة القدرة به »(٣).

قال أبو حيان: « لما ذكر تعالى تلك الآيات التي في الأنعام والنحل، ذكر ما نبهنا به على قدرته التامة في إنشائنا من العدم وإماتتنا، وتنقلنا في حال الحياة من حالة الجهل إلى حالة العلم، وذلك كله دليل على القدرة التامة والعلم الواسع، ولذلك ختم بقوله: عليم قدير . ولما ذكر ما يعرض في الهرم من ضعف القوى والقدرة وانتفاء العلم، ذكر

(١) التحرير والتنوير١٤/ ٢١١

(٢) نظم الدرر٤/ ٢٨٩.

(٣) روح المعاني٧/ ٤٢٦.

علمه وقدرته اللذين لا يتبدلان ولا يتغيران ولا يدخلهما الحوادث، ووليت صفة العلم ما جاورها من انتفاء العلم»[1].

ومن هذا النقل فإن المناسبة المتفق عليها بينهم أنه لما ذكر ما يعرض في الهرم من ضعف القوى والقدرة، وانتفاء العلم ذكر أنه جل شأنه مستمر على العلم الكامل والقدرة الكاملة لا يتغيران بمرور الأزمان كما يتغير علم البشر وقدرتهم، والله أعلم .

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) البحر المحيط ٥/ ٤٩٨.

٢٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٧١﴾ [النحل:٧١].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«هذا من الاستدلال على أن التّصرف القاهر لله تعالى . وذلك أنه أعقب الاستدلال بالإحياء والإماتة، وما بينهما من هرم بالاستدلال بالرّزق .

ولما كان الرّزق حاصلاً لكل موجود بُني الاستدلال على التّفاوت فيه بخلاف الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡ﴾[النحل:٧٠].

ووجه الاستدلال به على التصرّف القاهر أن الرزق حاصل لِجميع الخلق، وأن تفاضل الناس فيه غير جار على رغباتهم، ولا على استحقاقهم؛ فقد تجد أكيس الناس وأجودهم عقلاً وفهماً مقتّراً عليه في الرزق، وبضدّه ترى أجهل الناس وأقلّهم تدبيراً موسّعاً عليه في الرزق، وكلا الرجلين قد حصل له ما حصل قهراً عليه، فالمقتّر عليه لا يدري أسباب التّقتير، والموسّع عليه لا يدري أسباب تيسير رزقه، ذلك لأن الأسباب كثيرة متوالدة ومتسلسلة ومتوغّلة في الخفاء حتى يُظن أن أسباب الأمرين مفقودة، وما هي بمفقودة، ولكنها غير محاط بها»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال البقاعي: « ولما ذكر المفاوتة في الأعمار المنادية بإبطال الطبائع الموجبة للمسابقة إلى الاعتبار لأولي الأبصار للخوف كل لحظة من مصيبة الموت، ثنى بالمفاوتة في الأرزاق فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ﴾ أي الذي له الأمر كله ﴿فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ﴾ أيها الناس

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٢١٣.

﴿عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾»[1].

قال أبو حيان: « ولما ذكر تعالى خلقنا، ثم إماتتنا وتفاوتنا في السن، ذكر تفاوتنا في الرزق»[2].

ومن هذا النقل فإن المناسبة المتفق عليها بينهم أنه لما ذكر تعالى خلقنا، ثم إماتتنا وتفاوتنا في السن، ذكر تفاوتنا في الرزق، والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأت بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

---

(١) نظم الدرر ٤/ ٢٩٠.

(٢) البحر المحيط ٥/ ٤٩٨.

٢١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٍ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [النحل:٧٥].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«أعقب زجرهم عن أن يشبّهوا الله بخلقه، أو أن يشبّهوا الخلق بربّهم بتمثيل حالهم في ذلك بحال من مثل عبداً بسيّده في الإنفاق فجملة ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا﴾ إلخ... مستأنفة استئنافاً بيانياً ناشئاً عن قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [النحل:٧٣].

فشبّه حال أصنامهم في العجز عن رزقهم بحال مملوك لا يقدر على تصرّف في نفسه، ولا يملك مالاً، وشبّه شأن الله تعالى في رَزقه إيّاهم بحال الغنيّ المالك أمر نفسه بما شاء من إنفاق وغيره، ومعرفة الحالين المشبّهتين يدلّ عليها المقام، والمقصود نفي المماثلة بين الحالتيْن، فكيف يزعمون مماثلة أصنامهم لله تعالى في الإلهية، ولذلك أعقب بجملة ﴿هَلۡ يَسۡتَوُۥنَ﴾.

وذيّل هذا التمثيل بقوله تعالى: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ كما في سورة إبراهيم ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾[إبراهيم:٢٤] إلى قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾[إبراهيم:٢٦]الآية، فإن المقصود في المقامين متّحد، والاختلافُ في الأسلوب إنما يومىء إلى الفرق بين المقصود أولاً والمقصود ثانياً كما أشرنا إليه هنالك»[1].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٢٢٣

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى أكد إبطال مذهب عبدة الأصنام بهذا المثال»[1].

قال أبو حيان: «مناسبة ضرب هذا المثل أنه لما بين تعالى ضلالهم في إشراكهم بالله غيره وهو لا يجلب نفعاً ولا ضراً لنفسه ولا لعابده، ضرب لهم مثلاً قصة عبد في ملك غيره، عاجز عن التصرف، وحر غني متصرف فيما آتاه الله . فإذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنس واحد، ومشتركين في الإنسانية، فكيف تشركون بالله، وتسوون به من مخلوق له مقهور بقدرته من آدمي وغيره، مع تباين الأوصاف»[2].

قال البقاعي: «ولما ختم سبحانه بذلك تأكيداً لإبطال مذهب عبدة الأصنام بسلب العلم الذي هو مناط السداد عنهم، حسن أن يصل به قوله - إقامة للدليل على علمه بأن أمثاله لا يتطرق إليها الطعن، ولا يتوجه نحوها الشكوك»[3].

ومن هذا النقل فإن المناسبة المتفق عليها بينهم هي أنه تعالى أكد إبطال مذهب عبدة الأصنام بهذا المثال، فكلامهم يدور في هذا المحور . والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٢٤٨

(٢) البحر المحيط٥/ ٥٠٣.

(٣) نظم الدرر٤/ ٢٩٣.

٢٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [النحل:٧٧].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«كان ممّا حكي من مقالات كفرهم أنهم أقسموا بالله لا يبعث الله من يموت، لأنهم توهّموا أن إفناء هذا العالم العظيم وإحياء العظام وهي رميم أمر مستحيل، وأبطل الله ذلك على الفور بأن الله قادر على كل ما يريده .

ثم انتقل الكلام عقب ذلك إلى بسط الدلائل على الوحدانية، والقدرة، وتسلسل البيان، وتفنّنت الأغراض بالمناسبات، فكان من ذلك تهديدهم بأن الله لو يؤاخذ الناس بظلمهم ما ترك على الأرض من دابّة، ولكنه يمهلهم ويؤخّرهم إلى أجل عَيّنه في علمه لحكمته، وحذّرهم من مفاجأته، فثنى عِنان الكلام إلى الاعتراض بالتذكير بأن الله لا يخرج عن قدرته أعظم فعل مما غاب عن إدراكهم، وأن أمر الساعة التي أنكروا إمكانها وغرّهم تأخير حلولها هي مما لا يخرج عن تصرّف الله ومشيئته متى شاءه»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: « اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية الأولى مثل الكفار بالأبكم العاجز، ومثل نفسه بالذي يأمر بالعدل، وهو على صراط مستقيم، ومعلوم أنه يمتنع أن يكون آمراً بالعدل، وأن يكون على صراط مستقيم إلا إذا كان كاملاً في العلم والقدرة، وذكر في هذه الآية بيان كونه كاملاً في العلم والقدرة، أما بيان كمال العلم فهو قوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ والمعنى: علم الله غيب السموات والأرض وأيضاً فقوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يفيد الحصر معناه: أن العلم بهذه الغيوب ليس إلا الله

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٢٢٩

وأما بيان كمال القدرة فقوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ »(١).

قال أبو حيان: « ثم ذكر تعالى أنه له غيب السموات والأرض، وهو ما غاب عن العباد وخفي فيهما عنهم علمه . والظاهر اتصاله بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾[النحل:٩١] أخبر باستئثاره بعلم غيب السموات والأرض، بكمال قدرته على الإتيان بالساعة التي تنكرونها في لمحة البصر أو أقرب، والمعنى بهذا الإخبار: أنّ الآلهة التي تعبدونها منتف عنها هذان الوصفان اللذان للإله وهما: العلم المحيط بالمغيبات، والقدرة البالغة التامّة . ومن ذكر أنّ قوله: ومن يأمر بالعدل هو الله تعالى، ذكر ارتباط هذه الجملة بما قبلها بأنّ من يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم هو الكامل في العلم والقدرة، فبين ذلك بهذه الجملة»(٢).

ومن هذا النقل فإن المناسبة المتفق عليها بينهم هي بسط الدلائل على الوحدانية والقدرة، فكلامهم يدور في هذا المحور. والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثر بهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

---

(٢) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٢٥٧

(٢) البحر المحيط٥/ ٥٠٤.

٢٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل:٩٨-١٠٠].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«موقع فاء التّفريع هنا خفيّ ودقيق، ولذلك تصدّى بعض حذّاق المفسّرين إلى البحث عنه . فقال في «الكشاف»: «لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ إيذاناً بأن الاستعاذة من جملة الأعمال التي يجزل عليها الثواب» اه .

وهو إبداء مناسبة ضعيفة لا تقتضي تمكّن ارتباط أجزاء النظم .

وقال فخر الدين: «لما قال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[النحل:٩٧] أرشد إلى العلم الذي تخلُص به الأعمال من الوسواس» اهـ.

وهو أمكن من كلام الكشاف(١) . وزاد أبو السعود: «لما كان مدار الجزاء هو حسن العمل رتّب عليه الإرشاد إلى ما به يحسن العَمل الصالح بأن يخلُص من شوب الفساد» . وفي كلاميهما من الوهن أنه لا وجه لتخصيص الاستعاذة بإرادة قراءة القرآن.

وقول ابن عطية: «الفاء في (فإذا) واصلة بين الكلامين، والعرب تستعملها في مثل هذا»، فتكون الفاء على هذا لمجرّد وصل كلام بكلام، واستشهد له بالاستعمال والعهدة عليه .

وقال شرف الدين الطيبي(٢): «قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ متّصل بالفاء بما

---

(١) يقصد صاحب تفسير الكشاف، جار الله الزمخشري.

(٢) الحسين بن محمد بن عبدالله، شرف الدين الطيبي: من علماء الحديث والتفسير والبيان، وهو من عراق العجم، كانت له ثروة طائلة من الأرث والتجارة، فأنفقها في وجوه الخير، حتى افتقر في آخر عمره، =

سبق من قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩] . وذلك لأنه تعالى لما منّ على النبي بإنزال كتاب جامع لصفات الكمال وأنه تبيان لكل شيء، ونبّه على أنه تبيان لكل شيء بالكلمة الجامعة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[النحل:٩٠] الآية . وعطف عليه ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل:٩١] وأكّده ذلك التأكيد، قال بعد ذلك ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾، أي إذا شرعت في قراءة هذا الكتاب الشريف الجامع الذي نُبهتَ على بعض ما اشتمل عليه، ونازعك فيه الشيطان بهمزه ونفثه فاستعذ بالله منه والمقصود، إرشاد الأمّة» اه .

وهذا أحسن الوجوه، وقد انقدح في فكري قبل مطالعة كلامه، ثم وجدته في كلامه فحمدت الله وترحّمته عليه . وعليه فما بين جملة ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا﴾ [النحل:٨٩] وجملة ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ [النحل:٩٨] جملة معترضة. والمقصود بالتفريع الشروع في التنويه بالقرآن»[1] .

وفي هذا السياق نشير إلى بعض الأقوال التي لم يتعرض لها ابن عاشورفي المناسبة.

قال البقاعي: « ولما تقررت هذه الأحكام على هذه الوجوه الجليلة، وأشارت بحسن ألفاظها وشرف سياقها إلى أغراض هي مع جلالتها غامضة دقيقة، فلاح بذلك أن القرآن تبيان لكل شيء في حق من سلم من غوائل الهوى وحبائل الشيطان، وختم ذلك بالحث على العمل الصالح، وكان القرآن تلاوة، وتفكراً، وعملاً بما ضمن أجل الأعمال الصالحة، تسبب عن ذلك الأمر بأنه إذا قرىء هذا القرآن المنزل على مثل تلك الأساليب الفائقة يستعاذ من الشيطان، لئلا يحول بوساوسه بين القارىء وبين مثل

=

وكان شديد الرد على المبتدعة، ملازما لتعليم الطلبة والإنفاق على ذوي الحاجة منهم، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، متواضعا، ضعيف البصر، ت سنة٧٤٣هـ انظر: الأعلام للزركلي٢/ ٢٥٦

(١) التحرير والتنوير١٤/ ٢٧٤

تلك الأغراض والعمل بها، وحاصله الحث على التدبر وصرف جميع الفكر إلى التفهم والالتجاء إليه تعالى في كل عمل صالح لئلا يفسده الشيطان بوساوسه، أو يحول بين الفهم وبينه، بياناً لقدر الأعمال الصالحة، وحثاً على الإخلاص فيها وتشمير الذيل عند قصدها، لا سيما أفعال القلوب التي هي أغلب ما تقدم هنا.»(١)

قال الشوكاني « ثم لما ذكر سبحانه العمل الصالح والجزاء عليه أتبعه بذكر الاستعاذة التي تخلص بها الأعمال الصالحة عن الوساوس الشيطانية، فقال: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[النحل:٩٨]، والفاء لترتيب الاستعاذة على العمل الصالح، وقيل: هذه الآية متصلة بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[النحل:٨٩] والتقدير: فإذا أخذت في قراءته، فاستعذ . قال الزجاج(٢) وغيره من أئمة اللغة: معناه: إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ: وليس معناه: أستعذ بعد أن تقرأ القرآن.»(٣)

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي إرشاد الأمّة عند قراءة القرآن الجامع لكل خير الاستعاذة من الشيطان .

وبهذا المعنى قال البقاعي، والشوكاني .

---

(١) نظم الدرر٤/ ٣٠٩- ٣١٠.

(٢) الامام، نحوي زمانه، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي، مصنف كتاب: " معاني القرآن "، وله تآليف جمة ،لزم المبرد، فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهما، فنصحه وعلمه، ثم أدب القاسم بن عبيد الله الوزير، فكان سبب غناه، ثم كان من ندماء المعتضد.

مات سنة إحدى عشرة وثلاث مئة، وقيل: مات في تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشرة.انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٠.

(٣) فتح القدير٣/ ٢٧٣.

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، إذ فيها نكتة بلاغية، في الجملة المعترضة وجهها في المناسبة أن بين جملة ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا﴾ وجملة ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ جملة معترضة .

٢٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل:١٠٥].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«هذا ردّ لقولهم: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾[النحل:١٠١] بقلب ما زَعموه عليهم، . فبعد أن نزّه القرآن عن أن يكون مفترى، والمنزّل عليه عن أن يكون مفترياً ثني العنان لبيان من هو المفتري . وهذا من طريقة القلب في الحال .

ووجه مناسبة ذكره هنا أن قولهم: إنما يعلمه بشر يستلزم تكذيب النبي في أن ما جاء به منزّل إليه من عند الله، فصاروا بهذا الاعتبار يؤكّدون بمضمونه قولَهم: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ يؤكّد أحد القولين القولَ الآخر، فلما رُدّ قولهم: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ بقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل:١٠١-١٠٢]. ورُدّت مقالتهم الأخرى في صريحها بقوله ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ [النحل:١٠٣]، ورُدّ مضمونها هنا بقوله ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية، حاصلاً به ردّ نظيرها أعني قولهم ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ بكلام أبلغ من كلامهم، لأنهم أتوا في قولهم ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ بصيغة قصر هي أبلغ مما قالوه، لأن قولهم: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ قصر للمخاطب على صفة الافتراء الدائمة، إذ الجملة الاسمية تقتضي الثبات والدّوام، فردّ عليهم بصيغة تقصرهم على الافتراء المتكرّر المتجدّد، إذ المضارع يدلّ على التجدّد»[١].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: «المقصود منه أنه تعالى بين في الآية السابقة أن الذي قالوه بتقدير أن يصح لم يقدح في المقصود، ثم إنه تعالى في هذه الآية بين أن الذي قالوه لم يصح وهم

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٢٩٠.

كذبوا فيه»[1].

قال البقاعي: «ولما زيف شبههم، أثبت لهم ما قذفوه به وهو بريء منه مقصوراً عليهم»[2].

ومن هذا النقل فإن المناسبة المتفق عليها بينهم هي أنه نزّه القرآن عن أن يكون مفترى، والمنزّل عليه عن أن يكون مفترياً ثني العنان لبيان من هو المفتري، فكلامهم يدور في هذا المحور. والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثر بهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٢٧٣.

(٢) نظم الدرر ٤/ ٣١٣.

٢٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل:١١٠].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف على جملة ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾[النحل:١٠٦] إلى قوله: ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [النحل:١٠٩].

و ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب الرتبي، كما هو شأنها في عطفها الجمل . وذلك أن مضمون هذه الجملة المعطوفة أعظمُ رُتبة من المعطوف عليها، إذ لا أعظم من رضى الله تعالى.

فإن الله لما ذكر الذين آمنوا وصبروا على الأذى وعذر الذين اتّقوا عذاب الفتنة بأن قالوا كلام الكفر بأفواههم، ولكن قلوبهم مطمئنة بالإيمان ذكر فريقاً آخر فازوا بفرار من الفتنة، لئلا يتوهّم متوهّم أن بعدهم عن النبي ﷺ في تلك الشدّة يوهن جماعة المسلمين فاستُوفِيَ ذكر فرق المسلمين كلها . وقد أومَأ إلى حظّهم من الفضل بقوله: ﴿هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾، فسمّى عملهم هِجرة»[1].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: « أنه تعالى لما ذكر في الآية المتقدمة حال من كفر بالله من بعد إيمانه وحال من أكره على الكفر، فذكر بسبب الخوف كلمة الكفر وحال من لم يذكرها، ذكر بعده حال من هاجر من بعد ما فتن فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾»[2].

قال البقاعي: «ولما قدم الفاتن والمفتون، أتبع ذلك ذكر حكمهما على القراءتين

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٢٩٩.

(٢) مفاتيح الغيب٢٠/ ٢٧٨

فقال تعالى: بحرف التراخي إشارة إلى تقاصر رتبتهما عن رتبةمن لم يفعل ذلك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ﴾»[1].

قال أبو حيان: « ولما ذكر تعالى حال من كفر بعد الإيمان، وحال من أكره، ذكر حال من هاجر بعد ما فتن»[2].

ومن هذا النقل فإن المناسبة المتفق عليها بينهم هي أنه لما ذكر تعالى حال من كفر بعد الإيمان، وحال من أكره، ذكر حال من هاجر بعد ما فتن، فكلامهم يدور في هذا المحور . والله اعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) نظم الدرر ٤/ ٣١٥.

(٢) البحر المحيط ٥/ ٥٢٢.

٢٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النحل:١٢٤].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«موقع هذه الآية ينادي على أنها تضمّنت معنى يرتبط بملّة إبراهيم، وبمجيء الإسلام على أساسها، فلما نفت الآية قبل هذه أن يكون إبراهيم عليه السلام من المشركين ردّاً على مزاعم العرب المشركين أنهم على ملّة إبراهيم، انتقل بهذه المناسبة إلى إبطال ما يشبه تلك المزاعم . وهي مزاعم اليهود أن ملّة اليهودية هي ملّة إبراهيم زعماً ابتدعوه حين ظهور الإسلام جحداً لفضيلةٍ فاتتهم، وهي فضيلة بناء دينهم على أول دين للفطرة الكاملة حسداً من عند أنفسهم، وقد بيّنا ذلك عند قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [آل عمران:٦٥] .

فهذه الآية مثل آية آل عمران ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[آل عمران:٦٥-٦٧]، فذلك دالّ على أن هؤلاء الفرق الثلاث اختلفوا في إبراهيم، فكل واحدة من هؤلاء تدّعِي أنها على ملته، إلا أنه اقتصر في هذه الآية على إبطال مزاعم المشركين بأعظم دليل وهو أن دينهم الإشراك، وإبراهيمُ عليه السلام ما كان من المشركين . وعقب ذلك بإبطال مزاعم اليهود، لأنها قد تكون أكثر رواجاً، لأن اليهود كانوا مخالطين العرب في بلادهم، فأهل مكة كانوا يتّصلون باليهود في أسفارهم، وأسواقهم بخلاف النّصارى .

ولما كانت هذه السورة مكّية لم يتعرّض فيها للنّصارى الذين تُعرّض لهم في سورة آل عمران .

ولهذا تكون جملة ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ ﴾ استئنافاً بيانياً نشأ عن قوله: ﴿ ثُمَّ

﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾ إذ يثير سؤالاً من المخالفين: كيف يكون الإسلام من ملّة إبراهيم؟ وفيه جعل يوم الجمعة اليومَ المقدس. وقد جعلت التوراة لليهود يوم التّقديس يوم السبت. ولعلّ اليهود شغبوا بذلك على المسلمين، فكان قوله: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ بياناً لجواب هذا السؤال.

وقد وقعت هذه الجملة معترضة بين جملة ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾[النحل:١٢٣] وجملة ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ [النحل:١٢٥] إلخ...»[١].

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال البقاعي: «ولما دعا سبحانه فيها إلى معالي الشيم وعدم الاعتراض، وختم بالأمر بالملة الحنيفية التي هي سهولة الانقياد للدليل، وعدم الكون مع الجاحدين، اقتداء بالأب الأعظم، وكان الخلاف والعسر مخالفاً لملته، فكان لا يجر إلى خير، وكان من المعلوم أن كل حكم حدث بعده ليس من ملته، وكان اليهود يزعمون جهلاً أنه كان على دينهم، وكان السبت من أعظم شعائرهم، أنتج ذلك قوله تعالى جواباً لمن قد يدعي من اليهود أنه كان على دينهم، وتحذيراً من العقوبة على الاختلاف في الحق بالتشديد في الأمر.»[٢]

قال الآلوسي: «ووجه إيراد ذلك ههنا بأنه أريد منه إنذار المشركين وتهديدهم بما في مخالفة الأنبياء عليهم السلام من الوبال كما ذكرت القرية التي كفرت بأنعم الله تعالى تمثيلاً لذلك. واعترض بأن توسيط ذلك لما ذكر بين حكاية أمر النبي ﷺ باتباع ملة إبراهيم عليه السلام، وبين أمره ﷺ بالدعوة إليها كالفصل بين الشجر ولحائه[٣].

(١) التحرير والتنوير ٣/ ٣٣٠

(٢) نظم الدرر ٤/ ٣٢٢.

(٣) لَحَا الشجرةَ يَلْحُوها لَحواً قَشَرها وقال أَبو منصور المعروف فيه المدّ ولِحاء كل شجرة قشرها. انظر: لسان العرب ١٥/ ٢٤١.

وأجيب بأن فيه حثاً على إجابة الدعوة التي تضمنها الكلام السابق وأمر بها في الكلام اللاحق فللمتوسط نسبة إلى الطرفين تخرجه من أن يكون الفصل به كالفصل بين الشجر ولحائه وهو كما ترى »[1].

قال أبو حيان: « ولما أمر الله رسوله ﷺ باتباع ملة ابراهيم عليه السلام، وكان الرسول قد اختار يوم الجمعة، فدل ذلك على أنه كان في شرع ابراهيم، بين أنّ يوم السبت لم يكن تعظيمه واتخاذه للعبادة من شرع ابراهيم ولا دينه »[2].

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي إبطال مزاعم اليهود أن ملّة اليهودية هي ملّة إبراهيم.

وبهذا المعنى، قال البقاعي .

وأما الآلوسي فيرى أن المناسبة هي إنذار المشركين، وتهديدهم بها في مخالفة الأنبياء عليهم السلام من الوبال.

وأما أبوحيان فيرى أن المناسبة هي أنّ يوم السبت لم يكن تعظيمه، واتخاذه للعبادة من شرع إبراهيم ولا دينه.

ومن خلال التأمل يظهر أن ما أورده ابن عاشورأنسب وأولى، لأن السياق يتحدث عن ملة إبراهيم واليهود يزعمون أن ملّة اليهودية هي ملّة إبراهيم، فلذلك كان إبطال مزاعمهم من أهداف الآية الكريمة فلذلك كان الربط موفقاً وحسناً. والله أعلم .

(١) روح المعاني٧/ ٤٨٧.

(٢) البحرالمحيط٥/ ٥٣٠.

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثرهم، ولم يأت بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

٢٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل:١٢٦].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عَطف على جملة ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ [النحل:١٢٥] أي إن كان المقام مقام الدعوة فلتكن دعوتك إيّاهم كما وصفنا، وإن كنتم أيها المؤمنون معاقبين لمشركين على ما نالكم من أذاهم فعاقبوهم بالعدل لا بِتجاوُز حدّ ما لقيتم منهم.

فهذه الآية متّصلة بما قبلها أتم اتّصال، وحسبك وجود العاطف فيها . وهذا تدرّج في رتب المعاملة من معاملة الذين يدعون ويوعظون إلى معاملة الذين يجادلون، ثم إلى معاملة الذين يجازون على أفعالهم، وبذلك حصل حسن الترتيب في أسلوب الكلام »[١].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: « إن حمل هذه الآية على قصة[٢] لا تعلق لها بما قبلها يوجب

---

(١) التحرير والتنوير ٤/ ٣٣٠.

(٢) القصة هي أنه حين قتل حمزة، ﷺ، ومثل به فقال رسول الله ﷺ: "لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بثلاثين رجلا منهم" فلما سمع المسلمون ذلك قالوا: والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط. فأنزل الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ إلى آخر السورة .

قال ابن كثير وهذا مرسل، وفيه رجل مبهم لم يسم. وقد روي هذا من وجه آخر متصل، فقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا الحسن بن يحيى، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا صالح المري، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن أبي هريرة ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة بن عبدالمطلب ﷺ، حين استشهد، فنظر إلى منظر لم ينظر أوجع للقلب منه. أو قال: لقلبه منه فنظر إليه وقد مُثِّل به فقال: "رحمة الله عليك، إن كنت -لما علمتُ-لوصولا للرحم، فعولا للخيرات، والله لولا حزن من بعدك عليك، لسرني أن أتركك حتى يحشرك الله من بطون السباع -أو كلمة نحوها-أما والله على ذلك، لأمثلن بسبعين كمثلتك . فنزل =

حصول سوء الترتيب في كلام الله تعالى، وذلك يطرق الطعن إليه وهو في غاية البعد، بل الأصوب عندي أن يقال: المراد أنه تعالى أمر محمداً ﷺ أن يدعو الخلق إلى الدين الحق بأحد الطرق الثلاثة، وهي الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالطريق الأحسن، ثم إن تلك الدعوة تتضمن أمرهم بالرجوع عن دين آبائهم وأسلافهم، وبالإعراض عنه والحكم عليه بالكفر والضلالة، وذلك مما يشوش القلوب، ويوحش الصدور، ويحمل أكثر المستمعين على قصد ذلك الداعي بالقتل تارة، وبالضرب ثانياً، وبالشتم ثالثاً، ثم إن ذلك المحق إذا شاهد تلك السفاهات، وسمع تلك المشاغبات لا بد وأن يحمله طبعه على تأديب أولئك السفهاء تارة بالقتل وتارة بالضرب، فعند هذا أمر المحقين في هذا المقام برعاية العدل، والإنصاف، وترك الزيادة، فهذا هو الوجه الصحيح الذي يجب حمل الآية عليه»(1).

قال أبو السعود: «وبعد ما أمره عليه الصلاة والسلام فيما يختص به من شأن الدعوة بما أمره به من الوجه اللائق عقّبه بخطاب شاملٍ له، ولمن شايعه فيما يعم الكل فقال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾»(2).

قال البقاعي: «ولما بين أمر الدعوة، وأوضح طرقها، وقدم أمر الهجرة والإكراه في الدين والفتن فيه المشير إلى ما سبب ذلك من المحن والبلاء من الكفار ظلماً، وختم ذلك بالأمر بالرفق بهم، وعم بعد ما خصه صلى الله عليه وعلى آله وسلم به من الأمر بالرفق، بالأمر لأشياعه بالعدل، والإحسان كما تقدم، ولو مع أعدى الأعداء، والنهي عن

= جبريل عليه السلام، على محمد ﷺ بهذه السورة وقرأ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ إلى آخر الآية، فكفر رسول الله ﷺ -يعني: عن يمينه- وأمسك عن ذلك. وهذا إسناد فيه ضعف؛ لأن صالحا - هو ابن بشير المري- ضعيف عند الأئمة، وقال البخاري: هو منكر الحديث. انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٦١٤.

(١) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٢٩١.

(٢) إرشاد العقل السليم ٥/ ١٥١.

مجازاتهم إلا على وجه العدل - فقال تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ﴾»[1].

قال الشوكاني: « ثم لما كانت الدعوة تتضمن تكليف المدعوّين بالرجوع إلى الحق، فإن أبوا قوتلوا، أمر الداعي بأن يعدل في العقوبة فقال: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ﴾ أي: أردتم المعاقبة ﴿فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ﴾ أي: بمثل ما فعل بكم، لا تجاوزوا ذلك»[2].

ومن هذا النقل فإن المناسبة المتفق عليها بينهم أن في هذا تدرّج في رتب المعاملة من معاملة الذين يدعون ويوعظون إلى معاملة الذين يجادلون، ثم إلى معاملة الذين يجازون على أفعالهم، وبذلك حصل حسن الترتيب في أسلوب الكلام، فكلامهم يدور في هذا المحور. والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

---

(١) نظم الدرر٤/ ٣٢٥.

(٢) فتح القدير٣/ ٢٨٨.

الفصل الخامس

الفصل الخامس

سورة الإسراء

<u>وفيه تمهيد وأربعة مباحث:</u>

۞ المبحث الأول: مقاصدها.

۞ المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها.

۞ المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها.

۞ المبحث الرابع: تناسب آياتها، وأثره في التفسير.

تمهيـــــد

سورة الإسراء

اسماؤها: سُمّيت في كثير من المصاحف سورة الإسراء . وصرح الآلوسي بأنها سُمّيت بذلك، إذ قد ذكر في أولها الإسراء بالنبي ﷺ اختصت بذكره .

وتُسمّى في عهد الصحابة سورة بني إسرائيل . ففي (جامع الترمذي) في (أبواب الدعاء) عن عائشة > قالت: (كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل)[١].

وفي (صحيح البخاري) عن عبدالله بن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: (إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي) [٢]. وبذلك ترجم لها البخاري في (كتاب التفسير) .

ووجه ذلك أنها ذكر فيها من أحوال بني إسرائيل ما لم يذكر في غيرها . وهو استيلاء قومٍ أولي بأس (الأشوريين[٣]) عليهم، ثم استيلاء قوم آخرين وهم (الروم) عليهم.

وتسمى أيضاً سورة سبحان، لأنها افتتحت بهذه الكلمة . قاله في بصائر ذوي

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الدعاء، باب ماجاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام رقم (٣٣٢٦).قال الآلباني في السلسلة الصحيحة٢/ ١٤٠ عن سند الحديث، وهذا إسناد جيد سكت عليه الحاكم والذهبي ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل رقم (٤٣٣٩).

(٣) الآشوريون استأصلوا الإسرائيليين الذين بالسامرة وخربوها ونقلوا بني إسرائيل إلى بلاد آشور عبيداً لهم، وأسكنوا بلاد السامرة فريقاً من الآشوريين، فمن يومئذ لم يبق لبني إسرائيل مُلك إلا مُلك يهوذا بأورشليم يتداوله أبناءُ سليمان عليه السلام.

انظر: التحرير والتنوير ١/ ٥٣٢.

التمييز[1].

نوعها: وهي مكية عند الجمهور . قيل: إلا آيتين منها، وهما ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ [الإسراء:٧٣] إلى قوله ﴿قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٦] . وقيل: إلا أربعاً، هاتين الآيتين، وقوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾ [الإسراء:٦٠] وقوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ الآية [الإسراء:٨٠] . وقيل: إلا خمساً، هاته الأربع، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ﴾ إلى آخر السورة [الإسراء:١٠٧] . وقيل: إلا خمس آيات غيرَ ما تقدم، وهي المبتدأة بقوله ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ الآية [الإسراء:٣٣]، وقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ الآية [الإسراء:٣٢]، وقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ [الإسراء:٥٧]، وقوله: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الآية [الإسراء:٧٨]، وقوله: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ الآية [الإسراء:٢٦] . وقيل إلا ثمانياً من قوله: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ [الإسراء:٧٣] إلى قوله ﴿سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٠] .

قال ابن عاشور: وأحسب أن منشأ هذه الأقوال أن ظاهر الأحكام التي اشتملت عليها تلك الأقوال يقتضي أن تلك الآي لا تناسب حالة المسلمين فيما قبل الهجرة، فغلب على ظن أصحاب تلك الأقوال أن تلك الآي مدنية .

ويظهر أنها نزلت في زمن كثرت فيه جماعة المسلمين بمكة، وأخذ التشريع المتعلق بمعاملات جماعتهم يتطرق إلى نفوسهم، فقد ذكرت فيها أحكام متتالية لم تذكر أمثال عددها في سورة مكية غيرها عدا سورة الأنعام، وذلك من قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣] إلى قوله: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء:٣٨][2]

(١) انظر: التحرير والتنوير ١٥/ ٥.

(٢) المرجع السابق.

ترتيبها بين السور: نزلت هذه السورة بعد سورة القصص، وقبل سورة يونس.

وعُدّت السورة الخمسين في تعداد نزول سورة القرآن [1].

عدد آياتها: وعدد آيها مائة وعشر في عد أهل العدد بالمدينة، ومكة، والشام، والبصرة . ومائة وإحدى عشرة في عد أهل الكوفة[2] ..

(١) المرجع السابق.

(٢) البيان في عد آي القرآن للداني ١/ ١٧٧.

المبحث الأول: مقاصدها

ذكر ابن عاشور مقاصد سورة الإسراء وأهم موضوعاتها، في مطلع حديثه عن السورة وتفسيرها، فقال: «العماد الذي أقيمت عليه أغراض هذه السورة إثبات نبوة محمد ﷺ

وإثبات أن القرآن وحيٌ من الله، وإثبات فضله وفضل من أنزل عليه، وذِكر أنه مُعجز .

ورد مطاعن المشركين فيه وفيمن جاء به، وأنهم لم يفقهوه فلذلك أعرضوا عنه .

وإبطال إحالتهم أن يكون النبي أسري به إلى المسجد الأقصى . فافتتحت بمعجزة الإسراء توطئة للتنظير بين شريعة الإسلام وشريعة موسى عليه الصلاة والسلام على عادة القرآن في ذكر المُثُل والنظاير الدينية، ورمزاً إلهياً إلى أن الله أعطى محمداً من الفضائل أفضل مما أعطى مَن قبله.

وأنه أكمل له الفضائل فلم يفته منها فائت . فمن أجل ذلك أَحَلَّهُ بالمكان المقدس الذي تداولته الرسل من قبل، فلم يستأثرهم بالحلول بذلك المكان الذي هو مَهبط الشريعة الموسوية، ورمزُ أطوار تاريخ بني إسرائيل وأسلافِهم، والذي هو نظير المسجد الحرام في أن أصل تأسيسه في عهد إبراهيم فأحل الله به محمداً عليه الصلاة والسلام بعد أن هُجِر وخرب إيماء إلى أن أمته تجدد مجده .

وأن الله مكنه من حرمي النبوة والشريعة، فالمسجد الأقصى لم يكن معموراً حين نزول هذه السورة وإنما عمرت كنائس حولَه، وأن بني إسرائيل لم يحفظوا حرمة المسجد الأقصى، فكان إفسادهم سبباً في تسلط أعدائهم عليهم وخراب المسجد الأقصى . وفي ذلك رمز إلى أن إعادة المسجد الأقصى ستكون على يد أمة هذا لرسول الذي أنكروا رسالته .

ثم إثبات دلائل تفرد الله بالإلهية، والاستدلال بآية الليل والنهار وما فيهما من

المنن على إثبات الوحدانية .

والتذكيرُ بالنعم التي سخرها الله للناس، وما فيها من الدلائل على تفرده بتدبير الخلق، وما تقتضيه من شكر المنعم وترك شكر غيره، وتنزيهه عن اتخاذ بنات له .

وإظهارُ فضائل من شريعة الإسلام وحكمته، وما علمه الله المسلمين من آداب المعاملة نحو ربهم سبحانه، ومعاملة بعضهم مع بعض، والحكمة في سيرتهم وأقوالهم، ومراقبة الله في ظاهرهم وباطنهم »[1].

ثم نورد ما ذكره البقاعي وسيد قطب من مقاصد، حتى تتضح الصورة الكاملة لأهم المقاصد والموضوعات الرئيسة للسورة .

قال البقاعي: «المقصود بها الإقبال على الله وحده، وخلع كل ما سواه، لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور، وتفضيل بعض الخلق على بعض، وذلك هو العمل بالتقوى »[2].

قال سيد قطب: «وتضم موضوعات شتى معظمها عن العقيدة؛ وبعضها عن قواعد السلوك الفردي والجماعي وآدابه القائمة على العقيدة؛ إلى شيء من القصص عن بني إسرائيل يتعلق بالمسجد الأقصى الذي كان إليه الإسراء . وطرف من قصة آدم وإبليس وتكريم الله للإنسان .

ولكن العنصر البارز في كيان السورة ومحور موضوعاتها الأصيل هو شخص الرسول ﷺ وموقف القوم منه في مكة . وهو القرآن الذي جاء به، وطبيعة هذا القرآن، وما يهدي إليه، واستقبال القوم له . واستطراد بهذه المناسبة إلى طبيعة الرسالة والرسل، وإلى امتياز الرسالة المحمدية بطابع غير طابع الخوارق الحسية وما يتبعها من هلاك المكذبين بها . وإلى تقرير التبعة الفردية في الهدى والضلال الاعتقادي، والتبعة

---

(١) التحرير والتنويربتصرف ١٥/ ٧-٨-٩

(٢) انظر: نظم الدرر ٤/ ٣٢٦، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ٢/ ٢٤٣

الجماعية في السلوك العملي في محيط المجتمع . . كل ذلك بعد أن يعذر الله سبحانه إلى الناس، فيرسل إليهم الرسل بالتبشير والتحذير والبيان والتفصيل ﴿وَكُلَّ شَىۡءٍ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلًا ﴾ [الإسراء:١٢]» (١).

(١) ظلال القرآن ٤/ ٢٢٠٨.

المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها

" تبدأ السورة بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء:١].

هذه المقدمة سارية المعنى في السورة كلها، " لأن العماد الذي أقيمت عليه أغراض هذه السورة إثبات نبوة محمد ﷺ، وإثبات أن القرآن وحيٌ من الله، وإثبات فضله وفضل من أنزل عليه، وذِكر أنه مُعجز .

ورد مطاعن المشركين فيه وفيمن جاء به، وأنهم لم يفقهوه فلذلك أعرضوا عنه، وإبطال إحالتهم أن يكون النبي أسري به إلى المسجد الأقصى . فافتتحت بمعجزة الإسراء توطئة للتنظير بين شريعة الإسلام، وشريعة موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على عادة القرآن في ذكر المُثُل والنظاير الدينية، ورمزاً إلهياً إلى أن الله أعطى محمداً من الفضائل أفضل مما أعطى مَن قبله"[1] .

ثم يكون ختام السورة بقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء:١١١].

" فكان صريح اتصافه بالحمد أنه تعالى متصف بجميع صفات الكمال، وصريح وصفه بنفي ما ذكر أنه منزه عن شوائب النقص وأنه أكبر من كل ما يخطر للعباد المطبوعين على النقص المجبولين على غرائز العجز، ... وذلك عين ما افتتحت به السورة من التنزيه وزيادة "[2]. وهو ما وافق مقصود السورة الذي دل عليه أولها وما جاء في أثنائها من معان دالة على تنزيه الله تعالى من كل عيب ونقص. والله أعل

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٧.

(٢) نظم الدرر ٤/ ٤٣٧.

المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها

ابن عاشور لم يتعرض للمناسبات بين السور، لأنه يرى أن البحث في هذا الأمر ليس حقا على المفسر فيقول في مقدمة كتابه « أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقا على المفسر»[1].

وكذلك نعرض نحن عن هذا في هذا المبحث .

(١) التحرير والتنوير ١/ ٨

المبحث الرابع: تناسب آياتها وأثره في التفسير

١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢ ﴾ [الإسراء:٢].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف على جملة ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾[الإسراء:١] إلخ... فهي ابتدائية. والتقدير: الله أسرى بعبده محمد ﷺ، وآتى موسى الكتاب، فهما منتان عظيمتان على جزء عظيم من البشر. وهو انتقال إلى غرض آخر لِمناسبة ذكر المسجد الأقصى. فإن أطوار المسجد الأقصى تمثل ما تطور به حالُ بني إسرائيل في جامعتهم من أطوار الصلاح والفساد، والنهوض والركود، ليعتبر بذلك المسلمون فيقتدوا أو يحذروا.

ولمناسبة قوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾[الإسراء:١] فإن من آيات الله التي أوتيها النبي آيةَ القرآن، فكان ذلك في قوة أن يقال: وآتيناه القرآن وآتينا موسى الكتاب (أي التوراة)، كما يشهد به قوله بعد ذلك ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:٩] أي للطريقة التي هي أقوم من طريقة التوراة وإن كان كلاهما هُدى، على ما في حالة الإسراء بالنبي عليه الصلاة والسلام ليلاً، ليرى من آيات الله تعالى من المناسبة لحالة موسى عليه السلام حين أوتي النبوة، فقد أوتي النبوة ليلاً وهو سار بأهله من أرض مدين إذ آنس من جانب الطور ناراً، ولحاله أيضاً حين أسري به إلى مناجاة ربه بآيات الكتاب»(1).

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: «ذكر الله تعالى في الآية الأولى إكرامه محمداً ﷺ بأن أسرى به وذكر في هذه الآية أنه أكرم موسى عليه الصلاة والسلام قبله بالكتاب الذي آتاه فقال:

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٢٤

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني التوراة: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى﴾ أي يخرجهم بواسطة ذلك الكتاب من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والدين الحق»[(١)].

قال أبو حيان: « ولما ذكر تشريف الرسول ﷺ بالإسراء وإراءته الآيات ذكر تشريف موسى بإيتائه التوراة»[(٢)].

قال الزركشي: « قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[الإسراء:١] إلى أن قال ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾[الإسراء:٢] فإنه قد يقال: أي رابط بين الإسراء و﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾؟ ووجه اتصالها بما قبلها أن التقدير: أطلعناه على الغيب عيانا وأخبرناه بوقائع من سلف بيانا، لتقوم أخباره على معجزته برهانا أي سبحان الذي أطلعك على بعض آياته، لتقصها ذكرا، وأخبرك بما جرى لموسى وقومه في الكرتين، لتكون قصتهما آية أخرى، أو أنه أسرى بمحمد إلى ربه كما أسرى بموسى من مصر حين خرج منها خائفا يترقب».[(٣)]

قال الآلوسي: «وعقب آية الإسراء بهذه استطراداً تمهيداً لذكر القرآن، والجامع أن موسى عليه السلام أعطى التوراة بمسيره إلى الطور وهو بمنزلة معراجه، لأنه منح ثمت التكليم وشرف باسم الكليم، وطلب الرؤية مدمجاً فيه تفاوت ما بين الكتابين ومن أنزلا عليه»[(٤)].

قال الأمين الشنقيطي: « لما بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة عظم شأن نبيه محمد ﷺ، ذكر عظم شأن موسى بالكتاب العظيم، الذي أنزله إليه، وهو التوراة. مبيناً أنه جعله هدىً لبني إسرائيل. وكرر جلا علا هذا المعنى في القرآن. كقوله: ﴿ وَلَقَدْ

---

(١) مفاتيح الغيب٢٠/ ٢٩٩

(٢) البحر المحيط٦/ ٧

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٣، ٤٢

(٤) روح المعاني٨/ ١٥.

ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٣-٢٤] »[1].

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن في الربط بين الآيتين وجهين:

الأول: أن الله أسرى بعبده محمد ﷺوآتى موسى الكتاب، فهما منتان عظيمتان على جزء عظيم من البشر .

وبهذا المعنى قال الرازي، وأبو حيان، والشنقيطي .

الثاني: وهو انتقال إلى غرض آخر لِمناسبة ذكر المسجد الأقصى . فإن أطوار المسجد الأقصى تمثل ما تطور به حالُ بني إسرائيل في جامعتهم من أطوار الصلاح والفساد، والنهوض والركود، ليعتبر بذلك المسلمون فيقتدوا، أو يحذروا .

وهذا القول فيه تكلف وبعد .

والزركشي ذكر وجه آخرحيث قال: وأخبرك بما جرى لموسى وقومه في الكرتين، لتكون قصتها آية أخرى .

وذكر قول آخر، أنه أسرى بمحمد إلى ربه كما أسرى بموسى من مصر حين خرج منها خائفا يترقب

والآلوسي يرى أنه عقب آية الإسراء بهذه استطراداً تمهيداً لذكر القرآن، والجامع أن موسى عليه السلام أعطى التوراة بمسيره إلى الطور وهو بمنزلة معراجه ﷺ الى السماء.

ومن خلال التأمل يظهرأن ماذهب إليه ابن عاشورفي الوجه الأول أنسب وأولى، لأن الآية يظهر فيها الامتنان فلذلك كان هذا الربط لطيفاً. والله أعلم .

---

(١) أضواء البيان ٤/ ٤٠٢.

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾ [الإسراء:٤-٥].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف على جملة ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾[الإسراء:٢] أي آتينا موسى الكتاب هُدى، وبينا لبني إسرائيل في الكتاب ما يحل بهم من جراء مخالفة هدي التوراة إعلاماً لهذه الأمة بأن الله لم يدخر أولئك إرشاداً ونصحاً، فالمناسبة ظاهرة»(١).

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما ذكر إنعامه على بني إسرائيل بإنزال التوراة عليهم، وبأنه جعل التوراة هدى لهم، بين أنهم ما اهتدوا بهداه، بل وقعوا في الفساد فقال: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾»(٢).

قال البقاعي: «ثم أتبع ذلك ما يدل على شرف كتاب موسى وصحة نسبته إليه تعالى بما يقتضي شمول العلم وتمام القدرة بما كشف عنه الزمان من صدق إخباره، وفظاعة وعيده وإنذاره، تنبيهاً على أن من كذب بكتابه أهلكه كائناً من كان وإن طال إمهاله، فلا تغتروا بحلمه لأن الملوك لا تقر على أمر يقدح في ملكها، فقال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ﴾»(٣).

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي بيان لبني إسرائيل في الكتاب ما يحل بهم من جراء مخالفة هدي التوراة إعلاماً لهذه الأمة بأن الله لم يدخر

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٢٨

(٢) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٣٠٣

(٣) نظم الدرر ٤/ ٣٣٥.

أولئك إرشاداً ونصحاً.

وبهذا المعنى، قال الرازي .

وأما البقاعي فيرى أن المناسبة هي تنبيهُ على أن من كذب بكتابه أهلكه كائناً من كان وإن طال إمهاله.

ومن خلال تأمل ماسبق بيانه، يظهرأن كل ما ذكر قول حسن وجيد في المناسبة، وله أثره في التفسير، والربط بين الآيتين، ولامانع من ذكر أكثر من مناسبة للآية الكريمة، ولا تتزاحم المناسبات، ولعل قول ابن عاشور ومن وافقه أدق في بيان التناسب، لأن هذه المناسبة منسجمة مع سياق الآيات في الحديث عن بني إسرائيل فلذلك كان الربط لطيفاً وحسناً، ولا نجزم أن هذه المناسبة مراد الله تعالى، غاية الأمر أن هذا ما أداه إليه اجتهاده ونظره وتدبره . والله أعلم .

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء:١١].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«موقع هذه الآية هنا غامض، وانتزاع المعنى من نظمها وألفاظها أيضاً، ولم يأت فيها المفسرون بما ينثلج له الصدر . والذي يظهر لي أن الآية التي قبلها لما اشتملت على بشارة وإنذار وكان المنذرون إذا سمعوا الوعيد والإنذار يستهزؤن به ويقولون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[يونس:٤٨] عُطف هذا الكلام على ما سبق تنبيهاً على أن لذلك الوعد أجلاً مسمى »[1] .

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: « اعلم أن وجه النظم هو أن الإنسان بعد أن أنزل الله عليه القرآن وخصه بهذه النعمة العظيمة والكرامة الكاملة، قد يعدل عن التمسك بشرائعه والرجوع إلى بياناته، ويقدم على ما لا فائدة فيه فقال: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾»[2] .

قال البقاعي: « ولما ذكر سبحانه ما لكلامه من الدعاء إلى الأقوام، أتبعه ما عليه الإنسان من العوج الداعي له إلى العدول عن التمسك بشرائعه القويمة والإقدام على ما لا فائدة فيه، تنبيهاً على ما يجب عليه من التأني للنظر فيما يدعو إليه نفسه ووزنه بمعيار الشرع، فقال تعالى: ﴿وَيَدْعُ﴾»[3] .

قال أبو السعود: « وقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ بيانٌ لحال المهديِّ إثرَ بيان

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٤٢

(٢) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٣٠٥.

(٣) نظم الدرر ٤/ ٣٦٥.

حالِ الهادي، وإظهارٌ لما بينهما من التباين»[1].

قال أبو حيان: «ومناسبتها لما قبلها أن بعض من لا يؤمن بالآخرة كان يدعو على نفسه بتعجيل ما وعد به من الشر في الآخرة، كقول النضر: ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً﴾ [الأنفال:٣٢] الآية»[2].

قال الآلوسي: «وأما اتصال قوله تعالى: ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ الخ فهو أنه سبحانه لما وصف القرآن حتى بلغ به الدرجة القصوى في الهداية أتى بذكر من أفرط في كفران هذه النعمة العظيمة قائلاً ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ﴾ [الأنفال:٣٢] الخ .

ومثل هذا ما قيل إنه تعالى بعد أن وصف القرآن بما وصف ذم قريشاً بعدم سؤالهم الهداية به وطلبهم إنزال الحجارة عليهم أو إيتاء العذاب الأليم إن كان حقاً، وفي «الكشف» أن قوله تعالى: ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ الخ بيان أن القرآن يهديهم للتي هي أقوم ويأبون إلا التي هي ألوم وهو وجه للربط مطلقاً وكل ما ذكروه في ذلك متقارب»[3].

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي أن الآية التي قبلها لما اشتملت على بشارة وإنذار وكان المنذرون إذا سمعوا الوعيد والإنذار يستهزئون به، عُطف هذا تنبيهاً على أن لذلك الوعد أجلاً مسمى .

وأما أبو حيان فيرى أن المناسبة هي أن بعض من لا يؤمن بالآخرة كان يدعو على نفسه بتعجيل ما وعد به من الشر في الآخرة

وبهذا المعنى قال الآلوسي

وأما أبو السعود فيرى أن المناسبة هي بيانٌ لحال المهديِّ إثرَ بيان حالِ الهادي،

---

(١) إرشاد العقل السليم٥/ ١٥٨.

(٢) البحر المحيط٦/ ١٢.

(٣) روح المعاني٨/ ٢٣.

وإظهارٌ لما بينهما من التباين

وأما الرازي فيرى أن المناسبة هي أن الإنسان بعد أن أنزل الله عليه القرآن، قد يعدل عن التمسك بشرائعه ويقدم على ما لا فائدة فيه.

وبهذا المعنى، قال البقاعي.

ومن خلال التأمل فإن فكرة ابن عاشور تركز على قوله عجولا ولم تذكر ما هو أهم في بيان المناسبة وهي العلاقة بين الآية السابقة وقوله ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَـٰنُ﴾ وهذا قصور كبير في الفكرة ، ولكن أبا حيان والألوسي أشارا إلى ذلك.والله أعلم .

- **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء:١٢].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف على ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾[الإسراء:١١]، الخ. والمناسبة أن جملة ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ تتضمن أن الإبطاء تأخير الوعد لا يرفعه وأن الاستعجال لا يجدي صاحبه لأن لكل شيء أجلاً، ولما كان الأجل عبارة عن أزمان كان مشتملاً على ليلٍ ونهارٍ متقضّييَنْ. وهذا شائع عند الناس في أن الزمان مُتقض وإن طال.

فلما أريد التنبيه على ذلك أدمج فيه ما هو أهم في العبرة بالزمنين وهو كونهما آيتين على وجود الصانع وعظيم القدرة، وكونهما منتين على الناس، وكون الناس ربما كرهوا الليل لظلمته، واستعجلوا انقضاءه بطلوع الصباح في أقوال الشعراء وغيرهم، ثم بزيادة العبرة في أنهما ضدان، وفي كل منهما آثار النعمة المختلفة وهي نعمة السير في النهار. واكتفي بعدِّها عن عدّ نعمة السكون في الليل لظهور ذلك بالمقابلة، وبتلك المقابلة حصلت نعمة العلم بعدد السنين والحساب لأنه لو كان الزمن كله ظلمةً أو كله نوراً لم يحصل التمييز بين أجزائه.

وفي هذا بعد ذلك كله إيماء إلى ضرب مثل للكُفر والإيمان، وللضلال والهدى، فلذلك عُقب به قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الإسراء:٢] الآية، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩] إلى قوله: ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا﴾ [الإسراء:١٠]، ولذلك عقب بقوله بعده ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ﴾ الآية [الإسراء:١٥]. وكل هذا الإدماج تزويد للآية بوافر المعاني شأن بلاغة القرآن وإيجازه»[(١)].

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٤٣

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: « في تقرير النظم وجوه:

الوجه الأول: أنه تعالى لما بين في الآية المتقدمة ما أوصل إلى الخلق من نعم الدين وهو القرآن أتبعه ببيان ما أوصل إليهم من نعم الدنيا فقال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ وكما أن القرآن ممتزج من المحكم والمتشابه[1]، فكذلك الدهر مركب من النهار والليل . فالمحكم كالنهار، والمتشابه كالليل، وكما أن المقصود من التكليف لا يتم إلا بذكر المحكم والمتشابه، فكذلك الوقت والزمان لا يكمل الانتفاع به إلا بالنهار والليل .

والوجه الثاني: في تقرير النظم أنه تعالى لما بين في الآية المتقدمة أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، وذلك الأقوم ليس إلا ذكر الدلائل الدالة على التوحيد والنبوة، ثم أردفه بذكر دلائل التوحيد، وهو عجائب العالم العلوي والسفلي

الوجه الثالث: أنه لما وصف الإنسان بكونه عجولاً أي منتقلاً من صفة إلى صفة ومن حالة إلى حالة، بين أن كل أحوال هذا العالم كذلك، وهو الانتقال من النور إلى الظلمة وبالضد، وانتقال نور القمر من الزيادة إلى النقصان وبالضد، والله أعلم»[2].

قال أبو السعود: «﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ شروعٌ في بيان بعضِ وجوه ما ذُكر من الهداية بالإرشاد إلى مسلك الاستدلالِ بالآيات والدلائلِ الآفاقية التي كلُّ واحدة منها برهانٌ نيّرٌ لا ريب فيه ومنهاجٌ بيِّنٌ لا يضِلّ من ينتحيه، فإن الجعلَ المذكورَ وما عُطف عليه من محو آيةِ الليل وجعلِ آيةِ النهار مبصرةً وإن كانت من الهدايات

(١) قال ابن عطية « والمحكمات، المفصلات المبينات الثابتات الأحكام، والمتشابهات هي التي فيها نظر وتحتاج إلى تأويل ويظهر فيها ببادىء النظر إما تعارض مع أخرى أو مع العقل، إلى غير ذلك من أنواع التشابه» انظر: المحرر الوجيز ١/ ٤٠٠.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٣٠٨

التكوينية لكن الإخبارَ بذلك من الهدايات القرآنية المنبّهة على تلك الهداياتِ»[1].

قال البقاعي: « ولما ثبت ما لصفته تعالى من العلو، ولصفة الإنسان من السفول تلاه بما لأفعاله تعالى من الإتقان، ذاكراً ما هو الأقوم من دلائل التوحيد والنبوة في العالمين: العلوي والسفلي، ثم ما لأفعال الإنسان من العوج جرياً مع طبعه، أو من الإحسان بتوفيق اللطيف المنان، فقال تعالى مبيناً ما منحهم به من نعم الدنيا بعد ما أنعم عليهم به من نعم الدين »[2].

قال أبو حيان: « لما ذكر تعالى القرآن وأنه هاد إلى الطريقة المستقيمة ذكر ما أنعم به مما لم يكمل الانتفاع إلاّ به، وما دل على توحيده من عجائب العالم العلوي، وأيضاً لما ذكر عجلة الإنسان وانتقاله من حال إلى حال ذكر أن كل هذا العالم كذلك في الانتقال لا يثبت على حال، فنور عقب ظلمة وبالعكس، وازدياد نور وانتقاص »[3].

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي أن الأجل عبارة عن أزمان مشتملاً على ليل ونهارٍ متقضّييَنْ، وأنهما آيتين على وجود الصانع وعظيم القدرة.

و أما الرازي فذكر ثلاثة أوجه للربط بين الآيتين وهي:

الوجه الأول: ذكرنعم الدنيا وكما أن القرآن ممتزج من المحكم والمتشابه، فكذلك الدهر مركب من النهار والليل . فالمحكم كالنهار، والمتشابه كالليل . وهذا فيه من التكلف مالايخفى، لأن تشبيه المحكم بالنهار والمتشابه باليل فيه تكلف ظاهر.

وبهذا المعنى، قال أبوحيان ، والبقاعي.

والوجه الثاني: ذكر دلائل التوحيد، وهو عجائب العالم العلوي والسفلي .

وبهذا المعنى، قال البقاعي، وأبوالسعود.

---

(١) إرشاد العقل السليم٥/ ١٥٩.

(٢) نظم الدرر ٤/ ٣٦٦.

(٣) البحر المحيط٦/ ١٣.

الوجه الثالث: أنه لما وصف الإنسان بكونه عجولاً أي منتقلاً من صفة إلى صفة ومن حالة إلى حالة، بين أن كل أحوال هذا العالم كذلك .

ومن خلا ل تأمل ماسبق بيانه، أن بعض المناسبات لاتخلوا من تكلف بين وواضح لذي عينين، ولكن الأنسب والذي تميل اليه النفس الوجه الثاني الذي ذكره الرازي فهو أليق بارتباط أجزاء الآية، وأولى بنظم الكلام. والله اعلم

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها الى التفسير، حيث إنفرد بهذه المناسبة التي تفيد بأن الأجل عبارة عن أزمان مشتملاً على ليل ونهارٍ متقضّييَنْ، وأنهما آيتين على وجود الصانع وعظيم القدرة .وهذه من تفرداته التي لم يسبق إليها، والله أعلم .

٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء:١٣-١٤].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لما كان سياق الكلام جارياً في طريق الترغيب في العمل الصالح والتحذير من الكفر والسيئات ابتداء من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الإسراء:٩] إلى قوله تعالى: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[الإسراء:١٠] وما عقبه مما يتعلق بالبشارة والنذارة وما أدمج في خلال ذلك من التذكير ثم بما دل على أن علم الله محيط بكل شيء تفصيلاً، وكان أهم الأشياء في هذا المقام إحاطة علمه بالأعمال كلها، فأعقب ذكر ما فصله الله من الأشياء بالتنبيه على تفصيل أعمال الناس تفصيلاً لا يقبل الشك، ولا الإخفاء وهو التفصيل المشابه للتقييد بالكتابة فعطف قوله: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ ﴾ إلخ على قوله: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء:١٢] عطف خاص على عام للاهتمام بهذا الخاص. والمعنى: وكل إنسان قدرنا له عمله في علمنا فهو عامل به لا محالة، وهذا من أحوال الدنيا»(١).

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: « في كيفية النظم وجوه:

الوجه الأول: أنه تعالى لما قال: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ كان معناه أن كل ما يحتاج إليه من دلائل التوحيد والنبوة والمعاد فقد صار مذكوراً. وكل ما يحتاج إليه من شرح أحوال الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، فقد صار مذكوراً. وإذا كان الأمر كذلك فقد أزيحت الأعذار، وأزيلت العلل فلا جرم كل من ورد عرصة القيامة فقد ألزمناه طائره في عنقه ونقول له: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤].

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٤٦

الوجه الثاني: أنه تعالى لما بين أنه أوصل إلى الخلق أصناف الأشياء النافعة لهم في الدين والدنيا، مثل آيتي الليل والنهار وغيرهما كان منعماً عليهم بأعظم وجوه النعم . وذلك يقتضي وجوب اشتغالهم بخدمته وطاعته فلا جرم كل من ورد عرصة القيامة فإنه يكون مسؤولاً عن أعماله وأقواله .

الوجه الثالث: في تقرير النظم أنه تعالى لما بين أنه ما خلق الخلق إلا ليشتغلوا بعبادته كما قال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦] فلما شرح أحوال الشمس والقمر والليل والنهار، كان المعنى: إني إنما خلقت هذه الأشياء لتنتفعوا بها فتصيروا متمكنين من الاشتغال بطاعتي وخدمتي، وإذا كان كذلك فكل من ورد عرصة القيامة سألته أنه هل أتى بتلك الخدمة والطاعة، أو تمرد وعصى وبغى، فهذا هو الوجه في تقرير النظم»[(١)].

قال البقاعي: « ولما كان هذا أمراً دقيقاً جداً، أتبعه ما هو أدق منه وأغرب في القدرة والعلم من تفاصيل أحوال الآدميين، بل كل مكلف بعضها من بعض من قبل أن يخلقهم، فقال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ ﴾»[(٢)].

ومن خلال ما سبق يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي تفصيل أعمال الناس تفصيلاً لا يقبل الشك ولا الإخفاء، وهو التفصيل المشابه للتقييد بالكتابة.

أما الرازي فيرى في الربط بين الآيتين وجوه:

الوجه الأول: أن كل ما يحتاج إليه من دلائل التوحيد والنبوة والمعاد فقد صار مذكوراً . وإذا كان الأمر كذلك فقد أزيحت الأعذار، فلا جرم كل من ورد عرصة القيامة فقد ألزمناه طائره في عنقه .

الوجه الثاني: أنه تعالى لما بين أنه أوصل إلى الخلق أصناف الأشياء النافعة لهم،

(١) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٣١١.

(٢) نظم الدرر ٤/ ٣٦٧.

وذلك يقتضي وجوب اشتغالهم بخدمته وطاعته، فلا جرم كل من ورد عرصة القيامة فإنه يكون مسؤولاً عن أعماله وأقواله .

الوجه الثالث: أنه تعالى لما بين أنه ما خلق الخلق إلا ليشتغلوا بعبادته فلما شرح أحوال الشمس، والقمر، والليل، والنهار، وإذا كان كذلك فكل من ورد عرصة القيامة سألته أنه هل أتى بتلك الخدمة والطاعة، أو تمرد وعصى وبغى

وأما البقاعي يرى أن المناسبة هي أنه لما كان هذا أمراً دقيقاً جداً، أتبعه ما هو أدق منه وأغرب في القدرة والعلم من تفاصيل أحوال الآدميين .

ومن خلال ما سبق بيانه، بعض هذه الوجوه لايخلوا من تكلف، ولكن الأنسب والذي تميل إليه النفس الوجه الثاني الذي ذكره الرازي، فهو أليق بارتباط أجزاء الآية، وأولى بنظم الكلام . والله أعلم .

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين، ولم يسبق إليها، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها.

٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء:٢١].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لما كان العطاء المبذول للفريقين هو عطاء الدنيا، وكان الناس مفضلين فيه على وجه يدركون حكمته لفت الله لذلك نظر نبيه عليه الصلاة والسلام لَفْتَ اعتبار وتدبر، ثم ذَكَّرَهُ بأن عطاء الآخرة أعظم عطاء، وقد فضل الله به المؤمنين، والأمر بالنظر موجه إلى النبي ﷺ ترفيعاً في درجات علمه ويحصل به توجيه العبرة إلى غيره، والمقصود من هذا التنظير التنبيه إلى أن عطاء الدنيا غير منوط بصلاح الأعمال؛ ألا ترى إلى ما فيه من تفاضل بين أهل العمل المتحد، وقد يفضل المسلم فيه الكافر، ويفضل الكافر المسلم، ويفضل بعض المسلمين بعضاً، وبعض الكفرة بعضاً، وكفاك بذلك هادياً إلى أن مناط عطاء الدنيا أسباب ليست من وادي العمل الصالح، ولا مما يساق إلى النفوس الخيرة»[1].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال البقاعي: « ثم أمر بالنظر في عطائه هذا على وجه مرغب في الآخرة مزهد في الدنيا، فقال تعالى آمراً بالاعتبار»[2].

قال أبو السعود: « توضيحُ ما مر من الإمداد وعدمِ محظوريةِ العطاء بالتنبيه على استحضار مراتبِ أحد العطاءين والاستدلالِ بها على مراتب الآخر، أي انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضَهم على بعض فيما أمددناهم به من العطايا العاجلة، فمِنْ وضيع ورفيع، وضَالعٍ وضليع، ومالكٍ ومملوكٍ، ومُوسرٍ وصُعلوكٍ تعرِفْ بذلك

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٦٣

(٢) نظم الدرر ٤/ ٣٧٢.

مراتبَ العطايا الآجلةِ، ودرجاتِ تفاضل أهلِها على طريقة الاستشهاد بحال الأدنى على حال الأعلى»[1].

ومن هذا النقل فإن المناسبة المتفق عليها بينهم هي أنه لما بين كيف فضل بعضَهم على بعض فيما أمدداهم به من العطايا العاجلة ذكره بأن عطاء الآخرة أعظم عطاء. وكلامهم يدور في هذا المحور. والله أعلم .

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) إرشاد العقل السليم ٥/ ١٦٥.

٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء:٢٦].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«والجملة معطوفة على جملة ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]؛ لأنها من جملة ما قضى الله به»(١).

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: «أنه خطاب للكل والدليل عليه أنه معطوف على قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣] والمعنى: أنك بعد فراغك من بر الوالدين، يجب أن تشتغل ببر سائر الأقارب الأقرب فالأقرب، ثم بإصلاح أحوال المساكين وأبناء السبيل»(٢).

قال البقاعي: «ولما حث على الإحسان إليهما بالخصوص، عم بالأمر به لكل ذي رحم وغيره، فقال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ من جهة الأب، أو الأم وإن بعد»(٣).

قال أبو السعود: «﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي ذا القرابةِ ﴿حَقَّهُۥ﴾ توصيةٌ بالأقارب إثرَ التوصية ببرّ الوالدين، ولعل المرادَ بهم المحارمُ وبحقهم النفقةُ كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ فإن المأمورَ به في حقهما المواساةُ الماليةُ لا محالة أي وآتِهما حقَّهما مما كان مفترَضاً بمكةَ بمنزلة الزكاة.»(٤)

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٧٦.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٣٢٩.

(٣) نظم الدرر ٤/ ٣٧٦.

(٤) إرشاد العقل السليم ٥/ ١٦٧.

قال أبو حيان: « لما أمر الله تعالى ببر الوالدين، أمر بصلة القرابة »[1].

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي أن هذه الأمور المذكورة في الآية من جملة ما قضى الله به.

بهذا المعنى وحاصله قال الرازي ، والبقاعي ، وأبو السعود ، وأبو حيان.

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثرهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) البحر المحيط ٦/ ٢٧.

٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومًا مَّحۡسُورًا ٢٩﴾ [الإسراء:٢٩].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عود إلى بيان التبذير والشح، فالجملة عطف على جملة ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾[الإسراء:٢٦]. ولولا تخلل الفصل بينهما بقوله؛ ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾[الإسراء:٢٨] الآية لكانت جملة ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ غير مقترنة بواو العطف، لأن شأن البيان أن لا يعطف على المبين، وأيضاً على أن في عطفها اهتماماً بها يجعلها مستقلة بالقصد، لأنها مشتملة على زيادة على البيان بما فيها من النهي عن البخل المقابل للتبذير .

وقد أتت هذه الآية تعليماً بمعرفة حقيقة من الحقائق الدقيقة فكانت من الحكمة. وجاء نظمها على سبيل التمثيل فصيغت الحكمة في قالب البلاغة.

فأما الحكمة فقد بينت أن المحمود في العطاء هو الوسط الواقع بين طرفي الإفراط والتفريط، وهذه الأوساط هي حدود المحامد بين المذام من كل حقيقة لها طرفان . وقد تقرر في حكمة الأخلاق أن لكل خلق طرفين ووسطاً، فالطرفان إفراط وتفريط، ، وكلاهما مقر مفاسد للمصدر وللمورد، وأن الوسط هو العدل، فالإنفاق والبذل حقيقة أحد طرفيها الشح وهو مفسدة للمحاويج ولصاحب المال إذ يجر إليه كراهية الناس إياه وكراهيتهم له . والطرف الآخر التبذير والإسراف، وفيه مفاسد لذي المال وعشيرته، لأنه يصرف ماله عن مستحقه إلى مصارف غير جديرة بالصرف، والوسط هو وضع المال في مواضعه وهو الحد الذي عبر عنه في الآية بنفي حالين بين (لا) و(لا) »[1].

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٨٤

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما أمره بالإنفاق في الآية المتقدمة علمه في هذه الآية أدب الإنفاق»[1].

قال البقاعي: «ولما أمر بالجود الذي هو لازم الكرم، نهى عن البخل الذي هو لازم اللوم، في سياق ينفر منه ومن الإسراف، فقال ممثلاً بادئاً بمثال الشح: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ﴾ بالبخل ﴿مَغۡلُولَةً﴾ أي كأنها بالمنع مشدودة بالغل ﴿إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ لا تستطيع مدها ﴿وَلَا تَبۡسُطۡهَا﴾ بالبذل ﴿كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ فتبذر ﴿فَتَقۡعُدَ﴾ أي توجد كالمقعد، بالقبض ﴿مَلُومًا﴾ أي بليغ الرسوخ فيما تلام بسببه عند الله، ، وعند الناس، ﴿مَّحۡسُورًا﴾ منقطعاً بك لذهاب ما تقوى به وانحساره عنك، وكل من الحالتين مجاوز لحد الاعتدال»[2].

ذكر ابن عاشورأن المناسبة هي النهي عن البخل المقابل للتبذير .

وبهذا المعنى، قال البقاعي .

أما الرازي ذكر أن المناسبة هي لما أمره بالإنفاق في الآية المتقدمة علمه في هذه الآية أدب الإنفاق

وعلى كل، فكل ما ذكر قول جيد وحسن في التناسب، ولامانع من تعدد المناسبات فالقران مبني على تعدد الدلالة، والمناسبات متقاربة، لأن النهي عن البخل من جملة آداب الإنفاق. والله أعلم .

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٣٣٠

(٢) نظم الدرر ٤/ ٣٧٧.

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثر بهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف هذا النهي على النهي عن وأد البنات إيماء إلى أنهم كانوا يعدون من أعذارهم في وأد البنات الخشية من العار الذي قد يلحق من جراء إهمال البنات الناشىء عن الفقر الرامي بهن في مهاوي العهر، ولأن في الزنى إضاعة نسب النسل بحيث لا يعرف للنسل مرجع يأوي إليه وهو يشبه الوأد(١) في الإضاعة»(٢).

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما أمر بالأشياء الخمسة التي تقدم ذكرها، وحاصلها يرجع إلى شيئين: التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، أتبعها بذكر النهي عن أشياء. أولها: أنه تعالى نهى عن الزنا فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾»(٣).

قال أبو السعود: «وتوسيطُ النهي عنه بين النهي عن قتل الأولادِ، والنهي عن قتل النفسِ المحرمة على الإطلاق باعتبار أنه قتلٌ للأولاد لِما أنه تضييعٌ للأنساب، فإن من لم يثبُتْ نسبُه ميِّتٌ حكماً»(٤).

قال البقاعي: «ولما كان في قتل الأولاد حظ من البخل، وفي فعل الزنا داعٍ من الإسراف، أتبعه به فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟﴾»(٥).

---

(١) وأَدَ ابنتَهُ يَئِدُها وأْداً دَفَنها في القبر وهي حية مخافة العار والحاجة. انظر: لسان العرب ٣/ ٤٤٢.

(٢) التحرير والتنوير ١٥/ ٨٩.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٣٣٣.

(٤) إرشاد العقل السليم ٥/ ١٦٩.

(٥) نظم الدرر ٨/ ٤٣٧.

قال أبو حيان: « لما نهى تعالى عن قتل الأولاد نهى عن التسبب في إيجاده من الطرق غير المشروعة، فنهى عن قربان الزنا واستلزم ذلك النهي عن الزنا»(1).

ذكر ابن عاشورأن المناسبة هي النهي عن وأد البنات إيماء إلى أنهم كانوا يعدون من أعذارهم في وأد البنات الخشية من العار الذي قد يلحق من جراء إهمال البنات الناشىء عن الفقر الرامي بهن في مهاوي العهر، ولأن في الزنى إضاعة نسب النسل بحيث لا يعرف للنسل مرجع يأوي إليه وهو يشبه الوأد في الإضاعة .

وبهذا المعنى، قال أبوحيان.

أما الرازي ذكر في المناسبة كلاما عاما من أنه سبحانه لما أمر في الآيات السابقة بأوامرأتبعها ببعض النواهي .

وأما أبو السعود يرى أن المناسبة هي أن توسيطُ النهي عنه بين النهي عن قتل الأولادِ، والنهي عن قتل النفسِ المحرمة على الإطلاق باعتبار أنه قتلٌ للأولاد لِما أنه تضييعٌ للأنساب

وأما البقاعي فأفادنا بمناسبة جديدة وهي أنه لما كان في قتل الأولاد حظ من البخل، وفي فعل الزنا داعٍ من الإسراف، أتبعه به.

والذي يظهرأن ماذكره ابن عاشورومن وافقه أنسب وأولى، لأنه أليق بارتباط أجزاء الآية، وأولى بنظم الكلام. والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(1) البحر المحيط ٦/ ٣٠.

١٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الإسراء:٤٠].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«تفريع على مقدر يدل على تقديره المفرع عليه . والتقدير: أفضلكم الله فأعطاكم البنين وجعل لنفسه البنات.

ومناسبته لما قبله أن نسبة البنات إلى الله ادعاء آلهة تنتسب إلى الله بالبنوة، إذ عبد فريق من العرب الملائكَة كما عبدوا الأصنام، واعتلوا لعبادتهم بأن الملائكة بنات الله تعالى كما حكى عنهم في قوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾[الزخرف:١٩] إلى قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم﴾[الزخرف:٢٠] فلما نهوا عن أن يجعلوا مع الله إلهاً آخر خصص بالتحذير عبادة الملائكة لئلا يتوهموا أن عبادة الملائكة ليست كعبادة الأصنام، لأن الملائكة بنات الله، ليتوهموا أن الله يرضى بأن يعبدوا أبناءه .

وقد جاء إبطال عبادة الملائكة بإبطال أصلها في معتقدهم، وهو أنهم بنات الله، فإذا تَبَيّنَ بطلان ذلك علموا أن جعلهم الملائكة آلهة يساوي جعلهم الأصنام آلهة »[1].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: « فاعلم أنه تعالى لما نبه على فساد طريقة من أثبت لله شريكاً ونظيراً نبه على طريقة من أثبت له الولد وعلى كمال جهل هذه الفرقة، وهي أنهم اعتقدوا أن الولد قسمان؛ فأشرف القسمين البنون، وأخسهما البنات . ثم إنهم أثبتوا البنين لأنفسهم مع علمهم بنهاية عجزهم ونقصهم، وأثبتوا البنات لله مع علمهم بأن الله تعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له والجلال الذي لا غاية له، وذلك يدل على

(١) التحرير والتنوير١٥/ ١٠٧.

نهاية جهل القائل بهذا القول ونظيره قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾[الطور:٣٩] وقوله ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾[النجم:٢١] »[1].

قال البقاعي: « ولما كان ادعاؤهم أن الملائكة بنات الله ادعاء لأن له مناسباً ومجانساً في أخص الصفات وهي الإلهية، وكانت عبادتهم لهم تحقيقاً لذلك، وكان ذلك أزيد من مجرد الشرك في الجهل، ساقه مساق التقريع والتوبيخ تنبيهاً على ظهور فساده متصلاً بما مضى من النهي عن الشرك بالعطف بفاء السبب على { ما } بعد الاستئناف بهمزة الإنكار، فكان كأنه قيل: لا تفعل ذلك كما فعل هؤلاء الذين أفرطوا في الجهل، فنسبوا إليه من خلقه أدنى الجزأين كما تقدم في النحل في قوله تعالى﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ ﴾[النحل:٥٧] ثم عبدوا ذلك الجزء وهم لا يرضونه لأنفسهم؛ ثم التفت إليهم مخاطباً بما دل على تناهي الغضب فقال: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم ﴾[الإسراء:٤٠]»[2].

قال أبو حيان: « لما نبه تعالى على فساد من أثبت لله شريكاً ونظيراً أتبعه بفساد طريقة من أثبت لله ولداً»[3].

قال الآلوسي: « وفي «الكشف[4]» أنه تعالى لما نهى عن الشرك ودل على فساده أتى بالفاء الواصلة، وأنكر عليهم ذلك دليلاً على مكان التعكيس، وأنهم بعد ما عرفوا أنه سبحانه بريء من الشريك بدليل العقل، والسمع نسبوا إليه تعالى ما هو شرك، ونقص وازدراء بمن اصطفاه من عباده فيالها من كفرة شنيعة»[5].

ومن خلال ما سبق فإن ابن عاشور يرى أن المناسبة فيها رداً على اتخاذهم

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٣٤٥.

(٢) نظم الدرر ٤/ ٣٨٢- ٣٨٣.

(٣) البحر المحيط ٦/ ٣٦.

(٤) الكشف على الكشاف، لعمر بن عبدالرحمن بن عمر الكناني القزويني المتوفى سنة ٧٤٥هـ انظر: الأعلام ٥/ ٤٩.

(٥) روح المعاني ٨/ ٧٨.

الملائكة آلهة .

بهذا المعنى قال البقاعي ، وأبو حيان ، والألوسي .

وكلام الرازي عن تنزيه الله عن اتخاذ الإناث .

والراجح ما ذهب إليه ابن عاشور ومن وافقه ، لإنسجامه مع السياق.

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثرهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

١١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء:٤١].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لما ذكر فظاعة قولهم بأن الملائكة بنات الله أعقب ذلك بأن في القرآن هدياً كافياً، ولكنهم يزدادون نفوراً من تدبره.

فجملة ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ﴾ معترضة مقترنة بواو الاعتراض .

والضمير عائد إلى الذين عبدوا الملائكة وزعموهم بنات الله»(١).

لم يذكر أحد من المفسرين مناسبة لهذه الآية مع سابقتها، فلذلك تعد هذه المناسبة من تفردات ابن عاشور، وإضافاته المبتكرة، في علم المناسبة التي تنبي عن أصالة وعمق، وبها تبين حسن موقع الآية الكريمة مع سابقتها. والله أعلم .

- **أثر المناسبة:**

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين، ولم يسبق إليها، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها . والله أعلم .

وكذلك فيها نكتة بلاغية، لم يسبق إليها، وهوماذكره من وجود الاعتراض في المناسبة حيث أن جملة ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ﴾ معترضة مقترنة بواو الاعتراض . والله أعلم .

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ١٠٩

١٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٤].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة ختم هذه الآية الكريمة بقوله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ فقال:

« وجملة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ استئناف يفيد التعريض بأن مقالتهم تقتضي تعجيل العقاب لهم في الدنيا لولا أن الله عاملهم بالحلم والإمهال . وفي ذلك تعريض بالحث على الإقلاع عن مقالتهم ليغفر الله لهم .وزيادة (كان) للدلالة على أن الحلم والغفران صفتان له محققتان »(١).

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال البقاعي: « ولما كان تسبيح جميع المخلوقات أمراً واضح الفهم ظاهر الشأن، فكانوا مستحقين للعقاب في عدم فهمه بعدم التأمل في المصنوعات حق التأمل، نبههم على أن عافيتهم إنما هي لحلمه عنهم، فهو ينظرهم إلى المدة التي ضربها لهم، لأنه لا يعجل لتنزهه عن شوائب النقص الذي نطق كل شيء بتنزيهه عنها فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾، حيث لا يعاجلكم بالعقوبة على إعراضكم عن صرف الأفكار فيما أمركم بصرفها إليه، ولما كان الغالب على أحوال البشر أن حليمهم إذا غضب لا يغفر، وإن عفا كان عفوه مكدراً، قال تعالى: ﴿غَفُورًا﴾ مشيراً بصيغة المبالغة إلى أنه على غير ذلك ترغيباً في التوبة »(٢).

ومن هذا النقل يتبين لنا أن ابن عاشور يرى بأن مقالتهم تقتضي تعجيل العقاب لهم في الدنيا لولا أن الله عاملهم بالحلم والإمهال.

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ١١٤.

(٢) نظم الدرر ٤/ ٣٨٥.

فابن عاشور ربط مناسبة الآية الكريمة بختم الاية السابقة بمقالتهم في اتخاذ الولدلله، والبقاعي ربط ختم الآية بأولها من تسبيح الكائنات لله تعالى، فهناك فرق بين المناسبتين .

وكل ماذكر قول حسن في المناسبة، ولامانع من تعدد المناسبات، ولكن ما أورده ابن عاشورأنسب وأولى، لأن ربط الآية الكريمة بختم الآية السابقة بمقالتهم في اتخاذ الولدلله أولى من ربط ختم الآية بأولها من تسبيح الكائنات لله تعالى . والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، إذ فيها نكتة بلاغية، لم يسبق إليها، فإنه ذكرأن الآية فيها تعريض بالحث على الإقلاع عن مقالتهم ليغفر الله لهم .والله أعلم .

١٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء:٤٥].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف جملة على جملة وقصة على قصة، فإنه لما نوّه بالقرآن في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩] ثم أعقب بما اقتضاه السياق من الإشارة إلى ما جاء به القرآن من أصول العقيدة وجوامع الأعمال وما تخلل ذلك من المواعظ والعبر عاد هنا إلى التنبيه على عدم انتفاع المشركين بهدي القرآن لمناسبة الإخبار عن عدم فقههم دلالةَ الكائنات على تنزيه الله تعالى عن النقائص، وتنبيهاً للمشركين على وجوب إقلاعهم عن بعثتهم[1] وعنادهم، وتأميناً للنبي من مكرهم به وإضمارهم إضراره، وقد كانت قراءته القرآن تغيظهم وتثير في نفوسهم الانتقام»[2].

> **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما تكلم في الآية المتقدمة في المسائل الإلهية تكلم في هذه الآية فيما يتعلق بتقرير النبوة»[3].

قال أبو حيان: «ولما تقدّم الكلام في تقرير الإلهية جاء بعده تقرير النبوة، وذكر شيء من أحوال الكفرة في إنكارها، وإنكار المعاد»[4].

ذكر ابن عاشورأن المناسبة هي التنبيه على عدم انتفاع المشركين بهدي القرآن لمناسبة الإخبار عن عدم فقههم دلالةَ الكائنات على تنزيه الله تعالى عن النقائص.

---

[1] هكذا في الأصل ولعل الصحيح (عبثهم) والله أعلم .

(٢) التحرير والتنوير ١٥/ ١١٥

(٣) مفاتيح الغيب٢٠/ ٣٥١

«٤ البحر المحيط٦/ ٣٩.

وهذه من تفردات ابن عاشور، وإضافته التي لم يسبق إليها.

أماالرازي ذكر أن المناسبة هي تقرير النبوة.

وبه قال أبوحيان.

ومن خلال ماسبق، فإن قول ابن عاشورأنسب وأولى، لأنه أعم، فقد ربط بين الآية والسياق العام للسورة وحديثها عن القرآن، بخلاف الرازي وأبو حيان، فإنهم ربطوا بين الآية وما سبقها مباشرة، وهذا أخص. والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين، ولم يسبق إليها، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها. والله أعلم .

١٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الإسراء:٤٦].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف جعل على جعل .والتصريح بإعادة فعل الجعل يؤذن بأن هذا جعل آخر فيرجّح أن يكون جعل الحجاب المستور جعل الصرفة عن الإضرار، ويكون هذا جعل عدم التدبر في القرآن خلقة في نفوسهم . والقول في نظم هذه الآية ومعانيها تقدم في نظيرها في سورة الأنعام .

لما كان الإخبار عنهم قبل هذا يقتضي أنهم لا يفقهون معاني القرآن تبع ذلك بأنهم يُعرضون عن فهم ما فيه خير لهم، فإذا سمعوا ما يبطل إلهية أصنامهم فهموا ذلك فولوا على أدبارهم نفوراً، أي زادهم ذلك الفهم ضلالاً كما حرمهم عدمُ الفهم هدياً، فحالهم متناقض. فهم لا يسمعون ما يحق أن يسمع، ويسمعون ما يَهْوَوْنَ أن يسمعوه ليزدادوا به كفراً، وتخصيص الذكر بالكون في القرآن لمناسبته الكلام على أحوال المشركين في استماع القرآن، أو لأن القرآن مقصود منه التعليم والدعوة إلى الدين، فخلو آياته عن ذكر آلهتهم مع ذكر اسم الله يفهم منه التعريض، بأنها ليست بآلهة فمن ثم يغضبون كلما ورد ذكر الله ولم تذكر آلهتهم، فكونه في القرآن هو القرينة على أنه أراد إنكار آلهتهم »[(١)].

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال أبو السعود: « وهذه تمثيلاتٌ مُعرِبةٌ عن كمال جهلِهم بشؤون النبيِّ عليه الصلاة والسلام وفرطِ نُبوِّ[(٢)] قلوبهم عن فهم القرآنِ الكريم ومجّ أسماعِهم له، جيء بها بياناً

---

(١) التحرير والتنوير مختصرا ١٥/ ١١٧

(٢) نَبا الشيء عني يَنْبُو أَي تَجافَى وتَباعَد وأَنْبَيْتُه أَنا أَي دفعته عن نفسي. انظر: لسان العرب ١٥/ ٣٠١.

لعدم فقهِهم لتسبيح لسانِ المقالِ إثرَ بيانِ عدمِ فقههم لتسبيح لسانِ الحال، وإيذاناً بأن هذا التسبيحَ من الظهور بحيث لا يُتصوَّرُ عدمُ فهمِه إلا لمانع قويَ يعتري المشاعرَ فيُبطُلها، وتنبيهاً على أن حالَهم هذا أقبحُ من حالهم السابق لا حكايةٌ لما قالوا: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[فصلت:٥] كيف لا وقصدُهم بذلك إنما هو الإخبارُ بما اعتقدوه في حق القرآنِ والنبيِّ ﷺ جهلاً وكفراً من اتصافهما بأوصاف مانعةٍ من التصديق والإيمانِ، ككون القرآنِ سحراً، وشِعراً، وأساطيرَ وقِسْ عليه حالَ النبي ﷺ، لا الإخبارُ بأن هناك أمراً وراء ما أدركوه قد حال بينهم وبين إدراكه حائلٌ من قِبلهم . ولا ريب في أن ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم المقام»(١).

ذكر ابن عاشورأن المناسبة هي أنه لما كان الإخبار عنهم قبل هذا يقتضي أنهم لا يفقهون معاني القرآن تبع ذلك بأنهم يُعرضون عن فهم ما فيه خير لهم، فإذا سمعوا ما يبطل إلهية أصنامهم فهموا ذلك، فولوا على أدبارهم نفوراً.

وهذه من تفردات ابن عاشور وإضافته.

وأما أبو السعود ذكر أن المناسبة هي بيان لعدم فقهِهم لتسبيح لسانِ المقالِ إثرَ بيانِ عدمِ فقههم لتسبيح لسانِ الحال.

ومن خلال ماسبق، يظهرأن كل ما ذكر قول حسن وجيد في المناسبة، وله أثره في التفسير، والربط بين الآيتين، ولامانع من ذكر أكثر من مناسبة للآية الكريمة، ولا تتزاحم المناسبات، ولكن لعل قول أبي السعود أدق في بيان التناسب في الآية الكريمة، لأن السياق يتحدث عن تسبيح الكائنات. والله أعلم .

---

(١) إرشاد العقل السليم٥/ ١٧٥.

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين، ولم يسبق إليها، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها. والله أعلم .

١٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء:٥٣].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لما أعقب ما أمر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بتبليغه إلى المشركين من أقوال تعظهم وتنهاهم من قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾[الإسراء:٤٢]، وقوله: ﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء:٥٠]، وقوله: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾[الإسراء:٥١] ثني العنان إلى الأمر بإبلاغ المؤمنين تأديباً ينفعهم في هذا المقام على عادة القرآن في تلوين الأغراض، وتعقيب بعضها ببعض أضدادها استقصاء لأصناف الهدى ومختلف أساليبه ونفع مختلف الناس .ولما كان ما سبق من حكاية أقوال المشركين تنبىء عن ضلال اعتقادٍ نقل الكلام إلى أمر المؤمنين بأن يقولوا أقوالاً تعرب عن حسن النية، وعن نفوس زكية . وأوتوا في ذلك كلمة جامعة وهي بأن يقولون التي هي أحسن»[1].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: « إنه تعالى لما ذكر الحجة اليقينية في إبطال الشرك وهو قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ وذكر الحجة اليقينية في صحة المعاد وهو قوله: ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ﴾[الإسراء:٥١] قال في هذه الآية وقل يا محمد لعبادي إذا أردتم إيراد الحجة على المخالفين فاذكروا تلك الدلائل بالطريق الأحسن . وهو أن لا يكون ذكر الحجة مخلوطاً بالشتم والسب، ونظير هذه الآية قوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ ﴾ [النحل:١٢٥]، وقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦]، وذلك لأن ذكر الحجة لو اختلط به شيء من السب

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ١٣١

والشتم لقابلوكم بمثله كما قال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨]، ويزداد الغضب وتتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود، أما إذا وقع الاقتصار على ذكر الحجة بالطريق الأحسن الخالي عن الشتم والإيذاء أثر في القلب تأثيراً شديداً فهذا هو المراد من قوله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، ثم إنه تعالى نبه على وجه المنفعة في هذا الطريق فقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ جامعاً للفريقين أي متى صارت الحجة مرة ممزوجة بالبذاءة صارت سبباً لثوران الفتنة»[1].

قال البقاعي: «ولما أمره سبحانه بإبلاغهم هذا الكلام، وفيه من التهكم بهم والتبكيت لهم والاستخفاف بعقولهم ما لا يعلم مقداره إلا مثلهم من البلغاء والعرب العرباء، وكان لكونه كلام العليم بالعواقب، الخبير بما تجن الضمائر - ربما استن به المؤمنون فخاطبوهم بنحوه من عند أنفسهم، نهاهم عن ذلك، لئلا يقولوا ما يهيج شراً أو يثير ضراً»[2].

قال أبو حيان: «وارتباطها بما قبلها أنه لما تقدم ما نسب الكفار لله تعالى من الولد، ونفورهم عن كتاب الله إذا سمعوه، وإيذاء الرسول ﷺ، ونسبته إلى أنه مسحور، وإنكار البعث كان ذلك مدعاة لإيذاء المؤمنين ومجلبة لبغض المؤمنين إياهم ومعاملتهم بما عاملوهم، فأمر الله تعالى نبيه أن يوصي المؤمنين بالرفق بالكفار، واللطف بهم في القول، وأن لا يعاملوهم، بمثل أفعالهم وأقوالهم»[3].

ومن هذا النقل فإن المناسبة المتفق عليها بينهم أنه لما ذكر ما أمر النبي عليه الصلاة والسلام بتبليغه إلى المشركين من أقوال تعظهم وتنهاهم ثني العنان إلى الأمر بإبلاغ المؤمنين تأديباً ينفعهم، في التعامل مع المدعويين، فكلامهم يدور في هذا المحور. والله أعلم.

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٣٥٦

(٢) نظم الدرر ٤/ ٣٩٢.

(٣) البحر المحيط ٦/ ٤٨.

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثر بهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير، والله أعلم .

١٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء:٥٦].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لم أر لهذه الآية تفسيراً ينثلج له الصدر، والحيرة بادية على أقوال المفسرين في معناها، وانتظام موقعها مع سابقها، ولا حاجة إلى استقراء كلماتهم. ومرجعها إلى طريقتين في محمل ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ إحداهما في «تفسير الطبري» وابن عطية عن ابن مسعود والحسن، وثانيتهما في «تفسير القرطبي» والفخر غير معزوة لقائل.

والذي أرى في تفسيرها أن جملة ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ إلى ﴿تَحْوِيلًا﴾ معترضة بين جملة ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الإسراء:٥٥] وجملة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾[الإسراء:٥٧]، وذلك أنه لما جرى ذكر الأفضلين من الأنبياء في أثناء آية الرد على المشركين مقالتهم في اصطفاء محمد ﷺ للرسالة، واصطفاء أتباعه لولايته ودينه، وهي آية ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الإسراء:٥٥] إلى آخرها، جاءت المناسبة لرد مقالة أخرى من مقالاتهم الباطلة، وهي اعتذارهم عن عبادة الأصنام بأنهم ما يعبدونهم إلا ليقربوهم إلى الله زلفى، فجعلوهم عباداً مقربين ووسائل لهم إلى الله، فلما جرى ذكر المقربين حقاً انتُهزت مناسبة ذكرهم لتكون مخلصاً إلى إبطال ما ادعوه من وسيلة أصنامهم على عادة إرشاد القرآن من اغتنام مناسبات الموعظة، وذلك من أسلوب الخطباء. فهذه الآية متصلة المعنى بآية ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[الإسراء:٤٢] فبعد أن أبطل أن يكون مع الله آلهة ببرهان العقل عاد إلى إبطال إلهيتهم المزعومة ببرهان الحسّ، وهو مشاهدة أنها لا تغني عنهم كشف الضر.

فأصل ارتباط الكلام هكذا: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [الإسراء:٥٧] الآية. فبمناسبة الثناء عليهم بابتهالهم إلى ربهم ذكر ضد ذلك من دعاء المشركين آلهتهم. وقدم ذلك، على الكلام الذي أثار المناسبة، اهتماماً بإبطال فعلهم ليكون إبطاله كالغرض المقصود ويكون ذكر مقابله كالاستدلال

على ذلك الغرض . ولعل هذه الآية نزلت في مدة إصابة القحط قريشاً بمكّة، وهي السبع السنون التي هي دعوة النبي ﷺ "اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف"(١) وتسلسل الجدال وأخذ بعضه بحُجز بعض حتى انتهى إلى هذه المناسبة»(٢).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: « اعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على المشركين وقد ذكرنا أن المشركين كانوا يقولون ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله تعالى، فنحن نعبد بعض المقربين من عباد الله وهم الملائكة، ثم إنهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه تمثالاً، وصورة، واشتغلوا بعبادته على هذا التأويل والله تعالى احتج على بطلان قولهم في هذه الآية فقال: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾»(٣).

قال البقاعي: « ولما أثبت أن شأنه تعالى فعل ذلك، وأمثاله من التفضيل والتحويل على حسب علمه وقدرته، ثبت بغير شبهة أن لا مفزع إلا إليه، فأمره صلى الله عليه وعلى آله وسلم تحقيقاً لذلك أن يأمرهم بما يظهر به عجز شركائهم، رداً عليهم في قولهم: لسنا بأهل لعبادته استقلالاً، فنحن نعبد بعض المقربين ليشفع لنا عنده، فقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ ﴾»(٤).

قال الآلوسي: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ إلخ .... كالاستدلال على حقية

---

(١) متفق على صحته، رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ، رقم(٩٥١)، ورواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب اسْتِحْبَابِ الْقُنُوتِ فِي جَمِيعِ الصَّلاةِ إِذَا نَزَلَتْ بِالْمُسْلِمِينَ نَازِلَةٌ رقم (١٠٨٢)

(٢) التحرير والتنوير ١٥/ ١٣٨

(٣) مفاتيح الغيب ٢١/ ٣٥٦.

(٤) نظم الدرر ٤/ ٣٩٦.

ما دعاهم إليه من التوحيد وربطه بما تقدم على ما ذكرناه أولاً لا أظنه يخفى»[1].

ومن هذا النقل فإن المناسبة المتفق عليها بينهم هي أنه لما جرى ذكر الأفضلين من الأنبياء في أثناء آية الرد على المشركين جاءت المناسبة لرد مقالة أخرى من مقالاتهم الباطلة، وهي اعتذارهم عن عبادة الأصنام بأنهم ما يعبدونهم إلا ليقربوهم إلى الله زلفى، وكلامهم يدور في هذا المحور. والله أعلم.

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير.

ولكن في المناسبة نكتة بلاغية، تعد إضافة جديدة لها أثرها، وهوالاعتراض: وذلك في قوله أن جملة ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ إلى ﴿تَحْوِيلًا﴾ معترضة بين جملة ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وجملة ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾.

(١) روح المعاني٨/ ٩٣.

١٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾ [الإسراء:٥٨].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لما عرضَ بالتهديد للمشركين في قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧]، وتحداهم بقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ﴾ [الإسراء:٥٦] جاء بصريح التهديد على مسمع منهم بأن كل قرية مثل قريتهم في الشرك لا يعدوها عذاب الاستيصال وهو يأتي على القرية وأهلها، أو عذاب الانتقام بالسيف، والذل، والأسر والخوف، والجوع وهو يأتي على أهل القرية مثل صرعى بدر، كل ذلك في الدنيا»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: « اعلم أنه تعالى لما قال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ بين أن كل قرية مع أهلها فلا بد وأن يرجع حالها إلى أحد أمرين: إما الإهلاك، وإما التعذيب، ثم بين تعالى أن هذا الحكم حكم مجزوم به واقع فقال: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ ومعناه ظاهر»(٢).

قال أبو السعود: «﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾ بيانٌ لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره إثرَ بيانِ أنه حقيقٌ بالحذر وأن أساطينَ الخلق من الملائكة، والنبيين عليهم الصلاة والسلام على حذر من ذلك»(٣).

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ١٤١

(٢) مفاتيح الغيب ٢١/ ٣٥٨

(٣) إرشاد العقل السليم ٥/ ١٧٩.

قال البقاعي: « ولما كان المعنى: فاحذرونا فإنا أبدنا الأمم السالفة، ودمرنا القرى المشيدة، عطف عليه قوله تعالى: ﴿وَإِن﴾ أي وما؛ وأعرق في النفي فقال تعالى: ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ من القرى هذه التي أنتم بها وغيرها ﴿إِلَّا نَحْنُ﴾أي بما لنا من العظمة ﴿مُهْلِكُوهَا﴾ بنوع من الهلاك، لما هم عليه من الكفر أو العصيان »[1].

ومن هذا النقل فإن المناسبة المتفق عليها بينهم هي التصريح بتهديد المكذبين، فكلامهم يدور في هذا المحور. والله أعلم .

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) نظم الدرر ٤/ ٣٩٧.

١٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسراء:٧٨].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«كان شَرْع الصلوات الخمس للأمة ليلة الإسراء، كما ثبت في الحديث الصحيح[١]، ولكنه كان غير مثبت في التشريع المتواتر إنما أبلغه النبي أصحابه، فيوشك أن لا يعلمه غيرهم ممن يأتي من المسلمين . وأيضاً فقد عينت الآية أوقاتاً للصلوات بعد تقرر فرضها، فلذلك جاءت هذه الآية في هذه السورة التي نزلت عقب حادث الإسراء جمعاً للتشريع الذي شرع للأمة أيامئذٍ المبتدأ بقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ الآيات [الإسراء:٢٣] .

فالجملة استئناف ابتدائي . ومناسبة موقعها عقب ما قبلها أن الله لما امتن على النبي بالعصمة وبالنصر ذكره بشكر النعمة بأن أمره بأعظم عبادة يَعبده بها، وبالزيادة منها طلباً لازدياد النعمة عليه، كما دل عليْه قوله في آخر الآية ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[الإسراء:٧٩]» [٢].

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: « في النظم وجوه .

الأول: أنه تعالى لما قرر أمر الإلهيات والمعاد والنبوات أردفها بذكر الأمر بالطاعات بعد الإيمان وأشرف الطاعات بعد الإيمان الصلاة فلهذا السبب أمر بها .

الثاني: أنه تعالى لما قال: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الإسراء:٧٦]

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، رقم الحديث (٣٣٦)

(٢) التحرير والتنوير ١٥/ ١٨١

أمره تعالى بالإقبال على عبادته، لكي ينصره عليهم، فكأنه قيل له لا تبال بسعيهم في إخراجك من بلدتك، ولا تلتفت إليهم، واشتغل بعبادة الله تعالى، وداوم على أداء الصلوات، فإنه تعالى يدفع مكرهم، وشرهم عنك، ويجعل يدك فوق أيديهم، ودينك غالباً على أديانهم.

والوجه الثالث: في تقرير النظم أن اليهود لما قالوا له اذهب إلى الشام فإنه مسكن الأنبياء عزم ﷺ على الذهاب إليه، فكأنه قيل له المعبود واحد في كل البلاد، وما النصرة والدولة إلا بتأييده، ونصرته، فداوم على الصلوات، وارجع إلى مقرك، ومسكنك، وإذا دخلته ورجعت إليه فقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي في هذا البلد سلطاناً نصيراً في تقرير دينك، وإظهار شرعك . والله أعلم»[(١)].

قال البقاعي: «ولما قرر أمر أصول الدين بالوحدانية والقدرة على المعاد، وقرر أمرهم أحسن تقرير، واستعطفهم بنعمه، وخوفهم من نقمه، وقرر أنه سبحانه عصمه عليه الصلاة والسلام من فتنتهم بالسراء والضراء بما أنار به من بصيرته، وأحسن من علانيته وسريرته، صار من المعلوم أنه قد تفرغ للعبادة، وتهيأ للمراقبة، فبدأ بأشرفها فوصل بذلك قوله تعالى: ﴿أَقِمِ﴾»[(٢)].

قال أبو حيان: «ومناسبة ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لما قبلها أنه تعالى لما ذكر كيدهم للرسول وما كانوا يرومون به، أمره تعالى أن يقبل على شأنه من عبادة ربه، وأن لا يشغل قلبه بهم، وكان قد تقدّم القول في الإلهيات والمعاد والنبوات، فأردف ذلك بالأمر بأشرف العبادات والطاعات بعد الإيمان وهي الصلاة»[(٣)].

---

(١) مفاتيح الغيب ٢١/ ٣٨٩

(٢) نظم الدرر ٤/ ٤١٥.

(٣) البحر المحيط ٦/ ٦٨.

ذكرابن عاشور أن المناسبة هي لما امتن على النبي بالعصمة وبالنصر ذكره بشكر النعمة بأن أمره بأعظم عبادة يَعبده بها .

كلام ابن عاشور هذا فيه نظرإذ المنة بالنصر لم تحدث بعد لأن السورة مكية ولم يحدث هذا النصر للنبي ﷺ .

أما الرازي فذكرللربط بين الآيتين وجوه .

الأول: أنه تعالى لما قرر أمر الإلهيات والمعاد والنبوات أردفها بذكر الأمر بالطاعات، ووافقه في هذا الوجه البقاعي، وأبو حيان في آخر المناسبة التي ذكرها.

الثاني: أنه تعالى لما قال: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء:٧٦] أمره تعالى بالإقبال على عبادته، لكي ينصره عليهم.

وهذا الوجه موافق لما ذكره ابن عاشوروأبو حيان في مطلع المناسبة.

الثالث: في تقرير النظم أن اليهود لما قالوا له اذهب إلى الشام فإنه مسكن الأنبياء عزم ﷺ على الذهاب إليه، فكأنه قيل له المعبود واحد في كل البلاد.

ومن خلال ماسبق، الذي يظهر أن الوجه الأول الذي ذكره الرازي ومن وافقه أنسب وأولى، لأنه أليق بارتباط سياق الآيات، وأعم من غيره. والله أعلم

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثر بهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

١٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [الإسراء:٨٠].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لما أمره الله تعالى بالشكر الفعلي عطف عليْه الأمر بالشكر اللساني بأن يبتهل إلى الله بسؤال التوفيق في الخروج من مكان والدخول إلى مكان، كيلا يضره أن يستفزه أعداؤه من الأرض ليخرجوه منها، مع ما فيه من المناسبة لقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]، فلما وعده بأن يقيمه مقاماً محموداً ناسب أن يسأل أن يكون ذلك حاله في كل مقام يقومه . وفي هذا التلقين إشارة إلهية إلى أن الله تعالى مُخرجه من مكة إلى مهاجر، والظاهر أن هذه الآية نزلت قُبيل العقبة الأولى التي كانت مقدمة للهجرة إلى المدينة»(١).

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: « في تقرير النظم أن اليهود لما قالوا له اذهب إلى الشام فإنه مسكن الأنبياء عزم ﷺ على الذهاب إليه، فكأنه قيل له المعبود واحد في كل البلاد، وما النصرة والدولة إلا بتأييده ونصرته، فداوم على الصلوات، وارجع إلى مقرك ومسكنك وإذا دخلته ورجعت إليه فقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي في هذا البلد سلطاناً نصيراً في تقرير دينك وإظهار شرعك . والله أعلم»(٢).

قال أبو حيان: « ولما أمره تعالى بإقامة الصلاة والتهجد، ووعده بعثه ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وذلك في الآخرة أمره بأن يدعوه بما يشمل أموره الدنيوية والأخروية»(٣).

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ١٨٦

(٢) مفاتيح الغيب٢١/ ٣٩٠

(٣) البحر المحيط ٦/ ٧١.

قال البقاعي: « ولما كان هذا المقام صالحاً للشفاعة ولكل مقام يقومه، وكان كل مقام يحتاج إلى التوفيق في مباشرته والانفصال عنه، تلاه حاثاً على دوام المراقبة، واستشعار الافتقار بقوله مقدماً المدخل لأنه أهم»[1].

ذكر ابن عاشورأن المناسبة هي الأمر بالشكر اللساني بأن يبتهل إلى الله بسؤال التوفيق في الخروج من مكان والدخول إلى مكان، كيلا يضره أن يستفزه أعداؤه من الأرض، ليخرجوه منها.

أما الرازي يرى في تقرير النظم أن اليهود لما قالوا له اذهب إلى الشام فإنه مسكن الأنبياء عزم ﷺ على الذهاب إليه، فكأنه قيل له المعبود واحد في كل البلاد وما النصرة والدولة إلا بتأييده ونصرته .

أما البقاعي فيرى أن المناسبة هي الحث على دوام المراقبة.

وأما أبو حيان فيرى أنه لما أمره تعالى بإقامة الصلاة والتهجد، ووعده بعثه ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وذلك في الآخرة أمره بأن يدعوه بما يشمل أموره الدنيوية والأخروية

ومن خلال ما سبق، الذي يظهرفي الترجيح ماذهب اليه ابن عاشور ، لأن ذكر الشكر القولي بعد الشكر الفعلي أولى بالسياق في الآية الكريمة. والله أعلم

أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين، ولم يسبق إليها، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها.

(١) نظم الدرر ٤/ ٤١٧.

٢٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣﴾ [الإسراء:٨٣].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لما كان القرآن نعمة عظيمة للناس، وكان إعراض المشركين عنه حرماناً عظيماً لهم من خيرات كثيرة، ولم يكن من شأن أهل العقول السليمة أن يرضوا بالحرمان من الخير، كان الإخبار عن زيادته الظالمين خساراً مستغرباً من شأنه أن يثير في نفوس السامعين التساؤل عن سبب ذلك، أعقب ذلك ببيان السبب النفساني الذي يوقع العقلاء[1] في مهواة هذا الحرمان، وذلك بعد الاشتغال بما هو فيه من نعمة هَويها وأولع بها، وهي نعمة تتقاصر عن أوج تلك النعم التي حرم منها لولا الهوى الذي علق بها، والغرور الذي أراه إياها قصَارى المطلوب، وما هي إلا إلى زوال قريب، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾[المزمل:١١] وقوله: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾[آل عمران:١٩٦-١٩٧].

فهذه الجملة مضمونها مقصود بذاته استفيد بيانها بوقوعها عقب التي قبلها»(٢).

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: « ثم إنه تعالى ذكر السبب الأصلي في وقوع هؤلا الجاهلين الضالين في أودية الضلال، ومقامات الخزي والنكال وهو حب الدنيا، والرغبة في المال والجاه، واعتقادهم أن ذلك إنما يحصل بسبب جدهم واجتهادهم فقال: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾[الإسراء:٨٣]» (٣).

---

[1] **هكذا في الأصل ولعل الصواب (الظالمين) والله أعلم.**

(٢) التحرير والتنوير ١٥/ ١٩١

(٣) مفاتيح الغيب٢١/ ٣٩١

قال أبو حيان: «لما ذكر تعالى تنويع ما أنزل من القرآن شفاء ورحمة للمؤمن وبزيادة خسار للظالم، عرّض بما أنعم به، وما حواه من لطائف الشرائع على الإنسان»[1].

ذكر ابن عاشورأن المناسبة هي بيان السبب النفساني، الذي يوقع في مهواة الحرمان من بركات هذا القرآن .

وبهذا المعنى قال الرازي.

وأما أبو حيان ذكر أن المناسبة هي تعرّض بما أنعم به، وما حواه من لطائف الشرائع على الإنسان.

ومن خلال ماسبق، فالذي تميل إليه النفس ماذكره ابن عاشور، ومن وافقه لأن بيان السبب النفساني، الذي يوقع في مهواة الحرمان من بركات هذا القرآن فلذلك كان هذا الربط لطيفاً. والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) البحر المحيط ٦/ ٧٣.

٢١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ [الإسراء:٨٦].

قال الطاهرابن عاشور ~ :

«هذا متصل بقوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ [الإسراء:٨٢] الآية أفضت إليه المناسبة فإنه لما تضمن قوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء:٨٥] تلقينَ كلمة علم جامعة، وتضمن أن الأمة أوتيت علماً ومُنعت علماً، وأن علم النبوة من أعظم ما أوتيته، أعقب ذلك بالتنبيه إلى الشكر على نعمة العلم دفعاً لغرور النفس، لأن العلم بالأشياء يكسبها إعجاباً بتميزها عمن دونها فيه، فأوقظت إلى أن الذي منح العلم قادر على سلبه، وخوطب بذلك النبي ﷺ، لأن علمه أعظم علم، فإذا كان وجود علمه خاضعاً لمشيئة الله فما الظن بعلم غيره، تعريضاً لبقية العلماء فالكلام صريحُه تحذير، وهو كناية عن الامتنان كما دل عليه قوله بعده ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٨٧] وتعريض بتحذير أهل العلم»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: « اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أنه ما آتاهم من العلم إلا قليلاً بين في هذه الآية أنه لو شاء أن يأخذ منهم ذلك القليل أيضاً لقدر عليه وذلك بأن يمحو حفظه من القلوب، وكتابته من الكتب، وهذا وإن كان أمراً مخالفاً للعادة إلا أنه تعالى قادر عليه»(٢).

قال الزمخشري: « وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظاً بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه، فعلى كل ذي علم أن لا يغفل عن هاتين المنتين، والقيام

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٢٠٠

(٢) مفاتيح الغيب٢١/ ٤٠٦

بشكرهما، وهما منة الله عليه بحفظ العلم، ورسوخه في صدره»[1].

قال أبو حيان: « ولما ذكر تعالى ما أنعم به من تنزيل القرآن على رسوله ﷺ شفاء ورحمة وقدرته على ذلك، ذكر قدرته على أنه لو شاء لذهب بها أوحى، ولكنه تعالى لم يشأ ذلك، والمعنى أنّا كما نحن قادرون على إنزاله نحن قادرون على إذهابه .»[2].

ومن هذا النقل فإن المناسبة المتفق عليها بينهم هي أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أنه ما آتاهم من العلم إلا قليلاً بين في هذه الآية أنه لو شاء أن يأخذ منهم ذلك القليل أيضاً لقدر عليه، وكلامهم يدور في هذا المحور. والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثر بهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) الكشاف٣/ ٥٥٠.

(٢) البحر المحيط٦/ ٧٤- ٧٥.

٢٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء:١١١].

قال الطاهر ابن عاشور ~ :

«لما كان النهي عن الجهر بالدعاء أو قراءة الصلاة سداً لذريعة زيادة تصميمهم على الكفر أعقب ذلك بأمره بإعلان التوحيد، لقطع دابر توهم من توهموا أن الرحمان اسم لمسمى غير مسمى اسم الله، فبعضهم توهمه إلهاً شريكاً، وبعضهم توهمه مُعيناً وناصراً، أمر النبي بأن يقول ما يقلع ذلك كله، وأن يعظمه بأنواع من التعظيم»[١].

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: « واعلم أنه تعالى لما أمر أن لا يذكر ولا ينادى إلا بأسمائه الحسنى علمه كيفية التحميد فقال: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾»[٢].

قال أبو حيان: « ولما ذكر تعالى أنه واحد، وإن تعددت أسماؤه أمر تعالى أن يحمده على ما أنعم به عليه مما آتاه من شرف الرسالة والاصطفاء، ووصف نفسه بأنه ﴿لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا﴾ فيعتقد فيه تكثر بالنوع، وكان ذلك ردّاً على اليهود والنصاري والعرب الذين عبدوا الأصنام وجعلوها شركاء لله، والعرب الذين عبدوا الملائكة واعتقدوا أنهم بنات الله»[٣].

قال البقاعي: « ولما تقدم إحاطة هذين الاسمين، أما الله فبجميع معاني الأسماء الحسنى، وأما الرحمن فبالرحمانية، المأمور بالدعاء بهما كل مخاطب، خصه صلى الله عليه

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٢٣٩

(٢) مفاتيح الغيب٢١/ ٤٢١

(٣) البحر المحيط٦/ ٨٦.

وعلى آله وسلم بالأمر بالتحميد الذي معناه الإحاطة، واسمه صلى الله عليه وعلى آله وسلم مشتق منه لاتصافه به حامداً ومحموداً، وبالتكبير عن كل ما يفهمه العباد من أسمائه الحسنى فقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ ﴾»[1].

ذكر ابن عاشورأن المناسبة هي أمره بإعلان التوحيد لقطع دابر توهم من توهموا أن الرحمان اسم لمسمى غير مسمى اسم الله، فبعضهم توهمه إلهاً شريكاً، وبعضهم توهمه مُعيناً وناصراً.

بهذا المعنى قال الرازي ، والبقاعي، وأبوحيان .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) نظم الدرر ٤/ ٤٣٩.

الفصل السادس

الفصل السادس

سورة الكهف

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

۞ المبحث الأول: مقاصدها.

۞ المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها.

۞ المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها.

۞ المبحث الرابع: تناسب آياتها، وأثره في التفسير.

تمهيـــــد

سورة الكهف

اسمها: سماها رسول الله ﷺ سورة الكهف .

روى مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف)[١] وفي رواية لمسلم: (من آخر الكهف، عُصم من فتنة الدجال)[٢] .

نوعها: وهي مكية بالاتفاق كما حكاه ابن عطية . قال: وروي عن فرقة أن أول السورة إلى قوله: ﴿جُرُزًا﴾ [الكهف:٨] نزل بالمدينة، قال: والأول أصح[٣] . وقيل قوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف:٢٨] الآيتين نزلتا بالمدينة، وقيل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧] إلى آخر السورة نزل بالمدينة . قال ابن عاشور: وكل ذلك ضعيف[٤] .

ترتيبها بين السور: نزلت بعد سورة الغاشية وقبل سورة الشورى **وهي الثامنة والستون** في **ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد** [٥] .

عدد آياتها: عُدت آيها في عدد قُراء المدينة ومكة مائة وخمساً، وفي عدد قراء الشام مائة وستا، وفي عدد قراء البصرة مائة وإحدى عشرة، وفي عد قراء الكوفة مائة وعشرا، بناءً على اختلافهم في تقسيم بعض الآيات إلى آيتين[٦] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب فضل سورة الكهف، رقم (١٣٤٢).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المحرر الوجيز٣/ ٤٩٤.

(٤) انظر: التحرير والتنوير١٥/ ٢٤٢.

(٥) المرجع السابق.

(٦) البيان في عد آي القرآن للداني ١/ ١٧٩.

المبحث الأول: مقاصدها

ذكر ابن عاشور مقاصد سورة الكهف وأهم موضوعاتها، في مطلع حديثه عن السورة وتفسيرها، فقال: «افتتحت بالتحميد على إنزال الكتاب للتنويه بالقرآن تطاولاً من الله تعالى على المشركين، وملقنيهم من أهل الكتاب .

وأدمج فيه إنذار المعاندين الذين نسبوا لله ولداً، وبشارةٌ للمؤمنين، وتسلية رسول الله عن أقوالهم حين تريث الوحي .

وذكر افتتان المشركين بالحياة الدنيا وزينتها، وأنها لا تُكسب النفوس تزكية .

وانتقل إلى خبر أصحاب الكهف المسؤول عنه .

وحذرهم من الشيطان وعداوته لبني آدم، ليكونوا على حذر من كيده .

وقدم لقصة ذي القرنين قصةً أهم منها وهي قصة موسى والخضر عليهما السلام، لأن كلتا القصتين تشابهتا في السفر لغرض شريف . فذو القرنين خرج لبسط سلطانه على الأرض، وموسى عليه السلام خرج في طلب العلم . وفي ذكر قصة موسى تعريض بأحبار بني إسرائيل، إذ تهمموا بخبر مَلك من غير قومهم، ولا من أهل دينهم ونسُوا خبراً من سيرة نبيهم .

وتخلل ذلك مستطردات من إرشاد النبي وتثبيته، وأن الحق فيما أخبر به، وأن أصحابه الملازمين له خير من صناديد المشركين، ومن الوعد والوعيد، وتمثيل المؤمن والكافر، وتمثيل الحياة الدنيا وانقضائها، وما يعقبها من البعث والحشر، والتذكير بعواقب الأمم المكذبة للرسل، وما ختمت به من إبطال الشرك، ووعيد أهله ؛ ووعد المؤمنين بضدهم، والتمثيل لسعة علم الله تعالى . وختمت بتقرير أن القرآن وحي من الله تعالى إلى رسوله، فكان في هذا الختام حسن رد العجز على الصدر»[1] .

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٢٤٥-٢٤٦

ثم نثني بما أورده البقاعي حتى تكتمل الصورة الكاملة للمقاصد .

قال البقاعي: «مقصودها وصف الكتاب بأنه قيم، لكونه زاجراً عن الشريك الذي هو خلاف ما قام عليه الدليل في ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ من أنه لا وكيل يفضل من يشاء، ويفعل ما يشاء، وأدل ما فيها على هذا المقصد قصة أهل الكهف، لأن خبرهم أخفى ما فيها من القصص مع أن سبب فراقهم لقومهم الشرك، وكان أمرهم موجباً بعد طول رقادهم للتوحيد، وإبطال الشرك»(1) .

ونذكر بعض المقاصد التي أشار إليها سيد قطب ~ قال:

« القصص هو العنصر الغالب في هذه السورة . ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف، وبعدها قصة الجنتين، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس . وفي وسطها تجيء قصة موسى مع العبد الصالح . وفي نهايتها قصة ذي القرنين، ويستغرق هذا القصص معظم آيات السورة، فهو وارد في إحدى وسبعين آية من عشر ومائة آية؛ ومعظم ما يتبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها . وإلى جوار القصص بعض مشاهد القيامة، وبعض مشاهد الحياة التي تصور فكرة أو معنى، على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير .

أما المحور الموضوعي للسورة الذي ترتبط به موضوعاتها، ويدور حوله سياقها، فهو تصحيح منهج النظر والفكر . وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة .

فأما تصحيح العقيدة فيقرره بدؤها وختامها .

في البدء: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾[الكهف:١-٥].

---

(١) انظر: نظم الدرر ٤/ ٤٤٠

وفي الختام: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف:١١٠] وهكذا يتساوق البدء والختام في إعلان الوحدانية وإنكار الشرك، وإثبات الوحي، والتمييز المطلق بين الذات الإلهية، وذوات الحوادث .

أما تصحيح منهج الفكر والنظر فيتجلى في استنكار دعاوى المشركين الذين يقولون ما ليس لهم به علم، والذين لا يأتون على ما يقولون ببرهان . وفي توجيه الإنسان إلى أن يحكم بما يعلم ولا يتعداه، وما لا علم له به فليدع أمره إلى الله .

فأما تصحيح القيم بميزان العقيدة، فيرد في مواضع متفرقة، حيث يرد القيم الحقيقية إلى الإيمان والعمل الصالح، ويصغر ما عداها من القيم الأرضية الدنيوية التي تبهر الأنظار .فكل ما على الأرض من زينة إنما جعل للابتلاء والاختبار، ونهايته فناء ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف:٧-٨].

وهكذا نجد محور السورة هو تصحيح العقيدة . وتصحيح منهج الفكر والنظر . وتصحيح القيم بميزان العقيدة»(١).

فبهذا اتضحت الصورة الكاملة للمقاصد، وتجلت الموضوعات الأساسية للسورة.

---

(١) ظلال القرآن ٤/ ٢٢٥٦- ٢٢٥٧.

المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها

افتتحت السورة بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ [الكهف:١-٤].

" موقع الافتتاح بهذا التحميد كموقع الخطبة يفتتح بها الكلام في الغرض المهم ..إلى أن تختم السورة بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

وهذا تقرير أن القرآن وحي من الله تعالى إلى رسوله فكان في هذا الختام مُحسن رد العجز على الصدر"(١) .

وبذلك تبدوآيات السورة حلقة واحدة دائرة حول مقصودها: إثبات صدق نبوة محمد ﷺ وتأييده فيما يدعو إليه من التوحيد والعمل الصالح. من أول آياتها إلى آخرها . - والله أعلم - .

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٢٤٦.

المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها

ابن عاشور لم يتعرض للمناسبات بين السور، لأنه يرى أن البحث في هذا الأمرليس حقا على المفسر فيقول في مقدمة كتابه «أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقا على المفسر»[1].

وكذلك نعرض نحن عن هذا في هذا المبحث .

(١) التحرير والتنوير ١/ ٨

المبحث الرابع: تناسب آياتها وأثره في التفسير

١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾ [الكهف:٧-٨].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«مناسبة موقع هذه الآية هنا خفية جداً أعوز المفسرين بيانُها، فمنهم ساكت عنها، ومنهم محاول بيانها بما لا يزيد على السكوت.

والذي يبدو: أنها تسلية للنبي ﷺ على إعراض المشركين بأن الله أمهلهم وأعطاهم زينة الدنيا لعلهم يشكرونه، وأنهم بطروا النعمة، فإن الله يسلب عنهم النعمة فتصير بلادهم قاحلة. وهذا تعريض بأنه سيحل بهم قحط السنين السبع التي سأل رسولُ الله ربه أن يجعلها على المشركين كسنين يوسف عليه السلام.

ولهذا اتصال بقوله: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾[الكهف:٢]»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

العجيب أن ابن عاشور يقول موقع هذه الآية هنا خفية جداً أعوز المفسرين بيانُها، فمنهم ساكت عنها، ومنهم محاول بيانها بما لا يزيد على السكوت، ثم إن المفسرون ذكروا ما ذكره ابن عاشور من أنها تسلية للرسول ﷺ.

قال الرازي: «قال القاضي: وجه النظم كأنه تعالى يقول: يا محمد إني خلقت الأرض وزينتها، وأخرجت منها أنواع المنافع والمصالح، والمقصود من خلقها بما فيها من المنافع ابتلاء الخلق بهذه التكاليف، ثم إنهم يكفرون ويتمردون مع ذلك فلا أقطع عنهم مواد هذه النعم. فأنت أيضاً يا محمد ينبغي أن لا تنتهي في الحزن بسبب كفرهم

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٢٥٦.

إلى أن تترك الاشتغال بدعوتهم إلى الدين الحق»[1].

قال ابن عطية: « وقوله ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً ﴾، الآية بسط في التسلية أي لا تهتم للدنيا وأهلها فأمرها وأمرهم أقل بفنائه وذهابه، فإنا إنما جعلنا ما على الأرض زينة وامتحاناً وخبرة»[2].

قال البقاعي: « ثم بين علة إرشاده إلى الإعراض عنهم بغير ما يقدر عليه من التبليغ للبشارة والنذارة بأنهم لم يخرجوا عن مراده سبحانه، وأن الإيمان لا يقدر على إدخاله قلوبهم غيره»[3].

قال أبو حيان: « وارتباط قوله ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ﴾ الآية بما قبلها هو على سبيل التسلية للرسول ﷺ، لأنه تعالى أخبر أنه خلق ما على الأرض من الزينة للابتلاء والاختبار ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فليسوا على نمط واحد في الاستقامة واتباع الرسل، بل لا بد أن يكون فيهم من هو أحسن عملاً، ومن هو أسوأ عملاً، فلا تغتم وتحزن على من فضلت عليه بأنه يكون أسوأ عملاً، ومع كونهم يكفرون بي لا أقطع عنهم موادّ هذه النعم التي خلقتها»[4].

قال الآلوسي: « ووجه ربط هاتين الآيتين بما قبلهما على ما قاله بعض المحققين أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ﴾ إلخ ... تعليل لما في لعل من معنى الاشفاق وقوله سبحانه ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ ﴾ إلخ .... تكميل للتعليل، وحاصل المعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من تكذيب لما أنزلنا عليك من الكتاب فإنا قد جعلنا ما على الأرض من فنون الأشياء زينة، لها لنختبر أعمالهم فنجازيهم بحسبها، وإنا لمفنون ذلك عن قريب

---

(١) مفاتيح الغيب ٢١/ ٤٢٨.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٧.

(٣) نظم الدرر ٤/ ٤٤٦.

(٤) البحر المحيط ٦/ ٩٦.

ومجازون بحسب الأعمال، وفي معنى ذلك ما قيل إنه تسكين له عليه الصلاة والسلام كأنه قيل: لا تحزن فإنا ننتقم لك منهم وظاهر كلام بعضهم جعل ما يفهم من أول السورة تعليلاً للإشفاق، حيث قال المعنى لا يعظم حزنك بسبب كفرهم فانا بعثناك منذراً، ومبشراً، وإما تحصيل الإيمان في قلوبهم فلا قدرة لك عليه، قيل ولا يضر جعل ما ذكر تعليلا لذلك أيضاً، لأن العلل غير حقيقية»[1].

قال النيسابوري: «قال أهل النظم: كأنه تعالى يقول: إني خلقت الأرض وزينتها ابتلاء للخلق بالتكاليف، ثم إنهم يتمردون ويكفرون، ومع ذلك فلا أقطع عنهم مواد هذه النعم، فأنت أيضاً يا محمد لا تترك الاشتغال بدعوتهم بعد أن لا تأسف عليهم وما على الأرض»[2].

قال ابن عجيبة: «ثم علّل وجه إدبارهم عن الإيمان، وهو اغترارهم بزهرة الدنيا، فقال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ ﴾»[3].

ومن هذا النقل فإن محصلة أقوالهم في المناسبةأنها تسلية للنبي ﷺ على إعراض المشركين بأن الله أمهلهم وأعطاهم زينة الدنيا لعلهم يشكرونه، وإن بطروا النعمة، فإن الله يسلب عنهم النعمة، فتصير بلادهم قاحلة، وكلامهم يدور في هذا المحور. والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثرهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

---

(١) روح المعاني٨/ ١٩٩

(٢) غرائب القران٤/ ٤٠٥.

(٣) البحر المديد٤/ ١٣٩.

٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ [الكهف:٩].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

« (أم) للإضراب الانتقالي من غرض إلى غرض . ولما كان هذا من المقاصد التي أنزلت السورة لبيانها لم يكن هذا الانتقال اقتضاباً، بل هو كالانتقال من الديباجة والمقدمة إلى المقصود

على أن مناسبة الانتقال إليه تتصل بقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[الكهف:٦] إذ كان مما صرف المشركين عن الإيمان إحالتهم الإحياء بعد الموت، فكان ذكر أهل الكهف وبعثِهم بعد خمودهم سنين طويلة مثالاً لإمكان البعث، فإن إماتة الأحياء بعد حياتهم أعظم من عجب إنامة أهل الكهف . لأن في إنامتهم إبقاءً للحياة في أجسامهم، وليس في إماتة الأحياء إبقاء لشيء من الحياة فيهم على كثرتهم وانتشارهم . وهذا تعريض بغفلة الذين طلبوا من النبي ﷺ بيان قصة أهل الكهف لاستعلام ما فيها من العجب، بأنهم سألوا عن عجيب، وكفروا بما هو أعجب، وهو انقراض العالم، فإنهم كانوا يعرضون عن ذكر فناء العالم ويقولون: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤] . أي إن الحياة إلا حياتنا الدنيا لا حياة الآخرة، وأن الدهر يهلكنا وهو باق»[1].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: « اعلم أن القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف، وسألوا عنها الرسول على سبيل الامتحان فقال تعالى: أم حسبت أنهم كانوا عجباً من آياتنا فقط، فلا تحسبن ذلك فإن آياتنا كلها عجب، فإن من كان قادراً على تخليق السموات

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٢٥٨

والأرض، ثم يزين الأرض بأنواع المعادن والنبات والحيوان، ثم يجعلها بعد ذلك صعيداً جرزاً خالية عن الكل، كيف يستبعدون من قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة وأكثر في النوم ؟، هذا هو الوجه في تقرير النظم . والله أعلم»(١).

قال البقاعي: « ولما كان هذا من العجائب التي تضاءلت عندها العجائب، والغرائب التي تخضع لديها الغرائب، وإن صارت مألوفة بكثرة التكرار، والتجلي على الأبصار، هذا إلى ما له من الآيات التي تزيد على العد، ولا يحصر بحد، من خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر والكواكب - وغير ذلك، حقر آية أصحاب الكهف - وإن كانت من أعجب العجب - لاضمحلالها في جنب ذلك، لأن الشيء إذا كان كذلك كثر ألفه فلم يعد عجباً، فنبه على ذلك بقوله تعالى عطفاً على ما تقديره: أعلمت أن هذا وغيره من عجائب قدرتنا؟: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾»(٢).

قال الآلوسي: « والمعنى أن قصتهم وإن كانت خارقة للعادة ليست بعجيبة بالنسبة إلى سائر الآيات التي من جملتها ما تقدم، ومن هنا يعلم وجه الربط»(٣).

ومن هذا النقل فإن محصلة أقوالهم في المناسبة أن القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف، وسألوا عنها الرسول على سبيل الامتحان فقال تعالى: أم حسبت أنهم كانوا عجباً من آياتنا فقط، فلا تحسبن ذلك فإن آياتنا كلها عجب .وكلامهم يدور في هذا المحور. والله اعلم .

---

(١) مفاتيح الغيب٢١/ ٤٢١

(٢) نظم الدرر٤/ ٤٤٧.

(٣) روح المعاني٨/ ٢٠٠.

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ ﴾ [الكهف:١٣].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لما اقتضى قوله: ﴿لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ﴾ [الكهف:١٢] أن في نبأ أهل الكهف تخرصات ورجماً بالغيب أثار ذلك في النفس تطلعا إلى معرفة الصدق في أمرهم، من أصل وجود القصة إلى تفاصيلها من مخبر لا يُشك في صدق خبره كانت جملة نحن نقص عليك نبأهم بالحق استئنافاً بيانياً لجملة ﴿لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا﴾»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال ابن عطية: « لما اقتضى قوله ﴿لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ﴾ اختلافاً وقع في أمر الفتية، عقب بالخبر عن أنه ﷻ يعلم من أمرهم ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾ الذي وقع، وفي مجموع هذه الآيات جواب قريش عن سؤالهم الذي أمرتهم به بنو إسرائيل»(٢).

قال أبو السعود: «﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ﴾ شروعٌ في تفصيل ما أُجمل فيما سلف من قوله تعالى: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ﴾[الكهف:١٠] إلخ.. أي نحن نخبرك بتفاصيل أخبارِهم»(٣).

قال البقاعي: « ولما كان الكلام على اختلاف وقع في مدتهم، وكان الحزبان معاً هم ومن خالفهم متقاربين في الجهل بإحصائه على سبيل القطع، وكان اليهود الذين أمروا قريشاً بالسؤال عن أمرهم تشكيكاً في الدين لا يعلمون أمرهم على الحقيقة، نبه على ذلك بقوله جواباً لمن كأنه قال: أيهما أحصاه؟: ﴿ نَّحۡنُ﴾ أو يقال: ولما أخبر الله

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٢٧٠

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠١.

(٣) إرشاد العقل السليم ٥/ ٢٠٩.

سبحانه عن مسألة قريش الثانية، وهي قصة أهل الكهف، مجملاً لها بعض الإجمال بعد إجمال الجواب عن المسألة الأولى، وهي الروح، كان السامع جديراً بأن تستشرف نفسه إلى بيان أكثر من ذلك فيضيق صدره خشية الاقتصار على ما وقع من ذلك من الأخبار، فقال جواباً لمن كأنه قال: اسأل الإيضاح، وبيان الحق من خلاف الحزبين: نحن ﴿نَقُصُّ﴾»[1].

قال أبو حيان: « ولما ذكر قوله ليعلم مشعراً باختلاف في أمرهم عقب بأنه تعالى هو الذي يقص شيئاً فشيئاً على رسوله ﷺ خبرهم ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي على وجه الصدق، وجاء لفظ ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ﴾ موازياً لقوله لنعلم»[2].

ومن هذا النقل فإن محصلة أقوالهم في المناسبة أنه لما اقتضى قوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾ أن في نبأ أهل الكهف تخرصات ورجماً بالغيب أثار ذلك في النفس تطلعا إلى معرفة الصدق في أمرهم .وكلامهم يدور في هذا المحور. والله اعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأت بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) نظم الدرر٤/ ٤٤٧.

(٢) البحر المحيط٦/ ٩٨.

٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف:٢٣-٢٤].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف على الاعتراض. ومناسبة موقعه هنا ما رواه الطبري[(١)] في أول هذه السورة: أن المشركين لما سألوا النبي ﷺ عن أهل الكهف، وذي القرنين وعدهم بالجواب عن سؤالهم من الغد ولم يَقُل " إن شَاءَ الله " فلم يأته جبريل عليه السلام بالجواب إلا بعد خمسة عشرَ يوماً. وقيل: بعد ثلاثة أيام كما تقدم، أي فكان تأخير الوحي إليه بالجواب عتاباً رمزياً من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام»[(٢)].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال ابن عطية: «عاتب الله تعالى فيها نبيه عليه السلام على قوله للكفار غداً أخبركم بجواب أسئلتكم، ولم يستثن في ذلك، فاحتبس عنه الوحي خمسة عشر يوماً حتى شق ذلك عليه، وأرجف الكفار به، فنزلت عليه هذه السورة مفرجة، وأمر في هذه الآية أن لا يقول في أمر من الأمور: إني أفعل غداً كذا وكذا إلا وأن يعلق ذلك بمشيئة الله عز وجل»[(٣)].

قال البقاعي: «ولما كان نهيه عن استفتائهم موجباً لقصر همته على ربه سبحانه فكان من المعلوم أنه إذا سئل عن شيء، التفتت نفسه إلى تعرفه من قبله، فربما قال لما

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٧/ ٥٩٣، وذكره ابن كثير في تفسيره ٥/ ١٢٦، بدون تعليق عليه وعلى سنده.

(٢) التحرير والتنوير ١٥/ ٢٩٥

(٣) المحرر الوجيز٣/ ٥٠٩.

يعلم من إحاطة علم الله سبحانه وكرمه لديه: سأخبركم به غداً، كما وقع من هذه القصص، علمه الله ما يقول في كل أمر مستقبل يعزم عليه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىٍءٍ﴾ أي لأجل شيء من الأشياء التي يعزم عليها جليلها وحقيرها، عزمت على فعله: عزماً صادقاً من غير تردد وإن كنت عند نفسك في غاية القدرة عليه»[١].

ومن هذا النقل فإن محصلة أقوالهم في المناسبة، أنه عاتب الله تعالى فيها نبيه ﷺ على قوله للكفار غداً أخبركم بجواب أسئلتكم، ولم يستثن في ذلك، فاحتبس عنه الوحي خمسة عشر يوماً حتى شق ذلك عليه، وأرجف الكفار به، فنزلت عليه هذه السورة مفرجة. وكلامهم يدور في هذا المعنى. والله اعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) نظم الدرر٤/ ٤٦٠.

٥ - المناسبة في قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف:٥٠].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف على جملة ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾[الكهف:٤٧] بتقدير: واذكر إذ قلنا للملائكة، تفننا لغرض الموعظة الذي سيقت له هذه الجمل، وهو التذكير بعواقب اتباع الهوى والإعراضُ عن الصالحات، وبمداحض الكبرياء والعُجب واحتقار الفضيلة، والابتهاج بالإعراض التي لا تكسب أصحابها كمالاً نفسياً . وكما وُعظوا بآخر أيام الدنيا ذُكروا هنا بالموعظة بأول أيامها وهو يوم خلق آدم، وهذا أيضاً تمهيد وتوطئة لقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾[الكهف:٥٢] الآية فإن الإشراك كان من غرور الشيطان ببني آدم .

ولها أيضاً مناسبة بما تقدم من الآيات التي أنحت على الذين افتخروا بجاههم وأموالهم، واحتقروا فقراء أهل الإسلام، ولم يميزوا بين الكمال الحق، والغرور الباطل، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾[الكهف:٢٨] فكان في قصة إبليس نحو آدم مَثل لهم، ولأن في هذه القصة تذكيراً بأن الشيطان هو أصل الضلال، وأن خسران الخاسرين يوم القيامة آيل إلى اتباعهم خطوات الشيطان وأوليائه . ولهذا فرع على الأمرين قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾.

وهذه القصة تكررت في مواضع كثيرة من القرآن، وهي في كل موضع تشتمل على شيء لم تشتمل عليه في الآخر، ولها في كل موضع ذُكرت فيه عبرة تخالف عِبرة غيره، فذكرها في سورة البقرة (مَثلاً) إعلام بمبادىء الأمور، وذكرها هنا تنظير للحال، وتوطئة للإنكار والتوبيخ، وقس على ذلك»[1].

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٣٤٠

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: «اعلم أن المقصود من ذكر الآيات المتقدمة الرد على القوم الذين افتخروا بأموالهم وأعوانهم على فقراء المسلمين، وهذه الآية المقصود من ذكرها عين هذا المعنى، وذلك لأن إبليس إنما تكبر على آدم، لأنه افتخر بأصله ونسبه وقال: خلقتني من نار وخلقته من طين فأنا أشرف منه في الأصل والنسب فكيف أسجد، وكيف أتواضع له، وهؤلاء المشركون عاملوا فقراء المسلمين بعين هذه المعاملة فقالوا: كيف نجلس مع هؤلاء الفقراء مع أنا من أنساب شريفة، وهم من أنساب نازلة، ونحن أغنياء وهم فقراء، فالله تعالى ذكر هذه القصة ههنا تنبيهاً على أن هذه الطريقة هي بعينها طريقة إبليس، ثم إنه تعالى حذر عنها وعن الاقتداء بها في قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ فهذا هو وجه النظم، وهو حسن معتبر.

وذكر القاضي وجهاً آخر فقال: إنه تعالى لما ذكر من قبل أمر القيامة، وما يجري عند الحشر ووضع الكتاب، وكأن الله تعالى يريد أن يذكر ههنا أنه ينادي المشركين، ويقول لهم أين شركائي الذي زعمتم، وكان قد علم تعالى أن إبليس هو الذي يحمل الإنسان على إثبات هؤلاء الشركاء، لا جرم قدم قصته في هذه الآية إتماماً لذلك الغرض ثم قال القاضي: وهذه القصة وإن كان تعالى قد كررها في سور كثيرة إلا أن في كل موضع منها فائدة مجددة»[1].

قال أبو السعود: «والمرادُ بتذكير قصّتِه تشديدُ النكيرِ على المتكبرين المفتخرين بأنسابهم وأموالِهم المستنكفين عن الانتظام في سلك فقراءِ المؤمنين ببيان أن ذلك من صنيع إبليسَ، وأنهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبيء عنه قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ إلخ...، فإن الهمزةَ للإنكار والتعجبِ، والفاءَ للتعقيب أي أعَقيبَ علمِكم بصدور تلك القبائحِ عنه تتخذونه»[2].

---

(١) مفاتيح الغيب ٢١/ ٤٧٥

(٢) إرشاد العقل السليم ٥/ ٢٢٥.

قال البقاعي: « ولما ذكر البعث وختمه بإحسانه بالعدل المثمر لإعطاء كل أحد ما يستحقه، أتبعه بماله من الفضل بابتداء الخلق الذي هو دليله، في سياق مذكر بولايته الموجبة للإقبال عليه، وعداوة الشيطان الموجبة للإدبار عنه، مبين لما قابلوا به عدله فيهم، وفي عدوهم من الظلم بفعلهم كما فعل من التكبر على آدم عليه السلام بأصله، فتكبروا على فقراء المؤمنين بأصلهم، وأموالهم، وعشائرهم، فكان فعلهم فعله سواء، فكان قدوتهم وهو عدوهم، ولم يقتدوا بخير خلقه وهو وليهم وهو أعرف الناس به»(١).

قال أبو حيان: « ذكروا في ارتباط هذه الآية بما قبلها أنه تعالى لما أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بمجالسة الفقراء، وكان أولئك المتكبرون قد تأنفوا عن مجالستهم، وذكروا للرسول ﷺ طردهم عنه، وذلك لما جبلوا عليه من التكبر والتكثر بالأموال والأولاد وشرف الأصل والنسب، وكان أولئك الفقراء بخلافهم في ذلك ناسب ذكر قصة إبليس بجامع ما اشتركا فيه من التكبر والافتخار بالأصل الذي خلق منه، وهذا الذي ذكروه في الارتباط هو ظاهر بالنسبة للآيات السابقة قبل ضرب المثلين، وأما أنه واضح بالنسبة لما بعد المثلين فلا، والذي يظهر في ارتباط هذه الآية بالآية التي قبلها هو أنه لما ذكر يوم القيامة والحشر، وذكر خوف المشركين مما سطر في ذلك الكتاب، وكان إبليس هو الذي حمل المجرمين على معاصيهم، واتخاذ شركاء مع الله ناسب ذكر إبليس، والنهي عن اتخاذ ذريته أولياء من دون الله تبعيداً عن المعاصي، وعن امتثال ما يوسوس به»(٢).

ذكر ابن عاشورالربط بين الآيتين من ثلاثة أوجه:

الأول: أنها معطوفة على جملة ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾ لتذكير بعواقب اتباع الهوى والعجب.

---

(١) نظم الدرر ٤/ ٤٧٥.

(٢) البحر المحيط ٦/ ١٢٨.

الثاني: أن فيها تمهيد، وتوطئة لقوله: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ الآية فإن الإشراك كان من غرور الشيطان ببني آدم .

وهذا مناسب للوجه الآخر الذي ذكره الرازي عن القاضي ، وهوماذكره أبوحيان.

الثالث: وفيها مناسبة بما تقدم من الآيات التي أنحت على الذين افتخروا بجاههم وأموالهم، واحتقروا فقراء أهل الإسلام، ولم يميزوا بين الكمال الحق والغرور الباطل.

وبهذا الوجه قال أبو السعود، والبقاعي، وأبوحيان.

والذي يظهر أن الأنسب الوجه الثالث الذي ذكره ابن عاشور، ومن وافقه لأن فيه بيان حالة الذين افتخروا بجاههم وأموالهم، واحتقروا فقراء أهل الإسلام، ولم يميزوا بين الكمال الحق والغرور الباطل، فلذلك كان هذا الوجه في الربط له موقع حسن . والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف:٥٤] .

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«عطف على الجمل السابقة التي ضربت فيها أمثال من قوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾[الكهف:٣٢] وقوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ﴾[الكهف:٤٥] ولما كان في ذلك لهم مقنع، وما لهم منه مدفع عاد إلى التنويه بهدي القرآن عودا ناظراً إلى قوله: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾[الكهف:٢٧] وقوله: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف:٢٩] فأشار لهم أن هذه الأمثال التي قرعت أسماعهم هدي من جملة هدي القرآن الذي تبرمُوا منه.

وجملة ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ تذييل، وهو مؤذن بكلام محذوف على وجه الإيجاز، والتقدير: فجادلوا فيه ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾»(١).

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: « اعلم أن أولئك الكفرة لما افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة أموالهم وأتباعهم، وبين تعالى بالوجوه الكثيرة أن قولهم فاسد، وشبهتهم باطلة، وذكر فيه المثلين المتقدمين، قال بعده: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ وهو إشارة إلى ما سبق والتصريف يقتضي التكرير والأمر كذلك، لأنه تعالى أجاب عن شبهتهم التي ذكروها من وجوه كثيرة، ومع تلك الجوابات الشافية، والأمثلة المطابقة فهؤلاء الكفار لا يتركون المجادلة الباطلة فقال وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً أي أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل»(٢).

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٣٤٦

(٢) مفاتيح الغيب٢١/ ٤٧٦

قال الشوكاني: « لما ذكر سبحانه افتخار الكفرة على فقراء المسلمين بأموالهم وعشائرهم، وأجابهم عن ذلك، وضرب لهم الأمثال الواضحة، حكى بعض أهوال الآخرة فقال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾»[1].

ذكر ابن عاشورأن المناسبة هي أنها عطف على الجمل السابقة التي ضربت فيها أمثال فأشار لهم أن هذه الأمثال التي قرعت أسماعهم هدي من جملة هدي القرآن الذي تبرمُوا منه.

وهذه من تفردات ابن عاشور، وإضافاته .

وأما الرازي فيختلف عن ابن عاشور، ويتفق في المعنى مع الشوكاني،

ومن خلال ماسبق، يظهرأن كل ما ذكر قول حسن وجيد في المناسبة، وله أثره في التفسير، والربط بين الآيتين، ولامانع من ذكر أكثر من مناسبة للآية الكريمة، ولا تتزاحم المناسبات، ولكن الأنسب ما أورده ابن عاشور لأن فيه عطف على الجمل السابقة التي ضربت فيها أمثال، فأشار لهم أن هذه الأمثال التي قرعت أسماعهم هدي من جملة هدي القرآن الذي تبرمُوا منه وهذا القول أعم من غيره لأنه يربط بين الجمل السابقة، فظهر بذلك حسن الارتباط، ودقة التناسب . والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة، وذلك أن هذه الآيةعطف على الجمل السابقة التي ضربت فيها أمثال فأشار لهم أن هذه الأمثال التي قرعت أسماعهم هدي من جملة هدي القرآن الذي تبرمُوا منه، وهذه من تفرداته التي لم يسبق إليها، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها. والله أعلم .

(١) فتح القدير ٤/ ٤٠٣

٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الكهف:٥٧].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لما بين حالهم من مجادلة الرسل لسوء نية، ومن استهزائهم بالإنذار، وعرّض بحماقتهم أتبع ذلك بأنه أشد الظلم، ذلك لأنه ظلم المرء نفسه وهو أعجب الظلم، فالذين ذُكِروا ما هم في غفلة عنه تذكيراً بواسطة آيات الله فأعرضوا عن التأمل فيها مع أنها تنذرهم بسوء العاقبة . وشأن العاقل إذا سمع مثل ذلك أن يتأهب للتأمل وأخذ الحذر، كما قال النبي ﷺ لقريش «إذا أخبرتكم أن العدو مصبحكم غداً أكنتم مُصدِّقي؟ فقالوا: ما جربنا عليك كذباً» فقال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»[(١)]»[(٢)].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: « اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار جدالهم بالباطل وصفهم بعده بالصفات الموجبة للخزي والخذلان »[(٣)].

قال البقاعي: « ولما حكي عنهم هذا الجدال، والاستهزاء والضلال، وصفهم بما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قَوْلُهُ ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ رقم(٤٥٩٠).

وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى (وأنذرعشيرتك الأقربين) رقم (٣٠٧).

(٢) التحرير والتنوير ١٥/ ٣٥٤.

(٣) مفاتيح الغيب ٢١/ ٤٧٧

يموجب الخزي فقال عاطفاً على ما تقديره: فكانوا بذلك أظلم الظالمين»[1].

قال أبو السعود: «وهذا السبكُ وإن كان مدلولُه الوضعيُّ نفيَ الأظلمية من غير تعرّضٍ لنفي المساواة في الظلم إلا أن مفهومَه العُرْفيَّ أنه أظلمُ من كل ظالم، وبناءُ الأظلمية على ما في حيز الصلة من الإعراض عن القرآن للإشعار بأن ظلمَ من يجادل فيه ويتخذُه هزواً خارجٌ عن الحد»[2].

ومن هذا النقل فإن محصلة أقوالهم في المناسبة، أنه تعالى لما حكى عن الكفار جدالهم بالباطل وصفهم بعده بالصفات الموجبة للخزي والخذلان. وكلامهم يدور في هذا المحور. والله أعلم.

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثربهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم.

---

(١) نظم الدرر ٤/ ٤٨٣.

((٢إرشاد العقل السليم ٥/ ٢٢٩

٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾ [الكهف:٥٨].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«جرى القرآن على عادته في تعقيب الترهيب بالترغيب والعكس، فلما رماهم بقوارع التهديد، والوعيد عطف على ذلك التعريضَ بالتذكير بالمغفرة، لعلهم يتفكرون في مرضاته، ثم التذكير بأنه يشمل الخلق برحمته في حين الوعيد، فيؤخر ما توعدهم به إلى حد معلوم إمهالاً للناس، لعلهم يرجعون عن ضلالهم، ويتدبرون فيما هم فيه من نعم الله تعالى، فلعلهم يشكرون»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال ابن عطية: « لما أخبر تعالى عن القوم الذين حتم بكفرهم، أنهم لا يهتدون أبداً، عقب ذلك بأنه للمؤمنين، ﴿ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾، ويتحصل للكفار من صفته تعالى بالغفران والرحمة، ترك المعاجلة، ولو أخذوا بحسب ما يستحقونه لبادرهم بالعذاب المبيد لهم، ولكنه تعالى أخرهم إلى موعد لا يجدون عنه منجي»(٢).

قال البقاعي: « ولما كان هذا مقتضياً لأخذهم، عطف على ما اقتضاه السياق مما ذكرته من العلة قولَه تعالى: ﴿وَرَبُّكَ﴾ مشيراً بهذا الاسم إلى ما اقتضاه الوصف من الإحسان بأخذ من يأخذ منهم، وإمهال غيره لحكم دبرها؛ ثم أخبر عنه بها ناسب ذلك من أوصافه فقال: ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ أي هو وحده الذي يستر الذنوب، إما بمحوها، وإما بالحلم عنها إلى وقت ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي الذي يعامل وهو قادرمع موجبات الغضب

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٣٥٦

(٢) المحرر الوجيز٣/ ٥٢٧.

معاملة الراحم بالإكرام»[1].

ومن هذا النقل فإن محصلة أقوالهم في المناسبة، أنه ذكر لهم قوارع التهديد والوعيد، عطف على ذلك التعريضَ بالتذكير بالمغفرة، لعلهم يتفكرون في مرضاته. وكلامهم يدور في هذا المحور. والله اعلم.

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، إذ فيها نكتة بلاغية، وهي ما يسميه البلاغيون: التعريض: وهو في قوله: عطف على ذلك التعريضَ بالتذكير بالمغفرة لعلهم يتفكرون في مرضاته[2].

(١) نظم الدرر ٤/ ٤٨٤.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ١٥/ ٣٥٦

٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف:٦٠].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

« لما جرى ذكر قصة خلق آدم، وأمر الله الملائكة بالسجود له، وما عرض للشيطان من الكبر والاعتزاز بعنصره جهلاً بأسباب الفضائل، ومكابرةً في الاعتراف بها، وحسداً في الشرف والفضل، فَضرب بذلك مثلاً لأهل الضلال عبيد الهوى، والكبر، والحسد، أعقبَ تلك القصة بقصة هي مَثل في ضدها، لأن تطلب ذي الفضل والكمال للازدياد منهما، وسعيه للظفر بمن يبلغه الزيادة من الكمال، اعترافاً للفاضل بفضيلته . وفي ذلك إبداء المقابلة بين الخُلُقين، وإقامة الحجة على المماثلة والمخالفة بين الفريقين المؤمنين والكافرين، وفي خلال ذلك تعليم، وتنويه بشأن العلم والهدى، وتربية للمتقين»(١).

➢ **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: « اعلم أن هذا ابتداء قصة ثالثة ذكرها الله تعالى في هذه السورة وهي أن موسى عليه السلام ذهب إلى الخضر عليه السلام ليتعلم منه العلم، وهذا وإن كان كلاماً مستقلاً في نفسه إلا أنه يعين على ما هو المقصود في القصتين السابقتين . أما نفع هذه القصة في الرد على الكفار الذين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الأموال والأنصار، فهو أن موسى عليه السلام مع كثرة علمه وعمله وعلو منصبه واستجماع موجبات الشرف التام في حقه ذهب إلى الخضر، لطلب العلم، وتواضع له، وذلك يدل على أن التواضع خير من التكبر، وأما نفع هذه القصة في قصة أصحاب الكهف فهو أن اليهود قالوا لكفار مكة: إن أخبركم محمد عن هذه القصة فهو نبي وإلا فلا، وهذا ليس بشيء، لأنه لا يلزم من كونه نبياً من عند الله تعالى أن يكون عالماً بجميع القصص والوقائع، كما أن

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٣٥٨

كون موسى عليه السلام نبياً صادقاً من عند الله لم يمنع من أمر الله إياه بأن يذهب إلى الخضر ليتعلم منه، فظهر مما ذكرنا أن هذه القصة قصة مستقلة بنفسها، ومع ذلك فهي نافعة في تقرير المقصود في القصتين المتقدمتين»[1].

قال البقاعي: « ولما قدم الكلام على البعث، واستدل عليه بابتداء الخلق، ثم ذكر بعض أحواله، ثم عقبه بما ضرب لذلك وغيره من الأمثال، وصرف من وجوه الاستدلال، وختم ذلك بأنه يمهل عند المساءة، عقب ذلك بأنه كذلك يفعل عند المسرة، فلكل شيء عنده كتاب، وكل قضاء بقدر وحساب، فذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام وما اتفق له في طلبه، وجعله سبحانه له الحوت آية وموعداً للقائه، ولو أراد سبحانه لقرب المدى ولم يحوج إلى عناء، مع ما فيها من الخارق الدال على البعث، ومن الدليل على أن من ثبت فضله»[2].

قال ابن عجيبة: « ولمَّا ذكر الحق جل جلاله قصة أهل الكهف، وكان وقع فيها عتاب للرسول عليه الصلاة والسلام حيث لم يستثن بتأخير الوحي، وبقوله: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ... ﴾ [الكهف:٢٣] إلخ..، ذكر هنا قصة موسى مع الخضر - عليهما السلام - وكان سَبَبُها عتابَ الحق لموسى عليه السلام؛ حيث لم يردَّ العلم إليه، حين قال له القائل: هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ فقال: لا، فذكر الحق تعالى قصتها؛ تسليةً لنبينا عليه الصلاة والسلام بمشاركة العتاب»[3].

ذكر ابن عاشورأن المناسبة هي َضرب مثل لأهل الضلال عبيد الهوى، والكبر، والحسد

وهذه من تفردات ابن عاشور، وإضافاته .

---

(١) مفاتيح الغيب٢١/ ٤٨١

(٢) نظم الدرر٤/ ٤٨٥- ٤٨٦.

(٣) البحر المديد٤/ ١٧١.

أما الرازي ذكر أن المناسبة هي الرد على الكفار الذين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الأموال والأنصار .

وبهذا المعنى، قال البقاعي .

أما ابن عجيبة ذكر أن المناسبة هي ذكر قصة موسى مع الخضر -عليهما السلام- تسليةً لنبيناﷺ بمشاركة العتاب.

ولكن الأنسب فيما يظهرما ذكره ابن عاشور، لأن فيه ضرب مثل لأهل الضلال عبيد الهوى، والكبر، والحسد، وهذا الوجه أدق في بيان التناسب، وأليق بنظم الكلام . والله أعلم .

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة التي فيها َضرب مثل لأهل الضلال عبيد الهوى، والكبر، والحسد، وهذه من تفرداته وإضافاته التي لم يسبق إليها، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها. والله أعلم .

١٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾ [الكهف:١٠٩].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لما ابتدأت هذه السورة بالتنويه بشأن القرآن، ثم أفيض فيها من أفانين الإرشاد والإنذار والوعد والوعيد، وذكر فيها من أحسن القصص ما فيه عبرة وموعظة، وما هو خفي من أحوال الأمم، حُول الكلام إلى الإيذان بأن كل ذلك قليل من عظيم علم الله تعالى

فهذا استئناف ابتدائي وهو انتقال إلى التنويه بعلم الله تعالى مفيض العلم على رسوله ﷺ، لأن المشركين لما سألوه عن أشياء يظنونها مفحمة للرسول وأن لا قبل له بعلمها علمه الله إياها، وأخبر عنها أصدق خبر، وبيّنها بأقصى ما تقبله أفهامهم وبما يقصر عنه علم الذين أغروا المشركين بالسؤال عنها، وكان آخرها خبر ذي القرنين، أتبع ذلك بما يعلم منه سعة علم الله تعالى، وسعة ما يجري على وفق علمه من الوحي، إذا أراد إبلاغ بعض ما في علمه إلى أحد من رسله . وفي هذا رد عجز السورة على صدرها »[(١)].

> **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما ذكر في هذه السورة أنواع الدلائل والبينات، وشرح أقاصيص الأولين نبه على كمال حال القرآن فقال: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾»[(٢)].

---

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ٥١

(٢) مفاتيح الغيب٢١/ ٥٠٥

قال البقاعي: « ولما تم الجواب عن أسئلتهم على أحسن الوجوه مخللاً بما تراه من الحجج البينة، والنفائس الملزمة لهم بفصل النزاع، وأتبع ذلك بقص الأمر الذي بإغفاله تجرؤوا على الكفر، وهو أمر البعث إلى أن ختمه بما يقتضي أن معلوماته لا تحد، لأن مقدوراته في تنعيم أهل الجنة لا آخر لها فلا تعد، وكان اليهود قد اعترضوا على قوله في أوله ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٨٥] بأنهم أوتوا التوراة، وكان لكل ما سألوا عنه من الفصول الطويلة الذيول أمور تهول، وكان ربما قال قائل: ما له لا يزيد ذلك شرحاً؟ قال تعالى آمراً بالجواب عن ذلك كله، معلماً لهم بأنهم لا يمكنهم الوقوف على تمام شرح شيء من معلوماته، وآخر استفصال شيء من مقدوراته، قطعاً لهم عن السؤال، وتقريباً إلى أفهامهم بضرب من المثال»(١).

قال الشوكاني: « لما ذكر سبحانه أنواع الدلائل نبه على كمال القرآن فقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾»(٢).

قال النيسابوري: « ولما ذكر أنواع الدلائل والبينات، وشرح أقاصيص سئل عنها . نبه على كمال حال القرآن»(٣).

ذكر ابن عاشورأن المناسبة هي لما ابتدأت هذه السورة بالتنويه بشأن القرآن، ثم أفيض فيها من أفانين الإرشاد، والإنذار، والوعد، والوعيد، وذكر فيها من أحسن القصص، حُول الكلام إلى الإيذان بأن كل ذلك قليل من عظيم علم الله تعالى.

وبهذا المعنى، قال البقاعي.

أما الرازي ذكر أن المناسبة هي تنبيه على كمال حال القرآن.

وبهذا المعنى قال النيسابوري، والشوكاني.

---

(١) نظم الدرر ٤/ ٥١١.

(٢) فتح القدير ٣/ ٤٤٨.

(٣) غرائب القران ٤/ ٤٦٣.

ومن خلال ما سبق يظهر أن الأنسب ما ذكره ابن عاشور ومن وافقه لأن فيه ربط أول السورة الذي ذكر فيه التنويه بشأن القرآن، ثم أفيض فيها من أفانين الإرشاد، والإنذار، والوعد، والوعيد، وذكر فيها من أحسن القصص، فبعد هذا حُول الكلام إلى الإيذان بأن كل ذلك قليل من عظيم علم الله تعالى، فهذا الوجه في التناسب فيه رد عجز السورة على صدرها، وهو أعم من الأقوال الأخرى ، وأدق في بيان التناسب. والله أعلم.

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثرهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة، لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

الفصل السابع

الفصل السابع

سورة مريم

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

۞ المبحث الأول: مقاصدها.

۞ المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها.

۞ المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها.

۞ المبحث الرابع: تناسب آياتها، وأثره في التفسير.

تمهيـــــد

سورة مريم

اسمائها: اسم هذه السورة في المصاحف، وكتب التفسير، وأكثر كتب السنّة سورة مريم .

ووجه التسمية: أنها بسطت فيها قصة مريم، وابنها، وأهلها قبل أن تفصّل في غيرها . ولا يشبهها في ذلك إلا سورة آل عمران التي نزلت في المدينة .

وابن عبّاس سمّاها سورة ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[الكهف:١]، وكذلك وقعت تسميتها في صحيح البخاري في كتاب التفسير في أكثر النسخ وأصحها(١) .

نوعها: وهي مكية عند الجمهور . وعن مقاتل: أن آية السجدة مدنية، قال ابن عاشور: ولا يستقيم هذا القول لاتصال تلك الآية بالآيات قبلها إلا أن تكون ألحقت بها في النزول وهو بعيد (٢).

ترتيبها بين السور: وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول ؛ نزلت بعد سورة فاطر، وقبل سورة طه(٣) .

عدد آياتها: وعدّت آياتها في عدد أهل المدينة ومكة تسعاً وتسعين . وفي عدد أهل الشام والكوفة ثماناً وتسعين(٤) .

---

(١) انظر: التحرير والتنوير١٦/ ٥٧- ٥٨.

(٢) المرجع السابق .

(٣) انظر: التحرير والتنوير١٦/ ٥٨.

(٤) البيان في عد آي القرآن للداني ١/ ١٨١.

المبحث الأول: مقاصدها

ذكر ابن عاشور مقاصد سورة مريم، وأهم موضوعاتها، في مطلع حديثه عن السورة وتفسيرها، فقال: «ويظهر أنّ هذه السورة نزلت للردّ على اليهود فيما اقترفوه من القول الشنيع في مريم وابنها، فكان فيها بيان نزاهة آل عمران وقدَاستهم في الخير، ثمّ التنويه بجمع من الأنبياء والمرسلين من أسلاف هؤلاء وقرابتهم.

والإنحاء على بعض خلفهم من ذرياتهم الذين لم يكونوا على سننهم في الخير من أهل الكتاب والمشركين، وأتوا بفاحش من القول إذ نسبوا لله ولداً، وأنكر المشركون منهم البعث، وأثبت النصارى ولداً لله تعالى. والتنويه بشأن القرآن في تبشيره ونذارته، وأن الله يسرّه بكونه عربياً ليسر تلك اللغة.

والإنذار ممّا حل بالمكذبين من الأمم من الاستيصال.

واشتملت على كرامة زكريا إذ أجاب الله دعاءه فرزقه ولداً على الكبر وعُقْر امرأته.

وكرامة مريم بخارق العادة في حملها وقداسة ولدها، وهو إرهاص[1] لنبوة عيسى ﵇. ومثله كلامه في المهد.

والتنزيه بإبراهيم ﵇، وإسحاق﵇، ويعقوب﵇، وموسى﵇، وإسماعيل ﵇، وإدريس﵇.

ووصف الجنّة وأهلها.

وحكاية إنكار المشركين البعث بمقالة أُبَيِّ بن خلف، والعاصي بن وائل، وتبجحهم على المسلمين بمقامهم ومجامعهم.

وإنذار المشركين أن أصنامهم التي اعتزوا بها سيندمون على اتخاذها.

(١) مُقدِّمة له وإيذانٌ به انظر: لسان العرب لابن منظورمادة (رهص)٧/ ٤٣.

ووعد الرسول النصر على أعدائه .

وذكر ضرب من كفرهم بنسبة الولد لله تعالى .

والتنويه بالقرآن، وأنه بشير لأوليائه، ونذير بهلاك معانديه، كما هلكت قرون قبلهم .

وقد تكرر في هذه السورة صفة الرحمن ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربع مرات، فأنبأ بأن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمن، والرد على المشركين الذين تقعروا بإنكار هذا الوصف، كما حكى الله تعالى عنهم في قوله في سورة الفرقان ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾[الفرقان:٦٠].

ووقع في هذه السورة استطراد بآية﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [مريم:٦٤] »(١).

ثم نورد ما ذكره البقاعي وسيد قطب من مقاصد، حتى تتضح الصورة الكاملة لأهم المقاصد في السورة .

قال البقاعي: « بيان اتصافه سبحانه بشمول الرحمة باضافة جميع النعم على جميع خلقه، المستلزم للدلالة على اتصافه بجميع صفات الكمال، المستلزم لشمول القدرةعلى إبداع المستغرب، المستلزم لتمام العلم الموجب للقدرة على البعث والتنزه عن الولد »(٢)

قال سيدقطب: « يدور سياق هذه السورة على محور التوحيد؛ ونفي الولد والشريك؛ ويلم بقضية البعث القائمة على قضية التوحيد . . هذا هو الموضوع الأساسي الذي تعالجه السورة، كالشأن في السورة المكية غالباً .

والقصص هو مادة هذه السورة . فهي تبدأ بقصة زكريا عليه السلام، ويحيى عليه السلام، فقصة مريم ومولد عيسى عليه السلام. فطرف من قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه . . ثم تعقبها إشارات

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ٥٩-٦٠

(٢) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ٢/ ٢٥٦

إلى النبيين: إسحاق عليه السلام، ويعقوب عليه السلام، وموسى عليه السلام، وهرون عليه السلام، وإسماعيل عليه السلام، وإدريس عليه السلام، وآدم عليه السلام، ونوح عليه السلام.. ويستغرق هذا القصص حوالي ثلثي السورة. ويستهدف إثبات الوحدانية والبعث، ونفي الولد والشريك، وبيان منهج المهتدين، ومنهج الضالين من أتباع النبيين.

ومن ثم بعض مشاهد القيامة، وبعض الجدل مع المنكرين للبعث.

واستنكار للشرك ودعوى الولد؛ وعرض لمصارع المشركين، والمكذبين في الدنيا، وفي الآخرة.. وكله يتناسق مع اتجاه القصص في السورة، ويتجمع حول محورها الأصيل.

وللسورة، كلها جو خاص يظللها ويشيع فيها، ويتمشى في موضوعاتها..

إن سياق هذه السورة معرض للانفعالات والمشاعر القوية.. الانفعالات في النفس البشرية، وفي « نفس » الكون من حولها. فهذا الكون الذي نتصوره جماداً لا حس له يعرض في السياق ذا نفس وحس ومشاعر وانفعالات، تشارك في رسم الجو العام للسورة، حيث نرى السماوات، والأرض، والجبال تغضب وتنفعل حتى لتكاد تنفطر، وتنشق، وتنهد استنكاراً:

﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[مريم:٩١-٩٢] أما الانفعالات في النفس البشرية فتبدأ مع مفتتح السورة وتنتهي مع ختامها. والقصص الرئيسة فيها حافل بهذه الانفعالات في مواقفه العنيفة العميقة، وبخاصة في قصة مريم، وميلاد عيسى »(١).

---

(١) ظلال القرآن ٤/ ٢٣٠٠.

المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها

افتتحت السورة بقوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝٩﴾ [مريم:١-٩].

"يدور سياق هذه السورة على محور التوحيد؛ ونفي الولد والشريك؛ ويلم بقضية البعث القائمة على قضية التوحيد . . هذا هو الموضوع الأساسي الذي تعالجه السورة، كالشأن في السورة المكية غالباً .

والقصص هو مادة هذه السورة . والظل الغالب في الجو هو ظل الرحمة، والرضى، والاتصال . فهي تبدأ بذكر رحمة الله لعبده زكريا ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ وهو يناجي ربه نجاء: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣﴾.. ويتكرر لفظ الرحمة ومعناها وظلها في ثنايا السورة كثيراً . ويكثر فيها اسم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ . ويصور النعيم الذي يلقاه المؤمنون به في صورة ود: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ۝٩٦﴾[مريم:٩٦] ويذكر من نعمة الله على يحيى أن آتاه الله حناناً ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ۝١٣﴾ [مريم:١٣]. ومن نعمة الله على عيسى أن جعله براً بوالدته، وديعاً لطيفاً: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ۝٣٢﴾ [مريم:٣٢].

وإنك لتحس لمسات الرحمة الندية، ودبيبها اللطيف في الكلمات والعبارات والظلال "[1].

(١) ظلال القرآن ٤/ ٢٣٠٠.

إلى أن ختمت السورة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾﴾ [مريم:٩٦-٩٨].

"فقد ختمت السورة بما بدئت به من الرحمة لأوليائه، والود لأصفيائه، والنعمة للذين خلفوا بعدهم من أعدائه، بعد الرحمة للفريقين بهذا الكتاب بشارة ونذارة فحلت الرحمة على أوليائه، وزلت عن أعدائه"[(١)]. وبذلك نرى آيات السورة وحدة واحدة - والله أعلم - .

(١) نظم الدرر٤/ ٥٥٩.

المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها

ابن عاشور لم يتعرض للمناسبات بين السور، لأنه يرى أن البحث في هذا الأمر ليس حقا على المفسر فيقول في مقدمة كتابه « أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقا على المفسر»[1].

فتركنا التعرض لذلك في هذا المبحث ، والله من وراء القصد.

(١) التحرير والتنوير ١/٨

المبحث الرابع: تناسب آياتها وأثره في التفسير

١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢)﴾ [مريم:٤١-٤٢].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«قد تقدم أن من أهم ما اشتملت عليه هذه السورة التنويه بالأنبياء والرسل السالفين . وإذ كان إبراهيم عليه السلام أبا الأنبياء وأوّل من أعلن التوحيد إعلاناً باقياً، لبنائه له هيكلَ التوحيد وهو الكعبة، كان ذكر إبراهيم من أغراض السورة، وذُكر عقب قصة عيسى لمناسبة وقوع الرد على المشركين في آخر القصة ابتداء من قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم:٣٧] إلى قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [مريم:٤٠] ولما كان إبراهيم قد جاء بالحنيفية، وخالفها العرب بالإشراك وهم ورثة إبراهيم كان لتقديم ذكره على البقية الموقع الجليل من البلاغة، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ على ما لقي من مشركي قومه لمشابهة حالهم بحال قوم إبراهيم .

وقد جرى سَرد خبر إبراهيم عليه السلام على أسلوبِ سرد قصة مريم عليها السلام لما في كل من الأهمية»[1] .

> **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: «لما انتهت قصة عيسى وزكريا عليهما السلام قال قد ذكرت حال زكريا فاذكر حال إبراهيم، وإنما أمر بذكره لأنه عليه السلام ما كان هو ولا قومه ولا أهل بلدته مشتغلين بالعلم، ومطالعة الكتب، فإذا أخبر عن هذه القصة كما كانت من غير زيادة ولا نقصان كان ذلك إخباراً عن الغيب، ومعجزاً قاهراً دالاً على نبوته»[2] .

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ٥٩-٦٠.

(٢) مفاتيح الغيب ٢١/ ٥٤٥

قال البقاعي: « ولما ذم الضالين في أمر المسيح، وعلق تهديدهم بوصف دخل فيه مشركو العرب، فأنذرهم بصريح تكذيبهم بالبعث، وغيرهم بأنهم لسوء أعمالهم كالمكذبين به، وختم ذلك بأنه الوارث وأن الرجوع إليه، ودخل في ذلك الإرث بغلبة أنبيائه، وأتباعهم على أكثر أهل الأرض برجوع أهل الأديان الباطلة إليهم حتى يعم ذلك جميع أهل الأرض في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام، وكان إبراهيم عليه السلام لكثرة أولاده من العرب والروم وأهل الكتابين وراثاً لأكثر الأرض، وكان مثل زكريا في هبة الولد على كبر سنه وعقم زوجه، أتبع ذلك قوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾»(1).

قال أبو حيان: « ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر قصة مريم وابنها عيسى، واختلاف الأحزاب فيهما وعبادتهما من دون الله، وكانا من قبيل من قامت بهما الحياة ذكر الفريق الضال الذي عبد جماداً، والفريقان وإن اشتركا في الضلال، والفريق العابد الجماد أضل، ثم ذكر قصة إبراهيم مع أبيه عليه السلام تذكيراً للعرب بما كان إبراهيم عليه من توحيد الله، وتبيين أنهم سالكو غير طريقه، وفيه صدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به وأن ذلك متلقى بالوحي»(2).

ذكر ابن عاشورأن المناسبة هي أن قصة إبراهيم عليه السلام ذُكرت عقب قصة عيسى لمناسبة وقوع الرد على المشركين في آخر القصة، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ على ما لقي من مشركي قومه لمشابهة حالهم بحال قوم إبراهيم.

وقد انفرد ابن عاشور بهذه المناسبة عن غيره من المفسرين، وهذه تعد إضافة في التفسيرلها أثرها.

وأما الرازي ذكر أن المناسبة هي إثبات نبوته ﷺ .

وبهذا قال أبوحيان .

---

(1) نظم الدرر٤/ ٣٣٥-٣٣٦.

(2) البحر المحيط٦/ ١٨١.

وأما البقاعي ذكر أن المناسبة هي أنه لما ذم الضالين في أمر المسيح، وعلق تهديدهم بوصف دخل فيه مشركو العرب، فأنذرهم بصريح تكذيبهم بالبعث، وغيرهم بأنهم لسوء أعمالهم كالمكذبين به.

وبعد التأمل فيما سبق، فإن الأنسب ماذكره ابن عاشور في أن المناسبة تسلية للنبي ﷺ على ما لقي من مشركي قومه لمشابهة حالهم بحال قوم إبراهيم فهذاالقول أولى وأنسب، لأنه أدق في بيان التناسب، وأليق بنظم الكلام . والله أعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، حيث انفرد بهذه المناسبة وهي أن قصة إبراهيم عليه السلام ذُكرت عقب قصة عيسى لمناسبة وقوع الرد على المشركين في آخر القصة، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ على ما لقي من مشركي قومه لمشابهة حالهم بحال قوم إبراهيم، فهذه تعد إضافة جديدة في التفسير، لها أثرها. والله أعلم .

٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ٥٣﴾ [مريم: ٥١-٥٣].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«أفضت مناسبة ذكر إبراهيم، ويعقوب إلى أن يذكر موسى في هذا الموضع، لأنه أشرف نبي من ذرية إسحاق ويعقوب»(١).

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة.

قال ابن كثير(٢): «لما ذكر تعالى إبراهيم الخليل وأثنى عليه، عطف بذكر الكليم، فقال: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا﴾»(٣).

قال الآلوسي: « ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ﴾ قيل قدم ذكره على إسماعيل عليهما السلام، لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليه السلام »(٤).

> **أثر المناسبة:**

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثر بهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

---

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ١٢٦

(٢) الحافظ أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، كان له خصوصية بالشيخ تقي الدين ابن تيمية، ومناضلة عنه، واتباع له في كثير من آرائه، فقيه متفنن، ومحدث متقن، ومفسر نقّاد. توفي سنة ٧٧٤هـ طبقات المفسرين (١/ ١١٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢٣٧

(٤) روح المعاني ٨/ ٤٢١

٣- المناسبة في قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم:٦٦-٦٧].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لما تضمن قوله ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ﴾ إبطالَ عقيدة الإشراك به ناسب الانتقالُ إلى إبطال أثر من آثار الشرك، وهو نفي المشركين وقوع البعث بعد الموت حتى يتمّ انتقاض أصلي الكفر . فالواو عاطفة قصة على قصة»[١].

> **أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:**

قال الرازي: « اعلم أنه تعالى لما أمر بالعبادة والمصابرة عليها فكأن سائلاً سأل وقال هذه العبادات لا منفعة فيها في الدنيا، وأما في الآخرة فقد أنكرها قوم فلا بد من ذكر الدلالة على القول بالحشر حتى يظهر أن الاشتغال بالعبادة مفيد، فلهذا حكى الله تعالى قول منكري الحشر فقال: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾، وإنما قالوا ذلك على وجه الإنكار والاستبعاد»[٢].

قال البقاعي: « ولما تبين بذلك وبما ذكر في هاتين السورتين مما سألوا عنه، ومن غيره شمولُ علمه وتمام قدرته لا سيما في إيجاد البشر تارة من التراب، وتارة من ذكر وأنثى في حكم العدم، وتارة من أنثى بلا ذكر، وثبت ذلك كله، فانكشفت الشبه، وتضاءلت موجبات المراء، وانقمعت مخيلات الفتن، عجب منها في إنكارهم البعث، وهم يشاهدون ما ذكر من قدرته وعلمه، عاطفاً على التعجب في قولهم ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا﴾ تعجيباً أشد من ذلك فقال: ﴿وَيَقُولُ﴾»[٣].

---

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ١٤٤

(٢) مفاتيح الغيب ٢١/ ٥٥٧

(٣) نظم الدرر ٤/ ٥٥٠.

ومن هذا النقل، فإن ابن عاشور يرى أن المناسبة هي إبطال أثر من آثار الشرك، وهو نفي المشركين وقوع البعث بعد الموت، حتى يتمّ انتقاض أصلي الكفر.

وبهذا المعنى قال: الرازي ، و البقاعي .

➢ **أثر المناسبة**:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثر بهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

٤ - المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢﴾[مريم:٧١-٧٢].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لمّا ذكر انتزاع الذين هم أولى بالنّار من بقية طوائف الكفر عطف عليه أنّ جميع طوائف الشرك يدخلون النار، دفعاً لتوهم أنّ انتزاع من هو أشد على الرحمن عتياً هو قصارى ما ينال تلك الطوائف من العذاب؛ بأن يحسبوا أنّ كبراءهم يكونون فداء لهم من النّار، أو نحو ذلك، أي وذلك الانتزاع لا يصرف بقية الشيع عن النّار، فإن الله أوجب على جميعهم النّار»[1].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال الرازي: « واعلم أنه تعالى لما قال من قبل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ ثم قال: ﴿لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ﴾ [مريم:٦٨] أردفه بقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[مريم:٧١] يعني جهنم، واختلفوا فقال بعضهم المراد من تقدم ذكره من الكفار فكنى عنهم أولاً كناية الغيبة، ثم خاطب خطاب المشافهة»[2].

قال البقاعي: « ولما كانوا بهذا الإعلام، المؤكد بالإقسام، من ذي الجلال والإكرام، جديرين بإصغاء الأفهام، إلى ما يوجه إليهم من الكلام، التفت إلى مقام الخطاب، إفهاماً للعموم فقال: ﴿وَإِن﴾ أي وما ﴿مِنكُمۡ﴾ أيها الناس أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾أي داخل جهنم»[3].

---

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ١٤٩

(٢) مفاتيح الغيب٢١/ ٥٦٠.

(٣) نظم الدرر٤/ ٥٥٠.

ومن هذا النقل فإن محصلة أقوالهم في المناسبة، أنه لمّا ذكر انتزاع الذين هم أولى بالنّار من بقية طوائف الكفر عطف عليه أنّ جميع طوائف الشرك يدخلون النار، ومن خلال التأمل فكلامهم يدور في هذا المحور. والله اعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثر بهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم:٩٦].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«يقتضي اتصال الآيات بعضها ببعض في المعاني أنّ هذه الآية وصف لحال المؤمنين يوم القيامة بضد حال المشركين، فيكون حال إتيانهم غير حال انفرادٍ بل حال تأنس بعضهم ببعض.

ولّما ختمت الآية قبلها بأن المشركين آتون يوم القيامة مفردين، وكان ذلك مشعراً بأنهم آتون إلى ما من شأنه أن يتمنى المورّط فيه مَن يدفع عنه وينصره، وإشعار ذلك بأنّهم مغضوب عليهم، أعقب ذلك بذكر حال المؤمنين الصالحين، وأنهم على العكس من حال المشركين، وأنهم يكونون يومئذ بمقام المودّة والتبجيل»[1].

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال ابن عطية: « ويحتمل أن تكون الآية متصلة بما قبلها في المعنى، أي إن الله تعالى لما أخبر عن إتيان ﴿كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[مريم:٩٣] في حالة العبودية والانفراد أنس المؤمنين بأنه سيجعل لهم في ذلك اليوم ﴿وُدّٗا﴾، وهو ما يظهر عليهم من كرامته، لأن محبة الله لعبد إنما هي ما يظهر عليه من نعمه وأمارات غفرانه له»[2].

قال الرازي: « اعلم أنه تعالى لما رد على أصناف الكفرة، وبالغ في شرح أحوالهم في الدنيا والآخرة ختم السورة بذكر أحوال المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

---

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ١٧٤

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧.

ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾[مريم:٩٦]»[١].

قال أبو السعود: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ لما فُصّلت قبائحُ أحوالِ الكفرة عُقّب ذلك بذكر محاسنِ أحوالِ المؤمنين»[٢].

قال البقاعي: « ولما عم بهذا الحكم الطائع والعاصي، وكان ذلك محزناً لأهل الطاعة باستشعار الذل في الدارين، تحركت النفس إلى معرفة ما أفادتهم الطاعة، واستأنف الجواب لذلك مبشراً لهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ تصديقاً لادعائهم الإيمان»[٣].

ومن هذا النقل فإن محصلة أقوالهم في المناسبة، أنه لما بالغ في شرح أحوال الكفرة في الدنيا والآخرة ختم السورة بذكر أحوال المؤمنين، وكلامهم يدور في هذا المحور. والله اعلم .

➢ أثر المناسبة:

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثر بهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير. والله أعلم .

(١) مفاتيح الغيب٢٢/ ٥

(٢) إرشاد العقل السليم٥/ ٢٨٣

(٣) نظم الدرر٤/ ٥٥٩.

٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾[مريم:٩٧].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«إيذان بانتهاء السورة، فإن شأن الإتيان بكلام جامع بعد أفنان الحديث أن يؤذن بأنّ المتكلم سيطوي بساطه . وذلك شأن التذييلات والخواتم، وهي ما يؤذن بانتهاء الكلام . فلما احتوت السورة على عبر وقصص وبشارات ونذر جاء هنا في التنويه بالقرآن، وبيان بعض ما في تنزيله من الحكم.

ويجوز أن تكون الفاء للتفريع على وعيد الكافرين بقوله: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾[مريم:٩٤-٩٥]. ووعد المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[مريم:٩٦] والمفرّع هو مضمون ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ﴾[مريم:٩٧] إلخ... ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ﴾ إلخ ... أي ذلك أثر الإعراض عما جئتَ به من النذارة، وأثر الإقبال على ما جئت به من البشارة مما يسرناه بلسانك، فإنا ما أنزلناه عليك إلاّ لذلك»[1].

➢ أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قال الرازي: « أما قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[مريم:٩٧] فهو كلام مستأنف بين به عظيم موقع هذه السورة لما فيها من التوحيد، والنبوة، والحشر، والنشر، والرد على فرق المضلين المبطلين فبين تعالى أنه يسر ذلك بلسانه ليبشر به وينذر، ولولا أنه تعالى نقل قصصهم إلى اللغة العربية لما تيسر ذلك على الرسول ﷺ، فأما أن القرآن يتضمن تبشير المتقين، وإنذار من خرج منهم

(١) التحرير والتنوير١٦/ ١٧٥

فبين، لكنه تعالى لما ذكر أنه يبشر به المتقين ذكر في مقابلته من هو في مخالفة التقوى»[1].

قال البقاعي: « ولما كان إنزال هذا القول الثقيل، ثم تيسيره حفظاً، وعملاً سبباً لما جعل لأهل الطاعة في الدنيا من الود بما لهم من التحلي والتزين بالصالحات، والتخلي والتصون من السيئات، الدال على ما لهم عند مولاهم من عظيم العز والقرب، وكان التقدير: والذين كفروا ليكسبنهم الجبار بغضاً وذلاًّ، فأخبر كلاًّ من الفريقين بما له بشارة ونذارة، قال مسبباً عن إفصاح ذلك وإفهامه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ أي هذا القرآن، الذي عجز عن معارضته الإنس والجان، والكتاب القيم، والوحي الذي لا مبدل له بسبب إنزالنا إياه»[2].

ومن هذا النقل يتبين أن ابن عاشور ذكر الربط بين الآيتين من وجهين:

الأول: التنويه بالقرآن، وبيان بعض ما في تنزيله من الحكم.

وبهذا المعنى، قال الرازي .

والثاني: أنه يجوز أن تكون الفاء للتفريع على وعيد الكافرين بقوله: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾[مريم:٩٤-٩٥]. ووعد المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[مريم:٩٦] هذا أقرب إلى كلام البقاعي .

وبعد التأمل يظهر أن الأنسب القول الأول الذي ذكره ابن عاشور ومن وافقه، ومن وافقه لأن فيه التنويه بالقرآن، وبيان بعض ما في تنزيله من الحكم، فلذلك كان الربط به أدق في بيان التناسب، وأليق بنظم الكلام . والله أعلم .

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٢/ ٥

(٢) نظم الدرر ٤/ ٥٦٠

➢ **أثر المناسبة:**

يتبين أن ابن عاشور وافق غيره من المفسرين، وتأثر بهم، ولم يأتِ بإضافة جديدة لها أثرها في التفسير . والله أعلم .

٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ [مريم:٩٨].

ذكر ابن عاشور ~ مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال:

«لما ذكروا بالعناد والمكابرة أتبع بالتعريض بتهديدهم على ذلك بتذكيرهم بالأمم التي استأصلها الله لجبروتها وتعنّتها لتكون لهم قياساً ومثلاً . فالجملة معطوفة على جملة ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم:٩٧] باعتبار ما تضمنته من بشارة المؤمنين، ونذارة المعاندين، لأنّ في التعريض بالوعيد لهم نذارة لهم، وبشارة للمؤمنين باقتراب إراحتهم من ضرّهم»(١) .

وقد وافق ابن عاشور عددًا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ في العبارة إلا أن الجميع مُتّفقون في المعنى نفسه.

قال البقاعي « فقد ختمت السورة بما بدئت به من الرحمة لأوليائه، والود لأصفيائه، **والنعمة للذين خلفوا بعدهم من أعدائه ، بعد الرحمة للفريقين بهذا الكتاب بشارة ونذارة فحلت الرحمة على أوليائه ، وزالت عن أعدائه»**(٢)

قال النيسابوري «**ثم ختم السورة بما هو غاية في الإنذار ونهاية في التخويف لأنبائه عن انقضاء القرون الخالية بالفناء أو بالإفناء بحيث لم يبق منهم شخص يرى ولا صوت يسمع فيعلم منه أن مآل الباقين أيضاً إلى ذلك فيجتهدوا في تحصيل الزاد للمعاد ولا يصرفوا همتهم إلى ما هو بصدد الزوال والنفاد»**[3]

---

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ١٧٧.

(٢) نظم الدرر ٤/ ٥٥٩.

3 **غرائب القرآن ٥١١/٤.**

➢ أثر المناسبة:

يتبين أثر المناسبة، فيما ذكره ابن عاشور من إضافة جديدة أضافها إلى التفسير، وهي ذكره نكتة بلاغية، وذلك في قوله لما ذكروا بالعناد والمكابرة أتبع بالتعريض بتهديدهم على ذلك بتذكيرهم بالأمم التي استأصلها الله لجبروتها، وتعنّتها لتكون لهم قياساً ومثلاً. فالآية فيها تعريض والله أعلم .

الخاتمـــــة

الخاتمة

بعد هذه الجولة الممتعة مع المناسبات عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ~ في تفسيره « التحرير والتنوير » أخلص إلى عدد من النتائج أهمها:

١- أهمية علم المناسبات في فهم وتدبر كتاب الله ﷻ.

٢- إن المناسبات نوع من أنواع إعجاز القرآن، فهو معجز في نظمه، وإسلوبه، وجزالته.

٣- تميز تفسير التحرير والتنوير بالجدة، وبخاصة في علم المناسبات.

٤- غزارة علم ابن عاشور ~ وتضلعه في كثير من العلوم، كاللغة العربية، والفقه، والأصول والبلاغة، وغيرها.

٥- إن النظر في أقوال العلماء، ودراستها، ومقارنتها، ومدى قوتها، ورجحانها على غيرها؛ هذا النوع من الدراسة ينمّي في الطالب ملكة مناقشة الآراء المختلفة، وسبر أغوارها، والحكم عليها.

٦- الإضافات العلمية التي أضافها ابن عاشور إلى التفسير، وذلك بانفراده بكثير من المناسبات، فهو ليس ناقلا فحسب، بل مبدعاً، ومبتكراً للجديد، وناقداً، وفاحصاً لما ينقل عن غيره، وهذا يدل على سعة علمه وتمكنه.

٧- هذا العلم لم يحظ ببحث ودراسة كافية، وذلك من الجانب التطبيقي.

التوصيات:

من خلال ما مر به الباحث في مراحل بحثه، واستناداً الى أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، نذكر بعض التوصيات منها .

١ - دعوة الباحثين، والعلماء إلى دراسة المناسبات والاهتمام بها، مع عدم التكلف والخوض فيها بغير علم، وأقصد الجانب التطبيقي.

٢ - تقرير علم المناسبات كمادة على جميع الكليات الشرعية، والمعاهد الإسلامية، ولو فصل دراسي واحد، الهدف منه تبين هذا العلم، وأخذ نماذج تمثيلية.

٣ - تقرير علم المناسبات على طلبة الدراسات العليا في قسم التفسير، وعلوم القرآن كمادة أساسية .

٤ - الإسهام من أمناء المكتبات، وأصحاب دور النشر، في نشر موروث العلماء في هذا المجال .

٥ - أن تشجع الجامعات، والكليات الإسلامية، والعربية طلابها، وأساتذتها على القيام بمشاريع بحثية، وأطروحات علمية في مجال المناسبات، وإخراج التراث الإسلامي الذي له علاقة بهذا العلم، والذي لم يكتب له رؤية النوربعد، محققاً.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم إلى الله ﷻ بالحمد والثناء على ما مَنّ به عليّ من إتمام كتابة هذا البحث، فلله ﷻ وحده الفضل والمنة، وأسأله ﷻ أن يغفر لي ما فيه من خطأ وزلل، وأن يتقبل مني، ويجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، واعف عنا إنك أنت العفو الكريم الرحيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

الفهـــارس

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث الشريفة .
- فهرس الآثار .
- فهرس الأعلام .
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فِهْرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	البقرة:٤٧	٢	٢٧
﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾	البقرة:٨٩	٢	٨٢
﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡ﴾	البقرة:١٢٩	٢	١٠٣
﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾	آل عمران:٦٥-٦٧	٣	٢٨٢
﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾	آل عمران: ١٩٦-١٩٧	٣	٣٤٨
﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾	آل عمران:٦٥	٣	٢٨٢
﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ﴾	الأنعام:٩١	٦	١١٤
﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾	الأنعام:١٠٨	٦	٣٣٦
﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖ﴾	الأنعام:١٤٦	٦	٢٢٠
﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ﴾	الأنفال:٧-٨	٨	١٣٢
﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾	الأنفال:٣٢	٨	٣٠٦،٧٠
﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾	يونس:٤٨	١٠	٣٠٥

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾	يونس:٨١	١٠	١٣٢
﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾	يونس:٨٢	١٠	١٣٢
﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾	هود:١٧	١١	٦٨
﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١﴾	الرعد:١	١٣	٥٩، ٦٢
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢﴾	الرعد:٢	١٣	٥٩، ٦٢، ٦٦، ٦٨
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣﴾	الرعد:٣	١٣	٥٩، ٦٦
﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤﴾	الرعد:٤	١٣	٥٩
﴿۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾	الرعد:٥	١٣	٥٩، ٦٨، ٧٠، ٧١
﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٦﴾	الرعد:٦	١٣	٧٠، ٧١
﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾	الرعد:١٢	١٣	٥٦
﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾	الرعد:١٣	١٣	٥٤
﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾	الرعد:١٧	١٣	٧٢، ٧٣، ٧٤

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨﴾	الرعد:١٨	١٣	٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٤
﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾	الرعد:١٩	١٣	٧٧
﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠﴾	الرعد:٢٠	١٣	٧٦، ٧٧
﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾	الرعد:٢١	١٣	٧٦، ٧٩
﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢﴾	الرعد:٢٢	١٣	٧٦، ٧٧
﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾	الرعد:٢٥	١٣	٧٦، ٧٧
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ﴾	الرعد:٢٩	١٣	٨١
﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾	الرعد:٣٠	١٣	٥٦، ٨٢، ٨٥
﴿بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ﴾	الرعد:٣٣	١٣	٢٤٧
﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾	الرعد:٣٤	١٣	٨١
﴿۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥﴾	الرعد:٣٥	١٣	٨١
﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ٣٦﴾	الرعد:٣٦	١٣	٨٢، ٨٣، ٨٥

الآيــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾	الرعد:٣٧	١٣	٨٨،٨٥
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾	الرعد:٣٨	١٣	٩٦،٩٠،٨٨
﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾	الرعد:٣٩	١٣	٩٤،٩٢،٩٠
﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾	الرعد:٤٠	١٣	٩٦،٩٤
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾	الرعد:٤١	١٣	٩٦،٥٦
﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾	الرعد:٤٣	١٣	،٥٩،٥٦
﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ﴾	الرعد:٨٣	١٣	٨٢
﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾	إبراهيم:١	١٤	،١٠٧،١٠٤ ،١١١،١١٠ ١١٩
﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾	إبراهيم:٢	١٤	،١١٩،١٠٤ ١٤٣
﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾	إبراهيم:٣	١٤	١٠٤
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾	إبراهيم:٤	١٤	،١١١،١١٠ ،١١٥،١١٢ ١٢٠،١١٩

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾	إبراهيم:٥	١٤	١١٦،١١٤
﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾	إبراهيم:٩	١٤	١١٩
﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾	إبراهيم:١٨	١٤	١٢١
﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾	إبراهيم:١٩	١٤	١٢٣
﴿ فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ ﴾	إبراهيم:٢١	١٤	١٢٨
﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾	إبراهيم:٢١	١٤	١٣٠،١٣٠، ١٣٢
﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾	إبراهيم:٢٢	١٤	١٢٨
﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾	إبراهيم:٢٣	١٤	١٣٢،١٣٠
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾	إبراهيم:٢٤	١٤	٢٧٠،١٣٢
﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾	إبراهيم:٢٥	١٤	١٣٢

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾	إبراهيم:٢٦	١٤	١٣٢، ٢٧٠
﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾	إبراهيم:٢٧	١٤	١٣٤
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾	إبراهيم:٢٨	١٤	١٤٣، ١٤٤، ٢٣٩، ٢٤١
﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾	إبراهيم:٢٨	١٤	١٠٠
﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾	إبراهيم:٣٠	١٤	١٤٠
﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾	إبراهيم:٣٠	١٤	١٠٠، ١٤٨
﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾	إبراهيم:٣١	١٤	١٣٦، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٨
﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾	إبراهيم:٣٢	١٤	١٤١
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	إبراهيم:٣٢	١٤	١٤٤
﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾	إبراهيم:٣٤	١٤	٢٣٩، ٢٤١
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾	إبراهيم:٣٥	١٤	١٤٠
﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾	إبراهيم:٣٨	١٤	١٤٦
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾	إبراهيم:٣٩	١٤	١٤٦،
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	إبراهيم:٤٢	١٤	١٤٨، ١٥٠، ١٥٠، ١٥٣

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾	إبراهيم:٤٤	١٤	١٥٠، ١٥١
﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾	إبراهيم:٤٦	١٤	١٥١
﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾	إبراهيم:٤٧	١٤	١٤٨، ١٥٣، ١٥٤
﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾	إبراهيم:٥١	١٤	١٥٦
﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾	إبراهيم:٥٢	١٤	١٠٢، ١٠٤، ١٥٦، ١٨٠
﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾	إبراهيم:١٣	١٤	١٢٣
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾	إبراهيم:١٩-٢٠	١٤	١٢٣، ١٢٦
﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾	إبراهيم:٢٨-٢٩	١٤	١٣٦
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾	إبراهيم:٣٢-٣٤	١٤	١٤٠
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾	إبراهيم:٣٥-٣٦	١٤	١٤٣

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ (٤٣) ﴾	إبراهيم:٤٢-٤٣	١٤	١٤٨
﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ (١) رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ (٢) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣) ﴾	الحجر:١-٣	١٥	١٦٥
﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ (٥٦) ﴾	الحجر:٥١-٥٦	١٥	١٩٥
﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) ﴾	الحجر:٤٥-٤٨	١٥	١٩٣
﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ (١٨) ﴾	الحجر:١٦-١٨	١٥	١٧٩
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (١١) ﴾	الحجر:١٠-١١	١٥	١٧٣
﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) ﴾	الحجر:١٢-١٣	١٥	١٧٥
﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (١٥) ﴾	الحجر:١٤-١٥	١٥	١٧٧

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ﴿١٩﴾ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾	الحجر:١٩-٢٠	١٥	١٨٢
﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ ﴾	الحجر:٢٤-٢٥	١٥	١٨٨
﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٦﴾ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾	الحجر:٢٦-٢٧	١٥	١٩٠
﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ ﴾	الحجر:٦-٧	١٥	١٦٦
﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾	الحجر:٨٥-٨٦	١٥	١٩٨
﴿ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾	الحجر:٩٠-٩١	١٥	٢١٣
﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾	الحجر:٩٢-٩٣	١٥	٢١٣
﴿ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾	الحجر:٣	١٥	١٦٦
﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾	الحجر:٦	١٥	١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٧٧، ٢٠٥
﴿ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	الحجر:٧	١٥	١٦٨، ١٧٠، ١٧٧، ٢٢٧
﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ ﴾	الحجر:٨	١٥	١٦٨
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾	الحجر:٩	١٥	١٧٠، ١٧٣، ١٧٥، ٢٠٥
﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾	الحجر:١١	١٥	١٧٥
﴿ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾	الحجر:١٣	١٥	١٧٧
﴿ وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا ﴾	الحجر:١٦	١٥	١٨٦

الآيــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾	الحجر:٢٢	١٥	١٨٤
﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾	الحجر:٢٣	١٥	١٧٩، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٠
﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾	الحجر:٨٥	١٥	٢٠١، ٢٠٢
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾	الحجر:٨٥	١٥	٢٠٣
﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾	الحجر:٨٥	١٥	٢٠٥
﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾	الحجر:٨٦	١٥	٢٠١
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾	الحجر:٨٧	١٥	٢٠٥، ٢١٣، ٢١٣
﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾	الحجر:٨٨	١٥	٢٠٧، ٢١١
﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾	الحجر:٨٩	١٥	٢١١، ٢١٤
﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾	النحل:١-٥	١٦	٢٢٥
﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾	النحل:٥-٧	١٦	٢٣٢

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٤٧)﴾	النحل:٤٥-٤٧	١٦	٢٥٥
﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)﴾	النحل:٩٨-١٠٠	١٦	٢٧٤
﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾	النحل:١٠١-١٠٢	١٦	٢٧٨
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥)﴾	النحل:٢٤-٢٥	١٦	٢٤٥
﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١)﴾	النحل:٣٠-٣١	١٦	٢٤٩
﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢)﴾	النحل:٤١-٤٢	١٦	٢٥١
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)﴾	النحل:٤٣-٤٤	١٦	٢٥٣
﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾	النحل:١	١٦	٢٢٨،

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢)﴾	النحل:٢	١٦	٢٢٧، ٢٥٣
﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٤)﴾	النحل:٤	١٦	٢٣٠
﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٧)﴾	النحل:٧	١٦	٢٣٤
﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩)﴾	النحل:٩	١٦	٢٣٥
﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾	النحل:١٥	١٦	٢٣٧
﴿وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦)﴾	النحل:١٦	١٦	٢٣٧
﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾	النحل:١٧	١٦	٢٤٣
﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨)﴾	النحل:١٨	١٦	٢٣٩
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩)﴾	النحل:١٩	١٦	٢٤٣
﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ﴾	النحل:٢٢	١٦	٢٤٥، ٢٥٣
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾	النحل:٢٤	١٦	٢٤٩، ٢٥٣، ٢٥٤
﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٦)﴾	النحل:٢٦	١٦	٢٤٧
﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾	النحل:٣٦	١٦	٢٥١
﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾	النحل:٣٩	١٦	٢٥١، ٢٥٢
﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾	النحل:٤١	١٦	٢١٩

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾	النحل:٤٤	١٦	٢٦٠
﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩)﴾	النحل:٤٩	١٦	٢٥٧
﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١)﴾	النحل:٥١	١٦	٢٦١،٢٥٩
﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢)﴾	النحل:٥٢	١٦	٢٦١
﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾	النحل:٥٧	١٦	٣٢٥
﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾	النحل:٦٣	١٦	٢٦٤
﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤)﴾	النحل:٦٤	١٦	٢٦٤
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠)﴾	النحل:٧٠	١٦	٢٦٨،٢٦٦
﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧١)﴾	النحل:٧١	١٦	٢٦٨
﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾	النحل:٧٣	١٦	٢٧٠
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥)﴾	النحل:٧٥	١٦	٢٧٠
﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧)﴾	النحل:٧٧	١٦	٢٧٢

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾	النحل:٨٩	١٦	٢٧٥، ٢٧٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾	النحل:٩٠	١٦	٢٧٥
﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾	النحل:٩١	١٦	٢٧٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾	النحل:٩١	١٦	٢٧٣
﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	النحل:٩٧	١٦	٢٧٤
﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾	النحل:٩٨	١٦	٢٧٥، ٢٧٦
﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾	النحل:١٠١	١٦	٢٧٨
﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾	النحل:١٠٣	١٦	٢٧٨
﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ (١٠٥)﴾	النحل:١٠٥	١٦	٢٧٨
﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾	النحل:١٠٦	١٦	٢٨٠
﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾	النحل:١٠٩	١٦	٢٨٠
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٠)﴾	النحل:١١٠	١٦	٢٢٠، ٢٨٠
﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾	النحل:١١٨	١٦	٢٢٠
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾	النحل:١١٩	١٦	٢٢٣
﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾	النحل:١٢٣	١٦	٢٨٣
﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤)﴾	النحل:١٢٤	١٦	٢٨٢
﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ﴾	النحل:١٢٥	١٦	٢٢٣، ٢٨٣، ٢٨٦، ٣٣٥

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾	النحل:١٢٦	١٦	٢١٩، ٢٨٦
﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾	الإسراء:١	١٧	٢٩٧
﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾	الإسراء:١١١	١٧	٢٩٧
﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾	الإسراء:٥٠	١٧	٣٣٥
﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾	الإسراء:٨٧	١٧	٣٥٠
﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾	الإسراء:١٣-١٤	١٧	٣١٢
﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾	الإسراء:٤-٥	١٧	٣٠٣
﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾	الإسراء:١	١٧	٢٩٩، ٣٠٠
﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾	الإسراء:٢	١٧	٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٠٨
﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	الإسراء:٩	١٧	٢٩٩، ٣٠٨، ٣١٢، ٣٣٠
﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	الإسراء:١٠	١٧	٣٠٨، ٣١٢
﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾	الإسراء:١١	١٧	٣٠٥، ٣٠٨

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ...﴾	الإسراء:١٢	١٧	٢٩٦، ٣٠٨، ٣١٢
﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾	الإسراء:١٤	١٧	٣١٢
﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ الآية	الإسراء:١٥	١٧	٣٠٨
﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾	الإسراء:٢١	١٧	٣١٥
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾	الإسراء:٢٣	١٧	٢٩٢، ٣١٧، ٣١٧، ٣٤٣
﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾	الإسراء:٢٦	١٧	٢٩٢، ٣١٧، ٣١٩
﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾	الإسراء:٢٨	١٧	٣١٩
﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾	الإسراء:٢٩	١٧	٣١٩
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾	الإسراء:٣٢	١٧	٢٩٢، ٣٢٢
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ الآية	الإسراء:٣٣	١٧	٢٩٢
﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾	الإسراء:٣٨	١٧	٢٩٢
﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾	الإسراء:٤٠	١٧	٣٢٤، ٣٢٥
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾	الإسراء:٤١	١٧	٣٢٧
﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾	الإسراء:٤٢	١٧	٣٣٥، ٣٣٨
﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ...﴾	الإسراء:٤٤	١٧	٣٢٨
﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾	الإسراء:٤٥	١٧	٣٣٠

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ... ﴾	الإسراء:٤٦	١٧	٣٣٢
﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾	الإسراء:٥١	١٧	٣٣٥
﴿ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾	الإسراء:٥١	١٧	٣٣٥
﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ... ﴾	الإسراء:٥٣	١٧	٣٣٥
﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾	الإسراء:٥٥	١٧	٣٣٨
﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	الإسراء:٥٥	١٧	٣٣٨
﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾	الإسراء:٥٦	١٧	٣٤١،٣٣٨
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾	الإسراء:٥٧	١٧	٣٣٨،٢٩٢
﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾	الإسراء:٥٧	١٧	٣٤١
﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ ﴾	الإسراء:٥٨	١٧	٣٤١
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾	الإسراء:٦٠	١٧	٢٩٢
﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾	الإسراء:٧٣	١٧	٢٩٢
﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾	الإسراء:٧٦	١٧	٣٤٥،٣٤٣
﴿ قَلِيلًا ﴾	الإسراء:٧٦	١٧	٢٩٢
﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾	الإسراء:٧٨	١٧	٣٤٣،٢٩٢
﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾	الإسراء:٧٩	١٧	٣٤٦،٣٤٣
﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾	الإسراء:٨٠	١٧	٣٤٦،٢٩٢
﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ ﴾	الإسراء:٨٢	١٧	٣٥٠

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ... ﴾	الإسراء:٨٣	١٧	٣٤٨
﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾	الإسراء:٨٥	١٧	٣٥٠
﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	الإسراء:٨٥	١٧	٣٨٦
﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦) ﴾	الإسراء:٨٦	١٧	٣٥٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ﴾ إلى آخر السورة	الإسراء:١٠٧	١٧	٢٩٢
﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا (١١١) ﴾	الإسراء:١١١	١٧	٣٥٢
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا (١١٠) ﴾	الكهف:١١٠	١٨	٣٦٠
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤) ﴾	الكهف:١-٤	١٨	٣٦٠
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) ﴾	الكهف:١-٥	١٨	٣٥٨
﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا (٢٤) ﴾	الكهف:٢٣-٢٤	١٨	٣٧٠
﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨) ﴾	الكهف:٧-٨	١٨	٣٥٩، ٣٦٢

الآيــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿كٓهيعٓصٓ﴾	الكهف:١	١٨	٣٩٠
﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأۡسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنۡهُ﴾	الكهف:٢	١٨	٣٦٢
﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾	الكهف:٦	١٨	٣٦٥
﴿جُرُزًا﴾	الكهف:٨	١٨	٣٥٦
﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾	الكهف:٩	١٨	٣٦٥
﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ﴾	الكهف:١٠	١٨	٣٦٨
﴿لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ﴾	الكهف:١٢	١٨	٣٦٨
﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿١٣﴾﴾	الكهف:١٣	١٨	٣٦٨
﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ...﴾	الكهف:٢٣	١٨	٣٨٣
﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾	الكهف:٢٧	١٨	٣٧٦
﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾	الكهف:٢٨	١٨	٣٥٦، ٣٧٢
﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾	الكهف:٢٩	١٨	٣٧٦
﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ﴾	الكهف:٣٢	١٨	٣٧٦
﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ﴾	الكهف:٤٥	١٨	٣٧٦
﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ﴾	الكهف:٤٧	١٨	٣٧٢
﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾﴾	الكهف:٥٠	١٨	٣٧٢
﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ﴾	الكهف:٥٢	١٨	٣٧٢

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾	الكهف:٥٤	١٨	٣٧٦
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾	الكهف:٥٧	١٨	٣٧٨
﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾	الكهف:٥٨	١٨	٣٨٠
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾	الكهف:٦٠	١٨	٣٨٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾	الكهف:١٠٧	١٨	٣٥٦
﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾	الكهف:١٠٩	١٨	٣٨٥
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾	الكهف:١١٠	١٨	٣٥٩
﴿كهيعص ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾﴾	مريم:١-٩	١٩	٣٩٤

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾﴾	مريم:٩٦-٩٨	١٩	٣٩٥
﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾	مريم:٩٧	١٩	٤١٠
﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾﴾	مريم:٥١-٥٣	١٩	٤٠٠
﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾﴾	مريم:٤١-٤٢	١٩	٣٩٧
﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾﴾	مريم:٦٦-٦٧	١٩	٤٠١
﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾﴾	مريم:٧١-٧٢	١٩	٤٠٣
﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾	مريم:٩١-٩٢	١٩	٣٩٣
﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾	مريم:٩٤-٩٥	١٩	٤٠٧، ٤٠٨
﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾﴾	مريم:١٣	١٩	٣٩٤
﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾﴾	مريم:٣٢	١٩	٣٩٤
﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾	مريم:٣٧	١٩	٣٩٧
﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا﴾	مريم:٤٠	١٩	٣٩٧
﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾﴾	مريم:٦٤	١٩	٣٩٢

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾	مريم:٦٨	١٩	٤٠٣
﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾	مريم:٧١	١٩	٤٠٣
﴿كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	مريم:٩٣	١٩	٤٠٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾	مريم:٩٦	١٩	٣٩٤، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٠٨
﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾	مريم:٩٧	١٩	٤٠٧
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾	مريم:٩٨	١٩	٤١٠
﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾	طه:٢-٣	٢٠	
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾	الفرقان:٦٠	٢٥	٣٩٢
﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾	العنكبوت:٤٣	٢٩	٧٢
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾	الروم:٢٧	٣٠	١٢٦
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾	السجدة:٢٣-٢٤	٣٢	٣٠٠
﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾	فاطر:٨	٣٥	٢٠١
﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾	يس:٦١	٣٦	٧٩
﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾	فصلت:٥	٤١	٣٣٣
﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾	الزخرف:١٩	٤٣	٣٢٤

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾	الزخرف:٢٠	٤٣	٣٢٤
﴿ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾	الجاثية:٢٤	٤٥	٣٦٥
﴿ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾	الذاريات:٥٣	٥١	١٧٥
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	الذاريات:٥٦	٥١	٣١٣
﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾	الطور:٣٩	٥٢	٣٢٥
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	العنكبوت:٤٦	٥٢	٣٣٥
﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾	النجم:٢١	٥٣	٣٢٥
﴿ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾	المزمل:١١	٧٣	٣٤٨
﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾	المدثر:١١	٧٤	٢٢

فِهْرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	الصفحة
١	إذا أخبرتكم أن العدو مصبحكم غداً أكنتم مُصدِّقي	٣٧٨
٢	أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه مكتوبـًا عندكم	٢٣
٣	أن المشركين لما سألوا النبي ﷺ عن أهل الكهف	٣٧٠
٤	إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي	٢٩١
٥	كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل	٢٩١
٦	لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بثلاثين رجلا منهم	٢٨٦
٧	اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف	٣٣٩
٨	من آخر الكهف، عُصم من فتنة الدجال	٣٥٦
٩	من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف	٣٥٦

فِهْرس الآثار

م	طـــرف الأثـــــر	الصفحة
١	ابن عبّاس سمّاها سورة (كهيعص)	٣٩٠
٢	أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئت به	٢٣
٣	أن أولها مكي	٢١٩
٤	أن آية السجدة مدنية	٣٩٠
٥	أنّها تسمّى سورة النِعَم أي بكسر النّون وفتح العين	٢١٩
٦	أهو عبدالله بن سلام؟ فقال: كيف وهذه سورة مكية	٥٥
٧	وهي مكية عند الجمهوروعن قتادة إلا آيتي ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ إلى قوله ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم:٢٨]، وقيل: إلى قوله: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [إبراهيم:٣٠]. نزل ذلك في المشركين في قضية بدر	١٠٠
٨	استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمداً	٢٢٠

فِهْرس الأعلام

م	اسم العلـــــــم	الصفحة
١	إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي	٢٥
٢	إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج	٢٧٦
٣	إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي	٢٨
٤	أبي بن كعب بن قيس الأنصاري	٢٠٣
٥	عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي	٥٥
٦	أحمد بن محمد الخوجة	٣٧
٧	إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ابن كثير)	٤٠٠
٨	الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبي	٢٧٤
٩	زيد بن علي بن أحمد العجلي	٢٠٢
١٠	سالم بن عمر بو حاجب النبيلي	٤٠
١١	سالم بوحاجب	٣٨
١٢	سعيد بن جبير الأسدي	٥٤
١٣	سليمان بن مهران الأعمش الأسدي	٢٠٢
١٤	سيد قطب بن إبراهيم المصري	٦٠
١٥	عاصم بن أبي الصباح العجاج الجحدري	٢٠٢
١٦	عبدالحق بن غالب بن عطية الغرناطي (ابن عطية)	٦٢
١٧	عبدالحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس	٤١
١٨	عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني	٢٥٥
١٩	عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي (ابن الزّبير)	٢١٩
٢٠	عبدالله بن عباس الهاشمي (ابن عباس)	٥٤
٢١	عبدالله بن محمد بن زياد النيسابوري	٢٤

م	اسم العلــــــم	الصفحة
٢٢	عبدالملك بن عبدالعزيز المكي (ابن جريج)	٥٥
٢٣	عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي	٢٠٣
٢٤	عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي	٢٢٠
٢٥	عطاء بن أبي رباح أسلم القرشي	٥٥
٢٦	عكرمة أبو عبدالله البربري	٥٥
٢٧	علي بن أبي طلحة سالم	٥٤
٢٨	علي بن يحيى السمرقندي	٦٣
٢٩	عمر ابن عاشور	٤١
٣٠	قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي	٥٤
٣١	مالك بن دينار أبو يحيى البصري	٢٠٣
٣٢	مجاهد بن جبر المكي	٥٤
٣٣	محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي	٢٠٨
٣٤	محمد البشير صفر	٣٨
٣٥	محمد الطاهر بن محمد التونسي (ابن عاشور)	٣٧
٣٦	محمد العزيز بن محمد بوعتور	٣٧
٣٧	محمد الفاضل بن محمد الطاهر ابن عاشور	٤٢
٣٨	محمد النخلي	٤٠
٣٩	محمد بن أحمد بن محمد الكلبي (ابن جزي)	٢٠٨
٤٠	محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني	٣١
٤١	محمد بن جرير الطبري	١١٢
٤٢	محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ابن جرير)	٢٣
٤٣	محمد بن حسين بن أحمد بن محمد (محمد بيرم)	٣٨
٤٤	محمد بن عبدالله بن بَهَادر الزركشي	٢١

م	اسم العلـــــــم	الصفحة
٤٥	محمد بن عبدالله بن محمد المعافري (ابن العربي)	٢٠
٤٦	محمد بن عثمان بن محمد النجار	٤٠
٤٧	محمد بن علي بن محمد الشوكاني	٢٦
٤٨	محمد بن يوسف	٤١
٤٩	محمد بن يوسف بن علي الغرناطي (أبو حيان)	٦٣
٥٠	محمد صالح الشريف	٤١
٥١	محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي	١٠٧
٥٢	محمود بن محمد بن الخوجة	٣٨
٥٣	مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي	٥٦

فِهْرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

أولا: الرسائل الجامعية:

١- أثر الدلالات اللغوية في التفسيرعند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير، للطالب: مشرف أحمد الزهراني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، إشراف الدكتور: أمين باشا سنة (١٤٢٧هـ).

٢- المناسبات وأثرها عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنويرمن سورة الفاتحة إلى نهاية سورة المائدة، للطالب: أحمد مذكور، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، إشراف الدكتور: إسماعيل الميمني سنة (١٤٢٩هـ).

٣- المناسبات وأثرها عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنويرمن أول سورة طه الى نهاية سورة القصص، للطالب: عمر محمد المديفر، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، إشراف الدكتور: عبدالرحمن قصاص سنة (١٤٢٩هـ).

ثانيا: المراجع المطبوعة:

١- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق سعيد مندوب، الناشر: دار الفكر، لبنان، ط الأولى ١٤١٦هـ.

٢- آثار الشيخ ابن عاشور، المؤلف عبدالمنعم النخلي، طبعة دار الغرب الإسلامي.

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي، ط(بدون)، دار إحياء التراث، بيروت.

٤- أساس البلاغة: جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ن الناشر دار صادر، ودار بيروت، ١٣٨٥هـ.

٥- الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام القاهرة، ط٦، ١٤٢٤هـ .

٦- أسباب نزول القرآن: للواحدي، تحقيق أحمد صقر، دار القبلة، جدة ط ٢، ١٤٠٤هـ .

٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر القرطبي (٣٦٨- ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة.

٨- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري (٥٥٥- ٦٣٠هـ). تحقيق: محمد إبراهيم البنا، ومحمد أحمد عاشور، ومحمود عبدالوهاب فايد، دار الشعب، القاهرة.

٩- أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، شرح وتعليق د. محمد عبدالمنعم خفاجي ود.عبد العزيز شرف، ط(١) سنة ١٩٩١م، دار الجبل - بيروت .

١٠- الإشارة إلى الإيجاز: الحافظ عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي، اعتنى بطبعه: رمزي سعد الدين دمشقية، الناشر: دار البشائر، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.

١١- الإصابة في تمييز الصحابة، وبهامشه الاستيعاب لابن عبدالبر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى، دار صادر.

١٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، المطابع الأهلية، الرياض، ١٤٠٣هـ.

١٣- أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية: د عبدالحكيم الأنيس ن الأحمدية: مجلة علمية محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية وإحياء التراث: تصدر عن: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي العدد ١١، جماد الأولى ١٤٢٣هـ

١٤- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، تأليف: د. محمد أحمد القاسم، الناشر دار المطبوعات الدولية، ط ١، ١٣٩٩هـ .

١٥- الأعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين تأليف خير الدين الزركلي دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة أيار (مايو) ١٩٨٠.

١٦- الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، تحقيق د. محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٥م.

١٧- بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار النشر: دار الفكر - بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.

١٨- البحر المديد، المؤلف: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دارالنشر / دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م - ١٤٢٣ هـ.

١٩- البداية والنهاية، للإمام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه علي شيري، دار إحياء التراث العربي، طبعة جديدة محققة الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.

٢٠- البدر الطالع: محمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار المعرفة بيروت، (ط . د.).

٢١- البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبدالله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

٢٢- البرهان في تناسب سور القرآن، تأليف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي شهاب الدين أبو جعفر الغرناطي، الناشر: دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٨هـ.

٢٣- البرهان في علوم القرآن، للإمام بد ر الـدين محمد بـن عبدالله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الاولى ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م دار أحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٢٤- البيان في عد آي القرآن، المؤلف: أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني، دار النشر: مركز المخطوطات والتراث - الكويت - ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: غانم قدوري الحمد.

٢٥- تاج العروس: محمد الزبيدي، تحقيق، مجموعة من المحققين ن الناشر دار الهداية، (م . د.)، (ط .د.).

٢٦- التحرير والتنوير، سماحة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م

٢٧- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، المؤلف: جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: عبدالصمد شرف الدين، طبعة: المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٢٨- تذكرة الحفاظ، الإمام أبو عبدالله شمس الدين الذهبي المتوفى (من الطبقة الأولى إلى الطبقة السابعة) صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت إعانة وزارة معارف الحكومة العالية الهندية دار احياء التراث العربي.

٢٩- التسهيل لعلوم التنزيل، الإمام الحافظ أبوالقاسم محمد بن أحمد نب جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: محمد عبدالمنعم اليونسي؛ إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب الحديثة.

٣٠- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن دار النشر: دار الفكر - بيروت / لبنان -١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

٣١- تفسير السراج المنير، المؤلف: محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين دار النشر / دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٢- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٣٣- تفسير روح البيان، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار النشر / دار إحياء التراث العربى.

٣٤- تقريب التهذيب، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، وعلى تهذيب التهذيب، وتهذيب الكمال دار المكتبة العلمية بيروت - لبنان.

٣٥- التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني الخطيب، ضبط وشرح عبدالرحمن البرقوقي ط(١)، سنة ١٩٠٤م، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان .

٣٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبدالرحمن بن ناصر بن السعدي، المحقق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

٣٧- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمدمحمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٣٨- الجامع لاحكام القرآن، لابي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق عبدالرزاق المهدي، الناشر دار الكتاب العربي بيروت - لبنان ١٤٢٦هـ.

٣٩- الجرح والتعديل، تأليف الإمام أبى محمد عبدالرحمن بن أبى حاتم محمد بن ادريس بن المنذر الرازي، عن النسخة المحفوظة في كوپريلى [تحت رقم ٢٧٨] وعن النسخة لمحفوظة في مكتبة مراد ملا [تحت رقم ١٤٢٧] وعن النسخة المحفوظة في مكتبة دار الكتب المصرية [تحت رقم ٨٩٢] الطبعة الاولى بمطبعة

مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند سنة ١٢٧١ ه ١٩٥٢ م دار إحياء التراث العربي بيروت.

٤٠- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تأليف: السيد أحمد الهاشمي، ط: ١٢، دار إحياء التراث العربي بيروت، د.ت.

٤١- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي . نشر محمد أمين دمج - بيروت.

٤٢- روح المعاني، لمحمود الألوسي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢، ١٤٢٦هـ .

٤٣- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبدالحمن بن أبي الحسن الخثعمي، السهيلي، قدم له وعلق عليه: طه عبدالرءوف سعد، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٤٤- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وآثرها السيىء في الأمة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض ط ٢، ١٤٢٠هـ .

٤٥- سنن أبي داود، وبهامشه (معالم السنن للخطابي): سليمان بن الأشعث السجستاني (أبو داود). إعداد وتعليق عزة عيد الدعاس، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.

٤٦- سنن الترمذي (الجامع الصحيح): محمد بن عيسى بن سورة الترمذي . تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطوة عوض . نشر المكتبة الإسلامية للحاج رياض الشيخ .

٤٧- سير أعلام النبلاء، مؤلفه الإمام الذهبي، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م مؤسسة الرسالة بيروت.

٤٨- السيرة النبوية، ابن هشام، توزيع الإدارات العلمية والإفتاء - الرياض .

٤٩- السيرة النبوية: إسماعيل بن كثير: تحقيق مصطفى عبدالواحد، طبعة دار المعرفة- بيروت.

٥٠- شرح النووي على صحيح مسلم: يحيى بن شرف النووي . طبعة دار الفكر- بيروت.

٥١- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير: د. هياء ثامر العلي، الناشر: دار الثقافة، الدوحة، ١٩٩٤هـ .

٥٢- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، للإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ)، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار الكتاب العربي بمصر .

٥٣- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري . تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٥٤- طبقات المفسرين للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة والتاريخ (بدون) .

٥٥- طبقات المفسرين: أحمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط ١، ١٤١٧هـ .

٥٦- طبقات المفسرين، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي (ت: ٩٤٥)، تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، مكتبة وهبة - ١٤ شارع الجمهورية بعابدين.

٥٧- ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق بيروت . ١٣٩٤هـ.

٥٨- عون المعبود (شرح سنن أبي داود): محمد شمس الحق العظيم آبادي . تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ، المكتبة السلفية بالمدينة.

٥٩- غاية النهاية في طبقات القراء، الإمام شمس الدين أبوالخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، عني بنشره: ج. برجستراسر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م، دار الكتب العلمية.

٦٠- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ زكريا عميران.

٦١- غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، طبع باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية تحت مراقبة الدكتور محمد عبدالمعيد خان أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية الطبعة الاولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند سنة ١٣٨٤ ه / ١٩٦٤ م.

٦٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (صحيح البخاري): الشرح لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، والأصل لمحمد بن إسماعيل البخاري . نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

٦٣- الفتح الرباني، معه بلوغ الأماني (في مسند أحمد): أحمد بن عبدالرحمن البنا . الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي.

٦٤- فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني .دار الحديث القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ، تحقيق سيد إبراهيم .

٦٥- فوات الوفيات، والذيل عليها: محمد بن شاكر الكتبي . تحقيق إحسان عباس، مطبعة دار صادر- بيروت.

٦٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبدالرؤوف المناوي . الطبعة الثانية، دار المعرفة- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، وابنه محمد، الطبعة الأولى.

٦٧- قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي بن حسين الحربي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، الناشر: دار القاسم - الرياض.

٦٨- قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، دار ابن عفان، الجيزة - جمهورية مصر العربية.

٦٩- كتاب الموضوعات، للعلامة السلفي الامام أبى الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزي ضبط، وتقديم، وتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، الطبعة الاولى ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

٧٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ .

٧١- لباب النقول في أسباب النزول، الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، بذيل كلمات القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف، المطبوع بهامش القرآن الكريم، توزيع مكتبات عبدالمجيد مرزا.

٧٢- اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوض.

٧٣- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.

٧٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ١٩٨٨ م بيروت - لبنان طبع بإذن خاص من ورثة حسام الدين القدسي مؤسس مكتبة القدسي بالقاهرة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٧٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد.

٧٦- مدارك التنزيل، المؤلف: أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، دار النشر: دار النفائس - بيروت ٢٠٠٥، تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار.

٧٧- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي . دار الكتاب العربي- لبنان ١٩٦٧م.

٧٨- المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري، دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.

٧٩- مسند الإمام أحمد (بهامشه منتخب كنز العمال): أحمد بن حنبل الشيباني . المكتب الإسلامي ودار صادر.

٨٠- مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، تأليف: د. عادل محمد أبوالعلا، (ط. د.)١٤٢٢هـ .

٨١- مصاعد النظر للأشراف على مقاصد السور، تأليف: إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: د. عبدالسميع محمد أحمد، مكتبة المعارف الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ .

٨٢- معاني القرآن الكريم للإمام أبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ)، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط. أولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .

٨٣- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، تأليف: عواد بن عبدالله المعتق، الناشر دار العاصمة، ط ١، ١٤٠٩هـ .

٨٤- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، تأليف عمر رضا كحالة، الناشر مكتبة المثنى - بيروت دار إحياء التراث العربي بيروت.

٨٥- معجم مقاييس اللغة، أبوالحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار الكتب العلمية - إيران.

٨٦- مفاتيح الغيب، المؤلف: محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبدالله فخر الدين، دار النشر / دار إحياء التراث العربى.

٨٧- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، تحقيق د/ مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط. خامسة .

٨٨- مقالات الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، المؤلف علي رضا الحسيني، طبعة الدار الحسينية للكتاب.

٨٩- من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور المؤلف د بلقاسم الغالي طبعة دار ابن حزم، ط١، ١٤١٧هـ

٩٠- الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم موسى بن محمد الشاطبي، تعليق: الشيخ عبدالله دراز، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ.

٩١- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، المؤلف: الإمام / برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى، دار النشر / دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية / ١٤٢٤ هـ.

٩٢- النظم الفني في القرآن الكريم، عبدالمتعال الصعيدي، الناشر مكتبة الآداب القاهرة، الطبعة بدون.

٩٣- النكت والعيون (تفسير الماوردى)، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم.

فِهْرس الموضوعات

الموضـــــــــــوع	الصفحة
ملخص الرسالة	٣
شكر وتقدير	٥
المقدمـــــة	٨
أهمية الموضوع	١١
أسباب اختياره	١١
الدراسات السابقة	١١
منهج البحث	١٣
خطة البحث	١٣
التمهيـــد	١٧
المبحث الأول: مدخل إلى علم المناسبات	١٩
المطلب الأول: تعريفه، وموضوعه، وثمرته	٢٠
المطلب الثاني: نشأته	٢٢
المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبات	٢٥
المطلب الرابع: أهمّيته وفائدته، وأشهر المؤلفات فيه	٣٠
المطلب الخامس: أنواع المناسبات	٣٥
المبحث الثاني: التعريف بالطاهر ابن عاشور وكتابه	٣٦
المطلب الأول: نسبه ونسبته	٣٧
المطلب الثاني: مولده ونشأته	٣٩
المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه	٤٠

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المطلب الرابع: مؤلفاته	٤٣
المطلب الخامس: وفاته	٤٥
المطلب السادس: التعريف بتفسير ابن عاشور	٤٦
المبحث الثالث: منهج الطاهر بن عاشور في إيراد المناسبات	٤٩
الفصل الأول: سورة الرعد	٥٢
المبحث الأول: مقاصدها	٥٨
المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها	٥٩
المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها	٦١
المبحث الرابع: تناسب آياتها وأثره في التفسير	٦٢
١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد:٢].	٦٢
٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[الرعد:٣].	٦٦
٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد:٥].	٦٨
٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ [الرعد:٦].	٧٠
٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرعد:١٨].	٧٢

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد: ٢٠-٢٢].	٧٦
٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: ٢١].	٧٩
٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد: ٣٥].	٨١
٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرعد: ٣٦].	٨٢
١٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧].	٨٥
١١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد: ٣٨].	٨٨
١٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩].	٩٠
١٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرعد: ٤٠].	٩٤
١٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد: ٤١].	٩٦
الفصل الثاني: سورة إبراهيم	٩٨
المبحث الأول: مقاصدها	١٠٢
المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها	١٠٤

الموضوع	الصفحة
المبحث الثالث: مناسبتها لمابعدها	١٠٦
المبحث الرابع: تناسب آياتها، وأثره في التفسير	١٠٧
١- مناسبة ختم الآية بقوله (العزيز الحميد): قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم:١].	١٠٧
٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾ [إبراهيم:٤].	١١٠
٣- قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾ [إبراهيم:٤].	١١٢
٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥﴾ [إبراهيم:٥].	١١٤
٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥﴾[إبراهيم:٥].	١١٦
٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٩﴾ [إبراهيم:٩].	١١٩
٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾[إبراهيم:١٨].	١٢١
٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ٢٠﴾ [إبراهيم:١٩-٢٠].	١٢٣

الموضـــــــــــوع	الصفحة
٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم:١٩-٢٠].	١٢٦
١٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم:٢٢].	١٢٨
١١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [إبراهيم:٢٣].	١٣٠
١٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم:٢٦].	١٣٢
١٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم:٢٧].	١٣٤
١٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم:٢٨-٢٩].	١٣٦
١٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ [إبراهيم:٣١].	١٣٨
١٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٤].	١٤٠

الموضـــــــــــوع	الصفحة
١٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم:٣٥-٣٦].	١٤٣
١٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [إبراهيم:٣٧].	١٤٦
١٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم:٤٢-٤٣].	١٤٨
٢٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم:٤٤].	١٥٠
٢١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم:٤٦].	١٥١
٢٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾[إبراهيم:٤٧].	١٥٣
٢٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم:٤٧].	١٥٤
٢٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم:٥٢].	١٥٦
الفصل الثالث: سورة الحجر	١٥٩
المبحث الأول: مقاصدها	١٦٢
المبحث الثاني: مناسبتها لما بعدها	١٦٤
المبحث الثالث: مناسبة أولها لمقاصدها	١٦٥
المبحث الرابع: تناسب آياتها وأثره	١٦٦

الموضـــــــــوع	الصفحة
١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ ﴾ [الحجر:٦-٧].	١٦٦
٢- المناسبة قوله تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨ ﴾ [الحجر:٨].	١٦٨
٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر:٩].	١٧٠
٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١ ﴾ [الحجر:١٠-١١].	١٧٣
٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ ﴾ [الحجر:١٢-١٣].	١٧٥
٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥ ﴾ [الحجر:١٤-١٥].	١٧٧
٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨ ﴾ [الحجر:١٦-١٨].	١٧٩
٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ۝١٩ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۝٢٠ ﴾ [الحجر:١٩-٢٠].	١٨٢
٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ۝٢٢ ﴾ [الحجر:٢٢].	١٨٤
١٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝٢٣ ﴾[الحجر:٢٣].	١٨٦
١١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ۝٢٤ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝٢٥ ﴾ [الحجر:٢٤-٢٥].	١٨٨

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
١٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر:٢٦-٢٧].	١٩٠
١٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر:٤٥-٤٨].	١٩٣
١٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر:٥١-٥٦].	١٩٥
١٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر:٨٥-٨٦].	١٩٨
١٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾[الحجر:٨٦].	٢٠١
١٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الحجر:٨٨].	٢٠٧
١٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ [الحجر:٨٩].	٢١١
٢٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر:٩٠-٩١].	٢١٣
الفصل الرابع: سورة النحل	٢١٧
المبحث الأول: مقاصدها	٢٢٢
المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها	٢٢٥
المبحث الثالث: مناسبتها لمابعدها	٢٢٦
المبحث الرابع: تناسب آياتهاوأثره في التفسير	٢٢٧

الموضـــــــــــوع	الصفحة
١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النحل:٢].	٢٢٧
٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤﴾ [النحل:٤].	٢٣٠
٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ [النحل:٥-٧].	٢٣٢
٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ [النحل:٧].	٢٣٤
٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾ [النحل:٩].	٢٣٥
٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝١٦﴾ [النحل:١٦].	٢٣٧
٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨﴾ [النحل:١٨].	٢٣٩
٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝١٩﴾ [النحل:١٩].	٢٤٣
٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٤ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٢٥﴾ [النحل:٢٤-٢٥].	٢٤٥
١٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٢٦﴾ [النحل:٢٦].	٢٤٧

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
١١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النحل:٣٠-٣١].	٢٤٩
١٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النحل:٤١-٤٢].	٢٥١
١٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل:٤٣-٤٤].	٢٥٣
١٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النحل:٤٥-٤٧].	٢٥٥
١٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النحل:٤٩].	٢٥٧
١٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾ [النحل:٥١].	٢٥٩
١٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النحل:٥٢].	٢٦١
١٨- المناسبة فيقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النحل:٦٤].	٢٦٤
١٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [النحل:٧٠].	٢٦٦

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
٢٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٧١ ﴾ [النحل:٧١].	٢٦٨
٢١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ۞ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥ ﴾ [النحل:٧٥].	٢٧٠
٢٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧ ﴾ [النحل:٧٧].	٢٧٢
٢٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠ ﴾ [النحل:٩٨-١٠٠].	٢٧٤
٢٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥ ﴾ [النحل:١٠٥].	٢٧٨
٢٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠ ﴾ [النحل:١١٠].	٢٨٠
٢٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٢٤ ﴾ [النحل:١٢٤].	٢٨٢
٢٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ ﴾ [النحل:١٢٦].	٢٨٦
الفصل الخامس: سورة الإسراء	٢٨٩
المبحث الأول: مقاصدها	٢٩٤
المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها	٢٩٧
المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها	٢٩٨

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المبحث الرابع: تناسب آياتها وأثره في التفسير	٢٩٩
١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾ [الإسراء:٢].	٢٩٩
٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾ [الإسراء:٤-٥].	٣٠٣
٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء:١١].	٣٠٥
٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء:١٢].	٣٠٨
٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء:١٣-١٤].	٣١٢
٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء:٢١].	٣١٥
٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء:٢٦].	٣١٧
٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء:٢٩].	٣١٩
٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء:٣٢].	٣٢٢
١٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الإسراء:٤٠].	٣٢٤

الصفحة	الموضــــــــــوع
٣٢٧	١١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء:٤١].
٣٢٨	١٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٤].
٣٣٠	١٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء:٤٥].
٣٣٢	١٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء:٤٦].
٣٣٥	١٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء:٥٣].
٣٣٨	١٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء:٥٦].
٣٤١	١٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾ [الإسراء:٥٨].
٣٤٣	١٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء:٧٨].
٣٤٦	١٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء:٨٠].
٣٤٨	٢٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء:٨٣].
٣٥٠	٢١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ [الإسراء:٨٦].
٣٥٢	٢٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء:١١١].

الموضوع	الصفحة
الفصل السادس: سورة الكهف	٣٥٤
المبحث الأول: مقاصدها	٣٥٧
المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها	٣٦٠
المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها	٣٦١
المبحث الرابع: تناسب آياتها وأثره في التفسير	٣٦٢
١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾ [الكهف:٧-٨].	٣٦٢
٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ [الكهف:٩].	٣٦٥
٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف:١٣].	٣٦٨
٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف:٢٣-٢٤].	٣٧٠
٥- المناسبة في قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف:٥٠].	٣٧٢
٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف:٥٤] .	٣٧٦
٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الكهف:٥٧].	٣٧٨

الموضوع	الصفحة
٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾ [الكهف:٥٨].	٣٨٠
٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف:٦٠].	٣٨٢
١٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف:١٠٩].	٣٨٥
الفصل السابع: سورة مريم	٣٨٨
المبحث الأول: مقاصدها	٣٩١
المبحث الثاني: مناسبة أولها لمقاصدها	٣٩٤
المبحث الثالث: مناسبتها لما بعدها	٣٩٦
المبحث الرابع: تناسب آياتها وأثره في التفسير	٣٩٧
١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم:٤١-٤٢].	٣٩٧
٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم:٥١-٥٣].	٤٠٠
٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم:٦٤].	٤٠١
٥ - المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم:٧١-٧٢].	٤٠٣
٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم:٩٦].	٤٠٥

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم:٩٧].	٤٠٧
٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ [مريم:٩٨].	٤١٠
الخاتمـــة	٤١٢
الفهـــارس	٤١٥
فِهْرس الآيات القرآنية	٤١٧
فِهْرس الأحاديث النبوية	٤٤٠
فِهْرس الآثار	٤٤١
فِهْرس الأعلام	٤٤٢
فِهْرس المصادر والمراجع	٤٤٥
فِهْرس الموضوعات	٤٥٦

المناسبات في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ ٣٥٢

المناسبات في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ ٣٥٥

المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ ٣٦٠

المناسبات في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ ٣٦١

المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ ٣٦٤

الخاتمة ٣٦٧

الفهارس ٣٦٨

فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٣٦٩

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٤٠١

فهرس الآثار ٤٠٢

فهرس الأعلام المترجم لهم ٤٠٣

فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة ٤٠٧

فهرس القبائل ٤٠٨

فهرس الأماكن والبلدان ٤٠٩

فهرس الأبيات الشعرية ٤١٠

فهرس المصادر والمراجع ٤١١

فهرس الموضوعات ٤١٩